المجلد الثالث من تاريخ ابن كثير ن
٣٥

الجزء الثالث من البدر والتما



في نوبة الفقير
ابراهيم
ابن ...



عدد سطر
٢٥



عدد اوراق
٦٣٣



4001

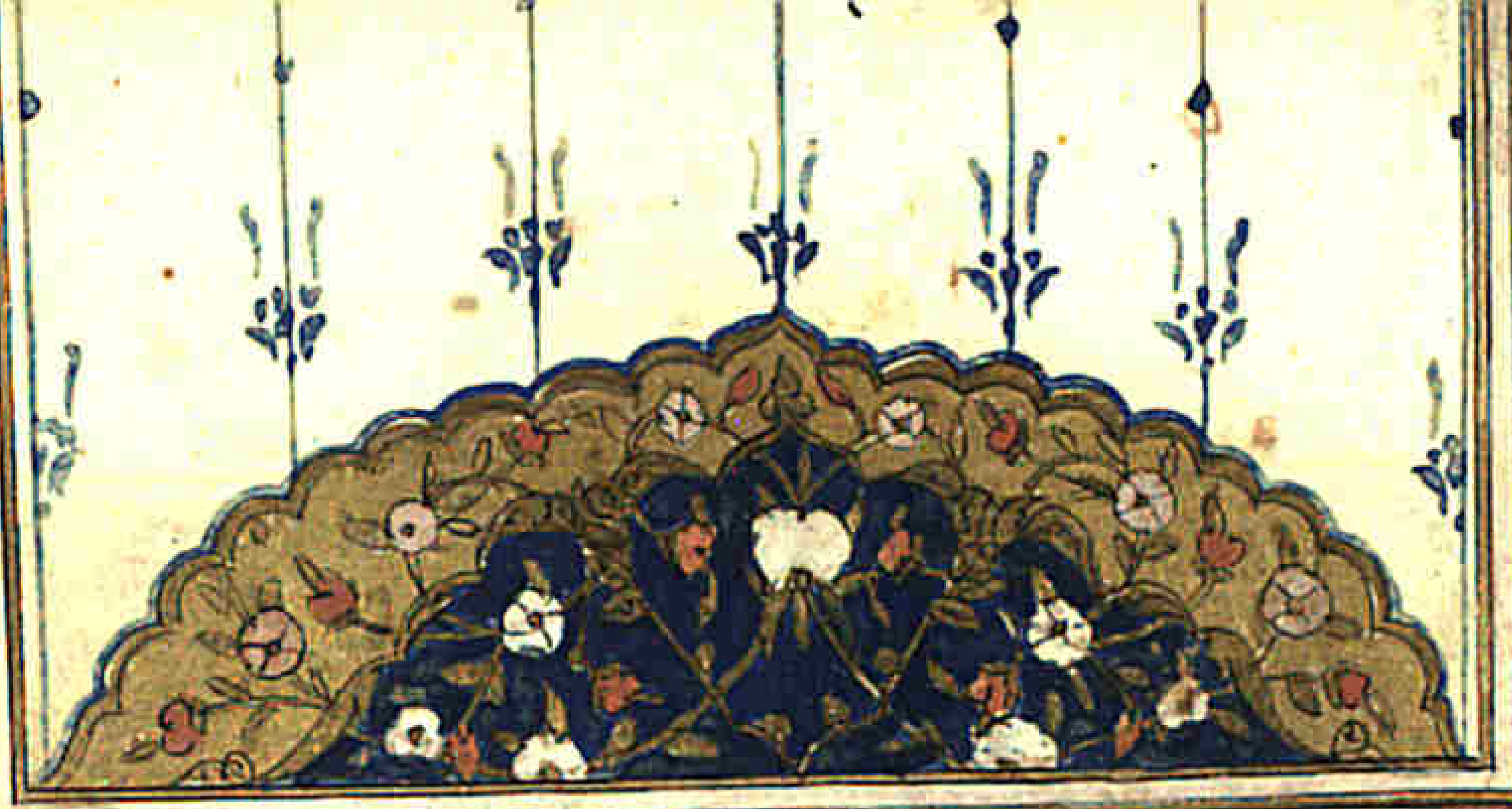






قد وقف هذه النسخة المعظمة حضرة سلطان الزمان
وخاقان الدوران قاهر القياصرة ومهرمان الخواقين
سلطان العرب والعجم والروم السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان ابن السلطان ...
...
نعمه الله ...







بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

فيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم فافتتحوا اربيلية فلما رجعوا اصابهم مطر عظيم وثلج وبرد فاصيب بسببه ناس كثيرة وفيها ولى عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار الى طنجة وقدم على مقدمته طارق فقتلوا ملوك تلك البلاد وبعضهم قطعوا انفه ونفوه وفيها عزل عبد الملك امية بن عبد الله عن امرة خراسان واضافها الى الحجاج مع سجستان ايضا وركب الحجاج بعد فراغه من شان شبيب من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شان الازارقة ايضا فاجلسه معه على السرير واستدعى باصحاب البلاء من جيشه فمن اثنى عليه المهلب اجزل الحجاج له العطية ثم ولى الحجاج المهلب امرة سجستان وولى عبيد الله بن ابي بكرة امرة خراسان ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده فقيل كان ذلك باشارة المهلب وقيل انه استعان بصاحب الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي حتى اشار على الحجاج بذلك فاجابه الى ذلك والزم المهلب بالف الف درهم لكونه اعترض على ذلك قال ابو معشر وحج بالناس فيها الوليد بن عبد الملك وكان امير المدينة ابان بن عثمان وامير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج ونائبه على خراسان المهلب بن ابي صفرة ونائبه على سجستان عبيد الله بن ابي بكرة الثقفي وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة موسى بن انس بن مالك الانصاري وقد توفي في هذه السنة من الاعيان جابر بن عبد الله بن حرام ابو عبد الله الانصاري السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله روايات كثيرة وشهد العقبة واراد ان يشهد بدرا فمنعه ابوه وخلفه على اخواته وكن تسعة وقيل انه ذهب بصره قبل موته توفي جابر بالمدينة وعمره اربع وتسعون سنة واسند الف وخمسماية واربعين حديثا

شريح بن الحارث بن قيس

ابو امية الكندي وهو قاضي الكوفة وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ثم عزله علي ثم ولاه معاوية ثم استقل في القضاء الى ان مات في هذه السنة وكان رزقه على القضاء في كل شهر مائة درهم وقيل خمسمائة درهم وكان اذا خرج الى القضاء يقول سيعلم الظالم حظ من نقص وقيل انه كان اذا جلس للقضاء قرا هذه الاية يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى الاية وكان يقول ان الظالم لينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر وقيل له كيف اصبحت فقال كيف يصبح حال من شطر الناس عليه غضبان وقيل انه مكث قاضيا نحو سبعين سنة وقيل

انه استعفى من القضاء قبل موته بسنة فالله اعلم واصله من اولاد الفرس الذين كانوا باليمن وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين زيادة وقد روى الطبراني ثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارم ابو النعمان ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب عن ابراهيم التيمي قال كان شريح يقول سيعلم الظالمون حق من نقصوا ان الظالم ينتظر العقاب وان المظلوم ينتظر النصر ورواه الامام احمد عن اسماعيل بن علية عن ابن عون عن ابراهيم به وقال الاعمش اشتكى شريح رجله فطلاها بالعسل وجلس في الشمس فدخل عليه عواده فقالوا كيف تجدك فقال صالحا فقالوا الا اريتها الطبيب قال قد فعلت قالوا فما ذا قال لك قال وعد خيرا وفي رواية انه خرج بابهامه قرحة فقالوا الا اريتها الطبيب قال هو الذي اخرجها وقال الاوزاعي حدثني عبدة بن ابي لبابة قال كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين فكان شريح لا يخبر ولا يستخبر ورواه ابن ثوبان عن عبدة عن الشعبي عن شريح قال لما كانت الفتنة لم اسال عنها فقال له رجل لو كنت مثلك ما باليت متى مت فقال شريح فكيف بما في قلبي وقد رواه شقيق بن سلمة عن شريح في الفتنة ما استخبرت ولا اخبرت ولا ظلمت مسلما ولا معاهدا دينارا ولا درهما فقال له ابو وائل لو كنت على حالك لاحببت ان اكون قد مت فاوما الى قلبه فقال كيف بهذا وفي رواية كيف بما في صدري تلتقي الفئتان احداهما احب الي من الاخرى وقال لقوم رآهم يلعبون ما لي اراكم تلعبون قالوا فرغنا قال ما بهذا امر الفارغ وقال سوار بن عبد الله العنبري ثنا العلاء بن جرير العنبري حدثني سالم ابو عبد الله انه قال شهدت شريحا وتقدم اليه رجل فقال اين انت قال بينك وبين الحائط فقال اني رجل من اهل الشام فقال بعيد سحيق فقال اني تزوجت امراة قال بالرفاء والبنين قال اني اشترطت لها دارها قال الشرط املك قال اقض بيننا قال قد فعلت وقال سفيان قيل لشريح باي شيء اصبت هذا العلم قال بمعاوضة العلماء اخذ منهم واعطيهم وروى عثمان بن ابي شيبة عن عبد الله بن محمد بن سالم عن ابراهيم بن يوسف عن ابيه عن ابي اسحاق عن هبيرة انه سمع عليا يقول يا ايها الناس ياتيني فقهاؤكم يسالوني واسالهم فلما كان من الغد غدونا اليه حتى امتلات الرحبة فجعل يسالهم ما كذا ما كذا ويسالونه ما كذا ما كذا فيخبرهم ويخبرونه حتى ارتفع النهار فتصدعوا غير شريح فانه جثا على ركبتيه لا يساله عن شيء الا اخبره به قال فسمعت عليا يقول قم يا شريح فانت اقضى العرب وان شريحا اتته امراتان جدة صبي وامه يختصمان فيه كل واحدة تقول انا احق به فقالت الجدة

ابا امية اتيناك واتت المرء اتيته • اتاك ابن واماه وكلتانا تفديه
فلو كنت تايمت لما نازعتك فيه • تزوجت فهاتيه ولا يذهب بك التيه
الا ايها القاضي فهذه قصتي فيه • فقالت الام
الا ايها القاضي قد قالت لك الجده • قولا فاستمع مني ولا تطردني رده
تعزي النفس عن ابني • وكبدي حملت كبده
فلما صار في حجري • يتيما مفردا وحده
تزوجت رجاء الخير • من يكفيني فقده

ومن يطهر الى الود ... ومن يحسن لي رفده ... فقال شريح

قد سمع القاضي فافهما ثم قضى ... وعلى القاضي جهد ان عقل

قال للجدة بيني بالصبي ... وخذي ابنك من ذات العلل

انها لو صبرت كان لها ... قبل دعواها تبغيها البدل

فقضى به للجدة وقال عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن عون عن ابراهيم عن شريح انه قضى
على رجل باعترافه فقال له يا ابا امية قضيت علي بغير بينة فقال شريح اخبرني ابن
اخت خالتك وقال علي بن الجعد انا المسعودي عن ابي حصين قال سئل شريح
عن شاة تاكل الذباب فقال علف مجان ولبن طيب وقال الامام احمد ثنا يحيى
بن سعيد عن ابي حيان التيمي ثنا ابي قال كان شريح اذا مات لاهله سنور امر بها
فالقيت في جوف داره ولم يكن لها مثعب شارع الا في جوف داره يفعل ذلك اتقاء
اذى المسلمين يعني انه كان يلقي السنور في جوف داره لئلا يؤذي بنتن ريحها المسلمين
وكانت ميازيب اسطحة داره في جوف الدار لئلا يؤذي بها المارة من المسلمين وقال
الرياشي قال رجل لشريح ان شانك لشوين فقال شريح له اراك تعرف نعمة الله على
غيرك وتجهلها في نفسك وقال الطبراني ثنا احمد بن يحيى ثعلب النحوي ثنا
عبد الله بن شبيب قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمعان قال
كتب شريح الى اخ له هرب من الطاعون اما بعد فانك والمكان الذي انت به والمكان
الذي خرجت بعين من لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب والمكان الذي خلفته لم
يعجل امرا حمامه ولم تظلمه ايامه وانك واياهم لعلى بساط واحد وان المنتجع من ذي
قدرة لقريب وقال ابو بكر بن ابي شيبة ثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن الشعبي
عن شريح ان عمر كتب اليه اذا جاءك الشيء في كتاب الله عز وجل فاقض به ولا يلفتنك عنه
رجال فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقض بها فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه
الناس فخذ به وفي رواية فانظر فيما قضى به الصالحون فان لم يكن فان شئت فتقدم
وان شئت فتاخر وما ارى التاخر الا خيرا والسلام وقال شريح كنت مع علي في سوق
الكوفة فانتهى الى قاص يقص فوقف عليه فقال ايها القاص تقص ونحن قريب
العهد اما اني اسالك فان تخرج مما سالتك والا ادبتك فقال القاص سل يا امير
المومنين عم شئت فقال علي ما ثبات الايمان وزواله قال القاص ثبات الايمان
الورع وزواله الطمع قال علي فذلك فاقعد فقيل ان هذا القاص هو نوف البكالي
وقال رجل لشريح لقد بلغ الله بك يا ابا امية فقال له شريح انك لتذكر النعمة
في غيرك وتنساها فيك قال اني والله لاحسدك على ما ارى بك قال ما نفعك
الله بهذا ولا ضرني وروى جرير عن الشيباني عن الشعبي قال اشترى عمر فرسا
من رجل على ان ينظر اليه فاخذ الفرس فسار به فعطب فقال لصاحب الفرس خذ
فرسك فقال لا قال فاجعل بيني وبينك حكما قال الرجل نعم شريح قال عمر ومن شريح
قال شريح العراقي قال فانطلقا اليه فقصا عليه القصة فقال يا امير المومنين
رد كما اخذته او خذ بما ابتعت فقال له عمر مثل القضا الا هذا سر الى الكوفة فقد

وليتك قضاها فانه لاول يوم عرفته يومئذ وقال هشام بن محمد الكلبي حدثني رجل من ولد
سعد بن ابي وقاص قال كان لشريح ابن يدع الكتاب ويهارش بين الكلاب فدعى بدواة وقرطاس
فكتب الى مؤدبه

ترك الصلاة لاكلب يسعى بها ... طلب الهراش مع الغواة الرجس

فاذا اتاك فعظه بملامة ... وعظه موعظة الاديب الاكيس

فاذا هممت بضربه فبدرة ... فاذا ضربت بها ثلاثا فاحبس

واعلم بانك ما اتيت فنفسه ... مع ما يجرعني اعز الانفس

وروى شريح عن عمر عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة ان الذين
فارقوا دينهم وكانوا شيعا انهم اصحاب البدع واصحاب الاهوا واصحاب الضلالة من هذه
الامة ان لكل صاحب ذنب توبة الا اصحاب الاهوا والبدع انا منهم بري وهم مني برا وهذا
حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى عن بقية عن شعبة او غيره عن مجالد عن الشعبي
وانما تفرد به بقية بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة ايضا وروى محمد بن كعب القرظي عن الحسن
عن شريح عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستغربلون حتى
تصيروا في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخربت اماناتهم فقال قائل فكيف بنا يا رسول
الله فقال تعملون بما تعرفون وتتركون ما تنكرون وتقولون احد احد انصرنا على من ظلمنا
واكفنا من بغانا وروى الحسن بن سفيان عن احمد بن سفيان عن يحيى بن ايوب عن عبد الجبار
بن وهب عن عبد الله السلمي عن شريح قال حدثني البدري البدري تون سمع عمر بن الخطاب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شاب يدع لذة الدنيا ولهوها ويستقبل بشبابه طاعة
الله تعالى الا اعطاه الله اجر اثنين وسبعين صديقا ثم قال يقول الله تعالى ايها
الشاب التارك شهوته من اجلي المبتذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وهذا حديث
غريب وقال ابو داود حدثنا صدقة بن موسى ثنا ابو عمران الجوني عن قيس بن زيد وقال
ابو داود وعن زيد بن قيس عن قاضي المصرين شريح عن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يدعو صاحب الدين يوم القيمة فيقول
يا ابن ادم فيم اضعت حقوق الناس فيم اذهبت اموالهم فيقول يا رب لم افسده ولكن
اصبت اما غرقا واما حرقا فيقول الله سبحانه انا احق من قضى عنك اليوم فترجح حسناته
على سيئاته فيومر به الى الجنة لفظ ابي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال
فيه فيدعو الله بشي فيضعه في ميزانه فيثقل ورواه الطبراني من طريق ابي نعيم عن صدقة
به ورواه الطبراني ايضا عن حفص بن عمر واحمد بن داود المكي قالا ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا
صدقة به والله سبحانه اعلم اخر الجزء عبد الرحمن بن غنم الاشعري نزيل فلسطين وقد روى عن
جماعة من الصحابة وقيل ان له صحبة وقد بعثه عمر بن الخطاب الى الشام ليفقه اهلها في الدين
وكان من العباد الصالحين

جنادة بن امية الازدي

شهد فتح مصر وكان اميرا على غزو البحر لمعاوية وكان موصوفا بالشجاعة والخير توفي بالشام
وقد قارب الثمانين العلاء بن زياد البصري كان من الصالحين العباد من اهل البصرة وكان
كثير الخوف والورع وكان يعتزل في بيته ولا يخالط الناس وكان كثير البكا لم يزل يبكي حتى

عمر وله مناقب كثيرة توفي بالبصرة في هذه السنة قلت انما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رأى انه رجل من اهل الشام انه من اهل الجنة فقال له العلاء اما انت يا اخي فجزاك الله عن رؤياك خيرا واما انا فقد تركتني رؤياك لا اهدى بليل ولا نهار فكان بعد ما يطوي الايام لا ياكل فيها شيئا ويبكي حتى يكاد يفارق الدنيا ويصلي لا يفتر حتى جاء اخوه الى الحسن البصري فقال ادرك اخي فانه قاتل نفسه يصوم لا يفطر ويقوم لا ينام ويبكي الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له انه من اهل الجنة فجاءه الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح فقال له افتح فاني انا الحسن فلما سمع صوت الحسن فتح له فقال له الحسن يا اخي الجنة وما الجنة للمؤمن ان للمؤمن عند الله ما هو افضل من الجنة افتقتل انت نفسك فلا زال به حتى اكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلا وروى ابن ابي الدنيا عنه انه اتاه آت في منامه فاخذ بناصيته وقال يا علاء قم فاذكر الله يذكرك فما زالت تلك الشعرات التي اخذها قائمة حتى مات وقد قيل انه كان يرفع له الى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر اعمال الخلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض اصحابه في المنام وقال العلاء انحن قوم وضعنا انفسنا في النار فان شاء الله ان يخرجنا منها اخرجنا وقال كان رجل يراءى بعمله فجعل يشمر ثيابه ويرفع صوته اذا قرأ فجعل لا ياتي على احد الا سبه ثم رزقه الله الاخلاص واليقين فخفض من صوته وجعل صلاته بينه وبين الله فجعل لا ياتي بعد ذلك على احد الا دعا له بخير

سراقة بن مرداس الازدي ه

كان شاعرا مطيقا هجا الحجاج فنفاه الى الشام فتوفي بها النابغة الجعدي الشاعر المجيد وفد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

علونا السماء مجدنا وجدودنا ... وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الى اين قال الى الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شاء الله وهي قصيدة انشدها ابن ابي الدنيا في كتاب الحلم اسلم النابغة قديما وقدم على الخلفاء ومدحهم السائب بن يزيد الكندي توفي في هذه السنة سفيان بن سلمة الاسدي معاوية بن قرة البصري قال ادركت سبعين رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئا مما انتم عليه الا الاذان وقال كنا عند الحسن فتذاكرنا اي العمل افضل فكلهم اتفقوا على قيام الليل فقلت انا ترك المحارم فانتبه لها الحسن وقال تم الامر تم الامر وقال ان الله عز وجل يرزق العبد رزق شهر في يوم فان اصلحه اصلح الله على يديه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بخير وان هو افسده افسد الله على يديه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بشر وقال ان القوم ليحجون ويصلون ويصومون ويجاهدون ولا يعطون من الاجر الا على قدر عقولهم

زر بن حبيش ه

قال عاصم ادركت اقواما كانوا يتخذون هذا الليل جملا منهم زر بن حبيش كتب زر الى عبد الملك بن مروان لا يطمعنك في طول الحياة ما يظهر لك من صحة بدنك واذكر ما تكلم به الاولون

اذا الرجال ولدت اولادها ... وبليت من كبر اجسادها

وجعلت اسقامها تعتادها ... تلك زروع قد دنا حصادها

فلما قرأ كتابه بكى حتى بل طرف ثوبه وقال صدق زر ولو كتب الينا بغير هذا كان ارفق عاش زر مائة سنة وعشرين سنة رحمهم الله ه

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كانوا يفنون من شدته ولم يغز فيها احد من اهل الشام لضعفهم وقلتهم ووصلت الروم فيها الى انطاكية فاصابوا خلقا من اهلها لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة وفيها غزا عبيد الله بن ابي بكرة رتبيل ملك الترك حتى اوغل في بلاده ثم صالحه على مال يحمله اليه في كل سنة وفيها قتل عبد الملك بن مروان الحارث بن سعيد المتنبي الكذاب ويقال له الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقي مولى ابي الجلاس العبدري ويقال مولى الحكم بن مروان وكان اصله من الحولة فنزل دمشق وتعبد بها وتنسك وتزهد ثم مكر به ورجع القهقرى على عقبيه وانسلخ من آيات الله تعالى وفارق حزب الله المفلحين واتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتى اخسره دينه ودنياه واخزاه واشقاه فانا لله وحسبنا الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر بن ابي خيثمة ثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي ثنا محمد بن مبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال كان الحرث الكذاب من اهل دمشق وكان مولى لابي الجلاس وكان له اب بالحولة فعرض له ابليس وكان رجلا متعبدا لو لبس جبة من ذهب لرئيت عليه الزهادة والعبادة وكان اذا اخذ في التحميد لم يسمع السامعون بمثل تحميده ولا احسن من كلامه فكتب الى ابيه وكان بالحولة يا ابتاه اعجل علي فاني قد رأيت اشياء اتخوف ان يكون الشيطان قد عرض لي قال فزاده ابوه غيا على غيه فكتب اليه ابوه يا بني اقبل على ما امرت به فان الله تعالى يقول هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ولست بافاك ولا اثيم فامض لما امرت به فكان يجيء الى اهل المسجد رجلا رجلا فيذاكرهم امره ويأخذ عليهم العهد والميثاق ان هو يرى ما يرضى والا كتم عليه قال وكان يريهم الاعاجيب كان يأتي الى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح تسبيحا بليغا حتى يضج من ذلك الحاضرون قلت وقد سمعت شيخنا العلامة ابا العباس بن تيمية رحمه الله يقول كان ينقر هذه الرخامة الحمراء التي في المقصورة فتسبح وكان زنديقا قال ابن كثير وهذا بعيد لان هذه الرخامة المذكورة مع زخرفة الجامع انما فعل ذلك الوليد بن عبد الملك في ايام خلافته وذلك بعد موت الحرث وقتله عبد الملك بمدة معروفة وقد كان نصف الجامع الغربي بايدي النصارى كنيسة حتى اخذه الوليد منهم واضافه الى الجامع كما ذكره المؤلف فيما بعد ومما ثبت الرخامتان الحمراوان اللتان كانتا بالمقصورة قبل حريق الجامع في فتنة تمرلنك انما اتى بهما الوليد كما قيل من قصر بلقيس باليمن يقال انه وجد ان كان يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره كما قيل ولما كان نصف الجامع مع المسلمين والنصف الآخر بايدي النصارى كان نصف المقصورة داخلا فيما بايدي النصارى ولم تكن المقصورة ثم وان كان قد روي ان معاوية كان قد اتخذ مقصورة في الجامع يصلي فيها فلم تكن في هذا المكان الان وانما كانت في مكان آخر من الجامع والله اعلم اللهم الا ان يقال ان الجامع انما كان بين المسلمين والنصارى قبليا وشماليا فكان للنصارى الجهة الشمالية وللمسلمين الجهة القبلية فكانت المقصورة مكانها الان على ما هي عليه وقد كان الخلفاء يخرجون من دار الامارة الخضراء

ثم دخلت

الى الجامع في دهليز له باب في المقصورة كان موجودا قبل فتنة تمر لنك ثم احرق في ال
والظاهر ان الجامع لما كان بحصته بايدي النصارى كان لهم الجهة الشمالية وكان لهم
صومعة بالجهة الشرقية مكان الحلبية اليوم واما الزخرفة والرخام الملون انما فعله
الوليد اللهم الا ان يقال ان الرخامة المذكورة كانت موجودة مع غيرها في الزخرفة
القديمة قبل بناء الوليد له ويقال ان هاتين الرخامتين انما حملتا اليه من قصر
بلقيس بنجران وقيل انهما من كنيسة الروما وقيل من بلاد الفرنج والله اعلم وقد
راينا العوام يجيئون برخامة في قاعدة من قواعد النسر في مؤخره مما يلي المكان الذي
يطلع منه الماء وفي تلك الرخامة خرقان يجعلون اصابعهم فيهما كانهم يستانسون
فيهما شيا ولا احذوه كابرا عن كابر وهي الى الان موجودة يترددون اليها والله سبحانه
اعلم انتهى ما قاله كاتبه قال المولف رح قال ابن ابي خيثمة في رواية وكان الحرث يطعمهم
فاكهة الشتا في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا وكان يقول لهم اخرجوا حتى اريكم
الملايكة فيخرج بهم الى دير المراق فيريهم رجالا على خيل فتبعه على ذلك بشر كثير وفشا
امره في المسجد وكثر اصحابه واتباعه حتى وصل الامر الى القاسم بن مخيمرة قال
فعرض على القاسم امره واخذ عليه العهد ان هو رضي امرا قبله وان كرهه كتم عليه قال
فقال له اني نبي فقال له القاسم كذبت يا عدو الله ما انت نبي وفي رواية ولكنك
احد الكذابين الدجالين الذين اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الساعة
لا تقوم حتى يخرج ثلثون دجالون كذابون كلهم يزعم انه نبي وانت احدهم ولا عهد لك
ثم قام فخرج الى ابي ادريس وكان على القضا بدمشق فاعلمه بما سمع من الحرث فقال
له ابو ادريس نعرفه ثم اعلم ابو ادريس عبد الملك بذلك وفي رواية اخرى ان مكحولا
وعبد الله بن ابي زايدة دخلا على الحرث فدعاهما الى نبوته فكذباه وردا عليه ما قال
ودخلا على عبد الملك واختفى الحارث وصار الى دار ببيت المقدس يدعو الى نفسه
سرا واهتم عبد الملك بشانه حتى ركب الى النصيرة فنزلها فورد عليه هناك رجل من
المسلمين من اهل النصيرة ممن كان يدخل على الحرث وهو ببيت المقدس فاعلمه بامره
واين هو وسال من عبد الملك ان يبعث معه بطايفة من الجند الاتراك ليحتاط عليه
فارسل معه طايفة وكتب الى نايب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يامره
به فلما وصل الرجل الى بيت المقدس بمن معه انتدب نايب القدس لخدمته فامره ان
يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعل مع كل رجل شمعة فاذا امرهم باشعالها في الليل
اشعلوها كلهم في سائر الطرق والازقة حتى لا يخفى امره وذهب الرجل بنفسه فدخل
الدار التي فيها الحرث فقال للبواب استاذن على نبي الله فقال في هذه الساعة
لا يوذن عليه حتى يصبح فصاح النصري اسرجوا فاشعل الناس شموعهم حتى صار الليل
كانه النهار وهجم النصري على الحرث فاختفى منه في سرب هناك فقال اصحابه
هيهات تريدون ان تقتلوا نبي الله انه قد رفع الى السما قال فادخل النصري
يده في ذلك السرب فاذا بثوبه فاجتره فاخرجه ثم قال للفرغانيين من اتراك
الخليفة تسلموا قال فاخذوه فقيدوه فيقال ان القيود والجامعة سقطت
من عنقه مرارا ويعيدونها وجعل يقول قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت

فيما يوحى

فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب وقال لاولئك الاتراك اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله فقالوا له بلسانهم ولغتهم هذا كراننا فهات كرانك اي هذا قراننا فهات
قرانك فلما انتهوا به الى عبد الملك امر بصلبه على خشبة وامر رجلا فطعنه بحربة
فانثنت في ضلع من اضلاعه فقال له عبد الملك ويحك اذكرت اسم الله حين طعنته
قال نسيت فقال ويحك سم الله ثم اطعنه فقال فذكر اسم الله ثم طعنه ۞
فانفذه وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وامر رجالا من اهل العلم والفقه
ان يعظوه ويعلموه ان هذا الذي به من الشيطان فابى ان يقبل منهم فصلبه
بعد ذلك وهذا من تمام العدل والدين وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر
حدثني من سمع عتبة الاعور يقول سمعت العلا بن زياد العدوي يقول ما غبطت
عبد الملك بشي من ولايته الا بقتله حارثا حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلثون دجالون كذابون كلهم يزعم انه نبي فمن قاله
فاقتلوه ومن قتل منهم احدا فله الجنة وقال الوليد بن مسلم بلغني ان خالد بن
يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتك ما امرتك بقتله قال ولم قال
انه انما كان به المذهب فلو جوعته لذهب ذلك عنه وقال الوليد عن المنذر بن نافع
سمعت خالد بن اللجلاج يقول لغيلان ويحك يا غيلان الم تاخذ في شبيبتك ترامي
النسا في شهر رمضان بالتفاح ثم صرت حارثيا تحجب امراته وتزعم انها ام المومنين
ثم تحولت فصرت قدريا زنديقا وفيها غزا عبيد الله بن ابي بكرة رتبيل ملك الترك
الاعظم منهم وقد كان يصانع المسلمين تارة ويتمرد اخرى فكتب الحجاج الى ابن ابي بكرة
ان ناجزه بمن معك من المسلمين حتى تستبيح ارضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته
فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من اهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رتبيل
ملك الترك فكسره وهدم اركانه بسطوته بتاره وجاس ابن ابي بكرة وجنده خلال
ديارهم واستحوذ على كثير من اقاليمه ومدنه وامصاره وتبر ما هنالك تتبيرا
ثم ان رتبيل تقهقر منه متنمرا وما زال حتى تتبعه حتى اقترب من مدينته العظمى
حتى كانوا منها على ثمانية عشر فرسخا وخافت الاتراك منهم خوفا شديدا ثم ان الترك
اخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كل من المسلمين انه
لا محالة هالك فعند ذلك طلب عبيد الله ان يصالح رتبيل على ان ياخذ منه
سبع ماية الف ويفتحوا للمسلمين طريقا يخرجون منه ويرجعون عنهم الى بلادهم ۞
فانتدب شريح بن هاني وكان صحابيا وكان من اكابر اصحاب علي وهو المقدم على اهل
الكوفة فندب الناس الى القتال والمصابرة والنزال والجلاد بالسيوف والرماح
والنبال فنهاه عبيد الله بن ابي بكرة فلم ينته واجابه شرذمة من الناس من
الشجعان واهل الحفايظ فما زالوا يقاتلون الترك حتى فني اكثر المسلمين رضي الله عنهم
قال وجعل شريح بن هاني يرتجز ويقول

اصبحت ذا بث اقاسي الكبرا	قد عشت بين المشركين اعصرا
ثم ادركت النبي المنذرا	وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا	والجمع في صفينهم والنهرا

هيهات ما اطول هذا عمرا • ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه وقتل معه خلق من اصحابه ثم خرج من خرج من الناس صحبة عبيد الله بن ابى بكرة من ارض رتبيل وهم قليل وبلغ ذلك الحجاج فاخذه ما تقدم وما تاخر وكتب الى عبد الملك يعلمه بذلك ويستشيره فى بعث جيش كثيف الى بلاد رتبيل لينتقموا منه بسبب ما حل بالمسلمين فى بلاده فحين وصل البريد الى عبد الملك كتب الى الحجاج بالموافقة على ذلك وان يعجل ذلك سريعا فحين وصل البريد الى الحجاج بذلك اخذ فى جمع الجيوش فجهز جيشا كثيفا لذلك على ما سيأتى تفصيله فى السنة الآتية بعدها وقيل انه قتل من المسلمين مع شريح بن هانى ثلاثون الفا وابيع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شديدا ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير ايضا فانا لله وانا اليه راجعون وقد قتل المسلمون من الترك خلقا كثيرا ايضا قتلوا اضعافهم ويقال ان فى هذه السنة استعفى شريح من القضا فاعفاه الحجاج من ذلك وولى مكانه ابا بردة بن ابى موسى الاشعرى وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته فى السنة الماضية والله اعلم قال الواقدى وابو معشر وغير واحد من اهل السير وحج بالناس فى هذه السنة ابان بن عثمان امير المدينة النبوية وفيها قتل قطرى بن الفجاءة التميمى ابو نعامة الخارجى وكان من الشجعان المشاهير ويقال انه مكث عشرين سنة يسلم عليه اصحابه بالخلافة وقد جرت له خطوب وحروب مع جيش ابن المهلب بن ابى صفرة من جهة الحجاج وغيره قد قدمنا منها طرفا صالحا فى اماكنه وكان خروجه فى زمن مصعب بن الزبير وتغلب على قلاع كثيرة واقاليم وغيرها ووقائعه مشهورة وقد ارسل اليه الحجاج جيوشا كثيرة فهزمها وقيل انه برز اليه رجل من بعض الحرورية وهو على فرس اعجف وبيده عمود حديد فلما قرب منه كشف قطرى عن وجهه فولى الرجل هاربا فقال له قطرى الى اين اما تستحى تفر ولم تر طعنا ولا ضربا فقال ان الانسان لا يستحيى ان يفر من مثلك ثم فى اخر امره توجه اليه سفيان بن الابرد الكلبى فى جيش فاقتتلوا بطبرستان فعثر بقطرى فرسه فوقع الى الارض فتكاثروا عليه فقتلوه وحملوا راسه الى الحجاج وقيل ان الذى قتله سودة بن الحر الدارمى وكان قطرى بن الفجاءة مع شجاعته المفرطة واقدامه من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن فمن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه وغيره ومن سمعها انتفع بها

• اقول لها وقد طارت شعاعا • من الابطال ويحك لا تراعى •
• فانك لو طلبت بقاء يوم • على الاجل الذى لك لم تطاعى •
• فصبرا فى مجال الموت صبرا • فما نيل الحياة بمستطاع •
• ولا ثوب الحياة بثوب عز • فيطوى عن اخى الخنع اليراع •
• سبيل الموت غاية كل حى • وداعيه لاهل الارض داع •
• فمن لا يغتبط يسأم ويهرم • وتسلمه المنون الى انقطاع •
• وما للمرء خير فى حياة • اذا ما عد فى سقط المتاع •

ذكرها صاحب الحماسة واستحسنها ابن خلكان كثيرا وفيها توفى عبيد الله بن ابى بكرة رح

وهو امير

وهو امير الجيش الذين دخلوا بلاد الترك وقاتلوا رتبيل ملك الترك وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هانى كما تقدم ذلك وقد دخل عبيد الله بن ابى بكرة على الحجاج مرة وفى يده خاتم فقال له الحجاج كم ختمت بخاتمك هذا قال على اربعين الف الف دينار قال ففيم انفقتها قال فى اصطناع المعروف ورد الملهوف والمكافاة بالصنائع وتزويج العقائل وقيل ان عبيد الله عطش يوما فاخرجت له امرأة كوزا باردا فاعطاها ثلاثين الفا وقيل انه اهدى اليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين اصحابه فقال لبعض اصحابه خذهما لك ثم فكر وقال والله ان ايثار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة ثم قال يا غلام ادفع الى كل واحد من جلسائى وصيفا ووصيفة فاحصى ذلك فكانوا ثمانين وصيفا ووصيفة توفى عبيد الله بن ابى بكرة ببست وقيل بزرنج والله اعلم

سنة ثمانين من الهجرة النبوية

فيها كان السيل الجحاف بمكة لانه جحف على كل شى تمر به وحمل الحجاج من بطن مكة الجمال بما عليها والرجال والنساء لا يستطيع احد ان ينقذهم منه وبلغ الماء الى الحجون وغرق خلقا كثيرا وقيل انه ارتفع حتى كاد ان يغطى البيت والله اعلم وحكى ابن جرير عن الواقدى انه قال كان بالبصرة فى هذه السنة الطاعون الجارف فالله اعلم والمشهور انه كان فى سنة تسع وستين كما تقدم وفيها قطع المهلب بن ابى صفرة نهر بلخ واقام بكش سنتين صابرا مصابرا للاعداء من الاتراك وجرت له معهم فصول يطول ذكرها وقدم عليه فى هذه المدة كتاب ابن الاشعث بخلعه الحجاج فبعث به المهلب برمته الى الحجاج حتى قراه ثم كان ما سيأتى بيانه وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الاشعث وفى هذه السنة جهز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة وغيرهما لقتال رتبيل ملك الترك ليقتصوا منه ما كان قتل من جيش عبيد الله بن ابى بكرة فى السنة الماضية فجهز اربعين الفا من كل من المصرين عشرين الفا وامر على الجميع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث مع انه كان الحجاج يبغضه جدا حتى قال ما رايته قط الا هممت بقتله ودخل ابن الاشعث يوما على الحجاج وعنده عامر الشعبى فقال انظر الى مشيته والله لقد هممت ان اضرب عنقه فاسرها الشعبى الى ابن الاشعث فقال ابن الاشعث وانا والله لاجهدن ان ازيله عن سلطانه ان طال بى وبه البقاء والمقصود ان الحجاج اخذ فى استعراض هذه الجنود وبذل فيهم العطاء ثم اختلف رايه فيمن يؤمر عليهم ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقدمه عليهم فاتى عمه اسماعيل بن الاشعث فقال للحجاج انى اخاف ان تؤمره فلا يرى لك طاعة اذا جاوز جسر الصراة فقال ليس هو هناك هو لى اهيب ومنى ارهب من ان يخالف امرى او يخرج عن طاعتى فامضاه عليهم فسار ابن الاشعث بالجيوش نحو ارض رتبيل فلما بلغ رتبيل مجى ابن الاشعث بالجنود اليه كتب اليه رتبيل يعتذر مما اصاب المسلمين فى بلاده فى السنة الماضية وانه كان لذلك كارها وان المسلمين هم الذين الجؤه الى قتالهم وسال من ابن الاشعث ان يصالحه ويبذل للمسلمين الخراج فلم يجبه ابن الاشعث الى ذلك وصمم على دخول بلاده وجمع رتبيل جنوده وتهيا

له قطر به وجعل ابن الاشعث كلما دخل بلدا او مدينة او اخذ قلعة من بلاد رتبيل استعمل عليها نائبا من جهته يحفظها له وجعل المسالح على كل ارض ومكان مخوف فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد رتبيل وغنم اموالا كثيرة جزيلة وسبى خلقا كثيرا ثم حبس الناس عن التوغل في بلاد رتبيل حتى يصلحوا ما بايديهم من البلاد ويتقووا بما فيها من الغلات والحواصل ثم يتقدمون في العام المقبل الى اعدائهم فلا يزالون يحوزون الاراضي والاقاليم حتى يحاصروا رتبيل وجنوده في مدينتهم العظمى على الكنوز والاموال والذراري حتى يغنموها ثم يقتلون مقاتلتهم وعزموا على ذلك وكان هذا هو الراي وكتب ابن الاشعث الى الحجاج يخبره بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم وبهذا الراي الذي راه لهم وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه هميان بن عدي السدوسي الى كرمان مسلحة لاهلها وليمد عامل سجستان والسند ان احتاجا الى ذلك فعصى هميان ومن معه على الحجاج فوجه الحجاج اليه ابن الاشعث فهزمه واقام ابن الاشعث بموضعه ومات عبيد الله بن ابي بكرة فكتب الحجاج الى ابن الاشعث بولايته سجستان مكان ابن ابي بكرة وجهز الى ابن الاشعث جيشا انفق عليهم الفي الف سوى اعطياتهم وكان يدعى هذا الجيش جيش الطواويس وامره بالاقدام على رتبيل فكان من امره ما تقدم قال الواقدي وابو معشر حج بالناس في هذه السنة ابان بن عثمان وقال غيرهما بل حج بها سليمان بن عبد الملك وكان على الصايفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك وعلى المدينة ابان بن عثمان وعلى المشرق بكماله الحجاج وعلى قضاء الكوفة ابو بردة بن ابي موسى وعلى قضاء البصرة موسى بن انس بن مالك وممن توفي في هذه السنة من الاعيان اسلم مولى عمر بن الخطاب وهو ابو زيد بن اسلم اصله من سبي عين التمر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة احدى عشرة وتوفي وعمره مائة واربع عشرة سنة وروى عن عمر عدة احاديث وروى عن غيره من الصحابة ايضا وله مناقب كثيرة رحمه الله جبير ابن نفير بن مالك الحضرمي له صحبة ورواية وكان من علماء اهل الشام مشهورا بالعبادة والعلم توفي بالشام وعمره مائة وعشرون سنة وقيل اكثر وقيل اقل عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ولد بارض الحبشة وامه اسماء بنت عميس وهو اخر من راى النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وفاة سكن المدينة ولما استشهد ابوه جعفر بموتة اتى النبي صلى الله عليه وسلم الى امهم فقال ايتوني ببني اخي فجي بهم كانهم افرخ فدعى بالحلاق فحلق رووسهم ثم قال اللهم اخلف جعفرا في اهله وبارك لعبد الله في صفقته فجاءت امهم فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم انه ليس لهم شي فقال انا لهم عوضا من ابيهم وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين وهذا لم يتفق لغيرهما وكان عبد الله بن جعفر من اسخى الناس يعطي الجزيل الكثير ويستقله وقد تصدق مرة بالفي الف واعطى مرة رجلا ستين الفا ومرة اعطى رجلا اربعة الاف دينار وقيل ان رجلا جلب مرة سكرا الى المدينة فكسد عليه فلم يشتره احد فامر ابن جعفر قيمه ان يشتريه وان يهبه للناس وقيل ان معاوية لما حج نزل بالمدينة في دار مروان فقال يوما لحاجبه انظر هل ترى بالباب الحسن او الحسين او ابن جعفر او فلان وعد جماعة فخرج فلم ير احدا فقيل له هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون فاتى معاوية فاخبره فقال ما انا الا كاحدهم ثم اخذ عصى فتوكا عليها ثم اتى باب ابن جعفر فاستاذن عليه ودخل فاجلسه في صدر

فراشه فقال له معاوية اين غداوك يا ابن جعفر فقال وما تشتهي من شي فادع به فقال له معاوية اطعمني مخا فقال يا غلام هات مخا فاتي بصحفة فاكل معاوية ثم قال ابن جعفر لغلامه هات مخا فجاء بصحفة اخرى ملانة مخا الى ان فعل ذلك ثلث مرات فتعجب معاوية وقال يا ابن جعفر ما يسعك الا الكثير من العطا فلما خرج معاوية امر له بخمسين الف دينار وكان ابن جعفر صديقا لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه الف الف درهم ويقضي له مائة حاجة ولما حضرت معاوية الوفاة اوصى ابنه يزيد به فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له كم كان امير المومنين يعطيك كل سنة قال الف الف فقال له قد اضعفناها لك فكان يعطيه الفي الف كل سنة فقال له عبد الله ابن جعفر بابي انت وامي ما قلتها لاحد قبلك ولا اقولها لاحد بعدك فقال له يزيد ولا اعطاكها احد قبلي ولا يعطيكها احد بعدي وقيل انه كان عند ابن جعفر جارية مغنية تسمى عمارة وكان يحبها محبة عظيمة فحضر عنده يزيد بن معاوية يوما فغنت الجارية فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر ان يطلبها منه خوفا ان يمنعه اياها فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات ابوه معاوية فبعث يزيد رجلا من اهل العراق ودفع اليه تجارة وامره ان يتلطف في امر هذه الجارية فقدم الرجل المدينة ونزل بجوار ابن جعفر واهدى اليه هدايا وتحفا كثيرة وانس به ولا زال حتى اخذ الجارية واتى بها يزيد وكان الحسن البصري يذم عبد الله بن جعفر على سماعه الغنا واللهو وشرايه المولدات ويقول اما يكفيه هذا الامر القبيح الذي هو متلبس به من هذه الاشيا وغيرها حتى زوج الحجاج ببنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحجاج يقول انما تزوجتها لاذل بها ال ابي طالب وقيل انه لم يصل اليها وقد كتب عبد الملك اليه ان يطلقها فطلقها اسند عبد الله بن جعفر ثلثة عشر حديثا ابو ادريس الخولاني اسمه عائذ الله بن عبد الله له احوال ومناقب كان يقول قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس في ثياب نقية وقد تولى القضا بدمشق وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل معبد الجهني القدري يقال انه معبد بن عبد الله بن عليم راوي حديث لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب وقيل غير ذلك في نسبه سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم وشهد يوم التحكيم وسال ابا موسى في ذلك ووصاه ثم اجتمع بعمرو ابن العاص فوصاه في ذلك فقال له ايها يا تيس جهينة ما انت من اهل السر والعلانية وانه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل وهذا توسم فيه من عمرو بن العاص ولهذا كان هو اول من تكلم في القدر ويقال انه اخذ ذلك عن رجل من النصارى من اهل العراق يقال له سوسن واخذ غيلان القدر من معبد وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ووثقه ابن معين وغيره في حديثه وقال الحسن البصري اياكم ومعبدا فانه ضال مضل وكان ممن خرج مع ابن الاشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بانواع العذاب ثم قتله وقال سعيد بن عفير بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله وقال خليفة بن خياط مات قبل التسعين والله اعلم وقيل ان الاقرب قتل عبد الملك له

ثم دخلت سنة احدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا وغنم المسلمون منها غنايم

كثيرة ومنها قتل بكير بن وشاح قتله بحير بن ورقا الصريمي وكان بكير من الامرا الشجعان ثم
ثار لبكير بن وشاح رجل من قومه يقال له صعصعة بن حرب العوفي الصريمي فقتل بحير
بن ورقا الذي قتل بكيرا طعنه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن ابي صفرة فحمل الى منزله
وهو باخر رمق فبعث المهلب بصعصعة اليه فلما تمكن منه بحير بن ورقا قال ضعوا
راسه عند رجلي فوضعوه فطعنه بحير بحربته حتى قتله ومات على اثره وقد قال له انس
بن طارق اعف عنه فقد قتلت بكير بن وشاح فقال لا والله لا اموت وهذا حي ثم قتله
وقد قيل انه انما قتل بعد موته والله اعلم

فتنة ابن الاشعث

قال ابو مخنف كان ابتداوها في هذه السنة وقال الواقدي في سنة ثنتين وثمانين
وقد ساقها ابن جرير في هذه السنة فوافقناه في ذلك وكان سبب هذه الفتنة
ان ابن الاشعث كان الحجاج يبغضه وكان هو يفهم ذلك ويضمر له السو وزوال
الملك عنه فلما امره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره وامره بدخول بلاد رتبيل ملك
الترك فمضى وصنع ما قدمناه من اخذه لبعض بلاد الترك ثم راى لاصحابه ان يقيموا حتى
يتقووا الى العام المقبل فكتب الى الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج يستهجن رايه في ذلك
ويستضعف عقله ويقرعه بالجبن والنكول عن الحرب ويامره حتما بدخول بلاد رتبيل
ثم اردف ذلك بكتاب ثان ثم ثالث مع البريد وكتب اليه في جملة ذلك يقول يا ابن
الحايك الغادر المرتد امض لما امرتك به من الايغال في ارض العدو والا حل بك ما لا يطاق
وكان الحجاج يبغض ابن الاشعث ويقول هو اهوج احمق حسود وابوه الذي سلب امير
المومنين عثمان ثيابه وقاتل لعبيد الله بن زياد وعلى مسلم بن عقيل حتى قتله وجده
الاشعث ارتد عن الاسلام وما رايته قط الا هممت بقتله ولما كتب الحجاج بذلك الى ابن الاشعث
وترادفت اليه البرد بذلك غضب ابن الاشعث وقال يكتب الي بمثل هذا وهو لا يصلح
ان يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي لخوره وضعف قوته اما يذكر اباه من ثقيف
هذا الجبان صاحب غزالة يعني ان غزالة هي زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه
فانهزموا منها وهي امراة لما دخلت الكوفة ثم ان ابن الاشعث جمع روس اهل العراق ان
الحجاج قد الح عليكم في الايغال في بلاد العدو وهي البلاد التي هلك فيها اخوانكم بالامس وقد
اقبل عليكم فصل الشتا والبرد فانظروا في امركم اما انا فاني لست بمطيعه ولا انقض
رايا رايته بالامس ثم قام فيهم خطيبا فاعلمهم بما كان راى من الراي له ولهم في ذلك من
اصلاح البلاد التي فتحوها وان يقيموا بها حتى يتقووا بغلاتها واموالها ويخرج عنهم فصل
البرد ثم يسيرون في بلاد العدو فيفتحونها بلدا بلدا الى ان يحصروا رتبيل ملك الترك
في مدينته العظمى ثم اعلمهم بما كتب اليه الحجاج من الامر بمعاجلة رتبيل فثار اليه الناس
وقالوا لا بل نابى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع قال ابو مخنف فحدثني مطرف بن عامر
بن واثلة الكناني ان اباه كان اول من تكلم في ذلك وكان شاعرا خطيبا وكان مما قال
ان مثل الحجاج في هذا الراي ومثلنا كما قال الاول احمل عبدك على الفرس فان هلك
هلك وان نجا فلك انكم ان ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطانه وان هلكتم كنتم الاعدا
البغضا ثم قال اخلعوا عدو الله الحجاج ولم يذكر خلع عبد الملك وبايعوا الاميركم عبد الرحمن

ابن الاشعث

ابن الاشعث فاني اشهدكم اني اول خالع للحجاج فقال الناس من كل جانب خلعنا عدو الله
ووثبوا الى عبد الرحمن بن الاشعث فبايعوه عوضا عن الحجاج ولم يذكروا خلع عبد الملك
بن مروان وبعث ابن الاشعث الى رتبيل فصالحه على انه ان ظفر بالحجاج فلا خراج على رتبيل
ابدا ثم سار ابن الاشعث بالجنود الذين معه مقبلا من سجستان الى الحجاج ليقاتله
وياخذ منه العراق ثم لما توسطوا الطريق قالوا ان خلعنا للحجاج خلع لابن مروان فخلعوهما
جميعا وجددوا البيعة لابن الاشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلع ايمة
الضلالة وجهاد المحلين فاذا قالوا نعم بايعهم فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه
وخلع ابن مروان كتب الى عبد الملك يعلمه بذلك ويستعجل في بعث الجنود اليه وجاء
الحجاج حتى نزل البصرة وبلغ المهلب خبر ابن الاشعث وكتب اليه يدعوه الى ذلك فابى
عليه وبعث بكتابه الى الحجاج وكتب المهلب الى ابن الاشعث يقول له انك يا ابن الاشعث
انك وضعت رجلك في ركاب طويل ابق على امة محمد صلى الله عليه وسلم الله الله انظر
لنفسك فلا تهلكها ودما المسلمين فلا تسفكها والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا
تنكثها فان قلت اخاف الناس على نفسي فالله احق ان تخافه من الناس فلا تعرضها لله
في سفك دم او استحلال محرم والسلام عليك وكتب المهلب الى الحجاج اما بعد
فان اهل العراق قد اقبلوا اليك مثل السيل المنحدر من علو ليس شي يرده حتى ينتهي
الى قراره وان لاهل العراق شرة في اول مخرجهم وصبابة الى ابنايهم ونسايهم فليس شي
يردهم حتى يصلوا الى اهليهم وينبسطوا الى نسايهم ويشموا اولادهم ثم واقفهم عندها
فان الله ناصرك عليهم ان شا الله فلما قرا الحجاج كتابه قال فعل الله به وفعل لا والله
ما لي نظر ولكن لابن عمه نصح ولما وصل البريد بكتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ذلك ثم
نزل عن سريره وبعث الى خالد بن يزيد بن معاوية فاقراه كتاب الحجاج فقال يا امير
المومنين ان كان هذا الحدث من قبل خراسان فخفه وان كان من قبل سجستان فلا
تخفه ثم اخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام الى العراق في نصرة الحجاج وتجهز
الحجاج في الخروج الى ابن الاشعث وعصى راي المهلب فيما اشار به عليه وكان في مشورته
النصح والصدق وجعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الاشعث صباحا
ومسا اين نزل ومن اين ارتحل واي الناس اليه اسرع وجعل الناس يلتفون على ابن
الاشعث من كل جانب حتى قيل انه سار معه ثلاثة وثلاثون الف فارس ومائة وعشرون
الف راجل وخرج الحجاج في جنود الشام من البصرة نحو ابن الاشعث فنزل تستر وقدم
بين يديه مطهر بن حيي العكي اميرا على المقدمة ومعه عبد الله بن رميثة اميرا اخر فانتهوا
الى دجيل فاذا مقدمة ابن الاشعث في ثلاثماية فارس عليها عبد الله بن ابان الحارثي
فالتقوا يوم الاضحى عند نهر دجيل فهزمت مقدمة الحجاج وقتل اصحاب ابن الاشعث
منهم خلقا كثيرا نحوا من الف وخمسماية واحتازوا ما في معسكرهم من خيول وقماش
واموال وجا الخبر الى الحجاج بهزيمة اصحابه فاخذه ما دب ودرج وقد كان قايما يخطب
فقال ايها الناس ارجعوا الى البصرة فانها ارفق بالجند فرجع بالناس وتبعتهم
خيول ابن الاشعث لا يدركون منهم شاذا الا قتلوه ولا فاذا الا اهلكوه ومضى الحجاج
هاربا لا يلوي على شي حتى اتى الزاوية فعسكر عندها وجعل يقول لله در المهلب اي صا

حرب هو لقد اشار علينا بالراي ولكنا لم نقبل واتفق الحجاج على جيشه وهو بهذا
المكان مائة وخمسون الف الف درهم وخندق حول جيشه خندقا وجا اهل العراق
فخطوا البصرة فدخلوا البصرة واجتمعوا بامهاتهم وشموا اولادهم ودخل ابن الاشعث
البصرة فخطب الناس وبايعهم على خلع عبد الملك ونائبه الحجاج بن يوسف وقال
لهم ابن الاشعث ليس الحجاج بشي ولكن اذهبوا بنا الى عبد الملك لنقاتله ووافقه على
خلعهما جميع من بالبصرة من الفقهاء والقراء الشيوخ والشباب ثم امر ابن الاشعث
بخندق حول البصرة فعمل وكان ذلك في اواخر ذي الحجة من هذه السنة وحج بالناس فيها
اسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وابو معشر والله سبحانه اعلم وفيها غزا موسى
بن نصير امير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الاندلس فافتتح مدنا كثيرة واراضي
عامرة واوغل في بلاد المغرب الى ان وصل الى الزقاق المنبثق من البحر الاخضر المحيط والله
اعلم

وممن توفي فيها من الاعيان

بكير بن ورقاء الصريمي البصري احد الاشراف بخراسان والعواد والامرا وهو الذي
حارب ابن خازم وقتله وقتل بكير بن وشاح ثم قتل في هذه السنة سويد بن غفلة
بن عوسجة بن عامر ابو امية الجعفي الكوفي شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة
وكان من كبار المخضرمين وقيل انه راى النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه والصحيح
انه لم يره وكان نحو لده عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه والصحيح انه لم
يره وقيل انه ولد بعده بسنتين وعاش مائة وعشرين سنة لم ير يوما محتبيا ولا متسا
ولا ينتقص بكر ا عام وفاته في سنة احدى وثمانين قاله ابو عبيد وغير واحد وقيل انه توفي
في سنة ثنتين وثمانين فالله اعلم قال الشعبي قال سويد بن غفلة انا اصغر من النبي
صلى الله عليه وسلم بسنتين وقال عثمان بن ابي شيبة ثنا ابي وعمي ابو بكر قالا ثنا هشيم
عن هلال بن خباب عن ميسرة ابي صالح عن سويد بن غفلة قال انا مصدق النبي
صلى الله عليه وسلم وصليت معه ولم القه عليه السلام وقال ابو حاتم ثنا ابو نعيم
ثنا حنش بن الحارث النخعي قال رايت سويد بن غفلة يمر بنا في المسجد الحارثي له
من بني اسد وهو ابن سبع وعشرين ومائة سنة وقال سفيان عن عاصم قال
تزوج سويد بن غفلة وهو ابن ست عشرة ومائة سنة وكان يمشي الى الجمعة يومنا
وفي رواية كان يومنا في شهر رمضان في قيام الليل وقد اتى عليه عشرون ومائة
سنة وقال ابو نعيم ثنا زهير عن عمران بن مسلم قال كان سويد بن غفلة طالما يصنع
ان يكبر قبل ان يقول المؤذن قد قامت الصلاة وقد كان سويد بن غفلة الصلاة
والاذان عمله وقال لو استطعت ان اكون مؤذن الحي لفعلت وقال ابو نعيم بن دكين
ثنا حنش بن الحارث عن علي بن مدرك قال كان سويد بن غفلة يؤذن بالهاجرة فسمعه
الحجاج وهو بالدير فقال ايتوني بهذا المؤذن فاتوا به الى الحجاج فقال له ما حملك على الصلاة
بالهاجرة فقال صليتها في هذا الوقت مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولسويد بن غفلة
مناقب كثيرة وقد رحل سويد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد قبض
وتولى ابو بكر فصحب ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وروى عنهم وعن خلق من الصحابة وكان
اذا قيل له اعطى فلان وولي فلان يقول حسبي كسرى وملجي وقال اذا اراد الله ان ينسا

اهل النار جعل لكل واحد منهم تابوتا من نار على قدره ثم اقفل عليه باقفال من نار فلا
يبقى فيه عرق الا وفيه مسمار من نار ثم يجعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار ثم
يقفل عليه باقفال من نار ثم يضرم بينهما نار فلا يرى احد منهم ان في النار غيره وقال
ان الملائكة تمشي امام الجنازة فيقولون ماذا قدم ويقول الناس ماذا ترك عبد الله
ابن شداد بن الهاد كان من العباد الزهاد العلماء وله وصايا وكلمات حسان وقد
روى عدة احاديث عن الصحابة وعنه خلق من التابعين

محمد بن علي بن ابي طالب

ابو القاسم وابو عبد الله ايضا وهو المعروف بابن الحنفية وكانت امه سوداء
سندية من سبي بني حنيفة لما قاتل الصحابة اهل الردة في خلافة ابي بكر الصديق
ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان
وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره واراد قتله فناشده مروان بالله وتذلل
له فاطلقه فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك فقال عفوا يا امير المؤمنين فعفا
عنه واجزل له الجائزة وكان محمد بن علي من سادات قريش ومن الشجعان المشهورين
ومن الاقوياء المذكورين ولما بويع لابن الزبير لم يبايعه فجرى بينهما شر عظيم حتى هم
ابن الزبير به وباهله كما تقدم ذلك فلما قتل ابن الزبير واستقر امر عبد الملك
وبايعه ابن عمر بايع ابن الحنفية وقدم المدينة فمات بها في هذه السنة وقيل
في التي قبلها او في التي بعدها ودفن بالبقيع والرافضة يزعمون انه بجبل
رضوى وانه حي يرزق وهم ينتظرونه وقد قال كثير عزة في ذلك

الا ان الائمة من قريش • ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه • هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر • وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى • تقود الخيل يقدمها اللواء

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية الى شيعتهم بالكوفة مع ابي
الطفيل واثلة بن الاسقع وعلى الكوفة المختار بن ابي عبيد وقد كان ابن الزبير
جمع لهم حطبا كثيرا على ابوابهم ليحرقهم بالنار فلما وصل كتاب ابن الحنفية الى المختار
وقد كان المختار يدعو اليه ويسميه المهدي فبعث المختار ابا عبد الله الجدلي في اربعة
الاف فاستنقذوا بني هاشم من يدي ابن الزبير وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف
وبقي ابن الحنفية في شيعتهم فامره ابن الزبير ان يخرج عنه فخرج الى ارض الشام باصحابه
وكانوا نحو سبعة الاف فلما وصل الى ايلة كتب اليه عبد الملك يقول اما ان تبايعني
واما ان تخرج من ارضي فكتب اليه ابن الحنفية ابايعك على ان تؤمن اصحابي قال نعم
فقام ابن الحنفية في اصحابه فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي حقن دماءكم
واحرز دينكم فمن احب منكم ان ياتي مأمنه الى بلده محفوظا فليفعل فرحل الناس
عنه الى بلادهم حتى بقي في سبعمائة رجل فاحرم بعمرة وقلد هديا وسار نحو مكة فلما
اراد دخول الحرم بعث اليه ابن الزبير خيلا فمنعه ان يدخل فارسل اليه انا لم نات
لحرب ولا لقتال ولكن دعنا ندخل حتى نقضي نسكنا ثم نخرج عنك فابى عليه

وكان معه بمكة قد قلدها فرجع الى المدينة فاقام بها محرما حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير فكان ابن الحنفية في تلك المدة محرما فلما سار الحجاج الى العراق مضى ابن الحنفية الى مكة وقضى نسكه وذلك بعد عدة سنين وكان القمل يتناثر منه في تلك المدة كلها فلما قضى نسكه رجع الى المدينة فاقام بها حتى مات وقيل ان الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث الى ابن الحنفية يقول قد قتل عدو الله فبايع فكتب اليه اذا بايع الناس كلهم بايعت فقال له الحجاج والله لاقتلنك فقال له ابن الحنفية ان لله في كل يوم ثلثماية وستين نظرة في اللوح المحفوظ في كل نظرة منها ثلثماية وستون قضية فلعل الله تعالى ان يجعلني في قضية منها فيكفينيك فكتب الحجاج بذلك الى عبد الملك فاعجبه قوله وكتب اليه قد عرفنا ان محمدا ليس عنده خلاف فارفق به فهو يأتيك ويبايعك وكتب عبد الملك بكلامه ذلك ان لله ثلثماية وستون نظرة الى ملك الروم وذلك ان ملك الروم كتب الى عبد الملك يتهدده بجموع من الجنود لا يطيقها احد فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم ان هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك وانما خرج من بيت نبوة ولما اجمع الناس على بيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية ما بقي شي فبايع فكتب ببيعته الى عبد الملك دونه عليه بعد ذلك توفي ابن الحنفية في المحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة وكان له من الولد عبد الله وحمزة وعلي وجعفر الاكبر والحسن وابراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الاصغر وعون ورقية وكلهم لامهات شتى وقال الزبير بن بكار وكانت شيعته تزعم انه لم يمت وفيه يقول السيد

الا قل للوصي فدتك نفسي ... اطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا ... وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك اهل الارض طرا ... مقامك عنهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ... ولا وارت له ارض عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكلاما
وان له به لمقيل صدق ... وانديه تحدثه كراما
هدانا الله اذ حزتم لامر ... به وعليه نلتمس التماما
تمام مودة المهدي حتى ... تروا راياته تترى نظاما

وقد ذهبت طايفة من الرافضة الى امامته وانه ينتظر خروجه في اخر الزمان كما تنتظر طايفة اخرى منهم الحسن بن محمد العسكري الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامرا وهذا من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم وبهتانهم وسنزيد ذلك وضوحا في موضعه زيادة روى عوف الاعرابي عن ميمون عن وردان قال كنت في العصابة الذين انتدبوا الى محمد بن علي بن الحنفية وكان ابن الزبير منعه ان يدخل مكة حتى يبايعه فابى ان يبايعه فطرنا معه واراد الشام فمنعه عبد الملك ان يدخلها حتى يبايعه فابى فسرنا معه ولو امرنا بالقتال لقاتلنا معه فجمعنا يوما فقسم بيننا شيا يسيرا ثم حمد الله وقال الحقوا برحالكم واتقوا الله وعليكم بما تعرفون ودعوا ما تنكرون وعليكم بخاصة انفسكم ودعوا امر العامة واستقر امرنا كما استقرت السماء والارض

فانا امرنا

فان امرنا اذا جا كان كالشمس الضاحية وروى ابو عوانة عن ابي حمزة قال كنت مع محمد بن علي فسرنا من الطايف الى ايلة بعد موت ابن عباس بالطايف بزيادة على اربعين ليلة وكان عبد الملك قد كتب لمحمد بن الحنفية عهدا على ان يدخل هو واصحابه في ارضه حتى يصطلح الناس على رجل فلما قدم الشام بعث اليه عبد الملك اما ان تبايعني واما ان تخرج من ارضي ونحن معه يوميذ سبعة الاف فبعث اليه محمد ان يومن اصحابي ففعل فقام محمد فحمد الله واثنى عليه وذكر حديثا طويلا نحو ما تقدم في الاصل قبل وقال الطبراني ثنا ابو خليفة ثنا عبيد الله بن محمد بن عايشة ثنا عبد الله بن المبارك عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن منذر الثوري قال قال محمد بن علي بن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا وقال جرير عن عمرو بن ثابت قال قال محمد ابن الحنفية تزول امرنا لهو ابين من هذه الشمس فلا تعجلوا ولا تقتلوا انفسكم يشير الى المهدي الخارج في اخر الزمان وقال سعيد بن الحسن قال محمد بن الحنفية رحمه الله من كف يده ولسانه وجلس في بيته فان ذنوب بني امية اسرع اليهم من سيوف المسلمين وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين قال كتب ملك الروم الى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتواعده ويحلف له ليحملن اليه من الجنود ماية الف في البر وماية الف في البحر او يودي اليه الجزية فاسقط في يدي عبد الملك وخاف منه خوفا شديدا وكتب الى الحجاج ان اكتب الى ابن الحنفية تتهدده ثم اعلمني ما يرد عليك فكتب الحجاج الى ابن الحنفية بكتاب شديد يتهدده فيه ويتواعده بالقتل فكتب اليه ابن الحنفية ان لله تعالى ثلثماية وستين لحظة في كل يوم الى خلقه وانا ارجوا ان ينظر الله عز وجل الي نظرة يمنعني بها منك فبعث الحجاج بكتابه الى عبد الملك فكتب عبد الملك به الى ملك الروم فقال ملك الروم ان هذا الكلام لم يخرج منك وانما خرج هذا من بيت نبوة وروى الثوري عن ابيه عن ابي يعلى عن محمد بن الحنفية انه قال لم يزل قوم قبلكم يبحثون وينقرون حتى تاهوا فكان الرجل اذا نودي من خلفه اجاب من امامه واذا نودي من امامه اجاب من خلفه وقال مروان بن معاوية ثنا الربيع بن المنذر عن ابيه قال قال محمد بن الحنفية يا منذر كل ما لا يبتغى به وجه الله سبحانه يضمحل وقال ابو عثمان قال محمد بن الحنفية من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر وقال ابن عيينة قال ابن الحنفية ان الله جعل الجنة ثمنا لانفسكم فلا تبتغوها بغيرها اسند ابن الحنفية عن عدة من الصحابة وعامة حديثه عن ابيه علي روى عنه جماعة من التابعين منهم اولاده وعمرو بن دينار ومنذر الثوري وغيرهم والله اعلم

ثم دخلت سنة ثلث وثمانين

ففي المحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الاشعث والحجاج في اخره فكان اول يوم لاهل العراق على اهل الشام ثم تواقعوا يوما اخر فحمل سفيان بن الابرد احد امرا اهل الشام على ميمنة ابن الاشعث فهزمها وقتل خلقا من القراء اصحاب ابن الاشعث في هذا اليوم وخر الحجاج لله ساجدا بعد ما كان يجثو على ركبتيه وسل شيا

من سعيد وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول ما كان أكرمه حين صبر نفسه
للقتل وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث أبو الطفيل بن عامر بن واثلة
الليثي ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن اتبعه من أهل
البصرة فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة
بن الحرث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال ثم انصرف
فلحق بابن الأشعث وتبعه طائفة من أهل البصرة فاستناب الحجاج على البصرة أيوب
ابن الحكم بن أبي عقيل ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك
بن مروان وتفاقم الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك واشتد الحال وتفرقت الكلمة
جدا وعظم الخطب واتسع الخرق قال الواقدي لما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث
بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة فقال القراء وكان عليهم جبلة بن زحر
أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منه منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم وقال
سعيد بن جبير نحو ذلك وقال الشعبي قاتلوهم على جورهم واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم
الصلاة ثم حملت القراء وهم العلماء على جيش الحجاج حملة صادقة فبدعوا فيهم ثم رجعوا
فإذا هم بمقدمهم جبلة بن زحر صريعا فهدهم ذلك فناداهم جيش الحجاج يا أعداء
الله قد قتلنا طاغيتكم ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة
ابن الأشعث وعليها الأبرد بن قرة التميمي فانهزموا ولم يقاتلوا كبير قتال فأنكر الناس
منهم ذلك وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعا لا يفر وظنوا أنه قد خامر
فانتقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضا وكان ابن الأشعث يحرض الناس
على القتال فلما رأى ما الناس فيه أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة فبايعه أهلها

ثم كانت وقعة دير الجماجم

في شعبان من هذه السنة قاله الواقدي وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة
خرج أهلها فتلقوه وحفوا به ودخلوا بين يديه غير أن شرذمة قليلة أرادت
أن تقاتله دون مطر بن ناجية نائب الحجاج فلم يمكنهم ذلك فعدلوا إلى القصر
فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلالم فنصبت على قصر الإمارة فأخذه
واستنزل مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له استبقني فإني خير من فرسانك فحبسه
ثم استدعاه فأطلقه وبايعه واستوسق لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم إليه من جاء
من أهل البصرة وكان ممن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب
وأمر بالمسالح من كل جانب وحفظت الثغور والطرق والمسالك ثم إن الحجاج ركب
فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والعذيب
وبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصريين فمنعوا الحجاج
من نزول القادسية فسار الحجاج حتى نزل دير قرة وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش
البصرية والكوفية حتى نزل دير الجماجم ومعه جنود كثيرة وفيهم القراء وخلق من الصالحين
فكان الحجاج بعد ذلك يقول قاتل الله ابن الأشعث أما كان يزجر الطير حيث رآني
قد نزلت دير قرة ونزل هو بدير الجماجم وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف
مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم وقدم على الحجاج في غضون ذلك أمداد

كثيرة

كثيرة من الشام وخندق كل من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقا يمتنع به
من الوصول إليهم غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتتلون قتالا
شديدا في كل حين حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قريش وغيرهم واستمر
هذا الحال مدة طويلة واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان
فقالوا إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم
وسفك دمائهم فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله
بن عبد الملك بن مروان ومعهما جنود كثيرة جدا وكتب معهما كتابا إلى أهل العراق يقول
لهم إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم وأبقيت عليكم أعطياتكم مثل أهل
الشام وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميرا ما عاش وعشت وتكون إمرة
العراق لمحمد بن مروان وقال في عهده هذا فإن لم يجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على
ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج
وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك
إلى أهل العراق في عزله إن رضوا به شق ذلك عليه مشقة عظيمة جدا وعظم شأن
هذا الرأي عنده وكتب إلى عبد الملك يا أمير المؤمنين والله إن أعطيت أهل
العراق نزعي عنهم لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ولا يزيدهم ذلك
إلا جراءة عليك ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر النخعي على ابن عفان فلما
سألهم ما يريدون قالوا نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى
ساروا إليه فقتلوه وإن الحديد بالحديد يفرع كان الله لك فيما ارتأيت والسلام
عليك فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر فتقدم عبد
الله ومحمد فنادى عبد الله يا معشر أهل العراق أنا عبد الله بن أمير المؤمنين عبد الملك
ابن مروان وإنه يعرض عليكم كيت وكيت فذكر ما كتب به أبوه معهم إليهم من هذه الخصال
وقال محمد بن مروان وأنا رسول أخي أمير المؤمنين إليكم بذلك فقالوا ننظر في أمرنا
غدا ونرد عليكم الخبر عشية ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام
فيهم خطيبا وندبهم إلى قبول ما عرضوا عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك
وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج فنفر الناس من كل جانب
وقالوا لا والله لا نقبل ذلك نحن أكثر عددا وعددا وهم في ضيق من الحال وقد حكمنا
عليهم وذلوا لنا والله لا نجيب إلى ذلك أبدا ثم جددوا خلع عبد الملك ونائبه ثانية
واتفقوا على ذلك كلهم فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعمه محمدا الخبر قالا للحجاج
شأنك بهم إذا فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين فكانا إذا التقيا سلما عليه
بالإمرة ويسلم هو أيضا عليهما بالإمرة وتولى الحجاج أمر الحرب وتدبيرها كما كان قبل
ذلك فعند ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب فجعل الحجاج على ميمنته
عبد الرحمن بن سليمان وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي وعلى الخيل سفيان بن الأبرد
وعلى الرجالة عبد الرحمن بن حبيب الحكمي وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن
حارثة الخثعمي وعلى الميسرة الأبرد بن قرة التميمي وعلى الخيالة عبد الرحمن بن عياش
ابن أبي ربيعة وعلى الرجالة محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري وعلى القراء جبلة بن

زحر بن قيس الجعفي وكان في القرا سعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن ابي ليلى وكميل بن زياد وكان شجاعا فاتكا على كبر سنه وابو البختري الطائي وغيرهم وجعلوا يقتتلون في كل يوم واهل العراق تاتيهم الميرة من الرساتيق والا فاليهم من العلف والطعام وغيره واما اهل الشام الذين مع الحجاج فهم في اضيق حال من العيش وقلة الطعام وقد فقدوا اللحم بالكلية فلا يجدونه وما زالت الحرب في هذه المدة كلها حتى انسلخت هذه السنة وهم على حالهم وقتال لهم في كل يوم او يوم بعد يوم والدايرة لاهل العراق على اهل الشام في اكثر الايام وقد قتل من اصحاب الحجاج زياد بن غنم وكسر بسطام بن مصقلة في اربعة الاف جفون سيوفهم واستقتلوا وكانوا من اصحاب ابن الاشعث وفي هذه السنة كانت وفاة المهلب بن ابي صفرة وهو المهلب بن ابي صفرة ظالم ابو سعيد الازدي احد اشراف اهل البصرة ووجوههم ودهاتهم واجوادهم وكرمايهم ولد عام الفتح وكانوا ينزلون فيما بين عمان والبحرين وقد ارتدت قومه فقاتلهم عكرمة بن ابي جهل فظفر بهم وبعث بهم الى الصديق وفيهم ابو صفرة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الحنث ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في ايام معاوية ارض الهند سنة اربع واربعين وولي الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين ثم ولي حرب الخوارج اول دولة الحجاج وقتل منهم في وقعة واحدة اربعة الاف وثمان مائة فعظمت منزلته عند الحجاج وكان فاضلا شجاعا كريما يحب المدح وله كلام حسن فمنه نعم الخصلة السخا يستر عورة الشريف ويلحق خسيسة الوضيع ويحبب المودود فيه وقال يعجبني في الرجل خصلتان ان ارى عقله زايدا على لسانه ولا ارى لسانه زايدا على عقله توفي المهلب غازيا بمرو الروذ وعمره ستة وسبعين سنة رح وكان له عشرة من الولد وهم يزيد وزياد والمفضل ومدرك وحبيب والمغيرة وقبيصة ومحمد وهند وفاطمة توفي المهلب في ذي الحجة منها وكان من الشجعان وله مواقف حميدة وغزوات مشهورة في الترك والازارقة وغيرهم من انواع الخوارج وجعل الامر من بعده لولده يزيد بن المهلب على امرة خراسان فامضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان اسما بن الخارجة الفزاري الكوفي كان جوادا ممدحا حكي عنه انه راى يوما على باب داره شابا جالسا فسال عن قعوده على بابه فقال لي حاجة لا استطيع ذكرها فالح عليه فقال لي جارية رايتها دخلت هذه الدار لم ار احسن منها وقد خطفت قلبي معها فاخذه بيده وادخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال هذه فقال له اخرج فاجلس على الباب مكانك فخرج الشاب فجلس مكانه ثم خرج اليه بعد ساعة والجارية معه قد البسها انواع الحلي وقال له ما منعني ان ادفعها اليك وانت داخل الدار الا ان الجارية كانت لاختي وكانت ضنينة بها فاشتريتها لك منها بثلثة الاف والبستها هذا الحلي وهي لك بما عليها فاخذها الشاب وانصرف المغيرة ابن المهلب بن ابي صفرة كان جوادا ممدحا شجاعا له مواقف مشهورة الحرث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي المعروف بقباع ولي امرة البصرة لابن الزبير محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة كان من فضلاء ابناء الصحابة واعقلهم توفي بالمدينة ودفن بالبقيع عبد الله بن ابي طلحة بن الاسود الفقيه اسحاق حملت به امه ام سليم

ليلة ماتت ابنها فاصبح ابو طلحة فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعرستم بارك الله لكما في ليلتكما ولما ولد حنكه بتمرات • عبد الله بن كعب بن مالك كان قايد كعب حين عمي له روايات توفي بالمدينة هذه السنة • عفان بن وهب ابو ايمن الخولاني المصري له صحبة ورواية وغزا المغرب وسكن مصر بها مات جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح بن ظبيان بن سحن بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبيد بن كثير بن عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة ابو عمرو الشاعر صاحب بثينة كان قد خطبها فمنعت منه فتغزل فيها واشتهر بها وكان احد عشاق العرب كانا قاطنة بوادي القرى وما حوله وكان عفيفا صينا دينا شاعرا اسلاميا من افصح الشعرا في زمانه وكان كثير عزه راويه وهو يروي عن هدبة بن خشرم عن الحطيئة عن زهير بن ابي سلمى وابنه كعب قال كثير عزه كان جميل اشعر العرب حيث يقول •

• وخبرتماني ان تيما منزل • لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا •
• فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت • فما للنوى ترمي بليلى المراميا •

ومنها قوله

• وما زلتم يا بثن حتى لو انني • من الشوق استبكي الحمام بكى ليا •
• وما زادني الواشون الا صبابة • ولا كثرة الناهين الا تماديا •
• وما احدث النأي المفرق بيننا • سلوا ولا طول الليالي تقاليا •
• الم تعلمي يا عذبة الريق انني • اظل اذا لم القى وجهك صاديا •
• لقد خفت ان القى المنية بغتة • وفي النفس حاجات اليك كما هيا •

وله ايضا

• اني لاحفظ سركم ويسرني • لو تعلمين بصالح ان تذكري •

الى ان قال

• ما انت والوعد الذي تعدينني • الا كبرق سحابة لم تمطر •

وقوله وروي لعمر بن ابي ربيعة

• ما زلت ابغي الحي اتبع فلهم • حتى دفعت الى ربيبة هودج •

فيما نقله ابن عساكر

• فدنوت مختفيا الم ببيتها • حتى ولجت الى خفي المولج •
• قالت وعيش اخي ونعمة والدي • لانبهن الحي ان لم تخرج •
• فتناولت راسي لتعرف مسه • بمخضب الاطراف غير مشنج •
• فخرجت خيفة اهلها فتبسمت • فعلمت ان يمينها لم تلجج •
• فلثمت فاها آخذا بقرونها • فرشفت ريقا باردا متثلج •

قال كثير عزة لقيني جميل بثينة فقال لي من اين اقبلت فقلت من هذه الحبيبة فقال والى اين فقلت والى هذه الحبيبة يعني عزه فقال اقسمت عليك لما رجعت الى بثينة فواعدتها لي فان لي من اول الصيف ما رايتها وكان اخر عهدي بها بوادي القرى

وهي تخشى مني وامنا ثوبا فتحادثنا الى الغروب قال كثير فرجعت حتى اتيتهم قال
ابو بثينة ما ردك يا ابن اخي فقلت ابيات قلتها فرجعت لاعرضها عليك فقال
وما هي فانشدته وبثينة تسمع من وراء الحجاب

فقلت لها يا عز ارسل صاحبي • اليك رسولا والرسول موكل •
بان تجعلي بيني وبينك موعدا • وان تامريني بالذي فيه افعل •
واخر عهدي منك يوم لقيتني • باسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فلما كان الليل اقبلت بثينة الى المكان الذي واعدته اليه وجاء جميل وكنت معهم
فما رايت ليلة اعجب منها ولا احسن منادمات وانقضى ذلك المجلس وما ادري
ايهما افهم لما في ضمير صاحبه منه وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي انه
دخل على جميل وهو يموت فقال له ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن قط ولم يسرق
ولم يقتل النفس وهو يشهد ان لا اله الا الله قال اظنه قد نجا وارجو له الجنة فمن هذا
قال انا فقلت والله ما اظنك سلمت وانت تشبب بالنسا منذ عشرين سنة ببثينة
فقال لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم واني لفي اول يوم من ايام الاخرة واخر يوم
من ايام الدنيا ان كنت وضعت يدي عليها بريبة قال فما برحنا حتى مات قلت كانت
وفاته بمصر لانه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فاكرمه وساله عن خبره ببثينة فقال
شديدا واستنشده من اشعاره ومدايحه فانشده فوعده ان يجمع بينه وبينها فعاجلته
المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله وقد ذكر الاصمعي عن رجل ان جميلا قال له هل انت
مبلغ عني رسالة الحي بثينة ولك ما عندي قال نعم قال اذا انا مت فاركب ناقتي والبس
حلتي هذه وامره ان يقول ابياتا منها قوله

نوحي بثينة فاندبي بعويل • وابكي خليلا دون كل خليل

فلما انتهى الى الحي انشد الابيات قال فخرجت بثينة كانها بدر سرى في حجبه وهي
تتثنى في مرطها فقالت له ويحك ان كنت صادقا فقد قتلتني وان كنت كاذبا فقد
فضحتني فقلت بل والله صادقا واريتها حلته وناقته فلما تحققت ذلك انشدت
ابياتا ترثيه بها وتبكي عليه وانه لا يطيب لها العيش بعده ولا خير لها
في الحيوة بعد فقده ثم ماتت من ساعتها قال الرجل فما رايت اكثر باكيا وباكية
من يومئذ وروى ابن عساكر عنه انه قيل له بدمشق لو تركت الشعر وحفظت القران
فقال هذا انس بن مالك يخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر
حكمة عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان ابو حفص القرشي التيمي احد الاجواد والامرا
الامجاد فتح على يديه بلاد كثيرة وكان نايبا لابن الزبير على البصرة وقد فتح كابل مع
عبد الله بن خازم وهو الذي قتل قطري بن الفجاءة روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما وعنه عطا
ابن ابي رباح وابن عون ووفد على عبد الملك فتوفي بدمشق سنة ثنتين وثمانين قاله
المدايني وحكي ان رجلا اشترى جارية كانت تحسن الشعر والقران وغيره فاحبها حبا
شديدا وانفق عليها ماله كله حتى افلس ولم يبق له شي سوى هذه الجارية فقالت له الجارية
تدارى ما بك من قلة الشي فلو بعتني وانتفعت بثمني وصلحت حالك فباعها لعمر بن عبيد
الله هذا وهو يومئذ امير البصرة بمائة الف درهم فلما قبض المال ندم وندمت

الجارية فانشات تخاطب سيدها بابيات شعر وهي

هنيئا لك المال الذي قد اخذته • ولم يبق في كفي الا تفكري •
اقول لنفسي وهي في كرب عيشة • اقلي فقد بان الخليط او اكثري •
اذا لم يكن في الامر عندك حيلة • ولم تجدي بدا من الصبر فاصبري •

فاجابها سيدها فقال

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن • لفرقتنا شي سوى الموت فاصبري • فاعذري
اروح بحزن من فراقك موجع • اناجي به قلبا طويل التذكر •
عليك سلام لا زيارة بيننا • ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر •

فلما سمعهما ابن معمر قال قد شئت والله لا فرقت بين محبين ابدا ثم اعطاه المال
وهو مائة الف والجارية لما راى من توجعهما على فراق كل منهما لصاحبه فاخذ الرجل ثمنها الجارية مع
وانطلق توفي عمر بن عبيد الله بن معمر هذا بدمشق في الطاعون وصلى عليه عبد الملك
بن مروان ومشى في جنازته وحضر دفنه واثنى عليه بعد موته وكان له من الولد طلحة
وهو من سادات قريش تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر على صداق اربعين
الف دينار وولد له منها ابراهيم ورملة فتزوج رملة اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس
على صداق مائة الف دينار رحمهم الله كميل بن زياد بن الهيثم النخعي الكوفي روى عن
عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابي هريرة وشهد مع علي صفين وكان شجاعا فاتكا وزاهدا
عابدا قتله الحجاج في هذه السنة وقد عاش مائة سنة قتله صبرا بين يديه وانما
نقم عليه لانه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمة لطمها اياه فلما امكنه عثمان
من نفسه عفا عنه فقال له الحجاج او مثلك يسال من امير المومنين القصاص ثم امر فضربت
عنقه قالوا وذكر الحجاج عليا في غضون ذلك فنال منه وصلى عليه كميل فقال له الحجاج
والله لابعثن اليك من يبغض عليا اكثر مما تحبه انت فارسل اليه ابن ادهم وكان من اهل
حمص ويقال ابا الجهم بن كنانة فضرب عنقه وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين
وله الاثر المشهور عن علي بن ابي طالب الذي اوله القلوب اوعية فخيرها اوعاها وهو
طويل قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضي الله عن قايله
زاذان ابو عمر الكندي احد التابعين كان اولا يشرب المسكر ويضرب بالطنبور فرزقه
الله التوبة على يدي عبد الله بن مسعود وحصلت له انابة ورجوع الى الحق وخشية شديدة
حتى كان في الصلاة كانه خشبة وقال مرة يا رب اني جايع فنزل عليه من الروزنة رغيف
مثل الرحا وكان يبيع الثياب فاذا جاءه من يشتري منه نادى له شر الطرفين ومر به ابن مسعود
وهو يغني فقال ما احسن هذا الصوت لو كان بالقران فسمعها زاذان فقام من فوره
ولزم ابن مسعود وتاب توبة نصوحا وقرا القران على ابن مسعود وغيره حتى فضل وصار من
كبار الصحابة التابعين وقد وثقه ابن معين وغيره قال خليفة توفي سنة ثنتين
وثمانين قال ويقال له ابو عبد الله البزار وهو مولى قال خليفة وفيها توفي

زر بن حبيش

احد اصحاب ابن مسعود وعايشة وقد اتت عليه مائة وعشرون سنة وقال ابو عبيد
مات سنة احدى وثمانين وقد تقدمت له ترجمة شقيق بن سلمة ابو وايل ادرك

من سن الجاهلية سبع سنين واسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ادرك شقيق خلقا
من الصحابة وروى عنهم وكان اماما ممن ادركنا له مثله مخضرما وكان من الحفاظ العباد الزهاد
الغزاة في سبيل الله الاذكيا في دينهم وكان من اصحاب ابن مسعود وقرا عليه القران وتفقه
به يقال انه قرا القران في ثلاثة اشهر او اقل وكان ابن مسعود يحبه ويدنيه وكان كثير
الجهاد منقطعا عن الناس لا يخالط الامرا ولا الاغنيا وانما كان يكون في خص له من قصب
يسعه ويسع فرسه فاذا خرج الى الجهاد نقضه وباعه وتصدق بثمنه ولا يعلم الناس بما هو
فيه من امر الدنيا والاخرة فاذا جاءه شي من الدنيا امسك منه نفقته ونفقة فرسه التي يغزو
عليه وتصدق بالباقي وكان ابو وايل من خيار التابعين مجتهدا في العبادة قد نحل جسده
من كثرة الصيام قال عبد الله بن احمد بن حنبل ثنا ابي ثنا ابو بكر بن عياش عن عاصم قال
كان ابو وايل اذا صلى في بيته بالليل او بالنهار ينشج نشيجا اي يبكي بكاء شديدا ولو جعلت
له الدنيا على ان يفعل ذلك واحد يراه ما فعله وقال احمد حدثنا جرير عن مغيرة قال
كان ابراهيم التيمي يذكر في منازل ابي وايل وكان ابو وايل ينتفض انتفاض الطير وقال
الامام احمد ثنا علي بن ثابت ثنا سعيد بن صالح قال رايت ابا وايل يسمع النوح ويبكي يعني
الوعظ وقال خلاد بن يحيى ثنا محرز بن صالح واصل قال كنا عند ابي وايل شقيق بن سلمة
نتذاكر واقرب الله من خلقه فقال نعم يقول الله تعالى ابن ادم ادن مني شبرا ادن منك
ذراعا ادن مني ذراعا ادن منك باعا امش الي اهرول اليك وقال هناد بن السري ثنا
ابو معاوية عن الاعمش عن شقيق قال خرجنا في ليلة مخوفة في غزاة فمررنا باجمة فيها
رجل نايم وقد قيد فرسه وهي ترعى حوله فايقظناه فقلنا له تنام في مثل هذا المكان
فقال اني لاستحيي من ذي العرش ان يعلم اني اخاف شيا غيره ثم وضع راسه فنام وقال
ابو بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود قال كان عطا لابي وايل الفين فاذا خرج امسك
ما يكفي اهله سنة وتصدق بما سوى ذلك وبهذا الاسناد قال ما رايت ابا وايل ملتفتا
في صلاة ولا غيرها ولا سمعته سب دابة قط ولا غيرها الا انه ذكر الحجاج يوما فقال اللهم
اطعم الحجاج من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ثم تداركها فقال ان كان ذلك احب
اليك فقلت وتستثني في الحجاج فقال نعدها ذنبا وقال عبدة عن الزبرقان قال
كنت عند ابي وايل فجعلت اسب الحجاج واذكر مساويه فقال لا تسبه وما يدريك لعله قال
يوما اللهم اغفر لي فغفر له وقال عبد الله بن المبارك ثنا قيس بن الربيع عن عاصم قال
سمعت شقيق بن سلمة يقول وهو ساجد رب اغفر لي رب اعف عني ان تعف عني تعف عني
تطولا وتفضلا وكرما من غير استحقاق مني وان تعذبني تعذبني غير ظالم لي ولا مسبوق
قال ثم يبكي حتى اسمع نحيبه من وراء المسجد وقال قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الاعمش
عن ابي وايل قال دخلت على ابي وايل فقال دخلت على عبيد الله بن زياد بالبصرة مع مسروق
فاذا بين يديه تل من ورق اي دراهم ثلثة الاف الف من خراج اصبهان فقال
يا ابا وايل ما ظنك برجل يموت ويدع مثل هذا قال فقلت له فكيف اذا كان من غلول قال
فذاك شر على شر قال وقال لي يا ابا وايل اذا اتيت الكوفة فايتني لعلي اصيبك بمعروف
قال فلما خرجت قلت لو اني شاورت علقمة في ذلك قال فاتيته فقلت اني دخلت
على ابن زياد فقال لي كذا وكذا فكيف ترى قال لو انك اتيته قبل ان تستامرني لم اقل لك

شيئا

شيئا فاما اذا استامرتني فاني حقيق ان انصحك والله ما يسرني ان لي الفين مع الفين
الى ما لا يسرنا منه واني اتيت احدا منهم فاني اكره الناس عليه قال فقلت لم يا ابا شبل قال
اني اخاف ان ينتقصوا مني اكثر مما انتقص منهم وقال جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان
قال جاء رجل الى ابي وايل فقال له ان ابنك استعمل على السوق فقال لو جئتني بموته كان
احب الي اني كنت لاكره ان يدخل بيتي من عمل عملهم وقال عبد الله بن احمد حدثني ابو كريب
عن عاصم قال كان ابو وايل يقول لجارية له يا بركة اذا جاءك يحيى يعني ابنه بشي فلا
تقبليه واذا جاءك اصحابي بشي فخذيه قال يحيى وكان ابنه قاضيا على الكناسة
وقال عبد الله بن احمد بن حنبل ثنا ابو عامر عبد الله بن براد ثنا المفضل بن الموفق
عن سفيان عن الاعمش عن ابي وايل قال ان اهل بيت يوضع على مايدتهم رغيف حلال
لاهل بيت غربا وقال عبد الله بن احمد ثنا ابي حدثنا يحيى بن سعيد عن ابي عوانة
عن عاصم عن ابي وايل انه كان له خص من قصب فكان يكون فيه هو وفرسه فاذا غزا
نقضه وتصدق به فاذا رجع اعاده وقال الاعمش سمعت شقيقا يقول اللهم ان كنت
كتبتنا عندك اشقيا فامحنا واكتبنا عندك سعدا وان كنت كتبتنا سعدا فاثبتنا
فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك ام الكتاب قال حصين قال ابو وايل دخلت
على الاسود بن هلال فقلت ليهنئ ابا لك قد مضينا فقال لبيسما قلت اليس
اسجد لله كل يوم اربعا وثلاثين سجدة وفي رواية عنه قال قلت للاسود بن هلال
وددت انك مت منذ سنة فقال لا ان لي صاحبا خيرا منك لما ابقي حياة شهرا اصلي خمسين
ومايتي صلاة لا اضعفها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وفي رواية فقال لي ان
لي صاحبا خيرا منك خمس صلوات في كل يوم وليلة ومن خمسون حسنة وقال الامام احمد
ثنا يحيى بن ادم ثنا ابو بكر عن عاصم قال قلت لابي وايل ان قوما يقولون ان الله يدخل
المومنين النار فقال لعمرك ان لها لحشوا غير المومنين وقال عبد الله بن احمد حدثني احمد
بن محمد بن ايوب ثنا ابو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لي ابو وايل اتدري بما اشبه قرا
زماننا قلت وبمن تشبههم قال اشبههم برجل اسمن غنما فلما اراد ذبحها وجدها
غثا لا تنقي ورجل عمد الى دراهم فلوى في لفاتها ما في زيبق ثم اخرجها فكسرها فاذا امى
نحاس وقال ابراهيم بن بشار الرمادي ثنا سفيان بن عيينة عن الاعمش قال قال
ابو وايل يا سليمان نعم الرب ربنا لو اطعناه ما عصانا وقال مر على عبد الله بن مسعود
بمصحف قد زين بالذهب فقال ان احسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق وقال
الامام احمد حدثنا ابو احمد ثنا سفيان عن منصور عن ابي وايل في قوله تعالى وابتغوا
اليه الوسيلة قال القربة في الاعمال وقال الامام احمد ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن
ابي معشر عن ابراهيم قال ما من قرية الا وفيها من يدفع الله به عن اهلها واني لارجو
ان يكون ابو وايل منهم وروى الامام احمد عن يحيى بن ادم عن ابي بكر عن عاصم قال
ما رايت ابا وايل يلتفت في صلاة ولا غيرها قط ولا قال لاحد كيف امسيت ولا كيف
اصبحت اخر الزيادة ام الدردا الصغرى اسمها هجيمة ويقال جهيمة تابعية عابدة
عالمة فقيهة كان الرجال يقرون عليها ويتفقهون في الحايط الشمالي بجامع دمشق
وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشتغل عليها وهو خليفة

وكانت تزجي برنعمها وتجلس وكانت تقول قال سيدي ابو الدردا سمعت سيدي ابا الدردا
حدثني سيدي ابو الدردا يعني زوجها رضي الله عنهما وكانت لا تقبل من احد شيا وكانت
تخرج تلتقط السنبل من الحقول وتاكل من المباحات الحلال وكانت ذات حسن وجمال وقد
خطبها معاوية فابت ان تتزوج وقالت لا حتى اتزوج بابي الدردا في الاخرة فانه اخبرني ان
المراة لاخر ازواجها في الدنيا وقالت طلبت العبادة في كل شي فما وجدت اشفى لصدري
من مجالسة اهل الذكر وقالت اذا احتمل الرجال الجنازة قال الميت بصوت يسمعه كل
شي الا الجن والانس يا اهلاه يا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا تلعبن بكم كما لعبت
بي فان اهلي لا يحملون من وزري شيا ولو حاجوني عند الجبار لحجوني ثم قالت الدنيا اسحر لقلوب
العلما والزهاد والعباد من هاروت وماروت وما اثرها عبد الا اصرعته لخده وعن شهر
ابن حوشب عن ام الدردا قالت انما الوجل في قلب ابن ادم كاحتراق السعفة اما تجد
له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله اذا وجدت ذلك فان الدعا مستجاب عند ذلك
وقد روت ام الدردا امه عن ابي الدردا عدة احاديث رضي الله عنهما

ثم دخلت سنة ثلث وثمانين

استهلت هذه السنة والناس مستمرون على قتال الحجاج واصحابه بدير قرة وابن
الاشعث واصحابه بدير الجماجم والمبارزة في كل يوم بينهم واقعة وفي غالب الايام
تكون النصرة لاهل العراق على اهل الشام حتى قيل ان اصحاب ابن الاشعث وهم اهل العراق
كسروا اهل الشام وهم اصحاب الحجاج بضعا وثمانين مرة ينتصرون عليهم ومع هذا فالحجاج
ثابت في مكانه صابر ومصابر لا يتزحزح عن موضعه الذي هو فيه بل اذا حصل له ظفر
في يوم من الايام تقدم بجيشه الى نحر عدوه وكان له خبرة بالحرب وما زال ذلك دابه ودابهم
حتى امر بالحملة على كتيبة القرا لان الناس كانوا تبعا لهم وهم الذين يحرضونهم على القتال
والناس يقتدون بهم فصبر القرا لحملة جيشه ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم وما
انفك حتى قتل منهم خلقا ثم حمل على ابن الاشعث وعلى من معه من الجيش فانهزم اصحاب
ابن الاشعث وذهبوا في كل وجه وهرب ابن الاشعث بين ايديهم ومعه نفر قليل من الناس
فاتبعه الحجاج جيشا كثيفا مع عمارة بن تميم اللخمي ومعه محمد بن الحجاج والامرة لعمارة فساقوا
وراهم يطردونهم لعلهم يظفرون به قتلا او اسرا فما زال يسوق ويخترق الاقاليم والكور
والرساتيق وهم في اثره حتى وصل الى كرمان واتبعه الشاميون فنزلوا في قصر كان فيه اهل
العراق قبلهم فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض اهل الكوفة من اصحاب ابن الاشعث الذين
فروا معه من شعر ابي خلدة اليشكري يقول

ايا لهفا ويا حزنا جميعا ・ ويا حرا لفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعا ・ واسلمنا الحلائل والبنينا
فما كنا اناسا اهل دين ・ فنمنعها ولو لم نرج دينا
تركنا دورنا لطغام عك ・ وانباط القرى والاشعرينا

ثم ان ابن الاشعث دخل هو ومن معه من الفل الى بلاد رتبيل ملك الترك فاكرمه رتبيل وانزله
عنده وامنه وعظمه قال الواقدي ومر ابن الاشعث وهو ذاهب الى بلاد رتبيل على
عامل له في بعض المدن كان ابن الاشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه الى العراق فاكرمه

ذلك

ذلك العامل واهدى اليه هدايا وانزله فعل ذلك خديعة به ومكرا وقال له ادخل الى
عندي الى البلد لتتحصن بها من عدوك ولكن لا تدع احدا ممن معك يدخل المدينة فاجابه
الى ذلك وانما اراد المكر به فمنعه اصحابه فلم يقبل منهم فتفرق عنه اصحابه فلما دخل البلد
وثب عليه العامل فمسكه واوثقه بالحديد واراد ان يتخذ به يدا عند الحجاج وقد كان الملك
رتبيل سر بقدوم ابن الاشعث فلما بلغه ما حدث من جهة ذلك العامل بمدينة
بست سار حتى احاط بها وارسل الى عاملها يقول له والله لئن اذيت ابن الاشعث
لا ابرح حتى استنزلك واقتل جميع من في بلدك فخافه ذلك العامل وسير اليه ابن
الاشعث فاكرمه رتبيل فقال ابن الاشعث لرتبيل ان هذا العامل كان عاملي ومن
جهتي فغدر بي وفعل ما رايت فاذن لي في قتله فقال قد امنته وكان مع ابن الاشعث
عبد الرحمن بن عياش بن ابي ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان هو الذي يصلي
بالناس هنالك في بلاد رتبيل ثم ان جماعة من الفل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا
وساروا وراء ابن الاشعث ليدركوه فيكونوا معه وهم قريب من ستين الفا فلما
وصلوا الى سجستان وجدوا ابن الاشعث قد دخل الى عند رتبيل فتغلبوا على سجستان
وعذبوا عاملها عبد الله بن عامر النعار واخوته وقرابته واستحوذوا على ما فيها
من الاموال وانتشروا في تلك البلاد واخذوها ثم كتبوا الى ابن الاشعث ان
اخرج الينا حتى نكون معك ننصرك على من يخالفك وناخذ بلاد خراسان فان بها
جندا ومنعة كثيرة منا فنكون بها حتى يهلك الله الحجاج او عبد الملك فنرى بعد ذلك
راينا فخرج اليهم ابن الاشعث وسار بهم قليلا الى نحو خراسان فاعتزله شرذمة من
اهل العراق مع عبيد الله بن سمرة فقام فيهم ابن الاشعث خطيبا فذكر غدرهم ونكولهم
عن الحرب وقال لا حاجة لي بكم وانا ذاهب الى صاحبي رتبيل فاكون عنده ثم انصرف عنهم
وتبعه طائفة منهم وبقي معظم الجيش فلما انفصل عنهم ابن الاشعث بايعوا عبد
الرحمن بن عياش بن ابي ربيعة الهاشمي وساروا معه الى خراسان فخرج اليهم اميرها يزيد
بن المهلب بن ابي صفرة فمنعهم من دخول بلاده وكتب الى عبد الرحمن بن عباس يقول له
ان في البلاد متسعا فاذهب الى ارض ليس بها سلطان فاني اكره قتالك وان كنت
تريد مالا بعثت اليك فقال له انا لم نجئ لقتال لاحد وانما جئنا نستريح ونريح خيلنا
ثم نذهب وليست بنا حاجة الى شي مما عرضت ثم اقبل عبد الرحمن على اخذ الخراج
مما حوله من البلاد من كور خراسان فخرج اليه يزيد بن المهلب ومعه اخوه المفضل في
جيوش كثيفة فلما صافوهم اقتتلوا غير كثير ثم انهزم اصحاب عبد الرحمن بن عياش
وقتل يزيد منهم مقتلة كبيرة واحتاز ما في معسكرهم وبعث بالاسارى فيهم محمد بن سعد
بن ابي وقاص الى الحجاج ويقال ان محمد بن سعد قال ليزيد بن المهلب اسالك بدعوة
ابي لابيك لما اطلقتني فاطلقه قال ابن جرير ولهذا الكلام خبر فيه طول ولما
قدمت الاسارى على الحجاج قتل اكثرهم وعفى عن بعضهم وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن
الاشعث نادى مناديه في الناس من رجع فهو امن ومن لحق بمسلم ابن قتيبة بالري
فهو امن فلحق بمسلم خلق كثير ممن كان مع ابن الاشعث فامنهم الحجاج ومن لم يلحق به شرع
الحجاج في تتبعهم فقتل منهم خلقا كثيرا حتى كان اخر من قتل منهم سعيد بن جبير على ما سياتي

بيابه وكان الشعبي من جملة من صار الى مسلم بن قتيبة فذكره يوما الحجاج فقيل
له انه سار الى مسلم بن قتيبة فكتب الى مسلم ان ابعث الي بالشعبي قال الشعبي فلما
دخلت عليه سلمت عليه بالامرة ثم قلت ايها الامير ان الناس قد امروني ان اعتذر
اليك بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا اقول في هذا المقام الا الحق كاينا في ذلك
ما كان قد والله تمردنا عليك وحرضنا وجهدنا كل الجهد فما الونا فما كنا بالاقويا الفجرة
ولا بالاتقيا البررة ولقد نصرك الله علينا واظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا
وما جرت اليك ايدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعد فلك الحجة علينا فقال
الحجاج انت والله يا شعبي احب الي ممن يقطر سيفه من دماينا ثم يقول ما فعلت ولا
شهدت قد امنت عندنا يا شعبي قال فانصرفت فلما مشيت قليلا قال هلم يا شعبي
قال فوجل لذلك قلبي ثم ذكرت قوله قد امنت يا شعبي فاطمانت نفسي فقال كيف
وجدت الناس بعدنا يا شعبي قال وكان لي مكرما قبل الخروج عليه فقلت اصلح الله
الامير قد اكتحلت بعدك السهر واستوعرت السهولة واستوخمت الجناب واستحلست
الخوف واستحليت الهم وفقدت صالح الاخوان ولم اجد من الامير خلفا قال انصرف
يا شعبي فانصرفت ذكر ذلك ابن جرير وغيره ورواه ابو مخنف عن اسماعيل بن عبد
الرحمن السدي عن الشعبي وروى البيهقي انه ساله عن المسالة الخرقاء في الفرايض
وهي ام وزوج واخت وما كان يقول فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وكان
لكل منهم قول فيها فنقل ذلك كله الشعبي في ساعته فاستحسن قول علي وحكم بقول
عثمان واطلق الشعبي بسبب ذلك وقيل ان الحجاج قتل خمسة الاف اسير ممن سيرهم
اليه يزيد بن المهلب كما تقدم ذلك ثم سار الى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع احدا من
اهلها الا قال له تشهد على نفسك انك قد كفرت فاذا قال نعم بايعه وان ابى قتله
فقتل منهم خلقا كثيرا ممن ابى ان يشهد على نفسه بالكفر قال فاتي برجل فقال
الحجاج ما اظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه واراد الحجاج مخادعته فقال
الرجل اخادعي انت عن نفسي انا اكفر اهل الارض واكفر من فرعون وهامان ونمرود قال
فضحك الحجاج وخلى سبيله وذكر ابن جرير من طريق ابي مخنف ان اعشى همدان اتي
به الى الحجاج وكان قد عمل قصيدة يهجو فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ويمدح فيها
ابن الاشعث واصحابه فاستنشده اياها فانشده قصيدة طويلة دالية فيها
مدح كثير لعبد الملك واهل بيته فجعل اهل الشام يقولون قد احسن ايها الامير
فقال الحجاج انه لم يحسن انما يقول هذا مصانعة ثم الح عليه حتى انشده قصيدته
الاخرى فلما انشدها غضب عند ذلك الحجاج وامر به فضربت عنقه صبرا بين
يديه واسم الاعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ابو المصبح الهمداني الكوفي
الشاعر احد الفصحا البلغا المشهورين وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ثم
ترك ذلك واقبل على الشعر فعرف به وقد وفد على النعمان بن بشير وهو امير حمص
فامتدحه فكان يحصلوا له في رحلته اليه من جند حمص اربعين الف دينار وكان
زوج اخت الشعبي كما ان الشعبي زوج اخته ايضا وكان ممن خرج مع ابن الاشعث
فقتله الحجاج كما ذكرنا رح وقد كان الحجاج وهو مواقف لابن الاشعث بعث كمينا ياتون

جيش

جيش ابن الاشعث من ورايهم ثم تواقف الحجاج وهرب الحجاج بمن معه وترك معسكره
فجا ابن الاشعث فاحتازما في المعسكر وبات فيه فجات السرية اليهم ليلا وقد وضعوا
اسلحتهم فمالوا عليهم ميلة واحدة ورجع الحجاج باصحابه فاحاطوا بهم فاقتتلوا
قتالا شديدا وقتل من اصحاب ابن الاشعث خلق كثير وغرق كثير منهم في دجلة ودجيل
وجا الحجاج الى معسكرهم فقتل من وجده فيه فقتل منهم نحوا من اربعة الاف منهم جماعة من
الروسا والاعيان واحتازوه بكماله وانطلق ابن الاشعث هاربا في ثلثماية من اصحابه
فركب دجيلا الى السفن وعبروا وادوا بهم وحازوا الى البصرة ثم ساروا الى ابن سمالك فكان
في دخوله بلاد رتبيل ما تقدم ثم شرع الحجاج في تتبع اصحاب ابن الاشعث فجعل يقتلهم
مثنى وفرادى حتى قيل انه قتل بين يديه صبرا منهم مائة الف وثلثين الفا قاله النضر
بن شميل عن هشام بن حسان منهم محمد بن سعد بن ابي وقاص وجماعات من السادات الاخيار
العلما الابرار حتى كان اخرهم سعيد بن جبير رحمهم الله ورضي عنهم كما سياتي ذلك في موضعه
بنا واسط قال ابن جرير وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط وكان سبب بنايه لها انه
راى راهبا على اتان قد اجاز دجلة فلما مر بموضع واسط وقفت اتانه فبالت فنزل
عنها ونزل الى موضع بولها فاحتفره ورمى به في دجلة فقال الحجاج علي به فاتي به
فقال له لم صنعت هذا قال انا نجد في كتبنا انه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد
الله فيه ما دام في الارض احد يوحده فعند ذلك اختط الحجاج مدينة واسط في ذلك
المكان وبنى المسجد في ذلك الموضع وفيها كانت غزوة عطا بن رافع صقلية وممن
توفي فيها من الاعيان عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني المصري روى عن جماعة من الصحابة
وكان عبد العزيز بن مروان امير مصر قد جمع له بين القضا والقصص وبيت المال
وكان رزقه في العام الف دينار وكان لا يدخر منها شيا طارق بن شهاب بن عبد
شمس الاحمسي ممن راى النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله
عنهما بضعا واربعين غزاة توفي بالمدينة هذه السنة عبيد الله بن عدي بن الخيار
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وحدث عن جماعة من الصحابة وكان من فقها قريش
وعلمايهم وابوه عدي ممن قتل يوم بدر كافرا عبد الله بن قيس بن مخرمة كان قاضي المدينة
وتوفي بها في هذه السنة مرثد بن عبد الله ابو الخير اليزني وفيها فقد جماعة
من القرا والعلما الذين كانوا مع ابن الاشعث منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة
ومنهم من اسر فضرب الحجاج عنقه ومنهم من تتبعه حتى قتله وقد سمى منهم خليفة بن
خياط طايفة من الاعيان فمنهم مسلم بن يسار المزني وابو مراية العجلي قتل وعقبة
ابن عبد الغافر قتل وعقبة بن وساج قتل وعبد الله بن غالب الجهضمي قتل وابو
الجوزا الربعي قتل والنضر بن انس قتل وعمران والد ابي جمرة الضبعي وابو المنهال
سيار بن سلامة الرياحي ومالك بن دينار ومرة بن ذباب الهدادي وابو نجيد الجهضمي
وابو شيخ الهناي وسعيد بن ابي الحسن واخوه الحسن البصري قال ايوب قيل لابن الاشعث
ان احببت ان يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هودج عايشة يوم الجمل فاخرج
الحسن معك فاخرجه ومن اهل الكوفة سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن ابي ليلى وعبد الله
بن شداد والشعبي وابو عبيدة بن عبد الله بن مسعود والمعرور بن سويد ومحمد بن سعد

بن ابي وقاص وابو البختري وطلحة بن مصرف وزبيد بن الحرث اليامي وعطا بن السايب قال ايوب فما منهم من احد صرع مع ابن الاشعث الا رغب عن مصرعه ولا نجا احد منهم الا حمد الله الذي سلمه وممن قتله الحجاج عمران بن عصام الضبعي والد ابي جمرة كان من علماء اهل البصرة وكان صالحا عابدا اتي به اسيرا الى الحجاج فقال له اشهد على نفسك بالكفر حتى اطلقك فقال له اني والله ما كفرت بالله منذ آمنت به فضربت عنقه

عبد الرحمن بن ابي ليلى

روى عن جماعة من الصحابة ولابيه ابي ليلى صحبة اخذ عبد الرحمن القران عن علي بن ابي طالب خرج مع ابن الاشعث فاتي به الحجاج اسيرا فضرب عنقه بين يديه صبرا فاما مسلم بن يسار فكان كثير العبادة والصيام شديد الخشوع في الصلاة وقع مرة حريق الى جنبه وهو قايم يصلي فما شعر به وانهدمت ناحية من المسجد ففزع اهل المسجد لهدته وانه لفي المسجد قايم يصلي فما التفت وقال ابنه رايته ساجدا وهو يقول متى القاك وانت عني راض وكان اذا كان في غير صلاة كانه في صلاة وقال لاصحابه يوم التروية هل لكم في الحج فقالوا اخرف الشيخ وعلى ذلك لنطيعنه فخرجوا الى الجبان بروا حلهم فقال لخلوا ازمتها فاصبحوا وهم ينظرون الى جبال تهامة فقولهم خرف اي تغير عقله من الكبر لانهم كانوا بالبصرة وقد بقي للوقوف بعرفة يوم واحد فعرض عليهم الحج وبينهم وبينه مسيرة اربعين يوما واربعين ليلة في ليلة واحدة وقال سليمان بن المغيرة جاء مسلم بن يسار الى دجلة وهي تقذف بالزبد وترمي بالخشب فمشى على الماء ثم التفت الى اصحابه فقال تفقدون شيئا يعني ان اصحابه كانوا قد مشوا معه على الماء ببركته فلما قطعوا دجلة اشفق ان يكون قد ذهب لهم شيء من امتعتهم فقال هل تفقدون شيئا قال مالك بن دينار رايت مسلم بن يسار في منامي بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت له ما لك لا ترد علي فقال انا ميت فكيف ارد عليك فقلت ماذا لقيت بعد الموت قال لقيت والله اهوالا وزلازل شدادا عظاما فقلت فما كان بعد ذلك قال فما تراه يكون من الكريم تقبل منا الحسنات وعفى لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه فلبث اياما مريضا ثم مات قتل مسلم بن يسار في وقعة ابن الاشعث مع الحجاج رح

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

قال الواقدي فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك المصيصة وفيها غزا محمد بن مروان ارمينية فقتل منهم خلقا كثيرا وحرق كنايسهم وضياعهم وتسمى سنة الحريق وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي وامره بقتل الاكراد وفيها ولى عبد الملك الاسكندرية عياض بن غنم التجيبي وعزل عنها عبد الملك بن ابي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي وفيها افتتح موسى بن نصير طايفة من بلاد المغرب من ذلك بلد ارزنة وقتل من اهلها بشرا كثيرا واسر نحوا من خمسين الفا وفيها قتل الحجاج ايضا جماعة من اصحاب ابن الاشعث منهم ايوب بن القرية وكان فصيحا

بليغا

بليغا واعظا قتله صبرا بين يديه ويقال انه ندم على قتله وهو ايوب بن زيد بن قيس ابو سليمان الهلالي المعروف بابن القرية عبد الله بن الحرث ابن نوفل وسعد بن اياس الشيباني وابو عنبة الخولاني له صحبة ورواية سكن حمص وبها توفي وقد قارب المائة سنة عبد الله بن قتادة وغير هولاء جماعة منهم من قتله الحجاج ومنهم من توفي ابو زرعة الجذامي الفلسطيني كان ذا منزلة عند اهل الشام فخاف منه معاوية فغمه منه ذلك ابو زرعة فقال يا امير المؤمنين لا تهدم ركنا بنيته ولا تحزن صاحبا سررته ولا تشمت عدوا كبته فكف عنه معاوية وفيها توفي عتبة بن المنذر السلمي صحابي جليل كان يعد في اهل الصفة عمران بن حطان الخارجي كان اولا من اهل السنة والجماعة فتزوج امراة من الخوارج حسنة جميلة جدا فاحبها وكان هو دميم الشكل فاراد ان يردها الى السنة فارتدته الى مذهبها وقد كان من الشعرا المطبقين القايل في قتل علي وقاتله

يا ضربة من تقي ما اراد بها • الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه • اوفى البرية عند الله ميزانا
اكرم بقوم بطون الطير اقبرهم • لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

وقد كان الثوري يتمثل بابيات منه في الزهد في الدنيا وهي قوله

ارى اشقياء الناس لا يسامونها • على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت تحب فانها • سحابة صيف عن قليل تقشع
كركب قضوا حاجاتهم وترحلوا • طريقهم بادي العلامة مهيع

مات عمران بن حطان سنة اربع وثمانين وقد رد عليه بعض العلما في ابياته المتقدمة في قتل علي رضي الله عنه بابيات على قافيتها ووزنها

يا ضربة من شقي ما اراد بها • الا ليبلغ من ذي العرش خسرانا
اني لاذكره يوما فالعنه • اشقى البرية عند الله ميزانا

روح بن زنباع الجذامي

كان من امرا الشام وكان عبد الملك يستشيره في اموره وفيها كانت مهلك عبد الرحمن بن الاشعث الكندي وكيفية التي بعدها فالله اعلم وذلك ان الحجاج كتب الى رتبيل الذي لجا ابن الاشعث اليه يقول له والله الذي لا اله الا هو لئن لم تبعث الي بابن الاشعث لابعثن الى بلادك الف الف مقاتل ولاخربنها فلما تحقق الوعيد من الحجاج استشار في ذلك بعض الامرا فاشار عليه بتسليم ابن الاشعث اليه قبل ان يخرب الحجاج دياره وياخذ عامة امصاره فارسل الى الحجاج يشترط عليه ان لا يقاتل عشر سنين وان لا يؤدي في كل سنة منها الا مائة الف من الخراج فاجابه الحجاج الى ذلك وقيل ان الحجاج وعده ان يطلق له خراج ارضه سبع سنين فعند ذلك غدر رتبيل بابن الاشعث فقيل انه امر بضرب عنقه صبرا بين يديه وبعث براسه الى الحجاج وقيل بل كان ابن الاشعث قد مرض مرضا شديدا فقتله وهو باخر رمق والمشهور انه قبض عليه وعلى ثلثين من اقربائه فقيدهم في الاصفاد وبعث بهم مع رسل الحجاج اليه فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرخج صعد ابن الاشعث وهو مقيد بالحديد الى سطح قصر ومعه رجل

هو كل به لئلا يفر فالقى بنفسه من ذلك القصر وسقط معه الموكل به فماتا جميعا
فعمد الرسول الى راس ابن الاشعث فاحتزه وقتل من معه من اصحاب ابن الاشعث وبعث
برؤوسهم الى الحجاج فامر فطيف براسه في العراق ثم بعثه الى عبد الملك فطيف براسه في
الشام ثم بعث به الى اخيه عبد العزيز بمصر فطيف براسه هنالك ثم دفنوا راسه
بمصر وجثته بالرخج وقد قال بعض الشعرا في ذلك

هيهات موضع جثة من راسها • راس بمصر وجثة بالرخج •

وانما ذكر ابن جرير مقتل ابن الاشعث في سنة خمس وثمانين فالله اعلم وعبد الرحمن هذا
هو ابن محمد بن الاشعث بن قيس ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الاشعث
بن قيس الكندي الكوفي وقد روى له ابو داود والنسائي عن ابيه عن جده عن ابن مسعود
حديث اذا اختلف المتبايعان والسلعة قائمة فالقول ما قال البايع او يتتاركان
وعنه ابو العميس ويقال ان الحجاج قتله بعد التسعين سنة والله اعلم والعجب
كل العجب من هولاء الذين بايعوه بالامارة وليس من قريش وانما هو كندي من اليمن
وقد اجمع الصحابة يوم السقيفة ان الامارة لا تكون الا في قريش واحتج عليهم الصديق
بالحديث في ذلك حتى ان الانصار سالوا ان يكون منهم امير مع امير المهاجرين فابى الصديق
عليهم ذلك ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عبادة الذي دعى الى ذلك اولا ثم رجع عنه
كما قررنا ذلك فيما تقدم فكيف يعمدون الى خليفة قد بويع له بالامارة على المسلمين
من سنين فيعزلونه وهو من صليبة قريش ويبايعون الرجل كندي بيعة لم يتفق
عليها اهل الحل والعقد ولهذا لما كانت هذه زلة وفلتة نشا بسببها شر كثير هلك
فيه خلق كثير فانا لله وانا اليه راجعون ايوب بن القرية وهي امه واسم ابيه يزيد بن
قيس بن زرارة بن مسلم النمري الهلالي كان اعرابيا اميا وكان يضرب به المثل في فصاحته
وبيانه وبلاغته صحب الحجاج ووفد على عبد الملك ثم بعثه رسولا الى ابن الاشعث
فقال له ابن الاشعث لئن لم تقم خطيبا فتخلع الحجاج لاضربن عنقك ففعل واقام عنده
فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ثم في اخر الامر
ضرب عنقه وندم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ولكن ندم حيث لا ينفعه
الندم كما قيل وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه وابن
خلكان في الوفيات واطال ترجمته وذكر فيها اشيا حسنة قال والقرية بكسر القاف
وتشديد اليا وهي جدته واسمها جماعة بنت جشم قال ابن خلكان ومن الناس
من انكر وجوده ووجود مجنون ليلى وابن ابي العقب صاحب الملحمة وهو يحيى بن عبد
الله بن ابي العقب روح بن زنباع بن سلامة الجذامي ابو زرعة ويقال ابو زنباع
الدمشقي داره بدمشق في طرف البزوريين عند دار ابن عقب صاحب الملحمة وهو تابعي
جليل روى عن ابيه وكانت له صحبة وتميم الداري وعبادة بن الصامت ومعاوية
وكعب الاحبار وغيرهم وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي كان روح عند عبد الملك كالوزير
لا يكاد يفارقه وكان مع ابيه مروان يوم مرج راهط وقد امره يزيد بن معاوية على جند
فلسطين وزعم مسلم بن الحجاج ان روح بن زنباع كانت له صحبة ولم يتابع مسلم على
هذا القول والصحيح انه تابعي وليس بصحابي ومن ماثره التي تفرد بها انه كان كلما خرج

من الحمام يعتق نسمة قال ابن زبر مات سنة اربع وثمانين بالاردن وزعم بعضهم
انه بقي الى ايام هشام بن عبد الملك وقد حج مرة فنزل على ما بين مكة والمدينة فامر
فاصلحت له اطعمة مختلفة الالوان ثم وضعت بين يديه فبينما هو ياكل اذ جاء راع
من الرعاة يرد الماء فدعاه روح بن زنباع الى الاكل من ذلك الطعام فجاء الراعي فنظر الى
طعامه وقال اني صايم فقال له روح في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم
يا راعي فقال له الراعي افاغبن ايامي من اجل طعامك ثم ان الراعي ارتاد لنفسه مكانا فنزله
وترك روح بن زنباع فقال روح بن زنباع لقد ضننت بايامك يا راعي اذ جاد بها
روح بن زنباع ثم ان روحا بكى طويلا وامر بتلك الاطعمة فرفعت وقال انظروا هل
تجدون لها اكلا من هذه الاعراب او الرعاة ثم سار من ذلك المكان وقد اخذ الراعي بمجامع
قلبه وصغرت اليه نفسه والله سبحانه اعلم

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها ذكر ابن جرير كان مقتل عبد الرحمن بن الاشعث والله اعلم وفيها عزل الحجاج
عن امرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها اخاه المفضل ابن المهلب وكان سبب
ذلك ان الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مر بدير فقيل له ان فيه شيخا من
اهل الكتاب عالما قد دعي له فقال له يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما انتم فيه ونحن
فيه قال نعم قال فما تجدون صفة امير المومنين قال نجده ملكا اقرع من يقم بسبيله
يصرع قال ثم من قال رجل يقال له الوليد قال ثم ماذا قال ثم رجل اسمه اسم
نبي يفتح به على الناس قال فتعرفني قال لقد اخبرت بك قال افتعرف ما الي قال نعم
قال فمن يلي العراق بعدي قال رجل يقال له يزيد قال في حياتي او من بعدي هو
قال لا ادري قال افتعرف صفته قال يغدر غدرة لا اعرف غيرها قال فوقع في
نفس الحجاج انه يزيد بن المهلب وسار سبعا وهو وجل من كلام الشيخ ثم بعث الى
عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده فجاء الكتاب بالتقريع
والتانيب والتوبيخ والامر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه ثم ان الحجاج جلس
يوما مفكرا واستدعى بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الارض فرفع
راسه اليه فقال له ويحك يا عبيد ان اهل الكتاب يذكرون ان ما تحت يدي سيليه
رجل يقال له يزيد وقد تذكرت يزيد بن ابي كبشة ويزيد بن حصين بن نمير ويزيد
بن دينار وليسوا هناك وما هو الا يزيد بن المهلب فقال عبيد لقد شرفتهم
وعظمت ولايتهم وان لهم لعددا وجلدا وحظا فاخلق به فاجمع راي الحجاج على عزل
يزيد بن المهلب فكتب الى عبد الملك يذم يزيد ويخوفه غدره ويخبره بما اخبره بذلك
الشيخ الكتابي فجاء البريد بكتاب فيه قد اكثرت في شان يزيد فسم رجلا يصلح لخراسان
فوقع اختيار الحجاج على المفضل بن المهلب فولاه قليلا تسعة اشهر فغزا بلاد غيس
وغيرها وغنم مغانم كثيرة وامتدحه الشعرا ثم عزله بقتيبة بن مسلم قال
ابن جرير وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ثم ذكر سبب ذلك وملخصه
انه بعد مقتل ابيه لم يبق بيده بلد يلجا اليه عن معه من اصحابه فجعل كلما اقترب
من بلد خرج اليه ملكها فقاتله فلم يزل ذلك دابه حتى نزل قريبا من ترمذ وكان

ملكها فكان به ضعف فجعل يهادنه ويبعث اليه بالالطاف والتحف حتى جعل يتصيد معه وهو مع ذلك عين للملك فعمل له طعاما وبعث الى موسى بن عبد الله بن خازم اني ينبغي في مائة من اصحابك فاختار موسى من جيشه مائة من شجعانهم ثم حين دخل البلد فاكل من طعام الملك فلما فرغت الضيافة اضطجع موسى على جنبه في دار الملك وقال والله لا اقوم من مكاني حتى يكون هذا المنزل منزلي او يكون قبري فثار اهل القصر اليه فحاجف عنه اصحابه ثم وقعت الحرب بينهم وبين اهل ترمذ فاقتتلوا فقتل من اهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيتهم واستدعى موسى بقية جيشه اليه واستحوذ موسى على البلد فحصنها ومنعها من الاعداء وخرج منها ملكها هاربا فلجأ الى اخوانه من الاتراك فاستنصرهم فقالوا له هولاء قوم نحو من مائة رجل اخرجوك من بلدك لا طاقة لنا بقتال هولاء ثم ذهب ملك ترمذ الى طائفة اخرى من الترك فاستنصرهم فبعثوا معه قصادا نحو موسى ليسمعوا له فلما احس بقدومهم عليه وكان في شدة الحر امر اصحابه ان يوججوا نارا ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا ايديهم من النار كانهم يصطلون بها فلما وصلت اليه الرسل راوا اصحابه ما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم ما هذا الذي نراكم تفعلونه فقالوا لهم انا نجد البرد في الصيف والكرب في الشتاء فرجعوا الى انفسهم فقالوا ما هولاء بشر ما هولاء الا جن ثم عادوا الى ملكهم فاخبروه بما راوا فقالوا لا طاقة لنا بقتال هولاء ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجاش بطائفة اخرى فجاوا فحاصروهم بترمذ فجاء الخزاعي فحاصرهم ايضا فجعل يقاتل الخزاعي اول النهار ويقاتل اخره العجم ثم ان موسى بيتهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وافزع ذلك عمرو الخزاعي فصالحه وكان معه يدخل يوما عليه وليس عنده احد وليس معه سلاحا فقال له على وجه النصح اصلح الله الامير ان مثلك لا ينبغي ان يكون بلا سلاح فقال ان عندي سلاحا ثم رفع صدر فراشه فاذا سيفه منتضى فاخذه عمرو فضربه به حتى برد وخرج هاربا ثم تفرق اصحاب موسى بن عبد الله بن خازم قال ابن جرير وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل اخيه عبد العزيز بن مروان عن امرة الديار المصرية وحسن له ذلك روح بن زنباع الحزامي فبينما هما في ذلك اذ دخل عليهما قبيصة بن ذويب في الليل وكان لا يحجب عنه اي ساعة جاء من ليل او نهار فعزاه في اخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله وانما حمله على ارادة عزله انه اراد ان يعهد بالامر من بعده لاولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وذلك عن راي الحجاج وتزيينه ذلك لعبد الملك وكان ابوه مروان قد عهد بالامر الى عبد الملك ثم من بعده الى عبد العزيز فاراد عبد الملك ان ينحيه عن الامرة من بعده بالكلية ويجعل الامر في اولاده وعقبهم وان تكون الخلافة باقية فيهم والله اعلم تنبيه ما ذكره المولف من ان روح بن زنباع في هذه السنة اشار على عبد الملك بعزل اخيه عن الديار المصرية لا يتفق له ذلك لانه قد ذكر ان روحا توفي في السنة التي قبل هذه السنة فكيف يشير عليه بذلك كما حكاه ابن جرير اللهم الا ان يقال ان روحا تاخرت وفاته عن هذا التاريخ المذكور او انه اشار عليه بذلك قبل ان يموت فقوي العزم عليه في هذه السنة والله سبحانه اعلم

عبد العزيز بن مروان

رحمه الله

تعالى هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس ابو الاصبغ القرشي الاموي ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع ابيه مروان وكان ولي عهده من بعد اخيه عبد الملك وولاه ابوه امرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان واليا عليها الى هذه السنة وشهد قتل سعيد بن عمرو بن العاص كما قدمنا وكانت له دار بدمشق وهي دار الصوفية اليوم المعروفة بالخانقاه السميساطية ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز ثم تنقلت الى ان صارت خانكاه للصوفية وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن ابيه وعبد الله بن الزبير وعقبة بن عامر وابي هريرة وحديثه عنه في مسند احمد وسنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل جبن خالع او شح هالع وعنه ابنه عمر والزهري وعلي بن رباح وجماعة قال محمد بن سعد كان ثقة قليل الحديث وقال غيره كان يلحن في الحديث وفي كلامه ثم تعلم العربية فاتقنها واحسنها فكان من افصح الناس وكان سبب ذلك انه دخل عليه رجل يشكوا اليه ختنه وهو زوج ابنته فقال له عبد العزيز من ختنك فقال الرجل ختنني الختان الذي يختن الناس فقال لكاتبه ويحك بماذا اجابني فقال الكاتب يا امير المومنين كان ينبغي ان تقول من ختنك فآلى على نفسه ان لا يخرج من منزله حتى يتعلم العربية فمكث جمعة واحدة فتعلمها فخرج وهو من افصح الناس وكان بعد ذلك يجزل عطاء من يعرب كلامه وينقص عطاء من يلحن فيه فتسارع الناس في زمانه الى تعلم العربية قال عبد العزيز يوما لرجل ممن انت فقال من بنو عبد الدار فقال تجدها في جائزتك فنقصه من جائزته مائة دينار وقال ابو يعلى الموصلي ثنا مجاهد بن موسى حدثنا اسحاق بن يوسف ابا سفيان عن محمد بن عجلان عن القعقاع ابن حكيم قال كتب عبد العزيز بن مروان الى عبد الله بن عمر ارفع الي حاجتك فكتب اليه ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول ولست اسالك شيئا ولا ارد رزقا رزقنيه الله عز وجل منك وقال ابن وهب حدثني يحيى بن ايوب عن يزيد بن ابي حبيب عن سويد بن قيس قال بعثني عبد العزيز بن مروان بالف دينار الى ابن عمر قال فجئته فدفعت اليه الكتاب فقال اين المال فقلت لا استطيعه الليلة حتى اصبح قال لا والله لا يبيت ابن عمر الليلة وله الف دينار قال فدفع الي الكتاب حتى جئته بها ففرقها رضي الله عنه ومن كلامه رحمه الله عجبا لمومن يومن ويوقن ان الله يرزقه ويخلف عليه كيف يحبس مالا عن عظيم اجر وحسن سماع ثناء ولما حضرته الوفاة احضر له ما لا يحصيه واذا هو ثلاثمائة مدي من ذهب فقال والله لوددت انه بعر حائل بنجد وقال والله لوددت اني لم اكن شيئا مذكورا ولوددت ان اكون هذا الماء الجاري او نباتة بارض الحجاز وقال لهم ايتوني بكفني الذي تكفنوني فيه فجعل يقول اف لك ما اقصر طويلك واقل كثيرك قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن الليث بن سعد قال كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين قال ابن عساكر وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصواب سنة خمس وثمانين فانه مات قبل عبد الملك اخيه ومات عبد الملك بعده

بسنة سنة ست وثمانين وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الامراء كريما جوادا ممدحا وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وقد اكتسى عمر اخلاق ابيه وزاد عليه بامور كثيرة وكان لعبد العزيز من الاولاد غير عمر عاصم وابو بكر ومحمد والاصبغ مات قبله بقليل فحزن عليه حزنا كثيرا ومرض بعده ومات وسهيل وكان له عدة بنات ام محمد وسهيل وام عثمان وام الحكم وام البنين وهن من امهات شتى وله من الاولاد غير هولاء ومات بالمدينة التي بناها على مرحلة من مصر وحمل الى مصر في النيل ودفن بها وقد ترك عبد العزيز بن مروان من الاموال والاثاث والدواب من الخيل والبغال والابل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف من جملة ذلك ثلاثمائة مد ذهب غير الورق مع جوده وكرمه وبذله وعطاياه الجزيلة فانه كان من اعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى وقد ذكر ابن جرير ان عبد الملك بن مروان كتب الى اخيه عبد العزيز وهو بالديار المصرية يسأله ان ينزل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد او يكون ولي العهد من بعده اي من بعد ابنه عبد الملك فانه اعز الخلق علي فكتب اليه عبد العزيز يقول اني ارى في ابي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد فكتب اليه عبد الملك يامره بحمل خراج مصر وقد كان عبد العزيز لا يحمل اليه شيئا من الخراج ولا غيره وانما كانت بلاد مصر بكمالها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز مغانمها وخراجها وحملها فكتب عبد العزيز الى اخيه عبد الملك اني واياك يا امير المؤمنين قد بلغنا سنا لم يبلغها احد من اهل بيتك الا كان بقاؤه قليلا واني لا ادري ولا تدري اينا ياتيه الموت اولا فان رأيت ان لا تعتب على بقية عمري فافعل فرق له عبد الملك وكتب اليه لعمري لا اعتب عليك بقية عمرك وقال عبد الملك لابنه الوليد ان يرد الله ان يعطيكما لا يقدر احد من العباد على رد ذلك عنك ثم قال لابنه الوليد وسليمان هل قارفتما محرما او حراما قط قالا لا والله قال الله اكبر نلتماها ورب الكعبة ويقال ان عبد الملك لما امتنع اخوه من اجابته الى ما طلب منه من بيعة لولده الوليد دعى عليه وقال اللهم انه قطعني فاقطعه فمات في هذه السنة كما ذكرنا فلما جاءه الخبر بموت اخيه عبد العزيز ليلا حزن وبكى وبكى اهله بكاء كثيرا على عبد العزيز ولكن سره ذلك من جهة ابنيه فانه نال فيهما ما كان يؤمله لهما من ولايتهما بعده وقد كان الحجاج كتب الى عبد الملك يحسن له ولاية الوليد وزينها له من بعده واوفد اليه وفدا في ذلك عليهم عمران بن عصام العنزي فلما دخلوا عليه قام عمران خطيبا فتكلم وتكلم الوفد في ذلك وحثوا عبد الملك على ذلك وانشد عمران بن عصام في ذلك

امير المؤمنين اليك نهدي • على النأي التحية والسلاما
اجبني في بنيك يكن جوابي • لهم عادية ولنا قواما
فلو ان الوليد اطاع فيه • جعلت له الخلافة والاماما
شبيهك حول قبته قريش • به يستمطر الناس الغماما
ومثلك في التقى لم يصب يوما • لدن خلع القلائد والبشاما
فان تؤثر اخاك بها فانا • وجدك لا نطيق له اتهاما

ولكنا نحاذر من بنيه • بني العلات مأثرة سماما
ونخشى ان جعلت الملك فيهم • سحابا ان يعود لهم خصاما
فلا يك ما حلبت غدا لقوم • وبعد غد بنوك لهم عياما
فاقسم لو تخطاني عصام • بذلك ما عذرت به عصاما
ولو اني حبوت اخا بفضل • اريد به المقالة والمقاما
لعقب في بني على بنيه • كذلك او لرمت له مراما
فمن يك في اقاربه صدوع • فصدع الملك ابطاه التئاما

قال فهاجه ذلك على ان كتب الى اخيه يستنزله عن الخلافة للوليد فابى عليه وقدر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد فتمكن حينئذ مما اراد من بيعة الوليد وسليمان

ذكر بيعة عبد الملك لولده الوليد

ثم من بعده لاخيه سليمان بن عبد الملك وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان بويع له بدمشق ثم في سائر الاقاليم ثم لسليمان من بعده ثم لما انتهت البيعة الى المدينة امتنع منها سعيد بن المسيب ان يبايع في حياة عبد الملك لاحد فامر به هشام بن اسماعيل نائب المدينة فضرب ستين سوطا والبسه ثيابا من شعر واركبه جملا وطاف به في المدينة ثم امر به فذهبوا به الى ثنية ذباب وهي الثنية التي كانوا يصلبون عندها ويقتلون فلما وصلوا اليها ردوه الى المدينة فاودعوه السجن فقال لهم والله لو اعلم انكم لا تقتلوني لم البس هذا الثياب ثم كتب هشام بن اسماعيل المخزومي الى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد في ذلك فكتب اليه يعنفه في ذلك ويامره باخراجه ويقول له ان سعيدا كان احق منك بصلة الرحم مما فعلت به وانا لنعلم ان سعيدا ليس عنده شقاق ولا خلاف ويروى انه قال له ما ينبغي الا ان يبايع فان لم يبايع ضربت عنقه او خليت سبيله وذكر الواقدي ان سعيدا لما جاءت بيعة الوليد الى المدينة امتنع من البيعة فضربه نائبها في ذلك الوقت وهو جابر بن الاسود بن عوف ستين سوطا ايضا وسجنه فالله اعلم قال ابو مخنف وابو معشر والواقدي وحج بالناس في هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومي نائب المدينة وكان على العراق والمشرق بكماله الحجاج قال شيخنا الحافظ الذهبي وتوفي في هذه السنة ابان بن عثمان بن عفان امير المدينة كان من فقهاء المدينة العشرة قاله يحيى القطان وقال محمد بن سعد كان ثقة وكان به صمم ووضح كثير واصابه الفالج قبل ان يموت وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعمرو بن حريث وعمرو بن سلمة وواثلة بن الاسقع قال الواقدي ويحيى بن معين كان يسكن الصفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال الواقدي اسلم واثلة والنبي صلى الله عليه وسلم يتجهز الى تبوك في اخر الامر قال واثلة قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم بعدي اذا شبعتم من خبز البر والزيت فاكلتم الوان الطعام ولبستم انواع الثياب فانتم اليوم خير ام ذلك اليوم قال قلنا ذلك اليوم قال بل انتم اليوم خير قال

واثلة فما ذهبت عنا الايام حتى اكلنا الوان الطعام ولبسنا انواع الثياب وركبنا المراكب شهد واثلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزلها ومسجده بها عند حبس باب الصغير من القبلة قلت وقد احترق مسجده في فتنة تمرلنك ولم يبق منه الا رسومه وعلى بابه من الشرق قناة ماء قال المولف وهو اخر من توفي بدمشق من الصحابة قاله سعيد بن بشير وقد قال البخاري وغيره انه توفي سنة ثلث وثمانين والله اعلم خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب بن امية كان اعلم قريش بفنون العلم وله يد طولى في الطب وكلام كثير في الكيميا وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانس وكان خالد فصيحا بليغا شاعرا مطيقا كابيه دخل يوما على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن ابي العاص فاشتكى اليه ان ابنه الوليد يحتقر اخاه عبد الله بن يزيد فقال عبد الملك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فقال خالد واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال خالد والوليد لا يقيم اللحن فقال عبد الملك ان اخاه سليمان لا يلحن فقال خالد وانا اخو عبد الله لا الحن فقال الوليد وكان حاضرا لخالد بن يزيد اسكت فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا امير المومنين ثم اقبل خالد على الوليد فقال ويحك ومن هو العير والنفير غير جدي ابي سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطايف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت يعني ان الحكم كان منفيا بالطايف يرعى غنما ويأوي الى حبلة الكرم حتى اواه عثمان بن عفان حين ولي فسكت الوليد وابوه ولم يحيرا جوابا والله سبحانه اعلم

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نايب الحجاج على مرو وخراسان بلادا كثيرة من ارض الترك وغيرهم من الكفار وسبى وغنم وسلم وتسلم قلاعا وحصونا وممالك ثم قفل فسبق الجيش فكتب اليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له اذا كنت قاصدا بلاد العدو فكن في مقدمة الجيش واذا قفلت راجعا فكن في ساقة الجيش يعني لتكون ردءا لهم من ان ينالهم احد من العدو وغيرهم بكيد وهذا راي حسن وعليه جاءت السنة وكان في السبي امراة برمك والد خالد بن برمك فاعطاها قتيبة اخاه عبد الله ابن مسلم فكان ولده منها عندهم حتى اسلموا فقدموا ابنهم ايام بني العباس كما سياتي ولما رجع قتيبة الى خراسان تلقاه دهاقين بلخ وصاغان بهدايا عظيمة ومفتاح من ذهب بلغار وفيها كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيات لانه اول ما بدا بالنسا فسمي بذلك وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وسلم وافتتح حصن بولق وحصن الاخرم من ارض الروم وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت اخيه عبد العزيز فدخلها في جمادى الاخرة وعمره يوميذ سبع وعشرين سنة وفيها هلك ملك الروم الاخرم بوري لا رحمه الله وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب وحج بالناس فيها

هشام

هشام بن اسماعيل المخزومي وفي هذه السنة توفي ابو امامة صدي بن عجلان الباهلي وعبد الله بن ابي اوفى وعبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي في قول شهد فتح مصر وسكنها وهو اخر من مات من الصحابة بمصر وله احاديث قلت يقال انه ابن اخي محمية بن جزء الزبيدي قد عمي في اخر ايامه فاكتفى بالانس بالخالق وذلوه عن رؤية الخلق قال له عبد العزيز بن مروان لعلك ان عميت لا عليك ان تموت فقال لا احب الموت لاجل تكبيرة او تسبيحة تزيد في الميزان واحب ذلك الى الله لحب الى ناما الخطايا فقد ذهبت وفيها في شوال منها توفي امير المومنين عبد الملك بن مروان والد الخلفا الامويين وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية ابو الوليد الاموي امير المومنين وامه عايشة بنت معاوية بن المغيرة بن ابي العاص بن امية سمع عثمان بن عفان وشهد الدار مع ابيه وله عشر سنين وهو اول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين واربعين وكان اميرا على اهل المدينة وله ست عشرة سنة ولاه اياها معوية وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء وروى الحديث عن ابيه وجابر وابي سعيد الخدري وابي هريرة وابن عمر ومعاوية وام سلمة وبريرة مولاة عايشة وروى عنه جماعة منهم خالد بن معدان وعروة والزهري وعمرو بن الحرث ورجا بن حيوة وحريز بن عثمان ذكر عن محمد بن سيرين ان اباه كان قد سماه القاسم فكان يكنى بابي القاسم ثم غير اسمه فسماه عبد الملك قال ابن ابي خيثمة عن مصعب الزبيري وكان اول من سمي في الاسلام بعبد الملك قال ابن ابي خيثمة واول من سمي في الاسلام باحمد والد الخليل بن احمد العروضي بويع له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة ابيه في خلافة ابن الزبير وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين وابن الزبير على باقي البلاد ثم استقل بالخلافة على ساير البلاد والاقاليم بعد مقتل ابن الزبير وذلك في سنة ثلث وسبعين الى هذه السنة كما ذكرنا ذلك وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقران وكان ربعة من الرجال اقرب الى القصر وكان اسنانه مشبكة بالذهب وكان افوه مفتوح الفم ربما غفل فينفتح فيدخل فيه الذباب ولهذا كان يقال له ابو الذباب وكان ابيض ربعة ليس بالنحيف ولا البادن مقرون الحاجبين اشهل كبير العينين مشرف الانف دقيق الوجه ابيض الراس واللحية حسن الوجه ولم يخضب ويقال انه خضب بعد وقد قال نافع لقد رايت المدينة وما فيها شاب اشد تشميرا ولا افقه ولا اقرا لكتاب الله من عبد الملك بن مروان وقال الاعمش عن ابي الزناد كان فقهاء المدينة اربعة سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة ابن ذويب وعبد الملك بن مروان قبل ان يدخل في الامارة وعن ابن عمر انه قال ولد الناس ابناء وولد مروان ابا يعني عبد الملك وراه يوما وقد ذكر اختلاف الناس فقال لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه وقال عبد الملك كنت اجالس بريدة ابن الخصيب فقال لي يوما يا عبد الملك ان فيك خصالا وانك لجدير ان تلي امر هذه الامة فاحذر الدما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل

ليدفع عن باب الجنة بعد ان ينظر اليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق وقد كان عبد الملك يجالس ام الدرداء فقالت له يوما يا عبد الملك انى لا توسمت فيك خصال الخلافة وانت منك رائحة الامارة فاذا وليت فاحذر الدماء فانى سمعت ابا الدرداء يقول ان الرجل ليحبس عن دخول الجنة بعد ان يراها بمحجمة دم اراقها بغير حق وقد راى عبد الملك رويا قبل ان يلي الخلافة فقصها على سعيد بن المسيب فعبرها له بانه يلي الخلافة قلت والذي حذرته منه ام الدرداء بريدة وقع فيه وسفك دماء كثيرة ولا سيما انه بعث على العراق الحجاج فقد جرى على يديه من سفك الدماء المحرمة ما لا يحصى والله سبحانه اعلم وقد ادى عليه قبل الولاية معاوية وعمرو بن العاص في قصة طويلة وقال سعيد بن داود الزبيري عن مالك عن يحيى بن سعيد قال اول من صلى ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه فقال سعيد بن المسيب ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم انما العبادة التفكر في امر الله والورع عن محارم الله وقال الشعبي ما جالست احدا الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه ولا شعرا الا زادني فيه وذكر خليفة بن خياط ان معاوية كتب الى مروان وهو نائبه على المدينة سنة خمسين ان ابعث ابنك عبد الملك على بعث المدينة الى بلاد المغرب مع معاوية بن خديج فذكر من كفايته وغنايته ومجاهدته في تلك البلاد شيئا كثيرا ولم يزل عبد الملك مقيما بالمدينة حتى كانت وقعة الحرة واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز واجلى بني امية من المدينة فقدم مع ابيه الى الشام ثم لما صارت الامارة مع ابيه وبايعه اهل الشام كما تقدم اقام في الامارة تسعة اشهر ثم عهد اليه بالامارة من بعده فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان او ربيع الاول من سنة خمس وستين واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الاولى الى هذه السنة وقال ثعلب عن ابن الاعرابي لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فاطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك وقال ابو الطفيل صنع لعبد الملك مجلس توسع فيه وقد كان بناه فيه قبة قبل ذلك فدخله وقال لقد كان ابن حنتمة الاحوذي يعني عمر بن الخطاب يرى ان هذا عليه حرام وقيل انه لما وضع المصحف من حجره قال هذا اخر العهد منك وكان عبد الملك له اقدام على سفك وكان عماله على مذهبه منهم الحجاج والمهلب وغيرهم وكان حازما فهما فطنا سايسا لامور الدنيا لا يكل امر دنياه الى غيره وامه عايشة بنت معاوية بن المغيرة بن ابي العاص وابوها معاوية هو الذي جدع انف حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وقال سعيد بن عبد العزيز لما خرج عبد الملك الى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الاسود الجرشي فلما التقوا قال اللهم احجز بين هذين الجبلين وول الامر احبهما اليك فظفر عبد الملك وقد كان مصعب من اعز الناس على عبد الملك وقد ذكرنا كيفية قتله مصعبا وقال سعيد بن عبد العزيز لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب اليه عبد الله بن عمر بن الخطاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن عمر الى عبد الله عبد الملك امير المؤمنين سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانك راع وكل راع مسئول عن رعيته الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا لا احد والسلام وبعث به مع سالم فوجدوا عليه اذ قدم اسمه

علام

على اسم امير المؤمنين ثم نظروا انه كتب الى معاوية فلم يجدوا ما كتبك فاحتملوا ذلك منه وقال الواقدي حدثني ابن ابي ميسرة عن ابي موسى الحناط عن ابي كعب قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول يا اهل المدينة ان احق الناس ان يلزم الامر الاول لانتم وقد سال علينا احاديث من قبل هذا المشرق لا نعرفها ولا نعرف منها الا قراءة القران فالزموا ما في مصحفكم الذي حملكم عليه الامام المظلوم وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها امامكم المظلوم رحمه الله فانه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت ونعم المشير كان للاسلام رحمه الله فاحكما ما احكما واسقطا ما شذ عنهما وقال ابن جريج عن ابيه حج علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين فخطبنا فقال اما بعد فانه كان من قبلي من الخلفاء ياكلون من المال ويؤكلون واني والله لا اداوي ادواء هذه الامة الا بالسيف ولست بالخليفة المستضعف يعني عثمان ولا الخليفة المداهن يعني معاوية ولا الخليفة المابون يعني يزيد بن معاوية ايها الناس انا نحتمل لكم كل الغرمة ما لم يكن عقد راية او وثوب على منبر هذا عمرو بن سعيد حقه حقه وقرابته قرابته قال براسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا وان الجامعة التي خلعها من عنقه عندي وقد اعطيت الله عهدا ان لا اضعها في راس احد الا اخرجها الصعدا فليبلغ الشاهد الغايب وقال الاصمعي حدثنا عباد بن مسلم بن عثمان بن زياد عن ابيه عن جده قال ركب عبد الملك بن مروان بكرا فانشا قايده يقول

يا ايها البكر الذي اراكا • عليك سهل الارض في ممشاكا •
ويحك هل تعلم من علاكا • خليفة الله الذي امتطاكا •
لم يحب بكرا مثل ما حباكا •

فلما سمعه عبد الملك قال ايها يا هناه قد امرت لك بعشرة الاف وقال الاصمعي خطب عبد الملك فحصر فقال ان اللسان بضعة من الانسان وانا نسكت حصرا ولا ننطق هذرا ونحن امراء الكلام فينا رسخت عروقه وعلينا تدلت اغصانه وبعد مقامنا هذا مقام وبعد عينا هذا مقال وبعد يومنا هذا ايام يعرف فيها فصل الخطاب ومواقع الصواب وقال الاصمعي قيل لعبد الملك لقد اسرع اليك الشيب فقال وكيف لا وانا اعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة او مرتين وقال غيره قيل لعبد الملك اسرع اليك الشيب فقال شيبني كثرة ارتقاء المنابر ومخافة اللحن ولحن رجل عند عبد الملك فقال له عبد الملك زد الفا فقال الرجل وانت زد الفا وقال الزهري سمعت عبد الملك يقول في خطبته ان العلم سيقبض قبضا سريعا فمن كان عنده علم فليظهره غير غال فيه ولا جاف عنه وروى ابن ابي الدنيا ان عبد الملك كان يقول لمن يسايره في سفره اذا رفعت له شجرة سبحوا بنا حتى ناتي تلك الشجرة وكبروا بنا حتى ناتي تلك الحجر ونحو ذلك وروى البيهقي ان عبد الملك وقع منه فلس في بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى اخرجه منها فقيل له في ذلك فقال انه كان عليه اسم الله عز وجل وقال غيره احد كان عبد الملك اذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيافون على راسه بالسيوف فينشد وقال بعضهم يامر من ينشد

انا اذا نالت دواعي الهوى • وانصت السامع للقايل •
واصطرع الناس بالبابهم • نقضي بحكم عادل فاصل •
لا نجعل الباطل حقا ولا • نلط دون الحق بالباطل •

نحن اذا تشغد احلامنا   فتجهل الحلوم الجاهل

وقال الاعمش اخبرني محمد بن الزبير ان انس بن مالك كتب الى عبد الملك يشكوا الحجاج ويقول في كتابه لو ان رجلا خدم عيسى بن مريم او رآه او صحبه تعرفه النصارى او تعرف مكانه لهاجرت اليه ملوكهم ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ولعرفوا له ذلك ولو ان رجلا خدم موسى او رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا واني خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ورايته واكلت معه ودخلت وخرجت وجاهدت معه اعداءه وان الحجاج قد اضر بي وفعل وفعل قال فاخبرني من شهد عبد الملك يقرا الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله ثم كتب الى الحجاج بكتاب غليظ فجاء الى الحجاج فقراه فتغير ثم قال لحامل الكتاب انطلق بنا اليه نترضاه وقال ابو بكر بن دريد كتب عبد الملك الى الحجاج في ايام ابن الاشعث انك اعز ما يكون بالله احوج ما تكون اليه واذل ما تكون للمخلوق احوج ما تكون اليهم واذا اعززت بالله فاعف عنه فانك به تعز واليه ترجع قال بعضهم سال رجل من عبد الملك ان يخلو به فامر من عنده بالانصراف فلما خلى به واراد الرجل ان يتكلم قال له عبد الملك احذر في كلامك ثلاثا اياك ان تمدحني فاني اعلم بنفسي منك او تكذبني فانه لا راي لكذوب او تسعى الي باحد من الرعية فانهم الى عدلي وعفوي اقرب منهم الى جوري وظلمي وان شئت اقلتك فقال الرجل اقلني فاقاله وكذا كان يقول للرسول اذا قدم عليه من الافاق اعفني من اربع وقل ما شئت لا تطرني فلا تجبني فيما لم اسالك عنه ولا تكذبني ولا تحملني على الرعية فانهم الى رافتي ومعدلتي احوج وقال الاصمعي عن ابيه قال اتي عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج اليه فقال اضربوا عنقه فقال يا امير المؤمنين ما كان هذا جزاي منك فقال وما جزاؤك قال والله ما خرجت مع فلان الا بالنظر لك وذلك اني رجل مشوم ما كنت مع رجل قط الا غلب وهزم وقد بان لك صحة ما ادعيت وكنت عليك خيرا لك من مائة الف معك فتضحك لقد كنت مع فلان فكسر وهزم وتفرق جمعه وكنت مع فلان فقتل وكنت مع فلان فهزم حتى عد جماعة من الامرا فضحك وخلى سبيله وقيل لعبد الملك اي الرجال افضل قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قوة وقال ايضا الطمانينة قبل الخبرة فان الطمانينة قبل الخبرة ضد الحزم وقال خير المال ما افاد حمدا او دفع ذما ولا يقولن احدكم ابدا بعض تعول فان الخلق كلهم عيال الله وينبغي ان يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث وقال المدايني قال عبد الملك لمؤدب اولاده وهو اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر علمهم الصدق كما تعلمهم القران وجنبهم السفلة فانهم اسوا الناس رغبة في الخير واقلهم ادبا وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة واحف شعورهم تغلظ رقابهم واطعمهم اللحم يقووا وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ومرهم ان يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ولا يعبوا عبا واذا احتجت ان تتناولهم بادب فليكن ذلك في ستر لا يعلم بهم احد من الغاشية فيهونوا عليهم وقال الهيثم بن عدي اذن عبد الملك للناس في الدخول عليه اذنا خاصا فدخل شيخ رث الهيئة لم يابه له الحرس فالقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر اين ذهب واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الانسان ان الله قد جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ذلك يوم مجموع

لد الناس

له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود وان الذي انت فيه لو بقي لغيرك ما وصل اليك فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا واني احذرك يوم ينادي المنادي احشروا الذين ظلموا وازواجهم الا لعنة الله على الظالمين قال فتغير وجه عبد الملك ودخل دار حرمه ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك اياما وكتب زر بن حبيش الى عبد الملك كتابا وفي اخره ولا يطمعك يا امير المؤمنين في طول البقا ما يظهر لك من صحتك فانت اعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الاولون •

• اذا الرجال ولدت اولادها • وبليت من كبر اجسادها •
• وجعلت اسقامها تعتادها • تلك زروع قد دنى حصادها •

فلما قراه عبد الملك بكى حتى بل طرف ثوبه ثم قال صدق زر ولو كتب الينا بغير هذا كان ارفق وسمع عبد الملك جماعة من اصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال انها عن ذكر عمر فانه مرارة للامرا مفسدة للرعية قلت صدق فان الامرا لو تلبسوا ابدا له وعيشه لراوه مرا عندهم ما هم فيه من لذة عيشهم لان كان عمر برا ما احراثا واسرافا وظلا وجول وقد كان عمر يود ان يشتري في الاسبوع مرتين لحما ونادى مناد بها الا تجتمعوا بين اللحم والسمن ونحو ذلك من سيرته العزيزة العادلة المعروفة واما مفسدتها للرعية فانهم اذا سمعوا عون عمر للضعيف والارملة والمسكين والصغير والكبير ومواساته لهم في مال الله وشدة عيشه وهو في خاصة نفسه واهله وغير ذلك مما لا تقلب للرعايا اليه وتشوفت على ولاتهم وامرائهم وطلبوا منهم القيام بسيرة عمر فيهم ولهذا روي عن عايشة زينوا مجالسكم بذكر عمر فانه اذا ذكر ذكر العدل والله اعلم وقال ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن ابيه عن جده قال كان عبد الملك يجلس في حلقة ام الدردا في مؤخر المسجد بدمشق فقالت له بلغني انك شربت الطلا بعد العبادة والنسك فقال اي والله والدما ايضا قد شربتها ثم جاء غلام كان قد بعثه في حاجة فقال له ما حبسك لعنك الله فقالت ام الدردا لا تفعل يا امير المؤمنين فاني سمعت ابا الدردا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة لعان وقال ابو بكر بن ابي الدنيا ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال قيل لسعيد بن المسيب ان عبد الملك بن مروان قال قد صرت لا افرح بالحسنة اعملها ولا احزن على السيئة ارتكبها فقال سعيد الآن تكامل موت قلبه اعلم بتوفيه حياة قلبه وقيل ما ذا من عدم الايمان فانما المؤمن من سرته حسنته وساءته سيئته فاذا لم تسره الحسنة وتسوه السيئة فهو ميت القلب عديم الايمان وان قال بلسانه وعمل بجوارحه فالله اعلم وقال الاصمعي عن ابيه قال خطب عبد الملك يوما خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديدا ثم قال يا رب ان ذنوبي عظيمة وان قليل عفوك اعظم منها اللهم فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي قال فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام وقد روي غير واحد نحو ذلك اي انه لما بلغه هذا الكلام قال مثل مقالة الحسن وقال المسهر الدمشقي وضع سماط عبد الملك يوما بين يديه فقال لحاجبه ايذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد فقال مات يا امير المؤمنين قال فلابيه عبد الله بن خالد بن اسيد قال مات قال فخالد بن يزيد بن معاوية قال مات قال ففلان وفلان حتى عد اقواما قد ماتوا وهو يعلم ذلك فبكى وامر برفع السماط وانشا يقول •

• ذهبت لذاتي وانقضت ايامهم • وغبرت بعدهم ولست بخالد •

وقيل انه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك ما هذا اتحن حنين الجارية والامة اذا انا مت فشمر واتزر والبس جلد النمر وضع الامر عند اقرانها واحذر قريش ثم قال له يا وليد اتق الله فيما اخلفك فيه واحفظ وصيتي وانظر الى اخي معاوية فصل رحمه واحفظني فيه وانظر الى اخي محمد فاقره على الجزيرة ولا تعزله عنها وانظر ابن عمنا علي بن عباس فانه قد انقطع الينا بمودته ونصيحته وله نسب وحق فصل رحمه واعرف حقه وانظر الحجاج بن يوسف فاكرمه فانه هو الذي مهد لكم البلاد وقهر الاعداء واخلص لكم الملك وشتت الخوارج وانهاك واخوتك عن الفرقة وكونوا اولاد ام واحدة وكونوا في الحرب احرارا وللمعروف منارا فان الحرب لم تدن منية قبل وقتها وان المعروف يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالمحبة ويذلل الالسنة بالذكر الجميل ولله در القائل

• ان الامور اذا اجتمعن فرامها • بالكسر ذو حنق وبطش باليد •
• عزت فلم تكسر وان هي بددت • فالكسر والتوهين للمتبدد •

ثم قال اذا انا مت فادع الناس فمن ابى فالسيف وعليك بالاحسان الى اخواتك فاكرمهن واحبهن الى فاطمة وكان قد اعطاها قرطي مارية والدرة اليتيمة ثم قال اللهم احفظني فيها فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها ولما احتضر سمع غسالا يغسل الثياب فقال ما هذا فقالوا غسال فقال يا ليتني كنت غسالا اكسب ما اعيش به يوما بيوم ولم ال الخلافة ثم تمثل

• لعمري لقد عمرت في الملك برهة • ودانت لي الدنيا بوقع البواتر •
• واعطيت حمر المال والحكم والنهى • ودان لي قمم الملوك الجبابر •
• فاضحى الذي قد كان مما يسرني • كحلم مضى في المزمنات الغوابر •
• فيا ليتني لم اعن في الملك ليلة • ولم اعن في اللذات عيش نواضر •
• وكنت كذي طمرين عاش ببلغة • من العيش حتى زار ضيق المقابر •

وقد انشد هذه الابيات معاوية بن يزيد بن ابي سفيان عند موته وقال ابو مسهر قيل لعبد الملك في مرضه كيف تجدك فقال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الاية وقال سعيد بن عبد العزيز لما احتضر عبد الملك امر بفتح الابواب من قصره فلما فتحت سمع قصارا بالوادي فقال ما هذا قالوا قصار فقال يا ليتني كنت قصارا اعيش من عمل يدي فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله قال الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون الينا ولا نفر اليهم وقال لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب بيده على راسه ويقول وددت اني كنت اكتسب قوتي يوما بيوم واشتغلت بعبادة ربي عز وجل وطاعته وقال غيره لما حضرته الوفاة دعا بنيه فوصاهم ثم قال الحمد لله الذي لا يسال احدا من خلقه صغيرا ولا كبيرا ثم انشد

• فهل من خالد اما هلكنا • وهل بالموت للباقين عار •

ويروى انه قال ارفعوني فرفعوه حتى شم الهوى وقال يا دنيا ما اطيبك ان طويلك لقصير وان كثيرك لحقير وانا كنا منك لفي غرور ثم تمثل بهذين البيتين ويروى ان معاوية قالهما في هذه الحال

• ان تناقش يكن نقاشك يا رب • عذابا لا طوق لي بالعذاب •

او تجـ

• او تجاوز فانت رب صفوح • عن مسيء ذنوبه كالتراب

قالوا وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل الخميس في النصف من شوال سنة ست وثمانين وصلى عليه ابنه وولي عهده من بعده وكان عمره يوم مات ستين سنة قاله ابو معشر وصححه الواقدي وقيل ثلث وستون قاله المدائني وقيل ثمان وخمسون ودفن بباب الجابية الصغير قال ابن جرير وذكر اولاده وازواجه فمنهم الوليد وسليمان ومروان الاكبر درج وعايشة وامهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحرث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث ومروان الاصغر ومعاوية درج وام كلثوم وامهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن ابي سفيان وهشام وامه ام هشام عايشة فيما قاله المدائني بنت هشام بن اسماعيل المخزومي وابو بكر واسمه بكار وامه عايشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي والحكم درج وامه ام ايوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الاموي وفاطمة وامها ام المغيرة بنت المغيرة ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لامهات اولاد شتى فكان جملة اولاده ستة عشر ذكورا واناثا وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة منها تسع سنين مشاركا لابن الزبير وثلث عشرة سنة وثلاثة اشهر ونصف مستقلا بالخلافة وحده وكان قاضيه ابو ادريس الخولاني وكاتبه روح بن زنباع وحاجبه يوسف مولاه وصاحب بيت المال والخاتم قبيصة بن ذويب وعلى شرطته ابو الزعيزعة وقد ذكرنا عماله فيما مضى قال المدائني وكان له زوجات اخر شقرا ابنة مسلم بن حلبس الطائي وابنة لعلي بن ابي طالب وام ابيها بنت عبد الله بن جعفر

ومن يذكر انه توفي في هذه السنة تقريبا

ارطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن ضمرة بن عقفان بن ابي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ابو الوليد المري ويعرف بابن سهية وهي امه بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن حيثم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف شبيبة من كلب وكانت عند ضرار بن الازور ثم صارت الى زفر وهي حامل فاتت بارطاة على فراشه وقد عمر ارطاة دهرا طويلا حتى جاوز المائة بثلثين سنة وقد كان سيدا شريفا مطاعا ممدحا شاعرا مطيقا قال المدائني ويقال لابني عقفان بن حنظلة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث دخلوا في بني مرة بن نشبة فقالوا بني عقفان بن ابي حارثة بن مرة وقد وفد ابو الوليد ارطاة بن زفر هذا على عبد الملك فانشده ابياتا

• رايت المرء تاكله الليالي • كاكل الارض ساقطة الحديد •
• وما تبغي المنية حين تاتي • على نفس ابن آدم من مزيد •
• واعلم انها ستكر حتى • توفي نذرها بابي الوليد •

قال ففزع عبد الملك وظن انه عناه بذلك فقال يا امير المؤمنين انما عنيت نفسي فقال عبد الملك وانا والله سيمر بي الذي يمر بك وزاد بعضهم في هذه الابيات

• خلقنا انفسا وبني نفوس • ولسنا بالسلام ولا الحديد •

لقد جمعت بالقرنا يوما • لقد متعت بالامل البعيد •   وهو القائل

واني لقوام لدى الضيف موهنا • اذا اسبل الستر البخيل المواكل •

دعى فاجابته كلاب كثيرة • على ثقة مني باني فاعل •

وما دون ضيفي من تلاد تحوزه • لي النفس الا ان تصان الحلايل •

يونس بن عطية الحضرمي

قاضي مصر وصاحب الشرطة في ايام عبد العزيز بن مروان ثم تولى بعده القضا ابن اخيه اوس بن عبد الله • مطرف بن عبد الله بن الشخير كان من كبار التابعين وكان من اصحاب عمران بن حصين وكان مجاب الدعوة وكان يقول لما اوتي احد افضل من العقل وعقول الناس على قدر زمانهم وقال اذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله هذا عبدي حقا وقال اذا دخلتم على مريض فان استطعتم ان يدعو لكم فانه قد حرك اي قد اوقظ من غفلته بسبب مرضه فدعاوه مستجاب من اجل كسره ورقة قلبه وقال انا قبيح ما طلبت به الدنيا عمل الاخرة وقال لبعض اخوانه اذا كانت لك الحاجة فلا تكلمني فيها فاني اكره ان ارى ذل السوال في وجهك ولكن اكتبها في رقعة وادفعها الي وكان يقول ان هذا الموت قد افسد على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة لما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وكان مطرف اذا دخل بيته سبحت معه انية بيته وكان يسكن البادية ويجي منها الى الجمعة فبكر مرة بمقبرة فنعس فنام عند القبور فراى في منامه اهل القبور على افواه قبورهم فقالوا هذا مطرف يذهب الى الجمعة قال فقلت لهم وتعرفون الجمعة من غيرها قالوا نعم ونعرف ما يقول الطير فيه في جو السما قال فقلت وما يقول قالوا يقول سلام سلام ليوم صالح وكان يقول يا اخوتاه اجتهدوا في الاعمال الصالحة فان يكن الامر كما نرجو من رحمة الله كان لنا درجات في الجنة وان يكن الامر شديدا كما نخاف لم نقل ربنا ارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل نقول قد عملنا فلم ينفعنا وكان يدعو اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن العبد وهو عنه غير راض وكان مطرف قد حفر في داره قبرا فكان كل يوم ينزل اليه فيصلي فيه ويقرا القران توفي مطرف بالبصرة وكان له منزلة عند الخلفاء والملوك والامرا وكان هو من ازهد الناس فيهم وكان مجاب الدعوة كذب عليه رجل عند بعض الامرا فقال مطرف يا هذا ان كنت كاذبا عجل الله حتفك فوقع الرجل ميتا مكانه والله سبحانه اعلم قلت قد تقدمت ترجمة مطرف في الوفيات والله اعلم

خلافة الوليد بن عبد الملك

بايع جامع دمشق لما رجع من دفن ابيه خارج باب الجابية الصغير وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة النصف من شوال من هذه السنة لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر منبر المسجد الاعظم بدمشق فخطب الناس فكان مما قال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان بموت امير المومنين والحمد لله على ما انعم به علينا من الخلافة قوموا فبايعوا فكان اول من قام اليه عبد الله بن همام السلولي وهو يقول •

الله اعطاك التي لا فوقها • وقد اراد الملحدون عوقها •

عنك ويابى الله الا سوقها • اليك حتى قلدوك طوقها •

ثم بايعه وبايع الناس بعده وذكر الواقدي انه حمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه لا مقدم لما اخر الله ولا موخر لما قدم الله وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ما كتبه على انبيايه وحملة عرشه وملايكته الموت وقد صار الى منازل الابرار ولي هذه الامة بالذي يحق عليه لله من الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفضل واقامة ما اقام الله من منار الاسلام واعلامه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارات على اعداء الله عز وجل فلم يكن عاجزا ولا مفرطا ايها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الواحد ايها الناس من ابدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ومن سكت مات بدايه ثم نزل فنظر الى ما كان من دواب الخلافة فحازها وكان جبارا عنيدا وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب وانما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما سيأتي بيانه وكما تقدم تقريره في دلايل النبوة في باب الاخبار عن الغيوب المستقبلة فيما يتعلق بدولة بني امية واما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صينا في نفسه حازما في رايه يقال انه لا يعرف له صبوة

ومن جملة محاسنه ما صح عنه انه قال

فصل فيما يتعلق باللوطة

لولا ان الله قص علينا قصة قوم لوط في كتابه ما ظننت ان ذكرا ياتي ذكرا كما توتى النسا كما سيأتي ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته فليت شعري عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة والفاحشة المذمومة التي عذب الله اهلها بانواع العذاب وعاقبهم بانواع العقوبات واحل بهم انواعا من المثلات التي لم يعاقب بها احدا من الامم السالفة وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلي بها غالب الملوك والامرا والتجار والعوام والكتاب والفقها والقضاة ونحوهم الا من عصم الله منهم فان في اللواط من المفاسد ما يتجاوز ما يفوت الحصر والتعداد ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه ولان يقتل المفعول به خير من ان يوتى في دبره فانه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح ابدا الا ان يشا الله ويذهب خير المفعول به فعلى الرجل حفظ ولده في حال صغره وبعد بلوغه وان يجنبه مخالطة هولاء الملاعين الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول به على قولين والصحيح في المسيلة ان يقال ان المفعول به اذا تاب توبة صحيحة نصوحا ورزق انابة الى الله وصلاحا وبدل سياته بحسنات وغسل عنه عار ذلك بانواع الطاعات وغض بصره وحفظ فرجه واخلص معاملته لربه فهذا ان شا الله مغفور له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب للتايبين اليه ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون ومن تاب واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم واما مفعول به صار في كبره شرا منه في صغره فهذا توبته متعذرة وبعيد ان يوهل لتوبة صحيحة او لعمل صالح يمحو به ما قد سلف ويخشى عليه من سو الخاتمة كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بادرانهم واوساخهم لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدنيا وبعضهم ختم له بشر خاتمة حتى اوقعه عشق الصور في الشرك الذي لا يغفره الله وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من اصحاب

الله

الشهوات يطول هذا الفصل بذكرها والمقصود ان الذنوب والمعاصي والشهوات يخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الايمان فيقع في سوء الخاتمة قال تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا بل قد وقع سوء الخاتمة لخلق لم يفعلوا فاحشة اللواط وقد كانوا متلبسين بذنوب اهون منها وسوء الخاتمة اعاذنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله وصدق في اقواله واعماله فان هذا لم يسمع به كما ذكره عبد الحق الاشبيلي وانما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقدا او ظاهره عملا ولمن له جراة على الكبائر واقدام على الجرائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة والمقصود ان مفسدة اللواط من اعظم المفاسد وكانت لا تعرف بين العرب قديما كما قد ذكر ذلك عن غير واحد منهم فلهذا قال الوليد بن عبد الملك لولا ان الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القران ما ظننت ان ذكرا يعلو ذكرا وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط ثلث مرات ولم يلعن على ذنب ثلاث مرات الا عليه وانما امر بقتل الفاعل والمفعول به لانه لا خير في بقائهما بين الناس لفساد طويتهما وخبث بواطنهما فمن كانت بهذه المثابة فلا خير للخلق في بقائه بينهم فاذا اراح الله الخلق منهما صلح لهم امر معاشهم ودينهم واما اللعنة فهي الطرد والبعد ومن كان مطرودا مبعدا عن الله وعن رسوله وعن كتابه وصالح عباده فلا خير فيه ولا في قربه ومن رزقه الله تعالى توسما وفراسة ونورا وفرقانا عرف بسيما الناس في وجوههم باعمالهم فان اعمال العمال باينة ولا تخفى على وجوههم وفي اعينهم وكلامهم وقد ذكر الله تعالى التوسم عقب ذكر اللوطية وجعل ذلك ايات للمتوسمين فقال تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين وما بعدها وقال تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم ونحو ذلك من الايات والاحاديث فاللوطي قد عكس الفطرة وقلب الامر فاتى ذكرا مثله فقلب الله قلبه وعكس عليه امره فبعد صلاحه وفلاحه الا من تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وخصال التايب قد ذكرها الله في اخر سورة براءة فقال التايبون العابدون فلابد للتايب من العبادة والاشتغال بالعمل للاخرة والا فالنفس همامة متحركة ان لم تشغلها بالحق والا شغلتك بالباطل فلابد للتايب من ان يبدل تلك الاوقات التي مرت له في المعاصي باوقات الطاعات وان يتدارك ما فرط فيه من طاعة وان يبدل تلك الخطوات بخطوات الى الخيرات ويحفظ لحظاته وخطواته ولفظاته وخطراته قال رجل للجنيد اوصني فقال توبة تحل الاصرار وخوف يزيل الغرة ورجاء مزعج الى طرق الخيرات ومراقبة الله في خواطر القلوب فهذه صفات التايب ثم قال تعالى الحامدون السايحون الراكعون الساجدون الاية فهذه خصال التايب كما قال تعالى التايبون فكان قايلا يقول من هم قيل هم العابدون السايحون الى اخر الاية والا فكل تايب يتلبس بعد توبته بما يقربه الى من تاب اليه

والافهو

اخر ما يتعلق باللواط

والا فهو في تردد وادبار الى قرب واقبال كما يفعل من اغتر بالله من المعاصي المحظورات ويدع الطاعات فان ترك الطاعات معاصي هي اشد واعظم من ارتكاب المحرمات بالشهوة النفسية فالتايب هو من اتقى المحذور وفعل المامور وصبر على المقدور والله سبحانه هو المعين الموفق وهو عليم بذات الصدور وهذا باب كبير نافع واسع اخر الزيادة قال المولف وهو باني جامع دمشق الذي لا يعرف في الافاق احسن بناء منه وقد شرع في بنايه في ذي القعدة من هذه السنة فلم يزل في بنايه وتحسينه مدة خلافته وهي عشر سنين فلما انهاه انتهت ايام خلافته كما سياتي بيان ذلك مفصلا وقد كان موضع هذا المعبد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة فاخذوا منها الجانب الشرقي فحولوه مسجدا وبقي الجانب الشرقي كنيسة بحالها من لدن سنة اربع عشرة الى هذه السنة فعزم الوليد على اخذ بقية الكنيسة منهم وعوضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف وقيل عوضهم عنها كنيسة توما وهدم بقية هذه الكنيسة واضافها الى مسجد الصحابة وجعل الجميع مسجدا واحدا على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس او اكثرهم لها نظيرا في البنيان والديارات والاثار والعمارات والله سبحانه اعلم

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

فيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن امرة المدينة وولى عليها ابن عمه وزوج اخته فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز فدخلها في ثلاثين بعيرا في ربيع الاول منها فنزل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه وعمره اذ ذاك خمس وعشرون سنة فلما صلى الظهر دعى عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وابو بكر بن سليمان بن ابي حثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر واخوه عبد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال اني انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه اعوانا على الحق اني لا اريد ان اقطع امرا الا برايكم او براي من حضر منكم فان رايتم احدا على الحق يتعدى او بلغكم عن عامل لي ظلامة فاحرج على من بلغه ذلك الا ابلغني فخرجوا من عنده يجزونه خيرا وافترقوا على ذلك وكتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز بان يوقف هشام بن اسماعيل للناس عند دار مروان وكان سيي الراي فيه لانه اساء الى اهل المدينة في مدة ولايته عليهم وكانت نحوا من اربع سنين ولا سيما الى سعيد بن المسيب والى علي بن الحسين واهل بيته فلما اوقف للناس قال ما اخاف الا سعيد بن المسيب والى علي بن الحسين واهل بيته فقال سعيد بن المسيب لابنه ومواليه لا يعرض منكم احد لهذا الرجل فاني تركت ذلك لله وللرحم واما كلامه فلا اكلمه ابدا واما علي بن الحسين فانه مر به وهو موقوف فلم يتعرض له وكان قد تقدم الى خاصته ان لا يعرض احد منهم له فلما اجتاز به وتجاوزه ناداه هشام الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفي هذه السنة غزا مسلمة ابن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقا كثيرا وفتح حصونا وغنم غنايم جمة ويقال ان الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق وحصن الاخرم وبحيرة الفرسان وحصن بولس وقميقم وقتل من المستعربة نحوا من الف وسبى

ذراريهم وفيها قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم نيزك على مال جزيل وعلى ان
يطلق كل من ببلاده من اسارى المسلمين وفيها غزا قتيبة بيكند فاجتمع له من الاتراك
عندها بشر كثير وجمع غفير وهي من اعمال بخارى فلما نزل بارضهم استنجدوا عليه باهل
الصغد ومن حولهم من الاتراك فاتوهم في جمع عظيم فاخذوا على قتيبة الطرق والمضايق
فتواقف هو وهم قريبا من شهرين وهو لا يقدر على ان يبعث اليهم رسولا ولا ياتيه منهم
رسول وابطا خبره على الحجاج حتى خاف عليه واشفق على من معه من المسلمين من كثرة
الاعداء من الترك فامر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك الى الامصار وقد كان
قتيبة ومن معه من المسلمين يقتتلون مع الترك في كل يوم وكان لقتيبة عين من
العجم يقال له تنذر فاعطاه اهل بخارا مالا جزيلا على ان يأتي قتيبة فيخذله عنهم
فجاء اليه فقال له اخلني فاخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين
فقال تنذر هذا عامل يقدم عليك سريعا بعزل الحجاج فلو انصرفت بالناس الى مرو
فقال قتيبة لمولاه سياه اضرب عنقه فقتله ثم قال لضرار لم يبق احد سمع هذا
غيري وغيرك واني اعطي الله عهدا ان ظهر هذا حتى ينقضي حربنا لالحقنك به فاملك
عليك لسانك فان انتشار هذا في مثل هذا الحال يضعف في اعضاد الناس ونصرة
للاعداء ثم نهض قتيبة فحرض على الناس على الحرب ووقف على اصحاب الرايات يحرضهم
فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم انزل الله على المسلمين الصبر فما انتصف النهار
حتى انزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلون
فيهم ويأسرون ما شاؤوا واعتصم من بقي منهم بالمدينة فامر قتيبة الفعلة بهدمها فسألوه
الصلح على مال عظيم فصالحهم وجعل عليها رجلا من اهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار
راجعا فلما كان منهم على خمسة مراحل نقضوا العهد وقتلوا الامير وجدعوا انف من كان
معه فرجع اليها فحاصرها شهرا وامر النقابين والفعلة فعلقوا سورها على الخشب
وهو يريد ان يضرموا النار فيها فسقط السور فقتل من الفعلة اربعين نفسا فسألوه
الصلح فابى ولم يبرح حتى افتتحها فقتل المقاتلة وسبى الذرية وغنم الاموال وكان
الذي البت على المسلمين رجل اعور منهم فاسر فقال انا افتدي نفسي بخمسة اثواب
صينية قيمتها الف الف فاشار الامراء على قتيبة بقبول ذلك منه فقال قتيبة
لا والله لا اروع بك مسلما مرة ثانية وامر به فضربت عنقه وهذا من الزهد في الدنيا
ثم ان الغنائم سيدخل فيها ما اراد ان يفتدي به فان المسلمين قد غنموا من بيكند
شيئا كثيرا من آنية الذهب والفضة والاصنام من الذهب كان من جملتها صنم سبك
فخرج منه مائة الف وخمسون الف دينار من ذهب ووجدوا في خزائن الملك اموالا
كثيرة وسلاحا كثيرا وعددا مستنوعة واخذوا من السبي شيئا كثيرا فكتب قتيبة الى الحجاج
في ان يعطي ذلك للجند فاذن له فتمول المسلمون وتقووا على قتال الاعداء وصار لكل واحد
منهم مال مستكثر جدا وصارت لهم اسلحة وعدد وخيول كثيرة فتقووا بذلك قوة عظيمة
ولله الحمد والمنة وقد حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة وقاضيه
بها ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعلى العراق والمشرق بكماله الحجاج ونائبه على البصرة الجراح
ابن عبد الله الحكمي وقاضيه بها عبد الله بن اذينة وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير

بن عبد الله البجلي وقاضيه بها ابو بكر بن ابي موسى الاشعري ونائبه على خراسان واعمالها
قتيبة بن مسلم وفيها توفي من الاعيان عتبة بن عبد السلمي صحابي جليل من اهل حمص
يروى انه شهد بني قريظة وعن العرباض انه كان يقول هو خير مني اسلم قبلي بسنة
قال الواقدي وغيره توفي في هذه السنة وقال غيره توفي بعد التسعين والله اعلم
قال ابو سعيد بن الاعرابي كان عتبة بن عبد السلمي من اهل الصفة وروى بقية عن
بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبد السلمي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو ان رجلا يجر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت في مرضات الله لحقره يوم القيمة
وقال اسماعيل بن عياش عن عقيل بن مدرك عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد قال
استكسيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العرى فكساني خيشتين فلقد رايتني
البسهما وانا اكسى اصحابي المقدام بن معدي كرب صحابي جليل من اهل حمص ايضا له احاديث
وروى عنه غير واحد من التابعين قال محمد بن سعد والفلاس وابو عبيد توفي في هذه
السنة وقال غيرهم توفي بعد التسعين فالله اعلم وابو امامة الباهلي من اهل
حمص واسمه صدي بن عجلان وهو راوي حديث تلقين الميت بعد الدفن رواه الطبراني
في الدعاء وقد تقدم له ذكر في الوفيات قبيصة بن ذويب ابو سعيد الخزاعي الذي
ولد عام الفتح واتي به النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو له وروى عن جماعة كثيرة من
الصحابة واصيبت عينه يوم الحرة وكان من فقهاء المدينة وكانت له منزلة عند
عبد الملك ويدخل عليه بغير اذن وكان يقرا الكتب اذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد
الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها وكان صاحب سره وكان له دار بدمشق بباب
البريد وتوفي بدمشق عروة بن المغيرة بن شعبة ولي امرة الكوفة للحجاج وكان شريفا
لبيبا مطاعا في الناس وكان احول توفي بالكوفة يحيى بن يعمر كان قاضي مرو وهو
اول من نقط المصاحف وكان من فضلاء الناس وعلمائهم وله احوال ومعاملات
وله روايات وكان احد الفصحاء اخذ العربية عن ابي الاسود الدولي شريح بن الحرث بن قيس
القاضي ادرك الجاهلية واستقضاه عمر على الكوفة فمكث بها قاضيا خمسا وستين
سنة وكان عالما عادلا كثير الخير حسن الاخلاق فيه دعابة كثيرة وكان كوسجا لا شعر
لوجهه وكذلك كان عبد الله بن الزبير والاحنف بن قيس وقيس بن سعد بن عبادة وقد
اختلف في نسبه وسنه وفي عام وفاته على اقوال ذكرها ابن خلكان وفاته في هذا العام والله
اعلم قلت قد تقدمت ترجمة شريح القاضي في سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة
الكثيرة على ما ذكره المولف هنا وهنالك

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن اخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك
فافتتحا من تخومها حصنا من المسلمين طوانة في جمادى من هذه السنة وكان حصنا
منيعا اقتتل الناس عنده قتالا عظيما ثم حمل المسلمون على النصارى فهزموهم
حتى ادخلوهم الكنيسة ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون
ولم يبق احد منهم في موقفه الا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجمحي فقال العباس
لابن محيريز اين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل فقال نادهم ياتوك فنادى

يا اهل القران فراجع الناس فحملوا على النصارى فكسروهم ولجاوا الى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه وذكر ابن جرير ان في شهر ربيع الاول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يامره بهدم المسجد النبوي واضافة حجر ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وان يوسعه من قبلته وسائر نواحيه حتى يكون مايتي ذراع في مايتي ذراع فمن باعك ملكه فاشتر منه والا فقومه له قيمة عدل ثم اهدم وادفع اليهم اثمان بيوتهم فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة واهل المدينة وقرا عليهم كتاب الوليد امير المومنين فشق ذلك عليهم وقالوا هذه حجر قصيرة السقوف وسقوفها من جريد النخل وحيطانها من اللبن وعلى ابوابها المسوح وتركها على حالها اولى لينظر اليها الحجاج والزوار والمسافرون والى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فينتفعوا بذلك ويعتبروا به ويكون ذلك ادعى لهم الى الزهد في الدنيا فلا يعمرون فيها الا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويكن ويعرفون ان هذا البنيان العالي انما هو من افعال الفراعنة والاكاسرة وكل طويل الامل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى الوليد بما اجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم فارسل اليه يامره بالخراب وبنا المسجد على ما ذكر وان يعلي سقوفه فلم يجد عمر بدا من هدمها ولما شرعوا في الهدم صاح الاشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم وتباكوا مثل يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم واجاب من له ملك متاخم للمسجد الى البيع فاشترى منهم وشرع في بنايه وشمر عن ازاره واجتهد في ذلك وارسل الوليد اليه فعولا كثيرة فادخل فيه الحجرة النبوية حجرة عايشة فدخل القبر في المسجد وكانت حده من الشرق وسائر حجر امهات المومنين كما امر الوليد وروينا انهم لما حفروا الحايط الشرقي من حجرة عايشة بدت لهم قدم فخشوا ان يكون قدم النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحققوا انها انما هي قدم عمر رضي الله عنه ويحكى ان سعيد بن المسيب انكر ادخال حجرة عايشة في المسجد كانه خشي ان يتخذ القبر مسجدا والله اعلم وذكر ابن جرير ان الوليد كتب الى ملك الروم يساله ان يبعث له صناعا للبنا فبعث اليه بماية صانع وفصوص كثيرة من اجل المسجد النبوي والمشهور ان هذا انما كان من اجل مسجد دمشق والله اعلم وكتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز ان يحفر الفوارة بالمدينة وان يجري ماها ففعل وامره ان يحفر الابار وان يسهل الطرق والثنايا وساق الى الفوارة الما من ظاهر المدينة والفوارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقيع الزبير فاعجبته وفيها غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كوربغانون ابن اخت ملك الصين ومعه مايتا الف مقاتل من اهل الصغد وفرغانة وغيرهم فاقتتلوا قتالا شديدا وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك اسيرا فكسرهم قتيبة بن مسلم وغنم منهم اموالا كثيرة وقتل منهم خلقا وسبى واسر وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من اشراف قريش فلما كان بالتنعيم لقيه طائفة من اهل مكة فاخبروه عن قلة الما بمكة لقلة المطر فقال لاصحابه الا نستمطر فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سقوا ودخلوا مكة ومعهم المطر وجاء سيل عظيم حتى خاف اهل مكة من شدة المطر ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى واخصبت الارض تلك السنة خصبا شديدا بمكة وما حولها وذلك

ببركة

ببركة دعاء عمر ومن كان معه من الصالحين وكان النواب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الله بن بسر بن ابي بسر المازني صحابي كابيه سكن حمص وروى عنه جماعة من التابعين قال الواقدي توفي في هذه السنة عن اربع وتسعين سنة زاد غيره وهو اخر من توفي من الصحابة بالشام وقد جا في الحديث انه يعيش قرنا فعاش ماية سنة عبد الله بن ابي اوفى علقمة بن خالد بن الحرث الخزاعي ثم الاسلمي صحابي جليل وهو اخر من بقي من الصحابة بالكوفة وكانت وفاته فيها قال البخاري سنة تسع او ثمان وثمانين وقال الواقدي وغير واحد سنة ست وثمانين وقد جاوز الماية وقيل قاربها رضي الله عنه وفيها توفي هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي المدني وكان حمو عبد الملك بن مروان ونايبه على المدينة وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب كما تقدم ثم قدم دمشق فمات بها وهو اول من احدث دراسة القران بجامع دمشق في السبع حكيم بن عمير زهير بن سالم ابو المخارق العنسي الشامي له رواية ولم يكن احد في الشام يستطيع ان يعيب الحجاج علانية الا هو وابن محيريز ابو الابيض قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن اخيه العباس بلاد الروم فقتل خلقا كثيرا وفتحا حصونا كثيرة منها حصن سورية وعمورية وهرقلة وقمولية وغنما شيا كثيرا واسرا جما غفيرا وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونسف وكش وقد لقيه هنالك خلق من الاتراك فظفر بهم فقتلهم وسار الى بخارا فلقيه دونها خلق كثير من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خرقان فظفر بهم فقال في ذلك نهار بن توسعة

وباتت لهم منا بخرقان ليلة ... وليلتنا كانت بخرقان اطولا

ثم قصد قتيبة وردان خذاه ملك بخارا فقاتله وردان قتالا شديدا فلم يظفر به قتيبة فرجع عنه الى مرو فجاءه البريد بكتاب الحجاج يعنفه على الفرار والنكول عن اعدا الاسلام وكتب اليه ان يبعث بصورة هذا يعني بخارا فبعث اليه بصورتها فكتب اليه ان ارجع اليها وتب الى الله من ذنبك وائتها من مكان كذا وكذا ورد وردان خذاه واياك والتخويط ودع عنك بنيات الطريق وفي هذه السنة ولى الوليد بن عبد الملك امرة مكة لخالد بن عبد الله القسري فحفر بيرا بامر الوليد عند ثنية طوى وثنية الحجون فجاءت عذبة الما طيبة وكان يستقي منها الناس وروى الواقدي حدثني عمر بن صالح عن نافع مولى بني مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب الناس ايها الناس ايهما اعظم خليفة الرجل على اهله ام رسوله اليهم والله لو لم تعلموا فضل الخليفة الا ان ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحا اجاجا واستسقى الخليفة فسقاه عذبا فراتا يعني البير التي احتفرها له بالثنيتين ثنية طوى وثنية الحجون فكان ينقل ماؤها

توضع في حوض من ادم الى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم قال ثم غارت تلك
البير فذهبت فما يدرى اين هي الى اليوم وهذا الاسناد غريب وهذا الكلام
يتضمن كفرا ان صح عن قايله وعندي ان خالد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام
وان صح فهو عدو الله وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من انه جعل
الخليفة افضل من الرسول الذي ارسله الله وكل هذه اقوال تتضمن كفر قايلها
وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم الترك حتى بلغ باب الابواب من ناحية اذربيجان
وفتح حصونا ومداين كثيرة من تلك وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز قال
شيخنا الذهبي وفي هذه السنة فتحت صقلية وميورقة وقيل ميرقة وهما
في البحر بين جزيرة صقلية وجدرة من بلاد الاندلس وفيها اسر موسى بن نصير
ولده الى الفرس ملك الفرنج ففتح بلادا كثيرة وفيها توفي من الاعيان عبد
الله بن ثعلبة بن صعير احد التابعين العذري الشاعر وقد قيل انه ادرك حياة
النبي صلى الله عليه وسلم ومسح على راسه وكان الزهري يتعلم منه النسب والعال
في هذه السنة هم المذكورون في التي قبلها والله سبحانه اعلم

ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ففتحا حصونا
وقتلا خلقا من الروم وغنما واسرا خلقا كثيرا وفيها اسرت الروم خالد بن كيسان صاحب
البحر فذهبوا به الى ملكهم فاهداه ملك الروم الى الوليد بن عبد الملك وفيها عزل
الوليد اخاه عبد الله بن عبد الملك عن امرة مصر وولى عليها قرة بن شريك وفيها
قتل محمد بن القاسم ملك السند داهر بن صعصعة وكان محمد بن القاسم هذا على
جيش من جهة الحجاج وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارا وهزم جميع العدو
من الترك بها وجرت بينهم فصول يطول ذكرها وقد تقصاها ابن جرير وفيها
طلب طرخون ملك الصغد بعد فتح بخارا من قتيبة ان يصالحه على مال يبذله له
في كل عام فاجابه قتيبة الى ذلك واخذ منه رهنا عليه وفيها استنجد وردان
خذاه بالترك فاتوه من جميع النواحي وهو صاحب بخارا بعد اخذ قتيبة لها
وخرج وردان خذاه وحمل على المسلمين فحطمهم ثم عاد المسلمون عليهم فقتلوا منهم
مقتلة عظيمة وصالح قتيبة ملك الصغد وفتح بخارا وحصونها ورجع قتيبة
بالجند الى بلاده فاذن له الحجاج فلما سار الى بلاده بلغه ان صاحب الصغد قال
لملوك الترك ان العرب بمنزلة اللصوص فان اعطوا شيا اخذوه ورجعوا عنهم وان
قتيبة ليس بملك ولا يطلب ملكا فبلغ قتيبة قوله فرجع اليهم فكاتب نيزك ملك
الترك الصلح الذي كان بينه وبين قتيبة واستجاش عليه بالملوك كلها فاتاه
ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصلح فنقضوا كلهم وصاروا يدا واحدة
على قتيبة واتعدوا الى الربيع وتعاهدوا وتعاقدوا على ان يجتمعوا فيقاتلوا كلهم
في فصل الربيع من السنة الاتية فقتل منهم قتيبة في ذلك الحين مقتلة عظيمة
جدا لم يسمع بمثلها وصلب منهم سماطين في مسافة اربعة فراسخ في نظام واحد وذلك
مما كسر جموعهم كلهم وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب واخواه المفضل وعبد الملك

من سجن

من سجن الحجاج فلحقوا بسليمان بن عبد الملك فامنهم من الحجاج وذلك ان الحجاج كان قد
احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة واخذ منهم ستة الاف الف فكان
اصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا فكان
ذلك يغيظ الحجاج حتى قال قايل للحجاج ان في ساقه اثر نشابة بقي نصلها فيه
وانه متى اصابها شي لا يملك نفسه ان يصرخ فامر الحجاج ان يؤذى في ذلك الموضع منه
بعذاب فصاح فلما سمعت اخته هند بنت المهلب وكانت تحت الحجاج صوته بكت
وناحت عليه فطلقها الحجاج ثم اودعهم السجن ثم خرج الحجاج الى بعض المحال ليتفقد
جيشا الى الاكراد واستصحبهم معه فخندق حولهم ووكل بهم الحرس فلما كان في بعض
الليالي امر يزيد بن المهلب بطعام كثير فصنع للحرس ثم تنكر في هيئة بعض الطباخين
وجعل لحيته لحية بيضاء وخرج فراه بعض الحرس فقال ما رايت مشية اشبه بمشية
يزيد بن المهلب من هذا ثم اتبعه يتحققه فلما راى بياض لحيته انصرف عنه ثم
لحقه اخواه فركبوا السفن وساروا نحو الشام فلما بلغ الحجاج هربهم انزعج لذلك
وذهب وهمه انهم ساروا الى خراسان فكتب الى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويامره
بالاستعداد لهم وان يرصدهم في كل مكان ويكتب الى امراء الثغور والكور بتحصيلهم وكتب
الى امير المومنين الوليد يخبره بهربهم وانه لا يراهم هربوا الا الى خراسان وخاف الحجاج من
يزيد ان يصنع كما صنع ابن الاشعث من الخروج عليه وجمع الناس له وتحقق عنده قول
الراهب واما يزيد بن المهلب فانه سلك على البطايح وجاءته خيول كان قد اعدها له اخوه
مروان بن المهلب لهذا اليوم فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد
فاخذ بهم على السماوة وجاء الخبر الى الحجاج بعد يومين ان يزيد قد سلك نحو الشام فكتب
الى الوليد يعلمه بذلك وسار يزيد حتى نزل الاردن على وهيب بن عبد الرحمن الازدي وكان
كريما على سليمان بن عبد الملك فسار وهيب الى سليمان بن عبد الملك فقال له ان يزيد بن
المهلب واخويه في منزلي قد جاوا مستعيذين بك من الحجاج قال فاذهب فاتني بهم فهم امنون
ما دمت حيا فجاءهم فذهب بهم حتى ادخلهم على سليمان بن عبد الملك فامنهم سليمان وكتب
الى اخيه الوليد ان ال المهلب قد امنتهم وانما بقي للحجاج عندهم ثلاثة الاف الف وهي عندي
فكتب اليه الوليد لا والله لا اومنه حتى تبعث به الي فكتب اليه لا والله لا ابعثه حتى اجي معه فانشدك
الله يا امير المومنين ان تفضحني او تخفرني في جواري فكتب اليه لا والله لا تجي معه وابعث
به الي في وثاق فقال يزيد ابعث بي اليه فما احب ان اوقع بينك وبينه عداوة وحربا فابعثني
اليه وابعث معي ابنك واكتب اليه بالطف عبارة تقدر عليها فبعثه وبعث معه ابنه
ايوب وقال لابنه اذا دخلت في الدهليز فادخل مع يزيد في السلسلة وادخلا عليه
كذلك فلما راى الوليد ابن اخيه في السلسلة قال والله لقد بلغنا من سليمان ثم دفع ايوب
كتاب ابيه الى عمه وقال يا امير المومنين نفسي فداوك لا تخفر ذمة ابي وانت احق من منعها
ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز في الانقطاع
الينا لعزنا بك ثم قرا الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فاذا فيه اما بعد يا امير المومنين
فوالله ان كنت لا اظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فانزلته واجرته انك لا تذل
جاري ولا تخفره بل لم اجر الا سامعا مطيعا حسن البلاء والاثر في الاسلام هو وابوه

واهل بيته وقد بعثت به اليك فان كنت انما تعد قطيعتي والاحسان بذمتي والابلاغ في مساق نفقد قدرت اذا انت فعلته انا اعيذك بالله من اجترار قطيعتي واثنتهاك حرمتي وترك بر كذا اجابتي لما سالتك وصلتي فوالله يا امير المومنين ما ادري ما بقاي وبقاك ولا متى يفرق الموت بيني وبينك فان استطاع امير المومنين ادام الله سروره ان لا ياتي اجل الوفاة علينا الا وهو لي واصل ولحقي مود وعن مساتي نازع فليفعل والله يا امير المومنين ما اصبحت بشي من امر الدنيا بعد تقوى الله فيها باسر مني برضاك وسرورك وان رضاك وسرورك لاحب الي من رضاي وسروري كيما التمس به رضوان الله عز وجل لصلتك ما بيني وبينك وان كنت يا امير المومنين يوما من الدهر تريد صلتي وكرامتي واعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد وكلما طلبته به فهو علي فلما قرا الوليد كتابه قال لقد شققنا على سليمان ثم دعى ابن اخيه فادناه منه وتكلم يزيد بن المهلب فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا امير المومنين ان بلاءكم عندنا احسن البلاء فمن ينس ذلك فلنا ننساه ومن يكفره فلسنا بكافريه وقد كان من بلائنا اهل البيت في طاعتكم والطعن في اعين اعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما ان المنة فيه علينا عظيمة فقال له اجلس فجلس فامنه وكف عنه ورده الى سليمان فكان عنده حسن الهيئة ويصف له الوان الاطعمة الطيبة الشهية وكان حظيا عنده لا يهدي اليه هدية الا ارسل اليه بنصفها وتقرب يزيد بن المهلب الى سليمان بانواع الهدايا والتحف والتقادم وكتب الوليد الى الحجاج اني لم اصل الى يزيد بن المهلب واهل بيته مع اخي سليمان فاكفف عنهم واله عن الكتاب الي فيهم فكف الحجاج عن ال المهلب وترك ما كان لهم من الاموال حتى ترك لابي عيينة بن المهلب الف الف درهم ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج في سنة خمس وتسعين كما سياتي بيانه ثم ولى يزيد بلاد العراق بعد الحجاج كما اخبره الراهب وفيها توفي من الاعيان تياذوق الطبيب الحاذق له مصنفات في فنه وكان حظيا عند الحجاج مات في حدود سنة تسعين بواسط وفيها توفي عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وابو العالية الرياحي قال قال لي اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يا ابا العالية لا تعمل لغير الله فيكلك الله الى من عملت له قال وكنا نحدث ان اعظم الذنوب ان يتعلم الرجل القران ثم ينام عنه حتى ينساه سنان بن سلمة بن المحبق احد الشجعان المذكورين اسلم يوم الفتح وتولى غزو الهند وطال عمره وتوفي في هذه السنة محمد بن يوسف الثقفي اخو الحجاج كان اميرا على اليمن وكان يلعن عليا على المنابر وقيل انه امر حجرا المدري ان يلعن عليا فقال بل لعن الله من يلعن عليا ولعنة الله على من لعنه الله وقيل انه ورى في لعنه فالله اعلم

خالد بن معاوية ابو هاشم الاموي الدمشقي

وكانت داره بدمشق تلي دار الحجارة وكان عالما شاعرا وينسب اليه شي من علم الكيميا وكان يعرف شيا من علوم الطبيعة روى عن ابيه ودحية الكلبي وعنه الزهري وغيره قال الزبير كان خالد يصوم الاعياد كلها الجمعة والسبت والاحد يعني يوم الجمعة وهو عيد المسلمين ويوم السبت وهو عيد اليهود والاحد للنصارى وقال ابو زرعة الدمشقي كان هو واخوه معاوية من خيار القوم وقد ذكر الخلافة بعد اخيه معاوية بن يزيد وكان ولي العهد من بعد مروان فلم يلتئم له الامر وكان مروان زوج امه ومن كلامه اقرب شي الاجل وابعد شي الامل وارجى شي العمل وقد

امتدحه

امتدحه بعض الشعرا فقال

سالت الندا والجود حران انتما • فردا وقالا اننا لعبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا • علي وقالا خالد بن يزيد

قال فامر له بماية الف فلما قدم رايتهما قد انشد اني خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال وقال خالد بن الوليد والله اعلم وخالد بن يزيد هذا كان اميرا على حمص وهو الذي بنى جامع حمص وكان له فيه اربعماية عبد يعملون فلما فرغ منه اعتقهم وكان خالد يبغض الحجاج وهو الذي اشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر ان يرسل اليه فيطلقها ففعل ولما مات مشى الوليد في جنازته وصلى عليه وكان قد تجدد على خالد امصفار وضعف فسال له عبد الملك عز ذلك فلم يخبره فما زال به حتى اخبره انه من حب رملة اخت مصعب بن الزبير فارسل عبد الملك يخطبها لخالد فقال لا حتى يطلق نساءه فطلقهن وتزوجها وانشد فيها الشعر وكانت وفاته في هذا العام وقيل في سنة اربع وثمانين وقد ذكرنا له والصحيح الاول عبيد الله بن الزبير بن سليم الاسدي الشاعر ابو كثير ويقال ابو سعد وهو مشهور وقد على عبد الله بن الزبير فامتدحه فلم يعطه شيا فقال لعن الله ناقة حملتني اليك فقال ابن الزبير ان وصاحبها يقال انه مات في زمن الحجاج

ثم دخلت سنة احدى وتسعين

فيها غزا الصايفة مسلمة بن عبد الملك وابن اخيه عبد العزيز بن الوليد وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية اذربيجان ففتح مداين وحصونا كثيرة ايضا وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة واذربيجان وولاها اخاه مسلمة بن عبد الملك وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدنا كثيرة ودخل في تلك البلاد وولج فيها حتى دخل اراضي غابرة قاصية فيها اثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ووجد هنالك من اثار نعمة اهل تلك البلاد ما يلوح على سماتها ان اهلها كانوا اصحاب اموال ونعمة دارة سابغة فبادوا جميعا فلا مخبر بها وفيها امد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد وذلك ان ملوكهم كانوا قد اتعدوا في العام الماضي اذا اتى الربيع ان يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة وان لا يولوا عن القتال حتى يخرج العرب من بلادهم فاجتمعوا اجتماعا هايلا لم يجتمعوا اشله في موقف فكسرهم قتيبة وقتل منهم امما كثيرة ورد الامور الى ما كانت عليه حتى ذكر انه صلب منهم في بعض المواضع في جملة من اخذه منهم سماطين طولهما اربعة فراسخ من ههنا وههنا عن يمينه وشماله وصلب الرجل منهم بجنب الرجل وهذا شي كثير وقتل في الكفار قتلا ذريعا ثم لا زال يتتبع بترك خان ملك الترك الاعظم من اقليم الى اقليم ومن كورة الى كورة ومن رستاق الى رستاق ولم يزل ذلك دابه ودابه حتى حصره في قلعة هنالك شهرين متتابعين حتى نفد ما عنده بترك خان من الاطعمة والشراب وهو ومن معه على الهلاك فبعث اليه قتيبة من جاءه به مستامنا مذموما مخذولا فسجنه عنده ثم كتب الى الحجاج في امره فجاء الكتاب بعد اربعين يوما بقتله فجمع قتيبة الامرا فاستشارهم فيه فاختلفوا عليه فقايل يقول اقتله وقايل يقول لا تقتله فقال له بعض الامرا انك اعطيت الله عهدا انك ان ظفرت به لتقتلنه وقد امكنك الله منه فقال قتيبة والله لو لم يبق من عمري

الا ان يشبع ثلث كلمات لقتلته ثم قال اقتلوه اقتلوه اقتلوه فقتل هو وسبع مائة
من اصحابه من اهل الراي في غداة واحدة واخذ قتيبة من اموالهم وخيولهم وابنائهم ونسائهم شيا
كثيرا وفتح في هذا العام مدنا كثيرة وقرى وممالك كثيرة واخذ حصونا كثيرة مشحونة بالاموال
والنساء ومن انية الذهب والفضة شيا كثيرا ثم سار قتيبة الى الطالقان وهي مدينة
كبيرة وبها حصون واقاليم فاخذها واستعمل عليها ثم سار الى الفارياب وبها مدن ورساتيق
فخرج اليه ملكها مستامنا مطيعا فاستعمل عليها رجلا من اصحابه ثم سار الى الجوزجان فاخذها من
ملكها واستعمل عليها ثم اتى بلخ فدخلها واقام بها نهارا واحدا ثم خرج منها وقصد نيزك
خان تبعا وقد نزل نيزك خان بعسكره على فم الشعب الذي منه يدخل الى بلاده وفي الشعب
قلعة عظيمة تسمى شمسة لعلوها وارتفاعها واتساعها فتقدم على قتيبة الروجان ملك
الذوب وسمنجان فاستامنه على ان يدله على مدخل القلعة فامنه وبعث معه رجالا الى
القلعة فاتوها ليلا ففتحوها وقتلوا خلقا من اهلها وهرب الباقي ودخل قتيبة
الشعب واتى سمنجان وهي مدينة كبيرة فاقام بها وارسل اخوه عبد الرحمن خلف ملك
تلك المدن والبلاد نيزك خان في جيش هايل فسار خلفه الى بغلان فحصره بها واقام يحاصره
شهرين حتى نفد ما عنده من الاقوات فارسل قتيبة من عنده ترجمانا يسمى سليما الناصح فقال
له اذهب فاتني بنيزك خان ولين عدت الي وليس هو معك ضربت عنقك فارسل قتيبة
معه هدايا واطعمة فاخرة فسار الترجمان الى نيزك حتى اتاه وقدم عليه الهدايا والاطعمة فوقع
عليها اصحابه يتخاطفونها وكانوا قد اجهدهم الجوع ثم اعطاه سليم الناصح الامان وحلف
له فقدم به على قتيبة ومعه سبع مائة امير من اصحابه ومن اهل بيته جماعة فكذلك استامن
قتيبة جماعة من الملوك فامنهم وولى على بلادهم والله سبحانه اعلم قال الواقدي وغيره وحج
بالناس في هذه السنة امير المومنين الوليد بن عبد الملك فلما قرب من المدينة امر عمر بن عبد
العزيز اشراف المدينة فتلقوه فرحب بهم واحسن اليهم ودخل المدينة النبوية فاخلي له
المسجد النبوي فلم يبق فيه احد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر احد ان يخرجه وانما عليه
ثياب لا تساوي خمسة دراهم فقالوا له تنح عن المسجد ايها الشيخ فان امير المومنين قادم
فقال والله لا اخرج منه فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه يصلي هاهنا وهاهنا ويدعو
الله عز وجل قال عمر بن عبد العزيز وجعلت اعدل به عن موضع سعيد خشية ان يراه فحانت
منه التفاتة فراه فقال من هذا اهو سعيد بن المسيب فقلت نعم يا امير المومنين
ولو علم بانك قادم لقام اليك وسلم عليك فقال الوليد قد علمت بغضته لنا فقلت
يا امير المومنين انه وانه وشرعت اثني عليه وشرع الوليد يثني عليه بالعلم والدين فقلت
يا امير المومنين انه ضعيف البصر وانما قلت ذلك لاعتذر له فقال نحن احق بالسعي
اليه فجاء فوقف عليه فسلم عليه فلم يقم له سعيد ثم قال له الوليد كيف الشيخ فقال
بخير والحمد لله كيف امير المومنين فقال الوليد بخير والحمد لله وحده ثم انصرف وهو يقول
لعمر بن عبد العزيز هذا بقية الناس فقال اجل يا امير المومنين قالوا ثم خطب الوليد على
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في الخطبة الاولة وانتصب قايما في الثانية
وقال هكذا خطب عثمان ثم انصرف فصرف على الناس من اهل المدينة ذهبا كثيرا وفضة
كثيرة ثم كسى المسجد النبوي كسوة من كسوة الكعبة التي معه وهي من ديباج غليظ ونزع

في هذه

في هذه السنة السايب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة وقد حج به ابوه مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان عمر السايب سبع سنين رواه البخاري فلهذا قال الواقدي انه ولد سنة
ثلث من الهجرة وتوفي في سنة احدى وتسعين وقال غيره سنة ست وقيل ثمان وستين
والله اعلم سهل بن سعد الساعدي صحابي جليل توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وله من العمر خمس عشرة سنة وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه سنة اربع وسبعين هو وانس
ابن مالك وجابر بن عبد الله في يده ليذلهم كيلا يسمع الناس منهم وراءيهم قال الواقدي
توفي سنة احدى وتسعين عن مائة سنة وهو اخر من مات في المدينة من الصحابة قال
محمد بن سعد ليس في هذا خلاف وقد قال البخاري وغيره انه توفي سنة ثمان وثمانين
والله اعلم

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمة وابن اخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحا حصونا كثيرة وغنما شيا كثيرا
وهربت منهم الروم الى اقصى بلادهم وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بلاد الاندلس
في اثني عشر الفا فخرج اليه ملكها اذرينوق في سبعين الفا وعليه تاجه ومعه سرير ملكه
فقاتله طارق فهزمه وغنم ما في معسكره فكان من جملة ذلك السرير وغلب بلاد الاندلس
بكمالها قال الذهبي كان طارق بن زياد امير طنجة وهي اقصى بلاد المغرب وكان نايبا
لمولاه موسى بن نصير فكتب اليه صاحب الجزيرة الخضرا يستنجد به على عدوه فدخل
طارق الى جزيرة الاندلس من زقاق سبتة وانتهز الفرصة لكون الفرنج قد اقتتلوا
فيما بينهم وامعن طارق في بلاد الاندلس فافتتح قرطبة وقتل ملكها اذريوق وكتب الى
موسى بن نصير بالفتح فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح وكتب الى الوليد يبشره
بالفتح وينسبه الى نفسه وكتب الى طارق يتوعده لكونه دخل بغير امره ويامره ان
لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ثم سار اليه مسرعا بجيوشه فدخل الاندلس ومعه حبيب
بن ابي عبيدة الفهري فاقام سنين يفتح في بلاد الاندلس وياخذ المدن والاموال
ويقتل الرجال ويأسر النساء والاطفال فغنم شيا لا يحد ولا يوصف ولا يعد من
الجواهر واليواقيت والذهب والفضة ومن انية الذهب والفضة والاثاث
والخيول والبغال وغير ذلك شيا كثيرا وفتح من الاقاليم الكبار والمدن شيا كثيرا
وكان ممن فتح مسلمة وابن اخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم في هذه السنة حصن
سوسنة وبلغا الخليج القسطنطينية وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف
وامتنع عليه اهل فرياب فاحرقها وجهز اخاه عبد الرحمن الى الصغد الى طرخون خان
من تلك البلاد فصالح عبد الرحمن واعطاه طرخون خان اموالا كثيرة وقدم على اخيه
وهو ببخارى فرجع الى مرو ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورجع عنه اجتمعت الصغد وقالوا
لطرخون انك قد بؤت بالذل واديت الجزية وانت شيخ كبير فلا حاجة لنا فيك ثم
عزلوه وولوا عليهم غوزك خان اخا طرخون خان ثم انهم عصوا ونقضوا العهد فكان من
امرهم ما سياتي وفيها قتيبة سجستان يريد رتبيل ملك الترك الاعظم فلما انتهى
الى اول مملكة رتبيل تلقته رسله يريدون منه الصلح على اموال عظيمة وخيول ورقيق
ونساء من بنات الملوك يحملون ذلك اليه فصالحه وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز نايب

المدينة

وتوفي فيها من الأعيان

مالك بن أوس بن الحدثان النصري أبو سعيد المدني مختلف في صحبته وقال بعضهم ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر وقال محمد بن سعد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحفظ منه شيئا وأنكر ذلك ابن معين والبخاري وأبو حاتم وقالوا لا تصح له صحبة والله أعلم مات في هذه السنة وقيل في التي قبلها فالله أعلم طويس المغني اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدني مولى بني مخزوم كان بارعا في صناعة وكان طويلا مضطربا أحول العين وكان مشئوما لأنه ولد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم توفي الصديق واحتلم يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان وولد له يوم قتل الحسين بن علي وقيل ولد له يوم قتل علي حكاه ابن خلكان وغيره وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويداء وهي على مرحلتين من المدينة الأخطل كان شاعرا مطبقا فاق أقرانه في الشعر

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

فيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصونا كثيرة من بلاد الروم منها حصن الحديد وغزالة وماسة وغير ذلك وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سمسطية وفيها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ حنجرة وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوه إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن وأن يدفع إليه أموالا ورقيقا كثيرا على أن يقاتل أخاه ويسلمه إليه فإنه قد أفسد في الأرض وبغى على الناس وعسفهم وكان أخوه هذا لا يسمع بشيء حسن عند أحد إلا بعث إليه فأخذه منه سواء كان مالا أو نساء أو صبيانا أو دوابا أو غيره فأقبل قتيبة نصره الله في الجيوش فسلم إليه خوارزم شاه ما صالحه عليه وبعث قتيبة إلى بلاد أخي خوارزم شاه جيشا فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم فدفع أخاه إليه وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته فقتل ألفا بين يديه وألفا عن يمينه وألفا عن شماله وألفا من وراء ظهره ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم فتح سمرقند وذلك أن قتيبة لما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده قال له بعض الأمراء إن أهل الصغد قد أمنوك عامك هذا فإن رأيت أن تعدل إليهم وهم لا يشعرون فإنك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريدها يوما من الدهر فقال قتيبة لذلك الأمير هل قلت هذا لأحد قال لا قال فلئن يسمعه منك أحد أضرب عنقك ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفا فسبقه إلى سمرقند ولحقه قتيبة في بقية الجيوش فلما سمعت الأتراك بقدومهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء وأمروهم أن يسيروا وعلم قتيبة بذلك فجرد أخاه صالحا في ستمائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقوا وقال خذوا عليهم الطريق فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق وتفرقوا ثلاث فرق فلما اجتازوا بهم في الليل وهم لا يشعرون بهم ثاروا عليهم فاقتتل المسلمون هم وإياهم فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا النفر اليسير واحتزوا رؤوسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحلاة بالذهب والأمتعة وقال لهم بعض أولئك تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو بطلا من الأبطال المعدود بمائة فارس

أو بألف

أو بألف فارس فنفلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح واقترب قتيبة من المدينة العظمى التي بالصغد وهي سمرقند فنصب عليها المجانيق فرماها بها وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم وناصحه من معه عليها من أهل بخارى وخوارزم فقاتلوا أهل الصغد قتالا شديدا فأرسل إليهم غوزك ملك الصغد إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي فاخرج إلي في العرب فغضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من العجم وأمر العجم باعتزالهم وقدم الشجعان من العرب وأعطاهم جيد السلاح وانتزعه من أيدي الجبناء وزحف بالأبطال على المدينة ورماها بالمناجيق فثلم فيها ثلمة فسدها الترك بغرائر الدخن وقام رجل منهم فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من قفاه فلم يلبث أن مات فلله الحمد فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف ثم دخل الليل فلما أصبحوا رماهم بالمناجيق فثلم أيضا ثلمة وصعد المسلمون فوقها وتراموا هم وأهل البلد بالنشاب فقالت الترك لقتيبة ارجع عنا يومك هذا ونحن نصالحك غدا فرجع عنهم وصالحوه من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف يحملونها إليه في كل عام وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب وفي رواية مائة ألف من رقيق وعلى أن يأخذ حلية الأصنام وما في بيوت النيران وعلى أن يخلوا المدينة من المقاتلة حتى يبني فيها قتيبة مسجدا ويوضع له فيها منبر يخطب عليه ويتغدى ويخرج فأجابوه إلى ذلك فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال وذلك بعد أن بني المسجد ووضع فيه المنبر فصلى في المسجد وخطب وتغدى وأتي بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه وألقيت بعضها فوق بعض حتى صارت كالقصر العظيم ثم أمر بتحريقها فتصارخوا وتباكوا وقال المجوس إن فيها أصناما قديمة من أحرقها هلك وجاء الملك غوزك فنهى عن ذلك وقال لقتيبة إني لك ناصح فقام قتيبة وأخذ في يده شعلة نار وقال أنا أحرقها بيدي فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل وألقى فيها النار فاحترقت فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد يزدجرد فأهداها إلى الحجاج فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم إني لا أريد منكم أكثر مما صالحتكم عليه ولكن لا بد من جند يقيمون عندكم من جهتنا فانتقل عنها ملكها غوزك خان فتلا قتيبة وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى الآيات ثم ارتحل عنها قتيبة إلى مرو واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم وقال له لا تدع مشركا يدخل باب سمرقند إلا مختوم اليد ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تجف طينة ختمه فإن جفت وهو بها فاقتله ومن رأيت منهم ومعه حديدة أو سكينة فاقتله بها وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحدا منهم فاقتله فقال في ذلك كعب الأشقري ويقال هي لرجل من جعفي

كل يوم يحوي قتيبة نهبا ... ويزيد الأموال مالا جديدا
باهلي قد ألبس التاج حتى ... شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى ... ترك الصغد بالعراء قعودا

فوليد يبكي لفقد ابيه　　واب موجع يبكي الوليدا
فكلما حل بلدة او اتاها　　تركت خيله بها اخدودا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نايب بلاد المغرب مولاه طارقا عن الاندلس وكان
قد بعثه الى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مايدة سليمان بن داود عليهما
السلام وفيها من الذهب والجواهر شي كثير جدا فبعثوا بها الى الوليد بن عبد الملك
فما وصلت اليه حتى مات وتولى اخوه سليمان بن عبد الملك فوصلت مايدة سليمان
عليه السلام الى سليمان على ما سياتي بيانه فيما بعد وكان فيها ما يبهر العقول لم ير
منظرا احسن منها واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير
وفيها بعث موسى بن نصير العساكر وبثها في بلاد المغرب فافتتحوا مدنا كثيرة من جزيرة
الاندلس منها قرطبة وطنجة ثم سار موسى بنفسه الى غرب الاندلس فافتتح مدينة باجه
والمدينة البيضا وغيرها من المدن الكبار والاقاليم ومن القرا والرساتيق شيا كثيرا فكان
لا ياتي مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها او ينزلوا على حكمه وجهز البعوث والسرايا غربا
وشرقا وشمالا فجعلوا يفتحون المغرب بلدا بلدا واقليما اقليما ويغنمون الاموال
ويسبون الذراري والنسا ورجع موسى بن نصير بالاموال والغنايم والتحف التي لا تحصى ولا تعد
كثرة وفيها قحط اهل افريقية واجدبوا جدبا شديدا فخرج بهم موسى بن نصير يستسقي
بهم فما زال يدعو حتى انتصف النهار فلما اراد ان ينزل عن المنبر قيل له الا تدعو لامير
المومنين قال ليس هذا الموضع موضع ذلك فلما قال هذه المقالة ارسل الله عليهم
الغيث فامطروا امطارا غزيرا وحسن حالهم واخصبت بلادهم وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز
خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطا بامر الوليد له بذلك وصب فوق راسه
قربة من ماء بارد في يوم شات بارد واقامه على باب المسجد يومه ذلك فمات رحمه الله فكان
عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يامن وكان اذا بشر بشي من امر
الاخرة يقول وكيف وخبيب لي بالطريق وفي رواية يقول هذا اذا لم يكن خبيب
بالطريق ثم يصيح صياح المراة الثكلى وكان اذا اثني عليه يقول خبيب وما خبيب
ان نجوت منه فانا بخير وما زال على المدينة الى ان ضرب خبيبا فمات فاستعفى
وركبه الحزن والخوف من حينيذ واخذ في الاجتهاد في العبادة والبكا وكانت تلك هفوة
منه وزلة ولكن حصل له بسببها خير كثير من عبادة وبكا وحزن وخوف واحسان وعدل
وصدقة وبر وعتق وغير ذلك وفيها افتتح محمد بن القاسم وهو ابن عم الحجاج بن يوسف
مدينة الديبل وغيرها من بلاد الهند وكان قد ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبعة عشر
وعشرون عشرة سنة فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر وهو ملك الهند في جمع عظيم
ومعه سبعة وعشرون فيلا منتخبة فاقتتلوا فهزمهم الله وهرب الملك داهر فلما كان
الليل اقبل الملك ومعه خلق كثير جدا فاحاطوا بالمسلمين فاقتتلوا قتالا شديدا
فقتل الملك داهر وغالب من معه وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه ثم سار
محمد بن القاسم فافتتح مدينة الكيرج وبرها ورجع بغنايم كثيرة واموال لا تحصى كثرة
من الجواهر والذهب وغير ذلك فكان سوق الجهاد قايما في دولة بني امية ليس لهم شغل
الا ذلك قد علت كلمة الاسلام في مشارق الارض ومغاربها وبرها وبحرها وقد اذلوا الكفر

واهله

واهله وامتلات قلوب المشركين من المسلمين رعبا لا يتوجه المسلمون الى قطر من الاقطار
الا اخذوه وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والاوليا والعلما من كبار
التابعين في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه فقتيبة بن مسلم
يفتح في بلاد الترك يقتل ويسبي ويغنم حتى وصل الى تخوم الصين وبعث الرسل الى
ملك الصين يدعوه فخاف منه وارسل له هدايا وتحفا واموالا كثيرة هدية وبعث
يستعطفه مع قوته وكثرة جنده بحيث ان الملوك تلك النواحي كلها تودي اليه الخراج
خوفا منه ولو عاش الحجاج لما اقلع عن بلاد الصين حتى ياخذها بتقدير الله ولكن لما
وقد وصل قتيبة الى تخوم الصين ولم يبق الا ان يلتقي مع ملك الصين فلما مات الحجاج
رجع بالجيوش لما مر وثم ان قتيبة قتل بعد ذلك قتله بعض المسلمين رحمه الله ومسلمة بن
عبد الملك بن مروان وابن امير المومنين الوليد واخوه الاخر يفتحون في بلاد الروم ويجاهدون
بعساكر الشام حتى وصلوا الى القسطنطينية وبنى بها مسلمة جامعا يعبد الله فيه
وامتلات قلوب الفرنج منهم رعبا ومحمد بن القاسم بن اخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند
ويفتح مدنها في طايفة من جيش العراق وغيرهم وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب
ويفتح مدنها واقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم فكل هذه النواحي انما دخل
اهلها في الاسلام وتركوا عبادة الاوثان في الدولة الاموية وقبل ذلك قد كان الصحابة
في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبادئها بعد هذه الاقاليم الكبار
مثل الشام ومصر والعراق واليمن واوايل بلاد الترك ودخلوا الى ما وراء النهر واوايل
بلاد المغرب واوايل بلاد الهند فكان سوق الجهاد قايما في القرن الاول من بعد الهجرة
الى انقضاء دولة بني امية وفي اثنا خلافة بني العباس مثل ايام المنصور واولاده
والرشيد واولاده في بلاد الروم والترك والهند وقد فتح محمود بن سبكتكين وولده
في ايام ملكهم بلادا كثيرة من بلاد الهند ولما دخل طايفة ممن هرب من بني امية الى بلاد
المغرب وتملكوها اقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع
رجع العدو اليها فاخذ منها بلادا كثيرة وضعف الاسلام فيها ثم لما استولت دولة
الفاطميين على الديار المصرية والشامية وضعف الاسلام وقل ناصروه جا الفرنج
فاخذوا غالب بلاد الروم الشام حتى اخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية
فاقام الله سبحانه بني ايوب مع نور الدين فاستلبوها من ايديهم وطردوهم عنها فلله
الحمد والمنة كما سياتي ذلك كله في مواضعه ان شا الله تعالى وفيها عزل الوليد عمر
بن عبد العزيز عن امرة المدينة وكان سبب ذلك ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الوليد
يخبره عن اهل العراق انهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشمه فسمع بذلك الحجاج
فكتب الى الوليد ان عمر ضعيف عن امرة المدينة وان جماعة من اهل الشر من اهل العراق
قد لجاوا الى المدينة ومكة وهذا وهن وضعف في الولاية فاجعل على الحرمين من يضبط
امرهما فولى على المدينة عثمان بن حيان وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري وفعل
ما امره به الحجاج فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فنزل السويدا وقدم عثمان
ابن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة وحج بالناس فيها
عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وممن توفي فيها من الاعيان انس بن مالك

بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ابو حمزة
ويقال ابو ثمامة الانصاري النجاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه
وامه ام سليم اخت ام حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام زوجة ابي طلحة زيد
بن سهل الانصاري روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث جمة واخبر بعلوم
مهمة وروى عن ابي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم وحدث عنه خلق من التابعين
قال انس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وانا ابن عشر سنين وتوفي
وانا ابن عشرين سنة وقال محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن ثمامة قال
قيل لانس اشهدت بدرا فقال واين اغيب عن بدر لا ام لك قال الانصاري شهدها
يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي لم يذكر ذلك
احد من اصحاب المغازي قلت لظاهر انه انما شهد ما بعد ذلك من المغازي والله اعلم
وقد ثبت ان امه اتت به وفي رواية عمه زوج امه ابو طلحة الى رسول الله فقال يا رسول
الله هذا انس خادم لبيب يخدمك فوهبته منه فقبله وسألته ان يدعو له فقال
اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة وثبت عنه انه قال كناني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببقلة كنت اجتنيها وقد استعمله ابو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه
في ذلك وقد انتقل بعد النبي صلى الله عليه وسلم فسكن البصرة وكان له بها اربع دور
وقد نال له اذى من جهة الحجاج وذلك في فتنة ابن الاشعث توهم الحجاج منه انه له مدخل
في الامر وانه افتى فيه فختمه الحجاج في عنقه هذا عتيق الحجاج وقد شكاه انس كما قدمنا
الى عبد الملك فكتب الى الحجاج يعنفه ففزع الحجاج من ذلك وصالح انسا وقد وفد انس
على الوليد بن عبد الملك في ايام ولايته قيل في سنة ثنتين وتسعين وهو يبني جامع
دمشق قال مكحول رايت انسا يمشي في مسجد دمشق فقمت اليه فسألته عن الوضوء
من الجنازة فقال لا ادري قال الاوزاعي حدثني اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر
قال قدم انس على الوليد فقال له الوليد ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر به الساعة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انتم والساعة
كهاتين ورواه عبد الرزاق بن عمر عن اسماعيل قال قدم انس على الوليد في سنة
ثنتين وتسعين فذكره وقال الزهري دخلت على انس بن مالك بدمشق وهو يبكي
فقلت ما يبكيك قال لا اعرف مما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
الا هذه الصلاة وقد صنعتم فيها ما صنعتم وفي رواية وهذه الصلاة قد ضيعت
يعني ما كان يفعله خلفاء بني امية من تاخير الصلاة الى اخر وقتها الموسع كانوا يواظبون
على التاخير الا عمر بن عبد العزيز في ايام خلافته كما سياتي وقال عبد بن حميد عن
عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال جاءت ام سليم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا غلام فقالت يا رسول الله انيس فادع الله له فقال اللهم
اكثر ماله وولده وادخله الجنة فقد رايت اثنتين وانا ارجو الثالثة وفي رواية قال
انس فوالله ان مالي لكثير حتى نخلي وكرمي ليثمر في السنة مرتين وان ولدي وولد ولدي ليتعادون
على نحو المائة وفي رواية وان ولدي لصلبي مائة وستة ولهذا الحديث طرق كثيرة والفاظ
منتشرة جدا وفي رواية قال انس واخبرتني ابنتي امينة انه دفن لصلبي الى حين مقدم الحجاج

عشرون

عشرون ومائة وقد تقصيت ذلك بطرقه واسانيده واورد الفاظه الحافظ ابن عساكر
في ترجمة انس وقد اوردنا طرفا من ذلك في كتاب دلائل النبوة في اواخر السيرة ولله
الحمد وقال ثابت لانس هل مست يدك كف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
قال فاعطنيها اقبلها وقال محمد بن سعد عن مسلم بن ابراهيم عن المثنى بن سعيد
الذراع قال سمعت انس بن مالك يقول ما من ليلة الا وانا ارى فيها حبيبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم يبكي وقال محمد بن سعد عن ابي نعيم عن يونس بن ابي اسحاق عن
المنهال بن عمرو قال كان انس صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم واداوته
وقال ابو داود ثنا الحكم بن عطية عن ثابت عن انس قال اني لارجو ان القى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقول يا رسول الله خويدمك وقال الامام احمد ثنا
يونس ثنا حرب بن ميمون عن النضر بن انس عن انس قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة قال انا فاعل قال قلت فاين اطلبك يوم القيامة
يا نبي الله قال اطلبني اول ما تطلبني على الصراط قلت فاذا لم القك قال فانا عند
الميزان قلت فاذا لم القك عند الميزان قال فانا عند الحوض لا اخطئ هذه الثلاث
مواطن يوم القيامة ورواه الترمذي وغيره من حديث حرب بن ميمون ابي الخطاب صاحب
الاغمية الانصاري به وقال حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقال شعبة
عن ثابت قال قال ابو هريرة ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابن ام سليم يعني انس بن مالك وقال انس بن سيرين كان احسن الناس
صلاة في الحضر والسفر وقال انس خذ مني فاني اخذته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ولست تجد اوثق مني وقال
معتمر بن سليمان عن ابيه سمعت انسا يقول ما بقي احد صلى القبلتين غيري وقال
محمد بن سعد ثنا عفان حدثني شيخ لنا يكنى ابا جناب سمعت الجريري يقول احرم انس
من ذات عرق فما سمعناه متكلما الا بذكر الله عز وجل حتى احل فقال لي يا ابن اخي هكذا
الاحرام وقال صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف دخل علينا انس يوم الجمعة ونحن
في بعض ابيات ازواج النبي صلى الله عليه وسلم نتحدث فقال مه فلما اقيمت الصلاة
قال اني لاخاف ان اكون قد ابطلت جمعتي بقولي لكم مه وقال ابن ابي الدنيا ثنا
بشار بن موسى الخفاف ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال كنت مع انس فجاء قهرمانه
فقال يا ابا حمزة عطشت ارضنا قال فقام انس فتوضا وخرج الى البرية فصلى
ركعتين ثم دعا فرايت السحاب يلتئم ثم مطرت حتى ملات كل شيء فلما سكن المطر بعث
انس بعض اهله فقال انظر اين بلغت السماء فنظر فلم تعد ارضه الا يسيرا وقال
الامام احمد ثنا معاذ بن معاذ ثنا ابن عون عن محمد قال كان انس اذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حديثا ففرغ منه قال او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الانصاري عن ابن عون عن محمد قال بعث امير من الامراء الى انس شيئا من الفيء
فقال اخمس قال لا فلم يقبله وقال النضر بن شداد عن ابيه مرض انس فقيل له الا
ندعو لك الطبيب فقال الطبيب امرضني وقال حنبل بن اسحاق ثنا ابو عبد الله الرقاشي
ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن يزيد قال كنت في القصر مع الحجاج وهو يعرض الناس

لبا الى ابن الاشعث فجاء انس بن مالك فقال له الحجاج هي يا خبيث جوال في الفتن مرة
مع علي ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الاشعث اما والذي نفس الحجاج بيده لاستاصلنك
كما تستاصل الصمغة ولاجردنك كما يجرد الضب قال يقول انس اياي يعني الامير
قال اياك اعني اصم الله سمعك قال فاسترجع انس وشغل الحجاج فخرج انس فتبعناه
الى الرحبة فقال لولا اني ذكرت ولدي وفي رواية لولا اني ذكرت اولادي الصغار
وخفته عليهم ما باليت اي قتلة اقتل ولكلمته بكلام في مقامي هذا لا يستخفني بعده
ابدا وقد ذكر ابو بكر بن عياش ان انسا بعث الى عبد الملك يشكو اليه الحجاج ويقول
والله لو ان اليهود والنصارى راوا من خدم نبيهم لاكرموه وانا قد خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فكتب عبد الملك الى الحجاج كتابا فيه كلام جد فيه اذا
جاءك كتابي فقم الى ابي حمزة فترضاه وقبل يده ورجله والا حل بك مني ما تستحقه فلما
جاء كتاب عبد الملك الى الحجاج بالغلظة والشدة هم ان ينهض اليه فاشار عليه اسماعيل
بن عبد الله بن ابي المهاجر الذي قدم بالكتاب ان لا يذهب الى انس واشار على انس ان يبادر
الى الحجاج بالمصالحة وكان اسماعيل صديق الحجاج فجاء انس فقام اليه الحجاج يتلقاه
وقال انما مثلي ومثلك اعني واسمعي يا جاره اردت ان لا يبقى لاحد علي منطق وقال ابن قتيبة
كتب عبد الملك الى الحجاج لما قال لانس ما قال يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب
لقد هممت ان اركلك ركلة تهوي بها الى نار جهنم قاتلك الله اخيفش العينين اقيتل
الرجلين العاجزين ومعنى قوله المستفرمة بعجم الزبيب اي تضيق فرجها عند
الجماع به ومعنى اركلك اي ارفسك برجلي وسياتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة
خمس وتسعين وقال احمد بن صالح العجلي لم يبتل احد من الصحابة الا رجلين معيقيب
كان به الجذام وانس بن مالك كان به وضح وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن
عمرو بن دينار عن ابي جعفر قال رايت انسا ياكل فرايته يلقم لقما عظاما ورايت
به وضحا شديدا وقال ابو يعلى ثنا عبيد الله بن معاذ بن يزيد عن ايوب قال
ضعف انس عن الصوم فصنع طعاما ودعا ثلاثين مسكينا فاطعمهم وذكره البخاري
تعليقا وقال شعبة عن موسى السيلاني قلت لانس انت اخر من بقي من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قد بقي قوم من الاعراب فاما من اصحابه فانا اخر من بقي
وقيل له في مرضه الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وجعل يقول لقنوني
لا اله الا الله وهو محتضر فلم يزل يقولها حتى قبض وكانت عنده عصية من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر بها فدفنت معه قال عمر بن شبة وغير واحد مات وله مائة
وسبع سنين وقال الامام احمد في مسنده ثنا معتمر بن سليمان عن حميد ان انسا عمر
مائة سنة غير سنة قال الواقدي وهو اخر من مات من الصحابة بالبصرة وكذا قال
علي بن المديني والفلاس وغير واحد وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته فقيل سنة
تسعين وقيل احدى وتسعين وقيل اثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين وهذا هو
المشهور وعليه الجمهور والله اعلم وقال الامام احمد حدثني ابو نعيم قال توفي انس بن
مالك وجابر بن زيد في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين وقال قتادة لما مات انس
قال مورق العجلي ذهب اليوم نصف العلم قيل له وكيف ذاك يا ابا المعتمر قال كان الرجل

من اهل

من اهل الاهواء اذا خالفونا في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا لهم تعالوا
الى من سمعه منه عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الشاعر
المشهور يقال انه ولد يوم توفي عمر بن الخطاب وختن يوم مقتل عثمان وتزوج يوم مقتل
علي فالله اعلم وكان مشهورا بالتغزل المليح البليغ كان يتغزل في امراة يقال لها الثريا
بنت علي بن عبد الله الاموية وتزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فقال في ذلك
عمر بن ابي ربيعة

ايها المنكح الثريا سهيلا • عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت • وسهيل اذا استقل يماني

ومن مستجاد شعره ما اورده ابن خلكان

حي طيفا من الاحبة زارا • بعدما برح الكرى السمارا
طارقا في المنام بعد دجى • الليل خفيا بان يزور نهارا
قلت ما بالنا جفينا • وكنا قبل ذاك الاسماع والابصارا
قال انا كما عهدت ولكن • شغل الحلي اهله ان يعارا

بلال بن ابي الدرداء ولي امرة دمشق ثم ولي القضاء بها ثم عزله عبد الملك بابي ادريس
الخولاني كان بلال حسن السيرة كثير العبادة والظاهر ان هذا القبر الذي بباب الصغير
الذي يقال له قبر بلال انما هو قبر بلال بن ابي الدرداء لا قبر بلال بن حمامة مؤذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم فان بلالا المؤذن دفن بداريا والله اعلم بسر
بن سعيد المدني العابد الفقيه كان من العباد المنقطعين الزهاد المعروفين
توفي بالمدينة زرارة بن اوفى بن حاجب العامري قاضي البصرة كان من كبار علماء
اهل البصرة وصلحائها له روايات كثيرة قرا مرة في صلاة الصبح سورة المدثر
فلما بلغ فاذا نقر في الناقور خر ميتا توفي بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة حبيب
بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد له في ذلك فمات ثم عزل
عمر بعده بايام قليلة فكان يبتاس على ضربه له ويبكي مات بالمدينة حفص بن
عاصم بن عمر بن الخطاب المدني له روايات وكان من الصالحين توفي بالمدينة سعيد
ابن عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد الاموي احد الاشراف بالبصرة كان جوادا ممدحا وهو
احد الموصوفين بالكرم قيل انه اعطى بعض الشعراء ثلاثين الفا فروة بن مجاهد
قيل انه كان من الابدال اسر في غزوة هو وجماعة معه فاتوا بهم الملك فامر بتقييدهم
وحبسهم في مكان واحترز عليهم الى ان يصبح فيرى فيهم رايه فقال لهم فروة هل لكم
في المضي الى البلاد فقالوا او ما ترى ما نحن فيه من الضيق فلمس قيودهم بيده فزالت
عنهم ثم اتى باب السجن فلمسه بيده فانفتح فخرجوا منه ومضوا فادركوا جيش المسلمين
قبل وصولهم الى البلاد

ابو الشعثاء جابر بن زيد

كان لا يماكس في ثلاث في الكرى الى مكة وفي الرقبة يشتريها للعتق وفي الاضحية وقال
لا تماكس في شيء يتقرب به الى الله وقال ابن سيرين كان ابو الشعثاء مسلما عند الدينار
والدرهم قلت كما قيل • الى ذا ينقلا تنظروا غيره • اذا المرء عند هذا الدرهم •

فاذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بان ذلك تقوى المسلم

وقال ابو الشعثاء لان اتصدق بدرهم على يتيم ومسكين احب الي من حجة بعد حجة الاسلام كان ابو الشعثاء من الذين اوتوا العلم وكان يفتي في البصرة وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله اذا سأله اهل البصرة عن شيء يقول كيف تسألونا وفيكم ابو الشعثاء وقال له جابر بن عبد الله يا جابر بن زيد انك من فقهاء اهل البصرة وانك ستستفتى فلا تفتين الا بقرآن ناطق او سنة ماضية فانك ان فعلت غير ذلك فقد هلكت واهلكت وقال عمرو بن دينار ما رأينا احدا اعلم بالفتيا من جابر بن زيد وقال اياس بن معاوية ادركت اهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من اهل عمان وقال قتادة لما دفن جابر بن زيد اليوم دفن علم اهل الارض وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ابو الشعثاء كتب الحكم بن ايوب نفرا للقضاء انا احدهم ولو اني ابتليت بشيء منه لركبت راحلتي وهربت في الارض وقال ابو الشعثاء نظرت في اعمال البر فاذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال والصيام مثل ذلك والحج يجهد المال والبدن فرأيت ان الحج افضل من ذلك واخذ مرة قبضة تراب من حائط فلما اصبح ردها في الحائط فكان الحائط لقوم وقال لو كان كل من مر به اخذ منه قبضة لم يبق منه شيء وقال ابو الشعثاء اذا جئت يوم الجمعة الى المسجد فقف على الباب وقل اللهم اجعلني اليوم اوجه من توجه اليك واقرب من تقرب اليك وانجح من دعاك ورغب اليك وقال سيار ثنا حماد بن زيد ثنا الحجاج بن ابي عيينة قال كان جابر بن زيد يأتينا في مصلانا قال فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خلقان فقال مضى من عمري ستون سنة نعلاي هاتان احب الي مما مضى منه الا ان يكون خيرا قدمته وقال صالح الدهان كان جابر بن زيد اذا وقع في يده ستوق كسره ورمى به لئلا يغر به مسلم الستوق الدرهم المغاير الزغل وقيل هو المغشوش وروى الامام احمد ثنا ابو عبد الصمد العمي ثنا مالك بن دينار قال دخلت على جابر بن زيد وانا اكتب المصحف فقلت كيف ترى صنعتي هذه يا ابا الشعثاء قال نعم الصنعة صنعتك تنقل كتاب الله من ورقة الى ورقة ومن آية الى آية ومن كلمة الى كلمة هذا الحلال لا بأس به وقال مالك بن دينار سألته عن قوله تعالى اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات قال ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا وقال سفيان حدثني ابو عمير الحارث بن عمير قال قالوا لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي او ما تريد قال نظرة الى الحسن وفي رواية عن ثابت قال لما ثقل جابر بن زيد قيل له ما تشتهي قال نظرة الى الحسن قال ثابت فأتيت الحسن فاخبرته فركب اليه فلما دخل عليه قال لاهله اقعدوني فجلس فما زال يقول اعوذ بالله من النار وسوء الحساب وقال حماد بن زيد ثنا حجاج بن ابي عيينة عن هند بنت المهلب بن ابي صفرة وكانت من احسن النساء وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا انه كان اباضيا فقالت كان جابر بن زيد اشد الناس انقطاعا الي والى امي فما اعلم شيئا كان يقربني الى الله عز وجل الا امرني به ولا شيئا يباعدني عن الله الا نهاني عنه وما دعاني الى الاباضية قط ولا امرني بها وكان ليأمرني ان اضع الخمار

ووضعت

ووضعت يدها على الجبهة اسنده عن جماعة من الصحابة ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس

ثم دخلت سنة اربع وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد ارض الروم فقيل انه فتح انطاكية وغزا اخوه عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطي ارض برج الحمام وبلغ يزيد بن ابي كبشة ارض سورية وفيها كانت الرجفة بالشام وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من ارض الروم وفيها فتح الله على الاسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك على يدي اولاده واقربائه وامرائه حتى عاد الجهاد شبيها بايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي ارض الهند وغنم اموالا لا تعد ولا توصف وقد ورد في غزو الهند حديث رواه الحافظ بن عساكر وغيره وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان مدينتي فرغانة وذلك بعد فراغه من الصغد وفتح سمرقند ثم خاض تلك البلاد يفتح فيها حتى وصل الى كابل فحاصرها وافتتحها وقد لقيه المشركون في جموع هائلة من الترك فقاتلهم قتيبة عند خجندة فكسرهم مرارا وظفر بهم واخذ البلاد منهم وقتل منهم خلقا واسر آخرين وغنم اموالا كثيرة جدا قال ابن جرير وقد قال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة وهي قرية من بلاد الصين ابياتا في ذلك

فسل الفوارس في خجندة ... تحت مرهفة العوالي
هل كنت اجمعهم اذا ... هزموا واقدم في قتالي
ام كنت اضرب هامة ال ... عاتي واصبر للنزال
هذا وانت قريع قيس ... كلها ضخم النوال
وفضلت قيسا في الندى ... وابوك في الحجج الخوالي
تمت مروءتكم وناغى عزكم ... غلب الجبال
ولقد تبين عدل حكمك ... فيهم في كل حال

هكذا ذكر ابن جرير ان هذا الشعر لسحبان وائل في هذه الغزوة وقد ذكرنا ما اورده ابن الجوزي في منتظمه ان سحبان مات في خلافة معاوية بن ابي سفيان بعد الخمسين والله اعلم

مقتل سعيد بن جبير رحمه الله

قال ابن جرير وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير وكان سبب ذلك ان الحجاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الاشعث الى قتال رتبيل فلما خلعه ابن الاشعث خلعه معه سعيد بن جبير فلما ظفر الحجاج بابن الاشعث واصحابه هرب سعيد بن جبير الى اصبهان فكتب الحجاج الى نائبها ان يبعثه اليه فلما سمع بذلك سعيد هرب منها ثم كان يعتمر في كل سنة ويحج ثم انه لجأ الى مكة فاقام بها الى ان وليها خالد بن عبد الله القسري فاشار من اشار على سعيد بالهرب منها فقال سعيد والله لقد استحييت من الله مما افر ولا مفر من قدره وتولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز فجعل يبعث من بالمدينة من اصحاب ابن الاشعث من اهل العراق الى الحجاج في القيود فتعلم منه خالد القسري فعين من عنده من مكة

سعيد بن جبير وعطا بن ابي رباح ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وطلق بن حبيب ويقال
ان الحجاج ارسل الى الوليد يخبره ان بمكة اقواما من اهل الشقاق فبعث خالد بهولا
اليه ثم عفى عن عطا وعمرو بن دينار لانهما من اهل مكة وبعث باولئك الثلاثة فاما
طلق بن حبيب فمات في الطريق قبل ان يصل واما مجاهد فحبس فما زال في السجن
حتى مات الحجاج واما سعيد بن جبير فانه لما وقف بين يدي الحجاج قال له يا سعيد
الم اشركك في امانتي الم استعملك الم افعل الم افعل كل ذلك يقول نعم حتى ظن
من عنده انه سيخلي سبيله حتى قال له فما حملك على الخروج علي وخلعت بيعة امير المؤمنين
فقال سعيد ان ابن الاشعث اخذ مني البيعة على ذلك وعزم علي فغضب عند ذلك
الحجاج غضبا شديدا وانتفخ حتى سقط احد طرفي رداءه عن منكبه وقال
ويحك الم اقدم مكة فقتلت ابن الزبير واخذت بيعة اهلها واخذت بيعتك لامير
المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت
لامير المؤمنين البيعة فاخذت بيعتك له ثانية قال بلى قال فنكثت بيعتين
لامير المؤمنين وتفي بواحدة للحايك ابن الحايك يا حرسي اضرب عنقه قال فضربت
عنقه فندر راسه عليه لاطية صغيرة بيضا وقد ذكر الواقدي نحو هذا وقال
له اما اعطيتك مائة الف اما فعلت اما فعلت قال ابن جرير فحدثني ابو غسان
مالك بن اسماعيل قال سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال لما
قتل الحجاج سعيد بن جبير ندر راسه هلل ثلاث مرة يفصح بها في الثالثة
يقول مثل ذلك لا يفصح بها وذكر ابو بكر ة الباهلي قال سمعت انس بن اياس يقول
لما اتى الحجاج بسعيد بن جبير قال لعن الله ابن النصرانية يعني خالد القسري وكان
هو الذي ارسل به من مكة اما كنت اعرف مكانه بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ثم
اقبل عليه فقال يا سعيد ما اخرجك علي فقال اصلح الله الامير انما انا امرؤ من المسلمين
يخطي مرة ويصيب اخرى فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ورجا الحجاج ان يتخلص
من امره ثم عاوده في شي فقال سعيد انما كانت بيعة في عنقي فغضب عند ذلك
الحجاج فكان ما كان من قتله وذكر عتاب بن بشر عن سالم الافطس قال اتى الحجاج بسعيد
بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع احدى رجليه في الغرز فقال والله لا اركب حتى
تتبوا مقعدك من النار اضربوا عنقه فضربت عنقه قال والتبس الحجاج في
عقله مكانه فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود التي على سعيد
فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه واخذوا القيود قال محمد بن ابي حاتم ثنا
عبد الملك بن عبد الله بن حباب قال اتي بسعيد بن جبير الى الحجاج فقال اكتبت الى
مصعب بن الزبير فقال بلى كتبت الى مصعب قال والله لاقتلنك قال اني
اذا لسعيد كما سمتني امي قال فقتله فلم يلبث الحجاج بعده الا اربعين يوما فكان
اذا نام يراه في المنام ياخذ بمجامع ثوبه ويقول يا عدو الله فيم قتلتني فيقول
الحجاج ما لي ولسعيد بن جبير ما لي ولسعيد بن جبير قال ابن خلكان كان سعيد بن
جبير بن هشام الاسدي مولى بني والبة كوفيا احد الاعلام من التابعين وكان اسود
اللون وكان لا يكتب على الفتيا فلما عمي ابن عباس كتب فغضب ابن عباس من ذلك

وذكر من قتله كنحو ما تقدم وذكر انه كان في شعبان وان الحجاج مات بعده في رمضان
وقيل بستة اشهر وذكر عن الامام احمد انه قال قتل سعيد بن جبير وما على وجه الارض
احد الا وهو محتاج او قال مفتقر الى علمه ويقال ان الحجاج لم يسلط بعده على احد
وسياتي في ترجمة الحجاج ايضا شي من هذا قال ابن جرير وكان يقال لهذه السنة
سنة الفقها لانه مات فيها عامة فقهاء المدينة مات في اولها علي بن الحسين زين
العابدين ثم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث
بن هشام وسعيد بن جبير من اهل مكة وقد ذكرنا تراجم هولاء في كتابنا التكميل وسنذكر
طرفا صالحا منها ان شا الله تعالى قال ابن جرير واستقضى الوليد بن عبد الملك
في هذه السنة على الشام سليمان بن صرد وحج بالناس فيها العباس بن الوليد
ويقال مسلمة بن عبد الملك وكان على نيابة مكة خالد القسري وعلى المدينة عثمان
بن حيان وعلى المشرق بكماله الحجاج وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى الكوفة من
جهة الحجاج زياد بن جرير وعلى قضاها ابو بكر بن ابي موسى وعلى امرة البصرة من جهة
الحجاج الجراح بن عبد الله الحكمي وعلى قضاها عبد الله بن اذينة والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر من توفي فيها من المشاهير والاعيان

سعيد بن جبير بن هشام الاسدي الوالبي مولاهم ابو محمد ويقال ابو عبد الله الكوفي
٢ المكي من اكابر اصحاب ابن عباس كان من ائمة الاسلام في التفسير والفقه وانواع العلوم ٢
وكثرة العمل الصالح رحمه الله وقد راى خلقا من الصحابة وروى عن جماعة منهم وعنه خلق
من التابعين يقال انه كان يقرا القران في الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة
وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرا فيها الختمة وربما قرا ها في ركعة في جوف الكعبة
وقد روي عنه انه ختم القران مرتين ونصف في الصلاة في ليلة في الكعبة وقال
سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن ابيه قال لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه
الارض احد الا وهو محتاج الى علمه وكان في جملة من خرج مع ابن الاشعث على الحجاج فلما
ظفر الحجاج هرب سعيد الى اصبهان ثم كان يتردد في كل سنة الى مكة مرتين مرة للعمرة
ومرة للحج وربما دخل الكوفة في بعض الاحيان فحدث بها وكان بخراسان يتحدث لانه
كان لا يسال احد عن شي من العلم فكان يقول ان مما يهمني ما عندي من العلم
وددت ان الناس اخذوه واستمر في هذا الحال مختفيا من الحجاج قريبا من ثنتي عشرة
سنة ثم ارسله خالد القسري من مكة الى الحجاج فكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريبا
وقال ابو نعيم في كتاب الحلية ثنا ابو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا محمد بن احمد
ابن الخلف ثنا سفيان عن سالم بن ابي حفصة قال لما اتي بسعيد بن جبير الى الحجاج
قال له انت الشقي بن كسير قال لا انما انا سعيد بن جبير قال لاقتلنك قال انا اذا
كما سمتني امي سعيدا قال شقيت وشقيت امك قال الامر ليس اليك ثم قال اضربوا
عنقه فقال دعوني اصلي ركعتين قال وجهوه الى قبلة النصارى قال فاينما
تولوا فثم وجه الله قال اني استعيذ منك بما عاذت به مريم قال وما عاذت به قالت
قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال سفيان لم يقتل بعده الا رجلا واحدا
وفي رواية انه قال له لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك

الهتا وفي رواية لما اراد قتله قال وجهوه الى قبلة النصارى فقال اينما تولوا فثم
وجه الله فقال اجلدوا به الارض فقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
فقال اذبحوه فقال ما انزع عدو الله للكتاب لله منذ اليوم فقال اللهم لا تسلطه على
احد بعدي وقد ذكر ابو نعيم هنا كلاما كثيرا في مقتل سعيد بن جبير احسنه هذا والله اعلم
اخر الزيادة. قال المولف وقد ذكرنا صفة مقتله اياه وقد رويت اثار غريبة في صفة
مقتله اكثرها لا يصح وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالعقوبة فلم يلبث بعده الا قليلا
ثم اخذه الله اخذ عزيز مقتدر كما سنذكر وفاته في السنة الاتية فقيل انه مكث
بعده خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما وقيل ستة اشهر والله اعلم قلت ثم وقعت
الاكلة في بطنه فانتن فدعا الطبيب فارسل فيه خيطا ثم اخرجه انتن من الجيفة فعلم
انه ميت والله اعلم وقد تنغصت على الحجاج حياته بعد مقتله سعيد في يقظته
ومنامه فكان لا ينتفع بعيش ولا بنوم بل كلما اراد النوم اخذ سعيد برجله واختلفوا
في عمر سعيد بن جبير رح حين قتل فقيل تسعا واربعين سنة وقيل سبعا وخمسين سنة والله اعلم
قال ابو القاسم اللالكائي قتل في سنة خمس وتسعين وذكر ابن جرير مقتله
في هذه السنة سنة اربع وتسعين والله اعلم قلت هاهنا كلمات حسان من كلام سعيد
بن جبير احببت ذكرها قال ان افضل الخشية ان تخشى الله خشية تحول بينك وبين
معصيته وتحملك على طاعته فتلك هي الخشية النافعة والذكر طاعة الله فمن اطاع
الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر له وان كثر منه التسبيح وتلاوة القران وقيل
له من اعبد الناس قال رجل اجترح من الذنوب فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله وقال له الحجاج
ويلك فقال الويل لمن زحزح عن الجنة وادخل النار فقال اضربوا عنقه فقال اني اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله استحفظك بها حتى القاك يوم القيمة فاخاصمك عند
الله فذبح من قفاه فبلغ ذلك الحسن فقال اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج فما بقي الا
ثلاثا حتى وقع في جوفه دود فمات وقال سعيد للحجاج لما امر بقتله فضحك
فقال له ما اضحكك قال اضحك من جرأتك على الله وحلم الله عنك

سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي وهب

بن عايذ بن عمران بن مخزوم القرشي ابو محمد المدني سيد التابعين على الاطلاق ولد لسنتين
مضتا وقيل بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وقيل لاربع مضين منها وقول الحاكم ابي عبد الله
انه ادرك العشرة وهم منه والله اعلم ولكنه ارسل عنهم كما ارسل كثيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم
وروى عن عمر كثيرا فقيل سمع منه وقيل لم يسمع منه وعن عثمان وعلي وسعيد وابي هريرة وكان
زوج ابنته واعلم الناس بحديثه وروى عن جماعة من الصحابة وحدث عنه جماعة من التابعين
وخلق ممن سواهم قال ابن عمر كان سعيد احد المتقنين وقال الزهري جالسته سبع حجج وانا
لا اظن عند احد علما غيره وقال محمد بن اسحاق عن مكحول قال لطفت الارض كلها في طلب العلم
فما لقيت اعلم من سعيد بن المسيب وقال الاوزاعي سئل الزهري ومكحول من افقه من
لقيتما قالا سعيد بن المسيب وقال غيره كان يقال له فقيه الفقهاء وقال مالك عن يحيى
بن سعيد عن سعيد بن المسيب كنت ارحل الايام والليالي في طلب الحديث الواحد قال مالك
وبلغني ان ابن عمر كان يرسل الى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر واحكامه وقال

الربيع عن الشافعي انه قال ارسال سعيد بن المسيب عندنا حسن وقال الامام احمد بن
حنبل هي صحاح قال وسعيد بن المسيب افضل التابعين وقال علي بن المديني لا اعلم في
التابعين اوسع علما منه واذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به وهو عندي
اجل التابعين وقال احمد بن عبد الله العجلي كان سعيد رجلا صالحا فقيها كان لا ياخذ
العطا وكانت له بضاعة اربع مائة دينار وكان يتجر في الزيت وكان اعور وقال
ابو زرعة كان مدنيا ثقة اماما وقال ابو حاتم ليس في التابعين انبل منه وهو اثبتهم
في ابي هريرة قال الواقدي توفي سنة الفقهاء وهي سنة اربع وتسعين عن خمس وسبعين
سنة رح كان سعيد بن المسيب من اورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه وكان من ازهد الناس
في فضول الدنيا والكلام فيما لا يعني ومن اكثر الناس ادبا في الحديث جاءه رجل وهو مريض
فسأله عن حديث فجلس فحدثه به ثم اضطجع فقال الرجل وددت انك لم تتعن فقال
اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وقال برد مولاه
ما نودي للصلاة منذ اربعين سنة الا وسعيد في المسجد وقال ابن ادريس صلى سعيد
بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة وقال سعيد لا تملؤوا اعينكم من اعوان
الظلمة الا بانكار من قلوبكم لكيلا تحبط اعمالكم الصالحة وقال ما يئس الشيطان من
شيء الا اتاه من قبل النساء وقال ما اكرمت العباد انفسها بمثل طاعة الله ولا اهانت
انفسها بمثل معصية الله تعالى وقال كفى بالمرء نصرة من الله له ان يرى عدوه يعمل
بمعصية الله وقال من استغنى بالله افتقر اليه الناس وقال الدنيا نذلة وهي الى
كل نذل اميل وانذل منها من اخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها وقال انه ليس
من شريف ولا عالم ولا ذي فضل الا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي ان يذكر عيوبه
وقال من كان فضله اكثر من نقصه وهب نقصه لفضله وقد زوج سعيد بن المسيب
ابنته على درهمين لكثير بن ابي وداعة وكانت من احسن النساء واكثرهم ادبا واعلمهم بكتاب
الله وسنة رسوله واعرفهم بحق الزوج وكان فقيرا فارسل اليه بخمسة الاف وقيل بعشرين
الفا وقال استنفق هذه وقصته في ذلك مشهورة وقد كان عبد الملك خطبها لابنه
الوليد فابى سعيد ان يزوجه بها فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط كما تقدم لما جاءت
بيعة الوليد الى المدينة في ايام عبد الملك ضربه نائبه على المدينة هشام بن اسماعيل
وطاف به المدينة وعرضوه على السيف فمضى ولم يبايع فلما رجعوا به رأته امرأة فقالت
ما هذا الخزي يا سعيد فقال من الخزي فررنا الى ما ترين اي لو اجبناهم وقعنا في خزي
الدنيا والاخرة وكان يجعل على ظهره اهاب الشاة وكان له مال يتجر فيه ويقول اللهم انك
تعلم اني لم امسكه بخلا ولا حرصا عليه ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها وانما اريد ان اصون
به وجهي عن بني مروان حتى القى الله فيحكم في وفيهم واصل منه رحمي واؤدي منه الحقوق التي
فيه واعود منه على الارملة والفقير والمسكين واليتيم والجار والله سبحانه اعلم طلق
بن حبيب العنزي تابعي جليل روى عن انس وجابر وابن الزبير وابن عباس وعبد الله بن عمرو
وغيرهم وعنه حميد الطويل والاعمش وطاوس وهو من اقرانه واثنى عليه عمرو بن دينار وقد
اثنى عليه غير واحد من الائمة ولكن تكلموا فيه من جهة انه كان يقول بالارجاء وقد كان ممن
خرج مع ابن الاشعث وكان يقول اتقوا بالتقوى فقيل له صف لنا التقوى فقال

الربيع

التقوى العمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله وقال ايضا ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد وان نعم الله اكثر من ان تحصى او يقوم بشكرها العباد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وكان طلق لا يخرج الى الصلاة الا ومعه شيء يتصدق به وان لم يجد الا بصلا ويقول قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله اعظم واعظم قال ابن خلكان قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير وقد ذكر ابن جرير انما بعث خالد بن عبد الله القسري من مكة ثلاثة الى الحجاج وهم مجاهد وسعيد بن جبير وطلق بن حبيب فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد وكان من امر سعيد ما كان والله اعلم

عروة بن الزبير بن العوام

القرشي الاسدي ابو عبد الله المدني تابعي جليل روى عن ابيه وعن العبادلة ومعاوية والمغيرة وابي هريرة وامه اسماء وخالته عائشة وام سلمة وعنه جماعة من التابعين وخلق من سواهم قال محمد بن سعد كان عروة ثقة كثير الحديث عالما مامونا ثبتا وقال العجلي مدني تابعي رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن وقال الواقدي كان فقيها عالما حافظا ثبتا حجة عالما بالسير وهو اول من صنف المغازي وكان من فقهاء المدينة المعدودين ولقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه وكان اروى الناس للشعر وقال ابنه هشام العلم لواحد من ثلاثة لذي حسب يزين به حسبه او ذي دين يسوس به دينه او مختلط بسلطان يتحفه بعلمه ويتخلص منه بالعلم فلا يقع في هلكة قال ولا اعلم احدا اشترط لهذه الثلاثة الا عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وكان عروة يقرا كل يوم ربع القران ويقوم به في الليل وكان ايام الرطب يثلم حائطه للناس فيدخلون فياكلون فاذا ذهب الرطب اعاده وقال الزهري كان عروة بحرا لا ينزف ولا تكدره الدلاء وقال عمر بن عبد العزيز ما احد اعلم من عروة وما اعلمه يعلم شيئا اجهله وقد ذكر غير واحد من فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهى الى قولهم وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع اليهم في زمن ولايته على المدينة وقد ذكر غير واحد انه وفد على الوليد بدمشق فلما رجع اصابته في رجله الاكلة فارادوا قطعها فعرضوا عليه ان يشرب شرابا يغيب عقله حتى لا يحس بالالم ويتمكنوا من قطعها فقال ما ظننت ان احدا يؤمن بالله يشرب شيئا يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل ولكن هلموا فاقطعوها فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ولم يعرف انه انّ وروي انهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة فالله اعلم ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى محمدا كان احب اولاده من سطح فمات فدخلوا عليه فعزوه فيه فقال اللهم لك الحمد كانوا سبعة فاخذت واحدا وابقيت ستة وكن لي اطرافا اربعة فاخذت واحدا وابقيت ثلاثة فلئن كنت قد اخذت فلقد اعطيت ولئن كنت قد ابتليت فلقد عافيت قلت قد ذكر غير واحد ان عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجها الى دمشق ليجتمع بالوليد وقعت الاكلة في رجله في وادي قرب المدينة فكان مبداها هناك فظن انها لا يكون منها ما كان فذهب في وجهه ذلك فما وصل الى دمشق الا وهي قد اكلت نصف ساقه فدخل على الوليد فجمع له الاطباء العارفين بذلك فاجمعوا على انه ان لم يقطعها والا اكلت

رجله كلها الى وركه وربما ترقت الى الجسد فتاكله فطابت نفسه بنشرها فقالوا له الا نسقيك مرقدا حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بالم النشر فقال لا والله ما كنت اظن ان احدا يشرب شرابا او ياكل شيئا يذهب عقله ولكن ان كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وانا في الصلاة فاني لا احس بذلك ولا اشعر به قال فنشروا رجله من فوق الاكلة من المكان الحي احتياطا انه لا يبقى منها شيء وهو قائم يصلي فما تضور ولا اختلج فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله فقال اللهم لك الحمد كان لي اطراف اربع فاخذت واحدا فلئن كنت قد اخذت فقد ابقيت وان كنت قد ابليت فلطالما عافيت فلك الحمد على ما اخذت وعلى ما عافيت قال وكان قد صحب معه بعض اولاده من جملتهم ابنه محمد وكان احبهم اليه فدخل دار الدواب فرفسته فرس فمات فاتوه فعزوه فيه فقال الحمد لله كانوا سبعة فاخذت منهم واحدا وابقيت ستة فلئن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ولئن كنت قد اخذت فلطالما ما اعطيت فلما قضى حاجته من دمشق رجع الى المدينة قال فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ولا شكى ذلك الى احد حتى دخل وادي القرى فلما كان في المكان الذي اصابته الاكلة فيه قال لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فلما دخل المدينة اتاه الناس يسلمون عليه ويعزونه في رجله وولده فبلغه ان بعض الناس قال انما اصابه هذا بذنب عظيم احدثه فانشد عروة في ذلك الابيات لمعن بن اوس

لعمرك ما اهويت كفي لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رايي عليها ولا عقلي
ولست بماش ما حييت لمنكر ... من الامر لا يمشي الى مثله مثلي
ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة ... واوثر ضيفي ما اقام على اهلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة ... من الدهر الا قد اصابت فتى قبلي

وفي رواية اللهم انه كان لي بنون اربعة فاخذت واحدا وابقيت ثلاثة كذا ذكر هذا الحديث ابنه هشام وقال مسلمة بن محارب وقعت في رجل عروة الاكلة فقطعت ولم يمسكه احد ولم يدع في تلك الليلة ورده وقال الاوزاعي لما نشرت رجل عروة قال اللهم انك تعلم اني لم امش بها الى سوء قط وانشد البيتين المتقدمين وراى عروة رجلا يصلي صلاة خفيفة فدعاه فقال يا اخي اما كانت لك الى ربك حاجة في صلاتك اني لاسال الله في صلاتي حتى اساله الملح وقال عروة رب كلمة ذل احتملتها اورثتني عزا طويلا وقال لبنيه اذا رايتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا ان لها عنده اخوات واذا رايتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا ان لها عنده اخوات فان الحسنة تدل على اختها والسيئة تدل على اختها وكان عروة اذا دخل حائطه ايام الرطب يردد هذه الاية ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله حتى يخرج منه والله سبحانه اعلم قال المؤلف قيل انه ولد في حياة عمر والصحيح انه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين وكانت وفاته في سنة اربع وتسعين على المشهور وقيل انه سنة تسعين وقيل سنة ثمانية وقيل احدى وتسعين وقيل احدى ومائة وقيل سنة ثنتين او ثلاث او اربع او خمس وتسعين وقيل تسع وتسعين والله اعلم

علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين وامه ام ولد اسمها سلامة وكان لها اخ اكبر منه
يقال له علي ايضا قتل مع ابيه وروى علي هذا الحديث عن ابيه وعمه الحسن بن علي وجابر
وابن عباس والمسور بن مخرمة وابي هريرة وصفية وعائشة وام سلمة امهات المومنين
وعنه جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر وابو جعفر محمد بن علي الباقر وزيد بن اسلم وطاوس
وهو من اقرانه والزهري ويحيى بن سعيد الانصاري وابو سلمة وهو من اقرانه وخلق
قال ابن خلكان كانت امه سلامة بنت يزدجرد اخر ملوك الفرس وذكر الزمخشري في ربيع
الابرار ان يزدجرد كان له ثلث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب فحصلت واحدة لعبد
الله بن عمر فاولدها سالما والاخرى لمحمد بن ابي بكر الصديق فاولدها القاسم والاخرى
للحسين بن علي فاولدها عليا زين العابدين هذا فكلهم بنو خالة قال ابن خلكان ولما
قتل قتيبة بن مسلم فيروز بن يزدجرد بعث بابنتيه الى الحجاج فاخذ احداهما وبعث
بالاخرى الى الوليد فاولدها الوليد يزيد الناقص وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف
ان زين العابدين هذا كانت امه سندية يقال لها سلامة ويقال غزالة وكان مع ابيه
بكربلا فاستبقي لصغره وقيل لمرضه فانه كان ابن ثلث وعشرين سنة وقيل اكثر من
ذلك وقد هم بقتله عبيد الله بن زياد ثم صرفه الله عنه واشار بعض الفجرة على يزيد
بن معاوية بقتله ايضا فمنعه الله منه ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويعظمه ويجلسه معه
ولا ياكل الا وهو عنده ثم بعثهم الى المدينة فكان علي بالمدينة محترما معظما قال ابن عساكر
ومسجده بدمشق المنسوب اليه معروف وهو مشهد علي بالناحية الشرقية من جامع دمشق
وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة اخرى الى دمشق فاستشاره في جواب ملك
الروم عن بعض ما كتب اليه فيه من امر السكة وطراز القراطيس قال الزهري ما رايت قرشيا
اورع منه ولا افضل وكان مع ابيه يوم قتل ابن ثلث وعشرين سنة وهو مريض فقال
عمر بن سعد لا تتعرضوا لهذا المريض وقال الواقدي كان من اورع الناس واعبدهم
واتقاهم لله عز وجل وكان اذا مشى لا يخطر بيده وكان يعتم بعمامة بيضاء يرخيها من ورائه
وكان كنيته ابو الحسن وقيل ابو محمد وقيل ابو عبد الله وقال محمد بن سعد كان ثقة مامونا
كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا وامه غزالة خلف عليها بعد الحسين مولاه زبيد
فولدت له عبد الله بن زبيد وهو علي الاصغر فاما الاكبر فقتل مع ابيه وكذا قال غير واحد
وقال سعيد بن المسيب وزيد بن اسلم ومالك وابو حازم لم يكن في اهل البيت مثله وقال
يحيى بن سعيد الانصاري سمعت علي بن الحسين وهو افضل هاشمي ادركته يقول يا ايها الناس
احبونا حب الاسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا وفي رواية حتى بغضتمونا الى الناس
وقال الاصمعي لم يكن للحسين عقب الا من علي بن الحسين ولم يكن لعلي بن الحسين نسل الا من
ابن عمه الحسن فقال له مروان بن الحكم لو اتخذت السراري حتى تكثر اولادك فقال ليس لي
ما اتسرى به فاقرضه مائة الف فاشترى له السراري فولدت له وكثر نسله ثم لما مرض مروان
اوصى ان لا يوخذ من علي بن الحسين شي مما كان اقرضه فجميع الحسينيين من نسله رح وقال
ابو بكر بن ابي شيبة اصح الاسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده وذكروا انه
احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي فلما انصرف قالوا له ما لك لم تنصرف فقال
اني اشتغلت عن هذه النار بالنار الاخرى وكان اذا توضا يصفر لونه فاذا قام الى الصلاة

ارتعد

ارتعد من الفرق فقيل له في ذلك فقال اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ولمن اناجي ولما
حج اراد ان يلبي فارتعد وقال اخشى ان اقول لبيك اللهم لبيك فيقال لي لا لبيك
فشجعوه على التلبية فلما لبى غشي عليه حتى سقط عن الراحلة وكان يصلي في كل يوم وليلة
الف ركعة وقال طاوس سمعته وهو ساجد عند الحجر يقول عبيدك بفنائك مسكينك
بفنائك سائلك بفنائك فقيرك بفنائك قال طاوس فوالله ما دعوت بها في كرب
قط الا كشف عني وذكروا انه كان كثير الصدقة بالليل وكان يقول صدقة الليل
تطفي غضب الرب وتنور القلب والقبر وتكشف عن العبد ظلمة وقاسم الله تعالى ماله
مرتين وقال محمد بن اسحاق كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من اين يعيشون
ومن يعطيهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا انه هو الذي كان ياتيهم في الليل
بما ياتيهم به ولما مات وجدوا في ظهره واكتافه اثر حمل الجراب الى بيوت الارامل والمساكين
في الليل وقيل انه كان يعول مائة اهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات
ودخل علي بن الحسين على محمد بن اسامة بن زيد يعوده فبكى ابن اسامة فقال له ما يبكيك
قال علي دين قال وكم هو قال خمسة عشر الف دينار وفي رواية سبعة عشر الف دينار
فقال هي علي وقال علي بن الحسين كان ابو بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته
بمنزلتهما منه بعد وفاته ونال منه رجل يوما فجعل يتغافل عنه يريه انه لم يسمعه
فقال له الرجل اياك اعني فقال له علي وعنك اغضي وخرج يوما من المسجد فسبه رجل
فابتدر الناس اليه فقال دعوه ثم اقبل عليه فقال ما ستره الله عنك من عيوبنا
اكثر الك حاجة نعينك عليها فاستحيى الرجل فالقى عليه خميصة كانت عليه وامر
له بالف درهم فكان الرجل بعد ذلك اذا راه يقول اشهد انك من اولاد الانبياء قالوا
واختصم علي بن الحسين وحسن بن حسن وكان بينهما منافسة فنال منه حسن
بن حسن وهو ساكت فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين الى منزله فقال يا ابن عم
ان كنت صادقا فيغفر الله لي وان كنت كاذبا فيغفر الله لك والسلام عليك ثم
رجع فلحقه فصالحه وقيل له من اعظم الناس خطرا فقال من لم ير الدنيا لنفسه
قدرا وقال ايضا الفكرة مراة ترى المومن حسناته وسياته وقال فقد الاحبة غربة
وكان يقول ان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد واخرون عبدوه رغبة
فتلك عبادة التجار واخرون عبدوه محبة وشكرا فتلك عبادة الاحرار الاخيار وقال
لابنه يا بني لا تصحبن فاسقا فانه يبيعك باكلة واقل منها يطمع فيها ثم لا ينالها ولا
بخيلا فانه يخذلك في ماله احوج ما تكون اليه ولا كذابا فانه كالسراب يقرب منك البعيد
ويباعد عنك القريب ولا احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ولا قاطع رحم فاني وجدته ملعونا
في كتاب الله قال الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم وكان علي بن الحسين اذا دخل المسجد تخطى
الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن اسلم فقال له نافع بن جبير بن مطعم غفر الله لك انت
سيد الناس تاتي تتخطى حلق اهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد الاسود فقال
له علي بن الحسين انما يجلس الرجل حيث ينتفع وان العلم يطلب حيث كان وقال
الاعمش عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين اتستطيع ان تجمع بيني

ويروى سعيد بن جبير فقلت ما تصنع به قال اريد ان اساله عن اشياء ينفعنا الله بها ولا
تنقصه انه ليس عندنا ما يرمينا به هولاء واشار بيده الى العراق وقال الامام احمد ثنا
يحيى بن آدم ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن زر بن عبيد قال كنت عند ابن عباس فاتى
علي بن الحسين فقال ابن عباس مرحبا بالحبيب ابن الحبيب وقال ابو بكر بن محمد بن يحيى
الصولي ثنا العلائي ثنا ابراهيم بن بشار عن سفيان بن عيينة عن ابي الزبير قال
كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه الحسين بن علي فضمه اليه وقبله واقعده الى جنبه
ثم قال يولد لابني هذا ابن يقال له علي اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان
العرش ليقم سيد العابدين فيقوم هو هذا حديث غريب جدا اورده ابن عساكر
وقال الزهري كان اكثر مجالستي مع علي بن الحسين وما رايت افقه منه وكان قليل الحديث
وكان من افضل اهل بيته واحسنهم طاعة واحبهم الى مروان وابنه عبد الملك وكان
يسمى زين العابدين وقالت جويرية بن اسماء ما اكل علي بن الحسين بقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم درهما قط رح ورضي عنه وقال محمد بن سعد انبا علي بن
محمد عن سعيد بن خالد عن المقبري قال بعث المختار الى علي بن الحسين بمائة الف فكره
ان يقبلها وخاف ان يردها فاحتبسها عنده فلما قتل المختار كتب الى عبد الملك
بن مروان ان المختار بعث الي بمائة الف فكرهت ان اقبلها وكرهت ان اردها
فابعث من يقبضها فكتب اليه عبد الملك يا ابن عم خذها فقد طيبتها لك فقبلها
وقال علي بن الحسين سادة الناس في الدنيا الاسخياء الاتقياء وفي الاخرة اهل الدين
واهل الفضل والعلم الاتقياء لان العلماء ورثة الانبياء وقال ايضا اني لاستحيي من الله
عز وجل ان ارى الاخ من اخواني فاسال الله له الجنة وابخل عليه بالدنيا فاذا كان
يوم القيامة قيل لو كانت الجنة بيدك لكنت بها ابخل وابخل وذكروا انه كان كثير
البكاء فقيل له في ذلك فقال ان يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف
ولم يعلم انه مات واني رايت بضعة عشر من اهلي يذبحون في غداة واحدة فترون
حزنهم يذهب من قلبي ابدا وقال عبد الرزاق سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه
ماء ليتوضا فسقط الابريق من يدها على وجهه فشجه فرفع راسه اليها فقالت
الجارية ان الله يقول والكاظمين الغيظ فقال لقد كظمت غيظي قالت والعافين
عن الناس فقال لقد عفى الله عنك فقالت والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه
الله وقال الزبير بن بكار ثنا عبد الله بن ابراهيم بن قدامة الجمحي عن ابيه عن جده عن
محمد بن علي عن ابيه قال جلس قوم من اهل العراق اليه فذكروا ابا بكر وعمر فنالوا منهما ثم
ابتداوا في عثمان فقال لهم اخبروني انتم من المهاجرين الاولين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله قالوا لا قال فانتم
من الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم قالوا لا فقال لهم اما انتم
فقد اقررتم وشهدتم على انفسكم انكم لستم من هولاء وانا اشهد انكم لستم من الفرقة الثالثة
الذين قال الله عز وجل والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا الاية قوموا عني لا بارك الله فيكم
ولا قرب دوركم انتم مستهزئون بالاسلام ولستم من اهله وجاءه رجل فساله متى يبعث علي

فقال يبعث والله يوم القيامة وتهمه نفسه وقال ابن ابي الدنيا حدثت عن سعيد
بن سليمان عن علي بن هاشم عن ابي حمزة الثمالي ان علي بن الحسين كان اذا خرج من بيته
قال اللهم اني اتصدق اليوم او اهب عرضي اليوم من استحله وروى ابن ابي الدنيا ان
غلاما سقط من يده سفود وهو يشوي شيئا في التنور على راس صبي لعلي بن الحسين فقتله
فنهض علي بن الحسين مسرعا فلما نظر اليه قال للغلام يا بني انك لم تتعمد انت حر
ثم شرع في جهاز ابنه وقال المدائني سمعت سفيان يقول كان علي بن الحسين يقول
ما يسرني ان لي بنصيبي من الذل حمر النعم ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه ومات
لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه من اجل اسرافه فقال له علي بن الحسين ان من
وراء ابنك خلالا ثلاثا شهادة ان لا اله الا الله وشفاعة رسول الله ورحمة الله عز وجل
وقال المدائني قارف الزهري ذنبا فاستوحش منه وهام على وجهه وترك اهله وماله فلما
اجتمع بعلي بن الحسين قال له يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء اعظم من
ذنبك فقال الزهري الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفي رواية انه كان اصاب دما حراما
خطا فامره علي بالتوبة والاستغفار وان يبعث الدية الى اهله ففعل ذلك فكان الزهري
يقول علي بن الحسين اعظم الناس علي منة وقال سفيان بن عيينة كان علي بن الحسين
يقول لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم الا اوشك ان يقول فيه من الشر ما لا يعلم وما
اصطحب اثنان على معصية الا اوشك ان يفترقا على غير طاعة وذكروا انه زوج امه
من مولى له واعتق امة فتزوجها فارسل اليه عبد الملك يلومه في ذلك فكتب اليه
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا
وقد اعتق صفية فتزوجها وزوج مولاه زيد بن حارثة من ابنة عمه زينب بنت جحش
قالوا وكان يلبس في الشتاء خميصة من خز بخمسين دينارا فاذا جاء الصيف تصدق
بها ويلبس في الصيف الثياب المرتفعة ودونها ويتلو قوله قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقد روي من طرق ذكرها الصولي والجريري وغير
واحد ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة ابيه او اخيه الوليد فطاف بالبيت فلما اراد
ان يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه وقام اهل الشام حوله
فبينما هو كذلك اذ اقبل علي بن الحسين فلما دنى من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس اجلالا
له وهيبة واحتراما وهو في بزة حسنة وشكل مليح فقال اهل الشام لهشام من هذا
فقال لا اعرفه استنقاصا به واستحقارا لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال
الفرزدق وكان حاضرا انا اعرفه فقالوا ومن هو فانشا الفرزدق يقول

هذا الذي تعرف البطحاء وطاته • والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم • هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا راته قريش قال قائلها • الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي الى ذروة العز التي قصرت • عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته • ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته • فما يكلم الا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق • من كف اروع في عرنينه شمم

مشتقة من رسول الله نبعته ٭ طابت عناصرها والخيم والشيم

ينجاب نور الهدى من نور غرته ٭ كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ٭ حلو الشمائل تحلو عنده نعم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ٭ بجده أنبياء الله قد ختموا

الله فضله قدما وشرفه ٭ جرى بذاك له في لوحه القلم

من جده دان فضل الأنبياء له ٭ وفضل أمته دانت لها الأمم

عم البرية بالإحسان فانقشعت ٭ عنها الغياية والإملاق والظلم

كلتا يديه غياث عم نفعهما ٭ يستوكفان ولا يعروهما العدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره ٭ تزينه اثنتان الحلم والكرم

لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ٭ رحب الفناء أريب حين يعترم

تفيئته

من معشر حبهم دين وبغضهم ٭ كفر وقربهم منجى ومعتصم

يستدفع الشر والبلوى بحبهم ٭ ويستزيد به الإحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ٭ في كل حكم ومختوم به الكلم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ٭ أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم ٭ ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ٭ والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم ٭ خيم كريم وأيد بالندى هضم

لا ينقص العسر بسطا من أكفهم ٭ سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

أي الخلائق ليست في رقابهم ٭ لأولية هذا أو له نعم

فليس قولك من هذا بضائره ٭ العرب تعرف من أنكرت والعجم

من يعرف الله يعرف أولية ذا ٭ فالدين من بيت هذا ناله الأمم

قال فغضب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة فلما بلغ ذلك علي بن الحسين بعث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم وأرسل يعتذر إليه أن ليس عنده اليوم غيرها فردها الفرزدق ولم يقبلها وقال إنما قلت ما قلت لله عز وجل ونصرة للحق وقياما بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذريته ولست أعتاض عن ذلك بشيء فأرسل إليه علي بن الحسين يقول قد علم الله صدق نيتك في ذلك وأقسمت عليك بالله لتقبلها فتقبلها منه ثم جعل يهجو هشاما فكان مما قال فيه

أيحبسني بين المدينة والتي ٭ إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد ٭ وعينا له حولاء باد عيوبها

وقد روينا عن علي بن الحسين أنه كان إذا رأى الجنازة يقول هذين البيتين

نراع إذا الجنائز قابلتنا ٭ ونلهو حين تمضي ذاهبات

كروعة ثلة لمغار سبع ٭ فلما غاب عادت راتعات

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله المقرئ حدثني سفيان بن عيينة عن الزهري قال سمعت علي بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه يقول يا نفس حتام إلى الدنيا سكونك وإلى عمارتها ركونك أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ومن وارته

الأرض من آلافك ومن فجعت به من إخوانك ونقل إلى الثرى من أقرانك فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دواثر

خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم ٭ وساقتهم نحو المنايا المقادر

وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها ٭ وضمتهم تحت التراب الحفائر

كم خرمت أيدي المنون من قرون بعد قرون وكم غيرت الأرض ببلائها وغيبت في ترابها ممن عاشرت من صنوف الناس وشيعتهم إلى الأرماس ثم رجعت

فلما رأى أن لا نجاة وأنه ٭ هو الموت لا ينجيه منه التحاذر

تندم إذ لم تغن عنه ندامة ٭ عليه وأبكته الذنوب الكبائر

أي بكى وندم لما أبدى ذهاب لذاته لما سبق من ذنبه وجناياته بكى على ما سلف من خطاياه وتحسر على ما خلف من دنياه واستغفر حين لا ينفعه الاستغفار ولا ينجيه الاعتذار عند هول المنية ونزول البلية

أحاطت به أحزانه وهمومه ٭ وأبلس لما أعجزته المعاذر

فليس له من كربة الموت فارج ٭ وليس له مما يحاذر ناصر

وقد جشأت خوف المنية نفسه ٭ ترددها منه اللها والحناجر

هنالك خف عواده وأسلمه أهله وأولاده وارتفعت الرنة بالعويل وقد أيسوا من العليل فغمضوا بأيديهم عينيه ومد عند خروج روحه رجليه وتخلى عنه الصديق والصاحب الشفيق

فكم موجع يبكي عليه مفجع ٭ ومستنجد صبرا وما هو صابر

ومسترجع داع له الله مخلصا ٭ يعدد منه كل ما هو ذاكر

وكم شامت مستبشر بوفاته ٭ وعما قليل للذي صار صائر

فشقت جيوبها نساؤه ولطمت خدودها إماؤه وأعول لفقده جيرانه وتوجع لرزيته إخوانه ثم أقبلوا على جهازه وشمروا لإبرازه كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى ولا الحبيب المبدى

وظل أحب القوم كان لقربه ٭ يحث على تجهيزه ويبادر

وشمر من قد أحضروه لغسله ٭ ووجه لما فاض للقبر حافر

وكفن في ثوبين واجتمعت له ٭ مشيعة إخوانه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده وقد غلب الحزن على فؤاده ويخشى من الجزع عليه وخضبت الدموع عينيه وهو يندب أباه ويقول يا ويلاه واحرباه

لعاينت من قبح المنية منظرا ٭ يهال لمرآه ويرتاع ناظر

أكابر أولاد يهيج اكتئابهم ٭ إذا ما تناساه البنون الأصاغر

ورنة نسوان عليه جوازع ٭ مدامعهم فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره إلى ضيق قبره فلما استقر في اللحد وهيئ عليه اللبن احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياه وضاق ذرعا بما رآه ثم حثوا بأيديهم عليه التراب وأكثروا البكاء عليه والانتحاب ثم وقفوا ساعة عليه وأيسوا من النظر إليه وتركوه رهنا بما كسب وطلب

فولوا عليه معولين وكلهم ٭ لمثل الذي لاقى أخوه محاذر

كشاء رتاع آمنين بدا لها … بمديته بادي الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلا وأجفلت … فلما نأى عنها الذي هو جازر

عادت الى مرعاها ونسيت ما في أختها دهاها أفبأفعال الأنعام اقتدينا أم على عادتها جرينا عد الى ذكر المنقول الى دار البلى واعتبر بموضعه تحت الثرى المدفوع الى هول ما ترى

ثوى مفردا في لحده وتوزعت … مواريثه أولاده والأصاهر
وأحنوا على أمواله يقسمونها … فلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعيا لها … ويا آمنا من أن تدور الدوائر

كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر اليها لا محالة أم كيف ضيعت حياتك وهي مطيتك الى مماتك أم كيف تسيغ طعامك وأنت منتظر حمامك أم كيف تتهنأ بالشهوات وهي مطية الآفات ولم تتزود للرحيل وقد دنا

وأنت على حال وشيك مسافر
فيا لهف نفسي كم أسوف توبتي … وعمري فان والردى لي ناظر
وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت … يجازي عليه عادل الحكم قادر

فكم ترقع بآخرتك دنياك وتركب غيك وهواك أراك ضعيف اليقين يا مؤثر الدنيا على الدين أبهذا أمرك الرحمن أم على هذا نزل القرآن أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب وشر المآب أما تذكر حال من جمع وعثر ورفع البناء وزخرف وعمر أما صار جمعهم بورا ومساكنهم قبورا عنهم لي عما امل الافلاس

وأنت على الدنيا مكب منافس … لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسي وتصبح لاهيا … أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرأ يسعى لدنياه دائبا … ويذهل عن أخراه لا شك خاسر

فحتام على الدنيا إقبالك وبشهواتك اشتغالك وقد وخطك القتير وأتاك النذير وأنت عما يراد بك ساه وبلذة يومك وغدك لاه وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات وعاينت ما حل بهم من المصيبات وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى … عن اللهو واللذات للمرء زاجر

أبعد اقتراب الأربعين تربص … وشيب قذال منذر لك كاسر
كأنك معني بما هو ضائر … لنفسك عمدا أو عن الرشد جائر

انظر الى الأمم الماضية والملوك الفانية كيف اختطفتهم عقبان الأيام ووافاهم الحمام فانمحت من الدنيا آثارهم وبقيت فيها أخبارهم وأضحوا رمما في التراب الى يوم الحشر والحساب

فأضحوا رميما في التراب وعطلت … مجالس منهم وأخليت مقاصر
وحلوا بدار لا تزاور بينهم … وأنى لسكان القبور التزاور
فما أن ترى إلا جثا قد ثووا بها … مسطحة تسفي عليها الأعاصر

كم من ذي منعة وسلطان وجنود وأعوان تمكن من دنياه ونال فيها ما تمناه وبنى فيها القصور والدساكر وجمع فيها الأموال والذخائر وملك السراري والحرائر

فما صرفت كف المنية إذ أتت … مبادرة تهوي إليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التي بنى … وحف بها أنهاره والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة … ولا طمعت في الذب عنه العساكر

أتاه من الله ما لا يرد ونزل به من قضائه ما لا يصد فتعالى الله الملك الجبار المتكبر العزيز القهار قاصم الجبارين ومبيد المتكبرين الذي ذل لعزه كل ذي سلطان وأباد بقوته كل ديان

مليك عزيز لا يرد قضاؤه … حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
عنا كل ذي عز لعزة وجهه … فكل عزيز للمهيمن صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت … لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

فالبدار البدار والحذار الحذار من الدنيا ومكايدها وما نصبت لك من مصايدها وتحلت لك من زينتها وأظهرت لك من بهجتها وأبرزت لك من شهواتها وأخفت عنك من قواتلها ومهلكاتها

وفي دون ما عاينت من فجعاتها … الى دفعها داع وبالزهد آمر
فجد ولا تغفل وكن متيقظا … فعما قليل يترك الدار عامر
فشمر ولا تفتر فعيشك زائل … وأنت الى دار الإقامة صائر
ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها … وإن نلت منه غبه لك ضائر

فهل يحرص عليها لبيب أو يسر بها أريب وهو على ثقة من فنائها وغير طامع في بقائها أم كيف تنام عينا من يخشى البيات وتسكن نفس من يتوقع في جميع أموره الممات

ألا لا ولكنا نغر نفوسنا … وتشغلنا اللذات عما نحاذر
وكيف يلذ العيش من هو موقن … بموقف عدل يوم تبلى السرائر
كأنا نرى أن لا نشور وأننا … سدى ما لنا بعد الممات مصادر

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها مع صنوف عجائبها وقوارع فجائعها وكثرة عذابه في مصابها وفي طلبها وما يكابد من أسقامها وأوصابها

أما قد نرى في كل يوم وليلة … يروح علينا صرفها ويباكر
تعاورنا آفاتها وهمومها … وكم قد نرى يبقى لها المتعاور
فلا هو مغبوط بدنياه آمن … ولا هو عن تطلابها النفس قاصر

كم قد غرت الدنيا من مخلد اليها وصرعت من مكب عليها فلم تنعشه من عثرته ولم تنقذه من صرعته ولم تشفه من ألمه ولم تبره من سقمه ولم تخلصه من وصمه

بلى أوردته بعد عز ومنعة … موارد سوء ما لهن مصادر
تخرب ما يبقى وتعمر فانيا … فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
وهل لك إن وافاك حتفك بغتة … ولم تكتسب خيرا لدى الله عاذر
أترضى بأن تفنى الحياة وتنقضي … ودينك منقوص ومالك وافر

وقد اختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين زين العابدين فالمشهور عند الجمهور أنه توفي في هذه السنة أعني سنة أربع وتسعين وله من العمر ثمان وخمسون سنة وصلي عليه بالبقيع ودفن بالبقيع قال الفلاس مات علي بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن عبد الرحمن سنة أربع وتسعين وله من العمر ثمان وخمسون سنة وقال بعضهم توفي سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين وأغرب المدائني في قوله أنه توفي سنة تسع وتسعين والله أعلم انتهى ما ذكره المؤلف من ترجمة علي بن الحسين وقد رأيت له كلاما متفرقا وهو من جيد الحكمة فأحببت أن أذكر لعل الله أن ينفع به من وقف عليه قال حفص بن غياث

عن حجاج عن ابي جعفر عن علي بن الحسين قال ان الجسد اذا لم يمرض اشر وبطر ولا خير في جسد يأشر
ويبطر وقال ابو بكر بن الانباري ثنا احمد بن الصلت ثنا قاسم بن ابراهيم العلوي ثنا ابو جعفر
بن محمد عن ابيه قال قال علي بن الحسين فقد الاحبة غربة وكان يقول اللهم اني اعوذ بك ان
تحسن في لوامع العيون علانيتي وتقبح في خفيات الغيوب سريرتي اللهم كما اسأت واحسنت
الي فاذا عدت فعد علي اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقك بما وسعت علي من فضلك
وقال لابنه يا بني اتخذ لي ثوبا للخلاء فاني رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب
ثم انتبه فقال وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الا ثوب واحد فرفضه
وعن ابي حمزة الثمالي قال اتيت باب علي بن الحسين فكرهت ان اصوت فقعدت على الباب
حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد علي السلام ودعا لي ثم انتهى الى حائط فقال يا ابا حمزة
ترى هذا الحائط قلت نعم قال فاني اتكأت عليه يوما وانا حزين فاذا رجل حسن الوجه حسن
الثياب ينظر في تجاه وجهي ثم قال يا علي بن الحسين ما لي اراك كئيبا حزينا اعلى الدنيا فهي
رزق حاضر يأكل منها البر والفاجر فقلت ما عليها احزن لانه كما تقول فقال اعلى الاخرة
فهي وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ثم قال رأيت احدا سأل الله فلم يعطه قلت لا قال فخاف
الله فلم يكفه قلت لا ثم غاب عني فقيل لي يا علي قلت ما على هذا احزن لانه كما تقول فقال
اعلى الاخرة فعلى ما حزنك فقلت على ما نتخوف من الفتنة يعني فتنة ابن الزبير فقال
لي يا علي هل رأيت احدا سأل الله فلم يعطه قلت ما على هذا الحزن لا قال فخاف الله فلم يكفه
قلت لا ثم غاب عني فقيل لي يا علي هذا الخضر ناجاك لفظ الخضر مزاد فيه من بعض الرواة وقال
الطبراني ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن عمرو بن ثابت قال
لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون الى آثار سواد في ظهره فقالوا ما هذا فقيل
كان يحمل جرب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء اهل المدينة وقال ابن عائشة سمعت
اهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين وروى عبد الله بن
احمد بن حنبل عن ابن اشكاب عن محمد بن بشر عن ابي المنهال الطائي ان علي بن الحسين كان اذا ناول
المسكين الصدقة قبله ثم ناوله وقال الطبراني ثنا يحيى بن زكريا الغلابي ثنا العتبي
حدثني ابي قال قال علي بن الحسين وكان من افضل بني هاشم لابنه يا بني اصبر على النوائب ولا
تتعرض للحقوق ولا تجب اخاك الى الامر الذي مضرته عليك اكثر من منفعته له وروى
الطبراني باسناده عنه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم اهل الفضل ايضا انه كان
جالسا في جماعة فسمع داعية في بيته فنهض فدخل منزله ثم رجع الى مجلسه فقيل له امن حدث
كانت الواعية قال نعم فعزوه وتعجبوا من صبره فقال انا اهل بيت نطيع الله عز وجل فيما
نحب ونحمده على ما نكره وروى الطبراني عنه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم اهل
الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون
الى اين فيقولون الى الجنة فيقولون قبل الحساب قالوا نعم قالوا من انتم قالوا نحن اهل
الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا اذا جهل علينا حلمنا واذا ظلمنا صبرنا واذا أسيء
الينا غفرنا قالوا لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين ثم ينادي مناد ليقم اهل الصبر
فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم
مثل ذلك فيقولون نحن اهل الصبر قالوا فما كان صبركم قالوا صبرنا انفسنا على طاعة الله

وصبرناها

وصبرناها عن معصية الله وصبرنا على البلاء فقالوا لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين
ثم ينادي المنادي ليقم جيران الله في داره فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم
انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك فيقولون نحن جيران الله
في داره فيقولون بما استحققتم مجاورة الله عز وجل في داره قالوا كنا نتزاور في الله
ونتجالس في الله ونتباذل في الله عز وجل فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين
وقال علي بن الحسين ان الله يحب المؤمن المذنب التواب وقال التارك للامر بالمعروف
والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره الا ان يتقي منهم تقاة قيل وما تقاته قال
يخاف جبارا عنيدا ان يسطو عليه او ان يطغى وقال رجل لسعيد بن المسيب ما رأيت
احدا اورع من فلان فقال له سعيد هل رأيت علي بن الحسين قال لا قال ما رأيت اورع
منه وروى سفيان بن عيينة عن الزهري قال دخلت على علي بن الحسين فقال يا زهري
فيم كنتم قلت كنا نتذاكر الصوم فاجمع رأيي ورأي اصحابي على انه ليس من الصوم شيء واجب
الا صوم شهر رمضان فقال يا زهري ليس كما قلتم الصوم على اربعين وجها عشرة منها واجب
كوجوب شهر رمضان وعشرة منها حرام واربع عشرة منها صاحبها بالخيار ان شاء صام
وان شاء افطر وصوم النذر واجب وصوم الاعتكاف واجب قال الزهري فقلت فسرهن
يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما الواجب فصوم شهر رمضان وصوم شهرين
متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق وصيام ثلاثة ايام في كفارة اليمين لمن لم يجد
الاطعام وصيام حلق الراس وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدي وصوم جزاء الصيد يقوم
الصيد قيمة ثم يقضى ذلك الثمن على الحنطة واما الذي صاحبه بالخيار فصوم الاثنين
والخميس وستة ايام من شوال بعد رمضان وصوم عرفة ويوم عاشوراء كل ذلك صاحبه
بالخيار واما صوم الاذن فالمرأة لا تصوم تطوعا الا باذن زوجها وكذلك العبد والامة
واما الصوم الحرام فصوم يوم الفطر ويوم الاضحى وايام التشريق ويوم الشك نهينا ان
نصومه لرمضان وصوم الوصال حرام وصوم الصمت حرام وصوم نذر المعصية حرام وصوم
الدهر وصوم الضيف لا يصوم تطوعا الا باذن صاحبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من نزل على قوم فلا يصومن تطوعا الا باذنهم واما صوم الاباحة فمن اكل او شرب ناسيا اجزاه
صومه واما صوم المريض والمسافر فقال قوم يصوم وقال قوم لا يصوم وقال قوم ان شاء صام
وان شاء افطر واما نحن فنقول يفطر في الحالين فان صام في السفر والمرض فعليه القضاء

ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني احد الفقهاء السبعة قيل اسمه محمد وقيل
اسمه ابو بكر وكنيته ابو عبد الرحمن والصحيح ان اسمه وكنيته واحد وله من الاولاد والاخوة كثير
وهو تابعي جليل روى عن عمار وابي هريرة واسماء بنت ابي بكر وعائشة وام سلمة وغيرهم وعنه
جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك وعمر ومولاه سمي وعامر الشعبي وعمر بن عبد العزيز
وعمرو بن دينار ومجاهد والزهري ولد في خلافة عمر وكان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته
وكان مكفوفا وكان يصوم الدهر وكان من الثقة والامانة والفقه وصحة الرواية على جانب
عظيم قال ابو داود وكانت تذكف وكان اذا سجد يضع يده في طست لعلة كانت بها والصحيح
انه مات في هذه السنة وقيل في التي قبلها وقيل في التي بعدها والله اعلم قلت ونظم بعض

الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال
● ألا كل من لا يقتدي بأئمة ● فقسمته ضيزى عن الحق خارجة ●
● فخذهم عبيد الله عروة قاسم ● سعيد أبو بكر سليمان خارجة ●
وفيها توفي الفضل بن زياد الرقاشي أحد زهاد أهل البصرة وله مناقب وفضائل كثيرة جدا
قال لا يلهينك الناس عن ذات نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقطع نهارك
بكيت وكيت فإنه محفوظ عليك ما قلت وقال لم أر شيئا أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا
من حسنة حديثة لذنب قديم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري كان أحد فقهاء
المدينة وكان إماما عالما له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وكان ذا باع في العلم توفي
بالمدينة عبد الرحمن بن عائذ الأزدي له روايات وكان عالما وقد كتب كثيرا من علمه روى
عن جماعة من الصحابة وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج عبد الرحمن بن معاوية
بن حديج قاضي مصر لعبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته كان عالما فاضلا روى الحديث
وعنه جماعة اخر الزيادة

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة وفيها فتح مسلمة بن عبد الملك
مدينة في بلاد الروم ثم حرقها ثم بناها بعد ذلك بعشر سنين وفيها افتتح محمد بن القاسم
مدينة الملتان من بلاد الهند وأخذ منها أموالا جزيلة وفيها قدم موسى بن نصير من بلاد الأندلس
إلى إفريقية ومعه الأموال على العجل تحمل من كثرتها ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي وفيها
غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش ففتح مدنا وأقاليم كثيرة فلما كان ببعضها جاءه الخبر بموت
الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو وتمثل بقول بعض الشعراء
● لعمري لنعم المرء من آل جعفر ● بحوران أمسى أعلقته الحبائل ●
● فإن تحي لا أملك حياتي وإن تمت ● فما في حياتي بعد موتك طائل ●
وفيها كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ويعده على ذلك
ويجزيه خيرا ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد وقتال أهل الكفر والعناد وقد كان
الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله فولى الوليد الصلاة والحرب بالمصرين الكوفة
والبصرة يزيد بن أبي كبشة وولى خراجهما يزيد بن مسلم وقيل إن الحجاج كان استخلفهما على ذلك
فأقرهما الوليد واستمر بسائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه وكانت وفاة الحجاج لخمس وقيل
لثلاث بقين من رمضان وقيل مات في شوال من هذه السنة وحج بالناس فيها بشر بن
الوليد بن عبد الملك قاله أبو معشر والواقدي وفيها قتل الوضاحي بأرض الروم ومعه
ألف من أصحابه وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد
الله بن عباس

وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي

وقد ذكرنا أنه هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن
عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن أبو محمد الثقفي سمع ابن
عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى وروى
عنه أنس بن مالك وثابت البناني وحميد الطويل ومالك بن دينار وجواد بن مجالد وقتيبة

ابن مسلم وسعيد بن أبي عروبة قال ابن عساكر وكانت له بدمشق دور منها دار
الرواية بقرب قصر ابن أبي الحديد وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ثم عزله
عنها وولاه العراق وقدم دمشق وافدا على عبد الملك ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم
ثنا مسلم بن قتيبة بن مسلم سمعت أبي يقول خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر فما
زال يقول إنه بيت الوحدة وبيت الغربة حتى بكى وأبكى من حوله ثم قال سمعت أمير المؤمنين
عبد الملك بن مروان يقول سمعت مروان يقول في خطبته خطبنا عثمان بن عفان
فقال في خطبته ما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبر أو ذكره إلا بكى وهذا
الحديث له شاهد في سنن أبي داود وغيره وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار ثنا يسار عن
جعفر عن مالك بن دينار قال دخلت يوما على الحجاج فقال لي يا أبا يحيى ألا أحدثك بحديث
حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فقال حدثني أبو بردة عن أبي موسى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في دبر صلاة
مفروضة وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسانيد
والله أعلم قال الشافعي سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبة دخل على امرأته وهي تتخلل أي
تخلل أسنانها ليخرج ما بينها من أذى وكان ذلك في أول النهار فقال والله لئن كنت
باكرت الغداء إنك لرغيبة دنيئة وإن كان الذي تخللين منه شيء بقي في فيك من البارحة
إنك لقذرة فطلقها فقالت والله ما كان شيئا مما ذكرت ولكني باكرت ما تباكره الحرة
من السواك فبقيت شظية في فمي منه فحاولتها لأخرجها فقال المغيرة ليوسف أبي
الحجاج تزوجها فإنها لخليقة أن تأتي برجل يسود فتزوجها يوسف أبو الحجاج قال
الشافعي فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام فقيل له في النوم ما أسرع ما ألقحت
بالمبير قال ابن خلكان واسم أم الحجاج الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي وكان
زوجها الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب وذكر هذه الحكاية في السواك وذكر
صاحب العقد أن الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الغلمان بالطائف ثم قدم دمشق فكان
عند روح بن زنباع وزير عبد الملك فشكى عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله
ولا يرحلون لرحيله فقال روح عندي رجل توليه ذلك فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش
فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فضربهم
وطوف بهم وأحرق الفسطاط فشكى روح ذلك إلى عبد الملك فقال للحجاج لم صنعت
هذا فقال لم أفعله إنما فعله أنت فإن يدي يدك وسوطي سوطك وما ضرك إذا أعطيت
روحا فسطاطين بدل فسطاطه وبدل الغلام غلامين ولا تكسرني في الذي وليتني ففعل
ذلك وتقدم الحجاج عنده قال وبنى واسط في سنة أربع وثمانين وفرغ منها في سنة
ست وثمانين وقيل قبل ذلك قال وفي أيامه نقطت المصاحف وذكر في حكاية ما يدل
على أنه كان أولا يسمى كليبا ثم سمي الحجاج وذكر أنه ولد ولا مخرج له حتى فتق له مخرج وأنه
لم يرتضع أياما حتى سقوه دم جدي أياما ثم دم سالخ ولطخ وجهه بدمه فارتضع وكانت
فيه شهامة وحب لسفك الدماء لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذي لطخ به وجهه ويقال
إن أمه هي المتمنية لنصر بن حجاج بن علاط وقيل إنها أم أبيه والله أعلم وكانت فيه شهامة
عظيمة وفي سيفه رهق وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة وكان يغضب

عصبة الملوك وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن ابيه وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب
فيما يزعم ايضا ولا سواء ولا قريب وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة سليم بن عنز التجيبي قاضي مصر
وكان من كبار التابعين وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجابية وكان من الزهادة والعبادة
على جانب عظيم وكان يختم القران في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها والمقصود
ان الحجاج كان مع ابيه بمصر في جامعها فاجتاز بهما سليم بن عنز هذا فنهض اليه ابو الحجاج
فسلم عليه وقال له اني ذاهب الى امير المومنين فهل من حاجة لك عنده قال نعم تسأله ان
يعزلني عن القضاء فقال سبحان الله والله لا اعلم قاضيا اليوم خيرا منك ثم رجع الى ابنه
الحجاج فقال له ابنه يا ابة اتقوم الى رجل من تجيب وانت ثقفي فقال له يا بني والله اني احسب
ان الناس انما يرحمون بهذا وامثاله فقال الحجاج والله ما على امير المومنين اضر من هذا وامثاله
فقال ولم يا بني قال لان هذا وامثاله يجتمع الناس اليهم فيحدثونهم عن سيرة ابي بكر وعمر فيحقر
الناس سيرة امير المومنين ولا يرونها شيئا عند سيرتهما فيخلعونه ويخرجون عليه ويبغضونه
ولا يرون طاعته والله لو خلص الي من الامر شي لاضربن عنق هذا وامثاله فقال له ابوه يا بني
والله اني لاظن ان الله عز وجل خلقك شقيا وهذا يدل على ان اباه كان ذا وجاهة عند
الخليفة وانه كان ذا فراسة صحيحة فانه تفرس في ابنه ما آل اليه امره بعد ذلك قالوا
وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين وقيل سنة اربعين وقيل سنة احدى واربعين
ثم نشأ شابا لبيبا فصيحا بليغا حافظا للقران قال بعض السلف كان الحجاج يقرأ
القران في كل ليلة وقال ابو عمرو بن العلاء ما رايت افصح منه ومن الحسن البصري وكان
الحسن افصح منه وقال الدارقطني ذكر سليمان بن ابي شيخ عن صالح بن سليمان قال
قال عقبة بن عامر عمرو ما رايت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض الا الحجاج واياس
بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس وقد تقدم ان عبد الملك لما قتل مصعب
ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعث الحجاج الى اخيه عبد الله بمكة فحاصره بها واقام
للناس الحج عامئذ ولم يتمكن الحجاج ومن معه من الطواف بالبيت ولا تمكن ابن الزبير ومن
عنده من الوقوف ولم يزل محاصره حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين ثم استنابه
عبد الملك على مكة والمدينة والطايف واليمن ثم نقله الى العراق بعد موت اخيه
بشر فدخل الكوفة كما ذكرنا وقال لهم وفعل بهم ما تقدم ايراده مفصلا فاقام بين
ظهرانيهم عشرين سنة كاملة وفتح فيها فتوحات هائلة كثيرة منتشرة حتى وصلت
خيوله ايضا الى قرب بلاد الهند والسند ففتح فيها جملة مدن واقاليم ووصلت
خيوله ايضا الى قريب بلاد الصين وجرت له فصول قد ذكرناها ونحن نورد هنا اشياء
اخر مما وقع له من الامور والجراة والاقدام والتهاون في الامور العظام مما يمدح على مثله ومما
يذم بقوله وفعله مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره فروى ابو بكر بن ابي خيثمة عن يحيى
ابن ايوب عن عبد الله بن كثير بن اخي اسماعيل بن جعفر المديني ما معناه ان الحجاج بن يوسف
صلى مرة بجنب سعيد بن المسيب وذلك قبل ان يلي شيئا فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله
في السجود فلما سلم اخذ سعيد بطرف ردائه وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة فما زال
الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره ثم اقبل عليه سعيد فقال له يا سارق يا خاين
تصلي هذه الصلاة لقد هممت ان اضرب بهذا النعل وجهك فلم يرد عليه ثم مضى الحجاج

الى الحج

الى الحج ثم رجع فعاد الى الشام ثم جاء نايبا على الحجاز فلما قتل ابن الزبير كر راجعا الى المدينة
نايبا عليها فلما دخل المسجد اذا مجلس سعيد بن المسيب فقصده الحجاج فخشي الناس
على سعيد منه فجاء حتى جلس بين يديه فقال له انت صاحب الكلمات فضرب سعيد
صدره بيده وقال نعم قال فجزاك الله من معلم ومؤدب خيرا ما صليت بعدك صلاة
الا وانا اذكر قولك ثم قام ومضى وروى الرياشي عن الاصمعي وابي زيد عن معاذ بن العلاء
اخي ابي عمرو بن العلاء قال لما قتل الحجاج ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فامر الناس فجمعوا في
المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه يا اهل مكة بلغني اكباركم قتل
ابن الزبير الا وان ابن الزبير كان من خيار هذه الامة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها
اهلها فنزع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شي مانع العصاة لمنعت ادم حرمة
الله ان الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته واباح له كرامته واسكنه جنته
فلما اخطا اخرجه من الجنة بخطيئته وادم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة اعظم حرمة
من الكعبة اذكروا الله يذكركم وقال الامام احمد ثنا اسحاق بن يوسف ثنا عوف عن ابي
الصديق الناجي ان الحجاج دخل على اسما بنت ابي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال
ان ابنك الحد في هذا البيت وان الله اذاقه من عذاب اليم وفعل فقالت كذبت كان
برا بوالديه صواما قواما والله لقد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج
من ثقيف كذابان الاخر منهما شر من الاول وهو مبير ورواه ابو يعلى عن وهب بن
بقية عن خالد عن عوف عن ابي الصديق قال بلغني ان الحجاج دخل على اسما فذكر مثله
وقال ابو يعلى ثنا زهير ثنا جرير عن يزيد بن ابي زياد عن قيس بن الاحنف عن اسما بنت
ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن المثلة وسمعته يقول
من ثقيف رجلان كذاب ومبير قالت فقلت للحجاج اما الكذاب فقد رايناه واما المبير
فانت هو يا حجاج وقال عبد بن حميد انا يزيد بن هارون انا العوام بن حوشب
حدثني من سمع اسما بنت ابي بكر الصديق تقول للحجاج حين دخل عليها يعزيها في ابنها
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب فاما
المبير فابن ابي عبيد يعني المختار واما المبير فانت وتقدم في صحيح مسلم من وجه اخر
اوردناه عند مقتل ابنها عبد الله وقد رواه غير واحد عن اسما عن النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابو يعلى ثنا احمد بن عمر الوكيعي ثنا وكيع حدثتنا ام غراب عن امراة يقال لها
عقيلة عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثقيف كذاب
ومبير تفرد به ابو يعلى وقد روى الامام احمد عن وكيع عن ام غراب واسمها طلحة عن عقيلة
عن سلامة حديثا اخر في الصلاة واخرجه ابو داود وابن ماجة وروي من حديث ابن عمر
فقال ابو يعلى ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا اسراييل ثنا عبد الله بن
عصمة قال سمعنا ابن عمر يقول انبانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في ثقيف مبيرا
وكذابا واخرجه الترمذي من حديث شريك عن عبد الله بن عصم ويقال عصمة وقال
حسن غريب لا نعرفه الا من حديث شريك قال الشافعي انا مسلم بن خالد عن ابن جريج
عن نافع ان ابن عمر اعتزل ليالي قتال ابن الزبير والحجاج بمنى فكان يصلي مع الحجاج وقال
الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر انه دخل على الحجاج فلم يرد يسلم عليه ولم يكن يصلي وراءه

وقال إسحاق بن راهويه عن جرير عن المغيرة بن الصلت قال خطب الحجاج فقال
ان ابن الزبير غير كتاب الله فقال له ابن عمر ما سلطك الله على ذلك ولا انت معه ولو شئت
ان اقول كذبت لفعلت وروى عن شهر بن حوشب وغيره ان الحجاج اطال الخطبة فجعل
ابن عمر يقول الصلاة الصلاة مرارا ثم قام فاقام الصلاة فقام الناس فصلى الحجاج
بالناس فلما انصرف قال لابن عمر ما حملك على ذلك فقال انما نجئ للصلاة فصل
الصلاة لوقتها ثم تفتق ما شئت بعد من تفتقة وقال الاصمعي سمعت عمي يقول
بلغني ان الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم الى المدينة لقي شيخا خارجا من المدينة فسأله
عن حال اهل المدينة فقال بشر حال قتل حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الحجاج ومن قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكة من قليل
المراقبة لله فغضب الحجاج شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رأيته قال
نعم فلا عرفه الله خيرا ولا وقاه ضرا فكشف الحجاج عن لثامه وقال ستعلم ايها
الشيخ الآن اذا اسلت دمك الساعة فلما تحقق الشيخ الجد قال والله ان هذا لهو
العجب يا حجاج لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة انا العباس بن ابي داود اصرع
كل يوم خمس مرات فقال له الحجاج انطلق فلا شفى الله الابعد من جنونه ولا عافاه وقال
الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا حماد بن سلمة عن ابن ابي رافع عن عبد الله بن جعفر انه زوج
ابنته من الحجاج بن يوسف فقال لها اذا دخل بك فقولي لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين وزعم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا حزبه امر قال هذا قال حماد فظننت انه قال فلم يصل اليها
قال الشافعي لما تزوج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن
معاوية لعبد الملك اتركته من ذلك فقال وما بأس بذلك فقال اشد الباس والله
قال وكيف قال والله يا امير المؤمنين لقد ذهب ما في صدري على آل الزبير منذ
تزوجت رملة بنت الزبير قال فكأنه كان نائما فايقظه فكتب الى الحجاج يعزم عليه
في طلاقها فطلقها وقال سعيد بن ابي عروبة حج الحجاج مرة فمر بين مكة والمدينة
فاتي بغدائه فقال للحاجب انظر من يأكل معي فذهب فاذا اعرابي نائم فضربه برجله
وقال اجب الامير فقام فلما دخل على الحجاج قال له اغسل يديك ثم تغد معي فقال
انه دعاني من هو خير منك فاجبته قال ومن هو قال الله دعاني الى الصوم فاجبته
قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو اشد حرا منه قال فافطر وصم غدا قال
ان ضمنت لي البقاء الى غد قال ليس ذلك الي قال فكيف تسألني عاجلا باجل لا تقدر
عليه قال انه طعام طيب قال لم تطيبه انت ولا الطباخ انما طيبته العافية

فصل قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته
اياهم بغتة وتهديده ووعيده اياهم وانهم خافوه مخافة شديدة وانه قتل عمير
ابن ضابئ وكذلك قتل كميل بن زياد صبرا ثم كان من امره في قتال ابن الاشعث
ما قدمنا ثم تسلط على من كان معه من الرؤساء والامراء والعباد والقراء حتى كان آخر من قتل
سعيد بن جبير قال القاضي المعافى بن زكريا ثنا احمد بن محمد بن سعيد الكلبي ثنا
محمد بن زكريا الغلابي ثنا محمد يعني ابن عبيد الله بن عباس عن عطاء يعني ابن مصعب

عن عاصم

عن عاصم قال خطب الحجاج اهل العراق بعد دير الجماجم فقال يا اهل العراق ان الشيطان
قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف ثم افضى الى الاسماخ
والامخاخ والاشباح والارواح ثم ارتع فعشش ثم باض وفرخ ثم دب ودرج فحشاكم
نفاقا وشقاقا واشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا
تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة او ينفعكم بيان الستم اصحابي بالاهواز
حيث رمتم المكر واجمعتم الغدر واتفقتم على الكفر وظننتم ان الله يخذل دينه وخلافته
وانا ارميكم بطرفي وانتم تتسللون لواذا وتنهزمون سراعا يوم الزاوية وما يوم
الزاوية مما كان من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص قلوبكم اذ وليتم
كالابل الشاردة عن اوطانها النوازع لا يسأل المرء منكم عن اخيه ولا يلوي الشيخ على
بنيه حين عضكم السلاح وقصمتكم الرماح يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت
المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله يا اهل
العراق يا اهل الكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوة بعد النزوات
ان بعثناكم الى ثغوركم غللتم وخنتم وان امنتم ارجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون
نعمة ولا تشكرون معروفا ما استخفكم ناكث ولا استغواكم غاو ولا استنقذكم عاص
ولا استنصركم ظالم ولا استعضدكم خالع الا لبيتم دعوته واجبتم صيحته ونفرتم
اليه خفافا وثقالا وفرسانا ورجالا يا اهل العراق هل شغب شاغب او نعب ناعب
او زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره يا اهل العراق الم تنفعكم المواعظ الم تزجركم
الوقائع الم يشدد الله عليكم وطأته ويذقكم حر سيفه واليم بأسه ومثلاته ثم
التفت الى اهل الشام فقال يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم الرامح عن فراخه
ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها
من الذباب يا اهل الشام انتم الجنة والرداء وانتم الملاءة والحذاء انتم الاولياء والانصار
والشعار والدثار بكم يذب الله عن البيضة والحوزة وبكم ترمى كتائب الاعداء ويهزم من
عاند وتولى قال ابن ابي الدنيا حدثني محمد بن الحسين ثنا عبيد الله بن محمد التيمي
سمعت شيخا من قريش يكنى ابا بكر التيمي قال كان الحجاج يقول في خطبته وكان لسنا
ان الله خلق آدم وذريته من الارض فامشاهم على ظهرها فاكلوا ثمارها وشربوا انهارها
وهتكوها بالمساحي والمرور ثم اذن الله للارض فيهم فردهم اليها فاكلت لحومهم كما اكلوا
ثمارها وشربت دماءهم كما شربوا انهارها وقطعتهم في جوفها وفرقت اوصالهم كما
هتكوها بالمساحي والمرور ومما رواه غير واحد عن الحجاج انه قال في خطبته من المواعظ
ايها الرجال كلكم ذلك الرجل رجل خطم نفسه وزمها فقادها بخطامها الى طاعة
الله وكفها بزمامها عن معاصي الله رحم الله امرا رد نفسه امرا اتهم نفسه امرا اتخذ
نفسه عدوه امرا حاسب نفسه قبل ان يكون الحساب الى غيره امرا نظر الى ميزانه امرا نظر
الى حسابه امرا وزن عمله امرا فكر فيما يقرأ غدا في صحيفته ويراه في ميزانه وكان عند
قلبه زاجرا وعند همه آمرا امرا اخذ بعنان عمله كما يأخذ بعنان جمله فان قاده الى طاعة
الله تبعه وان قاده الى معصية الله كف امرا عقل عن الله امره امرا افاق واستفاق
وابغض المعاصي والنفاق وكان الى ما عند الله بالاشواق فما زال يقول امرا امرا حتى

يكنى مالك بن دينار وقال المدايني عن ابي عبد الله الثقفي عن عمه قال سمعت الحسن البصري يقول وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج سمعته يقول على هذه الاعواد ان امرءا ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لحري ان تطول حسرته عليها الى يوم القيامة وقال شريك القاضي عن عبد الملك ابن عمير قال قال الحجاج يوما من كان له بلاء اعطيناه على قدره فقام رجل فقال اعطني فاني قتلت الحسين فقال وكيف قتلته فقال دسرته بالرمح دسرا وهبرته بالسيف هبرا وما اشركت معي في قتله احدا فقال اذهب فوالله لا تجتمع انت وهو في موضع واحد ولم يعطه شيئا وقال الهيثم بن عدي جاء رجل الى الحجاج فقال ان اخي خرج مع ابن الاشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطا وقد هدمت داري فقال الحجاج اما سمعت قول الشاعر

جانيك من يجني عليك وقد • تعدي الصحاح مبارك الجرب •

ولربما ماخوذ بذنب قريبه • ونجا المقارف صاحب الذنب •

فقال الرجل ايها الامير اني سمعت الله يقول غير هذا وقول الله اصدق من هذا قال وما قال الله قال قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون قال يا غلام اعد اسمه في الديوان وابن داره واعطه عطاه وامر مناديا ينادي صدق الله وكذب الشاعر وقال الهيثم بن عدي عن ابن عياش كتب عبد الملك الى الحجاج ان ابعث الي براس اسلم بن عبد البكري لما بلغني عنه فاحضره الحجاج فقال ايها الامير انت الشاهد وامير المؤمنين الغايب وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وما بلغه عني فباطل واني اعول اربعة وعشرين امراة ما لهن كاسب غيري وهن بالباب فامر الحجاج باحضارهن فلما حضرن جعلت هذه تقول انا خالته وهذه انا عمته وهذه انا اخته وهذه انا ابنته وهذه انا زوجته وتقدمت اليه جارية فوق الثمان ودون العشر فقال لها الحجاج من انت قال انا ابنته ثم قالت اصلح الله الامير وجثت على ركبتيها وقالت

احجاج لم تشهد مقام بناته • وعماته يندبنه الليل اجمعا •

احجاج لم تقتل به ان قتلته • ثمانا وعشرا واثنتين واربعا •

احجاج من هذا يقوم مقامه • علينا فمهلا ان تزدنا تضعضعا •

احجاج اما ان تجود بنعمة • علينا واما ان تقتلنا معا •

قال فبكى الحجاج وقال والله لا اعنت عليكن ولا زدتكن تضعضعا ثم كتب الى عبد الملك بما قال الرجل وبما قالت ابنته هذه فكتب عبد الملك الى الحجاج يامره باطلاقه وحسن صلته وبالاحسان الى هذه الجارية وتفقدها في كل وقت وقيل ان الحجاج خطب يوما فقال ايها الناس الصبر عن محارم الله ايسر من الصبر على عذاب الله فقام اليه رجل فقال ويحك يا حجاج ما اصفق وجهك واقل حياءك تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام خبت وضل سعيك فقال للحرس خذوه فلما فرغ من خطبته قال له ما الذي جراك علي فقال ويحك يا حجاج انت تجترى على الله ولا اجترى انا عليك

ومن انت

ومن انت حتى لا اجترى عليك وانت تجترى على رب العالمين فقال خلوا سبيله فاطلق وقال المدايني اتي الحجاج باسيرين من اصحاب ابن الاشعث فامر بقتلهما فقال احدهما ان لي عندك يدا قال وما هي قال ذكر ابن الاشعث يوما امك فرددت عليه فقال ومن يشهد لك فقال صاحبي هذا فسأله فقال نعم قال فما منعك ان تفعل كما فعل قال بغضك قال اطلقا هذا لصدقه وهذا لفعله وذكر محمد بن زياد عن ابن الاعرابي انبا بالغدر انه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان فاتكا بارض اليمامة فارسل الحجاج الى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم اخذه فما زال نائبها في طلبه حتى اسره وبعث به الى الحجاج فقال له الحجاج ما حملك على ما كنت تصنعه فقال جراة الجنان وجفاء السلطان وكلب الزمان ولو اختبرني الامير لوجدني من صالحي الاعوان وبهم الفرسان ولوجدني من صالح رعيته وذلك اني ما لقيت فارسا قط الا كنت عليه في نفسي مقتدرا فقال له الحجاج انا قاذفوك في حاير فيه اسد عاقر فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته خلينا سبيلك ثم اودعه السجن مقيدا مغلولة يده اليمنى الى عنقه وكتب الحجاج الى نائبه بكسكر ان يبعث اليه باسد عظيم ضار وقد قال جحدر هذا في محبسه هذا اشعارا يتشوق فيها الى امراته سليمى ام عمرو ويقول في بعضها

اليس الليل يجمع ام عمرو • وايانا فذاك بنا تداني •

بلى وترى الهلال كما تراه • ويعلوها النهار اذا علاني •

اذا جاوزتما نخلات حجر • واودية اليمامة فانعياني •

وقولا جحدر امسى رهينا • يحاذر وقع مصقول يماني •

فلما قدم الاسد على الحجاج امر به فجوع ثلاثة ايام ثم ابرز الى الحاير وهو البستان وامر بجحدر فاخرج في قيوده ويده اليمنى مغلولة بحالها واعطي سيفا في يده اليسرى وخلي بينه وبين الاسد وجلس الحجاج واصحابه في منظرة واقبل جحدر نحو الاسد وهو يقول

ليث وليث في مجال ضنك • وكلاهما ذو انف ومحك •

وشدة في نفسه وفتك • ان يكشف الله قناع الشك •

فهو احق منزل بترك • فلما نظر اليه الاسد زار زارة شديدة وتمطى واقبل نحوه فلما صار منه على قدر رمح وثب الاسد على جحدر وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضربه ضربة خالط ذباب السيف لهواته فخر الاسد كانه خيمة قد صرعتها الريح من شدة الضربة وسقط جحدر من شدة وثبة الاسد وشدة موضع القيود عليه فكبر الحجاج واصحابه وانشا جحدر يقول

يا جمل انك لو رايت كريهتي • في يوم هول مسدف وعجاج •

وتقدمي لليث ارسف موثقا • كيما اثاوره على الاحراج •

شثن براثنه كان نيوبه • زرق المعاول او شباه زجاج •

يسمو بناظرتين يحسب فيهما • لهبا احدهما شعاع سراج •

وكانما خيطت عليه عباءة • برقاء او خرق من الديباج •

لعلمت اني ذو حفاظ ماجد • من نسل اقوام ذوي ابراج •

فعند ذلك خيره الحجاج ان شاء اقام عنده وان شاء انطلق الى بلاده فاختار المقام عند الحجاج فاحسن جايزته واعطاه اموالا وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القران انكرها يحيى بن يعمر منها انه كان يبدل ان المكسورة بان المفتوحة وعكسه وكان يقرا قل ان كان اباوكم وابناوكم الاية الى قوله احب اليكم فيقراوها برفع احب وانكر يوما ان يكون الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه ابن بنته فقال له يحيى بن يعمر كذبت فقال الحجاج لتاتيني على ما قلت ببينة من كتاب الله والا ضربت عنقك فقال قال الله تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فعيسى من ذرية ابراهيم وهو انما ينتسب الى امه مريم والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحجاج صدقت ونفاه الى خراسان وقال الاصمعي وغيره كتب عبد الملك الى الحجاج يسأله عن امس واليوم وغد فقال للرسول اكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده قال نعم فكتب الحجاج الى عبد الملك اما امس فاجل واما اليوم فعمل واما غد فامل وقال ابن دريد عن ابي حاتم السجستاني عن ابي عبيدة معمر بن المثنى قال لما قتل الحجاج ابن الاشعث وصفت له العراق وسع على الناس في العطا فكتب اليه عبد الملك اما بعد فقد بلغ امير المومنين انك تنفق في اليوم ما لا ينفقه امير المومنين في الاسبوع وتنفق في الاسبوع ما لا ينفقه امير المومنين في الشهر ثم قال منشدا

عليك بتقوى الله في الامر كله ۝ وكن لوعيد الله تخشى وتضرع
ووفر خراج المسلمين وفيئهم ۝ وكن لهم حصنا تجير وتمنع

فكتب اليه الحجاج

لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم ۝ قراطيس تملا ثم تطوى فتطبع
كتاب اتاني فيه لين وغلظة ۝ وذكرت والذكرى لذي اللب تنفع
وكانت امور تعتريني كثيرة ۝ فارضخ اواعتل حينا فامنع
اذا كنت سوطا من عذاب عليهم ۝ ولم يك عندي في المنافع مطمع
ايرضى بذاك الناس او يسخطونه ۝ ام احمد فيهم ام الام فاقذع
وكان بلاد جئتها حين جئتها ۝ بها كل نيران العداوة تلمع
فقاسيت منها ما علمت ولم ازل ۝ اصارع حتى كدت بالموت اصرع
وكم ارجفوا من رجفة قد سمعتها ۝ ولو كان غيري طار مما يروع
وكنت اذا هموا باحدى قناتهم ۝ حسرت لهم راسي ولا اتقنع
فلولم يذد عني صنا ديد منهم ۝ تقسم اعضائي ذياب واضبع

قال فكتب اليه عبد الملك ان اعمل برايك وقال الثوري عن محمد بن المستورد الجمحي قال اتي الحجاج بسارق فقال له لقد كنت غنيا ان تكتسب جناية فيوتى بك الى الحكم فيبطل عليك عضوا من اعضايك فقال له الرجل اذا قل ذات اليد سخت النفس بالمتالف قال صدقت والله لو كان حسن اعتذار يبطل حدا لكنت له موضعا يا غلام سيف صارم ورجل قاطع فقطع يده وقال ابو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفرا قال تغدى الحجاج يوما مع الوليد بن عبد الملك فلما انقضى غداوهما

دعاه

دعاة الوليد الى شرب النبيذ فقال يا امير المومنين الحلال ما احللت ولكني انهى عنه اهل العراق واهل عملي واكره ان اخالف قول العبد الصالح وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال عمر بن شبة عن اشياخه قال كتب عبد الملك الى الحجاج يعتب عليه في اسرافه في صرف الاموال وسفك الدما ويقول له انما المال مال الله ونحن خزانه وسيان منع حق واعطاء باطل وكتب في اسفل الكتاب هذه الابيات

اذا انت لم تترك امورا كرهتها ۝ وتطلب رضاي في الذي انا طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلك هاربا ۝ الى الله منه ضيع الدر جالبه
فان ترمني غفلة قرشية ۝ فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمني وثبة اموية ۝ فهذا وهذا كله انا صاحبه
فلا تعدمن يا بنيك مني فان تعد ۝ تقم فاعلمن يوما عليك نوادبه

قال فلما قراه الحجاج كتب اما بعد فقد جاني كتاب امير المومنين يذكر فيه سرفي في الاموال والدما فوالله ما بالغت في عقوبة اهل المعصية ولا قضيت حق اهل الطاعة فان كان ذلك سرفا فليحد لي امير المومنين حدا انتهي اليه ولا اتجاوزه وكتب في اسفل الكتاب

اذا انا لم اطلب رضاك واتقي ۝ اذاك فيومي لا توارت كواكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطية ۝ فقامت عليه في الصباح نوادبه
اسالم من سالمت من ذي هوادة ۝ ومن لم تسالمه فاني محاربه
اذا انا لم ادني الشفيق لنصحه ۝ واقصي الذي تسري الي عقاربه
فمن يتقي يومي ويرجو اذا غدا ۝ على ما ارى والدهر جم عجائبه

وعن الشافعي انه قال الوليد بن عبد الملك للعاز بن زريق خزان يسال الحجاج فيما بينه وبينه هل يجد في نفسه مما اصاب من الدما شيا فساله كما امره فقال والله ما احب ان لي لبنان او سنير ذهبا انفقه في سبيل الله مكان ما ابلاني الله من الطاعة

فصل فيما روي عنه من الكلمات المنافية والجراة البالغة قال ابو داود ثنا محمد بن العلا ثنا ابو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول اتقوا الله ما استطعتم ليس فيها مثنوية واسمعوا واطيعوا ليس فيها مثنوية لامير المومنين عبد الملك والله لو امرت الناس ان يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب اخر لحلت لي دماوهم واموالهم والله لو اخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالا وما عذيري من عبد هذيل يزعم ان قرانه من عند الله والله ما هي الا رجز من رجز الاعراب ما انزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وعذيري من هذه الحمرا يزعم احدهم انه يرمي بالحجر فيقول الى ان يقع الحجر قد حدث امر فوالله لادقنهم كالامس الدابر قال فذكرته للاعمش فقال انا والله سمعته منه ورواه ابو بكر بن ابي خيثمة عن محمد بن يزيد عن ابي بكر عن عاصم بن ابي النجود والاعمش انهما سمعا الحجاج قبحه الله يقول ذلك وفيه والله لو امرتكم ان تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لي دماوكم ولا اجد احدا يقرا على قراة ابن ام عبد الا ضربت عنقه ولاحكنها من المصحف ولو بضلع خنزير ورواه غير واحد عن ابي بكر بن عياش بنحوه وفي بعض الروايات والله لو ادركت عبد هذيل لاضربن عنقه وهذا من جراة الحجاج قبحه الله واقدامه على الكلام

السني والدماء الحرام وانما نقم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على مصحف
الامام الذي جمع الناس عليه عثمان والظاهر ان ابن مسعود رجع الى قول عثمان وموافقته
والله اعلم وقال علي بن عبد الله بن مبشر عن عباس الدوري عن مسلم بن ابراهيم قال ثنا
الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول عبد الله بن مسعود راس المنافقين
لو ادركته لاسقيت الارض من دمه قال وسمعته على منبر واسط يقول وتلا هذه الاية
هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال والله ان كان سليمان لحسودا وهذه جراة عظيمة
تفضي به الى الكفر فتبا له واخزاه وابعده واقصاه قال ابو نعيم حدثنا الاعمش عن
ابراهيم عن علقمة قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني جيتك من عند رجل يملي المصاحف
عن ظهر قلب ففزع عمر وغضب وقال ويحك انظر ما تقول قال ما جيتك الا بالحق قال
من هو قال عبد الله بن مسعود قال ما اعلم احدا احق بذلك منه وساحدثك عن ذلك انا
سمرنا ليلة في بيت عند ابي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرجنا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بيني وبين ابي بكر فلما انتهينا الى المسجد اذا رجل
يقرا فقام النبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه فقلت يا رسول الله اعتمت فغمزني
بيده يعني اسكت قال فقرا وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر فقال النبي صلى الله
عليه وسلم سل تعطه ثم قال من سره ان يقرا القران رطبا كما انزل فليقرا قراءة ابن ام
عبد فعلمت انا وصاحبي انه عبد الله بن مسعود فلما اصبحت غدوت اليه لابشره فقال
سبقك بها ابو بكر وما سابقته الى خير قط الا سبقني اليه وهذا الحديث قد روي عن طرق
فرواه حبيب بن حسان عن زيد بن وهب عن عمر مثله ورواه شعبة وزهير وخديج عن
ابي اسحاق عن ابي عبيدة عن عبد الله ورواه عاصم عن عبد الله ورواه الثوري عن ابنه
عن الاعمش نحوه وقال ابو داود ثنا عمرو بن ثابت عن ابي اسحاق عن خمير بن مالك قال
سمعت عبد الله بن مسعود يقول اخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة
وان زيد بن ثابت لصبي مع الصبيان فانا ادع ما اخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد رواه الثوري واسرائيل عن ابي اسحاق بزيادة ذكرها الطبراني عنه قال لقد تلقيت
من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة احكمتها قبل ان يسلم زيد بن ثابت له
ذوابة يلعب مع الغلمان وقد روى ابو داود عنه وذكر قصة رعيه الغنم لعقبة بن ابي معيط
وانه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك غلام معلم قال فاخذت من فيه سبعين
سورة ما ينازعني فيها احد رواه ابو ايوب الافريقي وابو عوانة عن عاصم عن زر عنه نحوه
وقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذنك علي ان ترفع الحجاب وان تسمع سوادي حتى انهاك
وقد روي هذا عنه من طرق وروى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن الهاد ان عبد الله كان
صاحب الوساد والسواد والسواك والنعلين ورواه غيره عن علقمة قال قدمت
الشام فجلست الى ابي الدرداء فقال لي ممن انت فقلت من اهل الكوفة فقال اليس فيكم
صاحب الوساد والسواك وقال الحارث بن ابي اسامة ثنا عبد العزيز بن ابان ثنا فطر
ابن خليفة ثنا ابو وايل قال سمعت حذيفة يقول وابن مسعود قايم لقد علم المحفوظون
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم انه من اقربهم وسيلة يوم القيمة وقد روي هذا عن
حذيفة من طرق فرواه شعبة عن ابي اسحاق عن ابي وايل عن حذيفة ورواه عن ابي وايل واصل

الاحدب

الاحدب وجامع بن ابي راشد وعبيدة وابو سنان الشيباني وحكيم بن جبير ورواه عبد الرحمن
بن يزيد عن حذيفة وقال ابو داود الطيالسي ثنا شعبة عن ابي اسحاق قال سمعت عبد الرحمن
بن يزيد قلنا لحذيفة اخبرنا برجل قريب الهدي والسمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
نلزمه فقال ما اعلم احدا اقرب هديا وسمتا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يواريه
جدار بيته من ابن ام عبد ولقد علم المحفوظون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان ابن ام
عبد من اقربهم الى الله وسيلة قلت فهذا حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنافقين والفتن الحادثة في هذه الامة الى قيام الساعة وهذا قوله في عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه فكذب الحجاج وخزي لعنه الله والخزي ما يقوله فيه وفي رميه له بالنفاق وفي
قوله عن قراءته انها شعر من شعر هذيل وانه لا بد ان يحكها من المصحف ولو بضلع خنزير وانه لو
ادركه لضرب عنقه فحصل على اثم ذلك كله بنيته الخبيثة وقال عفان ثنا حماد ثنا عاصم
عن زر عن عبد الله قال كنا نجتني لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواكا من اراك فكانت
الريح تكفؤه وكان في ساقيه دقة فضحك القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضحككم
قالوا من دقة ساقيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لهما اثقل في الميزان
من احد ورواه جرير وعلي بن عاصم عن مغيرة عن ام موسى عن علي بن ابي طالب وروى سلمة بن كهيل
عن ابي الزعراء عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسكوا بعهد عبد الله
بن مسعود رواه الترمذي والطبراني وقال الامام احمد ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن
ابي اسحاق قال سمعت ابا الاحوص قال شهدت ابا موسى وابا مسعود حين توفي ابن مسعود
واحدهما يقول لصاحبه اتراه ترك بعده مثله قال ان قلت ذاك ان كان ليؤذن له اذا
حجبنا ويشهد اذا غبنا وقد رواه الطبراني من طريق زايد عن الاعمش عن زيد بن وهب
قال كنت جالسا مع حذيفة وابي موسى الاشعري فقال احدهما لصاحبه هل سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لحديث كذا وكذا فقال لا فقال له الاخر انت سمعته فقال
لا ان صاحب هذه الدار يعني ابن مسعود سمعه فقال ابو موسى لان فعل ان كان ليدخل اذا حجبنا ويشهد
اذا غبنا قال الاعمش يعني عبد الله بن مسعود وقال ابو معاوية ثنا الاعمش عن زيد بن
وهب قال اقبل عبد الله بن مسعود ذات يوم وعمر جالس فقال كنيف ملي فقها وقال
عمر بن حفص ثنا عاصم بن علي ثنا المسعودي عن ابي حصين عن ابي عطية ان ابا موسى الاشعري
قال لا تسالونا عن شي ما دام هذا الحبر بين اظهرنا من اصحاب محمد يعني ابن مسعود وروى
جرير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابي البختري قال قالوا لعلي حدثنا عن اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم قال عن ايهم قالوا حدثنا عن ابن مسعود قال علم القران والسنة ثم انتهى وكفى
بذلك علما وفي رواية عن علي قال علم القران ثم وقف عنده وكفى به فهذا ثنا الصحابة
العالمين به العارفين بما كان عليه فهم اولى بالاتباع واصدق قولا من اصحاب الاهوا
الحايدين عن الحق مثل الحجاج وغيره من اهل الاهوا مذيا نات وكذب وافترا وبعضها كفر
وزندقة فان الحجاج كان عثمانيا امويا يميل اليهم ميلا عظيما ويرى ان خلافهم كفر ويستحل بذلك
الدما ولا تاخذه في ذلك لومة لايم قال المولف ومن الطامات ايضا ما رواه ابو داود
ثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقاني حدثنا جرير ح وحدثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن المغيرة
عن الربيع بن خالد الضبي قال سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته رسول احدكم في حاجته

اكرم على الله عز وجل من خليفته في اهله فقلت لله علي ان لا اصلي خلفك صلاة ابدا
وان وجدت قوما يجاهدونك لاجاهدنك معهم زاد اسحاق فحدثنيه فقاتل في الجماجم حتى قتل
فان صح هذا عنه فظاهره كفر ان اراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة او اراد ان الخليفة
من بني امية افضل من الرسول وقال الاصمعي ثنا ابو عاصم النبيل ثنا ابو حفص الثقفي قال
خطب الحجاج يوما فاقبل عن يمينه فقال الا ان الحجاج كافر ثم اطرق فقال ان الحجاج كافر
ثم اطرق فاقبل عن يساره فقال الا ان الحجاج كافر فعلمنا ذلك ثم قال كافر يا اهل العراق
باللات والعزى وقال حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا ضمرة ثنا ابن شوذب
عن مالك بن دينار قال بينما الحجاج يخطب يوما اذ قال الحجاج كافر قلنا ما له اي شيء يريد
قال الحجاج كافر بيوم الاربعاء والبغلة الشهباء وقال الاصمعي قال عبد الملك يوما
للحجاج ما من احد الا وهو يعرف عيب نفسه فصف لي عيب نفسك فقال اعفني يا امير
المؤمنين فابى فقال انا لجوج حقود حسود فقال عبد الملك ما في الشيطان شر مما ذكرت
وفي رواية انه قال اذا بينك وبين ابليس نسب وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على اهل
العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الائمة وخذلانهم لهم وعصيانهم ومخالفتهم
والافتيات عليهم قال يعقوب بن سفيان ثنا ابو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية
بن صالح عن شريح بن عبيد عمن حدثه قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب فاخبره ان اهل العراق
حصبوا اميرهم فخرج غضبان فصلى لنا صلاة فسها فيها حتى جعل الناس يقولون سبحان
الله سبحان الله فلما سلم اقبل على الناس فقال من ههنا من اهل الشام فقام رجل ثم قام
اخر ثم قمت انا ثالثا او رابعا فقال يا اهل الشام استعدوا لاهل العراق فان الشيطان
قد باض فيهم وفرخ اللهم انهم قد لبسوا عليهم فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم
فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وقد رويناه في كتاب مسند عمر
ابن الخطاب من طريق ابي عذبة الحمصي عن عمر مثله وقال عبد الرزاق انا جعفر بن سليمان
عن مالك بن دينار عن الحسن قال قال علي بن ابي طالب اللهم كما ائتمنتهم فخانوني ونصحت
لهم فغشوني فسلط عليهم فتى ثقيف الذيال الميال يأكل خضرتها ويلبس فروتها
ويحكم فيها بحكم الجاهلية قال يقول الحسن وما خلق الحجاج يومئذ ورواه معتمر بن
سليمان عن ابيه عن ايوب عن مالك بن اوس بن الحدثان عن علي انه قال الشاب
الذيال امير المصرين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ويقتل اشراف اهلها يشتد منه
الفرق ويكثر منه الارق ويسلط الله على شيعته وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة
اخبرنا ابو عبد الله الحافظ ثنا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي ثنا سعيد بن مسعود
ثنا يزيد بن هارون انبا العوام بن حوشب حدثني حبيب بن ابي ثابت قال قال علي لرجل
لا مت حتى تدرك فتى ثقيف قال وما فتى ثقيف قال ليقالن له يوم القيامة اكفنا زاوية
من زوايا جهنم رجل يملك عشرين سنة او بضعا وعشرين سنة لا يدع لله معصية الا ارتكبها
حتى لو لم يبق الا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل
بمن اطاعه من عصاه وقال الطبراني ثنا القاسم بن زكريا ثنا اسماعيل بن موسى السدي
ثنا علي بن مسهر عن الاجلح عن الشعبي عن ام حكيم بنت عمرو بن سنان الجدلية قالت استاذن
الاشعث بن قيس على علي فرده قنبر فادمى انفه فخرج علي فقال ما لك وله يا اشعث اما

والله

والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيرات استك قيل له يا امير المؤمنين ومن
عبد ثقيف قال غلام يليهم لا يبقي اهل بيت من العرب الا ادخلهم ذلا قيل كم يملك قال
عشرين ان بلغ وقال البيهقي انا الحاكم انا الحسين بن الحسن بن ايوب ثنا ابو حاتم
الرازي ثنا عبد الله بن يوسف التنيسي ثنا هشام بن يحيى الغساني قال قال
عمر بن عبد العزيز لو تخابثت الامم فجاءت كل امة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم وقال
ابو بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود انه قال ما بقيت لله عز وجل حرمة الا وقد ارتكبها
الحجاج وقد تقدم الحديث ان في ثقيف كذابا ومبيرا فكان المختار هو الكذاب المذكور في
هذا الحديث وقد كان يظهر الرفض ويبطن الكفر المحض واما المبير فهو الحجاج بن يوسف
هذا وقد كان ناصبيا يبغض عليا وشيعته في هوى آل مروان بني امية وكان جبارا عنيدا
مقداما على سفك الدماء بادنى شبهة وقد روي عنه الفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر
كما قدمنا فان كان قد تاب منها او اقلع عنها والا فهو باق في عهدتها ولكن قد يخشى انها
رويت عنه بنوع من زيادة عليه فان الشيعة كانوا يبغضونه جدا لوجوه وربما حرفوا عليه
بعض الكلم وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات وقد روينا عنه انه كان يتدين
بترك المسكر وكان يكثر تلاوة القران ويتجنب المحارم ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج
وان كان متسرعا في سفك الدماء فالله تعالى اعلم بالصواب وحقائق الامور وساترها وخفيات
الصدور وضمائرها قلت الحجاج اعظم ما نقم عليه وصح من افعاله سفك الدماء وكفى به عقوبة
عند الله عز وجل وقد كان حريصا على الجهاد وفتح البلاد وكانت فيه سماحة باعطاء المال
لاهل القران فكان يعطي على القران كثيرا ولما مات لم يترك فيما قيل الا ثلثمائة درهم والله اعلم
وقال المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن الطرار البغدادي ثنا محمد بن القاسم الانباري
ثنا ابي ثنا احمد بن عبيد ثنا هشام ابو محمد بن السائب الكلبي ثنا عوانة بن الحكم الكلبي
قال دخل انس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه سلم عليه فقال
ايه ايه يا انيس يوم لك مع علي ويوم لك مع ابن الزبير ويوم لك مع ابن الاشعث
والله لاستاصلنك كما تستاصل الشاة ولادمغنك كما تدمغ الصمغة فقال انس
اياي يعني الامير اصلحه الله قال اياك اعني اصم الله سمعك قال انس انا لله وانا اليه راجعون
والله لولا الصبية الصغار ما باليت اي قتلة قتلت ولا اي ميتة مت ثم خرج من عند
الحجاج فكتب الى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج فلما قرا عبد الملك كتاب انس
استشاط غضبا وشفق عجبا وتعاظمه ذلك من الحجاج وكان كتاب انس الى عبد الملك
بن مروان بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الملك بن مروان امير المؤمنين من انس بن مالك اما
بعد فان الحجاج قال لي هجرا واسمعني نكرا ولم اكن لذلك اهلا فخذ لي على يديه فاني امت
بخدمتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتي اياه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
فبعث عبد الملك اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر وكان مصادقا للحجاج فقال له
دونك كتابي هذين فخذهما واركب البريد الى العراق وابدا بانس بن مالك صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فادفع كتابي اليه وابلغه مني السلام وقل له يا ابا حمزة قد كتبت
الى الحجاج الملعون كتابا اذا قراه كان اطوع لك من امتك وكان كتاب عبد الملك الى
انس بن مالك بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى انس بن مالك

خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكاتك
الحجاج وما سلطته عليك ولا امرته بالاساءة اليك فان عاد لمثلها فاكتب الي بذلك انزل
به عقوبتي وتحسن عليك معونتي والسلام فلما قرأ انس كتاب امير المؤمنين واخبر برسالته
قال جزى الله امير المؤمنين عني خيرا وعافاه وكفاه وكافاه بالجنة فهذا كان ظني به
والرجاء منه فقال اسماعيل بن عبيد الله لانس يا ابا حمزة ان الحجاج عامل امير المؤمنين وليس
بك عنه غنى ولا باهل بيتك ولو جعل لك في جامعة ثم دفع اليك لقدر ان ينفع ويضر
فقاربه وداره تعش معه بخير وسلام فقال انس افعل ان شاء الله ثم خرج اسماعيل
من عند انس فدخل على الحجاج فلما رآه الحجاج قال مرحبا برجل احبه وكنت احب لقاءه
فقال اسماعيل انا والله كنت احب لقاءك في غير ما اتيتك به فتغير لون الحجاج وخاف
وقال ما اتيتني به قال فارقت امير المؤمنين وهو اشد الناس غضبا عليك ومنك
بعدا قال فاستوى الحجاج جالسا مرعوبا فرمى اليه اسماعيل بالطومار فجعل الحجاج
ينظر فيه مرة ويعرق وينظر الى اسماعيل اخرى فلما نقضه قال قم بنا الى ابي حمزة
نعتذر اليه ونترضاه فقال له اسماعيل لا تعجل فقال كيف لا اعجل وقد اتيتني
بآبدة وكان في الطومار الى الحجاج بن يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك
بن مروان امير المؤمنين الى الحجاج بن يوسف اما بعد فانك عبد طمت بك الامور فسموت
فيها وعدوت طورك وجاوزت قدرك وركبت داهية ادا واردت ان تبورني فان
سوغتكها مضيت قدما وان لم اسوغها رجعت القهقرى فلعنك الله عبدا اخفش
العينين منقوص الجاعرتين انسيت مكاسب ابائك بالطائف وحفرهم الابار
ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب والله لاغمزنك
غمز الليث الثعلب والصقر الارنب وثبت على رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين اظهرنا فلم تقبل له احسانه ولم تجاوز له اساءته جرأة منك على الرب
عز وجل واستخفافا منك بالعهد والله لو ان اليهود والنصارى رأت رجلا خدم
عزير بن عزرى وعيسى بن مريم لعظمته وشرفته واكرمته واحبته بل لو رأوا من خدم
حمار العزير او من خدم حواري المسيح لعظموه واكرموه فكيف وهذا انس بن مالك
خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه ثماني سنين يطلعه على سره ويشاوره في
امره ثم هو مع هذا بقية من بقايا اصحابه فاذا قرأت كتابي هذا فكن اطوع له من خفه
ونعله والا اتاك مني سهم بكل حتف قاض ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون قلت
تكلم ابن طرار اعلى ما وقع في هذا الكتاب من الغريب وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من ائمة
اللغة والله اعلم وقال الامام احمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الزبير
يعني ابن عدي قال اتينا انس بن مالك نشكو اليه ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا
فانه لا يأتي عليكم عام او زمان او يوم الا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم عز وجل سمعته
من نبيكم صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه البخاري عن محمد بن يوسف عن سفيان وهو
الثوري عن الزبير بن عدي عن انس لا يأتي عليكم زمان الا الذي بعده شر منه الحديث قلت
ومن الناس من يروي هذا الحديث بالمعنى فيقول كل عام ترذلون وهذا اللفظ لا اصل له
وانما هو ماخوذ من معنى هذا الحديث والله اعلم قلت تقدم في مرة من كلام عائشة مرفوعا

ومرفوعا كل يوم ترذلون ورأيت للامام احمد كلاما قال فيه روي في الحديث كل يوم ت
ترذلون فسماه حديثا فيحتمل هذا انه وقع للامام احمد مرفوعا ومثل احمد لا يقول هذا الا
عن اصل وقد روي عن الحسن مثل ذلك والله اعلم فدل على ان له اصلا اما مرفوعا واما
من كلام السلف لم يزل يتداوله الناس قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل حتى وصل الى
هذه الازمان وهو موجود في كل يوم بل في كل ساعة تفوح رائحته ولا سيما من بعد
فتنة تيمورلنك والى الآن نجد الرذالة في كل شيء وهذا ظاهر لمن تامله والله سبحانه
اعلم وقد قال شعبة نا الثوري عن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي قال يأتي على الناس
زمان يصلون فيه على الحجاج وقال ابو نعيم عن يونس بن ابي اسحاق عن ابي السفر
قال قال الشعبي والله لئن بقيتم لتمنون الحجاج وقال الاصمعي قيل للحسن انك
تقول الآخر شر من الاول وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال الحسن لا بد للناس
من تنفيسات وقال ميمون بن مهران بعث الحجاج الى الحسن وقد هم به فلما قام بين
يديه قال يا حجاج كم بينك وبين آدم من اب قال كثير قال فاين هم قال ماتوا قال
فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن وقال ايوب السختياني ان الحجاج اراد قتل الحسن
مرارا فعصمه الله منه وقد ذكر له معه مناظرات على ان الحسن لم يكن ممن يرى الخروج
عليه وكان ينهى اصحاب ابن الاشعث عن ذلك وانما خرج معهم مكرها كما قدمنا وكان
الحسن يقول انما هو نقمة فلا تقابلوا نقمة الله بالسيف وعليكم بالصبر والسكينة
والتضرع وقال ابن دريد عن الحسن بن الخضر عن ابن عائشة قال اتي الوليد بن عبد
الملك برجل من الخوارج فقيل له ما تقول في ابي بكر وعمر فاثنى خيرا قال فعثمان فاثنى خيرا
قيل له فما تقول في علي فاثنى خيرا فذكر له الخلفاء واحدا بعد واحد فيثني على كل بما يناسبه
حتى قيل له فما تقول في عبد الملك بن مروان فقال الآن جاءت المسألة ما اقول
في رجل الحجاج خطيئة من بعض خطاياه وقال الاصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال
اتي الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال
لها بعض الشرط يكلمك الامير وانت معرضة عنه فقالت اني لاستحيي من الله ان انظر
الى من لا ينظر الله اليه فامر بها فقتلت وقد ذكرنا في سنة اربع وتسعين كيفية مقتل
الحجاج لسعيد بن جبير وما دار بينهما من الكلام والمراجعة وقد قال ابو بكر بن ابي خيثمة
ثنا ابو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن بسطام بن مسلم عن قتادة قال قيل لسعيد بن
جبير خرجت على الحجاج قال اني والله ما خرجت عليه حتى كفر ويقال انه لم يقتل بعده
الا رجلا واحدا اسمه ماهان وكان قد قتل قبله خلقا كثيرا اكثرهم ممن خرج مع ابن
الاشعث قال ابو عيسى الترمذي ثنا ابو داود سليمان بن مسلم البلخي ثنا النضر بن
شميل عن هشام بن حسان قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة الف وعشرين
الفا وقال الاصمعي ثنا ابو عاصم عن عباد بن كثير عن قحذم قال اطلق سليمان بن
عبد الملك في غداة واحدة احدا وثمانين الف اسير كانوا في سجن الحجاج وقيل انه مات
في سجنه ثمانون الفا منهم ثلاثون الف امرأة وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا
فيها ثلاثة وثلاثين الفا لم يجب على احد منهم قطع ولا صلب وكان فيمن حبس اعرابي
وجد يبول في اصل ربض مدينة واسط فكان فيمن اطلق فانشأ يقول

اذا الحجاج جاوز نا مدينته واسط   خربنا وصلينا بغير حساب

وقد كان الحجاج مع هذا العسف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير امر قال
ابن ابي الدنيا وابراهيم الحربي ثنا سليمان بن ابي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال قال عمر بن
عبد العزيز لو تخابثت الامم وجاءت كل امة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم وما كان
الحجاج يصلح لدنيا ولا لآخرة لقد ولي العراق وهو اوفر ما يكون في العمارة فاخس به حتى
صيره الى اربعين الف الف ولقد ادى الي عمالي في عامي هذا ثمانين الف الف وان بقيت
الى قابل رجوت ان يؤدى الي ما ادى الى عمر بن الخطاب مائة الف الف وعشرة الاف الف
وقال ابو بكر بن المقرئ ثنا ابو عروبة ثنا عمرو بن عثمان ثنا ابي سمعت جدي قال كتب عمر بن
عبد العزيز الى عدي بن ارطاة بلغني انك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسنته
فانه كان يصلي الصلاة لغير وقتها ويأخذ الزكاة من غير حقها وكان لما سوى ذلك
اضيع وقال يعقوب بن سفيان ثنا سعيد بن اسد ثنا ضمرة عن الريان بن مسلم قال
بعث عمر بن عبد العزيز بآل ابي عقيل اهل بيت الحجاج الى صاحب اليمن وكتب اليه اما
بعد فاني قد بعثت اليك بآل ابي عقيل وهم شر بيت في العرب ففرقهم في العمل على قدر
هوانهم على الله وعلينا وعليك السلام وانما نفاهم وقال الاوزاعي سمعت القاسم
بن مخيمرة يقول كان الحجاج ينقض عرى الاسلام وذكر حكاية وقال ابو بكر بن عياش
عن عاصم لم يبق لله حرمة الا ارتكبها الحجاج بن يوسف وقال يحيى بن عيسى
الرملي عن الاعمش اختلفوا في الحجاج فسألوا مجاهدا فقال تسألون عن الشيخ
الكافر وروى ابن عساكر عن الشعبي انه قال الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت كافر
بالله العظيم كذا قال والله اعلم وقال الثوري عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال
عجبا لاخواننا من اهل العراق يسمون الحجاج مؤمنا وقال الثوري عن ابن عون سمعت
ابا وائل يسأل عن الحجاج اتشهد انه من اهل النار فقال اتأمروني ان اشهد على الله العظيم
وقال الثوري عن منصور سألت ابراهيم عن لعن الحجاج او بعض الجبابرة فقال
اليس الله تعالى يقول الا لعنة الله على الظالمين وبه قال ابراهيم وكفى بالرجل عمى ان
يعمى عن امر الحجاج وقال سلام بن ابي مطيع لانا بالحجاج ارجى مني لعمرو بن عبيد لان الحجاج قتل
الناس على الدنيا وعمرو بن عبيد احدث للناس بدعة شنعاء فقتل الناس بعضهم بعضا
وقال الزبرقان سببت الحجاج يوما عند ابي وائل فقال لا تسبه لعله قال يوما
اللهم ارحمني فيرحمه اياك ومجالسة من يقول ارأيت ارأيت وقال عوف ذكر الحجاج عند
محمد بن سيرين فقال مسكين ابو محمد ان يعذبه الله عز وجل فبذنبه وان يغفر له
فهنيئا له وان يلق الله بقلب سليم فهو خير منا فقد اصاب الذنوب من هو خير منه
فقيل له ما القلب السليم قال ان يعلم الله تعالى منه الحياء والايمان وان يعلم ان الله
حق وان الساعة حق قائمة وان الله يبعث من في القبور وقال ابو القاسم البغوي
ثنا ابو سعيد ثنا ابو اسامة قال قال رجل لسفيان الثوري اتشهد على الحجاج وعلى
ابي مسلم الخراساني انهما في النار قال لا اذا اقرا بالتوحيد وقال الرياشي ثنا عباس
الازرق عن السري بن يحيى قال مر الحجاج في يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا
فقيل له اهل السجون يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون

قال

قال فما عاش بعد ذلك الا اقل من جمعة حتى قصمه الله قاصم كل جبار وقال
بعضهم رايته وهو يأتي الجمعة وقد كاد يهلك من العلة وقال الاصمعي لما مرض
الحجاج ارجف الناس بموته فقال في خطبته ان طائفة من اهل الشقاق واهل النفاق
نزغ الشيطان بينهم فقالوا مات الحجاج ومات الحجاج فمه وهل يرجو الحجاج الخير
الا بعد الموت والله ما يسرني اني لا اموت وان لي الدنيا وما فيها وما رأيت الله رضي
التخليد الا لاهون خلقه عليه ابليس قال الله له انك من المنظرين فانظره الى يوم
الدين ولقد دعا الله العبد الصالح فقال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاعطاه
الله ذلك الا البقاء ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد ان تم له امره فقال توفني
مسلما والحقني بالصالحين فما عسى ان يكون ايها الرجل وكلكم ذلك الرجل كأني والله
بكل حي منكم ميتا وبكل رطب يابسا ثم نقل في ثياب اكفانه الى ثلاثة اذرع طولا في ذراع
عرضا فاكلت الارض لحمه ومصت صديده وانصرف الحبيب من ولده يقسم الحبيب
من ماله ان الذين يعقلون ما اقول ثم نزل وقال ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني
عن ابيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز انه قال ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء
حسدي اياه على حبه القرآن واعطائه اهله عليه وقوله حين حضرته الوفاة اللهم
اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تفعل وقال ابو بكر بن ابي الدنيا ثنا علي بن الجعد
ثنا عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال كان عمر بن
عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت اللهم اغفر لي فانهم يزعمون
انك لا تفعل قال وحدثني بعض اهل العلم قال قيل للحسن ان الحجاج قال عند الموت
كذا وكذا قال قالها قالوا نعم قال عسى وقال ابو العباس المبرد عن الرياشي
عن الاصمعي قال لما حضرت الحجاج الوفاة انشا يقول

يا رب قد حلف الاعداء واجتهدوا • بانني رجل من ساكني النار

ايحلفون على عمياء ويحهم • ما علمهم بعظيم العفو غفار

قال فاخبر بذلك الحسن فقال تالله ان نجا لينجون بهما وزاد بعضهم في ذلك

ان الموالي اذا شابت عبيدهم • في عتقهم عتقوهم عتق ابرار

وانت يا خالقي اولى بذا كرما • قد شبت في الرق فاعتقني من النار

وقال ابن ابي الدنيا ثنا احمد بن عبد الله التيمي قال لما مات الحجاج لم يعلم بموته حتى اشرفت
جارية فبكت فقالت الا ان مطعم الطعام ومييتم الايتام ومرمل النساء ومفلق الهام
وسيد اهل الشام قد مات ثم انشات تقول

اليوم يرحمنا من كان يبغضنا • واليوم يأمننا من كان يخشانا

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه انه اخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق
وفاته قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وروى غير واحد ان
الحسن لما بشر بموت الحجاج سجد شكرا لله تعالى وكان مختفيا فظهر وقال اللهم امته فاذهب
عنا سنته وقال حماد بن ابي سليمان لما اخبرت ابراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح
وقال ابو بكر بن ابي خيثمة ثنا سليمان بن ابي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال قال زياد بن
الربيع الحارثي لاهل السجن يموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا فلما كانت تلك

الليلة لم ينم اهل السجن فرحا جلسوا ينتظرون ولم يسمعوا الواعية وذلك ليلة سبع
وعشرين من شهر رمضان وقيل كان ذلك لخمس بقين من رمضان وقيل في شوال من
هذه السنة وكان عمره اذ ذاك خمسا وخمسين سنة لان مولده كان عام الجماعة سنة
اربعين وقيل بعدها بسنة وقيل قبلها بسنة والله اعلم مات بواسط وعفي قبره
واجري عليه الماء لكي لا ينبش ويحرق والله اعلم وقال الاصمعي كان اعجب حال الحجاج ما ترك
الا ثلثماية درهم وقال الواقدي ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني عبد الرحمن بن عبيد
بن جرت ثنا عمي قال زعموا ان الحجاج مات ولم يترك الا ثلثماية درهم ومصحفا وسيفا
وسرجا ورحلا ومائة درع موقوفة وقال شهاب بن خراش حدثني عمي يزيد بن حوشب
قال بعث الي ابو جعفر المنصور فقال حدثني بوصية الحجاج بن يوسف فقلت
اعفني يا امير المؤمنين فقال حدثني بها فقلت بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصى به الحجاج
بن يوسف اوصى انه يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وانه لا يعرف الا طاعة الوليد بن عبد الملك عليها يحيى وعليها يموت وعليها يبعث واوصى
بتسعماية درع حديد ستماية منها لمنافقي اهل العراق يغزون بها وثلثماية للترك
قال فرفع ابو جعفر راسه الى ابي العباس الطوسي وكان قائما على راسه فقال هذه والله الشيعة
لا شيعتكم وقال الاصمعي عن ابيه قال رايت الحجاج في المنام فقلت ما فعل الله بك
فقال قتلني بكل قتلة قتلت بها انسانا قال ثم رايته بعد الحول فقلت يا ابا محمد
ما فعل الله بك فقال يا ماص بظر امه اما سالت عن هذا عام اول وقال القاضي
ابو يوسف كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال يا امير المؤمنين رايت الحجاج البارحة
في النوم قال في اي زي رايته قال في زي قبيح فقلت له ما فعل الله بك قال ما انت
وذاك يا ماص بظر امه فقال هرون صدقت والله انت رايت الحجاج حقا ما كان ابو
محمد ليدع صرامته حيا وميتا وقال حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا ضمرة
ثنا ابن شوذب عن اشعث الحداني قال رايت الحجاج في المنام في حالة سيئة فقلت
يا ابا محمد ما صنع بك ربك قال ما قتلت احدا قتلة الا قتلني بها قلت ثم مه قال
ثم امر بي الى النار قلت ثم مه قال ارجو ما يرجو اهل لا اله الا الله قال فكان ابن سيرين
يقول اني لارجو له فبلغ ذلك الحسن فقال اما والله ليخلفن الله رجاه فيه وقال
احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان الداراني يقول كان الحسن البصري لا يجلس مجلسا
الا ذكر فيه الحجاج فدعى عليه قال فرآه في منامه فقال له انت الحجاج قال انا الحجاج قال
ما فعل الله بك قال قتلت بكل قتيل قتلة ثم عزلت مع الموحدين قال فامسك الحسن
بعد ذلك عن شتمه والله اعلم وقال ابن ابي الدنيا ثنا حمزة بن العباس ثنا عبد الله
بن عثمان انا ابن المبارك انا سفيان قال لما قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان
وافدا ومعه معاوية بن قرة فسال عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال ان صدقناكم
قتلتمونا وان كذبناكم خشينا الله عز وجل فنظر اليه الحجاج فقال له عبد الملك
لا تعرض له فنفاه الى السند فكان له بها مواقف

وممن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن يزيد النخعي قال كنا اذا حضرنا جنازة او سمعنا بميت عرف ذلك فينا

ايا ما لانا قد عرفنا انه قد نزل به امر صيره الى الجنة او الى النار وانكم في جنائزكم تتحدثون
باحاديث دنياكم وقال لا يستقيم راي الا برواية ولا رواية الا براي وقال اذا رايت
الرجل يتهاون بالتكبيرة الاولى فاغسل يديك من فلاحه وقال اني لارى الشيء مما يعاب
فما يمنعني من عيبه الا مخافة ان ابتلى به وبكى عند موته فقيل له ما يبكيك فقال انتظر
ملك الموت ما ادري يبشرني بجنة او بنار

الحسن بن محمد بن الحنفية

كنيته ابو محمد كان المقدم على اخوته وكان عالما فقيها عارفا بالاختلاف والفقه
قال ايوب السختياني وغيره كان اول من تكلم في الارجاء وكتب في ذلك رسالة ثم ندم
عليها وقال غيرهم كان يتوقف في عثمان وعلي وطلحة والزبير فلا يتولاهم ولا يذمهم
فلما بلغ ذلك اباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال ويحك الا تتولى اباك عليا وقال
ابو عبيد توفي سنة خمس وتسعين وقال خليفة توفي في ايام عمر بن عبد العزيز والله اعلم
حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وامه ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت
عثمان بن عفان لامه وكان حميد فقيها نبيلا عالما له روايات كثيرة مطرف بن عبد
الله بن الشخير تقدمت ترجمته ومولاه كلهم لهم تراجم في كتابنا التكميل وفيها كان
موت الحجاج بواسط كما تقدم ذلك مبسوطا مستقصى ولله الحمد وفيها كان مقتل
سعيد بن جبير في قول علي بن المديني وجماعة والمشهور انه كان في سنة اربع وتسعين
كما ذكره ابن جرير وغير واحد والله اعلم

ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشغر من ارض الصين وبعث الى ملك الصين
رسلا يتهدده ويتوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يطا بلاده ويختم ملوكهم واشرافهم ويأخذ
الجزية منهم او يدخلوا في الاسلام فدخل الرسل على الملك الاعظم فيهم وهو في مدينة
عظيمة يقال ان عليها تسعين بابا في سورها المحيط بها يقال لها خان بالق
من اعظم المدن واكثرها ريعا ومعاملات واموالا حتى قيل ان بلاد الهند مع اتساعها
كالشامة في ملك الصين والصين لا يحتاجون الى ان يسافروا في ملك غيرهم لكثرة
اموالهم ومتاعهم وغيرهم محتاج اليهم لما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة وساير ملوك تلك
البلاد تؤدي الى ملك الصين الخراج لقهره وكثرة جنده وعدده والمقصود ان الرسل لما
دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة وجندا كثيرا ومدينة حصينة ذات انهار
واسواق وحسن فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة بقدر مدينة كبيرة فقال
لهم ملك الصين ما انتم وكانوا ثلثماية رسول عليهم هبيرة فقال الملك لترجمانه قل لهم
ما انتم وما تريدون فقالوا نحن رسل قتيبة بن مسلم وهو يدعوك الى الاسلام فان لم تفعل
فالجزية فان لم تفعل فالحرب فغضب الملك وامر بهم الى دار فلما كان الغد دعاهم فقال لهم
كيف تكونون في عبادة الهكم فصلوا الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم فقال
فكيف تكونون في بيوتكم فلبسوا ثياب مهنهم فامرهم بالانصراف فلما كان من الغد ارسل اليهم
فقال كيف تدخلون على ملوككم فلبسوا الوشي والعمايم والمطارف ودخلوا على الملك فقال
لهم ارجعوا فرجعوا فقال الملك لاصحابه كيف رايتم هولاء فقالوا هذه اشبه بهيئة الرجال

من تلك المدائن وليلة فلما كان اليوم الثالث ارسل اليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم فشدوا
عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبيض وتقلدوا السيوف وتنكبوا القسي واخذوا الرماح
وركبوا خيولهم ومضوا فنظر اليهم ملك الصين فراى امثال الجبال مقبلة فلما قربوا منه ركزوا
رماحهم ثم اقبلوا نحوه مشمرين فقيل لهم ارجعوا وذلك لما دخل قلوب اهل الصين من الخوف
منهم فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم رسا قوا خيولهم كانهم يتطاردون بها فقال
الملك لاصحابه كيف ترونهم فقالوا ما رأينا مثل هولاء قط فلما امسوا بعث اليهم الملك
ان ابعثوا الي زعيمكم وافضلكم فبعثوا اليه هبيرة فقال له الملك حين دخل عليه قد رايتم
عظم ملكي وليس احد يمنعكم مني وانتم بمنزلة البيضة في كفي وانا سايلكم عن امر فان لم تصدقني
قتلتك فقال سل فقال له الملك لم صنعتم ما صنعتم من زي اول يوم والثاني والثالث فقال
اما زينا اول يوم فهو لباسنا في اهلنا ونسائنا وطيبنا عندهم واما ما فعلنا ثاني يوم فهو
زينا اذا دخلنا على ملوكنا واما زينا ثالث يوم فهو اذا لقينا عدونا فقال له الملك ما احسن
ما دبرتم دهركم انصرفوا الى صاحبكم يعني قتيبة وقولوا له ينصرف راجعا عن بلادي فاني
قد عرفت حرصه وقلة اصحابه والا بعثت اليكم من يهلككم عن اخركم فقال له هبيرة تقول
لقتيبة هذا فكيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله في بلادك واخرها في منابت الزيتون
وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزا الى بلادك واما تخويفك بانا
بالقتل فانا نعلم ان لنا اجلا اذا حضر فاكرمها عندنا القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه
فقال له الملك فما الذي يرضي صاحبكم فقال قد حلف انه لا ينصرف حتى يطا ارضك ويختم
ملوكك ويجبي الجزية من بلادك فقال له الملك انا ابر يمينه واخرجه منها ارسل اليه بتراب
من ارضي واربع غلمان من ابناء الملوك وارسل له ذهبا كثيرا وحريرا وثيابا صينية لا تقوم
ولا يدري احد قدرها ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ثم تفق الحال على انه بعث صحافا من
ذهب منقشة فيها تراب من ارضه ليطاه قتيبة وبعث بجماعة من اولاده واولاد الملوك
ليختم رقابهم وبعث بمال الجزية ليبر يمين قتيبة وقيل انه بعث اربع مائة من اولاده واولاد
الملوك فلما انتهى الى قتيبة ما ارسله ملك الصين قبل ذلك منه وذلك لانه كان قد انتهى
اليه خبر موت الوليد بن عبد الملك امير المومنين فانكسرت همته لذلك وقد عزم قتيبة
بن مسلم الباهلي على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك واراد الدعوة الى نفسه لما تحت
يده من العساكر ولما فتح من البلاد والاقاليم فلم يمكنه ذلك ثم قتل في اخر هذه السنة رحمه الله
فانه يقال ان له ماثر كثيرة وكان من المجاهدين في سبيل الله واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع
لغيره ومنها غزا مسلمة بن عبد الملك الصايفة وغزا العباس بن الوليد الروم ففتح طوس
والمرزباس من بلاد الروم ومنها تكامل بناء الجامع الاموي بدمشق على يد بانيه امير المومنين
الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله وجزاه خيرا وكان اصل موضع هذا الجامع قديما معبدا بنته
اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق وهم الذين وضعوها وعمروها اولا فهم اول
من بناها وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وهي القمر في السما الدنيا وعطارد
في السما الثانية والزهرة في السما الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري
في السادسة وزحل في السابعة وكانوا قد صوروا على كل باب من ابواب دمشق هيكلا لكوكب
من هذه الكواكب السبعة وكانت ابواب دمشق سبعة وضعوها قصدا لذلك فنصبوا

هياكل سبعة لكل كوكب هيكل وكان لهم عند كل باب من ابواب دمشق عيد في السنة وهولاء هم
الذين وضعوا الارصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارناتها وبنوا دمشق
واختاروا لها هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين وصرفوه انهارا
تجري الى الاماكن المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء في افناء ابنية الدور بدمشق
فكانت دمشق في ايامهم من احسن المدن بل هي احسنها لما فيها من التصاريف العجيبة
وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم الى جهة القطب وكانوا يصلون الى القطب الشمالي
وكانت محاريبهم الى جهته وكان باب معبدهم يفتح الى جهة القبلة خلف المحراب اليوم كما شاهدنا
ذلك عيانا ورأينا محاريبهم الى جهة القطب ورأينا الباب وهو باب حسن مبني بحجارة
منقوشة وعليه كتابة بخطهم وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة اليه وكان
غربي المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الاعمدة التي بباب البريد وشرقي المعبد قصر
جيرون الملك الذي كان ملكهم وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يملك
دمشق قديما منهم ويقال انه كان خلف المعبد ثلث دور عظيمة للملوك ويحيط بهذه
الدور والمعبد سور واحد عال منيف بحجارة كبار منحوتة وهي دار المطبق ودار الخيل
ودار كانت تكون مكان الخضرا التي بناها معاوية قال ابن عساكر فيما حكاه عن كتب بعض
الاوايل ان اليونان مكثوا ياخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الاماكن ثماني عشرة سنة وقد حفروا
اساس الجدران حتى وافق الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان ارادوا ان هذا المعبد
لا يخرب ابدا ولا تخلو منه العبادة وان هذه الدار اذا بنيت لا تخلو من ان يكون دار الملك
والسلطنة قلت اما المعبد فلم يخل من العبادة قال كعب الاحبار لا يخلو منها حتى تقوم
الساعة واما دار الملك التي هي الخضرا فقد جددبناها معاوية ثم احرقت في سنة احدى
وستين واربع مائة كما سنذكره فبادت وصارت مساكن ضعفا الناس واراذلهم في الغالب
الى زماننا هذا قلت وقد احرقت زيادة هذه المساكن والجامع بل وغالب دمشق بعد موت المولف
بنحو ثلثين سنة في فتنة تمرلنك فباد ذلك كله وانقشعت تلك البهجة عن هذه
الاماكن وغشيها قترة وظلمة ونفرت النفوس عنها وذهب ذلك الانس منها واوحشت
عن اصحابها الى يومنا هذا وهو ثاني رمضان من سنة سبع عشرة وثمان مائة وذلك بعد موت
المولف بنحو ثلث واربعين سنة واعاجد اصلاحها وهي الجامع نايب السلطنة
شيخ في اولايته عليها بعد تمرلنك ثم افضى به الحال الى ان صار سلطانا بمصر في سنة
اربع عشرة وثمان مائة ثم انه ركب في العساكر المصرية وقصد دمشق ليتنزعها من يد نايبها
نوروز في سنة سبع عشرة وثمان مائة فلما وصل دمشق نزل قبليها وجرى بينهما امور
يطول ذكرها من قتال وحصار ثم لاز الحق اشنتزل نوروز واعيان اصحابه بالقلعة
ثم قتلهم واخذ البلاد الشامية والحلبية فتملك عليها ودانت له واستتاب فيها ورجع
الى مصر مويدا منصورا فلا نسا الله الشكر على ما اتاه الله من فضله والمقصود ان هذه الاماكن
المشار اليها في كلام المولف احترقت في فتنة تمرلنك ثم ان السلطان شيخ جدد ما وهى من الجامع الاموي
وجددت بعد الحريق حول الجامع اسواق واماكن ضعيفة الالات والبنا والله اعلم قال اخر الزيادة
المولف والمقصود ان اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرنا بدمشق مدة طويلة
تزيد على اربعة الاف سنة حتى انه يقال ان اول من بنى جدران هذا المعبد الاربعة هود

الخليل عليه

عليه الصلاة والسلام وقد كان هود قبل ابراهيم الخليل بمدة طويلة وقد ورد ابراهيم دمشق
ونزل شمالها عند برزة وقاتل هناك قوما من اعدائه فظفر بهم ونصره الله عليهم وكان
مقامه لمقاتلتهم عند برزة وهذا المكان المنسوب اليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة
يأثرونه كابرا عن كابر الى زماننا والله اعلم وكانت دمشق اذ ذاك عامرة آهلة بمن فيها
من اليونان وكانوا اخلافا لا يحصيهم الا الله وهم خصماء الخليل وقد ناظرهم الخليل في عبادتهم
الاصنام والكواكب وغيرها في غير ما موضع كما قررنا ذلك في التفسير وفي قصة الخليل
من كتابنا هذا البداية والنهاية ولله الحمد وبالله المستعان والمقصود ان اليونان لم
يزالوا يعمرون دمشق ويبنون فيها وفي معاملاتها من ارض حوران والبقاع وبعلبك
وغيرها البنايات الهائلة الغريبة العجيبة حتى اذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلثمائة
سنة تنصر اهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين الذي بنى المدينة المشهورة
به ببلاد الروم وهي القسطنطينية وهو الذي وضع لهم القوانين وقد كان اولا هو وقومه
وغالب اهل الارض يونانا ووضعت بتاركة النصارى له دينا مخترعا مركبا من اصل دين
النصرانية ممزوجا بشيء من عبادة الاوثان وصلوا به الى الشرق وزادوا في الصيام واحلوا
الخنزير وعلموا اولادهم الامانة الكبيرة فيما يزعمون وانما هي في الحقيقة خيانة كبيرة وخيانة
كثيرة حقيرة وهي مع ذلك في الحجم صغيرة وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيناه فبنى لهم
هذا الملك الذي ينسب اليه الطائفة الملكية من النصارى كنائس كثيرة في دمشق وفي
غيرها حتى يقال انه بنى في زمانه اثنتي عشرة الف كنيسة واوقف عليها اوقافا دارة من
ذلك كنيسة بيت لحم وقمامة بالقدس بنتهما امه هيلانة الغندقانية وغير ذلك
والمقصود انهم يعني النصارى حولوا بناء هذا المعبد الذي هو بدمشق معظما عند اليونان
فجعلوه كنيسة وبنوا له المذابح في شرقيه وسموه كنيسة مريحنا ومنهم من يقول كنيسة يوحنا
وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها
نحوا من ثلثمائة سنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكان من شأنه ما تقدم بعضه
في كتاب السيرة من هذا الكتاب وقد بعث الى ملك الروم في زمانه وهو قيصر ذلك الوقت
واسمه هرقل يدعوه الى الله عز وجل وكان من مراجعته ومخاطبته لابي سفيان ما تقدم ثم
بعث امراءه الثلاثة زيد بن حارثة وجعفرا وابن رواحة الى البلقاء من تخوم الشام فبعث
الروم اليهم جيشا كثيرا فقتلوا هؤلاء الامراء وجماعة ممن معهم من الجيش فعزم النبي صلى
الله عليه وسلم على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ثم رجع عامه ذلك لشدة الحر
وضعف الحال وضيقه على الناس ثم لما توفي بعث الصديق الجيوش الى الشام والى العراق
كما تقدم تفصيل ذلك ففتح الله على المسلمين الشام بكمالها ومن ذلك مدينة دمشق
باعمالها وقد بسطنا القول في ذلك عند ذكر فتحها فلما استقرت اليد الاسلامية
عليها وانزل الله رحمته فيها وساق بره اليها وكتب امير الحرب ابو عبيدة اذ ذاك
وقيل خالد بن الوليد لاهل دمشق كتاب امان واقروا ايدي النصارى على اربع عشرة كنيسة
واخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مريحنا بحكم ان البلد
فتحه خالد من الباب الشرقي بالسيف واخذت النصارى الامان من ابي عبيدة وكان على باب
الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على ان جعلوا نصف البلد صلحا ونصفه عنوة فاخذوا

نصف

نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله ابو عبيدة مسجدا يصلي فيه المسلمون فكان اول من
صلى في هذا المسجد ابو عبيدة ثم الصحابة بعده في البقعة الشرقية منه التي يقال
لها محراب الصحابة ولكن لم يكن الجدار مفتوحا بمحراب محني وانما كانوا يصلون عند هذه
البقعة المباركة والظاهر ان الوليد هو فتق المحاريب في الجدار القبلي قلت هذه المحاريب
متجددة ليست من فتق الوليد وانما فتق الوليد محرابا واحدا ان كان قد فعل والحنفي
والمالكي والحنبلي وهؤلاء انما احدثوا بعد الوليد بزمان وقد كره كثير من السلف الصلاة في مثل
هذه المحاريب وجعلوه من البدع المحدثة وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا
المعبد من باب واحد وهو باب المعبد الاصلي من جهة القبلة مكان المحراب الكبير الذي في المقصورة
اليوم فينصرف النصارى الى جهة الغرب الى كنيستهم ويأخذ المسلمون يمنة الى مسجدهم
ولا يستطيع النصارى ان يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربوا بناقوسهم اجلالا للصحابة
ومهابة وخوفا وقد بنى معاوية في ايام ولايته على الشام دار الامارة قبلي المسجد الذي كان
للصحابة وبنى فيها قبة خضراء فعرفت الدار بكمالها بها فسكنها معاوية اربعين سنة
كما قدمنا ثم لم يزل الامر على ما ذكرنا من امر هذه الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى
من سنة اربع عشرة الى سنة ست وثمانين في ذي القعدة منها وقد صارت الخلافة الى
الوليد بن عبد الملك في شوال منها فعزم الوليد على اخذ بقية هذه الكنيسة واضافتها
الى ما بايدي المسلمين منها وجعل الجميع مسجدا واحدا وذلك لان بعض المسلمين كان يتأذى
بسماع قراءة النصارى للانجيل ورفع اصواتهم في صلواتهم فاحب ان يبعدهم عن المسلمين
وان يضيف ذلك المكان الى هذا فيصير كله معبدا للمسلمين ويتسع المسجد لكثرة
المسلمين فعند ذلك طلب النصارى وسأل منهم ان يخرجوا له عن هذا المكان ويعوضهم
اقطاعات كثيرة وعرضها عليهم وان يبقى بايديهم اربع كنائس لم تدخل في العهد وهي كنيسة
مريم والكنيسة المصلبة داخل باب شرقي وكنيسة تل الجبن وكنيسة حميد بن درة
التي بدرب الصقيل فابوا ذلك اشد الاباء فقال ائتوني بعهودكم التي بايديكم من زمن
الصحابة فاتوا بها فقرئت بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التي كانت خارج باب
توما على حافة النهر لم تدخل في العهد وكانت فيما يقال اكبر من كنيسة مريحنا فقال
الوليد انا اهدمها واجعلها مسجدا فقالوا بل يتركها امير المؤمنين وما ذكر من الكنائس
ونحن نرضى ونطيب له نفسا ببقية هذه الكنيسة فاقرهم على تلك الكنائس واخذ
منهم بقية هذه الكنيسة هذا قول ويقال ان الوليد لما اهمه ذلك وعرض ما عرض
على النصارى فابوا من قبوله دخل عليه بعض الناس فارشده الى ان يقيس من باب
شرقي ومن باب الجابية فوجدوا الكنيسة المذكورة قد دخلت في العنوة وذلك انهم
قاسوا من باب شرقي ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الريحان
تقريبا فاذا الكنيسة المتنازع فيها قد دخلت في العنوة فاخذها وحكي عن المغيرة
مولى الوليد قال دخلت على الوليد فوجدته مهموما فقلت ما لك يا امير المؤمنين
مهموما قال انه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم المسجد فاحضرت النصارى وبذلت
لهم الاموال في بقية هذه الكنيسة لاضيفها الى المسجد فيتسع على المسلمين فابوا
فقال المغيرة يا امير المؤمنين عندي ما يزيل همك قال وما هو قلت ان الصحابة لما اخذوا

زيادة
ولعله لم يفعل شيئا منها فكان يصلي فيه الخليفة وبقيتها تنفث [illegible]
محاريبا لكل امام محراب

دمشق دخلها خالد بن الوليد من باب شرقي بالسيف فلما سمع اهل البلد بذلك فزعوا
الى ابي عبيدة يطلبون منه الامان فامنهم وفتحوا له باب الجابية فدخل منه ابو عبيدة
بالصلح فنحن نقاسمهم الى اي موضع بلغ بالسيف اخذناه وما كان بالصلح تركناه بايديهم
واراجوا ان تدخل الكنيسة كلها في العنوة فتدخل في المسجد فقال الوليد فرجعني
فتولى انت ذلك بنفسك فتولاه المغيرة ومسح من الباب الشرقي الى نحو باب الجابية الى
سوق الريحان فوجدوا السيف لم يزل عمالا حتى جاوز القنطرة الكبيرة باربعة اذرع
وكسر فدخلت الكنيسة في المسجد فارسل الوليد الى النصارى فاخبرهم وقال ان هذه
الكنيسة كلها دخلت في العنوة فهي لنا دونكم فقالوا انك اولا دفعت لنا الاموال
واقطعتنا الاقطاعات فابينا فمن احسان امير المؤمنين ان يصالحنا فيبقي لنا هذه
الكنايس الاربعة بايدينا ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة فصالحهم على بقاء هذه
الاربع كنايس بايديهم والله اعلم وقيل انه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم عند
باب الفراديس داخله فسموها مريحنا باسم تلك الكنيسة التي اخذت منهم واخذوا
شاهدها فوضعوه فوق التي اخذوها بدلها فالله اعلم ثم امر الوليد باحضار الات
الهدم واجتمع اليه الامراء والكبراء وجاء اساقفة النصارى وقساوستهم فقالوا يا امير المؤمنين
انا نجد في كتبنا ان من يهدم هذه الكنيسة يجن فقال الوليد انا احب ان اجن في الله
والله لا يهدم فيها احد شيئا قبلي ثم صعد المنارة الشرقية ذات الاضالع المعروفة
بالساعات وكانت صومعة هايلة فيها راهب يعظم عندهم فامره الوليد بالنزول
منها فاكبر الراهب ذلك فاخذ الوليد بقفاه فلم يزل يدفعه حتى انزله منها ثم صعد
الوليد على اعلا مكان في الكنيسة فوق المذبح الاكبر منها الذي يسمونه الشاهد وهو
تمثال في اعلا الكنيسة فقال له الرهبان احذر الشاهد فقال انا اول ما اضع فاسي
في راس الشاهد ثم كبر وضربه فهدمه وكان على الوليد قباء لونه اصفر سفرجلي قد
غرز ذيليه في المنطقة ثم اخذ فاسا بيده فضرب بها في اعلا حجر فالقاه فتبادر الامرا
الى الهدم وكبر المسلمون ثلث تكبيرات وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون
وكانوا قد اجتمعوا هنالك فامر الوليد امير الشرطة وهو ابو نائل رباح الغساني ان
يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ففعل ذلك فهدم الوليد والامرا جميع ما جدده النصارى
في تربيع هذا المعبد من المذابح والابنية والحنايا حتى بقي المكان صرحة مربعة ثم شرع
في بنايه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الانيقة التي لم يشتهر مثلها قبلها
كما سنذكره وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقا كثيرا من الصناع والمهندسين
والفعلة وكان المستحث على عمارته اخوه وولي العهد من بعده سليمان بن عبد الملك
ويقال ان الوليد بعث الى ملك الروم يطلب منه صناعا في الرخام وغير ذلك ليستعين
بهم على عمارة هذا المسجد على ما يريد وارسل يتوعده لئن لم يفعل ليغزون بلاده بالجيوش
وليخربن كل كنيسة في بلاده حتى كنيسة القدس وهي قمامة وكنيسة الرها وسائر
اثار الروم فبعث ملك الروم اليه صناعا كثيرة جدا مايتي صانع وكتب اليه يقول
ان كان ابوك فهم الذي تصنعه وتركه فانه لوصمة عليك وان لم يكن فهمه وفهمته انت
فانه لوصمة عليه فلما وصل ذلك الى الوليد اراد ان يجيب عن ذلك واجتمع الناس عنده

لذلك

لذلك فكان فيهم الفرزدق الشاعر فقال انا اجيبه يا امير المؤمنين من كتاب الله قال
الوليد وما هو ويحك فقال قال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما
وسليمان هو ابن داود ففهمه الله ما لم يفهمه ابوه فاعجب ذلك الوليد فارسل به جوابا
الى ملك الروم وقد قال الفرزدق في ذلك

فرقت بين النصارى في كنايسهم • والعابدين من الاسحار في الظلم
وهم جميعا اذا صلوا اوجههم • شتى اذا سجدوا والله والصنم
وكيف يجتمع الناقوس يضربه • اهل الصليب مع القراء لم تنم
فهمك الله تحويلا لبيعتهم • عن مسجد فيه يتلى طيب الكلم
فهمت تحويلها عنه كما فهما • اذ يحكمان له في الحرث والغنم
داود والملك المهدي اذ جزوا • اولادها واجتزاز الصوف بالحكم
ما من ابوا الدنيا لناس يعلمه • خير بنين ولا خير من الحكم

قال الحافظ عبد الرحمن بن ابراهيم دحيم الدمشقي بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد
وزاد في سمك الحيطان وقال الحسن بن يحيى الخشني ان هودا عليه السلام هو الذي بنى
الحايط القبلي من مسجد دمشق وقال غيره لما اراد الوليد بناء القبة التي وسط
الرواقات وهي قبة النسر وهو اسم حادث لها وكانهم سموها بالنسر في شكلها لان
الرواقات عن يمينها وشمالها كالاجنحة لها حفروا الاركان حفرا وصلوا الى الماء وشربوا
منه ماء عذبا زلالا ثم انهم وضعوا فيه زبار الكرم وبنوا فوقها بالحجارة فلما ارتفعت
الاركان بنوا عليها القبة فسقطت فقال الوليد لبعض المهندسين اريد ان تبني انت
هذه القبة فقال على ان تعطيني عهد الله وميثاقه على ان لا يبنيها احد غيري ففعل
فبنى الاركان ثم غلفها بالبواري وغاب عنها سنة كاملة لا يدري الوليد اين ذهب
فلما كان بعد السنة حضر فهم به الوليد فاخذه ومعه رؤس الناس فكشف البواري عن
الاركان فاذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الارض فقال له من ههنا اوتيت
ثم بناها فانعقدت وقال بعضهم اراد الوليد ان يجعل بيضة القبة من ذهب خالص
ليعظم بذلك شان هذا البنا فقال له المعمار انك لا تقدر على ذلك فضربه خمسين
سوطا وقال ويلك انا لا اقدر على ذلك وتزعم اني اعجز عنه وخراج الارض واموالها
تجبى الي قال نعم انا ابين ذلك لك قال فبين ذلك فقال اضرب لبنة واحدة من الذهب
وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك فامر الوليد فاحضر من الذهب ما ضرب منه لبنة
فاذا هي قد دخلها الوف من الذهب فقال يا امير المؤمنين انا نريد مثل هذه اللبنة
كذا وكذا الف لبنة فان كان عندك ما يكفي من ذلك عملنا فلما تحقق الوليد صحة قوله
اطلق له خمسين دينارا وقال لن نعجز عما قلت ولكن فيه اسراف وضياع مال في غير
وجهه اللايق به ولان يكون ما اردنا من ذلك نفقة في سبيل الله تعالى وردا على ضعفاء
المسلمين خير من ذلك ثم عقد ما عليها كما اشار به المعمار فلما سقف الوليد الجامع جعلوا
سقفه جملونات وباطنها مسطح مقرنص بالذهب فقال له بعض اهله اتعبت الناس
بعدك في طين اسطحتها بريد هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير يشير الى ان التراب
يعلو والفعلة تقل لاجل العمل في هذا المسجد في كل عام فامر الوليد ان يجمع ما في بلاده من

الرصاص ليجعله عوض الطين ويكون اخف على السقوف فجمع من كل ناحية من الشام فعيره
من الاقاليم فعازوا فاذا عند امراة منه قناطير مقنطرة فساوموها فيه فقالت
لا ابيعه الا بوزنه فضة فكتبوا الى الوليد فقال اشتروه منها ولو بوزنه فضة فلما
بذلوا لها ذلك قالت اما اذ قلتم ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذا المسجد
فكتبوا على الواحها بطابع لله ويقال انها كانت اسرائيلية وانه كتب على الالواح التي اخذت
منها هذا ما اعطته الاسرائيلية وقال محمد بن عائذ سمعت المشايخ يقولون ما تم بنا مسجد
دمشق الا باداء الامانة لقد كان يفضل عند الرجل من القومة او الفعلة الفلس ورأس
المسمار فيأتي به حتى يضعه في الخزانة وقال بعض مشايخ الدماشقة ليس في الجامع
من الرخام شي الا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر وقال
بعضهم اشترى الوليد العمودين الاحمرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن
يزيد بن معاوية بالف وخمسمائة دينار وقال دحيم عن الوليد بن مسلم ثنا مروان بن
جناح عن ابيه قال كان في مسجد دمشق اثني عشر الف مرخم وقال ابو قصي عن
دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن مهاجر الانصاري انهم حسبوا ما انفقه الوليد على الكرمة
التي في قبلة المسجد فاذا هو سبعون الف دينار وقال ابو قصي انفق في مسجد دمشق
اربعمائة صندوق من الذهب في كل صندوق اربعة عشر الف دينار وفي رواية في كل
صندوق ثمانية وعشرون الف دينار قلت فعلى الاول يكون ذلك خمسة الاف الف
دينار وستمائة الف دينار وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الاموي احد عشر الف
الف دينار ومايتي الف دينار وقيل انه صرف اكثر من ذلك بكثير والله اعلم قال ابو قصي
واتى الوليد حرسي فقال يا امير المومنين ان الناس يقولون انفق امير المومنين
بيوت الاموال في غير حقها فنودي في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر
وقال انه بلغني عنكم انكم قلتم انفق الوليد بيوت الاموال في غير حقها ثم قال يا عمرو بن مهاجر
قم فاحضر اموال بيت المال فحملت على البغال الى الجامع ثم بسط لها الانطاع تحت
قبة النسر ثم افرغ عليها المال ذهبا صبيبا وفضة خالصة حتى صارت كوما حتى كان
الرجل اذا قام من الجانب الواحد لا يرى الرجل من الجانب الاخر وهذا شي كثير ثم جي بالقبانين
فوزنت الاموال فاذا هي تكفي الناس ثلث سنين مستقبلة وفي رواية ست عشرة سنة
مستقبلة لو لم يدخل الناس شي بالكلية فقال لهم الوليد والله ما انفقت في عمارة
هذا المسجد درهما من بيوت المال وانما هذا كله من مالي ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله
عز وجل على ذلك ودعوا للخليفة وانصرفوا شاكرين داعين فقال لهم الوليد يا اهل دمشق
والله ما انفقت في بنا هذا المسجد شيا من بيوت المال وانما هذا كله من مالي لم ارزاكم من
اموالكم شيا ثم قال الوليد يا اهل دمشق انكم تفخرون على الناس باربع بهوائكم ومائكم وفاكهتكم
وحماماتكم فاحببت ان ازيدكم خامسة وهي هذا الجامع وقال بعضهم كان في قبلة جامع دمشق
ثلاث صفائح مذهبة بلازورد في كل منها بسم الله الرحمن الرحيم الله لا اله الا هو الحي
القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نعبد الا اياه ربنا الله
وحده وديننا الاسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم امر ببنيان هذا المسجد وهدم
الكنيسة التي كانت فيه عبد الله امير المومنين الوليد في ذي القعدة في سنة ست

وثمانين

وثمانين وفي صفيحة اخرى رابعة من تلك الصفائح الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
الى اخر الفاتحة ثم النازعات ثم عبس ثم اذا الشمس كورت قالوا ثم محيت بعد
مجي المامون الى دمشق وذكروا ان ارضه كانت مفصصة كلها وان الرخام كان في جدرانه
الى قامات وفوق الرخام كرمة عظيمة من ذهب وفوق الكرمة الفصوص المذهبة والخضر
والحمر والزرق والبيض قد صوروا بها سائر البلدان المشهورة الكعبة فوق المحراب وسائر
الاقاليم يمنة ويسرة وصوروا ما في البلدان من الاشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير
ذلك وسقفه مقرنص بالذهب والسلاسل المعلقة فيه جميعها من ذهب وفضة
وانوار الشموع في اماكنه مفرقة قال وكان في محراب الصحابة برنية حجر من بلور ويقال
بل كانت حجرا من جوهر وهي الدرة وكانت تسمى القليلة وكان اذا طفيت القناديل تضي
لمن هناك بنورها فلما كان زمن الامين بن الرشيد وكان يحب البلور وقيل الجوهر بعث
الى سليمان والي شرطة دمشق ان يبعث بها اليه فسرقها الوالي خوفا من الناس وارسلها
اليه فلما ولي المامون ردها الى دمشق ليشنع بذلك على الامين قال ابن عساكر ثم ذهب
بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج قال وقد رايت تلك البرنية ثم انكسرت بعد
ذلك فلم يجعل مكانها شي قلت وكذلك السلاسل الذهب والفضة ذهبت وجعل مكانها زيادة
سلاسل من نحاس وقد راينا ما الى ان احترق الجامع في فتنة غزلنك ثم ذهبت الا بقايا
منها ثم جعل مكانها صلاحيا لديبيرة وتغيرت هيئة الجامع عما كانت عليه قبل غزلنك لآخر الزيادة
قالوا وكانت الابواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها اغلاق وانما عليها الستور
مرخاة وكذلك الستور على سائر جدرانه الى حد الكرمة التي فوقها الفصوص المذهبة
ورؤوس الاعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير وعملوا له شرفات تحيط به وبنى الوليد
المنارة الشمالية التي يقال لها مادنة العروس فاما الشرقية والغربية فكانتا
فيه قبل ذلك بدهور متطاولة وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة شاهقة
جدا بنتها اليونان للرصد ثم بعد ذلك سقطتا الشماليتان وبقيت القبليتان
الى الان وقد احرق بعض الشرقية بعد الاربعين وسبعمائة فنقضت وجدد بناوها
من اموال النصارى حيث اتهموا بحريقها فقامت على احسن الاشكال بيضا بذاتها وهي
والله اعلم الشرقية التي ينزل عليها عيسى بن مريم في اخر الزمان بعد خروج الدجال
كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قلت ثم احرق اعلا هذه المنارة وجددت زيادة
وكان اعلاها من خشب فبنيت بحجارة كلها في اواخر السبعين وسبعمائة فصارت
كلها فصارت كلها مبنية بالحجارة والمقصود ان الجامع الاموي لما كمل بناوه لم يكن
على وجه الارض بناء احسن منه ولا ابهى ولا اجل منه بحيث انه اذا نظر الناظر اليه
او الى اي جهة منه او الى اي بقعة او مكان منه تحير فيها نظره لحسنه جميعه ولا يمل
ناظره بل كلما ادمن النظر بانت له اعجوبة ليست كالاخرى وكانت فيه طلسمات
من ايام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شي من الحشرات بالكلية لا من الحيات ولا من
العقارب ولا الخنافس ولا العناكب ويقال ولا العصافير ايضا تعشش فيه
ولا الحمام ولا شي مما يتاذى به الناس واكثر هذه الطلسمات او كلها كانت مودعة في
سقف هذا المعبد مما يلي السبع فاحرقت لما احرق ليلة النصف من شعبان

بعد العصر سنة احدى وستين واربع مائة في دولة الفاطميين كما سياتي ذلك
في موضعه وقد كانت بدمشق طلسمات وضعتها اليونان بعضها باق الى يومنا هذا
والله اعلم فمن ذلك العمود الذي في راسه مثل الكرة بسوق الشعير عند قنطرة ام
حكيم وهذا المكان يعرف اليوم بالعلبيين ذكر اهل دمشق انه من وضع اليونان لعسر
بول الحيوان فاذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلث دورات انطلق باطنه فبال
وذلك مجرب من عهد اليونان قال شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا العمود ان تحته
مدفون جبار عنيد كافر يعذب فاذا داروا بالحيوان حوله سمع العذاب فراث وبال
من الخوف قال ولهذا يذهبون بالدواب قبور النصارى واليهود والكفار فاذا سمعت
اصوات المعذبين انطلق بولها والعمود المشار اليه ليس له سر ومن اعتقد فيه منفعة
او مضرة فقد اخطا خطا فاحشا وقيل ان تحته كنز وصاحبه عنده مدفون وكان
ممن يعتقد الرجعة الى الدنيا كما قال تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى وما نحن بمبعوثين والله سبحانه اعلم قال المولف وما زال سليمان بن عبد اخر الزيادة
الملك يعمل في تكملة الجامع الاموي بعد موت اخيه مدة ولايته وجددت له فيه المقصورة
فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على ان يجرده مما فيه من الذهب ويقلع السلاسل والرخام
والسقوف ويرد ذلك كله الى بيت المال ويجعل مكان ذلك كله طينا فشق ذلك
على اهل البلد واجتمع اشرافهم اليه فقال خالد بن عبد الله القسري انا اكلمه لكم فقال
له يا امير المومنين بلغنا عنك كذا وكذا قال نعم فقال خالد ليس ذلك لك يا امير
المومنين فقال له عمر ولم يا ابن الكافرة وكانت امه نصرانية رومية ام ولد فقال له
يا امير المومنين ان كانت كافرة فقد ولدت رجلا مومنا قال صدقت واستحيا عمر
ثم قال له فلم قلت ذلك قال يا امير المومنين لان غالب ما فيه من الرخام انما حمله
المسلمون من اموالهم من سائر الاقاليم وليس هو من بيت المال فاطرق عمر قالوا واتفق
في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلا من عند ملكهم فلما دخلوا من باب
البريد وانتهوا الى الباب الكبير الذي تحت النسر وراوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع
الباهر والزخرفة التي لم يسمع بمثلها صعق كبيرهم وخر مغشيا عليه فحملوه الى
منزلهم فبقي اياما مدنفا فلما افاق سالوه عما عرض له فقال ما كنت اظن ان يبني
المسلمون مثل هذا البنا وكنت اعتقد ان مدتهم تكون اقصر من هذا فلما بلغ ذلك عمر بن
عبد العزيز قال وان هذا ليغيظ الكفار دعوه وسالت النصارى في ايام عمر
بن عبد العزيز ان يعقد لهم مجلسا في شان ما كان اخذه الوليد منهم وكان عمر عادلا
فاراد ان يرد عليهم ما كان اخذه الوليد منهم فادخله في الجامع ثم حقق عمر القضية ثم
نظر فاذا الكنايس التي هي خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة مثل
كنيسة دير مران بسفح قاسيون ودير الزربة المعظمية وكنيسة الراهب وكنيسة
توما خارج باب توما وسائر الكنايس التي بقرى الحواضر فخيرهم بين رد ما سالوه وتخريب
هذه الكنايس كلها او تبقى تلك الكنايس ويطيبوا انفسا للمسلمين بهذه البقعة
فاتفقت اراؤهم بعد ثلثة ايام على ابقاء تلك الكنايس ويكتب لهم كتاب امان بها
ويطيبوا انفسا بهذه البقعة فكتب لهم كتاب امان بها والمقصود ان الجامع الاموي

كان

كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا نظير في حسنه وبهجته قال الفرزدق اهل
دمشق في بلدهم قصر من قصور الجنة يعني الجامع وقال احمد بن ابي الحواري عن الوليد
بن مسلم عن ابن ثوبان انه ما ينبغي لاحد على وجه الارض ان يكون اشد شوقا الى الجنة من اهل
دمشق لما يرون من حسن مسجدها قالوا ولما دخل امير المومنين المهدي دمشق يريد
زيارة القدس نظر الى جامع دمشق فقال لكاتبه ابي عبيد الله الاشعري سبقنا
بنو امية بثلث بهذا المسجد لا اعلم على ظهر الارض مثله وبنبل الموالي وبعمر
بن عبد العزيز لا يكون والله فينا مثله ابدا ثم لما اتى بيت المقدس فنظر الى الصخرة
وكان عبد الملك بناها قال لكاتبه وهذه رابعة ولما دخل المامون دمشق فنظر
الى جامعها وكان معه اخوه المعتصم وقاضيه يحيى بن اكثم قال ما اعجب ما فيه فقال
اخوه هذه الاذهاب التي فيه وقال يحيى بن اكثم الرخام وهذه العقد فقال
المامون اني انما اعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم ثم قال المامون لقاسم
التمار اخبرني باسم حسن اسمي به جاريتي هذه فقال اسمها مسجد دمشق فانه احسن
شي وقال عبد الرحمن عن ابن عبد الحكم عن الشافعي قال عجايب الدنيا خمسة
احدها منارتكم هذه يعني منارة ذي القرنين باسكندرية والثانية اصحاب الرقيم
وهم بالروم اثنى عشر رجلا والثالث مرآة بباب الاندلس على باب مدينتها يجلس
الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ وقيل ينظر من بالقسطنطينية
والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانفاق عليه والخامس الرخام والفسيفساء فانه
لا يدرى لها موضع ويقال ان الرخام معجون والدليل على ذلك انه يذوب على النار قال
ابن عساكر وذكر ابراهيم بن ابي الليث الكاتب وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلثين
واربع مائة في رسالة له قال ثم امرنا بالانتقال فانتقلت منه الى بلد غوطته كانها
ووافق ظاهره باطنه ازقته ارج وشوارعه نزهة حيث ما شيت شممت طيبا واين
سعيت رايت منظرا عجيبا وان افضيت الى جامعه شاهدت منه ما ليس يستطيع
الواصف ان يصفه ولا الراي ان يعرفه وجملته انه بكر الدهر ونادرة الوقت واعجوبة
الزمان وغريبة الاوقات ولقد اثبت الله عز وجل ذكرا يدرس وخلف به امرا لا يخفى
ولا يدرس قال ابن عساكر وانشدني بعض المحدثين في جامع دمشق عمره الله بذكره
في دمشق فقال

دمشق قد شاع حسن جامعها ... وما حوته ربى مرابعها
بديعة الحسن في الكمال لما ... يدركه الطرف من بدايعها
طيبة ارضها مباركة ... باليمن والسعد اخذ طالعها
جامعها جامع المحاسن قد ... فاقت به المدن في جوامعها
بنية بالاتقان قد وضعت ... لا ضيع الله سعي واضعها
تذكر في فضله ورفعته ... اثار صدق راقت لسامعها
قد كان قبل الحريق مدهشة ... فغيرته نار بدايعها
فاذهبت بالحريق بهجته ... فليس يرجى اياب راجعها
اذا تفكرت في الفصوص وما ... فيها تيقنت حذق واضعها

اشجارها لا تزال الدهر مثمرة • لا ترهب الريح من هد يدافعها
كانها من زمرد غرست • في ارض تبر يغشى (كذا) منابعها
فيها ثمار تخالها ينعت • وليس يخشى فساد يانعها
تقطف باللحظ لا بجارحة • الايدي ولا تجتني لبايعها
وتحتها من رخامه قطع • لا قطع الله كف قاطعها
احكم ترخيمها المرخم قد • بان عليها احكام صانعها
وان تفكرت في قناطره • وسقفه بان حذق رافعها
وان تبينت حسن قبته • تحيرا للب في اضالعها
تخترق الريح في منافذها • عصفا فتلتوي على زعازعها
مجالس العلم فيه مونقة • ينشرح الصدر في مجامعها
وكل باب عليه مطهرة • قد امن الناس دفع مانعها
يرتفق الناس من مرافقها • ولا يصدون عن منافعها
ولا تزال المياه جارية • فيها لما شئت من مشارعها
وسوقها لا تزال آهلة • يزدحم الناس في شوارعها
لما يشاؤن من فواكهها • وما يريدون من بضايعها
كانها جنة معجلة • في الارض لولا سرى فجايعها
دامت برغم العدى مسلمة • وحاطها الله من قوارعها

فصل فيما روي في جامع دمشق من الاثار وما ورد في فضله من الاخبار عن جماعة من السادة الاخيار روي عن قتادة انه قال في قوله تعالى والتين قال هو مسجد دمشق والزيتون قال هو مسجد بيت المقدس وطور سينين حيث كلم الله موسى وهذا البلد الامين قال هي مكة ونقل عثمان بن ابي العاتكة عن اهل العلم انهم قالوا في قوله تعالى والتين قال هو مسجد دمشق رواه ابن عساكر وقال صفوان بن صالح عن عبد الخالق بن زيد بن واقد عن ابيه عن عطية بن قيس الكلابي قال قال كعب الاحبار ليبنين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا اربعين عاما وقال الوليد بن مسلم عن عثمان بن ابي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم ابي عبد الرحمن قال اوحى الله تعالى الى الجبل قاسيون ان هب ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس قال ففعل فاوحى الله اليه اما اذ فعلت فاني سابني في حضنك بيتا اعبد فيه بعد خراب الدنيا اربعين عاما ولا تذهب الايام والليالي حتى ارد عليك ظلك وبركتك قال فهو عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع وقال دحيم حيطان المسجد الاربعة من بناء هود عليه السلام وما كان من الفسيفساء الى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك يعني انه رفع الجدار فعلاه من حد الرخام والكرمة الى فوق وقال غيره انما بنى هود الجدار القبلي فقط وقال ابو بكر احمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البرامي الدمشقي ثنا ابراهيم بن مروان سمعت احمد بن ابراهيم بن ملاس يقول سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر قال كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان فما تقبل منه جاءت نار فاكلته وما لم يتقبل

بلغ

منه

60

منه بقي على حاله قلت وهذه الصخرة نقلت الى داخل باب الساعات وهي موجودة الى الان وبعض العامة يزعم انها الصخرة التي وضع ابنا ادم قربانهما فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر فالله اعلم وقال هشام بن عمار ثنا الحسن بن يحيى الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به صلى في موضع مسجد دمشق قال ابن عساكر وهذا منقطع ومنكر جدا ولا يثبت ايضا لا من هذا الوجه ولا من غيره وقال ابو بكر البرامي ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقرى حدثني ابي عن ابيه ان الوليد بن عبد الملك تقدم الى القوام ليلة من الليالي فقال اني اريد ان اصلي الليلة في المسجد فلا تتركوا احدا يصلي الليلة في المسجد فقال له بعضهم يا امير المومنين هذا الخضر يصلي في المسجد كل ليلة وفي رواية انه قال لهم لا تتركوا احدا يدخله ثم ان الوليد اتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له فدخل فاذا رجل قايم بين باب الساعات وباب الخضر الذي يلي المقصورة يصلي وهو اقرب الى باب الخضر منه الى باب الساعات فقال الوليد للقوام الم امركم ان لا تتركوا احدا يصلي الليلة في المسجد فقال له بعضهم يا امير المومنين هذا الخضر يصلي كل ليلة في المسجد في اسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ولا يثبت بمثلها وجود الخضر بالكلية ولا صلاته في هذا المكان المذكور والله اعلم وقد اشتهر في الاعصار المتاخرة ان الزاوية القبلية عند باب المأذنة الغربية تسمى زاوية الخضر وما ادري ما سبب ذلك والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه وكفى بذلك شرفا له ولغيره من المساجد التي صلوا فيها واول من صلى فيه اماما ابو عبيدة بن الجراح وهو امير الامراء بالشام واحد العشرة المشهود لهم بالجنة وامين هذه الامة وصلى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لكن قبل ان يغيره الوليد الى هذه الصفة فاما بعد ان غيره الى هذا الشكل فلم يره احد من الصحابة كذلك الا انس بن مالك فانه ورد دمشق سنة اثنتين وتسعين وهو يبني فيه الوليد فصلى فيه انس واراد الوليد وانكر انس على الوليد تاخير الصلاة الى اخر وقتها كما قدمنا ذلك في ترجمة انس عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين وهو يبني فيه الوليد فصلى فيه انس واراد الوليد وانكر انس على الوليد تاخير الصلاة الى اخر وقتها كما قدمناه لك في ترجمة انس عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين وسيصلي فيه عيسى بن مريم اذا نزل في اخر الزمان اذا خرج الدجال وعمت البلوى به وانحصر الناس منه بدمشق فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر فياتي وقد اقيمت الصلاة فيقول له امام الناس تقدم يا روح الله فيقول انما اقيمت لك فيصلي عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الامة يقال انه المهدي فالله اعلم ثم يخرج عيسى بالناس فيدرك الدجال عند عقبة افيق وقيل بباب لد فيقتله بيده هنالك وقد ذكرنا ذلك مبسوطا عند قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا واماما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام والمقصود ان عيسى ينزل على المنارة الشرقية بدمشق والبلد محصور محصن من الدجال فينزل على المنارة وهي هذه المنارة المبنية

فى زماننا من علوا الا لنصارى ثم يكون نزول عيسى حتفا لهم ومهلكا ودمارا عليهم
ينزل بين ملكين واضعا يديه على منا كبهما وعليه ممصرتان وفى رواية ممصرتان
يقطر راسه ماء كانما خرج من ديماس وذلك وقت الفجر فينزل من المنارة وقد اقيمت
الصلاة ومهذا انما يكون فى المسجد الاعظم بدمشق وهو هذا الجامع وما وقع فى صحيح
مسلم من رواية النواس بن سمعان انه كان فينزل على المنارة البيضا شرقى دمشق
كانه والله اعلم روى بالمعنى بحسب ما فهمه الراوى وانما هو ينزل على المنارة الشرقية
بدمشق وقد اخبرت ولم اقف عليه الى الآن انه كذلك فى بعض الفاظ هذا الحديث
فى بعض المصنفات والله المسئول المامول ان يوفقنى فيوقفنى على هذه اللفظة
وليس فى البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه وهى بيضا بنفسها ولا يعرف فى بلاد
الشام منارة احسن منها ولا ابهى ولا اعلى منها ولله الحمد والمنة قلت نزول عيسى
على المنارة التى بالجامع الاموى غير مستنكر وذلك ان البلا بالدجال يكون قد عم
فينحصر الناس داخل البلد ويحصرهم الدجال بها ولا يتخلف احد عن دخول البلد
الا ان يكون متبعا للدجال او ماسورا معه فان دمشق فى اخر الزمان يكون معقل
المسلمين وحصنهم من الدجال فاذا كان الامر كذلك فمن يصلى خارج البلد والمسلمون
كلهم داخل البلد وعيسى انما ينزل وقد اقيمت الصلاة فيصلى مع المسلمين ثم ياخذهم
ويطلب الدجال ليقتله وبعض العوام يقولون ان المراد بالمنارة الشرقية بدمشق
منارة مسجد بلاشو خارج باب شرقى وبعضهم يقول انها المنارة التى على نفس
باب شرقى فالله اعلم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه العالم بكل
شى المحيط بكل شى القادر على كل شى القاهر فوق كل شى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
فى السموات ولا فى الارض

زيادة

اخر الزيادة

الكلام على ما يتعلق براس يحيى بن زكريا عليه السلام

روى ابن عساكر عن زيد بن واقد قال وكلنى الوليد على العمارة فى بنا جامع دمشق
فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان الليل وافانا وبين يديه الشمع
فنزل فيها فاذا هى كنيسة لطيفة ثلثة اذرع فى ثلثة اذرع واذا فيها صندوق
ففتح الصندوق فاذا فيه سفط وفى السفط راس يحيى عليه السلام مكتوب
عليه هذا راس يحيى بن زكريا فامر به الوليد فرد الى مكانه وقال اجعلوا العمود
الذى فوقه مغيرا من بين الاعمدة فجعل عليه عمود مسفط الراس وفى رواية عن
زيد بن واقد ان ذلك الموضع كان تحت ركن من اركان القبة يعنى قبل ان تبنى قال
وكان على الراس شعر وبشر وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال حضرت
راس يحيى بن زكريا وقد اخرج من البلاطة القبلية الشرقية التى عند مجلس
بجيلة فوضع تحت عمود السكاسكة قال الاوزاعى والوليد بن مسلم هو العمود الرابع
المسفط وروى ابو بكر البراى عن احمد بن انس بن مالك عن حبيب المؤذن عن ابى
زياد وابى امية الشعبانيين عن سفيان الثورى انه قال صلاة فى مسجد دمشق
بثلاثين الف صلاة وهذا غريب جدا وروى ابن عساكر من طرق انه مشهور عن
المنذر بن نافع مولى ام عمرو بنت عثمان عن ابيه وفى رواية عن رجل قد سماه انه واثلة

بن زكريا صح

بلاطه

ابن الاسقع خرج من باب المسجد الذى يلى باب جيرون فلقيه كعب الاحبار فقال
اين تريد قال واثلة اريد بيت المقدس فقال تعال لحتى اريك موضعا فى هذا
المسجد من صلى فيه فكانما صلى فى بيت المقدس فذهب به فاراه ما بين الباب
الاصغر الذى يخرج منه الوالى يعنى الخليفة الى الحنية يعنى القنطرة الغربية
فقال من صلى فيما بين هذين صلى فى بيت المقدس قال واثلة انه لمجلسى
ومجلس قومى قال كعب هو ذاك وهذا ايضا غريب جدا ومنكر ولا يعتمد على مثله
وعن الوليد بن مسلم قال لما امر الوليد بن عبد الملك ببنا مسجد دمشق وجدوا
فى حايط المسجد القبلى لوحا من حجر فيه كتاب نقش فاتوا به الوليد فبعث به الى
الروم فلم يستخرجوه ثم بعث الى من كان بدمشق من بقية الاشبان فلم يستخرجوه
فدل على وهب بن منبه فبعث اليه فلما قدم عليه اخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه
فى ذلك الحايط ويقال ان ذلك الحايط بناه هود عليه السلام فلما نظر اليه وهب
حرك راسه وقراه فاذا هو بسم الله الرحمن الرحيم ابن ادم لو رايت يسير ما بقى
من اجلك لزهدت فى طول ما ترجو من املك وانما تلقى ندمك لو قد زلت بك قدمك
واسلمك اهلك وحشمك وانصرف عنك الحبيب واسلمك الصاحب والقريب
ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا انت الى مالك عايد ولا فى عملك زايد فاعمل لنفسك
قبل يوم القيمة وقبل الحسرة والندامة قبل ان يحل بك اجلك وتنزع منك روحك
فلا ينفعك ما جمعته ولا ولد تلده ولا اخ تركته ثم تصير الى برزخ الثرى ومجاورة
الموتى فاغتنم الحياة قبل الممات والقوة قبل الضعف والصحة قبل السقم قبل
ان يوخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب فى زمن سليمان بن داود عليه السلام
وقال ابن عساكر قرات على ابى محمد السلمى عن عبد العزيز التميمى انا تمام الرازى انا
ابن البراى سمعنا هارون بن عبد الرحيم بن عمر المازنى يقول لما كان فى ايام الوليد بن عبد
الملك وبنايه المسجد احتفروا فيه موضعا فوجدوا بابا من حجارة مغلقا فلم يفتحوه
واعلموا به الوليد فخرج حتى وقف عليه وفتح بين يديه فاذا داخله مغارة فيها تمثال
انسان من حجارة على فرس من حجارة فى يد التمثال الواحدة الدرة التى كانت فى المحراب
ويده الاخرى مقبوضة فامر بها فكسرت فاذا فيها حبتان حبة قمح وحبة شعير فسال
عن ذلك فقيل له لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس فى هذا البلد قمح ولا شعير
وقال الحافظ ابو حمدان الوراق وكان قد عمر مايه سنة سمعت بعض الشيوخ يقول
لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذى على المقسلاط على السفود الحديد
الذى فى اعلاه صنما ماد ايده بكف مطبقة فكسروه فاذا فى يده حبة قمح فسالوا
عن ذلك فقيل لهم هذه الحبة القمح جعلها حكما اليونان فى كف هذا الصنم طلسما
حتى لا يسوس القمح فى هذه البلاد ولو اقام سنين كثيرة قال ابن عساكر وقد رايت انا
هذا السفود على قناطر كنيسة المقسلاط فلما هدمت القناطر اذهب قلت
كنيسة المقسلاط كانت مبنية فوق القناطر التى فى السوق الكبير عند الصابونيين
والعطارين اليوم وعندها اجتمعت جيوش الاسلام يوم فتح دمشق دخل ابو عبيدة من باب
الجابية وخالد من الباب الشرقى ويزيد بن ابى سفيان من باب الجابية الصغير وقال

عبد العزيز التميمي عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون إن في سقف الجامع طلاسم عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي فيها طلاسم للصنونيات لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها ولا يدخله غراب وطلسم للفار والحيات والعقارب فما رأى الناس من هذا شيئا إلا الفار ويشبه أن يكون قد عدم طلسمها وطلسم للعنكبوت حتى لا ينسج فيه ويركبه الغبار والوسخ قال الحافظ ابن عساكر وسمعت جدي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي السبع وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق فلما احترقت الطلسمات حين احترق الجامع وجدت وكان حريق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمائة وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبيين الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة وهو لعسر بول الدواب فإذا أداروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق باطنها وقد كان شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية رح يقول إنما هذا من كبر مشرك مدفون هناك يعذب فإذا سمعت الدابة صراخه فزعت فانطلق باطنها وطبعها قال ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت فينطلق طباعها وتروث وما ذاك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون والله أعلم

ذكر الساعات التي على بابه

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه عمل هناك بلكار الساعات كان يعمل بها كل ساعة تمضي من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة وكذلك سائرها قلت هذا يحتمل شيئين إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع وهو الذي يسمى اليوم باب الزيادة ولكن قد قيل إنه محدث بعد بناء الجامع ولا ينفي ذلك أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زبر وإما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرقي منه في الحائط القبلي باب آخر في محاذاة باب الزيادة وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم قلت باب الوراقين قبلي أيضا فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع والله أعلم والمجاورين للجامع ولبابه قلت فأما القبة التي وسط صحن الجامع التي فيها الماء الجاري وتقول العامة لها قبة النواس فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة وأما القبة الغربية التي في صحن الجامع التي يقال لها قبة عائشة فسمعت شيخنا الذهبي يقول إنما بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن المنصور العباسي وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه وأما القبة الشرقية التي على باب مشهد علي فيقال إنها بنيت في زمن الحاكم العبيدي في حدود سنة أربعمائة وأما الفوارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف فخر الدولة أبو علي حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني وكان ناظرا بالجامع وجر إليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة وعملت حولها قناطر وعقد

زيادة

لخ الزيادة

الغالية م

عليها قبة ثم سقطت القبة بسبب جمال تحاككت عندها وازدحمت وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة فأعيدت ثم سقطت أعمدتها وما عليها من حريق اللبادين والحجارة في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة وذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر قلت وأما القصعة التي كانت في الفوارة فما زالت وسطها وقد أدركتها كذلك ثم رفعت بعد ذلك وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها فلم تزل بها إلى أن انهدمت اللبادين بسبب حريق النصارى في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ثم استونف بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما كانت وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر ثم عمل الشاذروان الذي شرقي فوارة جيرون بعد الخمسمائة أظنه سنة أربع عشرة وخمس مائة والله سبحانه أعلم

ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي

قال أبو بكر بن أبي داود ثنا أبو عياش موسى بن عامر المري ثنا الوليد هو ابن مسلم قال قال أبو عمرو الأوزاعي عن حسان بن عطية قال الدراسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي في قدمة قدمها على عبد الملك فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة فقال ما هذا فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء فقرأ هشام بن إسماعيل فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام فقرأ بقراءته مولى له فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرؤوا بقراءته وقال هشام بن عمار خطيب دمشق ثنا أيوب بن حسان ثنا الأوزاعي ثنا خالد بن دهقان قال أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن المغيرة المخزومي وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشي قلت هشام بن إسماعيل كان نائبا على المدينة النبوية وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك قبل أن يموت أبوه ثم عزله عنها الوليد وولى عليها عمر بن عبد العزيز كما ذكرنا وقد حضر هذا السبع جماعات من سادات السلف من التابعين بدمشق منهم هشام بن إسماعيل ومولاه رافع وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر وكان مكتبا لأولاد عبد الملك بن مروان وقد ولي إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابناه عبد الرحمن ومروان وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ونمير بن أوس الأشعري ويزيد بن أبي مالك الهمداني وسالم بن عبد الله المحاربي ومحمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى آل معاوية ومكحول وسليمان بن موسى الأشدق وعبد الله بن العلاء بن زبر وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن بن عراك وعبد الرحمن بن عامر اليحصبي أخو عبد الله بن عامر ويحيى بن الحارث الذماري وعبد الملك بن النعمان المري وأنس بن أنيس العذري وسليمان بن بزيع القارئ وسليمان بن داود الخشني وعراك ومهران بن حكيم القرشي ومحمد بن خالد بن أبي ظبيان الأزدي ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر وعياش بن دينار وغيرهم هكذا أوردهم ابن عساكر قال وقد روي عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ولا وجه لإنكاره ثم ساق من طريق أبي بكر بن داود ثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبد الله بن العلاء قال سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب ينكر الدراسة ويقول ما رأيت ولا سمعت وقد أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عساكر وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميرا على دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز والله أعلم

فصل كان ابتداء عمارة جامع دمشق في اواخر سنة ست وثمانين هدمت
الكنيسة التي كانت موضعه في ذي القعدة منها فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البنا
وتكامل في عشر سنين فكان الفراغ منه في هذه السنة اعني سنة ست وتسعين وفيها
توفي بانيه الوليد بن عبد الملك وقد بقيت فيه بقايا فكملها اخوه سليمان كما ذكرنا
فاما قول يعقوب بن سفيان سالت هشام بن عمار عن قصة مسجد دمشق وهدم الكنيسة
قال كان الوليد قال للنصارى من اهل دمشق ما شئتم انا اخذنا كنيسة توما عنوة
وكنيسة الداخلة صلحا فانا اهدم كنيسة توما قال هشام وتلك اكبر من هذه الداخلة قال
فرضوا ان اهدم كنيسة الداخلة وادخلها في المسجد قال وكان بابها قبلة المسجد اليوم
وهو المحراب الذي يصلى فيه قال وهدم الكنيسة في اول خلافة الوليد سنة ست وثمانين
ومكثوا في بنيانها سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بناؤه فاتمه هشام من بعده ففيه
فوايد وفيه غلط والمحفوظ انهم مكثوا في بنايه سبع سنين والصواب عشر سنين فانه لا خلاف
ان الوليد بن عبد الملك توفي في هذه السنة اعني سنة ست وتسعين وقد حكى ابو جعفر
بن جرير ان الذي اتم ما بقي من بنايه اخوه سليمان لا هشام والله سبحانه
اعلم قلت نقلت من خط ابن عساكر وقد تقدم وقد جددت فيه بعد ذلك اشيا منها القباب
الثلاثة التي في صحنه وقد تقدم ذكرها وقيل ان القبة الشرقية عمرت في ايام المستنصر
العبيدي في سنة خمسين واربع مائة وكتب عليها اسمه واسما الاثني عشر الذين تزعم الرافضة
انهم ائمتهم واما العمودان الموضوعان في صحنه فجعلا للتنوير ليالي الجمع اضيفا في رمضان
سنة احدى واربعين واربع مائة بامر قاضي البلد ابي محمد ٥

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك

باني جامع دمشق وقد ذكرنا انه توفي هذا العام هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي
العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابو العباس الاموي بويع له بالخلافة بعد ابيه
بعهد منه في شوال سنة ست وثمانين وكان اكبر ولده والولي من بعده وامه ولادة بنت
العباس بن جزء بن الحرث بن زهير العبسية وكان مولده سنة خمسين وكان ابواه يترفانه
فشب بلا ادب فكان لا يحسن العربية وكان طويلا اسمر به اثر جدري خفي افطس الانف سايله وكان
اذا مشى يتوكف في المشية اي يتبختر وكان جميلا وقيل كان دميما قد شاب في مقدم لحيته
وقد راى سهل بن سعد وسمع انس بن مالك لما قدم عليه ساله ما سمع في اشراط الساعة
كما تقدم في ترجمة انس وسمع سعيد بن المسيب وحكى عنه الزهري وغيره وقد روي ان عبد
الملك اراد ان يعهد اليه ثم توقف لانه كان لا يحسن العربية فجمع الوليد جماعة من اهل
النحو عنده فاقاموا عنده سنة وقيل ستة اشهر يشتغل فيها فخرج يوم خرج اجهل مما كان
فقال عبد الملك قد اجهد واعذر وقيل ان اباه عبد الملك اوصاه عند موته فقال له
لا الفينك اذا مت تجلس تعصر عينيك وتحن حنين الامة ولكن شمر واتزر ودلني في حفرتي
وخلني وشاني وادع الناس الى البيعة فمن قال براسه هكذا فقل بسيفك هكذا وقال
الليث وفي سنة ثمان وتسعين غزا الوليد بلاد الروم وفيها حج بالناس ايضا وقال غيره
غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد ملطية وغيرها وكان نقش خاتمه اومن بالله مخلصا
وقيل كان نقشه يا وليد انك ميت ويقال ان اخر ما تكلم به سبحان الله والحمد لله ولا اله

الا الله وقال ابراهيم بن ابي عبلة قال لي الوليد بن عبد الملك يوما في كم تختم القران
قلت في كذا وكذا فقال لكن امير المومنين على شغله تختم في كل ثلث وقيل في كل سبع قال
وكان يقرا في شهر رمضان سبع عشرة ختمة قال ابراهيم رحم الله الوليد واين مثله بنى
مسجد دمشق وكان يعطيني قصاع الفضة فاقسمها على قراء بيت المقدس وروى ابن
عساكر باسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابيه قال خرج الوليد
بن عبد الملك يوما من الباب الاصغر فراى رجلا عند المادنة الشرقية ياكل شيا فاتاه
فوقف عليه فاذا هو ياكل خبزا وترابا فقال له ما حملك على هذا قال القنوع يا امير المومنين
فذهب الى مجلسه ثم استدعى به فقال ان لك لشانا فاخبرني به والا ضربت الذي فيه عيناك
فقال نعم يا امير المومنين كنت رجلا جمالا فبينما انا اسير من مرج الصفر قاصدا الى الكسوة
اذ زرني البول فعدلت الى خربة لابول فاذا سرب فحفرته فاذا مال مصبوب فملات منه
غرايري ثم انطلقت اقود برواحلي واذا بمخلاة معي فيها طعام فالقيته منها وقلت
اني ساتي الكسوة ورجعت الى الخربة لاملا تلك المخلاة من ذلك المال فلم اهتد الى المكان
بعد الجهد في الطلب فلما ايست رجعت الى الرواحل فلم اجدها ولم اجد الطعام فاليت على
نفسي اني لا اكل الا خبزا وترابا قال فهل لك عيال قال نعم ففرض له في بيت المال قال
ابن جابر وبلغنا ان تلك الرواحل سارت حتى اتت بيت المال فتسلمها خازنه فوضعها
في بيت المال وقيل ان الوليد قال له ذلك المال لك وصل الينا واذهب الى ابلك فخذها
وقيل انه دفع اليه شيا من ذلك المال يغنيه وعياله وقال عمير بن عبد الله الشعباني
عن ابيه قال قال الوليد بن عبد الملك لولا ان الله ذكر قوم لوط في القران ما ظننت
ان ذكرا يفعل هذا بذكر قال لوا وكان الوليد لحانا كما جاء من غير وجه ان الوليد خطب يوما فقرا
في خطبته يا ليتها كانت القاضية فضم التاء من ليتها فقال عمر بن عبد العزيز يا ليتها
كانت عليك واراحتنا الله منك وكان يقول يا اهل المدينة وقال عبد الملك يوما لرجل
من قريش انك لرجل لولا انك تلحن فقال وهذا ابنك الوليد يلحن فقال لكن ابني سليمان
لا يلحن فقال الرجل واخي ابو فلان لا يلحن وقال ابن جرير حدثني عمر ثنا علي يعني ابن محمد المدايني
قال كان الوليد بن عبد الملك عند اهل الشام افضل خلايفهم بنى المساجد بدمشق ووضع
المنار واعطى الناس واعطى المجذمين وقال لهم لا تسالوا الناس واعطى كل مقعد خادما
وكل ضرير قايدا وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظاما وكان يرسل بنيه في كل غزوة الى بلاد
الروم ففتح الهند والسند والاندلس واقاليم بلاد العجم حتى دخلت جيوشه الى الصين
وغير ذلك قال وكان يمر بالبقال فيقف عليه فياخذ حزمة البقل بيده ويقول بكم تبيع هذه
فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح وذكروا انه كان يبر حملة القران ويكرمهم ويقضي
عنهم ديونهم قال وكانت همة الوليد في البنا وكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول
ماذا بنيت ماذا عمرت وكانت همة اخيه سليمان في النسا فكان الناس كذلك يلقى الرجل
الرجل فيقول كم تزوجت ماذا عندك من السراري وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القران
وفي الصلاة والعبادة فكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول كم وردك كم تقرا كل يوم ماذا
صليت البارحة والناس يقولون الناس على دين مليكهم ان كان خمارا كثر الخمر وان كان لوطيا زيادة
فكذلك وان كان شحيحا حريصا كان الناس كذلك وان كان جوادا كريما شجاعا كان الناس

اخر الزيادة

كذلك وان كان طماعا ظلوما غشوما فكذلك واذ كان ذا دين وتقوى وبر واحسان كان الناس
كذلك وهذا يوجد في بعض الازمان وفي بعض الاشخاص والله اعلم وقالوا وقد كان الوليد
جبارا ذا سطوة شديدة لا يتوقف اذا غضب لجوجا كثير الاكل والجماع مطلاقا يقال انه
تزوج ثلثة وستين امراة غير الاماء قلت قد يراد بها الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد
بن عبد الملك باني الجامع والله اعلم قلت بنى الوليد الجامع على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن
في الدنيا له نظير وبنى صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة وبنى مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم ووسعه حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه وله اثار حسان كثيرة جدا ثم كانت
وفاته في يوم السبت النصف من جمادى الاخرة من هذه السنة قاله ابن جرير وهذا قول جميع
اهل السير وقال عمرو بن علي الفلاس وجماعة كانت وفاته يوم السبت النصف من ربيع الاول
من هذه السنة عن ست وقيل ثلث وقيل تسع وقيل اربع واربعين سنة وكانت وفاته بدير
مران فحمل على اعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير وقيل بمقابر باب الفراديس حكاه ابن
عساكر وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز لان اخاه سليمان كان بالقدس الشريف وقيل
صلى عليه ابنه عبد العزيز وقيل بل صلى عليه اخوه سليمان والصحيح عمر بن عبد العزيز والله اعلم
وهو الذي انزله الى قبره وقال حين انزله لننزلنه غير موسد ولا ممهد قد خلفت الاسلاب وفارقت
الاحباب وسكنت التراب وواجهت الحساب فقيرا الى ما قدمت غنيا عما اخرت وجاء من غير
وجه عن عمر انه اخبر انه لما وضعه يعني الوليد في لحده ارتكض في اكفانه وجمعت رجلاه الى عنقه
وكانت خلافته تسع سنين وثمانية اشهر على المشهور والله اعلم قال المدايني وكان له من الولد
تسعة عشر ولدا ذكرا وهم عبد العزيز ومحمد والعباس وابراهيم وتمام وخالد وعبد الرحمن ومبشر
ومسرور وابو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى
فام عبد العزيز ومحمد ام البنين بنت عمه عبد العزيز بن مروان وام ابي عبيدة فزارية وسائرهم
من امهات اولاد شتى قال المدايني وقد رثاه جرير فقال

يا عين جودي بدمع هاجه الذكر	فما لدمعك بعد اليوم مدخر
ان الخليفة قد وارت شمائله	غبراء موحشة في جوفها زور
اضحى بنوه وقد جلت مصيبتهم	مثل النجوم هوى من بينها القمر
كانوا جميعا فلم يدفع منيته	عبد العزيز ولا روح ولا عمر

وممن هلك ايام الوليد بن عبد الملك زياد بن جارية التميمي الدمشقي كانت داره عند قصر
الثقفيين روى عن حبيب بن مسلمة الفهري ان النبي صلى الله عليه وسلم نفل في البداة الربع وفي الرجعة الثلث
في النفل ومنهم من زعم ان له صحبة والصحيح انه تابعي روى عنه عطية بن قيس ومكحول
ويونس بن ميسرة بن حلبس ومع هذا قال فيه ابو حاتم شيخ مجهول ووثقه النسائي وابن حبان
روى ابن عساكر انه دخل يوم الجمعة الى مسجد دمشق وقد تاخرت الصلاة فقال والله
ما بعث الله نبيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم امركم بهذه الصلاة هكذا الوقت قال فاخذ
فادخل الخضراء فقطع راسه وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك عبد الله بن عمرو بن عثمان ابو
محمد كان قاضي المدينة وكان شريفا كثير المعروف جوادا ممدحا والله اعلم

خلافة سليمان بن عبد الملك

بويع له بالخلافة بعد موت اخيه الوليد يوم مات وكان يوم السبت النصف من جمادى الاخرة
سنة ست وتسعين وكان سليمان بالرملة وكان ولي العهد من بعد اخيه عن وصية ابيهما
عبد الملك وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلع اخيه سليمان وان يجعل ولاية العهد
من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد وقد كان الحجاج طاوعه على ذلك وارد بذلك وكذلك
قتيبة بن مسلم وجماعة وقد انشد في ذلك جرير وغيره من الشعراء قصائد فلم ينتظم ذلك
له حتى مات وانعقدت البيعة لسليمان فخاف قتيبة بن مسلم وعزم على ان لا يبايعه فان
نعزله سليمان وولى على امرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب فاعاده الى امرتها بعد
عشر سنين وامره بمعاقبة ال الحجاج بن يوسف وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان
ولسبع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن امرة المدينة عثمان بن حيان وولى
عليها ابا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان احد العلماء وقد كان قتيبة بن مسلم حين بلغه
ولاية سليمان الخلافة كتب اليه كتابا يعزيه في اخيه ويهنيه بولايته ويذكر له فيه بلاءه وعناه
وقتاله وهيبته في صدور الاعداء وما فتح الله من البلاد والمدن والاقاليم الكبار على يديه
وانه له على مثل ما كان للوليد من قبله من الطاعة والنصيحة ان لم يعزله عن خراسان
وقال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب ثم كتب كتابا ثانيا يذكر ما فعل من القتال والفتوحات
وهيبته في صدور الملوك والاعاجم ويذم من يزيد بن المهلب ايضا ويقسم فيه لئن عزله
وولى يزيد ليخلعن سليمان وكتب كتابا ثالثا فيه خلع سليمان عن الخلافة بالكلية وبعث بها
مع البريد وقال له ادفع اليه الكتاب الاول فان قراه ودفعه الى يزيد بن المهلب فادفع اليه الثاني
فان قراه ودفعه الى يزيد فادفع اليه الثالث فلما قرا سليمان الكتاب الاول اتفق حضور
يزيد عند سليمان فدفعه الى يزيد فقراه فناوله البريد الكتاب الثاني فقراه ودفعه الى يزيد فناوله
البريد الكتاب الثالث فقراه فاذا فيه التصريح بعزله وخلعه فتغير وجهه ثم ختمه وامسكه
بيده ولم يدفعه الى يزيد وامر بانزال البريد في دار الضيافة فلما كان من الليل بعث الى
البريد فاحضره ودفع اليه ذهبا وكتابا فيه ولاية قتيبة على خراسان وارسل مع ذلك
البريد بريدا اخر من جهته ليقرره عليها فلما وصلوا بلاد خراسان بلغهم ان قتيبة قد خلع
الخليفة فدفع بريد سليمان الكتاب الذي معه الى بريد قتيبة ثم بلغهما مقتل قتيبة
قبل ان يرجع بريد سليمان

ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى

وذلك انه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته وذكر
لهم همته وفتوحه وعدله فيهم ودفعه الاموال الجزيلة اليهم فلما فرغ من مقالته لم يجبه احد
منهم الى مقالته فشرع في تنقيصهم وذمهم قبيلة قبيلة وطائفة طائفة فغضبوا عند ذلك
ونفروا عنه وتفرقوا وعملوا على مخالفته وسعوا في قتله وكان القائم باعباء ذلك رجل
يقال له وكيع بن ابي سود فجمع جموعا كثيرة ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذي الحجة
من هذه السنة وقتل معه احد عشر رجلا من اخوته وابناء اخوته ولم يبق منهم سوى ضرار بن
مسلم وكانت امه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زرارة فحمته اخواله وعمرو
بن مسلم كان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح
ويسار وهولاء ابناء مسلم واربعة من ابنائهم فقتلهم كلهم وكيع بن سود وقد كان قتيبة بن مسلم
بن عمرو بن حصين بن ربيعة ابو حفص الباهلي من سادات الامراء وخيارهم وكان من القادة

النجبا الكبرا والشجعان وذوي الحروب والفتوحات السعيدة والاراء الحميدة وقد هدى الله على يديه خلق لا يحصيهم الا الله فاسلموا ودانوا لله عز وجل وفتح من البلاد والاقاليم الكبار والمدن العظام شيا كثيرا كما تقدم ذلك مفصلا مبينا والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يخيب تعبه وجهاده ولكن زل زلة كان فيها حتفه وفعل فعلة رغم فيها انفه وخلع الطاعة فبادرت اليه المنية وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية لكن سبق له من الاعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سياته ويضاعف به حسناته والله يسامحه ويعفو عنه ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الاعداء وكانت وفاته بفرغانة من اقصى بلاد خراسان في ذي الحجة من هذه السنة وله من العمر ثمان واربعون سنة وكان ابوه ابو صالح مسلم ممن قتل مع مصعب بن الزبير وكانت ولايته على خراسان عشر سنين فاستفاد وافاد فيها خيرا كثيرا وقد رثاه عبد الرحمن بن جمانة الباهلي فقال •

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر • بجيش الى جيش ولم يعل منبرا •
ولم تخفق الرايات والقوم حوله • وقوف ولم تشهد له الناس عسكرا •
دعته المنايا فاستجاب لربه • وراح الى الجنات عفا مطهرا •
فما رزئ الاسلام بعد محمد • بمثل ابي حفص فبكيه عبهرا •

ولقد بالغ هذا الشاعر في بيته الاخير وعبهر ولد له وقال الطرماح في هذه الوقعة التي قتل فيها قتيبة على يدي وكيع بن سود •

لولا فوارس مذحج • والازد زعزع واستبيح العسكر •
وتقطعت بهم البلاد ولم • يوب منهم الى اهل العراق مخبر •
واستط لفت عقد الجماعة • وازدري امر الخليفة واستحل المنكر •
قوم هموا قتلوا قتيبة عنوة • والخيل جانحة عليها العثير •
بالمرج مرج الصين حين تبينت • مضر العراق من الاعز الاكبر •
اذ حالفت جزعا ربيعة كلها • وتفرقت مضر ومن يتمضر •
وتقدمت ازد العراق ومذحج • للموت يجمعها ابوها الاكبر •
قحطان يضرب راس كل مدجج • يحمي بصائرهن اذ لا تبصر •
والازد تعلم ان تحت لوائها • ملكا قراسية وموت احمر •
فبعزنا نصر النبي محمد • وبنا تثبت في دمشق المنبر •

وقد بسط ابن جرير هذه القصة بسطا كثيرا وذكر اشعارا كثيرة جدا وقال ابن خلكان وقال ابن جرير يرثي قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه واكرم مثواه وعفا عنه

ندمتم على قتل الامير ابن مسلم • وانتم اذا لاقيتم الله اندم •
لقد كنتم من غزوه في غنيمة • وانتم لمن لاقيتم اليوم مغنم •
على انه افضى الى حور جنة • وتطبق بالبلوى عليكم جهنم •

قال وقد ولي من اولاده وذريته جماعة الامرة في البلدان فمنهم عمرو بن سعيد بن قتيبة بن مسلم وكان جوادا ممدحا رثاه حين مات ابو عمرو اشجع بن عمرو السلمي المري نزيل البصرة بقوله •

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق • ولا مغرب الا له فيه مادح •

صوابه
عام ولد

ومما كنت

ومما كنت ادري ما فواضل كفه • على الناس حتى غيبته الصفائح •
واصبح في لحد من الارض ضيق • وكانت به حيا تضيق الصحاصح •
سابكيك ما فاضت دموعي فان تغض • فحسبك مني ما تجن الجوانح •
فما انا من رزء وان جل جازع • ولا بسرور بعد موتك فارح •
كأن لم يمت حي سواك ولم تقم • على احد الا عليك النوائح •
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها • لقد حسنت من قبل فيك المدائح •

قال ابن خلكان وهي من احسن المراثي وهي في الحماسة ثم تكلم على باهلة وانها قبيلة مرذولة عند العرب قال وقد رايت في بعض المجاميع ان الاشعث بن قيس قال يا رسول الله اتتكافا دماونا قال نعم ولو قتلت رجلا من باهلة لقتلتك به وقيل لبعض العرب ايسرك ان تدخل الجنة وانت باهلي قال بشرط ان لا يعلم اهل الجنة بذلك وسال بعض الاعراب رجلا ممن انت فقال من باهلة فجعل يرثي له فقال وازيدك اني لست من الصميم وانما انا من مواليهم فجعل يقبل يديه ورجليه فقال ولم تفعل هذا فقال لان الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيا الا ليعوضك الجنة في الاخرة ثم قال ابن جرير وفي هذه السنة توفي قرة بن شريك العبسي امير مصر وحاكمها قلت هو قرة بن شريك امير مصر من جهة الوليد وهو الذي بنى جامع الفيوم وفيها حج بالناس ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان هو الامير على المدينة وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله الكندي وعلى قضائها عبد الرحمن بن اذينة وعلى قضاء الكوفة ابو بكر بن ابي موسى وعلى حرب خراسان وكيع بن ابي سود والله سبحانه اعلم

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ٥

فيها جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية وفيها امر ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المراة قال الواقدي وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الوضاحية ففتح الحصن الذي فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا مسلمة ايضا برجمة فافتتح حصونا وبرجمة وحصن الحديد وسردا وشتى بارض الروم وفيها غزا عمر بن هبيرة الفزاري في البحر ارض الروم وشتى بها وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير وقدم براسه على سليمان بن عبد الملك امير المومنين مع حبيب بن ابي عبيدة الفهري وفيها ولى سليمان نيابة خراسان ليزيد بن المهلب مضافا الى ما بيده من امرة العراق وكان سبب ذلك ان وكيع بن ابي سود لما قتل قتيبة بن مسلم وذريته بعث براس قتيبة الى سليمان فحظي عنده وكتب له بامرة خراسان فبعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن بن الاهتم الى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده امر يزيد بن المهلب لولاية خراسان ولينتقص عنده وكيع بن سود فسار ابن الاهتم وكان داهيا ومكر الى سليمان بن عبد الملك فلم يزل به حتى عزل وكيعا عن خراسان وولى عليها يزيد مع امرة العراق وبعث بعهده مع ابن الاهتم فسار في سبع حتى جاء يزيد فاعطاه عهده بخراسان مع العراق وكان يزيد وعده بماية الف فلم يف له بها وبعث يزيد ابنه مخلدا بين يديه الى خراسان ومعه كتاب امير المومنين مضمونه ان قيسا زعموا ان قتيبة بن مسلم لم يكن خلع

الطاعة فان كان وكيع قد تعرض له وثار عليه بسبب انه خلعه ولم يكن خلع فتغيظ عليه وابعث
به الى قتيبة قدم مخلد فاخذ وكيعا فعاقبه وحبسه قبل ان يجى ابوه فكانت امرة وكيع بن
ابى سود الذى قتل قتيبة تسعة اشهر او عشرة اشهر ثم قدم يزيد بن المهلب فتسلم
خراسان واقام بها واستناب فى البلاد نوابا ذكرهم ابن جرير قال ثم سار يزيد بن المهلب
نحو جرجان ولم يكن يومئذ مدينة بابواب وسور فانما هى جبال واودية وكانت ملكها يقال
له صول فتحول عنها الى قلعة هناك وقيل الى جزيرة فى بحيرة هناك ثم اخذوه من
البحيرة وقتلوا من اهلها خلقا كثيرا واسروا وغنموا قال وفيها حج بالناس سليمان بن
عبد الملك ونواب البلاد هم المذكورون فى التى قبلها غير ان خراسان عزل عنها وكيع بن
ابى سود وليها يزيد بن المهلب بن ابى صفرة مع العراق

وممن توفى فيها من الاعيان

الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب ابو محمد القرشى الهاشمى روى عن ابيه عن جده مرفوعا
من عال اهل بيت من المسلمين يومهم وليلتهم غفر الله له ذنوبه وعن عبد الله بن جعفر
عن على فى دعاء الكرب وعن زوجته فاطمة بنت الحسين وعنه ابنه عبد الله وجماعة
وقد وفد على عبد الملك بن مروان فاكرمه ونصره على الحجاج واقره وصدقة على الاية
صدقة على وقد ترجمه ابن عساكر والحسن وذكر عنه اثارا تدل على سيادته وقيل ان الوليد
بن عبد الملك كتب الى عامله بالمدينة ان الحسن بن الحسن كاتب اهل العراق فاذا جاءك
كتابى هذا فاجلده مائة ضربة وقفه للناس ولا اراني الا قاتله فارسل خلفه فجاءه
على بن الحسين بكلمات الكرب فقالها حين دخل عليه فنجاه الله منهم وهى لا اله الا الله
الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب الارض
رب العرش العظيم توفى بالمدينة وكانت امه خولة بنت منظور الفزارى وقال يوما
لرجل من الرافضة والله ان قتلك لقربة الى الله عز وجل فقال له الرجل انك تمزح
فقال والله ما هذا منى بمزح ولكنه الجد وقال له اخر منهم الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كنت مولاه فعلى مولاه فقال بلى ولو اراد الخلافة لخطب الناس فقال يا ايها الناس
اعلموا ان هذا ولى امركم من بعدى وهو القائم عليكم فاسمعوا له واطيعوا والله لئن كان
الله ورسوله اختار عليا لهذا الامر ثم تركه على لقد كان اول من ترك امر الله ورسوله
وقال لهم ايضا والله لئن ولينا من الامر شيئا لنقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ثم لا نقبل لكم توبة ويلكم غررتمونا من انفسنا ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت
اباه وامه ولو كان ما تقولون فينا حقا لكان اباؤنا اذ لم يعلمونا بذلك قد ظلمونا
وكتموا عنا افضل الامور والله انى لاخشى ان يضاعف العذاب للعاصى منا ضعفين
كما انى لارجو المحسن منا ان يكون له الاجر مرتين ويلكم احبونا ان اطعنا الله على طاعته
وابغضونا ان عصينا الله على معصيته ٥

موسى بن نصير ابو عبد الرحمن اللخمى رحمه الله

مولاهم كان من الامراء منهم وقيل كان مولى لبنى امية افتتح بلاد المغرب وغنم منها اموالا
لا تحد ولا توصف وله فيها مقامات مشهورة هائلة ويقال انه كان اعرج ويقال
انه ولد سنة تسع عشرة واصله من عين التمر وقيل انه من اراشة من بلى سبى ابوه من

جبل الخليل من الشام فى ايام الصديق وكان اسم ابيه نصر فصغر روى عن تميم الدارى وروى
عنه ابنه عبد العزيز ويزيد بن مسروق اليحصبى وولى غزو البحر لمعاوية فغزا قبرص وبنى
هناك حصونا كالماغوصة وحصن بانس وغير ذلك من الحصون التى بناها بقبرص
وكان نائب معاوية عليها بعد ان فتحها معاوية فى سنة سبع وعشرين وشهد مرج راهط
مع الضحاك بن قيس فلما قتل الضحاك لجا موسى بن نصير الى عبد العزيز بن مروان ثم
لما دخل مروان بلاد مصر كان بعد ذلك عند ابنه عبد العزيز ثم لما اخذ عبد الملك
بلاد العراق جعله وزيرا عند اخيه بشر بن مروان وكان موسى بن نصير هذا ذا راى وتدبير
وحزم وخبرة بالحرب قال الفسوى ولى موسى بن نصير امرة بلاد افريقية سنة تسع وسبعين
فافتتح بلادا كثيرة جدا مدنا واقاليم وقد ذكرنا انه افتتح بلاد الاندلس وهى بلاد ذات
مدن وقرى وريف فسبى منها ومن غيرها خلقا كثيرا وغنم اموالا جزيلة من الذهب والجواهر
النفيسة شيئا لا يحصى ولا يعد واما الالات والمتاع والدواب فشىء لا يدرى ما هو وسبى
من الغلمان الحسان والنساء الحسان شيئا كثيرا حتى قيل انه لم يسب احد مثله من الاعداء
واسلم اهل المغرب على يديه وبث فيهم الدين والقران وكان اذا سار الى مكان تحمل الاموال معه
على العجل لكثرتها وعجز الدواب عنها وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح فى بلاد المغرب
وقتيبة يفتح فى بلاد المشرق فجزاهما الله خيرا فكلاهما فتح من الاقاليم والبلدان شيئا
كثيرا ولكن موسى بن نصير حظى باشياء لم يحظ بها قتيبة حتى قيل انه لما فتح الاندلس
جاءه رجل فقال ابعث معى رجالا حتى ادلك على كنز عظيم فبعث معه رجالا فاتى بهم الى مكان
فقال احفروا فحفروا فافضى بهم الحفر الى قاعة عظيمة ذات الوان من حسنة فوجدوا هناك
من اليواقيت والجواهر ما لم ير مثله قط فبهتهم واما الذهب فشىء لا يعبر عنه ووجدوا
فى ذلك الموضع الطنافس الطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب منظومة باللؤلؤ
الغالى المفتخر والطنفسة منظومة بالجوهر المثمن واليواقيت التى ليس لها نظير وشكلها
يحسنها وصفاتها ولقد سمع يومئذ مناديا ينادى لا يرون شخصه ايها الناس انه قد
فتح عليكم باب من ابواب جهنم فخذوا حذركم وقيل انهم وجدوا فى هذا الكنز مائدة سليمان
بن داود التى كان ياكل عليها وقد جمع اخباره وما جرى له فى حروبه وغزواته رجل من
ذريته يقال له ابو معاوية بن مكارث بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير
النصيرى وروى الحافظ ابن عساكر ان عمر بن عبد العزيز سال موسى بن نصير حين قدم دمشق
ايام الوليد عن اعجب شىء رايته فى البحر فقال انتهينا مرة الى جزيرة فيها ست عشرة
جرة خضراء مختومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام قال فامرت باربعة منها فاخرجت
وامرت بواحدة منها فنقبت فاذا قد خرج منها شيطان ينفض راسه وهو يقول والذى
اكرمك بالنبوة لا اعود بعدها افسد فى الارض قال ثم ان ذلك الشيطان نظر فقال
والله لا ارى بها سليمان وملكه فانساخ فى الارض فذهب قال فامرت بالثلاث البواقى
فردت الى مكانها وقد ذكر السمعانى وغيره عنه انه سار الى مدينة النحاس التى بقرب البحر
المحيط الاخضر فى اقصى بلاد المغرب وانهم لما اشرفوا عليها اذا بريق شرفاتها وحيطانها
من مسافة بعيدة وانهم لما اتوها نزلوا عندها ثم ارسل رجلا من اصحابه ومعه ساير فارس
من الابطال وامره ان يدور حول سورها لينظر هل لها من باب ومنفذ الى داخلها فغاب

انه سار يوما وليلة حول سورها ثم رجع اليه فاخبره انه لم يجد لها بابا ولا منفذا الا داخلها
فامرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض فلم يبلغوا اعلا سورها فامر فعمل سلالم
فصعدوا عليها وقيل انه امر رجلا فصعد على سورها فلما راى ما في داخلها لم يملك نفسه
ان القا ما في داخلها فكان اخر العهد به ثم امر فكذلك ثم امتنع الناس من الصعود اليها
فلم يحط احد منهم بما في داخلها علما ثم ساروا عنها فقطعوها الى بحيرة قريبة منها
فقيل ان تلك الحجار المذكورة وجدها فيها ووجد عليها رجلا قايما فقال له ما انت
قال انا رجل من الجن وانا محبوس في هذه البحيرة حبسه سليمان فانا اجي اليه في كل سنة مرة
ازوره فقال له هل رايت احدا خارجا من هذه المدينة او داخلا اليها قال لا الا ان رجلا ياتي
في كل سنة الى هذه البحيرة ينتحب عليها اياما ثم يذهب فلا يعود الى مثلها لا اعلم ما هو ثم
رجع الى افريقية والله اعلم بصحة ذلك والعهدة على من ذكر ذلك اولا وقد استسقى موسى
بن نصير بالناس في سنة ثلث وتسعين حين قحطوا بافريقية فامرهم بصيام ثلثة ايام
قبل الاستسقا ثم خرج بين الناس وميز اهل الذمة عن المسلمين وفرق بين البهايم
واولادها ثم امر بارتفاع الضجيج والبكا وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ثم
نزل فقيل له الا دعوت لامير المومنين فقال له هذا موطن لا يذكر فيه الا الله عز وجل فسقاهم
الله عز وجل لما قال ذلك وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في اخر ايامه
فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر وقد لبس موسى ثيابا حسنة وهيية حسنة
فدخل ومعه ثلثون غلاما من ابنا الملوك الذين اسرهم والاسبان وقد البسهم تيجان
الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والابهة العظيمة فلما نظر اليهم الوليد وهو يخطب
الناس على منبر جامع دمشق بهت اليهم لما راى عليهم من الحرير والجواهر والزينة
البالغة وجا موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر وامر اولئك فوقفوا
عن يمين المنبر وشماله فحمد الله الوليد وشكره على ما ايده به ووسع ملكه واطال الدعا
والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ثم نزل فصلى بالناس ثم استدعى بموسى بن نصير
فاحسن جايزته واعطاه شيا كثيرا وكذلك موسى بن نصير قدم معه بشي كثير من ذلك
مايدة سليمان بن داود عليهما السلام التي كان ياكل عليها وكانت من خليطين ذهب
وفضة وعليها ثلثة اطواق لولو وجوهر لم ير مثله وجدها في مدينة طليطلة من
بلاد الاندلس مع اموال كثيرة وقيل انه بعث ابنه مروان على جيش فاصاب من السبي
مائة الف راس وبعث ابن اخيه في جيش فاصاب مائة الف راس ايضا من البربر فلما
جا كتابه الى الوليد وذكر فيه ان خمس الغنايم اربعون الف راس قال الناس ان هذا
احمق من اين له اربعين الف راس خمس الغنايم فبلغه ذلك فارسل اربعين الف راس
وهي خمس ما غنم ولم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير امير المغرب وقد جرت له
عجايب في فتح بلاد الاندلس وقال لو انقاد الناس لي لقدتهم حتى افتح بهم مدينة
رومية وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج ثم ليفتحها الله على يدي ان شا الله تعالى
ولما قدم على الوليد قدم معه بثلثين الف راس من السبي غير ما ذكرناه وذلك خمس ما كان
عنده في اخر غزاة غزاها ببلاد المغرب وقدم معه من الاموال والتحف واللالى والجواهر
ما لا يحد ولا يوصف ولم يزل مقيما بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان وكان سليمان

عاتبا

عاتبا على موسى فحبسه عنده وطالبه باموال عظيمة ولم يزل في يده حتى حج بالناس
سليمان في هذه السنة واخذه معه فمات بالمدينة وقيل بوادي القرى وقد قارب
الثمانين وقيل توفي في سنة تسع وتسعين والله اعلم ورحمه الله وعفى عنه بمنه وفضله امين

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ففي هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك امير المومنين اخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو
القسطنطينية ورا الجيش الذين هم بها فسار اليها ومعه جيش عظيم ثم التف
عليه ذلك الجيش الذين هم هناك وقد امر كل رجل من الجيش ان يحمل معه على ظهر فرسه
مدين من طعام فلما وصل اليها جمعوا ذلك فاذا هو امثال الجبال فقال لهم
مسلمة اتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجدونه في بلادهم وازرعوا في اماكن الزرع
واستغلوه وابنوا لكم بيوتا من خشب فانا لا نرجع عن هذه البلد حتى نفتحها ان شا
الله ثم ان مسلمة داخل رجلا من النصارى يقال له اليون وواطاه في الباطن
لياخذ له بلاد الروم فظهر منه نصح في بادي الامر ثم انه تولى ملك القسطنطينية
فدخل اليون في رسالة من مسلمة وقد خاف الروم خوفا شديدا فلما دخل اليهم اليون
قالوا له رده عنا ونحن نملكك علينا فخرج فاعمل الحيلة في الغدر والمكر ولم يزل قبحه
الله حتى احرق ذلك الطعام الذي للمسلمين وذلك انه قال لمسلمة انهم ما داموا يرون
هذا الطعام يظنون انك تطاولهم في القتال فلو احرقته لتحققوا انك العزم وسلموا
لك البلد سريعا فامر مسلمة بالطعام فاحرق ثم انشمر اليون في السفن واخذ ما امكنه
من امتعة الجيش في الليل واصبح وهو بالبلد محارب للمسلمين واظهر العداوة الاكيدة
وتحصن واجتمعت عليه الروم وضاق الحال على المسلمين حتى اكلوا كل شي الا التراب
فلم يزل ذلك دابهم حتى جاتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز
فكروا راجعين الى الشام وقد جهدوا جهدا شديدا لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجدا
بالقسطنطينية شديد البنا محكما رحب الفنا شامخا في السما وقال الواقدي
لما ولي سليمان بن عبد الملك اراد الاقامة ببيت المقدس ثم ارسل العساكر الى
القسطنطينية فاشار عليه موسى بن نصير بان يفتح ما دونها من المدن والرساتيق
والحصون حتى يبلغ المدينة فلا ياتيها الا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها فاذا
فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع فيعطوا بايديهم ويسلموا لك البلد ثم استشار
اخاه مسلمة فاشار عليه بان يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة فمتى ما فتحت
كان باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك فقال سليمان هذا هو الراي ثم اخذ
في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين الفا وفي البحر مائة وعشرين
الفا من المقاتلة واخرج لهم الاعطية وانفق فيهم الاموال الكثيرة واعلمهم بغزو
القسطنطينية والاقامة عليها الى ان يفتحوها ثم سار سليمان من بيت المقدس
فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فامر عليهم اخاه مسلمة ثم قال سيروا على بركة
الله وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف ثم سار سليمان حتى نزل مرج
دابق فاجتمع اليه الناس ايضا من المطوعة المحتسبين اجورهم على الله فاجتمع له
جند عظيم لم ير مثله ثم امر مسلمة ان يرحل بالجيوش واخذ معه اليون الرومي المرعشي

ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصروها الى ان برح بهم وعرض اهلها
الجزية على مسلمة فابى الا ان يفتحها عنوة قالوا فابعث الينا اليون لنشاوره
فارسله اليهم فقالوا له رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا فرجع الى
مسلمة فقال له قد اجابوا الى فتحها غير انهم لا يفتحونها ما لم تتنح عنهم فقال له
مسلمة اني اخشى غدرك فحلف له انه يدفع اليه مفاتيحها وما فيها فلما تنحى عنهم
اخذوا في ترميم ما تهدم من اسوارها واستعدوا للحصار وغدر اليون بالمسلمين قبحه
الله قال ابن جرير وفي هذه السنة اخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده ايوب ان
يكون الخليفة من بعده وذلك بعد موت اخيه مروان بن عبد الملك فعدل عن اخيه
يزيد الى ولاية ولده ايوب وتربص باخيه الدوائر فمات ايوب في حياة ابيه فبايع سليمان
لابن عمه عمر بن عبد العزيز ان يكون الخليفة من بعده ونعم ما فعل وفيها فتحت
مدينة الصقالبة قال وقد كانت قد اغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلة
من الناس وفي هذه السنة فبعث اليه سليمان جيشا فقاتلوا البرجان حتى هزمهم
الله عز وجل وفيها غزا يزيد بن المهلب قهستان من ارض الصين فحاصرها وقاتل
عندها قتالا شديدا ولم يزل حتى تسلمها وقتل من الترك الذين بها اربعة الاف
صبرا واخذ منها من الاموال والاثاث والامتعة ما لا يحد ولا يوصف كثرة وقيمة
وحسنا ثم سار منها الى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد
بن المهلب وقاتلوه فحمل محمد بن عبد الرحمن بن ابي سبرة الجعفي وكان فارسا شجاعا باسلا
على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ولقد بارز ابن ابي سبرة هذا يوما بعض فرسان الترك
فضربه التركي بالسيف على البيضة فنشب فيها وضربه ابن ابي سبرة فقتله ثم اقبل الى
المسلمين وسيفه يقطر دما وسيف التركي ناشب في خوذته فنظر اليه يزيد بن المهلب
فقال لما رايت منظرا احسن من هذا الرجل قالوا ابن ابي سبرة فقال نعم الرجل لولا
انهماكه في الشراب ثم صمم يزيد على محاصرة جرجان وما زال يضيق على صاحبها حتى صالحه
على سبع مائة الف درهم واربع مائة الف دينار ومائتي الف ثوب واربع مائة حمار موقرة
زعفران واربع مائة رجل على راس كل رجل ترس على الترس طيلسان وجام من فضة وسرقة
من حرير وهذه المدينة كان سعيد بن العاص قد افتتحها صلحا على ان يحملوا الخراج
في كل سنة فكانوا يحملون في كل سنة مائة الف وفي سنة مائتي الف وفي بعض السنين
ثلثمائة الف ويمنعون ذلك في بعض السنين ثم امتنعوا جملة وكفروا فغزاهم يزيد بن
المهلب وردها صلحا على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص قالوا واصاب يزيد
بن المهلب من جرجان اموالا كثيرة جدا فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة فقال
اترون احدا يزهد في هذا قالوا لا نعلمه فقال والله اني لاعلم رجلا لو عرض
عليه هذا واشباهه لزهد فيه ثم دعى بمحمد بن واسع وكان في الجيش مغازيا فعرض عليه
اخذ التاج فقال لا حاجة لي فيه فقال اقسمت عليك لتاخذنه فاخذه وخرج به
من عنده فامر يزيد رجلا ان يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج فمر بسائل
فطلب منه شيئا فاعطاه التاج بكماله وانصرف فبعث يزيد الى ذلك السائل فاخذ منه
التاج وعوضه عنه مالا كثيرا وقال علي بن محمد المدائني قال ابو بكر الهذلي كان شهر

ابن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا اليه انه اخذ خريطة فيها مائة دينار فساله
عنها فقال نعم واحضرها فقال له يزيد هي لك ثم استدعى بالذي وشى به فشتمه
فقال في ذلك القطامي الكلبي ويقال انها لسنان بن مكمل النميري

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فمن يامن القراء بعدك يا شهر
اخذت بها شيئا طفيفا وبعته ... من ابن حرسو كان هذا هو الحذر

وقال مرة الحنفي

يا ابن المهلب ما اردت الى امرء ... لولاك كان كصالح القراء

قال ابن جرير ويقال ان يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة الف وعشرين
الفا منهم ستون الفا جيش الشام اثابهم الله وقد عمرت تلك البلاد بفتح جرجان
وسلكت الطرق وكانت قبل ذلك مخوفة جدا ثم عزم يزيد على المسير الى طبرستان وقد
بعث بين يديه سرية نحو اربعة الاف من سراة الناس فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا
فقتل من المسلمين في المعركة اربعة الاف فانا لله وانا اليه راجعون ثم ان يزيد عزم على
فتح البلد لا محالة فما زال حتى صالحه صاحبها وهو الاصبهبذ بما ذكرنا سبع مائة
الف في كل عام وغير ذلك من المتاع والرقيق وممن توفي فيها من المشاهير الاعيان عبيد
الله بن عبد الله بن عتبة كان اماما حجة وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز وله روايات
كثيرة عن جماعة من الصحابة ابو الحفص النخعي عبد الله بن محمد بن الحنفية قد ذكرنا
تراجمهم في التكميل والله اعلم

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ○

فيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين يوم الجمعة لعشر مضين وقيل
بقين من صفر منها عن خمس واربعين سنة وقيل عن ثلث واربعين وقيل انه لم
يجاوز الاربعين فكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر وزعم ابو احمد الحاكم انه توفي
يوم الجمعة لثلث عشرة بقيت من رمضانها وانه استكمل في خلافته ثلث سنين
وثلثة اشهر وخمسة ايام وله من العمر تسع وثلثون سنة والصحيح قول الجمهور وهو
الاول والله اعلم وهو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن
عبد شمس القرشي الاموي ابو ايوب كان مولده بالمدينة في بني جديلة ونشا بالشام
عند ابيه وروى الحديث عن ابيه عن جده عن عايشة ام المؤمنين في قضية الافك
رواه ابن عساكر من طريق ابنه عبد الواحد بن سليمان عنه وروى عن عبد الرحمن بن
هنيدة انه صحب عبد الله بن عمر الى الغابة قال فسكت فقال لي ابن عمر ما لك فقلت
كنت اتمنى فهل تتمنى يا ابا عبد الرحمن فقال لو ان لي احدا هذا ذهبا اعلم عدده واخرج
زكاته ما كرهت ذلك او قال ما خشيت ان يضرني رواه محمد بن يحيى الذهلي عن ابي صالح
عن الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري عنه قال ابن عساكر وكانت داره
بدمشق موضع ميضاة جيرون الان في تلك الساحة جميعها وبنى دارا كبيرة مما يلي
باب الصغير موضع الدرب المعروف بدرب محرز وجعلها دارا للامارة وعمل فيها قبة صفرا
شبيهة بالقبة الخضراء قال وكان فصيحا مؤثرا للعدل محبا للغزو وقد انفذ
الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوهم على بناء الجامع بها وقد روى ابو بكر الصولي

ان عبد الملك جمع بنيه الوليد وسليمان ومسلمة بين يديه فاستقرأهم القرآن
فأجادوا القراءة ثم استنشدهم الشعر فأجادوا غير انهم لم يكملوا او يحكموا شعر الأعشى
فلامهم على ذلك ثم قال لينشدني كل رجل منكم ارق بيت قالته العرب ولا تفحش
هات يا وليد فقال الوليد

• ما مركب وركوب الخيل يعجبني • كمركب بين دملوج وخلخال •

فقال عبد الملك وهل يكون من الشعر ارق من هذا هات يا سليمان فقال

• حبذا رجعها يديها اليها • في يدي درعها تحل الازارا •

فقال له لم تصب هات يا مسلمة فانشده قول امرئ القيس

• وما ذرفت عيناك الا لتضربي • بسهميك في اعشار قلب مقتل •

فقال كذب امرؤ القيس ولم يصب اذا ذرفت عيناها بالوجد فما بقي الا اللقاء وانما
ينبغي للعاشق ان يقتضي منها الجفا ويكسوها المودة ثم قال انا مؤجلكم في مثل هذا
البيت ثلاثة ايام فمن اتاني به فله حكمه اي حكمها طلب اعطيته فنهضوا من عنده
فبينما سليمان في موكب اذا هو باعرابي يسوق ابله وهو يقول •

• لو ضربوا بالسيف راسي في مودتها • لمال يهوي سريعا نحوها راسي •

فامر سليمان بالاعرابي فاعتقل ثم جاء الى ابيه فقال قد جئتك بما سألت فقال
هات فانشده البيت فقال احسنت وانى لك هذا فاخبره خبر الاعرابي فقال
سل حاجتك ولا تنس صاحبك فقال يا امير المؤمنين انك قد عهدت بالامر من
بعدك للوليد واني احب ان اكون ولي العهد من بعده فاجابه الى ذلك وبعثه على
الحج في سنة احدى وثمانين واطلق له مائة الف درهم فاعطاها سليمان لذلك
الاعرابي الذي قال ذلك البيت لشعره فلما مات ابوه سنة ست وثمانين وصارت
الخلافة الى اخيه الوليد كان بين يديه كالوزير والمشير وهو كان المستحث على عمارة
جامع دمشق فلما توفي اخوه الوليد يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة
ست وتسعين كان سليمان بالرملة فلما اقبل تلقاه الامراء ووجوه الناس وقيل
انهم ساروا اليه الى بيت المقدس فبايعوه هناك وعزم على الاقامة بالقدس واتته
الوفود الى بيت المقدس فلم ير وفادة فكان يجلس في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة
من جهة الشمال ويجلس اكابر الناس على الكراسي ويقسم فيهم الاموال ثم عزم على المجيء
الى دمشق فدخلها وكمل عمارة الجامع وفي ايامه جددت المقصورة واتخذ ابن عمه عمر بن
عبد العزيز مستشارا ووزيرا وقال له انا قد ولينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره فما
رأيت من مصلحة العامة فمر به فليكتب فكان من ذلك عزل نواب الحجاج واخراج اهل السجون
منها واطلاق الاسارى وبذل الاعطية بالعراق ورد الصلاة الى ميقاتها الاول
بعد ان كانت يؤخر بها الى آخر وقتها مع امور حسنة كان يسمعها من عمر بن عبد العزيز
واراد يغزو القسطنطينية فبعث اليها من اهل الشام والجزيرة والموصل في البر
نحوا من مائة الف وعشرين الف مقاتل وبعث من اهل مصر وافريقية الف مركب في
البحر عليهم عمر بن هبيرة وعلى جماعة الناس كلهم اخوه مسلمة ومعه ابنه داود بن سليمان
بن عبد الملك في جماعة من اهل بيته وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير حين قدم

علم

عليه من بلاد المغرب والصحيح انه قدم في ايام اخيه الوليد والله اعلم قال ابن ابي الدنيا
حدثني محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الكوفي عن جابر بن عون الاسدي قال اول كلام تكلم به
سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة ان قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع
وما شاء وضع ومن شاء اعطى ومن شاء منع ان الدنيا دار غرور ومنزل باطل وزينة
تقلب تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا تفقر مثريها وتثري
فقيرها ميالة لاعبة باهلها يا عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه
لكم قائدا فانه ناسخ لما قبله ولن ينسخه كتاب بعده اعلموا عباد الله ان هذا القرآن
يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح اذا تنفس ادبار الليل
اذا عسعس وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن ابي معشر عن محمد بن قيس قال
سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته فضل القرآن على سائر الكلام كفضل
الله على خلقه وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم قال كان سليمان بن عبد الملك
يخطبنا في كل جمعة لا يدع ان يقول في خطبته وانما اهل الدنيا على رحيل لم تمض
بهم نية ولم تطمئن بهم حتى يأتي وعد الله وهم على ذلك كذلك لا يدوم نعيمها
ولا تؤمن فجائعها لا ينتفع من شر اهلها ثم يتلو افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وروى الاصمعي ان نقش خاتم سليمان اؤمن
بالله مخلصا وقال ابو مسهر عن ابي مسلم سلمة بن العيار الفزاري قال كان محمد بن
سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك ويقول افتتح خلافته بخير وختمها بخير
افتتحها باجابة الصلاة لمواقيتها وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز وقد اجمع
علماء التواريخ والسير انه حج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة قال الهيثم وتسعين
بن عدي قال الشعبي حج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد
العزيز الا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم الا الله ولا يسع رزقهم غيره فقال
يا امير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله فبكى سليمان بكاء
شديدا ثم قال بالله استعين وقال ابن ابي الدنيا ثنا اسحاق بن اسماعيل ثنا
جرير عن عطاء بن السائب قال كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد
الملك فاصابهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة حتى فزعوا لذلك وجعل
عمر بن عبد العزيز يضحك فقال له سليمان ما يضحكك يا عمر اما ترى ما نحن فيه فقال
له يا امير المؤمنين هذا آثار رحمته فيه شدائد ما ترى فكيف بآثار سخطه وغضبه
ومن كلامه الحسن رحمه قوله الصمت منام العقل والنطق يقظته ولا يتم هذا الا بهذا
ودخل عليه رجل فكلمه فاعجبه منطقه ثم فتشه فلم يحمد عقله فقال فضل منطق
الرجل على عقله خدعة وفضل عقله على منطقه هجنة وخير ذلك ما اشبه بعضه
بعضا وقال العاقل احرص على اقامة لسانه منه على طلب معاشه وقال ايضا ان من
تكلم فاحسن قادر على ان يسكت فيحسن وليس كل من سكت فاحسن قادر على ان يتكلم
فيحسن ومن شعره يتسلى عن صديق له مات فقال •

• وهون وجدي في شراحيل انني • متى شئت لاقيت امرأ مات صاحبه •

ومن شعره ايضا • ومن شيمي ان لا افارق صاحبي • وان ملني الا سألت له رشدا •

• وان دام لي بالود دمت ولم اكن • كآخر لا يرعى ذماما ولا عهدا •
وسمع سليمان ليلة صوت غناء في معسكره فلم يزل يفحص حتى اتي بهم فقال سليمان ان
الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة وان الجمل ليخطر فتضبع له الناقة وان التيس
لينب فتستحرم له العنز وان الرجل ليتغنى فتشتاق له المراة ثم امر بهم فقال
اخصوهم فيقال ان عمر بن عبد العزيز قال يا امير المومنين انها مثلة ولكن انفهم
فنفاهم ويقال انه ترك خصيهم فنفاهم وفي رواية انه خصي احدهم ثم سال عن اصل
الغناء فقيل انه بالمدينة فكتب الى عامله بها وهو ابو بكر بن محمد بن حزم يامره ان يخصي
من عنده من المغنيين المخنثين وقال الشافعي دخل اعرابي على سليمان فدعاه الى اكل
فالوذج وقال له ان اكلها يزيد في الدماغ فقال الاعرابي لو كان هذا صحيحا لكان
ينبغي ان يكون راس امير المومنين مثل راس البغل وذكروا ان سليمان كان نهما في الاكل
وقد نقلوا عنه اشياء في ذلك غريبة فمن ذلك انه اصطبح في بعض الايام باربعين
دجاجة مشوية واربع وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم اكل مع الناس على
العادة في السماط العام ودخل ذات يوم بستانا له وكان قد امر قيمه ان يجني ثماره
فدخله ومعه اصحابه فاكل القوم حتى ملوا واستمر هو ياكل اكلا ذريعا من تلك
الفواكه ثم استدعى بشاة مشوية فاكلها ثم اقبل على اكل الفاكهة ثم اتي بدجاجتين
فاكلهما ثم عاد الى الفاكهة ياكل منها ثم اتي بقعب يقعد فيه الرجل مملوء سويقا وسمن
وسكر فاكله ثم عاد الى دار الخلافة واتي بالسماط فما فقد من اكله شيئا وقد
روي انه عرضت له تخمة عقب هذا الاكل ادته الى الموت وقد قيل ان سبب مرضه
كان من اكل اربعمائة بيضة وسلتين تين والله اعلم وذكر الفضل بن المهلب صفيره
انه لبس في يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء واعتم بعمامة
خضراء وجلس على فراش اخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة ثم نظر في المراة فاعجبه حسنه
وشمر عن ذراعيه وقال انا الخليفة الشاب وقيل انه كان ينظر في المراة من فرقه الى
قدمه ويقول انا الملك الشاب وفي رواية انه كان ينظر فيها ويقول كان محمد نبيا وكان
ابو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وكان عثمان حييا وكان علي شجاعا وكان معاوية حليما وكان يزيد
صبورا وكان عبد الملك سائسا وكان الوليد جبارا وانا الملك الشاب قالوا فما حال
عليه بعد ذلك شهر وفي رواية جمعة حتى مات قالوا ولما حم شرع يتوضا فدعى بجارية
فصبت عليه ماء الوضوء فانشدته

• انت نعم المتاع لو كنت تبقى • غير ان لا بقاء للانسان •
• انت خلو من العيوب ومما • يكره الناس غير انك فان •

قالوا فصاح بها وقال عزتني في نفسي ثم امر خاله الوليد بن القعقاع العبسي ان يصب
عليه وقال

• قرب وضوءك يا وليد فانما • دنياك هذي بلغة ومتاع •
• فاعمل لنفسك في حياتك صالحا • فالدهر فيه فرقة وجماع •

ويروى ان الجارية لما جاءته بالطست جعلت تضطرب من الحمى فقال اين فلانة
فقالت محمومة قال ففلانة قالت محمومة وكان بمرج دابق من ارض قنسرين فامر خالدا ان يوضاه

ثم خرج

70

ثم خرج يصلي بالناس فاخذته بحة في الخطبة ثم نزل وقد اصابته الحمى فمات في الجمعة المقبلة
ويقال انه اصابه ذات الجنب فمات بها رحمه الله وكان قد اقسم انه لا يبرح بمرج دابق حتى يرجع
اليه الخبر بفتح القسطنطينية او يموت قبل ذلك فمات قبل ذلك رحمه الله واكرم مثواه قالوا
وجعل يلهج في مرضه ويقول

• ان بني صبية صغار • افلح من كان له كبار •

فيقول له عمر بن عبد العزيز قد افلح المومنون يا امير المومنين ثم يقول

• ان بني صبية صيفيون • افلح من كان له ربعيون •

ويروى ان هذا اخر ما تكلم به والصحيح ان اخر ما تكلم به ان قال اسالك منقلبا
كريما ثم قضى وروى ابن جرير عن رجاء بن حيوة وكان وزير صدق لبني امية قال استشارني
سليمان بن عبد الملك وهو مريض ان يولي ابنا له صغيرا لم يبلغ الحلم فقلت ان مما
يحفظ به الخليفة في قبره ان يولي على المسلمين من بعده الرجل الصالح ثم شاورني في ولاية
ابنه داود فقلت له انه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدري احي هو ام ميت فقال
فمن ترى فقلت رايك يا امير المومنين قال كيف ترى في عمر بن عبد العزيز فقلت اعلمه والله
خيرا فاضلا مسلما ولكنا نخوف عليه اخوتك ان لا يرضون بذلك فقال هو والله على ذلك
واشار رجاء ان يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بذلك
بنو مروان فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك
لعمر بن عبد العزيز اني قد وليته الخلافة من بعدي ومن بعده يزيد بن عبد الملك فاسمعوا
له واطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم وختم الكتاب وارسل الى كعب
بن حامد العبسي صاحب الشرطة فقال له اجمع اهل بيتي فمرهم فليبايعوا على ما في هذا
الكتاب مختوما فمن ابى منهم فاضرب عنقه فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلموا على امير المومنين
فقال لهم هذا الكتاب عهدي اليكم فاسمعوا واطيعوا وبايعوا من وليت فيه فبايعوا لذلك
رجلا رجلا قال رجاء فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال انشدك الله وحرمتي ومودتي
الا اعلمتني ان كان كتب لي ذلك حتى استعفيه الان قبل ان ياتي حال لا اقدر فيها على ما اقدر
عليه الساعة فقلت والله لا اخبرك حرفا واحدا قال ولقيني هشام بن عبد الملك فقال
يا رجاء ان لي بك حرمة ومودة قديمة فاخبرني هذا الامر ان كان الي علمته وان كان الى غيري
فما مثلي قصر به عن هذا فقلت والله لا اخبرك حرفا واحدا مما اسره الي امير المومنين قال
رجاء ودخلت على امير المومنين سليمان فاذا هو يموت فجعلت اذا اخذته السكرة من سكرات
الموت احرفه الى القبلة فاذا افاق يقول لم يان لذلك بعد يا رجاء فلما كانت الثالثة
قال من الان يا رجاء ان كنت تريد شيئا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
قال فحرفته الى القبلة ومات رحمه الله قال فغطيته بقطيفة خضراء واغلقت الباب عليه
وارسلت الى كعب بن حامد فجمع الناس في مسجد دابق فقلت بايعوا لمن في هذا الكتاب فقالوا
قد بايعنا فقلت بايعوا ثانية فبايعوا ثم قلت قوموا الى صاحبكم فقد مات وقرات
الكتاب عليهم فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان فلما قرات
وان هشام بن عبد الملك بعده تراجعوا بعض الشيء ونادى هشام لا نبايعه ابدا فقلت
اضرب عنقك والله قم فبايع ونهض الناس الى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد فلما

بخفق ذلك قال انا لله وانا اليه راجعون ولم تحمله رجلاه حتى اخذوا بضبعيه فاصعدوه
على المنبر فسكت حينا فقال رجاء بن حيوة الا تقوموا الى امير المؤمنين فتبايعوه فنهض
القوم فبايعوه ثم اتى هشام فصعد المنبر وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون فقال
عمر نعم انا لله وانا اليه راجعون للذي صرت انا وانت نتنازع هذا الامر ثم قام فخطب
الناس خطبة بليغة وبايعوه فكان مما قال في خطبته ايها الناس اني لست بمبتدع وان
من حولكم من الامصار والمدن ان هم اطاعوا كما اطعتم فانا واليكم وان هم ابوا فلست لكم بوال
ثم نزل فاخذوا في جهاز سليمان قال الاوزاعي فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب فصلى
عمر بالناس صلاة المغرب ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب فلما انصرف عمر اتي بمراكب
الخلافة فلم يركبها وركب دابته ثم سار مع الناس حتى اتوا دمشق فمالوا به نحو دار الخلافة
فقال لا انزل الا في منزلي حتى تفرغ دار ابي ايوب فاستحسنوا ذلك منه ثم استدعى بالكاتب
فجعل يملي عليه نسخة الكتاب الذي يبايع عليه الامصار قال رجاء فما رايت افصح منه قال
محمد بن اسحاق وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من ارض قنسرين يوم الجمعة لعشر
ليال خلت من صفر سنة تسع وتسعين على راس سنتين وتسعة اشهر وعشرين يوما
من متوفى الوليد وكذا قال الجمهور في تاريخ وفاته ومنهم من يقول لعشر بقين من صفر
وقالوا كانت ولايته سنتين وثمانية اشهر زاد بعضهم الا خمسة ايام والله اعلم وقول
الحاكم ابي احمد انه توفي يوم الجمعة لثلث عشرة بقيت من رمضان سنة تسع وتسعين
حكاه ابن عساكر وهو غريب جدا ومخالف لقول الجمهور كلما قاله وعندهم انه جاوز الاربعين
فقيل بثلث وقيل بخمس والله اعلم قالوا وكان طويلا جميلا ابيض نحيفا حسن الوجه مقرون
الحاجبين وكان فصيحا بليغا يحسن العربية ويرجع الى دين وخير ومحبة للحق واهله واتباع
القران والسنة واظهار الشرائع الاسلامية رحمه الله وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج
من دمشق الى مرج دابق ودابق قرية من بلاد حلب لما جهز الجيوش لمدينة الروم العظمى
المسماة بالقسطنطينية انه لا يرجع الى دمشق حتى يفتح او يموت فمات هنالك كما ذكرنا
فحصل له بهذه النية اجر المرابط في سبيل الله فهو ان شاء الله ممن يجري له ثوابه الى يوم
القيامة رحمه الله وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي ما مضمونه
ان مسلمة بن عبد الملك لما ضيق بمحاصرته على اهل القسطنطينية وتتبع المسالك
واستحوذ على اكثر ما هنالك من الممالك كتب ليون ملك الروم الى ملك البرجان يستنصره
على مسلمة ويقول له ان هؤلاء القوم ليس لهم همة الا في الدعوة الى دينهم الاقرب منهم
فالاقرب وانهم متى فرغوا مني خاصوا اليك فمهما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الان فعند
ذلك شرع لعنه الله في المكر والخديعة فكتب الى مسلمة يقول له ان ليون كتب الي يستنصر
عليك وانا معك فمرني بما شئت فكتب اليه مسلمة اني لا اريد منك رجالا ولا عددا
ولكن ارسل الينا بالميرة فقد قل ما عندنا من الازواد فكتب اليه اني قد ارسلت اليك بسوق
عظيم الى مكان كذا وكذا فارسل من يتسلمها ويشتري منها فاذن مسلمة لمن شاء من الجيش
ان يذهب الى هنالك فيشتري له ما يحتاج اليه فذهب خلق كثير فوجدوا هنالك سوقا
هائلة فيها من انواع البضائع والامتعة والاطعمة فاقبلوا يشترون واشتغلوا بذلك
ولا يشعرون بما ارصد لهم الخبيث من الكمائن بين تلك الجبال التي هنالك فخرجوا

عليهم

عليهم بغتة فقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين واسروا اخرين وما رجع الى مسلمة الا القليل
منهم فانا لله وانا اليه راجعون فكتب مسلمة بذلك الى اخيه سليمان يخبره بما وقع من
ذلك فارسل جيشا كثيفا صحبة شراحيل بن عبيدة هذا وامرهم ان يعبروا خليج القسطنطينية
اولا فيقاتلوا ملك البرجان ثم يعودوا الى مسلمة فذهبوا الى بلاد البرجان وقطعوا
اليهم ذلك الخليج فاقتتلوا معهم قتالا شديدا فهزمهم المسلمون باذن الله وقتلوا
منهم مقتلة عظيمة وسبوا واسروا خلقا كثيرا وخلصوا اسارى المسلمين ثم تحيزوا الى مسلمة
فكانوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفا عليهم من غائلة الروم ومن بلادهم
ومن ضيق العيش وقد كان لهم قبل ذلك هنالك مدة طويلة اثابهم الله

ومنه خلافة عمر بن عبد العزيز

اشج بني مروان رضي الله عنه واكرمه قد تقدم انه بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر مضين
وقيل بقين من صفر من هذه السنة اعني سنة تسع وتسعين يوم مات سليمان بن عبد
الملك عن عهد منه اليه من غير علم من عمر كما قدمنا وقد ظهرت عليه مخايل الورع والدين والتقشف
والصيانة والنزاهة من اول حركة بدت منه حيث اعرض عن ركوب مراكب الخلافة وهي الخيول
الحسان الجياد المعدة لها والاختيار لمركوبه الذي كان يركبه وسكنى منزله رغبة عن منزل
الخلافة ويقال انه خطب الناس فقال في خطبته ايها الناس ان لي نفسا تواقة لا تعطى
شيئا الا تاقت الى ما هو اعلى منه واني لما اعطيت الخلافة تاقت نفسي الى ما هو اعلى منها
وهي الجنة فاعينوني عليها يرحمكم الله وستاتي ترجمته عند وفاته ان شاء الله وكان مما بادر
اليه عمر في هذه السنة ان بعث الى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وهم بارض
الروم محاصروا القسطنطينية وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال لانهم عسكر
كثير فكتب اليهم يامرهم بالرجوع الى الشام الى منازلهم وبعث اليهم بطعام كثير وخيول كثيرة
عتاق يقال انها خمسمائة فرس ففرح الناس بذلك وفيها اغارت الترك على اذربيجان فقتلوا
خلقا كثيرا من المسلمين فوجه اليهم عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل اولئك الاتراك
ولم يفلت منهم الا اليسير وبعث منهم اسارى الى عمر وهو بخناصرة وقد كان المؤذنون يذكرون
بعد اذانهم باقتراب الوقت وضيقه لئلا يؤخروها كما كان يؤخرها من كان قبله لكثرة الاشتغال
وكان ذلك عن امره ولم يكن ذلك والله اعلم فروى ابن عساكر في ترجمة جرير بن عثمان الرحبي
الحمصي قال رايت مؤذن عمر بن عبد العزيز يسلم عليه في الصلاة السلام عليك امير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة قد قاربت وفي هذه السنة عزل
عمر يزيد بن المهلب عن امرة العراق وبعث عدي بن ارطاة الفزاري على امرة البصرة فاستقضى
عليها الحسن البصري ثم استعفاه فاعفاه واستقضى مكانه اياس بن معاوية الذكي
المشهور وبعث على امرة الكوفة وارضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وضم
اليه ابا الزناد كاتبا بين يديه واستقضى عليها عامرا الشعبي قال الواقدي
فلم يزل قاضيا عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز وجعل على امرة خراسان الجراح بن عبد
الله الحكمي وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد وعلى امرة المدينة ابو بكر
بن محمد بن عمرو بن حزم وهو الذي حج بالناس في هذه السنة وعزل عن امرة مصر عبد الملك بن
رفاعة وولى عليها ايوب بن شرحبيل وجعل الفتيا الى جعفر بن ربيعة ويزيد بن ابي حبيب

وعبيد الله بن أبي جعفر فهؤلاء هم الذين كانوا يفتون الناس واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبيد الله المخزومي وكان حسن السيرة أسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر والله سبحانه أعلم

ومن توفي فيها من الأعيان

الحسن بن محمد بن الحنفية تابعي جليل يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء وقد تقدم أن أبا عبيد قال توفي سنة خمس وتسعين وذكر خليفة أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وذكر شيخنا الذهبي في الأعلام أنه توفي هذا العام وعبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب القرشي الجمحي المكي نزيل بيت المقدس تابعي جليل روى عن زوج أم أبي محذورة المؤذن وعبادة بن الصامت وأبي سعيد ومعاوية وغيرهم وعنه خالد بن معدان ومكحول وحسان بن عطية والزهري وآخرون وثقه غير واحد وأثنى عليه جماعة من الأئمة حتى قال رجاء بن حيوة إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر فإنا نفخر عليهم بعابدنا عبد الله بن محيريز وقال بعض ولده كان يختم القرآن كل جمعة وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه قالوا وكان صموتا معتزلا للفتن وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يذكر شيئا من خصاله المحمودة ورأى على بعض الأمراء حلة من حرير فأنكر عليه فقال إنما ألبسها من أجل هؤلاء وأشار إلى عبد الملك بن مروان بن مروان أمير المؤمنين فقال له ابن محيريز لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين وقال الأوزاعي من كان مقتديا فليقتد بمثله فإن الله لا يضل أمة فيها مثله وقال بعضهم توفي أيام الوليد وقال خليفة بن خياط توفي أيام عمر بن عبد العزيز وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام والله سبحانه أعلم دخل ابن محيريز مرة حانوت بزاز ليشتري كسوة ثوبا فرخص في السوم فقال له جاره ويحك هذا ابن محيريز فضع له فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال اذهب بنا إنما جئنا لنشتري بأموالنا لا بأدياننا فذهب وتركه

محمود بن لبيد بن عقبة

أبو نعيم الأنصاري الأشهلي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث لكن حكمها حكم الإرسال وقال البخاري له صحبة وقال ابن عبد البر هو أسن من محمود بن الربيع قيل إنه توفي في سنة ست وقيل سبع وتسعين وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم بالتعيين نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني روى عن أبيه وعثمان وعلي والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم وكان ثقة عابدا يحج ماشيا ومركوبه يقاد معه قال غير واحد توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة كريب بن مسلم مولى ابن عباس روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان عنده حمل كتب وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة محمد بن جبير بن مطعم كان من علماء قريش وأشرافها وله روايات كثيرة توفي بالمدينة ودفن بالبقيع محمود بن الربيع الأنصاري أبو محمد له روايات كثيرة وكان يعقل مجة مجها النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وعمره أربع سنين توفي وعمره ثلاث وتسعين سنة بالمدينة مسلم بن يسار أبو عبد الله البصري الفقيه الزاهد له روايات كثيرة كان لا يفضل عليه أحد في زمانه وكان عابدا ورعا زاهدا كثير الصلاة كثير الخشوع قيل إنه وقع في داره حريق فأطفأوه وهو في الصلاة لم يشعر به وله مناقب كثيرة وقد قيل إنه انهدمت ناحية من المسجد ففزع

أهل السوق لهدتها وإنه لفي المسجد في صلاته فما التفت وقال ابنه رأيته ساجدا وهو يقول في سجوده متى ألقاك وأنت عني راض ثم يذهب في الدعاء ثم يقول متى ألقاك وأنت عني راض وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة وقد تقدمت ترجمته حنش بن عمرو الصنعاني كان ممن غزا إلى إفريقية وبلاد المغرب وبإفريقية توفي غازيا وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة خارجة بن زيد بن الضحاك الأنصاري المدني الفقيه كان يفتي بالمدينة وكان من فقهائها المعدودين كان عالما بالفرائض وبقسم المواريث وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم

سنة مائة من الهجرة النبوية

قال الإمام أحمد ثنا علي بن حفص أنا ورقاء عن منصور عن المنهال بن عمرو عن نعيم بن دجاجة قال دخل أبو مسعود على علي فقال أنت القائل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة ممن هو حي الآن وإنما رجاء هذه الأمة بعد المائة تفرد به أحمد وفي رواية لأحمد عن عبد الله أن عليا قال له يا فروخ أنت القائل لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حي اليوم وإنما رخاء هذه الأمة وفرجها بعد المائة إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف أخطأت استك الحفرة وإنما أراد ممن هو اليوم حي تفرد به وهكذا جاء في الصحيحين عن ابن عمر في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك وإنما أراد انخرام قرنه وفيها خرجت خارجة من الحرورية بالعراق فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة يأمره بأن يدعوهم إلى الحق ويتلطف بهم ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشا فكسرهم الحرورية فبعث عمر إليه يلومه على جيشه وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم فأظفره الله بهم وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج وكان يقال له بسطام يقول له ما أخرجك علي فإن كنت خرجت غضبا لله فأنا أحق بذلك منك ولست أولى بذلك مني وهلم أناظرك فإن رأيت حقا اتبعته وإن أبديت حقا نظرنا فيه فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر رجلين فسألهما ماذا تنقمون فقالا جعلك يزيد بن عبد الملك من بعدك فقال إني لم أجعله أبدا وإنما جعله غيري قالا فكيف ترضى به أمينا للأمة من بعدك فقال أنظراني ثلاثة فيقال إن بني أمية دست إليه سما فقتلوه خشية أن يخرج الأمر من أيديهم ويمنعهم الأموال والله أعلم وفيها عزل عمر الوليد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة وفيها ولى عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة نيابة الجزيرة فسار إليها وفيها حمل يزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز من العراق أرسله عدي بن أرطاة نائب البصرة مع موسى بن الوجيه وكان عمر يبغض يزيد بن المهلب وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم فلما دخل على عمر طالبه بما قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها حاصلة عنده فقال إنما كتبت بذلك لأرهب الأعداء بذلك ولم يكن بيني وبين سليمان شيء وقد عرفت مكانتي عنده فقال له عمر لا أسمع منك هذا ولست أطلقك حتى تؤدي أموال المسلمين وأمر بسجنه وكان عمر قد بعث على إمرة

خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي عوضه وقدم ولد يزيد بن المهلب مخلد بن يزيد
فقال يا امير المؤمنين ان الله عز وجل قد من على هذه الامة بولايتك علينا فلا نكونن
نحن اشقى الناس بك فعلام تحبس هذا الشيخ وانا اقوم بما يصالح عنه فقال
عمر اصالحك عنه الا ان تقوم بجميع ما يطلب منه ولا اخذ منه الا جميع ما عنده من مال
المسلمين فقال يا امير المؤمنين ان كانت لك بينة عليه بما تقول والا فاقبل
يمينه او فصالحني عنه فقال لا اخذ منه الا جميع ما عنده فخرج مخلد بن يزيد من
عند عمر فلم يلبث ان مات مخلد فكان عمر يقول هو خير من ابيه ثم ان عمر امر بان يلبس
يزيد بن المهلب جبة صوف ويركب على بعير وينفوا به الى جزيرة دهلك التي كان
ينفى اليها الفساق فشفعوا فيه فرده الى السجن فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي
مات فيه فهرب من السجن وهو مريض وعلم انه يموت في مرضه ذلك وبعد ذلك كتب اليه
كما سياتي واظنه كان يعلم ان عمر قد سقي سما وفيها في رمضان منها عزل عمر بن عبد
العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي عن امرة خراسان بعد سنة وخمسة اشهر وانما
عزله لانه كان ياخذ الجزية عمن اسلم من الكفار ويقول انتم انما تسلمون فرارا منها
فامتنعوا من الاسلام وثبتوا على دينهم وادوا الجزية فكتب اليه عمر ان الله انما بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم
القشيري على الحرب وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج وفيها كتب عمر الى عماله يامرهم
بالخير وينهاهم عن الشر ويبين لهم الحق ويوضحه لهم ويعظهم فيما بينه وبينهم ويخوفهم
باس الله وانتقامه فكان فيما كتب الى عبد الرحمن بن نعيم القشيري اما بعد فكن عبدا
لله ناصحا لله في عباده ولا ياخذك في الله لومة لائم فان الله اولى بك من الناس وحقه
عليك اعظم ولا تولين شيئا من امور المسلمين الا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير
عليهم واداء الامانة فيما استرعي واياك ان يكون ميلك ميلا الى غير الحق فان الله لا يخفى
عليه خافية ولا تذهبن عن الله مذهبا فانه لا ملجا من الله الا اليه وكتب مثل ذلك مواعظ
كثيرة الى العمال وفيها كان بدو دعوة بني العباس وقال البخاري في صحيحه وكتب
عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا فمن
استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان فان اعش فسابينها
لكم حتى تعملوا بها وان امت فما انا على صحبتكم بحريص

بدو دعوة بني العباس

وذلك ان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وكان مقيما بارض الشراة بعث من جهته
رجلا يقال له ميسرة الى العراق وارسل طائفة اخرى وهم محمد بن خنيس وابو عكرمة
السراج وهو ابو محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمة الى خراسان وعليها
يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي قبل ان يعزل في رمضان وامرهم بالدعاء اليه والى اهل بيته
فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب منهم الى ميسرة الذي بالعراق فبعث
بها الى محمد بن علي ففرح بها واستبشر وسره وذلك مبادي امر قد كتب الله تمامه واول
راي قد احكم الله ابرامه وذلك ان دولة بني امية كان قد بان فيها مخايل الوهن
والضعف ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز كما سياتي بيانه وقد اختار ابو محمد

الصادق لمحمد بن علي اثني عشر نقيبا وهم سليمان بن كثير الخزاعي ولاهز بن قريظ التميمي
وقحطبة بن شبيب الطائي وموسى بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم ابو داود بن عمرو
بن شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن اسماعيل ابو النجم مولى
لال ابي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن رزيق الخزاعي وعمرو بن اعين ابو
حمزة مولى لخزاعة وشبل بن طهمان ابو علي الهروي مولى لبني حنيفة وعيسى بن اعين مولى
خزاعة فاختار منهم سبعين رجلا ايضا وكتب اليهم محمد بن علي كتابا يكون مثالا وسيرة يقتدون
بها ويسيرون بها وقد حج بالناس في هذه السنة ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم نائب المدينة
والنواب على الامصار هم المذكورون في التي قبلها سوى من ذكرنا ممن عزل وتولى غيره والله اعلم
ولم يحج عمر بن عبد العزيز في ايام خلافته لشغله بالامور ولكنه كان يبرد البريد الى المدينة
فيقول له سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عني وسياتي باسناده ان شاء الله

وممن توفي فيها من الاعيان

سالم بن ابي الجعد الاشجعي مولاهم الكوفي اخو زياد وعبد الله وعبيد الله وعمران ومسلم
وهو تابعي جليل روى عن ثوبان وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو والنعمان بن
بشير وغيرهم وعنه قتادة والاعمش واخرون وكان ثقة نبيلا جليلا ابو امامة بن
سهل بن حنيف الانصاري الاوسي المدني ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وراه وحدث
عن ابيه وعمر وعثمان وزيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس وعنه الزهري وابو حازم وجماعة
قال الزهري كان من علية الانصار وعلمائهم ومن ابناء الذين شهدوا بدرا وقال
يوسف بن الماجشون عن عتبة بن مسلم قال اخر خرجة خرجها عثمان بن عفان الى الجمعة
حصبه الناس وحالوا بينه وبين الصلاة فصلى بالناس يومئذ ابو امامة بن سهل بن
حنيف قالوا توفي سنة مائة والله اعلم

ابو الزاهرية حدير بن كريب الحمصي

تابعي جليل سمع ابا امامة صدي وعبد الله بن بسر ويقال انه ادرك ابا الدرداء والصحيح
ان روايته عنه وعن حذيفة مرسلة وقد حدث عنه جماعة من اهل بلده وقد وثقه ابن
معين وغيره ومن اغرب ما روى عنه قول قتيبة ثنا شهاب بن خراش عن حميد عن ابي
الزاهرية قال اغفيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السدنة فاغلقوا علي الباب فما
تنبهت الا بتسبيح الملائكة فوثبت مذعورا فاذا الملائكة صفوف فدخلت معهم في
الصف قال ابو عبيدة وغيره مات سنة مائة ابو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله
بن عمرو الليثي الكناني صحابي وهو اخر من راى النبي صلى الله عليه وسلم وفاة بالاجماع
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الركن بمحجنه وذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم
وروى عن ابي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وحدث عنه الزهري وقتادة وعمرو بن دينار
وابو الزبير وجماعة من التابعين وكان من انصار علي بن ابي طالب شهد معه حروبه كلها
لكن نقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن ابي عبيد ويقال انه كان حامل رايته وقدروي
انه دخل على معاوية فقال له ما ابقى لك الدهر من ثكلك عليا فقال ثكل العجوز
المقلاة والشيخ الرقوب قال فكيف حبك له قال حب ام موسى لموسى والى الله اشكو
التقصير قيل انه ادرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين ومات سنة مائة

وقيل سنة سبع ومائة والله اعلم قال مسلم بن الحجاج وهو اخر من مات من الصحابة مطلقا
ومات سنة مائة

ابو عثمان النهدي

واسمه عبد الرحمن بن مل البصري ادرك الجاهلية وحج في زمن الجاهلية مرتين واسلم في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وادى الزكاة ثلث سنين الى عمال النبي صلى الله
عليه وسلم وسئل هذا يسمى ائمة الحديث مخضرما وهاجر الى المدينة في زمن عمر بن الخطاب
فسمع منه ومن علي وابن مسعود وخلق من الصحابة وصحب سلمان الفارسي اثنتي عشرة
سنة حتى دفنه وروى عنه جماعة من التابعين منهم ايوب وحميد الطويل وسليمان
بن طرخان التيمي وقال عاصم الاحول سمعته يقول ادركت في الجاهلية يغوث صنما
من رصاص يحمل على جمل اجرد فاذا بلغ واديا برك فيه فيقولون قد رضي ربكم لكم هذا
الوادي فينزلون فيه قال وسمعته وقد قيل له ادركت النبي صلى الله عليه وسلم فقال
نعم اسلمت على عهده وأديت اليه الزكاة ثلث مرات ولم القه وشهدت اليرموك والقادسية
وجلولا ونهاوند وكان ابو عثمان صواما قواما يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركه وكان
يصلي حتى يغشى عليه وحج ستين مرة ما بين حجة وعمرة قال سليمان التيمي اني لاحسبه
لا يصيب ذنبا الا انه ليله قايما ونهاره صايما قال بعضهم سمعت ابا عثمان النهدي
يقول اتت علي ثلثون ومائة سنة وما مني شي الا وقد انكرته خلا املي فاني اجده كما هو قال
ثابت البناني عن ابي عثمان قال اني لاعلم حين يذكرني ربي عز وجل قال فيقولون من اين تعلم
ذلك فيقول قال الله تعالى فاذكروني اذكركم فاذا ذكرت الله ذكرني قال وكنا اذا دعونا
الله قال والله لقد استجاب الله لنا قال الله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب
لكم قالوا وعاش مائة وثلثين سنة وقيل واربعين سنة قاله هيثم وغيره قال
المدايني وغيره توفي سنة مائة وقال الفلاس توفي سنة خمس وتسعين والصحيح
سنة مائة والله اعلم وفيها توفي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كان يفضل على والده في
العبادة والانقطاع عن الناس وله كلمات حسان مع ابيه ووعظه اياه

ثم دخلت سنة احدى ومائة

فيها كان هرب يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز فواعد غلمانه
يلقونه بالخيل في بعض الاماكن وقيل بل اله ثم نزل من محبسه ومعه جماعة وامراته عاتكة
بنت الفرات العامرية فلما جاوزه غلمانه ركب رواحله وسار وكتب الى عمر بن عبد العزيز
اني والله ما خرجت من سجنك الا حين بلغني مرضك ولو رجوت حياتك ما خرجت ولكني
خشيت من يزيد بن عبد الملك فانه يتوعدني بالقتل وكان يزيد بن عبد الملك يقول
لين وليت لاقطعن من يزيد بن المهلب طايفة وذلك لانه لما ولي العراق عاقب اصهاره آل
عقيل وهم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي وكان يزيد بن عبد الملك متزوجا بنت محمد
بن يوسف اخي الحجاج بن يوسف وله ابنه الوليد بن يزيد الفاسق المقتول كما سياتي
ولما بلغ عمر بن عبد العزيز ان يزيد بن المهلب هرب من السجن قال اللهم ان كان يزيد يريد بهذه
الامة سوا فاكفهم شره وارد كيده في نحره ثم لم يزل المرض يتزايد بعمر بن عبد العزيز
حتى مات وهو بخناصرة من دير سمعان بين حماه وحلب في يوم الجمعة وقيل في يوم الاربعا

لخمس

لخمس بقين من رجب من هذه السنة اعني سنة احدى ومائة عن تسع وثلثين سنة
واشهر وقيل انه جاوز الاربعين باشهر والله اعلم وكانت خلافته فيما ذكر غير واحد
سنتين وخمسة اشهر واربعة ايام وكان حكما مقسطا واماما عادلا ورعا دينا لا تاخذه
في الله لومة لايم رحمه الله تعالى

وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز

الاموي الامام المعروف المشهور رحمه الله واكرم مثواه هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن
ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابو حفص القرشي الاموي امير المومنين
وامه ام عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ويقال له اشج بني مروان
وكان يقال الاشج والناقص اعدلا بني مروان فهذا هو الاشج وسياتي ذكر الناقص كان عمر
تابعيا جليلا روى عن انس بن مالك والسايب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام
ويوسف صحابي صغير وروى عن خلق من التابعين وعنه جماعة من التابعين وغيرهم
قال الامام احمد بن حنبل لا ارى قول احد من التابعين حجة الا عمر بن عبد العزيز بويع
له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك عن عهد منه له بذلك كما تقدم ويقال
كان مولده في سنة احدى وستين وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي رضي الله عنهما
بمصر قاله غير واحد وقال محمد بن سعد ولد سنة ثلث وستين وقيل سنة تسع
وخمسين فالله اعلم وكان له جماعة من الاخوة ولكن الذين هم من ابويه ابو بكر وعاصم ومحمد
وقال ابو بكر بن ابي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن بكير عن الليث قال بلغني ان
عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة كان يحدث ان رجلا راى في المنام ليلة ولد
عمر بن عبد العزيز او ليلة ولي الخلافة شك ابو بكر ان مناديا بين السماء والارض ينادي
اتاكم اللين والدين واظهار العمل الصالح في المصلين فقلت ومن هو فنزل فكتب
في الارض ع م ر وقال ادم بن ابي اياس ثنا ضمرة ثنا ابو علي ثروان مولى عمر بن عبد العزيز
قال دخل عمر بن عبد العزيز الى اصطبل ابيه وهو غلام فضربه فرس فشجه فجعل
ابوه يمسح عنه الدم ويقول ان كنت اشج بني امية انك اذا لسعيد رواه الحافظ ابن
عساكر من طريق هارون بن معروف عن ضمرة وقال نعيم بن حماد ثنا ضمام بن اسمعيل
عن ابي قبيل ان عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير فبلغ امه فارسلت اليه فقالت
ما يبكيك قال ذكرت الموت فبكت امه وكان قد جمع القران وهو صغير وقال
الضحاك بن عثمان الحزامي كان ابوه قد جعله عند صالح بن كيسان يوديه فلما حج ابوه
اجتاز به في المدينة فسال عنه فقال ما خبرنا احدا الله اعظم في صدره من هذا
الغلام وروى يعقوب بن سفيان ان عمر بن عبد العزيز تاخر عن الصلاة مع الجماعة
يوما فقال له صالح بن كيسان ما شغلك فقال كانت مرجلتي تسكن شعري فقال
له اقدمت ذلك على الصلاة وكتب الى ابيه وهو على مصر يعلمه بذلك فبعث ابوه رسولا
فلم يكلمه حتى حلق راسه وكان عمر بن عبد العزيز يختلف الى عبيد الله بن عبد الله يسمع
منه فبلغ عبيد الله ان عمر ينتقص عليا فلما اتاه عمر اعرض عبيد الله عنه وقام يصلي
فجلس عمر ينتظره فلما سلم اقبل على عمر مغضبا وقال له متى بلغك ان الله سخط على
اهل بدر بعد ان رضي عنهم قال ففهمها عمر وقال معذرة الى الله ثم اليك والله لا اعود

قال فما سمع بعد ذلك يذكر علياً الا بخير وقال ابو بكر بن ابي خيثمة ثنا ابي ثنا الفضل
بن عبد الله عن داود بن ابي هند قال دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب واشار
الى باب من ابواب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من القوم بعث الينا الفاسق
بابنه هذا يتعلم الفرائض والسنن ويزعم انه لن يموت حتى يكون خليفة ويسير بسيرة
عمر بن الخطاب قال داود فوالله ما مات حتى راينا ذلك فيه وقال الزبير بن بكار
حدثني العتبي قال ان اول ما استبين من عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الادب
ان اباه ولي مصر وعمر حديث السن يشك في بلوغه فاراد ابوه اخراجه معه الى مصر
فقال يا ابة او غير ذلك لعله يكون انفع لي ولك قال وما هو قال ترحلني الى المدينة
فاقعد الى فقهائها واتادب بادابهم فعند ذلك ارسله ابوه الى المدينة وارسل معه
الخدام فقعد مع مشايخ قريش وتجنب شبابهم وما زال ذلك دابه حتى اشتهر ذكره فلما
مات ابوه اخذه عمه امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده وقدمه على كثير
منهم وزوجه بابنته فاطمة وهي التي يقول الشاعر فيها

بنت الخليفة والخليفة جدها … اخت الخلائف والخليفة زوجها

قال ولا نعرف امراة بهذه الصفة الى يومنا هذا سواها قال العتبي ولم يكن حاسد عمر
بن عبد العزيز ينقم عليه شيئاً سوى متابعته في النعمة والاختيال في المشية وقد قال
الاحنف بن قيس الكامل من عدت هفواته ولا تعد الا من قلة وقد ورث عمر من ابيه من
الاموال والمتاع والدواب هو واخوته ما لم يرثه غيره فيما نعلم كما تقدم ذلك وقد دخل
يوماً على عمه عبد الملك وهو يتجانف في مشيته فقال يا عمر ما لك تمشي غير مشيتك
قال ان في جرحاً فقال واين هو من جسدك قال بين الرانفة والصفن يعني
بين طرف الالية وجلدة الخصية فقال عبد الملك لروح بن زنباع بالله لو رجلاً
من قومك سئل عن هذا ما اجاب بمثل هذا الجواب قالوا ولما مات عمه عبد الملك حزن
عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعين يوماً ولما ولي الوليد عامله بما كان ابوه يعامله
به وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين الى سنة ثلاث وتسعين ۞
واقام للناس الحج سنة تسع وثمانين وسنة تسعين وحج بالناس الوليد سنة احدى
وتسعين ثم حج بالناس عمر سنة اثنتين وثلاث وتسعين وبنى في مدة ولايته
هذه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ووسعه عن امر الوليد له بذلك فدخل فيه قبر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد كان في هذه المدة من احسن الناس معاشرة واعدلهم سيرة
وكان اذا وقع له امر مشكل جمع فقهاء المدينة عليه وقد عين عشرة منهم فكان لا يقطع
امراً دونهم ومن يحضر منهم وهم عروة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وابو بكر بن عبد الرحمن
بن الحارث بن هشام وابو بكر بن سليمان بن ابي حثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم
بن عبد الله وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت وكان لا يخرج
عن قول سعيد بن المسيب وقد كان سعيد بن المسيب لا ياتي احداً من الخلفاء وكان
ياتي الى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة وقال ابراهيم بن ابي عبلة قدمت المدينة
وبها ابن المسيب وغيره وقد ندبهم عمر يوماً الى راي وقال ابن وهب حدثني الليث
حدثني قادم البربري انه ذاكر ربيعة بن ابي عبد الرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبد

العزيز

العزيز اذ كان بالمدينة فقال له ربيعة كانك تقول انه اخطا والذي نفسي
بيده ما اخطا قط وثبت من غير وجه عن انس بن مالك قال ما صليت وراء امام
اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز
حين كان على المدينة قالوا وكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود وفي
رواية صحيحة انه كان يسبح في الركوع والسجود عشراً عشراً وقال ابن وهب حدثني
الليث عن ابي النضر المديني قال لقيت سليمان بن يسار خارجاً من عند عمر بن عبد
العزيز فقلت له من عند عمر خرجت قال نعم قلت تعلمونه قال نعم فقلت هو والله
اعلمكم وقال مجاهد اتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وقال ميمون بن مهران
كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة وفي رواية قال ميمون كان عمر بن عبد العزيز
معلم العلماء وقال الليث حدثني رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس وكان عمر بن عبد
العزيز يستعمله على الجزيرة قال ما التمسنا علم شيء الا وجدنا عمر بن عبد العزيز
اعلم الناس باصله وفرعه وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز الا تلامذة وقال
عبد الله بن طاوس رايت ابي توافق هو وعمر بن عبد العزيز بعد صلاة العشاء
حتى اصبحنا فلما افترقا قلت يا ابة من هذا الرجل قال هذا عمر بن عبد العزيز
وهو من صالحي هذا البيت يعني بني امية وقال عبيد الله بن كثير قلت لعمر بن عبد العزيز
ما كان بدو انابتك قال اردت ضرب غلام لي فقال لي اذكر ليلة صبيحتها يوم
القيامة وقال الامام مالك لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة يعني في سنة ثلاث
وتسعين وخرج منها التفت اليها وبكى ثم قال لمولاه يا مزاحم نخشى ان نكون ممن نفت
المدينة يعني ان المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وينصع طيبها قلت
خرج من المدينة فنزل بمكان قريب منها يقال له السويداء حيناً ثم قدم دمشق
على بني عمه قال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن ابي حكيم قال سمعت عمر بن عبد العزيز يقول
خرجت من المدينة وما من رجل اعلم مني فلما قدمت الشام نسيت وقال الامام احمد ثنا
عفان ثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهري قال سمر ثم عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدث
فقال كلما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت وقال ابن وهب عن الليث
عن عقيل عن الزهري قال قال عمر بن عبد العزيز بعث الي الوليد ذات ساعة من
الظهيرة فدخلت عليه فاذا هو عابس فاشار الي ان اجلس فجلست بين يديه فقال
ما تقول فيمن يسب الخلفاء ايقتل فسكت ثم اعاد فقلت ايقتل
يا امير المؤمنين قال لا ولكن يسب فقلت ينكل به فغضب وانصرف الى اهله وقال
لي ابن الريان السياف اذهب قال فخرجت من عنده وما تهب ريح الا وانا اظن انه
رسول يردني اليه قلت كانه يعرض بعمر ان عمر يسبه ويسب من كان منهم ظالماً مسرفاً متعدياً
فاراد عمر ان يقر على نفسه بانه يجوز قتل من يسب الخلفاء فيامر السياف وكان قد
احضره عنده ليضرب عنقه فنجاه الله من ذلك وصانه فخرج من عنده خائفاً يترقب
والله اعلم وقال عثمان بن زبر اقبل سليمان بن عبد الملك وهو امير المؤمنين ومعه
عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والاثقال
والرجال فقال سليمان ما تقول يا عمر في هذا فقال ارى دنيا ياكل بعضها بعضاً

وانت المسئول عن ذلك كله فلما اقتربوا من العسكر اذا غراب قد اخذ لقمة من جفنة
من فسطاط سليمان وهو طائر بها ونعب نعبة فقال له سليمان ما تقول في هذا
يا عمر فقال لا ادري فقال له ما ظنك انه يقول قال كانه يقول من اين جاءت والى اين
تذهب بها فقال له سليمان ما اعجبك فقال له عمر اعجب مني من عرف الله فعصاه
ومن عرف الشيطان فاطاعه ومن عرف الدنيا فركن اليها وتقدم انه لما وقف سليمان
وعمر بعرفة ورأى سليمان كثرة الناس فقال له عمر هؤلاء رعيتك اليوم وانت مسئول
عنهم غدا وفي رواية وهم خصماؤك يوم القيامة فبكى سليمان وقال بالله استعين
وتقدم انهم لما اصابهم ذلك المطر والرعد والبرق فزع سليمان وضحك عمر فقال
اتضحك قال نعم هذه اثار رحمته ونحن في هذه الحال فكيف اثار غضبه وعقابه
ونحن في تلك الحال وذكر الامام مرما لكان سليمان وعمر تقاولا مرة فقال له سليمان
في جملة الكلام كذبت فقال تقول لي كذبت والله ما كذبت منذ عرفت ان الكذب
يضر اهله ثم هجره عمر وعزم على الرحيل الى مصر فلم يمكنه سليمان ثم بعث اليه فصالحه
وقال له ما عرض لي امر يهمني الا خطرت على بالي وقد ذكرنا انه لما حضرته الوفاة اوصى بالامر
من بعده لعمر بن عبد العزيز فانتظم الامر على ذلك ولله الحمد فصل
وقد كان مستنظرا انبا يؤثر من الاخبار قال ابو داود الطيالسي ثنا عبد العزيز
بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون ثنا عبد الله بن دينار قال قال عمر يا عجبا
يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر قال فكانوا
يرونه بلال بن عبد الله بن عمر قال وكان بوجهه اثر فلم يكن هو واذا هو عمر بن عبد
العزيز وامه ابنة عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وقال البيهقي انا الحاكم
انا ابو حامد بن علي المقرئ ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا احمد بن ابراهيم ثنا عفان ثنا
عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية بن اسماء عن نافع قال بلغنا ان عمر بن الخطاب
قال ان من ولدي رجلا بوجهه شجة يملأ الارض عدلا قال نافع من قبله ولا احسبه
الا عمر بن عبد العزيز ورواه مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع قال كان ابن عمر
يقول ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الارض عدلا وقال
وهيب بن الورد بينما انا نائم رأيت كان رجلا دخل من باب بني شيبة وهو يقول
يا ايها الناس ولي عليكم كتاب الله فقلت من فاشار بيده الى ظفره فاذا مكتوب عليه
ع مر قال فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز وقال بقية عن عيسى بن ابي رزين حدثني
الخزاعي عن عمر بن عبد العزيز انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وعنده خضر
فقال له انك ستلي امر امتي فزع عن الدم فزع عن الدم فان اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز
واسمك عند الله جابر وقال ابو بكر بن المقرئ ثنا ابو عروبة الحسين بن محمد بن مودود
الحراني ثنا ايوب بن محمد الوزان ثنا ضمرة بن ربيعة ثنا السري بن يحيى عن رياح بن عبيدة
قال خرج عمر بن عبد العزيز الى الصلاة وشيخ على يده فقلت في نفسي ان هذا الشيخ جاف
فلما صلى ودخل لحقته فقلت اصلح الله الامير من هذا الشيخ الذي كان متكئا على يدك فقال
يا رياح رأيته قلت نعم قال ما احسبك يا رياح الا رجلا صالحا ذاك اخي الخضر اتاني
فاعلمني اني سألي امر هذه الامة واني ساعدل فيها وقال يعقوب بن سفيان ثنا ابو عمير

ثنا ضمرة عن علي بن ابي حملة عن ابي الاعيس قال كنت جالسا مع خالد بن يزيد بن معاوية
فجاء شاب عليه مقطعات فاخذ بيد خالد فقال هل علينا من عين فقال
ابو الاعيس فقلت عليكما من الله عين بصيرة واذن سميعة قال فترقرقت عينا الفتى
فارسل يده من يد خالد وولى فقلت من هذا قال هذا عمر بن عبد العزيز ابن اخي امير
المؤمنين ولئن طالت بك حياة لترينه امام هدى قلت قد كان عند خالد بن يزيد
بن معاوية شيء جيد من اخبار الاوائل لانه كان ينظر في النجوم والطب وقد ذكرنا
في ترجمة سليمان بن عبد الملك انه لما حضرته الوفاة اراد ان يعهد الى بعض ولده
فصرفه وزيره الصالح رجاء بن حيوة عن ذلك وما زال به حتى عهد الى عمر بن عبد العزيز
من بعده وصوب ذلك رجاء فكتب سليمان العهد في صحيفة وختمها ولم يشعر بذلك
عمر ولا احد من بني مروان سوى سليمان ورجاء ثم امر صاحب الشرطة باحضار الامراء
ورؤس الناس من بني مروان وغيرهم فبايعوا سليمان على ما في الصحيفة المختومة ثم
انصرفوا ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة فبايعوا ثانية قبل ان يعلموا
بموت الخليفة ثم فتحها فقرأها عليهم فاذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز فاخذوه
فاجلسوه على المنبر فبايعوه فانعقدت البيعة له وقد اختلف العلماء في مثل هذا
الصنيع في الرجل يوصي الوصية في كتاب ويشهد على ما فيه من غير ان يقرأ على الشهود
ثم يشهدون على ما فيه فينفذ فسوغ ذلك جماعات من اهل العلم قال القاضي ابو
الفرج المعافى بن زكريا الجريري اجاز ذلك وامضاه وانفذ الحكم به جمهور اهل الحجاز
وروي ذلك عن سالم بن عبد الله وهو مذهب مالك ومحمد بن مسلمة المخزومي ومكحول
ونمير بن اوس وزرعة بن ابراهيم والاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز ومن وافقهم من فقهاء
الشام وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه وقضاة جنده وهو قول
الليث بن سعد وغيره ووافقه من فقهاء اهل مصر والمغرب وهو قول فقهاء اهل البصرة
وقضاتهم وروي عن قتادة وعن سوار بن عبد الله وعبيد الله بن الحسن ومعاذ بن معاذ
العنبري وغيرهم من المسلمين واخذ بهذا عدد كثير من اصحاب الحديث منهم ابو عبيد
وابو اسحاق بن راهويه قلت وقد اعتنى به البخاري في صحيحه قال المعافى وابى
ذلك جماعة من فقهاء العراق منهم ابراهيم وحماد والحسن وهو مذهب الشافعي وابي
ثور قال وهو قول شيخنا ابي جعفر وكان بعض اصحاب الشافعي بالعراق يذهب الى
القول الاول قال الجريري والى القول الاول نذهب وتقدم ان عمر بن عبد العزيز
لما رجع من جنازة سليمان اتي بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وانشأ يقول

فلولا التقى ثم النهى خشية الردى ... لعاصيت في حب الصبى كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا يرى ... له صبوة اخرى الليالي الغوابر

ثم قال ما شاء الله لا قوة الا بالله قدموا لي بغلتي ثم امر ببيع تلك المراكب الخليفية
فيمن يزيد وكانت من الخيول الجياد المثمنة فباعها وجعل اثمانها في بيت المال قالوا
فلما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه انقلب وهو مغتم
مهموم فقال له مولاه ما لك هكذا مغتما مهموما وليس هذا بوقت هذا فقال ويحك
ومالي لا اغتم وليس احد من اهل المشارق والمغارب من هذه الامة الا وهو يطالبني بحقه

ان اوذيا اليه كتبنا الي في ذلك اولم يكتب طلبه مني اولم يطلب قالوا ثم انه خير امراته
فاطمة بين ان تقيم معه على انه لا فراغ له اليها وبين ان تلحق باهلها فبكت وبكى
جواريها لبكائها فسمعت ضجة في داره ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمها
الله وقال له رجل تفرغ لنا يا امير المؤمنين فانشا يقول

قد جاء شغل شاغل وعدلت عن طرق السلامه

ذهب الفراغ فلا فراغ لنا الى يوم القيامة

وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال لما ولي عمر بن عبد العزيز
صعد المنبر وكان اول خطبة خطبها حمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس من
صحبنا فليصحبنا بخمس والا فليفارقنا يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها
ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي اليه ولا يغتابن عندنا احدا
ولا يعرضن فيما لا يعنيه فانقشع عنه الشعراء والخطباء وثبت معه الفقهاء والزهاد
وقالوا ما يسعنا ان نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله وقال سفيان بن
عيينة لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث الى محمد بن كعب ورجاء بن حيوة وسالم بن عبد الله
فقال لهم قد ترون ما ابتليت به وقد نزل بي فما عندكم فقال محمد بن كعب اجعل الشيخ
ابا والشاب اخا والصغير ولدا فبر اباك وصل اخاك وتعطف على ولدك وقال
رجاء ارض للناس ما ترضى لنفسك وما كرهت ان يؤتى اليك فلا تاته اليهم واعلم انك
اول خليفة يموت وقال سالم اجعل الامر يوما واحدا صم فيه عن شهوات الدنيا واجعل
اخر فطرك فيه الموت فكان قد فقال عمر لا حول ولا قوة الا بالله وقال غيره خطب
عمر بن عبد العزيز يوما الناس فقال وقد خنقته العبرة ايها الناس اصلحوا اخرتكم
يصلح الله لكم دنياكم واصلحوا سرائركم يصلح الله لكم علانيتكم والله ان عبدا ليس بينه
وبين ادم اب الا قد مات انه لمعرق له في الموت وقال في بعض خطبه كم من عامر موثق عما
قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله من الدنيا
الرحلة باحسن ما يحضركم من النقلة بينما ابن ادم في الدنيا ينافس قرير العين فيها
يانع اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه اثاره دنياه وصير لقوم
اخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر تسر قليلا وتحزن طويلا
وقال اسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال لما استخلف عمر بن عبد العزيز
قام في الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه لا كتاب بعد القران ولا نبي
بعد محمد عليه السلام واني لست بقاض ولكني منفذ واني لست بمبتدع ولكني متبع
ان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم الا ان الامام الظالم هو العاصي الا لا
طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل وفي رواية انه قال فيها واني لست بخير من
احد منكم ولكني اثقلكم حملا الا لا طاعة لمخلوق في معصية الله الا هل اسمعت وقال
احمد بن مروان ثنا احمد بن يحيى الحلواني ثنا محمد بن عبيد ثنا اسحاق بن سليمان
عن شعيب بن صفوان حدثني ابن لسعيد بن العاص قال كان اخر خطبة خطبها
عمر بن عبد العزيز ان حمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فانكم لم تخلقوا عبثا ولم
تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم فخاب وخسر من

خرج

خرج من رحمة الله تعالى وحرم جنة عرضها السموات والارض الم تعلموا انه لا يامن غدا
الا من حذر اليوم الاخر وخاف وباع فانيا بباق ونافدا بما لا نفاد له وقليلا بكثير وخوفا
بامان الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيكون من بعدكم للباقين كذلك حتى ترد
الى خير الوارثين ثم انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله لا يرجع قد قضى نحبه
حتى تغيبوه في صدع من الارض في بطن صدع غير موسد ولا ممهد قد فارق الاحباب
وواجه التراب والحساب فهو مرتهن بعمله غني عما ترك فقير الى ما قدم فاتقوا الله
قبل انقضاء مواثيقه ونزول الموت بكم اما اني اقول هذا ثم وضع طرف ردائه على وجهه
فبكى وابكى من حوله وفي رواية وايم الله اني لاقول قولي هذا وما اعلم عند احد منكم من
الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها
عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بل لحيته فما عاد بمجلسه
حتى مات رحمه الله تعالى وروى ابو بكر بن ابي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز انه راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول ادن يا عمر قال فدنوت حتى خشيت
ان اصيبه فقال اذا وليت فاعمل بنحو من عمل هذين واذا كهلان قد اكتنفاه
فقلت ومن هذين قال هذا ابو بكر وهذا عمر وروينا انه لما قال لسالم بن عبد الله
ابن عمر اكتب لي سيرة عمر حتى اعمل بها فقال له سالم انك لا تستطيع ذلك قال
ولم قال انك ان عملت بها كنت افضل من عمر لانه كان يجد على الخير اعوانا وانت لا تجد
من يعينك على الخير وقد روي انه كان نقش خاتمه لا اله الا الله وحده لا شريك له وفي
رواية امنت بالله وفي رواية الوفاء عزيز وقد جمع يوما رؤوس الناس فخطبهم فقال
ان فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها حيث اراه الله ثم وليها
ابو بكر وعمر كذلك قال الاصمعي وما ادري ما قال في عثمان قال ثم ان مروان اقطعها
فحصل لي منها نصيب ووهبني الوليد وسليمان نصيبيهما ولم يكن من مالي شيء ارد علي منها
وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فيئس الناس عند ذلك من المظالم ثم امر الجماعة من بني امية فردوا ما في ايديهم الى بيت
المال وسماها اموال المظالم فاستشفعوا اليه بالناس وتوسلوا اليه بعمته
فاطمة فيشفعون فلم ينجع فيه شيء لم يرده عن الحق شيء وقال لهم والله لتدعني والا ذهبت
الى مكة فنزلت عن هذا الامر لاحق الناس به وقال والله لو اقمت فيكم خمسين عاما
ما اقمت فيكم ما اريد من العدل واني لاريد الامر فما انفذه الا مع طمع من الدنيا حتى تسكن
قلوبهم وقال الامام احمد عن عبد الرزاق عن ابيه عن وهب بن منبه انه قال ان كان
في هذه الامة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير
واحد وقال طاووس هو مهدي وليس به انه لم يستكمل العدل كله اذا كان المهدي
ثبت على المسيء من اساءته وزيد المحسن في احسانه سمح بالمال شديد على العمال رحيم
بالمساكين وقال مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب انه قال
الخلفاء ابو بكر والعمران فقيل له ابو بكر وعمر قد عرفناهما فمن عمر الاخر قال يوشك
ان عشت ان تعرفه يريد عمر بن عبد العزيز وفي رواية اخرى عنه انه قال هو اشج بني
مروان وقال عباد السماك وكان يجالس سفيان الثوري سمعت الثوري يقول الخلفاء

خمسة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وهكذا روي عن ابي بكر بن عياش والشافعي
وغير واحد واجمع العلماء قاطبة على انه من ائمة العدل واحد الخلفاء الراشدين والائمة
المهديين وذكره غير واحد في الائمة الاثني عشر الذين جاء فيهم الحديث الصحيح لا يزال الامر
بهذه الامة مستقيما حتى يكون فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش وقد اجتهد رحمه الله في مدة
ولايته مع قصرها حتى رد المظالم وصرف الى كل ذي حق حقه وكان مناديه في كل يوم ينادي
اين الغارمون اين الناكحون اين المساكين اين اليتامى حتى اغنى كلا من هؤلاء وقد اختلف
العلماء ايهما افضل هو او معاوية بن ابي سفيان ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعدلته وزهده
وعبادته وفضل اخرون معاوية لسابقته وصحبته حتى قال بعضهم ليوم شهده معاوية
من رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز واياه واهل بيته وذكر ابن عساكر
في تاريخه ان عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جواري زوجته فاطمة بنت عبد الملك
فكان يسالها اياها اما بيعا او هبة فكانت تابى عليه ذلك فلما ولي الخلافة لبستها
وطيبتها واهدتها اليه ووهبتها منه فلما اخلتها به اعرض عنها فتعرضت له فصدف
عنها فقالت له يا سيدي فاين ما كان يظهر لي من محبتك اياي فقال والله ان محبتك
لباقية كما هي ولكن لا حاجة لي في النساء فقد جاءني امر شغلني عنك وعن غيرك ثم سالها
عن اصلها ومن اين جلبوها فقالت يا امير المؤمنين ان ابي اصاب جناية ببلاد المغرب
فصادره موسى بن نصير فاخذت في الجناية وبعث بي الى الوليد فوهبني الوليد لاخته
فاطمة زوجتك فاهدتني اليك فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون كدنا والله نفتضح
ونهلك ثم امر بردها مكرمة الى بلادها واهلها وقالت زوجته فاطمة دخلت يوما عليه وهو
جالس في مصلاه واضع خده على يده ودموعه تسيل على خديه فقلت ما لك فقال
ويحك يا فاطمة اني قد وليت من امر هذه الامة ما وليت فتفكرت في الفقير الجائع والمريض
الضائع والعاري المجهود واليتيم المكسور والارملة الوحيدة والمظلوم المقهور والغريب
والاسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل واشباههم في اقطار الارض واطراف
البلاد فعلمت ان ربي عز وجل سيسالني عنهم يوم القيامة وان خصمي دونهم محمد صلى الله عليه
وسلم فخشيت ان لا يثبت لي حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت وقال ميمون بن مهران
ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال اذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الارض وكتب
الى بعض عماله اذا دعتك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تاتي
اليهم وبقاء ما ياتون اليك وقال عبد الرحمن بن مهدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن
عاصم قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للاسلام سننا وشرائع وفرائض فمن
استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان فان اعش ابينها لكم لتعملوا
بها وان امت فما انا على صحبتكم بحريص وذكره البخاري في صحيحه تعليقا مجزوما وذكر الصولي
ان عمر كتب الى بعض عماله عليك بتقوى الله فانها هي التي لا تقبل غيرها ولا يرحم الا اهلها
ولا يثاب الا عليها وان الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل وقال من علم ان كلامه من
عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وينفعه ومن اكثر ذكر الموت اجتزا من الدنيا باليسير وقال
من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلحه
وكلمه رجل يوما حتى اغضبه فهم به عمر ثم امسك نفسه ثم قال للرجل اردت ان يستفزني

الشيطان

الشيطان بعزة السلطان فانال منك ما تناله مني غدا قم عافاك الله لا حاجة لنا
في مقاولتك وكان يقول ان احب الامور الى الله القصد في الجدة والعفو في المقدرة
والرفق في الولاية وما رفق عبد بعبد في الدنيا الا رفق الله به يوم القيامة وخرج ابن له وهو
صغير يلعب مع الغلمان فشجه صبي منهم فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه وجاءوا به الى عمر
فسمع الجلبة فخرج اليهم فاذا مريئة تقول انه ابني وانه يتيم فقال لها عمر هوني عليك ثم
قال لها اله عطاء في الديوان قالت لا قال فاكتبوه في الذرية فقالت زوجته فاطمة
افتفعل هذا به وقد شج ابنك فعل الله به وفعل المرة الاخرى يشج ابنك ثانية فقال ويحك
انه يتيم وقد افزعتموه وقال مالك بن دينار يقولون مالك زاهد انما الزاهد عندي انما
الزاهد عمر بن عبد العزيز اتته الدنيا فاغرة فاها فتركها جملة قالوا ولم يكن له سوى
قميص واحد فكان اذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييبس وقد وقف مرة على راهب فقال
له ويحك عظني فقال له عليك بقول الشاعر

تجرد من الدنيا فانك انما ... خرجت الى الدنيا وانت مجرد

قال وكان يعجبه ويكرره وعمل به حق العمل قالوا ودخل على امرأته يوما فسالها ان تقرضه
درهما او فلوسا يشتري له بها عنبا فلم يجد عندها شيئا فقالت له انت امير المؤمنين وليس
في خزانتك ما تشتري به عنبا فقال هذا ايسر من معالجة الاغلال والانكال غدا في نار جهنم
قالوا وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في راسهن طين قالوا وبعث يوما غلامه يشوي
له لحمة فجاءه بها سريعا مشوية فقال اين شويتها فقال في المطبخ فقال في مطبخ المسلمين
قال نعم فقال كلها فاني لم ارزقها هي رزقك وسخنوا له ماء في المطبخ العام فرد بدل
ذلك بدرهم حطبا وقالت زوجته ما جامع ولا احتلم وهو خليفة قالوا وبلغ عمر بن عبد
العزيز عن ابي سلام الاسود انه يحدث عن ثوبان بحديث الحوض فبعث اليه فاحضره
على البريد وقال له كالمتوجع له يا ابا سلام ما اردنا المشقة عليك ولكن اردت ان تشافهني
بالحديث مشافهة فقال سمعت ثوبان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي
ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكاويبه عدد
نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا واول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين
الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد فقال عمر
لكني نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي السدد فلا جرم لا اغسل راسي حتى
يشعث ولا اغسل ثوبي حتى يتسخ قالوا وكان له سراج يكتب عليه حوائجه وسراج لبيت المال
يكتب عليه مصالح المسلمين لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفا وكان يقرا في المصحف كل يوم اول
النهار ولا يطيل القراءة وكان له ثلاثمائة شرطي وثلاثمائة حرسي واهدى له رجل من اهل بيته تفاحا
فاشتمه ثم رده مع الرسول وقال له قل له قد بلغت محلها فقال له رجل يا امير المؤمنين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية وهذا رجل من اهل بيتك فقال ان الهدية
كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فاما نحن فهي لنا رشوة قالوا وكان يوسع
على عماله في النفقة يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار ومائتي دينار وكان يتاول انهم
اذا كانوا في كفاية تفرغوا لاشغال المسلمين فقالوا له لو انفقت على عيالك كما تنفق
على عمالك فقال لا امنعهم حقا لهم ولا اعطيهم حق غيرهم وكان اهله قد بقوا في جهد عظيم

ناعذر بان معهم سلفا كثيرا من قبل ذلك وقال يوما لرجل من ولده على اني لا استحيي من الله ان
تقف بباب بني لا يوذن لك وقال لاخرهم اني لا استحيي من الله العزيز ان عيب بك ان ادنست بالله
لما اكرمك الله به وقال ايضا كنا نخرج وبنو عمنا بنو هاشم مرة لنا ومرة علينا فلجانا اليهم وبلجاوا
الينا حتى طلعت شمس الرسالة فاكسدت كل نافق واخرست كل منافق واسكتت كل ناطق
وقال احمد بن مروان ثنا ابو بكر بن اخي خطاب ثنا خالد بن خداش ثنا حماد بن زيد عن موسى بن
اعين الراعي وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة قال كانت الاسد والغنم والوحش ترعى في خلافة
عمر بن عبد العزيز في موضع واحد فعرض ذات يوم لشاة منها ذيب فقلت انا لله ما ارى
الرجل الصالح الا قد هلك قال فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة ورواه غيره
عن حماد فقال كان يرعى الشاء بكرمان فذكر نحوه وله شاهد من وجه اخر ومن دعائه اللهم ان رجالا
اطاعوك فيما امرتهم وانتهوا عما نهيتهم اللهم وان توفيقك اياهم كان قبل طاعتهم اياك فوفقني
ومنها اللهم ان عمر ليس باهل ان تناله رحمتك ولكن رحمتك اهل ان تنال عمر وقال له رجل ابقاك
الله ما كان البقاء خيرا لك فقال هذا شي قد فرغ منه ولكن قل احياك الله حياة طيبة
وتوفاك مع الابرار وقال له رجل كيف اصبحت يا امير المؤمنين فقال اصبحت بطيئا
بطينا متلوثا بالخطايا اتمنى على الله عز وجل ودخل عليه رجل فقال يا امير المؤمنين ان من
كان قبلك كانت الخلافة لهم زينا وانت زين الخلافة فانما مثلك يا امير المؤمنين كما قال
الشاعر

• واذا الدر زان حسن وجوه • كان للدر حسن وجهك زينا •

قال فاعرض عنه عمر وقال رجا ابن حيوة سهرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فعشي
السراج فقلت يا امير المؤمنين الا انبه هذا الغلام يصلحه فقال لا دعه ينام لا احب ان اجمع
عليه عملين فقلت افلا اقوم اصلحه فقال لا ليس من المروة استخدام الضيف ثم قام
بنفسه فاصلحه وصب فيه زيتا ثم جاء وقال قمت وانا عمر بن عبد العزيز وجيت وانا عمر
بن عبد العزيز وقال اكثروا ذكر النعم فان ذكرها شكرها وقال والله لم يمنعني من كثرة مخافة
المباهاة وبلغه ان رجلا من اصحابه توفي فجاء الى اهله ليعزيهم فيه فصرخوا في وجهه بالبكا عليه
فقال لهم ان صاحبكم لم يكن يرزقكم وان الذي يرزقكم حي لا يموت وان صاحبكم هذا لم يسد شيا من
حفركم وانما سد حفرة نفسه وان لكل امرء منكم حفرة لابد والله ان يسدها الا الله عز وجل
لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب وعلى اهلها بالفنا وما امتلات دار حبرة الا امتلات
عبرة ولا اجتمعوا الا تفرقوا حتى يكون الله هو الذي يرث الارض ومن عليها فمن كان منكم باكيا
فليبك على نفسه فان الذي صار اليه صاحبكم كل الناس اليه يصيرون غدا وقال ميمون بن
مهران خرجت مع عمر الى القبور فقال لي يا ايوب هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل
الدنيا في لذتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلا ثم بكى حتى
غشي عليه ثم افاق فقال انطلقوا بنا فوالله لا اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد
امن من عذاب الله ينتظر ثواب الله وقال غيره خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دفنت
قال لاصحابه قفوا حتى اتي قبور الاحبة فاتاهم فجعل يبكي ويدعو اذ هتف به التراب
فقال يا عمر الا تسالني ما فعلت في الاحبة قال قلت وما فعلت بهم قال خرقت الاكفان واكلت
اللحوم وشدخت المقلتين واكلت الحدقتين ونزعت الكفين من الساعدين والساعدين من

العضدين

العضدين والعضدين من المنكبين والمنكبين من الصلب والقدمين من الساقين
والساقين من الفخذين والفخذين من الورك والورك من الصلب وعمر يبكي فقال
اما ادلك يا عمر الا ادلك على اكفان لا تبلى قال وما هي قال تقوى الله والعمل
الصالح وقال عمر لرجل من جلسائه لقد ارقت الليلة مفكرا قال وفيم يا امير المومنين
قال في القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثلثة في قبره وما صار اليه لاستوحشت
من قربه بعد طول الانس منك بناحيته ولرايت بيتا تجول فيه الهوام ويخترق فيه الديدان
ويجري فيه الصديد مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيبة وطيب الريح ونقاء الثوب
قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وقال مقاتل بن حيان صليت وراء عمر بن عبد العزيز
فقرا وقفوهم انهم مسيولون فجعل يكررها وما يستطيع ان يجاوزها وقالت امراته فاطمة
ما رايت احدا اكثر صلاة وصياما منه ولا احدا اشد فرقا من ربه منه كان يصلي العشا ثم
يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عينه قالت ولقد كان يكون
معي في الفراش فيذكر الشي من امر الاخرة فينتفض كما ينتفض العصفور في الما ويجلس يبكي
فاطرح عليه اللحاف رحمة له وانا اقول يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين
فوالله ما راينا سرورا منذ دخلنا فيها وقال علي بن زيد ما رايت رجلين كان النار لم تخلق
الا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز وقال بعضهم رايته يبكي حتى بكا دما قالوا وكان
اذا اوى الى فراشه قرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الاية ويقرا افامن
اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون ونحو هذه الايات وكان يجتمع كل ليلة اليه اصحابه
من الفقها لا يذكرون الا الموت والاخرة ثم يبكون حتى كان بينهم جنازة وقال ابو بكر
الصولي عن المبرد كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر

• فما تزود مما كان يجمعه • سوى حنوط غداة البين في خرق •
• وغير نفحة اعواد يشب له • وقل ذلك من زاد لمنطلق •
• باي ما بلد كانت منيته • ان لا يسر طايعا في قصدها يسق •

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة الى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس وانحازوا الى
الظل فبكى وانشد

• من كان حين تصيب الشمس جبهته • او الغبار يخاف الشين والشعثا •
• ويالف الظل كي تبقى بشاشته • فسوف يسكن يوما راغما جدثا •
• في قعر مظلمة غبرا موحشة • يطيل في قعرها تحت الثرى لبثا •
• تجهزي بجهاز تبلغين به • يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا •

هذه الابيات ذكرها الاجري في ادب النفوس بزيادة فيها فقال اخبرنا ابو بكر انا ابو
حفص عمر بن سعد القراطيسي ثنا ابو بكر عبد الله بن ابي الدنيا حدثني محمد بن صالح القرشي
اخبرني عمر بن الخطاب الازدي حدثني ابن لعبد الصمد بن عبد الاعلى بن ابي عمرة قال اراد عمر بن
عبد العزيز ان يبعث رسولا الى اليون طاغية الروم يدعوه الى الاسلام فقال له عبد
الاعلى يا امير المومنين ايذن لي في بعض بني يخرج معي وكان عبد الاعلى له عشرة من الذكور فقال
له انظر من يخرج معك منهم قال فقال عبد الله فقال له عمر اني رايت بابنك عبد الله
يمشي مشية كرهتها منه ومقته عليها وبلغني انه يقول الشعر فقال له عبد الاعلى لما مشيته

تلك نغر بزة فيه واما الشعر فاما هو نواحة ينوح بها على نفسه فقال له عمر عبد الله ابني
وخذ معك غيره فراح عبد الاعلى بابنه عبد الله اليه فاستنشده فانشده ذلك
الشعر المتقدم

فجهزي بجهاز تبلغين به ... يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا
وما بقى يغتر الاجال والكشى ... قبل اللزام فلا ملجا ولا غوثا
ولا تكدي لمن يبقى وتفتقري ... ان الردى وارث الباقي وما ورثا
واخشى حوادث صرف الدهر مهل ... واستيقظي لا تكوني كالذي بحثا
عن مدية كان فيها قطع مدته ... فوافت الحرث موفورا كما حرثا
لا تامني فجع دهر مترف خبل ... قد استوى عنده من طاب او خبثا
يا رب ذي امل فيه على وجل ... اضحى به آمنا امسى وقد جدثا
من كان حين تصيب الشمس جبهته ... او الغبار يخاف الشين والشعثا
ويالف الظل كي يبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوما راغما جدثا
في قعر موحشة غبرآ مظلمة ... يطيل تحت الثرى في قعرها لبثا

وقد ذكرنا ابن ابي الدنيا نعم انشد ما عنده والله سبحانه اعلم وكان يتمثل بها كثيرا
ويبكي قال المولف وقال الفضل بن عساف العلا كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه
من هذا البيت

ولا خير في عيش امرئ لم يكن له ... من الله في دار القرار نصيب

وزاد غيره معه بيتا حسنا وهو قوله

فان تعجب الدنيا اناسا فانها ... متاع قليل والزوال قريب

ومن شعره الذي انشده ابن الجوزي

انا ميت وعز من لا يموت ... قد تيقنت انني ساموت
ليس ملك يزيله الموت ملكا ... انما الملك ملك من لا يموت

وقال عبد الله بن المبارك كان عمر بن عبد العزيز يقول

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما اغتر باللذات في النوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهايم

وقال محمد بن كثير قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه ويعاتبها بهذه الابيات

ايقظان انت اليوم ام انت نايم ... وكيف يطيق النوم حيران هايم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت ... محاجر عينيك الدموع السواجم
بل اصبحت في النوم الطويل وقد دنت ... اليك امور مفظعات عظايم
وتكدح فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهايم
فلا انت في النوام نايم سالم ... ولا انت في الايقاظ يقظان حازم

وروى ابن ابي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك قالت انتبه عمر ذات ليلة وهو
يقول لقد رايت الليلة رويا عجيبة فقلت اخبرني بها فقال حتى نصبح فلما صلى
بالمسلمين دخل فسالته عنها فقال رايت كاني دفعت الى ارض خضراء واسعة كانها

بساط اخضر واذا فيها قصر كانه الفضة فخرج منه خارج فنادى اين محمد بن عبد الله اين رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل ذلك القصر ثم خرج اخر فنادى اين ابو بكر الصديق
فاقبل ثم خرج اخر فنادى اين عمر بن الخطاب فاقبل فدخل ثم خرج اخر فنادى اين عثمان فاقبل
فدخل ثم خرج اخر فنادى اين علي بن ابي طالب فاقبل فدخل ثم خرج اخر فنادى اين عمر بن
عبد العزيز فقمت فدخلت فجلست الى جانب ابي عمر بن الخطاب وهو عن يسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عن يمينه وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل فقلت لابي من هذا قال هذا عيسى بن مريم ثم سمعت هاتفا يهتف بيني وبينه
نور لا اراه وهو يقول يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما انت عليه واثبت على ما انت
عليه ثم كانه اذن لي في الخروج فخرجت فالتفت فاذا عثمان بن عفان وهو خارج
من القصر وهو يقول الحمد لله الذي نصرني ربي واذا علي في اثره وهو يقول الحمد لله الذي
غفر لي ربي **فصل** وقد ذكرنا في دلايل النبوة الحديث الذي رواه ابو داود في سننه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مايه سنة
من يجدد لها امر دينها فقال جماعة من اهل العلم منهم احمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي
وغيره ان عمر بن عبد العزيز كان على راس المايتين الاولى وان كان هو اولى من دخل في ذلك واحق
لامامته وعمومه وولايته وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق فقد كانت سيرته شبيهة
بسيرة عمر بن الخطاب وكان كثيرا ما يتشبه به وقد جمع الشيخ ابو الفرج بن الجوزي سيرة
العمرين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وقد افردنا سيرة عمر بن الخطاب في مجلد على حدة
ومسنده في مجلد ضخم واما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا منها طرفا صالحا ههنا
يستدل به على ما لم نذكره وقد كان عمر رحمه الله يعطي من انقطع الى المسجد الجامع من بلده وغيرها
للفقه ونشر العلم وتلاوة القران في كل عام من بيت المال مايه دينار وكان يكتب
الى عماله ان ياخذوا الناس بالسنة ويقول ان لم تصلحهم السنة فلا اصلحهم الله وكتب
الى ساير البلاد ان لا يركب ذمي من اليهود والنصارى وغيرهم على سرج ولا يلبس قباء ولا طيلسانا
ولا السراويل ولا يمشين احد منهم الا بزنار من جلد وهو مفروق الناصية ومن وجد منهم في منزله
سلاح اخذ منه وكتب ايضا ان لا يستعمل على الاعمال الا اهل القران فان لم يكن عندهم خير فغيرهم
اولى ان لا يكون عنده خير وكان يكتب الى عماله اجتنبوا الاشغال عند حضور الصلوات
فان من اضاعها فهو لما سواها من شرايع الاسلام اشد تضييعا وقد كان يكتب الموعظة
الى العامل من عماله فينخلع منها وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة وطوى البلاد من شدة
ما تقع موعظته منه وذلك ان الموعظة اذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ
وقد صرح كثير من الايمة بان كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة وقد كتب اليه الحسن البصري
بمواعظ حسان ولو تقصينا ذلك لطال هذا الفصل ولكن قد ذكرنا ما فيه اشارة
الى ذلك وكتب الى بعض عماله اذكر ليلة تمخض بالساعة فصباحها القيمة فيا لها
من ليلة ويا له من صباح وكان يوما على الكافرين عسيرا وكتب الى اخر اذكر طول سهر
اهل النار في النار مع خلود الابد واياك ان ينصرف بك من عند الله فيكون اخر
العهد بك وانقطاع الرجا منك قالوا فخلع هذا العامل نفسه من العمالة وقدم على
عمر فقال له ما لك فقال خلعت قلبي بكتابك يا امير المومنين والله لا اعود الى ولاية

ابدا **فصل** وقد رد جميع المظالم كما قدمنا حتى انه رد فص خاتم كان في يده قال
اعطانيه الوليد من غير حقه وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في الملبس والمأكل والمتاع
حتى انه ترك التمتع بزوجته الحسناء فاطمة بنت عبد الملك يقال كانت من احسن النساء
ويقال انه رد جهازها الى بيت المال والله اعلم وقد كان دخله في كل سنة قبل ان يلي الخلافة
اربعين الف دينار فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى اربعمائة دينار في كل سنة وكان
حاصله في خلافته ثلثمائة درهم وكان له من الاولاد جماعة وكان ابنه عبد الملك اجلهم فمات
في حياة ابيه في زمن خلافته حتى يقال انه كان خيرا من ابيه فلما مات لم يظهر عليه حزن وقال
امر رضيه الله فلا اكرهه وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الغليظ المرقوع فلا يغسله
حتى يتسخ جدا ويقول ما احسنه لولا لينه وكان يلبس الفروة الغليظة وكان سراجه
على ثلاث قصبات في رأسهن طين ولم يبن شيئا في ايام خلافته وكان يخدم نفسه بنفسه
وقال ما تركت شيئا من الدنيا الا عوضني الله ما هو خير منه وكان يأكل الغليظ ولا يبالي
بشيء من النعيم ولا يتبعه نفسه ولا يوده حتى قال ابو سليمان الداراني كان عمر بن عبد العزيز
ازهد من اويس القرني لان عمر ملك الدنيا بحذافيرها وزهد فيها ولا ندري حال اويس لو
ملك ما ملكه عمر كيف يكون من جرب كمن لم يجرب وتقدم قول مالك بن دينار انما الزاهد
عمر بن عبد العزيز وقال عبد الله بن دينار لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئا وذكروا
انه امر جارية تروحه حتى ينام فروحته فنامت هي فاخذ المروحة من يدها وجعل يروحها
ويقول اصابك من الحر ما اصابني وقال له رجل جزاك الله عن الاسلام خيرا فقال بل جزى
الله الاسلام عني خيرا ويقال انه كان يلبس تحت ثيابه مسحا غليظا من شعر ويضع
في رقبته غلا اذا قام يصلي من الليل ثم اذا اصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشعر به
احد وكانوا يظنونه مالا او جوهرا من حرصه عليه فلما مات فتحوا ذلك المكان فاذا فيه
غل ومسح وكان يبكي حتى بكى الدم مع الدموع ويقال انه بكى فوق سطح حتى سال دمعه من الميزاب
وكان يأكل من العدس ليرق قلبه وتغزر دمعته وكان اذا ذكر الموت اضطربت اوصاله
وقرأ رجل عنده واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين الاية فبكى بكاء شديدا ثم قام فدخل
منزله وتفرق الناس عنه وكان يكثر ان يقول اللهم سلم سلم وكان يقول اللهم اصلح من كان
في صلاحه صلاح لامة محمد صلى الله عليه وسلم واهلك من كان في هلاكه صلاح لامة محمد
صلى الله عليه وسلم وقال افضل العبادة اداء الفرائض واجتناب المحارم وقال
لولا ان المولى يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم امر نفسه لتواكل الناس الخير
ولذهب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة
وقال الدنيا عدوة اولياء الله واعداء الله اما الاولياء فغمتهم واحزنتهم واما الاعداء
فغرتهم وشتتتهم وابعدتهم عن الله وقال قد افلح من عصم من المراء والغضب والطمع
وقال لرجل من سيد قومك قال انا قال لو كنت كذلك لم تقله وقال ازهد الناس في
الدنيا علي بن ابي طالب وقال لقد بورك لعبد في حاجة اكثر فيها سؤال ربه اعطي او منع
وقال قيدوا العلم بالكتاب وقال لرجل علم ولدك الفقه الاكبر القناعة وكف الاذى وتكلم
رجل عنده فاحسن فقال هذا هو السحر الحلال ونظر اليه ابو حازم مسطولة حين رآه
خليفة وهو قد شحب وجهه من التقشف وتغير حاله فقال له الم يكن ثوبك نقيا ووجهك

وضيا

وضيا وطعامك شهيا ومركبك وطيا فقال له الم تخبرني عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان من ورائكم عقبة كؤودا لا يجوزها الا كل ضامر مهزول ثم بكى حتى
غشي عليه ثم افاق فذكر انه راى في غشيته تلك ان القيامة قد قامت وقد استدعي بكل
من الخلفاء الاربعة فامر بهم الى الجنة ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم ثم دعي هو
فامر به الى الجنة فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من امره فاخبره ثم قال للسائل
فمن انت قال انا الحجاج بن يوسف قتلني ربي بكل قتلة قتلة ثم ها انا انتظر ما ينتظره
الموحدون وفضائله ومآثره كثيرة جدا وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد والمنة وهو حسبنا ونعم
الوكيل

ذكر سبب وفاته رحمه الله تعالى

كان سببها السل وقيل سببها ان مولى له سمه في طعام او شراب واعطي على ذلك الف
دينار فحصل له بسبب ذلك مرض فاخبر انه مسموم فقال لقد علمت يوم سقيت السم
ثم استدعى مولاه الذي سقاه فقال له ويحك ما الذي حملك على ما صنعت فقال الف
دينار اعطيتها فقال هاتها فاحضرها فوضعها في بيت المال ثم قال له اذهب حيث
لا يراك احد فتهلك ثم قيل لعمر تدارك نفسك فقال والله لو ان شفائي ان امسح شحمة
اذني او اوتى بطيب فاشمه ما فعلت فقيل له هؤلاء بنوك وكانوا اثني عشر الا توصي لهم
بشيء فانهم فقراء فقال ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والله لا اعطيهم
حق احد وهم بين رجلين اما صالح فالله يتولى الصالحين واما غير صالح فما كنت لاعينه
على فسقه وفي رواية فلا ابالي في اي واد هلك وفي رواية افادع له ما يستعين به على
معصية الله فاكون شريكه فيما يعمل بعد الموت ما كنت لافعل ثم استدعى باولاده فودعهم
وعزاهم بهذا واوصاهم بهذا الكلام ثم قال انصرفوا عصمكم الله واحسن الخلافة عليكم
قال فلقد راينا بعض اولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرسا في سبيل الله وكان بعض
اولاد سليمان بن عبد الملك مع كثرة ما ترك لهم من الاموال يتعاطى ويسأل من اولاد عمر بن عبد
العزيز لان عمر وكل ولده الى الله عز وجل وسليمان وغيره انما يكلوا اولادهم الى ما يدعون لهم
من الاموال الفانية فيضيعوا وتذهب اموالهم في شهوات اولادهم وقال يعقوب بن سفيان
ثنا ابو النعمان ثنا حماد بن زيد عن ايوب قال قيل لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين
لو اتيت المدينة فان قضى الله موتا دفنت في القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر فقال والله لئن يعذبني الله بكل عذاب الا النار فانه لا صبر لي عليها احب الي من
ان يعلم الله من قلبي اني لذلك الموضع اهل قالوا وكان مرضه بدير سمعان من قرى حمص وكان
مدة مرضه عشرين يوما ولما احتضر قال اجلسوني فاجلسوه فقال الهي انا الذي امرتني
فقصرت ونهيتني فعصيت ثلثا ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقالوا انك
لتنظر نظرا شديدا يا امير المؤمنين فقال اني لارى حضرة ما هم بانس ولا جان ثم قبض
من ساعته وفي رواية انه قال لاهله اخرجوا عني فخرجوا وجلس على الباب مسلمة بن عبد
الملك واخته فاطمة فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه انس ولا جان
ثم قرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين ثم هدأ الصوت فدخلوا عليه فوجدوه قد غمض وسوي الى القبلة وقبض وقال

ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن الدراوردي عن عبد العزيز بن ابي سلمة ان عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة باحسن كتاب فقرؤوها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار فادخلوها بين اكفانه ودفنوها معه وروي نحو هذا من وجه اخر وروى ابن عساكر في ترجمة عبد الصمد بن اسماعيل بسنده عن عمير بن حبيب السلمي قال اسرت انا وثمانية في زمان بني امية فامر ملك الروم بضرب رقابنا فقتل اصحابي وشفع فيّ بطريق من بطارقة الملك فاطلقني له فاخذني الى منزله واذا له ابنة مثل الشمس فعرضها علي وعلى ان يقاسمني نعمته وادخل معه في دينه فابيت ودخلت الي ابنته فعرضت نفسها علي فامتنعت فقالت ما يمنعك من ذلك فقلت يمنعني ديني فلا اترك ديني لامراة ولا لشيء فقالت تريد الذهاب الى بلادك قلت نعم فقالت سر على هذا النجم بالليل واكمن بالنهار فانه يلقيك الى بلادك قال فسرت كذلك قال فبينا انا في اليوم الرابع مكمن اذا بخيل مقبلة فخشيت ان تكون في طلبي فاذا انا باصحابي الذين قتلوا ومعهم اخرون على دواب شهب فقالوا عمير فقلت عمير فقلت لهم اوليس قد قتلتم قالوا بلى ولكن الله عز وجل نشر الشهداء واذن لهم ان يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز قال ثم قال لي بعضهم ناولني يدك يا عمير فاردفني فسرنا يسيرا ثم قذفني قذفة وقعت قريبا من منزلي بالجزيرة من غير ان يكون لحقني شر وقال رجاء ابن حيوة كان عمر بن عبد العزيز قد اوصى الي اذا غسلته وكفنته وادخلته فاذا حللت عقدة الكفن ان انظر في وجهه فادل ففعلت فاذا وجهه مثل القراطيس بياضا وكان قد اخبرني انه كل من دفنه قبله من الخلفاء كان يحل عن وجوههم فاذا هي مسودة وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف بن ماهك قال بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز اذ سقط علينا من السماء كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم امان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار رسالة من طريق ابراهيم بن بشار عن عباد بن عمرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن ماهك فذكره وفيه غرابة شديدة والله اعلم وقد رؤيت له منامات صالحة وتاسف عليه الخاصة والعامة لا سيما العلماء والزهاد والعباد ورثاه الشعراء فمن ذلك ما انشده ابو عمرو الشيباني لكثير عزة يرثي عمر

عمرت صنايعه فعم هلاكه • فالناس فيه كلهم ماجور عمت
والناس ماتم عليه واحد • في كل دار رنة وزفير
يثني عليك لسان من لم توله • خيرا لانك بالثناء جدير
ردت صنايعه عليه حياته • فكانه من نشرها منشور

وقال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

ينعى النعاة امير المؤمنين لنا • يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملت امرا عظيما فاصطبرت له • وسرت فيه بامر الله يا عمرا
الشمس كاسفة ليست بطالعة • تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال محارب بن دثار يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

لو اعظم الموت خلقا ان يواقعه • لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم • كادت تموت واخرى منك تنتظر

يالهف

يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي • على العدول التي تغتالها الحفر
ثلاثة ما رات عيني لهم شبها • تضم اعظمهم في المسجد الحفر
وانت تتبعهم لا تال مجتهدا • سقيا لها سنن بالحق تفتقر
لو كنت املك والاقدار غالبة • تاتي رواحا وتبيانا وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه • بدير سمعان لكن يغلب القدر

قالوا كانت وفاته بدير سمعان من ارض حمص يوم الخميس وقيل الجمعة لخمس مضين وقيل بقين من رجب وقيل لعشر بقين منه سنة احدى وقيل ثنتين ومائة والله اعلم وقال الهيثم بن عدي توفي في جمادى سنة ثنتين ومائة وصلى عليه ابن عمه مسلمة بن عبد الملك وقيل صلى عليه يزيد بن عبد الملك وقيل ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وكان عمره يوم مات تسعا وثلاثين سنة واشهرا وقيل انه جاوز الاربعين باشهر وقيل بسنة وقيل باكثر وقيل انه انما عاش ثلاثا وثلاثين سنة وقيل ست وثلاثين وقيل سبع وثلاثون وقيل ثمان وثلاثون سنة وقيل ما بين الثلاثين الى الاربعين ولم يبلغها وقال احمد عن عبد الرزاق عن معمر مات عمر على راس خمس واربعين سنة قال ابن عساكر وهذا وهم والصحيح الاول يعني تسعا وثلاثين سنة واشهرا وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر واربعة ايام وقيل واربعة عشر يوما وقيل سنتان ونصف وكان رحمه الله اسمر دقيق الوجه حسنه نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين بجبهته اثر شجة وكان قد شاب وخضب رح والله سبحانه اعلم

فصل لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله فقال له عمر ما لي ولك تنح عني انما انا رجل من المسلمين ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس اليه فقال يا ايها الناس اني قد ابتليت بهذا الامر عن غير راي كان مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعتي فاختاروا لانفسكم ولامركم من تريدون فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك لانفسنا وامرنا ورضينا كلنا بك فلما هدات اصواتهم حمد الله واثنى عليه وقال اوصيكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف واكثروا ذكر الموت فانه هادم اللذات فاحسنوا الاستعداد له قبل نزوله وان هذه الامة لم تختلف في ربها ولا في كتابها ولا في نبيها وانما اختلفوا في الدينار والدرهم واني والله لا اعطي احدا باطلا ولا امنع احدا حقا ثم رفع صوته فقال يا ايها الناس من اطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له اطيعوني ما اطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ثم نزل فدخل فامر بالستور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء امر بها فبيعت وادخل اثمانها في بيت المال ثم ذهب يتبوا مقيلا فاتاه ابنه عبد الملك فقال يا امير المؤمنين ماذا تريد ان تصنع قال يا بني اقيل قال تقيل ولا ترد المظالم فقال اني سهرت البارحة في امر سليمان فاذا صليت الظهر رددت المظالم فقال له ابنه ومن لك ان تعيش الى الظهر قال ادن مني اي بني فدنا منه فقبل بين عينيه وقال الحمد لله الذي اخرج من صلبي من يعينني على ديني ثم قام وخرج وترك القائلة وامر مناديه فنادى الا من كان له مظلمة فليرفعها فقام اليه رجل ذمي من اهل حمص فقال يا امير المؤمنين اسالك كتاب الله قال

وما اذا لك قال للعباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني ارضي والعباس جالس فقال له
عمر يا عباس ما تقول قال نعم اقطعنيها امير المومنين الوليد وكتب لي بها سجلا
فقال لعمر ما تقول يا ذمي قال يا امير المومنين اسالك كتاب الله فقال عمر نعم كتاب
الله احق ان يتبع من كتاب الوليد فخر فاردد عليه ضيعته فرد عليه ثم تتابع الناس
في رفع المظالم اليه فما رفعت اليه مظلمة الا ردها سوا كانت في يده او في يد غيره
حتى اخذ اموال بني مروان وغيرهم مما كان في ايديهم بغير استحقاق فاستغاث بنو مروان
بكل احد من اعيان الناس فلم يفدهم ذلك شيا فاتوا عمتهم فاطمة بنت مروان وكانت
عمته فشكوا اليها ما لقوا من عمر وانه قد اخذ اموالهم ويستنقصون عنده وانه
لا يرفع بهم راسا وكانت هذه المراة لا تحجب عن الخلفا ولا ترد لها حاجة وكانوا يكرمونها
ويعظمونها وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة فقامت فركبت اليه فلما دخلت
عليه عظمها واكرمها لانها اخت ابيه والقى لها وسادة وشرع يحادثها فراها غضبى
وهي على غير العادة فقال لها يا عمة ما لك فقالت بنو اخي عبد الملك واولادهم يهانون
في زمانك وولايتك وتاخذ اموالهم فتعطيها لغيرهم ويسبون عندك فلا تنكر
فضحك عمر وعلم انها متحملة وان عقلها قد كبر ثم شرع يحادثها والغضب لا يتغير
عنها فلما راى ذلك منها اخذ في الجد فقال لها يا عمة اعلمي ان النبي صلى الله عليه وسلم مات
وترك الناس على نهر مورود فولي ذلك النهر بعده رجل فلم يستنقص منه
شيا حتى مات ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل اخر فلم يستنقص منه شيا
ثم مات ثم ولي ذلك النهر رجل اخر فكرى منه ساقية ثم لم يزل الناس بعده يكرون
السواقي حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه وايم الله لين ابقاني الله لاردنه الى مجراه
الاول فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط واذا كان الظلم في الاقارب الذين هم بطانة
الوالي والوالي لا يزيل ذلك فكيف يستطيع ان يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم فقالت
فلا يسبوا عندك قال ومن يسبهم انما يرفع الرجل مظلمته فاخذ له بها ذكر ذلك ابن ابي
الدنيا وابو نعيم وغيرهما وقد اشار اليها المولف اشارة خفية وقال مسلمة بن عبد
الملك دخلت على عمر في مرضه فاذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة الا تغسلوا قميص
امير المومنين فقالت والله ما له قميص غيره وبكى عمر وبكت فاطمة وبكى اهل الدار لا
يدري هولا ما ابكى هولا فلما انجلت عنهم العبرة قالت فاطمة ما ابكاك يا امير المومنين
فقال اني ذكرت منصرف الخلايق من بين يدي الله فريق في الجنة وفريق في السعير
ثم صرخ وغشي عليه وعرض عليه مرة مسك من بيت المال فسد انفه حتى رفع فقيل
له في ذلك فقال وهل ينتفع من المسك الا بريحه ولما احتضر دعا باولاده وكانوا بضعة
عشر ذكرا فنظر اليهم فذرفت عيناه ثم قال بنفسي الفتية ثم قال لهم يا بني ان اباكم
مثل نفسه بين امرين بين ان تستغنوا ويدخل ابوكم النار احب اليه من ان تستغنوا
ويدخل النار قوموا عصمكم الله وحفظكم وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيرا بهذه الابيات

يرى مستكينا وهو للهو ماقت • به عن حديث القوم ما هو شاغله •
واشغله علم عن الجهل كله • وما عالم شيا كمن هو جاهله •
عبوس عن الجهال حين يراهم • فليس له منهم خدين يهازله •

تذكر

تذكر ما يبقى من العيش • فاشغله عن عاجل العيش اجله •
وروى ابن ابي الدنيا عن ميمون بن مهران قال دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده
سابق البربري وهو ينشده شعرا فانتهى في شعره الى هذه الابيات •

فكم من صحيح بات للموت امنا • اتته المنايا بغتة بعدما هجع •
فلم يستطع اذ جاءه الموت بغتة • فرارا ولا منه بقوته امتنع •
فاصبح تبكيه النساء مقنعا • ولا يسمع الداعي وان صوته رفع •
وقرب من لحد فصار مقيله • وفارق ما قد كان بالامس قد جمع •
فلا يترك الموت الغني لماله • ولا معدما في المال ذا الحاجة يدع •

وقال رجا بن حيوة لما مات امير المومنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد
الملك بعده في الخلافة اتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال ليزيد يا امير المومنين
ان هذا المرائي يعني عمر بن عبد العزيز قد خان من مال المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر
نفيس ودر ثمين في بيتين في داره مملوءين وهما مقفولان على ذلك الدر والجوهر
فارسل يزيد الى اخته فاطمة بنت عبد الملك امراة عمر بلغني ان عمر خلف جوهرا في بيتين
مقفلة فارسلت اليه يا اخي ما ترك عمر من سبد ولا لبد الا في هذا المنديل وارسلت
اليه به فحله فوجد فيه قميصا غليظا مرقوعا ورداء قشبا وجبة محشوة غليظة
واهية البطانة فقال يزيد للرسول قل لها ليس عن هذا اسال ولا هذا اريد انما
اسال عن البيتين فارسلت تقول له والذي فجعني بامير المومنين ما دخلت
هذين البيتين منذ ولي الخلافة لعلمي بكراهته لذلك وهذه مفاتيحهما فتعال فحول
ما فيهما الى بيت مالك فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح احد البيتين
فاذا فيه كرسي من ادم واربع اجرات مبسوطات عند الكرسي وقمقم فقال عمر بن الوليد
استغفر الله ثم فتح البيت الثاني فوجد فيه مسجدا مفروشا بالحصى وسلسلة معلقة
بسقف البيت فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الانسان راسه فيها الى ان تبلغ
الحلق كان اذا فتر عن العبادة او ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته وربما كان يضعها
اذا نعس لئلا ينام ووجدوا صندوقا مقفلا ففتح فوجد فيه سفطا ففتحه فاذا
فيه دراعة وتبان كل ذلك من مسوح غليظة فبكى يزيد ومن معه وقال يرحمك يا اخي
ان كنت لنقي السريرة نقي العلانية وخرج عمر بن الوليد وهو مخذول وهو يقول
استغفر الله انما قلت ما قيل لي قال رجا ولما احتضر عمر جعل يقول اللهم رضني
بقضايك وبارك لي في قدرك حتى لا احب لما عجلت تاخيرا ولا لما اخرت تعجيلا فلا
زال يقول ذلك حتى مات وكان يقول لقد اصبحت وما لي في الامور هوى الا في مواقع
قضا الله فيها وقال شعيب بن صفوان كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
الى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة اما بعد يا عمر فانه قد ولي الخلافة والملك قبلك
اقوام فماتوا على ما قد رايت ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحفدة والحشم وعالجوا
نزع الموت الذي كانوا منه يفرون فانفقات عيونهم التي كانت لا تفتا لذاتها
واندقت رقابهم غير موسدين بعد لين الوسايد وتظاهر الفرش والمرافق والسرر
والخدم وانشقت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الاموال والاطعمة

وضاءة واحيفا بعد طيب الروائح العطرة حتى لو كانوا الى جانب مسكين ممن كانوا يحقرونه
وهم احياء لتاذى بهم ولتنفر منهم بعدما تفاقم الامر على اغراضهم من الطيب والثياب
الفاخرة اللينة كانوا ينفقون الاموال اسرافا فى اغراضهم واهوائهم ويفترون فى حق
الله وامره فان استطعت ان تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهنون بما
عليهم وانت غير محبوس ولا مرتهن بشيء فافعل واستعن بالله ولا قوة الا به سبحانه

وما ملك عما قليل بسالم • ولو كثرت احراسه ومواكبه
ومن كان ذا باب شديد وحاجب • فعما قليل يهجر الباب حاجبه
وما كان الا الموت حتى تفرقت • الى غيره اعوانه وحبايبه
فاصبح مسرورا به كل حاسد • واسلمه اصحابه وحبايبه

وقيل ان هذه الابيات لغيره وقال ابن ابى الدنيا فى كتاب الاخلاص حدثنا عاصم
بن عامر ثنا ابى عن عبد ربه بن ابى هلال عن ميمون بن مهران قال تكلم عمر بن عبد العزيز
ذات يوم وعنده رهط من اخوانه ففتح له منطق وموعظة حسنة فنظر الى رجل
من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدمع فلما راى ذلك عمر قطع منطقه فقلت له يا امير
المومنين امض فى موعظتك فانى ارجوا ان يمن الله به على من سمعه او بلغه فقال اليك
عنى يا ايوب فان فى القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم والفعال
اولى بالمومن من المقال وروى ابن ابى الدنيا عنه انه قال استعملنا اقواما كنا نرى انهم
ابرارا اخيارا فلما استعملناهم اذا هم يعملون باعمال الفجار قاتلهم الله اما كانوا يمشون
على القبور وروى عبد الرزاق قال سمعت معمرا يذكر قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى
بن ارطاة وبلغه عنه بعض ما يكره اما بعد فانه انما غرنى بك مجالستك القراء وعمتك
السوداء وارسالك لها من وراء ظهرك وانك احسنت العلانية فاحسنا بك الظن
وقد اطلعنا الله على كثير مما تعملون وروى الطبرانى والدارقطنى وغير واحد من اهل
العلم باسانيدهم لعمر بن عبد العزيز انه كتب الى عامل له اما بعد فانى اوصيك بتقوى
الله واتباع سنة رسوله والاقتصاد فى امره وترك ما احدث المحدثون بعده مما قد
جرت سنته وكفوا مؤنته ثم اعلم انها لم تكن بدعة الا وقد مضى قبلها ما هو دليل
على بطلانها او قال دليل عليها فعليك بلزوم السنة فانها لمن قد علم ما فى
خلافها من الزيغ والزلل والحمق والخطاء والتعمق فانهم كانوا على كشف الامور اقوى وعلى العمل
الشديد اشد وانما كان عملهم على الاسد ولو كانوا فيما تحملون لقد سبقتم فضل لكانوا فيه احرى
فانه اجرى انهم هم السابقون الى كل خير فان قلت قد حدث بعدهم خير فاعلم انما احدثه
من قد اتبع غير سبيل المومنين وحاد عن طريقهم ورغب بنفسه عنهم ولقد تكلموا منه
ما يكفى ووصفوا منه ما يشفى فما بين لا ابين ممن دونهم مقصر ومن فوقهم غير محسر ولقد
قصر اقوام دونهم فجفوا وطمح عنهم اخرون فغلوا فرحمة الله على عمر بن عبد العزيز ما احسن
هذا الذى لم يخرج الامر تلبية امتلاءا بالمتابعة ومحبة ما كان عليه الصحابة فمن الذى
يستطيع ان يقول مثل هذا من الفقها وغيرهم رحمه الله وعفى عنه وروى الخطيب البغدادى
من طريق يعقوب بن سفيان الحافظ عن سعيد بن ابى مريم عن رشدين بن سعد قال حدثنى
عقيل عن ابن شهاب عن عمر بن عبد العزيز قال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه

من بعده

من بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دينه
ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى راى من خالفها فمن اقتدى بما
سبقوا اهتدى ومن استبصر بها ابصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين ولاه
الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وامر عمر بن عبد العزيز مناديه ان ينادى
فنادى فى الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فخطبهم فقال فى خطبته انى لم اجمعكم
انا المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الاخرة ولم يعمل لذلك ويستعد له
احمق والمكذب له كافر ثم تلا قوله تعالى الا انهم فى مرية من لقاء ربهم وقوله وما يومن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون وروى ابن ابى الدنيا عنه انه ارسل اولاده مع مودب
لهم الى الطايف يعلمهم هناك فكتب اليه عمر بئس ما عملت اذ قدمت امام المسلمين صبيانا
لم يعرفوا النية او لم تدخلهم النية ذكره فى كتاب النية له وروى ابن ابى الدنيا فى كتاب
الرقة والبكا عن مولى لعمر بن عبد العزيز انه قال له يا بنى ليس الخير ان يسمع لك فتطاع
وانما الخير ان تكون قد عقلت عن ربك عز وجل ثم اطعته يا بنى لا تاذن اليوم لاحد على
حتى اصبح ويرتفع النهار فانى اخاف ان لا اعقل عن الناس ولا يفهمون عنى فقال له ابنه
البارحة بكيت بكاء ما رايتك بكيت مثله قال فبكى ثم بكى قال يا بنى انى والله ذكرت
الوقوف بين يدى الله عز وجل قال ثم غشى عليه فلم يفق حتى علا النهار قال فما رايته
بعد ذلك متبسما حتى مات وقرا ذات وما تكون فى شان وما تتلوا منه من قران ولا
تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا الاية فبكى بكاء شديدا حتى سمع اهل الدار فجاءت
فاطمة فجلست تبكى لبكائه وبكى اهل الدار لبكائهما فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم
وهم على تلك الحال فقال يا ابة ما يبكيك فقال يا بنى خير ود ابوك انه لم يعرف الدنيا
ولم تعرفه والله يا بنى لقد خشيت ان اهلك وان اكون من اهل النار وروى ابن ابى الدنيا عن
عبد الاعلى بن ابى عبد الله العنبرى قال رايت عمر بن عبد العزيز خرج يوم جمعة فى ثياب
دسمة ووراءه حبشى يمشى فلما انتهى الى الناس رجع الحبشى فكان عمر اذا انتهى الى الرجلين
قال هكذا رحمكما الله حتى صعد المنبر يخطب فقرا اذا الشمس كورت فقال
وما شان الشمس واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت فبكى وبكى اهل المسجد وارتج
المسجد بالبكاء حتى رايت حيطان المسجد تبكى معه ودخل عليه اعرابى فقال
يا امير المومنين جاءت بى اليك الحاجة وانتهيت الى الغاية والله سايلك عنى فبكى
عمر وقال له كم انتم قال انا وثلاث بنات لى ففرض له على ثلاثماية وفرض لبناته
ماية ماية واعطاه مائة درهم من ماله وقال له اذهب فاستنفقها حتى تخرج
اعطيات المسلمين فتاخذ معهم وجاءه رجل من اهل اذربيجان فقام بين يديه
وقال يا امير المومنين اذكر بمقامى هذا بين يديك مقامك غدا بين يدى الله حيث
لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلايق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل
ولا براءة من الذنب قال فبكى عمر بكاء شديدا ثم قال له ما حاجتك فقال ان عاملك
باذربيجان عدا على فاخذ منى اثنى عشر الف درهم فجعلها فى بيت المال فقال
عمر اكتبوا له الساعة الى عاملها فليرد عليه ثم ارسله مع البريد وعن زياد مولى
ابن عياش قال دخلت على عمر بن عبد العزيز فى ليلة باردة شاتية فجعلت اصطلى

على كانون منها فنحا عمر وهو امير المومنين فجلس يصطلي معي على ذلك الكانون فقال
لي زياد قلت نعم يا امير المومنين قال قص علي قلت ما انا بقاص فقال تكلم فقلت
زياد فقال له ما له فقلت لا ينفعه من دخل الجنة اذا دخل النار ولا يضره من دخل
النار اذا دخل الجنة فقال صدقت ثم بكى حتى اطفا الجمر الذي في الكانون وقال
له زياد العبدي يا امير المومنين لا تحمل نفسك في الوصف واعملها في المخرج مما وقعت
فيه فلو ان كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما انت
فيه ثم قال له زياد يا امير المومنين اخبرني عن رجل له خصم الد ما حاله قال سيء الحال
قال فان كان خصمين الدين قال فهو اسوا حالا قال فان كانوا ثلاثة قال اذا لا حيث
لا يهنيه عيش قال فوالله يا امير المومنين ما احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم
الا وهو خصمك قال فبكى عمر حتى تمنيت اني لم اكن حدثته ذلك وكتب عمر بن عبد العزيز
الى عدي بن ارطاة واهل البصرة اما بعد فان في الناس من شاب في هذا الشراب يغشون
عنده امورا يستحلونها عند ذهاب عقولهم وسفه احلامهم يستحلوا لهم الدم الحرام
وارتكبوا فيها الفروج الحرام والمال الحرام وقد جعل الله عن ذلك مندوحة من اشربه حلالا
من الانبذة فلا ينتبذ الا في اسقية الادم واستغنوا بما احل الله عما حرم فانا من وجدناه
شرب شيئا مما حرم الله بعدما تقدمنا اليه اوجعناه عقوبة شديدة ومن استخفى
بما حرم الله عليه فالله اشد عقوبة له واشد تنكيلا

خلافة يزيد بن عبد الملك

بويع له بعهد من اخيه سليمان بن عبد الملك ان يكون ولي الامر من بعد عمر بن عبد العزيز
فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة اعني سنة احدى ومائة بايعه الناس البيعة العامة
وعمره اذ ذاك تسع وعشرون سنة فعزل في رمضان منها عن امرة المدينة ابا بكر بن محمد
بن عمرو بن حزم وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس فجرت بينه وبين
ابي بكر بن حزم منافسات وضغائن حتى الامر الى ان استدرك عليه حكومة فحده حدين
فيها وفيها كانت وقعة بين الخوارج وهم اصحاب بسطام الخارجي وبين جند الكوفة وكانت
الخوارج جماعة قليلة وكان جيش الكوفة نحوا من عشرة الاف فارس وكادت الخوارج ان
تكسرهم فتذامروا فيما بينهم فطحنوا الخوارج طحنا عظيما وقتلوهم عن اخرهم فلم يبقوا
منهم ثايرة وفيها خرج يزيد بن المهلب فخلع يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة
وذلك بعد محاصرة طويلة وقتال طويل فلما ظهر عليها بسط العدل في اهلها وبذل
الاموال وحبس عاملها عدي بن ارطاة لانه كان قد حبس ال المهلب الذين كانوا بالبصرة
حين هرب يزيد بن المهلب من محبس عمر بن عبد العزيز كما ذكرنا ولما ظهر على قصر الامارة اتي
بعدي بن ارطاة فدخل عليه وهو يضحك فقال له يزيد بن المهلب اني لا اتعجب من
ضحكك لانك هربت من القتال كما تهرب النساء وانك جيتني وانت تتل كما يتل العبد
فقال له عدي اني لاضحك لان بقائي بقاء لك وان من ورائي طالبا لا يتركني قال ومن
هو قال جنود بني امية بالشام لا يتركونك فتدارك نفسك قبل ان يرمى اليك البحر
فتطلب الاقالة فلا تقال فرد عليه يزيد جوابا ما قال ثم سجنه كما سجن اهله واستقر
امر يزيد بن المهلب بالبصرة وبعث نوابه في النواحي والجهات واستناب في الاهواز وارسل

اخاه

اخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان ومعه جماعة من المقاتلة فلما بلغ خبره
الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن اخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في اربعة
الاف مقدمة بين يدي عمه مسلمة بن عبد الملك وهو في جنود الشام قاصدين
البصرة لقتاله ولما بلغ يزيد بن المهلب مخرج الجيوش اليه خرج من البصرة واستناب
عليها اخاه مروان بن المهلب وجاء حتى نزل واسط واستشار من معه من الامراء فيما
ذا يعتمده فاختلفوا عليه في الراي فاشار عليه بعضهم ان يسير الى الاهواز ليتحصن
في روس الجبال فقال انما تريدون ان تجعلوني طايرا في راس جبل واشار عليه رجال
اهل العراق ان يسير الى الجزيرة فينزل بها باحصن حصن فيها ويجتمع عليه اهل الجزيرة
فيقاتل بهم اهل الشام واستهلت هذه السنة وهو نازل بواسط وجيش الشام قاصدوه
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس امير المدينة وعلى مكة عبد
العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن
الخطاب وعلى قضائها عامر الشعبي وعلى المشرق يزيد بن المهلب قد استحوذ عليها
وخلع يزيد بن عبد الملك وفيها توفي مع عمر بن عبد العزيز ربعي بن حراش كان له ابنان
عاصيان على الحجاج بن يوسف فقيل للحجاج ان اباهما لم يكذب كذبة قط فلو ارسلت
اليه لاخبرك بمكانهما فارسل اليه ابن ابناك فقال هما في البيت فقال له الحجاج
قد عفونا عنهما لصدقك وقال الحارث الغنوي الى ربعي بن حراش على نفسه ان لا يضحك
حتى يعلم اهو في الجنة ام في النار قال فلقد اخبرني غاسله انه لم يزل متبسما
على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه وقال ربعي كنا اخوة ثلاثة وكان اعبدنا
الاوسط فغبت ثم قدمت فقالوا ادرك اخاك فانه في الموت فانتهيت اليه وقد
قضى وسجي بثوب فقعدت عنده فرفع الثوب عن وجهه وقال السلام عليكم فقلت
اي اخي احياة بعد الموت قال اني لقيت ربي فلقيني بروح وريحان ورب غير غضبان
وانه كساني ثيابا خضرا من سندس واستبرق واني وجدت الامر ايسر مما تظنون ثلاثا
فاعملوا ولا تغتروا والثانية اني لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسم ان لا يبرح
حتى اتيه فعجلوا جهازي ثم طفي من ساعته كان ربعي بالكوفة في هذه السنة الى ابو
صالح السمان كان عابدا صالحا ثقة ثبتا وقد ترجمناه في كتابنا التكميل والله سبحانه اعلم

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

ففيها كان اجتماع مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب وذلك ان يزيد بن المهلب
ركب من واسط واستخلف عليها ابنه معاوية وسار نحو الجيش وبين يديه اخوه عبد
الملك بن المهلب حتى بلغ مكانا يقال له العقر وانتهى اليه مسلمة بن عبد الملك في جنود
لا قبل ليزيد بها وقد التقت المقدمتان اولا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اهل
البصرة اهل الشام ثم تذامر اهل الشام فحملوا على اهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة
من الشجعان منهم المنتوف وكان شجاعا مشهورا وكان من موالي بكر بن وايل فقال
في ذلك الفرزدق

تبكي على المنتوف بكر بن وايل • وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

فاجابه الجعد بن درهم مولى الثوريين من همدان وهذا الرجل هو الجهمية وهو الذي

ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الاضحى نفيا للجعد •

• نبكي على المنتوف في نصر قومه • ولسنا نبكي الشانئين اباهما •
• اراد فناء الحي بكر بن وائل • لعز تميم لو اصيبت فناهما •
• فلا لقيا روح الاله ساعة • ولا رقأت عينا شجي بكاهما •
• الى العين نبكي ان بكينا عليهم • وقد لقيا بالعيش نيرانا دائما •

ولما اقترب مسلمة وابن اخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب خطب يزيد بن المهلب الناس وحرضهم على القتال ليعينوا على قتال اهل الشام وكان مع يزيد نحو من مائة الف وعشرين الفا قد بايعوه على السمع والطاعة وعلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى ان لا يطأ الجنود بلادهم وعلى ان لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج ومن بايعنا على ذلك قبلنا منه ومن خالفنا قاتلناه وكان الحسن البصري في هذه الايام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة وينهاهم اشد النهي وذلك لما وقع من الشر الطويل العريض في ايام ابن الاشعث وما قتل بسبب ذلك من النفوس العديدة وجعل الحسن يخطب الناس ويعظهم في ذلك ويامرهم بالكف فبلغ ذلك نائب البصرة عبد الملك بن المهلب فقام في الناس خطيبا فامرهم بالجد والجهاد والنفير الى القتال ثم قال ولقد بلغني ان هذا الشيخ الضال المرائي ولم يسمه يثبط الناس عنا اما والله ليكفن عن ذلك او لنفعلن ولا نفعلن وتوعد الحسن فلما بلغ الحسن قوله قال اما والله ما اكره ان يكرمني الله بهوانه فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم وذلك ان الجيوش لما تواجهت تبارز الناس قليلا ولم ينشب الحرب شديدا حتى فر اهل العراق سريعا وبلغهم ان الجسر الذي جاءوا عليه قد حرق فانهزموا فقال يزيد بن المهلب ما بال الناس ولم يكن من الامر ما يفر من مثله فقيل له انه بلغهم ان الجسر قد حرق فقال لعنهم الله ثم رام ان يرد المنهزمين فلم يمكنه ذلك فثبت في عصابة من اصحابه وجعل بعضهم يتسللون منه حتى بقي في شرذمة منهم قليلة وهو مع ذلك يسير قدما لا يمر بخيل الا هزمهم واهل الشام يتحازون عنه يمينا وشمالا وقد قتل قبله اخوه حبيب ابن المهلب فازداد حنقا وغضبا وهو على فرس له اشهب ثم قصد نحو مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره فلما واجهه حملت عليه خيول الشام فقتلوه وقتلوا معه اخاه محمد بن المهلب وقتلوا السميدع وكان من الشجعان وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له القحل بن عياش فقتل الاخر يزيد بن المهلب وجاءوا براس يزيد الى مسلمة بن عبد الملك فارسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى اخيه امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك واستحوذ مسلمة على ما في معسكر يزيد بن المهلب واسر منهم نحوا من ثلثمائة فبعث بهم الى الكوفة وبعث الى اخيه فيهم فجاء كتابه بقتلهم وسار مسلمة فنزل الحيرة ولما انتهت هزيمة بني المهلب الى ابنه معاوية بن يزيد وهو بواسط عمد الى نحو من ثلثين اميرا في يده فقتلهم منهم نائب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عدي بن ارطاة رحمه الله وابنه محمد ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وجماعة من الاشراف ثم اقبل حتى اتى البصرة ومعه الخزائن من الاموال وجاء عمه المفضل بن المهلب اليه فاجتمع آل المهلب بالبصرة فاعدوا السفن وتجهزوا اتم الجهاز واستعدوا للهرب فساروا بعيالاتهم

وانتقالهم

وانتقالهم حتى اتوا جبال الكرمان فنزلوها واجتمع عليهم جماعة ممن فل من الجيش الذي كان مع يزيد بن المهلب وقد امروا عليهم المفضل بن المهلب فارسل مسلمة جيشا عليهم هلال بن احوز المازني في طلب آل المهلب فلحقهم بجبال الكرمان فاقتتلوا هنالك قتالا شديدا فقتل جماعة من اصحاب المفضل بن المهلب واسر جماعة من اشرافهم وانهزم بقيتهم ثم لحقوا المفضل فقتلوه وحمل راسه الى مسلمة بن عبد الملك واقبل جماعة من اصحاب يزيد بن المهلب فاخذوا لهم امانا من امير الشام منهم مالك بن ابراهيم الاشتر النخعي ثم ارسلوا بالاثقال والاموال والنساء والذرية فوردت على مسلمة بن عبد الملك ومعهم راس المفضل وراس عبد الملك ابن المهلب فبعث مسلمة بالرؤس وتسعة من الصبيان الاحداث الحسان الى اخيه يزيد فامر بضرب اعناق اولئك ونصبت رؤسهم بدمشق ثم ارسلها الى حلب فنصبت بها وحلف مسلمة بن عبد الملك ليبيعن ذراري آل المهلب فاشتراهم بعض الامراء ابرارا لقسمه بمائة الف فاعتقهم وخلى سبيلهم ولم ياخذ مسلمة من ذلك الامير شيئا وقد رثى الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكرها ابن جرير

ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان

وذلك انه لما فرغ من حرب آل المهلب كتب اليه اخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة فاستناب على الكوفة وعلى البصرة وبعث الى خراسان ختنه زوج ابنته سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن ابي العاص الملقب بخذينة فسار اليها فحرض اهلها على الصبر والشجاعة وعاقب عمالا ممن كان ينوب لابن المهلب واخذ منهم اموالا جزيلة ومات بعضهم تحت العقوبة

ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين

وذلك ان خاقان الملك الاعظم ملك الترك بعث جيشا الى الصغد لقتال المسلمين عليهم رجل منهم يقال له كورصول فاقبل حتى نزل على قصر الباهلي فحصره وفيه خلق من المسلمين فصالحهم نائب سمرقند وهو عثمان بن عبد الله بن مطرف على اربعين الفا ودفع اليهم سبعة عشر رهينا من عندهم ثم ندب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له المسيب بن بشر الرياحي في اربعة الاف فسار نحو الترك فلما كان ببعض الطريق خطب الناس فحثهم على القتال واخبرهم انه ذاهب الى الاعداء لطلب الشهادة فرجع عنه اكثر من الف ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ويرجع عنه بعضهم حتى بقي في سبع مائة مقاتل فسار بهم حتى غالق جيش الاتراك وهم محاصرون لذلك القصر وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل نسائهم وذبح اولادهم امامهم ثم ينزلون فيقاتلون حتى يقتلوا عن اخرهم فبعث اليهم المسيب يثبتهم يومهم ذلك فثبتوا ومكث المسيب حتى اذا كان وقت السحر كبر وكبر اصحابه وقد جعلوا شعارهم يا محمد ثم حملوا على الترك حملة صادقة فقتلوا منهم خلقا كثيرا وعقروا دواب كثيرة ونهض اليهم الترك فقاتلوهم قتالا شديدا حتى فر اكثر المسلمين وضربت دابة المسيب في عجزها فترجل عنها وترجل معه الشجعان فقاتلوا وهم كذلك قتالا عظيما والتفت الجماعة بالمسيب وصبروا حتى فتح الله عليهم وفر المشركون بين ايديهم ما بين لا يلوون على شيء وقد كان الاتراك

في غاية الكثرة فنادى منادي المسيب ان لا تتبعوا احدا منهم وعليكم بالقصر واهله فاحتملوهم وحازوا ما في معسكر اولئك الاتراك من الاموال والاشياء النفيسة وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين وجاءت الترك من الغد الى القصر فلم يجدوا به داعيا ولا مجيبا فقالوا في انفسهم هولاء الذين لقونا بالامس لم يكونوا انسا انما كانوا جنا ثم ان سعيدا الملقب خذينة غزا بلاد الصغد وذلك لانهم عانوا الكفار على المسلمين في هذه الغزوة التي ذكرناها فسار اليهم فقاتلهم قتالا شديدا حتى نصره الله عليهم وولوا مدبرين واخذ منهم اموالا جزيلة وقبض ما كان لهم من الاموال والحواصل وفيها عزل امير المومنين يزيد بن عبد الملك اخاه مسلمة عن امرة العراق وخراسان وذلك لانه كان لا يصرف اموال الغنيمة فيما يريد ولم يصرف الى الخليفة يزيد شيئا في هذه المدة وطمع في اخيه فعزله عنها وولى عليها بدله عمر بن هبيرة على العراق وخراسان وحج بالناس فيها امير المومنين المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس

وفيها توفي عدي بن ارطاة الفزاري

نائب عمر بن عبد العزيز على البصرة وهو الذي قبض على يزيد بن المهلب وبعث به مقيدا الى عمر بن عبد العزيز فلما قدم عليه امر بسجنه فلما مضى عمر هرب من السجن فلما توفي عمر ظهر يزيد بن المهلب ونصب رايات سود وطلب البصرة وملكها وجرت له فصول قد ذكرها ابن جرير ثم ان معاوية بن يزيد بن المهلب لما بلغه قتل ابيه اخرج عدي بن ارطاة هذا من الحبس وقتله وقتل معه جماعة نحو ثلثين انسانا يزيد ابن المهلب كان من الشجعان المشهورين وله فتوحات كثيرة وكان جوادا ممدحا له اخبار في الكرم والشجاعة واخر امره انه قتل وقتل من اخوته واولاده جماعة واخذت امواله ونساوه واولاده ومن الطف ما كان فيه وقد كانوا اخوة ثمانية يقال لهم ال المهلب ابن ابي صفرة وقد جمعوا شيئا كثيرا من الاموال والجواهر ثم افادهم ذلك شيئا بل سلبوا ذلك جميعه قال وممن توفي فيها من الاعيان والسادة الضحاك بن مزاحم الهلالي ابو القاسم ويقال ابو محمد الخراساني كان يكون ببلخ وسمرقند ونيسابور وهو تابعي جليل روى عن انس وابن عباس وابن عمر وابي هريرة وجماعة من التابعين وقيل انه لم يصح له من الصحابة حتى ولا من ابن عباس رواية وان كان قد روي عنه انه جاوره سبع سنين وكان الضحاك اماما في التفسير قال الثوري خذوا التفسير عن اربعة مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقال الامام احمد هو ثقة وانكر شعبة سماعه من ابن عباس وقال انما اخذ عن سعيد عنه وقال ابن سعيد القطان كان ضعيفا وذكره ابن حبان في الثقات وقال لم يشافه احدا من الصحابة ومن قال انه لقي ابن عباس فقد وهم وحملت به امه سنتين ووضعته وله اسنان وكان يعلم الصبيان حسبة وقيل انه مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة والله اعلم كان الضحاك اذا امسى بكى فقال له لم تبكي فيقول لا ادري ما صعد الى الله اليوم من عملي ابو المتوكل الناجي اسمه علي بن البصري تابعي جليل ثقة رفيع القدر ثقات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

فيها

ففيها عزل امير العراق وهو عمر بن هبيرة سعيدا الملقب خذينة عن نيابة خراسان وولى عليها سعيد بن عمرو الحرشي باذن امير المومنين وكان سعيد هذا من الابطال المشهورين فانزعج له الترك وخافوه خوفا شديدا وتقهقروا من بلاد الصغد الى ما وراء ذلك من بلاد الصين وغيرها وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس بين امرة المدينة وامرة مكة وولى عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي نيابة الطايف وحج بالناس فيها امير الحرمين عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس

وممن توفي فيها من الاعيان يزيد بن ابي مسلم

ابو العلا المدني بن يسار الهلالي ابو محمد القاص المدني مولى ميمونة وهو اخو سليمان وعبد الله وعبد الملك وكلهم تابعي وروى عن هولاء عن جماعة من الصحابة وثقه غير واحد من الايمة وقيل انه توفي سنة ثلث واربع ومائة وقيل توفي قبل المائة بالاسكندرية وقد جاوز الثمانين والله اعلم • مجاهد بن جبر المكي ابو الحجاج القرشي المخزومي مولى السائب بن ابي السائب المخزومي احد ايمة التابعين والمفسرين كان من اخصا اصحاب ابن عباس وكان اعلم اهل زمانه بالتفسير حتى قيل انه لم يكن احد يريد بالعلم وجه الله الا مجاهد وطاوس وقال مجاهد اخذ ابن عمر بركابي وقال وددت ان ابني سالما وغلامي نافعا يحفظان حفظك وقيل انه عرض القران على ابن عباس ثلثين مرة وقيل مرتين اقفه عند كل اية واساله عنها مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة وقيل احدى وقيل ثنتين وقيل ثلث ومائة وقيل اربع ومائة وقد جاوز الثمانين والله اعلم انتهى ما ذكره المولف في ترجمة مجاهد

فصل اسند مجاهد عن اعلام الصحابة وعلمايهم عن ابن عمر وابن عباس وابي هريرة وابي سعيد ورافع بن خديج وعن خلق من التابعين قال الطبراني ثنا اسحاق بن ابراهيم انا عبد الرزاق عن ابي بكر بن عياش قال اخبرني ابو يحيى انه سمع مجاهدا يقول قال لي ابن عباس لا تنامن الا على وضوء فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه وروى الطبراني عنه انه قال في قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن قال يسلم عليه اذا لقيه وقيل هي المصافحة وروى عمرو بن مرة عنه قال اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام اتق لا ياخذك الله على ذنب لا ينظر فيه اليك فتلقاه حين تلقاه وليست لك حجة وروى ابن ابي شيبة عن ابي اسامة عن الاعمش عن مجاهد قال كان بالمدينة اهل بيت ذوي حاجة عندهم راس شاة فاصابوا شيئا فقالوا لو بعثنا بهذا الراس الى من هو احوج اليه منا قال فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع الى اصحابه الذين خرج من عندهم اولا وروى ابن ابي شيبة عن ابي الاحوص عن منصور عن مجاهد قال ما من مومن يموت الا بكى عليه السماء والارض اربعين صباحا وقال فلانفسهم يمهدون قال في القبر وروى الاوزاعي عن عبدة بن ابي لبابة عن مجاهد قال كان يحج من بني اسرائيل مائة الف فاذا بلغوا انصاب الحرم خلعوا نعالهم ثم دخلوا الحرم حفاة وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك قال اطيلي الركود وروى عن الثوري ابن ابي ليلى عن مجاهد نذكره وروى الثوري عن منصور عن مجاهد واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال المزامير وقال في قوله تعالى انكالا وجحيما قال قيود وقال في قوله لا حجة بيننا وبينكم قال

لاخصومة وقال ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال عن كل لذة في الدنيا وروى ابو
الربيع عن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد قال رن ابليس اربع رنات حين
لعن وحين اهبط وحين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحين انزلت الحمد لله رب العالمين
وانزلت بالمدينة وكان يقال الرنة والنخرة من الشيطان فلعن من رن او نخر
وروى ابن ابي نجيح عنه في قوله اتبنون بكل ريع اية تعبثون قال بروج الحمام وقال
في قوله انفقوا من طيبات ما كسبتم قال التجارة وروى ليث عن مجاهد ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا فلم يشركوا حتى ماتوا وروى يحيى بن سعيد
عن سفيان عن ابن ابجر عن طلحة بن مصرف عن مجاهد ولم يكن له كفوا احد قال
صاحبة وقال ليث عن مجاهد قال النملة التي كلمت سليمان كانت مثل الذيب العظيم
وروى الطبراني عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال كان الغلام من قوم عاد لا يحتلم حتى
يبلغ مايتي سنة وقال في سال سائل بعذاب واقع وفي قوله ماء غدقا لنفتنهم فيه قال
حتى يرجعوا الى علمي فيه لا يشركون بي شيا قال لا يحبون غيري الذين يمكرون السيات
قال هم المراوون وفي قوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قال
هم الذين لا يدرون انعم الله عليهم ام لم ينعم عليهم وذكرهم بايام الله بنعمه ونقمه
فردوه الى الله والرسول قال الى كتاب الله والى رسوله ما دام حيا فاذا مات فالى سنته
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال اما الظاهرة فالاسلام والقران والرسول
والرزق واما الباطنة ما ستر من العيوب والذنوب وروى الحكم عن مجاهد قال
لما قدمت ملكة سبا على سليمان عليه السلام رات حطبا جزلا فقالت لغلام
سليمان هل يعرف مولاك كم وزن دخان هذا الحطب فقال الغلام دعي مولاي انا
اعرف كم وزن دخانه فكيف مولاي قالت فكم وزنه قال الغلام يوزن الحطب ثم
يحرق الحطب ويوزن رماده فما نقص فهو دخانه وفي قوله ومن لم يتب فاوليك
هم الظالمون قال من لم يتب اذا اصبح واذا امسى فهو من الظالمين وقال ما من يوم ينقضي
من الدنيا الا قال ذلك اليوم الحمد لله الذي اراحني من الدنيا واهلها ثم يطوى عليه فيختم
الى يوم القيمة حتى يكون الله عز وجل هو الذي يفض خاتمه وفي قوله يوتي الحكمة من يشاء
قال العلم والفقه وقال واولي الامر منكم قال العلما والفقها وفي قوله تعالى ولا تتبعوا
السبل قال البدع والشبهات وقال افضل العبادة الراي الحسن يعني اتباع السنة
وقال ما ادري اي النعمتين افضل ان هداني للاسلام او عافاني من الاهوا وقال في رواية
اولوا الامر منكم قال اصحاب محمد وربما قال اولي العقل والفقه في دين الله عز وجل
ما صنعوا قارعة قال السرية ويخلق ما لا تعلمون قال السوس في الثياب ومن العظم
سنى قال الاضراس حفيا قال رحيما وروى عبد الله بن احمد بن حنبل قال وجدت في كتاب
محمد بن ابي حاتم بخط يده ثنا بشر بن الحرث ثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الاسود عن
مجاهد قال لو ان رجلا انفق مثل احد في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين وفي
قوله تعالى وهو شديد المحال قال العداوة بينهما برزخ لا يبغيان قال بينهما حاجز
من الله فلا يبغي الحلو على المالح ولا المالح على الحلو وقال ابن منده ذكر محمد بن حميد ثنا
عبد الله بن عبد القدوس عن الاعمش قال كان مجاهد لا يسمع باعجوبة الا ذهب فنظر

اليها قال وذهب الى حضرموت الى بير برهوت قال وذهب الى بابل قال وعليها
والي صديق لمجاهد فقال لمجاهد تعرض على هاروت وماروت قال فدعا رجلا من
السحرة فقال اذهب بهذا فاعرض عليه هاروت وماروت فقال اليهودي بشرط
ان لا تدعوا الله عندهما قال مجاهد فذهب بي الى قلعة فقطع منها حجرا ثم قال خذ
برجلي فهوى به حتى انتهى الى جوبة فاذا هما معلقين منكسين كالجبلين العظيمين فلما
رايتهما قلت سبحان الله خالقكما قال فاضطربا قال فكان جبال الدنيا قد تدكدكت
قال فغشي علي وعلى اليهودي ثم افاق اليهودي قبلي فقال قد كدت ان تهلك نفسك
وتهلكني وروى ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال يوتى يوم القيمة بثلثة نفر بالغني
والمريض والمملوك العبد قال فيقول الله عز وجل للغني ما شغلك عن عبادتي التي اعنا
خلقتك لها فيقول يا رب اكثرت لي من المال فطغيت فيوتى بسليمان عليه السلام
في ملكه فيقول له انت كنت اكثر مالا واشد شغلا ام هذا قال فيقول بل هذا يا رب
فيقول الله له فان هذا لم يمنعه ما اوتي من الملك والمال ان يشتغل عن عبادتي
قال ويوتى بالمريض فيقول ما منعك من عبادتي التي خلقتك لها فيقول يا رب شغلني
عن هذا مرض جسدي فيوتى بايوب عليه السلام في ضره وبلايه فيقال له انت كنت
اشد ضرا ومرضا ام هذا فيقول بل هذا فيقول فان هذا لم يشغله ضره ومرضه عن عبادتي
ثم يوتى بالمملوك فيقال له ما منعك عن عبادتي التي خلقتك لها فيقول رب
فضلت علي اربابا املكوني وشغلوني عن عبادتك فيوتى بيوسف الصديق عليه السلام
في رقه وعبوديته فيقال له انت اشد رقا وعبودية ام هذا فيقول لا بل هذا فيقول
فان هذا لم يشغله ما كان فيه من الرق عن عبادتي وروى حميد عن الاعرج عن مجاهد قال
كنت اصحب ابن عمر في السفر فاذا اردت ان اركب مسك ركابي فاذا ركبت سوى علي ثيابي
قال فجيته مرة كاني كرهت ذلك فقال يا مجاهد انك لضيق الخلق وفي رواية صحبت ابن
عمر وانا اريد ان اخدمه فكان يخدمني وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا الثوري عن رجل
عن مجاهد قال جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شا وجعل له اعوان
يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم وقال لما هبط ادم الى الارض قال له ابن للخراب
وَلِد للفنا وروى قتيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد ويلعنهم اللاعنون قال
تلعن عصاة بني ادم دواب الارض وما شا الله حتى الحيات والعقارب قال يقولون
منعنا القطر بذنوب بني ادم وقال غيره تسلط الحشرات على العصاة في قبورهم لما كان
ينالهم من الشدة بسبب ذنوبهم فتلك الحشرات من العقارب والحيات هي السيات
التي كانوا يعملونها في الدنيا ويستلذون بها صارت عذابا عليهم نسال الله العافية
وقال ان الانسان لربه لكنود قال لكفور وقال الامام احمد ثنا عمرو بن سليمان حدثني مسلم
ابو عبد الله عن ليث عن مجاهد قال من لم يستحي من الحلال خفت مونته واراح نفسه
وقال عمرو بن مرزوق ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فظن ان لن نقدر عليه ان لن نعاقبه
بذنبه وبهذا الاسناد قال لم اكن احسن ما الزخرف حتى سمعتها في قراة عبد الله بيتا
من ذهب وقال قتيبة بن سعيد ثنا خلف بن خليفة عن ليث عن مجاهد ان الله عز
وجل ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده قال وبلغني ان عيسى عليه السلام كان يقول

طوبى للمؤمن كيف يخلفه الله فيمن ترك بخير وقال الفضيل بن عياض عن عبيد المكتب عن
مجاهد في قوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب الاوصال التي كانت بينهم في الدنيا وروى
سفيان بن عيينة عن سفيان الثوري عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله لا يرقبون في مؤمن
إلّا ولا ذمة قال الإلّ الله عز وجل وقال في قوله بقيت الله خير لكم طاعة الله عز وجل وفي
قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال هو الذي يذكر الله عند الهم بالمعاصي وقال الفضيل
بن عياض عن منصور عن مجاهد سيماهم في وجوههم قال الخشوع وفي قوله وقوموا لله قانتين
قال القنوت الركود والخشوع وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله وكان العلماء اذا
قام احدهم في الصلاة هاب الرحمن ان يشد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء
او يحدث نفسه بشيء من الدنيا الا ناسيا ما دام في صلاته وقال عبد الله بن احمد بن حنبل
ثنا ابو معمر ثنا ابن ادريس حدثني عقبة بن اسحاق واثنى عليه خيرا ثنا الليث عن مجاهد قال
كنت اذا رايت العرب استخففتها فاذا فتشتها وجدتها ناسا وراديتها واذا دخلوا
في الصلاة فكانما اجساد ليست فيها ارواح وروى الاعمش عنه قال انما القلب بمنزلة
الكف فاذا اذنب الرجل ذنبا قبض هكذا او ضم الخنصر حتى قبض اصابعه كلها اصبعا اصبعا
قال ثم يطبع عليه فكانوا يرون ان ذلك الران قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم وروى
قبيصة عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
قال الذنوب تحيط بالقلوب كالحائط المبني على الشيء المحيط به كلما عمل ذنبا ارتفعت
حتى يغشى القلب حتى تكون هكذا ثم قبض يده ثم قال هو الران وفي قوله بما قدم واخر
قال اول عمل العبد واخره والى ربك فارغب قال اذا فرغت من امر الدنيا فقمت الى
الصلاة فاجعل رغبتك اليه ونيتك له وعن منصور عن مجاهد النفس المطمئنة قال
هي النفس التي ايقنت ان الله ربها وضربت جاشا لامره وطاعته وروى عبد الله بن
المبارك عن ليث عن مجاهد قال ما من ميت يموت الا عرض عليه اهل مجلسه ان كان من
اهل الذكر فمن اهل الذكر وان كان من اهل اللهو فمن اهل اللهو وقال احمد ثنا هاشم بن القاسم
ثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد قال قال ابليس ان يعجزني ابن ادم فلن يعجزني من
ثلاث خصال اخذ مال بغير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال احمد ثنا ابن نمير
قال قال الاعمش كنت اذا رايت مجاهدا ظننت انه حرسلاح قد ضل حماره فهو مهتم وعن
ليث عن مجاهد قال من اكرم نفسه واعزها اذل دينه ومن اذل نفسه اعز دينه وقال
شعبة عن الحكم عن مجاهد قال قال لي يا ابا الغازي كم لبث نوح في قومه قلت الف سنة
الا خمسين عاما قال فان الناس لم يزدادوا في اعمارهم واجسادهم واخلاقهم الا نقصا وروى
ابو بكر بن ابي شيبة عن ابن علية عن ليث عن مجاهد قال ذهب العلماء فما بقي الا المتعلمون
وما المجتهد فيكم الا كاللاعب فيمن كان قبلكم وروى ابن ابي شيبة ايضا عن ابن ادريس عن
ليث عن مجاهد قال لو لم يصب المسلم من اخيه الا ان حياءه منه يمنعه من المعاصي لكان في ذلك
خير وقال الفقيه من يخاف الله وان قل علمه والجاهل من عصى الله وان كثر علمه وقال ان العبد
اذا اقبل الى الله بقلبه اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه وقال في قوله تعالى وثيابك فطهر
قال عملك فاصلح واسالوا الله من فضله قال ليس من عرض الدنيا والذي جاء بالصدق
وصدق به قال هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه وقال يتلو القرآن العبد

الى بعلك ما انبعثني فاذا لم تعمل ما ابتعثك ولا تنس نصيبك من الدنيا قال حظ
من دنياك لآخرتك ان تعمل فيها بطاعة الله عز وجل وقال داود بن المحبر عن عباد بن
كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابيه مجاهد بن جبر قال قلت لابن عمر اي حجاج بيت الله
افضل واعظم اجرا قال من جمع ثلاث خصال نية صادقة وعقلا وافرا ونفقة من حلال
فذكرت ذلك لابن عباس فقال صدق فقلت اذا صدقت نيته وكانت نفقته من حلال
فماذا يضره قلة عقله فقال يا ابا الحجاج سالتني عما سالت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال والذي نفسي بيده ما اطاع العبد الله بشيء افضل من حسن العقل ولا يقبل الله
صوم عبد ولا صلاته ولا شيئا مما يكون من عمله من انواع الخير اذا لم يعمل بعقل ولو ان جاهلا فاق
المجتهدين في العبادة كان ما يفسد اكثر مما يصلح قلت ذكر العقل في هذا الحديث ورفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم من المنكرات والموضوعات والثلاث خصال موقوفة على ابن
عمر من قوله الى قول ابن عباس صدق والباقي لا يصح رفعه ولا وقفه وداود بن المحبر كنيته
ابو سليمان قال الحاكم حدث ببغداد عن جماعة من الثقات باحاديث موضوعة حدث
بها عنه الحرث بن ابي اسامة وله كتاب العقل واكثر ما اودع ذلك الكتاب موضوع على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر العقل من نوع في هذا الحديث لعله من جملتها والله اعلم وقد
كذبه احمد بن حنبل اخر الزيادة قال المولف وممن توفي فيها مصعب بن سعد بن ابي وقاص
تابعي جليل القدر وموسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي كان يلقب بالمهدي لصلاحه كان
تابعيا جليل القدر من سادات المسلمين رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة اربع ومائة

فيها قاتل سعيد بن عمرو الحرشي نائب خراسان اهل الصغد وحاصر اهل خجندة وقتل خلقا
كثيرا واخذ اموالا جزيلة واسر رقيقا كثيرا جدا وكتب بذلك الى يزيد بن عبد الملك لانه هو
الذي ولاه وفي ربيع الاول منها عزل يزيد بن عبد الملك عن امرة الحرمين عبد الرحمن بن الضحاك
بن قيس وكان سببه انه خطب فاطمة بنت الحسين فامتنعت من قبول ذلك فالح عليها
وتوعدها فارسلت الى يزيد تشكوه اليه فبعث الى عبد الواحد بن عبد الله النضري نائب
الطائف فولاه المدينة وان يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته امير المؤمنين
وهو متكئ على فراشه بدمشق وان ياخذ منه اربعين الف دينار فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ركب
الى دمشق فاستجار بمسلمة بن عبد الملك فدخل على اخيه فقال ان لي اليك حاجة فقال
والله لا اقبلها ولا اعفو عنه فرده الى المدينة فتسلمه عبد الواحد فضربه واخذ ماله حتى
تركه في جبة صوف فسال الناس بالمدينة وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين واشهرا
وكان الزهري قد اشار عليه براي سديد وهو ان يسال العلماء اذا اشكل عليه امر فلم يقبل
ولم يفعل فابغضه الناس وذمه الشعراء ثم كان هذا اخر امره وفيها عزل عمر بن هبيرة سعيد
بن عمرو الحرشي وذلك انه كان يستخف بامر ابن هبيرة فلما عزله احضره بين يديه وعاقبه
واخذ منه اموالا كثيرة وامر بقتله ثم عفا عنه وولى على خراسان مسلم بن سعيد بن اسلم بن
زرعة الكلابي فسار اليها فاستخلص اموالا كانت منكسرة في ايام سعيد بن عمرو الحرشي وفيها
غزا الجراح بن عبد الله الحكمي نائب المدينة واذربيجان ارض الترك ففتح بلنجر وهزم الترك وغرقهم
وذراريهم في الماء وسبى منهم خلقا كثيرا وافتتح عامة الحصون التي تلي بلنجر واجلى عامة

اهلها دار الشتى يوم ولقا خاقان الملك تخرجت بيت.. ثم وقعت مقابلة آل الامر فيها الى ان انهزم
خاقان وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل فيها خلق كثير لا يحصون وحج
بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري امير الحرمين والطايف وعلى نيابة
العراق وخراسان عمر بن هبيرة ونايبه على خراسان مسلم بن سعيد وفي هذه السنة ولد
السفاح وهو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح
اول الخلفا بني العباس وقد بايع اباه في الباطن جماعة من اهل العراق

وفيها توفي من الاعيان خالد بن معدان

الكلاعي له روايات عن جماعة من الصحابة وكان تابعيا جليلا وكان من العلما وايمة الدين
المعدود من المشهورين كان يسبح كل يوم اربعين الف تسبيحة سوى ما يقرا وهو صايم وكان امام اهل
حمص وكان يصلي التراويح في شهر رمضان فكان يقرا فيها في كل ليلة ثلث القران وروى
الجوزجاني عنه انه قال من اجترى على الملاوم في مراد الحق قلب الله تلك الملاوم عليه حمدا ومن
تزلزل في مراد الحق خوفا من ملاوم الخلق وطلب المحامد منهم قلب الله تلك المحامد عليه ذما وروى
ابن ابي الدنيا عنه قال ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في وجهه يبصر بهما امر دنياه
وعينان في قلبه يبصر بهما امر اخرته فاذا اراد الله بالعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه
فابصر بهما امر اخرته وهما غيب فامن الغيب بالغيب واذا اراد الله بالعبد خلاف ذلك
ترك العبد القلب على ما هو عليه فتراه ينظر فلا ينتفع فاذا نظر بقلبه نفع وقال يبصر
القلب من الاخرة وبصر العينين من الدنيا وله فضايل كثيرة رحمه الله تعالى عامر بن سعد
ابن ابي وقاص الليثي له روايات كثيرة عن ابيه وغيره وهو تابعي جليل ثقة مشهور عامر
ابن شراحيل الشعبي توفي فيها في قول كان الشعبي من شعب همدان كنيته ابو عمرو وكان
علامة اهل الكوفة كان اماما حافظا ذا فنون وقد ادرك خلقا من الصحابة وروى عنهم
عن جماعة من التابعين وعنه ايضا روى جماعة من كبار التابعين قال ابو مجلز ما رايت
افقه من الشعبي وقال مكحول ما لقيت احدا اعلم بسنة ماضية منه وقال داود الاودي
قال لي الشعبي قم معي هاهنا حتى افيدك علما بل هو راس العلم قلت اي شي تفيدني قال اذا
سيلت عما لا تعلم فقل الله اعلم فانه علم حسن وقال لو ان رجلا سافر من اقصى الشام الى اقصى
اليمن يحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره ما رايت سفره ضايعا ولو سافر في طلب
الدنيا او الشهوات الخارج هذا المسجد لرايت سفره عقوبة وضياعا وقال العلم اكثر
من عدد الشعر فخذ من كل شي احسنه

ابو بردة بن ابي موسى الاشعري

تولى قضا الكوفة قبل الشعبي وقال الشعبي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز واستمر الى ان
مات واما ابو بردة فقيها حافظا عالما له روايات كثيرة ابو قلابة الجرمي عبد الله بن زيد
البصري له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان من كبار الايمة والفقها وطلب
للقضا فهرب منه وتغرب فقدم الشام فنزل داريا وبها مات رحمه الله قال ابو قلابة اذا احدث
الله لك علما فاحدث له عبادة ولا يكن همك ما تحدث به الناس فلعل غيرك ينتفع ويستضي
وانت في الظلمة تتعثر واني لارى هذه المجالس انما هي مناخ البطالين وقال اذا بلغك
عن اخيك شي تكرهه فالتمس له عذرا جهدك فان لم تجد له عذرا فقل لعل لاخي عذرا لا اعلمه

ثم دخلت

ثم دخلت سنة خمس وماية

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحكمي بلاد اللان وفتح حصونا كثيرة وبلادا متسعة الاكناف
من وراء بلنجر واصاب غنايم جمة وسبى خلقا من اولاد الاتراك وفيها غزا مسلم بن سعيد
بلاد الترك وحاصر مدينة عظيمة من بلاد الصغد فصالحه ملكها على مال كثير يحمله اليه
وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم فبعث بين يديه سرية الف فارس
فاصيبوا جميعا وفيها لخمس بقين من شعبان منها توفي امير المومنين يزيد بن عبد الملك
بن مروان باربد من ارض البلقا يوم الجمعة وعمره ما بين الثلاثين والاربعين وهذه ترجمته
وهو يزيد بن عبد الملك بن مروان ابو خالد القرشي الاموي امير المومنين وامه عاتكة بنت يزيد
بن معاوية قيل انه مات في قرية بغير عاتكة فنسبت المحلة اليها والله اعلم بويع له بالخلافة
بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة احدى وماية بعهد من اخيه سليمان ان يكون الخليفة
بعد عمر بن عبد العزيز لخمس بقين من رجب قال محمد بن يحيى الذهلي ثنا كثير بن هشام ثنا
جعفر بن برقان حدثني الزهري قال كان لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي فلما ولي معاوية ورث المسلم من الكافر
ولم يورث الكافر من المسلم واخذ بذلك الخلفا من بعده فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع
السنة الاولى وتبعه في ذلك يزيد بن عبد الملك فلما قام هشام اخذ بسنة الخلفا يعني
انه ورث المسلم من الكافر وقال الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال بينما نحن عند مكحول اذ
اقبل يزيد بن عبد الملك فهممنا ان نوسع له فقال مكحول دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس
يتعلم التواضع وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلما قبل ان يلي الخلافة فلما ولي عزم
ان يتاسى بعمر بن عبد العزيز فما تركه قرنا السو وحسنوا له الظلم كما قال حرملة عن ابن
وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر
فمكث كذلك اربعين ليلة فاتي باربعين شيخا فشهدوا له انه ما على الخلفا من حساب ولا
عذاب وقد اتهم بعضهم وليس بصحيح انما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سياتي وهذا مما
كان به باس وقد كتب اليه عمر بن عبد العزيز اما بعد فاني لا اراني الا لما بي ولا ارى الامر الا
سيفضي اليك فالله الله في امة محمد صلى الله عليه وسلم فانك عما قليل ميت وتدع الدنيا
لمن لا يحمدك وتفضي الى من لا يعذرك والسلام وكتب يزيد بن عبد الملك الى اخيه هشام اما
بعد فان امير المومنين قد بلغه انك استبطات حياته وتمنيت موته فانه ورمت الخلافة وكتب
في اخره

تمنى رجال ان اموت وان امت * فتلك سبيل لست فيها باوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم * متى مت ما الباغي علي بمخلد
منيته تجري لوقت وحتفه * يصادفه يوما على غير موعد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تهيا لاخرى مثلها فكان قد

فكتب اليه هشام جعل الله يومي قبل يومك وولدي قبل ولدك فلا خير في العيش بعدك
وقد كان يزيد هذا يحب حظية من حظاياه يقال لها حبابة بتشديد الباء الاولى والصحيح
تخفيفها واسمها العالية وكانت جميلة جدا وكان قد اشتراها في زمن اخيه سليمان باربعة
الاف دينار من عثمان بن سهل بن حنيف فقال له اخوه سليمان لقد هممت ان احجر على

بين يديك فبايعها فلما افضت اليه الخلافة قالت له امراته سعدة يوما يا امير المؤمنين هل بقي في نفسك من امر الدنيا شي قال نعم حبابة فبعثت امراته فاشترتها والبستها وصنعتها واجلستها من وراء الستارة وقالت له ايضا يا امير المؤمنين هل بقي في نفسك من امر الدنيا شي قال اوما اخبرتك فقالت هذه حبابة وابرزتها له واخلته بها وتركته واياها فحظيت الجارية عنده وكذلك زوجته ايضا فقال يوما اشتهي ان اخلو بحبابة في قصر مدة من الدهر لا يكون عندنا احد ففعل ذلك وجمع اليه في قصره ذلك حبابة وليس عنده فيه احد وقد فرش له بانواع الفرش والبسط الهائلة والنعمة الكثيرة السابغة فبينما هو معها في ذلك القصر على اسر حال وانعم بال وبين يديها عنب ياكل منه اذ رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت بها فماتت فمكث اياما يقبلها ويرشفها وهي ميتة حتى انتنت وجيفت فامر بدفنها وما كاد فلما دفنها اقام اياما عندها على قبرها هائما ثم رجع الى المنزل ثم عاد الى قبرها فوقف عليه وهو يقول

فان تسل عنك النفس او تدع الصبا ... فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائل ... من اجلك هذا هامة اليوم او غد

ثم رجع فما خرج من منزله حتى خرج بنعشه وكان مرضه بالسل وذلك بالسواد سواد الاردن يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان من هذه السنة اعني سنة خمس ومائة وكانت خلافته اربع سنين وشهرا على المشهور وقيل اقل من ذلك وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وقيل خمسا وقيل ستا وقيل ثمانيا وقيل تسعا وثلاثين سنة وقيل انه بلغ الاربعين فالله اعلم كان طويلا جسيما ابيض مدور الوجه افقم الفم لم يشب وقيل انه مات بالجولان وقيل بحوران وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد وعمره خمس عشرة سنة وقيل بل صلى عليه اخوه هشام بن عبد الملك وهو الخليفة بعده وحمل على اعناق الرجال حتى دفن بين باب الجابية وباب الصغير بدمشق وكان قد عهد بالامر من بعده لاخيه هشام ومن بعده لولده الوليد بن يزيد فبايع الناس من بعده هشاما

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

بويع له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت اخيه لخمس بقين من شعبان من هذه السنة اعني سنة خمس ومائة وله من العمر اربع وثلاثون سنة واشهر لانه ولد لما قتل ابو عبد الملك مصعب بن الزبير سنة ثنتين وسبعين فسماه منصورا تفاؤلا ثم قدم فوجد امه قد سمته باسم ابيها هشام فاقره قالوا وقد اتته الخلافة وهو بالرصافة في منزل له فجاءه البريد بالعصا والخاتم فسلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى اتى دمشق فقام بامر الخلافة اتم القيام فعزل في شوال منها عن امرة العراق وخراسان عمر بن هبيرة وولى عليها خالد بن عبد الله القسري وقيل انما استعمله على العراق في سنة ست ومائة والمشهور الاول وحج بالناس فيها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال امير المؤمنين اخو امه عائشة بنت هشام بن اسماعيل ولم تلد من عبد الملك سواه حتى طلقها لانها كانت حمقاء وفيها قوي امر دعوة بني العباس في السر بارض العراق وحصل لدعاتهم اموال جزيلة يستعينون بها على امرهم وما هم بصدده

وفيها توفي من الاعيان ابان بن عثمان بن عفان

كان

كان من فقهاء التابعين وعلمائهم قال عمرو بن شعيب ما رايت اعلم منه بالحديث والفقه وقال يحيى بن سعيد القطان فقهاء المدينة عشرة فذكر ابان بن عثمان وخارجة بن زيد وسالم بن عبد الله وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة والقاسم وقبيصة بن ذويب وابو سلمة بن عبد الرحمن قال محمد بن سعد كان به صمم ووضح واصابه الفالج قبل ان يموت بسنة وتوفي سنة خمس ومائة

ابو رجا العطاردي

قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونحن على ماء لنا وكان لنا صنم نعبده وكان لنا حجر فحملناه على قتب وانتقلنا فمررنا برملة فانسل الحجر فوقع في الرمل فغاب فيه فرجعنا في طلبه فاذا هو قد غاب في الرمل فاخرجناه فكان ذلك اول اسلامي فقلت ان الها لم يمتنع من وقوعه في الرمل وان يغيب في التراب لاله سوء وان العنز لتمنع حياءها بذنبها فرجعت الى المدينة وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمنا اي ان العنز لتمنع فرجها من الفحل اذا ارادها وتستعصي عليه بوضع ذنبها على فرجها فلا يقدر على خرق فرجها وهذا الصنم قد عجز عن الوقوع وعن الدفع عن نفسه وهو كذلك لا ينبغي ان يكون لنا بمعبود واذا كان الامر كذلك فالعنز التي تدفع عن نفسها اولى منه بالعبادة وهذا ما لا يكون وقد كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه ونعبد غيره وقيل لابي رجا ارايت من ادركت من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اكانوا يخافون على انفسهم النفاق قال نعم شديدا نعم شديدا ادرك ابو رجا خلقا من الصحابة وروى عنهم وعنه جماعة من التابعين وعمر دهرا طويلا وفيها توفي عامر الشعبي في قول وقد تقدم وكثير عزة في قول وفي التي بعدها كما سياتي وفيها توفي عبد الله وعبيد الله ابنا عبد الله بن عمر بن الخطاب وكانا من اكابر ابناء الصحابة ولهما روايات عن ابيهما وغيره والله سبحانه اعلم

ثم دخلت سنة ست ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك عن امرة المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وولى على ذلك كله ابن خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة وفيها غزا مسلم بن سعيد مدينة فرغانة وعاملها فلقيه عندها الترك فكان بينهم وقعة هائلة فقتل فيها الخاقان وطائفة كثيرة من الترك وفيها ادغل الجراح الحكمي في ارض الخزر فصالحوه واعطوه الجزية والخراج وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللان فقتل خلقا وغنم وسلم وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري عن امرة خراسان مسلم بن سعيد وولى عليها اخاه اسد بن عبد الله القسري وحج بالناس في هذه السنة امير المؤمنين هشام بن عبد الملك وكتب الى ابي الزناد قبل دخوله الى المدينة ليتلقاه ويكتب له مناسك الحج ففعل وتلقاه الناس من المدينة الى اثناء الطريق ومنهم ابو الزناد وقد امتثل ما امر به وتلقاه فيمن تلقاه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان فقال يا امير المؤمنين ان اهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون ابا تراب فالعنه انت ايضا قال ابو الزناد فشق ذلك على هشام واستثقله وقال ما قدمت لشتم احد ولا للعنة احد انما قدمنا حجاجا ثم اعرض عنه وقطع كلامه واقبل على ابي الزناد

يجادله ولما انتهى الى مكة عرض له ابراهيم بن طلحة فتظلم اليه في ارض فقال له ابن كنت
عن عبد الملك قال ظلمني قال فالوليد قال ظلمني قال فسليمان قال ظلمني قال
فعمر بن عبد العزيز قال ردها علي قال فيزيد قال انتزعها من يدي وهي الان في يدك
فقال له هشام اما لو كان فيك مضرب لضربتك فقال لي فيّ مضرب بالسوط والسيف
فانصرف هشام عنه وهو يقول لرجل ما رايت افصح من هذا وفيها كان العامل على مكة والمدينة
والطايف ابراهيم بن هشام بن اسماعيل وعلى العراق وخراسان خالد القسري

وممن توفي فيها سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

ابو عمر احد الفقهاء السبعة واحد العلماء وله روايات عن ابيه وغيره وكان من العباد
الزهاد ولما حج هشام بن عبد الملك دخل الكعبة فاذا هو بسالم بن عبد الله فقال له يا سالم
سلني حاجة فقال اني لاستحيي من الله ان اسال في بيته غيره فلما خرج سالم خرج هشام في اثره
فقال له الان قد خرجت من بيته فسلني حاجة فقال له سالم من حوائج الدنيا او من حوائج
الاخرة قال من حوائج الدنيا فقال سالم اني ما سالت الدنيا من يملكها فكيف اسالها
من لا يملكها وكان سالم خشن العيش يلبس الصوف الخشن وكان يعالج بيده ارضا له
وغيرها من الاعمال ولا يقبل من الخلفاء وكان متواضعا وكان شديد الادمة وله في الزهد
والورع شي كثير طاوس بن كيسان اليماني كان من اكبر اصحاب ابن عباس وقد ترجمناه
في كتابنا التكميل ولله الحمد انتهى كلام المؤلف قلت وقد زدنا زيادة حسنة على ما ذكره
المؤلف في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب واما طاوس فهو ابو عبد الرحمن
طاوس بن كيسان اليماني فهو اول الطبقة من اهل اليمن من التابعين وهو من ابناء الفرس
الذين ارسلهم كسرى الى اليمن ادرك طاوس جماعة من الصحابة وروى عنهم وكان احد
الايمة الاعلام قد جمع العبادة والزهادة والعلم النافع والعمل الصالح وقد ادرك خمسين
من الصحابة واكثر روايته عن ابن عباس وروى عنه خلق من التابعين واعلامهم منهم مجاهد
وعطا وعمرو بن دينار وابراهيم بن ميسرة وابو الزبير ومحمد بن المنكدر والزهري
وحبيب بن ابي ثابت وليث بن ابي سليم والضحاك بن مزاحم وعبد الملك بن ميسرة
وعبد الكريم بن ابي المخارق ووهب بن منبه والمغيرة بن حكيم الصنعاني وعبد الله
بن طاوس وغيرهم ولما توفي طاوس بمكة حاجا وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد
الملك ودفن بها رح قال الامام احمد ثنا عبد الرزاق عن ابيه قال لما توفي طاوس
بمكة فلم يصلوا عليه حتى بعث هشام ابنه بالحرس قال فلقد رايت عبد الله بن الحسن
واضعا السرير على كاهله قال ولقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداوه
من خلفه يعني من كثرة الزحام فكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان
يمان وقد خرج من اليمن خلق من هولاء المشار اليهم في هذا وغيره منهم ابو مسلم وابو ادريس
ووهب وكعب وطاوس وغيرهم كثير وروى ضمرة عن ابن شوذب قال شهدت
جنازة طاوس بمكة سنة خمس ومائة فجعلوا يقولون رحم الله ابا عبد الرحمن حج اربعين
حجة وقال عبد الرزاق ثنا ابي قال توفي طاوس بالمزدلفة او بمنى حاجا فلما حمل
اخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقائمة سريره فما زايله حتى بلغ القبر وقال الامام احمد
ثنا عبد الرزاق قال قدم طاوس مكة فقدم امير المومنين فقيل لطاوس ان من فضله

ومن

ومن ومن فلو اتيته قال ما لي اليه حاجة قال انا نخاف عليك قال فما هو اذا كما
تقولون وقال ابن جرير قال لي عطا جاني طاوس فقال لي يا عطا اياك ان ترفع
حوايجك الى من اغلق دونك بابه وجعل دونه حجابه وعليك بطلب حوايجك ممن
بابه لك مفتوح الى يوم القيمة طلب منك ان تدعوه ووعدك الاجابة وقال
ابن جريج عن مجاهد عن طاوس اولئك بيتا دون من مكان تعبد قال تعبد من تلقاهم
وروى الاجري عن سفيان عن ليث قال قال لي طاوس ما تعلمت من العلم فتعلمه
لنفسك فان الامانة والصدق قد ذهبا من الناس وقال عبد الرحمن بن مهدي
عن حماد بن زيد عن الصلت بن راشد قال كنا عند طاوس فجاء مسلم بن قتيبة بن
مسلم صاحب خراسان فسال عن شي فانتهره طاوس فقلت هذا مسلم بن قتيبة بن
مسلم صاحب خراسان قال ذاك اهون له علي وقيل لطاوس ان منزلك قد استرم
فقال امسينا وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس في قوله وخلق الانسان ضعيفا
قال في امور النساء ليس يكون في شي اضعف منه في النساء وقال ابو بكر بن ابي شيبة
ثنا يحيى بن بكير ثنا ابراهيم بن نافع عن ابن طاوس عن ابيه قال لقي عيسى بن مريم عليه
السلام ابليس فقال ابليس لعيسى اما علمت انه لن يصيبك الا ما كتب الله لك قال
نعم قال ابليس فاوف بذروة هذا الجبل فتردى منه فانظر اتعيش ام لا قال عيسى
اما علمت ان الله تعالى قال لا يجربني عبدي فاني افعل ما شيت وفي رواية عن الزهري عنه
عبده
قال قال له عيسى ان العبد لا يجتبر ربه ولكن الرب يجتبر عبده وفي رواية ان العبد
لا يبتلي ربه ولكن الرب يبتلي عبده قال فخصمه عيسى عليه السلام وقال فضيل بن
عياض عن ليث عن طاوس قال حج الابرار على الرحال رواه عبد الله بن احمد عنه وقال
الامام احمد ثنا ابو نميلة عن ابن ابي رواد قال رايت طاوسا واصحابا له اذا صلوا العصر
استقبلوا القبلة ولم يكلموا احدا وابتهلوا الى الله في الدعا وقال من لم يدخل ولم يزال
بينهم لم يبله جهد البلا روى عنه ابو داود الطيالسي وقد رواه الطبراني عن محمد
بن يحيى بن المنذر عن موسى بن اسماعيل عن ابي داود فذكره وقال لابنه يا بني صاحب
العقلا تنسب اليهم وان لم تكن منهم ولا تصحب الجهال فتنسب اليهم وان لم تكن منهم
واعلم ان لكل شي غاية وغاية المرء حسن عقله وسال رجل عن مسالة فانتهره فقال
يا ابا عبد الرحمن اني اخوك قال اخي من دون الناس وفي رواية ان رجلا من الخوارج سال
فانتهره فقال اني اخوك قال امن بين المسلمين كلهم وقال عفان عن حماد بن زيد عن
ايوب قال سال رجل طاوسا عن شي فانتهره ثم قال تريد ان تجعل في عنقي حبلا ثم
يطاف بي وراى طاوس رجلا مسكينا في عينه عمش وفي ثوبه وسخ فقال له عد ان
الفقر من الله فاين انت عن الما وروى الطبراني عنه قال ما رايت بعض الظلم خير من
القيام به وعن عبد الرزاق عن داود بن ابراهيم ان الاسد حبس الناس ليلة في طريق
الحج فدق الناس بعضهم بعضا فلما كان السحر ذهب عنهم الاسد فنزل الناس يمينا
وشمالا فالقوا انفسهم وقام طاوس يصلي فقال له رجل وفي رواية فقال ابنه الا تنام
فانك قد سهرت ونصبت هذه الليلة فقال وهل ينام السحر احد وفي رواية ما كنت
اظن احدا ينام السحر وروى الطبراني من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج وابن عيينة

قالا سا ابن طاوس قال فقلت لابي ما افضل ما يقال على الميت قال الاستغفار وقال
الطبراني ثنا اسحاق ثنا عبد الرزاق قال سمعت النعمان بن الزبير الصنعاني يحدث
ان محمد بن يوسف او ايوب بن يحيى بعث الى طاوس بسبع مائة دينار وقال للرسول
ان اخذها منك فان الامير سيكسوك ويحسن اليك قال فخرج بها حتى قدم على طاوس
الجند فقال يا ابا عبد الرحمن نفقة بعث بها الامير اليك فقال ما لي بها من حاجة فاراده
على اخذها بكل طريق فابى ان يقبلها فغفل طاوس فرمى بها الرجل في كوة في البيت ثم ذهب
راجعا الى الامير وقال قد اخذها فلبثوا حينا ثم بلغهم عن طاوس ما يكرهون او شيء يكرهونه
فقالوا ابعثوا اليه فليبعث الينا بما لنا فجاءه الرسول فقال المال الذي بعث اليك
الامير اردده الينا فقال ما قبضت منه شيا فرجع الرسول اليهم فاخبرهم فعرفوا انه
صادق فقالوا انظروا الذي ذهب بها اليه فارسلوه اليه فجاءه فقال المال الذي
جئتك به يا ابا عبد الرحمن قال هل قبضت منك شيا قال لا قال فقام الى المكان الذي
رمى بها فيه فوجدها كما هي وقد نسجت عليها العنكبوت فاخذها فذهب بها اليهم
ولما حج سليمان بن عبد الملك قال انظروا لي فقيها اسأله عن بعض المناسك قال
فخرج الحاجب يلتمس له فمر طاوس فقالوا هذا طاوس اليماني فاخذه الحاجب فقال
اجب امير المؤمنين فقال اعفني فابى فادخله عليه قال طاوس فلما وقفت بين يديه
قلت ان هذا المقام يسالني الله عنه فقلت يا امير المؤمنين ان صخرة كانت على شفير
جهنم هوت فيها سبعين خريفا حتى استقرت في قرارها اتدري لمن اعدها الله قال
لا ويلك لمن اعدها قال لمن اشركه الله في حكمه فجار وفي رواية ذكرها الزهري ان سليمان
راى رجلا يطوف بالبيت له جمال وكمال فقال من هذا يا زهري فقلت هذا طاوس وقد
ادرك عدة من الصحابة فارسل اليه سليمان فاتاه فقال له لو ما حدثتنا فقال
حدثني ابو موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهون الخلق على الله عز وجل
من ولي من امور المسلمين شيا فلم يعدل فيهم فتغير وجه سليمان فاطرق طويلا ثم رفع
راسه اليه فقال لو ما حدثتنا فقال حدثني رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن شهاب ظننت انه اراد عليا قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام
في مجلس من مجالس قريش ثم قال ان لكم على قريش حقا ولهم على الناس حق ما اذا استرحموا
رحموا واذا حكموا عدلوا واذا ائتمنوا ادوا فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا قال فتغير وجه سليمان واطرق طويلا
ثم رفع راسه فقال لو ما حدثتنا فقال حدثني ابن عباس ان اخر اية نزلت في كتاب
الله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال
عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابو معمر عن ابن عيينة عن ابراهيم بن ميسرة قال
قال عمر بن عبد العزيز لطاوس ارفع حاجتك الى امير المؤمنين يعني سليمان فقال طاوس
ما لي اليه من حاجة فكانهم عجبوا من ذلك قال سفيان وحلف لنا ابراهيم بن ميسرة وهو
مستقبل الكعبة ورب هذه البنية ما رايت احدا الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة
الا طاوس قال وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس الى جنب طاوس فلم يلتفت اليه
فقيل له جلس اليك ابن امير المؤمنين فلم تلتفت اليه قال اردت ان يعلم هو وابوه ان لله

عبادا يزهدون فيما في ايديهم وروى عبد الله بن احمد عن ابن طاوس قال
خرجنا حجاجا فنزلنا في بعض القرى وكنت اخاف ابي من الحكام لشدته وغلظته عليهم
قال وكان في تلك القرية عامل لمحمد بن يوسف اخي الحجاج بن يوسف يقال له ايوب
بن يحيى ويقال يقال له ابن نجيح وكان من اخبث عمالهم كبرا وتجبرا قال فشهدنا
صلاة الصبح في المسجد فاذا ابن نجيح قد اخبر بطاوس فجاء فقعد بين يدي طاوس
فسلم عليه فلم يجبه ثم كلمه فاعرض عنه ثم عدل الى الشق الاخر فاعرض عنه فلما رايت
ما به قمت اليه واخذت بيده ثم قلت له ان ابا عبد الرحمن لم يعرفك فقال طاوس بلى
انه لعارف فقال الامير انه بي لعارف ومعرفته بي فعلت بي ما رايت ثم مضى وهو
ساكت لا يقول شيا فلما دخلنا المنزل قال لي ابي يا لكع بينما انت تقول اريد ان اخرج
عليهم بالسيف لم تستطع ان تحبس عنهم لسانك وقال ابو عبد الله الشامي اتيت
طاوسا فاستاذنت عليه فخرج الي ابنه شيخ كبير فقلت انت طاوس فقال لا انا ابنه
فقلت ان كنت انت ابنه فان الشيخ قد خرف فقال ان العالم لا يخرف فدخلت عليه
فقال طاوس سل واوجز قلت ان اوجزت لك قال لي ان شئت علمتك في مجلسي
هذا التوراة والانجيل والفرقان قلت نعم قال خف الله مخافة لا يكون عندك شيء
اخوف منه وارجه رجاء هو اشد من خوفك اياه واحب للناس ما تحب لنفسك وقال
الطبراني ثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال
يجاء يوم القيامة بالمال وصاحبه فيتحاجان فيقول صاحب المال للمال جمعتك
في يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا فيقول المال الم اقض لك الحوائج انا الذي حلت
بينك وبين ان تصنع ما امرك الله عز وجل من حبك اياي فيقول صاحب المال
ان هذا الذي تعده علي حبال اوثقتني بها وقال عثمان بن ابي شيبة ثنا ابي ثنا
يحيى بن الضريس عن ابي سنان عن حبيب بن ابي ثابت قال اجتمع عندي خمسة لا يجتمع
عندي مثلهم ابدا عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقال سفيان قلت
لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان
طاوس يدخل مع الخاصة وقال حبيب قال لي طاوس اذا حدثتك حديثا قد اثبته فلا
تسال عنه احدا وفي رواية فلا تسال عنه غيري وقال ابو اسامة ثنا الاعمش عن عبد
الملك بن ميسرة عن طاوس قال ادركت خمسين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر اخبرني ابن طاوس قال قلت لابي اريد ان
اتزوج فلانة قال اذهب فانظر اليها قال فذهبت فلبست من صالح ثيابي وغسلت
راسي وادهنت فلما راني في تلك الحال قال اجلس فلا تذهب وقال عبد الله بن طاوس
كان ابي اذا سار الى مكة سار شهرا واذا رجع رجع في شهرين فقلت له في ذلك فقال بلغني
ان الرجل اذا خرج في طاعة لا يزال في سبيل الله حتى يرجع الى اهله وقال حمزة عن بلال
بن كعب قال كان طاوس اذا خرج من اليمن لم يشرب الا من تلك المياه القديمة الجاهلية
وقال له رجل ادع الله لي فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر اذا دعاه وقال
الطبراني ثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال كان
رجل فيما خلا من الزمان وكان عاقلا لبيبا فكبر فقعد في البيت فقال لابنه يوما اني قد

اغتممت في البيت فلو ادخلت علي رجالا يكلموني فذهب ابنه فجمع نفرا فقال لا تدخلوا
علي ابي تحدثوه فان سمعتم منه منكرا فاعذروه فانه قد كبر وان سمعتم خيرا فاقبلوه قال
فدخلوا عليه فكان اول ما تكلم به ان قال ان الكيس الكيس لتقي والعجز العجز الفجور واذا
تزوج احد فليتزوج في معدن صالح واذا اطلعتم من رجل على فجرة فاحذروه فان لها
اخوات وقال سلمة بن شبيب ثنا احمد بن نصر بن مالك ثنا عبد الله بن عمر بن مسلم
الجيري عن ابيه قال قال طاوس بينما اذا قبرتني فانظر في قبري فان لم تجدني فاحمد الله وان
وجدتني فانا لله وانا اليه راجعون قال عبد الله فاخبرني بعض ولده انه نظر فلم يره ولم
يجده في قبره شيئا ورئي في وجههم السرور وقال قبيصة ثنا سفيان عن سعيد بن محمد
قال كان من دعاء طاوس يدعو اللهم احرمني كثرة المال والولد وارزقني الايمان والعمل وقال
سفيان عن معمر ثنا الزهري قال لو رايت طاوس بن كيسان علمنا انه لا يكذب وقال
عون بن سلام ثنا جابر بن منصور اخو اسحاق بن منصور السلولي عن عمران بن خالد الخزاعي
قال كنت عند عطاء جالسا فجاء رجل فقال يا ابا محمد ان طاوسا يزعم ان من صلى العشاء
ثم صلى بعدها ركعتين يقرا في الاولى الم تنزيل السجدة وفي الثانية تبارك الذي بيده
الملك كتب له مثل وقوف ليلة القدر فقال عطاء صدق طاوس ما تركتهما وقال
ابن ابي السري ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال كان رجل من بني اسرائيل
وكان ربما داوى المجانين وكانت امراة جميلة فاخذها الجنون فجيء بها اليه فتركت عنده
فاعجبته فوقع عليها فحملت فجاءه الشيطان فقال ان علم بها افتضحت فاقتلها وادفنها
في بيتك فقتلها ودفنها فجاء اهلها بعد ذلك بزمان يسالونه عنها قال ماتت فلم
يتهموه لصلاحه ومنزلته فجاءهم الشيطان فقال انها لم تمت ولكن قد وقع عليها فحملت
فقتلها ودفنها في بيته في مكان كذا وكذا فجاء اهلها فقالوا له ما نتهمك ولكن اخبرنا
اين دفنتها ومن كان معك ففتشوا بيته فوجدوها حيث دفنها فاخذوه فسجنوه فجاءه
الشيطان فقال انا صاحبك وان كنت تريد ان اخرجك مما انت فيه فاكفر بالله
فاطاع الشيطان فكفر بالله عز وجل فقتل فتبرا منه الشيطان حينئذ قال طاوس ولا
اعلم الا ان هذه الاية نزلت فيه وفي مثله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر
قال اني بريء منك الاية وقال الطبراني ثنا اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق ثنا
معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال كان رجل في بني اسرائيل له اربعة بنين فمرض فقال احدهم
اما ان تمرضوا ابانا وليس لكم من ميراثه شيء واذ قال فمرضه حتى مات فلما مات دفنه ولم ياخذ
من ميراثه شيئا وكان فقيرا وله عيال فاتي في النوم فقيل له ايت مكان كذا وكذا فاحفره تجد
فيه مائة دينار فخذها فقال للاتي في المنام ببركة او بلا بركة قال بلا بركة فلما اصبح
ذكر ذلك لامراته فقالت له اذهب فخذها فان من بركتها ان تكسوني منها ونعيش منها فابى
وقال لا اخذ شيئا ليس فيه بركة فلما امسى اتي في منامه فقيل ايت مكان كذا وكذا فخذ
منه عشرة دنانير فقال ببركة او بلا بركة قال بلا بركة فلما اصبح ذكر ذلك لامراته فقالت
له مثل ذلك فابى ان ياخذها ثم اتي في الليلة الثالثة فقيل له ايت مكان كذا وكذا فخذ
منه دينارا فقال ببركة او بلا بركة قال ببركة قال نعم اذا فلما اصبح ذهب الى ذلك المكان
الذي اشير اليه في المنام فوجد الدينار فاخذه فوجد صيادا يحمل حوتين فقال بكم هما قال

بدينار فاخذهما منه بذلك الدينار ثم انطلق بهما الى امراته فقال قومي فاصلحيهما فشقت
بطن احدهما فوجدت فيه درة لا يقوم لها شيء لم ير الناس مثلها ثم شقت بطن الاخر
فاذا فيه درة مثلها قال فاحتاج ملك ذلك الزمان درة فبعث يطلبها حيث كانت
ليشتريها فلم توجد الا عنده فقال الملك ايتني بها فاتاه بها فلما راها احلاها الله عز وجل
في عينه فقال بعنيها فقال لا انقصها عن وقر ثلاثين بغلا ذهبا فقال الملك ارضوه
فخرجوا به فوقروا له ثلاثين بغلا ذهبا ثم نظر اليها الملك فاعجبته اعجابا عظيما فقال
ما تصلح هذه الا باختها اطلبوا الي اختها قال فاتوه فقالوا له هل عندك اختها ونعطيك
ضعف ما اعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم فاتى الملك بها فلما راها اخذت بقلبه
فقال ارضوه فاضعفوا له ضعف اختها والله اعلم وقال عبد الله بن المبارك ثنا وهيب
بن الورد ثنا عبد الجبار بن الورد قال حدثني داود بن شابور قال قلنا لطاوس او قيل
لطاوس ادع بدعوات فقال لا اجد لذلك حسبة وقال ابن جريج عن ابن طاوس عن
ابيه قال البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يحب ان يكون له ما في ايدي الناس
بالحرام لا يقنع وقيل الشح هو ترك القناعة وقيل هو ان يشح بما في يد غيره وهو مرض من امراض
القلب ينبغي للعبد ان يعزله عن نفسه ويبعده ما استطاع وهو ابلغ من البخل كما في الحديث
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم امرهم بالبخل
فبخلوا وبالقطيعة فقطعوا وهذا هو الحرص على الدنيا وحبها وقال ابن ابي شيبة ثنا المحاربي
عن ليث عن طاوس قال ان الرجل يقوم بعشر ايات من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة
او اكثر من ذلك وهو نازل في ثوابه وقال قتيبة بن سعيد ثنا سفيان بن عيينة
عن هشام بن حجير عن طاوس قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج وعن سفيان عن ابراهيم
ابن ميسرة قال قال لي طاوس لتنكحن او لاقولن لك ما قال عمر بن الخطاب لابي الزوائد
ما يمنعك من النكاح الا عجز او فجور وقال طاوس يجزئ من الوضوء الا حفنة وقال عبد الرزاق
عن معمر عن ابن طاوس وغيره ان رجلا كان يسير مع طاوس فسمع الرجل غرابا ينعب فقال
خير فقال طاوس اي خير عند هذا او شر لا تصحبني ولا تمش معي وقال بشر بن موسى ثنا الحميدي
ثنا سفيان عن ابن طاوس عن ابيه قال اذا غدا الانسان ابتدره الشيطان فاذا اتى المنزل
فسلم نكص الشيطان وقال لا مقيل فاذا اتي بغدائه فذكر اسم الله قال لا غداء ولا
مقيل فاذا دخل ولم يسلم قال الشيطان ادركنا المقيل فاذا اتي بغدائه ولم يذكر اسم الله قال
الشيطان مقيل وغداء وفي العشاء مثل ذلك وقال ان الملائكة ليكتبون صلوات بني ادم فلان
زاد فيها كذا وكذا فلان نقص منها كذا وكذا وذلك في الخشوع والركوع والسجود وقال
لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة فلما خلق ادم سكنت وكان اذا سمع صوت الرعد قال
سبحان من سبحت له وقال الامام احمد ثنا سفيان عن ابن ابي نجيح قال قال مجاهد لطاوس
يا ابا عبد الرحمن رايتك تصلي في الكعبة والنبي صلى الله عليه وسلم على بابها يقول لك اكشف
قناعك وبين قراءتك فقال اسكت لا يسمع هذا منك احد ثم تخيل الي انه انبسط في الحديث
وقال احمد ايضا بهذا الاسناد ان طاوسا قال لابي نجيح يا ابا نجيح من قال واتقى الله خير ممن
صمت واتقى وقال مسعر عن رجل ان طاوسا اتى رجلا في السحر فقالوا هو نائم فقال
ما كنت ارى ان احدا ينام في السحر وقال عبد الله بن احمد ثنا محمد بن يزيد ثنا ابن يمان عن

مسعر فذكره وقال الثوري كان طاوس يجلس في بيته فقيل له في ذلك فقال حيف الائمة
وفساد الناس وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق قال اخبرني ابي قال كان طاوس يصلي في غداة
باردة مغيمة فمر به محمد بن يوسف صاحب اليمن وحاكمها وهو اخو الحجاج بن يوسف وطاوس
ساجد والامير راكب في موكبه فامر بساج او طيلسان من نعم الغنيمة فطرح على طاوس وهو
ساجد فلم يرفع راسه حتى فرغ من حاجته فلما سلم نظر فاذا الساج عليه فانتفض فالقاه
عنه ولم ينظر اليه ومضى الى منزله وتركه ملقى على الارض وقال نعيم بن حماد ثنا ابن عيينة
عن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس ما من شي يتكلم به ابن ادم الا كتب عليه حتى انينه في مرضه
فلما مرض الامام احمد اتق فقيل له ان طاوسا كان يكره انين المريض فتركه وقال ابو بكر بن ابي
شيبة ثنا الفضل بن دكين ثنا سفيان عن ابيه عن داود بن شابور قال قال رجل لطاوس
ادع الله لنا فقال ما اجد لقلبي خشية فادعو لك وقال ابن طالوت ثنا عبد السلام
بن هاشم عن الحسن بن ابي الحصين العنبري قال مر طاوس برواس قد اخرج راسا فغشي
عليه وفي رواية انه كان اذا راى الرؤس المشوية لم يتعش تلك الليلة وقال الامام احمد
ثنا هاشم بن القاسم ثنا الاشجعي عن سفيان الثوري قال قال طاوس ان الموتى يفتنون
في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعموا عنهم تلك الايام وقال ابن ادريس سمعت
ليثا يذكر عن طاوس وذكر المنافقين قال كفر دون كفر وكفر دون كفر قال ابو عاصم عن
زمعة عن سلمة بن وهرام عن طاوس قال كان يقال اسجد للقرد في زمانه اي اطعه في المعروف
وقال ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو اسامة ثنا نافع بن عمر عن بشر بن عاصم قال قال
طاوس ما رايت مثل احد امن على نفسه ولقد رايت رجلا لو قيل لي من افضل من تعرف لقلت
فلان ذلك الرجل فمكث على ذلك حينا ثم اخذه وجع في بطنه فاصابه شي فاستنفخ
بطنه عليه واشتهاه فرايته ينطح ما ادركه عطر فيه اشرع حتى مات عرقا وروى احمد
ثنا هشيم قال ابو بشر اخبرنا عن طاوس انه راى فتية من قريش يرفلون في مشيتهم فقال
انكم لتلبسون لبسة ما كانت اباؤكم تلبسها وتمشون مشية ما يحسن الزفافون يمشونها
وقال احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر ان طاوسا اقام على رفيق له مريض حتى فاته الحج لعله
هو الرجل المتقدم قبل هذا استنفخ بطنه وقال مسعر بن كدام عن عبد الكبير المعلم عن
طاوس عن ابن عباس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم من احسن الناس قراءة قال الذي اذا
سمعته يقرأ اريت انه يخشى الله عز وجل وقد روي هذا ايضا من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن
دينار عن طاوس عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احسن الناس قراءة من قرأ
القران يتحزن به وعنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلي ثوبان معصفران فقال امك امرتك بهذا قلت اغسلهما قال بل احرقهما رواه مسلم
في صحيحه عن داود بن رشيد عن عمر بن ايوب عن ابراهيم بن نافع عن سليمان الاحول عن طاوس
به وروى محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الجلاوزة والشرط واعوان الظلمة كلاب النار انفرد به محمد بن مسلم الطايفي
وقال الطبراني ثنا محمد بن الحسين الانماطي البغدادي ثنا عبد المنعم بن ادريس ثنا ابي
عن وهب بن منبه عن طاوس عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لعلي بن ابي طالب يا علي استكثر من المعارف من المؤمنين فكم من معرفة في الدنيا بركة

في الاخرة

في الاخرة فمضى علي فاقام حينا لا يلقى احدا الا اتخذه للاخرة ثم جاء من بعد ذلك فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلت فيما امرتك به قال قد فعلت يا رسول الله فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فابل اخبارهم فذهب ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
منكس راسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وتبسم ما احسبها على ثبت معك الا ابناء الاخرة
فقال له علي والذي بعثك بالحق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين يا علي اقبل على شانك واملك لسانك واعقل من تخالط من اهل زمانك
تكن سالما غانما لم يرد والامن هذا الوجه فيما نعلم والله اعلم اخر الزيادة على الاصل في ترجمة طاوس
وغيرها

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ففيها خرج باليمن رجل يقال له عباد الرعيني يدعي له مذهب الخوارج واتبعه فرقة من
الناس وحكموا فقاتلهم يوسف بن عمر فقتله وقتل اصحابه وكانوا ثلثمائة وفيها وقع بالشام
طاعون شديد وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة وعلى جيش اهل الشام ميمون بن
مهران فقطعوا البحر الى قبرص وغزا مسلمة مع البر في جيش اخر وفيها ظفر اسد بن عبد الله
القسري بجماعة من دعاة بني العباس بخراسان فصلبهم واشهرهم وفيها غزا اسد القسري
جبال نمروز وملك الغرشستان مما يلي جبال الطالقان فصالحه نمروز واسلم على يديه وفيها
غزا اسد الغور وهي جبال هراة فعمد اهلها الى حواصلهم واموالهم واثقالهم فجعلوا ذلك
كله في كهف منيع لا سبيل لاحد عليه وهو مستتر جدا فامر اسد بالرجال فجعلوا في توابيت
ودلاهم اليه وامرهم بوضع ما هنالك في التوابيت فحملوا لنا منالك تحدى الرجال في التوابيت
ورفعوهم فسلموا وغنموا وهذا راي شديد وفيها امر اسد بجمع ما حول بلخ اليها واستناب
عليها برمك والد خالد بن برمك وبنا ما خرب منها جديدا كما كانت وحصنها وجعلها معقلا للمسلمين
وفيها حج بالناس ابراهيم بن هشام امير الحرمين ه

وممن توفي فيها من الاعيان سليمان بن يسار

احد التابعين ثلاثة زيادة وهو اخو عطا بن يسار له روايات كثيرة وكان من المجتهدين
في العبادة وكان من احسن الناس وجها توفي بالمدينة وعمره ثلاث وسبعين سنة ودخلت عليه
امراة من احسن الناس وجها فارادته على نفسها فابى وتركها في منزله وخرج هاربا منها
فراى يوسف عليه السلام في المنام فقال له انت يوسف فقال نعم انا يوسف الذي
هممت وانت سليمان الذي لم تهم وقيل ان هذه الحكاية انما وقعت له في بعض سفراته
الحجاج وكان معه صاحب له فبعثه الى سوق الحجاج ليشتري شيا فاطلت على سليمان
امراة من الجبل حسناء فقالت له هيت لك فبكى واشتد بكاؤه فلما رات المراة ذلك
منه ارتفعت في الجبل ورجع صديقه فوجده يبكي فقال له ما لك تبكي فقال خير فقال
لعلك ذكرت بعض ولدك بعض اهلك فقال لا فقال والله لتخبرني ما ابكاك فلا زال
به حتى اخبره فاخذه البكا فقال له سليمان انا بكيت على ما اخبرتك فاي شي ابكاك انت
قال ابكاني حزني على نفسي لو كنت مكانك لم اصبر عنها ثم ذكر انه نام فراى يوسف في منامه
كما تقدم والله اعلم عكرمة مولى ابن عباس احد التابعين والمفسرين المكثرين والعلماء
الربانيين والرحالين الجوالين تلتسا اما عكرمة فهو ابو عبد الله روى عن خلق كثير
من الصحابة وكان احد اوعية العلم وقد افتى في حياة مولاه ابن عباس قال عكرمة طلبت

العلم اربعين سنة وقد طاف عكرمة البلاد ودخل افريقية واليمن والشام والعراق وخراسان
وبث علمه هنالك واخذ الصلات وجوائز الامراء وقد روى ابن ابي شيبة عنه قال كان ابن
عباس يجعل في رجلي الكبل يعلمني القران والسنن وقال حبيب بن ابي ثابت اجتمع عندي
خمسة لا يجتمع عندي مثلهم ابدا عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة فاقبل
سعيد ومجاهد يلقيان على عكرمة التفسير فلم يسالاه عن اية الا فسرها لهما فلما نفد
ما عندهما جعل يقول نزلت اية كذا في كذا قال ثم دخلوا الحمام ليلا قال جابر بن زيد
عكرمة اعلم الناس وقال الشعبي ما بقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة وروى الامام احمد
عن عبد الصمد عن سلام بن مسكين سمعت قتادة يقول اعلمهم بالتفسير عكرمة وقال
سعيد بن جبير نحوه وقال عكرمة لقد فسرت ما بين اللوحين وقال ابن علية عن ايوب
سال رجل عكرمة عن اية فقال نزلت في سفح ذلك الجبل واشار الى سلع وقال عبد الرزاق
عن ابيه لما قدم عكرمة الجند حمله طاوس على نجيب فقال ابتعت علم هذا الرجل وفي
رواية ان طاوسا حمله على نجيب بثمن ستين دينارا وقال الا نشتري علم هذا العبد
بستين دينارا ومات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فاخرجت جنازتهما فقال الناس
مات افقه الناس واشعر الناس وقال عكرمة قال لي ابن عباس انطلق فافت الناس
فمن سالك عما يعنيه فافته ومن سالك عما لا يعنيه فلا تفته فانك تطرح عني ثلثي
مؤنة الناس وقال سفيان عن عمرو قال كنت اذا سمعت عكرمة يحدث عن المغازي كانه
مشرف عليهم ينظر كيف يصنعون ويقتتلون وقال احمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق
قال سمعت معمرا يقول سمعت ايوب يقول كنت اريد ان ارحل الى عكرمة الى افق من الافاق
قال فاني لفي سوق البصرة فاذا رجل على حمار فقيل هذا عكرمة قال واجتمع الناس اليه
فما قدرت انا على شيء اساله عنه ذهبت مني المسائل وشردت عني فقمت الى جنب حماره فجعل
الناس يسالونه وانا احفظه وقال شعبة عن خالد الحذاء قال قال عكرمة لرجل وهو
يساله ما لك اجبلت وفي رواية ان خالدا الحذاء ساله فسكت فقال عكرمة ما لك اجبلت
اي خبيث وقال زياد بن ايوب ثنا ابو تميلة ثنا عبد العزيز بن ابي رواد قال
قلت لعكرمة بنيسابور الرجل يريد الخلاء وفي اصبعه خاتم فيه اسم الله قال يجعل فصه
في باطن كفه ثم يقبض عليه وقال الامام احمد ثنا امية بن خالد قال سمعت شعبة
يقول قال خالد الحذاء كل شيء قال فيه محمد بن سيرين ثبت عن ابن عباس انما سمعه من عكرمة
لقيه ايام المختار بالكوفة وقال سفيان الثوري خذوا المناسك عن سعيد بن جبير
ومجاهد وعكرمة وقال ايضا خذوا التفسير عن اربعة سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة
والضحاك وقال عكرمة ادركت مائتين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا
المسجد وقال محمد بن يوسف الفريابي ثنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن عكرمة
قال كانت الخيل التي شغلت سليمان بن داود عليه السلام عشرين الفا فعقرها
وقال ابو بكر بن ابي شيبة ثنا معمر بن سليمان عن الحكم بن ابان عن عكرمة الذين يعملون السو
ء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال الدنيا كلها قريب وكلها جهالة وفي قوله للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا قال عند سلاطينها وملوكها ولا فسادا لا يعملون بمعاصي
الله عز وجل والعاقبة من الجنة وقال في قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا

به بعذاب بئيس اي شديد فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمادوا فيما وعظوا به واخبروا خاسئين
صاغرين فجعلناها نكالا لما بين يديها اي من الامم الماضية وما خلفها من الامم الاتية
من اهل زمانهم وغيرهم وموعظة يتقي من تحفظ بها الشرك والمعاصي قال ابن عباس اذا كان
يوم القيامة بعث الله الذين اعتدوا في السبت في صورة الانس فيدخل النار الذين اعتدوا
وبحاسب الذين تركوا الامر والنهي كان المسخ لهم عقوبة في الدنيا حين تركوا الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقال عكرمة قال ابن عباس ليت شعري ما فعل المداهنون قال عكرمة
فقلت له فلما عتوا عما نهوا عنه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
بئيس بما كانوا يفسقون قال ابن عباس هلك والله القوم جميعا قال ابن عباس قال الذين
امروا ونهوا نجوا والذين لم يامروا ولم ينهوا هلكوا فيمن هلك من اهل المعاصي قال وذلك
ان اهل ايلة وهي قرية على شاطئ البحر وكان الله قد امر بني اسرائيل ان يتفرغوا ليوم الجمعة
فقالوا بل نتفرغ ليوم السبت لان الله تعالى فرغ من الخلق يوم السبت فاصبحت
الاشياء مسبوتة وذكر قصة اصحاب السبت وتحريم الصيد عليهم وان الحيتان كانت
تاتيهم يوم السبت ولا تاتيهم في غيره من الايام وذكر احتيالهم على صيدها في يوم السبت
فقال قوم لا ندعكم تصيدون في يوم السبت ووعظوهم فجاء قوم اخرون مداهنون
فقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا للناهين معذرة الى
ربكم ولعلهم يتقون اي ينتهون عن الصيد في يوم السبت وقد ذكر عكرمة انه لما قال
لابن عباس ان المداهنين هلكوا مع الفاعلين فكساه ثوبين وقال جرير عن مغيرة
عن عكرمة قال كانت القضاة ثلاثة يعني في بني اسرائيل فمات واحد فجعل الاخر مكانه
فقضوا ما شاء الله ان يقضوا فبعث الله ملكا على فرس على رجل يسقي بقرة معها عجل
فدعا الملك العجل فتبع العجل الفرس فجاء صاحبه ليرده فقال يا عبد الله عجلي وابن
بقرتي فقال الملك بل هو عجلي وابن فرسي فخاصمه حتى اعيا فقال القاضي بيني وبينك
قال لقد رضيت قال فارتفعا الى احد القضاة فتكلم صاحب العجل فقال انه
مر بي على فرس فدعا عجلي فتبعه فابى ان يرده قال ومع الملك ثلاث درات لم ير الناس
مثلها فاعطى القاضي درة وقال اقض لي فقال كيف يسوغ هذا فقال نرسل العجل خلف
الفرس والبقرة فايهما تبعه فهو ابنها ففعل ذلك فتبع الفرس فقضى له فقال صاحب
العجل لا ارضى بيني وبينك القاضي الاخر ففعلا مثل ذلك ثم اتيا الثالث فقصا
عليه قصتهما وناوله الملك الدرة الثالثة فلم ياخذها وقال لا اقضي بينكما اليوم
فقالا ولم لا تقضي بيننا قال لاني حائض فقال الملك سبحان الله رجل يحيض فقال
القاضي سبحان الله وهل تنتج الفرس عجلا فقضى لصاحب البقرة فقال الملك
انكم انما ابتليتم وقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك وقال ابو بكر بن عياش عن ابي
حمزة الثمالي عن عكرمة ان ملكا من الملوك نادى في اهل مملكته اني ان وجدت احدا يتصدق
بصدقة قطعت يده فجاء سائل الى امراة فقال تصدقي علي بشيء فقالت كيف اتصدق
عليك والملك يقطع يد من تصدق فقال اسالك بوجه الله الا تصدقت علي بشيء
فتصدقت عليه برغيفين فبلغ ذلك الملك فارسل اليها فقطع يديها ثم ان الملك
قال لامه دليني على امراة جميلة اتزوجها فقالت ان هاهنا امراة ما رايت مثلها

لولا عيب بها قال أي عيب هو قالت مقطوعة اليدين قال فارسل اليها فلما راها اعجبته
وكان لها جمال فقالت ان الملك يريد ان يتزوجك قالت نعم ان شاء الله فتزوجها
واكرمها فنهد الى الملك عدو فخرج اليهم ثم كتب الى امه انظري فلانة فاستوصي بها
خيرا وافعلي وافعلي معها فجاء الرسول فنزل على بعض ضرايرها فحسدتها فاخذت الكتاب
فغيرته وكتبت الى امه انظري فلانة فقد بلغني ان رجالا ياتونها فاخرجيها من البيت وافعلي
وافعلي فكتبت اليه الام انك قد كذبت انها لامراة صدق فذهب الرسول اليهم فنزل
بهن فاخذن الكتاب فغيرنه فكتبن اليه انها فاجرة وقد ولدت غلاما من الزنا فكتب الى امه
انا نظري فلانة فاجعلي ولدها على رقبتها واضربي على جنبها واخرجيها قال فلما جاءها
الكتاب قراته عليها وقالت لها اخرجي فجعلت الصبي على رقبتها وذهبت فمرت بنهر
وهي عطشانة فنزلت لتشرب والصبي على رقبتها فوقع في الماء فغرق فجلست تبكي على
شاطئ النهر فمر بها رجلان فقالا ما يبكيك فقالت ابني كان على رقبتي وليس لي يدان
فسقط في الماء فغرق فقالا لها اتحبين ان يرد الله عليك يديك كما كانتا قالت نعم
فدعوا الله ربهما لها فاستوت يداها ثم قالا لها اتدرين من نحن قالت لا قالا نحن
رغيفاك اللذان تصدقت بهما قال في قوله طيرا ابابيل قال طير خرجت من البحر
لها رؤوس كرؤوس السباع فلم تزل ترميهم حتى جدرت جلودهم وما رؤي الجدري قبل يومئذ
وما رؤي الطير قبل يومئذ ولا بعد وفي قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
قال لا يقولون لا اله الا الله وفي قوله قد افلح من تزكى قال من قال لا اله الا الله وفي قوله
هل لك الى ان تزكى الى ان تقول لا اله الا الله وفي قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
على شهادة ان لا اله الا الله وفي قوله اليس منكم رجل رشيد اليس منكم من يقول لا اله الا
الله وفي قوله وقالوا صوابا قال لا اله الا الله وفي قوله انك لا تخلف الميعاد لمن قال
لا اله الا الله وقوله فلا عدوان الا على الظالمين على من لا يقول لا اله الا الله وفي قوله
واذكر ربك اذا نسيت قال اذا غضبت سيماهم في وجوههم قال السهر وقال ان الشيطان
ليزين للعبد الذنب فاذا عمله تبرا منه فلا يزال يتضرع الى ربه ويتمسك له ويبكي
حتى يغفر الله له ذلك وما قبله وقال قال جبريل عليه السلام ان ربي ليبعثني الى الشيء
لامضيه فاجد الكون قد سبقني اليه وسئل عن الماعون قال العارية قلت فان منع
الرجل غربالا او قدرا او قصعة او شيئا من متاع البيت فله الويل قال لا ولكن اذا سهى
عن الصلاة ومنع الماعون فله الويل وقال البضاعة المزجاة التي فيها تجوز وقال
السائحون هم طلبة العلم كما يئس الكفار من اصحاب القبور قال اذا دخل الكفار القبور
وعاينوا ما اعد الله لهم من الخزي يئسوا من رحمة الله وقال غيره يئس الكفار من اصحاب
القبور اي من حياتهم وبعثهم بعد موتهم وقال كان ابراهيم عليه السلام يدعى ابا الضيفان
وكان لقصره اربعة ابواب لكيلا يفوته احد وقال انكالا اي قيودا وقال في كاهن سبا انه
قال لقومه لما دنا منهم العذاب من اراد سفرا بعيدا وجملا شديدا فعليه بعمان ومن اراد
الخمر والخمير وكذا وكذا والعصير فعليه ببصرى يعني الشام ومن اراد الراسخات في الوحل
والمقيمات في المحل فعليه بيثرب ذات النخل فخرج قوم الى عمان وقوم الى الشام وهم
غسان وخرج الاوس والخزرج وهم بنو كعب بن عمرو وخزاعة حتى نزلوا بيثرب ذات النخل

فلما كانوا

فلما كانوا ببطن مر قالت خزاعة هذا موضع صالح لا نريد به بدلا فنزلوا به فمن ثم سميت
خزاعة لانهم انخزعوا من اصحابهم وتقدمت الاوس والخزرج حتى نزلوا بيثرب قال
وقال الله عز وجل ليوسف عليه السلام يا يوسف بعفوك عن اخوتك رفعت لك
ذكرك مع الذاكرين وقال قال لقمان لابنه قد ذقت المرار فلم اذق شيئا امر من الفقر
وحملت كل حمل ثقيل فلم احمل اثقل من جار السوء ولو ان الكلام من فضة لكان السكوت
من ذهب رواه وكيع بن الجراح عن سفيان عن ابيه عن عكرمة فذكره وروى الامام احمد عن
عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن عكرمة وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال ما وقع منها شيء
الا في عين رجل منهم وقال في قوله تعالى زنيم هو اللئيم الذي يعرف باللؤمة كما تعرف
الشاة بزنمتها وقال في قوله الذين يؤذون الله ورسوله قال هم اصحاب التصاوير
وبلغت القلوب الحناجر قال لو ان القلوب تحركت او زالت لخرجت نفسه وانما هو
الخوف والفزع فتنتم انفسكم اي بالشهوات وتربصتم بالتوبة وغرتكم الاماني اي
التسويف حتى جاء امر الله الموت وغركم بالله الغرور الشيطان وقال من قرا يس
والقران الحكيم لم يزل ذلك اليوم في سرور حتى يمسي وقال سلمة بن شبيب ثنا ابراهيم
بن الحكم بن ابان عن ابيه قال كنت جالسا مع عكرمة عند البحر فذكروا الذين يغرقون
في البحر فقال عكرمة الذين يغرقون في البحار تقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء
الا العظام تلوح فتلقفها الامواج يمينا وشمالا حتى تلقيها الى البر فتمكث تلك العظام
حينا حتى تصير حائلا نخرة فتمر بها الابل فتاكلها ثم تسير الابل فتبعرها ثم يجي بعدهم
قوم فينزلون ذلك المنزل فياخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم يخمد فتجي الريح
فتاخذه وتذريه في كل مكان من الارض حيث يشاء الله من بره وبحره فاذا جاءت النفخة
نفخة البعث فيخرج اولئك واهل القبور اجمعون سواء وبهذا الاسناد عنه قال
ان الله اخرج رجلين رجلا من الجنة ورجلا من النار فقال لصاحب الجنة عبدي كيف وجدت
مقيلك فقال خير مقيل قال القايلون فذكر من رواحها وانواع نعيمها ثم قال لصاحب
النار عبدي كيف وجدت مقيلك في النار فقال شر مقيل قال القايلون فذكر من عقاربها
وحياتها وزنابيرها ومن انواع ما فيها من العذاب والوانه فيقول الله تعالى لصاحب
النار عبدي ماذا تعطيني ان انا اعفيتك من النار فيقول العبد الهي وما عندي
ما اعطيك فقال له الرب تعالى لو كان لك جبل من ذهب اكنت تعطيني فاعفيك من
النار فقال نعم فقال له الرب كذبت لقد سالتك في الدنيا ما هو ايسر من ذلك
ان تدعوني فاستجيب لك وتستغفرني فاغفر لك وتسالني فاعطيك فكنت
تتولى ذاهبا وبهذا الاسناد قال ما من عبد يقربه الله عز وجل يوم القيامة للحساب
الا قام من عند الله بعفوه وبه عنه لكل شيء اساس واساس الاسلام الخلق الحسن وبه
عنه قال شكى نبي من الانبياء الى ربه عز وجل الجوع والعرى فاوحى الله اليه اما ترضى
اني سددت عنك بابا لشر الناشئ عنهما وبه عنه قال ان في السماء ملكا يقال له
اسماعيل لو اذن الله له بفتح اذن من اذانه يسبح الرحمن عز وجل لمات من في السموات
والارض وبه عنه قال سعة الشمس سعة الارض وزيادة ثلاث مرات وسعة القمر سعة
الارض مرة وان الشمس اذا غربت دخلت بحرا تحت العرش يسبح الله حتى اذا هي اصبحت

استعفيا ربهما تعالى من الطلوع فيقول لهما ولم ذلك وهو اعلم فتقولان لئلا نعبد من دونك فيقول اطلعا فليس عليكما شيء من ذلك حسبهم جهنم ابعثهما اليوم مع ثلاثة عشر الف ملك يقودونهما حتى يطلعوهما وهذا خلاف ما ثبت في الحديث الصحيح ان جهنم يؤتى بها تقاد بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقال مندل عن اسد بن عطا عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقفن احدكم على رجل يضرب ظلما فان اللعنة تنزل من السماء على من يحضره اذا لم تدفعوا عنه ولا يقفن احدكم على رجل يقتل ظلما فان اللعنة تنزل من السماء على من يحضره اذا لم يدفعوا عنه لم يرفعه الا مندل هذا وروى شعبة عن عمارة بن ابي حفصة عن عكرمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عطس غطا وجهه بثوبه ووضع يده على حاجبيه هذا حديث شعبة وروى بقية عن اسحاق بن مالك الحضرمي عن عكرمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف على احد بيمين وهو يرى انه سيبره فلم يفعل فانما اثمه على الذي لم يبره تفرد به بقية بن الوليد مرفوعا وقال عبد الله بن احمد في مسند ابيه ثنا عبيد بن عمر القواريري ثنا يزيد بن زريع ثنا عمارة بن ابي حفصة ثنا عكرمة عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه بردان قطريان خشنان غليظان فقالت عايشة يا رسول الله ان ثوبيك هذين غليظين فقالت عايشة يا رسول الله ان ثوبيك هذين غليظان خشنان ترشح فيهما فيثقلان عليك فارسل الى فلان فقد اتاه بز من الشام فاشتر منه ثوبين الى ميسرة فارسل اليه فاتاه الرسول فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك لتبيعه ثوبين الى الميسرة فقال قد علمت والله ما يريد نبي الله الا ان يذهب بثوبي او يعطلني بثمنهما فرجع الرسول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام كذب قد علموا اني اتقاهم لله واداهم للامانة ودى هذا اليوم قال النبي صلى الله عليه وسلم لان يلبس احدكم من رقاع شيء خير له من ان يستدين ما ليس عنده والله سبحانه اعلم الزيادة القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق كان احد الفقهاء المشهورين له روايات كثيرة عن الصحابة وغيرهم وكان من افضل اهل المدينة واعلم اهل زمانه قتل ابوه وهو صغير فاخذته عمته عايشة فنشأ عندها وساد وله مناقب كثيرة ابو رجا العطاردي تقدم له ذكر وفاة واسمه عمران بن ملحان البصري له روايات كثيرة قيل انه عاش مائة وعشرين وقيل مائة وثلاثين سنة وقيل اكثر من ذلك وكان يذكر انه ولد قبل المبعث وكان من المشهورين بالعلم والفضل والزهد والعبادة رحمه الله تعالى ۝

وفيها توفي كثير عزة الشاعر المشهور ۝

وهو كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر ابو صخر الخزاعي الحجازي المعروف بابن ابي جمعة وعزة هذه المشهور هو المنسوب اليها لتغزله فيها هي ام عمرو وعزة بالعين المهملة بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار وانما صغر اسمه فقيل كثير لانه كان دميم الخلق قصيرا طوله ثلاثة اشبار قال ابن خلكان كان يقال له رب الذباب وكان اذا مشى يظن انه صغير من قصره وكان اذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له طاطي

راسك

راسك لا يؤذيك السقف وكان يضحك اليه وكان يفد على عبد الملك ووفد على عبد الملك بن مروان مرات ووفد على عمر بن عبد العزيز وكان يقال لانه اشعر الاسلاميين على انه كان فيه تشيع وربما نسبه بعضهم الى مذهب التناسخية وكان يحتج على ذلك من جهله وقلة عقله ان صح النقل عنه بقوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك وقد استاذن يوما على عبد الملك فلما دخل عليه قال عبد الملك لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال له مهلا يا امير المومنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان وانا الذي اقول

وجربت الامور وجربتني ۞ وقد ابدت عريكتي الامور
وما تخفى على ابي بهم ۞ الاخوش ما تعقه حنبير
ترى الرجل النحيف فتزدريه ۞ وفي اثوابه اسد هزير
ويعجبك الطرير فتختبره ۞ فيخلف ظنك الرجل الطرير
وما عظم الرجال لهم بزين ۞ ولكن زينها دين وخير
بغاث الطير اطولها جسوما ۞ ولم تطل البزاة ولا الصقور
وبغاث الطير اكثرها ۞ فراخا وام الصقر مقلاة نزور
وقد عظم البعير بغير لب ۞ فلم يستغن بالعظم البعير
فيركبه فيضرب بالهراوى ۞ ولا عرف لديه ولا نكير
وعود النبع ينبت مستمرا ۞ وليس يطول والقصباء خور

وقد تكلم ابو الفرج بن طرار على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلام طويل قالوا ودخل كثير عزة يوما على عبد الملك بن مروان فاستنشده قصيدته التي يقول فيها

على ابن ابي العاصي دلاص حصينة ۞ اجاد المسدي سردها واذالها

فقال له عبد الملك الا قلت كما قال الاعشى لقيس بن معدي كرب

واذا تجيء كتيبة ملمومة ۞ شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة ۞ بالسيف تضرب معلما ابطالها

فقال يا امير المومنين وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم ودخل يوما على عبد الملك وهو يتجهز للخروج الى مصعب بن الزبير فقال ويحك يا كثير ذكرتك الان بشعرك فان اصبته اعطيتك حكمك فقال يا امير المومنين كانك لما ودعت عاتكة بنت يزيد بكت لفراقك فبكى لبكائها حشمها فذكرت قولي عند ذلك

اذا ما اراد الغزو لم يثن عزمه ۞ حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه ۞ بكت فبكى مما عراها قطينها

قال اصبت احتكم قال مائة ناقة من نوقك المختارة قال هي لك فلما سار عبد الملك الى العراق نظر يوما الى كثير عزة وهو مفكر في امره فقال علي به فلما جيء به قال له ارايت اذا اخبرتك بما كنت تفكر فيه تعطيني حكمي قال نعم قال والله قال له عبد الملك انك تقول في نفسك هذا رجل ليس هو على مذهبي وهو ذاهب الى قتال رجل ليس هو على مذهبي فان اصابني سهم غرب من بينهما خسرت الدنيا والاخرة فقال اي والله ۝ يا امير المومنين فاحتكم قال حكمي ان تردني الى اهلي واحسن جائزتي فاعطاه مالا

وأذن له في الانصراف وقال حماد الراوية عن كثير عزة وفدت انا والاحوص ونصيب
الى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ونحن نمت اليه بصحبتنا اياه ومعاشرتنا
له لما كان بالمدينة فكل منا يظن انه سيشركه في الخلافة فنحن نسير ونختال في رحالنا
فلما انتهينا الى خناصرة ولاحت لنا اعلامها تلقانا مسلمة بن عبد الملك فقال لنا وما
اقدمكم اوما علمتم ان صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشعراء قال فوجمنا لذلك فانزلنا
مسلمة عنده واجرى علينا النفقات وعلف دوابنا واقمنا عنده اربعة اشهر لا يمكنه
ان يستأذن لنا على عمر فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لاسمع خطبته فاسلم عليه بعد
الصلاة فسمعته يقول في خطبته لكل سفر زاد فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة
التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله له من عذابه وثوابه فترغبوا وترهبوا ولا يطولن
عليكم الامد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري
لعله لا يمسي بعد اصباحه ولا يصبح بعد امسائه وربما كانت له كامنة بين ذلك
خطرات الموت والمنايا وانما يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله واهوال يوم القيامة
فاما من لا يداوي من الدنيا كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يطمئن اعوذ بالله
ان آمركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه الا الحق
والصدق ثم بكى حتى ظننا انه قاض نحبه وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والعويل قال
فانصرفت الى صاحبي فقلت خذا شرجا من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فانه رجل
اخروي وليس بدنياوي قال ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه
سلمت عليه ثم قلت يا امير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك ايانا
وفود العرب فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين وقرأ الآية فان كنتم من هؤلاء
اعطيتكم والا فلا حق لكم فيها فقلت يا امير المؤمنين اني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به
فقال ألستم عند ابي سعيد يعني مسلمة بن عبد الملك فقلنا بلى فقال انه لا ثواء على من هو
عند ابي سعيد فقلت ائذن لي يا امير المؤمنين حتى انشدك قال نعم ولا تقل الا حقا
فانشدته قصيدته

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف ... بريا ولم تقبل اشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي ... اتيت فامسى راضيا كل مسلم
الا انما يكفي الفتى بعد زيغه ... من الاود البادي ثقاف المقوم
وقد لبست تسعى اليك ثيابها ... تراءى لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض احيانا بعين مريضة ... وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فاعرضت عنها مشمئزا كأنما ... سقتك مدوفا من سمام وعلقم
وقد كنت من اجبالها في ممنع ... ومن بحرها في مزبد الموج مفعم
وما زلت تواقا الى كل غاية ... بلغت بها اعلى البناء المقدم
فلما اتاك الملك عفوا ولم يكن ... لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذي يفنى وان كان مونقا ... وآثرت ما يبقى برأي مصمم
واضررت بالفاني وشمرت للذي ... امامك في يوم من الشر مظلم
وما لك اذ كنت الخليفة مانع ... سوى الله من مال رغيب ولا دم

سمالك

سما لك هم في الفؤاد مؤرق ... بلغت به اعلى المعالي بسلم
فما بين شرق الارض والغرب كلها ... مناد ينادي من فصيح واعجم
يقول امير المؤمنين ظلمتني ... باخذ لدينار ولا اخذ درهم
ولا بسط كف لامرئ غير مجرم ... ولا السفك منه ظالما ملء محجم
ولو يستطيع المسلمون لقسموا ... لك الشطر من اعمارهم غير ندم
فعشت به ما حج لله راكب ... ملب مطيف بالمقام وزمزم
فاربح بها من صفقة لمبايع ... واعظم بها اعظم بها ثم اعظم

قال فاقبل علي عمر بن عبد العزيز وقال انك تسأل عن هذا يوم القيامة ثم استأذنه
الاحوص فانشده قصيدة اخرى فقال انك تسأل عن هذا يوم القيامة ثم استأذنه
نصيب فلم يأذن له وامر لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهما واغزى نصيبا المرج دابق
ووفد كثير عزة بعد ذلك على يزيد بن عبد الملك فامتدحه بقصائد فاعطاه سبع
مائة دينار وقال الزبير بن بكار كان كثير عزة شيعيا خشبيا يرى الرجعة وكان يرى
التناسخ ويحتج بقوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك وقال موسى بن عقبة مولك
كثير عزة ليلة في منامه فاصبح يمدح آل الزبير ويرثي عبد الله بن الزبير وكان سبى [illegible]

بمنفسح البطحاء ثاو لو انه ... اقام بها ما لم ترمها الاخاشب
سرى خاسرو يا امير ومن يخف ... بوائق ما يخشى تنبه النوائب
تبرأت من عيب ابن اسماء انني ... الى الله من عيب ابن اسماء تائب
هو المرء لا تزري به امهاته ... واباؤه فينا الكرام الاطايب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة ما الذي
يدعوك الى ما تقول من الشعر في عزة وليست على ما نصف من الحسن والجمال فلو قلت
ذلك فيّ وفي امثالي فانا اشرف وافضل واحسن منها وكانت عائشة بنت طلحة قد
فاقت النساء حسنا وجمالا واصالة رأي قالت له ذلك لتختبره وتبلوه فقال

ضحى قلبه يا عز او كاد يذهل ... واضحى يريد الصرم او يتبدل
وكيف يريد الصرم من هو وامق ... لعزة لا قال ولا متبدل
اذا واصلتنا خلة كي تزيلنا ... ابينا وقلنا الحاجبية اول
سنوليك عرفا ان اردت وصالنا ... ونحن لتلك الحاجبية اوصل
وحدثها الواشون اني هجرتها ... فحملها غيظا علي المحمل

فقالت له عائشة لقد جعلتني خلة ولست لك بخلة وهلا قلت كما قال جميل فهو
والله اشعر منك حيث يقول

يا رب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجبتها بالقول بعد تستر ... حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة ... فضل وصلتك او اتتك رسائلي

فقال والله ما انكر فضل جميل وما انا الا حسنة من حسناته واستحيا ومما انشده
ابن الانباري

بأبي وأمي انت من معشوقة ... طبن العدو لها فغير حالها

وَمَشَّى إلى بعض عزّه نسوة • جعلن إلا الخدود دُمُوعَ نعالها •
اللهُ يعلم لو جمعن وَمُثّلت • لاخترتُ قبل تأمّل تمثالها •
ولو أنّ عزّة خاصمت شمس الضحى • في الحسن عند موفّق لقضى لها •

وأنشد غيره لكثير عزّه •
فما أحدث النأي الذي كان بيننا • سلوًّا ولا طول اجتماع تقاليا •
وما زادني الواشون إلا صبابة • ولا كثرة الناهين إلا تماديا • غيره له
فقلت لها يا عزّ كل مصيبة • إذا وُطِّنت يومًا لها النفس ذلّت •
هنيئًا مريئًا غير داءٍ مخامر • لعزّة من أعراضنا ما استحلّت •

قلت هذه الأبيات كلها فيها حكم من تعلّقات القلوب بالله وحبّها له وإيثاره تعالى على كل شيء وحمل المشتاق والملازم فيه تعالى وهذا واضح لمن تأمّله والله أعلم وقال كثير عزّه أيضا وفيه حكمة أيضا •
ومن لا يغمّض عينه عن صديقه • وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب •
ومن يتتبّع جاهدًا كل عثرة • يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب •

وذكروا أن عزّة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار أم عمرو الضمرية وفدت على عبد الملك بن مروان تشكو إليه ظلامة فقال لها لا أقضيها لك حتى تنشدني شيئا من شعره فقالت لا أحفظ لكثير شعرا لكني سمعتهم يحكون عنه أنه قال فيّ هذه الأبيات
قضى كل ذي دين علمتُ غريمه • وعزّة ممطول معنّى غريمها •
الآخر فما فقال لست عن هذا أسألك ولكن أنشديني قوله
وقد زعمت أني تغيّرتُ بعدها • ومن ذا الذي يا عزّ لا يتغيّر •
تغيّر جسمي والخليقة كالذي • عهدتِ ولم يُخبَر بسرّك مخبر •
قال فاستحيت وقالت أما هذا فلا أحفظه ولكن سمعتهم يحكون عنه ولكن أحفظ له قوله
كأني أنادي صخرة حين أعرضت • من الصمّ لو يمشي بها العصم زلّت •
صفوح فما يلقاك إلا بخيلة • ومن ملّ منها ذلك الوصل ملّت •

قال فقضى لها حاجتها وردّها وردّ عليها ظلامتها وقال أدخلوها الحرم ليتعلّموا من أدبها وروي عن بعض نساء العرب قال اجتازت بنا عزّه فاجتمع نساء الحاضر إليها لينظرن حسنها فإذا هي حميراء حلوة لطيفة فلم تقع من النساء بذاك الموقع حتى تكلمت فإذا هي أبرع النساء وأحلاهن حديثا فما بقي في أعيننا امرأة تفوقها حسنا وجمالا وحلاوة وذكر الأصمعي عن سفيان بن عيينة قال دخلت عزّة على سكينة بنت الحسين فقالت لها إني أسألك عن شيء فاصدقيني ما الذي أراد كثير في قوله
قضى كل ذي دين فوفّى غريمه • وعزّة ممطول معنّى غريمها •
فقالت كنت وعدته قبلة فمطلته بها فقالت انجزيها له وإثمها عليّ وقد كانت سكينة بنت الحسين من أحسن النساء حتى كان يضرب بحسنها المثل وروي أن عبد الملك بن مروان أراد أن يزوج كثيرًا من عزّة فأبت عليه وقالت يا أمير المؤمنين أبعد ما فضحني بين الناس وشهرني في العرب، وامتنعت من ذلك كل الامتناع ذكره ابن عساكر وروي أنها اجتازت مرّة بكثير عزّه وهو لا يعرفها فتنكّرت عليه وأرادت تختبر

ماعنده

100

ما عنده فتعرّض لها فقالت له فأين حبك عزّه فقال أنا لك الفدا لو أن عزّة أمة لي لوهبتها لك فقالت ويحك لا تفعل ألستَ القائل •
إذا وصلتنا خلّة كي تزيلنا • أبينا وقلنا الحاجبية أول •
فقال بأبي أنت وأمي أقصري عن ذكرها واسمعي ما أقول •
هل وصل عزّة إلا وصل غانية • في وصل غانية من وصلها بدل •
قالت فهل لك في المجالسة قال ومن لي بذلك قالت فكيف بما قلت في عزّة قال أقلبه فيتحوّل إليك قال فسفرت عن وجهها وقالت أغدرًا ونكثًا يا فاسق وإنك لهاهنا يا عدوّ الله فبهت وأبلس ولم ينطق وتحيّر ثم قالت قاتل الله جميلًا حيث يقول
لحا الله من لا ينفع الودّ عنده • ومن حبله إن مُدّ غير متين •
ومن هو ذو وجهين ليس بدائم • على العهد خلّاف بكل يمين •
ثم شرع كثير يعتذر ويتنصّل مما وقع منه ويقول في ذلك الأشعار ذكروا أنّ وقد ماتت عزّة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان فزار كثير قبرها ورثاها وتغيّر شعره بعدها فقال له قائل ما بال شعرك تغيّر وقد قصّرت فيه فقال ماتت عزّه فلا أطرب وذهب الشباب فلا أعجب ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب وإنما ينشأ الشعر عن هذه الخلال وكانت وفاته ووفاة عكرمة في يوم واحد ولكن في سنة خمس ومائة على المشهور وإنما ذكره شيخنا الذهبي في هذه السنة أعني سنة سبع ومائة والله سبحانه أعلم

وزيد بن عبد الله بن الشخير

أخو مطرف بن عبد الله أبو العلاء العامري الشاعر المعروف بابن الرمّاح له شعر جيد العريان بن الهيثم الكوفي ولي إمرة الكوفة لخالد القسري ومات بها عمر بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر المشهور له شعر رقيق وقد وفد على عبد الملك ووصله بما لكثير عمر بن الوليد بن عبد الملك كان كثيرًا للعب كان له نحل يركبه ويركب معه نسوة وربما غزا في إمارة أبيه ما لك بن أسماء الفزاري

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

فيها افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم وفتح إبراهيم بن هشام بن عبد الملك حصنا من حصون الروم أيضا وفيها غزا أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان فكسر الأتراك كسرة فاضحة وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة ورثان ورماها بالمناجيق فسار إليه أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه وقتل من جيشه خلق كثير وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من جيشه وقتل الحارث بن عمرو شهيدًا وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقًا كثيرًا وفيها غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك أرض الروم وبعث البطال على جيش كثيف فافتتح حجره وغنم منها شيئا كثيرا

وفيها توفي من الأعيان بكر بن عبد الله

المزني البصري كان عالما عابدًا زاهدًا متواضعًا قليل الكلام وله روايات كثيرة عن خلق

من الصحابة ومن التابعين قال بكر بن عبد الله اذا رايت من هو اكبر منك من المسلمين فقل سبقني الى المعاصي فهو خير مني واذا رايت اخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل هذا من فضل احدثه واذا رايت منهم تقصيرا فقل هذا بذنب احدثته وقال من مثلك يا ابن ادم خلي بينك وبين الماء والمحراب متى شئت تطهرت ودخلت على ربك عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان ولا حاجب وقال لا يكون العبد تقيا حتى يكون تقي الطعم تقي الغضب وقال اذا رايتم الرجل موكلا بعيوب الناس ناسيا لعيبه فاعلموا انه قد مكر به وقال كان الرجل من بني اسرائيل اذا بلغ المبلغ الصالح من العمل يمشي في الناس تظلله غمامة قال فمر رجل قد اظلته غمامة على رجل فاعظمه لما راه لما اتاه الله فاحتقره صاحب الغمامة فامرها الله ان تحول عن راسه الى راس الذي احتقره وهو الذي عظم امر الله عز وجل وقال ما سبقهم ابو بكر بكثير صلاة ولا صيام ولكن بشي وقر في صدره وله كلام كثير حسن يطول ذكرها اخر الزيادة راشد بن سعد المقرائي الحمصي عمر دهرا وروى عن جماعة من الصحابة وكان عابدا صالحا زاهدا رح وله ترجمة طويلة محمد بن كعب القرظي توفي فيها في قول وهو ابو حمزة له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وكان عالما بتفسير القران صالحا عابدا قال الاصمعي ثنا ابو المقدام هشام بن زياد عن محمد بن كعب القرظي انه سئل ما علامة الخذلان قال ان يستقبح الرجل ما كان يستحسن ويستحسن ما كان قبيحا وقال عبد الله بن المبارك ثنا عبد الله بن عبد الله بن موهب قال سمعنا بن كعب يقول لان اقرا في ليلة حتى اصبح اذا زلزلت والقارعة لا ازيد عليهما واتردد فيهما واتفكر احب الي من ان اهذ القران هذا او قال انثره نثرا وقال لو رخص لاحد في ترك الذكر لرخص لزكريا عليه السلام قال تعالى ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار فلو رخص لاحد في ترك الذكر لرخص له ولرخص للذين يقاتلون في سبيل الله قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا قال اصبروا على دينكم وصابروا الوعدكم الذي وعدتكم ورابطوا عدوي وعدوكم الظاهر والباطن واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون اذا لقيتموني وقال في قوله لولا ان راى برهان ربه علم ما احل القران مما حرم منها قايم وحصيد قال القايم ما كان من بنايهم قايما والحصيد ما حصد فهدم ان عذابها كان غراما قال عرفوا انما النعم ابتدئ النعم في الدنيا وفي رواية عنه سالهم ثمن نعمه فلم يقدروا على ادائها فاغرمهم ثمنها فادخلهم النار وقال قتيبة بن سعيد ثنا عبد الرحمن بن ابي الموالي قال سمعت محمد بن كعب في هذه الاية وما اوتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله قال هو الرجل يعطي الاخر من ماله ليكافيه به او يزداد فذلك الذي لا يربو عند الله والمضعفون هم المضعفون الذين يعطون لوجه الله لا يبتغي مكافاة احد وفي قوله ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق قال الجعل سري في وعلانيتي حسنة وقيل ادخلني مدخل صدق في العمل الصالح اي الاخلاص واخرجني مخرج صدق اي سالما او القى السمع وهو شهيد اي يسمع القران وقلبه معه في مكان اخر فاسعوا الى ذكر الله قال السعي العمل الصالح ليس بالشد وقال الكبائر ثلاثة ان تامن مكر الله وان

تقنط من رحمة الله وان تياس من روح الله وقال عبد الله بن المبارك ثنا موسى ابن عبيدة عن محمد بن كعب قال اذا اراد الله بعبد خيرا جعل فيه ثلث خلال فقها في الدين وزهادة في الدنيا وبصرا بعيوب نفسه وقال الدنيا دار قلعة رغب عنها السعداء وانتزعت من ايدي الاشقياء فاشقى الناس بها ارغب الناس فيها وازهد الناس فيها اسعد الناس بها هي المغوية لمن اطاعها المهلكة لمن اتبعها الخاينة لمن انقاد لها علمها جهل وغناها فقر وزيادتها نقصان وايامها دول وروى ابن المبارك عن داود بن قيس قال سمعت محمد بن كعب يقول ان الارض لتبكي من رجل وتبكي على رجل تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله وتبكي ممن كان يعمل على ظهرها بمعصية الله قد اثقلها ثم قرا فما بكت عليهم السماء والارض وقال في قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من يعمل مثقال ذرة خيرا من كافر يرى ثوابها في نفسه واهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مومن يرى عقوبتها في نفسه واهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له شر وقال ما يومنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذ همت لا اغفر لك مع ان عجايب القران ترد بي على امور حتى انه لينقضي الليل ولم افرغ من حاجتي وكتب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن كعب يساله ان يبيعه غلامه سالما وكان عابدا خيرا زاهدا فكتب اليه اني قد دبرته قال فازرنيه فاتاه سالم فقال له عمر اني قد ابتليت بما ترى وانا والله اتخوف ان لا انجو فقال له سالم ان كنت كما تقول فهذا نجاتك والا فهو الامر الذي يخاف قال يا سالم عظني قال ادم عليه السلام على خطيئة واحدة خرج بها من الجنة وانتم تعملون الخطايا ترجون دخول الجنة ثم سكت قلت ولا مر كما قيل في بعض كتب الله تزرعون السيئات وترجون الحسنات لا يجتنى من الشوك العنب

تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي • درج الجنان وطيب عيش العابد
ونسيت ان الله اخرج ادما • منها الى الدنيا بذنب واحد

وقال من قرا القران متع بعقله وان بلغ من العمر مايتي سنة وقال له رجل ما تقول في التوبة قال ما احسنها قال ارايت ان اعطيت الله عهدا ان لا اعصيه ابدا قال فمن اعظم جرما منك تتالى على الله ان لا ينفذ فيك امره وقال الحافظ ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني ثنا علي بن عبد العزيز ثنا ابو عبيد القاسم بن سلام ثنا عباد بن عباد عن هشام بن زياد ابي المقدام قال لو اكلهم ثنا محمد بن كعب القرظي قال ثنا ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يديه الا انبيكم بشراركم قالوا نعم يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده افلا انبيكم بشر من هذا قالوا نعم قال من يبغض الناس ويبغضونه قال افلا انبيكم بشر من هذا قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا قال الا انبيكم بشر من هذا قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يومن شره ان عيسى ابن مريم قام في بني اسرائيل خطيبا فقال يا بني اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا

تتبعوهما اهلها فتظلموهما وقال لعزير فتظلموهم ولا تظلموا ظالما ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم عند ربكم يا بني اسرائيل الامور ثلثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اختلف فيه فردوه الى الله وهذا الا لفاظ لا تحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا السياق الا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس وقد روى اول الحديث الى ذكر عيسى من غير طريقه وسيأتي هذا الحديث تفرد به الطبراني بطوله والله سبحانه اعلم اخر الزيادة قال المولف وفيها توفي ابو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدي وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك اسد بن عبد الله القسري عن امرة خراسان وامره ان يقدم للحج فاقبل منها في رمضان واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي واستناب هشام على خراسان اشرس بن عبد الله السلمي وامره ان يكاتب خالد بن عبد الله القسري وكان اشرس فاضلا خيرا وكانوا يسمونه الكامل لذلك فلما قدم خراسان ... اتخذ المرابطة بخراسان واستعمل المرابطة عبد الملك بن زياد الباهلي وتولى هو الامور بنفسه كبيرها وصغيرها ففرح به اهلها وفيها حج بالناس ابراهيم بن هشام امير الحرمين

سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية

فيها قاتل مسلمة بن عبد الملك ملك الترك الاعظم خاقان فزحف الى مسلمة في جموع عظيمة فتواقفوا نحوا من شهر ثم هزم الله خاقان في زمن الشتاء ورجع مسلمة سالما غانما فسلك على مسلك ذي القرنين في رجوعه الى الشام وتسمى هذه الغزاة غزاة الطين وذلك انهم سلكوا على مغارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة وتوحل فيها خلق كثير فما نجوا حتى قاسوا شدائد واهوالا صعابا شدادا وفيها دعا اشرس بن عبد الله السلمي نائب خراسان اهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر الى الدخول في الاسلام ويضع عنهم الجزية فاجابوه الى ذلك ثم طالبهم بالجزية فنصبوا له الحرب وقاتلوه ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة اطال ابن جرير بسطها وشرحها فوق الحاجة وفيها ارسل امير المؤمنين هشام عبيدة الى افريقية متوليا عليها فلما وصل جهز ابنه واخاه في جيش فالتقوا مع المشركين فقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا بطريقهم وانهزم باقيهم وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا وفيها فتح معاوية بن هشام حصنين من بلاد الروم وغنم غنائم جمة وفيها حج بالناس ابراهيم بن هشام وعلى العراق خالد القسري وعلى خراسان اشرس السلمي

ذكر من توفي فيها من الاعيان

جرير الشاعر وهو جرير بن الخطفى ويقال ابن عطية بن الخطفى واسم الخطفى حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار ابو حزرة الشاعر البصري قدم دمشق مرارا وامتدح يزيد بن معاوية والخلفاء بعده ووفد على عمر بن عبد العزيز وكان في عصره من الشعراء الذين يقارنونه الفرزدق والاخطل وكان جرير اشعرهم واخيرهم قال غير واحد هو اشعر الثلثة قال ابن دريد ثنا الاشناندانى ثنا الثوري عن ابي عبيدة عن عثمان البتي قال رايت جريرا وما يضم شفتاه من التسبيح فقلت وما ينفعك هذا وانت تقذف المحصنة فقال

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وان الحسنات يذهبن السيات وعد من الله حق وقال هشام بن محمد الكلبي عن ابيه قال دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان يمتدحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلثة جرير والفرزدق والاخطل فلم يعرفهم الاعرابي فقال عبد الملك للاعرابي هل تعرف اهجى بيت قالته العرب في الاسلام قال نعم قول جرير

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فقال احسنت فهل تعرف امدح بيت قيل في الاسلام قال نعم قول جرير

الستم خير من ركب المطايا ... واندى العالمين بطون راح

فقال اصبت واحسنت فهل تعرف ارق بيت قيل في الاسلام قال نعم قول جرير

ان العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن اضعف خلق الله اركانا

فقال احسنت فهل تعرف جريرا قال لا والله واني الى رويته لمشتاق قال فهذا جرير وهذا الفرزدق وهذا الاخطل فانشا الاعرابي يقول

فحيا الاله ابا حزرة ... وارغم انفك يا اخطل
وجد الفرزدق اتعس به ... ودق خياشيمه الجندل

فانشا الفرزدق يقول

يا ارغم الله انفا انت حامله ... يا ذا الخنا ومقال الزور والخطل
ما انت بالحكم المرضي حكومته ... ولا الاصيل ولا ذي الراي والجدل

ثم انشا الاخطل يقول

يا شر من حملت ساق على قدم ... ما مثل قولك في الاقوام يحتمل
ان الحكومة ليست في ابيك ولا ... في معشر انت منهم انهم سفل

فقام جرير مغضبا وهو يقول

اتشتمان سفاها خيركم حسبا ... ففيكما والهي الزور والخطل
شتمتماه على رفعي ووضعكما ... لا زلتما في سفال ايها السفل

ثم وثب جرير فقبل راس الاعرابي وقال يا امير المؤمنين جائزتي له وكانت خمسة الاف فقال عبد الملك وله مثلها من مالي فقبض الاعرابي ذلك كله وخرج وحكى يعقوب بن السكيت ان جريرا دخل على عبد الملك مع وفد اهل العراق من جهة الحجاج فانشده مديحه الذي يقول فيه

الستم خير من ركب المطايا ... واندى العالمين بطون راح

فاطلق له مائة ناقة وثمانية من الرعاة اربعة من النوبة واربعة من السبي الذين قدم بهم من الصغد قال جرير وبين يدي عبد الملك جام من فضة قد اهدي له وهو لا يعبا بها شيئا فهو يقرعها بقضيب في يده فقلت يا امير المؤمنين المحلب فالقى الي واحدة من تلك الجامات ولما رجع الى الحجاج اعجبه اكرام امير المؤمنين له فاطلق الحجاج له خمسين ناقة تحمل طعاما لاهله وحكى نفطويه ان جريرا دخل يوما على بشر بن مروان وعنده الاخطل فقال بشر لجرير اتعرف هذا قال لا ومن هذا ايها الامير فقال له هذا الاخطل فقال الاخطل انا الذي

سبحان

قد خفضت عرضك واسهرت ليلك وآذيت قومك فقال لجرير اما قولك شتمت عرضك فما ضر البحر ان يشتمه من غرق فيه واما قولك واسهرت ليلك فلو تركتني انام لكان خيرا لك واما قولك وآذيت قومك فكيف تؤذي قوما انت تؤدي الجزية اليهم وكان الاخطل من نصارى العرب المتنصرة فقبحه الله وابعد مثواه وهو الذي انشد لبشر بن مروان قصيدته التي يقول فيها

• قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق •

وهذا البيت تستدل به الجهمية على ان الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ولا اراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه تعالى الله عن قول الجهمية علوا كبيرا فانه انما يقال استولى على الشيء اذا كان ذلك الشيء عاصيا عليه قبل استيلائه عليه كاستيلاء بشر على العراق واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه وعرش الرب تعالى لم يكن ممتنعا عليه نفسا واحدا حتى يقال استولى عليه او معنى الاستواء الاستيلاء ولا تجد اضعف من حجج الجهمية حتى اداهم الافلاس من الحجج الى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله اعلم وقال الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد اليه الشعراء فمكثوا ببابه اياما لا يؤذن لهم ولا يلتفت اليهم فساءهم ذلك وهموا بالرجوع الى بلادهم فمر بهم رجاء بن حيوة فقال له جرير

• يا ايها الرجل المرخي عمامته • هذا زمانك فاستاذن لنا عمر •

فدخل ولم يذكر لعمر من امرهم شيئا فمر بهم عدي بن ارطاة فقال له جرير منشدا

• يا ايها الراكب المرخي مطيته • هذا زمانك اني قد مضى زمني •
• ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه • اني لدى الباب كالمصفود في قرن •
• لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة • قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني •

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة فقال ويحك يا عدي ما لي وللشعراء فقال يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يسمع الشعر ويجزي عليه وقد انشده العباس بن مرداس مدحة فاعطاه حلة فقال له عمر اتروي منها شيئا قال نعم فانشده

• رايتك يا خير البرية كلها • نشرت كتابا جاء بالحق معلما •
• شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا • عن الحق لما اصبح الحق مظلما •
• ونورت بالبرهان امرا مدلسا • واطفات بالقرآن نارا تضرما •
• فمن مبلغ عني النبي محمدا • وكل امرئ يجزى بما كان قدما •
• اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه • وكان قديما ركنه قد تهدما •
• تعالى علوا فوق عرش الهنا • وكان مكان الله اعلى واعظما •

فقال عمر من بالباب منهم قال عمر بن ابي ربيعة فقال اليس هو الذي يقول

• ثم نبهتها فهبت كعابا • طفلة ما تبين رجع الكلام •
• ساعة ثم انها بعد قالت • ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام •
• اعلى غير موعد جئت تسري • تتخطى الى رؤوس النيام •

ما تحشمت

• ما تحشمت ما تريد من الامر • ولا جئت طارقا لخصام •

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم وستر على نفسه لا يدخل علي والله ابدا فمن بالباب سواه قال همام بن غالب يعني الفرزدق فقال عمر اوليس هو الذي يقول في شعره

• هما دلتاني من ثمانين قامة • كما انقض باز اقتم الريش كاسره •
• فلما استوت رجلاي بالارض قالتا • احي يرجى ام قتيل نحاذره •

لا يطا والله بساطي وهو كاذب فمن سواه بالباب قال الاخطل قال اوليس هو القائل

• ولست بصائم رمضان طوعا • ولست باكل لحم الاضاحي •
• ولست بزاجر عيسا بكورا • الى بطحاء مكة للنجاح •
• ولست بزائر بيتا بعيدا • بمكة ابتغي فيه صلاحي •
• ولست بقائم كالعير ادعو • قبيل الصبح حي على الفلاح •
• ولكني ساشربها شمولا • واسجد عند منبلج الصباح •

والله لا يدخل علي وهو كافر ابدا فهل بالباب سوى من ذكرت قال نعم الاحوص قال اليس هو الذي يقول

• الله بيني وبين سيدها • يفر مني بها واتبعه •

فما هو دون من ذكرت فمن ها هنا غيره قال جميل بن معمر قال الذي يقول

• الا ليتنا نحيا جميعا وان نمت • يوافق في الموتى ضريحي ضريحها •
• فما انا في طول الحياة براغب • اذا قيل قد سوي عليها صفيحها •
• فلو كان عدو الله تمنى لقاءها • في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا •

ويتوب والله لا يدخل علي ابدا فهل بالباب احد سوى ذلك قلت نعم جرير قال اما انه الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا • حين الزيارة فارجعي بسلام •

فان كان لا بد فاذن لجرير فاذن له فدخل على عمر وهو يقول

العايل هو الجابر

• ان الذي بعث النبي محمدا • جعل الخلافة للامام العادل •
• وسع الخلائق عدله ووفاؤه • حتى ارعوى فاقام ميل المائل •
• اني لارجو منك خيرا عاجلا • والنفس مولعة بحب العاجل •

فقال له عمر ويحك يا جرير اتق الله فيما تقول ثم ان جريرا استاذن عمر في الانشاد فلم ياذن له ولم ينهه فانشده قصيدة طويلة يمدحه بها فقال له ويحك يا جرير لا ارى لك فيما ها هنا حقا فقال اني مسكين وابن سبيل فقال لما ولينا هذا الامر ونحن لا نملك الا ثلثماية درهم فاخذ منها ام عبد الله مائة وابنها مائة وقد بقيت مائة فامر له بها ثم خرج على الشعراء فقالوا ما وراءك يا جرير فقال ما يسوءكم خرجت من عند امير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض ثم انشا يقول

• رايت رقى الشيطان لا تستفزه • وقد كان شيطاني من الجن راقيا •

وقال بعضهم فيما حكاه المعافى بن زكريا الجريري قالت جارية للحجاج بن يوسف انك تدخل هذا علينا فقال انه ما علمت عفيفا فقالت اما انك لو اخليتني واياه سترى ما يصنع فامر باخلائها مع جرير في مكان يراهما الحجاج ولا يريانه ولا يشعر جرير بشيء من ذلك فقالت له يا جرير فاطرق راسه وقال ها انا ذا فقالت انشدني من قولك كذا وكذا لشعر فيه رقة

ويختص فقال لست احفظه ولكن احفظ كذا وكذا ويعرض عن ذلك وينشد من شعره في مدح
الحجاج فقال لست اريد هذا انما اريد كذا وكذا فيعرض عن ذلك وينشد من في الحجاج
حتى انقضى المجلس فقال الحجاج لله درك ابيت الا كرما وتكرما وقال لعكرمة انشدت اعرابيا
لجرير الخطفي

يعد الليل لا يجري كواكبه * او طال حتى حسبنا النجم حيرانا

فقال الاعرابي ان من احسن معناه واعوذ بالله من مثله ولكني انشدك في ضده من قولي

وليل لم يقصره رقاد * وقصره لنا وصل الحبيب
نعيم الحب اورق فيه حتى * تناولنا جناه من قريب
بمجلس لذة لم نقو فيه * على شكوى ولا عتب لذنوب
فخلنا ان نقطعه بلفظ * فترجمت العيون على القلوب

فقلت له زدني فقال اما من هذا الحسب ولكن انشدك غيره فانشدني

وكنت اذا لقيت فتى القوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فاحسن حين يحسن محسنوهم * واجتنب الاساءة ان اساءوا
اشاء سوى مشيئتهم فاتى * مشيئتهم واترك ما اشاء

قال ابن خلكان كان جريرا اشعر من الفرزدق عند الجمهور وافخر بيت قاله جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

قال وقد سأله رجل من اشعر الناس فاخذ بيده وادخله على ابيه واذا هو يرتضع من ثدي
عنز فاستدعاه فنقط اللبن يسيل على لحيته فقال جرير للذي سأله اتبصر هذا قال
نعم قال اتعرفه قال لا قال هذا ابي وانما يشرب من ضرع العنز لئلا يحلبها فيسمع جيرانه
حس الحلب فيطلبون منه لبنا فاشعر الناس من فاخر بهذا ثمانين شاعرا فغلبهم وقد
كان بين جرير والفرزدق مناقضات ومهاجات كثيرة جدا يطول ذكرها وتوفيا في سنة
عشر ومائة قاله خليفة بن خياط وغير واحد قال خليفة مات الفرزدق وجرير بعده باشهر
وقال الصولي ماتا في سنة احدى عشرة ومائة ومات الفرزدق قبل جرير باربعين يوما
وقال الكديمي عن الاصمعي عن ابيه قال رأى رجل جريرا في المنام بعد موته فقال له ما فعل الله
بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال بتكبيرة كبرتها بالبادية فقيل له فما فعل الفرزدق قال
ايهات اهلكه قذف المحصنات قال الاصمعي لم يدعه في الحيوة ولا في الممات

واما الفرزدق فاسمه همام بن غالب

بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة
بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة ابو فراس بن الاخطل التميمي البصري الشاعر
المعروف بالفرزدق وجده صعصعة بن ناجية صحابي وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يحيي الموؤدة في الجاهلية حدث الفرزدق عن علي انه وفد مع ابيه عليه فقال لعلي من هذا قال
ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر وسمع الفرزدق الحسين بن علي وراه وهو
ذاهب الى العراق وابا هريرة وابا سعيد الخدري وعرفجة بن اسعد وزرارة بن كرب والطرماح
ابن عدي الشاعر وروى عنه خالد الحذاء ومروان الاصفر وحجاج بن حجاج الاحول وجماعة وقد
وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحباب وعلى الوليد بن عبد الملك وعلى اخيه هشام ولم يصح

ولم يصح ذلك

ولم يصح ذلك وقال الاشعث بن عبد الله عن الفرزدق قال نظر ابو هريرة الى قدمي فقال
يا فرزدق اني ارى قدميك صغيرتين فاطلب لهما موضعا في الجنة فقلت ان ذنوبي كثيرة
فقال لا بأس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة
لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وقال معاوية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على
الفرزدق فتحرك فاذا في رجله قيد فقلت ما هذا فقال حلفت ان لا انزعه حتى احفظ
القرآن وقال ابو عمرو بن العلاء ما رأيت بدويا اقام بالحضر الا فسد لسانه الا رؤبة بن
العجاج والفرزدق فانهما زادا على طول الاقامة جدة وحدة وقال راوية ابو شغفل
طلق الفرزدق امرأته النوار ثلاثا ثم جاء فاشهد على ذلك الحسن البصري ثم ندم على طلاقها
واشهاده الحسن على ذلك فانشأ يقول

فلو اني ملكت يدي وقلبي * لكان علي للقدر الخيار
ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين اخرجه الضرار

قوله الكسعي والكسعي كان رجلا جاهليا وكان من رماة العرب فخرج ليلة متصيدا في ضوء
القمر فعن له حمر وحشية فرمى فاصاب منها حمارا فانفذه وخرج سهمه منه فاصاب
صخرة فقدح نارا فظن انه لم يصب فقال لا ارمي ولا اصيب فقطع يده فلما اصبح
اذا الحمار مطروح وسهمه الى جنبه فندم على قطع يده وقال الاصمعي وغير واحد لما ماتت
النوار بنت اعين بن ضبيعة المجاشعي امرأة الفرزدق وكانت قد اوصت ان يصلي عليها
الحسن البصري فشهدها اعيان اهل البصرة مع الحسن والحسن على بغلته والفرزدق على
بعيره فسارا فقال الحسن للفرزدق ماذا يقول الناس قال يقولون شهد هذه الجنازة
اليوم خير الناس يعنونك وشر الناس يعنوني فقال له يا ابا فراس لست انا بخير الناس
ولست انت بشر الناس ثم قال له الحسن ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله
الا الله منذ ثمانين سنة فلما ان صلى عليها الحسن مالوا الى قبرها فانشأ الفرزدق يقول

اخاف وراء القبر ان لم تعافني * اشد من القبر التهابا واضيقا
اذا جاء في يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة ازرقا
يساق الى نار الجحيم مسربلا * سرابيل قطران لباسا محرقا
اذا شربوا فيها الحميم رأيتهم * يذوبون من حر الصديد تمزقا

قال فبكى الحسن حتى بل الثرى ثم التزم الفرزدق وقال لقد كنت من ابغض الناس
الي وانك اليوم من احب الناس الي وقال له بعض الناس الا تخاف من الله في قذف
المحصنات فقال والله لله احب الي من عيني اللتين ابصر بهما فكيف يعذبني وقد قدمنا
انه مات سنة عشر ومائة قبل جرير باربعين يوما وقيل باشهر والله اعلم

فاما الحسن وابن سيرين

فقد ذكرنا ترجمة كل منهما في كتابنا التكميل مبسوطة وحسبنا الله ونعم الوكيل فاما
الحسن بن ابي الحسن واسم ابيه يسار وهو ابو سعيد البصري مولى زيد بن ثابت ويقال
مولى جابر بن عبد الله وقيل غير ذلك وامه خيرة مولاة ام سلمة كانت تخدمها فربما ارسلتها

في الحاجة فنشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع فتشاغله ام سلمة بثديها فيدر عليه
فيرتضع منها فكانوا يرون ان تلك الحكمة والعلوم التي اوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة
من الثدي المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان وهو صغير تخرجه امه
الى الصحابة فيدعون له وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب قال اللهم فقهه في الدين
وحببه الى الناس وسئل مرة انس بن مالك عن مسئلة فقال سلوا عنها مولانا الحسن
فانه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا وقال انس مرة اني لاغبط اهل البصرة بهذين الشيخين
الحسن وابن سيرين وقال قتادة ما جالست رجلا فقيها الا رايت فضل الحسن عليه
وقال ايضا ما رات عيناي افقه من الحسن وقال ايوب كان الرجل يجالس الحسن ثلث حجج
ما يسال عن مسئلة هيبة له وقال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة اذا نظرت الى
رجل اجمل اهل البصرة واهيبهم فهو الحسن فاقرئه مني السلام وقال يونس بن عبيد كان
الرجل اذا نظر الى الحسن انتفع به وان لم ير علمه ولم يسمع كلامه وقال الاعمش ما زال
الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها وكان ابو جعفر اذا ذكره يقول ذاك الذي يشبه كلامه كلام
الانبيا وقال محمد بن سعد قالوا كان الحسن جامعا للعلم والعمل عالما رفيعا فقيها
ثقة مامونا عابدا زاهدا ناسكا كثير العلم والعمل فصيحا جميلا وسيما وقدم مكة فاجلس
على سرير وجلس العلما حوله واجتمع الناس اليه فحدثهم قال اهل التاريخ مات الحسن
عن ثمان وثمانين سنة عام عشر ومائة في رجب منها بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم

واما ابن سيرين فهو محمد بن سيرين

ابو بكر بن ابي عمرة الانصاري مولى انس بن مالك النضري كان ابو محمد من سبي عين التمر
اسره خالد بن الوليد في جملة السبي فاشتراه انس ثم كاتبه ثم ولد له من الاولاد الاخيار
جماعة محمد هذا وانس بن سيرين ومعبد ويحيى وحفصة وكريمة وكلهم تابعيون ثقات
اجلا رحمهم الله قال البخاري ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وقال هشام
بن حسان هو اصدق من ادركت من البشر وقال محمد بن سعد كان ثقة مامونا عاليا رفيعا
فقيها اماما كثير العلم ورعا وكان به صمم وقال مورق العجلي ما رايت رجلا افقه
في ورعه واورع في فقهه منه وقال ابن عون كان محمد بن سيرين ارجى الناس لهذه الامة
واشد الناس ازرا على نفسه واشدهم خوفا عليها قال ابن عون لم يكن في الدنيا مثل
ثلثة محمد بن سيرين بالعراق والقاسم بن محمد بالحجاز ورجا بن حيوة بالشام وكانوا يؤتون
الحديث على حروفه وكان الشعبي يقول عليكم بذاك الاصم يعني محمد بن سيرين وقال ابن شوذب
ما رايت احدا اجرى على تعبير الرويا منه وقال عثمان البتي لم يكن بالبصرة اعلم بالقضا
منه قالوا ومات في تاسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم

فصل

كان اللايق بالمولف رح ان يذكر تراجم هولاء الاخيار العلما الابرار قبل تراجم الشعرا المتقدم
ذكرهم وبدا بهم ثم ياتي بتراجم الشعرا ايضا فانه اطال القول في تراجم الشعرا واختصر
تراجم العلما ولهم كلام حسن وحكم جمة ينتفع بها من وقف عليها ولعلها انفع من مدحهم
والثنا عليهم ولاسيما كلام الحسن وابن سيرين ووهب بن منبه كما ذكره بعد كما سياتي ذكر
ترجمته في هذه الزيادة فانه قد اختصرها جدا وان كان المولف اقدر واوسع علما فما ينبغي
ان يخل ببعض كلامهم وحكمهم فان النفوس مستشرفة الى معرفة ذلك والنظر فيه فان

اقوال

اقوال السلف لها موقع في القلوب والمولف غالبا في التراجم يحيل على ما ذكره في التكميل
الذي صنفه في اسما الرجال وهذا الكتاب لم نقف عليه ولا من سالناه عنه من العلما
فانا قد سالنا عنه جماعة من اهل الفن فلم يذكر غير واحد انه اطلع عليه فكيف حال غيرهم
وقد ذكرت في غالب التراجم زيادات على ما ذكره المولف مما وصلت اليه معرفتي واطلعنا
عليه ولو كان عندي كتب لاشبعت القول في ذلك اذ الحكمة ضالة المومن ولعل ان
يقف على ذلك راغب في الاخرة طالب ما عند الله عز وجل فينتفع به اعظم مما ينتفع به من
تراجم الخلفا والملوك والامرا وان كانت تلك ايضا نافعة لمعتبر ومزدجر فان ذكر
ايمة العدل والجور بعد موتهم فيها فضل اوليك وذم هولا ليعلم الظالم انه وان مات
لم يمت ما كان متلبسا به من الفساد والظلم بل هو مدون في الكتب عند العلما وكذلك
اهل العدل والصلاح والخير فان الله قد قص في القران اخبار الملوك والفراعنة والكفار
والمفسدين تحذيرا من احوالهم وما كانوا يعملون وقص ايضا اخبار الاتقيا والمحسنين
والابرار والاخيار والمومنين للاقتدا والتاسي والله سبحانه اعلم فنقول وبالله التوفيق
اما الحسن فهو ابو سعيد البصري الامام الفقيه المشهور احد التابعين الكبار الاجلا علما
وعملا واخلاصا فروى ابن ابي الدنيا عنه قال كان الرجل يتعبد عشرين سنة لا يشعر
به جاره واحدهم يصلي ليلة او بعض ليلة فيصبح وقد استطال على جاره وان كان القوم
ليجتمعون فيتذاكرون فتجي الرجل عبرته فيردها ما استطاع فاذا غلبته قام عنهم
وقال الحسن تنفس رجل عند عمر بن عبد العزيز فلكزه عمر او قال لكمه وقال ان في هذا
لفتنة وقد ذكره ابن ابي الدنيا عن الحسن عن عمر بن الخطاب وروى الطبراني عنه انه قال
ان قوما الهتهم اماني المغفرة ورجا الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم اعمال
صالحة يقول احدهم اني لحسن الظن بالله وارجو رحمة الله وكذب لو احسن الظن بالله
لاحسن العمل لله ولو رجا رحمة الله لطلبها بالاعمال الصالحة يوشك من دخل المفازة
بغير زاد ولا ما ان يهلك وروى ابن ابي الدنيا عنه قال حادثوا هذه القلوب فانها
سريعة الدثور واقدعوا هذه الانفس فانها تنزع الى شر غاية وقال مالك بن دينار
قلت للحسن ما عقوبة العالم اذا احب الدنيا قال موت القلب فاذا احب الدنيا طلبها
بعمل الاخرة فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه وروى العتبي عن ابيه
قال عاد الحسن عليلا فوجده قد شفي من علته فقال ايها الرجل ان الله قد ذكرك فاذكره
وقد اقالك فاشكره ثم قال الحسن انما المرض ضربة سوط من ملك كريم فاما ان يكون
العليل بعد المرض فرسا جوادا واما ان يكون بعده حمارا عثورا معقورا وروى العتبي
عن ابيه ايضا قال كتب الحسن الى فرقد اما بعد فاني اوصيك بتقوى الله والعمل بما
علمك الله والاستعداد لما وعد الله مما لا حيلة لاحد في دفعه ولا ينفع الندم عند نزوله
فاحسر عن راسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الجاهلين وشمر للسباق فان الدنيا
ميدان مسابقة والغاية الجنة او النار فان لي ولك من الله مقاما يسالني فيه واياك
عن الحقير الدقيق والخافي الجليل ولا امن ان يكون فيما يسالني واياك عنه وساوس الصدور
ولحظ العيون واصغاء الاسماع وما اعجز عن وصفه وروى ابن قتيبة عنه انه مر على باب
ابن هبيرة فراى القرا وكانوا اهل الفقه جلوسا على باب ابن هبيرة فقال لهم نعالكم وبيضتم

ثيابكم ثم اتيتم الى ابوابهم تشعون ثم قال لاصحابه ما ظنكم بهولا الحذا ليس مجالسهم
من مجالس الانقيا انما مجالسهم مجالس الشرط وروى الخرايطي عن الحسن انه كان اذا اشترى
شيا وكان في ثمنه كسر جبره لصاحبه ورأى الحسن قوما يقولون نقصر دانق فقال
ما هذا الدين الا بمروة او قال لا يصلح الدين الا بالمروة فقولهم نقصر دانق اي عن الدرهم
الكامل والدينار الكامل اما ان يكون الدرهم ينتقص نصفا او ربعا والعشرة تسعة ونصف
وتسعة هذا فكان الحسن يستخف جيران هذه الاشيا وان كان قد اشترى السلعة بدرهم
ينقص دانقا كمله درهما او بتسعة ونصف كملها عشرة مروة وكرما وقال عبد الاعلا
السمسار قال لي الحسن يا عبد الاعلا اما يبيع احدكم الثوب لاخيه فينقص درهمين
او ثلثة قلت لا والله ولا دانق واحد فقال الحسن ان هذه الاخلاق فما بقي من المروة
اذا قال وكان الحسن يقول لا دين الا بمروة وباع بغلة له فقال له المشتري اما تحط
لي شيا يا ابا سعيد قال لك خمسون درهما ازيدك قال لا قد رضيت بارك الله لك
وروى ابن ابي الدنيا عن حمزة الاعمى قال ذهبت بي امي الى الحسن فقالت يا ابا سعيد
ابني هذا قد احببت ان يلزمك فلعل الله ان ينفعه بك قال فكنت اختلف اليه
فقال لي يوما يا بني ادم الحزن على خير الاخرة لعل الله يوصلك اليه وابك في ساعات
الليل والنهار في الخلوة لعل مولاك ان يطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفايزين
قال وكنت ادخل على الحسن منزله وهو يبكي وربما جيت اليه وهو يصلي فاسمع بكاه ونحيبه
فقلت له يوما انك تكثر من البكا فقال يا بني ماذا يصنع المومن اذا لم يبك يا بني
ان البكا داعي الى الرحمة فان استطعت ان تكون عمرك باكيا فافعل لعله تعالى ان يرحمك
فاذا انت نجوت من النار وقال انما هو الاحلول الدار اما الجنة واما النار ما هناك منزل
ثالث وقال بلغنا ان الباكي من خشية الله لا يقطر من دموعه قطرة حتى تعتق رقبته
من النار وقال لو ان باكيا بكى في ملا من خشية الله لرحموا جميعا وليس شي من الاعمال الا له
وزن الا البكا من خشية الله فانه لا يقوم لله بمعنه منه شي وقال ما بكى عبد الا شهد
عليه قلبه بالصدق او الكذب وروى ابن ابي الدنيا عنه في كتاب اليقين قال من
علامات المسلم قوة دين وحزم في لين وايمان في يقين وحلم في علم وكيس في رفق واعطا
في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وطاعة معها نصيحة وتورع
في رغبة وتعفف وصبر في شدة لا ترديه رغبته ولا يبدره لسانه ولا يسبقه بصره
ولا يغلبه فرجه ولا يميل به هواه ولا يفضحه لسانه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به
نيته كذا ذكر هذه الالفاظ عنه فقال ثنا عبد الرحمن بن صالح عن الحكم بن ظهير عن يحيى
بن المختار عن الحسن فذكره وقال فيما يضاعفه يا ابن ادم ان من ضعف يقينك ان تكون
بما في يدك اوثق منك بما في يد الله عز وجل وقال ابن ابي الدنيا ثنا علي بن ابراهيم اليشكري
ثنا موسى بن اسماعيل الجبلي ثنا حفص بن سليمان ثنا ابو مقاتل عن عون بن ابي شداد عن
الحسن قال قال لقمان لابنه يا بني العمل لا يستطاع الا باليقين ومن يضعف يقينه
يضعف عمله وقال يا بني اذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريب فاغلبه باليقين
والنصيحة واذا جاءك من قبل الكسل والسامة فاغلبه بذكر القبر والقيامة واذا
جاءك من قبل الرغبة والرهبة فاخبره ان الدنيا مفارقة متروكة وقال الحسن ما ايقن

عبد بالجنة والنار حق يقينهما الا خشع وذبل واستقام واقتصد حتى ياتيه الموت
وقال باليقين طلبت الجنة وباليقين هرب من النار وباليقين اديت الفرايض على
اكمل وجهها وباليقين صبر على الحق وفي معافاة الله خير كثير قد والله رايناهم يتقاربون
في العافية فاذا نزل البلا تفاوتوا وقال الناس في العافية سوا فاذا نزل البلا تبين
عنده الرجال وفي رواية فاذا نزل تبين من يعبد الله ممن يعبد غيره وفي رواية
فاذا نزل البلا سكن المومن الى ايمانه والمنافق الى نفاقه وقال الغزالي في فضايل
القران ثنا محمد بن الحسن ثنا عبد الله بن المبارك اخبرنا معمر عن يحيى بن المختار
قال ان هذا القران قد قراه عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله لم ياتوا الامر من
قبل اوله قال الله عز وجل كتاب انزلناه اليك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
وما تدبر اياته الا اتباعه اما والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده حتى ان احدهم
ليقول قد قرات القران كله فما اسقط منه حرفا واحدا وقد والله اسقطه كله ما يرى
له القران في خلق ولا عمل حتى ان احدهم ليقول والله اني لاقرا السورة في نفس لا والله
ما هولا بالقرا ولا بالعلما ولا الحكما ولا الورعة ومتى كانت القرا مثل هذا او يقول مثل
هذا لا اكثر الله في الناس مثل هولا ثم روى الحسن عن جندب قال قال لنا حذيفة
هل تخافون من شي قال لا قلت والله انك واصحابك لاخوف الناس عندنا فقال
اما والذي نفسي بيده لا تاتون الامر قبلنا ومع ذلك ليتشوا اقوام يقراون القران
يكونون في اخر هذه الامة ينثرونه نثر الدقل لا يجاوز تراقيهم تسبق قراتهم ايمانهم وروى
ابن ابي الدنيا عنه في ذم الغيبة انه قال والله للغيبة اسرع في دين المومن من الاكلة
في جسده وكان يقول ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس
بعيب هو فيك وحتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت
ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال
الحسن ليس بينك وبين الفاسق حرمة وقال ليس لمبتدع غيبة وقال الصلت
بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا
كرامة وقال اذا ظهر فجوره فلا غيبة له وقال ثلثة لا تحرم عليك غيبتهم المجاهر
بالفسق والامام الجاير والمبتدع وقال له رجل ان قوما يجالسونك ليجدوا بذلك
الى الوقيعة فيك سبيلا فقال هون عليك يا هذا فاني اطمعت نفسي في الجنان
فطمعت واطمعتها في النجاة من النار فطمعت واطمعتها في السلامة من الناس فلم
اجد الى ذلك سبيلا فان الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم فكيف يرضون عن
مخلوق مثلهم وقال كانوا يقولون من رمى اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى
يصيبه ذلك الذنب وقال الحسن قال لقمان لابنه يا بني اياك والكذب فانه
شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال الحسن اعتبروا الناس باعمالهم
ودعوا اقوالهم فان الله عز وجل لم يدع قولا الا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه او يكذبه
فاذا سمعت قولا حسنا فرويدا بصاحبه فان وافق قوله عملا فنعم ونعمت عين احبه
واحببه وان خالف قوله عملا فماذا يشتبه عليك منه ام ماذا يخفى عليك منه اياك واياه
لا يخدعنك كما خدع ابن ادم ان لك قولا وعملا فعملك احق بك من قولك وان لك سريرة

وعلانية فشر من ذلك احق بك من علانيتك وان لك عاجلة وعاقبة فعاقبتك احق بك
من عاجلتك وقال ابن ابي الدنيا حدثني حمزة بن العباس انا عبدان بن عثمان انا عبد الله
انا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال اذا شئت لقيته لرجل ابيض بضاحيه اللسان
حديد النظر ميت القلب والعمل انت ابصر به من نفسه ترى ابدانا ولا قلوب وتسمع الصوت
ولا انيس اخصب السنة واجدب قلوبا ياكل احدهم من غير ماله ويبكي على شماله فاذا كظته
البطنة قال يا جارية او يا غلام ايتني بهاضوم ويل ما ضمت يا مسكين الا دينك وقال
من رق ثوبه رق دينه ومن سمن جسده هزل دينه ومن طاب طعامه انتن كسبه وقال
فيما رواه الاجري عنه ذا سرما للمؤمن دينه حيثما زال لم يعمه لا يخلفه في الرحال
ولا يامن عليه الرجال وقال في قوله تعالى لا اقسم بالنفس اللوامة قال لا تلقى المؤمن
الا يلوم نفسه ما اردت بكلمة كذا ما اردت باكلة كذا ما اردت بمجلس كذا والفاجر
يمضي قدما قدما لا يلوم نفسه وقال اصبروا واشتدوا فانما هي ايام تعدوا فانما
انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى احدكم فيجيب ولا يلتفت فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم
ان هذا الحق اجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم وانما يصبر على هذا الحق من عرف
فضله ورجا عاقبته وقال لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة
من همته وقال ابن ابي الدنيا في محاسبة النفس ثنا عبد الله ثنا اسماعيل بن زكريا
انا عبد الله بن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال المؤمن قوام على نفسه
يحاسب نفسه لله عز وجل وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا انفسهم
في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على اقوام اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ان
المؤمن يفجاه الشيء ويعجبه فيقول والله انك لمن حاجتي واني لاشتهيك ولكن والله ما
صلة اليك هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت
الى هذا ما لي ولهذا والله لا اعود الى هذا ابدا ان شاء الله ان المؤمنين قوم اوثقهم القران
وحال بينهم وبين هلكتهم ان المؤمن اسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يامن شيئا
حتى يلقى الله عز وجل يعلم انه ماخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وفي جوارحه كلها ه
وقال الرضى صعب شديد وانما معول المؤمن الصبر وقال ابن ادم عن نفسك فكايس
فانك ان دخلت النار لم تجبر بعدها ابدا وقال ابن ابي الدنيا انا عبد الله انا اسحاق
بن ابراهيم قال سمعت حماد بن زيد يذكر عن الحسن قال المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس
في عزها ولا يجزع من ذلها للناس حال وله حال الناس منه في راحة ونفسه منه في شغل
وقال لولا البلاء كان في ايام قلائل ما يهلك المرء نفسه وقال ادركت صدر هذه الامة
وخيارها وطال عمري فيهم والله انهم كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم
ادركتهم عاملين بكتاب ربهم متبعين سنة نبيهم ما طوى لاحدهم ثوبا ولا جعل بينه
وبين الارض شيئا ولا امر اهله بصنعة طعام كان احدهم يدخل منزله فان قرب اليه
شيء اكل والا سكت لا يتكلم في ذلك وقال ان المنافق اذا صلى صلى رياء احياء من الناس
او خوفا واذا صلى صلى نفرا مما الدنيا وان فاتته الصلاة لم يندم عليها ولم يحزن فواتها
وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب التكثير جعل الحمد لله على النعم حصنا وحارسا
وجعل اداء الزكاة على المال سياجا وحارسا وجعل العلم له دليلا وسايسا اسنى المطالب

ويبلغ

ويبلغ اعلى الرتب ومن كان المال قانصا وله عن الحقوق حابسا وشغله والهاه عن
طاعة الله كان ظالما لنفسه بما جنت يداه كالماء وسلط الله على ماله سالبا وحاسبا
ولم يامن العطب خاسرا من وجوه الطلب وقيل ان هذا لغيره والله اعلم وقال
الحسن اربع من كن فيه القى الله عليه محبته ونشر عليه رحمته من رق لوالديه ورفق
بمملوكه وكفل اليتيم واعان الضعيف وسئل الحسن عن النفاق فقال هو اختلاف
السر والعلانية والمدخل والمخرج وقال ما خافه الا مؤمن ولا امنه الا منافق يعني
النفاق وحلف الحسن ما مضى مؤمن ولا بقي الا وهو يخاف النفاق وفي رواية الا وهو
من النفاق مشفق ولا مضى منافق ولا بقي الا وهو من النفاق امن وكتب عمر بن عبد العزيز
الى الحسن يقول له اني قد ابتليت بهذا الامر فاشر علي فقال له الحسن كيف حبك للدينار
والدرهم قال لا احبهما فكتب اليه تولاه فانك تعدل فيه وقال ابراهيم بن عيسى ما رايت اطول
حزنا من الحسن وما رايته قط الا حسبته حديث عهد بمصيبة وقال مسمع لو رايت الحسن
لقلت قد بث عليه حزن الخلائق وقال يزيد بن حوشب ما رايت احزن من الحسن وعمر
بن عبد العزيز كان النار لم تخلق الا لهما وقال ابن اسباط مكث الحسن ثلاثين سنة
لم يضحك واربعين سنة لم يمزح وقال ما سمع الخلائق بعورة بادية وعين باكية مثل
يوم القيامة وقال يا ابن ادم انك ناظر غدا الى عملك يوزن خيره وشره فلا تحقرن من
الخير شيئا وان صغر ان تفعله فانك اذا رايته غدا في ميزانك سرك مكانه ولا تحقرن
شيئا من الشر ان تتقيه فانك اذا رايته غدا في ميزانك ساءك مكانه وقال ذممت
الدنيا وبغيتها لما لكم فلا يدي لعنا فكم وقال ابن ادم بع دنياك باخرتك تربحهما
جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وهذا ماثور عن لقمان انه قال لولده
وقال الحسن تجد الرجل قد لبس الاحمر والاخضر والابيض ثم قال اعملوا فانظروا الى
قال الحسن قد راينا الدنيا انسق الفاسقين فلا اهلا بك ولا سهلا فاما اهل الدنيا
فقد اكتسبوا بنظرهم اليك من يد حرص على دنياهم وجراءة على شهواتهم التي في بطونهم
وظهورهم واما اهل الاخرة فقد كرموك وعقلوك وقال انهم وان هملجت بهم البراذين
وزفرفت بهم البغال ووطئت اعقابهم الرجال ان ذل المعاصي لا يفارق رقابهم يابى الله
الا ان يذل من عصاه وقال فرقد دخلنا على الحسن فقلنا يا ابا سعيد الا يعجبك من محمد
بن الاهتم فقال ما له فقلنا دخلنا عليه انفا وهو يجود بنفسه فقال لنا انظروا
الى ذاك الصندوق واوما الى صندوق في جانب بيته فقال هذا الصندوق فيه
ثمانون الف دينار او قال درهم لم يؤد منها زكاة ولم اصل منها رحما ولم ياكل منها فقلنا
يا ابا عبد الله فلمن كنت تجمعها قال لروعة الزمان ومكاثرة الاقران وجفوة السلطان
فقال الحسن انظروا الى من اتاه شيطانه فخوفه روعة زمانه ومكاثرة اقرانه وجفوة
سلطانه ثم قال ايها الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالامس جاءك هذا المال
لم تتعب لك فيه يمين ولم يعرق لك فيه جبين جاءك ممن كان له جموعا منوعا من
باطل جمعه من حق منعه ثم قال الحسن ان يوم القيامة لذو حسرات الرجل يجمع المال
ثم يموت ويدعه لغيره فيرزقه الله فيه الصلاح والانفاق في وجوه البر فيجد ماله
في ميزان غيره كان الحسن يتمثل بهذا البيت في اول النهار

• وما الدنيا بباقية لحي • ولا حي على الدنيا بباقي •

وبهذا البيت في آخر النهار •

• يسر الفتى ما كان قدم من تقى • اذا عرف الداء الذي هو قاتله •

ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب واتي به اليه فدعا له وحنكه ومات بالبصرة في سنة عشر ومائة والله سبحانه اعلم اخر الزيادة محمد بن سيرين ابو بكر بن ابي عمرة الانصاري مولى انس بن مالك البصري كان ابوه من سبي عين التمر اسره في جملة السبي خالد بن الوليد فاشتراه انس ثم كاتبه وقد ولد له من الاولاد الاخيار جماعة محمد هذا وانس بن سيرين ومعبد ويحيى وحفصة وكريمة وكلهم رووا الحديث ثقات اجلاء رحمهم الله قال البخاري ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وقال هشام بن حسان هو اصدق من ادركت من البشر وقد تقدم هذا كله فيما ذكره المولف كان ابن سيرين اذا ذكر عنده رجل بسوء ذكره باحسن ما يعلم مسندا وقال خلف بن هشام كان محمد بن سيرين قد اعطي هديا وسمتا وخشوعا وكان الناس اذا راوه ذكروا الله ولما مات انس بن مالك اوصى ان يغسله محمد بن سيرين وكان محمد محبوسا فقالوا له في ذلك فقال انا محبوس فقالوا قد استاذنا الامير في اخراجك قال ان الامير لم يحبسني انما حبسني من له الحق فاذن له صاحب الحق فخرج فغسله وقال يونس ما عرض لمحمد بن سيرين امران الا اخذ باوثقهما في دينه وقال اني لاعلم الذنب الذي حملت بسببه الدين قلت لرجل يوما يا مفلس فذكر هذا لابي سليمان الداراني فقال قلت ذنوبهم فعرفوا من اين اتوا ومثلنا قد كثرت ذنوبنا فلم ندر من اين نوتى ولاي ذنب نوخذ وكان اذا دعي الى وليمة يدخل منزله فيقول اسقوني شربة سويق فيشربها ويقول اني اكره ان احمل جوعي الى موايدهم وطعامهم وكان يدخل السوق بنصف النهار فيكبر الله ويسبحه ويذكره ويقول انها ساعة غفلة الناس وقال اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه يامره وينهاه وقال ظلم لاخيك ان تذكر منه اسوء ما تعلم منه وتكتم خيره وقال العزلة عبادة وكان اذا ذكر الموت مات منه كل عضو على حدته وفي رواية كان يتغير لونه وينكر حاله حتى كانه ليس بالذي كان وكان اذا سيل عن الرويا قال للسايل اتق الله في اليقظة ولا يغرك ما رايت في المنام وقال له رجل كاني رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال فتش على امراتك فانها امك ففتش فاذا امه وذلك ان الرجل اخذ من بلاده صغيرا مسبيا ثم مكث في بلاد الاسلام الى ان كبر ثم سبيت امه فاشتراها جاهلا انها امه فلما راى هذه الرويا وذكرها لابن سيرين فامره ان يفتش على ذلك ففتش فوجد الامر على ما ذكره وقال له اخر رايتني كاني في دست وقال رطبتين ثمرة فخرجت منهما فارة فقال له تتزوج امراة او قال تطا امراة صالحة تلد بنتا فاسقة فكان كما قال وقال له اخر رايت كان على سطح بيتي حبات شعير فجاء ديك فلقطها فقال له ان سرق لك شي في هذه الايام فايتني فوضعوا بساطا على سطحهم فسرق فجاء اليه فاخبره فقال اذهب الى موذن محلتك فخذه منه فجاء الى الموذن فاخذ البساط منه وقال له رجل رايت الحمام تلتقط الياسمين فقال ماتت علماء البصرة واتاه رجل فقال رايت رجلا عريانا واقفا على مزبلة وبيده طنبور يضرب به فقال ابن سيرين لا تصلح هذه

الرويا

الرويا في زماننا هذا الا للحسن البصري فقال الرجل هو والله الذي رايت فقال نعم لان المزبلة الدنيا وقد جعلها تحت رجليه وعري بتجرده عنها والطنبور الذي يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها اذان الناس وقال له اخر رايت كاني استاك والدم يسيل فقال له انت رجل تقع في اعراض الناس وتاكل لحومهم وتخرج ذلك في باب ديانته وقال له اخر رايت كاني ارمي اللولو في الحماة فقال له انت رجل تضع القران والعلم عند غير اهله ومن لا ينتفع به وجاءته امراة فقالت رايت كان سنورا ادخل راسه في بطن زوجي فاخذ منه قطعة فقال لها ابن سيرين يسرق لزوجك ثلثمائة درهم وستة عشر درهما فقالت صدقت من اين اخذته فقال من هجاء حروفه وهي حساب الجمل فالسين ستون والنون خمسون والواو ستة والراء مائتان فذلك ثلثمائة وستة عشر وذكرت ان السنور اسود فقال هو عبد في جواركم فالزموا عبدا كان في جوارهم وضرب فاقر بالمال المذكور وقال له رجل رايت لحيتي قد طالت وانا انظر اليها فقال له امؤذن انت قال نعم قال له اتق الله ولا تنظر الى دور الجيران وقال له اخر رايت لحيتي قد طالت فجززتها ونسجتها كساء وبعته في السوق فقال له اتق الله فانك شاهد زور وقال له اخر رايت كاني اكل اصابعي فقال له تاكل من عمل يدك وقال لرجل انظر هل ترى في المسجد احدا فذهب فنظر ثم رجع اليه فقال ليس في المسجد احد فقال له انما امرتك ان تنظر هل ترى احدا قد يكون في المسجد من لا تراه وقال عن رجل ذكر له ذلك الاسود ثم قال استغفر الله ما اراني الا قد اغتبت الرجل وكان الرجل اسود وقال اشترك سبعة في قتل امراة فقتلهم عمر فقال لو ان اهل صنعاء اشتركوا في قتلها لقتلهم لا يدرى حضر اوهم وهب بن منبه اليماني تابعي جليل وله معرفة بكتب الاوايل وهو يشبه كعب الاحبار وله صلاح وعبادة ويروى عنه اقوال حسنة وحكم ومواعظ وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكميل ولله الحمد قال لو ادري توفي بصنعاء سنة عشر ومائة وقال غيره بعد هذا بسنة وقيل باكثر والله اعلم وزعم بعض الناس ان قبره في بصرى بقرية يقال لها عصم ولم اجد لذلك اصلا والله اعلم انتهى ما ذكره المولف **فصل** ادرك وهب بن منبه عدة من الصحابة واسند عن ابن عباس وجابر والنعمان بن بشير وروى عن معاذ بن جبل وابي هريرة وعن طاوس وعنه من التابعين عدة قال وهب مثل من تعلم علما لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به وقال منير مولى الفضل بن ابي عياش قال كنت جالسا مع وهب بن منبه فاتاه رجل فقال اني مررت بفلان وهو يشتمك فغضب فقال اما وجد الشيطان رسولا غيرك قال فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد عليه السلام ومد يده اليه وصافحه واجلسه الى جنبه وقال ابن طاوس سمعت وهبا يقول ابن ادم احتل لدينك فان رزقك سياتيك وقال وهب كسي اهل النار العري وكان خيرا لهم وطعموا الجوع وكان خيرا لهم واعطوا الحيوة والموت كان خيرا لهم وقال قال داود عليه السلام اللهم انما فقيرنا العنيا فيصام عند ناسيك اذا دعاك فلا تجيبه واذا سالك فلا تعطه وقال قرات في بعض كتب الله ابن ادم لا خير لك

فان تعلم ما لم تعلم ولم تعمل بما قد علمت فان مثل كمثل رجل احتطب حطبا فحزم
حزمة ثم ذهب يحملها فعجز عنها فضم اليها اخرى وقال ان لله ثمانية عشر الف عالم
الدنيا منها عالم واحد وما العمارة في الخراب الا كفسطاط في الصحرا وروى الطبراني
عنه انه قال اذا اردت ان تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في نصحك وعملك لله فان
العمل لا يقبل ممن ليس بناصح والنصح لله لا يكمل الا بطاعة الله كمثل الثمرة الطيبة
ريحها وطعمها كذلك مثل طاعة الله النصح ريحها والعمل طعمها ثم زين طاعته بالحلم
والعلم والفقه والعمل ثم اكرم نفسك عن اخلاق السفها وعبيد الدنيا وعبدها
على اخلاق الانبيا والعلما العاملين وعوده ما فعل الحكما وامنعها عمل الاشقيا
والزمها سيرة الاتقيا واعزلها عن سبل الخبثا وما كان لك من فضل فاعن به من
دونك وما كان فيمن دونك من نقص فاعنه عليه حتى يبلغه فان الحكيم من جمع فواضله
وعاد بها على من دونه وينظر في نقايص من دونه فيقومها ويزجيها حتى يبلغه
ان كان فقيها حمل من لا فقه له اذا راى انه يريد صحبته ومعونته واذا كان له مال
اعطا منه من لا مال له واذا كان مصلحا استغفر للمذنب اذا رجى توبته واذا كان
محسنا احسن الى من اسا اليه واستوجب بذلك اجره ولا يغتر بالقول حتى يحسن منه
الفعل فاذا احسن الفعل نظر الى فضل الله واحسانه اليه ولا يتمنى الفعل حتى
يفعله فاذا بلغ من طاعة الله مبلغا حمد الله على ما بلغ منها ثم طلب ما لم يبلغ منها
واذا ذكر خطيئته سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو قادر على ان يغفرها واذا علم
من الحكمة شيا لم يشبعه بل يطلب ما لم يبلغ منها ثم لا يستعين بشي من الكذب فان
الكذب كالاكلة في الجسد تكاد تفسده كله او كالاكلة في الخشب يرى ظاهرها حسنا
صحيحا وجوفها نخر تغتر من يراها حتى تنكسر على ما فيها وتهلك من اغتر بها وكذلك
الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يغتر به ويظن انه معينه على حاجته وزايد له في
رغبته حتى يعرف ذلك منه ويتبين لذوي العقول غروره فتستنبط الفقها ما كان
يستخفي به عنهم فاذا اطلعوا على ذلك من امره وتبين لهم كذبوا خبره واباروا شهادته
واتهموا صدقه وحقروا شانه وابغضوا مجلسه واستخفوا منه بسرايرهم وكتموه حديثهم
وصرفوا عنه اماناتهم وغيبوا عنه امرهم وحذروه على دينهم ومعيشتهم ولم يحضروه شيا
من محاضرتهم ولم يامنوه على شي من سرهم ولم يحكموه فيما شجر بينهم وروى عبد المنعم بن ادريس
عن ابيه عن وهب قال قال لقمان لابنه ان مثل اهل الذكر والغفلة كمثل النور والظلمة
وقال قرات في التوراة اربعة اسطر متواليات من قرا كتاب الله فظن انه لا يغفر له
فهو من المستهزيين بايات الله ومن شكى مصيبة نزلت به فانما يشكو ربه عز وجل ومن
اسف على ما فاته من الدنيا سخط قضا ربه عز وجل ومن تضعضع لغني ذهب
ثلثا دينه وقال وهب قرات في التوراة ايما دار بنيت بقوة الضعفا
جعلت عاقبتها الى الخراب وايما مال جمع من غير حله اسرع الفقر الى اهله وقال
عبد الله بن المبارك ثنا معمر عن محمد بن عمرو قال سمعت وهب بن منبه يقول
وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى اذا اطاعني عبدي استجبت له من قبل ان
ان يدعوني واعطيته من قبل ان يسالني وان عبدي اذا اطاعني لو ان اهل السموات

واهل الارض

واهل الارض اجلبوا عليه جعلت له المخرج من ذلك وان عبدي اذا عصاني قطعت
يديه من ابواب السما وجعلته في الهوا فلا يمتنع من شي اراده من خلقي وقال ابن المبارك
ايضا ثنا بكار بن عبد الله قال سمعت وهب بن منبه يقول قال الله تعالى فيما يعيب
به احبار بني اسرائيل يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل
الاخرة ويلبسون جلود الضان ويخفون انفس الذياب وينقون القذا من شرابهم
ويبتلعون امثال الجبال من الحرام ويثقلون الدين على الناس امثال الجبال ثم
لا يعينونهم برفع الخناصر يطيلون الصلاة ويبيضون الثياب يتنقصون بذلك
مال اليتيم والارملة فبعزتي حلفت لاضربنكم بفتنة يضل فيها راي ذي الراي
وحكمة الحكيم وقال الطبراني ثنا عبيد الله بن محمد الصنعاني ثنا همام بن سلمة
ثنا غوث بن جابر ثنا عقيل بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول ان الله ليس
يجد احدا على طاعة ولا ينال احد من الله الخير الا برحمته وليس يرجوا الله خير الناس ولا
يخاف شرهم ولا يعطف الله على الناس الا رحمته اياهم ان مكروا ابدا مكرهم وان خادعوا
رد عليهم خداعهم وان كاذبوه رد كذبهم وان ادبروا قطع دابرهم وان اقبلوا اقبل منهم
وان الله لا يعطفه عليهم شي من امرهم الا تضرعهم اليه حتى يرحمهم ولا يستخرج احد من الله
شيا من الحيلة ولا مكر ولا خداع ولا ارتية ولا سخط ولا مشادة وانما ياتي بالخير من الله
رحمته ومن لم يبتغ الخير من قبل رحمته لا يجد بابا غير ذلك يدخل منه فان الله تعالى
لا ينال الخير منه الا بطاعته ولا يعطف الله على الناس شي الا تعبدهم له وتضرعهم اليه
حتى يرحمهم فاذا رحمهم استخرجت رحمته منه حاجتهم وليس ينال الخير من الله من وجه
غير ذلك وليس الى رحمة الله سبيل يوتى من قبله الا التعبد العباد له وتضرعهم اليه
فان رحمة الله عز وجل باب كل خير يبتغى من قبله وان مفتاح ذلك الباب التضرع الى الله
عز وجل والتعبد له فمن ترك المفتاح لم يفتح له ومن جا بالمفتاح فتح له به وكيف
يفتح الباب بغير مفتاح ولله عز وجل خزاين الخير كله وباب خزاين الله رحمته ومفتاح
رحمة الله التذلل والتضرع والافتقار الى الله فمن حفظ ذلك المفتاح فتحت
له الخزاين ودخل فيها فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وفيها ما تشاون وما
تدعون في مقام امين لا يحولون عنه ولا يخافون ولا ينصبون ولا يهرمون ولا يفتقرون
ولا يموتون في نعيم مقيم واجر عظيم وثواب كريم نزلا من غفور رحيم وقال سفيان
ابن عيينة قال وهب اعون الاخلاق على الدين الزهادة في الدنيا واسرعها ردا
اتباع الهوى ومن اتباع الهوى حب المال والشرف ومن حب المال والشرف تنتهك
المحارم ومن انتهاك المحارم يغضب الرب وغضب الله ليس له دوا وقال
يقول الله تعالى في بعض كتبه مما يعتب به بني اسرائيل اني اذا اطعت رضيت واذا رضيت
باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت وان اللعنة
تبلغ السابع من الولد وقال كان في بني اسرائيل رجل عصى الله عز وجل مايتي سنة
ثم مات فاخذوا برجله فالقوه على مزبلة فاوحى الله الى موسى ان صل عليه فقال يا رب
ان بني اسرائيل شهدوا انه قد عصاك مايتي سنة قال الله له نعم هكذا كان الا انه
كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قبله ووضعه على عينيه

وصلى عليه فشكرت ذلك له فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراً كذا روي وفيه
علل ولا يصح مثله وفي اسناده غرابة وفي متنه نكارة شديدة وروى ابن ابي الدنيا عن
ابيه عن وهب قال قال موسى يا رب احبس عني كلام الناس فقال الله له يا موسى ما فعلت
هذا بنفسي وقال لما دعي يوسف الى الملك وقف بالباب وقال حسبي ديني من دنياي
حسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل على الملك فلما نظر اليه
الملك نزل عن سريره وخر له ساجداً ثم اقعده الملك معه على السرير وقال
انك اليوم لدينا مكين امين فقال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم
حفيظ بهذه السنين وما استودعتني فيها عليم بلغة من يأتيني وقال الامام احمد
ثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن النعمان الا فطس انه سمع وهباً يقول لما امر الحوت الا يضر
ولا يكلمه يعني يونس قال فلولا انه كان من المسبحين للبث قال من العابدين قبل ذلك
فذكره الله بعبادته المتقدمة فلما اخرج من البحر نام فانبت الله عليه شجرة من يقطين
وهو الدبا فلما راها قد اظلته وراى خضرتها فاعجبته ثم نام فاستيقظ فاذا هي
قد يبست فجعل يحزن عليها فقيل له انت لم تخلق ولم تسق ولم تنبت وتحزن عليها
وانا الذي خلقت مائة الف من الناس او يزيدون ثم رحمتهم فشق ذلك عليك
وقال الامام احمد ثنا ابراهيم بن خالد الصنعاني ثنا رباح حدثني عبد الملك بن عبد
المجيد بن خشك عن وهب قال لما امر نوح ان يحمل من كل زوجين اثنين قال يا رب
كيف اصنع بالاسد والبقر وكيف اصنع بالعناق والذيب وكيف اصنع بالحمام والهر
قال من القى بينهم العداوة قال انت يا رب قال فاني اولف بينهم حتى لا يتضررون
وقال وهب لعطا الخراساني ويحك يا عطا الم اخبر انك تحمل علمك الى ابواب
الملوك وابناء الدنيا وابواب الامراء ويحك يا عطا اتاتي من يغلق عنك بابه ويظهر
لك فقره ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه ويظهر لك غناه ويقول
ادعوني استجب لك ويحك يا عطا ارض بالدون من الدنيا مع سلامة الدين
والحكمة ولا ترض بالدون من الدين والحكمة مع الدنيا ويحك يا عطا ان كان يغنيك
ما يكفيك فادنى ما في الدنيا يكفيك وان كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا
شي يكفيك ويحك يا عطا انما بطنك بحر من البحور وواد من الاودية لا يملوه شي الا
التراب وسيل وهب عن رجلين يصليان احدهما اطول قنوتاً وصمتاً والاخر
اطول سجوداً ايهما افضل فقال انصحهما لله عز وجل وقال من خصال المنافق
ان يحب الحمد ويكره الذم اي يحب ان يحمد على ما لم يفعل ويكره ان يذم بما فيه قال
وقال لقمان لابنه يا بني اعقل عن الله فان اعقل الناس من عقل عن الله وان الشيطان
ليفر من العاقل ما يستطيع ان يكابده وقال لرجل من جلسايه الا اعلمك طباً لا يبتغى
فيه الاطبا وفقهاً لا يبتغى فيه الفقها وحلماً لا يبتغى فيه الحلما قال بلى يا ابا عبد الله
قال اما الطب فلا تاكل طعاماً الا سميت الله على اوله وحمدته على اخره واما الفقه
فان سيلت عن شي عندك فيه علم فاخبر بما تعلم والا فقل لا ادري واما الحلم فاكثر
الصمت الا ان تسال عن شي وقال اذا كان في الصبي خلقان الحيا والرهبة طمع
في رشده وقال ولما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس قال له ملكها انعت لي الناس

فقال

١١٥

فقال لمحادثة من لا يعقل كمن ينفخ الموتى ومحادثة من لا يعقل كمن يبل الصخر
الاصم كي يلين او كمن يطبخ الحديد يلتمس ادمه ومحادثة من لا يعقل كمن يضع
المايدة لاهل القبور ونقل الحجارة من روس الجبال ايسر من محادثة من لا يعقل
وقال قرات في بعض الكتب ان منادياً ينادي من السما الرابعة كل صباح ابنا
الاربعين زرع قد دنا حصاده ابنا الخمسين ماذا قدمتم ابنا الستين لا عذر لكم
ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا قد اتتكم الساعة فخذوا
حذركم وقال قال داود يا الهي على من نلتمس فيرا الصالحون فلا يوجد
منهم احد الا كالسنبلة في اثر الحاصد او كالخصلة في اثر القاطف يوشك نوايحهم ولبك
وبواكيهم ان تبكيهم وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهباً
يقول في قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال انما يوزن من
الاعمال خواتيمها واذا اراد الله بعبد خيراً ختم له بخير عمله واذا اراد الله بعبد
شراً ختم له بشر عمله وقال وهب ان الله تعالى لما فرغ من الخلق نظر اليهم حين مشوا
على وجه الارض فقال انا الله لا اله الا انا الذي خلقتكم وانا اميتكم بحكمي حتى قضاي
وانا فذا اني انا اعيدكم كما خلقتكم وانا اميتكم حتى ابقى وحدي فانا الملك الخلود لا يحق
الا لي ادعو خلقي واجمعهم بقضاي يوم احشر اعداي وتجل القلوب منها فوق وترجف
الاقدام من هيبتي وتتبرا الالهة ممن عبدها دوني قال وذكر وهب ان الله لما فرغ
من خلقه يوم الجمعة اقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو اهله وذكر عظمته وجبروته
وكبرياه وسلطانه وقدرته وملكه وربوبيته فانصت كل شي واطرق له فقال
انا الملك لا اله الا انا ذو الرحمة الواسعة والاسما الحسنى انا الله لا اله الا انا ذو
العرش المجيد والامثال العلى انا الله لا اله الا انا ذو الطول والمن والالا والكبريا
انا الله لا اله الا انا بديع السموات والارض ملات كل شي عظمتي وقهر كل شي ملكي واحاطت
بكل شي قدرتي واحصى كل شي علمي ووسعت كل شي رحمتي وبلغ كل شي لطفي انا الله يا معشر
الخلايق فاعرفوا مكاني فليس في السموات والارضين الا انا وخلقي كلهم لا يقوم
ولا يدوم الا بي ويتقلب في قبضتي ويعيش برزقي وحياته وموته وبقاوه وفناوه
بيدي فليس له محيص ولا ملجا عني لو تخليت عنه طرفة عين لدمر كله وكنت انا
على حالي لا ينقصني ذلك شيا ولا ينتقص ذلك ملكي شيا وانا مستغن بالعز كله
في جبروتي وملكي وبرهان نوري وشديد بطشي وعلو مكاني وعظمة شاني فلا شي
مثلي ولا اله غيري وليس ينبغي لشي خلقته ان يعدلني ولا ينكرني وكيف ينكرني من
خلقته يوم خلقته على معرفتي ام كيف يكابرني من قد قهره ملكي ام كيف يعجزني من
ناصيته بيدي ام كيف يعدلني من اعمره واسقم جسده وجسمه وانقص عقله
واتوفى نفسه واخلقه واهرمه فلا يمتنع مني ام كيف يستنكف عن عبادتي عبدي
وابن عبدي وابن امتي ومن لا ينسب الى خالق ولا وارث غيري ام كيف يعبد دوني
من تخلقه الايام وتفني اجله اختلاف الليل والنهار وهما شعبة يسيرة من سلطاني
فالي الي يا اهل الموت ولا الفنا لا الى غيري فاني كتبت الرحمة على نفسي وقضيت
العفو والمغفرة لمن استغفرني اغفر الذنوب جميعاً صغيرها وكبيرها لمن استغفر

ولا يكبر ذلك علي ولا يتعاظمني فلا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا تقنطوا من رحمتي فان رحمتي
سبقت غضبي وخزاين الخير كلها بيدي ولم اخلق شيا مما خلقت لحاجة كانت مني اليه
ولكن لابين به قدرتي ولينظر الناظرون في ملكي وتدبيري واحكامي وليسبحوا بحمدي
ويعبدوني لا يشركون بي شيا ولتعنوا الوجوه كلها لي وقال الاشرس عن وهب قال
قال داود الهي اين اجدك قال عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي وقال كان رجل في بني اسراييل
صام سبعين اسبوعا يفطر في كل سبعة ايام يوما وهو يسال الله تعالى ان يريه كيف
يغوي الشيطان الناس فلما ان طال ذلك عليه ولم يجب قال في نفسه لو اقبلت
على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بيني وبين ربي لكان خيرا من هذا الامر الذي اطلب ثم اقبل على
نفسه فقال يا نفس من قبلك اتيت لو علم الله فيك خيرا لقضى حاجتك فارسل الله
ملكا الى نبيهم ان قل لفلان العابد ان ازراءك على نفسك وكلامك الذي تكلمت به اعجب
الي مما مضى من عبادتك وقد اجاب الله سوالك وفتح بصرك فانظر الان فنظر فاذا احبولة
لابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من بني ادم الا وحوله شياطين مثل الذباب
فقال اي رب ومن ينجو منها قال صاحب القلب الوادع اللين وقال وهب كان
رجل من السايحين فاتى على ارض فيها فتى فدعته نفسه الى اخذ شي منه فعانقها فقام
مكانه يصلي ثلثة ايام فمر به رجل وقد لوحته الشمس والريح فلما نظر اليه قال سبحانه
لكانما احرق هذا الانسان بالنار فقال له السايح هكذا بلغ مني ما ترى خوف النار
فكيف بي لو قد دخلتها وقال كان رجل من اهل اليمن اصاب ذنبا فقال لله علي ان لا يظلني
سقف بيت ابدا حتى ياتيني براءة من النار فكان بالعراء في الحر والقر فمر به رجل فراى شدة حاله
فقال يا عبد الله ما بلغ بك ما ارى فقال بلغ بي ما ترى ذكر جهنم فكيف بي انا ان وقعت فيها
وقال لا يكون البطال من الحكماء ابدا ولا يرث الزناة ملكوت السماء وقال وهب في موعظته
اليوم يحفظ التسعيد ويستنكر من منافعها اللبيب يا ابن ادم انما جمعت من منافع هذا اليوم
لدفع ضرر الجما لتدعنك وانما اذنت فيه مضضا يبيح لهذا لتنبه لحزنك فلم ار كاليوم مثل ٢
مع نوره متخيرا واعيا مدادته تنعيم يا ابن ادم انه لا اقوى من خالق ولا اضعف من مخلوق ولا
اقدر ممن طلبته في يده ولا اضعف ممن هو في يد طالبه يا ابن ادم انه قد ذهب منك ما لا يرجع
اليك واقام معك ما سيذهب فما الجزع مما لا بد منه وما الطمع فيما لا يرتجى وما الحيلة لبقاء
ما سيذهب يا ابن ادم اقصر عن طلب ما لا تدرك وعن تناول ما لا تنال وعن ابتغا ما لا يوجد
واقطع الرجا عنك كما تعذرت به عنك الاشيا واعلم انه رب مطلوب هو شر لطالبه يا ابن
ادم انما الصبر عند المصيبة واعظم من المصيبة سوء الخلف منها يا ابن ادم واي ايام الدهر
ترتجي يوم يجي في عتم او يوم تستاخر عافيته عنا وان تجيبه فانظر الى الدهر تجده ثلثة ايام
يوم مضى لا ترجوه ويوم لا بد منه ويوم يجي لا تامنه فامس شاهد عليك مقبول وامين مود وحكيم
موذب قد فجعك بنفسه وخلف فيك حكمته واليوم صديق مودع كان طويل الغيبة
عنك وهو سريع الظعن اتاك ولم ياتك وقد مضى قبله شاهد عدل فان كان ما فيه لك
فاشفعه بمثله اوثق باجتماع شهادتيهما عليك يا ابن ادم انما اهل الدنيا سفر لا يحلون عقد
رحالهم الا في غيرها وانما يتبلغون بالعواري فما احسن الشكر للمنعم والتسليم للمعاد
يا ابن ادم انما الشي من مثله وقد مضت قبلنا اصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد ذهاب

اصله انما يبقى الفرع بعد الاصل يا ابن ادم انه لا اعظم رزية في عقله ممن ضيع اليقين واخطا
العمل ايها الناس انما البقا بعد الفنا وقد خلقنا ولم نكن وسنبلى ثم نعود الا وانما العوار
اليوم والهمان عند الاوانه قد تقارب منا سلب فاحش او عطا جزيل فاصلحوا ما تقدمون
عليه بما تظعنون عنه ايها الناس انما انتم في هذه الدنيا عرض تنتضل فيه المنايا
وانما انتم فيه من دنياكم نهب للمصايب لا تنالون فيها نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل
منكم معمر يوما من عمره الا بهدم اخر من اجله ولا تحدث له زيادة في ماله الا بنفاد ما قبله
من رزقه ولا يحيى له اثر الا مات له اثر نسال الله ان يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة
وقال قتيبة بن سعيد ثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان عن وهب بن منبه انه كان
يقول الايمان قايد والعمل سايق والنفس حرون فان فتر قايدها صدفت عن الطريق ولم تستقم
لسايقها وان فتر سايقها حرنت ولم تتبع قايدها فاذا اجتمعا استقامت طوعا او كرها
ولا تستطيع الدين الا بالطوع والكره ان كان كلما كره الانسان شيا من دينه تركه اوشك ان
لا يبقى معه من دينه شي قال وهب ان من حكمة الله عز وجل ان خلق الخلق مختلفا خلقه ومقادير
فمنه خلق يدوم ما دامت الدنيا لا تنقصه الايام ولا تهرمه ومنه خلق تنقصه الايام
وتهرمه وتبليه ويموت ومنه خلق لا يطعم ولا يرزق ومنه خلق يطعم ويرزق وخلقه الله
وخلق معه رزقه ثم خلق الله من ذلك خلقا في البر وخلقا في البحر ثم جعل رزق ما خلق في البر
من البر ورزق ما خلق في البحر من البحر لا يصلح ما خلق في البر في البحر ولا ما خلق في البحر في البر
ولا ينفع رزق دواب البر دواب البحر ولا رزق دواب البحر دواب البر لو خرج ما في البحر الى البر لهلك
ولو دخل ما في البر الى البحر هلك ففي ذلك من خلق الله في البر والبحر عبرة لمن اهمته قسمة
الارزاق والمعيشة فليعتبر ابن ادم فيما قسم الله من الارزاق فانه لا يكون فيها شي الا كما قسمه
سبحانه بين خلقه لا يستطيع احد ان يبغيها ولا ان يخلطها كما لا تستطيع دواب البر ان تعيش
بارزاق دواب البحر ولا دواب البحر بارزاق دواب البر ولو اضطرت اليه لهلك كلها فاذا استقرت
كل دابة منهما فيما رزقت اصلحها ذلك واحياها وكذلك ابن ادم اذا استقر وقنع بما قسم
الله له من رزق احياه ذلك واصلحه فاذا تعاطى رزق غيره نقصه ذلك وضره وفضحه
وقال بعض الخراسانيين كان من العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم فكانوا
لا يلتفتون الى اهل الدنيا ولا الى ما في ايديهم فكان اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة
في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في الدنيا فاصبح اهل
الدنيا قد زهدوا في علمهم لما راوا من سوء موضعه عندهم فاياك يا عطا وابواب السلطان
فان عند ابوابهم فتنا كمبارك الابل لا تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك مثله
وقال ابراهيم الجنيد ثنا عبد الله بن ابي بكر المقدمي ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمر بن عبد الرحمن
الصنعاني قال سمعت وهب بن منبه يقول لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له كيف
صلاتك فقال ما احسب احدا سمع بذكر الجنة والنار ياتي عليه ساعة لا يصلي فيها قال
فكيف ذكرك للموت قال ما ارفع قدما ولا اضع اخرى الا رايت اني ميت فقال فكيف
صلاتك انت ايها الرجل فقال اني لاصلي وابكي حتى ينبت العشب من دموعي فقال العالم
اما انك ان تضحك وانت معترف بخطيئتك خير لك من ان تبكي وانت مدل بعملك فان
المدل لا يرفع له عمل فقال اوصني فاني اراك حكيما قال ازهد في الدنيا ولا تنازع اهلها فيها

وكن فيها كالنحلة ان اكلت اكلت طيبا وان وضعت وضعت طيبا وان وقعت على عود لم
تكسره وانصح لله نصح الكلب لاهله فانهم يجيعونه ويطردونه وهو يابى الا
ان يحوطهم ويحفظهم وينصح لهم فكان وهب اذا ذكر هذا الحديث قال واسوتاه اذا كان
الكلب انصح لاهله منك يا ابن ادم لله عز وجل وفي رواية انه قال اني لا اصلي حتى تتورم قدماي
فقال له انك ان تبيت نايما وتصبح نادما خير من ان تبيت قايما وتصبح معجبا الى اخره
وروى سفيان عن رجل من اهل صنعاء عن وهب فذكر الحديث كما تقدم وقال عثمان بن ابي
شيبة ثنا محمد بن عمران بن ابي ليلى ثنا الصلت بن عاصم المرادي عن ابيه عن وهب قال
لما اهبط ادم الى الارض استوحش لفقد اصوات الملايكة فهبط عليه جبريل فقال
يا ادم الا اعلمك شيا تنتفع به في الدنيا والاخرة قال بلى قال قل اللهم تمم لي النعمة
حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مونة الدنيا وكل هول
في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية وقال عبد الرزاق حدثني بكار بن عبد الله عن وهب
قال قرات في بعض الكتب فوجدت الله تعالى يقول يا ابن ادم ما انصفتني تذكرني وتنساني
وتدعو الي وتفر مني خيري اليك نازل وشرك الي صاعد ولا يزال ملك كريم قد صعد الي
منك بعمل قبيح ولا يزال ملك كريم قد نزل اليك من اجلك يا ابن ادم ان احب ما تكون الي
واقرب ما تكون مني اذا رضيت بما قسمت لك وابغض ما تكون الي وابعد ما تكون مني اذا
سخطت ما قسمت لك يا ابن ادم اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي
وانا اعلم بحاجتك لن ترفعك من نفسك اني انا اكرم من اكرمني واهين من هان عليه
امري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر العبد في حقي وقال وهب قرات نيفا وتسعين
كتابا من كتب الله فوجدت في جميعها ان من وكل الى نفسه شيا من المشية فقد كفر وقال
لا يشكوا ابن ادم ان الله هو قسم الارزاق متفاضلة ومختلفة فان تقلل ابن ادم شيا من
رزقه فليزدد الى الله رغبة ولا يقولن لو اطلع الله على هذا من حالي او شعر به غيره فكيف
لا يطلع على الشي الذي خلقه وقدره او يعتبر ابن ادم في غير ذلك مما يتفاضل فيه الناس
فان الله فاضل بينهم في الاجسام والاموال والالوان والعقول والاحلام فلا يكبر على ابن ادم
ان يفضل عليه في الرزق والمعيشة ولا يكبر عليه ان يفضل عليه في العلم والحلم والعقل
والدين او لا يعلم ابن ادم ان الذي رزقه في ثلثة ازمان من عمره لم يكن له في واحد منها كسب
ولا حيلة انه سوف يرزقه في الزمن الرابع اول الزمان من الزمان انه حين كان في بطن امه يخلق
فيه ويرزق من غير ما كسبه وهو في قرار مكين لا يوذيه فيه حر ولا برد ولا شي ولا اثم ولا حزن
وليس له مال ولا يد تبطش ولا رجل تمشي ولا لسان ينطق تساق الله عز وجل اليه رزقه
هناك على اثر الوجوه واسنانها وارامها ثم ان الله عز وجل اراد ان يحوله من تلك المنزلة الى
غيرها ويحدث له في الزمن الثاني رزقا من امه يكفيه ويغنيه عن غير حول منه ولا قوة
ولا بطش ولا سعي بل تفضلا من الله وجودا ورزقا اجراه له دسا فيه اليه ثم اراد سبحانه
ان ينقله من الزمن الثاني الى الزمن الثالث من ذلك اللبن الى رزق يجده له من كسب ابويه
بان يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يوثراه على انفسهما بكسبهما ويغنياه ويغذياه باطيب
ما يقدران عليه من الاغذية وهو لا يعينهما على شي من ذلك بكسب ولا حيلة حتى اذا عقل
حدث نفسه بانه انما يرزق بحيلته ومكسبه وسعيه ثم يدخل عليه في الزمن الرابع اساءة الظن

بربه عز وجل فيضيع اوامر الله في طلب المعاش وزيادة المال وكثرته وينظر الى ابناء الجنس
وما عليه من التنافس في طلب الدنيا فيكتسب بذلك ضعف اليقين والايمان ويبتلى
قلبه بفقر وخوف امنه مع المتاع ويبتلى بموت القلب وعدم العقل ولو نظر ابن ادم نظر
معرفة وعقل لعلم انه لن يغنيه في الزمن الرابع الا من اغناه ورزقه في الازمان الثلاثة
قبله فلا مقال له ولا معذرة مما سلط عليه في الزمن الرابع الا برحمة الله فان ابن ادم كثير
الشك يقصر به حكمه وعلمه عن علم الله ولا يتفكر في امره ولو تفكر حتى يفهم ويتفهم حتى يعلم علم
ان علامة الله التي بها يعرف خلقه انه يخلق ثم يرزق لما خلق وقدر لما قدر وقال
عطا الخراساني لقيت وهبا في الطريق فقلت حدثني حديثا احفظه عنك في مقامي هذا
واوجز فقال اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام يا داود اما وعزتي وعظمتي لا ينتصر
بي عبد من عبادي دون خلقي اعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون
السبع ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا اما وعزتي وجلالي لا يعتصم عبد من عبادي
بمخلوق دوني اعلم ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات من يده واسخت الارض من تحته
ولا ابالي في اي واد هلك وقال ابو بلال الاشعري عن ابي هشام الصنعاني قال حدثني عبد
الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول وجدت في بعض الكتب ان الله تعالى
يقول كفاني للعبد مالا اذا كان عبدي في طاعتي اعطيته قبل ان يسالني واستجيب له
من قبل ان يدعوني فاني اعلم بحاجته التي ترفق به من نفسه وقال قرات في بعض الكتب
ان الشيطان لم يكابد شيا اشد عليه من مومن عاقل لانه اذا كان مومنا عاقلا ذا بصيرة
فلهو اثقل على الشيطان من الجبال الصم انه ليزاول المومن العاقل فلا يستطيعه فيتحول
عنه الى الجاهل فيستاسره ويتمكن من قياده وقال قام موسى عليه السلام فلما راته بنو
اسرايل قاموا فقال على مكانكم ثم ذهب الى الطور فاذا هو بنهر ابيض فيه مثل رووس الكثبان
كافور محفوف بالرياحين فلما راه اعجبه فدخل عليه فاغتسل وغسل ثوبه ثم خرج وجفف
ثوبه ثم رجع الى الماء فاستنقع فيه الى ان جف ثوبه فلبسه ثم اخذ نحو الكثيب الاحمر الذي
فوق الطور فاذا هو برجلين يحفران قبرا فقام عليهما فقال الا اعينكما قالا بلى فنزل
يحفر فقال لهما لحد ثاني مثل هذا الرجل فقالا على طولك فتبيتك فاضطجع فيه لينظر
فاضطجع فيه فالتامت عليه الارض فلم ينظر الى قبر موسى عليه الصلاة والسلام الا الرخم
فاصمها الله وابكمها وقال يقول الله عز وجل لولا اني كتبت النتن على الميت لحبسه اهله
في بيوتهم ولولا اني كتبت الفساد على الطعام لخزنه الاغنياء عن الفقراء وقال مر عابد براهب
فقال له منذ كم انت في هذه الصومعة قال منذ ستين سنة قال وكيف صبرت فيها ستين
سنة قال مر فان الدنيا الزمان يمر وانا الدنيا تمر ثم قال له يا راهب كيف ذكرك للموت قال
ما احسب عبدا يعرف الله تاتي عليه ساعة الا يذكر الموت فيها وما ارفع قدما الا وانا اظن
اني لا اضعها حتى اموت وما اضع قدما الا وانا اظن اني لا ارفعها حتى اموت فجعل العابد يبكي
فقال له الراهب هذا بكاوك في العلانية فكيف بكاوك اذا خلوت قال وكيف انت اذا خلوت
فقال له العابد اني لابكي عند افطاري فاشرب شرابي بدموعي وابل طعامي بدموعي ويصرعني النوم
فابل صاعي بدموعي فقال له الراهب انك ان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي
وانت مدل على الله بعملك فقال فاوصني بوصية فقال كن في الدنيا بمنزلة النحلة ان

الكلت اكلت طيبًا وان دصنعت دضعت طيبًا وان سقطت على شي لم تضره ولا يكن في الدنيا
بمنزلة الحمار انما همته ان يشبع ثم يرمي بنفسه في التراب وانصح لله نصح الكلب لاهله فانهم
يجيعونه ويطردونه وهو يابى الا ان يحرسهم ويحفظهم قال ابو عبد الرحمن اسرس وكان طاوس
اذا ذكر هذا الحديث بكى وقال عز علينا ان تكون الكلاب انصح لاهلها منا لمولانا عز وجل
وقد تقدم نحو هذا المتن وقال وهب تخلى راهب في صومعته في زمن المسيح فاراد ابليس
بكيده فلم يقدر عليه فاتاه بكل مراد فلم يقدر عليه فاتاه متشبها بالمسيح فناداه ايها
الراهب اشرف علي اكلمك فانا المسيح فقال وان كنت المسيح فما لي اليك من حاجة اليس قد امرتنا
بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشانك فلا حاجة لي فيك قال فذهب عنه
الشيطان خاسيا وهو حسير فلم يعد اليه وفي طريق اخرى عنه قال اتى ابليس راهبا
في صومعته فاستفتح عليه فقال له من انت قال انا المسيح فقال الراهب والله لئن
كنت ابليس لا اخلو بك ولئن كنت المسيح فما عسى ان اصنع بك اليوم شيا لقد بلغتنا
رسالة ربك عز وجل فقبلنا ما عنك وشرعت لنا الدين فنحن عليه فاذهب فلست بفاتح
لك فقال صدقت انا ابليس ولا اريد ضلالك بعد اليوم ابدا فلسني عما بدا لك اخبرك
به قال وانت صادق قال لا تسالني عن شي الا صدقتك به قال فاخبرني اي اخلاق بني
ادم اوثق في انفسكم ان تضلوهم به قال ثلثة اشيا الحدة والشح والسكر وقال وهب
قال موسى يا رب اي عبادك شر قال من لا ينفعه موعظة ولا يذكرني اذا خلى قال الهي فما جزاء
من ذكرك بلسانه وقلبه قال يا موسى اظله يوم القيامة بظل عرشي واجعله في كنفي وقال
وهب لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له رحمك الله ما هذا البنا الذي لا اسراف
فيه قال ما سترك من الشمس واكنك من الغيث قال فما هذا الطعام الذي لا اسراف
فيه قال فوق الجوع ودون الشبع من غير تكلف قال فما هذا اللباس الذي لا اسراف فيه
قال هو ما ستر العورة ومنع الحر والبرد من غير تنوع ولا تلون قال فما هذا الضحك الذي
لا اسراف فيه قال هو ما اسفر وجهك ولا يسمع صوتك قال فما هذا البكا الذي لا اسراف
فيه قال لا تمل من البكا من خشية الله عز وجل ولا تبك على شي من الدنيا قال كم اخفي من عملي
قال ما يظن بك انك لم تعمل حسنة قال فما اعلن من عملي قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما تحريك الحريص واحذر النظر الى الناس وقال لكل شي طرفان ووسط
فاذا امسكت باحد الطرفين مال الاخر واذا امسكت بالوسط اعتدلا فعليكم بالوسط
من الاشيا وقال اربعة احرف في التوراة من لم يشاور يندم ومن استغنى استاثر والفقر
الموت الاحمر وكما تدين تدان ومن يحتر يحتر وقال عبد الله بن المبارك ثنا بكار بن عبد الله انه
سمع وهب بن منبه يقول كان رجل من افضل اهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا اليه
ذات يوم فقال انا قد خرجنا عن الدنيا وفارقنا الاهل والاموال مخافة الطغيان وقد
خفنا ان يكون قد دخل علينا في حالنا هذه من الطغيان اعظم واكثر مما يدخل على اهل الاموال
في اموالهم وعلى الملوك في ملكهم ارانا يحب احدنا ان تقضى له الحاجة واذا اشترى شيا
ان يقارب لكانه دينه وان يعظم اذا لقي الناس لكان دينه ويجل بعد ذات العلما والعبا
التي يدخل عليهم في دينهم من حب الشرف والتعظيم قال فشاع هذا الكلام عنه حتى بلغ ملك
تلك البلاد فعجب منه الملك وقال لوس دولته ينبغي لهذا ان يزار فقعد الزيارته
يوما

يوما فركب اليه الملك ليسلم عليه ولينظر اليه فاشرف العابد وكان عالما جيدا لعلم
بافات العلوم والاعمال ودسايس النفوس فراى الارض التي تحته وكانه قد سدت بالخيل
والفرسان فقال ما هذا فقيل له هذا الملك قاصدا اليك ليسلم عليك لما بلغه من حسن
كلامك فقال انا لله وما اصنع به ملكنا والله لم يلقن الحذر من عند الله مع هذا الرجل
ويفرغون عنا وهو ما فت لنا ثم سال خادمه هل عندك طعام قال نعم قال فاتيني به
فضعه بين ايدينا قال وهو شي من ثمر الشجر وشي من بقل وزيتون قال فاتيني بما في بيته
ثم امر بجماعته فاجتمعوا حول ذلك الطعام فقال اذا دخل عليكم هذا الرجل فلا يلتفت احد
منكم اليه ولا يقوم له احد واقبلوا على الاكل العنيف ولا يرفع احد منكم راسه لعل الله ان
يصرفه عنا وهو كاره لنا فاني اخاف الفتنة والشهرة واشتغال القلب بهما فلا تخلص
الاعمال منهم قال فتبكى القوم وبكى ذلك الرجل العالم فلما اقترب الملك من جبلهم الذي هم
فيه نزل الملك ومعه نفر من اعيان دولته وصعد في الجبل فلما وصل اليهم وجدهم اخذوا
في الاكل العنيف فدخل عليهم الملك وهم ياكلون فلم يرفعوا اليه رووسهم وجعل ذلك
العالم الفاضل يلف البقل مع الزيتون مع الكسرة الكبيرة من الخبز ويدخلها في فمه فسلم
عليهم الملك وقال ايكم العالم فاشار واليه فقال له الملك كيف انت ايها الرجل
فقال له كالناس وهو يا كل ذلك الاكل العنيف فقال الملك ليس عند هذا خير ثم
ادبر الملك خارجا عنه وقال ما عند هذا من خير فلما نزل الملك من الجبل نظر اليه العابد من
كوة وقال ايها الملك الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي كاره وقال الحمد لله الذي صرفك
عني وانت لي عاص وفي رواية ذكرها ابن المبارك انه قال الحمد لله الذي صرفه عني وهو لي ذام
وفي رواية ان هذا العابد كان ملكا وكان قد زهد في الدنيا وتركها لانه كان قد دخل عليه
رجلان من بقايا اهل الحنيفية والعمل الصالح فوعظه فاتعد معهما ان يصحبهم وانه يخرج
عن الملك طلبا لما عنده في الدار الاخرة واندوا فقعد جماعة من بنيه واهله ورووس
دولته فخرجوا بهم لا يدري احدا بن ذهبوا وكان هذا الملك من اهل العدل والخير
والخوف من الله عز وجل وكان متسع المملكة والمملكة كثير الاموال والرجال فساروا حتى
اتوا جبلا في اطراف مملكته كثير الشجر والمياه فاقاموا به حينا فقال الملك انا نحن
طالبنا ومقامنا في هذا الجبل سمع بنا الناس من اهل مملكتنا فلا يدعونا واني
ارى ان نذهب الى غير مملكتنا فنتنزه فكانا عن الناس لعل ان نسلم منهم فرحلوا استنا
فساروا حتى ذلك الجبل طالبين بلادا لا يعرفون فوجدوا بها جبلا نائيا عن الناس كثير
الاشجار والمياه قليل الطوارق واذا في ذروته غيرنا آبجادية وارض متسعة تزرع
لمن اراد الزرع بها فنزلوا به وبنوا به اماكن للعبادة والسكنى وزرعوا الهم على تلك
العين بعض بقول ليا كلونه بها واشجارا يتقوتون وجعلوا يزرعون بايديهم ويا كلون
ثم شاع امرهم في بعض تلك البلاد القريبة من جبلهم فجعلوا ياتونهم ويزورونهم
الى ان شاع ذلك الكلام المتقدم عن ذلك العالم فبلغ ملك تلك البلاد فقصدهم
للزيارة فذكر القصة كما تقدم والله اعلم وقال وهب زهد الناس في الدنيا دان
مكبا عليها حريصا من لم يرض منها الا بالكسب الحلال الطيب مع حفظ الوجنات
وارغب الناس فيها وان كان معرضا عنها من لم يبال من اين كسبه منها حلالا كان او حراما

وانا جود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله عز وجل وان اراه الناس بخيلا فيما
سوى ذلك وان ابخل الناس في الدنيا من بخل بحقوق الله عز وجل وان اراه الناس
جوادا فيما سوى ذلك وقال الطبراني ثنا محمد بن المثنى ثنا علي بن المديني ثنا محمد بن
عمرو بن مقسم قال سمعت عطا بن مسلم يقول سمعت وهب بن منبه يقول ان الله تعالى
كلم موسى عليه السلام في الف مقام وكان اذا كلمه رؤي النور على وجه موسى ثلاثة ايام
ولم يمس موسى امراة منذ كلمه ربه عز وجل وقال عثمان بن ابي شيبة ثنا عبد الله
بن عامر بن زرارة ثنا عبد الله بن الاجلح عن محمد بن اسحاق قال حدثني ربيعة بن ابي عبد
الرحمن قال سمعت وهب بن منبه اليماني يقول ان للنبوة اثقالا ومؤنة لا يحملها الا القوي
وان يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه النبوة تفسخ
تحتها تفسخ الربع تحت الحمل فقذفها من يده وخرج هاربا فقال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال فاصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم الاية وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق ثنا
ابن وهب بن منبه عن ابيه قال لعمر الله الريحان لا يتكلم احد من الخلائق ينبغي في الارض الا
الفتنة فاذن لسليمان فلذلك سمع كلام النملة وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن وهب
قال كان رجل في بني اسرائيل اذا ساح اربعين سنة راى شيا كان يرى علامة القبول
قال فساح رجل منهم اربعين سنة فلم ير شيا فقال يا رب ان احسنت واسا
والداي فما ذنبي قال فادعه ما كان يرى غيره وفي رواية انه قال يا رب ذا كان والداي
قد اكلا حصرما اضرس انا وفي رواية عنه انه قال فاذ ذلك اذا كان والداي قد اساا الحرم
انا احسانك دبرك فاظلته غمامة وروى عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن
عبد العزيز بن حوران قال سمعت وهب بن منبه يقول مثل الدنيا والاخرة مثل
الدنيا والاخرة مثل ضرتين ان ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وقال ان اعظم الذنوب
عند الله بعد الشرك بالله السحر بالله وروى عبد الرزاق قال اخبرني ابي عن وهب
قال اذا صام الانسان زاغ بصره فاذا افطر على حلاوة عاد بصره وقال
ابن المبارك عن بكر بن عبد الله قال سمعت وهبا يقول مر رجل عابد على رجل عابد فراه
منكرا فقال له ما لك فقال اتعجب من فلان انه كان قد بلغ من عبادته ما بلغ ثم
مالت به الدنيا فقال لا تعجب ممن مال كيف مال ولكن اعجب ممن استقام كيف استقام
وقال وهب عبد الله بن الامام احمد بن حنبل حدثني احمد ثنا عبد الرزاق ثنا بكار بن عبد
الله قال سمعت وهب بن منبه يقول ان بني اسرائيل اصابتهم عقوبة وشدة فقالوا لنبي
لهم وددنا ان نعلم ما الذي يرضي ربنا فنتبعه فاوحى الله عز وجل اليه ان قومك يقولون
وددوا لو يعلمون ما الذي يرضيني فيتبعونه فاخبرهم ان ارادوا رضاي فليرضوا المساكين فانهم
اذا ارضوهم رضيت واذا اسخطوهم سخطت وقال عبد الله بن احمد ايضا ثنا ابي ثنا ابراهيم
بن خالد حدثني عمر بن عبد الرحمن قال سمعت وهب بن منبه يقول ان عيسى عليه السلام كان
واقفا على قبر ومعه الحواريون او نفر من اصحابه قال وصاحبه يدلي في قبره قال فذكروا
من ظلمة القبر وضيقه فقال عيسى قد كنتم فيما هو اضيق من ذلك في ارحام امهاتكم فاذا
احب الله ان يوسع وسع او كما قال وقال عبد الله بن المبارك ثنا بكار بن عبد الله

قال سمعت وهب بن منبه يقول كان رجل عابد من السياح اراده الشيطان من قبل
الشهوة والرغبة والغضب فلم يستطع منه شيا من ذلك فتمثل له حية وهو يصلي
فتلوى على رجليه فلم يلتفت اليه فالتوى على قدميه فلم يلتفت فدخل ثيابه واخرج راسه من عند
راسه فلم يلتفت ولم يستاخر فلما اراد ان يسجد التوى في موضع سجوده فلما وضع
راسه ليسجد فتح فاه ليلتقم راسه فوضع راسه فجعل يحركه حتى استمكن من السجود على
الارض ثم جاءه على صورة رجل فقال له انا صاحبك الذي اخوفك اتيتك من قبل الشهوة
والغضب والرغبة وانا الذي كنت اتمثل لك بالسباع والحيات فلم استطع منك
شيا وقد بدا لي ان اصادقك ولا اتيك في صلاتك بعد اليوم فقال له العابد لا يوم
خوفتني خفتك ولا اليوم بي حاجة في مصادقتك قال سلني عم شئت اخبرك قال
فما عسيت ان اسالك قال الا تسالني عن مالك ما فعل به بعدك قال لو اردت ذلك ما فات
قال افلا تسالني عن اهلك من مات منهم ومن بقي قال انا مت قبلهم قال افلا تسالني
عما اضل به الناس قال انت اعلم فاخبرني عن اوثق ما في نفسك تضل به بني ادم قال
ثلاثة اخلاق الشح والحدة والسكر فان الرجل اذا كان شحيحا قللنا ما له في عينيه
ورغبناه في اموال الناس واذا كان حديدا تداولناه بيننا كما يتداول الصبيان
الكرة ولو كان يحيي الموتى بدعوته لم ييأس منه فكلما بناه هدمه لنا كلمة واحدة
واذا سكر قدناه الى كل شر وفضيحة وخزي وهوان كما تقاد العنز لمن اخذ باذنها
حيث شينا وقال وهب اصاب ايوب البلا سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع
سنين ومسخ بخت نصر في السباع سبع سنين وروى الطبراني قال سيل وهب عن
الدنانير والدراهم فقال هي خواتيم رب العالمين في الارض لا تؤكل ولا
تشرب فاينما ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك وهي ازمة المنافقين
بها يقادون الى الشهوات وروى داود بن عمر الضبي عن ابن المبارك عن محمد
بن الفضل عن وهب قال مثل الذي يدعو بغير عمل مثل الذي يرمي بغير وتر وقال
ابن المبارك اخبرنا عمر بن عبد الرحمن بن مهرب قال سمعت وهبا يقول قال حكيم
من الحكما اني لاستحيي من الله عز وجل ان اعبده رجاء ثواب الجنة فقط فاكون كالاجير
السو ان اعطي عمل وان لم يعط لم يعمل واني لاستحيي من الله عز وجل ان اعبده مخافة
النار فقط فاكون كالعبد السو ان رهب عمل وان ترك لم يعمل واني ليستخرج مني
حب الله ما لا يستخرج مني غيره وقال السري بن يحيى كتب وهب الى مكحول انك قد اصبت
بما ظهر من علم الاسلام عند الناس محبة وشرفا فاطلب بما بطن من علم الاسلام عند
الله محبة وزلفى واعلم ان احدى المحبتين تمنع الاخرى او قال سوف تمنعك الاخرى
وقال عزاز بن سليمان عن ابي سنان الشيباني قال بلغنا ان وهب بن منبه قال
قال لقمان لابنه يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تربح بها ربح الدنيا والاخرة والايمان
سفينتك التي تحمل عليها والتوكل على الله شراعها والدنيا بحرك والايام موجك
والاعمال الصالحة تجارتك التي ترجو ارباحها والنافلة هديتك التي ترجو بها كرامتك
والحرص عليها تيسيرها وترحيبها ورد النفس عن هواها مراسيها والموت ساحلها
والله مليكها واليه مصيرها واحب التجار الى الله افضلهم واقربهم منه اكثرهم بضاعة

واصفاهم نيةً واخلصهم مدينةً وابغضهم لمن اقلهم بضاعة وارداهم هديةً واخبثهم
طويةً وكلما حسنت تجارتك ازداد ربحك وكلما اخلصت مدينتك تكرم وفي رواية
عنه انه قال قال لقمان لابنه يا بني اتخذ طاعة الله بضاعة تاتك الارباح من كل مكان
واجعل سفينتك تقوى الله وحشوها التوكل على الله وشراعها الايمان بالله وتجرك
العلم النافع والعمل الصالح لعلك ان تنجوا وما اراك بناج وقال عبد الله بن المبارك
عن رباح بن زيد عن رجل عن وهب قال ان للعلم طغيانا كطغيان المال وقال
الطبراني ثنا عبيد بن محمد الصنعاني ثنا ابو قدامة همام بن مسلمة بن عقبة ثنا
غوث بن جابر ثنا عقيل بن معقل بن منبه قال سمعت عمي وهب بن منبه يقول الاجر من
الله عز وجل معروض ولكن لا يستوجبه من لا يعمل ولا يجده من لا يبتغيه ولا يبصره من لا ينظر
اليه وطاعة الله قريبة ممن يرغب فيها بعيدة ممن يزهد فيها ومن يحرص عليها يصل
اليها ومن لا يحبها لا يجدها لا تسبق من سعى اليها ولا يدركها من ابطا عنها وطاعة
الله تشرف من اكرمها وتهين من اضاعها وكتاب الله يدل عليها والايمان بالله يحض
عليها وقال الامام احمد ثنا ابراهيم بن خالد ثنا عمر بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه
يقول قال داود عليه السلام يا رب اي عبادك احب اليك قال مومن حسن الصورة
حسن العمل قال يا رب اي عبادك ابغض اليك قال كافر حسن الصورة كفر هذا وشكر هذا
وفي رواية ذكرها احمد بن حنبل اي عبادك ابغض اليك قال عبد استخارني في امر فخرت
له فلم يرض به وقال ابراهيم الجنيد حدثني ابراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن ادريس ثنا
عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه قال كان سايح يتعبد الله تعالى فجاءه ابليس
او شيطان فتمثل له بانسان فجعل يريه انه يتعبد الله وجعل يزيد عليه في العبادة
فاحبه ذلك السايح لما راى من اجتهاده وتعبده فقال له الشيطان والسايح في مصلاه
لو دخلنا الى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على اذاهم وامرناهم ونهيناهم كان اعظم لاجرنا
فاجابه السايح الى ذلك فلما اخرج السايح احدى رجليه من باب مكانه لينطلق معه هتف
به هاتف فقال ان هذا شيطان اراد ان يفتنك فقال السايح رجل خرجت
في معصية الله وطاعة الشيطان لا تدخل معي فما حولها من موضعها ذلك حتى
فارق الدنيا فانزل الله عز وجل ذكره في بعض كتبه فقال ودوا الرجل وقال
وهب اتي برجل من افضل اهل زمانه الى ملك كان يفتن الناس على اكل لحم الخنزير فاعظم
الناس مكانه وهالهم امره فقال له صاحب شرطة الملك سرا بيني وبينك ايها
العالم اذبح جديا مما يحل لك اكله ثم ادفعه الي حتى اصنعه لك على حدته فاذا دعى الملك
بلحم الخنزير امرت به فوضع بين يديك فتاكل منه حلالا ويرى الملك والناس انك انما
اكلت لحم الخنزير فذبح ذلك العالم جديا ثم دفعه الى صاحب الشرطة فصنعه له وامر
الطباخين اذا امر الملك بان يقدم الى هذا العالم لحم الخنزير ان يضعوا لحم الجدي
بين يدي ذلك العالم وكان قد امسكوا عن اكل لحم الخنزير لينظروا امر هذا العالم فيه
اياكل ام لا وقالوا ان اكل اكلنا وان امتنع امتنعنا فجاء الملك فدعى لهم بلحوم الخنازير
فوضعت بين ايديهم ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدي الحلال المذكى فالهم الله
ذلك العالم والقى في روعه وفي فكره فقال هب اني اكلت لحم الجدي الذي اعلم حله انا فما

ذا اصنع

ذا اصنع بمن لا يعلم والناس انما ينتظرون اكلي ليقتدوا بي وهم لا يعلمون الا اني انما
اكلت لحم الخنزير فياكلون اقتداء بي فاكون ممن يحمل اوزارهم يوم القيامة لا افعل والله
وان قتلت وحرقت بالنار وابى ان ياكل فجعل صاحب الشرطة يغمز اليه ويومي اليه
ويامره باكله اي انما هو لحم الجدي فابى ان ياكل ثم امره الملك ان ياكل فابى فالحوا عليه
فابى فامر الملك صاحب الشرطة بقتله فلما ذهبوا به ليقتلوه قال له صاحب الشرطة
ما منعك ان تاكل من اللحم الذي ذكيته انت ودفعته الي اظننت اني اتيتك بغيره
او خنتك فيما ايتمنتني عليه ما كنت لافعل والله فقال له العالم قد علمت انه
هو ولكن خفت ان يتاسى الناس بي وهم انما ينتظرون اكلي منه ولا يعلمون الا اني انما
اكلت لحم الخنزير وكذلك من اريد على اكله فيما ياتي من الزمان يقول قد اكله فلان
فاكون فتنة لهم فقتل رحمه الله فينبغي للعالم ان يحذر المعايب ويجتنب المحذورات
فان زلته مرقومة محفوظة يقتدي بها الجاهل قال معاذ بن جبل اتقوا زيغة
الحكيم وقال غيره اتقوا زلة العالم فانه اذا زل زل بزلته عالم كثير ولا ينبغي له ان
يستهين بالزلة وان صغرت ولا يفعل الرخص التي قد اختلف فيها العلماء فان العالم
موعظة كل احد من العوام بما يصول على الحق ليدحضه ويقول رايت فلان العالم
وفلان وفلان يفعلون ويفعلون وليجتنب العوايد النفسية فانه قد يفعل الاشياء
على حكم العادة فيظنها الجاهل جايزة او سنة او واجبة كما قيل سل العالم يصدقك
اي لا تقتد بفعله الغريب ولكن سل عنه يصدقك ان كان ذا دين وكم قد افسد النظر
الى غالب علماء زماننا هذا من خلق فما الظن بمخالطتهم ومجالستهم ولكن من يهدي الله
فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وقال محمد بن عبد الملك بن زنجويه
ثنا عبد الرزاق عن ابيه قال قلت لوهب بن منبه كنت نرى الرويا فنخبر بها
فلا نلبث ان نراها كما رايناها قال ذهب ذلك عني منذ وليت القضاء قال عبد
الرزاق فحدثت به معمرا فقال قال الحسن بعدما ولي القضاء لم يحمد وانهمه فمن باس
الفرا بعدك يا شهر فكيف حالنا نحن قد غرقنا في اذورات الدنيا من علماء زماننا
هذا لا سيما من بعد فتنة تمر لنا فان القلوب قد امتلات بحب الدنيا فلا يجد
العلم فيها موضعا فجالس من شيت منهم لتنظر مبادي مجالسهم وغاياتها ولا تشتغلك
البدو انما غاية الامور بخواتيمها ونتايجها وغاياتها ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال وهب البلاء للمومن كالشكال للدابة وقال ابو بلال
الاشعري عن ابي هشام الصنعاني عن عبد الصمد عن وهب قال من اصيب بشي من البلا
فقد سلك به طريق الانبيا وقال عبد الله بن الامام احمد ثنا ابي ثنا عبد الرزاق قال
اسا منذر قال سمعت وهبا يقول قرات في كتاب رجل من الحواريين اذا سلك بك طريق
او قال سبيل اهل البلا فطب نفسا فقد سلك بك طريق الانبيا والصالحين
وقال الامام احمد ثنا احمد بن جعفر ثنا ابراهيم بن خالد حدثني امية بن شبل عن عثمان
بن بوذويه قال كنت مع وهب وسعيد بن جبير يوم عرفة تحت نخيل بن عامر فقال
وهب لسعيد يا ابا عبد الله كم لك منذ خفت من الحجاج قال خرجت عن امراتي وهي
حامل فجاءني الذي في بطنها وقد خرج وجهه فقال له وهب ان من كان قبلكم كان اذا

اصابا احدهم بلاء عده رخاء واذا اصابه رخا عده بلاء وروى عبد الله بن احمد باسناده عن وهب
قال قرات في بعض الكتب ليس من عبادي من سحر او سُحر له او تكهن او تُكهن له او تطير او تُطير
له ومن كان كذلك فليدع غيري فانا هو انا وخلقي كلهم لي وقال الامام احمد ثنا ابراهيم بن خالد
ثنا رباح عن جعفر بن محمد عن التيمي عن وهب انه قال يدخول الجمل في سم الخياط ايسر من
دخول الاغنيا الجنة قلت هذا انما هو لشدة الحساب وطول الوقوف للاغنيا في الكرب
كما قد ضرب الامثال للشدايد والله سبحانه اعلم وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق
ثنا بكار قال سمعت وهبا يقول ترك المكافاة من التطفيف وقال الامام احمد ثنا حجاج
وابو النضر قالا ثنا محمد بن طلحة عن محمد بن جحادة عن وهب قال من يتعبد يزدد قوة
ومن يتكسل يزدد فترة وقد قال غيره ان حورا جاتني في المنام في ليلة باردة فقالت
له قم الى صلاتك فهي خير لك من نومتك توهن بدنك ورايت في ذلك حديثا لم يحضرني
الان وهذا امر مجرب ان العبادة تنشط البدن وتلينه وان النوم يكسل البدن
ويقسيه وقد قال بعض السلف لما تبع صلة بن اشيم حين دخل تلك الغيطة وانه
قام ليلته الى ان اصبح قال فاصبح كانه بات على الحشايا واصبحت وبي من الكسل والفترة
ما لا يعلمه الا الله وقد قيل للحسن ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها قال لانهم
خلوا بالجليل فالبسهم نورا من نوره وقال يحيى بن ابي كثير والله ما رجل يخلو باهله
عروسا اقر ما كانت نفسه وآنس ما كانت باشد سرورا منهم بمناجاة ربهم تعالى اذا خلوا
به وقال عطا الخراساني قيام الليل محياة للبدن ونور في القلب وضياء في الوجه
وقوة في البصر والاعضا كلها وان الرجل اذا قام من الليل اصبح فرحا مسرورا واذا
نام عن حزبه اصبح حزينا منكسر القلب كانه قد فقد شيا وقد فقد اعظم الامور له
نفعا وقال ابن ابي الدنيا ثنا ابو جعفر احمد بن منيع ثنا هاشم بن القاسم ابو النضر
ثنا بكر بن خنيس عن محمد القرشي عن ربيعة بن يزيد عن ابي ادريس الخولاني عن
بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين
قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله ومنهاة عن الاثم وتكفير من السيئات ومطردة
للداء عن الجسد وقد رواه غيره من طرق عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم
ويكفي في هذا الباب ما رواه اهل الصحيح والمسانيد عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب
مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان
توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح
خبيث النفس كسلان وهذا باب واسع وقد قال هود فيما اخبر الله عنه اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ثم قال ويزدكم قوة الى قوتكم وهذه القوة تشمل جميع القوى
فيزيد الله عابديه قوة في ايمانهم ويقينهم ودينهم وتوكلهم وغير ذلك مما هو من جنس
ذلك ويزيدهم قوة في اسماعهم وابصارهم واجسادهم واموالهم واولادهم وغير ذلك
والله سبحانه اعلم وقال الامام احمد ثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد انه
سمع وهبا يقول تصدق رجل بصدقة يعلم انما قدم بين يديه ما له وما خلف مال
غيره قلت وهذا كما في الحديث ايكم مال وارثه احب اليه من ماله فقالوا كلنا ماله

احب اليه من مال وارثه فقال انما له ما قدم وما لوارثه ما اخر قال وسمعت وهبا
على المنبر يقول احفظوا عني ثلاثا اياكم وهوى متبعا وقرين سوء واعجاب المرء بنفسه
وقد رويت هذه الالفاظ في الحديث وقال الامام احمد ثنا يونس بن عبد الصمد
بن معقل ثنا ابراهيم بن الحجاج قال سمعت وهبا يقول احب بني ادم الى الشيطان النؤوم
الاكول وقال الامام احمد ثنا غوث بن جابر ثنا عمران بن عبد الرحمن ابو الهذيل انه
سمع وهبا يقول ان الله عز وجل يحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس وقال احمد
ايضا حدثنا ابراهيم بن عقيل ثنا عمران ابو الهذيل من الابنا عن وهب بن منبه قال
ليس من الادميين احد الا ومعه شيطان موكل به فاما الكافر فياكل معه ويشرب معه
وينام معه على فراشه واما المومن فهو مجانب له ينتظره حتى يصيب منه غفلة او غرة
واحب الادميين الى الشيطان الاكول النؤوم وقال محمد بن غالب ثنا ابو المعتمر
ابن اخي بشر بن منصور عن داود بن ابي هند عن وهب قال قرات في بعض الكتب التي
انزلت من السما على بعض الانبيا ان الله تعالى قال لابراهيم عليه الصلاة والسلام اتدري
لما اتخذتك خليلا قال لا يا رب قال لذل مقامك بين يدي في الصلاة وقال
عبد الله بن احمد بن حنبل ثنا احمد بن محمد بن ايوب ثنا ابو بكر بن عياش عن ادريس بن
وهب بن منبه قال حدثني ابي قال كان لسليمان بن داود الف بيت اعلاه قوارير
واسفله حديد فركب الريح يوما فمر بحراث فنظر اليه الحراث فقال لقد اوتي سليمان
من الملك فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فحملت الريح كلام الحراث فالقته
في اذن سليمان قال فامر الريح فوقفت ثم نزل فمشى الى الحراث فقال اني قد
سمعت قولك وانما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ما اقدرني الله عليه
تفضلا واحسانا منه علي لانه هو الذي اتاني لهذا واغناني ثم قال له والله لتسبيحة
واحدة يقبلها الله عز وجل منك او من مومن خير مما اوتي ال داود من الملك لان ما اوتي
ال داود من ملك الدنيا يفنى والتسبيحة تبقى وما يبقى خير مما يفنى فقال الحراث
اذهب الله همك كما اذهبت همي وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن عقيل بن معقل
حدثني ابي عن وهب بن منبه قال ان الله عز وجل اعطى موسى عليه السلام نورا فقال
لهارون ابشر يا اخي فوهبه له فاعطاه هارون ابنيه فكان في بيت المقدس
في انية تعظمها الانبيا والملوك فكان ابنا هارون يسقيان في تلك الانية الخمر
فنزلت نار من السما فاختطفت ابني هارون فصعدت بهما ففزع هارون لذلك
فقام مستغيثا متوجها بوجهه الى السما يتضرع فاوحى الله اليه يا هارون هكذا
افعل بمن عصاني من اهل طاعتي فكيف فعلي بمن عصاني من اهل معصيتي وقال الحكم بن
ابان نزل بي ضيف من اهل صنعا فقال سمعت وهب بن منبه يقول ان لله عز وجل في
السما السابعة دارا يقال لها البيضا يجتمع فيها ارواح المومنين فاذا مات الميت
من اهل الدنيا تلقته الارواح فيسالونه عن اخبار اهل الدنيا كما يسال الغايب اهله
اذا قدم عليهم وقال من جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب
علمه هواه فذلك العالم الغلاب وقال فضيل بن عياض اوحى الله تعالى الى بعض
انبيايه ان بعيني ما يتحمل المتحملون من اجلي وما يكابد المكابدون في طلب مرضاتي فكيف

بهم اذا صاروا الى داري وتبجحوا في رياض نعمتي هنالك فليبشر المصفون لله اعمالهم
بالمنظر العجيب من الحبيب القريب اتراني انسى لهم عملا وكيف وانا ذو الفضل العظيم
اجود على المولين المعرضين عني فكيف بالمقبلين علي وما غضبت على شي كغضبي على
من اخطا خطية فاستعظمها في جنب عفوي ولو تعاجلت بالعقوبة احدا او كانت
العجلة من شاني لعاجلت القانطين من رحمتي ولو راني عبادي المومنين كيف استوهبهم
ممن اعتدوا عليه ثم احكم لمن وهبهم بالخلد المقيم لما اتهموا فضلي وكرمي انا الديان الذي
لا يحل معصيتي والذي اطاعني اطاعني برحمتي لا حاجة لي بهوان من خافني فمقامي ولو راني
عبادي يوم القيامة كيف ارفع قصورا تحار فيها الابصار فيها لمن ذا فاقول
لمن وهب لي ذنبا من لم يوجب على نفسه معصيتي والقنوط من رحمتي واني مكافي
على المدح فامدحوني وقال سلمة بن شبيب ثنا سلمة بن عاصم ثنا عبد الله بن محمد
بن عقبة ثنا عبد الرحمن ابو طالوت حدثني مهاجر الاسدي عن وهب قال مر عيسى
بن مريم ومعه الحواريون بقرية قد مات اهلها انسها وجنها وهوامها وانعامها
وطيورها فقام عليها ينظر اليها ساعة ثم اقبل على اصحابه فقال انما مات هولا
بعذاب من عند الله ولولا ذلك لماتوا متفرقين ثم ناداهم عيسى يا اهل القرية فاجابه
مجيب لبيك يا روح الله فقال ما كانت جنايتكم وسبب هلاككم قال عبادة
الطاغوت وحب الدنيا قال وما كانت عبادتكم للطاغوت قال طاعة اهل
المعاصي في عبادة الطاغوت قال وما كان حبكم للدنيا قال كحب الصبي لامه كنا
اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا مع امل بعيد وادبار عن طاعة الله واقبال
على مساخطه قال فكيف كان هلاككم قال بتنا ليلة في عافية واصبحنا في الهاوية
قال وما الهاوية قال سجين قال وما سجين قال جمرة من نار مثل اطباق الدنيا
كلها دفنت ارواحنا فيها قال فما بال اصحابك لا يتكلمون قال لا يستطيعون ان
يتكلموا قال وكيف ذلك قال هم ملجمون بلجم من نار قال وكيف كلمتني انت من
بينهم قال اني كنت فيهم لما اصابهم العذاب ولم اكن منهم ولا على اعمالهم فلما جاء
البلا عمني معهم وانا معلق بشعرة في الهاوية لا ادري اكردس فيها ام انجو فقال
عيسى عليه السلام عند ذلك لاصحابه حق اقول لكم لاكل خبز الشعير وشرب الماء
القراح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وروى الطبراني عنه انه
قال لا يكون الرجل حكيما حتى يطيع الله عز وجل وما عصى الله حكيم ولا يعصي الله الا احمق
وكما لا يكمل النهار الا بالشمس ولا يعرف الليل الا بالظلام كذلك لا تكمل الحكمة الا بطاعة
الله عز وجل ولا يعصي الله حكيم كما لا يطير الطير الا بجناحين ولا يستطيع من لا جناح له
ان يطير كذلك لا يطيع الله من لا يعمل له ولا يطيق عمل الله من لا يطيعه وكما لا مكث
للنار في الماء حتى تطفى كذلك لا مكث لعمل الرياء حتى يبور وكما يبدي سر الزانية
فضيحتها حملها كذلك يفتضح بالعمل السيء من كان يغر الجليس بالقول الحسن
ولم يعمل به وكما تكذب معذرة السارق السرقة اذا ظهر عليها عنده كذلك تكذب
معصية القاري لله قراءته انما كان يقرا لغير الله تعالى وقال الطبراني ثنا محمد
بن النضر ثنا علي بن بحر بن بري ثنا اسماعيل بن عبد الكريم ثنا عبد الصمد بن معقل

قال

قال سمعت وهبا يقول في مزامير داود طوبى لمن لم يسلك سبيل الخطائين ولا
يجالس البطالين وطوبى لمن لم يسلك طريق الاثمة ويستقيم على عبادة ربه فمثله
كمثل شجرة نابتة على ساقية لا تزال فيها الحيوة ولا تزال خضرا وروى الطبراني ايضا
عنه قال اذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العضاه دما
وروى عنه انه قال ما من شي الا يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم
تصغر وروى عنه ايضا قال وقف سايل على باب داود عليه السلام فقال يا اهل بيت
النبوة تصدقوا علينا بشي رزقكم الله رزق التاجر المقيم في اهله فقال داود اعطوه
فو الذي نفسي بيده انها لفي الزبور وقال من عرف بالكذب لم يجز صدقه ومن عرف
بالصدق ائتمن على حديثه ومن اكثر الغيبة والبغضا لم يوثق منه بالنصيحة ومن
عرف بالفجور والخديعة لم يومن اليه في المحبة ومن انتحل فوق قدره جحد قدره ولا
يلتمس فيك ما يستقبح من غيرك هذه الاثار رواها الطبراني عنه من طرق وروى
داود بن عمرو عن اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال قدم علينا
وهب مكة فطفق لا يشرب ولا يتوضا الا من ماء زمزم فقيل له ما لك عن الماء العذب
فقال ما انا بالذي اشرب واتوضا الا من ماء زمزم حتى اخرج منها انكم لا تدرون
ما ماء زمزم والذي نفسي بيده انها لفي كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم ولا يعمد احد
اليها فيتضلع منها ريا ابتغاء بركتها الا نزعت منه داء واحدث له شفاء وقال
النظر في زمزم عبادة وقال النظر فيها يحط الخطايا حطا وقال وهب مسخ بخت
نصر اسدا فكان ملك السباع ثم مسخ نسرا فكان ملك الطير ثم مسخ ثورا فكان ملك
الدواب وهو في ذلك يعقل عقل الانسان وكان ملكه قايما يدبر ثم رد الله عليه
روحه الى حالة الانسان فدعى الى توحيد الله وقال كل اله باطل الا اله السماء فقيل
له امات مومنا فقال وجدت اهل الكتاب قد اختلفوا فيه فقال بعضهم امن قبل
ان يموت وقال بعضهم قتل الانبيا وحرق الكتب وخرب بيت المقدس فلم يقبل
منه التوبة هكذا رواه الطبراني عن محمد بن احمد بن الفرج عن عباس بن يزيد عن عبد
الرزاق عن بكار بن عبد الله قال سمعت وهب بن منبه يقول فذكره وقال وهب كان
رجل بمصر فسالهم ثلاثة ايام ان يطعموه فلم يطعموه فمات في اليوم الرابع فكفنوه ودفنوه
فاصبحوا فوجدوا الكفن في محرابهم مكتوب عليه قتلتموه حيا وبررتموه ميتا قال
يحيى فما رايت القرية التي مات فيها ذلك وما بها احد الا وله بيت ضيفان فقر لا غنى
ولا تغيير هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي عن علي بن الحسن عن عبد الله بن اخي وهب
قال حدثني عمي وهب بن منبه فذكره قال واهل القرية يعترفون بذلك فمن ثم
اتخذوا بيوتا للضيفان والفقرا خوفا من ذلك وقال عبد الرزاق عن بكار عن
وهب قال اذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوة وقال ابراهيم بن الجنيد
ثنا ابراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن ادريس عن عبد الصمد عن وهب بن منبه قال
مر نبي من الانبيا على عابد في كهف جبل فمال اليه فسلم عليه وقال له يا عبد الله
منذ كم انت هاهنا قال منذ ثلاثماية سنة قال فمن اين معيشتك قال من ورق الشجر
قال فمن اين شرابك قال من ماء العيون قال فاين تكون في الشتا قال تحت هذا الجبل

قال فكيف صبرك على العبادة قال وكيف لا اصبر وانما هو يومي الى الليل واما امس
فقد مضى بما فيه واما غد فلم يات بعد قال فعجب النبي من قوله انما هو يومي الى الليل
وبهذا الاسناد ان رجلا من العباد قال لمعلمه قد قطعت الهوى فلست اهوى من
الدنيا شيا فقال له معلمه اتفرق بين النسا والدواب اذا رايتهن معا قال نعم
قال اتفرق بين الدنانير والدراهم والحصا قال نعم قال يا بني انك لم تقطع الهوى
عنك ولكنك قد اوثقته فاحذر انفلاته ان انفلت به وقال غوث بن جابر بن غيلان
بن منبه حدثني عقيل بن معقل عن وهب قال اعلم ان نواحي الدين الثلث فان الدين
نواحي ثلثا من جماع الاعمال الصالحة لمن اراد جمع الصالحات اولهن تعمل شكرا
لله على الا نعم الكثيرات الغاديات الرايحات الظاهرات الباطنات الحديثات
القديمات يعمل المومن شكرا لهن ورجا تمامهن والناحية الثانية من الدين
رغبة في الجنة التي ليس لها ثمن وليس لها مثل ولا يزهد فيها وفي العمل لها الا سفيه
فاجر او منافق كافر والناحية الثالثة من الدين ان يعمل المومن فرارا من النار التي
ليس لاحد عليها صبر ولا لاحد بها طاقة ولا يدان وليست مصيبتها كالمصيبات
ولا حزن اهلها كالاحزان نبا وما عظيم وشانها شديد وحزنها فظيع ولا يغفل
عن الفرار والتعوذ بالله منها الا سفيه احمق خاسر قد خسر الدنيا والاخرة ذلك
هو الخسران المبين وقال اسحاق بن راهويه ثنا عبد الملك بن محمد الذماري قال
اخبرني محمد بن سعيد بن رمانة قال اخبرني ابي قال قيل لوهب اليس مفتاح الجنة
لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس من مفتاح الا وله اسنان فمن اتى الباب بمفتاح باسنانه
فتح له ومن لم يات الباب بمفتاح باسنانه لم يفتح له وقال محمد ثنا اسماعيل بن
عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهبا يقول ان ركبا بن ما لك
في جند من قومه وهو شاب فصرع عن فرسه فدق عنقه فمات في ارض قرية من
القرى فغضب ابوه وحلف ان تقتل اهل تلك القرية عن اخرهم وان يطاهم بالافيال
فما ابقت الافيال وطيته الخيل فما ابقت الخيل وطيته الرجال فتوجه اليهم بعد ان
سقي الافيال الخمر وقال طاوهم بالافيال اولا فما ابقت الافيال فلتطاه
الخيل فما اخطاته الخيل فلتطاه الرجال فلما سمع بذلك اهل تلك القرية وعرفوا
انه قد قصدهم لذلك خرجوا باجمعهم فجاروا الى الله سبحانه وعجوا اليه وابتهلوا ان
يدعونه تعالى ليكشف عنهم شر هذا الملك الظالم وما قصده من هلاكهم فبينما
الملك وجيشه سايرون على ذلك واهل القرية في الابتهال والدعا والتضرع الى
الله تعالى اذ نزل فارس من السما فوقع بينهم فنفرت الافيال فعطفت على الخيل وعطفت
الخيل على الرجال فقتل الملك ومن معه وطيا بالافيال والخيل ونجى الله اهل تلك القرية
من باسهم وشرهم وروى عبد الرزاق عن المنذر بن النعمان انه سمع وهبا يقول قال
الله تعالى لصخرة بيت المقدس لاضعن عليك عرشي ولاحشرن عليك خلقي وليا تينك
داود يوميذ راكبا وروى سماك بن الفضل عن وهب قال اني لا تفقد اخلاقي ما فيها
شي يعجبني وروى عبد الرزاق عن ابيه قال قال وهب انما صليت الصبح بوضوء العتمة
وقال يعقوب بن الوليد ثنا زيد بن خالد عن خالد بن معدان عن وهب قال كان نوح عليه

السلام

السلام من اجمل اهل زمانه وكان يلبس البرقع فاصابهم مجاعة في السفينة فكان
نوح اذا تجلى لهم شبعوا وقال عيسى يا حواريون اقول لكم ان اشدكم جزعا على المصيبة
اشدكم حبا للدنيا وقال جعفر بن برقان بلغنا ان وهبا كان يقول طوبى لمن نظر في عيبه
عن عيب غيره وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة ورحم اهل الذل والمسكنة وتصدق
من مال جمعه من غير معصية وجالس اهل العلم والحلم والحكمة ووسعته السنة ولم يتعدها
الى البدعة وروى سيار عن جعفر عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال وجدت في زبور
داود يا داود هل تدري من اسرع الناس مرا على الصراط الذين يرضون بحكمي والسنتهم
رطبة بذكري وقال ان عابدا عبد الله تعالى خمسين سنة فاوحى الله الى نبيهم اني قد غفرت
له فاخبره ذلك فقال اي رب واي ذنب لي تغفر لي فامر عرقا في عنقه فضرب عليه
فلم ينم ولم يهدا ولم يصل ليلته ثم سكن العرق فشكى ذلك الى النبي فقال لما لقيت من
عرق ضرب علي في عنقي ثم سكن فقال له النبي ان الله يقول ان عبادتك خمسين سنة
ما تعدل سكون هذا العرق وقال وهب رووس النعم ثلثة احدها نعمة الاسلام التي
لا تتم نعمة الا بها والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة الا بها والثالث
نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا بها ومر وهب بمبتلى اعمى مجذوم مقعد عريان
به وضح وهو يقول الحمد لله على نعمه فقال له رجل كان مع وهب اي شي بقي عليك من
النعمة تحمد الله عليه فقال له المبتلى ارم ببصرك الى اهل المدينة وانظر الى كثرة اهلها
اولا احمد الله انه ليس فيها احد يعرفه غيري وقال وهب المومن يخالط ليعلم ويسكت
ليسلم ويتكلم ليفهم ويخلو ليغنم وقال المومن مفكر مذكر مزدجر تفكر فعلته السكينة
سكن فتواضع قنع فلم يهتم رفض الشهوات فصار حرا القى عنه الحسد فظهرت له
المحبة زهد في كل فان فاستكمل العقل رغب في كل باق فعقل المعرفة قلبه متعلق
بهمه وهمه موكل بمعاده لا يفرح اذا فرح اهل الدنيا هم بل حزنه عليه سرمد
اذا نامت العيون يتلو كتاب الله ويردده على قلبه فمرة يفزع قلبه ومرة تدمع عينه يقطع
عنه الليل بالتلاوة ويقطع عنه النهار بالخلوة والعزلة مفكرا في ذنوبه مستصغرا
لاعماله قال وهب فهذا ينادي يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رؤوس الخلايق
قم ايها الكريم فادخل الجنة وقال ابراهيم بن سعيد عن عبد الرحمن بن مسعود عن
ثور بن يزيد قال قال وهب بن منبه الويل لكم اذا سماكم الناس صالحين واكرموكم
على ذلك وقال الطبراني ثنا عبيد بن محمد الكشوري ثنا همام بن سلمة بن عقبة ثنا
غوث بن جابر ثنا عقيل بن معقل بن منبه قال سمعت عمي وهب بن منبه يقول
يا بني اخلص طاعة الله بسريرة ناصحة يصدق بها فعلك في العلانية فان
من فعل خيرا ثم اسره الى الله فقد اصاب مواضعه وابلغه قراره ووضعه عند حافظه
وان من اسر عملا صالحا لم يطلع عليه الا الله فقد اطلع عليه من هو حسبه واحفظه
واستودعه حفيظا لا يضيع اجره فلا تخافن يا بني على عمل صالح اسررته الى الله عز وجل
ضياعا ولا تخافن ظلمه ولا هضمه ولا تظنن ان العلانية هي انجح من السريرة فان مثل
العلانية مع السريرة كمثل ورق الشجر مع عرقها العلانية ورقها والسريرة اصلها
ان يحرق العرق هلكت الشجرة كلها ورقها وعرقها وان صلح الاصل صلحت الشجرة

بثمرها وورقها والورق بالى عليه حين يجف ويصير هبا تذروه الرياح بخلاف
العرق فانه لا يزال ما ظهر من الشجرة في خير وعافية ما كان عرقها مستخفيا لا يرى
منه شي كذلك الدين والعلم والعمل لا يزال صالحا ما كان له سريرة صالحة يصدق
الله بها علانيته فان العلانية تنفع مع السريرة الصالحة ولا تنفع العلانية
مع السريرة الفاسدة كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها وان كان حياته من قبل
عرقها فان فرعها زينتها وجمالها وان كانت السريرة هي ملاك الدين فان العلانية
معها تزين الدين وتجمله اذا عملها مؤمن لا يريد بها الا رضى ربه عز وجل وقال
الهيثم بن جميل ثنا صالح المري عن ابان عن وهب قال قرات في الحكمة الكفر اربعة
اركان ركن منه الغضب وركن منه الشهوة وركن منه الطمع وركن منه الخوف وقال
اوحى الله تعالى الى موسى اذا دعوتني فكن خايفا مشفقا وجلا وعفر خدك بالتراب
واسجد لي بمكارم وجهك ويديك وسلني حين تسالني بخشية من قلبك ووجل واخشني
ايام الحياة وعلم الجهال آلاي وقل لعبادي لا يتمادوا في غي ما هم فيه فان اخذي اليم
شديد وقال وهب اذا هم الوالي بالجور او عمل به دخل النقص على اهل مملكته وقلت
البركات في التجارات والزراعات والضروع والمواشي ودخل المحق في ذلك وادخل
الله عليه الذل في ذاته وفي ملكه واذا هم بالعدل والخير كان عكس ذلك من كثرة
الخير ونمو البركات وقال وهب كان في صحف ابراهيم عليه السلام ايها الملك المبتلى
اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولا لتبني البنيان وانما بعثتك لترد عني
دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من كافر وروى ابن ابي الدنيا عن محمد بن اسحاق
عن وهب بن منبه ان ذا القرنين قال لبعض الملوك ما بال كلمتكم واحدة وطريقكم
مستقيمة قالوا من قبل انا لا نخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا وروى ابن ابي الدنيا عنه
قال ثلث من كن فيه اصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام وقال
ابن ابي الدنيا حدثني سلمة بن شبيب ثنا سهل بن عاصم عن سلمة بن ميمون عن المعافى
ابن عمران عن ادريس قال سمعت وهبا يقول كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما
الى ان مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذا هما برجل يمشي في الهوا فقالا له يا عبد الله
باي شي ادركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا فطمت نفسي وبيسير من الاثم تركته
عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه خالقي ولزمت
الصمت فان اقسمت على الله عز وجل ابر قسمي وان سالته اعطاني وقال حدثني ابو العباس
البصري الازدي عن شيخ من الازد قال جا رجل الى وهب بن منبه فقال علمني شيا ينفعني
الله به قال اكثر من ذكر الموت واقصر املك وخصلة ثالثة ان اصبتها بلغت الغاية
القصوى وظفرت بالعبادة الكبرى قال وما هي قال التوكل

وممن توفي فيها سليمان بن سعد الحسني

كان جميلا فصيحا عالما بالعربية وكان يعلمها الناس هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب
وتوفي صالح بعده بقليل وكان صالح فصيحا جميلا عارفا بكتابة الديوان وبه يخرج اهل
العراق في كتابة الديوان وقد ولاه سليمان بن عبد الملك خراج العراق • ام الهذيل لها
روايات كثيرة وتدخرت القران وعمرها اثنتي عشر سنة وكانت فقيهة عالمة من خيار

النسا

النسا عاشت سبعين سنة • عايشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي امها ام كلثوم بنت
ابي بكر تزوجت بابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر ثم تزوجت بعده بمصعب
ابن الزبير واصدقها مايتي الف دينار وكانت بارعة الجمال عظيمة الحسن لم يكن في
زمانها اجمل منها توفيت بالمدينة • عبد الله بن سعيد بن جبير له روايات كثيرة وكان
من افضل اهل زمانه • عبد الرحمن بن ابان بن عثمان بن عفان له روايات كثيرة عن جماعة
من الصحابة

ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام الصايفة اليسرى وغزا سعيد بن هشام الصايفة اليمنى حتى
بلغ قيسارية من بلاد الروم وفيها عزل هشام بن عبد الملك اشرس بن عبد الله السلمي
عن امرة خراسان وولى عليها الجنيد بن عبد الرحمن فلما قدم خراسان تلقته خيول الاتراك
منهزمين من المسلمين وهو في سبعة الاف فلحقهم فتصافوا واقتتلوا قتالا شديدا
وطمعوا فيه وفي من معه لقلتهم بالنسبة اليهم ومعهم ملكهم خاقان فكاد الجنيد ان يهلك ثم
اظفر الله بهم فهزمهم هزيمة منكرة واسر ابن اخي ملكهم وبعث به الى الخليفة وحج بالناس فيها
ابراهيم بن هشام المخزومي وهو امير الحرمين والطايف وامير العراق خالد القسري وامير
خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المري

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصايفة فافتتح حصونا من ناحية ملطية وفيها سارت
الترك من اللان فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي فيمن معه من اهل الشام واذربيجان فاقتتلوا
قبل ان يتكامل اليه جيشه فاستشهد الجراح رحمه الله وجماعة معه بمرج اردبيل واخذ العدو
اردبيل فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الحرشي في جيش وامره بالاسراع
اليهم فلحق الترك وهم يسيرون باسارى المسلمين نحو ملكهم خاقان فاستنقذ منهم
الاسارى ومن كان معهم من نساء المسلمين ومن اهل الذمة ايضا وقتل من الترك مقتلة
عظيمة جدا واسر منهم خلقا فقتلهم صبرا وشفى ما كان تخلف من القلوب ولم يكتف الخليفة
بذلك حتى ارسل اخاه مسلمة بن عبد الملك في اثر الترك فسار اليهم في برد شديد وشتا
عظيم فوصل الى باب الابواب واستخلف عنده اميرا وسار هو بمن معه في طلب الاتراك
وملكهم خاقان فكان من امره معهم ما سنذكره ونهض امير خراسان في طلب الاتراك
ايضا في جيش كثيف فوصل الى نهر بلخ ووجد سرية من ثمانية عشر الفا
واخرى عشرة الاف ميمنة وميسرة وجاشت الترك وجيشت فاتواسمرقند فكتب
اميرها اليه يعلمه بهم وانه لا يقدر على صون سمرقند منهم ومعهم ملكهم
الاعظم خاقان فالغوث الغوث فسار الجنيد مسرعا في جيش كثيف نحو سمرقند
حتى وصل الى شعب سمرقند وبقي بينه وبينها اربعة فراسخ فصبحه خاقان في
جمع عظيم فحمل خاقان على مقدمة الجنيد فانحاز والى العسكر والترك تتبعهم من كل
جانب قتراءى الجمعان والمسلمون يتغدون وهم لا يشعرون بانهزام مقدمتهم
والحيازها اليهم فنهضوا الى السلاح واصطفوا على منازلهم وذلك في مجال
واسع ومكان بارز فالتقوا فحملت الترك على الميمنة وفيها بنو تميم والازد فقتل

منها ومن غيرها خلق كثير من المسلمين ممن اراد الله كرامته بالشهادة وقد
بارز بعض شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك فقتلهم فناداه منادي خاقان
اذ صرت الينا جعلناك ممن يرقص للصنم الاعظم ونعبدك فقال لهم ويحكم
انا انما اقاتلكم على ان تعبدوا الله وحده لا شريك له ثم قاتلهم حتى قتل رحمه
الله ثم تناخى المسلمون وتداعت الابطال والشجعان من كل مكان وصبروا وصابروا
وحملوا على الترك حملة رجل واحد فهزمهم الله عز وجل وقتلوا منهم خلقا كثيرا
ثم عطفت الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقا حتى لم يبق منهم سوى
الفين فانا لله وانا اليه راجعون وقتل يومئذ سورة بن ابجر واستاسروا
من المسلمين جماعة كثيرة فحملوهم الى الملك خاقان فامر بقتلهم عن اخرهم
فانا لله وانا اليه راجعون وهذه الوقعة يقال لها وقعة الشعب وقد
بسطها ابن جرير جدا

وممن توفي فيها من الاعيان رجاء بن حيوة

الكندي ابو المقدام ويقال ابو نصر وهو تابعي جليل كبير القدر ثقة فاضل
عادل وزير صدق لخلفاء بني امية وكان مكحول اذا سئل يقول سلوا شيخنا
وسيدنا رجاء بن حيوة وقد اثنى عليه غير واحد من الائمة ووثقوه في الرواية
وله روايات وكلام حسن رحمه الله

شهر بن حوشب الاشعري الحمصي

ويقال انه دمشقي تابعي جليل روى عن مولاته اسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها
وحدث عنه جماعة من التابعين وغيرهم وكان عالما عابدا ناسكا لكن تكلم فيه جماعة
بسبب اخذه خريطة من بيت المال بغير اذن ولي الامر فعابوه وتركوا عرضه وتركوا
حديثه وانشدوا فيه الشعر منهم شعبة وغيره ويقال انه سرق غيرها فالله اعلم
وقد وثقه جماعات اخرون وقبلوا روايته واثنوا عليه وعلى عبادته ودينه
واجتهاده وقالوا لا نقدح في روايته ما اخذ من بيت المال ان صح عنه وقد
كان واليا عليه متصرفا فيه والله اعلم قال الواقدي توفي شهر في هذه السنة اعني
سنة اثنتي عشرة ومائة وقيل قبلها بسنة وقيل سنة مائة والله اعلم

ثم دخلت سنة ثلث عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام ارض الروم من ناحية مرعش وفيها صار جماعة من دعاة
بني العباس الى خراسان وانتشروا فيها وقد اخذ اميرها رجلا منهم فقتله وتوعد
غيره بمثل ذلك وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الترك فقتل منهم خلقا كثيرا
وامما منتشرة حتى قتل ابن خاقان وفتح بلادا كثيرة ودانت له تلك الممالك
من ناحية بلنجر واعمالها وفيها حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد
الملك قاله الواقدي وابو معشر وحكى ابن جرير عن بعضهم انه انما حج
بالناس ابراهيم بن هشام المخزومي فالله اعلم ونواب البلاد هم
المذكورون في التي قبلها **وممن توفي فيها من الاعيان**
قال ابن جرير وفيها كان مهلك الامير عبد الوهاب بن بخت وهو

مع البطال عبد الله بارض الروم قتل شهيدا وهذه ترجمته هو عبد الوهاب بن بخت ابو عبيدة
ويقال ابو بكر مولى ال مروان سكن الشام ثم تحول الى المدينة روى عن ابن عمر وانس وابي
هريرة وجماعة من التابعين وعنه خلق منهم ايوب ومالك بن انس ويحيى بن سعيد الانصاري
وعبيد الله حديثه عن انس مرفوعا نضر الله امرا سمع مقالتي هذه فوعاها ثم بلغها غيره
فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ثلاث لا يغل عليهن صدر مؤمن اخلاص العمل لله ومناصحة
اولي الامر ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم وروى عن ابي الزناد عن الاعرج
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقي احدكم اخاه فليسلم عليه
فان حالت بينهما شجرة ثم لقيه فليسلم عليه وقد وثق عبد الوهاب هذا جماعات
من ائمة العلماء وقال مالك كان كثير الحج والعمرة والغزو حتى استشهد ولم يكن احق بما
في رحله من رفقائه وكان سمحا جوادا استشهد ببلاد الروم مع الامير ابي محمد عبد الله
البطال ودفن هناك رحمه الله توفي في هذه السنة قاله خليفة وغيره وذلك انه لقي
العدو فنفر بعض المسلمين فجعل ينادي ويركض فرسه نحو العدو وان هلموا الى الجنة ويحكم
افرارا من الجنة الى النار من الجنة الى اين ويحكم لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء ثم قاتل حتى
قتل رحمه الله

مكحول الشامي تابعي جليل كبير القدر

امام اهل الشام في زمانه وكان مولى لامراة من هذيل وقيل مولى لامراة من ال سعيد بن العاص
وكان نوبيا وقيل من سبي كابل وقيل كان من الابناء من سلالة الاكاسرة وقد ذكرنا نسبه
في كتابنا التكميل وقال محمد بن اسحاق سمعته يقول طفت الارض كلها في طلب العلم
وقال الزهري العلماء اربعة سعيد بن المسيب بالحجاز والحسن البصري بالبصرة
والشعبي بالكوفة ومكحول بالشام وقال بعضهم كان لا يستطيع ان يقول قل وانما يقول
كل وكان له وجاهة عند الناس مهما امر به من شيء يفعل وقال سعيد بن عبد العزيز كان
افقه اهل الشام وكان افقه من الزهري وقال غير واحد توفي في هذه السنة وقيل
بعدها فالله اعلم مكحول الشامي هو ابن ابي مسلم واسم ابي مسلم شهراب بن شاذل
كذا نقلته من خط ابن عبد الهادي وروى ابن ابي الدنيا عنه انه قال من نظف ثوبه
قل همه ومن طاب ريحه زاد في عقله وقال مكحول في قوله تعالى ثم لتسالن يومئذ
عن النعيم قال بارد الشراب وظلال المساكن وشبع البطون واعتدال الخلق ولذاذة
النوم وقال لما وضع المجاهدون اثقالهم عن دوابهم اتتها الملائكة فمسحت
ظهورها ودعت لها بالبركة الا دابة في عنقها جرس

ثم دخلت سنة اربع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وعلى اليمنى سليمان بن هشام بن عبد الملك
وهما ابنا امير المؤمنين هشام وفيها التقى عبد الله البطال وملك الروم المسمى
قسطنطين وهو ابن هرقل الاول الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم فاسره
البطال فارسله الى سليمان بن هشام فسار به الى ابيه وفيها عزل هشام عن امرة
المدينة ومكة والطائف ابراهيم بن هشام بن اسماعيل وولى عليها اخاه محمد بن هشام
وحج بالناس في هذه السنة في قول وقال الواقدي وابو معشر انما حج بالناس خالد بن

عبد الملك بن مروان

ومن توفي فيها من الاعيان عطاء بن ابي رباح

الفهري مولاهم ابو محمد المكي احد كبار التابعين الثقات الفقهاء يقال انه ادرك مائتين من الصحابة قال ابن سعد سمعت بعض اهل العلم يقول كان عطاء اسود اعور افطس اشل اعرج ثم عمي بعد ذلك وقال ابن الجوزي وغيره كان قصير العنق رضيته لاصقة بكتفيه وكان انفه طويلا كانه فتانة مع كبر فيه وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث وقال ابو جعفر الباقر وغير واحد ما بقي احد في زمانه اعلم بالمناسك منه وزاد بعضهم وكان قد حج سبعين حجة وعمر مائة سنة وكان في آخر عمره يفطر في رمضان من الكبر والضعف ويفدي عن افطاره ويتأول الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين وكان ينادي منادي بني امية في ايام منى لا يفتي الناس في الحج الا عطاء بن ابي رباح وقال ابو جعفر الباقر ما رايت فيمن لقيت افقه منه وقال الاوزاعي مات عطاء يوم مات وهو ارضى اهل الارض عندهم وقال ابن جريج كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة وكان من احسن الناس صلاة وقال قتادة كان سعيد بن المسيب والحسن وابراهيم وعطاء هؤلاء ائمة الامصار وقال عطاء ان الرجل ليحدثني بالحديث فانصت له كاني لم اكن سمعته وقد سمعته قبل ان يولد فاريه اني انما سمعته الآن منه وفي رواية انا احفظ منه له فاريه اني لم اسمعه والجمهور على انه مات في هذه السنة رحمه الله انتهى كلام المؤلف في ترجمة عطاء

فصل اسند ابو محمد عطاء بن ابي رباح واسم ابي رباح اسلم عن عدد كثير من الصحابة منهم ابن عمر وابن عمرو وعبد الله بن الزبير وابو هريرة وزيد بن خالد الجهني وابو سعيد وسمع من ابن عباس التفسير وغيره وروى عنه من التابعين عدة منهم الزهري وعمرو بن دينار وابو الزبير وقتادة ويحيى بن ابي كثير ومالك بن دينار وحبيب بن ابي ثابت والاعمش وايوب السختياني وغيرهم من الائمة والاعلام كثير قال ابو هزان سمعت عطاء بن ابي رباح يقول من جلس مجلس ذكر كفر الله عنه بذلك المجلس عشر مجالس من مجالس الباطل قال ابو هزان قلت لعطاء ما مجالس الذكر قال مجالس الحلال والحرام كيف تصلي كيف تصوم كيف تنكح وتطلق وتبيع وتشتري وقال الطبراني ثنا اسحاق بن ابراهيم اخبرنا عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة الصنعاني قال سمعت عطاء بن ابي رباح يقول في قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قال كانوا يقرضون الدراهم قيل يقصون منها ويقطعونها وقال الثوري عن عبد الله بن الوليد يعني الوصافي قال قلت لعطاء ما ترى في صاحب قلم ان هو كتب عاش هو وعياله في سعة وان هو ترك افتقر قال من الراس قلت القسري خالد قال عطاء العبد الصالح رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين وقال افضل ما اعطي العباد العقل عن الله وهو الدين وقال عطاء ما قال عبد يا رب يا رب يا رب ثلاث مرات الا نظر الله اليه قال فذكرت ذلك للحسن فقال اما تقرأون القرآن ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الى قوله فاستجاب لهم ربهم الآيات وقال عبد الله بن احمد بن حنبل ثنا ابو عبد الله السلمي ثنا ضمرة عن عمر بن الورد قال قال لي عطاء ان استطعت ان تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل وقال سعيد بن

سلام البصري ثنا ابو حنيفة النعمان يقول لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال من اين انت قلت من اهل الكوفة قال انت من اهل القرية الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا قلت نعم قال فمن اي الاصناف انت قلت ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ولا يكفر احدا من اهل القبلة بذنب فقال لي عطاء عرفت فالزم وقال عطاء ما اجتمعت عليه الامة اقوى عندنا من الاسناد وقيل لعطاء ان ههنا قوما يقولون الايمان لا يزيد ولا ينقص فقال والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فما هذا الهدى الذي زادهم قلت ويزعمون ان الصلاة والزكاة ليستا من دين الله فقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فجعل ذلك دينا وقال يعلى بن عبيد دخلنا على محمد بن سوقة فقال الا احدثكم بحديث لعله ان ينفعكم فانه نفعني قال لنا عطاء بن ابي رباح يا ابن اخي ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله ان يقرأ او امر بمعروف او نهي عن منكر او ينطق العبد بحاجته في معيشته التي لا بد له منها اتنكرون وان عليكم لحافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي احدكم لو نشرت عليه صحيفته التي املاها صدر نهاره لرأى اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وقال اذا انتامت الحرس الليل فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى الطبراني وغيره ان الحلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس فلما مات ابن عباس كانت لعطاء بن ابي رباح وروى عثمان بن ابي شيبة عن ابن نمير عن الفضل بن دكين عن سفيان عن سلمة بن كهيل قال ما رأيت احدا يطلب بعلمه ما عند الله تعالى الا ثلاثة عطاء وطاوس ومجاهد وقال الامام احمد ثنا ابن نمير ثنا عمر بن ذر قال ما رأيت مثل عطاء قط وما رأيت على عطاء قميصا قط ولا رأيت عليه ثوبا يساوي خمسة دراهم وقال ابو بلال الاشعري ثنا قيس عن عبد الملك بن جريج عن عطاء ان يعلى بن امية كانت له صحبة فكان يقعد في المسجد ساعة ينوي بها الاعتكاف وروى الاوزاعي عن عطاء قال ان كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعجن وان كانت قصتها لتضرب الجفنة وعن الاوزاعي عنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال ذلك في اقامة الحد عليهما وقال الاوزاعي كنت باليمامة وعليها رجل وال يمتحن الناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه منافق وما مومون ويأخذ عليهم بالطلاق والعتاق والمشي انه يسميه منافقا ما يسميه مؤمنا فاطاعه في ذلك وجعلوه له قال فلقيت عطاء بعد فسألته عن ذلك فقال ما ارى بذلك بأسا يقول الله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة وقال الامام احمد ثنا سفيان بن عيينة ثنا اسماعيل بن امية قال كان عطاء يطيل الصمت فاذا تكلم تخيل الينا انه يؤيد وقال في قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله قال لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله التي افترضها عليهم ان يؤدوها في اوقاتها وابانها واولها وقال ابن جريج رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائده امسكوا احفظوا عني خمسا القدر خيره وشره حلوه ومره من الله عز وجل وليس للعباد فيه مشيئة ولا تفويض

واهل قبلتنا مؤمنون حرام دماؤهم واموالهم الا بحقها وقتال الفئة الباغية بالايدي
والنعال لا بالسلاح والشهادة على الخوارج بالضلالة وقال ابن عمر يجتمعون الى المسايل
وفيكم عطا بن ابي رباح وقال معاذ بن سعد كنت جالسا عند عطا فحدث بحديث فعرض
رجل له في حديثه فغضب عطا وقال ما هذه الاخلاق وما هذه الطبايع والله اني لاسمع
الحديث من الرجل وانا اعلم به منه فاريه اني لا احسن شيا منه وكان عطا يقول لان ارى
في بيتي شيطانا خير لي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وروى عثمان بن ابي شيبة
عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج قال كان عطا بعدما كبر وضعف يقوم
الى الصلاة فيقرا مايتي اية من سورة البقرة وهو قايم لا يزول منه شي ولا يتحرك وقال
ابن عيينة قلت لابن جريج ما رايت مصليا مثلك فقال لو رايت عطا فقال
عطا ان الله ليحب العبد ان يتقي فيلبس الثوب المشهور فيعرض الله عنه حتى يضع ذلك
الثوب وكان يقال ينبغي للعبد ان يكون كالمريض لا بد له من قوت وليس كل الطعام
يوافقه وكان يقال الرشوة تعمي عين الحكيم فكيف بالجاهل ولا تغبطن ذا نعمة بما هو
فيه فانك لا تدري الى ما ذا يصير بعد الموت

ثم دخلت سنة خمس عشرة وماية

فيها وقع طاعون بالشام وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن اسماعيل وهو نايب الحرمين
والطايف والنواب في ساير البلاد هم المذكورون في التي قبلها والله اعلم وممن توفي
فيها من الاعيان ابو جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القرشي
الهاشمي ابو جعفر الباقر وامه ام عبد الله بنت الحسن بن علي وهو تابعي جليل كبير القدر
احد اعلام هذه الامة علما وعملا وعبادة ونسبا وشرفا وهو احد من يدعي فيه طايفة
الشيعة انه احد الايمة الاثني عشر ولم يكن الرجل على طريقهم ولا على منوالهم ولا يدين بما
وقع في اذهانهم واوهامهم وخيالهم بل كان ممن يقدم ابا بكر وعمر وذلك صحيح عنه في الاثر
وقال ايضا ما ادركنا احدا من اهل بيتي الا وهو يتولاهما رضي الله عنهما وقد روى عن غير
واحد من الصحابة وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم فممن روى عنه ابنه
جعفر الصادق والحكم بن عتيبة وربيعة والاعمش وابو اسحاق السبيعي والاوزاعي
والاعرج وهو اسن منه وابن جريج وعطا وعمرو بن دينار والزهري وقال سفيان بن
عيينة عن جعفر الصادق قال حدثني ابي وكان خير محمدي يومئذ على وجه الارض وقال
العجلي هو مدني تابعي ثقة وقال محمد بن سعد كان ثقة كثير الحديث وكانت وفاته
في هذه السنة في قول وقيل في التي قبلها وقيل في التي بعدها وفي التي بعدها وبعد
بعدها والله اعلم وقد جاوز الستين وقيل لم يجاوز الستين والله اعلم انتهى ما ذكره المولف

رح **فصل** ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب كان ابوه علي
زين العابدين وجده الحسين قتل شهيدا بالعراق وسمي الباقر لبقره العلوم
واستنباطه الحكم كان ذاكرا خاشعا صابرا وكان من سلالة النبوة رفيع النسب عالي
الحسب وكان عارفا بالخطرات كثير البكا والعبرات معرضا عن الجدال والخصومات
قال ابو بلال الاشعري ثنا محمد بن مروان عن ثابت عن محمد بن علي بن الحسين في قوله
اوليك يجزون الغرفة بما صبروا قال الغرفة الجنة بما صبروا على الفقر في الدنيا

وقال

وقال عبد السلام بن حرب عن زياد بن خيثمة عن ابي جعفر قال الصواعق تصيب المومن
وغير المومن ولا تصيب الذاكر قلت وقد روي نحو هذا عن ابن عباس قال لو نزل من السما
صواعق عدد النجوم لم تصب الذاكر وقال جابر الجعفي قال لي محمد بن علي يا جابر اني لمحزون
واني لمشتغل القلب قلت وما حزنك وشغل قلبك قال يا جابر انه من دخل قلبه صافي
دين الله عز وجل شغله عما سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون هل هو الا مركبا
ركبته او ثوبا لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المومنين لم يطمينوا الى الدنيا لبقا فيها
ولم يامنوا قدوم الاخرة عليهم ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا باذانهم من الفتنة ولم يعمهم
عن نور الله ما راوا باعينهم من الزينة ففازوا بثواب الابرار ان اهل التقوى ايسر
اهل الدنيا مونة واكثرهم لك معونة ان نسيت ذكروك وان ذكرت اعانوك قوالين
بحق الله قوامين بامر الله قطعوا محبتهم بمحبة ربهم عز وجل ونظروا الى الله والى محبته بقلوبهم
وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم وعلموا ان ذلك من امر خالقهم فانزلوا الدنيا حيث
انزلها مليكهم كمنزل نزلوه ثم ارتحلوا عنه وتركوه او كمال اصبته في منامك فلما
استيقظت اذا ليس في يدك منه شي فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته وقال
خالد بن يزيد ابو الهيثم سمعت محمد بن علي يقول قال عمر بن الخطاب اذا رايتم القاري
يحب الاغنيا فهو صاحب الدنيا واذا رايتموه يلزم السلطان فهو لص وكان ابو
جعفر يصلي كل يوم وليلة خمسين ركعة بالمكتوبة وروى ابن ابي الدنيا عنه قال
سلاح اللئام قبيح الكلام وروى ابو الاحوص عن منصور عنه قال لكل شي افة وافة
العلم النسيان وقال لابنه اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل خبيثة انك اذا
كسلت لم تود حقا وان ضجرت لم تصبر على حق وقال اشد الاعمال ثلثة ذكر الله على
كل حال وانصافك من نفسك ومواساة الاخ في المال وقال خلف بن حوشب قال
ابو جعفر الايمان ثابت في القلب واليقين خطرات فيمر اليقين بالقلب فيصير
كانه زبر الحديد ويخرج منه فيصير كانه خرقة بالية وما دخل قلب عبد شي من الكبر
الا نقص من عقله بقدره او اكثر منه وقال جابر الجعفي ما تقول الفقها العراقية في
قوله لولا ان راى برهان ربه قال راى يعقوب عاضا على ابهامه فقال لا حدثني ابي
عن جدي علي بن ابي طالب ان البرهان الذي راه انها حين همت به وهم بها اي طمع فيها
قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب ابيض
خشية ان يراها او استحيا منه فقال لها يوسف ما هذا فقالت الهي استحيي منه ان يراني
على هذه الصورة فقال يوسف تستحيين من صنم لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر
افلا استحيي انا من الهي الذي هو قايم على كل نفس بما كسبت ثم قال والله لا تنالينها
مني ابدا فهو البرهان وقال بشر بن الحارث الحافي سمعت سفيان الثوري يقول
سمعت منصورا يقول سمعت محمد بن علي يقول الغنى والعز يجولان في قلب المومن فاذا وصلا
الى مكان فيه التوكل اوطناه وقال ان الله يلقي في قلوب شيعتنا الرعب فاذا قام
قايمنا وظهر مهدينا كان الرجل منهم اجرى من ليث وامضى من سيف وقال شيعتنا من اطاع
الله عز وجل واتقاه وقال اياكم والخصومة فانها تفسد القلب وتورث النفاق
وقال الذين يخوضون في ايات الله هم اصحاب الخصومات وقال لعروة بن عبد الله سالت

ابا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال لا باس به قد حلى ابو بكر الصديق سيفه قال
فقلت وتقول الصديق قال فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال نعم الصديق نعم
الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا والاخرة وقال جابر
الجعفي قال لي محمد بن علي يا جابر بلغني ان قوما بالعراق يزعمون انهم يحبونا ويتناولون
ابا بكر وعمر ويزعمون اني امرتهم بذلك فابلغهم عني اني الى الله منهم بري والذي نفس محمد بيده
يعني نفسه لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان
لم اكن استغفر لهما واترحم عليهما ان اعداء الله لغافلون عن فضلهما وسابقتهما فابلغهم
اني بري منهم وممن تبرا من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال من لم يعرف فضل ابي بكر وعمر فقد
جهل السنة وقال في قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الاية قال هم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال قلت يقولون هو علي قال علي من اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عطا ما رايت العلما عند احد اصغر منهم عند
ابي جعفر محمد بن علي لقد رايت الحكم عنده كانه متعلم وقال كان لي اخ في عيني عظيم وكان
الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه وقال جعفر بن محمد فقدت بغلة لي فقال
لين ردها الله علي لاحمدنه بمحامد يرضاها فما كان باسرع من اتي بها بسرجها لم يفقد
منها شي فقام فركبها فلما استوى عليها وجمع اليه ثيابه رفع راسه الى السما وقال الحمد لله
لم يزد على ذلك فقيل له في ذلك فقال فهل تركت او ابقيت شيا جعلت الحمد كله لله
عز وجل وقال عبد الله بن المبارك قال محمد بن علي من اعطي الخلق والرفق فقد اعطي
الخير والراحة وحسن حاله في دنياه واخرته ومن حرمهما كان ذلك سبيلا الى كل شر وبلية
الا من عصمه الله وقال ايدخل احدكم يده في كم صاحبه فياخذ ما يريد قلنا لا قال
فلستم اخوانا كما تزعمون وقال اعرف مودة اخيك لك بما له في قلبك من المودة فان
القلوب تتكافا وسمع عصافير يصحن فقال اتدري ما ذا يقلن قلت لا قال
يسبحن ربهن ويسالن قوت يومهن يوما بيوم وقال ندعوا الله بما نحب واذا وقع الذي
نكره لم نخالف الله عز وجل فيما احب وقال ما من عبادة افضل من عفة بطن او فرج
وما من شي احب الى الله عز وجل من ان يسال وما يدفع القضا الا الدعا وان اسرع
الخير ثوابا البر واسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيبا ان يبصر من الناس ما يعمى عليه
من نفسه وان يامر الناس بما لا يستطيع التحول عنه وان يوذي جليسه بما لا يعنيه مع
كلمات جوامع نوافع لا ينبغي لعاقل ان يغفلها وقال القران كلام الله عز وجل غير مخلوق
وقال ابو جعفر صحب عمر بن الخطاب رجل الى مكة فمات في الطريق فاحتبس عليه عمر حتى صلى
عليه ودفنه فقل يوم الا كان عمر يتمثل بهذا البيت

وبالغ امر كان يامل دونه … ومختلج من دون ما كان يامل

وقال ابو جعفر والله لموت عالم احب الى ابليس من موت الف عابد وقال ما اغرورقت
عين عبد بمايها الا حرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين لم يرهق
وجهه قتر ولا ذلة وما من شي الا وله جزا الا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ولو
ان باكيا بكى من خشية الله في امة لرحم الله تلك الامة وقال بيس الاخ اخ يرعاك
غنيا ويقطعك فقيرا قلت البيت الذي كان يتمثل به قبله بيتان وهو ثالثهما

ومنه

ومنه الابيات تتضمن حكما وزهدا في الدنيا

لقد غرت الدنيا رجالا فاصبحوا … بمنزلة ما بعدها متحول
فساخط امر لا يبدل غيره … وراض بامر غيره سيبدل
وبالغ امر كان يامل غيره … ومختلج من دون ما كان يامل

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

ففيها غزا معوية بن هشام الصايفة وفيها وقع طاعون عظيم بالشام والعراق
وكان معظم ذلك في واسط وفي المحرم منها توفي الجنيد بن عبد الرحمن المري امير
خراسان من مرض اصابه في بطنه وقد كان تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب
فتغضب عليه امير المومنين هشام بن عبد الملك فعزله وولى مكانه عاصم بن
عبد الله على خراسان وقال له ان ادركته قبل ان يموت فازهق روحه فما قدم عاصم
بن عبد الله خراسان حتى مات الجنيد في المحرم منها بمرو وقال فيه ابو الجويرية عيسى بن
عصمة يرثيه

هلك الجود والجنيد جميعا … فعلى الجود والجنيد السلام
اصبحا ثاويين في بطن مرو … ما تغنى على الغصون الحمام
كنتما نزهة الكرام فلما … مت مات الندى ومات الكرام

ولما قدم عاصم خراسان اخذ نواب الجنيد بالضرب البليغ وانواع العقوبات
وعسفهم في المصادرات والجنايات فخرج عن طاعته الحرث بن شريح وبارزه بالحرب
وجرت بينهم امور يطول ذكرها ثم ال الامر الى ان انكسر الحرث بن شريح وظهر عاصم عليه
قال الواقدي وفيها حج بالناس الوليد بن يزيد وهو ولي الامر من بعد عمه هشام بن
عبد الملك امير المومنين كما سياتي ان شا الله تعالى

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصايفة اليسرى وسليمان بن هشام الصايفة اليمنى
وهما ابنا امير المومنين هشام وفيها بعث مروان بن محمد وهو مروان الحمار وهو على ارمينية
بعثين ففتح حصونا من بلاد اللان ونزل كثير منهم على الايمان وفيها عزل هشام عاصم
بن عبد الله الهلالي الذي ولاه في السنة التي قبلها خراسان مكان الجنيد فعزله عنها وضمها
الى خالد بن عبد الله القسري مع العراق واعاده اليه جريا على ما سبق له من العادة وكان
ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالي المعزول عنها وذلك انه كتب الى امير المومنين
هشام ان ولاية خراسان لا تصلح الا مع ولاية العراق رجا ان يجمعهما اليه فانعكس
الامر عليه فاجابه هشام الى ذلك فنبوا لنصيحته واضافها الى خالد القسري

وفيها توفي قتادة بن دعامة

السدوسي ابو الخطاب البصري الاعمى احد علما التابعين والايمة العاملين روى عن
انس بن مالك وجماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيب والحسن البصري وابو العالية
وزرارة بن اوفى وعطا ومجاهد ومحمد بن سيرين ومسروق وابو مجلز وغيرهم وحدث
عنه جماعات من الكبار كايوب وحماد بن سلمة وحميد الطويل وسعيد بن ابي عروبة والاعمش
وشعبة والاوزاعي والليث ومسعر ومعمر وهمام قال ابن المسيب ما جاني عراقي افضل

منه وقال بكر المزني ما رايت احفظ منه وقال محمد بن سيرين هو من احفظ الناس
وقال مطر كان قتادة اذا سمع الحديث ياخذه العويل والزويل حتى يحفظه وقال
الزهري هو اعلم من مكحول وقال معمر ما رايت افقه من الزهري وحماد وقتادة وقال قتادة
ما سمعت شيا الا وعاه قلبي وقال احمد بن حنبل هو احفظ اهل البصرة لا يسمع شيا الا
حفظه وقرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها وذكر يوما فاثنى على علمه وفقهه
ومعرفته بالاختلاف والتفسير وغير ذلك وقال ابو حاتم كانت وفاته بواسط
في الطاعون يعني في هذه السنة وعمره ست او سبع وخمسون سنة انتهى كلام المولف
قال قتادة من وثق بالله كان الله معه ومن يكن الله معه تكن معه الفية التي
لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل والعالم الذي لا ينسى وقال
في الجنة كوى الى النار فيطلع اهل الجنة من تلك الكوى الى النار فيقولون ما بال الاشقيا
دخلوا النار وانما دخلنا الجنة بفضل تاديبكم فقالوا انا كنا نامركم ولا ناتمر وننهاكم
ولا ننتهي وقال باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح دينه
وصلاح الناس افضل من عبادة حول كامل وقال قتادة لو كان يكتفى من العلم بشي
لاكتفى موسى عليه السلام بما عنده ولكنه طلب الزيادة وفيها توفي ابو الحباب سعيد
بن يسار والاعرج وابن ابي مليكة وعبد الله بن ابي زكريا الخزاعي وميمون بن مهران ومن
موسى بن وردان ونافع مولى ابن عمر ابو عبد الله المدني اصله من بلاد المغرب وقيل من
نيسابور وقيل من كابل وقيل غير ذلك روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة
مثل رافع بن خديج وابي سعيد وابي هريرة وعايشة وام سلمة وغيرهم وروى عنه خلق
من التابعين وغيرهم وكان من الثقات النبلاء والايمة الاجلا وقال البخاري اصح
الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر وقال غيره كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه الى مصر
يعلم الناس السنن وقد اثنى عليه غير واحد من الايمة ووثقوه ومات في هذه السنة على
المشهور انتهى ما ذكره المولف **فصل** فاما سعيد بن يسار فكان من العباد
الزهاد روى عن جماعة من الصحابة وكذلك الاعرج وابن ابي مليكة واما ميمون بن مهران
فهو من اجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وايمتهم كان ميمون امام اهل الجزيرة روى
الطبراني عنه انه قيل له ما لك لا يفارقك اخ لك عن قلا قال لاني لا اشاريه ولا اماريه
قال عمرو بن ميمون ما كان ابي يكثر الصلاة ولا الصيام ولكنه كان يكره ان يعصي الله عز
وجل وروى ابن ابي عدي عن يونس عنه قال لا تمارين عالما ولا جاهلا فانك ان ماريت
عالما خزن عنك علمه وان ماريت جاهلا خشن بصدرك وقال عمرو بن ميمون خرجت
بابي اقوده في بعض سكك البصرة فمررنا بجدول فلم يستطع الشيخ ان يتخطاه
فاضطجعت له فمر على ظهري ثم قمت فاخذت بيده ثم دفعنا الى منزل الحسن فطرقت
الباب فخرجت الينا جارية سداسية فقالت من هذا فقلت هذا ميمون بن مهران
اراد لقاء الحسن فقالت كاتب عمر بن عبد العزيز قلت لها نعم قالت يا شقي
ما بقاوك الى هذا الزمان السو قال فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاوه فخرج اليه
فاعتنقا ثم دخلا فقال ميمون يا ابا سعيد اني قد انست من قلبي غلظة فاستكن لي
منه فقرأ الحسن افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم

ماكانوا

ما كانوا يمتعون فسقط الشيخ مغشيا عليه فرايته يفحص برجليه كما تفحص الشاة
اذا ذبحت فاقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت قد اتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا
فاخذت بيد ابي فخرجت به فقلت يا ابتاه هذا هو الحسن قال نعم قلت قد
كنت احسب في نفسي انه اكبر من هذا قال فوكز في صدري وكزة ثم قال يا بني
لقد قرا علينا اية لو تفهمتها بقلبك لالفيت لها فيه كلوما وروى الطبراني
عنه انه قال ما احب اني اعطيت درهما في لهو وان لي مكانه مائة الف اخشى
ان تصيبني هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل
الله الاية وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال كنت عند عمر بن
عبد العزيز فلما قمت قال عمر اذا ذهب هذا واضرابه لم يبق من الناس الا رجاجه
وروى الامام احمد عن معمر بن سليمان الرقي عن فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران
قال ثلاث لا تبلون نفسك بهن لا تدخل على سلطان وان قلت امره بطاعة الله
ولا تدخل على امراة وان قلت اعلمها كتاب الله ولا تصغين بسمعك الى ذي هوى فانك
لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه وروى عبد الله بن احمد عنه في قوله ان جهنم كانت
مرصادا وان ربك لبالمرصاد فقال لا تمنوا الهدين المرصدين جوازا وفي قوله
تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون فيها وعيد شديد للظالم وتعزية
للمظلوم وقال لو ان اهل القران صلحوا لصلح الناس وقال عبد الله بن احمد بن حنبل
ثنا عيسى بن سالم الشاشي ثنا ابو المليح قال سمعت ميمون بن مهران يقول
لا خير في الدنيا الا رجلين رجل تايب او قال يتوب من الخطيات ورجل يعمل
في الدرجات فلا خير في العيش والبقا في الدنيا الا لهذين الرجلين رجل يعمل في الكفارات
ورجل يعمل في الدرجات وبقا ما سواهما وبال عليه وقال جعفر بن برقان سمعت
ميمون بن مهران يقول ان هذا القران قد خلق في صدور كثير من الناس فالتمسوا ما سواه
من الاحاديث وان ممن يبتغي هذا العلم قوما يتخذونه بضاعة يلتمسون بها الدنيا
ومنهم من يريد ان يماري به وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عز وجل به وقال من اتبع
القران قاده القران حتى يحل به في الجنة ومن ترك القران لم يدعه القران يتبعه
حتى يقذفه في النار وقال احمد ثنا خالد بن حيان ثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن
مهران قال لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال
وقال ميمون من كان يريد ان يعلم ما منزلته عند الله فلينظر في عمله فانه قادم عليه
كاينا ما كان وقال عبد الله بن احمد بن حنبل ثنا يحيى بن عثمان الحربي ثنا ابو المليح
عن ميمون بن مهران قال نظر رجل من المهاجرين الى رجل يصلي فاخف الصلاة فعاتبه
فقال اني ذكرت ضيعة لي فقال اكبر الضيعة اضعته وقال عبد الله بن احمد بن
حنبل ثنا جعفر بن محمد الرسعني ثنا ابو جعفر النفيلي ثنا عثمان بن عطا عن عبد الرحمن
عن طلحة بن زيد قال قال ميمون لا تعرف الامير ولا تعرف من يعرفه وروى عبد
الله بن احمد عنه ايضا قال لان اوتمن على بيت مال احب الي من ان اوتمن على امراة
وقال ابو يعلى الموصلي ثنا هاشم بن الحرث ثنا ابو المليح الرقي عن حبيب بن ابي مرزوق
قال قال ميمون وددت ان احدى عيني ذهبت وبقيت الاخرى امتع بها واني لم آل

عملا قط قلت ولا لعمر بن عبد العزيز قال ولا لعمر بن عبد العزيز لا خير في العمل لعمر ولا
لغيره وقال احمد ثنا زيد بن الحباب ثنا سفيان ثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن
مهران قال ما عرضت قولي على عملي الا وجدت من نفسي اعتراضا وقال الطبراني
ثنا المقدام بن داود ثنا علي بن معبد ثنا خالد بن حيان ثنا جعفر بن برقان قال
لي ميمون يا جعفر قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه
ما يكره وروى عبد الله بن احمد عنه في قوله تعالى خافضة رافعة قال تخفض اقواما
وترفع اخرين وقال عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني عيسى بن سالم ثنا ابو المليح ثنا
بعض اصحابي قال كنت امشي مع ميمون فنظر فرأى علي ثوب كتان فقال اما
بلغك انه لا يلبس الكتان الا غني او غاو وبهذا الاسناد سمعت ميمون بن مهران
يقول اول من مشت الرجال معه وهو راكب الاشعث بن قيس الكندي ولقد
ادركنا السلف وهم اذا نظروا الى رجل راكب ورجل يحضر معه قالوا قاتله الله جبار
وقال عبد الله بن احمد بلغني عن عبد الله بن كثير بن حبان وقد رايته ثنا
ابو المليح قال قال ميمون ما احب ان لي ما بين بابي الى الحران بخمسة دراهم
قال ميمون يقول الخادم اجلس في بيتك واغلق عليك بابك وانظر هل ياتيك
رزقك نعم والله لو كان له مثل يقين مريم وابراهيم عليهما السلام واغلق
عليه بابه وارخى عليه ستره لجاءه رزقه وقال لو ان كل انسان منا يتعاهد كسبه
فلم يكسب الا طيبا واخرج ما عليه ما احتيج الى الاغنياء ولا احتاج الفقراء وقال
ابو المليح عن ميمون قال ما بلغني عن اخ لي مكروه قط الا كان اسقاط المكروه عنه احب
الي من تحقيقه عليه فان قال لم اقل كان قوله لم اقل احب الي من ثمانية يشهدون
عليه فان قال قلت ولم يعتذر ابغضته من حيث احببته وقال سمعت ابن عباس
يقول ما بلغني عن اخ لي مكروه قط الا انزلته احدى ثلاث منازل ان كان فوقي عرفت
له قدره وان كان نظيري تفضلت عليه وان كان دوني لم احفل به هذه سيرتي في
نفسي فمن رغب عنها فان ارض الله واسعة وقال ابان بن ابي راشد القشيري
كنت اذا اردت الصائفة اتيت ميمون بن مهران اودعه فما يزيدني على كلمتين
اتق الله ولا يغرنك طمع ولا غضب وقال ابو المليح عن ميمون قال العلماء هم ضالتي
في كل بلدة وهم بغيتي في كل مصر وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء وقال
في قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال غرفا وقال لان اتصدق
بدرهم في حياتي احب الي من ان اتصدق بمائة درهم بعد موتي وقال كان يقال
الذكر ذكران ذكر الله باللسان وافضل من ذلك ان تذكره عند ما احل وحرم وعند
المعصية فتكف عنها وقد اشرفت وقال ثلاث الكافر والمؤمن فيهن سواء الامانة
تؤديها الى من ائتمنك عليها من مسلم وكافر وبر الوالدين وان كانا كافرين والعهد
تفي به للمؤمن والكافر وقال سفيان عن خلف بن حوشب عن ميمون قال لولا انا
على حر كراء اسلمنا على الفلان وعلى الشام وقال ادركت من لم يكن يملا عينيه من
السما فرقا من ربه عز وجل وقال احمد بن بزيع ثنا يعلى بن عبيد ثنا هرون
ابو محمد البربري ان عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة وعلى قضائها

وخراجها

وخراجها فمكث حينا ثم كتب الى عمر يستعفيه عن ذلك وقال كلفتني ما لا اطيق اقضي
بين الناس وانا شيخ كبير ضعيف رقيق فكتب اليه عمر اجب من الخراج الطيب واقض
ما استبان لك فاذا التبس عليك امر فارفعه الي فان الناس لو كان اذا كبر عليهم
امر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا وقال قتيبة بن سعيد ثنا كثير بن هشام ثنا
جعفر بن برقان قال سمعت ميمون بن مهران يقول ان العبد اذا اذنب ذنبا نكت
في قلبه بذلك نكتة سوداء فاذا تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجليا مثل
المراة ما ياتيه الشيطان من ناحية الا ابصره واما الذي يتتابع في الذنوب فانه
كلما اذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من
اين ياتيه وقال الامام احمد وقال الامام احمد ثنا علي بن ثابت ثنا جعفر عن
ميمون قال لما اقل اكياس الناس لا يبصر الرجل امره حتى ينظر الى الناس والى ما امروا
به والى ما قد اكبوا عليه من الدنيا فيقول ما هؤلاء الا امثال الانعام التي لا هم
لها الا ما يجعل في اجوافها حتى اذا ابصر غفلتهم نظر الى نفسه فقال والله
اني لاراني من شرهم بعيرا واحدا وبهذا الاسناد عنه ما من صدقة افضل من
كلمة حق عند امام جائر وقال لا تعذب المملوك ولا تضربه على كل ذنب ولكن احفظ
ذلك له فاذا عصى الله عز وجل فعاقبه على معصية الله وذكره الذنوب التي اذنب
بينك وبينه وقال قتيبة ثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان سمعت ميمون
بن مهران يقول لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة
الشريك شريكه حتى يعلم من اين مطعمه ومن اين مشربه امن حلال ذلك ام من حرام وقال
ابو زرعة الرازي ثنا سعيد بن حفص النفيلي ثنا ابو المليح عن ميمون قال
انما الفاسق بمنزلة السبع فاذا كلمت فيه فخليت سبيله فقد خليت سبعا
على المسلمين وقال جعفر بن برقان قلت لميمون بن مهران ان فلانا يستبطي نفسه
في زيارتك قال اذا ثبتت المودة في القلوب فلا باس وان طال المكث وقال
احمد ثنا عبد الله بن ميمون الرقي ثنا الحسن ابو المليح عن ميمون قال لا تجهد
عن يا امون عليك من بطنك وظهرك وقال الامام احمد ايضا ثنا عبد الله بن
ميمون ثنا الحسن عن حبيب بن ابي مرزوق قال رايت على ميمون جبة صوف تحت
ثيابه فقلت له ما هذا قال نعم فلا تخبر به احدا وقال عبد الله بن احمد حدثني
يحيى قال بن عثمان ثنا ابو المليح عن ميمون قال من اسر سيئة فليتب سرا ومن
اساء علانية فليتب علانية فان الله يغفر ولا يعير وان الناس يعيرون ولا
يغفرون وقال جعفر قال ميمون في المال ثلاث آفات ان نجى صاحبه من واحدة
لم ينج من اثنتين وان نجا من اثنتين كان قمنا ان لا ينجو من الثالثة ينبغي
ان يكون حلالا طيبا فايكم الذي يسلم كسبه فلم يدخله الا طيبا فان سلم من هذه ينبغي
ان يؤدي الحقوق التي تلزمه في ماله فان سلم من هذه فينبغي ان يكون في نفقته
ليس بمسرف ولا مقتر وقال سمعت ميمونا يقول اهون الصوم ترك الطعام والشراب
وقال عبد الله بن احمد ثنا يحيى بن عثمان الحربي ثنا ابو المليح عن ميمون بن مهران
قال ما نال رجل من جسيم الخير نبي ولا غيره الا بالصبر وبهذا الاسناد قال الدنيا

حلوة خضرة تدخف بالشهوات والشيطان عدو حاضر فطن وامر الاخرة آجل
وامر الدنيا عاجل وقال يونس بن عبيد كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران
فكتبت اليه اسأله عن اهله فكتب الي بلغني كتابك تسألني عن اهلي وانه مات من
اهلي وخاصتي سبعة عشر انسانا واني اكره البلاء اذا اقبل فاذا ادبر لم يسرني انه لم
يكن واما انت فعليك بكتاب الله فان الناس قد بهتوا عنه يعني آيسوا واختاروا عليه
الاحاديث احاديث الرجال واياك والمراء في الدين قال ابو عبيد في الغريب بهوا
به مهموزا ومعناه انسوا به وقال عمرو بن ميمون كنت مع ابي ونحن نطوف بالكعبة
فلقي ابي شيخ فعانقه ابي ومع الشيخ فتى نحو مني فقال له ابي من هذا فقال ابني
فقال كيف رضاك عنه فقال ما بقيت خصلة يا ابا ايوب من خصال الخير الا
وقد رأيتها فيه الا واحدة قال وما هي قال اريد ان يموت فاوجر فيه او قال فاحتسبه
ثم فارقه ابي فقلت من هذا الشيخ فقال هذا مكحول وقال شرار الناس العيابون
ولا بليس لكنا الاعنى اوعوى وروى الامام احمد عنه قال يا ابن ادم خفف عن ظهرك
فان ظهرك لا يطيق كل هذا الذي يحمل من ظلم هذا واكل مال هذا وعشم هذا وكل هذا
على ظهرك تحمله فخفف عن ظهرك وقال ان اعمالكم قليلة فاخلصوا هذا القليل
وقال ما اتى قوم في ناديهم المنكر الا حق هلاكهم وروى عبد الله بن احمد عنه انه قرأ
وامتازوا اليوم ايها المجرمون ثم فرق حتى بكى ثم قال ما سمع الخلائق بنعت قط
اشد منه وقال ابو عوانة حدثنا ابراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن اسحاق ثنا قتيبة
بن سعيد ثنا خالد عن حصين بن عبد الرحمن عن ميمون قال اربع لا تكلم فيهم
علي وعثمان والقدر والنجوم وقال احذروا كل هوى يسمى بغير الاسلام وروى شبابة
عن فرات بن السايب قال سألت ميمون اعلي افضل عندك ام ابو بكر وعمر فارتعد
حتى سقطت عصاه من يده ثم قال ما كنت اظن ان ابقى الى زمان يعدل بهما غيرهما
انهما كانا رأس الاسلام ورأس الجماعة قلت فابو بكر كان اول اسلاما
ام علي فقال والله لقد امن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب
حين مر به وكان ابو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى انكحها اياه وذلك
كله قبل ان يولد علي وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك وروى ميمون بن مهران عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقل ما يوجد في اخر الزمان درهم من
حلال او اخ يوثق به وروى عن ابن عمر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شر
المال في اخر الزمان المماليك وروى ابن ابي الدنيا عنه قال من طلب مرضاة الاخوان
بلا شيء فليصاحب اهل القبور وقال من ظلم احدا ففاته ان يخرج من مظلمته
فاستغفر له دبر كل صلاة تخرج من مظلمته وهذا ان شاء الله يدخل فيه الاعراض والاموال
وساير المظالم وقال ميمون القائل والامر والمامور والظالم والراضي بالظلم كلهم
في الوزر سواء وقال افضل الصبر الصبر على ما تكره نفسك من طاعة الله عز وجل
روى ميمون بن مهران عن جماعة من الصحابة وكان يسكن الرقة رح

ذو الرمة الشاعر

واسمه غيلان بن عقبة بن بهيس من بني عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر

ابو الحارث احد فحول الشعراء وله ديوان مشهور وكان يتغزل في مي بنت مقاتل
بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت جميلة وكان هو دميم الخلق اسود
اللون ولم يكن بينهما فحش ولا خنا ولم يكن يراها قط ولا رآته وانما كانت تسمع
به ويسمع بها ويقال انها كانت نذرت ان هي رأته تذبح جزورا فلما رأته قالت
واسوءتاه واسوءتاه ولم تبد له وجهها قط الا مرة واحدة فانشا يقول

على وجه مي مسحة من ملاحة • وتحت الثياب العار لو كان باديا

قال فانسلخت من ثيابها فانشا يقول

ألم تر ان الماء يخبث طعمه • وان كان لون الماء ابيض صافيا

فقال لت تريدان تذوق طعمه فقال اي والله فقالت لت تذوق الموت قبل ان تذوقه
فانشا يقول

فواضيعة الشعر الذي لج وانقضى • بمي ولم املك ضلالا فؤاديا

قال القاضي ابن خلكان ومن شعره السائر

اذا هبت الارواح من نحو جانب • به اهل مي هاج قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما • هوى كل نفس اين حل حبيبها

ثم دخلت سنة ثماني عشرة ومائة

فيها غزا معاوية وسليمان ابنا امير المؤمنين هشام بن عبد الملك بلاد الروم وفيها
قصد شخص يقال له عمار بن يزيد ثم يسمى خداش الى بلاد خراسان فدعا الناس الى
خلافة محمد بن علي بن عباس فاستجاب له خلق كثير فلما التفوا عليه دعاهم الى مذهب
الخرمية الزنادقة واباح لهم نساء بعضهم بعضا وزعم لهم ان محمد بن علي يقول
ذلك وقد كذب عليه فاظهر الله عليه الدولة فاخذ فجيء به الى خالد بن عبد الله القسري
امير العراق وخراسان فامر به فقطعت يده واستل لسانه ثم صلب بعد ذلك لعنه
الله وفيها حج بالناس محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي امير المدينة ومكة والطايف
وقيل ان امرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان والصحيح انه كان قد عزل
وولي محمد بن هشام بن اسماعيل وكانت امرة العراق الى خالد بن عبد الله القسري ونايبه
على خراسان وانما لها اخوه اسد بن عبد الله القسري وفيها كانت وفاة علي بن عبد الله
ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابو الحسن ويقال ابو محمد وامه
زرعة بنت مشرح بن معدي كرب الكندي احد الملوك الاربعة المذكورين في الحديث الذي
رواه الامام احمد وهم مشرح وجمد ومخوس وابضعة واختهم العمردة وكان مولد علي هذا
ليلة قتل علي بن ابي طالب فسماه باسمه وكناه بكنيته وقيل انه ولد في حياة علي فهو
الذي سماه وكناه ولقبه بابي الاملاك فلما وفد علي عبد الملك بن مروان اجلسه معه على
السرير وسأله عن اسمه وكنيته واخبره فقال الك ولد قال نعم ولد سميته محمدا
فقال له انت محمد واجزل عطيته واحسن اليه وقد كان علي هذا في غاية العبادة والعلم
والعمل وحسن الشكل والعدالة والثقة كان يصلي في كل يوم وليلة الف ركعة قال
عمرو بن علي الفلاس كان من خيار الناس وكانت وفاته بالحميمة من ارض الشراة في هذه السنة
وقد قارب الثمانين وذكر القاضي ابن خلكان ان علي المتقدم ذكره تزوج لبابة بنت

عبد الله بن جعفر التي كانت تحت عبد الملك بن مروان وكان سبب طلاقه اياها انه عض تفاحة ورمى بها اليها فاخذت السكين فالقت ما شرته منها فقال لم تفعلين هذا فقالت ازيل عنها الاذى وذلك لانه كان ابخر فطلقها فلما تزوجها علي بن عبد الله هذا نقم عليه الوليد بن عبد الملك ذلك فضربه بالسياط وقال انما اردت ان تذل بها بني الخلفا وضربه مرة ثانية لانه اشتهر عنه انه قال ان الخلافة صائرة الى بنيه فوقع الامر كذلك وذكر المبرد انه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه السفاح والمنصور وهما صغيران فاكرمه هشام وادناه في مجلسه ووصله بثلاثين الفا وجعل علي بن عبد الله يوصيه بابنيه خيرا ويقال انما سيليان الامر فجعل هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه في ذلك الى الحمق فوقع الامر كما قال قالوا وقد كانت في غاية الجمال وتمام القامة كان من الناس كانه راكب وكان الى منكبي ابيه عبد الله وكان عبد الله الى منكبيه وكان العباس الى منكبي ابيه عبد المطلب وقد بايع الناس لابنه محمد بالخلافة قبل هذه السنة بسنوات ولكن لم يظهر امره حتى مات فقام بالامر من بعده ولده عبد الله ابو العباس السفاح فكان ظهوره في سنة اثنتين وثلثين على ما سياتي بيانه ان شا الله وممن توفي في هذه السنة عمرو بن شعيب وعبادة بن نسي وابو صخرة جامع بن شداد وابو عشانة المعافري ٥

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

فيها غزا الوليد بن القعقاع العبسي ارض الروم وفيها قتل اسد بن عبد الله القسري ملك الترك الاعظم خاقان وكان سبب ذلك ان اسد بن عبد الله امير خراسان عمل نيابة عن اخيه خالد بن عبد الله على العراق ثم سار بجنوده الى مدينة ختل فافتتحها وتفرقت في ارضها جنوده يقتلون ويأسرون ويغنمون فجاءت العيون الى ملك الترك خاقان بان جيش اسد قد تفرق في بلاد ختل فاغتنم خاقان هذه الفرصة وركب من فوره في جنوده قاصدا الى اسد ونهض خاقان واصحابه سلاحا كثيرا وعددا ومعلما وساروا في خلق عظيم وجاءت العيون الى اسد فاعلموه بقصد خاقان له في جيش عظيم كثيف فتجهز لذلك واخذ اهبته فارسل من فوره الى اطراف جيشه فلمها واشاع بعض الناس ان خاقان قد هجم على اسد بن عبد الله فقتله واصحابه ليحصل بذلك خذلان لاصحابه فلا يجتمعوا اليه فرد الله كيدهم في نحورهم وجعل تدبيرهم في تدميرهم وذلك ان المسلمين لما سمعوا بذلك اخذتهم حمية الاسلام وازدادوا حنقا على عدوهم وعزموا على الاخذ بالثار فقصدوا الموضع الذي فيه اسد فاذا هو حي قد اجتمعت عليه العساكر من كل جانب وسار اسد نحو خاقان حتى اتى جبل الملح واراد ان يخوض نهر بلخ وكان معهم اغنام كثيرة فكره اسد ان يتركها وراء ظهره فامر كل فارس ان يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر فما خلصوا منه جيدا حتى دهمهم خاقان من ورائهم في خيله فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضعفة فلما وقفوا على حافة النهر احجموا وظن المسلمون انهم لا يقطعون اليهم النهر فتشاور الاتراك فيما بينهم ثم اتفقوا على ان يحملوا حملة ولم وكانوا خمسين الفا فيقتحمون النهر فضربوا بكوساتهم ضربا شديدا حتى ظن المسلمون

انهم

انهم معهم في عسكرهم ثم رموا بانفسهم في النهر رمية واحدة فجعلت خيولهم تنخر اشد النخير وخرجوا منه الى ناحية المسلمين فثبت المسلمون في معسكرهم وكانوا قد خندقوا حولهم خندقا فلا يخلصون اليهم منه فبات الجيشان تتراآ نارهما فلما اصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين فقتل منهم خلقا واسر اخرين واخذ اموالا كثيرة وابلا موقرة ثم ان الجيشان تواجهوا في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش اسد ان يصلوا صلاة العيد فما صلوها الا على وجل ثم سار اسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ حتى انقضى الشتا فلما كان يوم عيد الاضحى خطب اسد الناس واستشارهم في الذهاب الى مرو او في لقاء خاقان او في التحصن ببلخ فمنهم من اشار بالتحصن ومنهم من اشار بملتقاه والتوكل على الله فوافق ذلك راي اسد الاسد فنهض بجيشه نحو خاقان وصلى باصحابه ركعتين اطالهما ثم دعا بدعا طويل ثم انصرف وهو يقول نصرتم ان شا الله ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان فقتل المسلمون منهم خلقا واسروا اميرهم وسبعة امراء معه ثم ساق اسد فانتهى الى اغنامهم فاستاقها فاذا هي مائة الف وخمسون الف شاة ثم التقى معهم وكان خاقان في هذا اليوم اغار معه اربعة الاف او نحوها ومعه رجل من العرب قد خامر اليه يقال له الحرث بن شريح فهو يدلهم على عورات فلما اقتتل الناس هزمت الاتراك في كل جانب وانهزم خاقان ومعه الحرث بن شريح المذكور يحميه ويثبته فتبعهم اسد فلما كان وقت الظهيرة انخزل خاقان في اربعماية من اصحابه عليهم الخز ومعهم الكوسات فلما ادركه المسلمون امر بالكوسات فضربت ضربا شديدا ضرب الانصراف ثلث مرات فلم يستطيعوا الانصراف فتقدم المسلمون فاحتاطوا على معسكرهم فاحتازوه بما فيه من الامتعة العظيمة والاواني من الذهب والفضة والنسا والصبيان من الاتراك ومن معهم من الاسارى من المسلمات وغيرهم مما لا يحد ولا يوصف لكثرته وعظمه وقيمته وحسنه غير ان خاقان لما احس بالهلاك ضرب امراته بخنجر فقتلها ثم وصل المسلمون الى العسكر وهي باخر رمق تتحرك ووجدوا قدورهم تغلي باطعماتهم وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها فاتفق انه لعب بالنرد مع بعض الامرا فغلبه الامير فتوعده خاقان بقطع اليد فحنق عليه ذلك الامير ثم عمل على قتله فقتله وتفرقت الاتراك فرقا يعدو بعضهم على بعض وينهب بعضهم بعضا وبعث اسد الى اخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان وبعث اليه بطبول خاقان وكانت كبار لها اصوات كالرعد وبشي كثير من حواصله وامتعته فوفد بها خالد الى امير المومنين هشام ففرح بذلك فرحا شديدا واطلق للرسل اموالا جزيلة كثيرة من بيت المال وقد قال بعض الشعرا في اسد يمدحه على ذلك

لو سرت في الارض تقيس الارضا • تقيس منها طولها والعرضا
لم تلق خيرا مرة ونقضا • من الامير اسد وامضى
افضى الينا الخير حين افضى • وجمع الشمل وكان رفضا
ما فاته خاقان الا ركضا • قد فض من جموعه ما فضا
يا ابن شريح قد لقيت حمضا • حمضا به يشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المغيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابعوه
على باطله وكان هذا الرجل ساحرا فاجرا شيعيا خبيثا قال ابن جرير حدثنا ابن حميد
حدثنا جرير عن الأعمش قال سمعت المغيرة بن سعيد يقول لو أردت أن أحيي عادا
وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا لأحييتهم قال الأعمش وكان المغيرة هذا يخرج إلى المقبرة
فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور أو نحو هذا من الكلام وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأشياء
التي تدل على سحره وفجوره ولما بلغ خالدا أمره أمر بإحضاره فجيء به في ستة نفر أو سبعة
نفر فأمر خالد بإبراز سريره إلى المسجد وأمر بإحضار أطنان القصب والنفط
فصب فوقها وأمر المغيرة أن يحتضن طنا منها فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنا واحدا
وصب فوق رأسه النفط ثم أضرم بالنار وكذلك فعل ببقية أصحابه وفي هذه
السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثارة واتبعه جماعات من الخوارج
دون المائة وقصدوا قتل خالد القسري فبعث إليهم البعوث فكسروا الجيوش واشتد
أمرهم جدا لشجاعتهم وجلدهم وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش وفلوا العساكر من
الألوف المؤلفة ذات الأسلحة والخيل المسومة هذا وهم لم يبلغوا المائة ثم إنهم
راموا قدوم الشام لقتل الخليفة هشام فقصدوا نحوها فاعترضهم جيش بأرض
الجزيرة فاقتتلوا معهم قتالا عظيما فقتلوا عامة أصحاب بهلول الخارجي ثم إن
رجلا من جديلة يكنى أبا الموت ضرب بهلولا ضربة فصرعه وتفرق بقية أصحابه وكانوا
جميعهم سبعين رجلا وقد رثاهم بعض أصحابهم فقال

بدلت بعد أبي بشر وصحبته ۞ قوما علي مع الأحزان أعوانا
بانوا كأن لم يكونوا من صحابتنا ۞ ولم يكونوا لنا بالأمس خلانا
يا عين أذري دموعا منك تهتانا ۞ وابكي لنا صحبة بانوا وجيرانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها ۞ وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

ثم تجمع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم فقاتلوا وقتلوا وقتلوا وجهزت إليهم
العساكر من عند خالد القسري ولم يزل حتى أباد خضراءهم ولم يبق لهم باقية وفيها
غزا أسد القسري بلاد الترك فعرض عليه ملكهم طرخان ألف ألف فلم يقبل منه
شيئا وأخذه أسد قهرا فقتله صبرا بين يديه وأخذ مدينته وقلعته وحواصله
ونساءه وأمواله وفيها خرج الصحاري بن شبيب الخارجي واتبعه طائفة قليلة
نحو من ثلاثين رجلا فبعث إليهم خالد القسري جندا فقتلوه وجميع أصحابه فلم يتركوا
منهم رجلا واحدا وحج بالناس في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك
وحج معه ابن شهاب الزهري ليعلمه مناسك الحج وكان أمير مكة والمدينة والطائف
محمد بن هشام بن إسماعيل وأمير العراق والمشرق وخراسان خالد القسري ونائبه على
خراسان بكمالها أخوه أسد بن عبد الله القسري وقد قيل إنه توفي في هذه السنة
وقيل في سنة عشرين فالله أعلم ونائب أرمينية وأذربيجان مروان الحمار

سنة عشرين ومائة من الهجرة

فيها غزا سليمان بن هشام بلاد الروم وافتتح فيها حصونا وفيها غزا إسحاق بن
مسلم العقيلي تومانشاه وافتتحها وخرب أراضيه وفيها غزا مروان بن محمد بلاد الترك

وفيها

وفيها كانت وفاة أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان وكانت وفاته بسبب أنه
كانت له دبيلة في جوفه فلما كان مهرجان هذه السنة قدمت الدهاقين وهم أمراء
المدن الكبار من سائر البلدان بالهدايا والتحف على أسد وكان ممن قدم نائب هراة
ودهقانها واسمه خراسان شاه فقدم بهدايا عظيمة وتحف عزيزة وكان من
جملة ذلك قصر من ذهب وقصر من فضة وأباريق من ذهب وصحاف من ذهب وفضة
وتفاصيل من حرير تلك البلاد ألوان ملونة فوضع ذلك بين يدي أسد حتى امتلأ
المجلس ثم قام الدهقان خطيبا فامتدح أسدا بعض الحسنة على عقله ورياسته
وعدله ومنعه أهله وخاصته أن يظلموا أحدا من الرعايا بشيء قل أو كثر وأنه قهر الخاقان
الأعظم وكان في مائة ألف فكسره وقتله وأنه يفرح بما تقدم إليه من الأموال وهو
بما خرج من يده أفرح وأشد سرورا فأثنى عليه أسد وأجلسه ثم فرق أسد جميع تلك
الهدايا والأموال وما هنالك أجمع على الأمراء والأكابر بين يديه حتى لم يبق منه شيء
ثم قام من مجلسه وهو عليل من تلك الدبيلة ثم أفاق إفاقة فجيء بهدية كمثرى
فجعل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة فألقى إلى دهقان خراسان واحدة فانفجرت
دبيلته فكان فيها حتفه واستخلف على عمله جعفر بن حنظلة البهراني فمكث
أميرا أربعة أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها فعلى هذا يكون وفاة أسد
في صفر من هذه السنة وقد قال فيه ابن عرس العبدي يرثيه

نعى أسد بن عبد الله ناع ۞ فريع القلب للملك المطاع
ببلخ وافق المقدار يسري ۞ وما لقضاء ربك من دفاع
فجودي عين بالعبرات سحا ۞ ألم يحزنك تفريق الجماع
أتاه حمامه في جوف صيغ ۞ وكم بالصيغ من رجل شجاع بطل
كتائب قد يجيبون المنايا ۞ على جرد مسومة سراع
سقيت الغيث إنك كنت غيثا ۞ مريعا عند نزاع النجاع

وفيها عزل هشام خالد بن عبد الله القسري عن نيابة العراق وذلك لأنه انحصر منه
لما كان يطلق لسانه فيه وأنه كان يقول عنه ابن الحمقاء وكتب إليه كتابا
فيه غلظة فرد عليه هشام ردا عنيفا ويقال إنه حسده على سعة ما حصل له
من الأموال والحواصل والغلات حتى قيل إنه كان دخله في كل سنة ثلاثة عشر
ألف ألف دينار وقيل درهم ولولده يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف وقيل إنه
وفد إليه رجل من ألزام أمير المؤمنين من قريش يقال له ابن عمرو فلم يترحب به ولم
يعبأ به فكتب إليه هشام يعنفه ويبكته على ذلك وأنه حال وصول هذا الكتاب
إليه يقوم من فوره بمن حوله من أهل مجلسه فيمشي على قدميه حتى يأتي باب ابن عمرو
صاغرا ذليلا مستأذنا عليه متنصلا إليه مما وقع فإن أذن لك وإلا فقف على بابه
حولا غير متحلحل من مكانك ولا زائل ثم أمرك إليه إن شاء عزلك وإن شاء أبقاك
وإن شاء انتصر وإن شاء عفا وكتب إلى ابن عمرو يعلمه بما كتب إلى خالد وأمره إن وقف بين
يديه أن يضربه عشرين سوطا على رأسه إن رأى ذلك مصلحة ثم إن هشاما عزل خالدا
وأخفى ذلك وبعث البريد إلى نائبه على اليمن وهو يوسف بن عمر فولاه إمرة العراق وأمره

بالمصير اليها والقدوم عليها في ثلثين راكبا فقدموا الكوفة وقت السحر فدخلوها
فلما اراد المؤذن ان يؤذن امره يوسف بالاقامة فقال الى ان يأتي الامام يعني خالدا فانتهره
يوسف وامره بالاقامة فتقدم يوسف فصلى وقرأ اذا وقعت الواقعة وسأل سائل
ثم انصرف فبعث الى خالد وطارق واصحابهما فاحضروا فاخذ منهم اموالا كثيرة
وصادر خالدا بمائة الف الف درهم وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة وعزل
عنها في جمادى الاولى من هذه السنة اعني سنة عشرين ومائة وفي هذا الشهر قدم يوسف
بن عمر على ولاية العراق مكان خالد بن عبد الله القسري واستناب على خراسان جديع
بن علي الكرماني وعزل جعفر بن حنظلة الذي كان استنابه اسد ثم ان يوسف بن
عمر عزل جديعا في هذه السنة عن خراسان وولى عليها نصر بن سيار وذهب جميع
ما كان اقتناه وحصله خالد من العقار والاملاك ومثله واحدة وقد كان اشار
عليه بعض اصحابه لما بلغهم عتب هشام عليه ان يبعث اليه يعرض عليه بعض املاكه
فما احب منها اخذه وما شاء ترك وقالوا له لان يذهب البعض ويبقى البعض خير من
ان يذهب الجميع مع العزل والاحراق فامتنع من ذلك واغتر بالدنيا وعزت نفسه
عليه ان يذل لجاه العزل فذهب ما كان حصله وجمعه وصنعه واستقرت ولاية
يوسف بن عمر على العراق وخراسان واستقرت ولاية نصر بن سيار نائبا على خراسان
فتمهدت البلاد وامن العباد ولله الحمد والمنة وقد قال سوار بن الاشعر في ذلك

• اضحت خراسان بعد الخوف آمنة • من ظلم كل غشوم الحكم جبار •
• لما اتى يوسفا اخبار ما لقيت • اختار نصرا لها نصر بن سيار •

وفي هذه السنة استبطأت شيعة آل العباس كتاب محمد بن علي اليهم وقد كان عتب
عليهم في اتباعهم ذلك الزنديق الملقب بخداش وكان خرميا وهو الذي احل لهم المنكرات
ولش المحارم والمصاهرات فقتله خالد القسري كما تقدم فعتب عليهم محمد بن
علي في تصديقهم له واتباعهم اياه على الباطل فلما استبطأوا كتابه اليهم بعث
اليهم رسولا يخبر لهم امره وبعثوا هم ايضا رسولا فلما جاءه رسولهم اعلمه محمد بما ذا
عتب عليهم بسبب الخرمي ثم ارسل مع الرسول كتابا مختوما فلما فتحوه اذا هو ليس
فيه سوى بسم الله الرحمن الرحيم تعلموا انه انما عتبنا عليكم بسبب الخرمي
ثم ارسل اليهم رسولا اليهم فلم يصدقه كثير منهم وهموا به ثم جاءهم من جهته عصي ملوي
عليها حديد ونحاس فعلموا ان هذا اشارة لهم الى انهم عصاة وانهم مختلفون كاختلاف
الوان النحاس والحديد قال ابن جرير وحج بالناس فيها محمد بن هشام المخزومي وفيها
قال ابو معشر قال وقد قيل ان الذي حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك وقيل
ابنه يزيد بن هشام فالله اعلم

ثم دخلت احدى وعشرين ومائة

ففيها غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير وهو حصن وافتتح مروان بن
محمد بلاد صاحب الذهب واخذ قلاعه وخرب ارضه فاذعن له بالجزية في كل سنة
بالف راس يؤديها اليه واعطاه رهنا على ذلك وفيها في صفر منها قتل زيد بن
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي ينتسب اليه الطائفة الزيدية في قول

في قول الواقدي وقال هشام بن الكلبي انما قتل في صفر سنة اثنتين وعشرين والله اعلم
وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعا للواقدي وهو ان زيدا
هذا وفد على يوسف بن عمر فسأله هل اودع خالد القسري عندك مالا فقال له زيد
بن علي كيف يودعني مالا وهو يشتم اباي على منبره في كل جمعة فاحلفه انه ما اودع عنده
شيئا فامر يوسف بن عمر باحضار خالد بن عبد الله القسري من السجن فجيء به في عباءة
فقال له انت اودعت هذا شيئا نستخلصه منه قال لا وكيف وانا اشتم اباه كل جمعة
فتركه عمر واعلم امير المؤمنين بذلك فعفا عن ذلك ويقال بل استحضرهم فحلفوا بما
حلفوا ثم ان طائفة من الشيعة التفت على زيد بن علي وكانوا نحوا من اربعين الفا فنهاه
بعض النصحاء عن الخروج وهو محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب وقال له انا نجد لك خيرا منك
وقد التفت على بيعتهم من اهل العراق ثمانون الفا ثم خانوه احوج ما كان اليهم وانا لك
احذر لك من اهل العراق فلم يقبل بل استمر يبايع الناس في الباطن بالكوفة على كتاب الله
وسنة رسوله حتى استفحل امره بها في المساكن وهو يتحول من منزل الى منزل وما زال
كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين فكان فيها مقتله كما سنذكره قريبا وفيها
غزا نصر بن سيار امير خراسان غزوات متعددة في الترك واسر ملكهم كورصول
ان يطلقه على ان يرسل له الف بعير من ابل الترك وهي البخاتي والف برذون وهو مع
ذلك شيخ كبير جدا فاستشار نصر من بحضرته من الامراء في ذلك فمنهم من اشار باطلاقه
ومنهم من اشار بقتله ثم سأله نصر بن سيار كم غزيت من غزوة فقال اثنتين
وسبعين غزوة فقال له نصر ما مثلك يطلق وقد شهدت هذا كله ثم امر به فضربت
عنقه وصلبه فلما بلغ ذلك جيشه من قتله باتوا تلك الليلة يجعرون ويبكون
عليه وجزوا لحاهم وشعورهم وقطعوا اذانهم وحرقوا خباء ما كثيرا وقتلوا انعاما كثيرة
فلما اصبح امر نصر باحراقه لئلا يأخذوا منه جثته فكان ذلك اشد عليهم من قتله
وانصرفوا خائبين صاغرين خاسئين ثم كر نصر على بلادهم فقتل منهم خلقا واسر
اما لا يحصون كثرة وكان ممن حضر بين يديه عجوز كبيرة جدا من الاعاجم او الاتراك
وهي من بيت مملكة فقالت لنصر بن سيار كل ملك لا يكون عنده ستة اشياء فليس
بملك وزير صادق يفصل خصومات الناس ويشاوره ويناصحه وطباخ يصنع
له ما يشتهيه وزوجة حسناء اذا دخل عليها مغتما فنظر اليها سرته وذهب غمه
وحصن منيع اذا فزع رعاياه لجأوا اليه فيه وسيف اذا قارع به الاقران لم يخش خيانته
وذخيرة اذا حملها فاين ما وقع من الارض عاش بها وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن
اسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف ونائب العراق يوسف بن عمر ونائب خراسان
نصر بن سيار وعلى ارمينية مروان بن محمد

ذكر من توفي فيها من الاعيان زيد بن علي

ابن الحسين بن علي بن ابي طالب والمشهور انه قتل في التي بعدها كما سيأتي بيانه ان
شاء الله مسلمة بن عبد الملك بن مروان القرشي الاموي ابو سعيد وابو الاصبغ الدمشقي
قال ابن عساكر وداره بدمشق في محلة القباب عند باب الجامع القبلي ولي الموسم
ايام اخيه الوليد وغزا الروم غزوات وحاصر القسطنطينية وولاه اخوه يزيد

امرة العراقين ثم عزله وتولى ارمينية وروى الحديث عن عمر بن عبد العزيز وعنه
عبد الملك بن ابي عثمان وعبيد الله بن قزعة وعيينة والد سفيان بن عيينة
وابن ابي عمران ومعاوية بن خديج ويحيى بن يحيى الغساني قال الزبير بن بكار كان
مسلمة من رجال بني امية وكان يلقب بالجرادة الصفراء وله اثار كثيرة وحروب
ونكاية في العدو من الروم وغيرهم قلت وقد فتح حصونا كثيرة من بلاد الروم ولما
ولي ارمينية غزا الترك فبلغ باب الابواب فهدم المدينة التي عنده ثم
اعاد بناها بعد تسع سنين وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية
فحاصرها وافتتح مدينة الصقالبة وكسر ملكهم البرجان ثم عاد الى محاصرة
القسطنطينية قال الاوزاعي فاخذه وهو يغازيهم صداع عظيم في راسه فبعث
ملك الروم اليه بقلنسوة وقال ضعها على راسك يذهب صداعك فخشي ان تكون
مكيدة فوضعها على راس بهيمة فلم ير الا خيرا ثم وضعها على راس بعض اصحابه
فلم ير الا خيرا فوضعها على راسه فذهب صداعه ففتقها فاذا فيها مكتوب سبعون
سطرا هذه الاية ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الاية مكررة لا غير رواه
ابن عساكر وقد لقي مسلمة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة وجاع المسلمون
عندها جوعا شديدا فلما ولي عمر بن عبد العزيز ارسل اليهم البريد يامرهم بالرجوع
الى الشام فحلف مسلمة انه لا يقلع عنهم حتى يبنوا له جامعا كبيرا بالقسطنطينية
فبنوا له بها جامعا ومنارة فهو بها الى الآن يصلي فيه المسلمون الجمعة والجماعة
قلت وهي اخر ما يفتحه المسلمون قبل خروج الدجال في اخر الزمان كما سنورده في الملاحم
والفتن من كتابنا هذا ان شا الله ونذكر الاحاديث الواردة في ذلك هناك
وبالجملة كانت لمسلمة مواقف مشهورة ومساعي مشكورة وغزوات متتالية
ومنثورة وقد افتتح حصونا وقلاعا واحيا بعزمه قصورا وبقاعا وكان في
زمانه في الغزوات نظير خالد بن الوليد في ايامه في كثرة مغازيه وكثرة فتوحه
وقوة عزمه وشدة باسه وجودة تصرفه في نقضه وابرامه هذا مع الكرم والفصاحة
والرياسة والسماحة والاصالة وتوالي الرجاحة والدين والعفة ومن كلامه الحسن
قوله مروءتان ظاهرتان الرياش والفصاحة وقال يوما لنصيب الشاعر سلني
قال لا قال ولم قال لان كفك بالجزيل اكثر من مسالتي باللسان فاعطاه الف
دينار وقال ايضا الانبيا لا يتثاءبون كما يتثاءب الناس ما تثاءب نبي قط واوصى
بثلث ماله لاهل الادب وقال انها صناعة مجفو اهلها وقال الوليد بن مسلم
وغيره توفي يوم الاربعا لسبع مضين من المحرم سنة احدى وعشرين ومائة وقيل
في سنة عشرين ومائة وكانت وفاته بموضع يقال له الحانوت وقد رثاه بعضهم
وهو ابن اخيه الوليد بن عبد الملك فقال بن يزيد

اقول وما البعد الا الردى • امسلم لا تبعدن مسلمه
فقد كنت نورا لنا في البلاد • مضيئا فقد اصبحت مظلمه
ونكتم موتك نخشى اليقين • فابدى اليقين لنا الجمجمه

نمير بن اوس الاشعري

قاضي دمشق

قاضي دمشق تابعي جليل روى عن جده بقية مرسلا وابي موسى مرسلا وابي الدردا وعن
معاوية مرسلا وغير واحد من التابعين وحدث عنه جماعة كثيرون منهم الاوزاعي
وسعيد بن عبد العزيز ويحيى بن الحرث الذماري ولاه هشام بن عبد الملك القضا
بدمشق بعد عبد الرحمن بن الخشخاش العذري ثم استعفى هشاما فاعفاه وولى
مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن ابي مالك وكان نمير هذا لا يحكم باليمين مع الشاهد
وكان يقول الادب من الاباء والصلاح من الله قال غير واحد توفي سنة احدى
وعشرين ومائة وقيل سنة ثنتين وعشرين ومائة وقيل سنة خمس عشرة ومائة
وهو غريب والله سبحانه اعلم

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة

ففيها كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان سبب ذلك انه
لما اخذ البيعة ممن بايعه من اهل الكوفة امرهم في اول هذه السنة بالخروج والتأهب
له فشرعوا في اخذ الاهبة لذلك فانطلق رجل يقال له سليمان بن سراقة
الى يوسف بن عمر نائب العراق فاخبره وهو بالحيرة يومئذ خبر زيد بن علي هذا ومن
معه من اهل الكوفة فبعث يوسف بن عمر نائب العراق يتطلبه ويلح في طلبه فلما علمت
الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له ما قولك يرحمك الله في ابي بكر
وعمر فقال غفر الله لهما ما سمعت احدا من اهل بيتي يتبرأ منهما وانا لا اقول فيهما
الا خيرا قالوا فلم تطلب اذا بدم اهل البيت فقال انا كنا احق الناس بهذا الامر
ولكن القوم استاثروا علينا به ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا قد
ولوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم تقاتل هؤلاء اذا قال ان هؤلاء ليسوا
كاولئك ان هؤلاء ظلموا الناس وظلموا انفسهم واني ادعو الى كتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم واحياء السنن واماتة البدع فان تسمعوا يكن خيرا لكم
ولي وان تابوا فلست عليكم بوكيل فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه
فلهذا سموا الرافضة من يومئذ ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية وغالب
اهل الكوفة منهم رافضة وغالب اهل مكة الى اليوم على مذهب الزيدية وفي مذهبهم
حق وهو تعديل الشيخين وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليهما وليس علي مقدما
عليهما بل ولا على عثمان على اصح قولي اهل السنة الثابتة والاثار الصحيحة الثابتة
عن الصحابة وقد ذكرنا ذلك في سيرة ابي بكر وعمر فيما تقدم وباليمن طوايف من
الزيدية ولاسيما اهل صنعا وغيرها والزيدية لا تسب ولا تتخب وانما مذهبهم
التقديم والتاخير والاذان بحي على خير العمل ولا يصلون الا خلف امام منهم ثم ان زيدا
عزم على الخروج بمن بقي معه من اصحابه فواعدهم ليلة الاربعا مستهل صفر من هذه السنة
فبلغ ذلك يوسف بن عمر فكتب الى نائبه على الكوفة وهو الحكم بن الصلت يامره بجمع
الناس كلهم في المسجد الجامع فجمع الناس لذلك في يوم الثلثا سلخ المحرم قبل
خروج زيد بيوم وخرج زيد ليلة الاربعا في برد شديد ورفع اصحابه النيران وجعلوا
ينادون يا منصور يا منصور فلما طلع الفجر اذا قد اجتمع معه مايتان وثمانية
عشر رجلا فجعل زيد يقول سبحان الله اين الناس فقيل هم في المسجد محصورون

وكتب الحكم الى يوسف يعلمه بخروج زيد بن علي فبعث اليه سرية الى الكوفة وركبت
الجيوش مع نائبه الكوفة وجاء يوسف بن عمر ايضا في طائفة كبيرة من الناس فالتقى
بمن معه جرثومة منهم فيهم خمسمائة فارس فهزمهم ثم اتى الكناسة فحمل على جمع من
اهل الشام فهزمهم ثم اجتاز بيوسف ابن عمر وهو واقف فوق تل وزيد في مائتي
فارس ولو قصد يوسف بن عمر لقتله ولكن اخذ ذات اليمين وكلما لقي طائفة هزمهم
وجعل اصحابه ينادون يا اهل الكوفة اخرجوا الى الدين والعز والدنيا فانكم لستم
في دين ولا عز ولا دنيا ثم لما امسوا انضاف اليه جماعة من اهل الكوفة وقد قتل
بعض اصحابه في اول يوم فلما كان في اليوم الثاني اقتتل هو وطائفة من اهل الشام
فقتل منهم سبعين رجلا وانصرفوا عنه بشر حال وامسوا فعبا يوسف بن عمر جيشه
جدا ثم اصبحوا فالتقوا مع زيد فكشفهم حتى اخرجهم الى السبخة ثم شد عليهم حتى
اخرجهم الى بني سليم ثم تبعهم في خيله ورجله حتى اخذوا على المسناة ثم اقتتلوا
هناك قتالا شديدا حتى كان جنح الليل رمي زيد بسهم فاصاب جانب جبهته اليسرى
فوصل الى دماغه فرجع ورجع اصحابه ولا يظن اهل الشام انهم رجعوا الا لاجل المسا
والليل وادخل زيد في دار في سكة البريد وجيء بطبيب فانتزع ذلك السهم من جبهته
فما عدا ان انتزعه حتى مات من ساعته رحمه الله فاختلف اصحابه اين يدفنونه فقال
بعضهم البسوه درعه والقوه في الماء وقال بعضهم احتزوا راسه واتركوا جثته
في القتلى فقال ابنه لا والله لا تاكل ابي الكلاب وقال بعضهم ادفنوه في العباسية
وقال بعضهم ادفنوه في الحفرة التي يوخذ منها الطين ففعلوا ذلك واجروا
على قبره الماء لئلا يعرف وانفتل اصحابه حيث لم يبق لهم راس يقاتلون به فما
اصبح الفجر ولهم قائمة ينهضون بها وتتبع يوسف بن عمر الجرحى هل يجد زيدا بينهم
وجاء مولى لزيد سندي قد شهد دفنه فدل على قبره فاخذ من قبره فامر يوسف بن عمر
بصلبه فصلب على خشبة بالكناسة ومعه نصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحاق بن
زيد بن حارثة الانصاري وزياد النهدي ويقال ان زيدا مكث مصلوبا اربع سنين
ثم انزل بعد ذلك واحرق والله اعلم وقد ذكر ابو جعفر بن جرير الطبري ان يوسف
ابن عمر لم يعلم بشيء من امر زيد بن علي حتى كتب اليه هشام بن عبد الملك انك لغافل وان
زيد بن علي غارز ذنبه بالكوفة يبايع له فالح في طلبه واعطه الامان فان لم يقبل فقاتله
فتطلبه يوسف حتى كان من امره ما تقدم فلما ظهر على قبره حز راسه وبعثه الى هشام
فنصبه على باب دمشق مدة ثم ارسل به فساروا به الى المدينة حتى نصبوه على احد ابوابها
واما جثته فلم تزل مصلوبة تحرس ليلا ونهارا حتى انقضت دولة هشام وقام
من بعده الوليد بن يزيد فامر به فانزل واحرق في ايامه قبح الله الوليد بن يزيد فاما
ابنه يحيى بن زيد بن علي فاستجار بعبد الملك بن بشر بن مروان فبعث اليه يوسف
بن عمر يتهدده حتى يحضره فقال له عبد الملك بن بشر ما كنت لاوي مثل هذا
الرجل وهو عدونا وابن عدونا فصدقه يوسف بن عمر في ذلك ولما هدا الطلب عنه
سير الى خراسان فخرج يحيى بن زيد في جماعة من الزيدية الى خراسان فاقاموا بها
هذه المدة قال ابو مخنف ولما قتل زيد خطب يوسف بن عمر اهل الكوفة فتهددهم

ونوعدهم

وتوعدهم وشتمهم وقال لهم فيما قال والله لقد استاذنت امير المومنين
في قتل خلق منكم ولو اذن لي لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم وما صعدت
هذا المنبر الا لاسمعكم ما تكرهون قال ابن جرير وفي هذه السنة قتل عبد الله
البطال في جماعة من المسلمين بارض الروم ولم يزد ابن جرير على هذا وقد ذكر هذا
الرجل الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير فقال

البطال

عبد الله ابو يحيى

المعروف بالبطال كان ينزل انطاكية حكى عنه ابو مروان الانطاكي ثم روى باسناده
ان عبد الملك بن مروان حين عقد لابنه مسلمة على غزو بلاد الروم ولى على رؤساء اهل
الجزيرة والشام البطال وقال لابنه مسلمة صيره على طلائعك ومره فليعس
بالليل العسكر فانه امين ثقة مقدام شجاع وخرج معهم عبد الملك يشيعهم الى باب
دمشق قال فقدم مسلمة البطال على عشرة الاف يكونون بين يديه ترسا من
الروم ان يصلوا الى جيش المسلمين قال محمد بن عائذ الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم
حدثني ابو مروان شيخ من اهل انطاكية قال كنت اغازي البطال وقد اوطا
الروم ذلا قال البطال فسالني بعض ولاة بني امية عن اعجب ما كان من امري
في مغازيهم فقلت له خرجت في سرية ليلا فدفعنا الى قرية فقلت لاصحابي
ارخوا لجم خيولكم ولا تحركوا احدا بقتل ولا بشيء حتى تستمكنوا من القرية فانهم
في نومة ففعلوا وافترقوا في ازقتها فدفعت في اناس من اصحابي الى بيت يزهر
سراجه واذا امراة تسكت ابنها من بكائه وهي تقول له لتسكتن او لادفعنك الى
البطال يذهب بك واستلته من سريره وقالت خذه يا بطال قال فاخذته
وروى محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن ابي مروان الانطاكي عن البطال قال
انفردت مرة على فرسي ليس معي احد من الجند وقد سمطت خلفي مخلاة فيها شعير ومعي
منديل فيه خبز وشواء فبينا انا اسير لعلي القى احدا منفردا اذا طلع على خبر اذا
انا ببستان فيه بقول حسنة فنزلت واكلت من ذلك البقل بالخبز والشواء
البقل فاخذني اسهال عظيم فقمت مرارا فخفت ان اضعف من كثرة الاسهال
فركبت فرسي والاسهال مستمر على حاله وجعلت اخشى ان انا نزلت عن فرسي ان اضعف
عن الركوب وافرط بي الاسهال في السرج حتى خشيت ان اسقط من الضعف فاخذت
بعنان الفرس وغشي علي وجعلت لا ادري اين تسير الفرس فلم اشعر الا بقرع نعالها على بلاط
فادفع راسي فاذا دير واذا قد خرج منه نسوة معهن امراة حسناء جميلة جدا فجعلت
تقول لهن بلسانها انزلنه فانزلنني فغسلن عني ثيابي وسرجي وفرسي ووضعنني على
سرير وعملن لي طعاما وشرابا فمكثت يوما وليلة مستريحا ثم اقمت بقية ثلاثة
ايام حتى تراد الي حالي فبينا انا كذلك اذ اقبل البطريق وهو يريد ان يتزوجها
فامرت بفرسي فحول واغلق علي الباب الذي انا فيه واذا هو بطريق كبير فيهم دموا عليها
لخطبتها فاخبره من كان هناك بان هذا البيت فيه رجل وله فرس فهم بالهجوم
علي فمنعته من ذلك المراة وارسلت تقول له ان فتح عليه الباب لم اقض حاجته
فثناه ذلك عن الهجوم علي واقام البطريق الى اخر النهار راضيا فهم ثم ركب

فرسه وركب معه اصحابه وانطلق قال البطال فتمضيت في اثرهم فهممت ان اغنمهم
خوفا على نفسي فلم ازل وسقت حتى لحقتهم فحملت عليهم فانفرج عنه اصحابه واراد الفرار
فالحقته فضربت عنقه واستلبته واخذت راسه مسمطا على فرسي ورجعت الى الدير
فخرجن الي وهن بين يدي فقلت اركبن فركبن ما هنالك من الدواب وسقتهن
حتى اتيت امير الجيش فدفعتهن اليه فنفلني ما شئت منهن فاخذت تلك المراة
الحسنا بعينها فهي ام اولادي والبطريق في لغة الروم عبارة عن الامير الكبير فيهم وكان
ابوها بطريقا كبيرا فيهم يعني تلك المراة وكان البطال بعد ذلك يكاتب ابوها
ويهاديه وذكر محمد بن عايذ عن الوليد سمع عبد الله بن راشد مولى خزاعة يخبر عن
من سمع من البطال ان عبد الملك بن مروان لما ولاه المصيصة بعث البطال
سرية الى ارض الروم فغاب عنه خبرها فلم يدر ما صنعوا فركب بنفسه وحده على فرس
له وسار حتى وصل الى عمورية فطرق بابها ليلا فقال له البواب من هذا قال
البطال فقلت له انا سياف الملك ورسوله الى البطريق فاخذ لي طريقا اليه فلما
دخلت عليه اذا هو جالس على سرير فجلست معه على السرير الى جانبه ثم قلت له اني
قد جئتك في رسالة فمر هولاء فلينصرفوا فامر من عنده فذهبوا قال ثم قام فغلق
باب الكنيسة علي وعليه ثم جاء فجلس مكانه فاخترطت سيفي وضربت به راسه صفحا
وقلت له انا البطال فاصدقني عن السرية التي ارسلتها الى بلادك والا ضربت
عنقك الساعة فاخبرني ما خبرهم فقال هم في بلادي ينتهبون ما تهيا لهم وهذا
كتاب قد جاني يخبرني انهم في وادي كذا وكذا والله لقد صدقتك قلت هات الامان
فاعطاني الامان فقلت ائتني بطعام فامر اصحابه فجاوا بطعام فوضع لي فاكلت
ثم قمت لانصرف فقال لاصحابه اخرجوا بين يدي رسول الملك فانطلقوا يتعادون
بين يدي وانطلقت الى ذلك الوادي الذي ذكر فاذا اصحابي هنالك فاخذتهم ورجعت
الى المصيصة فهذا اغرب ما جرى قال الوليد واخبرني بعض شيوخنا انه راى
البطال وقد قفل من حجته وكان قد شغل بالجهاد عن الحج وكان يسال الله دايما
الحج ثم الشهادة فلم يتمكن من الحج الا في السنة التي استشهد فيها رحمه الله
تعالى وكان سبب شهادته ان ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة
الف فارس فبعث البطريق الذي البطال متزوج بابنته التي ذكرنا امرها الى البطال
يخبره بذلك فاخبر البطال امير عساكر المسلمين بذلك وكان الامير مالك بن شبيب
وقال للامير ان المصلحة تقتضي ان تتحصن في مدينة حران فنكون بها حتى يقدم علينا
سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية فابى عليه ذلك ودهمهم الجيش فاقتتلوا قتالا
شديدا والبطال يجول بين يدي الابطال ولا يتجاسر احد ان ينوه باسمه خوفا عليه
من الروم فاتفق ان ناداه بعضهم وذكر اسمه غلطا منه فلما سمع ذلك فرسان
الروم حملوا عليه حملة واحدة فاقتلعوه من سرجه برماحهم فالقوه الى الارض وراى
الناس يقتلون ويأسرون وقتل الامير الكبير مالك بن شبيب وانكسر المسلمون وانطلقوا
الى تلك المدينة الخراب فتحصنوا فيها واصبح ليون فوقف على مكان المعركة فاذا
البطال باخر رمق فقال له ليون ما هذا يا ابا يحيى فقال هكذا تقتل الابطال

فاستدعى

فاستدعى ليون بالاطبا ليداووه فاذا جراحه قد وصلت الى مقاتله فقال له ليون هل
من حاجة يا ابا يحيى قال نعم تامر من معك من اسارى المسلمين ان يلوا غسلي والصلاة علي
ودفني ففعل الملك ذلك واطلق لاجل ذلك اولئك الاسارى وانطلق ليون الى اوليك
المسلمين الذين تحصنوا فحاصرهم فبينما هم في تلك الشدة والحصار اذ جاتهم البرد بقدوم
سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ففر ليون في جيشه الخبيث مدبرا راجعا الى
بلاده فقبحه الله فدخل القسطنطينية وتحصن بها قال خليفة بن خياط كانت
وفاة البطال او مقتله بارض الروم في سنة احدى وعشرين ومائة وقال ابن جرير
في سنة ثنتين ومائة وقال ابن حسان الزيادي قتل في سنة ثلث عشرة ومائة ثلث
وقد قال غيره وانه قتل هو والامير عبد الوهاب بن بخت في سنة ثلث عشرة ومائة
كما ذكرنا ذلك والله اعلم ولكن ابن جرير لم يورخ وفاته الا في هذه السنة فالله اعلم قلت
فهذا ملخص ما ذكره ابن عساكر في ترجمة البطال مع تقصيه الاخبار واطلاعه عليها واما
ما يذكره العامة عن البطال من السيرة المنسوبة الى دلهمة والبطال والامير عبد الوهاب
والقاضي عقبة فكذب وافترا ووضع بارد وجهل وتخبيط فاحش لا يروج ذلك الا على
غبي او جاهل ردي كما يروج عليهم سيرة عنتر العبسي المكذوبة وكذلك سيرة البكري
والدنف وغير ذلك والكذب المفتعل في سيرة البكري اشد اثما واعظم جرما من غيرها
لان واضعها يدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
من النار

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

اياس الذكي وهو اياس بن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال بن رياب بن عبيد بن دريد بن
اوس بن سواه بن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن اوس بن عثمان بن عمرو
بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان هكذا نسبه خليفة بن
خياط وقيل غير ذلك في نسبه وهو ابو واثلة المزني قاضي البصرة وهو تابعي ولجده صحبة
وكان يضرب المثل بذكائه روى عن ابيه عن جده مرفوعا في الخيار وعن انس وسعيد بن
جبير وسعيد بن المسيب ونافع وابي مجلز وعنه الحمادان وشعبة والاصمعي وغيرهم قال
عنه محمد بن سيرين انه لفهم وقال محمد بن سعد والعجلي وابن معين والنسائي ثقة
زاد ابن سعد وكان عاقلا من الرجال فطنا وزاد العجلي وكان فقيها عفيفا وقد قدم
دمشق في ايام عبد الملك بن مروان ووفد على عمر بن عبد العزيز مرة اخرى حين عزل عدي
بن ارطاة عن قضاء البصرة قال ابو عبيدة وغيره تحاكم اياس وهو صبي شاب وشيخ الى
قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق فقال له القاضي انه شيخ وانت شاب فلا تساوه
في الكلام فقال اياس ان كان كبيرا فالحق اكبر منه فقال له القاضي اسكت فقال ومن يتكلم
بحجتي اذا سكت فقال القاضي ما احسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم فقال
اياس اشهد ان لا اله الا الله زاد غيره فقال القاضي ما اظنك الا ظالما له فقال
ما على ظن القاضي خرجت من منزلي فقام القاضي فدخل على عبد الملك فاخبره خبره فقال
اقض حاجته واخرجه فناظر بينهما فقهره اياس وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف
غيلان بالعجز واظهر التوبة فدعا عليه عمر بن عبد العزيز ان كان كاذبا فاستجاب الله منه

فامكن من غيلان فقتل وصلب بعد ذلك ولله الحمد والمنة ومن كلام اياس الحسن لين يكون
في فعال الرجل فضل عن مقاله خير من ان يكون في مقاله فضل عن فعاله وقال سفيان
ابن حسين ذكرت رجلا بسوء عند اياس بن معاوية فنظر في وجهي وقال اغزوت الروم
قلت لا قال فالسند والهند والترك قلت لا قال افسلم منك الروم والسند والهند
والترك ولم يسلم منك اخوك المسلم قال فلم اعد بعدها وقال الاصمعي عن ابيه رايت
اياس بن معاوية في بيت ثابت البناني واذا هو احمر طويل الذراع غليظ الثياب
تلوث عمامته وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه احد الا علاه وقد قال له بعضهم
ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك فقال افتسمعون اتكلم بباطل قالوا لا قال فتكلم بالحق فقال
كلما كثر الحق فهو خير ولامه بعضهم في لباسه الثياب الغليظة فقال انما البس ثوبا
يخدمني ولا البس ثوبا اخدمه وقال الاصمعي قال اياس بن معاوية اشرف خصال
الرجل صدق اللسان ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع باكرم اخلاقه وقال
بعضهم سيل اياس عن النبيذ فقال هو حرام فقال الرجل فاخبرني عن الماء فقال
حلال قال فالكشوث قال حلال قال فالتمر قال حلال قال فما باله اذا اجتمع حرم
فقال اياس ارايت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب اتوجعك قال لا قال فهذه
الحفنة من التبن قال لا توجعني قال فهذه الغرفة من الماء قال لا توجعني شيا قال
افرايت ان خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته استحجر ثم رميتك
ايوجعك قال اي والله وتقتلني قال فكذلك تلك الاشيا اذا اجتمعت وقال
المدايني بعث عمر بن عبد العزيز عدي بن ارطاة الى البصرة نايبا وامره ان يجمع بين
اياس والقاسم بن ربيعة الجوشي فايهما كان افقه فليوله القضا فقال اياس وهو يريد
ان لا يتولى ايها الرجل سل فقيهي البصرة الحسن وابن سيرين وكان اياس لا ياتيهما فعرف
القاسم انه ان سالهما اشارا به يعني بالقاسم لانه كان ياتيهما فقال القاسم
لعدي والله الذي لا اله الا هو ان اياسا افضل مني وافقه واعلم بالقضا فان كنت
صادقا فوله وان كنت كاذبا فما ينبغي ان توليه كذابا القضا فقال اياس هذا رجل اوقف
على شفير جهنم فافتدى منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها فقال عدي اما اذ فطنت
الى هذا فقد وليتك القضا فمكث سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم
واذا تبين له الحق حكم به ثم هرب الى عمر بن عبد العزيز الى دمشق فاستعفاه من القضا
فولى عدي بعده الحسن البصري قالوا ولما تولى اياس القضا بالبصرة فرح به العلما
حتى قال ايوب لقد رموها بحجرها وجاءه الحسن وابن سيرين فسلما عليه فبكى اياس
وذكر حديث القضاة ثلاثة قاضيان في النار وواحد في الجنة فقال الحسن وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله وكلا اتينا حكما وعلما قالوا ثم جلس للناس في المسجد
واجتمع عليه الناس للخصومات فما قام حتى فصل سبعين قضية حتى كان يشبه بشريح
القاضي وروي انه كان اذا اشكل عليه شي بعث الى محمد بن سيرين فسأله عنه وقال
اياس اني لاكلم الناس بنصف عقلي فاذا اختصم الي اثنان جمعت لهما عقلي كله وقال
له رجل انك لتعجب برايك فقال لولا ذلك لم اقض به وقال له اخر ان فيك خصالا
لا تعجبني قال ما هي قال تحكم قبل ان تفهم وتجالس كل احد وتلبس الثياب الغليظة فقال له

ايما

ايما اكثر الثلاثة او الاثنان فقال لما اسرع ما فهمت واجبت فقال لا يجهل هذا احد فقال
وكذلك ما احكم انا به واما مجالستي لكل احد فلان اجلس مع من يعرف لي قدري احب الي من
ان اجلس مع من لا يعرف لي قدري واما الثياب الغلاظ فانما البس منها ما يقيني لا ما اقيه
انا قالوا وتحاكم اليه اثنان فادعى احدهما عند الاخر مالا وجحده الاخر فقال اياس للمودع
اين اودعته قال عند شجرة في بستان فقال انطلق اليها فقف عندها لعلك تتذكر
وفي رواية انه قال له هل تستطيع ان تذهب اليها فتاتي بورق منها قال نعم قال
فانطلق وجلس الاخر فجعل اياس يحكم بين الناس ويلاحظه ثم استدعاه فقال له اوصل
صاحبك بعد الى المكان فقال لا بعد اصلحك الله فقال له قم يا عدو الله فاد اليه
حقه والا جعلتك نكالا وجاء ذلك الرجل فقام معه فدفع اليه وديعته بكمالها وجاءه
اخر فقال له اني قد اودعت عند فلان مالا وقد جحدني فقال له اذهب الان وايتني
غدا وبعث من فوره الى ذلك الرجل الجاحد فقال له انه قد اجتمع عندنا ههنا مال ولم
نر له امينا نضعه عنده الا انت فضعه عندك في مكان حريز فقال له سمعا وطاعة
فقال له اذهب الان وايتني غدا واصبح ذلك الرجل صاحب الحق فجاءه فقال له اياس امض
الان اليه فقل له اعطني حقي والا رفعتك الى القاضي فذهب اليه فقال له ذلك فخاف
ان لا يودع اذا سمع الحاكم خبره فدفع اليه ماله بكماله فجاء الى اياس فاعلمه ثم جاء ذلك
الرجل من الغد رجاء ان يودع فانتهره اياس وطرده وقال له انت خاين وتحاكم اليه اثنان
في جارية فادعى المشتري انها ضعيفة العقل فقال لها اياس اي رجليك اطول فقالت
هذه فقال لها اتذكرين ليلة ولدت فقالت نعم فقال للبايع رد رد وروي عن
عسكر ان اياسا سمع صوت امراة من بيتها فقال هذه امراة حامل بصبي فلما ولدت
ولدت كما قال فسيل بم عرفت فقال سمعت صوتها ونفسها معا فعلمت انها حامل
وفي صوتها صحل فعلمت انه غلام قالوا ثم مر يوما ببعض المكاتب فاذا صبي هنالك
فقال ان كنت ادري شيا فهذا الصبي ابن تلك المراة فاذا هو ابنها وقال ابن مالك
عن الزهري عن ابي بكر قال شهد رجل عند اياس فقال له ما اسمك فقال له ابو العنبر
فلم يقبل شهادته وقال الثوري عن الاعمش دعوني الى اياس فاذا رجل كلما فرغ من حديث
اخذ في اخر وقال اياس كل رجل لا يعرف عيب نفسه فهو احمق فقيل له فما عيبك قال
كثرة الكلام قالوا ولما ماتت امه بكى عليها فقيل له في ذلك فقال كان لي بابان مفتوحان
الى الجنة فغلق احدهما وقال له ابوه ان الناس يلدون ابناء وولدت انا ابا وكان اصحابه
يجلسون حوله ويكتبون عنه الفراسة فبينما هم حوله جلوس اذ نظر الى رجل قد جاء
فجلس على دكة حانوت وجعل كلما مر احد ينظر اليه ثم قام فنظر في وجه رجل ثم عاد
فقال لاصحابه هذا فقيه كتاب قد ابق له غلام اعور وهو يتطلبه فقاموا الى ذلك
الرجل فسالوه فوجدوه كما قال اياس فقالوا لاياس من اين عرفت ذلك فقال
لما جلس على تلك الحانوت علمنا انه ذو ولاية ثم نظرت فاذا هو لا يصلح الا لفقاهة
المكتب ثم جعل ينظر الى كل من مر به فعرفت انه قد فقد غلاما ثم لما قام فنظر في
وجه ذلك الرجل من الجانب الاخر عرفنا ان غلامه اعور وقد اورد ابن خلكان اشيا
كثيرة في ترجمته من ذلك انه شهد عنده رجل في بستان فقال له كم عدد اشجاره

فقال له كم عدد جذوع هذا المجلس الذي انت فيه من مدة سنين فقلت لا ادري واقرّ
شهادته وجاءه رجل قد اودع اخر دنانير في وعاء مختوم ثم غاب عنه مدة ثم جا يطلبه
منه فدفعه اليه بختمه كما هو ففتحه فاذا الموجود دراهم فقال له اياس منذ كم اودعته فقال
من نحو خمس سنين فقال للاخر كما يقول قال نعم فامر ان يقرا تاريخ تلك الدراهم
فاذا فيها ما تاريخه سنة وسنتين وثلث واربع وخمس بعدما اودعه فقال له يا خاين
ثم فادفع اليه دنانيره والا جعلتك نكالا فقام فدفع اليه الذهب الذي اودعه والله سبحانه
اعلم قال خليفة بن خياط توفي اياس بواسط وكذلك قال غير واحد في سنة ثنتين
وعشرين ومائة وروى الحسن الطبراني عن ابي الحسن المدايني عن ابي اسحاق بن حفص
بن نوح قال قيل لاياس بن معاوية فيك اربع خصال دمامة وكثرة كلام واعجاب بنفسك
وتعجيل بالقضا قال اما الدمامة فالامر فيها الى غيري واما كثرة الكلام فبصواب
اتكلم ام بخطا فقالوا بصواب قال فالاكثار من الصواب امثل واما اعجابي بنفسي افيعجبكم
ما ترون مني قالوا نعم قال فانا احق ان اعجب بنفسي واما قولكم انك تعجل بالقضا فكم
هذه واشار باصابعه الخمسة قالوا خمسة قال عجلتم الا قلتم واحد واثنين واربعة
وثلثة وخمسة قالوا كيف تعد شيا قد عرفناه قال وكذلك انا لا احبس شيا قد
تبين لي فيه الحكم وروى يزيد بن هارون عن الثوري عن ابي بشر قال الطاف الناس باياس
بن معاوية يسالونه عن هذه الاية انه لا يحب المسرفين قال الاسراف ما قصرت فيه عن
حق الله عز وجل وقال غيره ما قصرت به عن حق الله وقال ابو الوليد الطيالسي ثنا
حماد بن سلمة قال سمعت اياس بن معاوية يقول كل رطب للتكرير يزيد في الدماغ وقال
اياس كان افضلهم عندهم يعني الماضين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم
اسلمهم صدرا واقلهم غيبة وقال الطبراني ثنا احمد بن داود المكي ثنا ابراهيم بن زكريا
العبدسي ثنا نديك بن سليمان ثنا خليفة بن حميد عن اياس بن معاوية عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبر تكبيرة عند غروب الشمس على ساحل البحر
رافعا صوته اعطاه الله عز وجل من الاجر بعدد كل قطرة في البحر عشر حسنات ومحا عنه
عشر سيئات ورفع له عشر درجات ما بين الدرجتين مسيرة مائة عام بالفرس المسرع كذا
رواه الطبراني وهو غريب وقال الحسن بن سفيان ثنا المتوكل ثنا بكر بن بشر العسقلاني
ثنا عبد الحميد بن سوار حدثني اياس بن معاوية بن قرة قال كنا عند عمر بن عبد العزيز
فذكر عنده الحيا فقيل الحيا من الدين فقال عمر بل هو الدين كله فقال اياس حدثني ابي
عن جدي قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الحيا فقالوا يا رسول الله الحيا
من الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو الدين كله ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الحيا والعفاف والعي عي اللسان لا عي القلب والعمل من الايمان
وانهن يزدن في الاخرة وينقصن من الدنيا وما يزدن في الاخرة اكثر مما ينقصن من الدنيا
وان الشح والفحش والبذا من النفاق وانهن يزدن في الدنيا وينقصن من الاخرة وما
ينقصن من الاخرة اكثر مما يزدن في الدنيا قال اياس فامرني عمر بن عبد العزيز فامليتها
عليه وكتبها بخطه ثم صلى بنا الظهر وانها لفي كمه ما يضعها اعجابا بها

ثم دخلت سنة ثلث وعشرين ومائة

محمد بن

ذكر

ذكر المدايني عن شيوخه ان خاقان ملك الترك لما قتل في ولاية اسد بن عبد الله القسري
على خراسان تفرق شمل الاتراك وجعل بعضهم يغير على بعض وبعضهم يقتل بعضا حتى
كادت ان تخرب بلادهم واشتغلوا عن المسلمين فيها سال اهل الصغد من امير خراسان
نصر بن سيار ان يردهم الى بلادهم وسالوه شروطا انكرها العلما منها ان لا يعاقب
من ارتد منهم عن الاسلام ولا يوخذ اسرا المسلمين منهم وغير ذلك فاراد ان يوافقهم
على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين فعاب عليه الناس ذلك فكتب الى هشام في ذلك
فتوقف ثم لما راى ان هولاء اذا استمروا على معاندتهم للمسلمين كان ضررهم اشد اجابهم
الى ذلك وقد بعث يوسف بن عمر امير العراق وفدا الى امير المومنين يساله ان يضم اليه
نيابة خراسان وتكلموا في نصر بن سيار بانه وان كان شهما شجاعا الا انه قد كبر وضعف
بصره فلا يعرف الرجل الا من قريب بصوته وتكلموا فيه كلاما كثيرا فلم يلتفت الى ذلك
هشام واستمر به على امرة خراسان وولايتها قال ابن جرير وحج بالناس فيها يزيد بن هشام
بن عبد الملك وكذا العمال فيها من تقدم ذكرهم في التي قبلها وتوفي في هذه السنة ربيعة
بن يزيد القصير من اهل دمشق وابو يونس سليمان بن جبير وسماك بن حرب ومحمد بن
واسع بن جابر وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل ولله الحمد قال محمد بن واسع اول
من يدعى يوم القيمة الى الحساب القضاة وقال خمس خصال يميتن القلب الذنب على
الذنب ومجالسة الموتى قيل له ومن الموتى قال كل غني مترف وسلطان جاير وكثرة
مشافهة النسا وحديثهن وملاحاة الاحمق تقول له ويقول لك وكثرة مشاهدة الباطل
واشاعته ومخالطة اهله وقال مالك بن دينار اني لاغبط الرجل يكون عيشه كفافا
فيقنع به فقال محمد بن واسع اغبط منه والله عندي من يصبح جايعا وهو عن الله راض
وقال ما اسى من الدنيا الا على ثلاث صاحب اذا اعوججت قومني وصلاة في جماعة يحمل
عني سهوها واجر فضلها وقوت من الدنيا ليس لاحد فيه منة ولا لله علي فيه تبعة
وروى زياد بن الربيع عن ابيه قال رايت محمد بن واسع بسوق مرو وهو يعرض حمارا له للبيع
فقال له رجل اترضاه لي فقال لو رضيته لم ابعه ولما ثقل محمد بن واسع كثر عليه الناس
في العيادة قال بعض اصحابه فدخلت عليه فاذا قوم قعود واخرون قيام فقال
ماذا يغني هولاء عني اذا اخذ بناصيتي وقدمي غدا والقيت في النار وبعث بعض الخلفا
مالا يستكثر الى البصرة ليفرق في فقرا اهلها وامر ان يدفع الى محمد بن واسع منه فلم
يقبله ولم يلتمس منه شيا واما مالك بن دينار فانه قبل ما امر له به واشترى به ارقا
واعتقهم ولم ياخذ لنفسه منه شيا فجاءه محمد بن واسع يلومه على قبوله جوايز السلطان
فقال له يا مالك قبلت جوايز السلطان فقال له مالك يا ابا عبد الله سل اصحابي
ماذا فعلت فيه فقالوا له انه اشترى به ارقا واعتقهم فقال له اسالك بالله قلبك
الان له على ما كان قبل ان يصلوك فقال ما لك وحثى على راسه التراب وقال
انما يعرف الله مثل محمد بن واسع انما يعبد الله مثل محمد بن واسع انما مالك حمار انما مالك
حمار وكلام محمد بن واسع كثير جدا رحمه الله

ثم دخلت سنة اربع وعشرين ومائة

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فلقي ملك الروم اليون فقاتله

ح ٢
اي مجالستهن

وسلم سليمان وغنم ومنها قدم جماعة من دعاة بني العباس من بلاد خراسان قاصدين
الى مكة فمروا بالكوفة فبلغهم ان في السجن جماعة من الامرا من نواب خالد القسري قد
حبسهم يوسف بن عمر فاجتمعوا بهم في السجن فدعوهم الى البيعة لبني العباس واذا عندهم
من ذلك جانب كبير فقبلوا منهم ووجدوا عندهم في السجن وكان محبوسا فاعجبهم شهامته
وقوته واستجابته مع مولاه الى هذا الامر فاشتراه بكير بن ماهان منه باربع مائة درهم
وخرجوا به معهم فاستنسبوه لهذا الامر فكانوا لا يوجهونه الى مكان الا ذهب ونتج
ما يوجهونه اليه ثم كان من امره ما سنذكره ان شا الله تعالى فيما بعد قال الواقدي وتوفي
في هذه السنة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو الذي يدعون اليه دعاة بني العباس
فقام مقامه ولده ابو العباس السفاح والصحيح انه انما توفي في التي بعدها قال
الواقدي وابو معشر وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ومعه امراته
ام مسلم بنت هشام بن عبد الملك وقيل انما حج بالناس محمد بن هشام بن اسماعيل قاله
الواقدي اولا ذكره ابن جرير والله اعلم وكان نايب الحجاز محمد بن هشام يقف على باب
ام مسلم ويهدي اليها الالطاف والتحف ويعتذر اليها من التقصير وهي لا تلتفت
الى ذلك ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها ومنها توفي القاسم بن ابي بزة
ابو عبد الله المكي القاري مولى عبد الله بن السايب تابعي جليل روى عن ابي الطفيل
عامر بن واثلة وعنه جماعة ووثقه الايمة توفي في هذه السنة على الصحيح وقيل بعدها
بسنة وقيل سنة اربع عشرة وقيل خمس عشرة فالله اعلم الزهري محمد بن مسلم بن
عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحرث بن زهرة بن كلاب بن
مرة ابو بكر القرشي الزهري احد الاعلام من ايمة الاسلام تابعي جليل سمع غير واحد من الصحابة
وروى عنه غير واحد من التابعين وغيرهم روى الحافظ ابن عساكر عن الزهري قال
اصاب اهل المدينة جهد شديد فارتحلت الى دمشق وكان عندي عيال كثيرة فجيت
جامعها فجلست في اعظم حلقة به فاذا رجل قد خرج من عند امير المومنين عبد
الملك فقال انه قد نزل بامير المومنين مسالة وكان قد سمع من سعيد بن المسيب
فيها شيا وقد شذ عنه في امهات الاولاد يروى عن عمر بن الخطاب فقلت اني احفظ عن
سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال فاخذني فادخلني على عبد الملك فسالني ممن انت
فانتسبت له وذكرت له حاجتي وعيالي فسالني هل تحفظ القران قلت نعم والفرايض
والسنن فسالني عن ذلك كله فاجبته فقضى ديني وامر لي بجايزة وقال لي اطلب العلم
فاني ارى لك عينا حافظة وقلبا ذكيا قال فرجعت الى المدينة اطلب العلم واتتبعه
فبلغني ان امراة بقبا رات رويا عجيبة فاتيتها فسالتها عن ذلك فقالت ان بعلي
غاب وترك لنا خادما وداجنا ونخيلات نشرب من لبنها وناكل من تمرها فبينما انا
بين النايمة واليقظة رايت كان ابني الكبير وكان مشتدا قد اقبل فاخذ الشفرة
فذبح ولد الداجن وقال ان هذا يضيق علينا اللبن ثم نصب القدر وقطعها ووضعها
فيه ثم اخذ الشفرة فذبح بها اخاه واخوه صغير كما قد جا ثم استيقظت مذعورة
فدخل ولدي الكبير فقال اين اللبن فقلت يا بني شربه ولد الداجن فقال انه قد ضيق
علينا اللبن ثم اخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر فبقيت مشفقة خايفة

مما رايت

مما رايت فاخذت ولدي الصغير فغيبته في بعض بيوت الجيران ثم اقبلت الى المنزل
وانا مشفقة جدا مما رايت فاخذتني عيني فنمت فرايت في المنام قايلا يقول لي مالك
مغتمة فقلت اني رايت مناما فانا احذر منه فقال يا رويا يا رويا فاقبلت امراة من
حسنا جميلة فقال لها ما اردت من هذه المراة الصالحة قالت ما اردت الا خيرا ثم قال
يا احلام يا احلام فاقبلت امراة دونها في الجمال والحسن فقال لها ما اردت الى هذه
المراة الصالحة فقالت ما اردت الا خيرا ثم قال يا اضغاث يا اضغاث فاقبلت
امراة سودا شعثة فقال لها ما اردت الى هذه المراة الصالحة فقالت انها امراة صالحة
فاحببت ان اغمها ساعة ثم استيقظت فجا ابني فوضع الطعام وقال اين اخي فقلت
له درج الى بيوت الجيران فذهب وراه فكانما هدي اليه فاقبل به يقبله ثم جا فوضعه
وجلسنا جميعا فاكلنا من ذلك الطعام ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين
في اخر خلافة معاوية وكان قصيرا قليل اللحية له شعرات طوال خفيف العارضين
قالوا وقد قرا القران في نحو من ثمانين يوما وجالس سعيد بن المسيب ثمان سنين
او عشر سنين تمس ركبته ركبته وكان يخدم عبيد الله بن عبد الله يستقي له الما
المالح ويدور على مشايخ الحديث ومعه الواح يكتب فيها عنهم الحديث ويكتب عنهم
كلما سمع منهم حتى صار من اعلم الناس او اعلمهم في زمانه وقد احتاج اهل عصره اليه وقال
عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هولاء الامرا
فراينا ان لا نمنعه احدا من المسلمين وقال ابو اسحاق كان الزهري يرجع من عند عروة
فيقول لجارية عنده فيها لكنة ثنا عروة ثنا فلان ويسرد عليها ما سمعه منه فتقول
له الجارية والله ما ادري ما تقول فيقول لها اسكتي لكاع فاني لا اريدك انما اريد نفسي
ثم وفد على عبد الملك دمشق كما تقدم فاكرمه وقضى دينه وفرض له في بيت المال
ثم كان بعد من اصحابه وجلسايه ثم كان كذلك عند اولاده من بعده الوليد وسليمان
وكذلك عند عمر بن عبد العزيز وعند يزيد بن عبد الملك واستقضاه يزيد مع سليمان
بن حبيب ثم كان حظيا عند هشام وحج معه وجعله معلم اولاده الى ان توفي في هذه
السنة قبل هشام بسنة وقال ابن وهب سمعت الليث يقول قال ابن شهاب ما استودعت
قلبي شيا قط فنسيته قال وكان يكره اكل التفاح وسور الفار ويقول انه ينسي وكان
يشرب العسل ويقول انه يذكي وفيه يقول فايد بن اقرم

ذر ذا واثن على الكريم محمد * واذكر فواضله على الاصحاب
واذا يقال من الجواد بماله * قيل الجواد محمد بن شهاب
اهل المداين يعرفون مكانه * وربيع نادية على الاعراب
يشري وفا جفانه ويمدها * بكسور اثباج وفتق لباب

وقال ابن مهدي سمعت مالكا يقول حدث الزهري يوما بحديث فلما قام اخذت
بلجام دابته فاستفهمته فقال استفهمني ما استفهمت عالما قط ولا رددت على عالم
قط ثم جعل ابن مهدي يقول فتلك الطوال وتلك المغازي وروى يعقوب بن سفيان
عن هشام بن خالد السلامي عن الوليد بن مسلم عن سعيد يعني ابن عبد العزيز ان هشام
ابن عبد الملك سال الزهري ان يكتب لبنيه شيا من حديثه فاملى على كاتب اربع مائة حديث

ثم خرج على اهل الحديث فحدثهم بها ثم ان هشاما قال للزهري ان ذلك الكتاب ضاع فقال لا عليك فاملى عليهم تلك الاحاديث ثم اخرج هشام الكتاب الاول فاذا هو لم يغادر حرفا واحدا وانما اراد هشام امتحان حفظه وقال عمر بن عبد العزيز ما رايت احدا احسن سوقا للحديث اذا حدث من الزهري وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ما رايت احدا انص للحديث من الزهري ولا اهون من الدينار والدرهم عنده وما الدراهم والدنانير عند الزهري الا بمنزلة البعر قال عمرو بن دينار لقد جالست جابرا وابن عباس وابن عمر وابن الزبير فما رايت احدا اسبق للحديث من الزهري ولا اهون من الدينار والدرهم عنده وقال الامام احمد احسن الناس حديثا واجودهم اسنادا الزهري وقال النسائي احسن الاسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد عن الزهري مكثت خمسا واربعين سنة اختلف من الحجاز الى الشام ومن الشام الى الحجاز فما كنت اسمع حديثا استطرفه وقال الليث ما رايت عالما قط اجمع من ابن شهاب ولو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب لقلت ما يحسن غير هذا وان حدث عن الانبياء واهل الكتاب قلت لا يحسن الا هذا وان حدث عن الاعراب والانساب قلت لا يحسن الا هذا وان حدث عن القران والسنة كان حديثه بدعا جامعا وكان يقول اللهم اني اسالك من كل خير احاط به علمك في الدنيا والاخرة واعوذ بك من كل شر احاط به علمك في الدنيا والاخرة قال الليث وكان الزهري اسخى من رايت كان يعطي كل من جاء وساله حتى اذا لم يبق عنده شي استسلف وكان يطعم الناس الثريد ويسقيهم العسل وكان يسمر على شراب العسل كما يسمر اهل الشراب على شرابهم ويقول اسقونا وحدثونا فاذا نعس احدهم يقول له ما انت من سمار قريش وكانت له قبة معصفرة وعليه ملحفة معصفرة وتحته بساط معصفر وقال الليث قال يحيى بن سعيد ما بقي عند احد من العلم ما بقي عند ابن شهاب وقال عبد الرزاق انبا معمر قال قال عمر بن عبد العزيز عليكم بابن شهاب فانه ما بقي احد اعلم بسنة ماضية منه وكذا قال مكحول وقال ايوب ما رايت احدا اعلم من الزهري فقيل له ولا الحسن فقال ما رايت اعلم من الزهري وقيل لمكحول من اعلم من لقيت قال الزهري قيل ثم من قال الزهري وقال مالك كان الزهري اذا دخل المدينة لم يحدث بها احد حتى يخرج وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة محدثوا اهل الحجاز ثلاثة الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج وقال علي بن المديني الذين افتوا اربعة الزهري والحكم وحماد وقتادة والزهري افقههم وقال الزهري ثلث اذا كن في القاضي فليس بقاض اذا كره الملاوم واحب المحامد وكره العزل وقال احمد بن صالح وقال احمد بن صالح كان يقال فصحاء زمانهم الزهري وعمر بن عبد العزيز وموسى بن طلحة وعبيد الله رحمهم الله وقال مالك عن الزهري انه قال ان هذا العلم الذي ادب الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وادب رسوله به امته امانة الله الى رسوله ليؤديه على ما ادي اليه فمن سمع علما فليجعله امامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل وقال محمد بن الحسين عن يونس عن الزهري قال الاعتصام بالسنة نجاة وقال الوليد عن الاوزاعي عن الزهري قال امروا احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت وقال محمد بن اسحاق عن الزهري ان من غوائل العلم ان يتركه العالم حتى يذهب

علم

علمه وفي رواية ان يترك العالم العمل بالعلم حتى يذهب فان من غوائله قلة انتفاع العالم بعلمه ومن غوائله النسيان والكذب وهو اشد الغوائل وقال ابو زرعة عن نعيم بن حماد عن محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال القراة على العالم والسماع عليه سوا ان شا الله تعالى وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال اذا طال المجلس كان للشيطان فيه حظ ونصيب وقد قضى عنه هشام بن عبد الملك ثمانين الف درهم وفي رواية سبعة عشر الفا وفي رواية عشرين الفا وقال الشافعي عتب رجا بن حيوة على الزهري في الاسراف وكان يستدين فقال له لا آمن ان يحبس هولاء القوم ايديهم عنك فتكون قد حملت على امانتك قال فوعده الزهري ان يقصر فمر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل فوقف به رجا فقال يا ابا بكر ما هذا بالذي فارقتنا عليه فقال له الزهري انزل فان السخي لا تؤدبه التجارب وقد انشد بعضهم في هذا المعنى

له سحائب جود في انامله • امطارها الفضة البيضا والذهب
يقول في العسر ان ايسرت ثانية • اقصرت عن بعض ما اعطي وما اهب
حتى اذا عاد ايام اليسار له • رايت امواله في الناس تنتهب

وقال الواقدي ولد الزهري سنة ثمان وخمسين وقدم في سنة اربع وعشرين ومائة الى امواله بثلثة شغب وبدا فاقام بها فمرض هناك ومات واوصى ان يدفن على قارعة الطريق وكانت وفاته لسبع عشرة من رمضان من هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة قال الواقدي وكان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيها جامعا وقال الحسين بن المتوكل العسقلاني رايت قبر الزهري بشغب وبدا من فلسطين مسنما مجصصا وقد وقف الاوزاعي يوما على قبره فقال يا قبر كم فيك من علم وحلم يا قبر كم فيك من علم ومن كرم وكم جمعت روايات واحكاما وقال الزبير بن بكار توفي الزهري باموال بشغب وبدا ليلة الثلثا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة عن ثنتين وسبعين سنة ودفن على قارعة الطريق ليدعو له المارة وقيل انه توفي سنة ثلث وعشرين ومائة وقال ابو معشر سنة خمس وعشرين ومائة والصحيح الاول والله اعلم **فصل** روى الطبراني عن اسحاق بن ابراهيم ثنا عبد الرزاق عن معمر قال اخبرني صالح بن كيسان قال اجتمعت انا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال لي هلم فلنكتب ما جاء عن الصحابة فانه سنة فقلت انها ليس بسنة فلا نكتبه قال فكتب ما جاء عنهم ولم اكتب فانجح وضيعت وروى الامام احمد عن معمر قال كنا نرى انا قد اكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه يقول من علم الزهري وروي عن الليث بن سعد قال وضع الطست بين يدي ابن شهاب فتذكر حديثا فلم تزل يده في الطست حتى طلع الفجر حتى صححه وروى اصبغ بن الفرج عن ابن وهب عن يونس عن الزهري قال للعلم واد فاذا هبطت واديه فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه فانك لا تقطعه حتى يقطع بك وقال الطبراني ثنا احمد بن يحيى ثعلب ثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن بن زبالة عن مالك بن انس عن الزهري قال خدمت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى ان كان خادمه ليخرج فيقول من بالباب

فتقول الجارية غلامك الاعيمش فننظر الى غلامه واذ كنت لاخدمه حتى استقي له وضوءه
وروى عبد الله بن احمد عن محمد بن عباد عن الثوري عن مالك بن انس راه عن الزهري
قال نبحت سعيد بن المسيب ثلاثا بابرنه طلب حديث وروى الاوزاعي عن الزهري
قال كنا نأتي العالم فما نتعلم من ادبه احب الينا من علمه وقال سفيان كان الزهري
يقول حدثني فلان وكان من اوعية العلم ولا يقول كان عالما وقال مالك اول من دون
العلم ابن شهاب وقال ابو المليح كان هشام هو الذي اكره الزهري على كتابة الحديث فكان
الناس يكتبون بعد ذلك وقال رشدين بن سعد قال الزهري العلم خزائن وتفتحها المسائل
وقال الزهري كان يصطاد العلم بالمسألة كما يصطاد الوحش وكان ابن شهاب ينزل
بالاعراب يعلمهم لئلا ينسى العلم وقال انما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة وقال
ان هذا العلم ان اخذته بالمكابرة غلبك ولم تظفر منه بشي ولكن خذه مع الايام والليالي
اخذا رفيقا تظفر به وقال ما احدث الناس مروءة اعجب الي من الفصاحة وقال
العلم ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال وفي رواية قال الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال
ويكرهه مؤنثوهم ومر الزهري على ابي حازم وهو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما لي ارى حديثك احاديث ليس لها خطم ولا ازمة وقال ما عبد الله بشي افضل
من العلم وقال ابن ابي عاصم ثنا دحيم ثنا الوليد بن مسلم عن القاسم بن هزان انه
سمع الزهري يقول لا يوثق الناس علم عالم لا يعمل به ولا يرضى بقول عالم لا يرضى وقال
ضمرة عن يونس عن الزهري قال اياك وغلول الكتب قلت وما غلولها قال حبسها
عن اهلها وروى الشافعي عن مالك عن الزهري قال حضور المجلس بلا نسخة ذل وروى
الاصمعي عن مالك بن انس عن ابن شهاب قال جلست الى ثعلبة بن ابي صعير فقال
اراك تحب العلم قلت نعم قال فعليك بذاك الشيخ يعني سعيد بن المسيب قال
فلزمت سعيدا سبع سنين ثم تحولت من عنده الى عروة ففجرت ثبج بحره وقال الليث
قال ابن شهاب ما صبر احد على العلم صبري ولا نشره احد قط نشري فاما عروة بن
الزبير فبير لا تكدره الدلاء واما ابن المسيب فانتصب للناس فذهب اسمه كل مذهب
وقال مكي بن عبدان ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد العزيز بن عبد الله الاويسي ثنا مالك
بن انس ان ابن شهاب ساله بعض بني امية عن سعيد بن المسيب فذكره بخير واخبره
بحاله فبلغ ذلك سعيدا فلما قدم ابن شهاب المدينة جاء فسلم على سعيد فلم يرد
عليه ولم يكلمه فلما انصرف سعيد مشى الزهري معه فقال ما لي سلمت عليك فلم تكلمني
ماذا بلغك عني وما قلت الا خيرا قال له ذكرتني لبني مروان وقال ابو حاتم ثنا مكي بن
عبدان ثنا محمد بن يحيى حدثني عطاف بن خالد المخزومي عن عبد الاعلى بن عبد الله بن
ابي فروة عن ابن شهاب قال اصاب اهل المدينة حاجة زمان فتنة عبد الملك بن مروان
فعمت اهل البلد وقد خيل الي انه قد اصابنا اهل البيت من ذلك ما لم يصب احدا
من اهل البلد وذلك لخبرتي باهلي فتذكرت هل من احد امت اليه برحم او مودة ارجو ان
خرجت اليه ان اصيب عنده شيا فما علمت من احد اخرج اليه ثم قلت ان الرزق بيد
الله عز وجل ثم خرجت حتى قدمت دمشق فوضعت رحلي ثم اتيت المسجد فنظرت
الى اعظم حلقة رايتها واكبرها فجلست فيها فبينما نحن على ذلك اذ خرج رجل من عند

امير المومنين

امير المومنين عبد الملك كاجسم الرجال واجمله واحسنه هيئة فجاء الى المجلس الذي
انا فيه فتحثحثوا له اي وسعوا له فجلس فقال لقد جاء امير المومنين اليوم كتاب
ما جاءه مثله منذ استخلفه الله قالوا ما هو قال كتب اليه عامله على المدينة هشام
بن اسماعيل يذكر ان ابنا لمصعب بن الزبير من ام ولد مات فارادت امه ان تأخذ ميراثها
منه فمنعها عروة بن الزبير وزعم انه لا ميراث لها فتوهم امير المومنين في ذلك حديثا
سمعه من سعيد بن المسيب يذكر عن امير المومنين عمر بن الخطاب في امهات الاولاد لا يحفظه
الان وقد شذ عنه ذلك الحديث قال ابن شهاب فقلت انا احدثه به فقام الى قبيصة
حتى اخذ بيدي ثم خرج حتى دخل الدار على عبد الملك فقال السلام عليك فقال
له عبد الملك مجيبا وعليكم السلام فقال قبيصة اندخل قال عبد الملك ادخل فدخل
قبيصة على عبد الملك وهو اخذ بيدي وقال هذا يا امير المومنين يحدثك بالحديث
الذي سمعته من ابن المسيب في امهات الاولاد فقال له عبد الملك ايه قال الزهري
فقلت سمعت سعيد بن المسيب يذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر بامهات الاولاد ان
يقومن في اموال ابنائهن بقيمة عدل ثم يعتقن فمكث بذلك صدرا من خلافته
ثم توفي رجل من قريش كان له ابن من ام ولد قد كان عمر يعجب بذلك الغلام فمر ذلك
الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة ابيه بليال فقال له عمر ما فعلت يا ابن اخي في امك
قال فعلت يا امير المومنين خيرا خيروني بين ان يسترقوا امي فقال له عمر اولست انما امرت
في ذلك بقيمة عدل ما ارى رايا ولا امرت بامر الا قلتم فيه ثم قام فجلس على المنبر فاجتمع
الناس اليه حتى اذا رضي من جماعتهم قال ايها الناس اني قد كنت امرت في امهات الاولاد
بامر قد علمتموه ثم حدث رأي غير ذلك فايما امرئ كانت عنده ام ولد فملكها بيمينه ما عاش
فاذا مات فهي حرة لا سبيل لاحد عليها فقال لي عبد الملك من انت قلت انا محمد
بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب فقال اما والله ان كان ابوك لاب نعارا في الفتنة موذيا
لنا فيها قال الزهري فقلت يا امير المومنين قل كما قال العبد الصالح لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم فقال اجل لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم قال فقلت يا امير
المومنين افرض لي فاني منقطع من الديوان فقال ان بلدك لبلد ما فرضنا فيه لاحد
منذ كان هذا الامر ثم نظر الى قبيصة وانا وهو قائمان بين يديه فكانه اومى اليه
ان افرض له فقال قد فرض لك امير المومنين فقلت وصله الله فقلت وصلة تصلني
بها يا امير المومنين فاني والله ما خرجت من عند اهلي الا وهم في شدة وحاجة ما يعلمها
الا الله وقد عمت الحاجة اهل البلد قال قد وصلك امير المومنين قال قلت يا امير
وخادم يخدمنا فان اهلي ليس لهم خادم الا اختي فانها الان تخبز وتعجن وتطحن قال
قد اخدمك امير المومنين وروى الاوزاعي عن الزهري انه روى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن فقلت للزهري ما هذا
فقال من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم امروا احاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما جاءت وعن ابن اخي ابن شهاب عن عمه قال كان عمر بن الخطاب
يامر برواية قصيدة لبيد بن ربيعة التي يقول فيها
ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي وعجل

احمد الله فلا ند له ۝ بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ۝ ناعم البال ومن شاء اضل

وقال الزهري دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة منزله فاذا هو مغتاظ ينفخ
فقلت ما لي اراك هكذا فقال دخلت على اميركم آنفا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد
الله بن عمرو بن عثمان فسلمت عليهما فلم يردا علي السلام فقلت

لا تعجبا ان تؤتيا فتكلما ۝ فما حشي الاقوام شر من الكبر
ومس تراب الارض منه خلقتما ۝ وفيها المعاد والمصير الى الحشر

فقلت يرحمك الله مثلك في فقهك وفضلك وسنك تقول الشعر فقال ان المصدور
اذا نفث برا وجاء شيخ الى الزهري فقال حدثني فقال انك لا تعرف اللغة فقال
الشيخ لعلي اعرفها فقال فما تقول في قول الشاعر

صريع ندامى يرفع الشرب راسه ۝ وقد مات منه كل عضو ومفصل

ما المفصل قال اللسان قال اغد علي احدثك وكان الزهري يتمثل كثيرا بهذا

ذهب الشباب فلا يعود جمانا ۝ وكان ما قد كان لم يك كانا
وطويت كفي يا جمان على العصا ۝ وكفى جمان بطيها حدثانا

وكان نقش خاتم الزهري محمد يسال الله العافية وقيل لابن اخي الزهري هل كان عمك يتطيب
قال كنت اشم ريح المسك من سوط دابة الزهري وقال استكثروا من شيء لا تمسه النار
قيل وما هو قال المعروف وامتدحه رجل مرة فاعطاه قميصه فقيل له اتعطي على كلام
الشيطان قال ان من ابتغاء الخير اتقاء الشر وقال سفيان سئل الزهري عن الزهد
قال من لم يمنع الحلال شكره ولم يغلب الحرام صبره وقال سفيان قالوا للزهري
لو انك الان في اخر عمرك اقمت بالمدينة فقعدت الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورحت وجلست الى عمود من اعمدته فذكرت الناس وعلمتهم فقال لو اني فعلت ذلك
لوطئ عقبي ولا ينبغي لي ان افعل ذلك حتى ازهد في الدنيا وارغب في الاخرة وكان مكحول
يحدث انه هلك في جبال بيت المقدس بضعة وعشرون نبيا ماتوا من الجوع
والقمل كانوا لا ياكلون الا ما عرفوا ولا يلبسون الا ما عرفوا وكان يقول العبادة هي
الورع والزهد والعلم هو الخشية والصبر هو احتمال المكاره والدعوة الى الله هي
العمل الصالح اخر الزيادة ۝ وممن توفي في خلافة هشام بن عبد الملك كما اورده
ابن عساكر بلال بن سعد بن تميم السكوني ابو عمرو وكان من الزهاد الكبار والعباد الصوام
القوام روى عن ابيه وكان ابوه له صحبة وعن جابر وابن عمر وابي الدرداء وغيرهم
وعنه جماعة منهم ابو عمرو الاوزاعي وكان الاوزاعي يكتب عنه ما يقوله من الفوائد العظيمة
في قصصه ووعظه وقال ما رايت واعظا قط مثله وقال ايضا ما بلغني عن احد
من العبادة ما بلغني عنه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة وقال غيره وهو الاصح
كان اذا نعس في ليل الشتاء القى نفسه بثيابه في البركة فعاتبه بعض اصحابه في ذلك
فقال ان ماء البركة اهون علي من صديد جهنم وقال الوليد بن مسلم كان اذا كبر
في المحراب سمعوا تكبيره من الاوزاع قلت وهي خارج باب الفراديس وقال احمد بن عبد
الله العجلي هو شامي تابعي ثقة وقال ابو زرعة الدمشقي كان احد العلماء كان قاصا

حسن

حسن القصص وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالقدر حتى قال بلال يوما في وعظه رب
مسرور مغرور ورب مغرور لا يشعر فويل لمن له الويل وهو لا يشعر ياكل ويشرب
ويضحك وقد حق عليه في قضاء الله انه من اهل النار فيا ويلا لك روحا ويا ويلا لك
جسدا فلتبك وليبك عليك البواكي لطول الابد وقد ساق ابن عساكر شيئا حسنا
من كلامه في مواعظه البليغة فمن ذلك قوله والله لكفى به ذنبا ان الله يزهدنا في
الدنيا ونحن نرغب فيها زاهدكم راغب وعالمكم جاهل ومجتهدكم مقصر وقال ايضا
اخ لك كلما لقيك ذكرك بنصيبك من الله واخبرك بعيب فيك احب اليك وخير
من اخ لك كلما لقيك وضع في كفك دينارا وقال ايضا لا تكن وليا لله في العلانية
وعدوه في السر ولا تكن عدو ابليس والنفس والشهوات في العلانية وصديقهم في السر
ولا تكن ذا وجهين وذا لسانين فتظهر للناس انك تخشى الله ليحمدوك وقلبك
فاجر وقال ايضا ايها الناس انكم لم تخلقوا للفناء وانما خلقتم للبقاء ولكنكم تنقلون
من دار الى دار كما نقلتم من الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى الدنيا ومن الدنيا الى
القبور ومن القبور الى الموقف ومن الموقف الى الجنة او النار وقال ايضا عباد
الرحمن انكم تعملون في ايام قصار لايام طوال في دار زوال لدار مقام ودار حزن
ونصب لدار نعيم وخلود ومن لم يعمل على يقين فلا يتعن عباد الرحمن لو قد غفرت
خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون لكم شغلا ولو عملتم بما تعلمون لكان لكم مقعدا
وملجا عباد الرحمن اما ما وكلتم به فتضيعونه واما ما تكفل الله لكم به فتطلبونه
ما هكذا نعت الله عباده الموقنين اذوو عقول في الدنيا وبله في الاخرة وعمي عما
خلقتم له بصراء في امر الدنيا فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعته فكذلك
اشفقوا من عذابه بما تنتهكون من معاصيه عباد الرحمن هل جاءكم مخبر يخبركم ان شيئا
من اعمالكم قد تقبل منكم او شيئا من خطاياكم قد غفر لكم افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستقللتم ما فرض عليكم
اترغبون في طاعة الله لتعجيل دار معمورة بالافات ولا ترغبون وتنافسون في جنة
اكلها دائم وظلها وعرضها الارض والسموات تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين
النار وقال ايضا الذكر ذكران ذكر الله باللسان حسن جميل وذكر الله عندما احل
وحرم افضل عباد الرحمن يقال لاحدنا تحب ان تموت فيقول لا فيقال له لم فيقول
حتى اعمل فيقال له اعمل فيقول سوف اعمل فلا يحب ان يموت ولا يحب ان يعمل واحب شيء
اليه ان يؤخر عمل الله ولا يحب ان يؤخر الله عنه عرض دنياه عباد الرحمن ان العبد ليعمل
الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد اضاع ما سواها فما يزال يمنيه الشيطان
ويزين له حتى ما يرى شيئا دون الجنة فقبل ان تعملوا اعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها
فان كانت خالصة لله فامضوها وان كانت لغير الله فلا تشقوا على انفسكم فان
الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا فانه قال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وقال ايضا الله ليس الى عذابكم بالسريع يقبل المقبل ويدعو
المدبر وقال ايضا اذا رايت الرجل متحرجا لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت
خسارته وقال الاوزاعي خرج الناس بدمشق يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد

فقال يا معشر من حضر السنتم مقرين بالاساءة قالوا نعم فقال اللهم انك قلت ما على المحسنين
من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فاعف عنا واغفر لنا قال فسقوا يومهم ذلك وقال
ايضا سمعته يقول لقد ادركت اقواما يشتدون بين الاغراض ويضحك بعضهم الى بعض
فاذا جنهم الليل كانوا رهبانا وسمعته ايضا يقول لا تنظر الى صغر الذنب وانظر من عصيت
وسمعته يقول من بادأك بالود فقد استرقك بالشكر وكان من دعائه اللهم اني اعوذ بك
من زيغ القلوب ومن تبعات الذنوب ومن مرديات الاعمال ومضلات الفتن وقال
الاوزاعي عنه انه قال لعباد الرحمن لو انكم لم تدعوا لله طاعة الا عملتموها ولا معصية
الا اجتنبتموها الا انكم تحبون الدنيا لكفاكم ذلك عقوبة عند الله عز وجل وقال
ان الله يغفر الذنوب لمن تاب منها ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها
يوم القيمة ترجمة الجعد بن درهم هو اول من قال بخلق القرآن وهو الذي ينسب اليه مروان
الجعدي وهو مروان الحمار اخر خلفاء بني امية كان شيخه الجعد بن درهم اصله من حران ويقال
انه من موالي بني مروان سكن الجعد دمشق وكانت له بها دار بالقرب من القلانسيين الى
جانب الكنيسة ذكره ابن عساكر قلت وهي محلة بالقرب من الخواصين اليوم غربيها عند
حمام القطانين الذي يقال له حمام قلينس قال ابن عساكر وغيره وقد اخذ الجعد بدعته
عن بيان بن سمعان واخذها بيان عن طالوت ابن اخت لبيد بن اعصم زوج ابنته واخذ لبيد
بن اعصم الساحر الذي سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يهودي باليمن واخذ عن الجعد
الجهم بن صفوان الخزري وقيل الترمذي وقد اقام ببلخ وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان
في مسجده ويتناظران حتى نفي الى ترمذ ثم قتل الجهم باصبهان وقيل بمرو وقتله
نائبها سلم بن احوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرا واخذ بشر المريسي عن الجهم واخذ احمد بن ابي
داود عن بشر واما الجعد فانه اقام بدمشق حتى اظهر القول بخلق القرآن فتطلبه
بنو امية فهرب منهم فسكن الكوفة فلقيه بها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه
ثم ان خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد يوم عيد الاضحى بالكوفة وذلك ان خالدا خطب
الناس فقال في خطبته تلك ايها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد
بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول
الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه في اصل المنبر وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخاري
وابن ابي حاتم والبيهقي وعبد الله بن احمد وذكره ابن عساكر في التاريخ وذكر انه كان يتردد
الى وهب بن منبه وانه كان كلما راح الى وهب يغتسل ويقول اجمع للعقل وكان يسأل وهبا
عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوما ويلك يا جعد اقصر المسألة عن ذلك اني
لاظنك من الهالكين لو لم يخبرنا الله في كتابه ان له يدا ما قلنا ذلك وان له عينا ما قلنا
ذلك وان له نفسا ما قلنا ذلك وان له سمعا ما قلنا ذلك وذكر الصفات من العلم
والكلام وغير ذلك ثم لم يلبث الجعد ان صلب ثم قتل ذكره ابن عساكر وذكر في ترجمته
انه قال للحجاج بن يوسف ويروى لعمران بن حطان

• ليث علي وفي الحروب نعامة • فتخاء تجفل من صفير الصافر •
• هلا برزت الى غزالة في الوغى • بل كان قلبك في جناحي طائر •

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

قال ابو بكر الحافظ البزار ثنا رزق الله بن موسى ثنا محمد بن اسماعيل بن ابي فديك ثنا عبد
الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة وكذا
رواه ابو يعلى في مسنده عن ابي كريب عن ابن ابي فديك عن عبد الملك بن زيد بن سعيد
بن نفيل عن مصعب بن مصعب عن الزهري به قلت وهذا حديث غريب ومنكر ومصعب
ابن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري تكلم فيه وضعفه علي بن الحسين بن الجنيد
وكذا تكلم في الراوي عنه ايضا والله اعلم وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة
من بلاد الروم وفي ربيع الاخر منها توفي امير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان

ذكر وفاته وترجمته رحمه الله

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس ابو الوليد
القرشي الاموي الدمشقي امير المؤمنين وامه ام هشام بنت هشام بن اسماعيل المخزومي
وكانت داره بدمشق عند باب الخواصين وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد
التي يقال لها النورية الكبيرة وتعرف بدار القبابين يعني الذين يبيعون القباب
وهي الخيام فكانت تلك المحلة كلها داره والله اعلم وقد بويع له بالخلافة بعد اخيه يزيد
بن عبد الملك بعهد منه اليه وذلك يوم الجمعة لاربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة
وكان له من العمر يومئذ اربع وثلاثون سنة وكان جميلا ابيض احول يخضب بالسواد وهو
الرابع من ولد عبد الملك الذين ولوا الخلافة وقد كان عبد الملك راى في المنام كانه
بال في المحراب اربع مرات فدس الى سعيد بن المسيب من سأله عنها ففسرها له بانه
يلي الخلافة من ولده اربعة فوقع ذلك فكان هشام اخرهم وكان في خلافته حازم الراي
جماعا للاموال يبخل وكان ذكيا مدبرا له بصر بالامور جليلها وحقيرها وكان فيه حلم واناة
شتم مرة رجلا من الاشراف فقال له اتشتمني وانت خليفة الله في الارض فاستحيا وقال
اقتص مني بدلها او قال بمثلها فقال اذا اكون سفيها مثلك قال فخذ عوضا منها قال
لا افعل قال فاتركها لله قال هي لله ثم لك فقال هشام عند ذلك والله لا اعود الى مثلها
وقال الاصمعي اسمع رجل هشاما كلاما فقال له اتقول لي مثل هذا وانا خليفتك وغضب
مرة على رجل فقال له اسكت والا ضربتك سوطا وكان علي بن الحسين قد اقترض من مروان
بن الحكم مالا اربعمائة الف دينار فلم يتعرض لها احد من بني مروان حتى استخلف هشام
فقال ما فعل حقنا قبلكم قال موفر مشكور فقال هو لك قلت هذا الكلام فيه
نظر وذلك ان علي بن الحسين مات سنة الفقهاء وهي سنة اربع وتسعين قبل ان يلي هشام
الخلافة باحدى عشرة سنة فانه انما ولي الخلافة سنة خمس ومائة فقول المؤلف ان
احدا من خلفاء بني مروان لم يتعرضوا المطالبة علي بن الحسين حتى ولي هشام فطالبه
بالمال المذكور فيه نظر ولا يصح لتقدم موت علي على خلافة هشام والله سبحانه اعلم
وكان هشام من اكره الناس لسفك الدماء ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى امر
شديد وقال وددت اني افتديتهما بجميع ما املك وقال المدائني عن رجل حدثني عن بشر
مولى هشام قال اتي هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط فقال اكسروا الطنبور على راسه وتحته

يبكي الشيخ قال بشر فضربه فقال لا ترى اني ابكي للضرب وانما ابكي لاحتقار لك البربط حتى سميته طنبورا واغلظ رجل لهشام ايضا في الكلام فقال له ليس لك ان تقول هذا الامام

وتفقد احد ولده يوم الجمعة فبعث اليه ما لك لم تشهد الجمعة فقال انه نفقت دابتي فقد عجزت عني فبعث اليه اما كان يمكنك المشي ومنعه ان يركب سنة وان يشهد الجمعة ماشيا وذكر المدايني ان رجلا اهدى الى هشام طيرين فاوردهما الشفير الى هشام وهو جالس على سريره وسط داره فقال له ارسلهما في الدار فارسلهما ثم قال جايزتي يا امير المومنين فقال له ويحك وما جايزتك على هدية طيرين خذ احدهما فجعل الاخر يسعى خلف احدهما فقال له ويحك ما لك فقال اختار اجودهما قال وتختار ايضا الجيد وتترك الردى ثم امر له باربعين او خمسين درهما وذكر المدايني عن مخذم كاتب يوسف بن عمر قال بعثني يوسف الى هشام بياقوتة حمرا ولولوة كانتا لرابعة جارية خالد بن عبد الله القسري اشتريت الياقوتة بثلثة وسبعين الف دينار قال فدخلت عليه وهو على سرير فوقه فرش لم ار راس هشام من علو تلك الفرش فاوردتهما فقال كم وزنهما فقلت ان مثلهما لا مثل لهما فسكت قالوا ورأى قوما يلقطون الزيتون فقال القطوه لقطا ولا تنفضوه نفضا فتنفقا عيونه وتكسر غصونه وكان يقول ثلث لا يضع الشريف ينفقا هذه الضيعة واصلاح المعيشة وطلب الحق وان قل وقال ابو بكر الخرايطي يقال ان هشاما لم يقل من الشعر سوى هذا البيت

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى　　الى كل ما فيه عليك مقال

وقد روي له شعر غير هذا وقال المدايني عن ابن بشار الاعرجي حدثني ابن ابي بجيلة عن عقال بن شبة قال دخلت على هشام وعليه قبا فنك اخضر فوجهني الى خراسان ثم جعل يوصيني وانا انظر الى القبا ففطن فقال ما لك قلت عليك قبا فنك اخضر قبل ان تلي الخلافة فجعلت اتامل اهذا هو ذاك ام غيره قال هو والله الذي لا اله غيره ذاك ما لي قبا غيره وما ترون من جمعي لهذا المال وصونه الا لكم قال عقال وكان هشام محشوا عقلا وقال عبد الله بن علي عم السفاح جمعت دواوين بني امية فلم ار اصلح للعامة وللسلطان من ديوان هشام وقال المدايني عن هشام بن عبد الحميد لم يكن احد من بني مروان اشد نظرا في اصحابه ودواوينه ولا اشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام وهو الذي قتل غيلان القدري ولما احضر بين يديه قال له ويحك قل ما عندك ان كان حقا اتبعناه وان كان باطلا رجعت عنه فناظره ميمون بن مهران فقال له ميمون اشيا فقال له اتعصي الله كارها فسكت غيلان فقتله حينيذ هشام وقتله وقال الاصمعي عن ابي الزناد عن منذر بن ابي ثور قال اصبنا في خزاين هشام اثني عشر الف قميص كلها قد اثر بها وشكى هشام الى ابيه ثلثا احداها انه يهاب الصعود الى المنبر والثانية قلة تناول الطعام والثالثة انه عنده في القصر مائة جارية من حسان النسا لا يكاد يصل الى واحدة منهن فكتب اليه ابوه اما صعودك على المنبر فاذا علوته فارم ببصرك الى مؤخر الناس فانه اهون عليك واما قلة الطعام فمر الطباخ فليكثر الالوان فلعلك ان تتناول من كل لون لقمة وعليك بكل بيضا بضة ذات جمال وحسن وقال ابو عبد الله الشافعي لما بنى هشام بن عبد الملك الرصافة قال احب ان اخلو بها يوما لا ياتيني فيه خبر غم فما انتصف

النهار حتى اتته ريشة دم من بعض الثغور فقال ولا يوما واحدا وقال سفيان بن عيينة كان هشام لا يكتب اليه بكتاب فيه ذكر الموت وقال ابو بكر بن ابي خيثمة ثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي ثنا حسين بن زيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمر بن علي قال مشيت مع محمد بن علي يعني ابن الحسين بن علي بن ابي طالب الى داره عند الحمام فقلت له انه قد طال ملك هشام وسلطانه وقد قرب من العشرين سنة وقد زعم الناس ان سليمان سال ربه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فزعم الناس انها العشرون فقال لا ادري ما احاديث الناس ولكن ابي حدثني عن ابيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن يعمر الله ملكا في امة نبي مضى قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر في امته فان الله عمر نبيه صلى الله عليه وسلم ثلث عشرة سنة بمكة وعشرا بالمدينة وقال ابن ابي خيثمة ليس حديث فيه توقيت غير هذا قراه يحيى بن معين على كتابي فقال من حدثك به فقلت ابراهيم فقال هذا لا يكون سمعه وقد رواه ابن جرير في تاريخه عن احمد بن زهير عن ابراهيم بن المنذر الحزامي وروى مسلم بن ابراهيم ثنا القسم بن الفضل حدثني عباد بن المغيرة العتكي عن عاصم بن المنذر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير انه سمع عليا يقول هلاك ملك بني امية على يد رجل احول يعني هشاما وروى ابو بكر بن ابي الدنيا عن عمر بن ابي معاذ العنبري عن ابيه عن عمرو بن كليع عن سالم كاتب هشام بن عبد الملك قال خرج علينا يوما هشام وعليه كابة وقد ظهر عليه الحزن واستدعى الابرش بن الوليد فجاءه فقال يا امير المومنين ما لي اراك هكذا فقال وما لي لا اكون كذلك وقد زعم اهل العلم بالنجوم اني اموت الى ثلاث وثلثين من يومي هذا قال فكتبنا ذلك فلما كان اخر ليلة من ذلك جاني رسوله في الليل يقول احضر معك دوا الذبحة وكان قد اصابته قبل ذلك فاستعمل منه فعوفي فذهبت اليه ومعي ذلك الدوا فتناوله وهو في وجع شديد واستمر فيه عامة الليل ثم قال يا سالم اذهب الى منزلك فقد وجدت خفة وذر الدوا عندي فذهبت فما هو الا ان وصلت الى منزلي حتى سمعت الصياح عليه فجيت فاذا هو قد مات وقد ذكر غيره ان هشاما نظر الى اولاده وهم يبكون عليه حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما كسب ما اسوا منقلب هشام ان لم يغفر الله له ولما مات جاء الخزان فختموا على حواصله وارادوا تسخين الماء فلم يقدروا له على فحم حتى استعاروه وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم وكانت وفاته بالرصافة يوم الاربعا لست بقين من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن بضع وخمسين سنة وقيل انه جاوز الستين وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي ولي الخلافة بعده وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة اشهر واحد عشر يوما وقيل وثمانية اشهر وايام والله اعلم وقال ابن ابي فديك ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب عن الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة قال ابن ابي فديك يعني نور الاسلام وبهجته وقال غيره يعني الرجال والله اعلم قلت لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني امية وتولى وادبر امر الجهاد في سبيل الله واضطرب امرهم جدا وان كانت قد تاخرت ايامهم بعده نحوا من سبع سنين ولكن في اختلاف وهيج وما زالوا حتى خرجت عليهم

بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم وقتلوا منهم خلقا وسلبوهم الخلافة كما سيأتي
ان شا الله تعالى ذلك مبسوطا متفرقا في مواضعه

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

الفاسق قبحه الله قال الواقدي والمدايني بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام بن
عبد الملك يوم الاربعا لست خلون من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة وقال هشام
ابن الكلبي بويع له يوم السبت في ربيع الاخر وكان عمره اذ ذاك اربعا وثلثين سنة وكان
سبب ولايته ان اباه يزيد بن عبد الملك كان قد جعل الامر من بعده لاخيه هشام ثم
من بعده لولده الوليد هذا فلما ولي هشام اكرم ابن اخيه الوليد حتى ظهر عليه امر الشراب
وخلطا السو ومجالس اللهو فاراد هشام ان يقطع ذلك عنه فامره على الحج سنة ست
عشرة ومائة فاخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه حتى يقال انه جعلها في صناديق
فسقط منها صندوق فيه كلب فسمع صوته فاحالوا ذلك على الجمال فضرب على ذلك قالوا
واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة ومن عزمه ان ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة
ويجلس هو واصحابه هنالك واستصحب معه الخمور والات الملاهي وغير ذلك من المنكرات
فلما وصل الى مكة هاب ان يفعل ما كان قد عزم عليه من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفا من
الناس ومن انكارهم عليه ذلك فلما تحقق عمه ذلك منه نهاه مرارا فلم ينته واستمر
على حاله القبيح وعلى فعله الردي فعزم عمه على خلعه من الخلافة وليته فعل وان يولي
من بعده ولده مسلمة بن هشام واجابه الى ذلك جماعة من الامرا من اخواله ومن اهل
المدينة ومن غيرهم وليت ذلك تم ولكن لم ينتظم حتى قال هشام يوما للوليد
ويحك والله ما ادري اعلى الاسلام انت ام لا فانك ما تدع شيا من المنكرات الا اتيته
غير متحاش ولا مستتر فكتب اليه الوليد يقول

يا ايها السائل عن ديننا • ديني على دين ابي شاكر
نشربها صرفا وممزوجة • بالسخن احيانا وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى بابي شاكر وقال له يتشبه بالوليد
ابن يزيد وانا اريد ان ارقيك الى الخلافة وبعثه على الموسم عام سنة تسع عشرة ومائة
فاظهر النسك والوقار واللين وقسم بالمدينة ومكة اموالا فقال رجل من اهل المدينة

يا ايها السائل عن ديننا • نحن على دين ابي شاكر
الواهب الجرد باربانها • ليس بزنديق ولا كافر

ووقعت بين هشام وبين الوليد بن يزيد وحشة عظيمة بسبب تعاطي الوليد
ما كان يتعاطاه من الفواحش والمنكرات فتنكر له هشام وعزم على خلعه وتولية
ولده مسلمة ولاية العهد ففر منه الوليد الى الصحرا وجعلا يتراسلان باقبح المراسلات
وجعل هشام يتوعده وعيدا شديدا ويتهدده ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليد
في البرية فلما كانت الليلة التي قدم في صبيحتها عليه البريد بالخلافة قلق الوليد تلك
الليلة قلقا شديدا وقال لبعض اصحابه ويحك لقد اخذني في الليلة قلق عظيم فاركب
لعلنا ننبسط فسارا ميلين يتكلمان في هشام وما يتعلق به من كتبه اليه
بالتهديد والوعيد ثم رايا من بعد رهجا واصواتا وغبارا ثم انكشف ذلك عن برد

يقصدون

يقصدونه بالولاية فقال لصاحبه ويحك ان هذه رسل هشام اللهم اعطنا خيرها
فلما اقتربت البرد منه وانبنوه ترجلوا الى الارض وجاوا فسلموا عليه بالخلافة فبهت
وقال ويحكم امات هشام قالوا نعم فقال لهم من بعثكم قالوا سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان
الرسايل واعطوه الكتاب فقراه ثم سالهم عن احوال الناس وكيف مات عمه هشام فاخبروه
فكتب من فوره بالاحتياط على اموال هشام وحواصله بالرصافة وقال

ليت هشاما عاش حتى يرى • مكياله الاوفر قد طبعا
كلناه بالصاع الذي كاله • وما ظلمناه به اصبعا
وما اتيناه ذاك عن بدعة • احله الفرقان لي اجمعا

وقد كان الزهري يحث هشاما على خلع الوليد هذا ويستنهضه في ذلك فيحجم هشام
عن ذلك خوفا من الفضيحة من الناس ولئلا يتنكر قلوب الاجناد من اجل ذلك وكان الوليد
يفهم ذلك من الزهري ويبغضه على ذلك ويتهدده ويتوعده فيقول له الزهري ما كان
الله ليسلطك علي يا فاسق ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد ثم قدم الوليد من عمه
الى البرية فلم يزل بها حتى مات فاحتاط على اموال عمه ثم ركب من فوره من البرية وقصد
دمشق واستعمل العمال وجاءته البيعة من الافاق وجاءته الوفود وكتب اليه مروان بن
محمد وهو اذ ذاك على ارمينية يبارك له في خلافة الله على عباده والتمكين في بلاده
ويهنيه بموت هشام وظفره بعده بالتحكم في امواله وحواصله ويذكر له انه جدد البيعة
له في بلاده وانهم فرحوا واستبشروا بذلك ولولا خوفه من الثغر لاستناب عليه
وركب بنفسه اليه شوقا الى رؤيته ورغبة في مشافهته ثم ان الوليد سار في الناس
سيرة حسنة بادي الراي وامر باعطاء الزمنى والمجذمين والعميان لكل انسان خادما
واخرج من بيت المال الطيب والتحف لعيالات المسلمين وزاد في اعطيات الناس
لاسيما اهل الشام والوفود وكان كريما ممدحا شاعرا مجيدا لم يسال شيا قط فيقول لا
ومن شعره في ذلك قوله يمدح نفسه بالكرم

ضمنت لكم ان لم تعقني عوايق • بان سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معا وزيادة • واعطية مني اليكم تبرع
محرمكم ديوانكم وعطاؤكم • به يكتب الكتاب والشهر يطبع

وفي هذه السنة عقد الوليد هذا البيعة لابنيه الحكم ثم عثمان على ان يكونا وليي العهد
من بعده وبعث البيعة الى يوسف بن عمر امير العراق وخراسان فارسلها الى نايب
خراسان نصر بن سيار فخطب بذلك نصر بن سيار خطبة عظيمة بليغة طويلة ساقها
ابن جرير بكمالها واستوسق الوليد الممالك في المشارق والمغارب واخذت البيعة
لولييه من بعده في الافاق وكتب الوليد الى نصر بن سيار بالاستقلال بولاية خراسان
ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فسأله ان يرد عليه ولاية خراسان فرد ما اليه كما كان
في ايام هشام واراد ان يكون نصر بن سيار دونه بعد من تحت يده فكتب عند ذلك يوسف
بن عمر الى نصر بن سيار ليستوفده الى امير المؤمنين باهله وعياله وان يكثر من استصحاب
الهدايا والتحف فحمل نصر بن سيار الف مملوك على الخيل والف وصيفة وشيا كثيرا
من اباريق الفضة والذهب وغير ذلك من التحف وكتب اليه الوليد يستحثه سريعا

ويطلب منه ان يحمل له معه طنابير وبرابط ومغنيات وبزاة وبراذين فره وغير ذلك من الات الطرب والفسق فكره الناس ذلك منه وكرهوه وقال المنجمون لنصر بن سيار ان الفتنة ستقع قريبا بالشام فجعل يبطئ في سيره فلما ان كان ببعض الطريق جاءته البرد فاخبروه بان الخليفة الوليد قد قتل وهاجت الفتنة العظيمة في الناس بالشام فعدل بما معه الى بعض المدن فاقام به وبلغه ان يوسف بن عمر قد تنحى عن العراق واضطربت الامور وذلك بسبب قتل الخليفة على ما سنذكره في السنة الاتية وبالله المستعان وفي هذه السنة ولى الوليد يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي نيابة المدينة ومكة والطايف وامره ان يقيم ابراهيم ومحمد ابني هشام بن اسماعيل المخزومي بالمدينة مهانين لكونهما خالي هشام ثم بعثهما الى يوسف بن عمر نايب العراق فبعثهما اليه فما زال يعذبهما حتى ماتا واخذ منهما اموالا كثيرة وفي هذه السنة ولى يوسف بن محمد يحيى بن سعيد الانصاري قضاء المدينة وفيها بعث الوليد بن يزيد الى اهل قبرص جيشا مع اخيه وقال خيرهم فمن شاء ان يتحول الى الشام ومن شاء ان يتحول الى الروم فكان منهم من اختار جوار المسلمين بالشام ومنهم من انتقل الى بلاد الروم وقال ابن جرير وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا في قول بعض اهل السير محمد بن علي فاخبروه بقصة ابي مسلم فقال احر هو ام عبد قالوا اما عيسى فيزعم انه حر واما مولاه فيزعم انه عبد فاشتروه واعتقوه ودفعوا الى محمد بن علي مايتي الف وكسوة بثلثين الفا وقال لهم لعلكم لا تلقوني بعد عامكم هذا فان مت فان صاحبكم ابراهيم بن محمد يعني ابنه فانه ابن ثقة واوصيكم به ومات محمد بن علي في مستهل ذي القعدة من هذه السنة بعد ابيه بسبع سنين وفيها قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان وحج بالناس فيها يوسف بن محمد الثقفي امير مكة والمدينة والطايف وامير العراق يوسف بن عمر وامير خراسان نصر بن سيار وهو في همة الوفود الى الوليد بن يزيد امير المومنين بما معه من الهدايا والتحف فقتل الوليد قبل ان يجتمع به

وممن توفي فيها من الاعيان محمد بن علي

بن عبد الله بن عباس ابو عبد الله المدني وهو ابو السفاح والمنصور وروى عن ابيه وجده وسعيد بن جبير وجماعة وحدث عنه جماعة منهم ابناه الخليفتان ابو العباس عبد الله السفاح وابو جعفر عبد الله المنصور وقد كان عبد الله بن محمد بن الحنفية اوصى اليه بالامر من بعده وكان عنده علم بالاخبار فبشره بان الخلافة ستكون في ولده فكان ذلك لا نفسه في سنة سبع وثمانين ولم يزل امره يتزايد حتى توفي في هذه السنة وقيل في التي قبلها وقيل في التي بعدها عن ثلث وستين سنة وكان من احسن الناس شكلا فاوصى بالامر من بعده لولده فما ابرم الامر الا لولده السفاح فاستلب من بني امية الامر في سنة ثنتين وثلثين كما سياتي واما يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب فانه لما قتل ابوه زيد في سنة احدى وعشرين ومائة لم يزل يحيى مختفيا بخراسان عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى مات هشام فكتب عند ذلك يوسف بن عمر الى نصر بن سيار يخبر بامر يحيى بن زيد فكتب نصر بن سيار الى نايب

بلخ عقيل بن معقل العجلي فاحضر الحريش فضربه ستماية سوط فلم يدل عليه وجاء ولد الحريش فدلهم عليه فحبس فكتب نصر بن سيار الى يوسف بذلك فبعث الى الوليد بن يزيد يخبره بذلك فكتب الوليد الى نصر بن سيار يامره باطلاقه من السجن وارسله اليه ومعه اصحابه فاطلقهم واطلق لهم وجهزهم الى دمشق فلما كانوا ببعض الطريق توسم نصر منه غدرا فبعث اليه جيشا عشرة الاف فكسرهم يحيى بن زيد وانما معه سبعون رجلا وقتل اميرهم واستلب منهم اموالا كثيرة ثم جاءه جيش اخر فقتلوه واحتزوا راسه وقتلوا جميع اصحابه رحمهم الله

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

ففيها كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهذه ترجمته هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابو العباس الاموي الدمشقي بويع له بالخلافة بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من ابيه في ذلك كما قدمنا وامه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي وكان مولده سنة تسعين وقيل ثنتين وتسعين وقيل سبع وثمانين وقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الاخرة سنة ست وعشرين ومائة ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله ومع ذلك انما قتل لفسقه وقيل لزندقته وقد قال الامام احمد ثنا ابو المغيرة ثنا ابن عياش حدثني الاوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال ولد لاخي ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو اشد فسادا لهذه الامة من فرعون لقومه قال الحافظ ابن عساكر وقد رواه الوليد بن مسلم ومعقل بن زياد ومحمد بن كثير وبشر بن بكر عن الاوزاعي فلم يذكروا عمر في اسناده وارسلوه ولم يذكروا ابن عياش كثيرا سعيد بن المسيب ثم ساق طرقه هذه كلها باسانيدها والفاظها وحكى عن البيهقي انه قال هو مرسل حسن ثم ساق من طريق محمد عن محمد بن عمرو بن عطا عن زينب بنت ام سلمة عن امها قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وعندي غلام من ال المغيرة اسمه الوليد فقال من هذا يا ام سلمة قالت هذا الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذتم الوليد حنانا غيروا اسمه فانه سيكون في هذه الامة فرعون يقال له الوليد وروى ابن عساكر من حديث عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا محمد بن علي الانطاكي ثنا محمد بن سليمان بن ابي داود ثنا صدقة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن ابي ثعلبة الخشني عن ابي عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر قايما بالقسط حتى يثلمه رجل من بني امية

صفة مقتله وزوال دولته

كان هذا الرجل مجاهرا بالفواحش مصرا عليها منتهكا محارم الله عز وجل لا يتحاشى من معصية وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين والله اعلم لكن الذي يظهر انه كان عاصيا شاعرا ماجنا متعاطيا للمعاصي لا يتحاشاها من احد ولا يستحيي من احد قبل ان يلي الخلافة وبعد ان ولي وقد روي ان اخاه سليمان كان من جملة من سعى

في قتله قال اسميها انه كان يشرب الخمر ما اجتنبنا فاستعاد لقد ازداد في على نفسي لفاسق وحكى
المعافى بن زكريا عن ابن دريد عن ابي حاتم عن العتبي ان الوليد بن يزيد نظر الى نصرانية
من حسان نساء النصارى اسمها سفرى فاحبها فبعث اليها يراودها عن نفسها فابت
عليه فالح عليها وعشقها فلم تطاوعه فاتفق اجتماع النصارى في بعض كنائسهم
لعيد لهم فذهب الوليد الى بستان هناك فتنكر واظهر انه مصاب فخرج النساء من الكنيسة
الى ذلك البستان فراينه فاحدقن به فجعل يكلم سفرى ويحادثها وتضاحكه ولا تعرفه
حتى اشتفى من النظر اليها فلما انصرفن قيل لها ويحك اتدرين من هذا الرجل فقالت
لا فقيل لها هو الوليد فلما تحققت ذلك جنت عليه بعد ذلك وكانت عليه احرص
منه عليها قبل ان تجن عليه فقال الوليد في ذلك ابياتا

اضحى فؤادك يا وليد عميدا • صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة • برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت ارمقها بعيني وامق • حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من راى • منكم صليبا مثله معبودا
فسالت ربي ان اكون مكانه • واكون في لهب الجحيم وقودا

وقال فيها ايضا لما ظهر امره وعلم بحاله الناس وقيل انما وقع قبل ان يلي الخلافة

الا حبذا سفرى وان قيل انني • كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون علينا ان نظل نهارنا • الى الليل لا ظهرا نصلي ولا عصرا

قال القاضي ابو الفرج المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طرار النهرواني بعد ايراده هذه الابيات وللوليد في نحو هذا من الخلاعة والمجون وسخافة الدين ما يطول ذكره وقد ناقضناه في اشياء من منظوم شعره المتضمن ركيك سخفه وكفره وروى ابن عساكر بسنده ان الوليد سمع بخمار صلف بالحيرة فقصده حتى شرب منه ثلاثة ارطال من الخمر وهو راكب على فرسه ومعه اثنان من اصحابه فلما انصرف امر للخمار بخمس مائة دينار وقال القاضي ابو الفرج اخبار الوليد كثيرة قد جمعها الاخباريون مجموعة ومفردة وقد جمعت شيئا من سيرته واخباره ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من خرقه وسخفه وحمقه وهزله ومجونه وسخافة دينه وما صرح به من الالحاد في القران العزيز والكفر بمن انزله وانزل عليه وقد عارضت شعره السخيف بشعر حصيف وباطله بحق شريف منير وتركت رضى الله عز وجل استيجابا بمغفرته وقال ابو بكر بن ابي خيثمة ثنا سليمان بن ابي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال اراد الوليد بن يزيد الحج وقال اشرب فوق ظهر الكعبة الخمر فهم قوم ان يفتكوا به اذا خرج فجاؤوا الى خالد بن عبد الله القسري فسالوه ان يكون معهم فابى فقالوا له فاكتم علينا فقال اما هذا فنعم فجاء الى الوليد فقال له لا تخرج فاني اخاف عليك فقال له ومن هؤلاء الذين تخافهم علي قال لا اخبرك بهم قال ان لم تخبرني بهم بعثت بك الى يوسف بن عمر قال وان بعثت بي الى يوسف فبعثه الى يوسف فعاقبه حتى قتله وذكر ابن جرير انه لما امتنع من اعلامه بهم سجنه ثم سلمه الى يوسف بن عمر ليستخلص منه اموال العراق فقتله وقد قيل ان يوسف ابن عمر لما وفد الى الوليد اشترى منه خالد بن عبد الله بخمسين الف الف ليخلصها منه فما زال يعاقبه ويستخلص

منه حتى قتله فغضبت اهل اليمن من قتله وخرجوا على الوليد وقال الزبير بن بكار ثنا مصعب بن عبد الله قال سمعت ابي يقول كنت عند المهدي فذكر الوليد بن يزيد فقال رجل في المجلس كان زنديقا فقال المهدي خلافة الله عنده اجل من ان يجعلها في زنديق وقال احمد بن عمير بن حوصا الدمشقي ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا الوليد بن مسلم ثنا حصين بن الوليد عن الازهر بن الوليد قال سمعت ام الدرداء تقول اذا قتل الخليفة الشاب من بني امية ما بين الشام والعراق مظلوما لم تزل طاعة يستخف بها ودم مسفوك على وجه الارض بغير حق وقال الامام ابو جعفر الطبري

ذكر قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص للوليد بن يزيد وكيف قتل

قد ذكرنا بعض امر الوليد بن يزيد وخلاعته ومجانته وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بامر دينه قبل خلافته ولما ولي الخلافة وافضت اليه لم يزدد في الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق الا تماديا وحدا فثقل ذلك من امره على رعيته وجنده وكرهوه وكان من اعظم ما جنى على نفسه حتى اورثه ذلك هلاكه افساده على نفسه بني عميه هشام والوليد مع افساده اليمانية وهم عظم جند خراسان يعني بسبب قتل خالد بن عبد الله القسري وتسليمه الى غريمه يوسف بن عمر الذي هو نائب العراق اذ ذاك فلم يزل يعاقبه حتى هلك كما سنذكره في ترجمته ثم روى ابن جرير باسناده ان الوليد بن يزيد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط وحلق راسه ولحيته وغربه الى عمان فحبسه بها فلم يزل بها حتى قتل الوليد واخذ جارية كانت لآل الوليد فكلمه فيها عمر بن الوليد فقال له لا اردها فقال له اذا تكثر الصواهل حول عسكرك وحبس الافقم يزيد بن هشام وبايع لولديه الحكم ثم عثمان وكانا دون البلوغ فشق ذلك على الناس ونصحوه فلم ينتصح ونهوه فلم يرتدع ولم يقبل قال المدائني في روايته فثقل ذلك على الناس ورماه بنو هشام وبنو الوليد بالكفر وغشيان امهات اولاد ابيه وقالوا قد اتخذ مائة جامعة على كل جامعة اسم رجل من بني امية ليقتله بها ورموه بالزندقة وكان اشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك وكان الناس الى قوله اميل لانه اظهر النسك والتواضع ويقول ما يسعنا الرضى بالوليد حتى حمل الناس على الفتك به قالوا فانتدب للقيام عليه جماعة من قضاعة واليمانية وخلق من اعيان الامراء وال الوليد بن عبد الملك وال هشام بن عبد الملك والقائم باعباء ذلك كله والداعي اليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وهو من سادات بني امية وممن ينسب الى الصلاح والورع فبايعه الناس على ذلك وقد نهاه عن ذلك اخوه العباس بن الوليد فلم يقبل فقال والله لولا اني اخاف عليك الوليد لقيدتك وارسلتك اليه واتفق خروج الناس من دمشق من وباء وقع بها فكان ممن خرج الوليد بن يزيد امير المؤمنين في طائفة من اصحابه نحو الماسن الى ناحية مشارق دمشق فانتظم ليزيد بن الوليد امره وجعل اخوه العباس ينهاه عن ذلك اشد النهي فلا يقبل فقال العباس في ذلك

اني اعيذكم بالله من فتن • مثل الجبال تسامى ثم تندفع

ان البرية قد ملت سياستكم • فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا •
لا تلحمن ذئاب الناس انفسكم • ان الذئاب اذا ما الحمت رتعوا •
لا تبقرن بايديكم بطونكم • فثم لا حسرة تغني ولا جزع •

فلما استوسق ليزيد بن الوليد امره وبايعه من بايعه من الناس قصد دمشق وقد خلفها في عسكر الوليد فبايعه اهلها في الليل وبلغه ان اهل المزة قد بايعوا كبيرهم معاوية ابن مصاد فمضى اليه ماشيا في نفر من اصحابه فاصابهم في الطريق مطر شديد فاتوه فطرقوا بابه ليلا فدخلوا فكلمه يزيد فبايعه معوية بن مصاد ثم رجع يزيد من ليلته الى دمشق على طريق القناة وهو على حمار اسود فحلف اصحابه لا يدخل دمشق الا في السلاح ثم لبس سلاحا من تحت ثيابه فدخل وكان الوليد قد استناب في غيبته عن دمشق عليها عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي وقد خرج منها ايضا من الوبا فهو مقيم بقطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطتها ابو العاج كثير بن عبد الله السلمي فلما كان ليلة الجمعة اجتمع اصحاب يزيد في الكامنين عند باب الفراديس فلما اذن العشا الاخرة دخلوا المسجد فلما لم يبق في المسجد غيرهم بعثوا الى يزيد فجاءهم فقصدوا باب المقصورة ففتح لهم خادم فدخلوا فوجدوا ابا العاج وهو سكران فاخذوه واخذوا خزان بيت المال فتسلموا الحواصل وتقووا بالاسلحة وامر يزيد باغلاق ابواب البلد وان لا يفتح الا لمن يعرف فلما اصبح الناس قدم اهل الحواضر من كل جانب فدخلوا من ساير ابواب البلد كل اهل محلة من الباب الذي يليهم فكثرت الجيوش حول يزيد بن المهلب في نصرته وكلهم قد بايعه بالخلافة وقد قال بعض الشعرا في ذلك

فجاءتهم انصارهم حين اصبحوا • سكاسكها اهل البيوت الصنادد •
وكلب فجاؤهم بخيل وعدة • من البيض والابدان ثم السواعد •
فاكرم بها احياء انصار سيد • منعوا حرما منها لكل جاحد •
وجاءتهم شيبان والازد شرعا • وعبس ولخم بين حام وزايد •
وغسان والحيان قيس وتغلب • واحجم عنها كل وان وزاهد •
فما اصبحوا الا وهم اهل ملكها • قد استوثقوا من كل عات ومارد •

وبعث يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مايتي فارس الى قطنا ليأتوه بعبد الملك بن محمد بن الحجاج وله الامان وكان قد تحصن في قصر هناك فدخلوا عليه فوجدوا عنده خرجين في كل واحد منهما ثلاثون الف دينار فلما مروا بالمزة قال لاصحاب ابن مصاد خذ هذا المال فهو خير لك من يزيد بن الوليد فقال لا والله لا تحدث العرب اني اول من خان ثم اتوا يزيد بن الوليد فاستخدم من ذلك المال جندا للقتال نحوا من الفي فارس وبعثهم مع اخيه عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك يقصدون الوليد بن يزيد بن عبد الملك وركب بعض موالي الوليد بن يزيد فرسا سابقا فساق به حتى انتهى الى مولاه من الليل وقد نفق الفرس فاخبره الخبر فلم يصدقه وامر بضربه ثم تواترت عليه الاخبار فاشار بعض اصحابه ان يتحول من منزله ذلك الى حمص فانها حصينة وقال الابرش سعيد بن الوليد الكلبي انزل على قومي بتدمر فابى ان يقبل شيا من ذلك بل ركب بمن معه وهو في مايتي فارس وقصده اصحاب يزيد فالتقوا بثنية في اثنا الطريق

فاخذوه وجاء الوليد فنزل حصن البخراء الذي كان للنعمان بن بشير وجاءه رسول العباس بن الوليد اني آتيك وكان من انصاره فامر الوليد بابراز سريره فجلس عليه وقال اعلي يتوثب الرجال وانا اثب على الاسد واتخصر الافاعي وقدم عبد العزيز بمن معه وانما كان قد خلص معه ثمانمائة فارس فتصافوا فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل من اصحاب العباس جماعة حملت رؤسهم الى الوليد وكان قد جاء العباس بن الوليد لنصر الوليد بن يزيد فبعث اليه اخوه عبد العزيز فجيء به فنواحى بايع ليزيد بن الوليد واجتمعوا على حرب الوليد بن يزيد فلما راى الناس اجتماعهم فروا من الوليد اليهم وبقي الوليد في قل من الناس فلجا الى الحصن واحاطوا به من كل جانب يحاصرونه فدنا الوليد من باب الحصن فنادى ليكلمني رجل شريف فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي فقال له الوليد الم ارفع عنكم المؤن الم اعط فقراكم الم اخدم زمناكم فقال له يزيد بن عنبسة انما ننقم عليك انتهاك المحارم وشرب الخمور ونكاح امهات اولاد ابيك واستخفافك بامر الله فقال له حسبك يا اخا السكاسك فلعمري لقد اكثرت واغرقت ان فيما احل الله لي سعة عما ذكرت ثم قال اما والله لئن قتلتموني لا يرتق فتقكم ولا يلم شعثكم ولا تجتمع كلمتكم ورجع الى الدار فجلس ووضع بين يديه مصحفا منشورا واقبل يقرا فيه وقال يوم كيوم عثمان واستسلم وتسوروا عليه فكان اول من نزل عليه يزيد بن عنبسة فتقدم اليه والى جانبه سيف فقال نح سيفك فقال لو اردت القتال لكان غير هذا فاخذ بيده وهو يريد ان يحبسه ثم يبعث به الى يزيد بن الوليد فيشاوره عليه فنزل عشرة من الامرا فاقبلوا على الوليد فضربوه على راسه ووجهه بالسيف فقتلوه ثم جروا برجله ليخرجوه فصاحت النسوة فتركوه واحتز ابو علاقة القضاعي راسه وخاطوا ما كان جرح في وجهه بعصب وبعثوا به الى يزيد مع عشرة نفر منهم منصور بن جمهور وروح بن مقبل وبشر مولى كنانة من بني كلب وعبد الرحمن الملقب بوجه الفلس فلما انتهوا اليه بشروه بقتل الوليد وسلموا عليه بالخلافة فاطلق لكل رجل من العشرة عشرة الاف وقال له روح بن مقبل ابشر يا امير المومنين بقتل الوليد الفاسق فسجد شكرا لله عز وجل ورجعت الجيوش الى يزيد فكان اول من اخذ يده للمبايعة يزيد بن عنبسة السكسكي فانتزع يده من يده وقال اللهم ان كان هذا رضى لك فاعني عليه وكان قد جعل لمن جاه براس الوليد مائة الف درهم فلما جيء به وكان ذلك ليلة الجمعة وقد قيل انه قتل يوم الاربعا لليلتين بقيتا من جمادى الاخرة سنة ست وعشرين ومائة فامر يزيد بن الوليد بنصب راسه على رمح وان يطاف به في البلد فقيل له انما ينصب راس الخارجي فقال والله لانصبنه فشهره في البلد على رمح ثم اودعه عند رجل شهرا ثم بعثه الى اخيه سليمان بن يزيد فقال اخوه عند ذلك بعدا له اشهد انه كان شروبا للخمر ماجنا فاسقا ولقد ارادني على نفسي الفاسق وقد قيل ان راسه لم يزل معلقا بحائط الجامع الشرقي مما يلي الصحن حتى انقضت دولة بني امية وقيل انما كان ذلك اثر دمه وكان عمره يوم قتل ستا وثلاثين وقيل ثمانيا وثلثين سنة وقيل احدى وقيل اثنتان وقيل خمس وقيل ست واربعون سنة ومدة ولايته

سنة وستة اشهر على الاشهر وقيل وثلاثة اشهر قال ابن جرير كان شاليا للبطش
طويل اصابع الرجلين كانت تضرب له سكة في الارض ويربط بها حبل الى رجله ثم يثب
على الفرس فيركبها ولا يمس الفرس فيقتلع تلك السكة من الارض مع وثبته

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وهو الملقب بالناقص

لنقصه الناس الزيادة التي كان زادهم الوليد بن يزيد في اعطياتهم وهي عشرة عشرة
ورده اياهم الى ما كانوا عليه في زمن هشام ويقال ان اول من لقبه بذلك مروان بن محمد
بويع له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا
من جمادى الاخرة من هذه السنة اعني سنة ست وعشرين ومائة وكان فيه صلاح وورع
قبل ذلك فاول ما عمل انه انتقص من ارزاق الجند ما كان الوليد زادهم وذلك في كل
سنة عشرة عشرة فسمي الناقص لذلك ويقال في المثل الاشج والناقص اعدلا
بني مروان يعني عمر بن عبد العزيز وهذا ولكن لم تطل ايام هذا فانه توفي من اخر هذه
السنة واضطربت عليه الامور وانتشرت الفتن واختلفت كلمة بني مروان فنهض
سليمان بن هشام وكان معتقلا في سجن الوليد بعمان فاستحوذ على اموالها وحواصلها
واقبل الى دمشق وجعل يلعن الوليد ويعيبه ويرميه بالكفر فاكرمه يزيد ورد عليه
امواله التي كان اخذها منه الوليد وتزوج يزيد اخت سليمان وهي ام هشام بنت هشام
ونهض اهل حمص الى دار العباس بن الوليد التي عندهم فهدموها وحبسوا اهله وبنيه وهرب
هو من حمص فلحق بيزيد بن الوليد الى دمشق واظهروا الاخذ بدم الوليد بن يزيد واغلقوا
ابواب البلد واقاموا النوايح والبواكي على الوليد وكاتبوا الاجناد في طلب ثار الوليد
فاجابهم طايفة كثيرة منهم على ان يكون الحكم بن الوليد بن يزيد الذي اخذ له العهد فهو الخليفة
وخلعوا نايبهم وهو مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ثم قتلوه وقتلوا ابنه
وامروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين فلما انتهى خبرهم الى يزيد بن الوليد كتب اليهم
كتابا مع يعقوب بن هانى ومضمون الكتاب انه يدعو الى ان يكون الامر شورى فقال عمرو
بن قيس فاذا كان كذلك فقد رضينا بولي عهدنا الحكم بن يزيد الوليد فاخذ يعقوب
بلحيته وقال ويحك لو كان هذا الذي يدعو اليه يتيما تحت حجرك لم يحل لك ان
تدفع اليه ماله فكيف امر الامة فتوثب اهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم
عنه واخرجوهم من بين اظهرهم وقال لهم ابو محمد السفياني لو قدمت دمشق لم يختلف
علي منهم اثنان فركبوا معه وساروا نحو دمشق وقد امروا عليهم السفياني فتلقاهم
سليمان بن هشام في جيش كثيف قد جهزهم يزيد بن الوليد وجهز ايضا عبد العزيز
بن الوليد في ثلاثة الاف يكونون عند ثنية العقاب وجهز هشام بن مصاد المزي
في الف وخمسماية ليكونوا على عقبة السلمية فمر اهل حمص وتركوا جيش سليمان بن هشام
ذات اليسار وعدوه فلما سمع بهم سليمان ساق في طلبهم فلحقهم عند السليمانية
فجعلوا الزيتون عن ايمانهم والجبل عن يسارهم والجبال من خلفهم ولم يبق خلوص اليهم
الا من جهة واحدة فاقتتلوا هنالك في قتال الحر قتالا شديدا فقتل طايفة كثيرة
من الفريقين فبينما هم كذلك اذ جاء عبد العزيز بن الوليد بمن معه فحمل على اهل حمص
فاخترق جيشهم حتى ركب التل الذي في وسطهم وكانت الهزيمة فتفرقوا واتبعهم

الناس ثم نادوا بالكف عنهم على ان يبايعوا ليزيد بن الوليد واسروا منهم جماعة
منهم ابو محمد السفياني ويزيد بن خالد بن معاوية ثم ارتحل سليمان وعبد العزيز فنزلا
عذرا ومعهم الجيوش واشراف اهل حمص من الاسارى وممن استجاب من غير اسير نحو من
منهم ثلثماية نفس فدخلوا بهم على يزيد بن الوليد فاقبل عليهم واحسن اليهم وصفح
عنهم واطلق الاعطيات لهم ولاسيما لاشرافهم وولى عليهم الذي اختاروه لهم وهو
معاوية بن يزيد بن الحصين وطابت عليه انفسهم واقاموا عنده بدمشق سامعين
له مطيعين وفي هذه السنة بايع اهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك وذلك
ان بني سليمان كانت لهم املاك هناك فكانوا ينزلونها فكان اهل فلسطين يحبون
مجاورتهم فلما قتل الوليد بن يزيد كتب سعيد بن روح بن زنباع وكان رئيس تلك
الناحية الى يزيد بن سليمان بن عبد الملك يدعوه الى المبايعة له فاجابه الى ذلك فلما
بلغ اهل الاردن خبرهم بايعوا ايضا محمد بن عبد الملك بن مروان عليهم ولما انتهى
خبرهم الى يزيد بن الوليد امير المومنين بعث اليهم الجيوش مع سليمان بن هشام في الدماشقة
واهل حمص الذين كانوا مع السفياني فصالحهم اهل الاردن اولا ورجعوا الى الطاعة
وكذلك اهل فلسطين وكتب يزيد بن الوليد ولاية الامرة بالرملة وتلك النواحي لاخيه
ابراهيم بن الوليد واستقرت الممالك له هنالك وقد خطب امير المومنين يزيد بن الوليد
الناس بدمشق فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال اما بعد ايها الناس اني والله
ما خرجت اشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي اطراء نفسي اني لظلوم
لنفسي ان لم يرحمني ربي ولكن خرجت غضبا لله ولرسوله ولدينه وداعيا الى الله وكتابه
وسنة نبيه لما هدمت معالم الدين واطفي نور اهل التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل
لكل حرمة والراكب كل بدعة مع انه والله ما كان يصدق بالكتاب ولا يومن بيوم الحساب
وانه لابن عمي في النسب وكفوي في الحسب فلما رايت ذلك استخرت الله في امره وسالته
ان لا يكلني الى نفسي ودعوت الى ذلك من اجابني من اهل ولايتي وسعيت فيه حتى اراح الله
منه العباد والبلاد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي ايها الناس ان لكم علي ان لا اضع
حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ولا اكري نهرا ولا اكنز مالا ولا اعطيه زوجة ولا ولدا ولا
انقل مالا من بلد الى بلد حتى اسد ثغر ذلك البلد وخصاصة اهله بما يغنيهم فان
فضل فضلة نقلته الى البلد الذي يليه ممن هو احوج اليه ولا اجمركم في ثغوركم فافتنكم
وافتن اهليكم ولا اغلق بابي دونكم فياكل قويكم ضعيفكم ولا احمل على اهل جزيتكم
ما يجليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم وان لكم عندي اعطياتكم في كل سنة وارزاقكم في كل
شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون اقصاهم كادناهم فان انا وفيت لكم
بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المداراة وان انا لم اف لكم فلكم ان تخلعوني
الا ان تستتيبوني فان تبت قبلتم مني وان علمتم احدا من اهل الصلاح يعطيكم من
نفسه مثل ما اعطيتكم فاردتم ان تبايعوه فانا اول من يبايعه ويدخل في طاعته ايها
الناس انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق انما الطاعة طاعة الله فمن اطاع الله
فاطيعوه بطاعة الله ما اطاع فاذا عصى ودعى الى معصيته فهو اهل ان يعصى ويقتل
اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن

عمر عن امرة العراق لما ظهر منه من الحنق على اليمانية قوم خالد بن عبد الله القسري حتى
قتلوا الوليد بن يزيد فخشي غائلتهم ببلاده منهم وجعل الارصاد على الثغور خوفا من
جند الخليفة فعند ذلك عزله الخليفة وولى منصور بن جمهور عليها مع بلاد سجستان
على ان منصور بن جمهور كان اعرابيا جلفا وكان يدين بمذهب الغيلانية القدرية
ولكن كانت له اثار حسنة وغناء كثير في مقتل الوليد بن يزيد فحظي بذلك عند يزيد
بن الوليد ويقال انه لما فرغ الناس من مقتل الوليد ذهب من فوره الى العراق فاخذ
البيعة ليزيد وقرر نوابا وعمالا وكر راجعا في اواخر رمضان فلذلك ولاه
الخليفة ما ولاه والله اعلم واما يوسف بن عمر فانه فر من العراق فلحق ببلاد البلقا
فبعث اليه امير المومنين فاحضره اليه فلما وقف بين يديه اخذ بلحيته وكان كبير
اللحية جدا ربما كانت تجوز سرته وكان قصير القامة فوبخه وانبه وسجنه وامر بتخليص
الحقوق منه ولما انتهى منصور بن جمهور الى العراق قرا عليهم كتاب امير المومنين اليهم
في كيفية مقتل الوليد وان الله اخذه اخذ عزيز مقتدر وانه قد ولى عليهم
منصور بن جمهور لما يعلم من شجاعته ومعرفته بالحرب فبايع اهل العراق ايضا ليزيد
بن الوليد وكذلك اهل السند وسجستان واما نصر بن سيار نايب خراسان فانه
امتنع من السمع والطاعة لمنصور بن جمهور وابى ان ينقاد لاوامره وقد كان جهز هدايا
كثيرة للوليد فاستمرت له وفي هذه السنة كتب مروان بن محمد الملقب بالحمار كتابا
الى الغمر بن يزيد اخي الوليد بن يزيد يحثه على القيام بطلب دم اخيه الوليد بن يزيد
ومروان بن محمد يومئذ باذربيجان وارمينية ثم ان يزيد بن الوليد عزل منصور بن
جمهور عن ولاية العراق وولى عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال له ان اهل
العراق يحبون اباك فقد وليتكها وذلك في شوال منها وكتب له الى امراء الشام الذين
بالعراق يوصيهم به خشية ان يمتنع منصور بن جمهور من تسليم البلاد اليه فسلم
له وسمع واطاع وسلم وكتب الخليفة الى نصر بن سيار بولاية خراسان مستقلا بها
فخرج عليه رجل يقال له الكرماني لانه ولد بكرمان وهو ابو علي جديع بن علي بن
شبيب المعني واتبعه خلق كثير بحيث انه كان يشهد الجمعة في نحو من الف وخمسمائة
وكان يسلم على نصر بن سيار ولا يجلس عنده فتحير نصر وامراؤه فيما يصنعون به فاتفق
رايهم بعد جهد شديد على سجنه فسجن قريبا من شهر ثم اطلقه فاجتمع اليه ناس كثير
وجم غفير وركبوا معه فبعث اليهم نصر بن سيار من قاتلهم وقهرهم وكسرهم واستخف
جماعات من اهل خراسان بامر نصر بن سيار والحوا عليه في طلب اعطياتهم وسمعوا غليظ
ما يكره وهو على المنبر بسفارة مسلم بن احوز فادى اليه ذلك وخرجت الساعة من المسجد
الجامع وهو يخطب وانفض كثير من الناس عنه فقال لهم فيما قال والله لقد نشرتكم
وطويتكم وطويتكم ونشرتكم فما عندي منكم عشرة على دين فما تتقوا الله فوالله لئن
اختلفت فيكم سيفان ليتمنين الرجل ان ينخلع من اهله وماله وولده ولم يكن راها
ثم تمثل بقول النابغة

فان يغلب شقاؤكم عليكم • فاني في صلاحكم سعيت •

وقال الحرث بن عبد الله بن الحشرج بن الورد بن المغيرة الجعدي •

ابيت

ابيت ارعى النجوم مرتفقا • اذا استقلت تحوي اوايلها •
من فتنة اصبحت مجللة • قد عم اهل الصلاة شاملها •
من بخراسان والعراق ومن • بالشام كل شجاه شاغلها •
فالناس منها في لون مظلمة • دهماء ملتجة غياطلها •
يمسي السفيه الذي يعنف بالجهل فيها سواد وعاقلها •
فالناس في كرب يكاد لها • تنبذ اولادها حواملها •
يغدون منها في ظل مبهمة • عمياء تغتالهم غوايلها •
كرغوة البكر او كصيحة حبلى طرقت حولها قوابلها •
لا ينظر الناس من عواقبها • الا التي لا يبين قايلها •
فجا سا نرى بوجهته • فيها خطوب حمر زلازلها •

وفي هذه السنة اخذ الخليفة البيعة من الامرا وغيرهم بولاية العهد من بعده لاخيه
ابراهيم بن الوليد ثم من بعد ابراهيم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان
وذلك بسبب مرضه الذي مات فيه وكان ذلك في ذي الحجة منها وقد حرضه على
ذلك جماعة من الامرا والاكابر والوزرا وفيها عزل يزيد بن الوليد عن امرة الحجاز يوسف
بن محمد الثقفي وولى عليها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فقدمها في اواخر ذي
القعدة منها وفيها اظهر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الخلاف ليزيد بن الوليد
وخرج في بلاد ارمينية فظهر انه طالب بدم الوليد بن يزيد فلما وصل الحران اظهر
الموافقة وبايع ليزيد بن الوليد وفيها ارسل ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
ابا هاشم بكر بن ماهان الى ارض خراسان فاجتمع بجماعة من اهل خراسان بمرو فقرا
عليهم كتاب ابراهيم بن محمد الامام اليه ووصيته فتلقوا ذلك بالقبول وارسلوا
معه ما كان عندهم من النفقات وفي سلخ ذي القعدة وقيل في سلخ ذي الحجة وقيل
لعشر مضين منه وقيل بعد عيد الاضحى منها كانت وفاة امير المومنين يزيد بن
الوليد وهذه ترجمته • هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي
العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابو خالد الاموي امير المومنين
بويع له بالخلافة اول ما بويع بها في قرية المزة ثم دخل دمشق فتغلب عليها ثم
ارسل الجيوش الى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله واستحوذ على الخلافة في اواخر
جمادى الاخرة من هذه السنة وكان يلقب بالناقص لنقصه الناس العشرات التي
زادهم اياها الوليد بن يزيد وقيل انما سماه بذلك مروان بن محمد الملقب بالحمار
كان يقول الناقص بن الوليد وامه شاه فرند بنت فيروز بن كسرى كسرى يز وقال
ابن جرير وامه شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شيرويه بن شهريار كسرى وهو
القايل •

انا ابن كسرى وابي مروان • وقيصر جدي وجدي خاقان •

وانما قال ذلك لان جدته فيروز امه هي بنت قيصر وام شيرويه هي بنت خاقان
ملك الترك وكانت قد سباها قتيبة بن مسلم هي واخت لها فبعثهما الى الحجاج
فارسل بهذه الى الوليد واستبقى عنده الاخرى فولدت هذه للوليد يزيد الناقص

وكان مولده في سنة تسعين وقيل في سنة ست وتسعين وقد روى عن الاوزاعي
مسئلة في القدر وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة وانه كان عادلا
قاصدا للحق وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة الى الصلاة العيد بين صفين
من الخيالة والسيوف مسللة عن يمينه وشماله ورجع من المصلى الى الخضراء كذلك
وكان رجلا يقال في المثل الاشج والناقص اعدلا بني مروان والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا
وقد قال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثني ابراهيم بن محمد المروزي عن ابي عثمان الليثي قال
قال يزيد بن الوليد الناقص يا بني امية اياكم والغنا فانه ينقص الحيا ويزيد في
الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فان كنتم لابد فاعلين
فجنبوه النسا فان الغنا داعية الزنا وقال ابن عبد الحكم عن الشافعي لما ولي يزيد
بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا الناس الى القدر
وحملهم عليه وقرب غيلان قال ابن عساكر لعله قرب اصحاب غيلان لان غيلان
قتله هشام بن عبد الملك وقال محمد بن المبارك اخر ما تكلم به يزيد بن الوليد الناقص
واحسرتاه واسفاه وكان نقش خاتمه العظمة لله وكانت وفاته بالخضراء من
طاعون اصابه وذلك يوم السبت لسبع مضين من ذي الحجة وقيل في منتصفه
وقيل يوم الاضحى منه وقيل بعده بايام وقيل لعشر بقين منه وقيل في سلخه وقيل
في سلخ ذي القعدة من هذه السنة واكثر ما قيل في عمره ست واربعون سنة وقيل
ثلاثون وقيل غير ذلك وكانت مدة ولايته ستة اشهر على الاشهر وقيل خمسة اشهر
وايام وصلى عليه اخوه ابراهيم بن الوليد وهو ولي عهده من بعده رح وذكر سعيد
بن كثير بن عفير انه دفن بين باب الجابية وباب الصغير وقيل انه دفن بباب
الفراديس وكان اسمر نحيفا حسن الجسم حسن الوجه وقال علي بن محمد المدايني كان اسمر
طويلا صغير الراس بوجهه خال وكان جميلا في بعض السعة وليس بالمفرط وحج
بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب الحجاز واخوه عبد الله نائب
العراق ونصر بن سيار على نيابة خراسان

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز بن عامر بن عبقري ابو الهيثم البجلي القسري
الدمشقي امير مكة والحجاز للوليد ثم لسليمان وامير العراق لهشام خمس عشرة
سنة قال ابن عساكر كانت داره بدمشق في مربعة القز وتعرف اليوم بدار
الشريف اليزيدي واليه ينسب الحمام الذي داخل باب توما روى عن ابيه
عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا اسد اتحب الجنة قلت نعم
قال فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك رواه ابو يعلى عن عثمان بن ابي شيبة عن
هشيم عن سيار ابي الحكم انه سمعه على المنبر يقول ذلك وممن روى عنه اسماعيل بن
اوسط واسماعيل بن ابي خالد وحبيب بن ابي حبيب وحميد الطويل وقد روي عنه
انه روى عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في تكفير المرض الذنوب وكانت امه نصرانية
وذكره ابو بكر بن عياش في الاشراف فمن امه نصرانية وقال المدايني اول ما عرف من
رياسته انه اوطا صبيا بدمشق بفرسه فحمله فاشهد طايفة من الناس انه هو صاحبه

فانه كان

فانه كان تغلبه ديته وقد استنابه الوليد على الحجاز من سنة تسع وثمانين الى ان توفي
الوليد ثم سليمان وفي سنة ست ومائة استنابه هشام على العراق الى سنة عشرين
وسلمه الى يوسف بن عمر الذي ولاه مكانه فعاقبه واخذ منه اموالا ثم اطلقه واقام بدمشق
الى المحرم من هذه السنة فسلمه الوليد بن يزيد الى يوسف بن عمر ليستخلص منه خمسين الف
الف فمات تحت العقوبة البليغة كسر قدميه ثم ساقيه ثم فخذيه ثم صدره فمات
ولم يتكلم كلمة واحدة ولم يتاوه حتى خرجت روحه رحمه الله قال العتبي عن ابيه خطب
خالد القسري يوما فارتج عليه فقال ايها الناس ان هذا الكلام يجي احيانا ويعزب
احيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويتعذر عند عزوبه مطلبه وقد يرد الى السليط بيانه
ويثيب الى الحصر كلامه وسيعود الينا ما تحبون ويعود لكم كما تريدون وقال
الاصمعي وغيره خطب خالد القسري يوما بواسط فقال يا ايها الناس تنافسوا
في المكارم وسارعوا الى المغانم واشتروا الحمد بالجود ولا تكتسبوا بالمطل ذما ولا
تعتدوا بمعروف لم تعجلوه ومهما تكن لاحد منكم نعمة عند احد لم يبلغ شكرها فالله احسن
له جزا واجزل له عطاء واعلموا ان حوايج الناس اليكم نعم فلا تملوها فتحور نقما
فان افضل المال ما كسب اجرا واورث ذكرا ولو رايتم المعروف لرايتموه رجلا حسنا
جميلا يسر الناظرين ويفوق العالمين ولو رايتم البخل لرايتموه رجلا مشوها
قبيحا تنفر منه القلوب وتغض دونه الابصار انه من جاد ساد ومن بخل ذل واكرم
الناس من اعطى من لا يرجوه ومن عفى عن قدرة واوصل الناس من وصل عن قطيعة
ومن لم يطب حرثه لم يزك نبته والفروع عند مغارسها تنمى وباصولها تسموا وروى
الاصمعي عن عمر بن الهيثم ان اعرابيا قدم على خالد فانشده قصيدة امتدحه فيها يقول فيها

اليك ابن كرز الخير اقبلت راغبا • لتجبر مني ما وهى وتبددا
الى الماجد البهلول ذي الحلم والندى • واكرم خلق الله فرعا ومحتدا
اذا ما اناس قصروا بفعالهم • نهضت فلم تلقى هنالك مقعدا
فيا لك بحرا يغمر الناس موجه • اذا يسال المعروف جاش وازبدا
بلوت ابن عبد الله في كل موطن • فالفيت خير الناس نفسا والمجدا
فلو كان في الدنيا من الناس خالد • لجود بمعروف لكنت مخلدا
فلا تحرمني منك ما قد رجوته • فيصبح وجهي كالح اللون اربدا

قال فحفظها خالد فلما اجتمع الناس عنده قام الاعرابي ينشدها فابتدره اليها خالد
فانشدها قبله وقال ايها الشيخ ان هذا شعر سبقك غيرك اليه فنهض الشيخ فولى ذاهبا
فاتبعه خالد من يسمع ما يقول فاذا هو ينشد هذه الابيات

الا في سبيل الله ما كنت ارتجي • لديه وما لاقيت من نكد الجهد
دخلت على بحر يجود بماله • ويعطي كثير المال في طلب الحمد
فخالفني الجد المشوم لشقوتي • وقارنني نحسي وفارقني سعدي
فلو كان لي رزق لديه لنلته • ولكنه امر من الواحد الفرد

فرجعه الى خالد فاعلمه بما كان يقول فامر له بعشرة الاف درهم وقال الاصمعي سال اعرابي خالد
القسري ان يملا له جرابه دقيقا فامر عليه له دراهم فقيل للاعرابي حين خرج ما فعل معك

فقال سل لنفسك ما اشتهيت فامر له بما يشتهي وقال بعضهم بينا خالد بن عبد الله يسير في موكبه اذ تلقاه اعرابي فسأله ان يضرب عنقه فقال ويحك ولم قال انقطعت السبل اخرجت يدا من طاعة فكل ذلك يقولون لا قال نعم قال من الفقر والفاقة فقال سل حاجتك قال ثلثين الفا فقال خالد ما ربح احد مثل ما ربحت اليوم اني وضعت في نفسي ان يسألني مائة الف فسأل ثلاثين فربحت سبعين ارجعوا بنا اليوم واعطوه ثلاثين الفا وكان اذا جلس يوضع بين يديه ويقول ان هذه الاموال ودائع لابد من تفرقتها وسقط خاتم لجارية ابنته رابعة يساوي ثلاثين الفا في بالوعة الدار فسألته ان يؤتى بمن يستخرجه فقال ان يدك اكرم علي من ان تلبسه بعد ما صار الى هذا الموضع القذر واعطاها خمسة الاف دينار بدله وقد كان لرابعة هذه من الحلي شيء عظيم من جملة ذلك ياقوتة وجوهرة كل واحدة بثلاثة وسبعين الف دينار وقد روى البخاري في كتاب افعال العباد وابن ابي حاتم في كتاب السنة وغير واحد ممن صنف في كتب السنة ان خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد اضحى فقال ايها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ثم نزل فذبحه في اصل المنبر قاله غير واحد من الائمة كان الجعد بن درهم من اهل الشام وهو مؤدب مروان الحمار ولهذا يقال له مروان الجعدي فنسبه اليه وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب اليه الطائفة الجهمية الذين يقولون ان الله في كل مكان بذاته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له ابان بن سمعان واخذه ابان عن طالوت ابن اخت لبيد بن اعصم عن خاله لبيد بن اعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر وتحت راعوفة ببئر ذي اروان التي كان ماؤها نقاعة الحناء وقد ثبت الحديث بذلك في الصحيحين وغيرهما وجاء في بعض الاحاديث ان الله انزل بسبب ذلك سورتي المعوذتين وقال ابو بكر بن ابي خيثمة حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي سمعت ابا بكر بن عياش قال رايت خالد القسري حين اتي بالمغيرة واصحابه وقد وضع له سرير في المسجد فجلس عليه ثم امر برجل من اصحابه فضربت عنقه ثم قال للمغيرة بن سعيد احيه وكان المغيرة يزعم انه يحيي الموتى فقال والله اصلحك الله ما احيي الموتى قال لتحيينه او لاضربن عنقك قال والله ما اقدر على ذلك ثم امر بطن قصب فاضرموا فيه نارا ثم قال للمغيرة اعتنقه فابى فعدا رجل من اصحابه فاعتنقه قال ابو بكر فرايت النار تاكله وهو يشير بالسبابة قال خالد هذا والله احق بالرياسة منك ثم قتله وقتل اصحابه وقال المدايني اتي خالد بن عبد الله برجل تنبا بالكوفة فقيل له ما علامة نبوتك قال قد نزل علي قران قيل وما هو قال انا اعطيناك الكماهر فصل لربك ولا تجاهر ولا تطع كل كافر وفاجر فامر به فصلب فقال وهو يصلب انا اعطيناك العمود فصل لربك على عود فانا ضامن لك ان لا تعود وقال المبرد اتي خالد بشاب قد وجد في دار قوم وادعي عليه السرق فسأله فاعترف فامر بقطعه فتقدمت فتاة حسناء فقالت

اخالد قد اوطات والله عشوة • وما العاشق المسكين فينا بسارق •

اقر بما لم يجنه غير انه راى • القطع اولى من فضيحة عاشق •

فامر خالد باحضار ابيها فزوجها من ذلك الغلام وامهرها عنه عشرة الاف درهم

وقال الاصمعي دخل اعرابي على خالد فقال اني قد امتدحتك ببيتين ولست انشدهما الا بعشرة الاف وخادم فقال قل فانشا يقول

• لزمت نعم حتى كانك لم تكن • سمعت من الاشياء شيئا سوى نعم •

• وانكرت لا حتى كانك لم تكن • سمعت بها في سالف الدهر والامم •

قال فامر له بعشرة الاف درهم وخادم يحملها قال ودخل عليه اعرابي فقال له سل حاجتك فقال مائة الف فقال اكثرت حط منها قال اضع منها تسعين الفا قال فتعجب منه خالد فقال ايها الامير سالتك على قدرك ووضعت على قدري فقال له لن تغلبني وامر له بمائة الف قال ودخل عليه اعرابي فقال اني قد قلت فيك شعرا وانا استصغره فيك فقال قل فانشا يقول

• تعرضت لي بالجود حتى نعشتني • واعطيتني حتى ظننتك تلعب •

• فانت الندى وابن الندى واخو الندى • حليف الندى ما للندى عنك مذهب •

فقال ما حاجتك قال علي خمسون الف دينار فقال قد امرت لك بها واضعفتها لك فاعطاه مائة الف قال ابو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء دخل اعرابي على خالد القسري فانشده

• كتبت نعم ببابك فهي تدعو • اليك الناس مسفرة النقاب •

• وقلت للا عليك بباب غيري • فانك لن ترى ابدا ببابي •

قال فاعطاه على كل بيت خمسين الفا وقد قال فيه ابن معين كان رجل سوء يقع في علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وذكر الاصمعي عن ابيه ان خالدا حفر بئرا ادعى فضلها على زمزم وله في رواية عنه تفضيل الخليفة على الرسول وهذا كفر الا ان يريد بكلامه غير ما يبدو منه والله اعلم وقد ذكر ابن جرير وابن عساكر وغيرهما ان الوليد بن يزيد كان قد عزم على الحج في امارته وهو ينوي ان يشرب على ظهر الكعبة فلما بلغ ذلك جماعة من الامراء اجتمعوا على قتله وتولية غيره من الجماعة فحذرها خالد امير المومنين منهم فساله ان يسميهم له فابى عليه فعاقبه عقابا شديدا ثم بعث به الى يوسف بن عمر فعاقبه حتى مات شر قتلة واسواها وذلك في محرم هذه السنة اعني سنة ست وعشرين ومائة وذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وقال كان متهما في دينه وقد بنى لامه كنيسة في داره فقال بعض الشعراء في ذلك شعرا وذكره وقال صاحب الاعيان كان في نسبه يهود فانتموا الى العرب وكان يقرب الى شق وسطيح قال القاضي ابن خلكان وقد كانا ابني خالة وعاش كل منهما ستمائة سنة وولدا في يوم واحد وذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير فلما تفلت في فم كل منهما وقالت انه سيخلفني في مقامي في الكهانة ثم ماتت من يومها

وممن توفي في هذه السنة

جبلة بن سحيم ودراج ابو السمح وسعيد بن مسروق في قول وسليمان بن حبيب المحاربي قاضي دمشق وعبد الرحمن بن القاسم شيخ مالك وعبيد الله بن ابي يزيد وعمرو بن دينار وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

استهلت هذه السنة والخليفة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بوصية اخيه يزيد

الناقص اليه وبايعه الامرا بذلك وجميع اهل الشام الا اهل حمص فلم يبايعوه وقد
تقدم ان مروان بن محمد الملقب بالحمار كان نائبا باذربيجان وارمينية وتلك كانت لابيه
من قبله وكان نقم على يزيد بن الوليد في قتله الوليد بن يزيد واقبل في طلب دم الوليد
فلما انتهى الى حران اناب وبايع يزيد بن الوليد فلم يلبث الا قليلا حتى بلغه موته فاقبل
في اهل الجزيرة حتى وصل قنسرين فحاصر اهلها فنزلوا على طاعته ثم اقبل الى حمص وعليها
عبد العزيز بن الحجاج من جهة امير المومنين ابراهيم بن الوليد يحاصرهم حتى يبايعوا لابراهيم
بن الوليد وقد اصروا على عدم مبايعته فلما بلغ عبد العزيز قرب مروان بن محمد رحل عنها
وقدم مروان اليها فبايعوه وساروا معه قاصدين دمشق ومعهم جند الجزيرة وجند قنسرين
فتوجه مروان الى دمشق في ثمانين الفا وقد بعث ابراهيم بن الوليد سليمان بن هشام بن عبد
الملك في مائة وعشرين الفا فالتقى الجيشان عند عين الجر من البقاع فدعاهم الى مروان
في الكف عن القتال وان يخلوا عن ابني الوليد بن يزيد ومعهما الحكم وعثمان اللذين قد اخذ
العهد لهما وكان يزيد قد سجنهما بدمشق فابوا عليه ذلك واقتتلوا قتالا شديدا
من حين ارتفاع النهار الى العصر وبعث مروان سرية ياتي جيش ابن هشام من ورائهم فتم
لهم ما ارادوه واقبل من ورائهم يكبرون وحمل الاخرون من تلقائهم عليهم فكانت الهزيمة
من اصحاب سليمان فقتل منهم اهل حمص خلقا كثيرا واستبيح عسكرهم وكان مقدار ما قتل
من اهل دمشق في ذلك اليوم قريبا من سبعة عشر او ثمانية عشر الفا واسر منهم مثلهم فاخذ
عليهم مروان البيعة للغلامين ابني الوليد الحكم وعثمان واطلقهم كلهم سوى رجلين وهما
يزيد بن العقار والوليد بن مصاد الكلبيان فضربهما بين يديه بالسياط وحبسهما
فماتا في السجن لانهما كانا ممن باشر قتل الوليد بن يزيد حين قتل واما سليمان بن هشام
وبقية اصحابه فانهم استمروا منهزمين فما اصبح لهم الصبح الا بدمشق فاخبروا امير المومنين
ابراهيم بن الوليد بما وقع فاجتمع معهم رؤوس الامرا في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج
ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري وابو علاقة السكسكي والاصبغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم
على ان يعمدوا الى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان خشية ان يليا الخلافة فيهلكا من عاداهما
وقتل اباهما فبعثوا اليهما يزيد بن خالد بن عبد الله القسري فعمد الى السجن فقتل الحكم
وعثمان ابني الوليد وقد بلغا ويقال وولد لاحدهما ولد فرضخهما بالعمد وقتل يوسف بن
عمر وكان مسجونا معهما وكان في سجنهما ايضا ابو محمد السفياني فهرب فدخل في بيت داخل
السجن وجعل وراء الباب ردما فحاصروه فامتنع فاتوا بنار ليحرقوا الباب ثم اشتغلوا
عن ذلك بقدوم مروان بن محمد واصحابه الى دمشق في طلب المنهزمين

ذكر دخول مروان الحمار دمشق فيها
وولايته الخلافة وعزل ابراهيم بن الوليد عنها

لما اقبل مروان بن محمد من الجنود من عين الجر اقترب من دمشق وقد انهزم اهلها بين يديه
بالامس هرب ابراهيم بن الوليد وعمد سليمان بن هشام الى بيت المال ففتحه وانفق ما فيه
على اصحابه ومن اتبعه من الجيوش وثار موالي الوليد بن يزيد الى دار عبد العزيز بن الحجاج
فقتلوه فيها وانتهبوها ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ودخل مروان
ابن محمد دمشق فنزل في عالية واتي بالغلامين الحكم وعثمان وهما مقتولين وكذلك بيوسف
ابن عمر فامر بهم فدفنوا واتي بابي محمد السفياني في قيوده فسلم على مروان بالخلافة
فقال له مروان مه فقال ان هذين الغلامين جعلاها لك من بعدهما ثم انشده قصيدة
قالها الحكم في السجن وهي طويلة فمنها قوله

الا من مبلغ مروان عني ● وعمي الغمر طال به الحنينا
الى ان قال
باني قد ظلمت وصار قومي ● على قتل الوليد متابعينا
فان اهلك انا وولي عهدي ● فمروان امير المومنينا

ثم قال ابو محمد السفياني لمروان ابسط يدك فكان اول من بايعه بالخلافة معاوية
بن يزيد بن حصين بن نمير ثم بايعه رؤوس اهل الشام من اهل دمشق وحمص وغيرهم ثم
قال لهم مروان اختاروا امرا نوليهم عليكم فاختار اهل كل بلد اميرا فولاه عليهم
فعلى دمشق زامل بن عمرو الحداني وعلى حمص عبد الله بن شجرة الكندي وعلى الاردن
الوليد بن معاوية بن مروان وعلى فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي ولما استوثق
الشام لمروان بن محمد رجع الى حران وعند ذلك طلب منه ابراهيم بن الوليد الذي كان خليفة
وابن عمه سليمان بن هشام الامان فامنهما وقدم عليه سليمان بن هشام في اهل تدمر فبايعوه
ثم لما استقر مروان بحران اقام فيها ثلاثة اشهر فانتقض عليه ما كان انبرم له من
مبايعة اهل الشام فنقض اهل حمص وغيرهم فارسل الى حمص جيشا فوافوهم ليلة عيد
الفطر من هذه السنة وقدم مروان اليها بعد الفطر بيومين فنازلها مروان في جنود
كثيرة ومعه يومئذ ابراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام وهما عنده مكرمان خصيصان
لا يجلس الا بهما وقت الغداء والعشاء فلما حاصر حمص نادوه انا على طاعتك فقال افتحوا باب
البلد ففتحوه ثم كان منهم بعض القتال فقتل منهم خلق نحو الخمسمائة او الستمائة فامر
بهم فصلبوا حول البلد وامر بهدم بعض سورها واما اهل دمشق فان اهل الغوطة حاصروا اميرهم
زامل بن عمرو وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وثبت في المدينة نائبها فبعث اليه امير المومنين
مروان من حمص عسكرا نحوا من عشرة الاف فلما اقتربوا من دمشق خرج النائب فيمن معه
والتقوا هم والعسكر باهل الغوطة فهزموهم وحرقوا المزة وقرى اخرى معها واستجار يزيد
بن خالد القسري وابو علاقة الكلبي برجل من اهل المزة من لخم فدل عليهم زامل بن عمرو فاتى
بهما فقتلهما وبعث براسيهما الى امير المومنين مروان وهو بحمص وخرج ثابت بن نعيم في اهل
فلسطين على الخليفة واتوا طبرية فحاصروها فبعث اليهم الخليفة جيشا فاجلوهم عنها
واستباحوا عسكرهم وفر ثابت بن نعيم هاربا الى فلسطين فاتبعه الامير ابو الورد فهزمه
ثانية وتفرق عنه اصحابه واسر ابو الورد ثلاثة من اولاده فبعث بهم الى الخليفة وهم
جرحى فامر بمداواتهم ثم كتب امير المومنين الى نائب فلسطين وهو الرماحس بن عبد العزيز
الكناني يامره بطلب ثابت بن نعيم حيث كان فما زال يتلطف به حتى اخذه اسيرا وذلك
بعد شهرين فبعثه الى الخليفة فامر بقطع يديه ورجليه وكذلك جماعة كانوا معه وبعث
بهم الى دمشق فاقيموا على باب مسجدها لان اهل دمشق كانوا قد ارجفوا بان ثابت بن نعيم
ذهب الى ديار مصر فتغلب عليها وقتل نائب مروان فيها فارسل به اليهم مقطع اليدين
والرجلين ليعرفوا بطلان ما كانوا به ارجفوا واقام الخليفة مروان بدير ايوب عليه السلام

مدة حتى بايع لابنيه عبد الله ثم عبيد الله وزوجهما ابنتي هشام وهما ام هشام وعايشة
وكان مجمعاً لها فلما عقد لهما لم يبايعه عامة ولكن لم تكن في نفسه لامرهما وقدم الخليفة الى
دمشق وامر بها ثابت واصحابه بعد ما كانوا قطعوا ان يصلبوا على ابواب البلد ولم يستبق
منهم احداً الا واحداً وهو عمرو بن الحرث الكلبي وكان عنده فيما زعم علم بودايع كان ثابت بن
نعيم اودعها عند اقوام واستوسق امر الشام لمروان ما عدا تدمر فسار من دمشق فنزل
القسطل من ارض حمص وبلغه ان اهل تدمر قد عوروا ما بينهم وبينه من المياه فاشتد
غضبه عليهم ومعه جحافل من الجيوش فتكلم الابرش بن الوليد وكانوا قومه وسال منه
ان يرسل اليهم اولاً ليعذر اليهم فبعث عمرو بن الوليد اخا الابرش فلما قدم عليهم لم يلتفتوا
اليه ولا سمعوا له قولاً فرجع فهم الخليفة ان يبعث اليهم الجنود فسأل له الابرش ان يذهب اليهم
بنفسه فارسله فلما قدم عليهم الابرش كلمهم واستمالهم الى السمع والطاعة فاجابه اكثرهم وامتنع
بعضهم فكتب الى الخليفة يعلمه بما وقع فامره الخليفة ان يهدم بعض سورها وان يقبل عن
الطاعة منهم اليه ففعل فلما حضروا عنده سار عن معه من الجنود نحو الرصافة على طريق
البرية ومعه من الرؤس ابراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام وجماعة من ولد الوليد
ويزيد وسليمان فاقام بالرصافة اياما ثم شخص الى الرقة فاستاذنه سليمان بن هشام
ان يقيم هناك اياما ليستريح ويجم ظهره فاذن له وانحدر مروان فنزل عند واسط على شط
الفرات فاقام ثلاثاً ثم مضى الى قرقيسيا وابن هبيرة بها ليبعثه الى العراق لمحاربة الضحاك
بن قيس الشيباني الخارجي الحروري واستقل مروان بهذا الامر واقبل عشرة الاف فارس ممن كان
مروان قد بعثهم في بعض السرايا فاجتازوا بالرصافة فدعوا سليمان بن هشام بن عبد
الملك الذي كان استاذن الخليفة في المقام هناك للراحة فدعوه الى البيعة له وخلع مروان
بن محمد ومحاربته فاستزله الشيطان فاجابهم الى ذلك وخلع مروان وسار بالجيوش الى قنسرين
وكاتب اهل الشام فانقضوا اليه من كل وجه وكتب سليمان الى ابن هبيرة الذي جهزه مروان لقتال
الضحاك بن قيس الخارجي يأمره بالمصير اليه فالتف عليه نحو من سبعين الفا وبعث مروان
اليهم عيسى بن مسلم في نحو من سبعين الفاً ايضاً فالتقوا بارض قنسرين فاقتتلوا قتالا
شديداً وجاء مروان والناس في الحرب فقاتلهم اشد القتال فهزمهم وقتل يومئذ ابراهيم بن
سليمان بن هشام وكان اكبر ولده وقتل منهم نيفاً على ثلاثين الفاً وذهب سليمان مغلولاً
فاتى حمص فالتف عليه من انهزم من جيشه فعسكر بهم فيها وبنى ما كان مروان هدم من سورها
فجاءهم مروان فحاصرهم ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً فمكث كذلك ثمانية اشهر يرميهم
ليلاً ونهاراً ويخرجون اليه في كل يوم فيقاتلون ثم يرجعون هذا وقد ذهب سليمان وطائفة
من الجيش معه الى تدمر وقد اعترضوا جيش مروان في الطريق وهموا بالفتك بمروان وينتهبوه
فلم يمكنهم ذلك وتهيأ لهم مروان فقاتلهم فقتلوا من جيشه قريباً من ستة الاف وهم تسعة آلاف
وانصرفوا الى تدمر ولزم مروان محاصرة حمص كمال العشرة اشهر فلما تتابع عليهم البلاء ولزمهم
الذل سألوه ان يؤمنهم فابى الا ان ينزلوا على حكمه ثم سألوه الامان على ان يمكنوه من سعيد
بن هشام وابنيه مروان وعثمان ومن السكسكي الذي كان يغير على جيشه ومن حبشي كان
يفتري عليه ويشتمه فاجابهم الى ذلك فامنهم وقتل اولئك ثم سار الى الضحاك وكان
عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد صالح الضحاك الخارجي على ما بيده من

الكوفة

الكوفة واعمالها وجاءت خيول مروان قاصدة الى الكوفة فقاتلهم نائبها من جهة الضحاك
ملحان الشيباني فقاتلهم فقتل ملحان واستناب الضحاك عليها المثنى بن عمران من بني
عائذة وسار الضحاك في ذي القعدة الى الموصل وسار ابن هبيرة الى الكوفة فانتزعها
من ايدي الخوارج وارسل الضحاك جيشاً الى الكوفة فلم يجد شيئاً وفي هذه السنة
خرج الضحاك بن قيس الشيباني وكان سبب خروجه ان رجلاً يقال له سعيد بن بهدل
وكان خارجياً اغتنم غفلة الناس واشتغالهم بمقتل الوليد بن يزيد فثار في جماعة
من الخوارج بالعراق فالتف عليه اربعة الاف ولم يجتمع قبلها لخارجي فقصدتهم الجيوش
فاقتتلوا معهم فتارة يكسرون وتارة يكسرون ثم مات سعيد بن بهدل في طاعون اصابه
واستخلف على الخوارج من بعده الضحاك بن قيس هذا فالتف اصحابه عليه والتقى
هو وجيش كثير فتغلبت الخوارج وقتلوا خلقاً كثيراً منهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز
اخو امير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فرثاه باشعار ثم قصد الضحاك بطائفة
من اصحابه مروان فاجتاز بالكوفة فنهض اليه اهلها فكسرهم ودخل الكوفة فاستحوذ
عليها واستناب بها رجلاً اسمه حسان ثم استناب ملحان الشيباني في شعبان
من هذه السنة وسار هو في طلب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق فالتقوا
فجرت بينهم حروب كثيرة يطول تفصيلها وفي هذه السنة اجتمعت جماعة من الدعاة
الى بني العباس عند ابراهيم بن محمد الامام ومعهم ابو مسلم الخراساني فدفعوا اليه نفقات
كثيرة واعطوه خمس اموالهم ولم ينتظم لهم امر في هذه السنة لكثرة الشرور المنتشرة
والفتن الواقعة بين الناس وفي هذه السنة خرج بالكوفة معاوية بن عبد الله بن
جعفر بن ابي طالب فدعا الى نفسه فحاربه امير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز
فجرت بينهما حروب يطول ذكرها ثم اجلاه عنها فلحق بالجبال فتغلب عليها وفي هذه
السنة خرج الحرث بن شريح الذي كان لحق ببلاد الترك وما لأهم على المسلمين قبحه الله
عليه بالعداوة ووفقه حتى خرج الى بلاد الشام وكان ذلك عن دعاء يزيد بن الوليد
الى الرجوع الى الاسلام واهله فاجابه الى ذلك وخرج الى خراسان فاكرمه نصر بن
سيار نائبها وفرح المسلمون بها بذلك وجاءوا بالتهنئة ثم وقع بينه وبين نصر بن سيار
نفور واستمر الحرث بن شريح على الدعوة الى الكتاب والسنة وطاعة الامام وعنده
بعض المناواة لنصر بن سيار وكذلك الكرماني الذي كان قد خرج على نصر بن سيار وقال
الواقدي وابو معشر وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز امير
الحجاز ومكة والمدينة والطايف وامير العراق النضر بن الحريش وقد خرج عليه الضحاك
الحروري وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وامير خراسان نصر بن سيار وقد خرج عليه
الكرماني والحرث بن شريح وممن توفي في هذه السنة بكير بن الاشج وسعد بن ابراهيم
وعبد الله بن دينار وعبد الملك بن مالك الجزري وعمير بن هاني ومالك بن دينار
ووهب بن كيسان وابو اسحاق السبيعي

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

فيها كان مقتل الحرث بن شريح وكان سبب ذلك ان يزيد بن الوليد الناقص كان قد
كتب اليه كتاب امان حتى خرج من بلاد الترك وصار الى المسلمين ورجع عن موالاة المشركين

الى نصرة الاسلام واهله وانه وقع بينه وبين نصر بن سيار نائب خراسان وحشة ومنافسات
كثيرة يطول شرحها فلما صارت الخلافة الى مروان بن محمد استوحش الحرث بن شريح من
ذلك وتولى ابن هبيرة نيابة العراق وجاءت البيعة لمروان فامتنع الحرث من قبولها
وتكلم في مروان وجاءه سلم بن احوز امير الشرطة وجماعة من رؤس الاجناد والامرا فطلبوا منه
ان يكف لسانه ويده وان لا يفرق جماعة المسلمين فابى وبرز ناحية عن الناس ودعا نصر
بن سيار الى ما هو عليه من الدعوة الى الكتاب والسنة فامتنع نصر من موافقته واستمر
هو على خروجه على الاسلام وامر الجهم بن صفوان مولى بني راسب ويكنى بابي محرز وهو الذي
تنسب اليه الفرقة الجهمية ان يقرا كتابا فيه سيرة الحرث على الناس وكان الحرث يقول
انا صاحب الرايات السود فبعث اليه نصر يقول لئن كنت ذاك فلعمري انكم الذين
تخربوا سور دمشق وتزيلون بني امية فخذ مني خمس مائة راس ومائتي بعير ومن شئت
من الاموال وان كنت غيره فلقد اهلكت عشيرتك فبعث اليه الحرث يقول لعمري ان هذا
لكاين فقال له نصر فابدا اذا بالكرماني اولا ثم سر الى الري وانا في طاعتك اذا وصلتها
ثم تناظر نصر والحرث ورضيا ان يحكم بينهما مقاتل بن حيان والجهم بن صفوان فحكما
ان يعزل نصر ويكون الامر شورى فامتنع نصر من قبول ذلك ولزم الجهم بن صفوان وغيره
قراءة سيرة الحرث على الناس في الجوامع والطرق فاستجاب له خلق كثير وجم غفير
فعند ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن امر نصر بن سيار فقصدوه فحاجف
دونه اصحابه فقتل منهم طايفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان طعنه رجل في فيه فقتله
ويقال بل اسر الجهم فاوقف بين يدي سلم بن احوز فامر بقتله فقال ان لي امانا
من ابيك فقال ما كان له ان يؤمنك ولو فعل ما امنتك ولو ملات هذه الملاة كواكب
وانزلت الى عيسى بن مريم ما نجوت والله ولو كنت في بطني لشققت بطني حتى اقتلك
وامر بن محسر فقتله ثم اتفق الحرث بن شريح والكرماني على نصر ومخالفته والدعوة
الى الكتاب والسنة واتباع ائمة الهدى وتحريم المنكرات الحقيرة لما جاءت به الشريعة
ثم اختلفا فيما بينهما واقتتلا قتالا شديدا فغلب الكرماني وانهزم اصحاب الحرث
وكان راكبا على بغل فتحول الى فرس فحرن فلمان غشي وهرب عنه اصحابه ولم يبق معه منهم سوى
مائة فادركه اصحاب الكرماني فقتلوه تحت شجرة زيتون وقيل تحت شجرة غبيرا وذلك
يوم الاحد لست بقين من رجب من هذه السنة وقتل معه مائة من اصحابه واحتاط
الكرماني على حواصله وامواله واخذ اموال من خرج معه ايضا وامر بصلب الحرث بلا راس
على باب مدينة مرو ولما بلغ نصر بن سيار مقتل الحرث قال في ذلك

مقتل الجهم بن صفوان

يا مدخل الذل على قومه • بعدا وسحقا لك من هالك
شومك اردى مضر كلها • وعض من قومك بالحارك
ما كانت الازد واشياعها • تطمع في عمرو ولا مالك
ولا بني سعد اذا الجموا • كل طمر لونه حالك

وقد اجابه عتاب بن الحرث بن شريح فيما قال

الا يا نصر قد برح الخفاء • وقد طال التمني والرجاء
واصبحت المزون بارض مرو • تقضي في الحكومة ما تشاء

يجوز

يجور قضاؤها في كل حكم • على مضر وان جار القضاء
وحمير في مجالسها قعود • ترقرق في رقابهم الدماء
فان مضر بذا رضيت وذلت • فطال لها المذلة والشقاء
وان هي اعتبت فيها والا • فحل على عساكرها العفاء

وفي هذه السنة بعث ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ابا مسلم الخراساني
الى خراسان وكتب معه كتابا الى شيعتهم بها ان هذا ابا مسلم فاسمعوا له واطيعوا وقد
وليته على ما غلب عليه من ارض خراسان فلما قدم ابو مسلم خراسان وقرا على اصحابه
هذا الكتاب لم يلتفتوا اليه ولم يعملوا به واعرضوا عنه ونبذوه وراء ظهورهم فرجع
الى ابراهيم بن محمد ايام الموسم فاشتكاهم اليه واخبره بما قابلوه من المخالفة فقال له
يا عبد الرحمن انك رجل منا اهل البيت ارجع اليهم وعليك بهذا الحي من اليمن فاكرمهم
وانزل بين اظهرهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم ثم حذره من بقية الاحيا وقال له
ان استطعت ان لا تدع بتلك البلاد لسانا عربيا فافعل ومن بلغ من ابنايهم خمسة اشبار
واتهمته فاقتله وعليك بهذا الشيخ فلا تعصه يعني سليمان بن كثير وسياتي ما كان
من امر ابي مسلم الخراساني فيما بعد ان شا الله تعالى وفي هذه السنة قتل الضحاك
بن قيس الخارجي في قول ابي مخنف وكان سبب ذلك ان الضحاك حاصر عبد الله بن
عمر بن عبد العزيز بواسط ووافقه على محاصرته منصور بن جمهور فكتب عبد الله
ابن عمر بن عبد العزيز اليه انه لا فايدة لك في محاصرتي ولكن عليك بمروان بن محمد
فسر اليه فان قتلته اتبعتك فاصطلحا على مخالفة مروان بن محمد فترحل الضحاك
عنه وسار قاصدا الى قتال مروان بن محمد امير المومنين فلما اجتاز الضحاك بالموصل
كاتبه اهلها فمال اليهم فدخلها وقتل نائبها واستحوذ عليها وبلغ ذلك مروان وهو
محاصر حمص مشغول باهلها وعدم مبايعتهم اياه فكتب الى ابنه عبد الله بن مروان وكان
الضحاك فقد التف عليه ما بين الف وعشرين الفا فحاصروا نصيبين وسار
مروان في طلبه فالتقيا هنالك فاقتتلا قتالا شديدا جدا فانحاز الضحاك عن
زهيه وترجل معه جماعة من كبار الامرا فقاتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك في المعركة
وحجز الليل بين الفريقين وفقد اصحاب الضحاك الضحاك وشكوا في امره حتى
اخبرهم من شاهده قد قتل فبكوا عليه وناحوا وجاء الخبر الى مروان فبعث الى المعركة
بالمشاعل ومن يعرف مكانه بين القتلى وجاء الخبر الى مروان وهو مقتول وفي راسه
ووجهه نحو من عشرين ضربة فامر براسه فطيف به في مدائن الجزيرة واستخلف
الضحاك من بعده على جيشه رجلا يقال له الخيبري فالتف عليه بقية جيش
الضحاك والتفع الخيبري سليمان بن هشام بن عبد الملك واهل بيته ومواليه
والجيش الذين كانوا قد بايعوه في السنة الماضية على الخلافة وخلعوا مروان بن
محمد عن الخلافة لاجله فلما اصبحوا اقتتلوا مع مروان فحمل الخيبري في اربعماية من
شجعان اصحابه على مروان وهو في القلب فكر منهزما واتبعوه حتى اخرجوه من الجيش
ودخلوا عسكره وجلس الخيبري على فرشه هذا وميمنة مروان ثابتة وعليها ابنه عبد
الله وميسرته ايضا ثابتة وعليها بن اسحاق بن مسلم العقيلي ولما راى عبيد العسكر

فارس مع الخيبري في انا الميمنة والميسرة من جهتهم بانيثان طغوا فيه فاقبلوا اليه بعد الخيام فقتلوه بها وبلغ مقتله مروان وقد سار عن الجيش نحو من خمسة اميال او ستة فرجع منصورا وانهزم اصحاب الضحاك وقد ولوا عليهم شيبان فقصدهم مروان بعد ذلك بمكان يقال له الكراديس فهزمهم وفيها بعث مروان على امرة العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقاتل من بها من الخوارج وفي هذه السنة حج بالناس عبد العزيز بن محمد عمر بن عبد العزيز وهو نايب المدينة ومكة والطايف وامير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وامير خراسان نصر بن سيار وممن توفي في هذه السنة بكر بن سوادة وجابر الجعفي والجهم بن صفوان مقتولا كما تقدم والحرث بن شريح احد كبار الامرا وقد تقدم شي من ترجمته وعاصم بن بهدلة وابو حصين عثمان بن عاصم ويزيد بن حبيب وابو التياح يزيد بن حميد وابو حمزة الضبعي وابو الزبير المكي وابو عمران الجوني وابو قبيل المعافري وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل ۞

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

فيها اجتمعت الخوارج بعد الخيبري على شيبان بن عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجي فاشار سليمان بن هشام عليهم ان يتحصنوا بالموصل ويجعلوها ميرة لهم فتحولوا اليها وتبعهم مروان بن محمد امير المومنين فعسكروا بظاهرها وخندقوا عليهم مما يلي جيش الخليفة ويقتتلون في كل يوم بكرة وعشية وظفر مروان بابن اخ لسليمان بن هشام وهو امية بن معاوية بن هشام اسره بعض جيشه فامر به فقطعت يداه ثم ضربت عنقه وعمه سليمان والجيش ينظرون اليه وكتب مروان الى نائبه بالعراق يزيد بن عمر بن هبيرة فاباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية بالعراق واستنقذ الكوفة من ايدي الخوارج وكان عليها المثنى بن عمران العايذي عايذة قريش في رمضان من هذه السنة وكتب مروان الى ابن هبيرة لما فرغ من الخوارج ان يمده بعامر بن ضبارة وكان من الشجعان فبعثه في سبعة الاف او ثمانية الاف فارسلت الخوارج اليه سرية في اربعة الاف فاعترضوه في الطريق فهزمهم ابن ضبارة وقتل اميرهم الجون بن كلاب الشيباني الخارجي واقبل نحو الموصل ورجع فل الخوارج اليهم فاشار سليمان بن هشام عليهم ان يتحولوا عن الموصل فانه لم يكن يمكنهم الاقامة بها ومروان من امامهم وابن ضبارة من ورايهم قد قطع عنهم الميرة لم يجدوا شيا ياكلونه فارتحلوا عنها وساروا الى حلوان الى الاهواز فارسل مروان بن ضبارة في اثارهم في ثلاثة الاف فاتبعهم يقتل من تخلف منهم ويلحقهم في مواطن يقاتلهم ومازال وراءهم حتى فرق شملهم شذر مذر وهلك اميرهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري بالاهواز في السنة القابلة قتله خالد بن مسعود بن جعفر بن خليد الازدي وركب سليمان بن هشام في مواليه واهل بيته السفن وساروا الى السند ورجع مروان من الموصل فاقام بمنزله بحران ۞

اول ظهور ابي مسلم الخراساني بخراسان ۞

وفي هذه السنة ورد كتاب من ابراهيم بن محمد الامام العباسي يطلب ابي مسلم الخراساني من خراسان فسار اليه في سبعين من النقباء لا يمرون ببلد الا سالوهم الى اين تذهبون فيقول ابو مسلم نريد الحج واذا توسم ابو مسلم من بعضهم ميلا اليه دعاهم الى ما هم فيه

فيجيبه الى ذلك فلما كان ببعض الطريق جاء كتاب ثان من ابراهيم الامام الى ابي مسلم اني بعثت اليك براية النصر فارجع الى خراسان واظهر الدعوة وامر قحطبة بن شبيب ان يسير بما معه من الاموال والتحف الى ابراهيم الامام فيوافيه في الموسم ورجع ابو مسلم بالكتاب فدخل خراسان في اول يوم من رمضان فدفع الكتاب الى سليمان بن كثير وفيه ان اظهر دعوتك ولا تتربص فقدموا عليهم ابا مسلم الخراساني داعيا الى بني العباس فبث ابو مسلم دعاته في بلاد خراسان وامير خراسان نصر بن سيار مشغول بقتال الكرماني وشيبان بن سلمة الحروري وقد بلغ من امره انه كان يسلم عليه اصحابه بالخلافة في طوايف كثيرة من الخوارج فظهر امر ابي مسلم وقصده الناس من كل جانب فكان ممن قصده في يوم واحد اهل ستين قرية فاقام هنالك اثنين واربعين يوما ففتحت على يديه اقاليم كثيرة ولما كانت ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان في هذه السنة عقد ابو مسلم اللواء الذي بعث به اليه الامام ويدعى الظل على رمح طوله اربعة عشر ذراعا وعقد الراية التي بعث بها الامام ايضا وتدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعا وهما سوداوان وهو يتلو قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ولبس ابو مسلم وسليمان بن كثير ومن اجابهم الى هذه الدعوة السواد وصارت شعارهم واوقدوا في هذه الليلة نارا عظيمة يدعون بها اهل تلك النواحي وكانت علامة ما بينهم فتالوا ومعنى تسمية احدى الرايتين بالسحاب ان السحاب كما يطبق جميع الارض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم اهل الارض ومعنى تسمية الاخرى بالظل ان الارض كما انها لا تخلو من ظل وكذلك بنو العباس لا تخلو الارض من قايم منهم واقبل الناس الى ابي مسلم من كل جانب وكثر جيشه جدا ولما كان يوم عيد الفطر امر ابو مسلم سليمان بن كثير ان يصلي بالناس ونصب له منبرا وان يخالف في ذلك بني امية ويعمل بالسنة فنودي للصلاة الصلاة جامعة ولم يوذن ولم يقم خلافا لهم وبدا بالصلاة قبل الخطبة وكبر سبعا في الاولى قبل القراءة لا اربعا وخمسا في الثانية لا ثلاثا خلافا لهم وابتدا الخطبة بالذكر والتكبير وختمها بالقراءة وانصرف الناس من صلاة العيد وقد اعد لهم ابو مسلم طعاما فنصبه بين ايدي الناس وكتب الى نصر بن سيار كتابا بدا فيه بنفسه ثم قال الى نصر بن سيار بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عير اقواما فقال سبحانه في القران واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيي ولا يحيق المكر السيي الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا فتعاظم ذلك عند نصر ان قدم اسمه على اسمه واطال الفكرة وقال هذا كتاب له اخوان قال ابن جرير ثم بعث نصر بن سيار خيلا عظيمة لمحاربة ابي مسلم وذلك بعد ظهوره بثمانية عشر شهرا فارسل ابو مسلم اليهم مالك بن الهيثم الخزاعي فالتقوا فدعاهم مالك الى الرضا من ال رسول الله فابوا من ذلك فتصافوا من اول النهار الى العصر ثم جاء مدد فقوي مالك عليهم واستظهر وظفر بهم وكان هذا اول موقف اقتتل فيه دعاة بني العباس وجند بني امية وفي ذي القعدة من هذه السنة غلب حازم بن خزيمة على

ودا الرود وقتل عاملهما من جهة نصر بن سيار بشر بن جعفر السعدي وكتب بالفتح الى ابي مسلم الخراساني وكان ابو مسلم اذ ذاك شابا حدثا قد اختاره ابراهيم الامام لدعوتهم وذلك لشهامته وصرامته وقوة فهمه وجودة عقله واصله من سواد الكوفة وكان مولى لادريس بن معقل العجلي فاشتراه بعض دعاة بني العباس باربعمائة درهم ثم اخذه محمد بن علي ثم الدولة لآل العباس وقد زوجه ابراهيم بن محمد الامام بابنة ابي النجم اسماعيل بن عمران واصدقها عنه وكتب الى نقبائهم بخراسان والعراق ان يسمعوا له ويطيعوا فامتثلوا امره في هذه المدة وقد كانوا في السنة الماضية ردوا عليه امره لصغره في اعينهم فلما كانت هذه السنة اكد كتابه اليهم في سببه فلم يكن لهم عنه معدل وكان في ذلك الخيرة وكان امر الله قدرا مقدورا ولما استفحل امر ابي مسلم بخراسان تعاقدوا طوائف من احياء العرب بها على حربه ومقاتلته ولم يكره امره الكرماني وشيبان لانهما خرجا على نصر بن سيار وهذا مخالف له وهو مع ذلك يدعو الى خلع مروان الحمار وقد طلب نصر من شيبان ان يكون معه على حرب ابي مسلم او يكف عنه حتى يتفرغ لحربه فاذا قتله وتفرغ منه عادا الى عداوتهما فبلغ ذلك ابا مسلم فبعث الى الكرماني يعلمه بذلك فثنى الكرماني شيبان عن ذلك الراي وبعث ابو مسلم الى هراة النضر بن نعيم فافتتحها وطرد عنها عاملها عيسى بن عقيل الليثي واستحوذ على البلد وكتب الى ابي مسلم بذلك وجاء عاملها الى نصر هاربا ثم ان شيبان وادع نصر بن سيار سنة على ترك الحرب بينه وبينه وذلك عن كره من ابن الكرماني فبعث ابن الكرماني الى ابي مسلم اني معك على قتال نصر فسار ابو مسلم نحو ابن الكرماني ليجتمعا على قتال نصر وركب ابو مسلم الى خدمه ابن الكرماني فنزل عنده واجتمعا واتفقا على حرب من خالفهما وتحول ابو مسلم الى موضع فسيح وكثر جنده وعظم جيشه واستعمل على الشرط والحرس والرسائل والديوان وغير ذلك مما يحتاج الملك اليه وجعل القاسم بن مجاشع التميمي وكان احد النقباء على القضاء وكان يصلي بابي مسلم الصلوات ويقص بعد العصر فيذكر محاسن بني هاشم ويذم بني امية ثم تحول ابو مسلم فنزل بقرية يقال لها الين وكان في مكان منخفض فخشي ان يقطع عنه نصر بن سيار الماء وذلك في سادس ذي الحجة من هذه السنة وصلى بهم يوم النحر القاضي القاسم بن مجاشع وسار نصر بن سيار في جحافل قاصدا قتال ابي مسلم واستخلف على البلاد نوابا فكان من امرهما ما سنذكره في السنة الاتية

مقتل ابن الكرماني

ونشبت الحرب بين نصر بن سيار وبين ابن الكرماني وهو جديع بن علي الكرماني وقتل بينهما من الفريقين خلق كثير وجعل ابو مسلم يكاتب كلا من الطائفتين ويستميلهم اليه ويكتب الى نصر والى ابن الكرماني ان الامام قد اوصاني بكم خيرا ولست اعدو رايه فيكم وكتب الى الكور يدعو الى بني العباس فاستجاب له خلق كثير وجم غفير واقبل ابو مسلم فنزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جديع الكرماني فهابه الفريقان جميعا وكتب نصر بن سيار الى الخليفة مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار يعلمه بامر ابي مسلم وكثرة من معه وانه يدعو الى ابراهيم بن محمد وكتب في كتابه

ارى

ارى بين الرماد وميض جمر • واحر بان يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى • وان الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعري • اايقاظ امية ام نيام

فكتب اليه مروان ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال نصر ان صاحبكم قد اعلمكم ان لا نصرة عنده ولبعضهم يرويها بلفظ اخر

ارى خلل الرماد وميض نار • ويوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى • وان الحرب اولها الكلام
لئن لم يطفها عقلاء قوم • يكون وقودها جثث وهام
اقول من التعجب ليت شعري • اايقاظ امية ام نيام
فان كانوا لحينهم نياما • فقل قوموا فقد حان القيام

قال ابن خلكان وهذا كما قال بعض علويي الكوفة انه قال حين خرج محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن حسن على المنصور اخي السفاح

ارى نارا تشب على بقاع • لها في كل ناحية شعاع
وقد رقدت بنو العباس عنها • وباتت وهي آمنة رتاع
كما رقدت امية ثم هبت • تدافع حين لا يغني الدفاع

وكتب نصر الى نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده وكتب اليه

ابلغ يزيد وخير القول اصدقه • وقد تبينت ان لا خير في الكذب
بان خراسان ارض قد رايت بها • بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين الا انها كبرت • لما يطرن وقد سربلن بالزغب
فان يطرن ولم يحتل لهن بها • يلهبن نيران حرب ايما لهب

فبعث ابن هبيرة بكتاب نصر الى مروان واتفق في وصول الكتاب اليه ان وجدوا رسولا من جهة ابراهيم بن محمد ومعه كتاب منه الى ابي مسلم وهو يشتمه ويسبه ويامره ان يناجز نصر بن سيار والكرماني ولا يترك هناك من يحسن الكلام بالعربية فعند ذلك بعث مروان وهو مقيم بحران الى نائبه بدمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك يامره ان يرسل كتابا الى نائبه بالبلقاء ان يذهب الى الحميمة البلدة التي بها ابراهيم بن محمد الملقب بالامام ويرسله اليه فبعث نائب دمشق الى نائب البلقاء فذهب الى مسجد البلدة فوجد فيه ابراهيم بن محمد جالسا فقيده وارسل به الى دمشق فبعثه من فوره الى مروان بن محمد امير المؤمنين فامر به فسجن وكان من امره ما سنذكره في الاتية واما ابو مسلم فانه لما توسط بين جيشي نصر والكرماني كاتب الكرماني اني معك فمال اليه فكتب اليه نصر ويحك لا تغتر فانه انما يريد قتلك وقتل اصحابك معك فهلم حتى نكتب كتابا بيننا بالموادعة فدخل الكرماني داره ثم خرج الى الرحبة في مائة فارس وبعث الى نصر ان هلم حتى نكتب فابصر نصر غرة من الكرماني فنهض اليه في خلق كثير فحملوا عليه فقتلوا منهم جماعة وقتل الكرماني في المعركة طعنه رجل في خاصرته فخر عن دابته ثم امر نصر بصلبه فصلب وصلب معه سمكة فانضاف ولده علي الى ابي مسلم الخراساني ومعه طوائف من الناس من اصحاب ابيه فصاروا كفا واحدا

على نصر بن سيار قال ابن جرير وفي هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله
بن جعفر على فارس وكورها وعلى حلوان وقومس واصبهان والري بعد حروب يطول
ذكرها وبسطها ثم التقى عامر بن ضبارة معه باصطخر فهزمه ابن ضبارة واسر من اصحابه
اربعين الفا فكان منهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس فنسبه ابن ضبارة وقال له
ما جاء بك مع ابن معاوية وقد علمت خلافه لامير المؤمنين مروان فقال كان علي دين
فاتيته فقام اليه قحطبة بن ضبيب الهلالي فاستوهبه منه وقال هو ابن اختنا فوهبه
له وقال ما كنت لاقدم على رجل من قريش ثم استعلم ابن ضبارة من عبد الله بن علي
عن اخبار ابن معاوية فذمه ورماه واصحابه باللواط وجيء من الاسارى بمائة غلام
عليهم الثياب المصبغة فحمل ابن ضبارة عبد الله على البريد الى ابن هبيرة ليخبره بذلك
فبعثه ابن هبيرة الى مروان في اجناد اهل الشام فاخبره بما اخبره ابن ضبارة وقد كتب
الله عز وجل زوال الملك مروان على يدي هذا الرجل ولا يشعر واحد منهما بذلك قال
ابن جرير وفي هذه السنة وافى الموسم ابو حمزة الخارجي فاظهر التحكيم والمخالفة لمروان
بن محمد بن مروان والتبري منه فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان
وهو يومئذ امير مكة والمدينة والطايف واليه امرة الحجيج في هذه السنة ثم
صالحهم على الامان الى يوم النفر فوقفوا حجزة من الناس بعرفات ثم تحيزوا عنهم فلما كان
يوم النفر الاول تعجل عبد الواحد وترك مكة فدخلها الخارجي بغير قتال فقال بعض الشعراء

زار الحجيج عصابة قد خالفوا • دين الاله ففر عبد الواحد •
ترك الحلايل والامارة • ومضى يخبط كالبعير الشارد •
لو كان والده يخير عرقه • لصفت مضاربه بعرق الوالد •

ولما رجع عبد الواحد الى المدينة شرع في تجهيز السرايا الى الخارجي وبذل النفقات
وزاد في اعطية الاجناد وسيرهم اليه سريعا وكانت امرة العراق الى يزيد بن عمر بن هبيرة
وامرة خراسان الى نصر بن سيار ولكن قد استحوذ على بعض معاملته ابو مسلم الخراساني
وممن توفي في هذه السنة من الاعيان سالم ابو النضر وعلي بن زيد بن جدعان في قول
ويحيى بن ابي كثير وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل ولله الحمد والمنة

سنة ثلثين ومائة

ففي يوم الخميس لسبع خلون من جمادى الاولى منها دخل ابو مسلم الخراساني مدينة
مرو ونزل دار الامارة بها وانتزعها من يد نصر بن سيار وذلك بمساعدة علي بن
الكرماني وهرب نصر بن سيار في شرذمة قليلة من الناس نحو من ثلاثة الاف ومعه
امرأته المرزبانة ثم عجل الهرب حتى لحق بسرخس وترك امرأته وراءه ونجا بنفسه واستفحل
امر ابي مسلم بخراسان جدا والتفت عليه الطوائف من الناس وجماعة احياء العرب
مقتل شيبان بن سلمة الحروري ولما هرب نصر بن سيار بقي شيبان الحروري وكان
ممالئا لعلي على ابي مسلم فبعث اليه ابو مسلم رسلا فحبسهم شيبان فارسل ابو مسلم الى
بسام بن ابراهيم مولى بني ليث فامره ان يركب الى شيبان فيقاتله فسار اليه فاقتتلا
فهزمه بسام وقتله وتبع اصحابه يقتلهم ويأسرهم ثم قتل ابو مسلم علي وعثمان ابني
الكرماني وكان سبب ذلك ان ابا مسلم كان وجه موسى بن كعب الى ابيورد

فانتخبها

فانتخبهما وكتب الى ابي مسلم يعلمه بذلك ووجه ابا داود الى بلخ فاخذها من زياد بن
عبد الرحمن القشيري فجمع زياد خلقا من الجنود من اهل تلك الناحية لقتال المسودة
فنهض اليهم ابو داود فقاتلهم حتى كسرهم واستباح معسكرهم وقتل منهم خلقا واصطفى
اموالا جزيلة واستفحل امره هنالك ثم وقعت كاينة اقتضت ان اتفق رأي ابي مسلم
مع ابي داود على ان يقتل ابو داود عثمان بن الكرماني في يوم كذا وكذا وفي ذلك اليوم
بعينه فقتل ابو مسلم علي بن جديع الكرماني فوقع ذلك كذلك وفي هذه السنة توجه
قحطبة بن شبيب الى نيسابور لقتال نصر بن سيار ومع قحطبة جماعة من كبار الامراء
منهم خالد بن برمك وخلق منهم فالتقوا مع تميم بن نصر بن سيار وقد وجهه ابوه لقتالهم
بطوس فقتل قحطبة من اصحاب نصر وخواصه سبعة عشر الفا في المعركة وقد كان
ابو مسلم بعث الى قحطبة مددا في عشرة الاف فارس عليهم علي بن معقل ولما التقوا
قتلوا من اصحاب نصر خلقا وقتلوا تميم بن نصر وغنموا اموالا جزيلة جدا ثم ان يزيد
بن عمر بن هبيرة نايب العراق بعث سرية مددا لنصر بن سيار على ابي مسلم فارسل ابو
مسلم من جهته قحطبة بن شبيب فالتقى معهم في مستهل ذي الحجة من هذه السنة بجرجان
وذلك يوم جمعة فقام قحطبة في الناس خطيبا فحثهم على الجهاد والقتال ووعدهم
وامرهم بالمصابرة ووعدهم عن الامام انهم ينصرون في هذا اليوم فتقاتلوا قتالا
شديدا فانهزم جند بني امية وقتل من اهل الشام وغيرهم عشرة الاف منهم امير المدد
نباتة بن حنظلة عامل جرجان ورئيسهم لابن هبيرة فبعث قحطبة براسه الى
ابي مسلم

ذكر دخول ابي حمزة الخارجي المدينة النبوية

واستيلائه عليها مدة ثلاثة اشهر حتى ارتحل عنها قال ابن جرير وفي هذه السنة
كانت وقعة بقديد من ارض الحجاز بين ابي حمزة الخارجي الذي كان تحكم في ايام الموسم
وبين اهل المدينة فقتل الخارجي خلقا كثيرا من قريش وغيرهم ثم دخل الخارجي المدينة
وهرب نائبها عبد الواحد بن سليمان فقتل الخارجي من اهلها وذلك لتسع عشرة
ليلة خلت من صفر من هذه السنة وقد خطب الخارجي اهل المدينة على المنبر النبوي
فوبخهم وانبهم فكان فيما وبخهم به ان قال يا اهل المدينة اني مررت بكم ايام الاحول
يعني هشام بن عبد الملك وقد اصابتكم عاهة في ثماركم فكتبتم اليه تسالونه
ان يضع الخرص عن ثماركم فوضعه عنكم فزاد غنيكم غنى وزاد فقيركم فقرا فكتبتم
اليه جزاك الله خيرا فلا جزاه الله خيرا في كلام طويل غير هذا وقد اقام ابو حمزة ثلاثة
اشهر بقية صفر وشهري ربيع وبعض جمادى الاولى فيها فيما ذكره الواقدي وغير واحد
وقد روى المدايني ان ابا حمزة رقى يوما على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحمد الله واثنى عليه ثم قال تعلمون يا اهل المدينة انا لم نخرج من ديارنا واموالنا
اشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لدولة ملك نريد ان نخوض فيه ولا لثار قديم نيل منا
ولكنا لما راينا مصابيح الحق قد عطلت وضعف القايل بالحق وقتل القايم
بالقسط ضاقت علينا الارض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو الى طاعة الرحمن
وحكم القران فاجبنا داعي الله ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اقبلنا

من قبايل شتى لتركبنا على بعير واحد عليه زادهم وانفسهم يتعاورون لحافا واحدا قليلون مستضعفون في الارض فاوانا وايدنا بنصره فاصبحنا والله بنعمته اخوانا ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم الى طاعة الرحمن وحكم القران ودعونا الى طاعة الشيطان وحكم ال مروان فشتان لعمر والله ما بين الغي والرشد ثم اقبلوا يهرعون يزفون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه واقبل انصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون وانتم يا اهل المدينة ان تنصروا مروان فيسحتكم الله بعذاب من عنده او بايدينا ويشف صدور قوم مومنين يا اهل المدينة اولكم خير اول واخركم شر اخر يا اهل المدينة الناس منا ونحن منهم الا مشركا عابد وثن او كافر اهل الكتاب او اماما جابرا يا اهل المدينة من زعم ان الله كلف نفسا فوق طاقتها او سالها ما لم يوتها فهو لله عدو ولنا حرب يا اهل المدينة اخبروني عن ثمانية اسهم فرضها الله في كتابه على القوي والضعيف فجا تاسع ليس له منها ولا سهم واحد فاخذها لنفسه مكابرا محاربا لربه يا اهل المدينة بلغني انكم تنتقصون اصحابي قلتم شباب احداث واعراب جفاة ويحكم يا اهل المدينة وهل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شبابا احداثا شبان والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقيلة عن الباطل اقدامهم قد باعوا الله انفسا تموت بانفس لا تموت قد خلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم محنية اصلابهم على اجزاء القران كلما مروا باية خوف شهقوا خوفا من النار واذا مروا باية شوق شهقوا شوقا الى الجنة فلما نظروا الى السيوف قد انتضيت والى الرماح قد شرعت والى السهام قد فوقت وارعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعد الكتيبة لوعيد الله ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن ماب فكم من عين في منقار طاير طالما فاضت في جوف الليل من خوف الله وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها في طاعة الله اقول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ثم روى المداينى عن العباس عن هرون عن جده قال كان ابو حمزة قد احسن السيرة في اهل المدينة حتى استمال الناس حين سمعوه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول برح الخفا اين ما بك يذهب من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر فابغضه الناس ورجعوا عن محبته واقام بالمدينة حتى بعث امير المومنين مروان الجعدي الملقب بالحمار عبد الملك بن محمد بن عطية احد بني سعد في خيول اهل الشام اربعة الاف قد انتخبهم من جيشه واعطى كل واحد منهم مائة دينار وفرسا عربية وبغلا لثقله وامره ان يقاتلهم ولو لم يلحقهم الا باليمن فليتبعهم اليها وليقاتل صنعا عبد الله بن يحيى فسار ابن عطية حتى بلغ وادي القرى فتلقاه ابو حمزة الخارجي قاصدا مروان فاقتتلوا امنا لك الى الليل فقالوا ويحك يا ابن عطية ان الله قد جعل الليل سكنا فابى ان يقلع عن القتال ودام القتال الى ان قتلهم وكسرهم ورجع فلهم الى المدينة فنهض اليهم اهل المدينة فقتلوا منهم خلقا كثيرا ودخل ابن عطية المدينة بعد انهزام جيش ابي حمزة الخارجي عنها فيقال انه اقام بها شهرا ثم سار الى مكة وقد استخلف على المدينة ثم استخلف على مكة وسار الى اليمن فخرج اليه

عبد الله

فقتلوه

عبد الله بن يحيى من صنعا فاقتتلا فقتل ابن عطية عبد الله بن يحيى وبعث براسه الى مروان وجاء كتاب مروان بامره بالمجد في السير الى مكة ليحج بالناس عامه هذا فخرج من صنعا في اثني عشر راكبا وترك الجيوش بصنعا ومعه خرج فيه اربعون الف دينار فلما كان ببعض الطريق نزل منزلا لاصحابه اذ اقبل اليه ابراهيم وبنا ابنا جمانة من سادات تلك الناحية ومعهما طايفة من اصحابه فاحدقوا بابن عطية واصحابه فقالوا ويحكم انتم لصوص فقال ابن عطية ويحكم هذا كتاب امير المومنين الي بامارة الحج في هذا العام فنحن نعجل السير لنلحق الموسم وانا ابن عطية فقالوا هذا باطل ثم حملوا عليه فقتلوا ابن عطية واصحابه ولم يفلت منهم الا رجل واحد واخذ ما معهم من المال قال ابو معشر فحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان وجعلنا اليه امارة المدينة ومكة والطايف ونايبه العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وامرة خراسان الى نصر بن سيار غير ان ابا مسلم قد انتزع ابا مسلم منه اماكن كثيرة من خراسان وكورا ورساتيق وقد ارسل نصر الى ابن هبيرة يستمده ويستنجده ويطلب منه ان يمده من عنده بعشرة الاف قبل ان لا يكفيه مائة الف وكتب الى امير المومنين مروان يستمده فكتب مروان الى ابن هبيرة يمده بما اراد وفي هذه السنة توفي شعيب بن الحبحاب وعبد العزيز بن صهيب وعبد العزيز بن رفيع وكعب بن علقمة ومحمد بن المنكدر

ثم دخلت سنة احدى وثلاثين ومائة

في المحرم منها وجه قحطبة بن شبيب ابنه الحسن الى قومس ليقاتل نصر بن سيار وارد له بالامداد فتخامر بعضهم الى نصر وارتحل نصر فنزل الري فاقام بها يومين ثم مرض ثم سار منها فلما كان بساوه قريبا من همذان توفي لمضي اثنتي عشرة خلت من ربيع الاول منها عن خمس وثمانين سنة فلما مات نصر تمكن ابو مسلم الخراساني واصحابه من بلاد خراسان وقويت شوكتهم جدا فسار قحطبة من جرجان وقدم امامه زياد بن زرارة القشيري وكان قد ندم على اتباع ابي مسلم فترك الجيش واخذ جماعة معه وسلك طريق اصبهان ليأتي ابن ضبارة فبعث قحطبة وراءه جيشا فقتلوا عامة اصحابه واقبل قحطبة وراءه فقدم قومس وقد افتتحها ابنه الحسن فاقام بها وبعث ابنه الحسن بين يديه الى الري ثم سار وراءه فوجده قد افتتحها فاقام بها وكتب الى ابي مسلم بذلك وارتحل ابو مسلم من مرو فنزل نيسابور واستفحل امره جدا وبعث قحطبة بعد دخوله الري بثلاث ابنه الحسن بين يديه الى همذان فلما اقترب منها خرج منها مالك بن ادهم وجماعة من اجناد الشام وخراسان فنزلوا نهاوند فافتتح الحسن همذان ثم ساروا وراءهم الى نهاوند وبعث اليه ابوه بالامداد وراءه فجاء فحاصرهم بها حتى افتتحها وفي هذه السنة كان عامر بن ضبارة وكان سبب ذلك ان ابن هبيرة كان قد كتب اليه ان يسير الى قحطبة وامده بالعساكر فسار ابن ضبارة حتى التقى مع قحطبة وابن ضبارة في مائة وخمسين الفا وكان يقال له عسكر العساكر وقحطبة في عشرين الفا فلما تواجه الفريقان رفع قحطبة واصحابه المصاحف ونادى المنادي يا اهل الشام انا ندعوكم الى ما في هذا المصحف فشتموا المنادي وسبوه فامر قحطبة اصحابه ان يحملوا عليهم فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم اصحاب ابن ضبارة واتبعهم اصحاب قحطبة فقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتلوا

ابن ضبارة في المعسكر واخذوا من عسكرهم ما لا يعد ولا يوصف وفيها حاصر قحطبة نهاوند حصارا شديدا حتى سأله اهل الشام الذين بها ان يسهل اهلها حتى يفتحوا له الباب ففتحوا له الباب واخذوا منه امانا فقال لهم من بها من اهل خراسان ما فعلتم فقالوا اخذنا لنا ولكم امانا فخرجوا ظانين انهم في امان فقال قحطبة للامرا الذين معه كل من حصل في اساره احد من الخراسانيين فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ففعلوا ذلك ولم يبق ممن كان هرب من ابي مسلم منهم احد واطلق الشاميين ووفى لهم بعهدهم واخذ عليهم الميثاق ان لا يمالوا عليه عدوا ثم بعث قحطبة عن امر ابي مسلم ابا عون الى شهرزور في ثلثين الفا فحاصرها حتى افتتحها وقتل نائبها عثمان بن سفيان وقيل بل لم يقتل بل تحول الى الموصل والجزيرة وبعث الى قحطبة بذلك ولما بلغ خبر قحطبة وابي مسلم وما وقع من امرهما تحول من حران فنزل بمكان يقال له الزاب الاكبر وفي هذه السنة قصد قحطبة في جيش كثيف نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة فلما اقترب منه تقهقر ابن هبيرة الى وراه وما زال يتقهقر الى ان جاوزا الفرات وجاء قحطبة فجاوزها وراه وكان من امره ما سنذكره في السنة الاتية ان شا الله

ثم دخلت سنة ثنتين وثلثين ومايه

في المحرم منها جاز قحطبة بن شبيب الفرات ومعه الجنود والفرسان وابن هبيرة مخيم على فم الفرات مما يلي الفلوجة في خلق كثير وجم غفير وقد امده مروان الحمار بمدد كثير وانضاف اليه فل من انهزم من جيش ابن ضبارة ثم ان قحطبة عدل الى الكوفة ليأخذها فاتبعه ابن هبيرة فلما كانت ليلة الاربعا لثمان مضين من المحرم اقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتلى من الفريقين وولى اهل الشام منهزمين واتبعهم اهل خراسان وفقد قحطبة من الناس فاخبرهم رجل انه قتل وانه اوصى ان يكون امير الناس من بعده ولده الحسن فلم يكن الحسن عند الجيش فبايعوا حميد بن قحطبة لاخيه الحسن وذهب البريد الى الحسن ليحضر وقتل في هذه الليلة جماعة من سادات الامرا وادعى قتل قحطبة معن بن زايدة ويحيى بن حصين وقيل بل قتله رجل ممن كان معه اخذا بثار بني نصر بن سيار فالله اعلم ووجد قحطبة في القتلى فدفن هنالك وسار الحسن بن قحطبة نحو الكوفة وقد خرج بها محمد بن خالد بن عبد الله القسري ودعا الى بني العباس وسود وكان خروجه ليلة عاشورا في المحرم من هذه السنة واخرج عاملها من جهة ابن هبيرة وهو زياد بن الحرث الحارثي ودخل محمد بن خالد الى قصر الامارة فقصده حوثرة في عشرين الفا من جهة ابن هبيرة فلما اقترب حوثرة من الكوفة جعل اصحابه يذهبون الى محمد بن خالد يبايعونه لبني العباس فلما راى حوثره ذلك ارتحل الى واسط وقيل انما دخل الحسن بن قحطبة الكوفة وكان قحطبة قد جعل في وصيته ان يكون وزارة الخلافة الى ابي سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع الكوفي الخلال وهو بالكوفة فلما قدموا عليه اشار ان يذهب الحسن بن قحطبة في جماعة من كبراء الامرا الى ابن هبيرة بواسط وان يذهب اخوه حميد بن قحطبة الى المداين وبث البعوث الى كل جانب من تلك النواحي يفتحونها وافتتح البصرة سالم بن قتيبة لابن هبيرة فلما قتل ابن هبيرة كما سيأتي تفصيله جاء ابو مالك عبد الله بن اسيد الخزاعي فاخذ البصرة لابي مسلم الخراساني وفي هذه السنة

في ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الاخر اخذت البيعة لابي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الملقب بالسفاح قاله ابو معشر وهشام بن الكلبي وقال الواقدي في جمادى الاولى من هذه السنة كانت خلافة السفاح

ذكر مقتل ابراهيم بن محمد الامام

قد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومايه ان مروان اطلع على كتاب من ابراهيم بن محمد الامام الى ابي مسلم الخراساني يامره فيه بان لا يبقي احدا بارض خراسان ممن يتكلم بالعربية الا اباده فلما وقف على ذلك استعلم عن خبر ابراهيم فقيل له هو بالبلقا فكتب الى نائب دمشق ان يحضره فبعث رسولا في ذلك وكان صفته ونعته فذهب الرسول فوجد اخاه ابا العباس السفاح فاعتقد انه هو فاخذه فقيل له انه ليس به وانما هو اخوه فدل على ابراهيم فاخذه وذهب معه بام ولد له يحبها واوصى الى اهله ان يكون الخليفة من بعده اخوه ابو العباس وامرهم بالمسير الى الكوفة فارتحلوا من يومهم اليها وكانوا جماعة منهم اعمامه الستة وهم عبد الله وداود وعيسى وصالح واسمعيل وعبد الصمد بنو علي واخواه ابو العباس عبد الله ويحيى ابنا محمد بن علي وابناه محمد وعبد الوهاب ابنا ابراهيم الامام وخلق سواهم فلما دخلوا الكوفة انزلهم ابو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني داود وكتم امرهم نحوا من اربعين ليلة من القواد ثم ارتحل بهم بعد ذلك الى موضع اخر حتى فتحت البلاد ثم بويع للسفاح واما ابراهيم بن محمد فانه سير به الى امير المومنين في ذلك الزمان مروان بن محمد وهو بحران فحبسه كما قدمنا وما زال في السجن الى هذه السنة فمات في صفر منها في السجن عن ثمان واربعين سنة انه غم بمرفقة وضعت على وجهه حتى مات عن احدى وخمسين سنة وصلى عليه رجل يقال له بهلول بن صفوان وقيل انه هدم عليه بيت حتى مات وقيل بل سقي لبنا مسموما فمات وقيل ان ابراهيم الامام شهد الموسم عام احدى وثلاثين واشتهر امره هنالك لانه وقف في ابهة عظيمة ونجايب كثيرة وازرة فانتهى امره لمروان وقيل له ان ابا مسلم انما يدعو الى هذا ويسمونه الخليفة فبعث اليه في المحرم من سنة ثنتين وثلثين وقتله في صفر منها وهذا اصح مما تقدم وقيل انه انما اخذ من الكوفة لا من حميمة البلقا والله اعلم وكان ابراهيم بن محمد الامام كريما جوادا ممدحا له فضايل وفواضل روى الحديث عن ابيه وجده وابي هاشم عبد الله ابو العباس السفاح وابو جعفر عبد الله المنصور وابو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني ومالك بن الهيثم ومن كلامه الحسن قوله الكامل المروة من احرز دينه ووصل رحمه واجتنب ما يلام عليه

خلافة ابي العباس السفاح

لما بلغ مقتل ابراهيم بن محمد الى اهل الكوفة اراد ابو سلمة ان يحول الخلافة الى ال علي بن ابي طالب فغلبه بقية النقبا والامرا على امره واحضروا ابا العباس السفاح وسلموا عليه بالخلافة وذلك بالكوفة وكان عمره اذ ذاك ستا وعشرين سنة وكان اول من سلم عليه بالخلافة ابو سلمة الخلال وذلك ليلة الجمعة لثنتي عشرة خلت من ربيع الاخر من هذه السنة فلما كان وقت صلاة الجمعة خرج ابو العباس السفاح على برذون ابلق والجنود ملبسة معه حتى دخل دار الامارة ثم خرج الى المسجد يوم الجمعة لثنتي عشرة من ربيع الاخر سنة ثلاثين ومايه فصلى بالناس ثم صعد المنبر وبايعه الناس وهو على المنبر بعد الصلاة صعد المنبر الى اعلاه وعمه داود بن علي واقف دونه بثلاث درج وتكلم السفاح فكان اول

ثم نطق به أن قال الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة وشرفه وعظمه واختاره
لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه والقوام به والذابين عنه والناصرين له وألزمنا كلمة
التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها خصنا برحم رسول الله وقرابته واشتقنا من نبعته
ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم
فقال تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال قل لا أسألكم
عليه أجرا إلا المودة في القربى وقال وأنذر عشيرتك الأقربين وقال ما أفاء الله على رسوله
من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين الآية فأعلمهم عز وجل فضلنا
وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضله علينا
والله ذو الفضل العظيم وزعمت السبائية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة
والخلافة منا فشاهت وجوههم بم ولم أيها الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم
وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل وأصلح
بنا منهم ما كان فاسدا ورفع بنا الخسيسة وأتم النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس
بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دنياهم وإخوانا على سرر متقابلين في آخرتهم
فتح الله منه ومنحه لمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه
وأمرهم شورى بينهم فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها
أهلها وخرجوا خماصا منها ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا
بها وظلموا أهلها فأملى الله لهم حينا وخرجوا خماصا منها ثم وثب بنو حرب ومروان حتى
آسفوه فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولي نصرنا
والقيام بأمرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح بنا وإني لأرجو
أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل
البيت إلا بالله يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا وأنتم أسعد الناس بنا
وأكرمهم علينا وقد زدت في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر
المبير وكان به وعك فاشتد عليه حين جلس على المنبر فنهض عمه داود فقال الحمد لله شكرا
الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا أيها الناس الآن تقشعت حنادس
الظلمات وانكشف غطاؤها وأشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها
وبزغ القمر من مبزغه ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف
عليكم أيها الناس إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا ولا لنحفر نهرا
ولا لنبني قصرا وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبني عمنا ولسوء سيرة
بني أمية فيكم واستذلالهم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم فلكم علينا ذمة الله وذمة رسوله
وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل بكتاب الله ونسير في العامة منكم والخاصة
بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا لبني أمية وبني مروان آثروا العاجلة على الآجلة
والدار الفانية على الباقية فركبوا الآثام وظلموا الأنام وارتكبوا المحارم وغشوا الجرائم وجاروا
في سيرتهم في العباد وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الأوزار وتجلبب الآصار
ومرحوا في أعنة المعاصي وركضوا في ميادين الغي جهلا باستدراج الله وأمنا لمكر الله فأتاهم
بأس الله بياتا وهم نائمون فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق فبعدا للقوم الظالمين

وأدالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرور أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل
خطامه أظن عدو الله أن لن نقدر عليه فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه فوجد
أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ومحق ضلاله وجعل
دائرة السوء به وأحيا شرفنا وعزنا ورد إلينا حقنا وإرثنا أيها الناس إن أمير المؤمنين
نصره الله نصرا عزيزا إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة لأنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره وإنما
قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك فادعوا الله لأمير المؤمنين في
العافية فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين
أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها الشاب المكتهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار الذين
أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى فعج الناس له بالدعاء قال
واعلموا يا أهل الكوفة أنه لم يصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله إلا أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد هذا وأشار بيده إلى السفاح واعلموا أن هذا
الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا
ثم نزل أبو العباس وداود حتى دخلا القصر ثم دخل الناس يبايعون إلى العصر ثم من بعد العصر إلى
الليل ثم إن أبا العباس خرج فعسكر بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود بن علي وبعث
عمه عبد الله بن علي إلى أبي عون بن أبي يزيد وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة وهو
يومئذ بواسط محاصر ابن هبيرة وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى حميد بن قحطبة
بالمدائن وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن
بسام بالأهواز وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف وأقام هو بالعسكر أشهرا
ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الإمارة وقد تنكر لأبي سلمة الخلال وذلك لما كان
بلغه عنه من العدول عن بني العباس إلى علي

ذكر مقتل مروان بن محمد بن مروان

آخر خلفاء بني أمية وتحول الخلافة إلى بني العباس وذلك من قوله تعالى قل اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك
الخير إنك على كل شيء قدير فقد ذكرنا أن مروان لما بلغه ما جرى بأرض خراسان من أمر أبي مسلم وأتباعه
تحول من حران فنزل على نهر قريب من الموصل يقال له الزاب من أرض الجزيرة ثم لما بلغه أن
السفاح قد بويع له بالكوفة والتفت عليه الجنود واجتمع له أمره اشتد عليه ذلك جدا وجمع
جنوده فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف فنزل على الزاب وجاءه الأمداد من
جهة السفاح ثم ندب الناس إلى القتال لمن له من أهل بيته فانتدب عمه عبد الله بن علي فقال
سر على بركة الله فسار في جنود كثيرة فقدم على أبي عون فتحول له عن سرادقه وخلاه له وما
فيه وجعل عبد الله بن علي على شرطته حياش بن حبيب الطائي وعلى شرطته نصير بن المحتفز
ووجه أبو موسى العباس بن كعب في ثلاثين رجلا على البريد إلى عبد الله بن علي يحثه على مناجزة
مروان والمبادرة إلى قتاله ودنا القتال فتقدم عبد الله بن علي بمن معه حتى واجه جيش مروان
ونهض مروان في جنوده وأصحابه وتصاف الفريقان في أول النهار ويقال إنه كان مع مروان
يومئذ مائة ألف وخمسون ألفا وقيل مائة وعشرون ألفا وكان عبد الله بن علي في عشرين
ألفا فقال مروان لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا

الذين تدعونهما الى عيسى بن مريم وان قاتلونا قبل الزوال دعانا انا لله وانا اليه راجعون ثم ارسل
مروان الى عبد الله بن علي يسأله الموادعة فقال عبد الله كذب ابن زريق لا تزول الشمس
حتى اوطئه الخيل ان شاء الله وكان ذلك في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى
الآخرة من هذه السنة فقال مروان لاهل الشام قفوا لا تبدؤهم بقتال وجعل ينظر الى
الشمس فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته فحمل فغضب مروان
وشتمه فقاتل اهل الميمنة فانحاز ابو عون الى عبد الله بن علي فقال لموسى بن كعب يا عبد
الله بن علي مر الناس فلينزلوا فنودي الارض فنزل الناس واشرعوا الرماح وجثوا على الركب
وقاتلوهم وجعل اهل الشام يتاخرون كانما يدفعون وجعل عبد الله يمشي قدما وهو يقول
يا رب حتى متى نقتل فيك ونادى يا اهل خراسان يا ثارات ابراهيم يا محمد يا منصور واشتد
القتال بين الناس جدا فارسل مروان الى قضاعة فامرهم بالنزول فقالوا قل لبني سليم
فلينزلوا وارسل الى السكاسك ان احملوا فقالوا قل لبني عامر فليحملوا فارسل الى السكون
ان احملوا فقالوا قل لغطفان فليحملوا فقال لصاحب شرطته انزل فقال لا والله لا اجعل
نفسي عرضا قال اما والله لاسوءنك قال لوددت والله انك قدرت على ذلك ويقال
انه قال هذا لابن هبيرة قالوا ثم انهزم اهل الشام واتبعهم اهل خراسان في ادبارهم يقتلون
ويأسرون وكان من غرق من اهل الشام اكثر ممن قتل وكان في جملة من غرق ابراهيم بن الوليد
بن عبد الملك المخلوع وقد امر عبد الله بن علي بعقد الجسر واستخراج من هلك من الغرقى وجعل
يتلو قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون فاقام
عبد الله بن علي في موضع المعركة سبعة ايام وقد قال رجل من ولد سعيد بن العاص يعير مروان
وفراره يومئذ

لج الفرار بمروان فقلت له • عاد الظلوم ظليما همه الهرب
اين الفرار وترك الملك اذ ذهبت • عنك الهوينا ولا دين ولا حسب
فراشة الحلم فرعون العقاب وان • تطلب نداه فكلب دونه كلب

واحتاز عبد الله ما كان في معسكر مروان من الاموال والامتعة والحواصل ولم يجد فيه امراة
سوى جارية كانت لعبد الله بن مروان وكتب الى امير المؤمنين ابي العباس السفاح يخبره ما فتح الله
عليه من النصر وما حصل لهم من الاموال فصلى السفاح ركعتين شكرا لله عز وجل واطلق
لكل من حضر الوقعة خمسمائة خمسمائة ورفع في ارزاقهم الى ثمانين وجعل يتلو قوله فلما فصل
طالوت بالجنود الآية

صفة مقتل مروان الحمار

ويقال له الجعدي لانه تأدب على الجعد بن درهم وهو آخر خلفاء بني امية لما انهزم مروان من المعركة
سار لا يلوي على احد فاقام عبد الله بن علي في مكان المعركة سبعة ايام ثم سار في طلبه بمن معه
من الجنود وذلك عن امر السفاح له بذلك فلما مر مروان بحران اجتاز بها واخرج ابا محمد السفياني
واستخلف عليها ابان بن يزيد وهو ابن اخته وزوج ابنته ام عثمان فلما قدم عبد الله بن
علي حران خرج اليه ابان بن يزيد مسودا فامنه عبد الله بن علي واقره على عمله وهدم الدار التي
سجن فيها ابراهيم بن محمد الامام واجتاز مروان بقنسرين قاصدا الى حمص فلما جاءها خرج
اليه اهلها بالاسواق فاقام بها يومين او ثلاثة ثم شخص منها فلما رأوا قلة من معه اتبعوه

طمعا

طمعا فيه وقالوا مرعوب منهزم فادركوه بواد عند حمص فاكمن لهم اميرين فلما تلاحقوا بمروان
عطف عليهم فناشدهم ان يرجعوا فابوا الا مقاتلته فثار القتال بينهم وثار الكمينان من
ورائهم فانهزم الحمصيون وجاء مروان الى دمشق وعليها من جهته زوج ابنته ام الوليد
وهو الوليد بن معاوية بن مروان فتركه بها واجتاز عنها قاصدا الديار المصرية وجعل عبد
الله بن علي لا يمر ببلدة الا خرجوا اليه وقد سودوا فيبايعونه ويعطيهم الامان ولما وصل
الى قنسرين وصل اليه اخوه عبد الصمد بن علي في اربعة آلاف قد بعثهم السفاح مددا لعبد
الله بن علي ثم سار عبد الله بن علي على حمص وبعلبك وجاء دمشق من ناحية المزة
فنزل بها يومين ثم جاءه اخوه صالح بن علي في ثمانية آلاف مددا من السفاح فنزل صالح
بمرج عذراء ولما جاء عبد الله بن علي دمشق نزل على الباب الشرقي ونزل صالح بن علي على باب
الجابية ونزل ابو عون على باب كيسان وبسام على الباب الصغير وحميد بن قحطبة على باب
توما وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس فحاصروها اياما
ثم افتتحها يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان من هذه السنة فقتل من اهلها خلقا كثيرا
في ثلاث ساعات اباحها وهدم سورها فكان نائبها ممن قتل ويقال ان اهلها لما
حاصرهم عبد الله بن علي اختلفوا فيما بينهم ما بين عباسي واموي حتى اقتتلوا فقتل بعضهم
بعضا وقتلوا نائبهم ثم سلموا البلد فكان اول من صعد السور من ناحية الباب الشرقي رجل
يقال له عبد الله الطائي ومن ناحية الباب الصغير بسام بن ابراهيم بن محمد ثم ابيحت دمشق
حتى قيل انه قتل بها في هذه المدة نحو من خمسين الفا وقد استدعى بالاوزاعي فاوقف بين يديه
فقال له يا ابا عمرو ما تقول في هذا الذي صنعنا فقلت لا ادري غير انه قد حدثني يحيى
بن سعيد الانصاري عن محمد بن ابراهيم عن علقمة عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما الاعمال بالنيات فذكر الحديث قال الاوزاعي وانتظرت راسي ليسقط بين رجلي ثم اخرجت
وبعثت الي بمائتي دينار واقام بها عبد الله بن علي خمسة عشر يوما ثم سار وراء مروان فنزل
على نهر الكسوة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي نائبا على دمشق ثم دخل الاردن فاتوه
وقد سودوا ثم سار الى بيسان ثم نزل مرج الروم ثم نزل نهر ابي فطرس فوجد مروان قد
هرب فدخل الديار المصرية وجاءه كتاب السفاح ان وجه صالح بن علي في طلب مروان واقم انت
بالشام نائبا عليها فسار صالح بن علي في طلب مروان في ذي القعدة من هذه السنة ومعه
ابو عون وعامر بن اسماعيل فنزل على ساحل البحر وجمع ما هناك من السفن وبلغه ان مروان قد
نزل الفرما فجعل يسير على الساحل والسفن تقاد معه في البحر حتى اتى العريش ثم سار حتى
نزل على النيل ثم سار الى الصعيد فعبر مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله من العلف
والطعام ومضى صالح في طلبه فالتقى بخيل لمروان فهزمهم ثم جعلوا كلما التقوا مع خيل
لمروان يهزمونهم حتى سألوا بعض من اسروا عن مروان فدلوهم عليه واذا به في كنيسة بوصير
فوافوه من آخر الليل فانهزم من معه من الجند وخرج اليهم مروان في نفر يسير فاحاطوا به حتى
قتلوه طعنه رجل من اهل البصرة يقال له معود ولا يعرفه حتى قال رجل صرع امير المؤمنين
فابتدره اليه رجل من اهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز راسه فبعث به عامر بن اسماعيل
امير هذه السرية الى ابي عون فبعث به ابو عون الى صالح بن علي فبعث به صالح مع رجل يقال
له خزيمة بن يزيد بن هانئ كان على شرطته الى امير المؤمنين السفاح وكان مقتل مروان يوم

الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة وقيل يوم الخميس لست بقين منها سنة ثنتين فكانت خلافته خمس سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام على المشهور واختلفوا في سنه يوم قتل فقيل اربعون وقيل ست وقيل ثمان وخمسون وقيل ستون وقيل ثنتان وقيل ثلاث وقيل تسع وستون وقيل ثمانون سنة فالله اعلم ثم ان صالح بن علي سار الى الشام واستخلف على مصر اباعون بن ابي يزيد

وهذا شي من ترجمة مروان الحمار

مروان بن محمد بن مروان بن ابي الحكم بن ابي العاص بن امية القرشي الاموي ابو عبد الملك امير المومنين اخر خلفا بني امية وامه ام ولد كردية يقال لها لبابة كانت لابراهيم بن الاشتر النخعي اخذها محمد بن مروان يوم قتله فاستولدها مروان هذا ويقال انها كانت اولا لمصعب بن الزبير وقد كانت دار مروان هذا في سوق الاكافين قال الحافظ بن عساكر بويع له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد وبعد موت يزيد بن الوليد ثم قدم دمشق كما ذكرنا وخلع ابراهيم ابن الوليد واستتبت له الامر في النصف من صفر من سنة سبع وعشرين ومائة وقال ابو معشر بويع له بالخلافة في ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائة ويقال له الجعدي نسبة الى رايه الجعد بن درهم ويلقب بالحمار وهو من ملوك بني امية فكانت خلافته منذ سلم اليه ابراهيم بن الوليد الى ان بويع للسفاح خمس سنين وشهرا وبقي مروان بعد بيعته السفاح تسعة اشهر وكان ابيض مشربا ازرق العينين كبير اللحية ضخم الهامة ربعة ولم يكن يخضب ولاه هشام نيابة اذربيجان وارمينية والجزيرة في سنة اربع عشرة ومائة ففتح بلادا كثيرة وحصونا متعددة في سنين كثيرة كان لا يفارق الغزو وقاتل طوايف من الناس والخزر واللان وغيرهم فكسرهم وقهرهم وقد كان شجاعا بطلا مقداما حازم الراي ولكنه من يخذل الله يخذل قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله كانت بنو امية يرون انه تذهب منهم الخلافة اذا وليها من امه امة فلما وليها مروان بن محمد كانت امه امة فاخذت الخلافة من يده في سنة ثنتين وثلثين ومائة لابي العباس السفاح وقد قال الحافظ بن عساكر انا ابو محمد عبد الرحمن بن ابي الحسن انا سهل بن بشر انا الخليل بن هبة الله بن الخليل انا عبد الوهاب الكلابي ثنا ابو الجهم ثنا العباس بن الوليد بن صبيح ثنا عباس بن يحيى ابو الحرث حدثني الهيثم بن حميد حدثني راشد بن داود عن اسماء عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال الخلافة في بني امية يتلقفونها تلقف الغلمان الاكرة فاذا خرجت منهم فلا خير في عيش هكذا اورده ابن عساكر وسكت عليه وهو منكر جدا وقد سال الرشيد ابا بكر بن عياش من خير الخلفا نحن او بنو امية فقال هم كانوا انفع للناس وانتم اقوم بالصلاة فاعطاه ستة الاف قالوا وقد كان مروان كبير المروة كثير العجب يعجبه اللهو والطرب ولكنه كان يشتغل عن ذلك بالحرب وقال ابن عساكر قرات بخط ابي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الامير في مجموع له كتب مروان بن محمد الى جارية له تركها بالرملة عند ذهابه الى مصر منهزما وكانا ذلك ايلعوني الى الصبر

- ومازال يدعوني الى الصبر ما ارى • فآبى ويدنيني الذي لك في صدري •
- وكان عزيزا ان بيني وبينكم • حجابا فقد امسيت مني على عشر •
- وانكاهما والله للقلب فاعلمي • اذا ازددت مثليها فصرت على شهر •

ولعظم

- واعظم من هذين والله انني • اخاف بان لا نلتقي اخر الدهر •
- لاسابكيك لا مستبقيا فيض عبرة • ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر •

وقال بعضهم اجتاز مروان وهو هارب براهب فاطلع عليه الراهب فسلم عليه فقال له يا راهب هل عندك علم بالزمان قال نعم عندي من تلونه الوان قال هل يبلغ الدنيا من الانسان ان تجعله مملوكا قال نعم قال فكيف قال بحبها قال نعم قال فانت مملوك لها قال فما السبيل الى العتق قال ببغضها والتخلي منها قال هذا ما لا يكون فقال له الراهب اما تخليها منك فسيكون فبادر بالهرب منها قبل ان تبادرك قال هل تعرفني قال نعم انت ملك العرب مروان تقتل في بلاد السودان وتدفن بغير اكفان ولولا ان الموت في طلبك لدللتك على موضع هربك وقال بعض اهل ذلك الزمان كان يقال يقتل ع بن ع بن ع م بن م بن م يعنون يقتل عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس مروان بن محمد بن مروان وقال بعضهم جلس مروان يوما وقد احيط به وعلى راسه خادم له قايم فقال لمروان يوما لبعض من يخاطبه الا ترى ما نحن فيه لهفي على يد ما ذكرت ونعمة ما شكرت ودولة ما نصرت فقال له الخادم يا امير المومنين من ترك القليل حتى يكثر والصغير حتى يكبر والخفي حتى يظهر واخر فعل اليوم لغد حل به اكثر من هذا فقال مروان هذا القول اشد علي من فقد الخلافة وقد قيل ان مروان قتل يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ثنتين وثلثين ومائة وقد جاوز الستين وقيل بلغ الثمانين وقيل انما عاش اربعين سنة والصحيح الاول وكانت خلافته خمس سنين وكسرا وهو اخر خلفا بني امية وعلى ايامه انقضت دولة بني امية

ذكر ما ورد في انقضا دولة بني امية وابتدا دولة بني العباس من الاخبار النبوية وغيرها

قال العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ بنو ابي العاص اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ورواه الاعمش عن عطية عن ابي سعيد مرفوعا بنحوه وقال ابن لهيعة عن ابي قبيل عن ابن موهب انه كان عند معاوية فدخل عليه مروان فكلمه في حاجته فقال اقض حاجتي فاني لابو عشرة واخو عشرة وعم عشرة فلما ادبر مروان قال معاوية لابن عباس وهو معه على السرير اما تعلم ان رسول الله قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا سبعة وتسعين واربعماية كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس اللهم نعم فلما ادبر مروان قال معاوية انشدك الله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله ذكر هذا فقال ابو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم وقال ابو داود الطيالسي ثنا القاسم بن الفضل ثنا يوسف بن مازن الراسبي قال قام رجل الى الحسن بن علي فقال يا مسود وجوه المومنين فقال الحسن لا تؤنبني رحمك الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى بني امية يخطبون على منبره رجلا رجلا فساءه ذلك فنزلت انا اعطيناك الكوثر نهر في الجنة ونزلت انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر يملكه بنو امية قال فحسبنا ذلك فاذا هو كما قال لا يزيد ولا ينقص وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن ابي داود الطيالسي ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث

القسم بن الفضل وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي قال شيخه يوسف
بن سعد ويقال يوسف بن مازن رجل مجهول ولا يعرف هذا بهذا اللفظ الا من هذا الوجه
واخرجه الحاكم في مستدركه من حديث القاسم بن الفضل الحداني وقد تكلمت على نكارة هذا الحديث
في التفسير بكلام مبسوط ولله الحمد والمنة وانما يتجه ان تكون دولة بني امية الف شهر اذا
اسقطنا منها ايام عبد الله بن الزبير وذلك ان معاوية بويع له مستقلا بالملك في سنة
اربعين وهي عام الجماعة حين سلم اليه الحسن بن علي الامر بعد ستة اشهر من قتل علي ثم زالت
الخلافة عن بني امية في هذه السنة اعني سنة ثنتين وثلاثين ومائة وذلك ثنتان
وتسعون سنة واذا اسقطنا منها تسع سنين بقي ثلاث وثمانون سنة وهي مقدار الف شهر
في هذا الحديث ولكن ليس هذا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر مدة الامة بهذا
وانما هذا من بعض الرواة وقد تكلمنا على ذلك مطولا في التفسير وغيره وتقدم في الدلائل
ايضا تقريره وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن
سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت بني امية منبري يتعاودون
منبري فشق ذلك علي فانزلت انا انزلناه في ليلة القدر وقال ابو بكر بن ابي خيثمة ثنا يحيى
ابن معين ثنا عبد الله بن نمير عن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب في قوله
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال اري ناسا من بني امية على المنابر فساءه
ذلك فقيل له انما هي دنيا يعطونها فسري عنه وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس
قال لما اسري برسول الله راى فلانا وهو بعض بني امية يخطب على المنبر الناس فشق ذلك
عليه فانزل الله وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وقال مالك بن دينار سمعت
ابا الجوزاء يقول والله ليغيرن الله ملك بني امية كما غير ملك من كان قبلهم ثم قرا
وتلك الايام نداولها بين الناس فيه ضعف وارسال وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثني عمرو
بن سيف مولى لعثمان بن عفان قال سمعت سعيد بن المسيب وهو يقول لابي بكر بن عبد الرحمن
ولابي بكر بن سليمان بن ابي حثمة وذكروا بني امية فقال لا يكون ملكهم الا بينهم قالوا كيف
قال يهلك خلفاؤهم ويبقى شرارهم يتنافسونها فسوقها ثم يكسر الناس عليهم فيملكونهم وقال
يعقوب بن سفيان ثنا احمد بن محمد الازرقي حدثنا الزنجي عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت في النوم بني الحكم او بني ابي
العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة قال فما روي رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا ضاحكا حتى توفي صلى الله عليه وسلم وقال ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي
ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا سعيد بن زيد اخو حماد بن زيد عن علي بن الحكم البناني عن ابي الحسن
الحمصي عن عمرو بن مرة وكانت له صحبة قال جاء الحكم بن ابي العاص يستاذن على النبي صلى
الله عليه وسلم فعرف كلامه فقال ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من
صلبه الا المؤمنين وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويوضعون في الاخرة ذوو مكر وخديعة
يعطون في الدنيا وما لهم في الاخرة من خلاق وقال ابو بكر الخطيب البغدادي انا ابو عبد الله
محمد بن عبد الواحد بن محمد انا محمد بن المظفر الحافظ انا ابو القسم عامر بن خزيم بن محمد بن مروان
الدمشقي انا احمد بن ابراهيم بن هشام بن ملاس ثنا ابو النضر اسحاق بن ابراهيم بن يزيد مولى
ام الحكم بنت عبد العزيز اخت عمر بن عبد العزيز ثنا يزيد بن ربيعة ثنا ابو الاشعث

الصنعاني عن ثوبان قال كان رسول الله نائما واضعا راسه على فخذ ام حبيبة بنت ابي
سفيان فنعس ثم تبسم فقالوا يا رسول الله عجبت ثم تبسمت فقال رايت بني امية
يتعاورون على منبري فساءني ذلك ثم رايت بني العباس يتعاورون على منبري فسرني
ذلك وقال يعقوب بن سفيان حدثني محمد بن خالد بن العباس ثنا الوليد بن مسلم حدثني
ابو عبد الله عن الوليد بن هشام المعيطي عن ابان بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط قال
قدم ابن عباس على معاوية وانا حاضر فاجازه واحسن جائزته ثم قال يا ابا العباس هل يكون
لكم دولة فقال اعفني يا امير المؤمنين فقال لتخبرني قال نعم قال فمن انصاركم قال
اهل خراسان ولبني امية من بني هاشم بطحات وقال سلمة ابن عمرو عن سعيد بن جبير
سمعت ابن عباس يقول يكون منا ثلاثة اهل البيت السفاح والمنصور والمهدي
رواه البيهقي من غير وجه عنه ورواه الاعمش عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا وروى
ابن ابي خيثمة عن ابن معين عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابي معبد عن ابن عباس
قال كما فتح الله باولنا فارجوا ان يختمه بنا وهذا اسناد صحيح اليه وكنا وقع ويقع
ان شاء الله وروى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن ابي معاوية عن
الاعمش عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله يخرج رجل من اهل بيتي عند انقطاع
من الزمان وظهور من الفتن يقال له السفاح يعطي المال حثيا وقال عبد الرزاق
انا الثوري عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن ابي اسماء عن ثوبان قال قال رسول الله يقتتل عند
كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات من خراسان فيقتلونكم
مقتلة لم تروا مثلها ثم ذكر شيئا فاذا كان ذلك فاتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة
الله المهدي ورواه بعضهم عن ثوبان موقوفا وهو اشبه والله اعلم وقال الامام احمد حدثنا
يحيى بن غيلان وقتيبة بن سعيد قالا ثنا رشدين بن سعد حدثني يونس بن يزيد
عن ابن شهاب عن قبيصة هو ابن ذؤيب عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال تخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تنصب بايلياء وقد رواه البيهقي
في الدلائل من حديث رشدين بن سعد وهو ضعيف ثم قال وقد روي قريب من هذا عن
كعب الاحبار وهو اشبه ثم قال من طريق يعقوب بن سفيان ثنا محمد عن ابي المغيرة
عبد القدوس عن ابن عياش عمن حدثه عن كعب الاحبار قال تظهر رايات سود لبني العباس
حتى ينزلوا الشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم وقال ابراهيم بن الحسين بن
ديزيل عن ابن ابي اويس عن ابن ابي ذئب عن محمد بن عبد الرحمن العامري عن سهيل عن ابيه عن
ابي هريرة ان رسول الله قال للعباس فيكم النبوة وفيكم المملكة وقال عبد الله بن احمد
عن ابن معين عن عبيد بن ابي قرة عن الليث عن ابي قبيل عن ابي ميسرة مولى العباس سمعت
العباس يقول كنت عند رسول الله ذات ليلة فقال انظر هل ترى في السماء من شيء قلت
نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه سيملك هذه الامة بعددها من صلبك قال
البخاري عبيد بن ابي قرة لا يتابع على حديثه هذا وروى ابن عدي من طريق سويد بن سعيد
عن حجاج بن تميم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال مررت برسول الله ومعه جبريل وانا
اظنه دحية الكلبي فقال جبريل لرسول الله انه لوسخ الثياب وسيلبس ولده من بعده
السواد وهذا منكر من هذا الوجه ولا شك ان شعار بني العباس كان السواد واخذوا ذلك

من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء فتيمنوا بتلك
وجعلوه شعارهم في الجمع والخطب والأعياد والمحافل وكذلك كان خدمهم لا بد وأن يكون
على أحدهم شيء من السواد ومن ذلك ما يلبسه الملوك للأمراء حين يخلع عليهم بالإمرة لا بد وأن
يلبس شيئا من السواد وهو الشربوش وكذلك دخل عبد الله بن علي يوم دخل دمشق وهو
لابس السواد فجعل النساء والغلمان يتعجبون من لباسه وكان دخوله من باب كيسان وقد
خطب بالناس يوم الجمعة وصلى بهم وعليه السواد وقد روى الحافظ ابن عساكر عن بعض
الخراسانيين قال لما خطب بالناس عبد الله بن علي بدمشق وتقدم فصلى بالناس صلى
رجل إلى جانبي فقال الله أكبر سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك
ثم قال ونظر إلى عبد الله بن علي ما أقبح وجهك وأشنع سوادك وما زال السواد شعارهم
إلى يومك هذا كما يلبسه الخطباء يوم الجمعة ٥

ذكر استقلال أبي العباس عبد الله بن محمد ٥

ابن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح بالخلافة وما اعتمده في أيامه من السيرة
الحسنة والمعدلة التامة قد تقدم أنه بويع له بالخلافة أول ما بويع بها بالكوفة في
يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر وقيل الأول من هذه السنة سنة ثنتين وثلاثين
ومائة ثم جرد الجيوش نحو مروان الحمار فطردوه عن مملكته وأجلوه عنها وما زالوا وراءه
حتى قتلوه ببوصير من بلاد الصعيد بالديار المصرية في العشر الأخير من ذي الحجة
من هذه السنة على ما تقدم بيانه وتفصيله وبسطه وحينئذ استقل بالخلافة
السفاح واستقرت يده على بلاد العراق وخراسان والحجاز والشام والديار المصرية
لكن لم يحكم على بلاد الأندلس ولا بعض المغرب وذلك لأن بعض من دخل من بني أمية
استحوذ عليها كما سيأتي بيانه وقد خرج عليه في هذه السنة طوائف من ذلك
أهل قنسرين بعد ما بايعوا للسفاح على يدي عبد الله بن علي وأقر عليهم أميرهم وهو
أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي وكان من أصحاب مروان وأمرائه فخلع
أبا العباس السفاح ولبس البياض وحمل أهل البلد على ذلك فوافقوه وكان السفاح
يومئذ بالحيرة وعبد الله بن علي مشغول في البلقاء يقاتل بها حبيب بن مرة المري
٢ ومن معه من أهل البلقاء والثنية على خلع السفاح والتبييض فلما بلغه عن أهل قنسرين
ما فعلوا صالح حبيب بن مرة وركب نحو قنسرين فلما اجتاز بدمشق وكان بها أهله
وثقله فاستخلف عليها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الكناني في أربعة آلاف فلما جاوز
عبد الله بن علي البلد وانتهى إلى حمص نهض أهل دمشق مع رجل يقال له عثمان بن عبد
الأعلى بن سراقة فخلعوا السفاح وبيضوا وقاتلوا أبا غانم فهزموه وقتلوا جماعة
من أصحابه وانتهبوا ثقل عبد الله بن علي وحواصله ولم يعرضوا لأهله وتفاقم الأمر على
عبد الله بن علي وذلك أن أهل قنسرين تراسلوا مع أهل حمص وتدمر واجتمعوا على أبي
محمد السفياني وهو أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فبايعوه عليهم
بالخلافة وقام معه نحو من أربعين ألفا فقصدهم عبد الله بن علي فالتقوا بمرج الأخرم
فقدم عبد الله بن علي أخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف من الفرسان بين يديه
فالتقوا مع مقدمة السفياني وعليها أبو الورد فاقتتلوا قتالا شديدا وهزموا عبد

الصمد

الصمد وقتل من الفريقين ألوف فتقدم إليهم عبد الله بن علي ومعه حميد بن قحطبة
ومن معه فاقتتلوا قتالا شديدا جدا وجعل أصحاب عبد الله يفرون ثم يثوبون ثم
وحميد وما زالوا حتى هزموا أصحاب أبي الورد وثبت أبو الورد في خمسمائة من أهل بيته
وقومه فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد السفياني ومن معه حتى لحقوا بتدمر وآمن عبد
الله أهل قنسرين وسودوا وبايعوا ورجعوا إلى الطاعة ثم كر راجعا إلى أهل دمشق
وقد بلغه ما صنعوا فلما دنا منها تفرقوا عنها وهربوا منها ولم يكن بينهم وبينه قتال
فآمنهم ودخلوا في الطاعة وسودوا وأمنوا فقيل للخليفة وكان ذلك شعار السمع والطاعة
وأما أبو محمد السفياني فإنه ما زال متغيبا مشتتا من بلد إلى بلد حتى لحق بأرض الحجاز
فقاتله بعض نواب أبي جعفر المنصور في أيامه فقتله وبعث برأسه وما معه له وابنين له
أسيرين فأطلقهما أبو جعفر المنصور وخلى سبيلهما وقد قيل إن وقعة أبي محمد السفياني
كانت يوم الثلاثاء آخر يوم من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة فالله أعلم وممن
خلع السفاح أيضا أهل الجزيرة حين بلغهم أن أهل قنسرين خلعوا وافقوهم فبيضوا
وركبوا إلى نائب حران من جهة السفاح وهو موسى بن كعب وكان في ثلاثة آلاف وقد
اعتصم بالبلد فحاصروه قريبا من شهرين ثم بعث السفاح أخاه أبا جعفر فيمن كان
بواسط محاصري ابن هبيرة فمر في مسيره إلى خراسان بقرقيسيا وقد بيضوا فأغلقوا
أبوابها دونه ثم بالرقة وعليها بكار بن مسلم وهم كذلك ثم جاء حران وعليها إسحاق
بن مسلم فيمن معه من أهل الجزيرة يحاصرونها فرحل إسحاق عنها إلى الرها وخرج موسى بن
كعب فيمن معه من جند حران فتلقوا أبا جعفر واجتمعوا من جيشه وقدم بكار بن مسلم
على أخيه إسحاق بن مسلم بالرها فوجهه إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين ورئيسهم
حروري يقال له بريكة فصاروا حربا واحدا ويدا واحدة فقصدهم أبو جعفر فقاتلهم
قتالا شديدا وقتل بريكة في المعركة وهرب بكار إلى أخيه بالرها فاستخلفه بها ومضى في
معظم العسكر إلى سميساط فخندق على عسكره وأقبل أبو جعفر فحاصر بكارا بالرها وجرت
له معه وقعات وكتب السفاح إلى عمه عبد الله بن علي أن يسير إلى سميساط وقد
اجتمع على إسحاق بن مسلم ستون ألفا من أهل الجزيرة فسار إليهم عبد الله بن علي وجاء إليه
أبو جعفر المنصور فكاتبهم إسحاق وطلب منهم الأمان فأجابوه إلى ذلك عن إذن أمير
المؤمنين السفاح وولى السفاح أخاه أبا جعفر الجزيرة وأذربيجان وأرمينية
فلم يزل عليها حتى ولي الخلافة بعد أخيه ويقال إن إسحاق بن مسلم العقيلي إنما
طلب الأمان لما تحقق أن مروان بن محمد قتل وذلك بعد مضي سبعة أشهر وهو محاصر
وقد كان صاحبا لأبي جعفر فآمنه وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن أمر أخيه
السفاح إلى أبي مسلم الخراساني وهو أمير ما ليستطلع طلعة رأيه في قتل أبي سلمة
حفص بن سليمان الوزير وكان سبب ذلك أن السفاح سمر ليلة مع أهل بيته فتذاكروا
ما كان من أمر أبي سلمة حين كان أراد أن يصرف الخلافة عن بني العباس فقال قائل لعل
كان ذلك عن ممالأة أبي مسلم لهذا الأمر فسكت القوم فقال السفاح لئن كان هذا عن رأيه
إنا لبعرض بلاء إلا أن يدفعه الله عنا قال أبو جعفر فقال لي أخي ما ترى فقلت الرأي
رأيك فقال إنه ليس أحد أخص بأبي مسلم منك فاذهب إليه فاعلم علمه فإن كان عن رأيه

احملنا له وان لم يكن عن رايه طابت انفسنا قال ابو جعفر فخرجت اليه قاصدا على وجل
فلما وصلت الى الري اذا كتاب ابي مسلم الى واليها يستحثني اليه في المسير فازددت
وجلا فلما انتهيت الى نيسابور اذا كتابه يستحثني ايضا وقال لواليها لا تدعه
يقيم ساعة واحدة فان ارضك بها خوارج كثيرة فانشرحت لذلك فلما صرت من مرو
على فرسخين خرج الي يتلقاني في جماعة الناس فلما دنا مني ترجل وجاء يقبل يدي فامرته
فركب فلما دخلت مرو نزلت في دار فمكثت ثلاثا لا يسالني عن شي فلما كان في اليوم الرابع
سالني ما اقدمك فاخبرته فقال افعلها ابو سلمة انا اكفيكموه فدعا مرار بن انس الضبي
فقال له اذهب الى الكوفة فحيث لقيت ابا سلمة فاقتله وانته في ذلك الى راي الامام فقدم
مرار الكوفة الهاشمية وكان ابو سلمة يسمر عند امير المومنين السفاح فلما خرج قتله مرار
وشاع ان الخوارج قتلوه وغلقت البلد ثم صلى عليه يحيى بن محمد بن علي اخو امير المومنين
ودفن بالهاشمية وكان يقال له وزير آل محمد ويقال لابي مسلم امير آل محمد وقال
فيه الشاعر

ان الوزير وزير آل محمد ... اودى فمن يشناك كان وزيرا

وقيل انه لما سار ابو جعفر الى ابي مسلم بعد مقتل ابي سلمة وان ابا جعفر كان معه
ثلاثون منهم الحجاج بن ارطاة واسحاق بن الفضل الهاشمي وجماعة من السادات ولما
رجع ابو جعفر من خراسان قال لاخيه السفاح لست خليفة ما دام ابو مسلم حيا حتى
يقتله لما راى من طاعة الجيش والامراء له فقال له السفاح اكتمها فسكت ولما رجع ابو
جعفر من خراسان بعثه الى حصار ابن هبيرة بواسط فلما اجتاز بالحسن بن قحطبة اخذه
معه فلما احيط بابن هبيرة كتب الى محمد بن عبد الله بن حسن ليبايع له بالخلافة فابطا
عليه جوابه فمال الى مصالحة ابي جعفر فاستاذن ابو جعفر اخاه السفاح في ذلك
فاذن له في المصالحة فكتب له ابو جعفر كتابا بالصلح فمكث ابن هبيرة يشاور العلما
اربعين يوما ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة الى ابي جعفر في الف وثلثماية من البخارية
فلما دنا من سرادق ابي جعفر هم ان يدخل بفرسه فقال له الحاجب سلام انزل ابا خالد
فنزل وكان حول السرادق عشرة الاف من اهل خراسان ثم اذن له في الدخول فقال انا ومن
معي فقال لا بل انت وحدك فدخل ووضعت له وسادة فجلس عليها فحادثه ابو جعفر
ساعة ثم خرج من عنده فاتبعه ابو جعفر بصره ثم جعل ياتيه يوما بعد يوم في خمسماية
فارس وثلاثماية راجل فشكوا ذلك الى ابي جعفر فقال ابو جعفر للحاجب مره فلياتنا
في حاشيته فكان ياتي في ثلاثين نفسا فقال له الحاجب كانك تاتينا متاهبا فقال لو امرتمونا
بالمشي لمشينا اليكم ثم كان ياتي في ثلاثة انفس وقد خاطب ابن هبيرة يوما لابي جعفر
فقال له في عنفوان كلامه يا هناه او قال يا ايها المرء ثم اعتذر اليه بانه قد سبق كلامه في ذلك
فاعذره وقد كان السفاح كتب الى ابي مسلم يستشيره في مصالحة ابن هبيرة فنهاه عن ذلك
وكان السفاح لا يقطع رايا دون مراجعة ابي مسلم فلما وقع الصلح على يدي ابي جعفر لم
يعجب السفاح الى ذلك وكتب الى ابي جعفر يامره بقتله فراجعه ابو جعفر مرارا لا يفيد
شيا حتى جاء كتاب السفاح اليه ان اقتله لا محالة واقسم عليه في ذلك فارسل اليه ابو
جعفر طايفة فدخلوا عليه وعنده ابنه داود وفي حجره صبي له صغير وحوله مواليه

وحاجبه

وحاجبه فدفع ابنه حتى قتل وقتل خلق من مواليه وخلصوا اليه فالقى الصبي من حجره وخر
ساجدا فقتل وهو ساجد واضطرب الناس فنادى ابو جعفر في الناس بالامان الا عبد الملك
بن بشر وخالد بن سلمة المخزومي وعمر بن ذر فسكن الناس ثم استومن لبعضهم وقتل بعضهم
وفي هذه السنة بعث ابو مسلم محمد بن الاشعث الى فارس وامره ان ياخذ عمال ابي سلمة فيضرب
اعناقهم ففعل ذلك وفيها ولى السفاح اخاه يحيى بن محمد الموصل واعمالها وولى عمه داود بن
علي مكة والمدينة واليمن واليمامة وعزله عن الكوفة وولى مكانه عليها عيسى بن موسى وولى
قضاها ابن ابي ليلى وكان على نيابة البصرة سفيان بن معاوية المهلبي وعلى قضائها الحجاج بن
ارطاة وعلى السند منصور بن جمهور وعلى فارس محمد بن الاشعث وعلى ارمينية واذربيجان
والجزيرة ابو جعفر المنصور وعلى الشام واعماله عبد الله بن علي عم السفاح وعلى مصر ابو
عون عبد الملك بن يزيد وعلى خراسان واعمالها ابو مسلم الخراساني وعلى ديوان الخراج خالد
ابن برمك وحج بالناس في هذه السنة داود بن علي

ذكر من توفي فيها من الاعيان

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ابو عبد الملك الاموي اخر خلفاء بني امية قتل في العشر الاخير
من ذي الحجة من هذه السنة كما قدمنا ذكره ووزيره عبد الحميد بن يحيى بن سعيد مولى بني عامر
ابن لوي الكاتب البليغ الذي يضرب به المثل فيقال فتحت الرسايل بعبد الحميد وختمت
بابن العميد وقد كان اماما في الكتابة وجميع فنونها وهو القدوة فيها وله رسايل في الف
ورقة واصله من قيسارية ثم سكن الشام وتعلم هذا الشان من سالم مولى هشام بن عبد الملك
وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه وعليه تخرج وكان ابنه اسماعيل بن عبد الحميد
ماهرا في الكتابة ايضا وقد كان اولا معلم الصبيان ثم تقلبت به الاحوال حتى وزر لمروان
الجعدي اخر خلفاء بني امية واخذ بعده فقتله السفاح ومثل به وكان لا يليق بمثله العفو
عنه ومن مستجاد كلامه العلم شجرة ثمرتها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة ومن كلامه
وراى رجلا يكتب خطا رديا فقال له اطل جلفة قلمك واسمنها وحرف قطتك وايمنها
قال الرجل ففعلت ذلك فجاد خطي وساله رجل ان يكتب له كتابا الى بعض الاكابر يوصيه
به فكتب اليه حق موصل كتابي اليك كحقه علي اذ راك موضعا لامله وراني اهلا لحاجته
فصدق امله وكان كثيرا ما ينشد هذا البيت

اذا جرح الكتاب كان دويهم ... قسيا واقلام القسي لها نبلا

وابو سلمة حفص بن سليمان اول من وزر لآل العباس قتله ابو مسلم بامر السفاح بعد
ولايته باربعة اشهر وكانت بيعة السفاح ليلة الجمعة وهي ليلة الثالث عشر من ربيع الاخر
من هذه السنة فكان مقتله في رجب منها وكان ذا هيبة فاضلا حسن الفكاهة وقد كان السفاح
يانس اليه ويحب مسامرته لطيب محاضرته ولكنه توهم ميله الى آل علي فدس عليه ابا
مسلم فقتله غيلة فانشد السفاح عند ذلك

الى النار فليذهب ومن كان مثله ... على اي شي فاتنا منه ناسف

وكان يقال له وزير آل محمد ويعرف بالخلال لسكناه في درب الخلالين بالكوفة وجلوسه
اليهم وهو اول من سمي بالوزير وقد حكى القاضي ابن خلكان عن ابن قتيبة ان اشتقاق الوزير
من الوزر وهو الحمل فكان السلطان حمله ثقلا لاستناده الى رايه وقال الزجاج هو

مشتون من الموز ردهو الجيل نكان السلطان نجا الى ابه كما يلجا الخايف الى جبل يعتصم به والله اعلم

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

فيها ولى السفاح عمه سليمان بن علي البصرة واعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان وولى اسماعيل بن علي الى كور الاهواز وفيها قتل داود بن علي من بمكة والمدينة من بني امية وفيها توفي داود بن علي بالمدينة في شهر ربيع الاول فاستخلف ابنه موسى على عمله وكانت ولايته ارض الحجاز ثلاثة اشهر ولما بلغت السفاح وفاته استناب على الحجاز خاله زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي وولى اليمن لابن خاله محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان وجعل امرة الشام لعمه عبد الله وصالح ابني علي وقرر ابا عون على الديار المصرية نائبا عليها وفيها توجه محمد بن الاشعث الى افريقية فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتحها وفيها خرج شريك بن شيخ المهري ببخارى على ابي مسلم الخراساني وقال ما على هذا بايعنا ال محمد على سفك الدما فاتبعه نحو من ثلاثين الفا فبعث اليه ابو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله وفيها عزل السفاح اخاه يحيى بن محمد عن الموصل وولى عليها عمه اسماعيل بن علي وفيها ولى الصايفة من جهة صالح بن علي سعيد بن عبيد الله فغزا وراء الدروب وحج بالناس في هذه السنة خال امير المومنين زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي ونواب البلاد هم الذين كانوا في التي قبلها سوى من ذكرنا انه عزل في هذه السنة

ثم دخلت سنة اربع وثلثين ومائة

فيها خلع بسام بن ابراهيم بن بسام الطاعة وخرج على السفاح فبعث اليه خازم بن خزيمة فقاتله فقتل عامة اصحابه واستباح عسكره ورجع فمر بعلاء من بني عبد المدان اخوال امير المومنين فسالهم عن بعض ما بلغه من نصرة الخليفة فلم يردوا عليه واستهانوا به فامر بضرب اعناقهم وكانوا قريبا من عشرين رجلا وقتلهم من موالیهم فاستعدى بنو عبد المدان على خازم بن خزيمة الى امير المومنين وقالوا قتل اخوالك بلا ذنب فهم السفاح بقتله فاشار عليه بعض الامرا بان لا تقتله ولكن تبعثه مبعثا صعبا فان سلم فلك وان قتل فذلك الذي اردت فبعثه الى عمان وكان بها طايفة من الخوارج قد تمردوا وانحاز معه سبعماية رجل وكتب الى عمه سليمان بن علي نايب البصرة ان يحملهم في السفن الى عمان ففعل فقاتل الخوارج فكسرهم وقهرهم واستحوذ على تلك البلاد وقتل امير الخوارج الصفرية وهو الجلندي وقتل من اصحابه وانصاره نحوا من عشرة الاف وبعث برووسهم الى البصرة فبعث بها الى الخليفة ثم بعد اشهر كتب اليه السفاح ان يرجع فرجع سالما غانما منصورا وفيها غزا ابو مسلم بلاد الصغد وغزا ابو داود احد نواب ابي مسلم بلاد كش فقتل خلقا وغنم من الاواني الصينية المنقوشة بالذهب شيا كثيرا جدا وفيها بعث الخليفة السفاح موسى بن كعب الى منصور بن جمهور وهو بالسند في اثني عشر الفا فالتقاه موسى بن كعب في ثلاثة الاف فهزمه واستباح معسكره وفيها مات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد المدان فاستخلف السفاح عليها عمه وهو خال الخليفة زياد بن عبد الله عليها وفيها تحول السفاح من الحيرة الى الانبار وحج بالناس في هذه السنة نايب الكوفة عيسى بن موسى ونواب الاقاليم هم هم وممن توفي فيها من الاعيان ابو هارون العبدي عمارة بن جوين ويزيد بن يزيد بن جابر الدمشقي

ثم دخلت سنة ست وثلثين ومائة

فيها قدم ابو مسلم الخراساني منها على السفاح بالعراق وذلك بعد استيذانه الخليفة في القدوم فكتب اليه ان اقدم في الف فتقدم في ثمانية الاف فرفرقهم واخذ معه من الاموال والتحف والهدايا شيا كثيرا ولما قدم لم يكن معه سوى الف من الجند فتلقاه القواد والكبرا الخطابر البلد ولما دخل على السفاح اكرمه وعظمه واحترمه وانزله قريبا منه فكان ياتي الخدمة كل يوم واستاذن الخليفة في الحج فاذن له وقال لولا اني كتبت عينت لامرة الحج لابي جعفر لاتركتك وكان بين ابي جعفر وبين ابي مسلم حزازات وذلك لما راى من الجفوة منه حين قدم عليه نيسابور في البيعة للسفاح وللمنصور من بعده فحقد عليه ابو جعفر واشار على السفاح بقتله وحين قدم حرضه على قتله ايضا فقال له السفاح قد علمت بلاه معنا وخدمته لنا فقال له ابو جعفر انما ذلك بدولتنا والله لو ارسلت سنورا لسمعوا له واطاعوا وانك ان لم تتغدى به تعشى بك فقال فكيف السبيل الى ذلك قال اذا دخل عليك فحادثه حيث اناس ودار به فضربته بالسيف قال فكيف بمن معه قال هم اذل واقل فاذن له في قتله فلما دخل ابو مسلم على السفاح ندم على ما كان اذن لاخيه فيه فبعث اليه الخادم يقول له ان ذلك الذي بيني وبينك قد ندمت فيه فلا تفعله فلما جاءه الخادم وجده محتبيا بالسيف متهيئا لما يريد من قتل ابي مسلم فلما نهاه عن ذلك غضب ابو جعفر من ذلك غضبا شديدا وفي هذه السنة حج بالناس ابو جعفر المنصور عن ولاية اخيه السفاح وسار معه الى الحجاز ابو مسلم الخراساني عن امر الخليفة واذن له في الحج في هذا العام فلما رجعا من الحج فكان ابو مسلم متقدما فجاءه الخبر الى ابي جعفر وكان يسير قبله بمرحلة بموت ابي العباس السفاح فكتب الى ابي مسلم ان قد حدث امر العجل العجل فلما استعلم ابو مسلم الخبر عجل السير وراه فلحقه الى الكوفة فكانت بيعة المنصور على ما سياتي بيانه وتفصيله قريبا ان شا الله تعالى

وهذه ترجمة ابي العباس السفاح وذكر وفاته

عبد الله السفاح ويقال له المرتضى والقايم ايضا بن محمد الامام بن علي السجاد بن عبد الله الحبر بن عباس ذي الراي بن عبد المطلب شيبة الحمد بن هاشم عمرو بن عبد مناف بن قصي ابو العباس القرشي الهاشمي الملقب بالسفاح وهو اول الخلفاء بني العباس وامه ريطة ويقال رايطة بنت عبيد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي فكان مولد السفاح بالحميمة من ارض الشراة من ارض البلقا بالشام ونشا بها حتى طلب اخوه ابراهيم فقتله مروان الحمار بحران فانتقلوا الى الكوفة وبويع له بالخلافة بعد مقتل اخيه في حياة مروان يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الاول ويقال في جمادى سنة اثنتين وثلثين ومائة بالكوفة كما تقدم وتوفي بالجدري بالانبار يوم الاحد الحادي عشر وقيل الثالث عشر من ذي الحجة سنة ست وثلثين ومائة فكان عمره ثلثا وقيل ثنتين وقيل احدى وثلثين سنة وقيل ثمان وعشرين سنة فالله اعلم وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر وكان ابيض جميلا طويلا اقنى الانف جعد الشعر حسن اللحية حسن الوجه فصيح الكلام حسن الراي جيد البديهة دخل عليه في اول خلافته عبد الله بن حسن بن علي ومعه مصحف وعند السفاح وجوه بني هاشم من اهل بيته وغيرهم فقال له يا امير المومنين

اعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف قال فاشفق الحاضرون ان يعجل السفاح
بشيء او يجيبه بجوابه فيبقى ذلك سبة عليه وعليهم فاقبل السفاح عليه غير مغضب
ولا منزعج فقال ان جدك عليا كان خيرا مني واعدل ولي هذا الامر فاعطى جديك الحسن
والحسين وكانا خيرا منك شيئا وقد اعطيتك وزدتك عليه فما كان هذا جزائي منك قال
فما رد عليه عبد الله بن حسن جوابا وتعجب الناس من سرعة جوابه وحدته وجودته على
البديهة وقد ورد في حديث ذكره فقال الامام احمد في مسنده حدثنا عثمان بن ابي شيبة
ثنا جرير عن الاعمش عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخرج عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له السفاح فيكون اعطاؤه
المال حثيا وكذا رواه زائدة وابو معاوية عن الاعمش به وهذا الحديث فيه عطية العوفي
وقد تكلموا فيه وفي كون المراد بهذا السفاح المذكور نظر والله اعلم وقال الزبير بن بكار
حدثني محمد بن مسلم بن هشام اخبرني محمد بن عبد الرحمن المخزومي حدثني داود بن عيسى عن
ابيه عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والد السفاح قال دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده
رجل من النصارى فقال له عمر بن عبد العزيز من تجدون الخليفة بعد سليمان قال له
النصراني انت قال فاقبل عمر بن عبد العزيز علي فقال لي ومن بني ابيك يا عبد الله قال
محمد بن علي فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك النصراني من بالي فرايته يوما فامرت غلامي ان
يحبسه علي ودخلت منزلي فسألته عما يكون بعدي فخلفاء بني امية واحدا واحدا وتجاوز عن
مروان بن محمد قلت ثم من قال ابنك ابن الحارثية قال وكان اذ ذاك حملا وقد عليه اهل
المدينة فبادروا له تقبيل يده صاحب ذلك عمران بن ابراهيم بن عبد الله بن مطيع واعاجيبه
بالخلافة وهنأه بها فنشط وقال والله يا امير المومنين لو كانت تزيدك رفعة وتزيدك
وسيلة ما سبقني اليها احد من مولاي [?] ثم جلس فقال لعن الله ما نقصته [?]
ذلك من خط اصحابه وذكر المعافى بن زكريا ان السفاح بعث رجلا ينادي بهذين البيتين
في عسكر مروان بن محمد ليلا ثم يرجع وهما هذان

يا آل مروان ان الله مهلككم ● ومبدل امنكم خوفا وتشريدا ●
لا عمر الله من انسالكم احدا ● وبثكم في بلاد الخوف تطريدا ●

وروى الخطيب البغدادي ان السفاح نظر يوما في المرآة وكان من اجمل الناس فقال اللهم
لا اقول كما قال سليمان بن عبد الملك انا الخليفة الشاب ولكني اقول اللهم عمرني طويلا في
طاعتك ممتعا بالعافية فما استتم كلامه حتى سمع غلاما يقول لآخر الاجل بيني وبينك
شهران وخمسة ايام فتطير من كلامه وقال حسبي الله لا قوة الا بالله عليه توكلت وبه استعين
فمات بعد شهرين وخمسة ايام وذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي ان الرشيد امر ان يسمع
من اسحاق بن عيسى بن علي ما يرويه عن ابيه في نعت السفاح فاخبره عن ابيه عيسى انه دخل على
السفاح يوم عرفة بكرة النهار فوجده صائما فامره ان يجالسه يومه هذا ثم يختم ذلك
بفطره عنده قال فجالسته حتى اخذه النوم فقمت وقلت اقيل في منزلي ثم اجي بعد ذلك
فذهبت فنمت قليلا ثم قمت فاقبلت الى داره فاذا على بابه بشير من اهل السند ببيعتهم
للخليفة وتسليم الامر لنوابه قال فحمدت الله تعالى الذي وفقني لان احمله بشارة ثم دخلت
الدار فاذا آخر معه البشارة بفتح افريقية فحمدت الله تعالى ايضا ودخلت عليه فبشرته بذلك

وهو يسرح لحيته بعد الوضوء فسقط المشط من يده ثم قال سبحان الله كل شيء بائد سواه نعيت
والله نفسي حدثني ابراهيم الامام عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه يقدم علي في مدينتي هذه وافدان وافد السند والآخر وافد افريقية ببيعتهم
وطاعتهم وبيعتهم فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة ايام حتى اموت قال وقد اتاني الوفدان
فاعظم الله اجرك يا عم في ابن اخيك فقلت كلا يا امير المومنين ان شاء الله قال بلى ان شاء
الله لئن كانت الدنيا حبيبة الي فصحبة الآخرة ولقاء رسول الله احب الي منها والله ما كذبت
ولا كذبت ثم نهض فدخل منزله وامرني بالجلوس فلما جاء المؤذن يعلمه بوقت الظهر
خرج الخادم يامرني ان اصلي عنه وكذلك العصر والمغرب والعشاء كل ذلك يخرج الخادم
يامرني ان اصلي عنه وبت هناك فلما كان وقت السحر خرج الخادم بكتاب معه يامرني ان اصلي
عنه العيد ثم ارجع الى الدار ويقول يا عم اذا مت فلا تعلم الناس بموتي ولا تعلمهم بذلك
حتى يقرا عليهم هذا الكتاب فيبايعوا المرضي فيه قال فصليت بالناس ثم رجعت اليه
فاذا ليس به باس مما انكره ثم دخلت آخر النهار فاذا هو على حاله الا انه قد خرجت في وجهه حبتان
صغيرتان ثم كثرتا ثم صار في وجهه حب صغار بيض يقال انه جدري ثم بكرت اليه في يوم
الثاني فرجعت اليه بالعشي فاذا هو قد انتفخ حتى صار مثل الزق وتوفي في اليوم الثالث
من ايام التشريق فسجيته كما امر وخرجت الى الناس فقرات عليهم كتابه فاذا فيه من عبد
الله امير المومنين الى الاولياء وجماعة المومنين سلام عليكم اما بعد فقد قلد امير المومنين
الخلافة عليكم بعده وفاته اخاه فاسمعوا له واطيعوا وقد قلد الخلافة من بعد عبد الله عيسى
بن موسى ان كان قال فاختلف الناس في قوله ان كان فقال بعضهم ان كان اهلا لها وقال الآخرون ان كان
حيا وهذا القول الثاني هو الصواب ذكره الخطيب وابن عساكر مطولا وهذا ملخص منه
وفيه ذكر الحديث المرفوع وهو منكر جدا وذكر ابن عساكر ان الطبيب لما دخل عليه اخذ بيده
فانشا يقول

انظر الى ضعف الحراك ● وذله بيد السكون ●
ينبيك ان بيانه ● هذا لمقدمة المنون ●

فقال له الطبيب انت صالح فانشا يقول

يبشرني باني ذو صلاح ● يبين له وبي داء دفين ●
لقد ايقنت اني غير باق ● ولا شك اذا وضح اليقين ●

وقال بعض اهل العلم كان آخر ما تكلم به ابو العباس السفاح حين حضره الموت الملك
لله الحي القيوم ملك الملوك وجبار الجبابرة وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وكان موته
بالجدري في يوم الاحد الثالث عشر ذي الحجة من سنة ست وثلاثين ومائة بالانبار العتيقة
عن ثلاث وثلاثين سنة وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر على اشهر الاقوال وصلى
عليه عمه عيسى بن علي ودفن في قصر الامارة من الانبار وترك تسع جباب واربعة قمص وخمس
سراويلات واربعة طيالسة وثلاث مطارف خز وممن توفي في هذه السنة الخليفة السفاح
كما تقدم والاشعث بن سوار وجعفر بن ربيعة وحصين بن عبد الرحمن وربيعة الراي
وزيد بن اسلم وعبد الملك بن عمير وعبيد الله بن ابي جعفر وعطاء بن السائب وقد ذكرنا
تراجمهم كلهم في كتابنا التكميل ولله الحمد

خلافة ابي جعفر المنصور

قد تقدم

ان السفاح مات واخوه ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالحجاز فاخذ البيعة
له بالعراق عيسى بن علي وبلغه خبر موت اخيه السفاح وهو راجع بمكان عرف بنخل السيرة وكان معه
ابو مسلم الخراساني فبايعه ابو مسلم في الطريق وعزاه في اخيه امير المومنين السفاح فبكى ابو جعفر
المنصور عند ذلك فقال له ابو مسلم لا تخف فانا اكفيكه ان شا الله فسري عن المنصور وامر
زياد بن عبيد الله ان يرجع الى مكة واليا عليها وكان السفاح قد عزله عنها بالعباس بن عبد الله
بن معبد بن عباس واقر بقية النواب على اعمالهم حتى انسلخت هذه السنة وقد كان عبد الله بن علي قدم
على السفاح الانبار فامره على الصايفة فركب في جيوش عظيمة الى بلاد الروم فلما كان ببعض
الطريق بلغه موت السفاح فكر راجعا الى حران ودعا الى نفسه وزعم ان السفاح كان عهد اليه
حين بعثه الى الشام ان يكون ولي العهد من بعده فالتفت عليه جيوش عظيمة وكان من امره ما سنذكره
في السنة الاتية ان شا الله

ثم دخلت سنة سبع وثلثين ومائة

ذكر خروج عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس على ابن اخيه المنصور لما رجع ابو جعفر المنصور
من الحج دخل الكوفة فخطب باهلها يوم الجمعة ثم ارتحل منها الى الانبار وقد اخذت له البيعة
من اهل العراق وخراسان وساير البلاد سوى الشام وقد ضبط عيسى بن علي بيوت الاموال والحواصل
حتى قدم فسلم اليه الامر وكتب الى عبد الله بن علي وهو بدرب الروم يعلمه بموت السفاح فلما بلغه
الخبر نادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الامرا والناس فقرا عليهم وفاة السفاح ثم قام فيهم
خطيبا فذكر انه كان عهد اليه حين بعثه الى حران ان يكون الامر اليه من بعده وشهد له بعض امرا
العراق بذلك فنهضوا اليه فبايعوه ورجع الى حران فتسلمها من نايب المنصور بعد
محاصرة اربعين ليلة وقتل مقاتل العكي نايبها فلما بلغ المنصور ما كان من امر عمه عبد الله بن
علي بعث اليه ابا مسلم الخراساني ومعه جماعة من الامرا وقد تحصن عبد الله بن علي بحران وارصد
عنده مما يحتاج اليه من الاطعمة والسلاح شيا كثيرا جدا وسار ابو مسلم وعلى مقدمته مالك بن
الهيثم الخزاعي ولما تحقق عبد الله بن علي قدوم ابي مسلم اليه خشي من جيش العراق الذين معه
ان لا يناصحوه فقتل منهم سبعة عشر الفا واراد قتل حميد بن قحطبة فهرب منه الى ابي مسلم
وركب عبد الله بن علي فنزل نصيبين وخندق حول عسكره واقبل ابو مسلم فنزل ناحية وكتب
الى عبد الله اني لم اومر بقتالك وانما بعثني امير المومنين واليا على الشام فانا اريدها فخاف
جنود الشام من هذا الكلام وقالوا انا نخاف على ذرارينا واموالنا فنحن نذهب اليها نمنعهم
منه فقال لهم عبد الله بن علي ويحكم والله انه لم يات الا لقتالنا فابوا الا ان يرتحلوا نحو الشام
فتحول عبد الله بن علي من منزله ذلك وقصد ناحية الشام فنهض ابو مسلم فنزل في موضع
عسكر عبد الله هو واصحابه فنزل في الموضع الذي كان فيه ابو مسلم فوجدوه منزلا رديا ثم انشا
ابو مسلم القتال لهم خمسة اشهر وستة اشهر وكان على خيل عبد الله اخوه عبد الصمد
بن علي وعلى ميمنته بكار بن مسلم العقيلي وعلى ميسرته حبيب بن سويد الاسدي وعلى ميمنة
ابي مسلم الحسن بن قحطبة وعلى ميسرته ابو نصر حازم بن خزيمة وقد جرت بينهم وقتل منهم
جماعات في ايام عدة وقد كان ابو مسلم يرتجز فيقول

• من كان ينوي اهله فلا رجع • فر من الموت وفي الموت وقع •

وكان يعمل له عريش يكون فيه اذا اصطدم الجيشان فاذا راى من ذلك ارسل فاصلحه فلما كان يوم

الثلثا او يوم الاربعا لسبع خلون من جمادى الاخرة التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فمكر بهم
ابو مسلم بعث الى الحسن بن قحطبة امير الميمنة فامره ان يتحول بمن معه الا القليل الى الميسرة
فلما راى ذلك اهل الشام انحازوا الى الميمنة بازاء الميسرة التي تعمرت فارسل حينيذ ابو مسلم الى
القلب ان يحمل من بقي في الميمنة على ميسرة اهل الشام فحطموهم فجال اهل القلب والميمنة من
الشاميين فحمل عليهم الخراسانيون فكانت الهزيمة وانهزم عبد الله بن علي بعد تلوم واحتاز
ابو مسلم ما كان في معسكرهم من الاموال والحواصل وامن ابو مسلم بقية الناس فلم يقتل منهم احدا
وكتب الى المنصور بذلك فارسل المنصور مولاه ابا الخصيب ليحصي ما وجدوا في معسكر عبد
الله بن علي فغضب من ذلك ابو مسلم الخراساني واستوسقت الممالك لابي جعفر المنصور في
المشارق والمغارب ومضى عبد الله بن علي واخوه عبد الصمد على وجوههما فلما مرا بالرصافة
اقام بها عبد الصمد فلما رجع ابو الخصيب وجده بها فاخذه مقيدا في الحديد فادخله على المنصور
فدفعه الى عيسى بن موسى فاستامن له المنصور وقيل بل استامن له اسمعيل بن علي واما عبد
الله فانه ذهب الى اخيه سليمان بن علي بالبصرة فاقام عنده زمانا مختفيا ثم علم به المنصور
فسجنه فلبث في السجن تسع سنين ثم سقط عليه البيت الذي هو فيه فمات كما سياتي بيانه
في موضعه ان شا الله تعالى

ذكر مهلك ابي مسلم الخراساني في هذه السنة

ذكر ان ابا مسلم لما نفر الناس من الحج سبق الناس بمرحلة فلما جاه خبر السفاح في الطريق كتب الى
ابي جعفر المنصور يعزيه في الخليفة ولم يهنه بالخلافة ولا رجع اليه فغضب المنصور من ذلك
مع ما كان يضمر له من السوء فقال لابي ايوب اكتب اليه كتابا غليظا فلما بلغه الكتاب بعث يهنيه
بالخلافة وانقمع من ذلك وقال بعض الامرا لابي جعفر انا نرى من المصلحة ان لا تجامعه
في الطريق فان معه من الجنود من لا يخالفه وهم له اهيب وليس معك احد فاخذ برايه ثم كان من
امره في مبايعته لابي جعفر المنصور ما ذكرنا ثم بعثه الى عمه عبد الله بن علي فكسره كما تقدم
وقد بعث في غضون ذلك الحسن بن قحطبة الى ابي ايوب كاتب رسايل المنصور فتامه
يخبره بان ابا مسلم متهم في ابي جعفر المنصور فانه اذا جاءه الكتاب منه يقراه ثم يلوي شدقيه
ويرمي الكتاب الى ابي نصر ويضحكان استهزا فقال ابو ايوب ان تهمة ابي مسلم عندنا اظهر
من هذا ولما بعث ابو جعفر مولاه ابا الخصيب يقطين ليحتاط على ما يحصل من الاموال
والجواهر التي اصيبت من معسكر عبد الله بن علي غضب ابو مسلم فشتم ابا جعفر وهم
بالخصيب ان يقتله حتى كلم فيه وقيل له انما هو رسول فتركه ورجع ابو الخصيب فاخبر
المنصور بما كان عزم به ابو مسلم من قتله فغضب المنصور وخشي ان يذهب ابو مسلم من
مكانه الى خراسان فيشق عليه تحصيله بعد ذلك فكتب اليه مع يقطين اني قد وليتك
الشام ومصر وهما خير من خراسان فابعث الى مصر من شيت واقم انت بالشام لتكون اقرب
الى امير المومنين اذا اراد لقاك لكنت منه قريبا فغضب ابو مسلم من ذلك وقال
قد ولاني الشام ومصر ولي خراسان فانا اذهب اليها واستخلف في الشام ومصر فكتب
الى المنصور بذلك فقلق من ذلك كثيرا ورجع ابو مسلم من الشام قاصدا نحو خراسان وهو
عازم على مخالفة المنصور فخرج المنصور من الانبار الى المداين وكتب الى ابي مسلم بالمصير اليه
فكتب اليه ابو مسلم وهو على الزاب عازم على الدخول الى خراسان انه لم يبق لامير المومنين عدو الا

امكنه الله منه وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان ان اخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت
الدهماء فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت حريون بالسمع والطاعة
غير انها من بعيد حيث يقارنها السلامة فان ارضاك فانا كاحسن عبيدك وان ابيت
الا ان تعطي نفسك ارادتها نقضت ما ابرمت من عهدك ضنا بنفسي فلما وصل الكتاب
الى المنصور كتب الى ابي مسلم قد فهمت كتابك وليست صفتك صفة اولئك الوزراء
الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم وانما راحتهم في انتشار
نظام الجماعة فلم سويت نفسك بهم وانت في طاعتك ومناصحتك واطلاعك بما
حملت من اعباء هذا الامر على ما انت به وليس مع الشريطة التي اوجبت منك سمع ولا طاعة
وحمل اليك امير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن اليها ان اصغيت اليها فاسال الله ان
يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك فانه لم يجد بابا يفسد به نيتك اوكد عنده واقرب
من طبه من الباب الذي فتحه عليك ويقال ان ابا مسلم كتب الى المنصور اما بعد
فاني اتخذت رجلا اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان في محلة العلم وفي قرابته
من رسول الله قريبا فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا في قليل قد نعاه الله الى
خلقه فكان كالذي دلي بغرور وامرني ان اجرد السيف وارفع الرحمة ولا اقبل المعذرة
ولا اقيل العثرة ففعلت توطئة لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يجهلكم ثم استنقذني
الله بالتوبة فان يعف عني فقدما عرف به ونسب اليه وان يعاقبني فبما قدمت يداي
وما الله بظلام للعبيد ذكره المدائني عن شيوخه وبعث اليه جرير بن يزيد بن جرير بن
عبد الله البجلي وكان واحد اهل زمانه في جماعة من الامراء وقد كان المنصور قال له كلم ابا مسلم
بالين كلام تقدر عليه وقل له انه يريد رفعك وعلو قدرك والاطلاق لك فان جاء بهذا
فذاك وان ابى ان يرجع فقل له يقول لك بريء من العباس ان شققت العصا وذهبت على
وجهك هذا ليدركنك بنفسه وليليهن قتالك دون غيره فلو خضت البحر الخضم لخاضه
وراك حتى يدركك فيقتلك او اموت قبل ذلك ولا تقل له هذا حتى تياس من رجوعه الى
ما احسن فلما قدم عليه امراء المنصور كلموه ان دخلوه الخليفة ولاموه فيما هو عليه من منابذة
امير المؤمنين ورغبوه في الرجوع اليه فشاور ذوي الراي من امرائه فكل نهاه عن الرجوع
اليه واشاروا بان يقيم في الري فيكون خراسان تحت حكمه وجنوده طوع له فان استقام
له الخليفة والا كان في عز ومنعة من الجند فارسل ابو مسلم الى امراء المنصور فقال
ارجعوا الى صاحبكم فلست القاه فلما ايسوا منه قالوا له عزمة المنصور ما كان
امرهم به من انه لا يرجع عنه ولو خاض البحر لخاضه وراءه حتى يقتله فلما سمع ذلك كسره
جدا وقال قوموا عني الساعة وكان ابو مسلم قد استخلف على خراسان ابا داود ابراهيم
بن خالد فكتب اليه المنصور في غيبة ابي مسلم حين اتهمه ان ولاية خراسان لك ما بقيت
فكتب ابو داود الى ابي مسلم حين بلغه ما عزم عليه ابو مسلم من منابذة الخليفة انه ليس
لنا منابذة خلفاء بيت رسول الله فارجع الى امامك سامعا مطيعا فزاده ذلك كسرا ايضا
فبعث اليهم ابو مسلم اني سابعث اليه ابا اسحاق وهو ممن اثق به فبعثه الى المنصور فاكرمه
ووعده بنيابة العراق ان هو رده ولما رجع رسول ابي مسلم اليه من عند المنصور قال
له ما وراءك قال رايتهم معظمين لك يعرفون قدرك فغره ذلك وعزم على الذهاب

الى الخليفة فاستشار اميرا يقال له نيزك فلما راه عازما على الذهاب تمثل نيزك بقول
الشاعر

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الاقوام

ثم قال احفظ عني واحدة قال وما هي قال اذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع من شئت
بالخلافة فان الناس لا يخالفونك وكتب ابو مسلم الى المنصور يعلمه بقدومه عليه قال
ابو ايوب كاتب الرسائل فدخلت على المنصور وهو في خباء شعر جالس على مصلى بعد
العصر وبين يديه كتاب فالقاه الي فاذا هو كتاب ابي مسلم اليه ثم قال الخليفة والله
لئن ملأت عيني منه لاقتلنه قال ابو ايوب فقلت انا لله وانا اليه راجعون وبت تلك
الليلة لا اذوق نوما وفكرت في هذه الواقعة وقلت ان دخل ابو مسلم خائفا ربما انه يبدو
منه شيء الى الخليفة والمصلحة ان يدخل آمنا فيتمكن منه الخليفة فلما اصبح طلب
رجلا من الامراء وقال له هل لك ان تقبل مدينة كسكر فانها مغلة في هذه السنة فقال
ومن لي بذلك فقال له ابو ايوب فاذهب الى ابي مسلم فتلقاه في الطريق فاطلب منه
ذلك فان امير المؤمنين يريد ان يوليه ما وراء بابه ويستريح الخليفة لنفسه واستاذن
الخليفة له ان يذهب الى ابي مسلم فقال له سلم عليه وقل له انا بالاشواق اليه فسار
ذلك الرجل وسلم الى ابي مسلم فاخبره باشتياق الخليفة فسره ذلك وانشرح وانما
هو غرور من الخليفة ولد ايوب ولا يشعر الرجل بذلك واخبره ان الخليفة يريد ان يستخلفه
على ما وراء بابه فاستبشر بذلك وعجل السير فلما اقترب ابو مسلم من المدائن امر الخليفة
القواد والكبراء يتلقونه فكان دخوله على امير المؤمنين من آخر ذلك اليوم وقد اشار ابو
ايوب على الخليفة بان الليل ساعته هذه حتى الغد فقبل ذلك منه فلما دخل ابو مسلم
على المنصور في العشي فقال له اذهب فارح نفسك وادخل الحمام فاذا كان الغد فاتني
فخرج من عنده وجاء الناس يسلمون عليه فلما كان الغد طلب الخليفة بعض الامراء فقال
له كيف بلاؤك عندك قال والله يا امير المؤمنين لو امرتني ان اقتل نفسي لقتلتها قال
فكيف بك اذا امرتك بقتل ابي مسلم قال فوجم ساعة فقال له ابو ايوب ما لك لا تتكلم
فقال له قولة ضعيفة اقتله ثم اختار له من عيون الحرس اربعة فجعلهم الخليفة وقال لهم
كونوا من وراء الرواق فاذا صفقت فاخرجوا اليه فاقتلوه وارسل الخليفة الى ابي مسلم
رسلا تترى يتبع بعضهم بعضا فاقبل ابو مسلم فدخل دار الخلافة فلما وقف بين يدي
الخليفة جعل يعاتبه في الذي صنع واحدة واحدة فيعتذر عن ذلك كله فيما كان اعتمده
من الامور التي يشرع فيها ثم قال له ارجوا ان يكون نفسك قد طابت علي فقال
والله ما زادني هذا الا غضبا عليك ثم صفق باحدى يديه على الاخرى فخرج عثمان
واصحابه عليه فضربوه بالسيف حتى قتلوه ولفوه في عباءة والقاه بدجلة فكان
آخر العهد به وقد كان مقتله في يوم الاربعاء لاربع بقين من شعبان سنة سبع واربعين ومائة
وكان مما عاتبه به انك كتبت الي تبدأ بنفسك وارسلت تخطب عمتي آسية
وتزعم انك ابن سليط ابن عبد الله بن عباس لا غير ذلك فقال لا يقال لي هذا وقد
سعيت في امركم ما قد علمه كل احد فقال له ويلك لو قامت في ذلك امة سوداء لاغنى الله
تعالى جدنا وحظنا ثم قال والله لاقتلنك فقال استبقني يا امير المؤمنين لاعدائك

فقال وأي عدو أعدى منك شراً من تغتاله فقتل كما ذكرنا فقال له بعض اهل بيته الآن يا امير
المومنين كما سميت خليفة ويقال ان المنصور انشد عند ذلك •

• فالقت عصاها واستقر بها النوى • كما قر عينا بالاياب المسافر •

وذكر ابن خلكان ان المنصور لما عزم على قتل ابي مسلم تحير في امره هل يستشير احدا في ذلك
او يستبد برايه لئلا ينتشر ثم انه استشار واحدا من نصحاء اصحابه في قتل ابي
مسلم فقال يا امير المومنين قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
فقال لقد اودعتها اذنا واعية ثم عزم على ذلك ٥

ومنه ترجمة ابي مسلم الخراساني ٥

عبد الرحمن بن مسلم ابو مسلم صاحب دولة وبقائها والدعوة بني العباس وكان يقال
له امير آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الخطيب البغدادي عبد الرحمن
ابن مسلم بن شعوون بن اسفنديار ابو مسلم المروزي صاحب الدولة العباسية
يروي عن ابي الزبير وثابت البناني وابراهيم وعبد الله ابني محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس زاد ابن عساكر في شيوخه محمد بن علي وعبد الرحمن بن حرملة وعكرمة مولى ابن عباس
قال ابن عساكر وروى عنه ابراهيم بن ميمون الصائغ وبشر والد مصعب بن بشر
وعبد الله بن شبرمة وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن منيب المروزي وقديد بن منيع
صهر ابي مسلم قال الخطيب وكان فاتكا شجاعا ذا راي وعقل وتدبير وحزم وقتله ابو
جعفر المنصور بالمداين وقال ابو نعيم الاصفهاني في تاريخ اصبهان كان اسمه
عبد الرحمن بن عثمان بن يسار ويقال انه ولد باصبهان وروى عن السدي وغيره وقال
بعض الحفاظ كان اسم ابي مسلم صاحب الدعوة ابراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس
بن جودون من ولد بزرجمهر وكان يكنى ابا اسحاق وولد باصبهان ونشا بالكوفة
وكان ابوه اوصى الى عيسى بن موسى السراج فحمله الى الكوفة وهو ابن سبع سنين فلما بعثه
ابراهيم بن محمد الى خراسان قال له غير اسمك وكنيتك فتسمى بعبد الرحمن بن مسلم
واكتنى بابي مسلم فسار الى خراسان وهو ابن تسع عشرة سنة راكبا على حمار باكاف واعطاه
ابراهيم بن محمد نفقة من عنده فدخل خراسان وهو كذلك ثم آل به الحال حتى صارت اليه
بحذافيرها وازمتها وذكر بعضهم انه قدم في اول مرة الى خراسان رجل في بعض الخانات
على حماره ليطلب ذنبه فلما تمكن ابو مسلم وحكم على ذلك الموضع جعل له كما كان يجده كله
خرابا لا يسكن وذكر بعضهم انه اصابه سبا في صغره وانه اشتراه بعض دعاة بني العباس
باربعماية درهم وان ابراهيم بن محمد استوهبه او اشتراه فانتمى اليه وزوجه ابراهيم بن محمد
حين بعثه الى خراسان بنت ابي النجم عمران بن اسماعيل الطائي احد دعاة بني العباس
واصدقها عنه اربعماية درهم فولد لابي مسلم بنتان اسماء اعقبت وفاطمة لم تعقب
وقد ذكرنا فيما سلف من السنين كيفية استقلال ابي مسلم بامر خراسان في سنة تسع
وعشرين ونشره دعوة بني العباس وقد كان ذا هيبة وصرامة واقدام وتسرع وروى
ابن عساكر من طريق مصعب بن بشر عن ابيه قال قام رجل الى ابي مسلم وهو يخطب
فقال له ما هذا السواد الذي ارى عليك فقال حدثني ابو الزبير عن جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وهذه ثياب

الهيبة وثياب الدولة يا غلام اضرب عنقه وروى من حديث عبد الله بن منيب عنه
عن محمد بن علي عن ابيه عن جده عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اراد هوان قريش اهانه الله وقد كان ابراهيم بن ميمون الصائغ من اصحابه وجلسائه
في زمن الدعوة وكان يعده اذا ظهر ان يقيم الحدود والعدل فلما تمكن ابو مسلم الح ابراهيم
بن ميمون عليه في القيام بما وعده به حتى احرجه فضرب عنقه بعدما قال له ما
كنت تنكر على نصر بن سيار وهو يحمل اواني الخمر الذهب فيبيعها الى بني امية فقال
له انا اولئك لم يجعلوني من انفسهم ما وعدتني انت وقد راى بعضهم في المنام لابراهيم
منازل عالية في الجنة بصبره على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر رح وقد ذكرنا ما اعتمد
ابو مسلم في ايام السفاح من الطاعة الاكيدة والمبادرة الى اوامره وامتثال مراسيمه
ثم لما سار الامر الى المنصور استخف به واحتقره ومع هذا كسر عمه عبد الله بن علي
حين دعا الى نفسه بالشام فاستنقذ ما بيده ورد ما له الى حكم المنصور ثم شمخ بنفسه
على المنصور وهم بقلعة من الحصن ففطن لذلك المنصور مع ما كان مستبطنا له من
البغضة في نفسه لامور قد سال لاخاه السفاح غير مرة ان يقتله فيصده عن ذلك
وذكرنا ايضا ما كان من امر ابي مسلم والمنصور من المراسلات والمكاتبات حتى استوحش
منه المنصور واتهمه لسوء النية فما زال يراسله ويستدعيه ويخدعه ويماكره حتى
استحضره فقتله كما قدمنا بيانه قال بعضهم كتب ابو جعفر الى ابي مسلم اما بعد
فانه يرين على القلوب ويطبع عليها بالمعاصي فقع ايها الطاير وافق ايها السكران
وانتبه ايها الحالم فانك مغرور باضغاث احلام كاذبة وفي برزخ دنيا قد غرت من
قبلك وسم بها سوالف القرون هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا وان الله لا يعجزه
من هرب ولا يفوته من طلب ولا تغتر بمن معك من شيعتي واهل دعوتي فكانهم قد
صاولوك ان انت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة فبدا لك من الله ما لم تكن تحتسب
مهلا مهلا احذر البغي ابا مسلم فانه من بغى واعتدى تخلى الله منه ونصر عليه من
يصرعه لليدين والفم واحذر ان تكون سنة في الذين خلوا من قبل لقد قامت الحجة
واعذرت اليك والى اهل طاعتي منك قال الله تعالى واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فاجابه ابو مسلم اما بعد فقد قرات
كتابك فرايتك فيه للصواب مجانبا وعن الحق حايدا اذ تضرب فيه الامثال على غير
اشكالها وتضرب لي فيه آيات منزلة من الله للكافرين وما يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون واني والله ما انسلخت من آيات الله ولكني يا عبد الله بن محمد كنت
رجلا متاولا فيكم من القرآن آيات اوجبت لكم بها الولاية والطاعة فاتممت
باخوين لك من قبلك ثم بك من بعدهما فكنت لهما شيعة متدينا احسبني هاديا واخطات
في التاويل وقديما اخطا المتاولون وقد قال الله تعالى واذا جاءك الذين يومنون
باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من
بعده واصلح فانه غفور رحيم وكتب اليه ابو مسلم ان اخاك يعني السفاح ظهر لي في صورة
مهدي وكان ضلالا امرني ان اجرد السيف واقتل بالظنة وارفع الرحمة ولا اقبل المعذرة
ولا اقيل العثرة فوترت اهل الدنيا في طاعتكم وقد وطيت سلطانكم حتى عرفكم من كان

جمعكم ثم ان الله تداركني منه بالندم واستنقذني بالتوبة فكتب اليه ابو جعفر اما

بعد ايها المجرم العاصي فان اخي كان امام هدى يدعوا الى الله على بينة من الله فاوضح

لك السبيل وحملك على المناهج فلو باخي اقتديت لما كنت عن الحق حايدا ولكن الشيطان

وامره صادرا ولكنه لم يسنح لك امران الا كنت لا رشدهما تاركا ولاغواهما مواقعا تقتل

قتل الفراعنة وتبطش بطش الجبارين وتحكم بالجور حكم المفسدين ثم من جرى ايها

الفاسق اني قد وليت موسى بن كعب خراسان وامرته بالمقام بنيسابور فان اردت خراسان

لقيتك بمن معه من قوادي وشيعتي وانا موجه للقايك اقرانك فاجمع كيدك واركب

غير مسدد ولا موفق وحسب امير المومنين الله ونعم الوكيل ولم يزل المنصور يراسله

تارة بالرغبة وتارة بالرهبة ويستخف احلام من حوله من الامرا والرسل الذين يبعث

بهم ابو مسلم حتى حسنوا له في رايه القدوم على ابي جعفر سوى امير معه يقال له نيزك

فانه لم يوافق على ذلك فلما راى ابو مسلم قد ازمع على القدوم تمثل

• ما للرجال مع القضا محالة • ذهب القضا بحيلة الاقوام •

واشار عليه كما تقدم بان يبادر الى قتل الخليفة اذا امكنه فما امكنه كما تقدم وذلك

ان ابا مسلم لما قدم المداين تلقاه الامرا عن امر الخليفة فلما وصل اليه اخر النهار وقد

اشار ابو ايوب كاتب الرسايل على الخليفة ان لا يقتله يومه هذا فلما دخل بين يدي

الخليفة اكرمه وعظمه واظهر احترامه وقال له اذهب الليلة فاذهب عنك وعثا

السفر ثم ايتني من الغد فلما كان الغد ارصد له من الامرا من يقتله منهم عثمان

ابن نهيك وشبيب بن واج وارسل اليه رسلا تترى ليقدم عليه ويقال بل اقام

عنده اياما يظهر له ابا جعفر الاكرام والاحترام ثم بدا له منه الوحشة فخاف ابو مسلم

واستشفع بعيسى بن موسى وقال له اني اخاف على نفسي فقال له لا باس عليك انطلق فانا

اثرك وانت في ذمتي حتى اتيك ولم يكن مع عيسى بن موسى خبر وقال له اني اخاف على

نفسي مما يريد بي الخليفة فجا ابو مسلم يستاذن على الخليفة فقالوا اجلس هاهنا

فان امير المومنين يتوضا فجلس وهو يود ان يطول مجلسه ليجي عيسى بن موسى فابطا واذن

له الخليفة فدخل عليه فجعل يعاتبه في اشيا صدرت منه فيعتذر عنها اجيدا حتى

قال له فلم قتلت سليمان بن كثير وفلانا وفلانا قال لانهم عصوني وخالفوا امري فغضب

عند ذلك المنصور وقال ويحك انت تقتل اذا عصيت وانا اقتلك وقد عصيتني

وصفق بيده وكانت الاشارة بينه وبين اوليك المرصدين لقتله فنبادروا اليه

ليقتلوه فضربه احدهم فقطع حمايل سيفه فقال يا امير المومنين استبقني لاعدايك

فقال له واي عدو اعدى لي منك ثم زجرهم المنصور فقطعوه قطعا قطعا ولفوه في عباة

ودخل عيسى بن موسى على اثر ذلك فقال له ما هذا يا امير المومنين فقال له هذا ابو مسلم فقال

انا لله وانا اليه راجعون فقال له المنصور الحمد لله الذي هجمت على نعمة ولم تهجم

على نقمة ففي ذلك يقول ابو دلامه •

• ابا مسلم ما غير الله نعمة • على عبده حتى يغيرها العبد •

• ابا مسلم خوفتني القتل فانتحى • عليك بما خوفتني الاسد الورد •

وذكر ابن جرير ان المنصور تقدم الى عثمان بن نهيك وشبيب بن واج وابي حنيفة

حرب بن قيس واخر من الحرس ان يكونوا قريبا منه فاذا دخل عليه ابو مسلم وخاطبه

وضرب باحدى يديه على الاخرى فليقتلوه فلما دخل ابو مسلم على المنصور قال له ما فعل

السيفان اللذان اصبتهما من عبد الله بن علي قال هذا احدهما فقال له ارنيه فناوله

السيف فوضعه المنصور تحت ركبته ثم قال له ما حملك على ان كتبت الى ابي العباس

السفاح تنهاه عن الموات اردت ان تعلمنا الدين قال ظننت ان اخذه لا يحل فلما جاني

كتابه علمت ان امير المومنين واهل بيته معدن العلم قال فلم تقدمت علي في طريق

الحج قال كرهت اجتماعنا في الما فيضر ذلك بالناس فتقدمت التماس الرفق قال

فلم لا رجعت الي حين اتاك الخبر بموت اخي ابي العباس قال كرهت التضييق على الناس

وعرفت انا نجتمع بالكوفة وليس عليه مني خلاف قال فجارية عبد الله بن علي اردت ان

تتخذها لنفسك قال لا ولكني خفت ان تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها

ثم قال الست الكاتب الي تبدا بنفسك والكاتب الي تخطب امينة بنت علي وتزعم

انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس هذا كله ويد المنصور في يده يعركها ويقبلها

ويعتذر ثم قال له فما حملك على مراغمتي ودخولك الى خراسان قال خفت ان يكون دخلك

مني شي فقلت اتي خراسان واكتب اليك بعذري قال فلم قتلت سليمان بن كثير وكان من

نقبانا ودعاتنا قبلك قال اراد خلافي فقال له ويحك وانت اردت خلافي وعصيتني

قتلني الله ان لم اقتلك ثم ضربه بعمود الخيمة فقال له يا امير المومنين استبقني

لعدوك فقال له وانت اكبر عدوي لا ابقاني الله ان استبقيتك فخرج اليه اوليك فضربه

عثمان فقطع حمايل سيفه وضربه شبيب فقطع رجله واعتوروه باسيافهم والمنصور يصيح

ويحكم اضربوا قطع الله ايديكم ثم ذبحوه وقطعوه قطعا ثم القي في دجلة ويروى

ان المنصور لما قتل ابا مسلم ووقف عليه فقال رحمك الله ابا مسلم ما بعتنا فبايعناك

وعاهدتنا فعاهدناك ووفيت لنا ووفينا لك وانا بايعناك على انه لا يخرج علينا

احد في هذه الايام الا قتلناه فخرجت علينا فقتلناك وحكمنا عليك حكمك لنا

على نفسك ويقال انه قال الحمد لله الذي اراني يومك يا عدو الله قال ابن جرير

وقال المنصور عند ذلك •

• زعمت ان الدين لا يقتضى • فاستوف بالكيل ابا مجرم •

• سقيت كاسا كنت تسقي بها • امر في الحلق من العلقم •

وقد خطب المنصور الناس بعد قتل ابي مسلم فقال ايها الناس لا تنفروا اطراف

النعمة بقلة الشكر فتحل بكم النقمة ولا تسروا غش الايمة فان احدا لا يسر منكم شيا

الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه وطوالع نظره وانا لن نجهل حقوقكم ما عرفتم

حقنا ولا ننسى الاحسان اليكم ما ذكرتم فضلنا ومن نازعنا هذا القميص وطانا ام

على راسه حتى هذا الغمد وان ابا مسلم بايع لنا على انه من نكث بيعتنا واظهر غشا

لنا فقد اباحنا دمه وعذر ونحن وكره فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا وان ابا

مسلم احسن مبتديا واسا معقبا واخذ من الناس بنا اكثر مما اعطانا ورجح قبيح باطنه

على حسن ظاهره وعلمنا من خبيث سريرته وفساد نيته ما لو علمه اللايم لنا فيه

لعذرنا في قتله وعنفنا في امهاله وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى احل لنا عقوبته

وإيانا ومذ حكمنا فيه حكم في غيره ولم يمنعنا الحق له من إمضاء الحق فيه وما أحسن
ما قال النابغة

فمن أطاعك فانفعه بطاعته • كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة • تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وقد روى البيهقي عن الحاكم بسنده أن عبد الله بن المبارك سُئل عن أبي مسلم كان خيرًا أم الحجاج فقال لا أقول إن أبا مسلم كان خيرًا من أحد ولكن كان الحجاج شرًا منه قلت قد اتهمه بعضهم على الإسلام ورموه بالزندقة ولم أر فيما ذكروه ما يدل على ذلك بل على أنه كان ممن يخاف الله من ذنوبه وقد ادعى التوبة مما كان سفك من الدماء في إقامة الدولة العباسية والله أعلم بأمره وقد روى الخطيب عنه أنه قال ارتديت الصبر وآثرت الكتمان وحالفت الأحزان والأشجان وسامحت المقادير والأحكام حتى بلغت غاية همتي وأدركت نهاية بغيتي ثم أنشأ يقول

قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت • عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ما زلت أضربهم بالسيف فانتبهوا • من رقدة لم ينمها قبلهم أحد
طفقت أسعى عليهم في ديارهم • والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا
ومن رعى غنمًا في أرض مسبعة • ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقد كان قتله بالمدائن يوم الأربعاء لسبع خلون وقيل لخمس بقين وقيل لأربع وقيل لليلتين بقيتا من شعبان من هذه السنة أعني سنة سبع وثلاثين ومائة وقال بعضهم كان ابتداء ظهوره في رمضان من سنة تسع وعشرين وقيل في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة وزعم بعضهم أنه قتل ببغداد في سنة أربعين فإن بغداد لم تكن بنيت بعد وقد رد هذا القول أبو بكر الخطيب هذا في تاريخه والله أعلم ثم إن المنصور شرع في تأليف أصحاب أبي مسلم بالأعطية والرغبة والرهبة واستعمل أبا إسحاق وكان من أعز أصحاب أبي مسلم عنده وكان على شرطته وهمّ بضرب عنقه فقال يا أمير المؤمنين ما أمنت قط إلا في هذا اليوم وما من مرة كنت أدخل عليه إلا تحنطت ولبست أكفاني ثم كشف عن ثياب من القز تحت جبته فإذا هو محنط وعليه أدراع أكفان فرق له المنصور وأطلقه وذكر ابن جرير أن أبا مسلم قتل في حروبه وما كان يتعاطاه ستمائة ألف صبرًا وقد قال للمنصور وهو يعاتبه على ما كان يصنعه يا أمير المؤمنين لا يقال لي مثل هذا بعد بلائي وما كان مني فقال يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لأجزأت عنك إنما عملت ما عملت في دولتنا وبريحنا لو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلًا ولما قتله المنصور لف في كساء كان معه وهو مقطع إربًا إربًا فدخل عيسى بن موسى الذي كان وعده أن يلحقه ليشفع فيه فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا آنفًا فقال يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأي الإمام إبراهيم فقال له يا أنوك والله ما أعلم في الأرض عدوًا أعدى لك منه ها هو ذاك في البساط فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقال له المنصور خلع الله قلبك وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم ثم استدعى المنصور برؤوس الأمراء فجعل يستشيرهم في قتل أبي مسلم قبل أن يعلموا بقتله فكلهم يشير بقتله ومنهم من إذا تكلم أسر كلامه لئلا ينقل عنه إلى

أبي مسلم فلما أطلعهم الخليفة على قتله أفزعهم ذلك وأظهروا سرورًا كثيرًا ثم خطب المنصور الناس عامة بذلك كما قدمناه ثم كتب الخليفة إلى نائب أبي مسلم على أمواله وحواصله فلما وصل الكتاب إلى نائبه وعليه الخاتم مطبوعًا استراب في الأمر وقد كان أبو مسلم تقدم إليه أني إذا بعثت إليك كتابي فإذا الطبع بنصفه فاقض على الكتاب فإذا جاءك الخاتم بكماله فلا تقبل فامتنع نائبه من قبول ذلك الكتاب والانقياد له فأرسل المنصور إليه من قبضه وقتل ذلك الرجل وكتب المنصور لأبي داود إبراهيم بن خالد بإمرة خراسان كما وعده قبل ذلك عوضًا عن أبي مسلم الخراساني ولله الأمر وفي هذه السنة خرج سنباد يطالب بدم أبي مسلم الخراساني وقد كان سنباد هذا مجوسيًا تغلب على قومس وأصبهان والري ويسمى فيروز أصبهبذ فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشًا هم عشرة آلاف فارس عليهم جمهور بن مرار العجلي فالتقوا بين همدان والري على طرف المفازة فهزم جمهور لسنباد وقتل من أصحابه ستين ألفًا وسبى ذراريهم ونساءهم وقتل سنباد بعد ذلك فكانت أيامه سبعين وأخذ ما كان استحوذ عليه من أموال أبي مسلم التي كانت بالري وخرج في هذه السنة رجل من الخوارج يقال له ملبد في ألف من الخوارج بالجزيرة فجهز له المنصور جيوشًا متعددة كثيفة فكلها تفر من ملبد ثم قاتله حميد بن قحطبة نائب الجزيرة فهزمه ملبد وتحصن منه حميد في بعض الحصون ثم صالحه حميد بن قحطبة على مائة ألف فدفعها إليه وقبلها ملبد وأقلع عنه وحج بالناس في هذه السنة عم الخليفة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس قاله الواقدي وكان نائب الموصل وعلى نيابة الكوفة عيسى بن موسى وعلى نيابة البصرة سليمان بن علي وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة وعلى مصر صالح بن علي وعلى خراسان أبو داود إبراهيم بن خالد وعلى الحجاز زياد بن عبيد الله ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل الخليفة بسنباد وممن توفي في هذه السنة أبو مسلم الخراساني وقد تقدمت ترجمته ويزيد بن أبي زياد أحد المتكلم فيهم كما ذكرنا في التكميل

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

فيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة فهدم سورها وعفى عمن قدر عليه من مقاتلتها وفيها غزا الصائفة صالح بن علي نائب مصر فبنى ما كان هدمه ملك الروم من سور ملطية وأطلق لأخيه عيسى بن علي أربعين ألف دينار وكذلك أعطى لابن أخيه العباس بن محمد بن علي أربعين ألف دينار وفيها بايع عبد الله بن علي الذي فتح دمشق ثم كسره أبو مسلم كما تقدم فانهزم إلى البصرة فاستجار بأخيه سليمان ابن علي حتى بايع للخليفة في هذه السنة ورجع إلى الطاعة ولكن حبس في سجن بغداد كما سيأتي وفيها خلع جمهور بن مرار العجلي الخليفة المنصور وذلك بعد ما كان كسر سنباد واستحوذ على حواصله وما كان عنده من أموال أبي مسلم فقويت نفسه بذلك وظن أنه يقدر على منابذة الخليفة بتلك الأموال فأرسل إليه الخليفة محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش كثيف فاقتتلوا قتالًا شديدًا فانهزم جمهور وقتل عامة أصحابه وأخذ ما كان معه من الأموال والحواصل ولحقوه فقتلوه وفيها قتل الملبد الخارجي على يدي حازم

ابن خزيمة في ثمانية آلاف وقتل من أصحاب المهلب ما يزيد على الألف وانهزم بقيتهم ولله
الحمد والمنة قال الواقدي وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن صالح بن علي والنواب
فيها هم المذكورون في التي قبلها وممن توفي فيها زيد بن واقد والعلاء بن عبد الرحمن وليث
ابن أبي سليم في قول ۞

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

فيها أكمل صالح بن علي بناء ملطية ثم غزا الصائفة على طريق الحرب فوغل في بلاد الروم وغزا
معه أختاه أم عيسى ولبابة ابنتا علي وكانتا نذرتا إن زال ملك بني أمية أن يجاهدا في سبيل
الله عز وجل وفيها كان الفداء الذي حصل بين المنصور وملك الروم فاستنقذ بعض
أسرى المسلمين ثم لم يكن للناس صائفة من هذه السنة إلى سنة ست وأربعين وذلك
لاشتغال الخليفة بأمر ابني عبد الله بن حسن كما سنذكره ولكن ذكر بعضهم أن الحسن بن
قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم بن الإمام سنة أربعين فالله أعلم
وفيها دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى بلاد الأندلس
فملكها فتغلب ذريته بها خلائف دهورا متطاولة كما سنبينه إن شاء الله تعالى
ولهذا يقال له عبد الرحمن الداخل وفيها وسع المنصور المسجد الحرام وكانت هذه
السنة خصبة جدا كان يقال لها سنة الخصب وقيل إنما كان ذلك في سنة أربعين
ومائة والله أعلم وفيها عزل المنصور عمه سليمان بن علي عن إمرة البصرة فاختفى عبد الله
بن علي وأصحابه خوفا على أنفسهم فبعث المنصور إلى نائبه على البصرة وهو سفيان بن
معاوية يستحثه في إحضار عبد الله بن علي إليه فبعثه في أصحابه فقتل بعضهم وسجن
بعضهم وبعث عبد الله بن علي وبعث بقية أصحابه إلى أبي داود نائب خراسان فقتلهم هنالك
وحج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وتوفي فيها عمرو بن
مهاجر ويزيد بن عبد الله بن الهاد ويونس بن عبيد أحد العباد صاحب الحسن البصري

سنة أربعين ومائة

فيها ثار جماعة من الجند على أبي داود نائب خراسان وحاصروا داره فأشرف عليهم وجعل
يستغيث بجنده ليحضروا إليه واتكأ على آجرة في الحائط فانكسرت به فسقط فانكسر
ظهره فمات فخلفه على خراسان عاصم صاحب الشرطة حتى قدم الأمير عليها من جهة
الخليفة وهو عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي فتسلم بلاد خراسان وقتل جماعة من الأمراء بها لأنه
بلغه عنهم أنهم يدعون إلى الخلافة آل علي وحبس آخرين وأخذ نواب أبي داود وجباهم الأموال
المنكسرة عندهم وفيها حج بالناس الخليفة أبو جعفر المنصور أحرم من الحيرة ورجع بعد انقضاء
الحج إلى المدينة ثم دخل إلى بيت المقدس وصلى فيه ثم سلك إلى الشام إلى الرقة ثم سار إلى الهاشمية
هاشمية الكوفة ۞ ونواب الآفاق هم المذكورون سوى خراسان فإنه خلف بن عبد الجبار بن
عبد الرحمن الأزدي ۞ وفيها توفي داود بن أبي هند وأبو حازم سلمة بن دينار وسهيل بن أبي صالح
وعمارة بن غزية وعمرو بن قيس السكوني ۞

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

فيها خرجت طائفة يقال لهم الراوندية على المنصور وذكر ابن جرير عن المدائني أن أصلهم من
خراسان على رأي أبي مسلم الخراساني كانوا يقولون بالتناسخ وكانوا مع ذلك يزعمون أن

روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور
وأن الهيثم بن معاوية جبريل قبحهم الله قال فأتوا يوما قصر أبي جعفر المنصور فقالوا هذا
قصر ربنا فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين فغضبوا من ذلك وقالوا علام
تحبسهم ثم عمدوا إلى نعش فحملوه على كواهلهم وليس عليه أحد واجتمعوا حوله كأنهم يشيعون
جنازة فاجتازوا بباب السجن فألقوا النعش ودخلوا السجن قهرا واستخرجوا من فيه
من أصحابهم وقصدوا نحو المنصور وهم في ستمائة فتنادى الناس وغلقت أبواب البلد
فخرج المنصور من القصر ماشيا لأنه لم يكن في القصر دابة يركبها ثم جيء بدابة فركبها وقصد نحو
الراوندية وجاء الناس من كل ناحية وجاء معن بن زائدة فلما رأى أمير المؤمنين ترجل وأخذ بلجام
دابة الخليفة وقال يا أمير المؤمنين ارجع فنحن نكفيكهم فأبى وقام أهل السوق إليهم فقاتلوهم
وجاءت الجيوش فالتفوا عليهم من كل ناحية فحصدوهم عن آخرهم ولم يبق منهم بقية وجرحوا
عثمان بن نهيك بسهم بين كتفيه فمرض أياما ثم مات وتولى الصلاة عليه الخليفة المنصور
وقام على قبره ودعا له وولى أخاه عيسى بن نهيك على الحرس وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية
من الكوفة ولما فرغ المنصور من قتال الراوندية ذلك اليوم صلى بالناس الظهر في آخر وقتها
ثم أتي بالطعام فقال أين معن بن زائدة وأمسك عن الطعام حتى جاء معن فأجلسه إلى
جانبه ثم أخذ في شكره لمن بحضرته لما رأى من شهامته يومئذ فقال معن والله يا أمير
المؤمنين لقد جئت وإني لوجل فلما رأيت استهانتك بهم وإقدامك عليهم قوي قلبي
بذلك وما ظننت أن أحدا يكون في الحرب هكذا فذاك الذي شجعني يا أمير المؤمنين فأمر له
المنصور بعشرة آلاف ورضي عنه وولاه اليمن وكان معن بن زائدة قبل ذلك مختفيا
لأنه قاتل المسودة مع ابن هبيرة فلم يظهر إلا في هذا اليوم فلما رأى الخليفة صدقه في حاله رضي
عنه ويقال إن المنصور قال أخطأت في ثلاث حين قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة
وحين خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبت الخلافة ويوم الراوندية
لو أصابني سهم غرب لذهبت ضياعا وهذا من حزمه وصرامته وشهامته وفي هذه السنة
ولى المنصور ابنه محمدا المهدي ولي عهده من بعده بلاد خراسان وعزل عنها عبد الجبار بن
عبد الرحمن وذلك أنه قتل خلقا من شيعة الخليفة فشكاه المنصور إلى أبي أيوب الموريا
كاتب الرسائل فقال يا أمير المؤمنين اكتب إليه ليبعث جيشا من خراسان لغزو الروم فإذا
خرجوا من عنده بعثت إليه من شئت فأخرجوه منها ذليلا ليس عنده كبير أحد فلما جاءه
الكتاب بذلك أرسل الجواب بأن بلاد خراسان قد عاثت بها الأتراك ومتى خرج منها جيش
فسد أمرها فقال الخليفة لأبي أيوب ماذا ترى قال فاكتب إليه بأن بلاد خراسان أحق
بالمدد من غيرها وقد جهزت إليك بالجنود فأجاب بأن بلاد خراسان في هذا العام مضيعة
أقواتها ومتى دخلها جيش أفسدها فقال الخليفة لأبي أيوب ما تقول فقال يا أمير المؤمنين
هذا رجل قد أبدى صفحته وخلع فلا تناظره فحينئذ بعث المنصور ابنه المهدي ليقيم بالري
وبعث المهدي خازم بن خزيمة مقدمة بين يديه إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن فما زالوا عليه
حتى هزموا من معه وأخذوه فأركبوه بعيرا محولا وجهه إلى ناحية ذنب البعير وسيروه كذلك
في البلاد حتى قدموه على المنصور ومعه ابنه وجماعة من أهله فضرب المنصور عنقه
وسير ابنه ومن معه إلى جزيرة دهلك في طرف اليمن فأسرتهم الهنود بعد ذلك ثم فودي

بعضهم بعد ذلك واستقر المهدي بخراسان وامره ابوه ان يغزو طبرستان وهو الذي يقول
فيه يسار الشاعر

• فقل للخليفة ان جئته • نصيحا ولا خير في المتهم •
• اذا ايقظتك حروب العدى • فنبه لها عمرا ثم نم •
• فتى لا ينام على عاده • ولا يشرب الماء الا بدم •

فلما توافت الجيوش على طبرستان فتحوها وحصروا الاصبهبذ حتى الجاؤه الى قلعة فصالحهم
على ما فيها من الذخاير وكتب المهدي الى ابيه بذلك ودخل الاصبهبذ بلاد الديلم فمات هنالك
وكسروا ايضا ملك الترك الذي يقال له المصمغان واسروا امما من الذراري فهذا فتح
طبرستان الاول وفي هذه السنة فرغ بناء المصيصة على يدي جبريل بن يحيى الخراساني وفيها
رابط محمد بن ابرهيم الامام ببلاد ملطية وفيها عزل زياد بن عبيد الله عن الحجاز وولى المدينة
محمد بن خالد بن عبد الله القسري فقدمها في رجب وولى مكة والطايف الهيثم بن معاوية
العتكي وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرطة المنصور وعلى مصر والهند ونايبه في الهند
ابنه وفيها ولي مصر محمد بن الاشعث ثم عزل عنها وولى عليها نوفل بن الفرات وحج بالناس
فيها صالح بن علي وهو نايب قنسرين وحمص ودمشق وبقية البلاد عليها من ذكرنا في التي
قبلها والله اعلم وفيها توفي ابان بن تغلب وموسى بن عقبة صاحب المغازي وابو اسحاق
الشيباني في قول

ثم دخلت سنة ثنتين واربعين ومائة

فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب نايب السند الخليفة فجهز اليه الخليفة العساكر صحبة
عمر بن حفص بن ابي صفرة وولاه السند والهند فحاربه عمر بن حفص وقهره على الامر وتسلمها
منه وفيها نكث اصبهبذ طبرستان العهد الذي كان بينه وبين المسلمين وقتل طايفة
ممن كان بطبرستان فجهز اليه الخليفة الجيوش صحبة خازم بن خزيمة وروح بن حاتم ومعهم
مرزوق ابو الخصيب مولى المنصور فحاصروه مدة طويلة فلما اعياهم فتح الحصن الذي هو فيه
احتالوا عليه وذلك ان ابا الخصيب قال لهم اضربوني واحلقوا راسي ولحيتي ففعلوا ذلك
فذهب كانه مغاضب للمسلمين فدخل الحصن ففرح به الاصبهبذ واكرمه وقربه وجعل ابو الخصيب
يظهر له من النصح والخدمة حتى خدعه وحظي عنده جدا وجعله في جملة من يتولى فتح الحصن
وغلقه فلما تمكن عنده كاتب المسلمين واعلمهم ان الليلة الفلانية تحرسه فاقتربوا من
الباب حتى افتحه لكم فلما كانت تلك الليلة فتح للمسلمين الباب فدخلوا فقتلوا من فيه
من المقاتلة وسبوا الذرية وامتص الاصبهبذ خاتما مسموما فمات فكان ممن اسر يومئذ
منصور بن المهدي ام ابراهيم بن المهدي وكانت من بنات الملوك وفيها بنى المنصور لاهل
البصرة قبلتهم التي يصلون عندها بالجبان وولى بناه سلمة بن سعيد بن جابر نايب الفرات
والايلة وصلى المنصور شهر رمضان بالبصرة وصلى بالناس العيد في ذلك المصلى وفيها عزل
الخليفة نوفل بن الفرات عن امرة مصر وولى عليها حميد بن قحطبة وحج بالناس في هذه السنة
اسماعيل بن علي وفيها توفي سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة ونايب البصرة كان
يوم السبت لتسع بقين من جمادى الاخرة وهو ابن تسع وخمسين سنة وصلى عليه اخوه عبد
الصمد روى عن ابيه وعن عكرمة وابي بردة بن ابي موسى وعنه جماعة منهم بنوه جعفر ومحمد وزينب

والاصمعي وقد كان شابا وهو ابن عشرين سنة وخضب لحيته من الشيب في ذلك السن وكان
كريما جوادا ممدحا كان يعتق عشية عرفة في كل سنة مائة نسمة وبلغت صلاته لبني هاشم
وسائر قريش والانصار خمسة الاف الف واطلع يوما من قصره فراى نسوة يغزلن في دار
من دور البصرة فاتفق ان قالت احداهن ليت الامير اطلع علينا فاغنانا عن الغزل فنهض
فجعل يدور في قصره ويجمع من حلي نسايه من الذهب والجواهر وغير ذلك ما ملا به مناديلا
ثم دلاه عليهن ونثره عليهن فماتت احداهن من شدة الفرح وقد ولي الموسم ايام السفاح
وولي البصرة للمنصور وكان من خيار بني العباس وهو اخو اسماعيل وداود وصالح وعبد الله
وعبد الصمد وعيسى بن محمد وهو عم السفاح والمنصور وممن توفي فيها خالد الحذاء وعاصم
الاحول وعمرو بن عبيد القدري في قول وهو عمرو بن عبيد بن باب ويقال ابن كيسان التيمي
مولاهم ابو عثمان البصري من ابناء فارس شيخ القدرية والمعتزلة روى الحديث عن الحسن
البصري وعبد الله بن انس وابي العالية وابي قلابة وعنه الحمادان وسفيان بن عيينة
والاعمش وكان من اقرانه وعبد الوارث بن سعيد وهرون بن موسى ويحيى القطان ويزيد بن
زريع قال الامام احمد بن حنبل ليس باهل ان يحدث عنه وقال علي بن المديني ويحيى بن معين
ليس بشي وزاد ابن معين وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون انما الناس مثل
الزرع وقال الفلاس متروك صاحب بدعة كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه وكان
ابن مهدي لا يحدث عنه وقال ابو حاتم متروك وقال النسائي ليس بثقة وقال شعبة عن
يونس بن عبيد كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث وقال حماد بن سلمة قال لي حميد لا تاخذ
عنه فانه كان يكذب على الحسن البصري وكذا قال ايوب وابن عون وقال ايوب ما كنت
اعد له عقلا وقال مطر الوراق والله لا اصدقه في شي وقال ابن المبارك انما تركوا حديثه
لانه كان يدعو الى القدر وقد ضعفه غير واحد من ايمة الجرح والتعديل واثنى عليه اخرون
في عبادته وزهده وتقشفه قال الحسن البصري هذا سيد شباب القراء ما لم يحدث
قالوا فاحدث والله اشد الحدث وقال ابن حبان كان من اهل الورع والعبادة الى ان احدث
ما احدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة فسموا المعتزلة وكان يشتم الصحابة ويكذب
في الحديث وهما لا تعمدا وقد روي عنه انه قال ان كانت تبت يدا ابي لهب في اللوح
المحفوظ فما لله على ابن ادم حجة وروي له حديث ابن مسعود حدثنا الصادق المصدوق
ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما حتى قال فيومر باربع كلمات رزقه واجله
وعمله وشقي ام سعيد فقال لو سمعت الاعمش يرويه لكذبته ولو سمعته من زيد بن وهب
لما احببته ولو سمعته من ابن مسعود ما قبلته ولو سمعته من رسول الله لرددته ولو سمعت
الله يقول هذا لقلت ما هذا اخذت الميثاق وهذا من اقبح الكفر لعنه الله ان كان قال
هذا وقد قال عبد الله بن المبارك

• ايها الطالب علما • ايت حماد بن زيد •
• تاخذ العلم بحلم • ثم قيده بقيد •
• وذر البدعة من • اثار عمرو بن عبيد •

وقال ابن عدي كان يغر الناس بتقشفه وهو مذموم ضعيف الحديث جدا معلن بالبدع
وقال الدارقطني ضعيف الحديث وقال الخطيب البغدادي جالس الحسن واشتهر بصحبته

والاصمعي

ثم ازال الله واصل بن عطاء عن مذهب اهل السنة وقال بالقدر ودعا اليه واعتزل اصحاب الحديث وكان له سمت واظهار زهد وقد قيل ان عمرو وواصل بن عطاء ولدا سنة ثمانين وحكى البخاري انه مات سنة ثنتين او ثلاث واربعين ومائة بطريق مكة وكان حظيا عند ابي جعفر المنصور لانه كان ينتسب الى القرآن فيعظمه المنصور ولا يقبل عمرو بن عبيد شيئا وكان ذلك يغر المنصور لانه محل فكان يقول

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد

ولو تبصر المنصور لعلم ان كل واحد من اولئك القراء خير من ملء الارض مثل عمرو بن عبيد ۞ والزهد لا يدل على صلاح فان بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه كثير من المسلمين في زمانه وقد روينا عن اسماعيل بن مسلمة القعنبي قال رايت الحسن بن ابي جعفر في المنام بعدما مات بعبادان فقال لي ايوب ويونس وابن عون في الجنة قلت فعمرو بن عبيد قال في النار ثم رآه مرة ثانية وثالثة ويقول له مثل هذا وقد رويت له منامات قبيحة وقد طول شيخنا في تهذيبه ترجمته ولخصنا حاصلها في كتابنا التكميل وانما اشرنا الى نبذ من حاله ليعرف فلا يغتر به والله تعالى اعلم

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين ومائة

فيها ندب المنصور الناس الى غزو الديلم لانهم قتلوا من المسلمين خلقا وامر اهل البصرة ۞ والكوفة من كان منهم يقدر على عشرة آلاف فصاعدا ان يذهب مع الجيش الى الديلم فانتدب خلق كثير وجم غفير لذلك وحج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى نائب الكوفة واعمالها وفيها توفي حجاج الصواف وحميد بن رويه الطويل وسليمان بن طرخان التيمي وعمرو بن عبيد في قول وقد ذكرناه في التي قبلها وليث بن ابي سليم على الصحيح ويحيى بن سعيد الانصاري ۞

ثم دخلت سنة اربع واربعين ومائة

فيها سار محمد بن ابي العباس السفاح عن امر عمه المنصور الى بلاد الديلم ومعه الجيوش من اهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة وفيها قدم محمد بن المهدي بن ابي جعفر المنصور على ابيه من بلاد خراسان ودخل بابنة عمه رايطة بنت السفاح بالحيرة وفيها حج بالناس ابو جعفر المنصور واستخلف على الحيرة والعسكر خازم بن خزيمة وولى رياح بن عثمان المري المدينة وعزل عنها محمد بن خالد بن عبد الله القسري وتلقى الناس ابا جعفر المنصور الى اثناء طريق مكة في حجة سنة اربعين فكان في جملة من تلقاه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب فاجلسه المنصور معه على السماط ثم جعل يحادثه واقبل عليه اقبالا زائدا بحيث اشتغل بذلك عن عامة غدائه وسأله عن ابنيه ابراهيم ومحمد لم لا جاءا مع الناس فحلف عبد الله بن حسن انه لا يدري اين صارا من ارض وصدق في ذلك وما ذاك الا ان محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايعه جماعة من اهل الحجاز في اواخر دولة مروان الحمار بالخلافة وخلع مروان وكان في جملة من بايعه على ذلك ابو جعفر المنصور وذلك قبل تحول الدولة الى بني العباس فلما صارت الخلافة الى ابي جعفر المنصور خاف محمد بن الحسن واخوه ابراهيم منه خوفا شديدا وذلك لانه توهم منهما ان يخرجا عليه والذي خاف منه وقع فيه فلما خاف ذهبا هربا في البلاد الشاسعة فصارا الى اليمن ثم سارا

الى الهند ثم تحولا الى المدينة فاختفيا بها فدل على مكانهما الحسن بن زيد فهربا الى موضع آخر فاستدل عليهما الحسن بن زيد فدل عليهما ثم كذلك وانتصب لهما الباقي فلما سال اباهما عنهما حلف انه لا يدري اين صارا من البلاد ثم الح المنصور على عبد الله في طلب ولديه فغضب عبد الله من ذلك وقال والله لو كانا تحت قدمي ما دللتك عليهما فغضب المنصور وامر بسجنه وبيع رقيقه وامواله فلبث في السجن ثلاث سنين واشاروا على المنصور بحبس بني حسن عن آخرهم فحبسهم وجد في طلب ابراهيم ومحمد جدا هذا وهما يحضران الحج في غالب السنين ويكمنان في المدينة في غالب الاوقات ولا يشعر بهم من ينم عليهم ولله الحمد والمنصور يعزل نائبا عن المدينة ويولي عليها غيره ويحرضه على امساكهما والفحص عنهما وبذل الاموال في طلبهما وتعجزه المقادير عن ذلك لما يريده الله عز وجل وقد واطاهما على امرهما امير من امراء المنصور يقال له ابو العساكر خالد بن حسان فعزموا في بعض الحجات على الفتك بابي جعفر المنصور بين الصفا والمروة فنهاهم عبد الله بن حسن لشرف البقعة وقد اطلع المنصور على ذلك وعلم بممالاة الامير لهم فعذبه حتى اقروا بما كانوا عزموا عليه من الفتك به فقال وما الذي صرفكم عن ذلك فقال عبد الله بن حسن نهانا عن ذلك فامر به الخليفة فغيب في الارض فلم يظهر حتى الآن وقد استشار المنصور من يعلم من امرائه ووزرائه من ذوي الرأي في امر ابني عبد الله بن حسن وبعث الجواسيس والقصاد في البلاد فلم يقع لهما على خبر ولا ظهر لهما على عين والله غالب على امره وقد جاء محمد بن عبد الله بن حسن الى امه فقال يا امه اني قد شفقت على ابي وعمومتي ولقد هممت ان اضع يدي في ايدي هؤلاء لاريح اهلي فذهبت امه اليهم الى السجن فعرضت عليهم ما قال ابنها فقالوا لا بل نصبر على امره فلعل الله ان يفتح على يديه خيرا ونحن نصبر وفرجنا بيد الله وتمالوا على ذلك كلهم رحمهم الله وفي هذه السنة نقلوا من المدينة الى محبس بالعراق وفي ارجلهم القيود وفي اعناقهم الاغلال وكان ابتداء تقييدهم من الربذة بامر ابي جعفر وقد اشخص معهم محمد بن عبد الله العثماني وكان اخا عبد الله بن حسن لامه وكانت ابنته تحت ابراهيم بن عبد الله وقد حملت قريبا فاستحضره الخليفة فقال له قد حلفت بالعتاق والطلاق انك لم تغشني وهذه ابنتك حامل فان كان من زوجها فقد حبلت وان كان من غيره فانت ديوث فاجابه العثماني بجواب احفظه به فامر به فجردت عنه ثيابه فاذا جسده كانه الفضة ثم ضرب بين يدي الخليفة مائة وخمسين سوطا منها ثلاثون فوق راسه اصاب احدها عينه فسالت ثم رده الى السجن وقد بقي كانه عبد اسود من زرقة الضرب وتراكم الدماء فوق جلده فاجلس الى جانب اخيه لامه عبد الله بن حسن فاستسقى فما جسر احد ان يسقيه حتى سقاه خراساني من جملة الجلاوزة الموكلين بهم ثم ركب الخليفة في هودج وركبوا اولئك في محامل ضيقة وعليهم القيود والاغلال فاجتاز بهم المنصور وهو في هودجه فناداه عبد الله بن حسن والله يا ابا جعفر ما هكذا صنعنا باسراكم يوم بدر فاخسأه المنصور وثقل عليه ونفر عنهم ولما انتهوا الى العراق حبسوا بالهاشمية وكان فيهم محمد بن ابراهيم بن حسن وكان جميلا يذهب الناس لينظروا الى حسنه وكان يقال له الديباج الاصفر فاحضره المنصور

بين يديه وقال له اما والله لاقتلنك قتلة ما قتلتها احدا ثم القاه بين اسطوانتين
وسد عليه حتى مات هنالك وقد هلك كثير منهم في السجن حتى فرج عنهم فيما بعد على ما سنذكره
وكان فيمن هلك عبد الله بن حسن وقد قيل انه قتل صبرا وهو الاظهر واخوه ابراهيم بن حسن
وكل من خرج منهم وقد كانوا في سجن لا يسمعون فيه الاذان ولا يعرفون وقت الصلاة الا
بالتلاوة ثم بعث اهل خراسان يشفعون في محمد بن عبد الله العثماني فامر به فضربت عنقه
وارسل براسه الى اهل خراسان وهو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموي ابو عبد
الله المدني المعروف بالديباج لحسن وجهه وامه فاطمة بنت الحسين بن علي روى الحديث
عن ابيه وامه وخارجة بن زيد وطاوس وابي الزناد والزهري ونافع وغيرهم وحدث
عنه جماعة ووثقه النسائي وابن حبان وكان اخا عبد الله بن حسن بن حسن لامه
وكانت ابنته رقية زوجة ابن اخيه ابراهيم بن عبد الله فبسببها قتله ابو جعفر المنصور
في هذه السنة وكان كريما جوادا ممدحا قال الزبير انشدني سليمان بن عباس السعدي
لابي وجزة السعدي يمدحه

وجدنا المحض الابيض من قريش • فتى بين الخليفة والرسول
اتاك المجد من هنا وهنا • وكنت له بمعتلج السيول
فما للمجد دونك من مبيت • وما للمجد دونك من مقيل
ولا يمضي وراءك يبتغيه • وما هو قابل بك من بديل

ثم دخلت سنة خمس واربعين ومائة

فمما كان من الاحداث فيها مخرج عبد الله بن حسن بالمدينة واخيه ابراهيم بالبصرة على
ما سنبينه ان شاء الله اما محمد فانه خرج على اثر ذهاب ابي جعفر المنصور ببني حسن
من المدينة الى العراق على الصفة والنعت الذي تقدم ذكره وسجنهم في مكان شاء مستقرا ٢
ومقاما لا يسمعون فيه الاذان ولا يعرفون دخول اوقات الصلوات الا بالاذكار
والتلاوات وقد مات منهم اكابر كما قدمنا ذلك رحمهم الله هذا كله ومحمد بن عبد الله بن حسن
مختف بالمدينة حتى انه ادلي في بعض الاحيان اختفى في بئر نزل فيها فلم يبق منه سوى
راسه وباقيه مغمور بالماء وقد تواعد هو واخوه وقتا معينا يظهران فيه هذا بالمدينة
وهذا بالبصرة فلم يزل الناس من اهل المدينة يؤنبون محمد بن عبد الله في اختفائه وعدم
ظهوره حتى عزم على الخروج وذلك لما اضر به شدة الاختفاء وكثرة الحاح رياح نائب المدينة
في طلبه ليلا ونهارا فلما اشتد الامر وضاق الحال واعد محمد اصحابه على الظهور في الليلة
الفلانية فلما كانت تلك الليلة جاء بعض الوشاة الى متولي المدينة فاعلمه بذلك
فضاق ذرعا بذلك وانزعج انزعاجا شديدا وركب في جحافل فطاف بالمدينة وحولها
ليشتغل بكار محمد بن عبد الله بن حسن فاعياه ذلك وقد مرت رجوعه على دار مروان وهم
بها مجتمعون فلم يشعر بهم فلما رجع الى منزله بعث الى بني حسين بن علي فجمعهم ومعهم رؤوس
من سادات قريش وغيرهم فوعظهم وانبهم وقال يا معشر اهل المدينة امير المؤمنين يتطلب
هذا الرجل في المشارق والمغارب وهو بين اظهركم ثم ما كفاكم كتمانه حتى بايعتموه على
السمع والطاعة والله لا يبلغني عن احد منكم انه خرج معه الا ضربت عنقه فانكر اولئك
الذين هم هنالك ان يكون عندهم علم او شعور بشيء مما وقع مما يقوله وقالوا نحن نأتيك

برجال متسلحين يقاتلون دونك ان وقع شيء من ذلك ثم نهضوا فجاؤوا بجماعة متسلحين
فاستاذنوه في دخولهم عليه فقال لا اذن لهم اني اخشى ان يكون ذلك خديعة فجلسوا لديه
على الباب ومكث الناس جلوسا حول الامير وهو واجم لا يتكلم الا قليلا حتى ذهب
طائفة من الليل ثم جاء بجيء الناس الا ان اصحاب محمد بن عبد الله قد ظهروا واعلنوا بالتكبير
فانزعج الناس من جوف الليل واشار بعض الحاضرين على الامير بضرب اعناق بني
الحسين فقال له احدهم علام ونحن مقرون بالسمع والطاعة واشتغل الامير عنهم بما هجنه
من الامر فاغتنموا الغفلة ونهضوا سراعا فتسوروا جدار الدار والقوا انفسهم على
كناسة هنالك واقبل محمد بن عبد الله بن حسن في مائتين وخمسين فارسا فاقبل
معه فمر بالسجن فاخرج من فيه وجاء دار الامارة فحاصرها فافتتحها واستمسك على
رياح بن عثمان نائب المدينة فسجنه في دار مروان وسجن معه ابن مسلم بن عقبة وهو
الذي اشار بقتل بني حسين في اول هذه الليلة فنجوا واحيط به واصبح محمد بن عبد الله
بن حسن وقد استظهر على المدينة ودان له اهلها فصلى بالناس الصبح وقرأ فيها انا
فتحنا لك فتحا مبينا واسفرت هذه الليلة عن مستهل رجب من هذه السنة وقد
خطب محمد بن عبد الله بن حسن اهل المدينة في هذا اليوم فتكلم في بني العباس
وذكر عنهم اشياء ذمهم بها واخبرهم انه لم ينزل بلدا من البلدان الا وقد دخلها وانهم
بايعوه على السمع والطاعة فبايعه اهل المدينة كلهم الا القليل وقد روى ابن جرير
عن الامام مالك انه افتى بمبايعته فقيل له فان في اعناقنا بيعة المنصور فقال
انما كنتم مكرهين وليس لمكره بيعة فبايعه الناس عند ذلك عن قول مالك ولزم مالك
بيته وكذا قال له اسماعيل بن عبد الله بن جعفر حين دعاه الى بيعته يا ابن اخي انك
مقتول فارتدع بعض الناس عنه واستمر جمهورهم معه فاستناب عليهم عثمان بن محمد
بن خالد بن الزبير وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومي وعلى شرطتها
عثمان بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الله
بن المسور بن مخرمة وتلقب بالمهدي طمعا ان يكون الموعود به في الاحاديث اللاتي
سنوردها في كتاب الفتن والملاحم فلم يكن اياه ولا تم له ما تمناه وقد ارتحل بعض اهل
المدينة ليلة دخلها ابن حسن يطوي المراحل البعيدة الى المنصور فبلغ ليلا
فوقف عليه فوجده نائما في الليل فقال للربيع الحاجب استاذن لي على الخليفة فقال
انه لا يوقظ هذه الساعة فقال انه لا بد من ذلك فاخبر الخليفة فخرج فقال له ويحك
ما وراءك فقال له انه قد خرج ابن حسن بالمدينة فلم يظهر لذلك اكتراثا ولا انزعاجا
بل قال له انت رأيته قال نعم فقال لنهلكن والله واهلك من اتبعه ثم امر به فسجن ثم
جاءت الاخبار بذلك فتواترت فاطلق ذلك الرجل واطلق له عن كل ليلة الف درهم
فاعطاه تسعة الاف درهم ولما تحقق المنصور امر ابن حسن وخروجه ضاق ذرعا
بذلك فقال له بعض المنجمين يا امير المؤمنين انه لا عليك منه فوالله لو ملك الارض
بحذافيرها فانه لا يقيم اكثر من سبعين يوما ثم امر الخليفة رؤوس الامراء ان يذهبوا الى
السجن فيجتمعوا بعبد الله بن حسن ابي محمد فيخبروه بما وقع ويخرج ابنه ويسمعوا
ما يقول لهم فلما دخلوا عليه اخبروه بذلك فقال ما ترون ابن سلامة يعني المنصور

فاعلا قالوا لا ندري لقد قتل صاحبكم البخل ينبغي له ان ينفق الاموال ويستخدم الرجال
فان ظهر فاسترجاع ما انفق من الاموال عليه سهل والا لم يجد صاحبه شيا في الخزاين
فرجعوا الى الخليفة فاخبروه بذلك واشار الناس على الخليفة بمناجزته واستدعى عيسى
ابن موسى فندبه الى ذلك ثم قال اني ساكتب اليه كتابا انذره به قبل قتاله فكتب اليه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله امير المومنين الى محمد بن عبد الله انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة
عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم
ثم قال فلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لئن اقلعت ورجعت الى
الطاعة لاومننك ومن اتبعك ولاعطينك الف الف درهم ولادعنك تقيم في احب
البلاد اليك ولاقضين جميع حوايجك في كلام طويل فكتب اليه محمد بن عبد الله محمد
بن عبد الله بن حسن طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون
بالحق لقوم يومنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا الايات ثم قال
واني اعرض عليك من الامان مثل ما عرضت علي فانا احق بهذا الامر منكم وانتم انما وصلتم
اليه بنا فان عليا كان الوصي وكان الامام فكيف ورثتم ولايته وولده احياء ونحن اشرف
اهل الارض نسبا فرسول الله خير الناس وهو جدنا وجدتنا خديجة وهي افضل زوجاته
وفاطمة امنا وهي اكرم بناته وان هاشما ولد عليا مرتين وان عليا ولده عبد المطلب
مرتين وهو واخوه سيدا شباب اهل الجنة وان رسول الله ولدني مرتين فاني اوسط بني
هاشم نسبا واصرحهم نسبا فانا ابن ارفع الناس درجة في الجنة واخفهم عذابا في النار
فانا اولى بالامر منك واوفى بالعهد فانك اعطيت ابن هبيرة العهد ونكثته وكذلك
بعمك عبد الله بن علي وبابي مسلم الخراساني فكتب اليه ابو جعفر جواب ذلك في كتاب
طويل حاصله اما بعد فقد بلغني كلامك وقرات كتابك فاذا جل فخرك بقرابة النسا
لتضل به الجفاة والغوغا ولم يجعل الله النسا كالعمومة والابا ولا كالعصوبة والاوليا
وقد انزل الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وكان له حينيذ اربعة اعمام فاستجاب
اثنان احدهما ابي وكفر اثنان احدهما ابوك فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينهما
الا ولا ذمة وقد انزل الله في عدم اسلام ابي طالب انك لا تهدي من احببت وقد فخرت
بانه اخف اهل النار وليس من الاخيار ولا ينبغي لمومن يفخر باهل النار وفخرت بان
عليا ولده هاشم مرتين وان حسنا ولده عبد المطلب مرتين فهذا رسول الله خير الاولين
والاخرين انما ولده عبد المطلب وهاشم مرة واحدة وقولك انكم لم تلدكم امهات
الاولاد فهذا ابراهيم بن رسول الله من مارية وهو خير منك واما قولك انكم بنو رسول الله فقد
قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين
ان الجد ابا الام والخال والخالة لا يورثون ولم يكن لفاطمة ميراث من رسول الله بنص الحديث
وقد مرض رسول الله وابوك حاضر فلم يامره بالصلاة بالناس بل امر غيره فلما توفي رسول
الله لم يعدل الناس بابي بكر ثم عمر وقدموا عليه عثمان في الشورى ثم ولوه بعد مقتل
عثمان واتهمه بعضهم به وقاتله طلحة والزبير وامتنع سعد من بيعته ثم بايع بعد ذلك

معاوية

معاوية شرطا لهما ابوك وما قبل عليها الرجال ثم اتفق التحكيم فلم يف به ثم صارت الى
الحسن فباعها بخرق ودراهم ثم قام بالحجاز فاخذ مالا من غير حله وسلم الامر الى غير اهله
وترك شيعته في يدي معاوية فان كانت لكم فقد تركتموها وبعتموها بثمنها ثم خرج عمك
حسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه واتوا براسه اليه ثم خرجتم
على بني امية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وحرقوكم بالنيران وحملوا نساءكم على الابل
كالسبايا الى الشام حتى خرجنا عليهم فاخذنا بثاركم وادركنا بدمائكم واورثنا ارضهم ودياركم
وذكرنا فضل سلفكم فجعلت ذلك حجة علينا وظننت انا انما ذكرنا فضله لتقدمنا
له على حمزة والعباس وجعفر وليس الامر كما زعمت فان هولاء مضوا ولم يدخلوا في الفتن
وسلموا من الدنيا وابتلي بذلك ابوك فكانت بنو امية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلوات
المكتوبات فذكرنا فضله وعنفناهم بما نالوا منه وقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية
سقاية الحجيج الاعظم وخدمة زمزم وحكم لنا بها رسول الله في الاسلام ولما قحط الناس
زمن عمر استسقى به وتوسل الى ربه وابوك حاضر وقد علمت انه لم يبق احد من بني
عبد المطلب بعد رسول الله الا العباس فالسقاية سقايته والميراث ميراثه
والخلافة في ولده فلم يبق شرف في الجاهلية والاسلام في الدنيا والاخرة الا والعباس
وارثه ومورثه في كلام طويل فيه بحث ومناظرة وفصاحة وبلاغة وقد استقصاه
ابن جرير بطوله ٥

فصل في ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن ٥

وبعث محمد بن عبد الله بن حسن في عبور ذلك رسلا الى اهل الشام يدعوهم الى بيعته
وخلافته فابوا وقالوا قد ضجرنا من الحروب ومللنا من القتال
ولم يكترثوا باصحابه فرجعوا اليه بعدما خافوا على انفسهم وجعل يستميل روس
اهل المدينة فمنهم من اجابه ومنهم من امتنع عليه وقد قال له بعضهم كيف ابايعك
وقد ظهرت ببلد ليس فيه مال تستعين به على استخدام الرجال ولزم منزله فلم يخرج
حتى قتل محمد بن عبد الله بن حسن وبعث محمد الحسن بن معاوية في سبعين رجلا ونحو
من عشرة فوارس واستنابه على اهل مكة ان هو دخلها فسار واليها فلما بلغ اهلها
قدومهم خرجوا اليهم في الوف من المقاتلة فقال لهم الحسن بن معاوية علام تقاتلون
وقد مات ابو جعفر المنصور فقال السري بن عبد الله زعيم اهل مكة ان برده جاءتنا
من اربع ليال وقد ارسلت اليه فانا انتظر جوابه الى اربع فان كان ما تقولون حقا
سلمتكم البلد وعلي موونة رجالكم وخيلكم فامتنع الحسن بن معاوية من الانتظار وابى الا
المناجزة وحلف لا يبيت الليلة الا بمكة الا ان يموت وارسل الى السري ان ابرز من الحرم
حتى لا تراق الدما في الحرم فلم يخرج فتقدموا اليهم فصاحوا بهم فحمل عليهم الحسن بن معاوية
واصحابه حملة رجل واحد فهزموهم وقتلوا من اصحابهم بخواص سبعة ودخلوا مكة فلما
اصبحوا خطب الناس الحسن بن معاوية ونعى اليهم ابا جعفر ودعا لمحمد بن عبد الله
بن الحسن الملقب بالمهدي ٥

خروج ابراهيم بن عبد الله بن حسن

وظهر بالبصرة ايضا ابراهيم بن عبد الله بن حسن وجاء البريد الى اخيه محمد بن عبد الله

بذلك فانتهى اليه ليلا فاستوذن له عليه وهو بدار مروان وطرق بابها فقال اللهم
اني اعوذ بك من شر طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير ثم خرج فاخبره فاخبره بذلك
فاستبشر جدا وفرح كثيرا وكان يقول للناس بعد صلاتي الصبح والمغرب ادعوا الله
لاخوانكم اهل البصرة وللحسن بن معاوية بمكة واستنصروه على اعدائكم واما ابو جعفر
فانه جهز الجيوش الى محمد بن علي صحبة عيسى بن موسى اربعة الاف من الشجعان المنتخبين
منهم محمد بن ابي العباس السفاح وحميد بن قحطبة وجعفر بن حنظلة البهراني وكان المنصور
قد استشاره فيه فقال يا امير المؤمنين ادع من شيت مما تثق به من مواليك
فتنزل وادي القرى فيمنعه ميرة الشام فيموت هو ومن معه جوعا فانه ببلد ليس فيه
مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح وقدم بين يديه كثير بن الحصين العبدي وقد قال
ابو جعفر المنصور لعيسى بن موسى حين ودعه يا عيسى اني ابعثك الى ما بين جانبي هذين
فان ظفرت بالرجل فشم سيفك وناد في الناس بالامان وان تغيب فضمنهم اياه حتى
ياتوك به فانهم اعلم بمذاهبه وكتب معه كتبا الى رؤساء قريش والانصار من اهل المدينة
يدفعها اليهم خفية يدعوهم الى الرجوع الى الطاعة فلما اقترب عيسى بن موسى من
المدينة بعثها مع رجل فاخذه حرس محمد فوجدوا معه تلك الكتب فدفعوها الى
محمد بن عبد الله بن حسن فاستحضر جماعة من اوليك فعاقبهم وضربهم ضربا شديدا
وقيدوا اثقالا واودعهم السجن ثم ان محمدا استشار اصحابه في المقام بالمدينة
حتى ياتي عيسى بن موسى فيحاصرهم بها او ان يخرج بمن معه فيقاتل اهل العراق فمنهم
من اشار بهذا ومنهم من اشار بذلك ثم اتفق الراي على المقام بالمدينة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تاسف يوم احد على المقام بها ثم على حفر خندق حول
المدينة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فاجاب الى ذلك كله وحفر
مع الناس في الخندق بيده اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظهرت لهم
لبنة من الخندق الذي كان حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك واستبشروا
وكبروا وبشروه بالنصر وكان محمد حاضرا عليه قباء ابيض وفي وسطه منطقة وكان
شكلا ضخما اسمر عظيم الهامة ولما نزل عيسى بن موسى الاعوص واقترب من المدينة صعد
محمد بن عبد الله بن حسن المنبر فخطب الناس فحثهم على الجهاد وندبهم اليه وكان معه قريب
من مائة الف فقال لهم في جملة ما قال اني جعلتكم في حل من بيعتي فمن احب ان يقيم عليها
فليفعل ومن احب ان يتركها فليفعل فتسلل كثير منهم او اكثرهم ولم يبق معه الا شرذمة
من الناس وخرج اكثر اهل المدينة باهليهم منها ليلا فتشهدوا القتال فنزلوا الاعراض
ورؤس الجبال وقد بعث محمد ابا القلمس ليردهم عن الخروج فلم يمكنه ذلك في اكثرهم وانشمروا
ذاهبين وقد قال محمد لرجل اتاخذ سيفا ورمحا وترد هولاء الذين خرجوا من المدينة
فقال نعم ان اعطيتني رمحا اطعنهم به وهم بالاعراض وسيفا اضربهم به وهم في رؤس
الجبال فعلت فسكت عنه ثم قال له ويحك ان اهل الشام والعراق وخراسان قد بيضوا
يعني لبسوا البياض موافقة لي وخلعوا السواد فقال وما ذا ينفعني انه لو بقيت
الدنيا زبدة بيضا   صوفة الدواة وهذا عيسى بن موسى نازل بالاعراض
ثم جاء عيسى بن موسى فنزل بجيشه قريبا من المدينة على ميل فقال له دليله ابن الاصم

الى الخشي اذا اكشفتموهم ان يرجعوا الى معسكرهم قبل ان تدركهم الخيل ثم ارتحل به فانزله
بالجرف على سقاية سليمان بن عبد الملك على اربعة اميال من المدينة وذلك يوم السبت
لصبح ثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة وقال ان الراجل اذا هرب
لا يقدر على الهرولة اكثر من ميلين او ثلاثة فتدركه الخيل وارسل عيسى بن موسى خمسمائة
فارس فنزلوا عند الشجرة في طريق مكة وقال ان هو لا رجل ان هرب فليس له ملجا الا
مكة فيقتلوه ويحولوا بينه وبينها وارسل عيسى بن موسى الى محمد يدعوه الى السمع والطاعة
والرجوع الى المبايعة لامير المؤمنين وانه قد اعطاه الامان له ولاهل بيته ان هو اجاب
الى ذلك فقال محمد للرسول لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتك ثم بعث اليه يقول له
اني ادعوك الى كتاب الله وسنة رسوله فاحذر ان تمتنع فاقتلك فتكون شر قتيل او
تقتلني فتكون قد قتلت من دعاك الى الله ورسوله ثم جعلت الرسل تتردد بينهما
ثلاثة ايام يدعوه فيها عيسى بن موسى الى السمع والطاعة والرجوع الى الجماعة
وجعل عيسى يقف في كل يوم من هذه الايام الثلاثة على الثنية عند سلع فينادي
يا اهل المدينة ان دماءكم علينا حرام فمن جاء فوقف تحت رايتنا فهو امن ومن
دخل مسجد رسول الله فهو امن ومن خرج من المدينة فهو امن ومن القى سلاحه فهو
امن فليس لنا في قتالكم ارب وانما نريد محمدا وحده لنذهب به الى الخليفة فجعلوا
يسبونه وينالون من امه ويتكلمون معه بكلام شنيع ويخاطبونه مخاطبة فظيعة
وقالوا هذا ابن رسول الله معنا ونحن معه ونقاتل دونه فلما كان اليوم الثالث
اتاهم في خيل ورجل وسلاح ورماح لم ير مثلها فناداه يا محمد ان امير المؤمنين امرني
ان لا اقاتلك حتى ادعوك الى السمع والطاعة فان فعلت امنك وقضى دينك
واعطاك اموالا واراضي وان ابيت قاتلتك فقد دعوتك غير مرة فناداه محمد
انه ليس لكم عندي الا القتال فنشبت الحرب حينيذ بينهم وكان جيش عيسى
ابن موسى فوق الاربعة الاف وعلى المقدمة حميد بن قحطبة وعلى ميمنته محمد بن
السفاح وعلى الميسرة داود بن كراز وعلى الساقة الهيثم بن شعبة ومعهم عدد لم
ير مثلها وفرق عيسى اصحابه في كل قطر طايفة وكان محمد واصحابه على عدة اهل بدر
واقتتل الفريقان قتالا شديدا جدا وترجل محمد الى الارض فيقال انه قتل بيده
من اوليك سبعين رجلا واحاط بهم اهل العراق وقتلوا طايفة من اصحاب محمد بن
عبد الله بن حسن واقتحموا عليهم الخندق الذي كانوا حفروه وعملوا ابوابا على قدره
وقيل انه ردم بحدايج الابل حتى امكنهم ان يجوزوه وقد يكون هذا في موضع منه وهذا
في موضع اخر والله اعلم ولم يزل القتال ناشبا بينهم من بكرة النهار حتى صليت
العصر فلما صلى محمد العصر نزل الى مسيل الوادي بسلع فكسر جفن سيفه وعقر
فرسه وفعل اصحابه مثله وصبروا انفسهم للقتال وحميت الحرب حينيذ جدا فاستظهر
اهل العراق ورفعوا راية سودا فوق سلع ثم دنوا الى المدينة فدخلوها ونصبوا
راية فوق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى ذلك اصحاب محمد تنادوا
دخلت المدينة وهربوا وبقي محمد في شرذمة قليلة جدا ثم بقي وحده وفي يده سيف
صلت يضرب به من تقدم اليه فلا يقوم له شي ويقال انه كان في يده يوميذ ذو الفقار

ثم تكاثر عليه الناس فتقدم اليه رجل فضربه بسيف تحت شحمة اذنه اليمنى فسقط
محمد لركبتيه فجعل يحمي نفسه بسيفه ويقول ويحكم ابن نبيكم مجروح مظلوم وجعل
حميد بن قحطبة يقول ويلكم دعوه لا تقتلوه فاحجم عنه الناس فتقدم اليه حميد بن
قحطبة فاحتز راسه وذهب به الى عيسى بن موسى فوضعه بين يديه وكان حميد قد حلف
انه يقتله متى رآه فما ادركه الا كذلك وكان مقتل محمد عند احجار الزيت يوم الاثنين
بعد العصر لاربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس واربعين ومائة وقد قال
عيسى بن موسى لاصحابه حين وضع راس محمد بين يديه ما تقولون فيه فنالت منه القوم
وتكلموا فيه فقال رجل منهم كذبتم والله لقد كان صواما قواما ولكنه خالف امير المؤمنين
وشق عصا المسلمين فقتلناه على ذلك فسكتوا حينئذ واما سيفه ذو الفقار فانه
صار الى بني العباس يتوارثونه بينهم حتى جربه بعضهم فضرب به كلبا فانقطع السيف
ذكره ابن جرير وغيره وقد بلغ المنصور في غبون هذه المكاتبة ان محمدا فر من الحرب
فقال لا انا اهل بيت لا نفر وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن راشد حدثني الجاح
قال اني لقائم على راس ابي جعفر يعني المنصور وهو يسائلني عن مخرج محمد اذ بلغه ان عيسى
قد هزم وكان متكئا فجلس فضرب بقضيب معه مصلاه وقال كلا فاين لعب صبياننا
بها على المنابر ومشورة النساء اني لذلك بعد وبعث عيسى بن موسى بالبشارة الى
المنصور مع القاسم بن الحسن وبالراس مع ابن ابي الكرام ثم اذن في دفن جثة محمد
فدفن بالبقيع وامر باصحابه الذين قتلوا معه فصلبوا صفين ظاهر المدينة ثلاثة
ايام ثم طرحوا على مقبرة اليهود عند سلع ثم نقلوا الى الخندق هنالك واخذ اموال
بني حسن كلها فسوغها له ابو جعفر المنصور ويقال انه ردها بعد ذلك الى بني
حسن حكاه ابن جرير ونودي في اهل المدينة بالامان فاصبح الناس في اسواقهم ونزع
عيسى بن موسى الى الجرف من مطر اصاب الناس يوم قتل محمد وجعل يأتي المسجد من الجرف
واقام بالمدينة الى اليوم التاسع عشر من رمضان ثم قاصدا مكة وكان بها الحسن بن
معاوية من جهة محمد بن عبد الله بن حسن وكان قد كتب اليه ليقدم عليه فلما خرج من مكة وكان
ببعض الطريق بلغته الاخبار بمقتل محمد بن عبد الله فسار الى البصرة الى ابراهيم بن
عبد الله الذي قد خرج بها ثم قتل بعد اخيه في هذه السنة على ما سنذكره ولما جيء براس
محمد بن عبد الله بن حسن فوضع بين يديه امر فطيف به في طبق ابيض ثم طيف به في الاقاليم
بعد ذلك ثم شرع المنصور في استدعاء من خرج مع محمد من اشراف اهل المدينة فمنهم من يقتله
ومنهم من يضربه ضربا مبرحا ومنهم من يعفو عنه ولما توجه عيسى بن موسى الى مكة استناب على
المدينة كثير بن حصين فاستمر شهرا حتى بعث المنصور نائبها عبد الله بن الربيع فعاث
جنده في المدينة فسادا واشتروا من الناس اشياء لا يعطونهم ثمنها وان طولبوا بذلك
ضربوا المطالب وخوفوه بالقتل فثار عليهم طائفة من السودان اجتمعوا ونفخوا في بوق
لهم فاجتمع على صوته كل اسود في المدينة وحملوا عليهم حملة واحدة وهم ذاهبون الى الجمعة لسبع
بقين من ذي الحجة من هذه السنة وقيل لخمس بقين من شوال منها فقتلوا منهم طائفة كثيرة
وهرب نائب المدينة عبد الله بن الربيع وترك صلاة الجمعة وكان رؤساء السودان وثيق ويعقل
ورمقة وحديا وعنقود ومسعر وابو قيس وابو النار فركب عبد الله بن الربيع في جنوده [illegible]

مع السودان فهزموه ومضى فلحقوه بالبقيع فالقى لهم دراهم شغلهم بها حتى نجى بنفسه
ومن اتبعه فلحق ببطن نخل على ليلتين من المدينة ووقع السودان على طعام لابي جعفر كان
مخزونا في دار مروان قد قدم به في البحر لاجل الجند الذين بالمدينة من دقيق وسويق وزيت
وقسب فانتهبوه وباعوه بارخص ثمن وذهب الخبر الى الخليفة بما كان من امر السودان
وخاف اهل المدينة من معرة ذلك فاجتمعوا في المسجد فخطبهم ابن ابي سبرة وكان مسجونا
فصعد المنبر وفي رجليه القيود فحثهم على السمع والطاعة لامير المؤمنين المنصور وخوفهم
من شر ما صنعوه فمالوا اليه فاتفق رايهم على ان يلقوا امراء السودان ويفرقوهم وان يذهبوا الى اميرهم
فيردوه الى عمله ففعلوا ذلك فسكن الامر وهدا الناس وانطفا الشر ورجع عبد
الله الى المدينة فقطع يد وثيق وابي النار ويعقل ومسعر

ذكر خروج ابراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة وكيفية مقتله

كان ابراهيم قد نزل في بني ضبيعة من البصرة في دار الحارث بن عيسى فكان لا يرى بالنهار وكان قدومه
اليها بعد تطواف بلاد كثيرة جدا وجرت عليه وعلى اخيه خطوب هائلة شديدة واتفق
اسباب هلاكهما في اوقات متعددة ثم كان اخرها استقراره بالمدينة في سنة
ثلاث واربعين ومائة بعد منصرف الحجيج وقيل ان اول قدومه اليها كان في مستهل رمضان
من سنة خمس واربعين ومائة بعثه اخوه اليها بعد ظهوره بالمدينة النبوية قالوا وقد
كان يدعو في السر الى اخيه فلما قتل اخوه اظهر الدعوة لنفسه وخالف المنصور
في شوال من هذه السنة والمشهور انه قدمها قبل ذلك وانه اظهر الدعوة في حيوة اخيه كما
قدمنا والله اعلم ولما دخل البصرة اول قدومه اليها بعد منصرف الحجيج نزل عند يحيى
بن زياد بن حسان النبطي وكان مختفيا عنده هذه المدة كلها حتى ظهر في هذه السنة وكان
اول ظهوره في دار ابي فروة وكان اول من بايعه نميلة بن مرة وعبد الله بن سفيان وعبد الواحد
بن زياد وعمرو بن سلمة الهجيمي وعبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي وندبوا الناس اليه
فاستجاب له خلق كثير فتحول الى دار ابي مروان في وسط البصرة واستفحل امره وبايع فئام
من الناس فقام الخطيب به وبلغ خبره الى ابي جعفر فازداد غما الى غمه باخيه محمد وذلك انه ظهر
قبل مقتل اخيه كما ذكرنا وانما كان السبب في تعجيله الظهور بالبصرة كتاب اخيه اليه بذلك
فامتثل امره ودعا الى نفسه فانتظم امره بالبصرة وكان نائبها للمنصور سفيان بن
معاوية وكان ممالئا لابراهيم في الباطن وبلغه اخباره فلا يكترث لها ويكذب من يخبره منها
ويود ان لو صح امر ابراهيم وقد امده المنصور باميرين من اهل خراسان معهما الفا فارس وراجل
فانزلهما عنده ليتقوى بهما على محاربة ابراهيم وتحول المنصور من بغداد وكان قد شرع
في عمارتها الى الكوفة وجعل كلما اتهم رجلا من اهل الكوفة في امر ابراهيم بعث اليه من يقتله في
الليل وكان الفرافصة العجلي قد هم بالوثوب في الكوفة فلم يمكنه ذلك لمكان المنصور بها
وجعل الناس يقصدون البصرة من كل فج عميق لمبايعة ابراهيم ويفدون اليها جماعات وفرادى
وجعل المنصور يرصد لهم المسالح فيقتلونهم في الطرقات ويأتونه برؤوسهم فيصلبها بالكوفة
ليتعظ بها الناس وارسل المنصور الى حرب الراوندي وكان مرابطا بالجزيرة في الفي فارس
لقتال الخوارج يستدعيه الى الكوفة فاقبل بمن معه فلما اجتاز ببلدة بها انصار لابراهيم
فقالوا له لا ندعك تجتاز لانك انما طلبك لتحارب ابراهيم فقال ويحكم دعوني فابوا فقاتلهم

فقتل منهم خمسمائة وارسل رؤوسهم الى المنصور فقال هذا اول الفتح ولما كانت ليلة الاثنين
مستهل رمضان من هذه السنة خرج ابراهيم بن عبد الله في الليل الى مقبرة بني يشكر في بضعة
عشر فارسا وقدم في هذه الليلة ابو حماد الابرص في الفي فارس مددا لسفيان بن معاوية
فانزلهم الاميرية القصر وقال ابراهيم واصحابه ومن التف عليه وصاروا اليه الى دواب اولئك
العسكر واسلحتهم فاخذ ذلك جميعا فكان هذا اول ما اصاب وما اصبح الصباح الا وقد
استظهر جدا فصلى بالناس صلاة الصبح في المسجد الجامع والتفت الخلايق عليه ما بين
ناظر وناصر وتحصن سفيان بن معاوية نائب السلطنة بقصر الامارة وحبس عنده الجنود
فحاصرهم ابراهيم عن معه وطلب سفيان بن معاوية الامان فاعطاه الامان ودخل ابراهيم
قصر الامارة فبسطت له حصير ليجلس عليها في مقدم ايوان القصر فهبت الريح فقلبت
الحصير ظهرا لبطن فتطير الناس بذلك فقال انا لا نتطير وجلس على ظهر الحصير وامر بحبس
سفيان بن معاوية مقيدا واراد بذلك ان يبرئ ساحته عند ابي جعفر المنصور واستحوذ على
ما كان في بيت المال فاذا فيه ستماية الف وقيل الفا الف فتقوى بذلك جدا وكان بالبصرة
جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي وهما ابنا عم الخليفة المنصور فركبا في ستماية فارس فارسل
اليهما ابراهيم المضا بن القسم في ثمانية عشر فارسا وثلثين راجلا فهزم هؤلاء ستماية فارس
وامن من بقي منهم وبعث ابراهيم الى اهل الاهواز فبايعوه واطاعوه وارسل الى نائبها ماتي
فارس عليهم المغيرة فخرج اليهم محمد بن الحصين نائب البلاد في اربعة الاف فهزمه المغيرة واستحوذ
على البلاد وبعث ابراهيم الى بلاد فارس فاخذها وكذلك واسط والمداين والسواد واستفحل
امره جدا ولكن لما جاءه نعي اخيه انكسر جدا وصلى بالناس يوم العيد وهو مكسور قال بعضهم
والله لقد رايت الموت في وجهه وهو يخطب الناس فنعى الى الناس اخاه محمدا فازداد الناس
حنقا على المنصور واصبح فعسكر بالناس واستناب على البصرة نميلة وخلف ابنه حسنا معه ولما
بلغ المنصور خبره تحير في امره وجعل يتاسف على ما فرق جنده في الممالك وكان قد بعث مع
ابنه المهدي ثلاثين الفا الى الري وبعث محمد بن الاشعث الى افريقية في اربعين الفا والباقون
مع عيسى بن موسى بالحجاز ولم يبق في معسكره سوى الفي فارس فكان يامر بالنيران الكثيرة فتوقد ليلا
ليحسب الناظر ان هناك جنودا كثيرة ثم كتب المنصور الى عيسى بن موسى وهو بالحجاز قد قتل
محمد بن عبد الله بن حسن اذا قرات كتابي هذا فاقبل من فورك ودع كل ما انت فيه فلم ينشب
ان اقبل اليه فقال له اذهب الى ابراهيم ولا يهولنك كثرة من معه فانهما جملا بني هاشم المقتولان
جميعا فابسط يدك وثق بما عندك وستذكر ما اقول لك فكان الامر كما قال المنصور وكتب
المنصور الى ابنه المهدي ان يوجه خازم بن خزيمة في اربعة الاف الى الاهواز فذهب اليها فاخرج
منها نائب ابراهيم وهو المغيرة واباحها ثلاثة ايام ورجع المغيرة الى البصرة وكذلك بعث
الى كل كورة من هذه الكور التي خلعت بيعته جندا يردهم الى الطاعة قالوا ولزم المنصور
موضع مصلاه فلم يبرح فيه ليلا ولا نهارا الى بذلة ثياب عليه قد اتسخت ولم يزل فيها هناك
بضعا وخمسين يوما حتى فتح الله عليه وقد قيل له في غضون ذلك يا امير المومنين ان نساءك
قد خبثت نفوسهن لغيبتك عنهن فانتهر القايل وقال ويحك ليس هذه ايام نساء حتى
ارى راس ابراهيم بين يدي او يحمل راسي اليه وقال بعضهم دخلت على المنصور وهو مهموم من كثرة
ما وقع من الشرور والفتوق والحروب وهو لا يستطيع ان لا يسمع الكلام من شدة كربه وهمه وهو

مع ذلك قد اعد لكل امر ما يسد خلله وقد خرجت عن يده البصرة والاهواز وارض فارس
والمداين وارض السواد وفي الكوفة عنده ماية الف سيف مغمدة ينتظرون صيحة واحدة
فيخرجون عليه مع ابراهيم وهو في ذلك يعزل النوايب ويرميها ولم يقعد به نفسه وهو كما قال

• نفس عصام سودت عصاما • وعلمته الكر والاقداما • فصيرته ملكا هماما •

واقبل ابراهيم بن عبد الله قاصدا من البصرة الى الكوفة في ماية الف مقاتل فارسل اليه المنصور
عيسى بن موسى في خمسة عشر الفا وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة الاف وجا ابراهيم
فنزل باخمرى في جحافل عظيمة فقال له بعض الامرا انك قد اقتربت من المنصور فلو انك
سرت اليه بطايفة من جيشك لاخذت بقفاه فانه ليس عنده من الجيوش احد يردون
عنه فقال اخرون منهم ان الاولى ان نناجز هولاء الذين بازائنا ثم هو في قبضتنا فثناهم
ذلك عن الراي الاول ولو فعلوه لتم لهم الامر ثم قال بعضهم خندق حول الجيش فقال
اخرون ان هذا الجيش لا يحتاج الى خندق حوله فترك ذلك ثم اشار بعضهم بان يبيت
جيش عيسى بن موسى فقال ابراهيم لا ارى ذلك فتركه ثم اشار اخرون بان يجعل جيشه
كراديس فان غلب كردوس ثبت الاخر فقال اخرون ان الاولى ان يقاتلوا صفوفا لقوله
تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص واقبل الجيشان
فتصافوا باخمرى وهي على ستة عشر فرسخا من الكوفة فاقتتلوا بها قتالا شديدا فانهزم
حميد بن قحطبة بمن معه من المقدمة فجعل عيسى بن موسى يناشدهم الله في الرجوع والكرة فلا
يلوي عليه احد وثبت عيسى بن موسى في ماية رجل من اهله فقيل له لو تنحيت من مكانك هذا
لئلا يحطمك جيش ابراهيم فقال والله لا ازول عنه حتى يفتح الله لي او اقتل ها هنا وكان المنصور
قد تقدم اليه بما اخبره به بعض المنجمين ان الناس يكون لهم جولة عن عيسى بن موسى ثم
يفيئون اليه وتكون العاقبة له فاستمر المنهزمون ذاهبين فانتهوا الى نهر بين جبلين فلم
يمكنهم خوضه فكروا راجعين باجمعهم فكان اول راجع حميد بن قحطبة الذي كان اول من انهزم ثم
ثم اجتلدوا هم واصحاب ابراهيم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل كل من الفريقين خلق كثير ثم
انهزم اصحاب ابراهيم وثبت هو في خمسماية وقيل في اربعماية وقيل في سبعين رجلا واستظهر
عيسى بن موسى واصحابه وقتل ابراهيم في جملة من قتل واختلط راسه مع رؤوس اصحابه فجعل
حميد بن قحطبة ياتي بالرؤوس فيعرضها على عيسى حتى عرفوا راس ابراهيم فبعثوه مع البشير الى
المنصور وكان بعض المنجمين قد دخل قبل مجي البشير على المنصور فقال له يا امير المومنين
البشرى فان ابراهيم مقتول فلم يصدقه فقال له يا امير المومنين ان لم تصدقني فاحبسني فان لم
يكن الامر كما ذكرت فاقتلني فبينما هو عنده اذ جاء البشير بهزيمة ابراهيم ولما جي المنصور
تمثل المنصور ببيت معقر بن حمار البادي •

• فالقت عصاها واستقر بها النوى • كما قر عينا بالاياب المسافر •

ويقال ان المنصور لما نظر الى الراس بكى حتى جعلت دموعه تسقط على الراس وقال
والله لقد كنت لهذا كارها ولكنك ابتليت بي وابتليت بك ثم امر بالراس فنصب بالسوق
واقطع يحيى المنجم الفي جريب وذكر صالح مولى المنصور قال لما جي براس ابراهيم جلس المنصور
مجلسا عاما وجعل الناس يدخلون عليه فيهنونه وينالون من ابراهيم ويقبحون الكلام
فيه ابتغاء مرضات المنصور والمنصور واجم متغير اللون لا يتكلم حتى دخل جعفر بن حنظلة

الهراني فوقف فسلم ثم قال اعظم الله اجرك يا امير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه
من حقك قال واستغلوا ذلك المنصور واقبل عليه وقال يا خالد مرحبا واهلا ما انعم الناس
ان ذلك قد وقع منه فجعل كل من جاء يقول كما قال جعفر بن حنظلة قال ابو نعيم الفضل بن
دكين وكان ذلك في يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجة من هذه السنة يعني سنة خمس واربعين

ذكر من توفي في هذه السنة

وقد قتل في هذه السنة جماعة من اعيان اهل البيت منهم عبد الله بن حسن وابناه ابراهيم ومحمد
واخوه الحسن بن حسن واخوه لامه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالديباج
وقد تقدم من ترجمته في اخر الجزء الذي قبله فاما عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب
القرشي الهاشمي فتابعي روى عن ابيه وامه فاطمة بنت الحسين وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب
وموضعا لخليل وغيرهم وعنه جماعة منهم سفيان الثوري والدراوردي ومالك وكان معظما
عند العلماء مبجلا وكان عابدا كبير القدر قال يحيى بن معين كان ثقة صدوقا وفد على عمر بن
عبد العزيز فاكرمه وقد وفد على السفاح فعظمه واعطاه الف الف درهم فلما ولي المنصور عكس هذا
الاكرام واخذه واهل بيته مقيدين مغلولين مهانين من المدينة الى الهاشمية فاودعهم السجن
الضيق كما قدمنا فمات اكثرهم فيه فكان عبد الله بن حسن هذا اول من مات فيه وذلك بعد
خروج ولده بالمدينة وقد قيل انه قتل عمدا وقيل بل مات حتف انفه والله اعلم وكان عمره يوم
مات خمسا وسبعين سنة وصلى عليه اخوه الحسن بن الحسن بن علي ثم مات بعده اخوه حسن
فصلى عليه اخوه لامه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ثم قتل بعده وحمل راسه الى
خراسان كما قدمنا واما محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب فروى عن ابيه
ونافع وعن ابي الزناد وعن ابي هريرة في كيفية الهوي الى السجود وحدث عنه جماعة ووثقه النسائي
وابن حبان وقال البخاري لا يتابع على حديثه وقد ذكر ان امه حملت به اربع سنين وكان طويلا
سمينا اسمر ضخما شجاعا ذا همة سامية وسطوة عالية وكان مقتله بالمدينة في منتصف رمضان
من سنة خمس واربعين عن خمس واربعين سنة وقد حمل راسه الى المنصور وطيف به في الاقاليم
واما اخوه ابراهيم فكان ظهوره بالبصرة بعد ظهور اخيه بالمدينة في حياته وكانت وفاته بعد
وفاته في ذي الحجة من هذه السنة وليس له شيء في الكتب الستة رحمهم الله وقد حكى ابو داود السجستاني
عن ابي عوانة انه قال كان ابراهيم واخوه محمد خارجيين ثم قال ابو داود بئس ما قال
هذا راي الزيدية قلت وقد حكي عن جماعة من الائمة انهم مالوا الى ظهورهما وفي هذا نظر والله اعلم

وممن توفي فيها ايضا من المشاهير

الاجلح بن عبد الله واسماعيل بن ابي خالد لعلّه فول وحبيب بن الشهيد وعبد الملك ابو حيان التيمي
ورؤبة بن العجاج والعجاج لقب واسمه ابو الشعثاء عبد الله بن رؤبة ابو محمد التميمي البصري
الراجز بن الراجز ولكل منهما ديوان رجز وكل منهما بارع في فنه لا يجارى ولا يبارى عالم باللغة
وعبد الله بن المقفع الكاتب المفوه اسلم على يدي عيسى بن علي عم السفاح والمنصور وكتب له
وله رسائل والفاظ فصيحة وكان يتهم بالزندقة وهو الذي صنف كتاب كليلة ودمنة ويقال
بل هو الذي عربها من الفارسية الى العربية قال المهدي بن المنصور ما وجدت كتاب زندقة الا
واصله من ابن المقفع وقال الجاحظ الزنادقة ثلاثة ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن
زياد قالوا ونسي الجاحظ نفسه وهو رابعهم وكان مع هذا فاضلا بارعا فصيحا قال الاصمعي

قيل لابن المقفع من ادبك قال نفسي اذا رايت من غيري قبيحا ابيته وان رايت حسنا
اتيته ومن كلامه شربت من الخطب ريا ولم اضبط لها رويا فغاضت ثم فاضت فلا
هي هي نظاما وليست غيرها كلاما وكان قتله على يدي سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب
ابن ابي صفرة نائب البصرة وذلك انه كان يعبث به ويسبه وانما كان يسميه ابن المغتلمة
وكان كبير الانف فكان اذا دخل عليه يقول السلام عليكما يعني عليه وعلى انفه وقال لسفيان مرة
ما ندمت على سكوت قط فقال له صدقت الخرس خير لك فاتفق ان المنصور تغضب على ابن
المقفع فكتب الى نائبه سفيان بن معاوية هذا ان يقتله فاخذه فاحمى له تنورا وجعل يقطعه
اربا اربا ويلقيه في ذلك التنور حتى احرقه كله وهو ينظر الى اطرافه كيف يقطع ثم يحرق
وقيل غير ذلك في صفة قتله قال القاضي ابن خلكان ومنهم من يقول ابن المقفع نسبة الى بيع
القفاع وهي من الجريد كالزنبيل بلا اذان والصحيح انه ابن المقفع وهو ابوه داذويه كان الحجاج
قد استعمله على الخراج وكان يخون فيه فعاقبه حتى تقفعت يداه وفيها خرجت الترك والخزر بباب
الابواب فقتلوا من المسلمين بارمينية جماعة كثيرة وحج بالناس فيها السري بن عبد الله
بن الحرث بن عباس بن عبد المطلب نائب مكة وكان نائب المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي
وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة مسلم بن قتيبة وعلى مصر يزيد بن حاتم

ثم دخلت سنة ست واربعين ومائة

الفراغ من بناء بغداد

فيها تكامل بناء مدينة السلام بغداد وسكنها ابو جعفر المنصور بانيها في صفر من هذه
السنة وكان مقيما بالهاشمية المتاخمة للكوفة وكان قد شرع في بنائها في السنة الخارجة
وقيل سنة اربع واربعين ومائة فالله اعلم وكان السبب الباعث له على بنائها ان الراوندية
لما وثبوا عليه بالكوفة ووقى الله شرهم بقيت منهم بقية فخشي
على جنده منهم فخرج من الكوفة ليرتاد موضعا لبناء مدينة فسار في الارض حتى بلغ
الجزيرة فلم ير موضعا احسن لوضع المدينة من موضع بغداد الذي هو فيه فانه موضع بين
دجلة والفرات لا يقدر احد ان يتوصل الى موضع الخليفة الا على جسر وقد بات به المنصور قبل
بنائه فراى الرياح ليلا ونهارا وطيب الهواء في تلك المحلة وقد كان في موضعها قرى ودور
لعباد النصارى وغيرهم ذكر ذلك مفصلا باسمائه وتعداده الامام ابو جعفر بن جرير رحمه الله
فحين عزم المنصور على اختطاطها رسموا له بالرماد فمشى في طرقها ومسالكها ثم سلم كل ربع
منها لامير يقوم على بنائه واحضر من كل البلاد فعولا وصناعا ومهندسين حتى اجتمع عنده
الوف منهم ثم كان هو اول من وضع لبنة فيها بيده وقال بسم الله والحمد لله والارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله وامر ببنائها مدورة
سمك سورها من اسفله خمسون ذراعا وسمك اعلاه عشرون ذراعا وجعل لها ثمانية ابواب
في السور البراني ومثلها في الجواني وليس كل واحد تجاه الاخر لكن ازور عن الذي يقابله ولهذا
سميت بغداد الزوراء وقيل انما سميت بذلك لازورار انهارها بسبب انخراق دجلة عندها والله اعلم
وبنى قصر الامارة في وسط البلد ليكون الناس منه على حد سوا واختط المسجد الجامع الى جانب القصر
وكان الذي وضع قبلته الحجاج بن ارطاة قال ابن جرير ويقال ان في قبلته انحرافا يحتاج الواقف
فيها ان ينحرف الى ناحية باب البصرة ويذكر ان مسجد الرصافة اقرب الى الصواب منه لانه بني قبل
القصر وذلك بعد بناء القصر فاختلفت قبلته بسبب ذلك وذكر ابن جرير عن سليمان بن

مجالما ان المنصور اراد ابا حنيفة النعمان بن ثابت على القضا فامتنع فحلف المنصور ان يتولى
له وحلف ابو حنيفة ان لا يفعل فولاه القيام بامر المدينة وضرب اللبن وعده واخذ الرجال
بالعمل فكان ابو حنيفة المتولي لذلك حتى فرغ من استتمام حائط المدينة مما يلي الخندق وكان
استتمامه في سنة اربع واربعين ومائة قال وذكر الهيثم بن عدي ان المنصور عرض على ابي
حنيفة القضا والمظالم فامتنع فحلف ان لا يقلع عنه حتى يعمل فاخبر بذلك ابو حنيفة
فدعا بقصبة فعد اللبن ليبر بذلك يمين ابي جعفر ومات ابو حنيفة ببغداد وذكر ان
خالد بن برمك هو الذي اشار على المنصور ببنائها وانه كان مستشاره فيها وقد شاوره المنصور
في نقل القصر الابيض من المداين الى قصر الامارة فقال لا تفعل يا امير المومنين فانه من اعلام
وفيه مصلى امير المومنين علي بن ابي طالب فخالفه وقد نقل منه شي كثير فلم يف بما يتحمل منه
باجرة ما يصرف في حمله فتركه ونقل ابواب واسط الى ابواب بغداد وقد كان الحجاج نقلها
من مدينة هناك كانت من بناء سليمان بن داود وكانت الجن قد عملت تلك الابواب وقد
كانت الاسواق قريبا من قصر الامارة فكانت اصوات الباعة وهوشات الاسواق تسمع من
قصر الامارة فعاب ذلك بعض بطارقة النصارى ممن قدم في بعض الرسايل من الروم فامر
المنصور بنقل الاسواق من هناك الى موضع اخر وامر المنصور بتوسعة الطرقات وجعلها
اربعين ذراعا اربعين ذراعا ومن بني شي من ذلك هدم قال ابن جرير وذكر عن عيسى بن المنصور
انه قال وجدت في خزاين المنصور في الكتب انه انفق على مدينة السلام ومسجدها الجامع وقصر
الذهب بها والاسواق والفصلان والخنادق وقبابها وابوابها اربعة الاف الف وثمان
ماية وثلاثة وثلاثون درهما وكان اجرة الاستاذ من البنايين في كل يوم قيراط فضة واجرة
الصانع من الحبتين الى الثلث قال الخطيب البغدادي وقد رايت ذلك في بعض الكتب
وقرأته وحكي عن بعضهم انه قال لعزم عليها ثمانية عشر الف الف فالله اعلم وذكر ابن جرير
انه ناقص المهندسين الذي بنى له بيتا حسنا في قصر الامارة فنقصه درهما مما ساومه بعض
المستخشبين وانه حاسب الذي كان عنده النفقة ففضل عنده خمسة عشر درهما فحبسه حتى
احضرها وقال الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد بناها مدورة ولا يعرف في اقطار الدنيا
كلها مدينة مدورة سواها قال ووضع اساسها في وقت اختاره له نوبخت المنجم ثم روى
عن بعض المنجمين انه قال لي المنصور لما فرغ من بغداد خذ الطالع فنظرت في طالعها وكان
المشتري في القوس فاخبرته بما يدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا
اليها ثم قال وابشرك يا امير المومنين ببشارة اخرى وهي انه لا يموت فيها احد من الخلفا ابدا
قال فرايته تبسم ثم قال الحمد لله ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم
وذكر عن بعض الشعرا انه قال في ذلك شعرا منه

قضى ربها ان لا يموت خليفة بها انه ما شا في خلقه يقضي

وقد تعقب هذا الخبر الخطيب ابو بكر البغدادي وسلم ذلك ولم ينقضه بشي مع اطلاعه وفهمه
قال وزعم بعض الناس ان الامين قتل بدرب الانبار منها فذكرت ذلك للقاضي ابي القسم
علي بن الحسن التنوخي فقال لي محمد الامين ايضا لم يقتل وانما كان قد نزل في سفينة في دجلة ليتنزه
فقبض عليه في وسط دجلة وقتل هناك ذكر ذلك الصولي وغيره وذكر عن بعض مشايخ بغداد
انه قال اتساع بغداد ماية وثلاثون جريبا وذلك يعد اميلين في ميلين وقال الامام احمد

بن حنبل

بن حنبل بغداد من الصراة الى باب التبن وذكر الخطيب عن بعضهم ان بين كل باب من ابوابها
الثمانية ميل وقيل اقل من ذلك وذكر الخطيب صفة قصر الامارة وان فيه القبة الخضرا وطولها
ثمانون ذراعا في راسها تمثال فرس عليها فارس في يده رمح يدور به فاذا راي جهة استقبلها
واستمر مستقبلها علم ان في تلك الجهة قد وقع حدث فينظر في امره الخليفة وهذه القبة
وهي على مجلس في صدر ايوان المحكمة وطوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وقد سقطت
هذه القبة في ليلة برد ومطر ورعد وبرق ليلة الثلثا لسبع خلون من جمادى الاخرة سنة
تسع وعشرين وثلثماية وذكر الخطيب انه كان يباع في ايام المنصور ببغداد الكبش بدرهم
والحمل باربعة دوانيق وينادي على لحم الغنم كل ستين رطلا بدرهم ولحم البقر كل تسعين رطلا
بدرهم والتمر كل ستين رطلا بدرهم والزيت ستة عشر رطلا بدرهم والسمن ثمانية ارطال
بدرهم والعسل عشرة ارطال بدرهم ولهذا الرخص والامن كثر سكنوها وعظم اهلوها حتى
كان المار فيها لا يكاد يجتاز في الاسواق لكثرة اهلها قال بعض الاهل وقد رجع من السوق فقال
ما طردت خلف الارانب في هذا المكان وذكر الخطيب البغدادي ان المنصور جلس يوما في قصر
الامارة وعنده بعض رسل الروم فسمع المنصور ضجة عظيمة ثم اخرى ثم اخرى فقال
للربيع الحاجب ما هذا فكشف فاذا بقرة قد نفرت من جازرها فمرت في الاسواق فقال
الرومي يا امير المومنين انك بنيت بنا لم يبنه احد قبلك وفيه ثلاثة عيوب بعده من
الما وقرب الاسواق منه وليس عنده خضرة والعين خضرا تحب الخضرة فلم يرفع بها المنصور
راسا ثم امر بتغيير ذلك بعد ذلك فساق اليها الما وبنى عنده البساتين ثم حول الاسواق
من ثم الى الكرخ قال يعقوب بن سفيان كمل بناء بغداد في سنة ست واربعين وماية
وفي سنة سبع وخمسين حول الاسواق الى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول وامر بتوسعة
الاسواق اربعين ذراعا وبعد هذا شرع في بناء قصره المسمى بالخلد فكمل في سنة ثمان
وخمسين وماية كما سياتي وجعل امر ذلك الى رجل يقال له الوضاح فبني قصر الوضاح وبني
للعامة جامع لصلاة الجمعة ولا يدخلون الجامع مدينة المنصور فاما دار الخلافة التي كانت
ببغداد فانها كانت اولا للحسن بن سهل فانتقلت من بعده الى ابنته بوران التي كان تزوجها
المامون بطلبها منها المعتضد فقيل المعتمد فانعمت له بها واستنظرته اياما حتى تنتقل
منها ثم شرعت في ترميمها وتبييضها وتحسينها ثم فرشتها انواع الفرش وعلقت
فيها انواع الستور وارصدت فيها ما ينبغي للخليفة من الجوار والخدم بانواع الملابس
وجعلت في الخزاين ما ينبغي من انواع الاطعمة والماكل ثم بعثت بمفاتيحها اليه فلما دخلها
وجد فيها ما ارصدته فيها فهاله ذلك واستعظمه جدا فكان اول خليفة سكنها وبني عليها
سورا ذكره الخطيب البغدادي واما التاج فبناه المكتفي على دجلة وحوله القباب
والمجالس والميدان والثريا وحير الوحوش وذكر الخطيب صفة دار الشجرة التي كانت
في زمن المقتدر بالله وما فيها من الفرش والستور والخدم والمماليك والحشمة الباذخة
وانه كان بها احد عشر الف طواشي وسبع ماية حاجب واما المماليك فالوف لا يحصون
كثرة وسياتي ذكر ذلك مفصلا في موضعه بعد سنة ثلثماية وذكر دار الملك بالمخرم
وذكر الجوامع التي بها التي يقام فيها الجمعات وذكر الانهار والجسور التي بها مما كان من
ذلك في زمن المنصور وما احدث بعده الى زمانه وانشد لبعض الشعرا في حسن بغداد

على دجلة

يوم سرقنا العيش من خلسه • في مجلسين بفناء دجلة مفرد
رق الهوا بر نه ندا مد • تغدوت رقا للزمان المسعد
فكانت دجلة طيلسان ابيض • والجسر فيها كالطراز الاسود

وقال اخر

ايا حبذا جسر على متن دجلة • باتقان تاسيس وحسن ورونق
جمال وحسن للعراق ونزهة • وسلوة من اضناه فرط التشوق
تراه اذا ما جئته متاملا • كسطر عبير خط في وسط مهرق
او العاج فيه الابنوس مرقش • مثال فيول تحتها ارض زيبق

وذكر غير الصولي قال وذكر احمد بن ابي طاهر في كتاب بغداد ان ذرع بغداد الجانبين ثلاثة
وخمسون الف جريب وسبعماية وخمسون جريبا وان عدد حماماتها ستون الف حمام واقل
ما في كل حمام منها خمسة نفر حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقا وان بازا كل حمام خمسة
مساجد فذلك ثلثماية الف مسجد واقل ما يكون في كل مسجد خمسة انفس يعني امام
ومؤذن وقيم ومامومان فصارت بعد ذلك ثم دثرت بعد ذلك حتى صارت
كانها خربة صورة ومعنى على ما سياتي بيانه في موضعه قال الحافظ ابو بكر الخطيب
البغدادي لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة امرها وكثرة علمائها
واعلامها وتميز خواصها وعوامها وعظم اقطارها وسعة اطرادها وكثرة دورها ومنازلها
ودروبها وشوارعها ومحالها واسواقها وسككها وازقتها ومساجدها وحماماتها وخاناتها
وطيب هوائها وعذوبة مائها وبرد ظلالها وافيائها واعتدال صيفها وشتائها وصحة
ربيعها وخريفها واكثر ما كانت عمارة واهلا في ايام الرشيد ثم ذكر ما اطرحوا الناس بعد ذلك
ولم تزل الى زمانه قلت وكذا من بعده الى زماننا هذا ولاسيما في ايام هلاوو بن تولي بن جنكزخان
التركي الذي وضع معالمها وقتل خليفتها وعاملها وخرب دورها وهدم قصورها واباد الخواص
والعوام والملك منهم ما يقرب من الفي الف في ذلك العام واخذ الاموال والحواصل ونهب
الذراري الاصايل واورثها خرابا بعد ما كانت في البكرات والاصايل وصيرها مثلة في الملا قائم
وعبرة لكل حبر حليم وموعظة لكل ذي لب مستقيم وتبدلت بعد تلاوة القران بالنغمات
والالحان وانشاد الاشعار وكان وبعد سماع الاحاديث النبوية بدرس الفلسفة
اليونانية والمناهج الكلامية والتاويلات القرمطية وبعد العلماء بالحكماء وبعد
الخليفة العباسي بشرار الولاة من الاناسي وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة
وبعد العباد بالانكاد وبعد الطلبة المشتغلين بالتلاوة والعيارين وبعد الاشتغال
بفنون العلوم من التفسير والفقه والحديث وتفسير الرويا بالرجل والموشح ودوبيت
والمواليا وما اصابهم ذلك الا ببعض ذنوبهم وما ربك بظلام للعبيد والتحول منها في هذه
الازمان لكثرة ما فيها من المنكرات الحسية والمعنوية والانتقال عنها الى بلاد الشام
الذي تكفل الله به وباهله افضل واكمل واجمل وقد روى الامام احمد في مسنده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى يتحول
خيار اهل العراق الى الشام وشرار اهل الشام الى العراق ○

بياض باصله

ذكر ما ورد

180

ذكر ما ورد في ذكر مدينة بغداد من الاثار
والتنبيه على ضعف ما روي فيها من الاخبار

فيها اربع لغات بغداد باهمال الدال الثانية واعجامها وبغدان بالنون اخرا وبالميم مع
ذلك اولا مغدان وهي كلمة اعجمية قيل انها مركبة من بغ وداذ فقيل بغ بستان وداذ
اسم رجل وقيل بغ اسم صنم وقيل شيطان وداذ عطية اي عطية الصنم ولهذا كره عبد
الله بن المبارك والاصمعي وغيرهما تسميتها ببغداد وانما يقال لها مدينة السلام وكذا سماها
بانيها ابو جعفر المنصور لان دجلة كان يقال لها وادي السلام ومنهم من يسمي بغداد
الزوراء وهو لقب لها فروى الخطيب البغدادي من طريق عمار بن سيف وهو متهم قال
سمعت عاصم الاحول يحدث سفيان الثوري عن ابي عثمان عن جرير بن عبد الله قال قال
رسول الله تبنى مدينة بين دجلة والدجيل وقطربل والصراة يجبى اليها خزائن الارض
وجبابرتها لهي اسرع ذهابا في الارض من الوتد الحديد في الارض الرخوة قال الخطيب
وقد رواه عن عاصم الاحول سيف بن محمد ابن اخت سفيان الثوري وهو اخو عمار بن سيف
وكلاهما ضعيف متهم يرمى بالكذب ومحمد بن جابر اليمامي وهو ضعيف

بياضه

ايضا وابو شهاب الحناط وروي عن سفيان الثوري عن عاصم عن ابي عثمان عن جرير
عن رسول الله فذكره وقد قال احمد ويحيى بن معين ليس لهذا الحديث اصل وقال
الامام احمد ما حدث به انسان ثقة وقد علله الحافظ ابو بكر الخطيب من جميع طرقه
وساقه من حديث عمار بن سيف عن الثوري عن ابي عبيدة حميد الطويل عن انس بن مالك
ولا يصح ايضا ومن طريق عمر بن يحيى عن سفيان عن قيس بن مسلم عن ربعي عن حذيفة
مرفوعا بنحوه ولا يصح ايضا ومن غير وجه عن علي وابن مسعود وثوبان وابن عباس وفي
بعضها ذكر السفياني وانه يخربها ولا يصح اسناد شي من هذه الاحاديث وقد اورد ما
الخطيب باسانيدها والفاظها وفي كل منها نكارة واقرب ما في ذلك عن كعب الاحبار
وقد جاء في اثار كثيرة عن كتب متقدمة ان بانيها يقال له مقلاص وذو الدوانيق وقد
كان المنصور يلقب بمقلاص في صغره وانما لقب بذي الدوانيق لبخله

فصل في ذكر محاسن بغداد
وما ورد فيها عن الايمة النقاد

قال يونس بن عبد الاعلى الصدفي المصري قال لي الشافعي هل رايت بغداد فقلت لا
فقال لم تر الدنيا وعن الشافعي قال ما دخلت بلدا قط الا عددته سفرا الا بغداد فاني
حين دخلتها عددتها وطنا وقال بعضهم الدنيا بادية وبغداد حاضرتها وقال
ابن عيينة ما رايت اعقل في طلب الحديث من اهل بغداد ولا احسن دعة وقال ابن مجاهد
رايت ابا عمرو بن العلاء في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال دعني من هذا من اقام ببغداد
على السنة ومات نقل من جنة الى جنة وقال ابو بكر بن عياش الاسلام ببغداد وانها
لصيادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا وقال ابو معاوية بغداد دار
دنيا واخرة وقال بعضهم من محاسن الاسلام يوم الجمعة وصلاة التراويح بمكة ويوم

العيد بطرسوس قال الخطيب من شهد الجمعة بمدينة السلام عظم في قلبه محل الاسلام لان مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد في غيرها من البلاد وقال بعضهم كنت اواظب على الجمعة بجامع المنصور فعرض لي شغل فصليت في غيره فرايت كان قايلا يقول لي تركت الصلاة بالجامع وانه ليصلي به كل جمعة سبعون وليا وقال اخر اردت الانتقال من بغداد الى غيرها فرايت كان قايلا يقول لي اتنتقل من بلد فيه عشرة الاف ولي لله عز وجل وقال بعضهم رايت كان ملكين اتيا بغداد فقال احدهما لصاحبه اقلبها فقد حق القول عليها فقال الاخر كيف اقلب بلدا يختم القران الليلة فيها خمسة الاف ختمة وقال ابن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال اذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وطاعته شامية فقد كمل وقالت زبيدة للمنصور النمري قل شعرا تحبب فيه بغداد الى الرشيد فقد اختار سكنى الرافقة فقال

ماذا ببغداد من طيب الافانين • ومن منازه للدنيا وللدين
تحيي الرياح بها المرضى اذا نسمت • وجوشت بين اغصان الرياحين

قال فاعطيته الفي دينار قال الخطيب وقرات في كتاب طاهر بن مظفر بن طاهر الخازن بخطه من شعره

سقى الله صوب الغاديات محلة • ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجسر
هواء رقيق في الغداة وصحة • وماء له طعم الذ من الخمر
ودجلتها شطان قد نظما لنا • بتاج الى تاج وقصر الى قصر
ثراها كمسك والمياه كفضة • وحصباؤها مثل اليواقيت والدر

وقد اورد الخطيب في هذا الفصل اشعارا كثيرة وفيما ذكرنا كفاية وقد كان الفراغ من بنائها في هذه السنة اعني سنة ست واربعين ومائة وقيل في سنة ثمان واربعين وقيل ان سورها وخندقها كملا في سنة تسع واربعين ولم يزل المنصور يزيد فيها ويتانق في بنائها حتى كان اخر ما بنى فيها قصر الخلد وعندها انه توفي كما سياتي بيانه قال ابن جرير وفي هذه السنة عزل المنصور سلم بن قتيبة عن البصرة وولى عليها محمد بن سليمان بن علي وذلك لانه كتب الى سالم يامره بهدم بيوت الذين بايعوا ابراهيم بن عبد الله بن حسن فتوانى في ذلك فعزله وبعث ابن عمه محمد بن سليمان بن علي فعاث فيها فسادا وهدم دورا كثيرة وعزل عبد الله بن الربيع عن امرة المدينة وولى عليها جعفر بن سليمان وعزل عن مكة السري بن عبد الله وولاها عبد الصمد بن علي قال وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي قاله الواقدي وغيره قال وفيها غزا الصائفة من بلاد الروم جعفر بن الاشعث بن عبد الملك وهشام بن السايب الكلبي وهشام بن عروة ويزيد ابن ابي عبيد في قول ٥

ثم دخلت سنة سبع واربعين ومائة

فيها اغار استرخان الخوارزمي في جيش من الاتراك بناحية ارمينية فدخلوا تفليس فقتلوا خلقا واسروا كثيرا من المسلمين واهل الذمة وممن قتلوا يومئذ حرب بن عبد الله الراوندي الذي تنسب اليه الحربية ببغداد وكان مقيما بالموصل في الفين لمقاتلة الخوارج فسيره

المنصور

المنصور لمساعدة المسلمين ببلاد ارمينية فكان في جيش جبريل بن يحيى فهزم جبريل وقتل حرب وفي هذه السنة كان هلاك عبد الله بن علي عم المنصور على الحج فطلب ابن عمه عيسى بن موسى وكان ولي العهد من بعد المنصور عن وصية السفاح وسلم اليه عمه عبد الله بن علي وقال له ان هذا عدوي وعدوك فاقتله في غيبتي عنك ولا تتوانى وسار المنصور الى الحج وجعل يكتب اليه من الطريق يستحثه في ذلك ويقول له ما ذا صنعت فيما اوعزت اليك فيه مرة بعد مرة واما عيسى بن موسى فانه لما تسلم عمه حار في امره وشاور بعض اهله فاشار بعضهم ممن له راي ان المصلحة تقتضي ان لا يقتله واخفه عندك واظهر قتله فانا نخشى ان يطالبك به جهرة فتقول قتلته فيامر بالقود فيكون على انه ارب بذلك في التستر فيعجز عن اثبات ذلك فيقتلك به وانما يريد المنصور قتله وقتلك ليستريح منه ومنك فينتصر عيسى بن موسى عند ذلك واخفى عمه واظهر انه قتله فلما رجع المنصور من الحج امر اهله ان يدخلوا عليه ويشفعوا في عبد الله بن علي فجاوا كلهم فدخلوا عليه وشفعوا في عبد الله بن علي والحوا في ذلك فاجابهم اليه واستدعى عيسى بن موسى وقال له ان هولا قد سعوا الي في عبد الله بن علي وقد اجبتهم الى ما طلبوا فسلمه اليهم فقال له وابن هو ذاك قد قتلته منذ امرتني فقال لم امرك بذلك وجحد ان يكون تقدم اليه في ذلك فاحضر الكتب التي استحثه فيها في ذلك مرة بعد مرة فانكر ان يكون اراد ذلك وصمم على الانكار وصمم عيسى بن موسى انه قد قتله فامر عند ذلك بقتله قصاصا من عبد الله فخرج به بنو هاشم ليقتلوه فلما جاوا بالسيف قال لهم ردوني الى الخليفة فردوه فقال له ان عمك حاضر لم اقتله فقال لم لم تدفعه حين امرتك فاحضره فاسقط في يد الخليفة وامر بسجنه في دار جدرانها مبنية على ملح فلما كان من الليل ارسل على جدرانها الماء فسقط عليه البناء فهلك رحمه الله ثم ان المنصور خلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقدم عليه ابنه المهدي فكان يجلسه فوق عيسى عن يمينه ثم كان بعد ذلك لا يلتفت الى عيسى بن موسى ويهينه في الاذن والمشورة والدخول عليه والخروج من عنده بعد ما كان رجحه عنده بعد ذلك جدا ثم ما زال ينقصه ويبعده ويتهدده ويتوعده حتى خلع نفسه بنفسه وبايع لمحمد بن المنصور واعطاه المنصور على ذلك نحوا من اثني عشر الف الف درهم وانصلح امر عيسى بن موسى بعد ذلك عند المنصور واقبل عليه بعد ما كان اعرض عنه وكان قد جرت بينهما مكاتبات كثيرة جدا ومراوضات في تمهيد مدة البيعة وخلع عيسى نفسه وان العامة لا يعدلون بالمهدي احدا وكذلك الامرا والخواص ولم يزل به حتى اجاب الى ذلك مكرها فعوضه عن ذلك بما ذكرناه وسارت بيعة المهدي في الافاق شرقا وغربا وبعدا وقربا وفرح المنصور بذلك فرحا شديدا واستقرت الخلافة في ذريته الى زماننا هذا فلم يكن خليفة من بني العباس الا من سلالته وذلك تقدير العزيز العليم وفيها توفي عبيد الله بن عمر العمري وهاشم بن هاشم وهشام بن حسان صاحب الحسن البصري ٥

ثم دخلت سنة ثمان واربعين ومائة

فيها بعث المنصور حميد بن قحطبة لغزو الترك الذين كانوا قد عاثوا ببلاد تفليس فلم يجد منهم احدا لانهم انشمروا الى بلادهم وحج بالناس في هذه السنة جعفر بن ابي جعفر

المنصور ونواب البلاد فيها هم المذكورون في التي قبلها وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان منهم جعفر بن محمد الصادق الذي ينسب إليه كتاب اختلاج الأعضاء وهو مكذوب عليه وعمرو بن الحرث والعوام بن حوشب والزبيدي ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ومحمد بن عجلان

ودخلت سنة تسع وأربعين ومائة

فيها فرغ من بناء سور بغداد وخندقها وغزا الصائفة فيها العباس بن محمد فدخل بلاد الروم ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث ومات محمد بن الأشعث في الطريق وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي وولاه المنصور على مكة والحجاز عوضا عن عمه عبد الصمد بن علي وعمال الأمصار فيها هم الذين في التي قبلها وفيها توفي زكريا بن أبي زائدة وكهمس بن الحسن والمثنى بن الصباح وعيسى بن عمر أبو عمر الثقفي البصري شيخ سيبويه يقال إنه من موالي خالد بن الوليد وإنما نزل في ثقيف فنسب إليهم وكان إماما كبيرا جليلا في اللغة والنحو والقراءات أخذ ذلك عن عبد الله بن كثير وابن محيصن وعبد الله بن إسحق وسمع الحسن البصري وغيرهم وعنه الخليل بن أحمد والأصمعي وسيبويه ولزمه وعرف به وانتفع به وأخذ كتابه الذي صنفه وسماه الجامع فزاد عليه وبسطه فهو كتاب سيبويه اليوم وكان يسأل عما أشكل عليه لشيخه الخليل بن أحمد وقد سأل الخليل يوما سيبويه عما صنف عيسى بن عمر فقال جمع بضعة وسبعين كتابا ذهب كلها إلا كتابه الإكمال وهو بأرض فارس وكتابه الجامع وهو الذي اشتغل فيه وأسألك عنه فأطرق الخليل ساعة ثم أنشد

ذهب النحو جميعا كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع ... وهما للناس شمس وقمر

وقد كان عيسى بن عمر يتقعر في عبارته جدا وقد حكى الجوهري عنه في الصحاح أنه سقط يوما عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال لهم ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني معناه ما لكم تجمعتم علي تجمعكم على مجنون انكشفوا عني وقال غيره كان ضيق النفس فسقط بسببه فاعتقد الناس أنه مصروع فجعلوا يعوذونه ويقرأون عليه فلما أفاق من غشيته قال ما قال فقال بعضهم إن جنيته يتكلم بالفارسية وذكر القاضي ابن خلكان أنه كان صاحبا لأبي عمرو بن العلاء وإن عيسى بن عمر قال يوما لأبي عمرو بن العلاء أنا أفصح من معد بن عدنان فقال له أبو عمرو وكيف تنشد هذا البيت

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين بدأن للنظار

أو بدين فقال بدأن فقال له أخطأت ولو قال بدين لأخطأ أيضا وإنما أراد أبو عمرو تغليطه وإنما الصواب بدون من بدا يبدو إذا ظهر وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء

سنة خمسين ومائة من الهجرة النبوية

فيها خرج رجل من الكفرة يقال له أستاذ سيس في بلاد خراسان فاستحوذ على خراسان أكثرها واتبعه نحو من ثلثمائة ألف وقتلوا من المسلمين ممن التقاهم خلقا كثيرا وهزموا الجيوش الذين كانوا بتلك البلاد وسبوا خلقا واستحكم الفساد بسببهم وتفاقم أمرهم فوجه المنصور خازم بن خزيمة إلى ابنه المهدي ليولي حرب تلك البلاد ويضم إليه من الأجناد ما يقاوم أولئك فنهض المهدي في ذلك نهضة رجل ما يشعر وجمع لخازم بن خزيمة الإمرة على تلك الجيوش وبعثه في نحو من أربعين ألف فارس إليهم وما زال يراوغهم ويماكرهم ويعمل الخديعة حتى فاجأهم بالحرب وواجههم بالضرب فقتل منهم نحوا من سبعين ألفا وأسر أربعة عشر ألفا وتحصن أستاذ سيس فتحرز في جبل فجاء خازم بن خزيمة إلى تحت الجبل فقتل أولئك الأسارى كلهم ولم يزل يحاصره حتى نزل على حكم بعض الأمراء فحكم أن يقيد بالحديد هو وأهل بيته وأن يعتق من معه من الأجناد وكانوا ثلاثين ألفا ففعل خازم ذلك كله وأطلق لكل واحد ممن كان مع أستاذ سيس ثوبين ثوبين وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدي فكتب المهدي بذلك إلى أبيه المنصور وفيها عزل الخليفة عن إمرة المدينة جعفر بن سليمان وولاها الحسن بن زيد بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وفيها حج بالناس عبد الصمد بن علي عم الخليفة وتوفي فيها جعفر بن أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ودفن ليلا بمقابر بني هاشم من بغداد وفيها توفي عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وعثمان بن الأسود وعمر بن محمد بن زيد أحد أئمة أهل الحجاز ويقال إنه أول من جمع السنن

ذكر ترجمة الإمام أبي حنيفة رحمه الله أحد أئمة الإسلام والسادة الأئمة الأعلام

وفيها توفي الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي فقيه العراق وأحد أركان العلماء وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة وهو أقدمهم وفاة لأنه أدرك عصر الصحابة ورأى أنس بن مالك قيل وغيره وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة فالله أعلم وروى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحماد بن أبي سليمان وسلمة بن كهيل وعامر الشعبي وعطاء وعكرمة وقتادة والزهري ونافع مولى ابن عمر ويحيى بن سعيد الأنصاري وأبو إسحاق السبيعي وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان وإسحاق بن يوسف الأزرق وأسد بن عمرو القاضي والحسن بن زياد اللؤلؤي وحمزة الزيات وداود الطائي وزفر وعبد الرزاق وأبو نعيم ومحمد بن الحسن الشيباني وهشيم ووكيع وأبو يوسف القاضي قال يحيى بن معين كان ثقة وكان من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيا قال وقد كان يحيى بن سعيد يختار قوله في الفتوى وكان يحيى يقول لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله وقال عبد الله بن المبارك لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس وقال الشافعي عن مالك رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وقال الشافعي من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ومن أراد السيرة فهو عيال على محمد بن إسحاق ومن أراد الحديث فهو عيال على مالك ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان وقال عبد الله بن داود الخريبي ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتهم لأبي حنيفة لحفظه الفقه والسنن عليهم وقال سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه وقال أبو نعيم كان صاحب غوص في المسائل وقال مكي بن إبراهيم

كان اعلم اهل الارض وروى الخطيب البغدادي باسناده عن اسد بن عمرو ان ابا حنيفة
كان يصلي الليل ويقرا القران في كل ليلة ويبكي حتى يرحمه جيرانه ومكث اربعين سنة
يصلي الصبح بوضوء العشا وانه ختم القران في الموضع الذي توفي فيه سبعين الف مرة
وكانت وفاته في رجب من هذه السنة اعني سنة خمسين ومائة وعن ابن معين سنة
احدى وخمسين وقال غيره سنة ثلاث وخمسين والصحيح الاول وكان ميلاده
في سنة ثمانين فتم له من العمر سبعين سنة وصلي عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزحام
وقبره هناك ببغداد مشهورا ٥

ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائة

فيها عزل الخليفة المنصور عمر بن حفص عن السند وولى عليها هشام بن عمرو التغلبي
وكان سبب عزله عمر بن حفص عن السند ان محمد بن عبد الله بن حسن لما ظهر كان بعث
ابنه عبد الله الملقب بالاشتر ومعه جماعة بهديه خيول عتاق الى عمر بن حفص بالسند
فقبلها فدعوه الى دعوة محمد بن عبد الله بن حسن في السر فاجابهم الى ذلك وبايع
له من استطاع من الامرا سرا فاجابوه الى ذلك ايضا ولبسوا البياض فلما جاء الخبر
بمقتل محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة اسقط في يدي عمر بن حفص واصحابه
واخذوا في الاعتذار الى عبد الله بن محمد فقال له عبد الله اني اخشى على نفسي فقال
له سابعثك الى ملك من المشركين في جوار ارضنا وانه من اشد الناس تعظيما لرسول
الله وانه متى عرف انك من سلالته احبك فاجابه الى ذلك وصار عبد الله بن محمد الى
ذلك الملك فكان عنده امنا وصار عبد الله يركب في موكب من الناس ويتصيد في جحفل
من الجنود وانضم اليه قوم وقدم عليه طوايف من الزيدية واما المنصور فانه بعث يعتب
على عمر بن حفص نايب السند فقال لرجل من الامرا امض اليه واجعل القضية منسوبة
الي فاني ساعتذر اليه من ذلك فان سلمت والا كنت فداك وفدا من عندك من الامرا فاثار
سفيرا في القضية فلما وقف بين يدي الخليفة امر بضرب عنقه وكتب الى عمر بن حفص
يعزله عن السند وولاه بلاد افريقية عوضا عن اميرها ولما وجه المنصور هشام بن
عمرو الى السند امره ان يجتهد في تحصيل عبد الله بن محمد فجعل يتوانى في ذلك فبعث
اليه المنصور يستحثه في ذلك ثم اتفق ان سعى اخا هشام بن عمرو لقي عبد الله
بن محمد في بعض الاماكن فقتلوا فقتل عبد الله واصحابه جميعا واشتبه عليهم
مكانه في القتلى فلم يقدروا عليه فكتب هشام بن عمرو الى ذلك الملك فقاتله فغلبه
وقهره على بلاده واموالا له وحواصله وبعث بالفتح والاخماس وبذلك الغلام الى المنصور
ففرح المنصور بذلك وبعث بذلك الغلام الى المدينة وكتب الى نايبها يعلم بصحة
نسبه وبامره ان يلحقه باهله يكون عنده ليلا يضيع نسبه فهو الذي يقال له ابو الحسن
بن الاشتر وفي هذه السنة قدم المهدي على ابيه من بلاد خراسان فتلقاه ابوه والامرا
والاكابر الى اثنا الطريق وقدم نواب البلاد من الشام وغيرها للسلام عليه وتهنيته
بالسلامة والنصرة

بناء الرصافة ٥

قال ابن جرير وفي هذه السنة المباركة شرع المنصور في بناء الرصافة لابنه المهدي بعد

مقدم

مقدمه من خراسان والرصافة في الجانب الشرقي فجعل له سورا وخندقا وعمل عندها
ميدانا وبستانا واجرى اليها الماء في نهر المهدي قال ابن جرير وفيها جدد المنصور
لنفسه البيعة ولولده المهدي من بعده ولعيسى بن موسى من بعدهما وجاء الامرا والخواص
فبايعوا وجعلوا يقبلون يد المنصور ويد ابنه المهدي ويلمسون يد عيسى بن موسى ويشيرون
بالتقبيل اليها ولا يقبلونها قال الواقدي وولى المنصور معن بن زايدة سجستان
وحج بالناس فيها محمد بن ابراهيم الامام وهو نايب مكة والطايف وعلى المدينة الحسن
بن زيد وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى البصرة جابر بن زيد الكلابي وعلى مصر يزيد
ابن حاتم ونايب خراسان يزيد حميد بن قحطبة ونايب سجستان معن بن زايدة وغزا
الصايفة في هذه السنة عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد

وممن توفي فيها من الاعيان ٥

حنظلة بن ابي سفيان وعبد الله بن عون ومحمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة
النبوية التي جمعها فجعلها علما يهتدون به وفخرا يتحلى به الناس كلهم عيالا عليه
في ذلك كما قال محمد بن ادريس الشافعي وغيره من ايمة الاسلام

ودخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة

فيها عزل المنصور عن امرة مصر يزيد بن حاتم وولاها محمد بن سعيد وبعث الى
نايب افريقية وكان قد بلغه انه عصى وخالف فالحاجب به فامر بضرب عنقه وعزل عن
البصرة جابر بن توبة الكلابي وولاها يزيد بن منصور وفيها قتلت الخوارج معن
ابن زايدة بسجستان وفيها توفي عباد بن منصور ويونس بن يزيد الايلي وفيها
غضب امير المومنين المنصور على كاتبه ابي ايوب الموريانى وسجنه وسجن اخاه خالدا
وبني اخيه الاربعة سعيدا ومسعودا ومخلدا ومحمدا وطالبهم بالاموال الكثيرة وكان سبب
ذلك ما ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة ابي جعفر المنصور وهو انه كان في زمن
شبيبته قد ورد الموصل وهو فقير لا شي له ولا معه فاجر نفسه من بعض الملاحين
حتى اكتسب شيا فتزوج به امراة ثم جعل يعدها ويمنيها انه من بيت سيصير اليهم
الملك سريعا فاتفق حبلها منه ثم تطلبه بنو امية فهرب عنها وتركها ووضع
عندها رقعة فيها نسبه انه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وامرها اذا بلغ
ما امره ان تاتيه واذا ولدت غلاما ان تسميه جعفرا فولدت غلاما فسمته جعفرا ونشا
الغلام فتعلم الكتابة وعلوم العربية والادب فاتقن ذلك اتقانا جيدا وال الامر
لبني العباس فسال عن السفاح فاذا هو ليس بصاحبها ثم قام المنصور وسار
الولد الى بغداد فاختلط بكتاب الرسايل فاعجب به ابو ايوب الموريانى صاحب ديوان
الانشا للمنصور وحظي عنده وقدمه على غيره فاتفق حضوره معه بين يدي الخليفة
فجعل الخليفة يلاحظه ثم بعث يوما الخادم ليا تيه بكاتب فدخل ومعه ذلك الغلام
فكتب بين يدي الخليفة كتابا وجعل الخليفة ينظر اليه ويتامله ثم سال عن اسمه
فاخبره انه جعفر فقال ابن من فسكت الغلام فقال ما لك لا تتكلم فقال
يا امير المومنين ان خبري كيت وكيت فتغير وجه الخليفة ثم ساله عن امه فاخبره وساله
عن احوال بلد الموصل فجعل يخبره والغلام يتعجب ثم قام اليه الخليفة فاحتضنه

وقال لابنه ابني شهر بعثه بعقد ثمين وما احزبك وكتاب الى امه يعلمها بحقيقة حال
الزوج وخرج الغلام ومعه ذلك من باب سر الخليفة واحرز ذلك ثم جاء الى ابي ايوب
فقال له ما ابطاك عند الخليفة فقال انه استكتبني في رسايل كثيرة وتقاولا ثم
تناوله الغلام مختصنا ونهض من فوره فاستاجر الى الموصل ليعلم امه ويحملها واهلها
الى بغداد الى مكان نعتها امير الخليفة فسار مراحل ثم سال عنه ابو ايوب فقيل
سافر فظن ابو ايوب انه قد افشى شيا من اسراره الى الخليفة وهرب منه فبعث في
طلبه رسولا وقال حيث وجدته فرده على فسار الرسول في طلبه فوجده في بعض
المنازل فخنقه والقاه في بير واخذ ما كان معه ورجع به الى ابي ايوب فلما وقف ابو
ابو ايوب على الكتاب سقط في يده وندم على بعثه خلفه وانتظر الخليفة عود ولده
اليه واستبطاه فبعث من كشف خبره فاذا رسول ابي ايوب قد خنقه وقتله فحنق
فاستحضر ابا ايوب والزمه باموال عظيمة وما زال تحت العقوبة حتى استصفى جميع
امواله وخواصه ثم قتله وقال هذا قتل حبيبي وكان المنصور كلما ذكره حزن عليه
حزنا شديدا وفيها خرجت الخوارج من الصفرية وغيرهم ببلاد افريقية فاجتمع منهم
ثلثماية الف وخمسون الف ما بين فارس وراجل وعليهم ابو حاتم الاباضي وابو عباد
وانضم اليهم ابو قرة الصفري في اربعين الفا فقاتلوا نايب افريقية وهزموا جيشه
وقتلوه وهو عمر بن حفص بن عثمان بن ابي صفرة الذي كان نايب السند فعزله المنصور عنها
بسبب ما بعثه محمد بن عبد الله بن حسن وولاه هذه البلاد فقتله الخوارج رح واكثرت
الخوارج الفساد في البلاد وقتلوا الحريم والاولاد واذوا عامة البلاد وفيها الزم
المنصور الناس بلبس قلانس سود طوال جدا حتى كانوا يستعينون على رفعها
من داخلها بالقصب فقال ابو دلامة الشاعر في ذلك

وكنا نرجي من امام زيادة • فزاد الامام المصطفى في القلانس

تراها على هام الرجال كانها • دنان يهود جللت بالبرانس

وفيها غزا الصايفة معيوف بن يحيى الحجوري فاسر خلقا كثيرا من الروم ما ينيف عن
ستة الاف اسير وغنم اموالا جزيلة وحج بالناس في هذه السنة محمد بن امير المومنين المنصور
وهو ولي العهد الملقب بالمهدي وكان على نيابة مكة والطايف محمد بن ابراهيم وعلى المدينة
الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى البصرة يزيد بن منصور وعلى مصر محمد
بن سعيد وذكر الواقدي ان يزيد بن منصور كان والي المنصور في هذه السنة اليمن
فالله اعلم وفيها توفي ابان بن صمعة واسامة بن زيد الليثي وثور بن يزيد الحمصي والحسن
ابن عمارة وفطر بن خليفة ومعمر وهشام بن الغاز

ثم دخلت سنة اربع وخمسين ومائة

فيها دخل المنصور الشام وزار بيت المقدس وجهز يزيد بن حاتم في خمسين الفا وولاه بلاد افريقية
وامره بقتال الخوارج وانفق على هذا الجيش نحوا من ثلاثة وستين الف الف درهم وغزا
الصايفة زفر بن عاصم الهلالي وحج بالناس فيها محمد بن ابراهيم ونواب الاقاليم المذكورين
في التي قبلها سوى البصرة فوليها عبد الملك بن ايوب بن ظبيان وفيها توفي ابو ايوب
المورياني الكاتب واخوه خالد فامر المنصور في بني اخيه ان يقطع ايديهم وارجلهم ثم يضرب

بعد

بعد ذلك اعناقهم ففعل ذلك

اشعب الطامع

هو ابن جبير ابو العلاء ويقال ابو اسحاق المدني ويقال له ابن ام حميدة وكان ابوه مولى لابن الزبير
فقتله المختار بن ابي عبيد وهو خال الواقدي روى عن عبد الله بن جعفر ان رسول الله كان
يتختم في اليمين وابان بن عثمان وسالم وعكرمة وكان ظريفا ماجنا يحبه اهل زمانه لخلاعته
وطمعه وكان يجيد الغنا وقد وفد على الوليد بن يزيد دمشق وترجمه ابن عساكر فيها اشياء
مضحكة واسند عنه حديثين ويروى عنه انه سيل يوما ان يحدث فقال حدثني عكرمة
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خصلتان من عمل بهما دخل الجنة ثم
سكت فقيل له وما هما فقال نسي عكرمة الواحدة ونسيت انا الاخرى وكان سالم بن عبد الله بن
عمر يستحضره فيستحكيه ويضحك منه وياخذه معه الى الغابة وكذلك كان غيره من اكابر الناس
وقال الشافعي عبث الولدان يوما باشعب فقال لهم ان هاهنا اناسا يفرقون الجوز فتسارعوا
الى ذلك فلما راهم مسرعين قال لعله حق فتبعهم وقال له بعضهم ما بلغ من طمعك فقال
ما زفت عروس بالمدينة الا رجوت ان تزف الى فاكنس داري واطف بابي واجتاز يوما
على رجل يصنع طبقا من قش فقال له زد فيه طورا او طورين لعله يهدى لنا فيه يوما هدية
وروى الحافظ ابن عساكر ان اشعب غنى يوما لسالم بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعرا

مضيء كالبدر سنة وجهها • مطهرة الاثواب والدين وافر

لها حسب زاك وعرض مهذب • وعن كل مكروه من الامر زاجر

من الخفرات البيض لم تلق ريبة • ولم يستملها عن تقى الله شاعر

فقال له سالم احسنت زدنا فغناه

المت بنا والليل داج كانه • جناح غراب عنه قد نفض القطرا

فقلت اعطار ثوى في رحالنا • وما علمت ليلى سوى ريحها عطرا

فقال له احسنت ولولا ان يتحدث الناس لاجزلت لك الجايزة وانك من الامر لبمكان
توفي جعفر بن برقان والحكم بن ابان وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وقرة بن خالد وابو عمرو
ابن العلا احد الايمة القرا واسمه كنيته وقيل اسمه زبان والصحيح الاول هو ابو عمرو بن
العلا بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري وقيل غير ذلك
في نسبه وكان علامة زمانه في اللغة والنحو وعلم القران ومن كبار العلما العاملين
يقال انه كتب ملء بيت من كلام العرب ثم تزهد فاحرقه ثم راجع الامر الاول فلم يكن
عنده ما كان يحفظه من كلام العرب وكان قد لقي خلقا من اعراب الجاهلية وكان مقدما
ايام الحسن البصري فمن بعده ومن اختياراته العربية قوله في تفسير الغرة في الجنين انها
لا يقبل فيها الا ابيض غلاما كان او جارية وفهم ذلك من قوله عليه السلام غرة عبدا وامة
قال ولو اراد اي عبد كان او جارية لما قيده بالغرة وانما الغرة البياض قال القاضي ابن
خلكان وهذا غريب ولا اعلم هل يوافق احد من الايمة المجتهدين ام لا وذكروا انه كان اذا دخل
شهر رمضان لا ينشد فيه بيتا من الشعر حتى ينسلخ وانه يشتري له كل يوم كوزا جديدا وريحانا
طريا وقد صحبه الاصمعي نحوا من عشر سنين وكانت وفاته في هذه السنة وقيل سنة ست
وخمسين وقيل تسع وخمسين ومائة وقبره بالشام وقيل بالكوفة وقد قارب التسعين

وقيل انه جاوز مائة

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

فيها دخل يزيد بن حاتم بلاد افريقية فانه تغلبوا عليها وعاثوا في بلاده وقتل من كان يغلب عليها من الخوارج وقتل امراوهم واصغروا اذل اشرافهم واز عمر آثارهم وبدد آلافهم واستبدل اهل البلاد هناك بالخوف سلامة وبالاهانة تكرمة وكان في جملة من قتل من امرائهم ابو حاتم وابو عباد الخارجيان ثم لما استقامت له ديه الامور في البلدان دخل بعد ذلك بلاد القيروان فمهدها واقر اهلها وقرر امورها وازال المحذور بها

بناء الرافقة المدينة المشهورة

وفيها امر المنصور ولده المهدي ببناء الرافقة على منوال بناء بغداد ففعل ذلك في هذه السنة المباركة وفيها امر المنصور ببناء سور وعمل خندق حول الكوفة واخذ ما عزم على ذلك من اموال اهلها من كل انسان من ذوي اليسار اربعين درهما وكان قد فرضها اولا خمسة دراهم خمسة دراهم فجبيت اربعين اربعين فقال في ذلك بعضهم

• يا لقومي ما لقينا من امير المومنين • قسم الخمسة فينا وجبانا الاربعين •

وفيها غزا الصايفة يزيد بن اسيد السلمي وفيها طلب ملك الروم الصلح من ابي جعفر المنصور على ان يحمل المنصور اليه اي ان يحمل الى المنصور الجزية وفيها عزل المنصور اخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه اموالا كثيرة وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي عن امارة الكوفة فقيل لامور بلغته عنه من تعاطي منكرات وامور لا تليق بالعمال وقيل لقتله محمد بن ابي العوجا وقد كان ابن ابي العوجا هذا زنديقا يقال انه لما امر بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع اربعة الاف حديث يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ويصوم الناس في يوم الفطر ويفطرهم في ايام الصيام فاراد المنصور ان يجعل قتله له ذنبا فعزله به واراد ان يقيده منه فقال له عيسى بن موسى يا امير المومنين لا تعزله بهذا فانه انما قتله على الزندقة ومتى عزلته بهذا شكره العامة وذموك فتركه حينا ثم عزله عن الكوفة بعد ذلك وولى عليها عمرو بن زهير وفيها عزل المنصور عن المدينة الحسن بن زيد وولى عليها عمه عبد الصمد بن علي وجعل معه فليح بن سليمان مشرفا عليه وعلى امرة مكة محمد بن ابراهيم بن محمد وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى البصرة الهيثم بن معاوية وعلى مصر محمد بن سعيد وعلى افريقية يزيد بن حاتم وفيها توفي صفوان بن عمرو وعثمان بن ابي العاتكة الدمشقيان وعثمان بن عطا ومسعر بن كدام وحماد الراوية وهو ابن ابي ليلى ميسرة ويقال سابور بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بكر بن زيد الخيل الطائي كان من اعلم الناس بايام العرب واخبارها واشعارها ولغاتها وهو الذي جمع السبع المعلقات الطوال وانما سمي الراوية لكثرة روايته الشعر عن العرب اختبره الوليد بن يزيد بن عبد الملك امير المومنين فانشده تسعا وعشرين قصيدة على حروف المعجم كل قصيدة نحو من مائة بيت وزعم انه لا يسمى له شاعر من شعراء العرب الا انشد له ما لا يحفظه غيره فاطلق له مائة الف درهم وذكر ابو محمد الحريري في كتابه درة الغواص ان هشام بن عبد الملك استدعاه من العراق من نائبه يوسف بن عمر فلما دخل عليه اذا هو في دار كبيرة مرخمة بالرخام الابيض والذهب واذا عنده جاريتان حسانان جدا فاستنشده شيا فانشده فقال له سل حاجتك فقال كاينة ما كانت يا امير المومنين

فقال وما هي قال تطلق لي احدى الجاريتين فقال لهما لك وما عليهما واحلاه في بغض وره واطلق له مائة الف درهم هذا ملخص حكايته والظاهر ان هذا الخليفة انما هو الوليد بن يزيد فانه ذكر انه شرب معه وهشام لم يكن يشرب ولم يكن نائبه على العراق يوسف بن عمر انما كان خالد بن عبد الله القسري ثم بعده يوسف بن عمر وكانت وفاة حماد في هذه السنة عن ستين سنة قال ابن خلكان وقيل انه ادرك خلافة المهدي سنة ثمان وخمسين فالله اعلم وفيها قتل حماد عجرد على الزندقة وهو حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي ويقال انه واسطي من ولد بني سراة وكان شاعرا ماجنا ظريفا خليعا لكنه كان متهما على الاسلام وقد ادرك الدولتين الاموية والعباسية لكنه ما اشتهر الا في ايام بني العباس وكان بينه وبين بشار بن برد مهاجاة كثيرة فلما قتل بشار على الزندقة ايضا دفن معه في قبره وقيل ان حماد عجرد مات في سنة ثمان وخمسين وقيل سنة احدى وستين ومائة فالله اعلم

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

فيها ظفر الهيثم بن معاوية نايب البصرة بعمرو بن شداد الذي كان عاملا لابراهيم بن محمد على فارس فقتل بالبصرة فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه ثم صلب وفيها عزل المنصور الهيثم بن معاوية عن البصرة وولى عليها قاضيها سوار بن عبد الله فجمع له بين القضاء والصلاة وجعل على شرطتها واحداثها سعيد بن دعلج ورجع الهيثم بن معاوية الى بغداد فمات فيها في هذه السنة فجاة وهو على بطن جارية له فصلى عليه المنصور ودفن بمقابر بني هاشم وحج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد اخو امير المومنين ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها وعلى فارس والاهواز وكور دجلة عمارة بن حمزة وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو وفيها توفي حمزة الزيات في قول وهو احد القراء المشهورين والعباد المذكورين واليه تنسب المدود الطويلة من القراءات وقد تكلم فيه بسببها بعض الايمة وسعيد بن ابي عروبة وهو اول من جمع السنن في قول وعبد الله بن شوذب وعبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقي وعمر بن ذر

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

وفيها بنى المنصور قصره المسمى بالخلد في بغداد وكان المستحث في عمارته ابان بن صدقة والربيع مولى المنصور الحاجب وفيها حول المنصور الاسواق من قرب دار الامارة الى باب الكرخ وقد ذكرنا فيما تقدم سبب ذلك وفيها امر بتوسعة الطرقات وفيها امر بعمل جسر عند باب الشعير وفيها استعرض المنصور جنده وهم ملبسون السلاح وهو ايضا لابس سلاحا عظيما وكان ذلك عند دجلة وفيها عزل عن السند هشام بن عمرو وولى عليها معبد بن الخليل وفيها غزا الصايفة يزيد بن اسيد السلمي فوغل في بلاد الروم وبعث سنانا مولى البطال بين يديه ففتح بعض حصونهم وغنم وفيها حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها وقد بقي اهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحوا من مائتي سنة

وهذا ذكر شي من ترجمة الاوزاعي رحمه الله

هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ابو عمرو الاوزاعي والاوزاع بطن من حمير وهو من انفسهم قاله محمد ابن سعد وقال غيره لم يكن من انفسهم وانما نزل في محلة الاوزاع وكانت قرية خارج باب

البلاد بيروت من دمشق وهو ابن عم يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال أبو زرعة وأصله من سبي السند
فنزل الأوزاع فغلب عليه النسبة إليها قال غيره ولد ببعلبك ونشأ بالبقاع يتيما في حجر أمه
وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد وتأدب بنفسه فلم يكن في أبناء الملوك والوزراء أعقل منه
ولا أورع ولا أعلم ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم ولا أكثر صمتا منه وما تكلم بكلمة إلا كان المتعين
على من سمعها من جلسائه أن يكتبها من حسنها وكان يعاني الرسائل والكتابة وقد اكتتب في بعث
إلى اليمامة فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير وانقطع إليه فأرشده إلى الرحلة إلى البصرة ليسمع
من الحسن وابن سيرين فسار إليها فوجد الحسن قد توفي من شهرين ووجد ابن سيرين مريضا
فجعل يتردد لعيادته فقوي المرض به ومات ولم يسمع منه الأوزاعي شيئا وجاء فنزل دمشق
بمحلة الأوزاع خارج باب الفراديس وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث
والمغازي وعلوم الإسلام وقد أدرك خلقا من التابعين وغيرهم وحدث عنه جماعات من سادات
المسلمين كمالك بن أنس والثوري والزهري وهو من شيوخه وأثنى عليه غير واحد من الأئمة
وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته قال مالك كان الأوزاعي إماما يقتدى به وقال
سفيان بن عيينة وغيره كان الأوزاعي إمام أهل زمانه وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثوري آخذ
بزمام جمله ومالك يسوق به والثوري يقول افسحوا للشيخ وقد
تذاكر مالك والأوزاعي بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر ومن العصر حتى صليا المغرب
فغمره الأوزاعي في المغازي وغمره مالك في الفقه وتناظر هو والثوري في مسجد الخيف
في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه فاحتج الأوزاعي بما رواه عن الزهري عن سالم عن
أبيه أن رسول الله كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه واحتج الثوري بحديث يزيد بن أبي
زياد عن كذا فغضب الأوزاعي قال أتعارض حديث الزهري بحديث
يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف فاحمار وجه الثوري فقال له الأوزاعي لعلك كرهت
ما قلت لك قال نعم قال فقم بنا حتى نلتعن عند الركن أينا على الحق فسكت الثوري
وقال هقل عن الأوزاعي في سبعين ألف مسألة وقال أبو زرعة روي عنه ستون ألف
مسألة وقال غيرهما أفتى في سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ثم
لم يزل يفتي حتى مات وقال يحيى القطان عن مالك اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو
حنيفة فقلت أيهم أرجح قال الأوزاعي وقال محمد بن عجلان ما رأيت أحدا أنصح للمسلمين من
الأوزاعي وقال غيره ما رؤي الأوزاعي ضاحكا مقهقها قط ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى
أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه وما رأيناه يبكي في مجلسه قط أبدا وقال يحيى بن معين العلماء أربعة
الثوري وأبو حنيفة ومالك والأوزاعي والأوزاعي ثقة وليس يوفي الزهري بما أخذ كتاب
الزبيدي عن الزهري بما أنزلنا رواه عن الزهري وقال أبو حاتم كان ثقة متبعا لما سمع
قالوا وكان الأوزاعي لا يلحن في كلامه وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها
ويتعجب من فصاحتها وحلاوتها فقال يوما لأحظى كتابه عنده وهو سليمان بن مجالد
ينبغي أن تجيب الأوزاعي عن كتبه فقال والله يا أمير المؤمنين والله لا يقدر أحد من أهل الأرض
على ذلك وإنا لنستعين بكلامه فيما نكاتب به أهل الآفاق ممن لا يدرون أنه كلام الأوزاعي وقال
الوليد بن مسلم كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ويأثر عن
السلف ذلك قال ثم يقومون فيتذاكرون في الفقه والحديث وعن الأوزاعي أنه قال

رأيت رب العزة في المنام فقال لي أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقلت بفضلك
يا رب وقلت يا رب أمتني على الإسلام فقال وعلى السنة وقال محمد بن شعيب بن شابور
قال لي شيخ بجامع دمشق أنا ميت في يوم كذا وكذا فلما كان ذلك اليوم رأيته في صحن الجامع
يتفلى فقال لي اذهب إلى سرير الموتى فاحرزه لي عندك قبل أن تسبق إليه فقلت ما تقول
فقال هو ما أقول لك إني رأيت كأن قائلا يقول فلان قدري وفلان كذا وعثمان بن أبي
العاتكة نعم الرجل وأبو عمرو الأوزاعي خير من يمشي على وجه الأرض وأنت ميت في يوم كذا وكذا
قال محمد بن شعيب فما جاء الظهر حتى مات وصلي عليه بعدها وأخرجت جنازته ذكره
ابن عساكر وكان الأوزاعي رح كثير العبادة حسن الصلاة وكان يقول من أطال القيام في
صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة وكان يأخذ ذلك من القرآن
وهو قوله تعالى ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا وقال الوليد بن مسلم ما رأينا أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة
وقال غيره حج فما نام على الراحلة إنما هو في صلاة فإذا نعس استند إلى القتب وقال غيره
كان من شدة الخشوع كأنه أعمى ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرأت الحصير التي يصلي عليها
مبلولا فقالت لها لعل الصبي بال هاهنا فقالت لها هذا من أثر دموع الشيخ في سجوده
وهكذا يصبح كل يوم وقال الأوزاعي عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك
وأقوال الرجال وإن زخرفوه بالقول فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم وقال
أيضا اصبر على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا وليسعك
ما وسعهم وكان يقول العلم ما جاء عن أصحاب محمد وما لم يجئ عنهم فليس بعلم وكان يقول
لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلب مؤمن وإذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم باب
الجدل وسد عليهم باب العمل قالوا وكان من أكرم الناس وأسخاهم وكان له في بيت المال
على الخلفاء إقطاع فصار إليه من بني أمية وبني العباس نحو من سبعين ألف دينار فلم
يقتن منها شيئا ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كان ينفقها كلها في سبيل الله وفي الفقراء
ولما دخل عبد الله بن علي دمشق وسلب الملك من أيدي بني أمية طلب الأوزاعي فتغيب عنه
ثلاثة أيام ثم أحضر بين يديه قال فدخلت عليه وهو على سريره وفي يده خيزرانة
والمسودة عن يمينه وشماله معهم السيوف مصلتة والعمد الحديد فسلمت فلم يرد ونكت
بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال يا أوزاعي ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك
الظلمة أرباط هو قال فقلت أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول سمعت
محمد بن إبراهيم التيمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى
فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها
أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه قال فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت وجعل
من حوله يعضون على أيديهم ثم قال يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية فقلت قال
رسول الله لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك
لدينه المفارق للجماعة فنكت أشد من ذلك ثم قال ما تقول في أموالهم فقلت إن كانت
في أيديهم حراما فهي حرام عليك أيضا وإن كانت لهم حلالا فلا تحل لك إلا بطريق شرعي فنكت

بالخيزرانة ايضا ثم قال الا تولينا القضا فقلت انا سلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك واني احب ان تتم ما ابتداوني به من الاحسان فقال كانك تحب الانصراف فقلت ان ورائي حرما وهم محتاجون الى القيام عليهن وسترهن قال وانتظرت راسي ان يسقط بين قدمي فامرني بالانصراف فلما خرجت اذا رسوله من ورائي واذا معه مائتا دينار فقال يقول لك الامير انفق هذه قال فتصدقت بها وكان في تلك الايام الثلاثة صايما طاويا فيقال ان الامير لما بلغه ذلك عرض عليه الافطار عنده فابى ان يفطر عنده رح قالوا ثم رحل الاوزاعي من دمشق فنزل بيروت مرابطا باهله واولاده قال واعجبني فيها اني مررت بقبورها فاذا امراة سوداء فقلت لها يا هنتاه اين العمارة فقالت ان اردت العمارة فهي هذه وان كنت تريد الخراب فامامك واشارت الى البلد فعزمت على الاقامة بها وقال محمد بن كثير سمعت الاوزاعي يقول خرجت يوما الى الصحرا فاذا رجل من جراد واذا شخص راكب على جرادة منها وعليه سلاح الحديد وكلما قال بيده هكذا قال الجراد مع يده وهو يقول الدنيا باطل باطل باطل ما فيها الدنيا باطل باطل باطل ما فيها الدنيا باطل باطل باطل ما فيها وقال الاوزاعي كان عندنا رجل يخرج يوم الجمعة الى الصيد ولا ينتظر الجمعة فخسف ببغلته فلم يبق منها الا اذناها وخرج الاوزاعي يوما من باب مسجد بيروت وهناك دكان فيه ناطف والى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول يا احلى من الناطف فقال سبحان الله ما يرى هذا بالكذب باسا وقال الواقدي قال الاوزاعي كنا قبل اليوم نلعب ونضحك فاما اذ صرنا ايمة يقتدى بنا فينبغي ان نتحفظ وكتب الى اخ له اما بعد فقد احيط بك من كل جانب وانه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والقيام بين يديه وان يكون اخر عهدك به والسلام وقال ابن ابي الدنيا حدثني محمد بن ادريس سمعت ابا صالح كاتب الليث يذكر عن الهقل بن زياد عن الاوزاعي انه وعظ فقال في موعظته ايها الناس تقووا بهذه النعم التي اصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فانكم في دار الثوا فيها قليل وانتم فيها مرحلون خلايف بعد القرون التي استقبلوا من الدنيا انفها وزهرتها فهم كانوا اطول منكم اعمارا وامد اجساما واعظم اثارا فجددوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا في البلاد موبدين ببطش شديد واجسام كالعماد فما لبثت الايام والليالي ان طوت مدتهم وعفت اثارهم واخربت منازلهم وانست ذكرهم فما تحس منهم من احد ولا تسمع لهم ركزا كانوا بلهو الامل امنين لميقات يوم غافلين او لصباح يوم نادمين ثم انكم علمتم الذي نزل بساحتهم بياتا من عقوبة الله فاصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين واصبح الباقون ينظرون في اثار نقمة وزوال نعمة ومساكن خاوية اية للذين يخافون العذاب الاليم وعبرة لمن يخشى واصبحتم من بعدهم في اجل منقوص ودنيا مقبوضة في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه فلم يبق منه الا حمة شر وصبابة كدر واهاويل عبر وعقوبات غير وارسال فتن وتتابع زلازل ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر فلا تكونوا اشباها لمن خدعه الامل وغره طول الاجل وتبلغ بالاماني نسال الله ان يجعلنا واياكم ممن دعا عاذره وانتهى وعقل مثواه فمهد لنفسه وقد اجتمع الاوزاعي بالمنصور حين دخل الشام ووعظه واحبه المنصور وعظمه ولما اراد الانصراف استاذنه في ان لا يلبس السواد فاذن له فلما خرج قال المنصور للربيع الحاجب الحقه

فسله لم كره لبس السواد ولا تخبره اني قلت لك فساله الربيع فقال لاني لم ار محرما احرم به ولا ميتا كفن به ولا عروسا جليت به فلهذا اكرهه وقد كان الاوزاعي في الشام اعز من امر السلطان هم به بعض الولاة فقال له اصحابه دعه عنك فوالله لو امر الشاميين ان يقتلوك لقتلوك ولما مات جلس على قبره بعض الولاة فقال رحمك الله فوالله لقد كنت اخاف منك اكثر مما اخاف من الذي ولاني وقد قال ابن ابي العشرين ما مات الاوزاعي حتى جلس وحده وسمع شتمه باذنه وقال ابو بكر بن ابي خيثمة ثنا محمد بن عبيد ۝ الطنافسي قال كنت جالسا عند الثوري فجاءه رجل فقال رايت كان ريحانة من المغرب يعني قلعت فقال ان صدقت رؤياك فقد مات الاوزاعي فكتبوا ذلك فجاء موت الاوزاعي في ذلك اليوم او في تلك الليلة قال ابو مسهر بلغنا ان سبب موت الاوزاعي ان امراته اغلقت عليه باب حمام فمات فيه ولم تكن عامدة لذلك فامرها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة قال وما خلف ذهبا ولا فضة ولا عقارا ولا متاعا الا ستة وسبعين دينارا فضلت من عطايه وكان قد اكتتب في ديوان الساحل وقال غيره كان الذي اغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام وذهب لحاجة ثم جاء ففتح الحمام فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة رح قلت لا خلاف انه مات ببيروت مرابطا واختلفوا في سنة وفاته فروى يعقوب بن سفيان عن سلمة قال قال احمد رايت الاوزاعي وتوفي سنة خمسين ومائة وقال الوليد بن مسلم سنة ست وخمسين ومائة وقال العباس بن الوليد البيروتي توفي يوم الاحد اول النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين وهذا هو الذي عليه الجمهور وهو الصحيح وهو قول ابي مسهر وهشام بن عمار والوليد بن مسلم في اصح الروايات عنه ويحيى بن معين وغيرهم وخليفة وابي عبيد وسعيد بن عبد العزيز وغير واحد قال العباس بن الوليد ولم يبلغ سبعين سنة قلت وقال غيره جاوز الستين والصحيح تسع وستون لانه كان ميلاده في سنة ثمان وثمانين على الصحيح وقيل انه ولد سنة ثمان وتسعين وهذا ضعيف وقد راه بعضهم في المنام فقال له دلني على عمل يقربني فقال ما رايت في الجنة درجة اعلى من درجة العلما ثم المحزونين

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

فيها تكامل بناء قصر المنصور المسمى بالخلد وسكنه وفيها ماتت طاغية الروم وفيها وجه المنصور ابنه المهدي الى الرقة وامره بعزل موسى بن كعب عن الموصل وان يولي عليها خالد ابن برمك وكان ذلك بعد نكبة عز بينه اتفقت ليحيى بن خالد وذلك ان المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك والزمه بحمل ثلاثة الاف الف فضاق ذرعا بذلك ولم يبق له مال ولا حال وعجز عن اكثر ما طلب منه وقد اجل ثلاثة ايام فان لم يحمل ذلك في هذه الايام والا فدمه هدر فجعل يرسل ابنه يحيى الى اصحابه من الامرا يستقرض منهم فكان منهم من اعطاه المائة الالف ومنهم اقل واكثر قال يحيى بن خالد فبينا انا ذات يوم من تلك الايام الثلاثة على جسر بغداد وانا مهموم في تحصيل ما طلب منا ولا طاقة لنا به اذ وثب الي زاجر من اولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقية فقال لي ابشر قال فلم التفت اليه فتقدم حتى اخذ بلجام فرسي ثم قال لي انت مهموم والله ليفرجن الله همك ولتمرن غدا في هذا الموضع واللوا بين يديك فان كان ما قلت لك حقا فلي عليك

خمسة آلاف فقلت نعم ولو قال خمسون ألفاً لقلت نعم لبعد ذلك عندي قال وذهبت لشاني وقد بقي علينا من الحمل ثلثمائة ألف فورد خبر على المنصور بانتقاض الموصل وانتشار الأكراد بها فاستشار الأمراء من يصلح للموصل فأشار بعضهم بخالد بن برمك فقال المنصور ويحك أو يصلح لذلك بعد ما فعلنا به ما فعلنا فقال نعم وأنا الضامن أنه يصلح لها فأمر بإحضاره فولاه إياها ووضع عنه بقية ما كان عليه وعقد له اللواء وولى يحيى بن خالد أذربيجان وخرج الناس في خدمتهما قال يحيى فمررنا بالجسر فثار إلي ذلك الراجز فطالبني بما وعدته به فأمرت له به فقبض خمسة آلاف. وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج فساق الهدي معه فلما جاوز الكوفة ثم أحل أخذه وجعه الذي مات به وكان يعتاده سوء مزاج فاشتد عليه من شدة الحر وركوبه في الهواجر وأخذه إسهال وأفرط به فقوي مرضه ودخل مكة فتوفي بها ليلة السبت لست مضين من ذي الحجة وصلي عليه ودفن بكداء عند ثنية العلي التي بأعلا مكة وكان عمره يومئذ ثلاث وقيل أربع وقيل خمس وستون سنة وقيل إنه بلغ ثمانيا وستين فالله أعلم وقد كتم الربيع موته حتى أخذ البيعة للمهدي من القواد ورؤوس بني هاشم ثم دفن وكان الذي صلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي وهو الذي أقام للناس الحج في هذه السنة

وهذه ترجمة أبي جعفر المنصور

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو جعفر المنصور وكان أكبر من أخيه أبي العباس وأمه أم ولد اسمها سلامة روى عن أبيه عن جده عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه أورده الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن إبراهيم السلمي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به بويع له بالخلافة بعد أخيه في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة لأنه ولد في سنة خمس وتسعين على المشهور في صفر منها بالحميمة فكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة إلا أياماً وكان أسمر اللون موفر اللمة خفيف اللحية رحب الجبهة أقنى الأنف بين القنا أعين كأن عينيه لسانان ناطقان تخالطه أبهة الملك تقبله القلوب وتتبعه العيون يعرف الشرف في تواضعه والعتق في صورته واللب في مشيته هكذا وصفه بعض من رآه وقد صح عن ابن عباس أنه قال منا السفاح والمنصور والمهدي وفي رواية حتى نسلمها إلى عيسى بن مريم وقد روي مرفوعاً ولا يصح رفعه وذكر الخطيب البغدادي أن سلامة قالت رأيت حين حملت به كأنه خرج مني أسد فزأر واقعاً على يديه فما بقي أسد حتى جاء فسجد له وقد رأى المنصور في صغره مناماً غريباً وكان يقول ينبغي أن يكتب في ألواح الذهب ويعلق في أعناق الصبيان رأيت كأني في المسجد الحرام وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة والناس مجتمعون حوله فخرج من عنده مناد فنادى أين عبد الله فقام أخي السفاح يتخطى الرجال حتى جاء باب الكعبة فأخذ بيده فأدخله إياها فما لبث أن خرج ومعه لواء أسود ثم نودي أين عبد الله بن علي فاستبقنا إلى باب الكعبة فدخلتها فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر وبلال فعقد لي لواء وأوصاني بأمته وعممني عمامة كورها ثلاثة وعشرون وقال خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة وقد اتفق سجن المنصور في أيام بني أمية فاجتمع به في السجن نوبخت المنجم وتوسم

فيه

فيه الرياسة فقال له ممن تكون فلما عرف نسبه وكنيته قال أنت الخليفة الذي تلي الأرض فقال له ويحك ماذا تقول فقال هو ما أقول لك فضع خطك في هذه الرقعة أن تعطيني شيئاً إذا وليت فكتب له فلما ولي أكرمه المنصور وأعطاه وأسلم على يديه وكان قبل ذلك مجوسياً ثم كان من أخص أصحاب المنصور عنده وقد حج المنصور بالناس في سنة أربعين ومائة أحرم من الحيرة وفي سنة أربع وأربعين وفي سنة سبع وأربعين وفي سنة ثنتين وخمسين ثم في هذه السنة التي كانت فيها وفاته وبنى مدينة السلام بغداد والرافقة وقصر الخلد قال الربيع بن يونس الحاجب سمعت المنصور يقول الخلفاء أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والملوك أربعة معاوية وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وأنا وقال مالك قال لي المنصور من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أبو بكر وعمر فقال أصبت وذلك رأي أمير المؤمنين وعن إسماعيل الفهري قال سمعت المنصور على منبر عرفة يوم عرفة يقول أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه وقد جعلني الله عليه قفلاً إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم وقسم أرزاقكم وإذا شاء أن يقفلني عليه قفلني فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه إذ يقول اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ويفتحني لأعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل فإنه سميع مجيب وقد خطب يوماً فاعترضه رجل وهو يثني على الله عز وجل فقال يا أمير المؤمنين اذكر من أنت ذاكره واتق الله فيما تأتيه وتذره فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله عز وجل وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم أو أن أكون جباراً عصياً أيها الناس إن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا نبتت ثم قال للرجل وما أظنك في مقالتك هذه تريد وجه الله وإنما أردت أن يقال وعظ أمير المؤمنين أيها الناس لا يغرنكم هذا فتفعلوا كفعله ثم أمر به فاحتفظ به وعاد إلى خطبته فأكملها ثم قال لمن هو عنده اعرض عليه الدنيا فإن قبلها فأعلمني وإن ردها فأعلمني فما زال به الرجل الذي هو عنده حتى أخذ المال ومال إلى الجوار وولاه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزة حسنة وثياب وشارة حسنة فقال له الخليفة ويحك لو كنت محقاً لما قبلت شيئاً مما أرى ولكن أردت أن يقال عنك إنك وعظت أمير المؤمنين وخرجت عليه ثم أمر به فضربت عنقه وقد قال المنصور لابنه المهدي إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة والرعية لا يصلحها إلا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه وقال أيضاً يا بني استدم النعمة بالشكر والمقدرة بالعفو والطاعة بالتأليف والنصر بالتواضع والرحمة للناس ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله وحضر عنده مبارك بن فضالة يوماً وقد أمر برجل أن يضرب عنقه وأحضر النطع والسيف فقال له مبارك سمعت الحسن يقول قال رسول الله إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فأمر بالعفو عن ذلك ثم أخذ يعد على جلسائه عظيم جرائمه وما كان صنعه

وقال الاصمعي اتي المنصور برجل ليعاقبه فقال يا امير المومنين الانتقام عدل والعفو فضل ونعيذ امير المومنين بالله ان يرضى لنفسه باوكس النصيبين دون ان يبلغ ارفع الدرجتين قال فعفى عنه قال الاصمعي وقال المنصور لرجل من اهل الشام احمد الله يا اعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا فقال ان الله لم يجمع علينا حشفا وسوء كيل ولايتكم والطاعون والحكايات في ذكر حلمه وعفوه كثير جدا ودخل بعض الزهاد على المنصور فقال ان الله اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة واذكر صبح يوم ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده قال فافحم المنصور قوله وامر له بمال فقال لو احتجت الى مالك لما وعظتك وقد روي عن عمرو بن عبيد القدري انه دخل على المنصور فاكرمه وعظمه وادناه وساله عن اهله وعياله ثم قال له عظني فقرا عليه اول سورة الفجر الى قوله ان ربك لبالمرصاد قال فبكا المنصور بكاء شديدا حتى كانه لم يسمع بهذه الايات قبل تلك الساعة ثم قال زدني فقال ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك ببعضها وان هذا الامر كان لمن قبلك ثم صار اليك ثم هو صاير لمن بعدك واذكر ليلة تسفر عن يوم القيمة فبكى المنصور اشد من الاول حتى اختلف جنباه فقال له سليمان بن مجالد رفقا بامير المومنين فقال له وما ذا على امير المومنين ان يبكي من خشية الله عز وجل ثم امر له المنصور بعشرة الاف درهم فقال لا حاجة لي فيها فقال والله لتاخذنها فقال والله لا اخذنها فقال له المهدي وهو جالس في سواده وسيفه الى جنب ابيه ايحلف امير المومنين وتحلف انت فالتفت الى المنصور فقال ومن هذا فقال هذا ابني محمد المهدي ولي العهد فقال لقد سميته اسما لم يستحقه بعمله والبسته ثوبا ما هو لبوس الابرار ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به اشغل ما تكون عنه ثم التفت الى المهدي فقال له يا ابن اخي اذا حلف ابوك حلف عمك لان اباك اقدر على الكفارة من عمك ثم قال المنصور يا ابا عثمان هل من حاجة قال نعم قال وما هي قال لا تبعث الي حتى اتيك فقال اذا والله لا تلقني فقال عن حاجتي سالتني فودعه وانصرف فلما ولى امده بصره وهو يقول

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد • غير عمرو بن عبيد

وقال عمرو بن عبيد انشد المنصور قصيدة في موعظته اياه وهي قوله

يا ايها الذي قد غره الامل • ودون ما يامل التنغيص والاجل
الا ترى انما الدنيا وزينتها • كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد • وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها • فما يسوغ له لين ولا جذل
كانه للمنايا والردى غرض • تظل فيه بنات الدهر تنتضل
تديره ما ادرت دوايرها • منها المصيب ومنها المخطي الزلل
والنفس هاربة والموت يرصدها • فكل عثرة رجل عندها جلل
والمرء يسعى بما يسعى لوارثه • والقبر وارث ما يسعى له الرجل

وقال ابن دريد عن الرياشي عن محمد بن سلام قال رايت جارية للمنصور ثوبه مرقوعا فقالت خليفة الله وقميصه مرقوع فقال ويحك اما سمعت قول ابن هرمه

قد يدرك الشرف الفتى ورداوه • خلق وجيب قميصه مرقوع

ومن شعره لما عزم على قتل ابي مسلم الخراساني

اذا كنت ذا راي فكن ذا عزيمة • فان فساد الراي ان تترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بقدرة • وبادرهم ان يملكوا مثلها غدا

ولما قتله وراه طريحا بين يديه انشا يقول

قد اكتنفتك خلات ثلاث • جلبن عليك محتوم الحمام
خلافك وامتنانك يد غيري • وقودك للجماهير العظام

ومن شعره ايضا

المرء يامل ان يعيش • وطول عمر قد يضره
تبلى بشاشته ويبقى • بعد حلو العيش مره
وتخونه الايام حتى • لا يرى شيئا يسره
كم شامت بي ان هلكت • وقايل لله دره

قالوا وكان المنصور في اول النهار يتصدى للامر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات والعزل والنظر في المصالح العامة فاذا صلى الظهر دخل منزله واستراح الى العصر فاذا صلاها جلس لاهل بيته ومصالحهم الخاصة فاذا صلى العشا نظر في الكتب والرسايل الواردة من الافاق وجلس عنده من يسامره الى ثلث الليل ثم يقوم الى اهله فينام في فراشه الى الثلث الاخير فيقوم الى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في ايوانه وقد ولى بعض العمال على بلد فبلغه انه قد تصدى للصيد واعد لذلك الكلاب والبزاة فكتب اليه المنصور ثكلتك امك وعدمتك عشيرتك ويحك انا استكفيناك امور المسلمين ولم نستكفك امور الوحوش فسلم ما كنت تلي من عملنا الى فلان والحق باهلك ملوما مدحورا واتي يوما بخارجي قد هزم جيوش المنصور غير مرة فلما اوقف بين يديه قال له المنصور ويحك يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش فقال له الخارجي ويلك سوءة بيني وبينك امس السيف والقتل واليوم القذف والسب وما كان يومنك ان ارد عليك وقد يئست من الحيوة فلا استقيلها ابدا قال فاستحيا منه المنصور واطلقه فما راه وجها الى الحول وقال لابنه لما ولاه العهد يا بني استدم النعمة بالشكر والمقدرة بالعفو والنصر بالتواضع والالفة بالطاعة ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله وقال ايضا يا بني ليس العاقل من يحتال للامر الذي وقع فيه حتى يخرج منه ولكنه الذي يحتال للامر الذي غشيه حتى لا يقع فيه وقال المنصور ايضا يوما لابنه المهدي يا بني لا تجلس مجلسا الا وعندك من اهل العلم من يحدثك فان الزهري قال العلم الحديث لا يحبه الا ذكران الرجال ولا يكرهه الا مونثوهم وصدق اخو زهرة وقد كان المنصور في شبيبته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه فنال من ذلك جانبا جيدا وطرفا صالحا وقد قيل له يوما يا امير المومنين هل بقي شي من اللذات لم تنله قال شي واحد قالوا وما هو قال قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمك الله فاجتمع وزراوه وكتابه وجلسوا حوله وقالوا ليمل علينا امير المومنين شيا

خليفة

من الحديث فقال لستم منهم عمائمهم الدنسة ثيابهم المشققة ارجلهم الطويلة شعورهم برد
الافاق وقلة الحديث وقال المنصور يوما للمهدي كم عندك من دابة فقال لا ادري
فقال هذا هو التقصير انت لامر الخلافة اشد تضييعا فاتق الله يا بني وقالت الخالصة
احدى حظيات المهدي دخلت يوما على المنصور وهو يشتكي ضرسه ويداه على صدغيه
فقال لي كم عندك من المال يا خالصة فقلت الف درهم فقال ضعي يدك على راسي واحلفي
فقلت عندي عشرة الاف دينار فقال لي اذهبي فاحمليها الي قالت فذهبت حتى دخلت
على سيدي المهدي وهو مع زوجته الخيزران فشكوت اليه ما قال لي امير المؤمنين فركلني
برجله وقال ويحك انه ليس به وجع ولكني سالته بالامس مالا فتمارض وانه لا يسعك الا ما قال
لك فذهبت اليه خالصة ومعها عشرة الاف دينار فاستدعى بالمهدي فقال له تشكو ا
الحاجة وهذا كله عند خالصة وقال المنصور لخازنه اذا علمت بمجيء المهدي فاتني بخلقان
الثياب قبل ان يجيء فجاء بها فوضعها بين يديه ودخل المهدي والمنصور يقلبها فجعل
المهدي يضحك فقال له يا بني من ليس له خلق ليس له جديد وقد حضر الشتاء فنحتاج
للعيال والولد فقال المهدي علي كسوة امير المؤمنين وكسوة عياله فقال له دونك
فافعل وذكر ابن جرير عن الهيثم ان المنصور اطلق في يوم واحد لبعض اعمامه الف الف
درهم وفي هذا اليوم فرق في اهل بيته عشرة الاف الف درهم ولا نعلم خليفة فرق مثل هذا
في يوم وقرا بعض القراء عند المنصور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل فقال
والله لولا ان المال حصن للسلطان ودعامة للدين والدنيا وزينتهما ما بت ليلة واحدة
وانا احرز منه دينارا ولا درهما لما اجد لبذل المال من اللذاذة ولما اعلم في اعطائه من جزيل
المثوبة وقرا عنده قارئ اخر ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا فقال ما احسن ما ادبنا ربنا عز وجل وقال المنصور سمعت
ابي يقول سمعت ابي علي بن عبد الله يقول سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الاخرة الاتقياء
ولما عزم المنصور على الحج في هذه السنة اعني سنة ثمان وخمسين ومائة دعا ولده المهدي
ولي عهده من بعده فاوصاه في خاصة نفسه وفي اهل بيته وبسائر المسلمين خيرا وعلمه
كيف يفعل الاشياء ويسد الثغور واوصاه بوصايا يطول بسطها وحرج عليه ان لا يفتح شيئا من
خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته فان بها من الاموال ما يكفي المسلمين لو لم يجب اليهم من
الخراج درهم عشر سنين وعهد اليه ان يقضي ما عليه من الدين وهو ثلثمائة الف دينار فانه
لم ير قضاءه من بيت المال فامتثل المهدي ذلك كله واحرم المنصور بحجة وعمرة من الرصافة
وساق بدنه وقال يا بني اني ولدت في ذي الحجة وقد وقع لي ان اموت في ذي الحجة وهو الذي
جراني على الحج عامي هذا وودعه وسار واعتراه مرض الموت كما دخل الكوفة وهو مشتغل
جدا فلما كان باخر منزل نزله دون مكة اذا في صدر منزله مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت • سنوك وامر الله لا بد واقع
ابا جعفر هل كاهن او منجم • لك اليوم من كر المنية دافع

فدعا بالحجبة فامرهم بقراءة ذلك فلم يروا شيئا فعرف ان اجله قد نعي له قال وراى المنصور
في منامه ويقال بل هتف به هاتف وهو يقول

اما ورب السكون والحرك • ان المنايا كثيرة الشرك

عليك يا نفس ان اسات • وان احسنت يا نفس كان ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا • دارت نجوم السماء في فلك
الا لنقل السلطان عن ملك • اذا انقضى ملكه الى ملك
حتى يصيرا به الى ملك • لا ينقضي ملكه الى ملك
ذاك بديع السماء والارض • والمرسي الجبال المسخر الفلك

فقال المنصور هذا اوان حضور اجلي وانقضاء عمري وكان قد راى قبل ذلك في قصر
الخلد الذي بناه وتانق فيه مناما ما ذعره واستيقظ فزعا فقال للربيع ويحك يا ربيع
لقد رايت مناما هالني رايت قائلا وقف في باب هذا القصر وهو يقول

كاني بهذا القصر قد باد اهله • واقفر منه اهله ومنازله
وصار رئيس القوم من بعد بهجة • الى جدث تبنى عليه جنادله

فما اقام في الخلد الا اقل من سنة حتى خرج الى الحج عامه هذا ومرض في طريق مكة فدخلها مدنفا
ثقيلا فكانت وفاته ليلة السبت لست وقيل لسبع مضين من ذي الحجة وكان اخر ما تكلم به
ان قال اللهم بارك لي في لقائك ويقال انه قال يا رب اني كنت عصيتك في امور كثيرة فقد
اطعتك في احب الاشياء اليك شهادة ان لا اله الا انت مخلصا ثم مات وكان نقش خاتمه الله ثقة
عبد الله وبه يؤمن وكان عمره يوم وفاته ثلاث وستين سنة على المشهور منها اثنتان وعشرون
سنة في الخلافة ودفن بباب المعلى رحمه الله قال ابو جعفر ابن جرير ومما رثي به ابو جعفر المنصور
رحمه الله قول سلم الخاسر الشاعر

عجبا للذي نعى الناعيان • كيف فاهت بموته الشفتان
ملك ان غدا على الدهر يوما • اصبح الدهر ساقطا للجران
ليت كفا حثت عليه ترابا • لم تعد في يمينها ببنان
حين دانت له البلاد على • العسف واعضى من خوفه الثقلان
اين رب الزوراء قد قلدته • الملك عشرون حجة واثنتان
انما المرء كالزناد اذا ما • احذته قوادح النيران
ليس يثني هواه زجر • ولا يقدح في حيلة ذوو الادهان
قلدته اعنة الملك حتى • قاد اعداءه بغير عنان
يكسر الطرف دونه وترى • الايدي من خوفه الى الاذقان
ضم اطراف ملكه ثم اضحى • خلف اقصاهم ودون الاداني
ذو اناة ينسى لها الخائف • الخوف وعزم يلوي بكل جنان
دهمته دونه النفوس حذارا • عبر الارواح في الابدان

وقد دفن المنصور بثنية المعلى عند باب مكة ولا يعرف قبره لانه عمي قبره فانه قد
حفر مائة قبر ودفنه في غيرها لئلا يعرف ذكر اولاد المنصور محمد وكان ولي عهده من بعده
وجعفر الاكبر مات في حياته وامهما اروى بنت منصور وعيسى ويعقوب وسليمان امهم
فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله وجعفر الاصغر من ام ولد كردية وصالح المسكين
من ام ولد رومية يقال لها قالي الفراشة والقاسم من ام ولد ايضا والعالية من امراة من بني امية

خلافة المهدي بن المنصور

لما مات ابوه المنصور بمكة لست وقيل لسبع مضين من ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين
ومائة اخذت له البيعة بمكة من رؤوس بني هاشم والقواد الذين ثم مع المنصور في الحج قبل دفنه
وبعث بالبيعة والبرد والقضيب مع البريد الى المهدي وهو ببغداد فوصله البريد يوم الثلثا
النصف من ذي الحجة فسلم عليه بالخلافة واعطاه الكتب بالبيعة وبايعه اهل مدينة
السلام ونفذت البيعة في سائر الآفاق والاقاليم وقد كان ولي العهد من بعد ابيه وذكر
ابن جرير ان المنصور قبل وفاته بيوم تخلط وتساند واستدعى بالامرا فجدد لهم البيعة لابنه
المهدي فبادروا للمهدي لذلك وتبادروا اليه وحج بالناس في هذه السنة ابراهيم بن يحيى بن
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن وصية عمه اليه في ذلك وهو الذي صلى عليه وقيل
ان الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى ولي العهد من بعد المهدي والصحيح الاول لانه كان
نائب مكة والطائف وعلى امرة المدينة عبد الصمد بن علي وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي
اخو المسيب بن زهير امير الشرطة للخليفة وعلى خراسان حميد بن قحطبة وعلى خراج
البصرة وارضها عمارة بن حمزة وعلى صلاتها وقضائها عبيد الله بن الحسن العنبري وعلى
احداثها سعيد بن دعلج قال الواقدي واصاب الناس في هذه السنة وبا شديد فتوفي
فيه خلق كثير وجم غفير منهم افلح بن حميد وحيوة بن شريح ومعاوية بن صالح بمكة وزفر
بن الهذيل بن قيس بن سليم بن قيس بن مكمل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن جحجو
بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد
بن عدنان التميمي العنبري الكوفي الفقيه الحنفي اقدم اصحاب ابي حنيفة وفاة واكثرهم
استعمالا للقياس وكان عابدا اشتغل اولا بعلم الحديث ثم غلب عليه الفقه والقياس
ولد سنة ست عشرة ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين عن ثنتين واربعين سنة

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

استهلت هذه السنة وخليفة الناس ابو عبد الله محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور فبعث
فيها العباس بن محمد الى بلاد الروم في جيش كثيف ورسم عليهم شيئا فسادوا الى البلاد
فافتتحوا مدينة عظيمة للروم ومطمورة وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا سالمين لم يفقد
من المسلمين احد وفيها توفي حميد بن قحطبة نائب خراسان فولى المهدي مكانه ابا عون عبد
الملك بن يزيد وولى حمزة بن مالك سجستان وولى جبريل بن يحيى سمرقند وفيها بنى المهدي
مسجد الرصافة وخندقها وفيها جهز المهدي جيشا كثيفا الى بلاد الهند فوصلوا
اليها في السنة الآتية فكان من امرهم ما سنذكره وفيها توفي نائب السند معبد بن الخليل
فولى المهدي مكانه روح بن حاتم بمشورة وزيره ابي عبيد الله وفيها اطلق المهدي من كان
في السجون الا من كان محبوسا على دم او ممن يسعى فسادا او عنده حق لاحد فكان من جملة
من اخرج من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم والحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن حسن
وامر الخليفة بتصيير الحسن بن ابراهيم الى نصر الخادم ليحترز عليه وكان الحسن قد عزم على
الهرب من السجن قبل خروجه منه فلما خرج يعقوب بن داود من السجن ناصح الخليفة بما كان
عزم عليه الحسن بن ابراهيم فنقله الخليفة من السجن فاودعه عند نصير الخادم ليحتاط
عليه وحظي يعقوب بن داود عند المهدي جدا حتى صار يدخل عليه في الليل بلا استيذان
وجعله الخليفة على امور كثيرة ثم قدمها اليه واطلق له مائة الف درهم وما زال عنده كذلك

حتى تمكن المهدي من الحسن بن ابراهيم فسقطت منزلة يعقوب عند المهدي وقد غرم المهدي
اموالا كثيرة عن البلاد وولى بدلهم عليها وفي هذه السنة تزوج المهدي بابنة عمه ام عبد
الله بنت صالح بن علي واعتق جاريته الخيزران وتزوجها ايضا وهي ام الرشيد وفيها وقع
حريق عظيم في السفن التي بدجلة بغداد ولما ولي المهدي سال عيسى بن موسى وكان ولي العهد
من بعد المهدي فسأله ان يخلع نفسه من الامر فامتنع على المهدي وسأل من المهدي ان يقيم بارض
الكوفة في ضيعة له فاذن له وكان قد استعمل على امرة الكوفة روح بن حاتم فكتب الى المهدي
ان عيسى بن موسى لا يحضر الجمعة ولا الجماعة مع الناس في السنة الا شهرين من السنة وانه اذا جا
يدخل بدوابه الى داخل باب المسجد فتروث دوابه حيث يصلي الناس فكتب اليه ان يجعل خشبا
على افواه السكك حيث لا يصل الناس الى الجامع الا مشاة فعلم بذلك عيسى بن موسى فاشترى
قبل الجمعة دار المختار بن ابي عبيد من ورثته وكانت ملاصقة المسجد فكان يأتي اليها من
يوم الخميس فاذا كان وقت الجمعة ركب حمارا الى باب المسجد فنزل عنده ثم يشهد الصلاة
مع الناس واقام بالكلية في الكوفة باهله ثم الح المهدي على عيسى بن موسى في ان يخلع نفسه من
ولاية العهد ويوعده ان لم يفعل ووعده ان فعل فاجابه الى ذلك فاعطاه اقطاعا عظيما
وعجل له من المال عشرة الاف الف وقيل عشرين الف الف وبايع المهدي لولديه من بعده
موسى الهادي وهرون الرشيد كما سياتي وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن منصور خال
المهدي وكان نائبا على اليمن فولاه الموسم واستقدمه عليه شوقا اليه وغالب نواب البلاد
تغيروا في هذه السنة غير ان امر نقيبة مع يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد بن سليمان ابو
ضمرة وعلى خراسان ابو عون وعلى السند بسطام بن عمرو وعلى الاهواز وفارس عمارة بن
حمزة وعلى اليمن رجا بن روح وعلى اليمامة بن بشر بن المنذر وعلى الجزيرة الفضل بن صالح
وعلى المدينة النبوية عبد الله بن صفوان الجمحي وعلى مكة والطائف ابراهيم بن يحيى
بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وعلى احداث الكوفة اسحاق بن الصباح الكندي وعلى
خراجها ثابت بن موسى وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن العنبري وممن توفي فيها من الاعيان
عبد العزيز بن ابي رواد وعكرمة بن عمار ومالك بن مغول ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي
ذئب المدني نظير مالك بن انس في الفقه وربما انكر على مالك في تركه الاخذ ببعض
الاحاديث لما حكى كانما الذي تركها انما من اجماع اهل المدينة وغير ذلك من المسائل

سنة ستين ومائة من الهجرة

فيها خرج رجل بخراسان على المهدي منكرا احواله وسيرته يقال له يوسف البرم والتزم
والتف عليه خلق كثير وتفاقم امره وعظم الخطب به فتوجه اليه يزيد بن مزيد فلقيه
فاقتتلا حتى تنازلا وتعانقا فاسر يزيد بن مزيد يوسف واسر جماعة من اصحابه فبعثه
وبعثهم الى المهدي فادخلوا عليه وقد حملوا على جمال محولة وجوههم الى ناحية اذناب الابل
فامر الخليفة هرثمة بن اعين بقطع يدي يوسف ورجليه ثم يضرب عنقه واعناق من
معه وصلبهم على جسر دجلة الاكبر مما يلي عسكر المهدي واطفأ الله نائرتهم وكفى شرهم

ذكر البيعة لموسى الهادي وهارون الرشيد

كان الخليفة المهدي قد الح على عيسى بن موسى في ان يخلع نفسه عن ولاية العهد وتولى ذلك

كان يمتنع وهو مقيم بالكوفة فبعث اليه المهدي احد القواد الكبار وهو ابو هريرة محمد بن
فروخ في الف من اصحابه لاحضاره اليه وامرهم ان يستصحبوا مع كل واحد منهم طبلا فلما
واجهوا الكوفة عند اضاءة الفجر ضرب كل رجل بطبله فارتجت الكوفة وخاف عيسى بن موسى
فلما انتهوا اليه دعوه الى حضرة الخليفة فاظهر الشكوى فلم يقبلوا منه واخذوه معهم
فدخل بغداد يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم من هذه السنة فاجتمع عليه وجوه بني هاشم
والقضاة والاعيان وسالوا في ذلك وهو يمتنع ثم لم يزل الناس به بالرغبة والرهبة
حتى اجاب في يوم الاربعاء لاربع بقين من المحرم بعد العصر يومئذ وبويع لولدي امير المؤمنين
موسى وهارون صبيحة يوم الخميس لثلاث بقين منه فجلس المهدي في قبة عظيمة في ايوان
الخلافة ودخل الامراء فبايعوه ثم نهض المهدي فصعد المنبر وجلس ابنه موسى الهادي تحته
وقام عيسى بن موسى على اول درجة منه فخطب المهدي الناس واعلمهم بما وقع من خلع عيسى بن
موسى وانه قد حلل الناس من الايمان التي له في اعناقهم وجعل ذلك الى موسى الهادي فصدق
عيسى بن موسى على ذلك وبايع المهدي على ذلك ثم نهض الناس فبايعوا الخليفة على حسب
مراتبهم واسنانهم وكتب على عيسى بن موسى مكتوب مؤكد بالايمان البالغة من العتاق والطلاق
واشهد عليه جماعة الامراء والوزراء واعيان بني هاشم وغيرهم وفيها وصل عبد الملك بن
شهاب المسمعي مدينة باربد في جحفل كثير معه فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق ورموها
بالنفط فاحرقوا منها طائفة وهلك بشر كثير من اهلها وفتحوها عنوة وارادوا الانصراف
فلم يمكنهم ذلك لاغتلام البحر فاقاموا هنالك فاصابهم داء في افواههم يقال له حمام قر
فمات منهم الف نفس منهم الربيع بن صبيح ثم لما امكنهم المسير ركبوا في البحر فهاجت عليهم
ريح فغرق منهم طائفة ايضا ووصل بقيتهم الى البصرة ومعهم سبي كثير فيهم بنت ملكهم
وفيها حكم المهدي بالحاق نسب ولد ابي بكرة الثقفي الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقطع نسبهم من ثقيف وكتب بذلك كتابا الى والي البصرة وقطع نسبه من نسب زياد
وممن نسب نافع ففي ذلك يقول بعض الشعراء وهو خالد النجار

ان ثقيفا ونافعا وابا بكرة • عندي من العجب العجب •
ذا قرشي كما يقول وذا • مولى وهذا ابن عمه عربي •

فذكر ابن جرير ان نائب البصرة لم ينفذ ذلك وفي هذه السنة حج بالناس امير المؤمنين
المهدي واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي واستصحب معه ابنه هارون الرشيد
وخلق من الامراء منهم يعقوب بن داود على منزلته ومكانته وكان الحسن بن ابراهيم قد هرب
من الخادم فلحق بارض الحجاز فاستامن له يعقوب بن داود فاحسن المهدي صلته
واجزل جائزته وفرق المهدي في اهل مكة مالا عظيما جدا كان قد قدم معه بثلاثين
الف الف درهم ومائة الف ثوب وجاءه من مصر ثلثمائة الف دينار ومن اليمن مائتا
الف دينار فاعطاها كلها في اهل المدينة ومكة وشكت الحجبة الى المهدي انهم يخافون
على الكعبة ان تتهدم من كثرة ما عليها من الكساوي فامر بتجريدها من الكسوة فلما
انتهوا الى كساوي هشام بن عبد الملك وجدوها من ديباج ثخين جدا ووجدوا كساوي
الخلفاء قبله وبعده من عمل اليمن فلما جردها طلاها بالخلوق وكساها كسوة حسنة
جدا ويقال انه استفتى مالك بن انس في اعادة الكعبة الى ما كان بناها ابن الزبير

يوسعها على الوجه الذي كان يوده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك دعها
على حالها فاني اخشى ان يتخذها الملوك لعبة فتركها كما كانت وحمل له محمد بن سليمان نائب
البصرة الثلج الى مكة فكان اول خليفة حمل له الثلج اليها ولما دخل المدينة النبوية وسع المسجد
النبوي وكانت فيه مقصورة فازالها واراد ان ينقص من المنبر ما كان زاده معاوية فيه
فقال له مالك انه يخشى ان ينكسر الخشب العتيق اذا زعزع فتركه فلم يعرض له وتزوج من المدينة
رقية بنت عمرو العثمانية وانتخب من اهلها من الانصار خمسمائة من اعيانهم ليكونوا حوله
حرسا بالعراق وانصارا له واجرى عليهم ارزاقا غير اعطياتهم واقطعهم اقطاعا عرفت لهم
وتوفي فيها من الاعيان الربيع بن صبيح وسفيان بن حسين احد اصحاب الزهري وشعبة
بن الحجاج بن الورد العتكي الازدي ابو بسطام الواسطي ثم انتقل الى البصرة راى الحسن
وابن سيرين وروى عن اربعمائة من التابعين وحدث عنه خلق من مشايخ وهو احد ائمة
الاسلام وهو شيخ المحدثين الملقب فيهم بامير المؤمنين قاله الثوري وغيره وقال يحيى
بن معين هو امام المتقين وكان في غاية الورع والزهد والحفظ والتقشف وحسن
الطريقة قال الشافعي لولاه ما عرف الحديث بالعراق وقال الامام احمد كان امة
واحدة في هذا الشان ولم يكن في زمانه مثله وقال محمد بن سعد كان ثقة مامونا حجة
صاحب حديث وقال وكيع لارجو ان يرفع الله لشعبة في الجنة درجات بذبه عن
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صالح بن محمد جزرة كان اول من تكلم في
الرجال وتبعه يحيى القطان ثم احمد وابن معين وقال ابن مهدي ما رايت اعقل من مالك
ولا اشد تقشفا من شعبة ولا انصح للامة من ابن المبارك ولا احفظ للحديث
من الثوري وقال مسلم بن ابراهيم ما دخلت عليه في وقت صلاة الا رايته يصلي وكان ابا
الفقراء وامهم وقال النضر بن شميل ما رايت ارحم بمسكين منه كان اذا راى مسكينا لا يزال
ينظر اليه حتى يغيب عنه وقال بعضهم ما رايت اعبد منه لقد عبد الله حتى لصق جلده
بعظمه وقال يحيى القطان ما رايت ارأف بالمسكين منه كان يدخل المسكين منزله
فيعطيه ما امكنه قال محمد بن سعد وغيره مات في اول سنة ستين ومائة بالبصرة عن
ثمان وسبعين سنة

ثم دخلت سنة احدى وستين ومائة

فيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد فنزل دابق وجاشت الروم فلم يتمكن المسلمون من الدخول
اليها بسبب ذلك وفيها امر المهدي بحفر الركايا وعمل المصانع وبناء القصور في طريق مكة
وولى على ذلك يقطين بن موسى فلم يزل في ذلك الى سنة احدى وسبعين فصارت طريق
الحجاز من ارفق الطرقات وآمنها واطيبها وفيها وسع المهدي جامع البصرة من قبلته
وعن يمينه وفيها كتب الى الآفاق ان لا تبقى مقصورة في مسجد جماعة وان يقصر المنابر الى مقدار
ما كان منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك في المنابر كلها وفيها انقضت
منزلة ابي عبيد الله وزير المهدي وعنده وظهرت عنده خيانة فضم اليه من يشرف عليه
فكان يعرض عليه اسماعيل بن علية ثم ابعده واقصاه واخرجه من عسكره وفيها ولي القضاء
عافية بن يزيد الازدي فكان يحكم هو وابن علاثة في عسكر المهدي بالرصافة وفيها خرج
المقنع بخراسان من قرية من قرى مرو وكان يقول بالتناسخ واتبعه على ضلالته خلق كثير

يجهز له المهدي عدة من امرايه وانفذ اليه جيوشا كثيرة منهم معاذ بن مسلم امير خراسان فكان من امرهم ما سنذكره وحج بالناس في هذه السنة موسى الهادي ابن امير المومنين وهو ولي عهد ابيه كما قدمنا وفيها توفي اسرائيل بن يونس بن ابي اسحاق السبيعي وزايدة ابن قدامة وسفيان بن سعيد **الثوري** احد ائمة الاسلام وعباده والمقتدى بهم وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ابو عبد الله الكوفي روى عن غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الايمة وغيرهم قال شعبة وسفيان بن عيينة وابو عاصم ويحيى ابن معين وغير واحد هو امير المومنين في الحديث وقال ابن المبارك كتبت عن الف ومائة شيخ هو افضلهم وقال ايوب ما رايت كوفيا افضله عليه وقال يونس بن عبيد ما رايت افضل منه وقال عبد الله بن داود ما رايت افقه من الثوري وقال شعبة ساد الناس بالورع والعلم وقال سفيان بن عيينة اصحاب الحديث ثلاثة ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه والثوري في زمانه وقال احمد لا يتقدمه في قلبي احد ثم قال اتدري من الامام الامام سفيان الثوري وقال عبد الرزاق سمعت الثوري يقول ما استودعت قلبي قط شيا فخانني وقال الثوري لان اترك عشرة الاف دينار يحاسبني الله عليها احب الي من ان احتاج الى الناس قال محمد بن سعد اجمعوا انه توفي بالبصرة سنة احدى وستين ومائة وكان عمره يوم مات اربعا وستين سنة وقال بعضهم رايته في المنام يطير من نخلة الى نخلة في الجنة وهو يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين

ابو دلامة زيد بن الجون الشاعر

الماجن احد الظرفا اصله من الكوفة واقام ببغداد وحظي عند ابي جعفر المنصور يضحكه وينشده ويمدحه وحضر يوما جنازة امراة المنصور ابنة عمه حمادة بنت عيسى وكان قد وجد عليها الخليفة فلما شهدا القبر نظر اليه المنصور ثم قال لابي دلامة ويحك ما اعددت لهذا فقال لابنة عم امير المومنين فضحك المنصور حتى استلقى ثم قال ويحك فضحتنا بين الناس ودخل يوما على المهدي يهنيه بقدومه من سفر وانشده

• اني حلفت لين رايتك سالما • بقرى العراق وانت ذو وفر •
• لتصلين على النبي محمد • ولتملان دراهما حجري •

فقال اما الاولى فنعم واما الثاني فلا فقال انهما كلمتان فلا تفرق بينهما فامر بملء حجره دراهم ثم قال له قم فقال اذا يتخرق قميصي فافرغت في اكياسها ثم قام فاخذها وذكر القاضي ابن خلكان انه مرض ابنه فداواه طبيب ليداويه فقال له ليس عندنا ما نعطيك ولكن ادع على فلان اليهودي بمبلغ ما تستحقه حتى اشهد انا وولدي عليه فادعى عليه عند قاضي الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى وقيل ابن شبرمة فانكر اليهودي فشهد عليه ابو دلامة وابنه فلم يستطع القاضي رد شهادتهما وخاف من طلب التزكية فاعطى المدعي المال من عنده واطلق اليهودي وجمع القاضي بين المصالح توفي ابو دلامة في هذه السنة وقيل انه ادرك خلافة الرشيد سنة سبعين والله اعلم

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة

فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بارض قنسرين واتبعه خلق كثير وقويت شوكته فقاتله خلق من الامرا وجهز اليه المهدي جيوشا وانفق فيهم اموالا جزيلة وهزم الخارجي الجيوش مرات ثم انه قتل بعد ذلك وفيها غزا الصايفة الحسن بن قحطبة في ثمانين الفا من المرتزقة سوى المطوعة فدخل الروم وحرق بلدانا كثيرة وخربها واسر خلقا من الذراري وكذلك غزا يزيد بن ابي اسيد السلمي بلاد الروم من باب قاليقلا فغنم وسلم وسبى خلقا كثيرا وفيها خرج بطاينة بجرجان فلبسوا الحمرة ولهذا يقال لهم المحمرة مع رجل يقال له عبد القهار فغزاه عمرو بن العلاء من طبرستان فقهر عبد القهار فقتله واصحابه وفيها اجرى المهدي الارزاق في ساير الاقاليم على المجذمين والمحبسين وهذه مثوبة عظيمة ومكرمة جسيمة وفيها حج بالناس ابراهيم بن جعفر بن المنصور

وفيها توفي من الاعيان

ابراهيم بن ادهم احد مشاهير العباد ومن اكابر من له ممتد عالية من العباد وداود الطائي احد ايمة الصوفية وزهير بن محمد ويزيد بن ابراهيم التستري فاما ابراهيم ابن ادهم بن منصور بن يزيد بن جابر ابو اسحاق التميمي ويقال العجلي فهو احد الزهاد واصله من بلخ وسكن الشام ودخل دمشق وروى الحديث عن ابيه والاعمش ومحمد بن زياد صاحب ابي هريرة وابي اسحاق السبيعي وخلق وحدث عنه خلق منهم بقية والثوري وابو اسحاق الفزاري ومحمد بن حمير وحكي عنه الاوزاعي روى ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجريري عن الثوري عن ابراهيم بن ادهم عن محمد بن زياد عن ابي هريرة قال دخلت على رسول الله وهو يصلي جالسا فقلت يا رسول الله انك تصلي جالسا فما اصابك قال الجوع يا ابا هريرة قال فبكيت فقال لا تبك فان شدة يوم القيمة لا تصيب الجايع اذا احتسب في دار الدنيا ومن طريق بقية عن ابراهيم بن ادهم حدثني ابو اسحاق الهمداني عن عمارة بن غزية عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الفتنة تجيء فتنسف العباد نسفا وينجو العالم منها بعلمه قال النسائي هو ثقة مامون احد الزهاد وذكر الاستاذ ابو القسم القشيري في رسالته ان ابراهيم كان من ابناء الملوك فبينما هو يتصيد اذ تبع ثعلبا او ارنبا فهتف به هاتف من قربوس سرجه الهذا خلقت ام بهذا امرت فنزل عن فرسه وجاء الى راع غنم لابيه فاخذ جبته من صوف فلبسها واعطاه فرسه ولباسه وما كان معه وذهب في البادية فدخل مكة وصحب الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام فمات بها وكان ياكل من عمل يديه مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك قال القشيري وانه راى في البادية رجلا علمه اسم الله الاعظم فدعا به بعده فراى الخضر فقال انما علمك اخي داود اسم الله الاعظم ثم ساقه القشيري باسناد ضعيف لا يصح وروا ابن عساكر ايضا من وجه اخر ضعيف ايضا وفيه انه قال انا الياس هو علمك الاسم الاعظم قال القشيري وكان ابراهيم بن ادهم كبير الشان في باب الورع حكي عنه انه قال اطب مطعمك ولا عليك ان لا تقوم الليل ولا تصوم النهار وقيل كان اكثر دعايه اللهم انقلني من ذل معصيتك الى عز طاعتك وقيل لابراهيم بن ادهم

انا للحم قد غلا فقال ارخصوه اي لا تشتروه وقال بعضهم مننقبه ما نقف قايلا له من فوقه يا ابراهيم ما هذا العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة قال فنزل عن دابته ورفض الدنيا واخذ في عمل الاخرة روى ابن عساكر باسناد فيه نظر عن ابتداء امر ابراهيم بن ادهم قال بينما انا يوما في منظرة لي ببلخ واذا بشيخ حسن قد استظل بينها فاخذ بمجامع قلبي فامرت غلامي فطلبه فدخل فعرضت عليه الطعام فابى فقلت من اين اقبلت قال من وراء النهر قلت الى اين تريد قال الحج قلت في هذا الوقت وكان اول يوم من عشر ذي الحجة او ثانيه فقال يفعل الله ما يشا فقلت فالصحبة فقال ان احببت ذلك فموعدك الليل فلما كان الليل جاني فقال قم باسم الله فاخذت ثياب سفري ومر بنا يمشي كانما الارض تجذب من تحتنا ونحن نمر على البلدان ونقول هذه فلانة هذه فلانة فاذا كان الصباح فارقني ويقول موعدك الليل فاذا كان الليل جاني فانتهينا الى المدينة النبوية وزرنا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سرنا الى مكة بحيث ما ليلا فقضينا الحج مع الناس ثم رجعنا الى الشام فزرنا بيت المقدس وقال لي عازم على المقام بالشام ورجعت انا الى بلدي بلخ كسيرا لضعفا حتى رجعنا لها ولم اشا لم عن اسمه فكان ذلك اول امري وروي من وجه اخر فيه نظر وقال ابو حاتم الرازي عن ابي نعيم عن سفيان الثوري قال كان ابراهيم بن ادهم يشبه ابراهيم الخليل ولو كان في الصحابة كان رجلا فاضلا وقال عبد الله بن المبارك كان رجلا فاضلا له سرائر وما رايته يظهر تسبيحا ولا شيا ولا اكل مع احد طعاما الا كان اخر من يرفع يده وقال بشر بن الحرث الحافي اربعة رفعهم الله بطيب المطعم ابراهيم بن ادهم وسليمان الخواص ووهيب بن الورد ويوسف بن اسباط وروى ابن عساكر من طريق معاوية بن حفص قال انما سمع ابراهيم بن ادهم من منصور حديثا فاخذ به فساد اهل زمانه قال حدثنا منصور عن ربعي بن خراش قال جاء رجل الى رسول الله فقال يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني عليه الناس قال اذا اردت ان يحبك الله فابغض الدنيا واذا اردت ان يحبك الناس فما كان عندك من فضولها فانبذه اليهم وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثنا ابو الربيع عن ادريس قال جلس ابراهيم بن ادهم الى بعض العلما فجعلوا يتذاكرون الحديث وابراهيم ساكت ثم قال حدثنا منصور ثم سكت فلم ينطق بحرف حتى قام من ذلك المجلس فعاتبه بعض اصحابه في ذلك فقال اني اخشى مضرة ذلك المجلس في قلبي الى اليوم وقال رشدين بن سعد مر ابراهيم بن ادهم بالاوزاعي وحوله حلقة فقال لو ان هذه الحلقة على ابي هريرة لعجز عنهم فقام الاوزاعي وتركهم وقال ابراهيم بن بشار قيل لابراهيم بن ادهم لم لا تكتب الحديث فقال اني مشغول بثلاث بالشكر على النعم وبالاستغفار من الذنوب والاستعداد للموت ثم صاح وغشي عليه فسمعوا اما تقال لا تدخلوا بيني وبين اوليائي وقال ابو حنيفة يوما لابراهيم بن ادهم قد رزقت من العبادة شيا صالحا فليكن العلم من بالك فانه راس العبادة وقوام الدين وقال ابراهيم بن ادهم ما ذا انعم الله على الفقرا لا يسالهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم انما يسال هولاء المساكين يعني الاغنيا وقال

شقيق

شقيق بن ابراهيم لقيت ابراهيم بن ادهم بالشام وقد كنت رايته بالعراق وبين يديه ثلاثون مركوبا فقلت له تركت خراسان وخرجت من نعمتك فقال قد تهنيت بالعيش ما ازمن شا مق الى شامق بديني فمن يراني يقول موسوس او حمال او ملاح ثم قال بلغني انه يوتى بالفقير فيوقف بين يدي الله عز وجل يوم القيمة فيقول له يا عبدي ما لك لم تحج فيقول يا رب لم تعطني شيا احج به فيقول الله صدق عبدي اذهبوا به الى الجنة وعن ابراهيم بن ادهم قال اقمت بالشام اربعا وعشرين سنة لم اجي لجهاد ولا رباط انما جيت لاشبع من خبز الحلال وقال ابراهيم الحزن حزنان حزن لك وحزن عليك فحزنك على الاخرة خير لك وحزنك على الدنيا وزينتها لك وقال الزهد ثلاثة واجب ومستحب وزهد سلامة فالزهد في الحرام واجب والزهد عن الشهوات الحلال مستحب والزهد عن الشبهات سلامة وكان هو واصحابه يمنعون انفسهم الحمام والماء البارد والحذاء ولا يجعلون في ملحهم ابزارا وكان اذا جلس على سفرة فيها طعام طيب رمى بطيبها الى اصحابه واكل هو الخبز والزيتون وقال ابراهيم بن ادهم قلة الحرص والطمع يورث الصدق والورع وكثرة الحرص والطمع يورث الغم والجزع وقال له رجل هذه جبة احب ان تقبلها مني فقال ان كنت غنيا قبلتها وان كنت فقيرا لم اقبلها قال انا غني قال كم عندك قال الفان قال تود ان تكون اربعة الاف قال نعم قال فانت فقير لا اقبلها وقال له رجل لو تزوجت فقال لو امكنني ان اطلق نفسي لطلقتها ومكث خمسة عشر يوما لا شي معه فلم يكن له زاد سوى الرمل بالماء وصلى بوضوء واحد خمس عشرة صلاة واكل يوما على حافة الشريعة كسيرات مبلولة وضعها بين يديه ابو يوسف الغسولي ثم قام فشرب من الشريعة ثم جاء فاستلقى على قفاه وقال يا ابا يوسف لو علم الملوك وابنا الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا بالسيوف ايام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش فقال له ابو يوسف طلب القوم الراحة والنعيم فاخطاوا الطريق المستقيم فتبسم ابراهيم وقال من ابن لك هذا الكلام وبينما هو بالمصيصة في جماعة من اصحابه اذ جاءه راكب فقال ايكم ابراهيم بن ادهم فارشد اليه فقال يا سيدي انا غلامك وان اباك قد مات وترك مالا هو عند القاضي وقد جيتك بعشرة الاف درهم لتنفقها عليك الى بلخ وفرس وبغلة فسكت ابراهيم طويلا ثم رفع راسه فقال ان كنت صادقا فالدراهم والبغلة والفرس لك ولا تخبر به احدا ويقال انه ذهب بعد ذلك الى بلخ واخذ المال من الحاكم وجعله كله في سبيل الله وكان معه بعض اصحابه فمكثوا اشهرا لم يحصل لهم شي ياكلونه فقال له ابراهيم ادخل الى هذه الغيضة وكان ذلك في يوم شات فدخلت فوجدت شجرة عليها خوخ كثير فملات منه جرابي ثم خرجت فقال ما معك فقلت خوخ فقال يا ضعيف اليقين لو صبرت لوجدت رطبا جنيا كما رزقت مريم بنت عمران وشكى اليه بعض اصحابه الجوع فصلى ركعتين فاذا حوله دنانير كثيرة فقال لصاحبه خذ منها دينارا فاخذه فاشتروا لهم به طعاما وذكروا انه كان يعمل بالفاعل ثم يذهب فيشتري الخبز الابيض والزبد وتارة الشوى والجوذابات والخبيص فيطعمه اصحابه وهو صايم واذا افطر ياكل من ردي الطعام ويحرم نفسه المطعم الطيب

ليؤثر به الناس تألفاً لهم وتحبباً وتودداً اليهم واضاف الاوزاعي ابراهيم بن ادهم
فقصر ابراهيم في الاكل فقال ما لك قصرت فقال لانك قصرت في الطعام ثم عمل ابراهيم
طعاما كثيرا ودعا الاوزاعي فقال له الاوزاعي اما تخاف ان يكون سرفا فقال لا انما
السرف ما كان في معصية الله فاما ما انفقه الرجل على اخوانه فهو من الدين وذكروا
انه حصد مرة بعشرين دينارا فجلس مرة عند حجام هو وصاحب له ليحلق روسهم
ويحجمهم فكانه تبرم بهم واشتغل عنهم بغيرهم فتاذى صاحبه من ذلك ثم اقبل عليهم الحجام
فقال ماذا تريدون قال ابراهيم اريد ان تحلق راسي وتحجمني ففعل ذلك فاعطاه ابراهيم
تلك العشرين دينارا وقال اردت ان لا تحتقر بعدها فقيرا ابدا وقال مضا بن عيسى
ما فاق ابراهيم اصحابه بصوم ولا صلاة ولكن بالصدق والسخا وكان ابراهيم بن ادهم يقول
فروا من الناس كفراركم من الاسد الضاري ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة وكان اذا سافر مع
احد من اصحابه يخدمه ابراهيم واذا حضر في مجلس فكانما على روسهم الطير هيبة له واجلالا
وربما تسامر هو وسفيان الثوري الليلة التامة الى الصباح وكان الثوري يعرف معرفة الكلام
ورأى رجلا قيل له هذا قاتل خالك فذهب اليه فسلم عليه واهدى له وقال بلغني ان الرجل
لا يبلغ درجة اليقين حتى يأمن منه عدوه وقال له رجل طوبى لك فقد تثبت عمرك في العبادة
وتركت الدنيا والزوجات فقال الك عيال قال لا فقال لروعة الرجل بعياله يعني
في بعض الاحيان من الفاقة افضل من عبادة كذا كذا سنة ورآه الاوزاعي ببيروت
وعلى عنقه حزمة حطب فقال يا ابا اسحاق ان اخوانك يكفونك هذا فقال له
اسكت يا ابا عمرو فقد بلغني انه اذا وقف الرجل موقف مذلة في طلب الحلال وجبت
له الجنة وخرج بن ادهم من بيت المقدس فمر بطبرية فاخذته المسلحة الطريق فقالوا
انت عبد قال نعم قالوا ابق قال نعم فسجنوه فبلغ اهل بيت المقدس خبره فجاؤا
برمتهم الى نائب طبرية فقالوا له علام سجنت ابراهيم بن ادهم قال ما سجنته قالوا بلى هو في
سجنك فاستحضره فقال علام حبست فقال سل المسلحة قالوا انت عبد قلت
نعم وانا عبد الله قالوا وابق قلت نعم انا عبد آبق من ذنوبي فخلى سبيله وذكروا
انه مر مع رفقة فاذا الاسد على الطريق فتقدم اليه ابراهيم بن ادهم فقال له يا قسورة
ان كنت امرت فينا بشيء فامض لما امرت له والا فعودك على بديك قال فولى السبع ذاهبا
يضرب بذنبه ثم اقبل علينا ابراهيم فقال قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام
واكنفنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وانت رجاؤنا يا الله
يا الله يا الله قال خلف بن تميم فما زلنا نقولها منذ سمعتها فما عرض لنا لص ولا غيره
وقد روي هذا من وجوه اخر وروي انه كان يصلي ذات ليلة فجاء اسد ثلاثة
فتقدم اليه احدهم فشم ثيابه ثم ذهب فربض قريبا منه وجاء الثاني ففعل كذلك
وجاء الثالث ففعل كذلك واستمر ابراهيم في صلاته فلما كان وقت السحر قال اللهم ان
كنت امرتهم في بشيء فليفعلوا والا فانصرفوا فانصرفوا وصعد مرة جبلا ومعه جماعة فقال
لهم لو ان وليا من اولياء الله قال لجبل زل لزال فتحرك الجبل تحته وقال اسكن
فانما ضربتك مثلا لاصحابي وفي رواية وكان الجبل ابا قبيس وركب مرة في سفينة فاخذهم
الموج ذات يوم من كل مكان فلف ابراهيم راسه بكسائه واضطجع وعج اصحاب السفينة

بالض

بالضجيج وايقظوه فقالوا الا ترى ما نحن فيه من الشدة فقال ليس هذا بشدة انما
الشدة الحاجة الى الناس ثم قال اللهم اريتنا قدرتك فارنا عفوك فصار البحر كانه
قدح زيت وكان قد طالبه صاحب السفينة باجرة حمله دينارين والح عليه فخرج
معه حتى الى جزيرة في البحر فقال ابن الدينارين فتوضأ ابراهيم وصلى ركعتين فاذا
ما حوله قد ملئ دنانير فقال له خذ حقك ولا تزد ولا تذكر هذا لاحد وعن حذيفة المرعشي
قال اويت انا وابراهيم بن ادهم الى مسجد بالكوفة فقال لي كانك جايع قلت نعم
فاخذ رقعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا
جايع انا نايع انا عاري • هي ستة وانا الضمين بنصفها • فكن الضمين بنصفها يا باري •
• مدحي لغيرك وهج نار خضتها • فاجر عبيدك من دخول النار •
ثم قال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع هذه الرقعة لاول رجل تلقاه فخرجت
فاذا رجل على بغلة فدفعتها اليه فلما قراها بكى ودفع الي ستمائة دينار فانصرفت
فسالت رجلا من هذا الذي على البغلة فقال هذا رجل نصراني فجيت ابراهيم
فاخبرته فقال الآن يجي ويسلم فما كان الا عن قريب حتى جاء فاكب على راس ابراهيم بن ادهم
واسلم وكان يقول دارنا امامنا وحياتنا بعد وفاتنا فاما الى الجنة واما الى النار
وكان يقول مثل لبصر قلبك حضور ملك الموت واعوانه لقبض روحك
وانظر كيف يكون ومثل له هول المطلع ومسايلة منكر ونكير وانظر كيف يكون ومثل
له القيامة واهوالها وافزاعها والعرض والحساب وانظر كيف يكون ثم صرخ صرخة
خر مغشيا عليه ونظر الى رجل من اصحابه يضحك فقال له لا تطمع فيما لا يكون ولا
تيأس مما يكون فقيل له كيف هذا يا ابا اسحاق فقال لا تطمع في البقاء والموت
يطلبك فكيف يضحك ولا يدري اين يذهب الجنة ام الى النار ولا تيأس مما يكون
الموت يأتيك صباحا او مساء ثم قال اوه اوه وخر مغشيا عليه وكان يقول
ما لنا نشكو فقرنا الى مثلنا ولا نسأل كشفه من ربنا ثم يقول ثكلت عبد الله
احب الدنيا ونسي ما في خزائن مولاه وقال اذا كنت بالليل نائما وبالنهار هائما
وبالمعاصي دائما فكيف ترضي من هو بامرك قائما ورآه بعض اصحابه بمسجد بيروت
وهو يبكي ويضرب بيديه على راسه فقال ما يبكيك فقال ذكرت يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار وقال انك كلما امعنت النظر في مرآة التوبة بان لك
قبح شين المعصية وكتب الى الثوري من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن
اطلق بصره طال اسفه ومن اطلق امله ساء عمله ومن اطلق لسانه قتل نفسه
وسأله بعض الولاة من اين معيشتك فانشا يقول •
• نرقع دنيانا بتمزيق ديننا • فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع •
وكان كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات •
• بما توعد الدنيا به من شر دهرها • يكون بكاء الطفل ساعة يوضع •
• والا فما يبكيه منها وانها • لاروح مما كان فيه واوسع •
• اذا ابصر الدنيا استهل كانما • يرى ما سيلقى من اذاها ويسمع •
وكان ايضا يتمثل بهذه الابيات •

رأيت الذنوب تميت القلوب • ويتبعها الذل إدمانها •
وترك الذنوب حياة القلوب • والخير للنفس عصيانها •
وما أفسد الدين إلا الملوك • وأحبار سوء ورهبانها •
وباعوا النفوس فلم يربحوا • ولم يغل بالبيع أثمانها •
لقد رتع القوم في جيفة • تبين لذي اللب إنتانها •

وقال إبراهيم بن أدهم إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق في قلبك والاشتغال عن عيوبهم بذنبك وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل فكر في ذنبك وتب إلى ربك ينبت الورع في قلبك واقطع الطمع إلا من ربك وقال أيضا ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك ذم مولانا الدنيا فمدحناها وأبغضها فأحببناها وزهدنا فيها فآثرناها ورغبنا في طلبها ووعدكم خراب الدنيا فحصنتموها ونهاكم عن طلبها فطلبتموها وأنذركم الكنوز فكنزتموها دعتكم إلى هذه الغرارة دواعيها فأجبتم مسرعين مناديها خدعتكم بغرورها ومنتكم فانقدتم خاضعين لأمانيها تتمرغون في زهراتها وتتنعمون في لذاتها وتتقلبون في شهواتها وتتلوثون بتبعاتها تنبشون بمخالب الحرص عن خزائنها وتحفرون بمعاول الطمع في معادنها وشكى رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرة العيال فقال ابعث إلي منهم من لا رزقه على الله فسكت الرجل وقال إبراهيم مررت في بعض جبال الشام فإذا حجر مكتوب عليه بالعربية • •

كل حي وإن بقي • فمن العمر يستقي •
فاعمل اليوم واجتهد • واحذر الموت يا شقي •

فبينا أنا واقف أقرأ وأبكي إذا برجل أشعث أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم وقال مم تبكي فقلت من هذا فأخذ بيدي ومضى غير بعيد فإذا صخرة عظيمة مثل المحراب فقال اقرأ وابك ولا تقصر وقام هو يصلي فإذا في ناحية منها •

لا تبغين جاها وجاهك ساقط • عند المليك وكن لجاهك مصلحا •

وفي الجانب الآخر • •

من لم يثق بالقضاء والقدر • لاقى هموما كثيرة الضرر •
ما أزين التقى وأقبح الخنا • وكل مأخوذ بما جنى •
وعند الله الجزاء وبعد ذلك • إنما النور والعتق في تقى الله والعمل •

قال فلما فرغت من القراءة التفت فإذا ليس الرجل هناك فما أدري انصرف أو حجب عني وقال إبراهيم بن أدهم أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان ومن وفى العمل وفي له الأجر ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير وقال أيضا كل سلطان لا يكون عادلا فهو واللص بمنزلة واحدة وكل عالم لا يكون ورعا فهو والذئب بمنزلة واحدة وكل من يخدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة وقال أيضا أعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في الفعال فلم نعرب وقال كنا إذا رأينا الشاب يتكلم في المجلس أيسنا من خيره وقال إبراهيم لأصحابه جانبوا الناس ولا تنقطعوا عن جمعة ولا جماعة وقال الحافظ أبو بكر الخطيب أنا القاضي أبو محمد

الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذي أنا أبو عبد الله بن محمد الحميدي الشيرازي أنا القاضي أحمد بن محمود بن خرزاد الأهوازي حدثني علي بن محمد القصري حدثني أحمد بن محمد الحلبي سمعت سريا السقطي يقول سمعت بشر بن الحارث الحافي يقول قال إبراهيم بن أدهم وقفت يوما على راهب في جبل لبنان فناديته فأشرف علي فقلت له عظني فأنشأ يقول •

خذ عن الناس جانبا • كي يعدوك راهبا •
إن دهرا أظلني • قد أراني العجائبا •
قلب الناس كيف شئت • تجدهم عقاربا •

قال بشر فقلت لإبراهيم هذه موعظة الراهب فعظني أنت فأنشأ يقول

توحش من الإخوان لا تبغ مؤنسا • ولا تتخذ خلا ولا تبغ صاحبا •
وكن سامري الفعل من نسل آدم • وكن أوحديا ما قدرت مجانبا •
فقد فسد الإخوان والحب والإخا • فلست ترى إلا مذوقا وكاذبا •
فقلت ولولا أن يقال مدهده • وتنكر حالاتي لقد صرت راهبا • [في الهامش: راهبا]

قال سري فقلت لبشر هذه موعظة إبراهيم لك فعظني أنت فقال عليك بلزوم بيتك فقلت بلغني عن الحسن أنه قال لولا الليل وملاقاة الإخوان ما كنت أبالي متى مت فأنشأ يقول •

يا من يسر برؤية الإخوان • مهلا أمنت مكايد الشيطان •
خلت القلوب من المعاد وذكره • وتشاغلوا بالحرص والخسران •
صارت مجالس من ترى وحديثهم • في هتك مستور وخلق قران •

قال الحلبي فقلت لسري هذه موعظة بشر لك فعظني أنت فقال عليك بالإخمال فقلت إني أحب ذلك فأنشأ يقول •

يا من يريد بزعمه إخمالا • إن كان حقا فاستعد خصالا •
ترك المجالس والتذاكر يا أخي • واجعل خروجك للصلاة خيالا •
بل كن بها حيا كأنك ميت • لا يرتجي منه القريب وصالا •

قال علي بن محمد القصري قلت للحلبي هذه موعظة سري لك فعظني أنت فقال يا أخي أحب الأعمال إلى الله ما أصدرها إليه من قلب زاهد في الدنيا فازهد في الدنيا يحببك الله ثم أنشأ يقول •

أنت في دار شتات • فتأهب لشتاتك •
واجعل الدنيا كيوم • صمته عن شهواتك •
واجعل الفطر إذا ما • صمته يوم مماتك •

قال ابن خرزاد قلت لعلي هذه موعظة الحلبي لك فعظني أنت فقال لي احفظ وقتك واسخ بنفسك لله عز وجل وانزع قيمة الأشياء عن قلبك يصفو بذلك سرك ويزكو به ذكرك ثم أنشد لي •

حياتك أنفاس تعد فكلما • مضى نفس منها انتقصت به جزءا •
فتصبح في نقص وتمسي بمثله • وما لك معقول تحس به رزءا •

يمينك ما يحييك في كل ساعة ... ويحدوك حادٍ ما يريد بك الهزا

قال ابو محمد فقلت لاحمد هذه موعظة على لك فعظني فقال يا اخي عليك بلزوم الطاعة واياك ان تبرح من باب القناعة واصلح مثواك ولا تؤثر هواك ولا تبع آخرتك بدنياك واشتغل بما يعنيك تترك ما لا يعنيك ثم انشدني

ندمت على ما كان مني ندامة ... ومن يتبع ما تشتهي النفس يندم

فخافوا لكيما تأمنوا بعد موتكم ... ستلقون ربا عادلا ليس يظلم

فليس لمغرور بدنياه زاجر ... ستندم ان زلت بك النعل فاعلم

قال القاضي ابو محمد بن رامين فقلت لابي محمد هذه موعظة احمد لك فعظني انت فقال اعلم رحمك الله ان الله عز وجل نزل العبيد حيث نزلت قلوبهم بهمومها فانظر اين نزلت قلبك واعلم انه يقرب القلوب على حسب ما قربا ليها فانظر من القريب من قلبك وانشدني

قلوب رجال في الحجاب نزول ... وارواحهم فيها هنا لك حلول

تروح بنعيم الانس في عز قربه ... بافراد توحيد المليك تجول

لهم بفناء القرب من محض بره ... عوايد بذل خطبهن جليل

قال الحافظ ابو بكر الخطيب فقلت للقاضي ابي محمد بن رامين هذه موعظة الحميدي لك فعظني انت فقال اتق الله وثق به ولا تتهمه فان اختياره لك خير لك من اختيارك لنفسك وانشدني

اتخذ الله صاحبا ... وذر الناس جانبا

جرب الناس كيف شئت ... تجدهم عقاربا

قال ابو الفرج غيث الصوري فقلت للخطيب البغدادي هذه موعظة ابن رامين لك فعظني انت فقال احذر نفسك التي هي اعدى اعدايك ان تتابعها على هواها فذاك اعضل دايك واستشعر الخوف من الله بخلانها واذكر على قلبك ذكر نعوتها واوصافها فانها الامارة بالسوء والفحشا والموردة من اطاعها موارد العطب والبلا واعمد في جميع امورك الى تحري الصدق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقد ضمن الله لمن خالف هواه ان يجعل دار الخلد قراره وماواه ثم انشد لنفسه

ان كنت تبغي الرشاد محضا ... في امر دنياك والمعاد

فخالف النفس في هواها ... ان الهوى جامع الفساد

قال الحافظ بن عساكر المحفوظ ان ابراهيم بن ادهم توفي سنة ثنتين ومائة وقال غيره سنة احدى وقيل سنة ثلاث والصحيح ما قاله ابن عساكر كما ذكرنا ولله الحمد وذكروا انه توفي بجزيرة من جزاير بحر الروم وهو مرابط وانه ذهب الى الخلا الليلة وفاته نحوا من عشرين مرة وكل مرة يجدد الوضوء بعدها فلما تغشيه الموت قال اوتروا الى قوسي وقبض على القوس ومات وهو كذلك رحمه الله واكرم مثواه وقد قال ابو سعيد بن ابراهيم ثنا محمد بن علي بن زيد الصايغ قال سمعت الشافعي يقول سمعت السري بن حيان يقول وكان سفيان يعجبه

اجاعتهم الدنيا فجاعوا ولم يزل ... كذلك ذوو التقوى عن العيش ملجما

اخو طي داود منهم ومسعر ... ومنهم وهيب والغريب بن ادهما

وفي ابن سعيد قدوة البر والنهى ... وفي الوارث الفاروق صدقا مقدما

وحسبك منهم بالفضيل مع ابنه ... ويوسف ان لم يال ان يتسلما

اوليك اصحابي واهل مودتي ... فصلى عليهم ذو الجلال وسلما

فما ضر ذو التقوى نصال السنة ... وما زال ذو التقوى اعز واكرما

وما زالت التقوى تريك على الفتى ... اذا محض التقوى من العز ميسما

وروى البخاري في كتاب الادب عن ابراهيم بن ادهم واخرج له الترمذي في جامعه حديثا معلقا في المسح على الخفين

واما داود الطائي

فهو داود بن نصير الطائي ابو سليمان الكوفي الفقيه الزاهد اخذ الفقه عن ابي حنيفة قال سفيان بن عيينة ثم ترك طلب الفقه واقبل على العبادة ودفن كتبه وقال عبد الله بن المبارك وهل الامر الا ما كان عليه داود الطائي وقال يحيى بن معين كان ثقة وقال الخطيب البغدادي ترك الفقه واقبل على العبادة حتى مات وقد قدم على المهدي بغداد ثم عاد الى الكوفة ومات في سنة ستين ومائة وقيل في سنة خمس وستين ومائة قلت وقد ذكر شيخنا ابو عبد الله الذهبي في تاريخه انه توفي في هذه السنة اعني سنة ثنتين وستين ومائة فالله اعلم

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

فيها حصر المقنع الزنديق الذي كان قد نبغ بخراسان وقال بالتناسخ واتبعه على جهالته وضلالته خلق من الطغام وسفهاء الانام والسفلة من العوام ومنعوه من الجنود في ذلك العام فلما كان في هذه السنة لجا الى قلعة كش سعيد الحرشي فالح عليه في الحصار فلما احس بالغلبة تحسى سما وسم نساءه فماتوا جميعا عليهم لعائن الله ودخل الجيش الاسلامي قلعته فاحتزوا راسه وبعثوا به الى المهدي وكان المهدي حين جاءه راس المقنع بحلب قال القاضي ابن خلكان المقنع الخراساني قيل اسمه عطا وقيل حكيم وكان اولا قصارا وكان قد ادعى الربوبية مع انه كان اعور قبيح المنظر وكان يتخذ له وجها من ذهب وينتقع فوق ذلك فاتبعه على جهالته خلق كثير من الجهلة وكان يرى الناس قمرا من مسيرة شهرين ثم يغيب فعظم اعتقادهم فيه ومنعوه بالسلاح وكان يزعم لعنه الله وتعالى الله عما يقول علوا كبيرا ان الله ظهر في صورة آدم ولهذا سجدت له الملايكة ثم في نوح ثم في الانبيا واحدا واحدا ثم تحول الى ابي مسلم الخراساني ثم تحول اليه ولما حاصره المسلمون في قلعته التي كان قد جددها بناحية كش مما وراء النهر ويقال لها سنام سقى نساءه واهله سما وتحسى هو ايضا منه فماتوا كلهم لعنهم الله اجمعين واستحوذ المسلمون على حواصله واموال كلها وفيها جهز المهدي البعوث من خراسان وغيرها من البلاد لغزو الروم وامر على الجميع ولده هارون الرشيد وخرج من بغداد مشيعا له فسار معه مراحل واستخلف على بغداد ولده موسى الهادي وكان في هذا الجيش الحسن بن قحطبة والربيع الحاجب وخالد بن برمك وهو مثل الوزير للرشيد ولي العهد ويحيى بن خالد هو كاتبه واليه النفقات وسار المهدي مع ولده مشيعا له حتى بلغ دروب الروم عند جيحان وارتاد هناك المدينة المسماة بالمهدية في بلاد الروم ثم رجع

الى الشام وزار بيت المقدس فساروا الى بلاد الروم في جحافل عظيمة ففتح الله عليهم فتوحات كثيرة وغنموا اموالا جزيلة جدا وكان لخالد بن برمك في ذلك اثر جميل لم يكن لغيره وبعثوا بالبشارة مع سليمان بن برمك الى المهدي فاكرمه المهدي واجزل عطاءه وفيها عزل المهدي عمه عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى عليها زفر بن عاصم الهلالي ثم عزله وولى عبد الله بن صالح بن علي وفيها ولى المهدي ولده هارون الرشيد بلاد المغرب واذربيجان وارمينية وجعل على رسايله يحيى بن خالد بن برمك وولى وعزل جماعة من النواب وحج بالناس فيها علي بن المهدي وفيها توفي ابراهيم بن طهمان وحريز بن عثمان الرحبي الحمصي وموسى بن علي اللخمي المصري وشعيب بن ابي حمزة وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور واليه ينسب نهر عيسى ونهر عيسى ببغداد قال ابن معين كان له مذهب جميل كان معتزلا للسلطان توفي في هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة وهمام بن يحيى ويحيى بن ايوب المصري وعبيدة بنت ابي كلاب العابدة بكت من خشية الله اربعين سنة حتى عميت وكانت تقول لا اشتهي الموت فاني اخشى ان اجني على نفسي جناية تكون سبب هلاكي يوم القيامة

ثم دخلت سنة اربع وستين ومائة

فيها غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بلاد الروم فاقبل اليه ميخائيل البطريق في نحو من تسعين الفا فيهم طازاذ الارمني البطريق ففشل عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف فاراد المهدي ضرب عنقه فكلم فيه فحبسه في المطبق وفي يوم الاربعاء اواخر ذي القعدة اسس المهدي قصرا من لبن بعيسا باذ ثم عزم على الذهاب الى الحج فقل الماء واصابه حمى فرجع من اثناء الطريق فعطش الناس في الرجعة حتى كاد بعضهم يهلك فغضب المهدي على يقطين صاحب المصانع وبعث من حيث رجع المهلب بن صالح بن ابي جعفر ليحج بالناس فحج بهم عامئذ وفيها توفي حماد الراوية وكان من اعلم الناس بايام الناس والشعر والعربية والادب وقد كانت بنو امية تعظمه وتستجيزه وقد دخل على المنصور والمهدي وشيبان بن عبد الرحمن النحوي وعبد العزيز بن ابي سلمة الماجشون ومبارك بن فضالة صاحب الحسن البصري

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

فيها جهز المهدي ولده هارون الرشيد لغزو الصايفة وانفذ معه من الجيوش خمسة وتسعين الفا وسبعماية وثلاثة وتسعين رجلا وكان معه من النفقة ماية الف دينار وثلاثة وتسعون الفا واربعماية وخمسون دينارا ومن الفضة احد وعشرون الف الف درهم قال ابو جعفر بن جرير فبلغ هارون بجنوده الخليج الذي على القسطنطينية وصاحب الروم يوميذ عطشة امراة اليون ومعها ابنها في حجرها من الملك الذي توفي عنها فطلبت الصلح من الرشيد على ان تدفع اليه سبعين الف دينار في كل سنة فقبل منها ذلك وذلك بعدما قتل من الروم في الوقايع اربعة وخمسين الفا واسر من الذراري خمسة الاف راس وستماية وثلاثة واربعين اسيرا وقتل من الرجال الفي اسير صبرا وغنم من الدواب بادواتها عشرين الف فرس وذبح من البقر والغنم ماية الف راس وبيع البرذون بدرهم والبغل باقل من عشرة دراهم والدرع باقل من درهم وعشرون سيفا بدرهم فقال في ذلك مروان بن ابي حفصة

• اطفت بقسطنطينية الروم مسندا • اليها القنا حتى اكتسى الذل سورها •

• وما رمتها حتى اتتك ملوكها • بجزيتها والحرب تغلي قدورها •

وحج بالناس في هذه السنة صالح بن ابي جعفر المنصور وفيها توفي سليمان بن المغيرة وعبد الله بن العلاء بن زبر وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ووهيب بن خالد

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

في المحرم منها قدم الرشيد من بلاد الروم فدخل بغداد في ابهة عظيمة ومعه الروم يحملون الجزية من الذهب وغير ذلك وفيها اخذ المهدي البيعة لولده هارون من بعد موسى الهادي ولقب هارون بالرشيد وفيها سخط المهدي على يعقوب بن داود وقد كان حظي عنده حتى استوزره وارتفعت منزلته في الوزارة حتى فوض اليه جميع امر الخلافة وفي ذلك يقول بشار

• بني امية هبوا طال نومكم • ان الخليفة يعقوب بن داود •

• ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا • خليفة الله بين الزق والعود •

فلم يزل السعاة والوشاة بينه وبين الخليفة حتى اخرجوه عليه وكلما سعوا به اليه دخل عليه فاصلح امره عنده حتى وقع من امره ما سنذكره وهو انه دخل ذات يوم على المهدي في مجلس عظيم قد فرش بانواع الفرش والوان الحرير وحول ذلك المكان اشجار مزهرة بانواع الازاهير فقال يا يعقوب كيف رايت مجلسنا هذا فقلت يا امير المؤمنين ما رايت شيئا احسن منه فقال هو لك بما فيه وهذه الجارية ليتم بها سرورك ولي اليك حاجة احب ان تقضيها قلت وما هي يا امير المؤمنين فقال حتى تقول نعم فقلت يا امير المؤمنين وعلي السمع والطاعة فقال الله قلت الله قال وحياة راسي قلت وحياة راسك فقال ضع يدك على راسي ففعلت ذلك فقال ان هاهنا رجلا من العلويين احب ان تكفينيه واظهر انه الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي فقلت نعم قال وعجل علي ثم امر بتحويل ما في ذلك المجلس من الفرش وبعث لي ماية الف درهم وتلك الجارية فما فرحت بشيء فرحي بها فلما صارت الي حجبتها في جانب الدار في الخدر وجيء بذلك العلوي فجلس الي فتكلم فما رايت اعقل منه ولا افهم فقال لي يا يعقوب تلقى الله بدمي وانا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله ولكن اذهب حيث شئت فقال اني اختار بلاد كذا وكذا فقلت اذهب كيف شئت ولا يظهرن عليك المهدي فتهلك واهلك فخرج من عندي وجهزته مع رجلين يسفرانه ويوصلانه بعض البلاد ولم اشعر بان الجارية قد احاطت علما بما جرى فبعثت خادمها الى المهدي فاعلمه بذلك ويقول له هذا الذي اثرته فعل كذا وكذا فغضب المهدي فبعث المهدي الى تلك الطريق فردوا العلوي فحبسه عنده في بيت من دار الخلافة وارسل الي في اليوم الثاني فدخلت ولا اشعر بامر العلوي فلما دخلت عليه قال لي ما فعل العلوي فقلت مات قال الله قلت الله قال فضع يدك على راسي واحلف بحياته ففعلت فقال يا غلام اخرج ما في هذا البيت فخرج العلوي فاسقط في يدي وقال لي المهدي دمك لي حلال ثم امر به المهدي في بير في المطبق قال يعقوب فكنت في مكان لا اسمع فيه ولا ابصر فذهب بصري وطال شعري حتى صرت مثل البهايم ومكثت على هذا دهرا طويلا فبينما انا ذات يوم اذ دعيت فخرجت من البير الذي كنت فيه فقيل لي سلم على امير المؤمنين فسلمت وانا اظنه المهدي فلما ذكرت المهدي في كلامي قال رحم الله المهدي فقلت الهادي فقال رحم الله الهادي فقلت الرشيد قال نعم فقلت يا امير المؤمنين قد رايت ما حل بي من الضعف والعلة فان رايت ان تطلقني فقال اين تريد

ثم ذهب ثلث الى مكة فقال اذ ذهب اشد انسار الى مكة فما لبث بها الا قليلا حتى توفاه الدهر وجلد وقد كان يعقوب بن داود يعظ المهدى في تعاطيه شرب النبيذ بين يديه وكثرة سماع الغنا فيلومه على ذلك ويقول اما على هذا استوزرتنى ولا على هذا صحبتك ابعد الصلوات الخمس في المسجد الحرام تشرب النبيذ بين يديك فيقول فقد سمع عبد الله بن جعفر فقال له ان ذلك لم يكن من حسناته ولو كان من هذا قربة لكان كلما داوم عليها العبد افضل له وفي ذلك يقول بعض الشعرا

دع عنك يعقوب بن داود جانبا • واقبل على صهباء طيبة النشر

وفي هذه السنة ذهب المهدى الى قصره المسمى بقصر السلام بعيسى باذ بنى له بالآجر بعد القصر الاول الذى كان باللبن فسكنه وضرب منه الدراهم والدنانير وفيها امر المهدى باقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يفعل هذا قبل هذه السنة وفيها خرج موسى الهادى الى جرجان وقد جعل على القضا ابا يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب ابى حنيفة رحمهم الله وفيها حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد عامل الكوفة ولم يكن في هذه السنة صايفة للمهدنة التى كانت بين الرشيد وبين الروم وفيها توفى صدقة بن عبد الله السمين وابو الاشهب العطاردى وابو بكر السهيلى وعفير بن معدان

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

فيها وجه المهدى ابنه موسى الهادى الى جرجان في جيش كثيف لم ير مثله وجعل على رسايله ابان بن صدقة وفيها توفى عيسى بن موسى الذى كان ولى العهد من بعد المهدى فخلع وكانت وفاته بالكوفة فاشهد ناييها روح بن حاتم على وفاته القاضى وجماعة من الاعيان ثم دفنه وكان قد امتنع من الصلاة عليه فبلغ ذلك المهدى فكتب اليه يعنفه اشد التعنيف وان يحاسبته على عمله وفيها عزل المهدى ابا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسايل وولاه الربيع بن يونس الحاجب فاستخلف فيه سعيد بن واقد وكان ابو عبيد الله يدخل على مرتبته وفيها وقع وبا شديد وسعال كثير ببغداد واظلمت الدنيا فكانت كالليل حتى تعالى النهار وكان ذلك لليالى بقين من ذى الحجة من هذه السنة وفيها تتبع المهدى جماعة من الزنادقة من سائر الافاق فاستحضرهم وقتلهم صبرا بين يديه وكان المتولى امر الزنادقة عمر الكلوذانى وفيها امر المهدى بزيادة كثيرة في المسجد الحرام فدخل في ذلك دور كثيرة وولى ذلك يقطين بن موسى الموكل بامر الحرمين ومصالحهما فلم يزل في عمارة ذلك حتى توفى المهدى كما سياتى ولم يكن للناس صايفة للهدنة وحج بالناس في هذه السنة نايب المدينة ابراهيم بن محمد وتوفى بعد فراغه من الحج بايام وولى مكانه اسحاق بن عيسى بن على بن عبد الله بن عباس

وممن توفى فيها من الاعيان

بشار بن برد ابو معاذ الشاعر مولى عقيل ولد اعمى وقال الشعر وهو دون عشر وله التشبيهات التى لم يهتد اليها البصراء وقد اثنى عليه الاصمعى والجاحظ وابو تمام وابو عبيدة وقال له ثلاثة عشر الف بيت من الشعر جيد بلغ المهدى انه هجاه وشهد عليه قوم انه زنديق فامر به فضرب حتى مات عن بضع وتسعين سنة وقد ذكره القاضى ابن خلكان في الوفيات فقال بشار بن برد بن يرجوخ العقيلى مولاهم وقد نسبه صاحب الاغانى فاطال نسبه وهو بصرى قدم بغداد واصله من طخارستان وولد اعمى وكان ضخما عظيم الخلق وشعره في اول

طبقات المولدين ومن شعره البيت المشهور

هل تعلمين وراء الحب منزلة •	يدنى اليك فان الحب اقصانى •	وقوله
انا والله اشتهى سحر عينيك •	واخشى مصارع العشاق •	وله ايضا
يا قوم اذنى لبعض الحى عاشقة •	والاذن تعشق قبل العين احيانا •	
قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم •	الاذن كالعين توفى القلب ما كانا •	وله ايضا
اذا بلغ الراى المشورة فاستعن •	بحزم نصيح او نصيحة حازم •	
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة •	فريش الخوافى تابع للقوادم •	
وما خير سيف امسك الغل اخته •	وما خير سيف لم يؤيد بقايم •	

كان يمدح الخليفة المهدى حتى وشى اليه الوزير انه هجاه وقذفه ونسب اليه الشى من الزندقة وانه يقول بتفضيل النار على التراب وعذر ابليس في ترك السجود لادم وانه انشد

الارض مظلمة والنار مشرقة • والنار معبودة مذ كانت النار •

فامر المهدى بضربه فضرب حتى مات ويقال انه غرق ثم نقل الى البصرة وذلك في هذه السنة والحسن بن صالح بن حى وحماد بن سلمة والربيع بن مسلم وسعيد بن عبد العزيز وعبد العزيز بن مسلم وعتبة الغلام وهو عتبة بن ابان بن صمعة احد العباد المشهورين البكا الذكور بن كان ياكل من عمل يده في الخوص ويصوم الدهر ويفطر على الخبز والملح

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

فيها في رمضان منها نقضت الروم ما بينهم وبين المسلمين من الصلح الذى عقده لهم هرون الرشيد عن امر ابيه المهدى ولم يستمر واعني الصلح الا اثنين وثلثين شهرا فبعث نايب الجزيرة خيلا الى بلاد الروم فقتلوا واسروا وغنموا وسلموا ولله الحمد وفيها اتخذ المهدى دواوين الازمة ولم تكن بنو امية يعرفون ذلك وفيها حج بالناس على بن محمد المهدى الذى يقال له ابن ريطة وممن توفى فيها من الاعيان الحسن بن زيد بن حسن بن على بن ابى طالب ولاه المنصور المدينة خمس سنين ثم غضب عليه فعزله وحبسه واخذ جميع ما له وحماد عجرد وكان ظريفا ماجنا شاعرا وكان ممن يعاشر الوليد بن يزيد وهاجى بشار بن برد وقدم على المهدى ونزل الكوفة واتهم بالزندقة قال ابن قتيبة في طبقات الشعرا ثلاثة حمادون بالكوفة يرمون بالزندقة حماد الراوية وحماد عجرد وحماد بن الزبرقان النحوى وكانوا يتعاشرون ويتماجنون خارجة بن مصعب وعبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحسن العنبرى قاضى البصرة بعد سوار سمع خالد الحذا وداود بن ابى هند وسعيد الجريرى وروى عنه ابن مهدى وكان ثقة فقيها له اختيارات تعزى اليه غريبة في الاصول والفروع وقد سئل مرة عن مسألة فاخطا في الجواب فقال له قايل الحكم فيها كذا وكذا فاطرق ساعة ثم قال اذن انا ارجع وانا صاغر لان اكون ذنبا في الحق احب الى من ان اكون راسا في الباطل توفى في ذى القعدة من هذه السنة وقيل بعد ذلك بعشر سنين فالله اعلم غوث بن سليمان بن زياد بن ربيعة بن نعيم ابو يحيى المصرى قاضى مصر كان من خيار الحكام ولى الديار المصرية ثلاث مرات في ايام المنصور والمهدى

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

في المحرم منها توفى امير المومنين المهدى بن المنصور العباسى رحمه الله بكان تيقا للماسبذان بالحمى وقيل مسموما وقيل بعصه فرس ثمان على ما سياتى بيانه وهذه ترجمته محمد بن عبد الله

ابو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابو عبد الله المهدي امير المؤمنين
وانما لقب بالمهدي طمعا ان يكون الموعود به في الاحاديث فلم يكن به وان اشتركا في الاسم
لانه لم يشبهه في الفعل ذاك الذي يأتي في اخر الزمان وعند فساد الدنيا فيملا الارض عدلا كما ملئت
جورا وظلما وقد قيل انه في ايامه ينزل عيسى بن مريم بدمشق وسيأتي ذكر ذلك في احاديث
الفتن والملاحم وذكر المهدي ونزول عيسى بن مريم ان شا الله وبه الثقة وقد جا في حديث
من طريق عثمان بن عفان ان المهدي من بني العباس وقد جا موقوفا على ابن عباس وكعب الاحبار
ولا يصح ذلك وبتقدير صحة شي من ذلك لا يلزم ان يكون هذا على التعيين وقد ورد في حديث
اخر المهدي من ولد فاطمة فهو معارض لهذا والله اعلم وامه ام موسى بنت منصور بن عبد الله
الحميري روى عن ابيه عن جده عن ابيه عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جهر ببسم الله الرحمن الرحيم رواه عنه يحيى بن حمزة البتلهي قاضي دمشق وذكر انه صلى خلف
المهدي حين قدم دمشق فجهر في السورتين بالبسملة واسند ذلك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم رواه غير واحد عن يحيى بن حمزة وروى المبارك عن المهدي بن فضالة انه روى
عنه ايضا جعفر بن سليمان الضبعي ومحمد بن عبد الله الرقاشي وابو سفيان سعيد بن يحيى
بن مهدي وكان مولد المهدي في سنة ست او سبع وقيل سنة احدى وعشرين ومائة بالحميمة من
ارض البلقا واستخلف بعد موت ابيه في ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة وعمره اذ
ذاك ثلاث وثلاثون سنة وتوفي في محرم هذه السنة عن ثلاث او ثمان واربعين سنة وكانت
خلافته عشر سنين وشهرا وبعض شهر وكان اسمر طويلا جعد الشعر على احدى عينيه نكتة بيضا
فقيل عينه اليمنى وقيل اليسرى قال الربيع الحاجب رايت المهدي يصلي في ليلة مقمرة في بهو له
عليه ثياب حسان فما ادري اهو احسن ام القمر ام بهوه ام ثيابه فقرا فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ثم امرني فاحضرت رجلا من قرابته كان مسجونا
فاطلقه ولما جاءه الخبر بموت ابيه بمكة وهو ببغداد مع منارة البربري مولاه في السادس عشر
من ذي الحجة من سنة ثمان ومائة وكان ولي العهد من بعد ابيه فكتم الامر يومين ثم نودي
في الناس يوم الخميس الصلاة جامعة فقام فيهم خطيبا فاعلمهم بموت ابيه فقال ان امير المؤمنين
دعي فاجاب وقد قلدت بعده محسبا فعند الله احتسب امير المؤمنين واستعينه على خلافة
المسلمين وبايعه الناس بالخلافة يومئذ وقد عزاه ابو دلامة وهناه في قصيدته التي يقول
فيها

عيناي واحدة ترى مسرورة ... بامير ما جذلى واخرى تذرف
تبكي وتضحك تارة ويسوءها ... ما انكرت ويسرها ما تعرف
فيسوءها موت الخليفة محرما ... ويسرها ان قام هذا الاراف
ما ان رايت كما رايت ولا ارى ... شعرا ارجله واخر ينتف
هلك الخليفة يا لامة احمد ... واتاكم من بعده من يخلف
اهدى لهذا الله فضل خلافة ... ولذاك جنات النعيم تزخرف

وقد قال المهدي يوما في خطبة ايها الناس اسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا تهنكم العافية
وتحمدوا العاقبة واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم وطوى ثوب الاصر عنكم واهال
عليكم السلامة ولين المعيشة من حيث يراه الله مقدما ذلك فعل من تقدمه والله لافنين

عمري بين عقوبتكم والاحسان اليكم قال فاشرقت وجوه الناس من حسن كلامه ثم استخرج
المهدي حواصل ابيه من الذهب والفضة التي لا تحد ولا توصف كثرة ففرقها في الناس
ولم يعط اهله ومواليه شيئا منها بل اجرى لهم ارزاقا بحسب كفايتهم من بيت المال لكل واحد
خمسماية في الشهر غير الاعطيات وقد كان ابوه المنصور حريصا على توفير بيت المال
وانما كان ينفق في السنة الفي درهم من مال الشراة وامر المهدي ببناء مسجد الرصافة وعمل
خندق وسور حولها وبنى مدنا قد ذكرناها فيما تقدم وقد ذكر له عن شريك القاضي انه
لا يرى الصلاة خلفه فاحضره اليه فتكلم معه ثم قال له المهدي في كلامه يا ابن الزانية فقال
مه مه يا امير المؤمنين فلقد كانت صوامة قوامة فقال له يا زنديق لاقتلنك فضحك
شريك وقال يا امير المؤمنين ان للزنادقة علامات يعرفون بها القهوات واتخاذهم
القينات فاطرق المهدي وخرج شريك من بين يديه وذكروا انه هاجت ريح شديدة في زمن
المهدي فدخل بيتا في داره فالزق خده بالارض وقال اللهم ان كنت انا المطلوب بهذه
الجناية دون الناس فها انا ذا بين يديك اللهم فلا تشمت بي الاعداء من اهل الاديان فلم
يزل كذلك حتى انجلت ودخل عليه رجل يوما ومعه نعل فقال له هذه نعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اهديتها لك فقال هاتها فناوله اياها فقبلها ووضعها
على عينيه وامر له بعشرة الاف درهم فلما انصرف الرجل قال المهدي والله اني لاعلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير هذه النعل فضلا عن ان يلبسها ولكن لو رددته
لذهب يقول للناس اعطيته نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي فيصدقه
اكثر الناس لان العامة تميل الى امثالها ومن شانهم نصر الضعيف على القوي وان كان
ظالما فاشترينا لسانه بعشرة الاف ورايناه هذا ارجح وانجح واشتهر عنه ايضا انه كان
يحب الحمام والسباق بينها فدخل عليه جماعة من المحدثين فيهم غياث بن ابراهيم
فحدثه بحديث ابي هريرة لا سبق الا في خف او نعل او حافر وزاد في الحديث او جناح فامر
له بعشرة الاف فلما خرج قال والله اني لارى قفا كذاب على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم امر بالحمام فذبح ولم يذكر غياثا بعدها وقال لوا قد دخلت يوما
على المهدي فحدثته باحاديث فكتبها عني ثم قام فدخل بيوت نسائه ثم خرج وهو ممتلئ
غيظا فقلت ما لك يا امير المؤمنين ان رسول الله قال انهن يغلبن الكرام ويغلبهن
اللئام وقال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي وقال خلقت المراة من ضلع اعوج ان
قومته كسرته وحدثته في هذا الباب بكل ما حضرني فامر لي بالفي دينار فلما دخلت
المنزل اذا رسول الخيزران قد لحقني بالفي دينار الا عشرة دنانير واذا معه اثواب خز
وبعثت تتشكر لي وتثني علي معروفا وذكروا ان المهدي كان قد اهدر دم رجل من اهل الكوفة
وجعل لمن جاء به مائة الف فدخل الرجل بغداد متنكرا فبينما هو يوما في بعض ازقة بغداد
اذ لقيه رجل فاخذ بمجامع ثوبه ونادى هذا طلبة امير المؤمنين وجعل الرجل يريد ينفلت
منه ولا يقدر فبينما هما كذلك اذا الامير في موكبه قد اقبل واذا هو معن بن زائدة فقال
الرجل يا ابا الوليد خائف مستجير فقال ويلك ما لك وله فقال هذا طلبة امير المؤمنين
جعل لمن جاء به مائة الف فقال ويحك اوما علمت اني قد اجرته ارسله من يدك ثم امر
بعض غلمانه فترجل واركبه وذهب به الى منزله وانطلق ذلك الرجل الى باب الخليفة

فانتهى اليه الخبر فبلغ المهدى فارسل الى معن بن زايدة فدخل عليه فسلم فلم يرد المهدى
وقال يا معن ابلغ من امرك ان تجير علي قال نعم ايضا قال نعم قد قتلت في دولتكم
اربعة الاف مصلى افلا تجار رجلا واحد فاطرق المهدى وقال لقد اجرنا من اجرت يا معن فقال
يا امير المومنين ان الرجل ضعيف الحال فامر له المهدى بثلثين الفا فقال ان جرايمه عظيمة
وان جوايز الخلفا على قدر ذنوب الرعية فامر له بماية الف فحملت بين يدى معن الى الرجل
فقال له معن ادع للخليفة واصلح نيتك في المستقبل وقدم المهدى مرة البصرة فخرج
ليصلي بالناس فجاء اعرابى فقال يا امير المومنين مر مولاك فلينتظرني حتى اتوضا فامرهم
المهدى بانتظاره ووقف المهدى في المحراب حتى قيل له هذا الاعرابي قد جاء فكبر فتعجب
الناس من سماحة اخلاقه وقدم اعرابى ومعه كتاب مختوم فجعل يقول هذا كتاب امير المومنين
اين هذا الرجل الذى يقال له الربيع فدلوه على الربيع الحاجب فاخذ الكتاب وجاء به
الى امير المومنين واوقف الاعرابي وفتح الكتاب فاذا هو قطعة اديم فيه كتابة ضعيفة
والاعرابي يزعم ان هذا خط الخليفة فانكر الربيع والكتاب ان يكون هذا خط الخليفة
فتبسم المهدى وقال صدق الاعرابي هذا خطى انى خرجت يوما الى الصيد فضعت
من الجيش واقبل الليل فتعوذت بتعويذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي نار من بعيد
فقصدتها فاذا هو الشيخ وامراته في خبا يوقدان نارا فسلمت فردا السلام وفرشا لى
كساء وسقاني مذقة من لبن مشوب بماء فما شربت شيا الا وهي اطيب منه ونمت
نومة على تلك العبا فما اذكر انى نمت احلا منها فقام الى شويهة له فذبحها فسمعت
امراته تقول عمدت الى مكسبك ومعيشة اولادك فذبحتها اهلكت نفسك وعيالك
فما التفت اليها واستيقظت من النوم فاستويت من تلك الشويهة وقلت له اعندك
شى اكتب لك فيه كتابا فاتاني بهذه القطعة الاديم فكتبت له بعود من ذلك الرماد خمسين
الف وانما اردت خمسين الفا ومع هذا والله لا نفذتها له ولو لم يكن في بيت المال
سواها فقبضها الاعرابي واستمر مقيما في ذلك الموضع وهو في طريق الحجاج من ناحية
الانبار فجعل يقرى الناس في ذلك الموضع فعرف بمنزل مضيف امير المومنين المهدى وعن
سوار صاحب رحبة سوار قال انصرفت يوما من عند المهدى فجيت منزلى فوضع لى الغدا
فلم تقبل نفسي عليه فدخلت خلوتي لانام فقال لى من ملك الحديد فاستصحبته معى
وسرت في ازقة بغداد اتشاغل بها الى ان قرب من العصر فجا وقت صلاة العصر عند مسجد
في بعض الحارات فنزلت لاصلي فيه فلما قضينا الصلاة اذا برجل اعمى قد اخذ بثيابي
فقال ان لى عليك حاجة فقلت وما حاجتك قال انى رجل ضرير ولكن لما شممت رايحة
طيبك ظننت انك رجل من اهل النعمة والثروة فاحببت ان اقضى حاجتي اليك فقلت
وما هى قال ان هذا القصر الذى هو تجاه المسجد كان لابي فسافر منه الى خراسان وباعه
واخذنى معه وانا صغير فافتقرنا هناك واصابني الضرر فرجعنا الى بغداد فجيت الى
صاحب هذا القصر اطلب منه شيا اتبلغ به لعلي اجتمع بسوار فانه كان صاحب لابي
فلعله يكون عنده سعة يجود منها على فقلت ومن ابوك فذكر رجلا كان صاحبا لى
الى فقلت انى انا سوار صاحب ابيك وقد منعنى الله في يومك هذا النوم والقرار والاكل
والراحة حتى اخرجني من منزلى لاجتمع بك واجلس بين يديك وامرت وكيلى فدفع اليه

الالفين

الالفين ربما الى بعده فقلت اذا كان الغد فات منزلى في مكان كذا وكذا وركبت
فجيت دار الخلافة فقلت ما اتحف المهدى الليلة في السمر باغرب من هذا فلما
قصصت عليه القصة تعجب من ذلك جدا وامر للاعمى بالفى دينار وقال لى عليك
دين قلت نعم قال كم خمسون الف دينار فسكت وحادثني ساعة ثم لما قمت بين
يديه فوصلت المنزل فاذا الحمالون قد سبقوني الى المنزل بخمسين الف دينار والفى
دينار للاعمى فانتظرت الاعمى ان يجى في ذلك اليوم فتاخر فلما امسيت جلست الى
المهدى فقال قد فكرت في امرك فوجدتك اذا قضيت دينك لم يبق معك شى وقد
امرت لك بخمسين الف دينار اخرى فلما كان اليوم الثالث جاني المكفوف فقلت قد
رزق الله بسببك خيرا كثيرا ودفعت اليه الالفى دينار التى من عند الخليفة وزدته
الفى دينار من مالي ايضا ووقفت امراة المهدى فقالت يا عصبة رسول الله انظر حاجتى
فقال المهدى ما سمعتها من غيرها اقضوا حاجتها واعطوها عشرة الاف درهم ودخل
ابن الخياط على المهدى فاستدحه فامر له بخمسين الف درهم ففرقها ابن الخياط وانشا يقول

• اخذت بكفى كفه ابتغى الغنى • ولم ادر ان الجود من كفه يعدى •
• فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى • افدت واعدانى فبددت ما عندى •

قال فنمى ذلك الى المهدى فاعطاه بدل كل درهم دينارا وبالجملة فله ماثر ومحاسن
كثيرة جدا وقد كانت وفاته باسبذان قد خرج اليها ليبعث الى ابنه الهادى ليحضر
اليه من جرجان حتى يخلعه من ولاية العهد ويجعله بعد ما دون الرشيد فامتنع الهادى
من ذلك فركب المهدى من بغداد قاصدا احضاره فلما كان باسبذان مات بها على ما ذكره
وكان قد راى في النوم وهو بقصره ببغداد واظنه المسمى بقصر السلامة كان شيخا واقفا
بباب القصر ويقال انه سمع هاتفا يقول •

• كانى بهذا القصر قد باد اهله • واوحش منه اهله ومنازله •
• وصار عميد القوم من بعد بهجة • وملك الى قبر عليه جنادله •
• ولم يبق الا ذكره وحديثه • ينادى بليل معولات حلايله •

فما عاش بعدها الا عشرا حتى توفى رحمه الله وسامحه وادخله الجنة امين برحمته ويروى
انه لما قال له الهاتف • •

• كانى بهذا القصر قد باد اهله • وقد درست اعلامه ومنازله •

فاجابه المهدى • • •

• كذاك امور الناس يبلى جديدها • وكل فتى يوما ستبلى فعايله •

فقال له الهاتف • • •

• تزود من الدنيا فانك ميت • وانك مسئول فما انت قايله •

فاجابه المهدى • • •

• اقول بان الله حق شهدته • فذلك قول ليس تخفى فضايله •

فقال الهاتف • • •

• تزود من الدنيا فانك راحل • وقد ازف الامر الذى بك نازله •

فاجابه المهدى • • •

متى ذاك خبرني مدينتي فانني • سأفعل ما قلت لي بالعاجلة •

فقال له الهاتف •

تلبث ثلثا بعد عشرين ليلة • الى منتهى شهر وما انت كامله •

قالوا فلم يعش بعدها الا تسعا وعشرين يوما حتى مات رحمه الله وقد ذكر ابن جرير خلافا في سبب موته فقيل انه ساق خلف ظبي والكلاب بين يديه فدخل الظبي الى خربة فدخلت الكلاب وراءه وجاء الفرس يحمل عشواره فدخل الخربة فكسر ظهر الخليفة فكانت وفاته بسبب ذلك وقيل ان بعض حظاياه بعثت الى اخرى لبا مسموما فمر الرسول بالمهدي فاكل منه فمات وقيل بل بعثت اليها بصينية فيها كمثرى وفي اعلاها واحدة كبيرة فيها سم وكان المهدي يعجبه الكمثرى فمرت الجارية تحمل تلك الصينية فرآها فاستدعاها فاخذ التي في اعلاها فاكلها فمات من ساعته فجعلت الحظية تندبه وتقول يا امير المومنين اردت ان تكون لي وحدي فقتلتك وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة اعني سنة تسع وستين ومائة وله من العمر ثلاث واربعون سنة على المشهور وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وكسورا وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة قد اورد منها الحافظ ابن عساكر طرفا وكذلك ابو جعفر بن جرير رحمهما الله

وممن توفي فيها من الاعيان

عبيد الله بن اياد ونافع بن عمر الجمحي ونافع بن ابي نعيم القارئ

خلافة موسى الهادي بن المهدي

توفي ابوه في المحرم من اول سنة تسع وستين ومائة وكان ولي العهد من بعد ابيه لكن كان ابوه قد عزم على تقديم اخيه هارون الرشيد عليه في ولاية العهد فلم يتفق ذلك حتى مات ابوه ماسبذان في شهر الله المحرم وكان الهادي اذ ذاك بجرجان فتم بعض الدولة منهم الربيع الحاجب وطائفة من القواد على تقديم الرشيد عليه والمبايعة له وكان حاضرا ببغداد ودعوا مواعد النفقة في الجند لذلك تنفيذا لما كان من امر المهدي من ذلك فاسرع الهادي السير من جرجان الى بغداد حين بلغه الخبر فسار فيهما اليها في عشرين يوما فدخل بغداد وقام في الناس خطيبا واخذ البيعة منهم فبايعوه وتغيب الربيع الحاجب فتطلبه الهادي حتى حضر بين يديه فعفا عنه واحسن اليه واقره على وظيفة الحجوبة وزاده الوزارة وولايات اخر وشرع الهادي في تطلب الزنادقة من الافاق فقتل منهم طائفة كثيرة واقتدى في ذلك بابيه وقد كان موسى الهادي من افكه الناس مع اصحابه في الخلوة فاذا جلس في مقام الخلافة لا يستطيعون النظر اليه لما يعلوه من المهابة والرياسة وكان شابا حسنا وقورا مهيبا وفي هذه السنة اعني سنة تسع وستين ومائة خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب وذلك انه اصبح يوما وقد لبس البياض وجلس في المسجد النبوي وجاء الناس الى الصلاة فلما راوه ولوا راجعين والتف عليه جماعة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله والرضى من اهل البيت وكان سبب خروجه ان متولي المدينة خرج منها الى بغداد ليلقى امير المومنين ويهنيه بالولاية ويعزيه في ابيه المهدي فجرت امور اقتضت ان خرج حسين هذا والتف عليه جماعة من اهل البيت وغيرهم وجعلوا ماواهم المسجد النبوي ومنعوا الناس من الصلاة فيه ولم يجبه اهل المدينة

وجعلوا

وجعلوا يدعون على المنبر لاميرهم المسجد حتى ذكر انهم كانوا يتقذرون في جنبات المسجد وقد اقتتلوا مع المسودة مرات فقتلوا منهم وقتل منهم ثم ارتحلوا الى مكة فاقاموا بها الى زمن الحج فبعث اليه الهادي جيشا فقاتلوه بعد فراغ الناس من الموسم فقتلوه وقتلوا طائفة من اصحابه وانهزم بقيتهم وتفرقوا شذر مذر فكانت مدة خروجه الى ان قتل تسعة اشهر وثمانية عشر يوما وقد كان كريما من اجود الناس دخل يوما على المهدي فاطلق له اربعين الف دينار ففرقها في اهله واصدقائه من اهل بغداد والكوفة وما خرج منها وعليه قميص الا فروة ليس دونها قميص وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن ابي جعفر عم الخليفة وغزا الصائفة من طريق درب الراهب معيوف بن يحيى في جحفل كثيف وقد اقبلت الروم مع بطريقها فبلغوا الحدث

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب قتل في ايام التشريق كما ذكرنا الربيع بن يونس الحاجب مولى المنصور وحاجبه ووزيره وقد وزر ايضا للهادي كما ذكرنا وقيل انه وزر ايضا للمهدي وكان بعضهم يطعن في نسبه وقد اورد الخطيب في ترجمته حديثا من طريقه ولكنه منكر وفي صحته عنه نظر والله اعلم وقد ولي الحجابة بعده ولده الفضل بن الربيع ولاه اياها الخليفة الهادي

سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية

فيها عزم الهادي على خلع اخيه هارون من الخلافة وولاية العهد من بعده ومبايعة ابنه جعفر بن الهادي فانقاد هارون لذلك ولم يظهر المنازعة بل اطاع واستدعى الهادي جماعة من الامراء فاجابوه الى ذلك وابت ذلك ام امير المومنين الخيزران وكانت تميل الى ابنها هارون الرشيد وكان الهادي قد منعها التصرف في شيء من المملكة بعدما كانت قد استحوذت عليه في اول ولايته وانقلبت الدول الى بابها والامراء الى جنابها فحلف لئن عاد امير يلوذ ببابها لتضربن عنقه ولا تقبل لها شفاعة ابدا فامتنعت من الكلام في ذلك وحلفت لا تكلمه ابدا وانتقلت عنه الى منزل آخر وألح موسى على اخيه هارون في الخلع وبعث يحيى بن خالد بن برمك وكان من اكابر القواد الذين هم في صف الرشيد فقال له ماذا ترى فيما اريد من خلع الرشيد وتولية ابني جعفر فقال له يا امير المومنين اني اخشى ان تهون الايمان على الناس ولكن من المصلحة ان تجعل جعفرا ولي العهد من بعد هارون وايضا يا امير المومنين فاني اخشى ان لا تجيب اكثر الناس الى البيعة لجعفر لانه دون البلوغ فيتفاقم الامر ويختلف الناس فيما بعد فاطرق مليا وكان ذلك ليلا ثم امر بحبسه ثم اطلقه وجاء يوما اليه اخوه هارون الرشيد فجلس عن يمينه بعيدا منه فجعل الهادي ينظر اليه مليا ثم قال يا هارون تطمع ان يكون رؤيا المهدي حقا فقال اي والله ووالله لئن كان ذلك لاصلن من قطعت ولانصفن من ظلمت ولازوجن بنيك من بناتي فقال ذاك الظن بك فقام اليه هارون الرشيد ليقبل يده فحلف الهادي ليجلسن معه على السرير فجلس معه ثم امر له بالف الف دينار وان يحمل الى الخزائن فياخذ منها ما اراد واذا جاء الخراج فليدفع اليه نصفه ففعل ذلك كله ورضي الهادي عن الرشيد ثم سار الهادي الى حديثة الموصل بعد ذلك ثم عاد منها فمات بعيساباذ ليلة الجمعة النصف

من ربيع الاول وقيل الاخر سنة سبعين ومائة وله من العمر ثلاث وعشرون وكانت خلافته سنة وشهرا وثلاثة وعشرين يوما وكان طويلا جميلا ابيض بشفته العليا تقلص وقد توفي في هذه الليلة خليفة وهو الهادي وولي خليفة وهو الرشيد وولد خليفة وهو المامون بن الرشيد وكانت الخيزران ام الخليفتين قالت في اول الليل انه بلغني انه يولد الليلة خليفة ويموت خليفة ويتولى خليفة ويقال انها سمعت ذلك من الاوزاعي وقد سرت بذلك جدا ويقال انها سمت ولدها الهادي خوفا على ابنها هارون الرشيد منه وايضا فانه كان قد ابعدها واقصاها وقرب خطيته خالصة وادناها فالله المستعان

وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي

هو موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ابو محمد الهادي امير المومنين بن المهدي بن المنصور ولي الخلافة كما ذكرنا في محرم سنة تسع وستين وكانت وفاته في المنتصف من ربيع الاول او الاخر سنة سبعين ومائة وله من العمر ثلاث وقيل اربع وقيل ست وعشرون سنة والصحيح الاول قال الخطيب ويقال انه لم يل الخلافة احد قبله في سنه وكان حسنا جميلا طويلا ابيض في شفته العليا تقلص وكان قوي الباس يثب على الدابة وعليه درعان وكان ابوه يسميه ريحانتي وذكر عيسى بن داب قال كنت يوما عند الهادي اذ جيء بطست فيه راسا جاريتين لم ار احسن منهما ولا امثل شعورهما وفيها اللآلئ والجوهر ولا مثل طيب ريحهما فقال اتدرون ما شان هذين قلنا لا الا ان يخبرنا امير المومنين فقال انه ذكر لي عنهما انهما يرتكبان الفاحشة فامرت الخادم فرصدهما ثم جاءني فقال انهما مجتمعان فجئت فوجدتهما في لحاف واحد وهما على الفاحشة فامرت بحز رقابهما ثم امر برفع روسهما من بين يديه ورجع الى حديثه الاول كان لم يصنع شيئا وكان شهما خبيرا بالملك كريما ومن كلامه ما اصلح الملك بمثل تعجيل العقوبة للجاني والعفو عن الزلات ليقل الطمع عن الملك وغضب يوما على رجل فاسترضي عنه فرضي فشرع الرجل يعتذر فقال الهادي ان الرضى كفاك موونة الاعتذار وعزى الهادي رجلا في ولد له توفي فقال له سرك وهو عدو وفتنة واحزنك وهو صلاة ورحمة وروى الزبير بن بكار ان مروان بن ابي حفصة انشد الهادي قصيدة له فيها

• تشابه يوما باسه ونواله • فما احد يدري لايهما الفضل •

فقال له الهادي ايما احب اليك ثلثون الفا معجلة او مائة الف تدور في الدواوين فقال يا امير المومنين الهادي او احسن من ذلك يعجل الجميع لك فامر له بمائة الف وثلثين الفا معجلة وقال الخطيب البغدادي حدثني الازهري ثنا اسمعيل بن احمد الدبياجي ثنا الصولي ثنا الغلابي حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي المكي حدثني المطلب بن عكاشة المزني قال قدمنا على الهادي شهودا على رجل شتم قريشا وتخطى الى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس لنا مجلسا احضر فيه فقهاء اهل زمانه ومن كان بالحضرة على بابه واحضر الرجل واحضرنا فشهدنا عليه بما سمعنا منه فتغير وجه الهادي ثم نكس راسه ثم رفعه فقال اني سمعت ابي المهدي يحدث عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن عبد الله عن ابيه عبد الله بن عباس قال من اراد هوان قريش اهانه الله وانت يا عدو الله لم ترض بان اردت ذلك من قريش حتى تخطيت الى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اضربوا عنقه فما برحنا حتى قتل توفي في ربيع

الاول من هذه السنة وصلى عليه اخوه ولي العهد هارون الرشيد ودفن الهادي في قصر بناه وسماه الابيض بعيساباذ من الجانب الشرقي من بغداد وكان له من الولد تسعة سبعة ذكور واثنتان فالذكور جعفر الذي كان قد رشحه للخلافة والعباس وعبد الله واسحاق واسمعيل وسليمان وموسى الاعمى الذي ولد بعد وفاته والبنتان هما ام عيسى التي تزوجها المامون وام العباس تلقب نونه

خلافة هارون الرشيد بن المهدي

بويع له بالخلافة ليلة مات اخوه الهادي وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وكان عمر الرشيد يومئذ ثنتان وعشرين سنة فبعث الى يحيى بن خالد فاخرجه من السجن وقد كان الهادي عزم في تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد فاخرجه الرشيد وكان ابنه من الرضاعة وولاه حينئذ الوزارة وولى يوسف بن القسم بن صبيح كتابة الانشا فكان هو الذي قام خطيبا بين يديه حتى اخذت البيعة له على المنبر بعيساباذ ويقال انه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى بن خالد بن برمك الى الرشيد فوجده نائما فقال له قم يا امير المومنين فقال له كم تروعني لو سمع هذا الكلام هذا الرجل لكان ذلك اكبر ذنوبي عنده فقال له يحيى قد مات الرجل فجلس هارون فقال اشر علي فجعل يذكر له ولاية الاقاليم لرجال يسميهم فيوليهم الرشيد فبينما هم كذلك اذ جاء اخر فقال له ابشر يا امير المومنين فقد ولد لك الساعة غلام فقال هو عبد الله وهو المامون ثم اصبح فصلى على اخيه الهادي ودفنه بعيساباذ وحلف لا يصلي الظهر الا ببغداد فلما فرغ من الجنازة امر بضرب عنق ابي عصمة القايد لانه كان مع جعفر بن الهادي فزاحموا هارون على جسر فقال له ابو عصمة قف حتى يجوز ولي العهد فقال الرشيد السمع والطاعة للامير فجاز جعفر ووقف الرشيد فلما ولي امر بقتل ابي عصمة ثم سار الى بغداد فلما انتهى الى الجسر ببغداد استدعى بالغواصين فقال اني سقط مني ههنا خاتم كان والدي المهدي قد اشتراه لي بمائة الف فلما كان من ايام بعث الي الهادي يطلبه فالقيته الى الرسول فسقط ههنا فغاصوا وراءه فوجدوه فسر به الرشيد سرورا كثيرا ولما ولي الرشيد يحيى بن خالد الوزارة قال له قد فوضت اليك امر الرعية وخلعته ذلك من عنقي وجعلته في عنقك فول من رايت واعزل من رايت ففي ذلك يقول ابراهيم الموصلي

• الم تر ان الشمس كانت سقيمة • فلما ولي هارون اشرق نورها •

• بيمن امين الله هارون ذي الندى • فهارون واليها ويحيى وزيرها •

وكانت الخيزران هي المشاورة في الامور كلها لا تقطع بحال الدار حتى يشاورها فيما يبرمه ويحله ويمضيه ويحكمه ومنها امر الرشيد بسهم ذوي القربى ان يقسم في بني هاشم على السوا ومنها تتبع الرشيد خلقا من الزنادقة فقتل منهم طائفة كثيرة ومنها خرج عليه بعض اهل البيت ومنها ولد الامين محمد بن الرشيد من زبيدة وذلك يوم الجمعة لست عشرة خلت من شوال من هذه السنة ومنها كمل بناء مدينة طرسوس على يد فرج الخادم التركي ونزلها الناس وفيها حج بالناس امير المومنين هارون الرشيد واعطى اهل الحرمين اموالا كثيرة جدا ويقال انه غزا في هذه السنة ايضا ففي ذلك يقول داود بن رزين الشاعر

• بهارون لاح النور في كل بلدة • وقام به في عدل سيرته النهج •

• امام بذات الله اصبح شغله • واكثر ما يعنى به الغزو والحج •

تغضي عيون الناس عن نور وجهه • إذا ما بدا للناس منظره البلج

وإن أمير الله هارون بالندى • ينيل الذي يرجوه أضعاف ما يرجوا

وغزا الصائفة في هذه السنة سليمان بن عبد الله البكائي

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي شيخ النحاة وعنه أخذ سيبويه والنضر بن شميل وغير واحد من أكابرهم وهو الذي اخترع علم العروض قسمه إلى خمس دوائر وفرعه إلى خمسة عشر بحرا وزاد الأخفش فيه بحرا آخر وهو الخبب وقد قال بعض الشعراء

وقد كان شعر الورى صحيحا • من قبل أن يخلق الخليل

وقد كانت له معرفة بعلم النغم وله فيه تصنيف أيضا وله كتاب العين في اللغة ابتداه وأكمله النضر بن شميل وأضرابه من أصحابه كمورخ السدوسي ونصر بن علي الجهضمي فلم يناسبوا ما وضعه الخليل رح وقد وضع ابن درستويه كتابا بين فيه ما وقع لهم من الخلل فأفاد وقد كان الخليل رجلا صالحا عاقلا كاملا حليما وقورا وكان متقللا من الدنيا صبورا على العيش الخشن الضيق وكان يقول لا يجاوز همي ما وراء بابي وكان ظريفا حسن الخلق ذكر أنه اشتغل عليه رجل في العروض قال وكان بعيد الفهم فقلت له يوما كيف تقطع هذا البيت

إذا لم تستطع شيئا فدعه • وجاوزه إلى ما تستطيع

فشرع معي في تقطيعه على قدر معرفته ثم إنه نهض من عندي فلم يعد إلي وكأنه فهم ما أشرت إليه ويقال إنه لم يسم أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأحمد سوى أبيه رواه المعافى أحمد ابن أبي خيثمة والله أعلم وولد الخليل سنة مائة من الهجرة ومات بالبصرة سنة سبعين ومائة على المشهور وقيل سنة ستين وزعم ابن الجوزي في كتابه شذور العقود أنه توفي سنة ثلاثين ومائة وهذا غريب جدا والمشهور الأول والله أعلم الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم المصري المؤذن راوية الشافعي وآخر من روى عنه وكان رجلا صالحا تفرس فيه الشافعي وفي البويطي والمزني وابن عبد الحكم فوافق ذلك ما وقع في نفس الأمر رح ومن شعر الربيع هذا

صبرا جميلا ما أسرع الفرجا • من صدق الله في الأمور نجا

من خشي الله لم ينله أذى • ومن رجا الله كان حيث رجا

فأما الربيع بن سليمان بن داود الجيزي فإنه روى عن الشافعي أيضا وقد مات سنة ست وخمسين رحمهما الله

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

فيها أضاف الرشيد الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة وفيها قتل الرشيد أبا هريرة محمد بن فروخ نائب الجزيرة صبرا في قصر الخلد بين يديه وفيها خرج الفضل بن سعيد الحروري فقتل وفيها قدم روح بن حاتم نائب إفريقية وخرجت أم أمير المؤمنين الخيزران إلى مكة فأقامت بها حتى شهدت الحج وكان الذي حج بالناس عم الخليفة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس رح وأكرمه وتقبل منه

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة

فيها وضع الرشيد عن أهل العراق العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف وفيها خرج الرشيد

من بغداد

من بغداد يرتاد له موضعا يسكنه غيرها فلم يبرح إلا أن يشوش فيها ثم رجع وفيها حج بالناس يعقوب بن أبي جعفر المنصور عم هارون الرشيد وفيها غزا الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

ففيها توفي محمد بن سليمان بالبصرة فأمر الرشيد بالاحتياط على حواصله التي تصلح للخلفاء فوجدوا من ذلك شيئا كثيرا جدا فتقبضوه من الذهب والفضة والأمتعة التي يستعان بها على الحرب وعلى معاداة المسلمين من العدد والمرد وغير ذلك وهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وأمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي وكان من رجالات قريش وشجعانهم جمع له المنصور بين البصرة والكوفة وزوجه المهدي ابنته العباسة وكان له من الأولاد شيء كثير وكان دخله كل يوم مائة ألف وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم ير مثله وروى الحديث عن أبيه عن جده الأكبر وهو ابن عباس حديثا مرفوعا في مسح رأس اليتيم إلى مقدم رأسه ومسح من له أب إلى مؤخره وقد وفد على الرشيد فهنأه بالخلافة فأكرمه وعظمه وزاده في عمله شيئا كثيرا ولما أراد الخروج خرج معه الرشيد يشيعه إلى كلواذا وتوفي في جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين سنة وقد أرسل الرشيد من اصطفى من ماله الصامت فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار ومن الدراهم ستة آلاف ألف خارجا عن الأملاك والجواري وقد ذكر ابن جرير أن وفاة محمد بن سليمان هذا ووفاة الخيزران في يوم واحد وقد وقفت جارية من جواريه على قبره فأنشأت تقول

أمسى التراب لمن هويت مبيتا • ألق التراب فقل له حييتا

إنا نحبك يا تراب وما بنا • إلا كرامة من عليه حثيتا

وفيها توفيت الخيزران أم أمير المؤمنين الرشيد والهادي اشتراها المهدي وحظيت عنده جدا فتزوجها وولدت له خليفتين موسى الهادي وهارون الرشيد ولم يتفق هذا لغيرها من النساء من أنها تلد خليفتين إلا لولادة بنت العباس العبسية زوجة عبد الملك بن مروان وهي أم الوليد وسليمان والأخرى شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ولدت لمولاها الوليد بن عبد الملك بن مروان يزيد وإبراهيم وكلاهما ولي الخلافة وقد روي من طريق الخيزران عن مولاها المهدي عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من اتقى الله وقاه كل شيء ولما عرضت على المهدي ليشتريها أعجبته إلا دقة في ساقيها فقال لها يا جارية إنك لعلى غاية المنى لولا حموشة في ساقيك فقالت يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما يكون إليهما لا تراهما فاستحسن جوابها واشتراها وحظيت عنده جدا وقد حجت الخيزران مرة في حياة المهدي فكتب إليها وهي بمكة يستوحش لها ويتشوق إليها

نحن في غاية السرور ولكن • ليس إلا بكم يتم السرور

عيب ما نحن فيه يا أهل ودي • أنكم غيب ونحن حضور

فأجدوا في السير بل إن قدرتم • أن تطيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته أو قالت لمن أجابته

قد أتانا الذي وصفت من الشوق • فكدنا وما فعلنا نطير

ليت أن الرياح كن يؤدين • إليكم ما قد يجن الضمير

لم ازل صبّة فان كنت بعدي • في سرور فدام ذاك السرور •

وذكروا انه اهدى اليها محمد بن سليمان نائب البصرة مائة وصيف مع كل وصيف جام من فضة مملوة مسكا فكتبت اليه ان كان ما بعثته ثمنا عن ظننا فيك فانك اكثر مما بعثت وقد بخستنا في الثمن وان كنت تريد به زيادة المودة فقد اتهمتني في المودة وردتها عليه وقد اشترت الدار المشهورة بها بمكة المعروفة بدار الخيزران فزادتها في المسجد الحرام وكان يغل ضياعها في كل سنة الف الف وستون الفا وانفق موتها ببغداد ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الاخرة من هذه السنة فخرج ابنها الرشيد في جنازتها وهو حامل بسريرها يخبث في الطين فلما انتهى الى المقبرة اتى بماء فغسل رجليه ولبس خفا وصلى عليها ونزل في لحدها فلما خرج بين القبراني بسريره فجلس عليه واستدعى بالفضل بن الربيع تولاه الخاتم والنفقات وانشد الرشيد قول متمم بن نويرة حين دفن امه الخيزران •

• وكنا كندماني جذيمة برهة • من الدهر حتى قيل لن يتصدعا •

• فلما تفرقنا كاني ومالكا • لطول اجتماع لم نبت ليلة معا •

وممن توفي في هذه السنة غادر

جارية كانت لموسى الهادي وكان يحبها حبا شديدا وكانت تحسن الغنا جيدا فبينما هي يوما تغنيه اذ اخذته فكرة غيبته عنها وتغير لونه فسأله بعض الحاضرين ما هذا يا امير المومنين فقال اخذتني فكرة اني اموت وان اخي هارون يتولى الخلافة بعدي ويتزوج جاريتي هذه فغداه الحاضرون ودعوا له بطول العمر فاستدعى اخاه هارون فاخبره بما وقع في فكره فعوذه الرشيد من ذلك فاستحلفه الهادي بالايمان المغلظة من الطلاق والعتاق والحج ماشيا حافيا انه لا يتزوجها فحلف له واستحلف الجارية بالحج والعتاق فحلفت فلم يكن الا اقل من شهر حتى مات فلما كان بعد ذلك بعث الرشيد اليها يخطبها فقالت كيف بالايمان التي حلفتها فقال انا اكفر عنك وعني فتزوجها فحظيت عنده ايضا جدا حتى كانت تنام في حجره فلا يتحرك خشية ان يزعجها حتى ازعجها انتبهت في ذات ليلة نائمة معه اذا انتبهت مذعورة تبكي فقال لها ما شانك فقالت يا امير المومنين رايت الهادي في منامي هذا يقول

• اخلفت عهدي بعدما • جاورت سكان المقابر •

• ونسيتني وحنثت في • ايمانك الكذب الفواجر •

• ونكحت غادرة اخي • صدق الذي سماك غادر •

• امسيت في اهل البلى • وغدوت في الحور الغرائر •

• لا يهنك الالف الجديد • ولا تدر عنك الدوائر •

• ولحقتني قبل الصباح • وصرت حيث غدوت صائر •

فقال لها الرشيد انما هذا اضغاث احلام فقالت كلا والله يا امير المومنين لكانما كتبت هذه الابيات في قلبي ثم ما زالت تضطرب وترتعد حتى ماتت قبل الصباح

ميلانة جارية الرشيد

وهو الذي سماها ميلانة لكثرة تو... لانه قال الاصمعي وكان لها محبا وكانت قبله ليحيى ابن خالد بن برمك فدخل الرشيد يوما منزله قبل الخلافة فاعترضته في الطريق فقالت اما لنا منك نصيب فقال لها وكيف السبيل قالت تستوهبني من هذا الشيخ فاستوهبها من يحيى بن خالد فوهبها له فحظيت عنده فمكثت ثلاث سنين ثم توفيت فحزن عليها شديدا ورثاها واسترثى لها فكان من قوله فيها

• قد قلت لما ضمنوك الثرى • وجالت الحسرة في صدري •

• اذهب فلا والله لا سرني • بعدك شي اخر الدهر •

وقال العباس بن الاحنف في موتها •

• يا من تباشرت القبور بموتها • قصد الزمان مساءتي فرماني •

• ابغي الانيس فما ارى لي مونسا • الا التزيد حيث كنت اراكي •

• ملك بكاه وطال بعد لحزنه • لو يستطيع بملكه لفداكي •

• يحمي الفواد عن النسا حفيظة • كي لا يحل حمى الفواد سواكي •

قال فامر له الرشيد باربعين الفا لكل بيت عشرة الاف •

ثم دخلت سنة اربع وسبعين ومائة

فيها وقعت عصبية بالشام وتخبيط بين اهلها وفيها استقضى الرشيد يوسف بن القاضي ابي يوسف وابوه حي وفيها غزا الصائفة عبد الملك بن صالح فدخل بلاد الروم وفيها حج بالناس امير المومنين الرشيد فلما اقترب من مكة لبغداد بها وبا فلما دخل مكة حتى كان وقت الوقوف ثم توقف حتى جاء المزدلفة ثم منى ثم دخل مكة فطاف وسعى وارتحل ولم ينزل بها

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

فيها اخذ الرشيد البيعة بولاية العهد من بعده لولده محمد بن زبيدة وسماه الامين وعمره اذ ذاك خمس سنين فقال في ذلك سلم الخاسر •

• قد وفق الله الخليفة اذ بنى • بيت الخلافة للهجان الازهر •

• فهو الخليفة عن ابيه وجده • شهدا عليه بمنظر وبمخبر •

• قد بايع الثقلان في مهد الهدى • لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر •

وقد كان الرشيد يتوسم النجابة والرجاحة في عبد الله المامون ويقول والله ان فيه حزم المنصور ونسك المهدي وعزة نفس الهادي ولو شيت ان اقول الرابعة مني لقلت واني لا قدم محمد بن زبيدة عليه واني لاعلم انه متبع هواه ولكن لا استطيع غير ذلك ثم انشا يقول •

• لقد بان وجه الراي عني انني • غلبت على الامر الذي كان حزما •

• وكيف يرد الدر في الضرع بعدما • توزع حتى صار نهبا مقسما •

• اخاف التواء الامر بعد استوايه • وان ينقض الامر الذي كان ابرما •

وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح في قول الواقدي وحج بالناس الخليفة هرون الرشيد وفيها صار يحيى بن عبد الله بن حسن الى الديلم وتحرك هنالك

وممن توفي فيها من الاعيان

شعوانة العابدة كانت امة سوداء كثيرة العبادة وعنها كلام حسان وقد سال لها الفضيل الدعا فقالت اما بينك وبينه ما ان دعوته استجاب لك فشهق الفضيل ووقع مغشيا عليه والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم قال ابن خلكان كان مولى

الزاهد توفي

قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن مسافر الفهمي امام اهل الديار المصرية ولد بقرقشندة من بلاد مصر سنة اربع وتسعين ونشأ بالمدينة المصرية وقال ابن خلكان اصله من قلقشندة وضبطه بالامير والثانية متحركة وحكى عن بعضهم انه كان حنفي المذهب وانه ولي القضا بمصر وانه ولد في سنة اربع وعشرين ومائة وذلك غريب جدا وذكر انه كان مدخله من ملكه خمسة الاف دينار وقال غيره كان مدخله من الغلة في كل سنة ثمانون الف دينار وما وجبت عليه زكاة وكان اماما في الفقه والحديث والعربية قال الشافعي كان الليث افقه من مالك الا انه ضيعه اصحابه وبعث اليه مالك يستهديه شيا من العصفر لاجل جهاز ابنته فبعث اليه ثلاثين حملا فاستعمل منه مالك وباع منه بخمسمائة دينار وبقيت عنده بقية وحج مرة فاهدى له مالك طبقا فيه رطب فرد الطبق وفيه الف دينار وكان يهب للرجل من اصحابه من العلما والعباد الالف الدينار وما يقارب ذلك وكان يخرج الى الاسكندرية في البحر هو واصحابه في مركب ومطبخه في مركب ومناقبه كثيرة جدا وقد ذكرناه في التكميل وحكى ابن خلكان انه سمع قايلا يقول يوم مات الليث

• ذهب الليث فلا ليث لكم • ومضى العلم غريبا وقبر •

فالتفتوا فلم يروا احدا • المنذر بن عبد الله بن المنذر القرشي عرض عليه المهدي ان يلي القضا ويعطيه من بيت المال مائة الف درهم فقال اني كنت عاهدت الله ان لا الي شيا واعيذ امير المؤمنين ان احيس بعهدي فقال له المهدي الله فقال الله قال انطلق فقد اعفيتك

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

فيها كان ظهور يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن ابي طالب ببلاد الديلم واتبعه خلق كثير وجم غفير وقويت شوكته وارتحل اليه الناس من الكور والامصار فانزعج لذلك الرشيد وقلق من امره فندب اليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين الفا وولاه كور الجبل والري وجرجان وطبرستان وقومس والرويان وغير ذلك فسار الفضل بن يحيى الى تلك الناحية في ابهة عظيمة وكتب الرشيد لمحمد مع البرد في كل منزلة وانواع التحف والبر فكاتب الفضل صاحب الديلم ووعده الف الف درهم ان هو سهل خروج يحيى بن عبد الله اليهم وكتب الفضل الى يحيى بن عبد الله يعده ويمنيه ويؤمله ويرجيه ويبسط امله ان هو خرج اليهم ان يقيم له العذر عند الرشيد فامتنع يحيى ان يخرج اليهم حتى يكتب له الرشيد كتابا بامان بيده فكتب الفضل الى الرشيد بذلك ففرح الرشيد ووقع منه موقعا عظيما وكتب الامان بيده واشهد عليه القضاة والفقها ومشيخة بني هاشم منهم عبد الصمد بن علي وبعث الامان وارسل معه جوائز وتحفا كثيرة جدا فلما وصلت الى الفضل بعثها بكمالها الى يحيى بن عبد الله اليهم فسار به الفضل فدخل به بغداد فتلقاه الرشيد واكرمه واجزل له العطا وخدمه البرامكة خدمة عظيمة بحيث ان يحيى بن خالد كان يتولى خدمته بنفسه وعظم الفضل عند الرشيد جدا بهذه الفعلة حيث سعى في الاصلاح بين العباسيين والفاطميين ففي ذلك يقول مروان بن ابي حفصة يمدح الفضل بن يحيى ويشكره على سعيه هذا

• ظفرت فلا شلت يدا برمكية • رتقت بها الفتق الذي بين هاشم

• على حين اعيا الراتقين التيامه • فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم •

• فاصبحت قد فازت يداك بخطة • من المجد باق ذكرها في المواسم •

• وما زال قدح الملك يخرج فائزا • لكم كلما ضمت قداح المساهم •

قالوا ثم ان الرشيد تنكر ليحيى بن عبد الله بن حسن وتغير عليه ويقال انه سجنه ثم استحضره الرشيد وعنده القاضيان محمد بن الحسن وابو البختري وعنده جماعات من الهاشميين وغيرهم واحضر الامان الذي كان بعثه اليه فسال الرشيد محمد بن الحسن عن هذا الامان اصحيح هو قال نعم فتغيظ الرشيد عليه وقال ابو البختري ليس هو بصحيح فاحكم فيه بما شئت ومزق الامان وبصق فيه ابو البختري واقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله فقال هيه هيه وهو يبتسم تبسم المغضب وقال ان الناس يزعمون انا سممناك فقال له يحيى يا امير المؤمنين ان لنا قرابة ورحما وحقا فعلام تعذبني وتحبسني فرق له الرشيد فاعترض بكار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال يا امير المؤمنين لا يغرنك كلام هذا فانه عاص شاق وانما هذا منه مكر وخبث وقد افسد علينا مدينتنا واظهر فينا العصيان فقال له يحيى ومن انتم عافاكم الله وانما هاجر ابوك الى المدينة بابي وابائي ثم قال يحيى يا امير المؤمنين انما الناس نحن وانتم وال الله يا امير المؤمنين لقد جاءني هذا حين قتل اخي محمد بن عبد الله فقال لعن الله قاتله وانشدني فيه مرثية نحوا من عشرين بيتا وقال ان تحركت في هذا الامر فانا اول من يبايعك وما يمنعك ان تلحق بالبصرة وايدينا مع يدك قال فتغير وجه الزبيري واكر وشرع يحلف بالايمان المغلظة انه لكاذب في ذلك وتحير الرشيد وقال ليحيى اتحفظ شيا من المرثية قال نعم وانشده منها جانبا فازداد الزبيري في الانكار فقال له يحيى بن عبد الله فقل ان كنت كاذبا فقد بريت من حول الله وقوته ووكلني الله الى حولي وقوتي فامتنع من الحلف بذلك فعزم عليه الرشيد وتغيظ عليه فحلف بذلك فما كان الا ان خرج من عند الرشيد فرماه الله بالفالج فمات من ساعته ويقال ان امراته غمته بمخدة فقتلته فالله اعلم ثم ان الرشيد اطلق يحيى بن عبد الله بن حسن واطلق له مائة الف دينار ويقال انه انما حبسه بعض يوم وليلة ثلاثة ايام وكان جملة ما وصله من المال من الرشيد اربعمائة الف دينار من بيت المال وعاش بعد ذلك كله شهرا واحدا ثم مات رحمه الله واكرم مثواه

وفي هذه السنة وقعت فتنة عظيمة بالشام بين النزارية واليمانية وهذا كان بدء امر العشران بحوران وهم قيس ويمن اعادوا ما كانوا عليه في الجاهلية في هذا الاوان فقتل منهم بشر كثير وكان على نيابة الشام من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى وقيل عبد الصمد بن علي فالله اعلم فلما تفاقم الامر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد ورؤوس الكتاب فاصلحوا بين الناس وهدأت الفتنة واستقام امر الشام وحملوا جماعات من رؤوس الفتنة الى دار السلام فرد امرهم الرشيد الى يحيى بن خالد فعفا عنهم واطلقهم ففي ذلك يقول بعض الشعرا

• قد هاجت الشام هيجا • يشيب راس وليده •

• فصب موسى عليها • بخيله وجنوده •

• فدانت الشام لما • اتى نسيج وحيده •

هذا الجواد الذي • بذ كل جود بجوده
اعداه جود ابيه • يحيى وجد جدوده
فجاد موسى بن يحيى • بطارف وتليده
ونال موسى ذرى المجد • وهو حشو مهوده
خصصته بمديحي • منثوره وقصيده
من البرامك عود له • فاكرم بعوده
حووا على الشعر طرا • خفيفه ومديده

وفيها عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان وولاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي الملقب بالعروس وفيها ولى الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك نيابة مصر فاستناب جعفر عليها عمر بن مهران وكان شنيع الخلق زرى الشكل بين الكسة احول وما كان سبب ولاية الرشيد اياه الديار المصرية الا ان نائبها موسى بن عيسى كان قد عزم على خلع الرشيد فقال والله لاعزلنه ولاولين عليها اخس الناس فاستدعى عمر بن مهران هذا وولاه عليها نيابة عن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي فسار اليها عمر ابن مهران على بغل وغلامه ابو دره على بغل اخر فدخلها كذلك فانتهى الى مجلس نائبها موسى بن عيسى فجلس في اخريات الناس حتى انفض الناس فاقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو فقال الك حاجة يا شيخ قال نعم اصلح الله الامير ثم قام بالكتب فدفعها اليه فلما قراها قال انت عمر بن مهران قال نعم فقال لعن الله فرعون حين قال اليس لي ملك مصر ثم سلم اليه العمل وارتحل منها واقبل عمر بن مهران على عمله فكان لا يقبل شيا من الهدايا الا ما كان ذهبا او فضة او قماشا ويكتب على ذلك اسم مهديه ثم طالب بالخراج والح عليهم في ذلك فشرع بعضهم في مماطلته فاقسم لا يمطله احد فيقبض منه شيا وانما يبعثه الى بغداد فيبرز بخراجه بها وبابي بو رقة القبض وفعل ذلك ببعض الناس فتادب بقيتهم ثم جاء القسط الثاني فلما كان الثالث عجز كثير منهم عن اداء الخراج فاستحضر ما كانوا اهدوا اليه فاذا كان نقدا اداه عنهم وان كان عرضا باعه واعطى عنهم وقال اني انما ادخرت هذا لكم الى وقت حاجتكم ثم كمل الخراج جميع الخراج بديار مصر ولم يتفق ذلك لاحد قبله ثم انصرف عنها لانه كان قد شرط على الرشيد انه اذا مهد البلاد وجبا الخراج فذاك اذنه في الانصراف ولم يكن معه بالديار المصرية سوى مولاه ابو دره هو حاجبه وهو منفذ اموره وغزا الصايفة في هذه السنة عبد الرحمن بن عبد الملك ففتح حصنا وحجت زبيدة زوجة الخليفة في هذه السنة ومعها اخوها وكان امير الحج في هذه السنة سليمان بن ابي جعفر المنصور عم الرشيد

ومن توفي فيها من الاعيان

ابرهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس كان امير على مصر توفي في شعبان من هذه السنة حكى عنه عبد الله بن وهب ابرهيم بن هرمة الشاعر وهو ابرهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة ابو اسحاق الفهري المدني شاعر مفلق وفد على المنصور ببغداد في وفد اهل المدينة حين استوفدهم اليه فتقدموا عليه فجلسوا الا ستر دون المنصور

برى الناس من ورايه ولا يرونه وابو الخصيب الحاجب واقف يقول يا امير المومنين هذا فلان الخطيب فيامره فيخطب ويقول هذا فلان الشاعر فيستنشده حتى كان من اخرهم ابن هرمة هذا قال فسمعته يقول

لا مرحبا ولا اهلا • ولا انعم الله به عينا

قال فقلت هلكت ثم استنشدني فانشدته قصيدتي التي اقول فيها

سرى ثوبه عنك الصبى المتخايل • وقرب للبين الخليط المزايل

حتى انتهيت الى قولي

فاما الذي امنته يامن الردى • واما الذي حاولت بالثكل ثاكل

قال فامر برفع الحجاب فاذا وجهه كانه فلقة قمر فاستنشدني بقية القصيدة وامر لي بالقرب اليه والجلوس بين يديه ثم قال ويحك يا ابرهيم لولا ذنوب بلغتني عنك لفضلتك على اصحابك فقلت يا امير المومنين كل ذنب بلغك لم تعف عنه فانا مقر به فتناول المخصرة فضربني بها ضربتين وامر لي بعشرة الاف وخلعة وعفا عنه والحقه بنظرايه وكان من جملة ما ينقمه المنصور عليه قوله

ومهما الام على حبهم • فاني احب بني فاطمه
بني بنت من جا بالمحكمات • وبالدين والسنة القايمه
فلست ابالي بحبي لهم • سواهم من النعم السايمه

قال الاخفش قال لنا ثعلب قال الاصمعي ختم الشعرا بابن هرمة وهو اخر الحجج ذكره وفاته في هذه السنة ابو الفرج بن الجوزي في المنتظم والجراح بن مليح والد وكيع وسعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل ابو عبد الله المدني ولي قضاء بغداد سبع عشرة سنة بعسكر المهدي وثقه ابن معين وغيره

صلح بن بشير المري

احد العباد الزهاد كان كثير البكا وكان يعظ فيحضر مجلسه سفيان الثوري فيقول هذا نذير قوم وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده فجاء راكبا على حمار فدنا من بساط الخليفة فامر المهدي ابنيه وليي العهد موسى الهادي وهرون الرشيد فابتدرا اليه لينزلاه عن دابته فاقبل صلح على نفسه فقال لقد خبت وخسرت ان كنت عملت لهذا اليوم ثم جلس الى المهدي فوعظه فقال له اعلم ان رسول الله خصم من خالفه في امته ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه فاعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججا تضمن لك النجاة واستسلم للهلكة واعلم ان ابطا الصرعى نهضة صريع هوى تدعيه لله قربة وان اثبت الناس قدما يوم القيمة اخذهم بكتاب الله وسنة رسوله في كلام طويل فبكى المهدي وامر بكتابة ذلك في دواوينه عبد الملك بن محمد بن ابي بكر بن عمرو بن حزم قدم قاضيا بالعراق فمات في هذا العام فرج بن فضالة الحمصي التنوخي كان على بيت المال ببغداد في خلافة الرشيد توفي في هذه السنة وكان مولده في سنة ثمان وثمانين ومات وله ثمان وثمانون ومن مناقبه ان المنصور دخل يوما الى القصر الذهب فقام الناس الا الفرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه لم لم تقم فقال خفت ان يسالني الله عن ذلك ويسالك لم رضيت وقد كره رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال فبكى المنصور وقربه وقضى حوائجه. المسيب بن زهير بن عمرو ابو سلمة
الضبي كان والي الشرطة ببغداد في ايام المنصور والمهدي والرشيد وولي خراسان زمن المهدي
وكانت وفاته في هذه السنة عن ست وسبعين سنة. الوضاح بن عبد الله ابو عوانة
اليشكري مولى لهم كان من ائمة المشايخ في الرواية توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

فيها عزل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي عن مصر وولى عليها اسحاق بن سليمان وعزل
حمزة بن مالك عن خراسان وولى عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافا الى ما كان بيده
من الاعمال الري وسجستان وغير ذلك. وذكر الواقدي انه اصاب الناس ريح شديدة
وظلمة في اواخر المحرم من هذه السنة وكذلك في اواخر صفر منها وحج بالناس فيها امير
المومنين هارون الرشيد

ذكر من توفي فيها من الاعيان

شريك بن عبد الله القاضي الكوفي النخعي سمع ابا اسحاق السبيعي وغير واحد وكان مشكورا
في حكمه وتنفيذه وتصميمه وكان لا يجلس للحكم حتى يتغدى ثم يخرج ورقة من قمطره
فينظر فيها ثم يامر بتقديم الخصوم اليه فحرص بعض اصحابه على قراءة ما في تلك الرقعة
فاذا فيها يا شريك بن عبد الله اذكر الصراط وحدته يا شريك بن عبد الله اذكر الموقف
بين يدي الله عز وجل وكانت وفاته يوم السبت مستهل ذي القعدة منها. وعبد الواحد
بن زيد ومحمد بن مسلم وموسى بن اعين.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

فيها وثبت طائفة من الحوفية من قيس وقضاعة بعامل مصر اسحاق بن سليمان فقاتلوه
وجرت بها فتنة عظيمة فبعث الرشيد هرثمة بن اعين نائب فلسطين في خلق من الامراء
مددا لاسحاق بن سليمان فقاتلوهم وجرت بها فتنة عظيمة فبعث الرشيد حتى اذعنوا
بالطاعة وادوا ما عليهم من الخراج والوظائف فاستمر هرثمة نائبا على مصر نحوا من
شهر عوضا عن اسحاق بن سليمان ثم عزله وولى عليها عبد الملك بن صالح وفيها
وثبت طائفة من اهل افريقية فقتلوا الفضل بن روح واخرجوا من كان بها من ال
المهلب فبعث اليهم الرشيد هرثمة فرجعوا الى الطاعة على يديه وفيها فوض الرشيد
امور الخلافة كلها الى يحيى بن خالد بن برمك وخرج الوليد بن طريف بالجزيرة وحكم بها
وقتل خلقا من اهلها ثم مضى منها الى ارمينية فكان من امره ما سنذكره وفيها سار
الفضل بن يحيى الى خراسان فاحسن السيرة بها وبنى فيها الربط والمساجد وغزا ما وراء
النهر واتخذ بها جندا من العجم سماهم العباسية وجعل ولاءهم له وكانوا نحوا من خمسين
الف وبعث منهم نحوا من عشرين الفا الى بغداد فكانوا يعرفون بها بالكرنبية وفي
ذلك يقول مروان بن ابي حفصة

ما الفضل الا شهاب لا افول له * عند الحروب اذا ما تافل الشهب
حام على ملك قوم عز سهمهم * من الوراثة في ايديهم سبب
امست يد لبني ساقي الحجيج بها * كتائب ما لها في غيرهم ارب
كتائب لبني العباس قد عرفت * ما الف الفضل منها العجم والعرب

اثبت خمس مئين في عدادهم * من الالوف التي احصت لك الكتب
يقارعون عن القوم الاولى * باحمد في الفرقان لا تنسبوا
ان الجواد ابن يحيى الفضل لا ورق * يبقى على جود كفيه ولا ذهب
ما مر يوم له مذ شد مئزره * الا تناول اقواما بما يهب
كم غاية في الندى والباس احرزها * للطالبين فما ادناهما التعب
يعطي اللهى حين لا يعطي الجواد ولا * ينبو اذا سلت الهندية القضب
ولا الرضا والرضى لله غايته * الى سوى الحق يدعوه ولا الغضب
قد فاض عرفك حتى ما يعادله * غيث مغيث ولا بحر له حدب

وكان قد انشده قبل خروجه الى خراسان

الم تر ان الجود من لدن آدم * تحدر حتى صار في راحة الفضل
اذا ما ابو العباس راحت سماؤه * فيا لك من هطل ويا لك من وبل

وقال ايضا فيه

اذا ام طفل راعها جوع طفلها * دعته باسم الفضل فاستطعم الطفل
ليحيى بك الاسلام انك عزه * وانك من قوم صغيرهم كهل

قال فامر له بمائة الف درهم ذكره ابو جعفر بن جرير في تاريخه وقال سلم الخاسر

وكيف تخاف من بؤس بدار * تكنفها البرامكة البحور
وقوم منهم الفضل بن يحيى * نفير لا يوازنه نفير
له يومان يوم ندى وباس * كان الدهر بينهما اسير
اذا ما البرمكي غدا ابن عشر * فهمته امير او وزير

وقد اتفق للفضل بن يحيى في هذه السفرة الى خراسان اشياء غريبة ففتح بها بلادا
كثيرة منها كابل وما وراء النهر وقهر ملك الترك هناك وكان ممتنعا واطلق اموالا
جزيلة جدا ثم قفل راجعا الى بغداد فلما اقترب منها خرج الرشيد ووجوه الناس
اليه وقدم عليه الشعراء والخطباء واكابر الناس فجعل يطلق الالف الف والخمسمائة
الف ونحوها فصرف من الاموال في ذلك شيئا كثيرا لا يمكن حصره الا بكلفة عظيمة والبدر
موضوعة مختومة بين يديه وهي تفرق على الناس فقال

كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالد * وجود يديه بخل كل بخيل

قال ابن جرير وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفر بن عاصم وغزا الشاتية
سليمان بن راشد وحج بالناس فيها محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
وهو نائب مكة كرمها الله وفيها توفي جعفر بن سليمان وعنبر بن القاسم وعبد
الملك بن محمد بن ابي بكر بن عمرو بن حزم القاضي ببغداد وصلى عليه الرشيد ودفن بها
وقد قيل في التي قبلها

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

فيها كان قدوم الفضل بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمر بن جميل فولى الرشيد
عليها منصور بن يزيد بن منصور الحميري وفيها عزل الرشيد محمد بن خالد بن برمك عن
الحجبة وردها الى الفضل بن الربيع وفيها خرج بخراسان حمزة بن اترك السجستاني

فكان من امره ما سيأتي في ذكره ومنها خرج الوليد بن طريف الشاري بالجزيرة واشتدت شوكته وكثر اتباعه فبعث اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فراوغه حتى قتله وتفرق اصحابه فقالت الفارعة اخت الوليد بن طريف ترثيه

ايا شجر الخابور ما لك مورقا • كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى • ولا المال الا من قنا وسيوف

فخرج الرشيد من بغداد معتمرا شكرا لله عز وجل فلما قضى عمرته اقام بالمدينة حتى خرج بالناس في هذه السنة فمشى من مكة الى منى ثم الى عرفات وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشيا ثم انصرف الى بغداد على طريق البصرة

ذكر من توفي فيها من السادة الاعيان

السيد الحميري الشاعر الرافضي اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ابو هاشم الحميري الملقب بالسيد كان من الشعراء المشهورين والمبرزين في هذه الصناعة المقدمين ولكنه كان رافضيا خبيثا وسبابا غشيشا كان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجعة اي بالدور قال يوما لرجل اقرضني دينارا ولك عندي مائة دينار اذا عدنا الى الدنيا فقال له الرجل اني اخشى ان تعود كلبا او خنزيرا فيذهب مالي وكان قبحه الله يسب الصحابة في شعره ويشتم الخيرة قال الاصمعي ولولا ذلك ما قدمت عليه احدا في طبقته ولا سيما للشيخين وابنتيهما رضي الله عنهم بالعنه واستخفه وابعده وقد اورد ابن الجوزي شيئا من شعره في ذلك كرهت كتابته وقد اسود وجهه قبل موته واصابه كرب شديد جدا ولما مات لم يدفنوه بسبب الصحابة رضي الله عنهم وحماد بن زيد احد ائمة الحديث وخالد بن عبد الله الطحان من سادات المسلمين اشترى نفسه من الله اربع مرار ومالك بن انس الامام والمفضل بن زياد صاحب الاوزاعي وابو الاحوص وكلهم قد ذكرناهم في كتابنا التكميل بما فيه مقنع وكفاية عما يغني عن ذكرهم هنا ولكن الامام مالك هذا اشهرهم فانه احد الائمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة فهو مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل ابن عمرو بن الحارث وهو ذو اصبح الحميري ابو عبد الله المدني امام دار الهجرة في زمانه روى عن غير واحد من التابعين وحدث عنه خلق من الائمة منهم السفيانان وشعبة وابن المبارك والاوزاعي وابن مهدي وابن جريج والليث والشافعي والزهري شيخه ويحيى بن سعيد الانصاري وهو شيخه ويحيى بن سعيد القطان ويحيى بن يحيى الاندلسي ويحيى بن يحيى النيسابوري قال البخاري اصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر وقال ابن عيينة ما كان اشد انتقاده للرجال وقال يحيى بن معين كل من روى عنه مالك فهو ثقة الا ابا امية وقال غير واحد هو اثبت اصحاب نافع والزهري وقال الشافعي اذا جاء الحديث فمالك النجم وقال ايضا من اراد الحديث فهو عيال على مالك ومناقبه وفضائله جدا كثيرة وثناء الائمة عليه اكثر من ان يحصر في هذا المكان قال ابو مصعب سمعت مالكا يقول ما افتيت حتى شهد لي سبعون اني اهل لذلك وكان اذا اراد ان يحدث تنظف وتطيب ولبس احسن ثيابه وكان يلبس حسنا وكان نقش خاتمه حسبي الله ونعم الوكيل وكان اذا دخل منزله يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله وكان منزله مبسوطا بانواع المفارش ومن وقت خروج محمد بن عبد الله بن

حسن لزم مالك بيته ولا يخرج الى جماعة ولا جمعة ويقول ما كل ما يعلم يقال وليس كل احد يقدر على الاعتذار ولما احتضر رحمه الله تشهد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم جعل يقول لله الامر من قبل ومن بعد ثم قبض في ليلة اربع عشرة من صفر وقيل من ربيع الاول من هذه السنة وله خمس وثمانون وقال الواقدي بلغ تسعين سنة ودفن بالبقيع رحمه الله وقد روى الترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن ابي الزبير عن ابي صالح عن ابي هريرة رواية يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون احدا اعلم من عالم المدينة ثم قال هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة وقد روي عنه انه قال هو مالك بن انس وكذا قال عبد الرزاق وعن ابن عيينة رواية انه عبد العزيز بن عبد الله العمري وقد ترجمه القاضي ابن خلكان في الوفيات فاطنب واطاب واتى بفوائد جمة وفرائد جمة

سنة ثمانين ومائة من الهجرة النبوية

فيها هاجت الفتنة بالشام بين النزارية واليمانية فانزعج الرشيد لذلك فندب جعفر البرمكي الى الشام مع جماعة من القواد والجنود فمهدوا الشام فانقاد الناس له واطفأ الله به نار الحرب ولم يدع جعفر بالشام فرسا ولا سيفا ولا رمحا الا استلبه منهم وقد قال بعض الشعراء في ذلك

لقد اوقدت بالشام نيران فتنة • فهذا اوان الشام تخمد نارها
اذا جاش موج البحر من آل جعفر • علينا جنت شهبانها وشرارها
رماها امير المؤمنين بجعفر • وفيه تلافي صدعها وانجبارها
رماها بميمون النقيبة ماجد • تراضى به قحطانها ونزارها

ثم كر جعفر راجعا الى بغداد بعدما استخلف على الشام عيسى بن العكي ولما قدم على الرشيد اكرمه وقربه وادناه وشرع جعفر يذكر كثرة وحشته له في الشام ويحمد الله الذي من عليه برجوعه الى امير المؤمنين ورؤية وجهه وفيها ولى الرشيد جعفرا خراسان وسجستان فاستعمل على ذلك محمد بن الحسن بن قحطبة ثم عزل الرشيد جعفرا عن خراسان بعد عشرين ليلة وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب كثرة الخوارج هناك وجعل الرشيد جعفر بن يحيى على الحرس ونزل الرشيد الرقة واستوطنها واستناب على بغداد ابنه الامين محمدا وولاه العراقين وعزل الرشيد هرثمة بن اعين عن افريقية واستدعاه الى بغداد فاستنابه جعفر على الحرس وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة سقطت منها راس منارة الاسكندرية وفيها خرج بالجزيرة خراشة الشيباني فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العقيلي وفيها ظهرت طائفة بجرجان يقال لهم المحمرة لبسوا الحمرة واتبعوا رجلا يقال له عمرو بن محمد العمركي وكان ينسب الى الزندقة فبعث الرشيد يأمر بقتله فقتل بمرو واطفأ الله نارهم في ذلك الوقت وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم وحج بالناس فيها موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

وفيها ذكر وفاة جماعة من الاعيان

اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير الانصاري قارئ اهل المدينة وقد اقام مدة ببغداد يؤدب علي بن المهدي حتى توفي في هذه السنة وفيها كانت وفاة علي بن المهدي وقد ولي امرة

الحج غير مرة كما تقدم وكان اسن من الرشيد بشهور حسان بن سنان بن ابي اوفى بن
عوف التنوخي الانباري ولد سنة ستين ورأى انس بن مالك ودعا له فجاء من
نسله قضاة ووزراء وصلحاء وادرك الدولتين وكان نصرانيا فاسلم فحسن اسلامه
وكان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية وكان يعرب الكتب بين يدي ربيعة
لما ولاه السفاح الانبار وفيها توفي عبد الوارث بن سعيد التنوري احد الثقات
وعافية بن يزيد بن قيس القاضي للمهدي على الجانب الشرقي من بغداد هو وابن
علاثة فكانا يحكمان بجامع الرصافة وكان عافية عابدا زاهدا وربما دخل يوما
على المهدي في وقت الظهيرة فقال يا امير المؤمنين اعفني فقال لم اعرض عليك
احد من الامرا فقال لا والله ولكن كان بين اثنين خصومة عندي فعمد احدهما الى رطب
السكر وكان قد سمع اني احبه فاهدى الي منه طبقا لا يصلح الا لامير المؤمنين فرددته
عليه فلما اصبحا وجلسا للحكومة لم يستويا عندي في قلبي ولا نظري ومال قلبي
الى المهدي فهذا وما قبلت منه فكيف لو قبلت منه فاعفني يا امير المؤمنين
عفا الله عنك فاعفاه وقال الاصمعي كنت عند الرشيد يوما وعنده عافية
القاضي وقد احضره لان قوما استعدوا عليه الى الرشيد فجعل الرشيد يوقفه
على ما سئل عليه وهو يجيب الخليفة عما يسأله وطال المجلس فعطس الخليفة فشمته
الناس ولم يشمته عافية فقال له لم لا تشمتني مع الناس فقال لانك لم تحمد الله
واحتج بالحديث في ذلك فقال له الرشيد ارجع الى عملك فوالله ما كنت لتفعل ما قيل
عنك وانت لم تسامحني في عطسة ورده ردا جميلا الى ولايته

وفاة سيبويه امام النحاة

وهو عمرو بن عثمان بن قنبر ابو بشر المعروف بسيبويه النحوي مولى بني الحرث بن كعب
وقيل مولى آل الربيع بن زياد وانما سمي سيبويه لان امه كانت ترقصه وتقول له ذلك
ومعنى سيبويه رائحة التفاح وقد كان في ابتدا امره يصحب المحدثين والفقها وكان
يستملي على حماد بن سلمة فلحن يوما فرد عليه حماد فانف من ذلك فلزم الخليل فبرع
في النحو ودخل بغداد وناظر الكسائي وكان شابا حسنا جميلا لطيفا قد تعلق من
كل علم بسبب وضرب في كل ادب بسهم مع حداثة سنه وبرع في النحو وقد صنف
في النحو كتابا لا يلحق شأوه وشرحه ائمة النحاة بعده فغاصوا في لجج بحره واستخرجوا
من جواهره واصله ولم يبلغوا الا قدره وقد زعم ثعلب انه لم ينفرد بتصنيفه وقد
اشترك جماعة في تصنيفه نحو من اربعين نفسا هو احدهم قال وهو اصول الخليل
فادعاه سيبويه لنفسه وقد استبعد ذلك السيرافي في كتاب طبقات النحاة وقد
اخذ سيبويه اللغات من ابي الخطاب والاخفش وغيرهما وكتابه المشهور بالكتاب لم
يسبق الى مثله ولا يلحقه احد فيه وانما كان سيبويه يقول سعيد بن ابي العروبة ويقول
العروبة يوم الجمعة وكان يقول من قال لعروبة فقد اخطا فذكر ذلك ليونس فقال
اصاب لله دره وقد ارتحل الى خراسان ليحظى عند طلحة بن طاهر فانه كان يحب النحو
فمرض فيها مرضه الذي توفي فيه فتمثل عند الموت

• يؤمل دنيا لتبقى له • فمات المؤمل قبل الامل •

• حثيثا يروي اصول الفسيل • فعاش الفسيل ومات الرجل •

ويقال انه لما احتضر وضع راسه في حجر اخيه فدمعت عين اخيه فافاق فرآه يبكي فقال

• وكنا جميعا فرق الدهر بيننا • الى الامد الاقصى فمن يامن الدهرا •

قال الخطيب ويقال انه توفي وعمره ثنتان وثلثون سنة وفيها توفيت عفيرة
العابدة كانت طويلة الحزن كثيرة البكا فقدم قريب لها من سفر فجعلت تبكي
فقيل لها ليس هذا وقت بكا فقالت ذكرت يوم القدوم على الله فمن مسرور ومثبور
ومسلم بن خالد الزنجي شيخ الشافعي كان من اهل مكة وقد تكلموا فيه لسوء حفظه

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة

فيها غزا امير المؤمنين الرشيد هارون بلاد الروم فافتتح حصنا يقال له الصفصاف
فقال في ذلك مروان بن ابي حفصة

• ان امير المؤمنين المصطفى • قد ترك الصفصاف قاعا صفصفا •

وغزا عبد الملك بن صالح بلاد الروم فبلغ انقرة وافتتح مطمورة وفيها غلبت
المحمرة على جرجان وفيها امر الرشيد ان يكتب في صدور الرسايل الصلاة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد الثنا على الله عز وجل وفيها حج بالناس الخليفة
وتعجل في النفر وسأله يحيى بن خالد ان يعفيه من الولاية فاعفاه واقام يحيى بمكة

ذكر من توفي فيها من الاعيان

الحسن بن قحطبة احد اكابر الامرا العباسية وحمزة بن مالك ولي امرة خراسان في ايام
الرشيد وخلف بن خليفة شيخ الحسن بن عرفة عن مائة سنة وعبد الله بن المبارك
ابو عبد الرحمن المروزي كان ابوه تركيا مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من اهل همذان
فكان ابن المبارك اذا قدمها احسن الى ولد مولاهم وكانت امه خوارزمية ولد سنة ثماني
عشرة ومائة وسمع اسماعيل بن ابي خالد والاعمش وهشام بن عروة وحميدا الطويل وغيرهم من
ائمة التابعين وحدث عنه خلائق من الناس وكان موصوفا بالحفظ والفقه والعربية
والزهد والكرم والشجاعة وله التصانيف الحسان والشعر المتضمن حكما جمة وكان
كثير الغزو والحج وكان له راس مال نحو اربعمائة الف يدور بتجارته في البلدان فحيث اجتمع بعالم
بلد احسن اليه وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة الف ينفقها كلها في اهل العلم
والعبادة وربما انفق من راس المال قال سفيان بن عيينة نظرت في امر الصحابة فما
رأيتهم يفضلون عليه الا بصحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اسماعيل بن عياش
ما على وجه الارض مثله وما اعلم خصلة من الخير الا وقد جعلها الله في ابن المبارك ولقد
حدثني اصحابي انهم صحبوه من مصر الى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم وقدم
مرة الى الرقة وبها هارون الرشيد فلما دخلها احتفل الناس يهرعون الى ابن المبارك
وازدحموا حوله فاشرفت ام ولد للرشيد من قصر فقالت لمن هذا فقيل لها عالم
من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فقالت هذا والله الملك لا ملك
هارون الذي يجمع الناس عليه بالسوط والعصا وخرج مرة الى الحج فاجتاز ببعض
البلاد فمات طائر معهم فامر بالقائه على مزبلة وسار اصحابه امامه وتخلف هو وراءهم
فلما مر بالمزبلة اذا جارية قد خرجت من دار فاخذت ذلك الطائر الميت فكشف

عن امرها وتحضر حتى يسالها فقالت انا واختى هاهنا ليس لنا شى الا هذا الازار وقد حلت لنا
الميتة وكان ابونا له مال فظلم واخذ ماله وقتل فامر ابن المبارك برد الاحمال وقال
لوكيله كم معك من النفقة فقال الف دينار فقال عد منها عشرين دينارا تكفينا
الى مرو واعطها الباقى فهذا افضل من حجتنا فى هذا العام وكان اذا عزم على الحج يقول
لاصحابه من عزم منكم على الحج فياخذ منهم نفقاتهم فيجعلها فى صندوق ويكتب على كل
صرة اسم صاحبها ثم يخرجون فاذا قضوا المناسك يقول هل وصاكم اهلوكم بهدية
فنشترى لكل منهم ما وصاه اهله من الهدايا وكذلك فى المدينة النبوية فاذا قفلوا
بعث من اثناء الطريق الى بيوتهم فاصلحت وبيضت ابوابها ورمم شعثها فاذا رجعوا
الى اوطانهم عمل بعد القدوم طعاما ودعا اصحابه الذين كانوا معه فاكلوا وكساهم
ثم اتى بذلك الصندوق ففتحه ثم يخرج منه تلك الصرر ويقسم على كل واحد منهم
ان ياخذ نفقته فياخذونها وينصرفون الى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناء
الجميل ويثنون بكل خير جزيل وكانت سفرته تحمل على بعير وحده وفيها من انواع المأكل
من اللحم والدجاج والحلوا وغير ذلك وهو صائم لله عز وجل فى الحر الشديد وساله
مرة سائل فاعطاه درهما فقال له بعض اصحابه ان هولاء ياكلون فى غدائهم الشوا ○
والفالوذج فقد كان يكفيه قطعة فقال والله ما ظننت انه ياكل الا البقل والخبز فا
اذ ياكل الشوا والفالوذج فلا يكفيه عشرة دراهم يا غلام رده واعطه عشرة دراهم وفضائله
ومناقبه ومآثره كثيرة جدا وقد قال الشيخ ابو عمر بن عبد البر اجمع العلماء على قبوله وجلالته
وامامته وعدالته توفى بهيت فى هذه السنة فى رمضان عن ثلاث وستين سنة ومفضل
ابن فضالة ولى قضاء مصر مرتين وكان دينا ثقة سال الله ان يذهب عنه الامل فكان لا يهنيه
شى ولا شى من الدنيا فسال الله ان يرده عليه فرده فرجع الى حاله ويعقوب الساب العابد
الكوفى قال على بن الموفق عن منصور بن عمار خرجت ذات ليلة اظن انى قد اصبحت فاذا
على ليل فجلست الى باب صغير واذا شاب يبكى وهو يقول وعزتك وجلالك ما اردت
بمعصيتك مخالفتك ولكن سولت لى نفسى وغلبتنى شقوتى وغرنى سترك المرخى على فالآن
من عذابك من يستنقذنى وبحبل من اتصل ان قطعت حبلك عنى واسوتاه على ما مضى
من ايامى فى معصيتك ربى يا ويلى كم اتوب وكم اعود قد حان لى ان استحيى من ربى قال منصور
فقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا
قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون قال فسمعت صوتا واضطرابا شديدا فذهبت
لحاجتى فلما اصبحت مررت على ذلك الباب فاذا على الباب جنازة فسالت فاذا هو قد مات
من سماع هذه الايات

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة

فيها اخذ الرشيد لولده عبد الله المامون البيعة بولاية العهد من بعد اخيه محمد بن زبيدة
الامين وذلك بالرقة بعد مرجعه من الحج وضم ابنه المامون الى جعفر بن يحيى البرمكى ثم
ارسله الى بغداد ومعه جماعة من اهل الرشيد خدمة له وولاه خراسان وما يتصل بها وسماه
المامون وفيها رجع يحيى بن خالد البرمكى من مجاورته بمكة الى بغداد وفيها غزا الصائفة

عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ مدينة اصحاب الكهف وفيها سملت الروم
عينى ملكهم قسطنطين بن اليون وملكوا عليهم امه ريني وتلقب اغسطه وحج بالناس
فيها موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس

وممن توفى فيها من الاعيان

اسماعيل بن عياش الحمصى احد المشاهير من ائمة الشاميين وفيه كلام مروان بن ابى حفصة الشاعر
المشهور المشكور كان يمدح الخلفاء والبرامكة ومعن بن زائدة وكان يحصل له من الاموال شى كثير
جدا وكان مع ذلك من ابخل الناس لا يكاد ياكل اللحم من بخله ولا يشعل فى بيته سراج وكان
لا يلبس من الثياب الا الكرابيس والفرو الغليظ وكان فيه سلم الخاسر اذا ركب الى دار الخليفة
ياتى على برذون ويبذل ستيته تساوى الف دينار والطيب ينضح من ثيابه ويأتى مروان
فى شر هيئة واسواها وخرج يوما الى المهدى فقالت امراة من اهله ان اطلق لك الخليفة
شيا فاجعل لى منه شيا فقال ان اعطانى مائة الف درهم فلك درهم فاعطاه ستين الفا
فاعطاها اربعة دوانيق وتوفى ببغداد فى هذه السنة ودفن فى مقبرة نصر بن مالك

القاضى ابو يوسف

هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة وهى امه وابوه بجير بن معاوية
وسعد هذا صحابى استصغر يوم احد وابو يوسف القاضى هذا كان اكبر اصحاب ابى حنيفة
وروى الحديث عن الاعمش وهشام بن عروة ومحمد بن اسحاق ويحيى بن سعيد الانصارى
وغيرهم وعنه محمد بن الحسن واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وقال على بن الجعد سمعته يقول
توفى ابى وانا صغير فاسلمتنى امى الى قصار فكنت ادع القصار واتى حلقة ابى حنيفة فاجلس فيها فكانت
امى تتبعنى فتاخذ بيدى من الحلقة وتذهب بى الى القصار ثم كنت اخالفها فى ذلك
واذهب الى ابى حنيفة فلما طال ذلك قالت لابى حنيفة ان هذا الصبى يتيم ليس له شى
الا ما اطعمه من مغزلى وانك قد افسدته على فقال لها اسكتى يا رعناء ها هو ذا يتعلم
العلم وسياكل الفالوذج بدهن الفستق قال ابو يوسف فلما وليت القضاء وكان اول
من ولاه القضاء الهادى وهو اول من لقب بقاضى القضاة وكان يقال له قاضى قضاة
الدنيا لانه كان يستنيب فى سائر الاقاليم التى يحكم فيها الخليفة قال ابو يوسف فبينا
انا ذات يوم عند الرشيد اذ اتى بفالوذج وكنت لا اعرفها فقال لى كل من هذا فانه
لا يصنع لنا كل وقت فقلت وما هذا يا امير المومنين فقال لى هذا الفالوذج قال
فتبسمت فقال ما لك تبسمت فقلت لا شى ابقى الله امير المومنين فقال لتخبرنى ○
فقصصت عليه القصة من اولها فقال ان العلم ينفع ويرفع فى الدنيا والاخرة ثم
قال رحم الله ابا حنيفة فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين راسه وكان ابو
حنيفة يقول عن ابى يوسف انه اعلم اصحابه وقال المزنى كان ابو يوسف اتبعهم للحديث
وقال على بن المدينى كان صدوقا وقال يحيى بن معين كان ثقة وقال ابو زرعة كان سليما
من التجهم وقال بشار الخفاف سمعت ابا يوسف يقول من قال القران مخلوق فحرام كلامه
وفرض مباينته ومن كلامه الذى ينبغى كتابته بماء الذهب قوله من طلب المال بالكيميا
افلس ومن تتبع غرائب الحديث كذب ومن طلب العلم بالكلام تزندق ولما تناظر هو ومالك
بحضرة الخليفة الرشيد فى مسالة الصاع وزكاة الخضراوات يخرج منها شى فى زمن الخلفا

الراشدين قال لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت وهذا إنصاف وقد كان يحضر مجلس
حكمه العلماء على طبقاتهم حتى أحمد بن حنبل كان شابا وكان يحضر مجلسه في أثناء الطلب ويتنبهون
ويتباحثون فيه ومع ذلك يحكم ويصنف أيضا وقال وليت هذا الحكم وأرجو أن الله
لا يسألني عن جور ولا ميل إلى أحد ولا يوما واحدا جاءني رجل فذكر أن له بستانا وأنه في يد أمير
المؤمنين فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال البستان لي اشتراه المهدي فقلت
إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره لأسمع دعواه فأحضره فادعى البستان فقلت ما تقول
يا أمير المؤمنين فقال هو بستاني فقلت للرجل قد سمعت ما أجاب فقال يحلف فقلت
أتحلف يا أمير المؤمنين قال لا فقلت إني سأعرض عليك اليمين ثلاثا فإن حلفت وإلا
حكمت عليك فعرضتها عليه ثلاثا فامتنع فحكمت بالبستان للمدعي قال فكنت في أثناء
الخصومة أود أن ينفصل ولم يمكني أن أجلس الرجل مع الخليفة وبعث القاضي أبو يوسف
في تسليم البستان إلى الرجل وروى المعافى بن زكريا الجريري عن محمد بن أبي الأزهر عن حماد بن
أبي إسحاق الموصلي عن أبيه عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال بينا أنا ذات ليلة قد
نمت في الفراش إذا رسول الخليفة يطرق الباب فخرجت منزعجا فقال أمير المؤمنين يدعوك
فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى بن جعفر فقال لي الرشيد إن هذا قد طلبت منه جارية
يهبنيها فلم يفعل أو يبيعنيها فلم يفعل وإني أشهدك إن لم يجبني إلى ذلك قتلته فقلت
لعيسى لم لا تفعل فقال إني حالف بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيعها
ولا أهبها فقال لي الرشيد فهل له من مخلص قلت نعم يبيعك نصفها ويهبك نصفها فوهبه
النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار فقبل منه ذلك وأحضرت الجارية فلما رآها الرشيد
قال هل من سبيل عليها الليلة قلت إنها مملوكة ولا بد من استبرائها إلا أن تعتقها وتتزوجها
فإن الحرة لا تستبرأ قال فأعتقها وزوجنيها منه بعشرين ألف دينار وأمر لي بمائتي ألف
درهم وعشرين تختا من ثياب وأرسلت إلى الجارية بعشرة آلاف دينار وقال يحيى بن
معين كنت عند أبي يوسف فجاءته هدية من ثياب دبيقي وطيب وتماثيل ند وغير ذلك
فذاكرني رجل في إسناد حديث من أحاديث الهدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فقال
أبو يوسف إنما ذاك في الأقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا ما ترون يا غلام شل إلى الخزائن
وقال بشر بن غياث المريسي سمعت أبا يوسف يقول صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة
ثم انصببت على الدنيا سبع عشرة سنة وما أظن الأجل إلا قد اقترب فما كان شهور حتى مات
وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة عن تسع وستين سنة وقد مكث في القضاء
ست عشرة سنة وولي القضاء بعده ولده يوسف وقد كان نائبه على الجانب الشرقي من
بغداد ومن زعم من الرواة أن الشافعي اجتمع بأبي يوسف كما يقوله محمد عبد الله بن محمد البلوي
الكذاب في الرحلة التي ساقها للشافعي فقد أخطأ في ذلك فإن الشافعي إنما ورد بغداد في
أول قدمة قدمها إليها في سنة أربع وثمانين وإنما اجتمع بمحمد بن الحسن الشيباني فأحسن
إليه وأقبل عليه ولم يكن بينهما شنآن كما قد يذكره بعض من لا خبرة له بهذا الشأن والله
أعلم وفيها توفي يعقوب بن داود بن طهمان أبو عبد الله مولى عبد الله بن خازم السلمي
استوزره المهدي وسلم إليه أزمة الأمور وحظي عنده جدا ثم لما أمره بقتل ذلك العلوي
فأرسله ونمت عليه الجارية وتحقق أنه لم يفعل حبسه في بئر وبنيت عليه قبة ونبت

شعره كما ينبت شعر الأنعام وعمي وبقي لا يعشى بصره ومكث نحوا من خمس عشرة سنة في ذلك المكان
لا يرى شيئا ولا يسمع صوتا إلا حين الصلوات يعلم به ويدلى إليه في كل يوم رغيف وكوز ماء حتى
انقضت أيام المهدي وأيام الهادي وصدرا من خلافة الرشيد قال يعقوب فأتاني آت
في منامي فقال

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان ... ويأتي أهله النائي الغريب

قال فلما أصبحت نوديت فظننت أني أعلم بوقت الصلوات ودلي إلي حبل فقيل لي اربط
هذا الحبل في وسطك فأخرجوني فلما نظرت إلى الضياء لم أبصر شيئا وأوقفت بين يدي
الخليفة فظننته المهدي فسلمت عليه أنه المهدي فقال لست به فقلت الهادي فقال
لست به فقلت السلام على أمير المؤمنين الرشيد فقال نعم ثم قال والله إنه لم يشفع
فيك عندي أحد ولكني البارحة حملت جارية لي صغيرة على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك
فرحمت ما أنت فيه من الضيق فأخرجتك ثم أنعم عليه وأحسن إليه فعارضه يحيى بن خالد
بن برمك وخشي أن يعيده إلى المنزلة التي كان فيها في أيام المهدي ففهم ذلك يعقوب فاستأذن
الخليفة في أن يذهب إلى مكة فأذن له فكان بها حتى مات في هذه السنة رحمه الله ويزيد بن
زريع أبو معاوية البصري العيشي شيخ الإمام أحمد في الحديث وكان ثقة عالما عابدا ورعا توفي أبوه
وكان والي البصرة وترك من المال خمسمائة ألف درهم فلم يأخذ منها يزيد درهما واحدا وكان يعمل
الخوص ويأكل منه وقد توفي بالبصرة في هذه السنة وقيل قبل ذلك فالله أعلم

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

فيها خرجت الخزر على الناس من ثلمة أرمينية فعاثوا في تلك البلاد بالفساد وسبوا من
المسلمين وأهل الذمة نحوا من مائة ألف وقتلوا بشرا كثيرا وانهزم نائب أرمينية سعيد
بن مسلم منهم فأرسل الخليفة هارون الرشيد خازم بن خزيمة ويزيد بن مزيد في جيوش
كثيفة إلى تلك البلاد فأصلحوها ودفع عنها هؤلاء العبث والفساد وبالله المستعان وحج بالناس
فيها العباس بن موسى الهادي

وممن توفي فيها من الأعيان

علي بن الفضيل بن عياض في حياة أبيه وكان كثير العبادة ذا الورع والخوف محمد بن صبيح
أبو العباس مولى بني عجل المذكر ويعرف بابن السماك روى عن إسماعيل بن أبي خالد والأعمش
والثوري وهشام بن عروة وغيرهم ودخل يوما على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين إن لك
بين يدي الله موقفا فانظر أين تنصرف منه إلى الجنة أم إلى النار فبكى الرشيد حتى كاد يموت
موسى الكاظم موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي ولد
سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة وكان كثير العبادة والمروءة إذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه
أرسل إليه بالذهب والتحف وله من الذكور والإناث أربعون نسمة وقد أهدى له
عبد عصيدة فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار ووهبها له وقد استدعاه
المهدي إلى بغداد فحبسه فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب وهو يقول
له يا محمد فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم فاستيقظ
مذعورا وأمر به فأخرج من السجن ليلا فأجلسه معه وعانقه وأقبل عليه وأخذ عليه العهد

ان لا يخرج عليه ولا على احد من اولاده فقال والله ما هذا من شاني فقال صدقت وامر له بثلاثة الاف دينار وامر به ان يرد الى المدينة فما اصبح الصباح الا وهو على الطريق فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد فحج فلما دخل ليسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه موسى بن جعفر قال الخليفة السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم فقال موسى بن جعفر السلام عليك يا ابه فقال له الرشيد هذا هو الفخر يا ابا الحسن ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استدعاه في سنة تسع وستين وسجنه فاطال سجنه فكتب اليه موسى رسالة يقول فيها اما بعد يا امير المؤمنين فانه لن ينقضي عني يوم من البلاء الا انقضى عنك يوم من الرخاء حتى يفضي ذلك الى يوم يخسر فيه المبطلون وتوفي موسى الكاظم لخمس بقين من رجب من هذه السنة وقبره هنالك مشهور ببغداد   هشيم بن بشير بن ابي حازم القسم بن دينار ابو معوية السلمي الواسطي كان ابوه طباخا للحجاج بن يوسف الثقفي ثم كان بعد ذلك يبيع الصحناه والكوامخ وكان يمنع ابنه من طلب العلم ليساعده على صناعته فيابى الا ان يسمع الحديث فاتفق ان مرض هشيم فجاء ابو شيبة قاضي واسط يعوده ومعه خلق من الناس فلما راه بشير فرح بذلك وقال يا بني ابلغ من امرك ان جاء القاضي الى منزلي لا امنعك بعد هذا من طلب الحديث ثم كان هشيم من سادات العلماء حدث عنه مالك وشعبة والثوري واحمد بن حنبل وخلق سواهم وكان من الصلحاء العباد مكث يصلي الصبح بوضوء العشاء قبل ان يموت عشر سنين   يحيى بن زكريا بن ابي زائدة قاضي المداين كان من الائمة الثقات   يونس بن حبيب احد النحاة النجباء وقد اخذ عن ابي عمرو بن العلاء واخذ عنه الكسائي والفراء وكانت له حلقة بالبصرة ينتابها اهل العلم والادب والفصحاء من الحاضرين والعرب توفي في هذه السنة عن ثمان وتسعين سنة

ثم دخلت سنة اربع وثمانين ومائة

فيها رجع الرشيد من الرقة الى بغداد فاخذ الناس باداء بقايا الخراج عليهم وولى رجلا يضرب على ذلك ويحبس وولى على اطراف البلاد وعزل وقطع ووصل وخرج بالجزيرة ابو عمرو الشاري فبعث اليه من قتله بشهر زور وحج بالناس فيها ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن امير المؤمنين الرشيد كان زاهدا عابدا قد تنسك فكان لا ياكل الا من عمل يديه يعمل في الطين وليس عليه الا مئزر وزنبيل الى بحرته ونفقته وكان اجرته في كل يوم يعمل فيه من الجمعة الى الجمعة درهما ودانقا وكانت امه زبيدة في قول بعضهم والصحيح انه كان من امراة عشقها كان الرشيد تلاحيها فتزوجها سرا فحملت منه بهذا الغلام ثم احدرها الى البصرة واعطاها خاتما من ياقوت احمر واشياء نفيسة وامرها اذا افضت اليه الخلافة ان تاتيه فلما صارت الخلافة اليه لم تاته ولا ذكرها وبلغه انهما ماتا ولم يكن كذلك فكان هذا الشاب يعمل بيده وياكل من كدها فاتفق مرضه فجاء بعض من استعمله في الطين فمرضه عنده فلما احتضر اخرج ذلك الخاتم وقال لصاحب المنزل اذهب بهذا الى الرشيد وقل له صاحب هذا الخاتم يقول لك اياك ان تموت في سكرتك هذه فتندم فلما مات دفنه وطلب الحضور بين يدي الخليفة فقال له ما حاجتك قال هذا الخاتم دفعه الي رجل واوصاني ان اقول لك كلاما فلما نظر اليه عرفه فقال ويحك واين هذا قال مات يا امير المؤمنين وهو يقول لك احذر ان تموت في سكرتك

هذه فتندم قال فقام الرشيد فضرب بنفسه البلاد وجعل يتقلب ظهرا لبطن ويقول والله لقد نصحتني يا بني ثم قال اتعرف قبره قلت نعم قال اذا كان العشي فاتني به فذهب الى قبره فلم يزل يبكي عنده حتى اصبح ثم امر لذلك الرجل بعشرة الاف درهم وكتب له ولعياله رزقا   عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي والد بكار ولاه الخليفة الرشيد بولاية المدينة فقبلها بشروط عدل اشترطها فاجابه الى ذلك ثم اضاف اليه نيابة اليمن وكان من اعدل الولاة وكان عمره يوم توفي نحوا من سبعين سنة   عبد الله بن عبد العزيز العمري ادرك ابا طوالة وروى عن ابيه وابراهيم بن سعد وكان عابدا زاهدا وعظ الرشيد يوما فاطنب واطيب قال له وهو واقف على الصفا انظر كم حولها من الناس فقال الكثير قال كل منهم يسال يوم القيامة عن خاصة نفسه وانت تسال عنهم كلهم فبكى الرشيد بكاء كثيرا وجعل يؤتونه بمنديل بعد منديل للدموع ثم قال يا هارون ان الرجل ليسرع في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن يسرع في اموال المسلمين كلهم ثم تركه وانصرف والرشيد يبكي وله مواقف محمودة في غير هذا الموضع توفي عن ست وستين سنة   محمد بن يوسف بن معدان ابو عبد الله الاصبهاني ادرك التابعين ثم اشتغل بالتعبد والزهادة وكان عبد الله بن المبارك يسميه عروس الزهاد وقال يحيى بن سعيد القطان ما رايت افضل منه وكان كانه قد عاين وقال ابن مهدي ما رايت مثله قالوا وكان لا يشتري زاده من خباز واحد ولا من بقال واحد ولا يشتري الا ممن لا يعرفه يقول اخشى ان يحابيني بديني فاكون ممن يعيش بدينه وكان لا يضع جنبه للنوم صيفا ولا شتاء ومات ولم يجاوز الاربعين رح

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

فيها قتل اهل طبرستان متوليهم مهرويه الرازي فولى الرشيد عليهم مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي وفيها قتل عبد الرحمن الانباري اباه بن قحطبة الخارجي بمرج القلعة وفيها عاث حمزة الشاري ببادغيس من خراسان فنهض عيسى بن علي بن عيسى الى عشرة الاف من جيش حمزة فقتلهم وسار وراء جيش حمزة الى كابل وزابلستان وفيها خرج ابو الخصيب فتغلب على ابيورد وطوس ونيسابور وحاصر مرو وقوي امره وفيها توفي يزيد بن مزيد بن زائدة فولى الرشيد مكانه اسد بن يزيد واستاذن الوزير يحيى بن خالد الخليفة في ان يعتمر فاذن له فاعتمر في رمضان ثم رابط بجدة الى وقت الحج فحج مع الناس وكان امير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن علي

ذكر من توفي فيها من الاعيان

عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي عم السفاح والمنصور ولد سنة اربع ومائة وكان ضخم الخلق جدا لم يبدل اسنانه ومات بها وكانت اصولها صفيحة واحدة وقد قال يوما للرشيد يا امير المؤمنين هذا مجلس اجتمع فيه عم امير المؤمنين وعم عمه وعم عم عمه وذلك ان سليمان بن ابي جعفر عم الرشيد والعباس بن محمد بن علي عم سليمان وعبد الصمد بن علي عم العباس وتلخيص ذلك ان عبد الصمد عم عم عم الرشيد لانه عم جده روى عبد الصمد عن ابيه عن جده عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان البر والصلة ليطيلان الاعمار ويعمران الديار ويثريان الاموال ولو كان القوم فجارا وبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البر والصلة ليخففان سوء الحساب يوم القيامة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وغير ذلك من الاحاديث

محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بالامام كان يلي امارة الحاج واقامة شعائر الحج في خلافة المنصور عدة سنين توفي ببغداد فصلى عليه الامين في شوال من هذه السنة ودفن بالعباسية ومنها توفي من مشايخ الحديث حصام بن اسماعيل وعمرو بن عبيد والمطلب بن زياد والمعافى بن عمران في قول ويوسف بن الماجشون وابو اسحاق الفزاري امام اهل الشام في المغازي والعلم والعبادة

رابعة العدوية

هي رابعة بنت اسماعيل العدوية مولاة العتيك البصرية العابدة المشهورة ذكرها القشيري في الرسالة وابو نعيم الاصبهاني في الحلية وابن الجوزي في صفة الصفوة والشيخ شهاب الدين السهروردي في المعارف واثنى عليها اكثر الناس وقد تكلم فيها ابو داود السجستاني واتهمها بالزندقة فلعله بلغه عنها امر وقد انشد لها السهروردي في المعارف

• اني جعلتك في الفؤاد محدثي • واخترت جسمي من اراد جلوسي •
• فالجسم مني للجليس مؤانس • وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي •

وقد ذكر لها احوال واعمال صالحة وقيام ليل وصيام نهار ورويت لها منامات صالحة فالله اعلم

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

فمنها خروج علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب ابي الخصيب في نسا فقتله وسبى نساءه وذراريه واستقامت امور خراسان وحج بالناس فيها امير المؤمنين هارون الرشيد ومعه ابناه محمد الامين وعبد الله المامون فبلغ جملة ما اعطى لاهل الحرمين الف الف دينار وخمسين الف دينار وذلك انه كان يعطي ثم يذهب الناس من بعده الى ولده محمد الامين فيعطي ثم يذهبون الى ولده عبد الله المامون فيعطي وكان الى الامين ولاية الشام والعراق والى المامون من همذان الى بلاد المشرق ثم بايع الرشيد لولده القاسم من بعد اخويه ولقبه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم وكان الباعث له على ذلك ان ابن عمه القاسم هذا كان في حجر عبد الملك بن صالح فلما بايع الرشيد لولديه الامين والمامون كتب اليه ابياتا

الملك الذي لو كان نجما كان سعدا اعتقد للقاسم بيعة واقدح له في الملك زندا فالله فرد واحد • فاجعل ولاة العهد فردا •

ففعل الرشيد ذلك وقد حمده قوم على ذلك وذمه اخرون في ذلك ولم ينتظم للقاسم هذا امر حتى منعته الاقدار عن بلوغ الاوطار ولما قضى الرشيد حجه ومناسكه احضر من معه من الامراء والوزراء واحضر ولي العهد محمدا الامين وعبد الله المامون واشهد على كل منهما بالسمع والطاعة لاخيه وان لا يغدر به ولا ... ذلك وكتب بمضمون ذلك صحيفة وكتب فيها الامراء والوزراء خطوطهم بالشهادة عليهما بذلك واراد الرشيد ان يعلقها في الكعبة فسقطت فقيل هذا امر سريع انتقاضه وكذا وقع كما سيأتي بيانه وقد قال ابراهيم الموصلي في عقد هذه البيعة في الكعبة خير الامور

• خير الامور مغبة • واحق امر بالتمام •
• امر قضى احكامه • الرحمن في البلد الحرام •

وقد اطال المؤرخون هذا المقام الامام ابو جعفر ابن جرير وتبعه ابن الجوزي في كتابه

المنتظم

ذكر من توفي فيها

اصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ابو زبان في رمضان منها حسان بن ابراهيم قاضي كرمان عن مائة سنة سلم الخاسر الشاعر وهو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء وانما قيل له الخاسر لانه باع مصحفا فاشترى به ديوان شعر لامرئ القيس وقيل للاعشى وقيل لانه انفق ما بيده الف في صناعة الادب وقد كان شاعرا مطيقا له قدرة على الانشاد على حرف واحد فمن ذلك قوله لموسى الهادي

موسى المطر • غيث بكر • ثم انهمر • كم اعتسر • ثم انتشر • وكم قدر • ثم غفر • عدل السير • باقي الاثر • خير البشر • فرع مضر • بدر بدر • لمن نظر • هو الوزر • لمن حضر • والمفتخر • لمن غبر • والمجتبر لمن عثر

وذكر الخطيب انه كان على طريقة غير مرضية من المجون والفسق وانه كان من تلاميذ بشار بن برد وانه نظم احسن من نظم بشار فمما غلب فيه بشار قول بشار

• من راقب الناس لم يظفر بحاجته • وفاز بالطيبات الفاتك اللهج •

وقال سلم

• من راقب الناس مات غما • وفاز باللذة الجسور •

فغضب بشار وقال اخذ معاني فكساها الفاظا اخف من الفاظي وقد حصل له من الخلفاء البرامكة خواص ارتجين الف دينار وقيل اكثر من ذلك ولما مات ترك ستة وثلاثين الف دينار فاودعها عند ابي الشمر الغساني فغنى ابراهيم الموصلي الرشيد يوما فاطربه فقال له سل فقال له يا امير المؤمنين اسالك شيئا لا ازرا له فيه وذكر له وديعة سلم وانه لم يترك وارثا فامر له بها وقيل انها كانت خمسين الف دينار العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عم الرشيد كان من سادات قريش ولي امارة الجزيرة في ايام الرشيد وقد اطلق له الرشيد في يوم خمسة الاف الف درهم واليه تنسب العباسية ومات ودفن وصلى عليه الامين وعمره خمس وستون سنة يقطين بن موسى كان احد الدعاة الى دولة بني العباس وكان داهية ذا راي وقد احتال مرة حيلة عظيمة وذلك حين حبس مروان الحمار ابراهيم بن محمد بحران فتحيرت الشيعة العباسية فيمن يكون ولي الامر من بعده فدخل يقطين هذا الى مروان فوقف بين يديه في صورة تاجر فقال له يا امير المؤمنين اني بعت بضاعة من رجل فلم انتصف ثمنها منه حتى اخذته رسلك فحبسوه فان راى امير المؤمنين ان يجمع بيني وبينه لاطالبه بمالي فافعل فارسل به مع غلام فلما راه قال له يا عدو الله الى من تركت بعدك اخذ مالي منه فقال له الى ابن الحارثية يعني اخاه عبد الله السفاح فرجع يقطين الى الدعاة الى بني العباس فاعلمهم بما قال فبايعوا السفاح وكان ما قد كان

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة فيها مهلك البرامكة

فمنها كان مقتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ودمار ديارهم واندثار اثارهم وذهاب صغارهم وكبارهم وقد اختلف في سبب ذلك على اقوال ذكرها ابو جعفر بن جرير وغيره من علماء التاريخ فمما قيل ان الرشيد كان قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن الى جعفر البرمكي ليسجنه عنده فما زال يحيى يرفق لجعفر حتى اطلقه جعفر فنم الفضل بن الربيع على جعفر في ذلك فقال له الرشيد ويلك لا تدخل بيني وبين جعفر فلعله قد اطلقه عن امري

وانا لا اشعر ثم سال الرشيد جعفرا عن ذلك فصدقه الحال فتغيظ عليه الرشيد وحلف
ليقتلنه وكره البرامكة ومقتهم وتلاشى بعدما كانوا احظى الناس عنده واحبهم اليه
وكانت ام جعفر والفضل امه من الرضاعة وحصل لهم من الرفعة في الدنيا وكثرة المال
بسبب ذلك شيء كثير لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء ولا لمن تقدمهم من الاكابر والرؤساء بحيث
ان جعفرا بنى دارا غرم عليها عشرين الف الف درهم فكان ذلك من جملة ما نكر عليه بسببه
ويقال ان الرشيد كان لا يكاد يمر ببلد ولا اقليم فيقال له هذه القرية او مزرعة او بستان الا
قيل هذا لجعفر وقد قيل ان البرامكة كانوا يريدون ابطال الخلافة الرشيد واظهار الزندقة
وقيل بسبب العباسة ومن العلماء من انكر ذلك وان كان ابن جرير قد ذكره وروى ابن
الجوزي ان الرشيد سئل عن السبب الذي من اجله اهلك البرامكة فقال لو اعلم ان قميصي
يعلم ذلك لاحرقته وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير اذن حتى انه كان ربما دخل عليه
وهو في الفراش مع حظاياه وهذه وجاهة عظيمة ومنزلة عالية وكان من احظى العشراء على
الشراب فان الرشيد كان يستعمل في اواخر ملكه المسكر وكانت المختلف فيه وكان احب اهله اليه
اخته العباسة بنت المهدي فكان يحضرهما معه وجعفر البرمكي حاضرا معهما فزوجه بها
ليحل له النظر اليها واشترط عليه ان لا يطاها فكان الرشيد ربما قام وتركهما وهما ثملان
من الشراب فربما واقعها جعفر فاتفق حملها منه فولدت ولدا وبعثته مع بعض جواريها
الى مكة فكان يربى بها وذكر القاضي ابن خلكان صفة اخرى في مقتل جعفر وذلك
انه لما زوج الرشيد جعفرا من العباسة احبته حبا شديدا فراودته عن نفسه فامتنع
اشد الامتناع من خشية امير المؤمنين فاحتالت عليه وكانت امه تهدي اليه في كل
ليلة جمعة جارية حسناء بكرا فقالت لامه ادخليني عليه في صفة جارية من تلك الجواري
فهابت من ذلك فتهددتها حتى فعلت فلما دخلت عليه وكان لا يتحقق وجهها من
مهابة الرشيد فواقعها فقالت له كيف رايت خديعة بنات الملوك فقال ومن انت
فقالت انا العباسة وحملت من تلك الليلة فدخل على امه فقال لها بعتيني والله
برخيص ثم ان والده يحيى بن خالد جعل يضيق على عيال الرشيد في النفقة حتى شكته
الى الرشيد زبيدة مرات ثم افشت له سر العباسة فاستشاط غضبا ولما اخبرته
ان الولد قد ارسلت به الى مكة حج عامه ذلك حتى تحقق الامر ويقال ان بعض الجواري
نمت عليها الى الرشيد واخبرته بما وقع من الامر وان الولد بمكة وعنده جوار ومعه اموال
وحلي كثير فلم يصدق حتى حج في السنة الخالية فكشف عن الحال فاذا الامر كما ذكرت تلك
الجارية وقد حج في هذه السنة يحيى بن خالد الوزير وقد استشعر الغضب من الرشيد عليه
فجعل يدعو عند الكعبة اللهم ان كان يرضيك عني سلب مالي وولدي واهلي فافعل ذلك
بي وابق علي منهم الفضل ثم خرج فلما كان عند باب المسجد رجع فقال اللهم والفضل معهم
فاني راض برضاك عني ولا تستثن منهم احدا فلما قفل الرشيد من الحج صار الى الحيرة
ثم ركب في السفن الى العمر من ارض الانبار فلما كانت ليلة السبت سلخ المحرم من هذه السنة
اعني سنة سبع وثمانين ارسل مسرورا الخادم ومعه حماد بن سالم ابو عصمة في جماعة من
الجند فاطافوا بجعفر بن يحيى ليلا فدخل عليه مسرور الخادم وعنده بختيشوع المتطبب
وابو زكار الاعمى المغني الكلوذاني وهو في لهوه وابو زكار يغنيه ○

فلا تبعد فكل فتى سياتي ● عليه الموت يطرق او يغادي ●

فقال له الخادم يا ابا الفضل هذا الموت قد طرقك اجب امير المؤمنين فقام اليه فقبل
قدميه ودخل عليه ان يدخل الى اهله فيوصي اليهم فقال اما الدخول فلا سبيل اليه فاوصى
جعفر وعتق جماعة من مماليكه وكانت رسل الرشيد تستحث الخادم فاخرجه اخراجا
عنيفا يقوده حتى اتى المنزل الذي كان فيه الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار واعلم الرشيد
بما فعل فامره بضرب عنقه فجاء الى جعفر فقال له ان امير المؤمنين امرني ان اتيه براسك فقال
يا ابا هاشم لعل امير المؤمنين سكران فاذا صحا عاتبك في ذلك فعاوده فرجع اليه فقال
امير المؤمنين لعله مشغول فقال له ويحك يا ماص بظر امه ائتني براسه فكر عليه
جعفر القول فقال له في الثالثة بريت من المهدي لئن لم تاتني براسه لابعثن من
ياتيني براسك وراسه فرجع الى جعفر فحز راسه وجاء به الى الرشيد فالقاه بين يديه
وارسل الرشيد من ليلته البرد في الاحتياط على البرامكة جميعهم ببغداد وغيرها ومن
كان منهم بسبيل فاخذوا كلهم عن اخرهم فلم يفلت منهم احد وحبس يحيى بن خالد في منزله
وحبس الفضل بن يحيى في منزل اخر واخذ جميع ما كانوا يملكون من الاموال والموالي والحشم
والخدم واحتيط على املاكهم وبعث الرشيد براس جعفر وجثته فقطعت باثنين
ونصب الراس عند الجسر الاعلى وشق الجثة عند الجسر الاسفل وشقها الاخر عند الجسر
الاخر ثم احرقت بعد ذلك ونودي في بغداد ان لا امان للبرامكة ولا لمن اواهم الا
محمد بن يحيى فانه استثناه من بين البرامكة لنصحه الخليفة واتى الرشيد بانس بن
ابي شيخ وكان يتهم بالزندقة وكان مصاحبا لجعفر البرمكي وذلك ليلة قتل جعفر فدار
بينه وبينه كلام فاخرج الرشيد سيفا من تحت فراشه وامر بضرب عنقه به وجعل
يتمثل ببيت قيل في انس قبل ذلك ●

● تلمظ السيف من شوق الى انس ● فالسيف يلحظ والاقدار تنتظر ●

فضربت عنق انس فسبق السيف الدم فقال الرشيد رحم الله عبد الله بن مصعب فقال
الناس ان السيف كان سيف الزبير بن العوام وشحنت السجون بالبرامكة واستلبت
اموالهم كلها وقد كان الرشيد في اليوم الذي قتل في اخره جعفرا هو واياه راكبين في الصيد
وقد خلا به دون ولاة العهود وطيبه في ذلك اليوم بالغالية بيده فلما كان وقت
المغرب وودعه الرشيد ضمه اليه وقال لولا ان الليلة ليلة خلوتي بالنساء ما فارقتك
فاذهب الى منزلك فاشرب واطرب حتى تكون على مثل حالي فقال والله يا امير المؤمنين
لا اشتهي ذلك الا معك فانصرف عنه جعفر فما هو الا ان ذهب من الليل بعضه حتى اوقع
به من الباس والنكال ما تقدم ذكره وكان ذلك ليلة السبت اخر ليلة من المحرم وقيل
انها كانت مستهل صفر سنة سبع وثمانين وكان عمر جعفر اذ ذاك سبعا وثلاثين سنة
ولما جاء الخبر الى ابيه يحيى بن خالد بقتله قال قتل الله ابنه ولما قيل له قد خربت دارك
قال خرب الله دوره ويقال انه لما نظر الى داره وقد هتكت ستورها واستبيحت
قصورها وانتهب ما فيها قال هكذا تقوم الساعة وقد كتب اليه بعض اصحابه
يعزيه فيما وقع فكتب جواب التعزية انا بقضاء الله راض وبالخيار منه عالم ولا يواخذ
الله العباد الا بذنوبهم وما الله بظلام للعبيد وما يغفر الله اكثر ولله الحمد وقد اكثر

الشعراء من المراثي في البرامكة فمن ذلك قول الرقاشي ويقال انها لابي نواس

الآن استرحنا واستراحت ركابنا ... وامسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد امنت من السرى ... وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ... ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي ... وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفا برمكيا مهندا ... اصيب بسيف هاشمي مهند

وقال الرقاشي وقد نظر الى جعفر وهو على جذع مصلوب

اما والله لولا خوف واش ... وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيى ... حساما فله السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا ... لدولة آل برمك السلام

فاستدعاه الرشيد فقال له ويحك كم كان يعطيك جعفر كل عام قال الف دينار فامر له بالفي دينار وقال الزبير بن بكار عن عمه مصعب الزبيري قال لما قتل جعفر بن يحيى وقفت امراة على حمار فاره فقالت بلسان فصيح والله يا جعفر لئن صرت اليوم اية لقد كنت في المكارم غاية ثم انشات تقول

ولما راينا السيف خالط جعفرا ... ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت انما ... قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
وما هي الا دولة بعد دولة ... تخول ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
اذا انزلت هذا منازل رفعة ... من الملك حطت ذا الى الغاية القصوى

قال ثم حركت حمارها فكانت كانها ريح لا اثر لها ولا يعرف اين ذهبت وذكر الشيخ ابو الفرج بن الجوزي في كتابه المنتظم ان جعفرا كانت له جارية يقال لها [illegible] مغنية لم يكن لها في الدنيا نظير كان اشتراها على ما قيل بمائة الف دينار فطلبها منه الرشيد فامتنع من ذلك فلما قتله الرشيد اصطفى تلك الجارية فاحضرها ليلة في مجلس شرابه وعنده جماعة من جلسائه وسماره واحبابه فامر من معها ان يغنين فاخذت كل واحدة منهن تغني حتى انتهت النوبة اليها فامرها بالغناء فاسبلت دمعها تبكي وقالت اما بعد السادة فلا فغضب الرشيد من ذلك غضبا شديدا وامر بعض الحاضرين ان ياخذها اليه فقد وهبها له ثم لما اراد الانصراف قال له فيما بينه وبينه لا تطاها ففهموا انه يريد بذلك كسرها فلما كان بعد ذلك احضرها واظهر انه قد رضي عنها وامرها بالغناء فامتنعت وارسلت دموعها وقالت اما بعد السادة فلا فغضب اشد من الاول وقال النطع والسيف وجاء السياف فوقف على راسها فقال له اذا امرتك ثلاثا وعقدت باصابعي ثلاثا فاضرب ثم قال لها غني فبكت وقالت اما بعد السادة فلا فعقد اصبعه الخنصر ثم امرها الثانية فامتنعت فعقد اثنتين فارتعد الحاضرون واشفقوا غاية الاشفاق واقبلوا عليها يسالونها ان لا تقتل نفسها وان تجيب امير المؤمنين الى ما يريد منها ثم امرها الثالثة فاندفعت تغني

لما رايت الديار قد درست ... ايقنت ان النعيم لم يعد

قال فوثب اليها الرشيد فاخذ العود من يدها واقبل يضرب به وجهها وراسها حتى تكسر وسال الدم وتطاير الناس من حوله وحملت الجارية من بين يديه فماتت من بعد ثلاث ويروى ان الرشيد كان يقول لعن الله من اغراني بالبرامكة فما وجدت بعدهم لذة ولا راحة ولا رخاء ووددت والله اني شوطرت نصف عمري وملكي واني تركتهم على حالهم وحكى ابن خلكان ان جعفرا اشترى جارية من رجل باربعين الف دينار فالتفتت الى بايعها وقالت له اذكر العهد الذي كان بيني وبينك الا تاكل من ثمني شيئا فبكى سيدها وقال اشهدوا انها حرة واني قد تزوجتها وقال جعفر واشهدوا انا ان الثمن له ايضا قال وكتب الى نائب اما بعد فقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما ان تعتدل واما ان تعتزل ومن احسن ما وقع منه من التلطف انه لما اهتم الرشيد وقد دخل عليه منجم يهودي فاخبره انه سيموت في هذه السنة فحمل الرشيد هما عظيما فدخل جعفر فسال الخبر فاخبره بقول اليهودي للخليفة انه سيموت من عامه هذا فاستدعى جعفر اليهودي فقال له كم بقي لك من العمر فذكر مدة طويلة فالتفت الى الرشيد وقال يا امير المؤمنين اقتله حتى تعلم كذبه فيما اخبر عن موتك كما علمت كذبه فيما اخبر من عمره فامر الرشيد باليهودي فقتل وسري عن الرشيد الهم الذي كان يجده ولله الحمد وبعد مقتل البرامكة قتل الرشيد ابراهيم بن عثمان بن نهيك وذلك انه حزن على مقتل البرامكة ولاسيما على جعفر فكان يكثر البكا عليهم ثم خرج من حد البكا الى الحزن وانتصار لهم والاخذ بثارهم فكان اذا شرب في منزله يقول لجاريته ايتني بسيفي فيستله ثم يقول واجعفراه والله لاقتلن قاتلك فلما كثر ان يقول ذلك خشي ابنه عثمان ان يطلع الخليفة على شيء من ذلك فيهلكهم عن اخرهم وراى ان اباه لا ينزع عن هذا فذهب الى الفضل بن الربيع فاعلمه فاخبر الفضل الخليفة فاستدعى به فاستخبره فاخبره فقال ومن يشهد معك فقال فلان الخادم فجاء به فاخبره فقال الرشيد لا يحل لي قتل امير كبير بمجرد قول غلام وخصي لعلهما قد تواصيا على ذلك فاحضره معه على الشراب ثم خلا به فقال له ويحك يا ابراهيم ان عندي سرا احب ان اطلعك عليه قد اقلقني في الليل والنهار قال وما هو قال اني ندمت على قتل البرامكة ووددت اني قد خرجت من نصف ملكي ونقصت نصف عمري ولم اكن فعلت بهم ما فعلت فاني لم اجد بعدهم لذة ولا راحة فقال رحمة الله على ابي الفضل يعني جعفرا وبكى والله يا سيدي لقد اخطات في قتله فقال له قم لعنك الله ثم قتله بعد ثلاثة ايام وسلم امنه وولده وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بسبب انه بلغه انه يريد الخلافة واشتد غضبه بسببه ايضا على البرامكة الذين هم في الحبوس وسجنه فلم يزل في السجن حتى توفي الرشيد فاخرجه الامين وعقد له على نيابة الشام وفي هذه السنة ثارت العصبية ايضا بالشام بين المضرية والنزارية فبعث اليهم الرشيد محمد بن منصور بن زياد فاصلح بينهم وفيها كانت زلزلة عظيمة بالمصيصة فانهدم بعض سورها ونضب ماؤها ساعة من الليل وفيها بعث الرشيد ولده القاسم على الصائفة وجعله قربانا ووسيلة وولاه العواصم فسار الى بلاد الروم فحاصرهم حتى افتدوا منه بخلق من الاسارى يطلقونهم ويرجع عنهم ففعل ذلك وفيها نقضت الروم الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين الذي كان عقده الرشيد بينه وبين ريني ملكة الروم الملقبة اغسطه وذلك ان الروم

عن لومها عنهم وملكوا عليهم نقفور وكان شجاعا يقال انه كان من سلالة الجفنة وكان يكتب فخلعوا ريني وسملوا عينيها وملكوا نقفور هذا عليهم فكتب الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب اما بعد فان الملكة التي كانت قبلي اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل امثاله اليك لكن ذلك من ضعف النسا وحمقهن فاذا قرات كتابي هذا فاردد ما حصل لك من اموالها وافتد نفسك والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرا الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يكن احد ان ينظر اليه دون ان يخاطبه وتفرق جلساوه خوفا منه واستدعى بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون امير المومنين الى نقفور كلب الروم قد قرات كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم شخص من يومه حتى نام بباب هرقلة ففتحها واصطفى ابنة ملكها وغنم من الاموال شيا كثيرا وخرب واحرق واصطلم فطلب نقفور منه الموادعة على خراج يوديه في كل سنة فاجابه الرشيد الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقة نقض الكافر العهد وخان الميثاق وكان البرد قد اشتد جدا فلم يقدر احد على اخبار الرشيد بذلك لخوفهم على انفسهم وعليه حتى ينفصل الشتا وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن العباس بن محمد بن علي

ذكر من توفي فيها من الاعيان

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ابو الفضل البرمكي الوزير بن الوزير وقد ولاه الرشيد الشام وغير ما من البلاد وذكر ابن عساكر ان الرشيد بعثه الى دمشق لما ثارت الفتنة بين العشران بحوران من قيس ويمن وكان ذلك اول ما نشاه في الاسلام كان خامدا فثار والى هذا الاوان فلما قدم جعفر بجيشه خمدت الشرور وظهر السرور وقيلت في ذلك اشعار حسان قد ذكرها في ترجمته من تاريخه منها

لقد اوقدت بالشام نيران فتنة • فهذا اوان الشام تخمد نارها •
اذا جاش موج البحر من آل برمك • عليها خبت شهبانها وشرارها •
رماها امير المومنين بجعفر • وفيه تلافي صدعها وانجبارها •
رماها بميمون النقيبة ماجد • يراضي به قحطانها ونزارها •
هو الملك المامول للبر والتقوى • وصولاته لا يستطاع خطارها •
وزير امير المومنين وسيفه • وصعدته والحرب تدمى شفارها •
ومن تطوى اسرار الخليفة دونه • فعندنا وانما وانت قرارها •
اذا ما ابن يحيى جعفر قصدت له • ملمات خطب لم ترعه كبارها •
لقد نشات بالشام منك غمامة • يوصل جدوا ما ويخشى دمارها •

وهي قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وكانت له فصاحة وبلاغة وكرم زايد كان ابوه قد ضمه الى القاضي ابي يوسف فتفقه عليه وصار له اختصاص بالرشيد وقد وقع ليلة بحضرة الرشيد زيادة على الف توقيع فلم يخرج في شي منها عن موجب الفقه وقد روى الحديث عن ابيه عن عبد الحميد الكاتب عن سالم بن هشام الكاتب عن عبد الملك بن مروان كاتب عثمان عن زيد بن ثابت كاتب الوحي قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم اذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه رواه الخطيب وابن عساكر من طريق ابي القسم الكعبي المتكلم واسمه عبد الله بن احمد البلخي وكان كاتبا لمحمد عن ابيه عن عبد الله بن طاهر عن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق عن الفضل بن سهل ذي الرياستين عن جعفر بن يحيى به وقال عمرو بن بحر الجاحظ قال جعفر بن يحيى للرشيد يا امير المومنين قال لي ابي اذا اقبلت الدنيا عليك فاعط فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فاعط فانها لا تبقى قال جعفر وانشدنا ابي

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة • فليس ينقصها التبذير والسرف •
فان تولت فاحرى ان تجود بها • فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف •

قال الخطيب البغدادي وقد كان جعفر من علو القدر ونفاذ الامر وعظم المحل وجلالة قدره المنزلة عند الرشيد بحالة انفرد بها ولم يشارك فيها وكان سمح الاخلاق طلق الوجه ظاهر البشر فاما جوده وسخاوه وبذله وعطاوه فاشهر من ان يذكر وابين من ان يظهر وكان ايضا من ذوي الفصاحة المذكورين والبلاغة وقد روى ابن عساكر عن مهذب حاجب العباس بن محمد صاحب قطيعة العباس والعباسية انه اصابته ضايقة فالح عليه المطالبون وعنده سفط فيه جوهر مشتراه عليه الف الف درهم فحمله الى جعفر ليبيعه منه فاشتراه منه بثمنه ووزن له الف الف وقبض منه السفط واجلسه عنده في السمر تلك الليلة فلما رجع الى المنزل اذا السفط قد سبقه الى المنزل فلما اصبح غدا اليه ليشكر له فوجده مع اخيه الفضل على باب الرشيد يستاذنان عليه فقال له جعفر اني قد ذكرت امرك للفضل وقد امر لك بالف الف وما اظنها الا سبقتك الى المنزل وساكلم فيك امير المومنين فلما دخل ذكر امره له وما لحقه من الديون فامر له بثلثماية الف دينار وكان جعفر ليلة في سمره وعنده رجل من اصحابه فجاءت الخنفسا حتى ركبت ثياب الرجل فالقاها عنه وقال ان الناس يقولون ان من قصدته الخنفسا فليبشر بما يحبه فامر له جعفر بالف دينار ثم عادت الخنفسا فرجعت الى الرجل فامر له بالف دينار اخرى وحج مرة مع الرشيد فلما كانوا بالمدينة قال للرجل من اصحابه انظر جارية اشتريها تكون فايقة في جمالها وغنايها وذكايها ففتش الرجل فوجد جارية على النعت فطلب سيدها فيها مالا كثيرا على ان يراها جعفر فذهب جعفر الى منزل سيدها فلما راها اعجب بها فلما غنته اعجبته اكثر فساوم صاحبها فيها وقال قد احضرنا مالا فان اعجبك والا زدناك فقال لها سيدها اني كنت في نعمة وكنت عندي في غاية السرور فقالت يا سيدي لو ملكت منك ما ملكته مني لم ابعك بالدنيا وما فيها واين ما كنت عاهدتني انك لا تبيعني ولا تاكل ثمني فقال سيدها لجعفر واصحابه اشهدكم انها حرة لوجه الله واني قد تزوجتها فلما قال ذلك نهض جعفر وقام اصحابه وامروا الحمال ان يحمل الدراهم فقال جعفر والله لا يتبعني قال للرجل قد ملكتكما فانفقاها على الملك وذهب وتركهما هذا وقد كان ينحل بالنسبة الى الفضل الا ان الفضل كان يعبوسا معطا وروى ابن عساكر من طريق الدارقطني بسنده انه لما اصيب جعفر وجد واله الف في جرة الف دينار زنة كل دينار ماية دينار مكتوب على صفحة الدينار جعفر واصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجه جعفر • يزيد على ماية واحدا • متى يعطه معسرا يوسر •

وقال احمد بن المعلى الراوية كتبت عنان جارية الناطفي الى جعفر تطلب منه ان يتفوق
لابيه يحيى ان يشير على الرشيد بشرائها وكتبت اليه بهذه الابيات من شعرها في جعفر

يا لايمي جهلا الا تقصرن • ذا على حر الهوى يصبر
لا تلحيني ان شربت الهوى • صرفا ممزوج الهوى يسكر
احاط بي الحب فخلفي له • بحر وقدامي له ابحر
تخفق رايات الهوى بالردى • فوقي وحولي للهوى عسكر
سيان عندي في الهوى لايم • اقل فيه والذي يكثر
انت المصفى من بني برمك • يا جعفر الخيرات يا جعفر
لا يبلغ الواصف في وصفه • ما فيك من فضل ولا يعشر
من وفر المال باعراضه • فجعفر اعراضه وفر
ديباجة الملك على وجهه • وفي يديه العارض الممطر
سحت علينا منهما ديمة • ينهل منها الذهب الاحمر
لو مسحت كفاه جلمودة • لنضر فيها الورق الاخضر
لا تستتم المجد الا فتى • يصبر للبذل كما يصبر
يهتز تاج الملك من فوقه • فخرا ويزهى تحته المنبر
اشبهه البدر اذا ما بدا • او غرة في وجهه تزهر
والله ما ادري ابدر الدجى • في وجهه ام وجهه انور
يستمطر الزوار منك الندى • وانت بالزوار تستبشر

وكتبت تحت ابياتها حاجتها فركب من فوره الى ابيه فادخله على الخليفة فاشار عليه
باشترائها فقال لولا والله لا اشتريها وقد قال فيها الشعراء فاكثروا واشتهر امرها
وهي التي يقول فيها ابو نواس •

• لا يشتريها الا ابن زانية • او قلطبان يكون من كانا •

وعن ثمامة بن اشرس قال بت ليلة مع جعفر بن يحيى بن خالد فانتبه من منامه يبكي
مذعورا فقلت ما شانك فقال رايت شيخا جاء فاخذ بعضادتي هذا الباب وقال

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا • انيس ولم يسمر بمكة سامر • قال فاجابته

• بلى نحن كنا اهلها فابادنا • صروف الليالي والجدود العواثر •

قال ثمامة بن اشرس فلما كانت الليلة المقبلة قتله الرشيد ونصب راسه على الجسر
ثم خرج الرشيد ينظر اليه فتامله ثم انشا يقول •

• تقاضاك دهرك ما اسلفا • وكدر عيشك بعد الصفا •
• فلا تعجبن فان الزمان • رهين بتفريق ما الفا •

قال فنظرت الى جعفر فقلت اما لئن كنت اليوم اية فلقد كنت في الخير غاية قال
فنظر الى الرشيد كانه جمل صول ثم انشا يقول •

• ما يعجب العالم من جعفر • ما عاينوه فينا كانا •
• من جعفر او من ابوه ومن • كانت بنو برمك لولانا •

ثم حول وجه فرسه وانصرف وقد كان مقتل جعفر في ليلة السبت مستهل صفر من سنة

سبع

سبع وثمانين ومائة وكان عمر جعفر يومئذ سبعا وثلثين سنة وكان لهم في الوزارة
سبع عشرة سنة وقد دخلت عبادة ام جعفر في يوم اضحى على اناس فاستمنح منهم جلد
شاة تتدفى به وسالوها عن امرهم فقالت لقد اصبحت في مثل هذا اليوم وان على
راسي اربعماية وصيفة واني لاقول ان ابني جعفرا عاق لي • وروى الخطيب ان سفيان بن
عيينة لما بلغه قتل الرشيد جعفرا وما احل بالبرامكة من النقمة استقبل القبلة فقال
اللهم ان جعفرا كان قد كفاني مونة الدنيا فاكفه مونة الاخرة

حكاية غريبة

وذكر ابو الفرج بن الجوزي في كتابه المنتظم ان المامون بلغه ان رجلا ياتي في كل يوم
الى قبور البرامكة فيبكي عليهم ويندبهم فبعث من جاء به فدخل عليه وقد ييس من الحياة
فقال له ويحك ما يحملك على صنيعك هذا فقال يا امير المومنين انهم اسدوا الي
معروفا وخيرا كثيرا ولي خبر طويل فقال قل قال انا المنذر بن المغيرة من اهل دمشق كنت
في نعمة عظيمة فزالت عني حتى افضى بي الحال الى ان بعت داري ثم لم يبق لي شي فاشار
بعض اصحابي علي بقصد البرامكة فاتيت بغداد ومعي نيف وعشرون امراة فانزلتهن
في مسجد ثم قصدت مسجدا اصلي فيه فدخلت مسجدا فيه جماعة لم ار احسن منهم
فجلست اليهم فجعلت ارددي في نفسي كلاما اطلب قوتا للعيال فيمنعني من ذلك ذل
السوال فبينا انا كذلك اذ بخادم قد اقبل فاستدعاهم فقاموا كلهم وقمت معهم
فدخلوا دارا عظيمة فاذا الوزير يحيى بن خالد فيها فجلسوا حوله وعقد عقد ابنته
عايشة على ابن عم له ونثروا علينا فلق المسك وبنادق العنبر ثم جات الخدم
الى كل واحد بصينية من الفضة فيها الف دينار معها فات المسك فاخذ ما
القوم ونهضوا وبقيت بين يدي الصينية التي وضعوها لي وانا اهاب ان
اخذها من عظمها عندي فقال لي بعض الحاضرين الا تاخذ وتذهب فمددت يدي
فاخذتها فافرغت ذهبها في جيبي واخذت الصينية تحت ابطي وقمت وانا خايف
ان يوخذ مني فجعلت التفت والوزير ينظر الي ولا اشعر فلما بلغت الستارة امر
فردوني فيئست من المال فلما رجعت قال لي ما شانك خايف فقصصت عليه خبري
فبكى ثم قال لاولاده خذوا هذا فضموه اليكم فجاءني خادم فاخذني الى مبكا الصينية
واقمت عندهم عشرة ايام من ولد الى ولد وخاطري كله عند عيالي ولا يمكنني الانصراف
فلما انقضت العشرة قال لي الخادم الا تذهب الى اهلك فقلت بلى والله فقام يمشي امامي
ولم يعطني الذهب فقلت ليس هذا كان قبل هذا فسار امامي الى دار لم ار احسن منها
فاذا عيالي يتمرغون في الذهب والحرير فيها وقد بعثوا الي الدار مائة الف درهم وعشرة
الاف دينار وكتابا فيه تمليك الدار بما فيها وبقريتين جليلتين لهم فكنت مع البرامكة
في اطيب عيش فلما اصيبوا اخذني عمرو بن مسعدة القريتين والزمني خراجهما فكلما
لحقتني فاقة قصدت دورهم وقبورهم فبكيت عليهم فامر المامون برد القريتين
عليه وخراجهما فبكى الشيخ بكاء شديدا فقال له المامون الم استانف بك جميلا فقال
بلى ولكن هو من بركة البرامكة فقال له امض مصاحبا فان الوفا مبارك وحسن العهد
من الايمان • وممن توفي في هذه السنة الفضيل بن عياض ابو علي التميمي احد ائمة العباد

وعلم الزهاد وواحد العلماء الاولياء ولد بخراسان بكورة دينور وقدم الكوفة وهو كبير فسمع الاعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن وغيرهم ثم انتقل الى مكة فتعبد بها وكان حسن تلاوة القران كثير الصلاة والصيام وكان سيدا كبير الشان ثقة من ايمة الرواية رحمه الله ورضي عنه وله مع الرشيد قصة موعظة له وقد رويناها ذلك مطولا في كيفية دخول الرشيد عليه منزله وما قال له الفضيل وعرض الرشيد عليه المال فابى ذلك ولم يقبل منه شيا وكانت وفاته بمكة في هذا العام في المحرم منه وذكروا انه كان شاطرا يقطع الطريق وكان يتعشق جارية فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جدارا اذ سمع قاريا يقرا الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فقال بلى يا رب واقلع عما هو فيه ورجع الى خربة فبات بها فسمع سفارا يقولون انهضوا بنا نسافر فقال بعضهم ان فضيلا يقطع عليكم الطريق فامنهم واستمر على توبته فكان منه ما كان من السيادة والعبادة والزهادة حتى صار علما يقتدى به ويهتدى بكلامه وفعاله رحمه الله قال الفضيل لو ان الدنيا كلها لي لا احاسب عليها لا تقذرتها وتجنبتها كما يتجنب احدكم الجيفة ان يمس ثيابه فتنجسها وقال ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجلهم شرك وقال له الرشيد يوما ما ازهدك فقال انت ازهد مني لاني زهدت في الدنيا الفانية وانت زهدت في الاخرة الباقية ومن كلامه لو ان لي دعوة مستجابة لدعوت بها للامام عامة فانه اذا صلح امنت البلاد والعباد وقال ايضا اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وقال في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال يعني اخلصه واصوبه انا العمل يحب ان يكون خالصا لله وصوابا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها توفي بشر بن المفضل وجعفر البرمكي كما تقدم وعبد السلام بن حرب وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد العزيز العمي وعلي بن عيسى الامير ببلاد الروم مع القاسم بن الرشيد في الصايفة والفضيل كما تقدم ومعتمر بن سليمان وابو شعيب البراثي الزاهد وكان اول من سكن براثا في كوخ له يتعبد فيه فهويته امراة من بنات الروسا فانخلعت مما كانت فيه من النعم والحشمة وتزوجته واقامت معه يتعبدان في ذلك الكوخ حتى ماتا رحمهما الله ويقال ان اسمها جوهرة

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

فيها غزا ابراهيم بن جبريل الصايفة فدخل بلاد الروم من درب الصفصاف فخرج النقفور للقايه فجرح النقفور ثلاث جراحات وانهزم وقتل من اصحابه اكثر من اربعين الفا وغنموا اكثر من اربعة الاف دابة وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق وفيها حج بالناس امير المومنين هارون الرشيد وقد كانت اخر حجاته وقد لقيه بهلول المولّه العاقل فوعظه موعظة حسنة رويناها من طريق الفضل بن الربيع الحاجب قال حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فاذا بهلول المجنون يهذي فقلت اسكت فقد اقبل امير المومنين فسكت فلما حاذاه الهودج قال يا امير المومنين حدثني ايمن بن نابل ثنا قدامة بن عبد الله العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحته رحل رث ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا اليك اليك فقلت يا امير المومنين انه بهلول المجنون

فقال قد عرفته قل يا بهلول فقال

هب انك قد ملكت الارض طرا • ودان لك العباد فكان ماذا •

اليس غدا مصيرك جوف قبر • ويحثو الترب هذا ثم هذا •

فقال اجدت يا بهلول افغيره قال نعم يا امير المومنين من رزقه الله جمالا ومالا فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الابرار قال فظن انه يريد شيا فقال انا قد امرنا بقضاء دينك فقال لا تفعل يا امير المومنين لا تقض دينا بدين اردد الحق الى اهله واقض دين نفسك من نفسك قال انا قد امرنا ان يجري عليك رزق فقال لا تفعل يا امير المومنين فانه لا يعطيك وينساني لا حاجة لي في جرايتك

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو اسحاق الفزاري ابراهيم بن محمد بن الحرث بن اسماء بن خارجة امام اهل الشام في المغازي وغير ذلك اخذ عن الثوري والاوزاعي وغيرهما توفي في هذه السنة وقيل قبلها ابراهيم بن الموصلي النديم هو ابراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك ابو اسحاق احد الشعرا والمغنيين والندما اصله من الفرس وولاه للحنظليين ولد بالكوفة وصحب شبابا واخذ عنهم الغنا فاجاد في تعلمه ثم سافر الى الموصل ثم عاد الى الكوفة فقالوا له الموصلي وقد اتصل بالخلفا اولهم المهدي وحظي عند الرشيد وكان من جملة سماره وندمايه ومغنييه وقد اثرى كثيرا له جدا حتى انه يقال انه ترك اربعة وعشرين الف الف درهم وكانت له طرف وحكايات غريبة وكان مولده سنة خمس وعشرين ومائة في الكوفة ونشا في كفالة بني تميم فتعلم منهم ونسب اليهم وكان فاضلا بارعا في صناعة الغنا وكان من وجاهته منصور الملقب بزلزل الذي كان يضرب معه فاذا غنى هذا وضرب هذا اهتز المجلس وكانت وفاته في هذه السنة على الصحيح وحكى ابن خلكان في الوفيات قولا انه توفي في اليوم الذي توفي فيه ابو العتاهية وابو عمرو الشيباني النحوي ببغداد في يوم واحد من سنة ثلاث عشرة ومايتين وصحح الاول ومن اشعاره عند احتضاره

• مل والله طبيبي • من مقاساة الذي بي •

• سوف انعى عن قريب • لعدو وحبيب •

وجرير بن عبد الحميد ورشدين بن سعد وعبدة بن سليمان وعمر بن خالد ومعمر بن ايوب العابد احد مشايخ احمد بن حنبل وعيسى بن يونس في قول

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

فيها رجع الرشيد من الحج وسار الى الري فولى وعزل وقطع ووصل وورد عليه ولاية خراسان وجاءه نواب تلك البلدان بالهدايا والتحف من ساير الاشكال والالوان ثم عاد الى بغداد فادركه عيد الاضحى بقصر اللصوص فضحى عنده ودخل بغداد لثلاث بقين من ذي الحجة فلما اجتاز بالجسر امر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي فحرقت وكانت مصلوبة منذ قتل الى هذا اليوم ثم ارتحل الرشيد من بغداد الى الرقة وهو يتاسف على بغداد وطيبها وانما اراد بمقامه بالرقة ردع المفسدين بها وقد قال العباس بن الاحنف في سرعة خروجهم من بغداد مع الرشيد •

• ما حططنا حتى ارتحلنا فما • نفرق بين المناخ والارتحال •

• سايلونا عن حالنا اذ قدمنا • فقرنا وداعهم بالسوال •

وفي هذه السنة فادى الرشيد الاسارى من المسلمين الذين كانوا ببلاد الروم فيقال انه لم يبق بها اسير من المسلمين فقال فيه بعض الشعرا الالبا •

• وفكت بك الاسرى التي شيدت لها • محابس ما فيها حميم يزورها •
• على حين اعيا المسلمين فكاكها • وقالوا سجون المشركين قبورها •

وفيها رابط القاسم بن هارون الرشيد بمرج دابق محاصرا للروم وفيها حج بالناس العباس بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

ذكر من توفي فيها من الاعيان

الكسائي بن فيروز ابو الحسن الاسدي مولاهم الكوفي المعروف بالكسائي لاحرامه في كساء وقيل لاشتغاله على حمزة الزيات في كساء النحوي اللغوي احد ايمة القرا اصله من الكوفة استوطن بغداد فادب الرشيد وولده الامين وكان قد قرا على حمزة بن حبيب الزيات فكان يقرا بها ثم اختار لنفسه قراة فكان يقرا بها وروى عن ابي بكر بن عياش وسفيان ابن عيينة وغيرهما وعنه يحيى بن زياد الفرا وابو عبيد وقد قال الشافعي من اراد ان يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي وقد كان الكسائي اخذ عن الخليل صناعة النحو فسأله يوما عمن اخذت هذا قال من بوادي الحجاز فرحل الكسائي الى هناك فكتب عن العرب شيا كثيرا ثم عاد ومن همته العود الى الخليل فاذا هو قد مات وتصدر في موضعه يونس فجرت بينهما مناظرات اقر له فيها يونس واجلسه في موضعه قال الكسائي صليت يوما بالرشيد فاعجبتني قراتي فغلطت غلطة ما غلطها صبي اردت ان اقول لعلهم يرجعون فقلت لعلهم يرجعين فما تجاسر الرشيد ان يرد علي لكن لما سلمت قال اي لغة هذه فقلت ان الجواد قد يعثر فقال اما هذا فنعم وقال بعضهم لقيت الكسائي فاذا هو مهموم فقلت ما لك فقال ان يحيى بن خالد قد وجه الي يسالني عن اشيا فاخشى من الخطا فقلت له قل ما شيت فانت الكسائي فقال قطعه الله يعني لسانه ان قلت ما لم اعلم وقال الكسائي قلت يوما لنجار بكم هذان البابان فقال بسلتان يا مصفعان توفي الكسائي في هذه السنة على المشهور عن سبعين سنة وكان في صحبة الرشيد ببلاد الري فمات بنواحيها هو ومحمد بن الحسن ايضا في يوم واحد فكان الرشيد يقول دفنت الفقه والعربية بالري قال القاضي ابن خلكان وقيل ان الكسائي توفي بطرسوس سنة اثنتين وثمانين والله اعلم وقد راى بعضهم الكسائي في المنام ووجهه كالبدر فقال له ما فعل بك ربك فقال غفر لي بالقران فقلت ما فعل حمزة قال ذاك في عليين ما نراه الا كما نرى الكوكب

محمد بن الحسن بن فرقد ابو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب ابي حنيفة وسمع الثوري وعمر بن ذر ومالك بن مغول وكتب عن مالك بن انس والاوزاعي وابي يوسف وسكن بغداد وحدث بها وكتب عنه الشافعي حين قدمها في سنة اربع وثمانين وقد ولاه الرشيد قضا الرقة ثم عزله وخرج مع الرشيد الى الري فمات بها وكان يقول لاهله لا تسالوني حاجة من حاجات الدنيا فتشغلوا قلبي وخذوا ما شيتم من مالي فانه اقل لهمي وافرغ لقلبي وقال الشافعي ما رايت حبرا سمينا ولا رايت اخف روحا منه ولا افصح كنت اذا سمعته يقرا كان القران نزل بلغته وقال ايضا ما رايت اعقل من محمد بن الحسن كان يملا العين والقلب قال الطحاوي كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن كتابا فلم يجبه الى الاعارة فكتب اليه

• قل للذي لم تر عيناه من راه مثله • حتى كان من راه قد راى من قبله •
• العلم ينهى اهله ان يمنعوه اهله • لعله يبذله لاهله لعله •

قال فوجه به اليه هدية لا عارية وقال ابراهيم الحربي قيل لاحمد بن حنبل هذه المسايل الدقاق من اين لك قال من كتب محمد بن الحسن وكانت وفاة محمد بن الحسن والكسائي في يوم واحد من هذه السنة فقال الرشيد دفنت اليوم اللغة والفقه جميعا وكان عمر محمد بن الحسن ثمانيا وخمسين سنة

سنة تسعين ومائة من الهجرة

فيها خلع رافع بن ليث بن نصر بن سيار نايب سمرقند الطاعة ودعا الى نفسه وتابعه اهل بلده وطايفة كثيرة من تلك الناحية واستفحل امره فسار اليه نايب خراسان علي بن عيسى فهزمه رافع وتفاقم الامر به وفيها سار هارون الرشيد لغزو بلاد الروم لعشر بقين من رجب وقد لبس على راسه قلنسوة فقال فيها ابو المعلى الكلابي •

• فمن يطلب لقاك او يرده • فبالحرمين او اقصى الثغور •
• ففي ارض العدو على طمر • وفي ارض الترفه فوق كور •

ثم وصل الى الطوانة فعسكر بها فبعث اليه نقفور بالطاعة وحمل الخراج والجزية حتى عن راسه وراس ولده واهل مملكته في كل سنة خمسين الف دينار وبعث يطلب من الرشيد جارية قد اسروها كانت ابنة ملك هرقلة وكان قد خطبها على ولده فبعثها الرشيد مع هدايا وتحف وطيب بعث يطلبه واشترط عليه الرشيد ان يحمل في كل سنة ثلثماية الف دينار وان لا يعمر هرقلة ثم انصرف الرشيد راجعا واستناب على الغزو عقبة بن جعفر ونقض اهل قبرص العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى اهلها وقتل منهم خلقا كثيرا وخرج رجل من عبد القيس فبعث اليه الرشيد من قتله وحج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى الهادي

ذكر من توفي فيها من الاعيان

اسد بن عمرو بن عامر ابو المنذر البجلي الكوفي صاحب ابي حنيفة وحكم ببغداد وبواسط فلما اكف بصره عزل نفسه عن القضا وثقه احمد بن حنبل وقال كان صدوقا وثقه ابن معين وتكلم فيه علي بن المديني والبخاري سعدون المجنون صام ستين سنة فخف دماغه فسماه الناس المجنون وقف يوما على حلقة ذي النون المصري فسمع كلامه ثم انشا يقول

• ولا خير في شكوى الى غير مشتكى • ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر •

وقال الاصمعي مررت به وهو جالس عند راس شيخ سكران يذب عنه فقلت ما لي اراك جالسا عند راس هذا الشيخ فقال انه مجنون فقلت انت المجنون او هو قال لا بل هو لاني صليت الظهر والعصر جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى قلت فهل قلت في هذا شيا قال نعم ثم انشا يقول

• تركنا النبيذ لاهل النبيذ • واصبحت اشرب ماء قراحا •
• لان النبيذ يذل العزيز • ويكسو سواد الوجوه الصباحا •

• فما كان ذا جايز للشباب • فما العذر منه اذا الشيب لاحا •

قال الاصمعي فقلت له صدقت وانصرفت. عبيدة بن حميد بن صهيب ابو عبد الرحمن التيمي الكوفي مؤدب الامين روى عن الاعمش وغيره وعنه احمد بن حنبل وكان يثني عليه. يحيى بن خالد بن برمك ابو علي الوزير والد جعفر البرمكي ضم اليه المهدي ولده الرشيد فرباه وارضعته امرأته مع الفضل بن يحيى فلما ولي الرشيد عرف له حقه وكان يقول قال ابي قال ابي وفوض اليه امور الخلافة وازمة الامور ولم يزل كذلك حتى نكبت فقتل جعفر وخلد اباه يحيى في الحبس حتى مات في هذه السنة وكان ذكيا فصيحا ذا راي سديد ويظهر من امره خير وصلاح قال يوما لولده خذوا من كل شي طرفا فان من جهل شيئا عاداه وقال لاولاده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا احسن ما تكتبون وتحدثوا باحسن ما تحفظون وكان يقول لهم اذا اقبلت الدنيا فانفقوا منها فانها لا تفنى واذا ادبرت فانفقوا منها فانها لا تبقى وكان اذا سأله سائل في الطريق وهو راكب امر له بمائتي درهم فقال له رجل يوما •

• يا سمي الحصور يحيى اتيحت • لك من فضل ربنا جنتان •
• كل من مر في الطريق عليكم • فله من نوالكم مائتان •
• مائتا درهم لمثلي قليل • هي منكم للعابر العجلان •

فقال صدقت وامر ان يسبق به الى الدار فلما رجع سأل عنه فاذا هو قد تزوج وهو يريد ان يدخل على اهله فاعطاه صداقها اربعة آلاف وعن دار اربعة آلاف وعن الامتعة اربعة آلاف وكلفة الدخول اربعة آلاف واربعة آلاف يستظهر بها فجاءه رجل يوما يسأله شيئا فقال ويحك لقد جئتني في وقت لا املك فيه مالا ولكن قد بعث الي صاحب لي يطلب مني ان يهدي الي ما احب وقد بلغني انك تريد ان تبيع جارية لك وقد جاءك فيها ثلاثة آلاف دينار واني سأطلبها منه فلا تبعها منه باقل من ثلاثين الف دينار فبلغ في ثمنها عشرين الف دينار فلما سمعتها ضعف قلبي فاجبتهم الى بيعها فلما اجتمعت بيحيى قال لكم بعتها قلت بعشرين الفا فقال انك لخسيس خذ جاريتك اليك وقد بعث الي نائب مصر يطلب مني ان استهدي منه شيئا واني سأطلبها منه فلا تبعها باقل من خمسين الف دينار فجاؤوا فوصلوا الى ثلاثين الف دينار فبعتها فلما جئته لامني ايضا ورد ما علي فقلت اشهدك انها حرة وقد تزوجتها

وذكر الخطيب ان الرشيد طلب من منصور بن زياد عشرة آلاف الف درهم ولم يكن عنده منها سوى الف الف فضاق ذرعا وقد توعده ان لم يحملها في يومه ذلك والا قتله فدخل على يحيى بن خالد وذكر له امره فاطلق له خمسة آلاف الف واستطلق له من ابنه الفضل الفي الف وقال يا بني بلغني انك تشتري بها ضيعة وهذه ضيعة تغل الشكر وتبقى مدى الدهر واخذ له من ابنه جعفر الف الف واخذ له من جارية له دنانير عقدا مشتراه الف دينار وعشرون الف دينار وقال للحرسي عليه قد حسبناه عليك بالفي الف فلما عرضت الاموال على الرشيد رد العقد وكان قد وهبه لجارية يحيى فلم يعد فيه بعد ما وهبه لها وقد قال له بعض بنيه وهم في السجن والقيود يا ابة بعد الامر والنهي والنعمة صرنا الى هذا الحال فقال يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ثم انشأ يقول •

• رب قوم قد غدوا في نعمة • زمنا والدهر ريان غدق •
• سكت الدهر زمانا عنهم • ثم ابكاهم دما حين نطق •

وقد كان يحيى بن خالد يجري على سفيان بن عيينة كل شهر الف درهم فكان سفيان يدعو له في سجوده يقول اللهم انه قد كفاني امر دنياي فاكفه امر آخرته فلما مات رآه بعض اصحابه فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي بدعاء سفيان وقد كانت وفاة يحيى بن خالد في الحبس بالرافقة لثلاث خلون من المحرم في هذه السنة عن سبعين سنة وصلى عليه ابنه الفضل ودفن على شط الفرات وقد وجد في جيبه رقعة مكتوب فيها بخطه قد تقدم الخصم والمدعى عليه بالاثر والحاكم الحكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج الى بينة فحملت الى الرشيد فلما قرأها ما زال يبكي يومه ذلك وبقي اياما يتبين الاسى في وجهه وقد قال بعض الشعراء في يحيى بن خالد هذا

• سألت الندى هل انت حر فقال لا • ولكنني عبد ليحيى بن خالد •
• فقلت شراء قال لا بل وراثة • توارثني عن والد بعد والد •

ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة

فيها خرج رجل بسواد العراق يقال له ثروان بن سيف وجعل يتنقل فيها فوجه اليه الرشيد طوق بن مالك فهزمه وجرح ثروان وقتل عامة اصحابه وكتب بالفتح الى الرشيد وفيها خرج بالشام ابو الوليد فوجه اليه الرشيد يحيى بن معاذ واستنابه على الشام وفيها وقع الثلج ببغداد وفيها غزا بلاد الروم يزيد بن مخلد الهبيري في عشرة آلاف فاخذت عليه الروم المضيق فقتلوه في خمسين من اصحابه على مرحلتين من طرسوس وانهزم الباقون وولى الرشيد غزو الصائفة لهرثمة بن اعين وضم اليه ثلاثين الفا فيهم مسرور الخادم واليه النفقات وخرج الرشيد الى الحدث ليكون قريبا منهم وامر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور والزم اهل الذمة بتمييز لباسهم وهيآتهم في بغداد وغيرها من البلاد وفيها عزل الرشيد علي بن عيسى عن امرة خراسان وولاها هرثمة بن اعين وفيها فتح الرشيد هرقلة في شوال واخربها وسبى اهلها وبث الجيوش والسرايا بارض الروم وخربت الروم المعين وبيد الكنيسة السوداء وكان دخل هرقلة في كل يوم مائة الف وخمسة وثلاثين الف مرتزق وولى حميد بن معيوف سواحل الشام الى مصر ودخل جزيرة قبرس فسبى اهلها وحملهم حتى باعهم بالرافقة فبلغ فداء الاسقف الفي دينار باعهم ابو البختري القاضي وفيها اسلم الفضل بن سهل على يدي المأمون وحج بالناس فيها الفضل بن عباس بن محمد بن علي وكان والي مكة ولم يكن للناس بعد هذه السنة صائفة الى سنة خمس عشرة ومائتين

ذكر من توفي فيها

سلمة بن الفضل الابرش وعبد الرحمن بن القاسم الفقيه الراوي عن مالك الذي هو العمدة في مذهب مالك فيما يرويه عن الامام مالك وكان من كبار الصالحين وعيسى بن يونس بن ابي اسحاق قدم على الرشيد فامر له بعطاء جزيل نحو خمسين الفا فلم يقبله والفضل بن موسى السيناني ومحمد بن سلمة ومخلد بن الحسين المصيصي احد الزهاد الثقات قال لم اتكلم بكلمة احتاج الى الاعتذار منها منذ خمسين سنة ومعمر الرقي

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

فيها دخل هرثمة بن اعين الى خراسان نائبا عليها وقبض على علي بن عيسى واخذ امواله وحمله واركبه على راحلة ونادى عليه ببلاد خراسان وكتب الى الرشيد بذلك فشكره على ذلك ثم سيره الى الرشيد بعد ذلك فحبس بداره ببغداد وفيها ولى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك

فيها بن الشغور فدخل بلاد الروم وفتح مطمورة وفيها كان الفدا بين المسلمين والروم على يدي ثابت بن نصر وفيها خرجت الخرمية بالجبل وبلاد اذربيجان فوجه الرشيد اليهم عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي في عشرة الاف فارس فقتل منهم خلقا كثيرا واسر وسبى ذراريهم وقدم بهم بغداد فامر الرشيد بقتل الرجال منهم وبالذرية فبيعوا بها وكان قد غزاهم قبل ذلك خزيمة بن خازم وفيها في ربيع الاول منها قدم الرشيد من الرقة الى بغداد في السفن وقد استخلف على الرقة ابنه القسم وضم اليه خزيمة بن خازم ومن بنيه الرشيد الذهاب الى خراسان لغزو رافع بن ليث الذي قد خلع الطاعة واستحوذ على بلاد كثيرة منها ثم خرج الرشيد في شعبان قاصدا الى خراسان واستخلف على بغداد ابنه محمد الامين وسال المامون من ابيه ان يخرج معه خوفا من غدر اخيه الامين فاذن له فسار معه وقد شكى الرشيد في اثنا هذه الطريق الى بعض الامراء جفا بنيه الثلاثة الذين جعلهم ولاة العهد من بعده واراه دا في جسده وقال ان لكل واحد من الامين والمامون والقسم عندي عينا علي وهم يعدون انفاسي ويتمنون انقضاء ايامي فقد عالجه ذلك الرجل فامره الرشيد بالانصراف الى عمله وودعه فكان اخر العهد به وفيها تحرك ثروان الحروري فقتل عامل السلطان وطغى البصرة وقتل الرشيد الهيصم بن الهيثم اليماني وفات عيسى بن جعفر وهو يريد اللحاق بالرشيد وفيها حج بالناس العباس بن عبد الله بن جعفر بن ابي جعفر المنصور

ومن توفي فيها من الاعيان

اسماعيل بن جامع بن اسماعيل بن عبد المطلب بن ابي وداعة ابو القسم احد المشاهير بالغنا ومن يضرب به المثل فيه فيقال غنا ابن جامع وقد كان يحفظ القران ثم صار الى صناعة الغنا وذكر عنه ابو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني صاحب الاغاني حكايات عجيبة من ذلك انه قال كنت يوما مسرفا في غرفة بحران اذا اقبلت جارية سودا معها قربة تستقي فيها من مشرعه فجلست ووضعت قربتها واندفعت تغني

الى الله اشكو بخلها وسماحتي • لها عسل مني وتبذل علقما

فردي مصاب القلب انت قتلته • ولا تتركيه هايم القلب مغرما

قال فسمعت ما لا صبر لي عنه ورجوت ان تعيده فلم تعده وانصرفت فنزلت وانطلقت وراها وسالتها ان تعيده فقالت ان علي خراجا كل يوم درهمان فاعطيتها درهمين فاعادته فحفظته وسلكته يومي ذلك فلما اصبحت انسيته فاتيت السودا فنزلت فسالتها ان تعيده فلم تفعل الا بدرهمين ثم قالت كانك تستكثر اربعة دراهم كاني بك وقد اخذت فيها اربعة الاف دينار قال ابن جامع فغنيته ليلة للرشيد فاعطاني الف دينار ثم استعاد فيه ثلاثا اخرى واعطاني ثلاثة الاف دينار فتبسمت فقال لم فذكرت له قول السودا فتعجب من ذلك وضحك والقى الي كيسا اخر فيه الف دينار وقال لا تكذب السودا وحكي عنه انه قال اصبحت يوما بالمدينة وليس معي الا ثلاثة دراهم فاذا جارية على رقبتها جرة تريد الركي وهي تمشي بين يدي وتترنم بصوت شجي وتقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا • فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا

وذاك لان النوم يغشى عيونهم • سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا

اذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى • جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا

فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما • نلاقي كانوا في المضاجع مثلنا

قال فاستعدته منها واعطيتها الثلاثة الدراهم فقالت لتاخذن بدلها الف دينار والف دينار فاعطاني الرشيد ثلاثة الاف دينار في ليلة على ذلك الصوت بكر بن النطاح ابو وايل الحنفي البصري الشاعر المشهور نزل بغداد في زمن الرشيد وكان يمتدح ابا العتاهية قال ابو معاذ اشعر اهل الغزل من المحدثين اربعة اولهم بكر بن النطاح وقال المبرد سمعت الحسن بن رجا يقول اجتمع جماعة من الشعرا وفيهم بكر بن النطاح يتناشدون فلما فرغوا من طوالهم انشدهم بكر بن النطاح لنفسه

ما ضرها لو كتبت بالرضا • فجفن جفن العين او غمضا

شفاعة مردودة عندها • في عاشق يود لو قد قضى

يا نفس صبرا واعلي انما • امل منها مثل ما قد مضى

لم تمرض الاجفان من قاتل • بلحظه الا لان امرضا

قال فما بقي احد منهم الا قبله ولما مات رثاه ابو العتاهية فقال

مات ابن نطاح ابو وايل • بكر واضحى الشعر قد بانا

بهلول المجنون كان ياوي الى مقابر الكوفة وله كلمات حسنة وقد لقي الرشيد وهو ذاهب الى الحج فوعظه وذلك في سنة ثمان وثمانين ومائة كما تقدم عبد الله بن ادريس الاودي الكوفي سمع الاعمش وابن جريج وشعبة ومالكا وخلقا وروى عنه جماعات من الايمة وقد استدعاه الرشيد ليوليه القضا فقال لا اصلح وامتنع اشد الامتناع وكان قد سال وكيعا فامتنع وطلب حفص بن غياث فقبل واطلق لكل واحد خمسة الاف درهم عوضا عن كلفة السفر فلم يقبل وكيع ولا ابن ادريس وقبل ذلك حفص فحلف ابن ادريس لا يكلمه ابدا وقد حج الرشيد في بعض السنين فاجتاز بالكوفة ومعه القاضي ابو يوسف والامين والمامون فامر الرشيد بجمع شيوخ الحديث ليسمعوا الامين والمامون فاجتمعوا الا ابن ادريس هذا وعيسى ابن يونس فركب الامين والمامون بعد فراغهما من سماعهما الى عبد الله بن ادريس فسمعهما اية حديث فقال له المامون يا عم اتاذن لي ان اعيدها من حفظي فاذن فاعادها من حفظه كما سمعها فتعجب لحفظه ابن ادريس وامر له المامون بمال فلم يقبل منه شيا ثم صار الى عيسى بن يونس فسمعهما عليه ثم امر له المامون بعشرة الاف فلم يقبلها فظن انه استقلها فاضعفها فقال والله ولا اهليلجة ولو ملات المسجد مالا الى سقفه فما قبلت منه شيا على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما احتضر ابن ادريس بكت بنته فقال لا تبكي فقد ختمت القران في هذا البيت اربعة الاف ختمة علي بن ظبيان ابو الحسن العبسي الكوفي قاضي الشرقية من بغداد زمن الرشيد كان ثقة عالما من اصحاب ابي حنيفة ثم ولاه الرشيد قضاء القضاة وكان يخرج معه اذا خرج فمات بقرميسين في هذه السنة العباس ابن الاحنف بن الاسود بن طلحة الشاعر المشهور كان من عرب خراسان ونشا ببغداد وكان لطيفا ظريفا متبولا حسن الشعر قال ابو عبد الله المعتز لو قيل ما احسن شعر تعرفه لقلت قول العباس

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا • وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم • وصادق ليس يدري انه صدقا •

وقد طلبه الرشيد ذات ليلة في اثناء الطريق فانزعج لذلك وخاف وبكى نساؤه فلما وقف بين يدي الرشيد قال له وجهت اليك لانه قد بلغني ان في بيت جارية لي فاصبحت انا مشتغلة عنك فقال له يا امير المومنين ما خفت قط اعظم من هذه الليلة فقال له ولم فذكر له دخول الحرس عليه في الليل ثم جلس حتى سكن روعه ثم قال له ما قلت يا امير المومنين قال قلت

• جنان قد رايناها • فلم نر مثلها بشرا •

فقال له العباس • •

• يزيدك وجهها حسنا • اذا ما زدته نظرا •

فقال له زد فقال له • •

• اذا ما الليل البسها عليك • بالظلام واعتكرا •

• ودج فلم ترى قمرا • فابرزها ترى قمرا •

فقال له انا قد رعناك وقد لزمنا لك بديتك عشرة الاف درهم ومن شعره الذي اقر له به بشار بن برد واثبته في سلك الشعراء بسببه قوله • •

• ابكي الذين اذاقوني مودتهم • حتى اذا ايقظوني للهوى رقدوا •

• واستنهضوني فلما قمت منتصبا • بثقل ما حملوني منهم قعدوا • ولە ايضا

• وحدثني يا سعد عنهم فزدتني • جنونا فزدني من حديثك يا سعد •

• هواها هوى لم يعرف القلب غيره • فليس له قبل وليس له بعد •

قال الاصمعي دخلت على العباس بن الاحنف بالبصرة وهو طريح على فراشه يجود بنفسه وهو يقول • •

• يا بعيد الدار عن وطنه • مفردا يبكي على شجنه •

• كلما جد النحيب به • زادت الاسقام في بدنه •

ثم اغمي عليه فانتبه بصوت طاير على شجرة فقال •

• ولقد زاد الفواد بلى • هاتف يبكي على فننه •

• شاقه ما شاقني فبكى • كلنا يبكي على سكنه •

ثم اغمي عليه فحركته فاذا هو قد مات قال الصولي وكانت وفاته في هذه السنة وحكى القاضي ابن خلكان انه توفي بعدها وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة وزعم بعضهم انه بقي بعد الرشيد فالله اعلم عيسى بن جعفر بن ابي جعفر المنصور اخو زبيدة كان نائبا على البصرة في وقت خروج الرشيد فمات في اثنايها في هذه السنة الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك اخو جعفر لابويه كان هو والرشيد يتراضعان ارضعت الخيزران فضلا هذا وارضعت ام الفضل وهو زبيدة بنت منير بن بربر هرون الرشيد فكانت زبيدة هذه من مولدات المدينة وقد قال في ذلك بعض الشعرا •

• كفى لك فضلا ان افضل حرة • غذتك بثدي والخليفة واحد •

• لقد زنت يحيى في المشاهد كلها • كما زان يحيى خالدا في المشاهد •

قالوا وكان الفضل بن يحيى اكرم من اخيه جعفر ولكن كان فيه كبر شديد وكان عبوسا وكان جعفر احسن بشرا واطلق وجها واقل عطا وكان الناس اليه اميل فذوهب

الفضل

الفضل لطباخه مائة الف درهم فعاتبه ابوه في ذلك فقال له يا ابه ان هذا كان يصحبني في العسر والعيش الخشن واستمر معي في هذه الحال فاحسن صحبتي وقد قال الشاعر

• ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا • من كان يعتادهم في المنزل الخشن •

ووهب يوما لبعض الادبا عشرة الاف دينار فبكى الرجل فقال له لم تبكي استقللتها قال لا والله ولكن ابكي اسفا ان الارض تواري مثلك وقال يحيى بن الجهم عزا بنيه اصبحت لا املك شيا ولا علف الدابة فقصدت الفضل بن يحيى فاذا هو قد اقبل من دار الخلافة في موكب من الناس فلما راني رحب بي وقال هلم فسرت معه فلما كان ببعض الطريق سمع غلاما يدعو جارية من دار واذا هي باسم جارية له يحبها فانزعج لذلك وشكا الي ما لقي من ذلك فقلت اصابك ما اصاب اخا بني عامر حيث يقول •

• وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى • فهيج احزان الفواد وما درى •

• دعا باسم ليلى غيرها فكانما • اطار بليلى طايرا كان في صدري •

فقال اكتب لي هذين البيتين قال فذهبت الى بقال فرهنت عنده خاتمي على ثمن ورقة وكتبتهما له فاخذهما وقال انطلق راشدا فرجعت الى منزلي فقال لي غلامي هات خاتمك حتى نرهنه على طعام لنا وعلف الدابة فقلت اني قد رهنته فما امسينا حتى ارسل الي الفضل بثلاثين الفا عشرة الاف منها رزق اجراه علي كل شهر وسلفني شهرا ودخل عليه بعض الاكابر فاكرمه الفضل واجلسه معه على السرير فشكى اليه الرجل دينا عليه وسال له ان يكلم في ذلك امير المومنين فقال له نعم وكم هو قال له ثلثمائة الف درهم ثم خرج من عنده وهو مهموم لضعف رده عليه ثم مال الى بعض اخوانه فاستراح عنده ثم رجع الى المنزل فاذا المال قد سبقه اليه وما احسن ما قال فيه بعض الشعرا

• لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد • وما كل من يدعى بفضل له الفضل •

• راى الله فضلا منك في الناس واسعا • فسماك فضلا فالتقى الاسم والفعل •

كان الفضل اكرم نفسا من جعفر ولكن كان جعفر احظى عند الرشيد واخص وقد ولي الفضل اعمالا كبارا منها نيابة خراسان وغيرها فلما قتل الرشيد جعفرا وحبس البرامكة جلد الفضل بن يحيى بن خالد ماية سوط وخلده في السجن حتى مات في هذه السنة قبل الرشيد بشهر وخمسة ايام بالرقة وصلى عليه بالقصر الذي مات فيه اصحابه ثم اخرجت جنازته فصلى عليها الناس ودفن وله خمس واربعون سنة وكان سبب موته ثقل اصابه في لسانه اشتد به يوم الخميس ويوم الجمعة وتوفي قبل اذان الغداة من يوم السبت قاله ابن جرير وذلك في المحرم من سنة ثلاث وتسعين وقال ابن الجوزي في المنتظم كان ذلك في سنة ثنتين وتسعين فالله اعلم وقد اطال القاضي ابن خلكان ترجمته وذكر طرفا صالحا من محاسنه ومكارمه من ذلك انه ورد بلخ حين كان نايبا على خراسان وكان بها بيت النار التي كانت تعبدها المجوس وقد كان جده برمك من خدامها فهدم بعضه ولم يتمكن من هدمها كلها لقوة احكامها وبنى مكانه مسجدا لله تعالى وذكر انه كان يتمثل في السجن بهذه الابيات •

• الى الله فيما نالنا نرفع الشكوى • ففي يده كشف المضرة والبلوى •

• خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها • فلا نحن في الاموات فيها ولا الاحيا •

الانه اصوب
يدرى

اذا جانا السجان يوما لحاجة • عجبنا وقلنا جا هذا من الدنيا

محمد بن ابي امية الشاعر الكاتب وهو من بيت كلهم شعرا ادبا وقد اختلط اشعار بعضهم في بعض وله شعر رايق ومدح فايق منصور بن الزبرقان بن سلمة ابو الفضل النميري الشاعر امتدح الرشيد واصله من الجزيرة فاقام ببغداد ويقال لجده مطعم الكبش الرخم وذلك انه اضاف يوما فجعلت الرخم تحوم حول بيته فامر بكبش فذبح للرخم حتى لا يتاذى بهم اضيافه فقيل له ذلك ولهذا قال الشاعر

ابوك زعيم بني قاسط • وخالك ذو الكبش يقري الرخم

وله اشعار حسنة وكان يروي عن كلثوم بن عمرو وكان شيخا الذي اخذ عنه الغنا يوسف ابن القاضي ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم سمع الحديث من السري بن يحيى ويونس بن ابي اسحاق ونظر في الراي وتفقه وولي قضا الجانب الشرقي ببغداد في حيوة ابيه وصلى بالناس الجمعة بجامع المنصور عن امر الرشيد وتوفي في رجب من هذه السنة وهو قاضي ببغداد

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

قال ابن جرير ففي المحرم منها توفي الفضل بن يحيى وقد ارخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثنتين وتسعين وماية كما تقدم قال وفيها توفي سعيد الجوهري قال وفيها وصل الرشيد الجرجان وانتهت اليه خزاين علي بن عيسى تحمل على الف وخمسماية بعير وذلك في صفر منها ثم تحول منها الى طوس وهو عليل فلم يزل بها حتى كانت وفاته فيها وقد تواقع هرثمة نايب العراق هو ورافع بن الليث فكسره هرثمة وافتتح بخارا واسر اخاه بشر بن الليث فبعث به الى الرشيد وهو بطوس مثقل عن السير فلما اوقف بين يديه شرع يترفق له فلم يقبل منه بل قال والله لو لم يبق من عمري الا ان احرك شفتي بكلمة لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب فجزاه بين يديه اربعة عشر عضوا ثم رفع الرشيد يديه الى السماء يدعو الله ان يمكنه من رافع كما امكنه من اخيه بشر

ذكر وفاة هارون الرشيد

كان قد راى وهو بالرقة رؤيا افزعته وغمه ذلك فدخل عليه جبريل بن بختيشوع فقال ما لك يا امير المومنين فقال رايت كان كفا فيها تربة حمرا خرجت من تحت سريري وهذا قال يقول هذه تربة امير المومنين فهون عليه جبريل امر ذلك وقال هذه من اضغاث الاحلام ومن حديث النفس فتناساها فلما سار يريد خراسان ومر بطوس واعتقلته العلة بها ذكر رؤياه التي كان راى فيها لذلك وانزعج جدا فدخل الناس عليه فقال لجبريل ويحك اما تذكر ما قصصته عليك من الرؤيا فقال بلى يا امير المومنين فكان ما ذا فامر مسرورا الخادم فقال ايتني بشي من تربة هذه الارض فذهب فيه مسرور وجاه بتربة حمرا في يده فلما احضرها بين يدي الرشيد قال والله هذه الكف التي رايت والتربة التي كانت فيها قال جبريل فوالله ما اتت عليه ثلاث حتى توفي رح وقد امر بحفر قبره قبل موته في الدار التي كان فيها وهي دار حميد بن ابي غانم الطاي فجعل ينظر اليه وهو يقول ابن ادم تصير الى هذا ثم امر ان يقرا فيه القران حتى ختموه وهو في محفة على شفير القبر ولما احضرته الوفاة احتبى بملاة وجلس يقاسي سكرات الموت فقال له بعض

من حضره يا امير المومنين لو اضطجعت كان اهون عليك فضحك ضحكا صحيحا ثم قال اما سمعت قول الشاعر

واني من قوم كرام يزيدهم • شماسا وصبرا شدة الحدثان •

وكانت وفاته ليلة السبت وقيل ليلة الاحد مستهل جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين وماية عن خمس وقيل سبع واربعين سنة وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة وشهرا ونصفا لان خلافته كانت في ربيع الاول من سنة سبعين وماية رحمه الله وصلى عليه ابنه صالح ودفن بطوس كما ذكرنا

وهذه ترجمة هارون الرشيد

هرون امير المومنين الرشيد بن امير المومنين ابي عبد الله محمد المهدي بن امير المومنين ابي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابو محمد ويقال ابو جعفر وامه الخيزران ام ولد وكان مولده في شوال سنة ست وقيل سبع وقيل ثمان واربعين وماية وقيل انه ولد سنة خمسين وماية وبويع له بالخلافة بعد موت اخيه في ربيع الاول سنة سبعين وماية بعهد من ابيه المهدي كما تقدم روى عن ابيه وجده وحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة اورد ذلك وهو على المنبر يخطب الناس وقد حدث عنه ابنه وسليمان الهاشمي والد اسحاق ونباتة ابن عمرو وكان ابيض طويلا سمينا جميلا وقد غزا الصايفة في حيوة ابيه المهدي مرارا وعقد الهدنة بين المسلمين والروم بعد محاصرة القسطنطينية فلقي المسلمون من ذلك جهدا جهيدا وخوفا شديدا وكان الصلح مع امراة اليون وهي الملقبة باغسطة على حمل كثير تبذله للمسلمين في كل عام ففرح المسلمون في المشارق والمغارب بذلك كما قدمنا هذا الذي حدا ابوه على انه بايع له بولاية العهد من بعد اخيه موسى الهادي وذلك في سنة ست وستين وماية ثم لما افضت الخلافة بعد اخيه في سنة سبعين وماية كان من احسن الناس سيرة واكثرهم غزوا وحجا بنفسه ولهذا قال فيه ابو المعالي

فمن يطلب لقاءك او يرده • فبالحرمين او اقصى الثغور •

ففي ارض العدو على طمر • وفي ارض البنية فوق كور •

وما حاز الثغور سواك خلق • من المستخلفين على الامور •

وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بالف درهم واذا حج احج معه ماية من الفقهاء وابنايهم واذا لم يحج احج ثلثماية بالنفقة السابغة والكسوة التامة وكان يحب التشبه بجده ابي جعفر المنصور الا في العطا فانه كان سريع العطا جزيله وكان يحب الفقهاء والشعرا والادبا ويعطيهم كثيرا ولا يضيع لديه بر ولا معروف وكان نقش خاتمه لا اله الا الله وكان يصلي في كل يوم ماية ركعة تطوعا الى ان فارق الدنيا الا ان تعرض له علة وكان ابن ابي مريم المديني يضحك الرشيد وكان فطنا باخبار الحجاز وغيرها وكان قد انزله الرشيد في قصره وخلطه باهله فانتبه الرشيد يوما الى صلاة الصبح فقام فتوضا ثم ادرك الرشيد وهو يقرا في الصلاة وما لي لا اعبد الذي فطرني فقال ابن ابي مريم لا ادري والله فضحك الرشيد وقطع الصلاة ثم اقبل عليه فقال ويحك اجتنب

الصلاة والقرآن ولك ما عدا ذلك ودخل يوما العباس بن محمد على الرشيد ومعه
برنية من فضة فيها غالية فجعل يمدحها ويزيد في شكرها وسأل الرشيد أن يقبلها
فقبلها فاستوهبها منه ابن أبي مريم فوهبها له فقال له العباس ويحك جئت بشيء منعته
نفسي وآثرت به سيدي فأخذته فحلف ابن أبي مريم ليطيبن به استه ثم أخذ منها شيئا
فطلى به استه ودهن جوارحه كلها منها والرشيد لا يتمالك من الضحك ثم قال
للخادم جاء بها طلب غلامي فقال له الرشيد ادع له غلامه فقال له خذ هذه الغالية
واذهب إلى امرأتك قل لها فلتطيب منها استها حتى أرجع إليها فأنيكها فذهب الضحك
بالرشيد كل مذهب ثم أقبل ابن أبي مريم على العباس بن محمد فقال له جئت تمدح هذه
الغالية عند أمير المؤمنين الذي ما تعطر أحد منها من شيء ولا تنبت الأرض إلا هو وكنت
تصير بعده في يده وأعجب من هذا أنه قيل لملك الموت ما أمرك به هذا فأنفذه وأنت
تمدح عنده الغالية كأنه بقال أو عطار وحناط فكاد الرشيد يهلك من شدة الضحك
وأمر لابن أبي مريم يومئذ بمائة ألف درهم وقد شرب الرشيد يوما دواء فسأل ابن أبي مريم
أن يلي الحجابة في هذا اليوم ومهما حصل له فهو بينه وبين أمير المؤمنين فولاه الحجابة
فجاءت الرسل من كل جانب من عند زبيدة والبرامكة وكبار الأمراء فكان حاصله في هذا
اليوم سبعين ألف دينار فسأل له الرشيد في اليوم الآخر قال ما حصل فقال مفرز
قال فقد صح الخبر منه على عشرة آلاف تفاحة وقد استدعى الرشيد أبا معاوية الضرير
محمد بن خازم ليسمع منه الأحاديث النبوية قال أبو معاوية ما ذكرت عنده في حديث
رسول الله إلا قال صلى الله على سيدي وإذا سمع حديثا فيه موعظة يبكي حتى يبل
الثرى وأكلت عنده يوما ثم قمت لأغسل يدي فصب على وأنا لا أراه ثم قال
يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك قلت لا قال فإنا أنا فدعا له أبو معاوية الضرير
فقال إنما أردت تعظيم العلم وقد حدثه أبو معاوية يوما عن الأعمش عن أبي صالح
عن أبي هريرة بحديث احتج آدم وموسى فقال عم الرشيد أين التقيا يا أبا معاوية
فغضب الرشيد من ذلك غضبا شديدا وقال أتعترض على الحديث علي بالنطع والسيف
فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشفعون فيه فقال هذه زندقة ثم أمر بسجنه
وقال لا يخرج حتى يخبرني من ألقى إليه هذا فأقسم بالأيمان المغلظة ما قال له
أحد وإنما كانت نادرة مني فأطلقه وقال بعضهم دخلت على هارون الرشيد وبين
يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفاه فقال هارون قتلته لأنه
قال القرآن مخلوق فقتلته قربة إلى الله عز وجل وقال بعض أهل العلم يا أمير المؤمنين
انظر هؤلاء الذين يحبون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فأكرمهم بعز سلطانك وتقوى فقال
أولست كذلك أنا والله كذلك أنا والله أحبهم وأحب من يحبهم وأعاقب
من يبغضهم وقال له ابن السماك ادعيره يا أمير المؤمنين إن الله لم يجعل أحدا من هؤلاء
فوقك فينبغي أن لا يكون فيهم أحد أطوع لله منك فقال لئن كنت أقصرت الكلام لقد
أبلغت في الموعظة ودخل ابن السماك يوما على الرشيد فاستسقى فأتي بقلة فيها ماء
مبرد فقال له ابن السماك يا أمير المؤمنين بكم كنت مشتريا هذه الشربة لو منعتها قال
بنصف ملكي قال اشرب هنيا فلما شرب قال أرأيت لو منعت خروجها من بدنك بكم

كنت

كنت تشتري ذلك قال بنصف ملكي فقال له إن ملكا قيمته شربة ماء لخليق أن لا ينافس فيه
فبكى هارون الرشيد وقال ابن قتيبة ثنا الرياشي سمعت الأصمعي يقول دخلت على الرشيد
وهو يقلم أظفاره يوم الجمعة فقلت له في ذلك فقال أخذ الأظفار يوم الخميس من
السنة وبلغني أن أخذها يوم الجمعة ينفي الفقر فقلت يا أمير المؤمنين أتخشى الفقر
فقال يا أصمعي وهل أحد أخشى للفقر مني وروى ابن عساكر عن إبراهيم بن المهدي قال
كنت يوما عند الرشيد فدعا طباخه فقال له أعندك في الطعام لحم جزور قال نعم
ألوان منه فقال له أحضره مع الطعام فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضعها
في فيه فضحك جعفر البرمكي فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال له مم تضحك
قال لا شيء يا أمير المؤمنين ذكرت كلاما دار بيني وبين جاريتي البارحة فقال لا بحقي
عليك لما أخبرتني فقال لا حتى تأكل هذه اللقمة فألقاها من فيه وقال والله لتخبرني
فقال يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك قال
بأربعة دراهم قال لا والله يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم قال وكيف ذلك
قال إنك طلبت من طباخك لحم الجزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد
عنده فقلت لا يخلوا المطبخ من لحم جزور فنحن ننحر كل يوم جزورا لأنا لا نشتري
لحم الجزور من السوق فصرف في ثمن الجزر من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف
درهم ولم يطلب أمير المؤمنين لحم الجزور إلا هذا اليوم قال فبكى الرشيد بكاء شديدا
وأقبل على نفسه يقول هلكت والله يا هارون ودام يرفع السماط من بين يديه
ولم يزل يبكي حتى أذن المؤذنون بصلاة الظهر فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكي وقد
أمر بألفي ألف تصرف إلى الحرمين في كل حرم ألف ألف يتصدق بها على الفقراء وكذا أمر
بألفي ألف يتصدق بها في جانبي بغداد الشرقي والغربي بألف ألف يتصدق بها
على فقراء الكوفة والبصرة ثم خرج لصلاة العصر ثم رجع يبكي حتى صلى المغرب
ثم رجع فدخل عليه القاضي أبو يوسف فقال ما شأنك يا أمير المؤمنين في هذا اليوم
فذكر له ما وقع من الأمر ومن صرف المال الجزيل من أجل شهوته فقال أبو يوسف لجعفر
فهل كان ما يذبحونه من الجزر يفسد أو يأكله الناس قال بل يأكله الناس فقال
أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذي أكله المسلمون وبما يسر
الله عليك من الصدقة في هذا اليوم على الفقراء وما رزقك من الخشية والخوف
وقد قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف درهم
ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداءه في ذلك اليوم عشاء وقال عمرو بن بحر
الجاحظ اجتمع للرشيد من الجد والهزل ما لم يجتمع لغيره كان أبو يوسف قاضيه والبرامكة
وزراءه وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس وأشده تعاظما ونديمه عم أبيه العباس
بن محمد صاحب العباسية وشاعره مروان بن أبي حفصة ومغنيه إبراهيم الموصلي واحد
عصره في صناعته وضاربه زلزل وزامره برصوما وزوجته أم جعفر يعني زبيدة
أرغب الناس في خير وأسرعهم إلى كل بر ومعروف أدخلت الماء الحرم بعد امتناعه من ذلك
إلى أشياء من المعروف وروى الخطيب أن الرشيد كان يقول إنا من قوم عظمت رزيتهم
وحسن بقيتهم ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت فينا خلافة الله عز وجل

وبينما الرشيد يطوف يوما بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا امير المؤمنين اني اريد ان اكلمك بكلام فيه غلظة فقال لا ولا نعمة عين قد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر منك فامره ان يقول له قولا لينا وعن شعيب بن حرب قال لما رايت الرشيد في بعض طرق مكة فقلت لنفسي قد وجب عليك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فخوفتني وقالت لي انه الآن يضرب عنقك فقلت لا بد من ذلك فناديته فقلت يا هارون قد اتعبت الامة واتعبت البهائم فقال خذوه فادخلت عليه وفي يده لت حديد يلعب به وهو جالس على كرسي فقال ممن الرجل فقلت رجل من المسلمين فقال ثكلتك امك ممن انت فقلت من الانبار فقال لي ما حملك على ان دعوتني باسمي قال فخطر ببالي شي لم يخطر قبل ذلك فقلت انا ادعو الله باسمه يا الله يا رحمن الا ادعوك باسمك وهذا الله قد دعا احب خلقه اليه باسمه محمد وكنى ابغض الخلق اليه فقال تبت يدا ابي لهب فقال الرشيد اخرجوه اخرجوه وقال له ابن السماك يوما يا امير المؤمنين انك تموت وحدك وتقبر وحدك وتبعث وحدك فاحذر المقام بين يدي الجبار والوقوف بين يدي الجنة والنار حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم ويقع الندم فلا توبة تقبل ولا عثرة تقال ولا يقبل فداء بمال فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته فقال يحيى بن خالد له لقد شققت الليلة على امير المؤمنين فقام فخرج من عنده وهو يبكي وقال له الفضيل بن عياض في جملة موعظته تلك الليلة لما بكى يا صبيح الوجه انك المسؤول عن هؤلاء كلهم وقد قال الله تعالى وتقطعت بهم الاسباب ثنا الليث عن مجاهد قال الوصلات التي كانت بينهم فبكى حتى جعل يشهق وقال الراسي دعاني الرشيد يوما وقد زخرف منازله واكثر الطعام والشراب واللذات فيها ثم استدعى ابا العتاهية فقال له صف ما نحن فيه من العيش والنعيم فانشا يقول

عش ما بدا لك ... في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح الى البكور

فاذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ... ما كنت الا في غرور

قال فبكى الرشيد بكاء كثيرا فقال له الفضل بن يحيى دعاك امير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال له الرشيد دعه فانه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا عمى ومن وجه اخر ان الرشيد قال يوما لابي العتاهية عظني بابيات من الشعر واوجز فانشا يقول

لا تامن الموت في طرف ولا نفس ... ولو تمنعت بالحجاب والحرس

واعلم بان سهام الموت قاصدة ... لكل مدرع منها ومترس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

قال فخر الرشيد مغشيا عليه وقد حبس الرشيد مرة ابا العتاهية وارصد عليه من ياتيه بما يقول فكتب مرة على جدار

اما والله ان الظلم لؤم ... وما زال المسيء هو الظلوم

الى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

قال فاستدعاه واستحله ووهب له الفا واطلقه وقال الحسين بن

العم ثنا محمد بن حياد عن سفيان بن عيينة قال دخلت على الرشيد يوما فقال ما خبرك فقلت

بعين الله ما تخفي البيوت ... وان طال التجمل والسكوت

فقال يا فلان مائة الف لابن عيينة تغنيه وتغني عقبه ولا يضر الرشيد شيئا وقال الاصمعي كنت مع الرشيد في الحج فمررنا بواد فاذا على شفيره امراة صبية حسناء بين يديها قصعة وهي تسال بها وتقول

طحطحتنا طحاطح الاعوام ... ورمتنا حوادث الايام

فاتيناكم نمد اكفا ... لفضلات زادكم والطعام

فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا ... ايها الزائرون بيت الحرام

من راني فقد راني ورحلي ... فارحموا غربتي وذل مقامي

قال الاصمعي فذهبت الى الرشيد فاخبرته بامرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحمها وبكى وامر مسرورا الخادم ان يملا قصعتها ذهبا فملاها حتى جعلت تفيض يمينا وشمالا وسمع مرة الرشيد اعرابيا يحدو بابله في طريق الحج وهو يقول

يا ايها المجمع هما لا تهم ... انك ان تقض لك الحمى تحم

كيف توقيك وقد جف القلم ... وحطت الصحة منك والسقم

فقال الرشيد لبعض الخدم ما معك قال اربعمائة دينار قال ادفعها الى هذا الاعرابي فلما قبضها ضرب بيده على كتفه وقال متمثلا

وكنت جليس قعقاع بن عمرو ... ولا يشقى بقعقاع جليس

فامر الرشيد بعض الخدم ان يعطي هذا المتمثل ما معه من الذهب فاذا معه مائتا دينار قال ابو عبيدة اصل هذا المثل ان معاوية اهديت له هدية جاما من ذهب ففرقها على جلسائه والى جانبه قعقاع بن عمرو والى جانب القعقاع اعرابي لم يفضل له منها شي فاطرق الاعرابي فدفع اليه القعقاع الجام الذي حصل له فنهض الاعرابي وهو يقول

وكنت جليس قعقاع بن عمرو ... ولا يشقى بقعقاع جليس

وخرج الرشيد يوما من عند زبيدة ابنة عمه وهو يضحك فقيل له مم تضحك يا امير المؤمنين فقال دخلت اليوم الى هذه المراة يعني زوجته زبيدة فاكلت عندها ونمت فما استيقظت الا بصوت ذهب يصب فقلت ما هذا قالوا هذه ثلثمائة الف دينار قدمت من مصر فقالت هبها لي يا ابن عمي فقلت هي لك ثم ما خرجت حتى عربدت علي وقالت اي خير رايت منك وقال الرشيد مرة للمفضل الضبي ما احسن ما قيل في الذئب ولك هذا الخاتم وشراؤه الف وستمائة دينار فانشده قول الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... باخرى الرزايا فهو يقظان هاجع

فقال ما قلت هذا الا لتسلبنا الخاتم ثم القاه اليه فبعثت زبيدة فاشترته منه بالف وستمائة دينار وبعثت الى الرشيد وقالت اني رايتك معجبا به فرده الى المفضل وادنا بيده وقال ما كنا لنهب شيئا ثم نرجع فيه وقال الرشيد يوما للعباس ابن الاحنف اي بيت قالته العرب ارق فقال قول جميل في بثينة

الا ليتني اعمى اصم تقودني • بثينة لا يخفى علي كلامها

فقال له الرشيد فقولك ارق من هذا

طاف الهوى في عباد الله كلهم • حتى اذا مر بي من بينهم وقفا

فقال العباس فقولك يا امير المومنين ارق من هذا كله

اما يكفيك انك تملكيني • وان الناس كلهم عبيدي

وانك لو قطعت يدي ورجلي • لقلت من الهوى احسنت زيدي

ومن شعر الرشيد في ثلاث حظايا نكن بعده من الخواص

ملك الثلاث الانسات عناني • وحللن من قلبي بكل مكاني

ما لي تطاوعني البرية كلها • واطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك الا ان سلطان الهوى • وبه ملكن اعز من سلطاني

ومن شعره فيما اورده صاحب العقد

تبدي صدودا وتخفي تحته مقة • فالنفس راضية والطرف غضبان

يا من يدل لتلحدي مذلة • وليس دوني سوى الرحمن سلطان

وقد ذكر ابو معشر انه كان في دار الرشيد من الجواري الحظايا ودخلتهن وخدم زوجته واخواته اربعة الاف جارية وانهن حضرت كلهم يوما بين يديه وغنين المطربات فطرب جدا وامر بمال فنثر عليهن وكان مبلغه سنة الاف الف درهم في ذلك اليوم رواه ابن عساكر وروى انه اشترى جارية من المدينة فاعجبته جدا فامر باحضار مواليها ومن يلوذ بهم ليقضي حوايجهم فقدموا ثمانين نفسا فامر الحاجب الفضل ابن الربيع ان يتلقاهم ويكتب حوايجهم فكان فيهم رجل اعرابي قد اقام بالمدينة وهو يهوى تلك الجارية فقال له الحاجب ما حاجتك فقال حاجتي ان يجلسني امير المومنين وفلانة فاشرب ثلاثة ارطال من شراب فتغنيني ثلاثة اصوات فقال المجنون انت قال لا ولكن اعرض ذلك على امير المومنين فلما رجع الى الخليفة ذكر له ما قال ذلك الرجل فامر باحضاره وان تجلس معه الجارية بحيث ينظر اليها فجلست على كرسي والخدام بين يديها فشرب الرجل على كرسي فشرب رطلا وقال لها غنيني

خليلي عوجا بارك الله فيكما • وان لم تكن هند بارضكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال اجازنا • ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

غدا يكثر الباكون منا ومنكم • وتزداد داري من دياركم بعدا

قال فغنته ثم استعجله الخادم فشرب رطلا اخر وقال لها غنيني جعلت فداك

تكلم منا في الوجوه عيوننا • فنحن سكوت والهوى يتكلم

ونغضب احيانا ونرضى بطرفنا • وذلك فيما بيننا ليس يعلم

فغنته ثم شرب رطلا ثالثا وقال غنيني جعلني الله فداك

احسن ما كنا تفرقنا • وخاننا الدهر فما خانا

فليت ذا الدهر لنا مرة • عاد لنا يوما كما كنا

قال ثم قام الشاب الى درجة هناك فما علمنا ثم القى نفسه من اعلاها على ام راسه فمات فقال الرشيد لقد عجل الفتى والله لو لم يعجل لوهبتها له وقضايله وما آثره

ومكارمه

ومكارمه واشعاره كثيرة جدا وقد اوردنا منه من ذلك شيا كثيرا وقد ذكرنا من ذلك انموذجا صالحا ولله الحمد وقد كان الفضيل بن عياض يقول ليس احد اعز علينا موتا من هارون الرشيد واني لادعو الله ان يزيد في عمره من عمري قالوا فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والاختلافات والقول بخلق القران عرفنا ما كان يحمل الفضيل على ذلك وقد تقدم ما راه في منامه من ذلك الكف وفيه تربة حمرا وقايل يقول هذه تربة امير المومنين فكانت بطوس وقد روى ابن عساكر انه راى في منامه قايلا يقول • كاني بهذا القصر قد باد اهله • الشعر الخ

وقد تقدم ان ذلك راه اخوه موسى الهادي وابوه محمد المهدي فالله اعلم وقد قدمنا انه امر بحفر قبره في حياته وامر بقراة ختمة فيه وانه حمل حتى نظر اليه فجعل يقول الى هاهنا تصير يا ابن ادم ويبكي وامر ان يوسع عند صدره وان يمد من عند رجليه ثم يقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ويقال انه اخر ما تكلم به حين احتضر اللهم ارفعنا بالاحسان واغفر لنا الاساءة يا من لا يموت ارحم من يموت وكان مرضه بالدم وقيل بالسل وكان جبريل بن بختيشوع يكتمه ما به من العلة فامر الرشيد رجلا ان ياخذ ماءه في قارورة ويذهب به الى جبريل فيريه اياه على انه لمريض عنده فلما راه قال الرجل عنده هذا مثل ما ذلك الرجل ففهم الذي معه فقال له يا ابن الفاعل اخبرني عن هذا فان لي عليه مالا فان كان فيه رجا والا اخذته فقال اذهب فتخلص منه فانه لا يعيش الا اياما فلما اخبر الرشيد بعث الى جبريل فتغيب حتى مات الرشيد وقد قال الرشيد في تلك الحال •

اني بطوس مقيم • ما لي بطوس حميم

ارجو الاله لما بي • فانه بي رحيم

لقد اتى بي طوسا • قضاوه المحتوم

وليس الا رضاي • والصبر والتسليم

ومات بطوس يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومايه وقيل انه توفي في جمادى الاولى وقيل في ربيع الاول وله من العمر خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان واربعون سنة ومدة ولايته الخلافة ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية عشر يوما وقيل وثلاثة اشهر وصلى عليه ابنه صالح ودفن بقرية يقال لها سناباذ وسامحه وادخله الجنة وقال بعضهم قرات على خيام الرشيد والناس منصرفون من طوس بعد موته •

منازل العسكر مهجورة • والمنزل الاعظم مهجور

خليفة الله بدار البلى • يسفي على اجداثه المور

اقبلت العير تباهي به • وانصرفت تندبه العير

وقد رثاه ابو الشيص فقال •

غربت في الشرق شمس • فلها العينان تدمع

ما راينا قط شمسا • غربت من حيث تطلع

قال ابو الفرج بن الجوزي في المنتظم وقد ترك الرشيد من الميراث ما لم يخلفه

احد من الخلفا من الجواهر والاثاث والامتعة سوى الضياع والدور ما قيمته ماية الف الف دينار وخمسة وثلاثون الف الف دينار وقال ابن جرير وكان في بيت مال المسلمين لمصالح الناس تسعماية الف الف ونيف ○

ذكر زوجاته وبنيه وبناته

تزوج ام جعفر زبيدة بنت عمه جعفر بن ابي جعفر المنصور في سنة خمس وستين وماية في حيوة ابيه المهدي فولدت له محمد الامين ومات في سنة ست عشرة ومايتين كما سياتي وتزوج ام ولد كانت لاخيه موسى الهادي فولدت له علي بن الرشيد وتزوج ام محمد بنت صالح المسكين والعباسية بنت عمه سليمان بن جعفر نزفتا اليه في ليلة واحدة في سنة سبع وثمانين وماية بالرقة وتزوج عزيزة بنت الغطريف وهي بنت اخي امه الخيزران وتزوج ابنة عبد الله بن محمد بن علي بن عمرو بن عثمان بن عفان العثمانية ويقال لها الجرشية لانها ولدت باليمن وتوفي الرشيد عن اربع حراير زبيدة وعباسية وابنة صالح والعثمانية هذه واما الحظايا من الجوار فكثير جدا وقد ذكرنا عن بعضهم انه كان عنده في داره اربعة الاف جارية واما اولاده الذكور فمحمد الامين ابن زبيدة وعبد الله المامون من جارية اسمها مراجل ومحمد ابو اسحاق المعتصم من ام ولد يقال لها ماردة والقسم من جارية اسمها قصف وعلي المؤتمن من امة العزيز وصالح من جارية اسمها ريم ومحمد ابو يعقوب ومحمد ابو عيسى ومحمد ابو العباس ومحمد ابو علي كل هولا من امهات اولاد ومن الاناث سكينة من قصف وام حبيبة من مارية واروى وام الحسن وام محمد حمدونة وفاطمة وام اسما وام سلمة وخديجة وام القاسم ورملة وام علي والعالية وريطة كلهن من امهات اولاد

خلافة محمد الامين بن الرشيد هارون
بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور ○

لما توفي هارون الرشيد بطوس في جمادى الاخرة من هذه السنة اعني سنة ثلاث وتسعين وماية كتب صالح بن الرشيد الى اخيه ولي العهد من بعد ابيه محمد بن الرشيد الملقب بالامين وهو ابن زبيدة يعلمه ببغداد بوفاة ابيه ويعزيه فيه فلما وصل الكتاب صحبة رجا الخادم ومعه الخاتم والقضيب والبردة يوم الخميس الرابع عشر من جمادى ركب الامين من قصر الخلد الى قصر ابي جعفر المنصور الذي يقال له قصر الذهب في وسط بغداد وكان ذلك يوم جمعة النصف من جمادى فصلى بالناس ثم صعد المنبر فخطبهم وعزاهم في الرشيد وبسط امال الناس ووعدهم الخير وامن الخواص من قومه ووجوه الامرا وامر بصرف عطيات الجند عن سنتين ونزل فامر عمه سليمان بن ابي جعفر ان ياخذ البيعة له على بقية الناس فلما انتظم امر الامين ببغداد واستقام حاله فيها حسده اخوه المامون ووقع الخلف بينهما على ما سنذكره

ذكر اختلاف الامين والمامون

وكان السبب في ذلك ان الرشيد لما كان قد وصل الى اول بلاد خراسان وهب جميع ما كان معه من الحواصل والدواب والسلاح لولده المامون وجدد له البيعة وكان الامين قد بعث بكر بن المعتمر بكتب في خفية ليوصلها الى الامرا والى صالح بن الرشيد وفيها كتاب الى المامون

يامره

يامره بالسمع والطاعة فاخذ صالح البيعة من الناس للامين وارتحل الفضل بن الربيع بالجيش الى بغداد وفي نفوسهم تحرج من البيعة التي اخذت للمامون وكتب اليهم المامون يدعوهم الى البيعة فلم يجيبوه فوقعت الوحشة بين الاخوين ولكن تحول عامة الجيش الى الامين فعند ذلك كتب المامون الى اخيه بالسمع والطاعة والتعظيم وبعث اليه من هدايا خراسان من تحفها من الدواب والمسك وغير ذلك وهو نايب عليها وقد امر الامين في صبيحة يوم السبت بعد اخذ البيعة له يوم الجمعة ببناء ميادين للصوالجة فقال في ذلك بعض الشعرا

بنى امين الله ميدانا ۔ وصير الساحة بستانا
وكانت الغزلان فيه بانا ۔ يهدى اليه فيه غزلانا

وفي هذه السنة في شعبان منها قدمت زبيدة من الرقة بالخزاين وما كان عندها من التحف والثياب فتلقاها ابنها الامين الى الانبار ومعه وجوه الناس واقر الامين اخاه المامون على ما تحت يده من خراسان والري وغير ذلك واقر اخاه القاسم على الجزيرة والثغور وامر على الا يبن الى البلاد الا القليل منهم ومات في هذه السنة نقفور ملك الروم في قتال البرجان فكان ملكه تسع سنين وقام بعده ولده استبراق شهرين ومات فملكهم ميخائيل زوج اخت نقفور لعنهم الله وقد تواقع هرثمة بن اعين نايب خراسان ورافع بن الليث فاستجاش رافع بالترك ثم هربوا وبقي رافع وحده فضعف امره وحج بالناس في هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي

وفيها توفي من الاعيان

اسماعيل بن علية وهو من ايمة العلما والمحدثين الفقها روى عنه الشافعي واحمد بن حنبل وقد ولي المظالم ببغداد وكان ناظر الصدقات بالبصرة وكان ثقة نبيلا جليلا كبير القدر قليل التبسم وكان يتجر في البز وينفق منه على عياله ويحج منه ومن اصحابه من العلما منهم السفيانان وغيرهما وقد ولاه الرشيد القضا فلما بلغ عبد الله بن المبارك انه ولي القضا بعث اليه يعتبه ويلومه نظما ونثرا فاستعفى ابن علية الرشيد من القضا فاعفاه وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة ودفن في مقابر عبد الله بن مالك محمد بن جعفر الملقب بغندر راوي شعبة وسعيد بن ابي عروبة وقد حدث عن خلق وعنه جماعة من الايمة منهم احمد بن حنبل وكان ثقة جليلا حافظا متقنا في الحديث وقد ذكر عنه حكايات تدل على تغفيله في امور الدنيا وكانت وفاته بالبصرة في هذه السنة وقيل في التي بعدها وقد لقب بهذا اللقب جماعة من المحدثين من المتقدمين والمتاخرين وممن توفي فيها هارون الرشيد امير المومنين وقد تقدمت ترجمته قريبا وابو بكر بن عياش احد الايمة سمع ابا اسحاق السبيعي والاعمش وهشام بن عروة وجماعة وحدث عنه خلق من الثقات منهم احمد بن حنبل قال يزيد بن هارون كان خيرا فاضلا لم يضع جنبه الى الارض اربعين سنة قالوا ومكث ستين سنة يختم في كل يوم القران ختمة كاملة وصام ثمانين رمضانا وتوفي وله من العمر ست وتسعون سنة ولما احتضر بكت عليه ابنته فقال لها ابوها يا بنية علام تبكي اتخشى ان اباك اتى فاحشة قط

ثم دخلت سنة اربع وتسعين وماية

فيها خلع اهل حمص نايبهم فعزله عنهم الامين وولى عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل

طائفة من وجوههما وحرق نواحيها بالنار فسالوه الامان ثم هاجوا فضرب اعناق كثير
منهم ايضا وفيها عزل محمد الامين اخاه القاسم عن الجزيرة والثغور وولى على ذلك
خزيمة بن خازم وامر اخاه بالمقام عنده ببغداد وفيها امر الامين بالدعا لولده موسى على
المنابر في سائر الامصار بالامرة من بعده وسماه الناطق بالحق ثم من بعده للمامون
ثم للمعتصم وكان نية الامين الوفا لاخويه بما شرط لهما فلم يزل به الفضل بن الربيع حتى غير
نيته في اخوته وحسن له خلع المامون والمعتصم وصغر عنده شان المامون وانما حمله على ذلك
خوفه من المامون ان افضت الخلافة اليه يوما من الدهر لسعيه في خلعه من الولاية
عنه فوافقه الامين على ذلك وامر بالدعا لولده موسى من بعده بولاية عهده وذلك في ربيع
الاول منها فلما بلغ ذلك المامون قطع البريد عنه وترك ضرب اسمه على السكة والطرز وتنكر لاخيه
الامين وبعث رافع بن الليث الى المامون يسال منه الامان فامنه فسار اليه بمن معه فاكرمه
المامون وعظمه وجا هرثمة على اثره فتلقاه المامون ووجوه الناس وولاه الحرس فلما بلغ
الامين بان الجنود قد انفضت على اخيه المامون ساه ذلك وانكره وكتب الى المامون كتابا وارسل
اليه رسلا ثلاثة من اكابر الامرا يساله ان يجيبه الى تقديم ولده موسى عليه وانه قد سماه
الناطق بالحق فاظهر الامتناع وشرعوا في مطايبته وملاينته وان يجيبهم الى ذلك فابى
كل الاباء من ذلك فقال له العباس بن موسى بن عيسى فقد خلع ابي نفسه فماذا كان فقال
ان اباك كان امرا مكرها ثم لم يزل المامون يعد العباس ويمنيه حتى بايعه بالخلافة ثم
لما رجع الى بغداد كان يراسله بما كان من الامر ببغداد ويناصحه ولما رجع الرسل الى الامين اخبروه
بما كان من جوابه فعند ذلك صمم الفضل بن الربيع على الامين في خلع المامون فخلعه وامر بالدعا
لولده في العراق كله وبلاد الحجاز وغيرها من البلاد وسماه الناطق بالحق وجعلوا من يتكلم
في المامون ويذكر مساويه وبعثوا الى مكة فاخذوا الكتاب الذي كتبه الرشيد واودعه في الكعبة
فمزقه الامين واكدوا البيعة للناطق بالحق موسى بن الامين على ما يليه ابوه من الاعمال وجرت
بين الامين والمامون مكاتبات ورسل يطول بسطها وقد استقصاها الامام ابو جعفر بن جرير
في تاريخه ثم آل الحال الى ان احتفظ كل منهما على بلاده وحصنها وهيا الجيوش والجنود
وتالف الرعايا وفي هذه السنة عدت الروم على ملكهم ميخائيل فارادوا خلعه وقتله فترك
الملك فترهب وولوا عليهم ليون وحج بالناس نايب الحجاز داود بن عيسى وقيل علي بن الرشيد

وممن توفي فيها من الاعيان

سلم بن سالم ابو محمد البلخي قدم بغداد وحدث بها عن ابراهيم بن طهمان والثوري وعنه الحسن
بن عرفة وكان عابدا زاهدا مكث اربعين سنة لم ير له فراش وصام الدهر كله الا يوم عيد فطر
او اضحى ولم يرفع راسه الى السما وكان داعية الى الارجا ضعيف الحديث الا انه كان راسا في
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان قد قدم بغداد فشنع على الرشيد فحبسه وقيده باثني
عشر قيدا فلم يزل ابو معاوية يشفع فيه حتى تركوه في اربعة قيود وكان يدعوا الله ان
يرده الى اهله فلما توفي الرشيد اطلقته زبيدة فرجع الى اهله وكانوا بمكة قد جاوروا
فمرض بمكة فاشتهى يوما بردا فسقط في ذلك الوقت بردا فاكل منه ومات في ذي الحجة من هذه
السنة عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي كانت غلته في السنة قريبا من خمسين الفا
ينفقها على اهل الحديث توفي عن اربع وثمانين سنة ابو نصر الجهني المصاب كان مقيما

بالمدينة

بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الحائط الشمالي منه وكان يطيل السكوت فاذا سيل اجاب
بجواب حسن وتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه وتكتب وكان يخرج يوم الجمعة قبل الصلاة فيقف
على مجامع الناس فيقول يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ويوما
لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها شفاعة ولا عدل ثم ينتقل من جماعة الى جماعة
حتى يدخل المسجد ليصلي فيه الجمعة ثم لا يخرج حتى يصلي العشا الاخرة وقد وعظ مرة
هارون الرشيد بكلام حسن فقال له اعلم ان الله سايلك عن امة نبيه فاعد لذلك جوابا
وقد قال عمر لو ماتت سخلة بالعراق لخشيت ان يسالني الله عنها فقال له هارون اني لست
كعمر وان دهري ليس كدهره فقال له ما هذا بمغن عنك شيا فامر له بثلثماية دينار فقال انا
رجل من اهل الصفة فمر بها فلتقسم عليهم وانا منهم

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

ففي صفر منها امر الامين ان لا يتعامل بالدراهم والدنانير التي عليها اسم المامون وينهى ان
يدعا له على المنابر وان يقتصر على الدعا له ثم من بعده لولده الناطق بالحق وفيها تسمى
المامون بامام المومنين وفي ربيع الاخر منها عقد الامين لعلي بن عيسى بن ماهان على
الجبل وهمذان واصبهان وقم وتلك البلاد وامره بحرب المامون وجهز معه جيشا كثيرا
وانفق فيهم نفقات عظيمة واعطاه مايتي الف دينار ولولده خمسين الف دينار والفي سيف
محلى وستة الاف ثوب للخلع وخرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد في اربعين الف مقاتل
ومعه قيد من فضة ليا تي بالمامون فيه وخرج معه الامين مشيعا وسار حتى وصل الى
الري فتلقاه الامير طاهر في اربعة الاف فكانت بينهم امور آل الحال فيها الى ان اقتتلوا
فقتل علي بن عيسى وانهزم اصحابه وحمل راسه وجثته الى الامير طاهر فكتب بذلك الى
وزير المامون ذي الرياستين وكان الذي قتل علي بن عيسى رجل يقال له طاهر الصغير
يسمى ذا اليمينين لانه اخذ السيف بيديه الثنتين فذبح به علي بن عيسى بن ماهان
ففرح بذلك المامون ووزيره وانتهى الخبر الى الامين وهو يصيد السمك من دجلة فقال
ويحك دعني من هذا فان كوثرا قد صاد سمكتين ولم اصد بعد شيا وارجف الناس ببغداد وخافوا
غايلة هذا الامر وندم محمد الامين على ما كان منه من نكث العهد وخلع اخيه المامون وما
وقع من الامر الفظيع وكان رجوع الخبر اليهم بذلك في شوال منها ثم جهز عبد الرحمن بن
جبلة الانباري في عشرين الف فارس الى همذان ليقاتلوا طاهر بن الحسين بن
مصعب ومن معه من الخراسانية فلما اقتربوا منهم تواجهوا فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر
القتلى بينهم من الفريقين ثم انهزم اصحاب عبد الرحمن بن جبلة فلجاوا الى همذان فحاصرهم
فيها طاهر حتى اضطرهم فيها الى ان طلبوا الصلح فصالحهم وامنهم ووفا لهم وانصرف
عبد الرحمن بن جبلة ومن بقي معه على انهم راجعين ثم غدروا باصحاب طاهر وحملوا عليهم
وهم غافلون فقتلوا منهم خلقا وصبر لهم وليك ثم نهضوا اليهم فحملوا عليهم فهزموهم وقتلوا
اميرهم عبد الرحمن بن جبلة وفر اصحابه خايبين فلما رجعوا الى بغداد ارجف باهل بغداد
واضطربت وكثرت الاراجيف وكان ذلك في ذي الحجة من هذه السنة وطرد طاهر عمال
محمد الامين عن قزوين وتلك النواحي وقوي امر المامون جدا بتلك البلاد وفي ذي الحجة
من هذه السنة ظهر السفياني بالشام واسمه علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية

ابن ابي سفيان فنزل بابيهما وادعى انه نفسه فبعث اليه الامين جيشا فلم يقدروا عليه بل
اتاموا بالرقة وكان من امره ما سنذكره فيما بعد وحج بالناس في هذه السنة نايب الحجاز داود
ابن عيسى وفيها كانت وفاة جماعة منهم اسحاق بن يوسف الازرق احد الايمة روى عنهم
الامام احمد وغيره وبكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير كان نايب
المدينة للرشيد ثنتي عشرة سنة واشهر وقد اطلق الرشيد على يديه لاهلها الف الف
دينار ومايتي الف دينار وكان شريفا جوادا امعطاء ممدحا وابو نواس الشاعر المشهور
واسمه الحسن بن هاني بن عبد الاول بن صباح بن عبد الله بن الجراح بن حسن بن غنم بن سليم
بن حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن عمرو الغوث بن طي بن ادد بن شبيب بن سمع بن
الحرث بن زيد بن عدي بن عوف بن زيد بن هميسع بن عمرو بن يشجب بن عريب بن زيد بن
كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن
نوح كذا نسبه عبد الله بن ابي سعد الوراق ابو علي الحكمي نسبة الى ولاء الجراح بن عبد الله
الحكمي ويقال له ابو نواس البصري وكان ابوه من اهل دمشق من جند مروان بن محمد ثم صار الى
الاهواز فتزوج امراة يقال لها جلبان فولدت له ابا نواس هذا وابنا اخر يقال له ابو معاذ
وصار ابو نواس الى البصرة فتادب بها على ابي زيد وابي عبيدة وقرا كتاب سيبويه ولزم
خلفا الاحمر وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي قال القاضي ابن خلكان وقد صحب
ابا اسامة والبة بن الحباب الكوفي فتادب به وروى الحديث عن ازهر بن سعد وحماد بن زيد
وحماد بن سلمة وعبد الواحد بن زياد ومعتمر بن سليمان ويحيى القطان وعنه محمد بن ابراهيم
ابن كثير الصوفي وحكى عنه جماعة منهم الشافعي واحمد بن حنبل والجاحظ وغندر ومن مشاهير
حديثه ما رواه محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي عنه عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله فان حسن الظن
بالله ثمن الجنة وقال محمد بن ابراهيم دخلنا عليه وهو في الموت فقال له صالح بن علي الهاشمي
يا ابا علي انت اليوم في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة وبينك وبين الله
هنات فتب الى الله من عملك فقال اياي تخوف بالله اسندوني حدثني حماد بن سلمة عن
يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله ان لكل نبي شفاعة واني اختبات
شفاعتي لاهل الكباير من امتي يوم القيمة ثم قال افتراني لا اكون منهم قال ابو نواس
ما قلت الشعر حتى رويت لستين امراة منهن خنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال
يعقوب بن السكيت اذا رويت عن امرء القيس والاعشى من الجاهلية ومن الاسلامية
لجرير والفرزدق ومن المحدثين عن ابي نواس فحسبك وقد اثنى عليه غير واحد منهم الاصمعي
والجاحظ والنظام وغير واحد وقال ابو عمرو الشيباني لولا انه افسد شعره بهذه الاقذار
لاحتججنا به في كتبنا يعني شعره في الخمريات والاحداث وقد اجتمع طايفة من الشعرا
عند المامون فقال لهم ايكم القايل

• فلما تحساها وقفنا كاننا • نرى قمرا في الارض يبلغ كوكبا •

قال ابو نواس قال فايكم القايل

• اذا نزلت دون اللهاة من الفتى • دعا همه عن صدره برحيل •

قال ابو نواس قال فايكم القايل

بيان موت ابو نواس ١٩٥

• فتمشت في مفاصلهم • كتمشي البرء في السقم •

قال ابو نواس قال فهو اشعركم وقال سفيان بن عيينة لابن مبادر ما اشعر ظريفكم
ابا نواس في قوله

• يا قمرا ابصرت في ماتم • يندب شجوا بين اتراب •
• ابرزه الماتم لي كارها • برغم ذي باب وحجاب •
• يبكي فيذري الدر من عينه • ويلطم الورد بعناب •
• لا زال موتا دار احبابه • ولا نزل روية دابي •

وقال ابن الاعرابي اشعر الناس ابو نواس في قوله

• تغطيت من دهري بظل جناحه • فعيني ترى دهري وليس يراني •
• فلو تسل الايام ما اسمي لما • درت واين مكاني ما عرفن مكاني •

وقال ابن ابي العتاهية قلت في الزهد عشرين الف بيت وددت ان لي مكانها الابيات
الثلاثة التي قالها ابو نواس وهي هذه وكانت مكتوبة على قبره

• يا نواسي توقر • او تغير او تصبر •
• ان يكن ساءك دهر • فلما سرك اكثر •
• يا كبير الذنب عفو • الله عن ذنبك اكبر •

ومن شعر ابي نواس يمدح بعض الامرا

• او جده الله فما مثله • لطالب ذاك ولا ناشد •
• وليس لله بمستنكر • ان يجمع العالم في واحد •

وانشدوا لسفيان بن عيينة قول ابي نواس

• ما هوى الا له سبب • يبتدي منه وينشعب •
• فتنت قلبي محجبة • وجهها بالحسن منتقب •
• تركت والحسن تاخذه • ينتقي منه وينتخب •
• فاكتست منه طرايفه • واستزادت بعض ما يهب •

فقال ابن عيينة امنت بالذي خلقها وقال ابن دريد قال ابو حاتم لولا ان العامة
استبدلت هذين البيتين لكتبتهما بماء الذهب وهما لابي نواس

• ولو اني استزدتك فوق ما بي • من البلوى لاعوزك المزيد •
• ولو عرضت على الموتى حياتي • بعيش مثل عيشي لم يريدوا •

وقد سمع ابو نواس حديث سهيل بن ابي صالح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال القلوب جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف
فنظم ذلك في قصيدة له يقول فيها

• ان القلوب لاجناد مجندة • لله في الارض بالاهوا تعترف •
• فما تناكر منها فهو مختلف • وما تعارف منها فهو موتلف •

وقد دخل ابو نواس يوما مع جماعة المحدثين الى عبد الواحد بن زياد فقال لهم عبد الواحد
ليختر منكم كل واحد عشرة احاديث احدثه بها فاختار كل واحد منهم عشرة فقال
لابي نواس ما لك لا تختار فانشا يقول

ولقد كما روينا * عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب * ان سعد بن عباده
وعن الشعبي الشعبي * شيخ ذو جلاده
وعن الاخيار نحكيه * وعن اهل الرفاده
ان من مات محبا * فله اجر شهاده

فقال له عبد الواحد قم يا ماجن لا حدثتك ولا حدثت احدا من اجلك فبلغ ذلك مالك بن انس وابراهيم بن ابي يحيى فقالا كان ينبغي ان يحدثه لعل الله يصلحه وهذا الذي انشده ابو نواس من شعره قد رواه ابن عدي في كامله عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا من عشق فعف فكتم فمات مات شهيدا ومعنى هذا ان من ابتلي بالعشق من غير اختيار منه فصبر وعف عن الفاحشة ولم يفش ذلك فمات بسبب ذلك حصل له اجر كبير فان صح هذا كان له نوع شهادة والله اعلم وروى الخطيب ايضا ان شعبة لقي ابا نواس فقال حدثنا من طرفك فقال حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر بن مسعر عن بعض اصحابه يرفعه للشيخ الهمام *

قال لو ان جميعا ابا طفله * عشقتها ذو خلق طاهر
فواصلته ثم دامت له * على وصال الحافظ الذاكر
كانت لها الجنة مفتوحة * ترتع في مرتعها الزاهر
واي معشوق جفا عاشقا * بعد وصال لدائم ناظر
ففي عذاب الله بعدا له * نعم وسحقا دائم داحر

فقال له شعبة انك لجميل الاخلاق واني لارجو لك وانشد ابو نواس ايضا

يا ساحر المقلتين والجيد * وقاتلي منك بالمواعيد
توعدني الوصل ثم تخلفني * فوا بلائي من خلف موعودي
حدثني الازرق المحدث عن * شمر وعوف عن ابن مسعود
ما يخلف الوعد غير كافرة * وكافر في الجحيم مصفود

فبلغ ذلك اسحاق بن يوسف الازرق فقال كذب والله علي وعلى التابعين وعلى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعن سليم بن منصور قال رأينا ابا نواس في مجلسي يبكي بكاء شديدا فقلت اني لارجو ان لا يعذبك الله بعد هذا البكاء ابدا فانشا يقول

لم ابك في مجلس منصور * شوقا الى الجنة والحور
ولا من القبر واهواله * ولا من النفخة في الصور
لكن بكائي لبكا شادن * تقتير نفسي كل محذور

ثم قال انما بكيت لبكاء هذا الامرد الذي الى جانبي يبكي وقد دعا ابا نواس يوما بعض الحاكة وألح عليه ليضيفه في منزله فلم يزل به حتى صار معه الى منزله فاذا منزل لا باس به وقد احفل الحايك فلم يقصر باكل عنده وشرب ثم قال يا سيدي اشتهي ان تقول في جاريتي شيا وكان مغرما بجارية له قال ابو نواس فقلت ارنيها حتى انظم فيها فكشف عنها الحجاب فاذا هي اسمج من خلق الله سوداء شمطاء ذردانية يسيل لعابها على صدرها فقال لسيدها ما اسمها قال تسنيم فانشا يقول *

اشهر

اشهر ليلي حب تسنيم * جارية في الحسن كالبوم
كانما نكهتها كامخ * او تخمة من حزم الثوم
ضرطت من حبي لها ضرطة * افزعت منها ملك الروم

قال فقام الحايك يرقص ويصفق بيديه يومه ويفرح ويقول شبهها والله بملك الروم ومن شعر ابي نواس *

ابرمني الناس يقولون * بت عنهم كثرة او زاريه
ان كنت في النار ففي جنة * ماذا عليكم يا بني الزانيه

وبالجملة فقد ذكروا عنه امورا كثيرة واشعارا منكرة ومجونا كثيرة وله في الخمريات واللقاذورات اشيا ضيقة بشيعة فمن الناس من يفسقه ويرميه بالفاحشة ومنهم من يرميه بالزندقة ومنهم من يقول انما كان يخرب على نفسه والاول اظهر من اشعاره فاما الزندقة فبعيدة عنه ولكن كان فيه مجون وخلاعة وقد عزي اليه اشيا في صغره وكبره الله اعلم بصحتها والعامة تنقل عنه اشيا لا حقيقة لها وفي صحن جامع دمشق نفورة وسعها الماء يقولون انها شقفة قبر ابي نواس وهي مبنية بعد موته بازيد من مائة وخمسين سنة فما ادري لماذا تسمى بهذا والله اعلم وقد قال محمد بن ابي عمر سمعت ابا نواس يقول والله ما فتحت سراويلي لحرام قط وقال محمد الامين بن هارون الرشيد لابي نواس انت زنديق فقال يا امير المومنين وانا اقول

اصلي صلاة الخمس في حين وقتها * واشهد بالتوحيد لله خاضعا
واحسن غسلا ان ركبت جنابة * وان جاءني المسكين لم اك مانعا
واني وان حانت من الكاس دعوة * الى بيعة الساقي اجبت مسارعا
واشربها صرفا على جنب ماعز * وجدي كثير الشحم اضحى راضعا
واجود بالحواري وجوز وسكر * وما زال للخمور ذلك نافعا
واجعل تخليط الروافض كلهم * لفقحة تخشيوع في النار طابعا

فقال ويحك وما الحاجة الى فقحة تخشيوع فقال لتتم بها القافية فامر له بجايزة وقال الجاحظ لا اعرف من كلام الشعر ارفع ولا احسن من قول ابي نواس

ايه نار قدح القادح * واي جد بلغ المازح
لله در الشيب من واعظ * وناصح لو حذر الناصح
يابى الفتى الا اتباع الهوى * ومنهج الحق له واضح
فاسم بعينيك الى نسوة * مهورهن العمل الصالح
لا يجتلي العذراء من خدرها * الا امرؤ ميزانه راجح
من اتقى الله فذاك الذي * سيق اليه المتجر الرابح
فاغد فما في الدين اغلوطة * ورح لما انت له رايح

وقد استنشده ابو نواس قصيدته التي يقول في اولها لا انس ليلى ولا اطرب لسند فلما فرغ منها سجد له ابو نواس فقال له والله لا اكلمك مدة قال فغمني ذلك فلما اردت الانصراف قال لي متى اراك فقلت الم تقسم فقال الدهر اقصر من ان يكون معه هجر ومن مستحسن شعره قوله * الا رب وجه في التراب عتيق * الا رب في التراب دقيق *

نفسه لا يحب ان يكثر عليه كانت النيران قد سعرت بين يديه فما زلنا نترفق به ونتوسلت
اليه بابي هو وامي حتى قال في اي شي نظرت فقلت في علم اللغة والشعر فقال
حدث بالبصرة وجماعة يكتبون عن رجل الشعر وقيل لي هذا ابو نواس فتخللت الناس
وراني فلما جلست املى علينا

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل • خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة • ولا ان ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تتابعت • ذنوب على اثارهن ذنوب
فيا ليت ان الله يغفر ما مضى • ويأذن في توباتنا فنتوب

وزاد بعضهم في روايته عن ابي نواس بعد هذه الابيات

اقول اذا ضاقت علي مذاهبي • وحل بقلبي للهموم ندوب
لطول جناياتي وعظم خطيئتي • هلكت وما لي في المتاب نصيب
واغرق في بحر المخافة آيسا • وترجع نفسي تارة فتتوب
وتذكرني عفو الكريم عن الورى • فاحيا وارجو عفوه فانيب
واخضع في قولي وارغب سائلا • عسى كاشف البلوى علي يتوب

قال ابن طرارا وقد رويت هذه الابيات لغير ابي نواس وهي في زهدياته وقد انتشرت
بها الرواة في اماكن كثيرة قد ذكرناها في اماكن اخر وقال الحسن بن الداية دخلت على ابي
نواس وهو في مرض الموت فقلت عظني فانشا يقول

تكثر ما استطعت من الخطايا • فانك لاقيا ربا غفورا
ستبصر اذ وردت عليه عفوا • وتلقى سيدا ملكا كبيرا
تعض ندامة كفيك مما • تركت مخافة النار السرورا

فقلت ويلك في مثل هذه الحال تعظني بهذه الموعظة فقال اسكت حدثنا سلمة
عن ثابت عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي وقد تقدم له بهذا السند لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال
الربيع وغيره عن الشافعي دخلنا على ابي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه
فقلنا ما اعددت لهذا اليوم فانشا يقول

تعاظمني ذنبي فلما قرنته • بعفوك ربي كان عفوك اعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل • تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يقدر بابليس عابد • وكيف وقد اغوى نبيك آدما

رواه الحافظ ابن عساكر وروي انهم وجدوا عند راسه رقعة مكتوب فيها بخطه

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة • فلقد علمت بان عفوك اعظم
ادعوك كما امرت تضرعا • فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
ان كان لا يرجوك الا محسن • فمن الذي يرجو ويخشى المجرم
ما لي اليك وسيلة الا الرجا • وجميل عفوك ثم اني مسلم

وقال يوسف بن الداية دخلت عليه وهو في السياق فقلت كيف تجدك فاطرق مليا
ثم رفع راسه فقال • دب في الفنا سفلا وعلوا • واراني اموت عضوا فعضوا •

ارى كل حي هالكا وابن هالك • وذا حسب في الهالكين عريق
فقل للمقيم للدار انك ظاعن • الى سفر نائي المحل سحيق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت • له عن عدو في ثياب صديق وقوله
لا تشره من فات الذل في الشره • والعز في الحلم لا في الطيش والسفه
وقل لمغتبط في التيه من حمق • لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة • للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وجلس ابو العتاهية القاسم في دكان وراق وكتب على ظهر دفتر

ايا عجبا كيف يعصى الاله • ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شي له آية • تدل على انه واحد
ولله في كل تحريكة • وتسكينة ابدا شاهد

ثم جاء ابو نواس فقراها ثم قال احسن قائلها والله لوددت انها لي بجميع شعري
قلته لمن هذه قالوا لابي العتاهية فاخذ الدفتر فكتب الى جانبها

سبحان من خلق الخلق • من ضعيف مهين
يسوقه من قرار • الى قرار مكين
يحور شيئا فشيئا • في الحجب دون العيون
حتى بدت حركات • مخلوقة من سكون

ومن شعر ابي نواس المستجاد قوله

انقضت شرتي فعفت الملاهي • اذ رمى الشيب مفرقي بالدواهي
ونهتني النهى فملت الى العدل • واشفقت من مقالة ناهي
ايها الغافل المصر على السهو • ولا عذر في المعاد للساهي
لا بأعمالنا نطيق خلاصا • يوم تبدو السمات فوق الجباه
غير انا على الاساءة والتفريط • نرجو من حسن عفو الاله وقوله
نموت ونبلى غير ان ذنوبنا • اذا نحن متنا لا تموت ولا تبلى
الا رب ذي عينين لا ينفعانه • وما تنفع العينان من قلبه اعمى وقوله
لو ان عينا وهمتها نفسها • يوم الحساب ممثلا لم تطرف
سبحان ذي الملكوت اية ليلة • محضت صبيحتها بيوم الموقف
كتب الفناء على البرية ربها • فالناس بين مقدم ومخلف

وذكروا ان ابا نواس لما اراد الاحرام بالحج قال الاعلانا اعد لك مليك كل من ملك لبيك
قد لبيت لك لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك ما خاب عبد سالك لبيك
ان الحمد لك والملك لك لا شريك لك انت له حيث سلك لولاك يا رب هلك لبيك
ان الحمد لك والملك لك لا شريك والليل لما ان حلك والسابحات في الفلك على مجاري
المنسلك كل نبي وملك وكل من اهل لك سبح او صلى فلك لبيك ان الحمد لك والملك
لا شريك لك يا مخطئا ما اغفلك عجل وبادر املك واختم بخير عملك لبيك ان الحمد
لك والملك لا شريك لك وقال المعافى بن زكريا الجريري ثنا محمد بن العباس بن
الوليد سمعت احمد بن يحيى ثعلب يقول دخلت على احمد بن حنبل فرايت رجلا تهمه

ليس لي من ساعة بي • الا نقصتني في جزوا •
ذهبت جدتي بلذة عيشي • وتذكرت طاعة الله نضوا •
قد اسانا كل الاساءة • اللهم صفحا عنا وغفرا وعفوا •

ثم مات من ساعته رحمه الله وقد كان نقش خاتمه لا اله الا الله مخلصا فاوصى ان يجعل في فيه اذا غسلوه ففعل به ذلك ولما مات لم يجدوا له من المال سوى ثلثمائة درهم وثيابه واثاثه وقد كانت وفاة ابي نواس في هذه السنة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي في تل اليهود وله خمسون سنة وقيل ستون سنة وقيل تسع وخمسون سنة وقد رآه بعض اصحابه في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي بابيات قلتها في النرجس وهي

تامل في نبات الارض وانظر • الى آثار ما فعل المليك •
عيون من لجين فاخرات • واحداق لها الذهب السبيك •
على قضب الزبرجد شاهدات • بان الله ليس له شريك •

وفي رواية قال غفر لي بابيات قلتها وهي تحت وسادتي فجاؤوا فوجدوها في رقعة بخطه وهي هذه الابيات

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة • فلقد علمت بان عفوك اعظم •
ان كان لا يرجوك الا محسن • فمن الذي يدعو ويرجو المجرم •
ادعوك رب كما امرت تضرعا • فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم •
ما لي اليك وسيلة الا الرجا • وجميل عفوك ثم اني مسلم •

وفي رواية لابن عساكر قال بعضهم رايته في المنام في هيئة حسنة ونعمة فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي قلت بماذا وقد كنت مخلطا على نفسك فقال جاء ذات ليلة رجل صالح في ليلة من الليالي الى المقابر فبسط رداءه وصف قدميه وصلى ركعتين قرا فيهما الفي مرة قل هو الله احد ثم اهدى ثواب ذلك لاهل تلك الجبانة فدخلت انا في جملتهم فغفر الله لي وفيها توفي ابو معاوية الضرير محمد بن خازم احد مشايخ الحديث الثقات الرفعاء المشهورين والوليد بن مسلم الدمشقي تلميذ الاوزاعي مقدم قال القاضي ابن خلكان لما صحب ابا اسامة والبة بن الحباب قدم به بغداد فكان اول شعر قاله ابو نواس

حامل الهوى تعب • يستخفه الطرب •
ان بكى يحق له • ليس ما به لعب •
تضحكين لاهية • والمحب ينتحب •
تعجبين من سقمي • صحتي هي العجب •

وقال المامون ما احسن قوله •

ما الناس الا هالك وابن هالك • وذو نسب في الهالكين عريق •
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت • له عن عدو في ثياب صديق •

قال القاضي ابن خلكان وما اشد رجاءه بربه حيث يقول •

تكثر ما استطعت من الخطايا • فانك بالغ ربا غفورا •
ستبصر ان وردت عليه عفوا • وتلقى سيدا ملكا كبيرا •

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

فيها حبس محمد الامين اسد بن يزيد بن مزيد لاجل انه نقم على الامين تهاونه في امره وارتكابه اللعب والصيد في هذا الوقت فسجنه في السجن ووجه عمه احمد بن مزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة في اربعين الفا مع كل واحد منهما عشرون الفا الى حلوان لقتال طاهر بن الحسين امير الحرب من جهة المامون فلما ساروا الى قريب من حلوان خندق طاهر على جيشه خندقا وجعل يعمل الحيلة في ايقاع الفتنة بين الاميرين فاختلفا ورجعا ولم يقاتلاه ودخل هو الى حلوان وجاءه كتاب المامون بتسليم ما تحت يده الى هرثمة بن اعين وان يتوجه هو الى الاهواز ففعل ذلك وفيها رفع المامون منزلة الفضل بن سهل وولاه اعمالا كبارا وسماه ذا الرياستين وفيها ولى الامين نيابة الشام لعبد الملك بن صالح بن علي وقد كان اخرجه من سجن الرشيد وامره ان يبعث له رجالا وجنودا لقتال طاهر وهرثمة فلما وصل عبد الملك بن صالح الى الرقة اقام بها وكتب الى رؤساء الشام يتالفهم ويدعوهم الى الطاعة فقدم عليه منهم خلق كثير ثم وقعت حروب كان مبداها من اهل حمص وتفاقم الامر وطال القتال بين الناس ومات عبد الملك بن صالح هنالك فرجع بالجيش الى بغداد الحسين بن علي بن ماهان فتلقاه اهل بغداد بالاكرام والاحترام وذلك في شهر رجب من هذه السنة فلما وصل اليها جاءه رسول الامين يطلبه فقال والله ما انا بسامر ولا مضحك ولا وليت له عملا ولا جاء له على يدي مال فلاي شيء يريدني في هذه الليلة

ذكر سبب خلع محمد الامين وكيف افضت الخلافة الى اخيه عبد الله المامون

لما اصبح الحسين بن علي بعد مقدمه بالجيش من الرقة قام في الناس وانبهم على الامين وذكر عبثه وما يتعاطاه من اللهو وغير ذلك وانه يريد ان يوقع بين الناس ثم حثهم على القيام عليه والنهوض اليه وندبهم فالتف عليه خلق كثير وجم غفير وبعث محمد الامين اليه خيلا فاقتتلوا مليا من النهار فامر الحسين اصحابه بان يترجلوا الى الارض وان يقاتلوا بالسيوف والرماح وخلع محمد الامين وذلك يوم الاحد الحادي عشر من شهر رجب من هذه السنة واخذ البيعة من الغد لعبد الله المامون ولما كان يوم الثلاثاء نقل الامين من قصره الى قصر ابي جعفر وسط بغداد وضيق عليه وقيد واضطهد وامر العباس بن موسى بن عيسى امه زبيدة ان تنتقل اليه فامتنعت فقنعها بالسوط وقهرها على الانتقال فانتقلت مع اولادها فلما اصبح الناس يوم الاربعاء طلبوا من الحسين بن علي اعطياتهم واختلفوا عليه وصار اهل بغداد فرقتين فرقة مع الخليفة وفرقة عليه فاقتتلوا قتالا شديدا فغلب حزب الخليفة اولئك واسر الحسين بن علي بن عيسى ودخلوا الى الخليفة ففكوا عنه قيوده واجلسوه على السرير فامر من لم يكن معه سلاح من العامة ان يعطى سلاحا من الخزائن فانتهب الناس خزائن السلاح لذلك واتي الامين بالحسين بن علي فلامه على ما صدر منه فاعتذر اليه بان عفو الخليفة حمله على ذلك فعفى عنه وخلع عليه واستوزره واعطاه الخاتم وولاه ما وراء بابه وولاه الحرب وسيره الى حلوان فلما خرج من الجسر هرب في خدمه وحاشيته فبعث اليه الامين من يرده

ركبت الخيول وراءه فادركوه فقاتلهم وقاتلوه فقتلوه للنصف من رجب وجاءوا براسه الى الامين وجدد الناس البيعة للامين يوم الجمعة ولما قتل الحسين بن علي هرب الفضل بن الربيع الحاجب واستحوذ طاهر بن الحسين نائب المامون على اكثر البلاد واستناب بها النواب من جهة المامون وخلعوا اكثر الاقاليم الامين وبايعوا المامون وتدلى طاهر الى المداين فاخذها مع واسط واعمالها واستناب من جهته على الحجاز واليمن والجزيرة والموصل وغير ذلك ولم يبق مع الامين من البلاد الا القليل وفي شعبان منها عقد محمد الامين اربعماية لواء لامراء وبعثهم لقتال هرثمة بن اعين فالتقوا في شهر رمضان ۝ فكسرهم هرثمة واسر مقدمهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك وبعث به الى المامون وهرب جماعة من جند طاهر نحو من خمسة الاف فصاروا الى الامين ببغداد فاعطاهم اموالا كثيرة واكرمهم وغلف لحاهم بالغالية فسموا جيش الغالية ثم ندبهم الامين وارسل معهم جيشا كثيفا الى طاهر فهزمهم وفرق شملهم واخذ ما كان معهم واقترب من بغداد ۝ نحاصرها وانفذ القصاد والجواسيس يلقون الفتنة بين الجند حتى تفرقوا شيعا ثم وقع بين الجيش وسعت الاصاغر على الاكابر واختلفوا على الامين في سادس ذي الحجة فقال بعض البغاددة

قل للامين الله في نفسه ... ما شتت الجند سوى الغاليه
وطاهر نفسي تقي طاهرا ... برسله والعدة الكافيه
اضحى زمام الملك في كفه ... مقاتلا للفئة الباغيه
يا ناكثا اسلمه نكثه ... عيوبه في جيشه فاشيه
قد جاءك الليث بشداته ... مستكلبا في امة ضاريه
فاهرب ولا مهرب من مثله ... الا الى النار او الهاويه

فتفرق على الامين شمله وحار في امره وجاء طاهر بن الحسين بجيوشه فنزل على باب الانبار يوم الثلاثاء لثنتي عشرة خلت من ذي الحجة واشتد الحال على اهل البلد واخذ الدعار والشطار اهل الصلاح وخربت الديار وثارت الفتنة بين الناس حتى قتل الاخ اخاه والابن اباه وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي الهاشمي من قبل طاهر ودعا للمامون بالخلافة بمكة والمدينة النبوية وهو اول موسم دعي فيه للمامون وفيها توفي بقية بن الوليد الحمصي امامها وفقيهها ومحدثها وحفص بن غياث القاضي عاش نيفا وسبعين ولما احتضر بكى عليه بعض اصحابه فقال والله ما حللت سراويلي على حرام قط ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من وقع الحكم بينهما وعبد الله بن مرزوق ابو محمد الزاهد كان وزيرا للرشيد فترك ذلك كله وتزهد واوصى عند موته ان يطرح قبل موته على مزبلة لعل الله يرحمه ابو الشيص الشاعر محمد بن رزين بن سليمان كان انشاد الشعر عليه وانشاؤه ونطقه اسهل عليه من شرب الماء وكان هو ومسلم بن الوليد الملقب صريع الغواني وابو نواس ودعبل يجتمعون ويتناشدون وقد عمي ابو الشيص في اخر عمره ومن جيد شعره قوله

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ... متاخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم ... اذ كان حظي منك حظي منهم
واهنتني فاهنت نفسي عامدا ... ما من يهون عليك ممن يكرم

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

استهلت وقد الح طاهر بن الحسين بن مصعب وهرثمة بن اعين ومن معهما من الجنود في حصار بغداد والتضييق على محمد الامين وهرب القاسم بن الرشيد وعمه منصور ابن المهدي الى المامون فاكرمهما وولى اخاه القاسم جرجان واشتد الحصار ببغداد ونصبت عليها المجانيق والعرادات وضاق الامين بهم ذرعا ولم يبق معه ما ينفق في الجند فاضطر الى ضرب انية الذهب والفضة دراهم ودنانير وهرب كثير من جنده الى طاهر وقتل من اهل البلد خلق كثير واخذت اموال الكثير من التجار وبعث محمد الامين الى قصور كثيرة ودور مشهودة واماكن محال كثيرة فحرقها لما راى في ذلك من المصلحة وفعل طاهر مثل ذلك حتى كادت بغداد تخرب بكمالها فقال بعض الشعراء في ذلك

من ذا اصابك يا بغداد بالعين ... الم تكوني زمانا قرة العين
الم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... وكان قربهم زينا من الزين
صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا ... ماذا لقيت بهم من لوعة البين
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم ... والدهر يصدع ما بين الفريقين

وقد اكثر الشعراء في ذلك وقد اورد الامام ابو جعفر بن جرير من ذلك طرفا صالحا واورد قصيدة طويلة جدا لبعض اهل ذلك الزمان فيها بسط ما وقع من هول من الاهوال اقتصرنا ايانا للكلية واستحوذ طاهر على ما في الضياع من الغلات والحواصل للامراء وغيرهم ودعاهم الى الامان وخلع الامين والبيعة للمامون فاستجاب له جماعة منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة ويحيى بن علي بن ماهان ومحمد بن ابي العباس الطوسي وكاتبه خلق من الهاشميين والامراء وصارت قلوبهم معه واتفق في بعض الايام ان ظفر اصحاب الامين ببعض اصحاب طاهر فقتلوا منهم طائفة عند قصر صالح فلما جرى ذلك بطر الامين واقبل على اللهو والشرب واللعب ووكل الامور وتدبيرها الى محمد بن عيسى بن نهيك ثم تويت شوكة اصحاب طاهر وضعف جانب الامين جدا واخاف الناس الجيش طاهر وكان جانبه امنا جدا لا يخاف احد فيه من سرق ولا نهب ولا غير ذلك وقد احتاز طاهر في محال بغداد وارباضها ومنع الملاحين ان يحملوا الطعام الى من جانب الامين ليضيقوا عليهم فغلت الاسعار عندهم جدا وندم من لم يكن خرج من بغداد قبل ذلك ومنعت التجار من القدوم الى بغداد بشيء من البضائع او الرقيق وصرفت السفن الى البصرة وغيرها وقد جرت بين الفريقين حروب كثيرة بمن في ذلك وقعة درب الحجارة كانت لاصحاب محمد الامين قتل فيها خلق من اصحاب
طاهر كان الرجل من العيارين والحرافشة من البغاددة ياتي عريانا ومعه بارية مقيرة ٢
وتحت كتفه مخلاة فيها حجارة فاذا ضربه الفارس من بعيد بالسهم اتقاه ببارية فلا تؤذيه واذا اقترب منه رماه بحجر في المقلاع فاصابه فهزموهم فلما بهم بذلك ۝ ووقعة الشماسية اسر فيها هرثمة بن اعين فشق ذلك على طاهر وامر بعقد جسر على دجلة فوق الشماسية وعبر بنفسه ومن معه الى الجانب الاخر فقاتلهم بنفسه اشد

القتال حتى ازالهم عن مواضعهم واسترد منهم هرثمة وجماعة مما كانوا اسروا من اصحابه فشق ذلك على محمد الامين فقال في ذلك

منيت باشجع الثقلين قلبا • اذا ما طال ليس كما يطول
له مع كل ذي بدن رقيب • يشاهده ويعلم ما يقول
وليس بمغفل امرا عناه • اذا ما الامر ضيعه الغفول

وضعف امر محمد الامين ابن زبيدة ولم يبق عنده ما ينفقه على جنده ولا على نفسه وتفرق اكثر اصحابه عنه وبقي مضطهدا ذليلا وانقضت هذه السنة بكمالها والناس ببغداد في بلاء وزلازل وميشات وقتال وحصار وحرق وغرق وسرق فانا لله وانا اليه راجعون وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي ودعا للمامون وفيها توفي من المشاهير الاعيان شعيب بن حرب احد الزهاد والعباد وعبد الله بن وهب امام اهل الديار المصرية وعبد الرحمن بن مسهر قاضي جبل اخو علي بن مسهر وعثمان بن سعيد ابو سعيد الملقب بورش احد القراء المشهورين الرواة عن نافع ابن ابي نعيم ووكيع بن الجراح الرواسي احد اعلام المحدثين عن سن ستين سنة

ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

فيها خامر خزيمة بن خازم على محمد الامين واخذ الامان من طاهر ودخل هرثمة بن اعين الجانب الشرقي وفي يوم الاربعاء لثمان خلون من المحرم وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى على جسر بغداد فقطعاه ونصبا رايتهما عليه ودعوا لبيعة عبد الله المامون وخلع محمد الامين ودخل طاهر يوم الخميس الى الجانب الشرقي فباشر القتال بنفسه ونادى بالامان لمن لزم منزله وجرت عند دار الرقيق والكرخ وغيرهما وقعات واحاط بمدينة ابي جعفر والخلد وقصر زبيدة ونصب المجانيق حول السور وحذا قصر زبيدة ورماه فخرج محمد الامين بامه وولده الى مدينة ابي جعفر وتفرق عنه عامة اصحابه في الطرق لا يلوي احد على احد ودخل الامين قصر ابي جعفر وانتقل من الخلد لكثرة ما ياتيه فيه من رمي المجانيق وامر بتحريق ما كان فيه من الاثاث والامتعة وغير ذلك ومع هذا خرج ذات ليلة في ضوء القمر الى شاطئ دجلة واستدعا بنبيذ وجارية تغنيه فلم ينطلق لسانها الا بالمراثيات وذكر الموت فيقول لها غير هذا فتذكر نظيره حتى غنته اخر ما غنته اذ قالت

اما ورب السكون والحرك • ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا • دارت نجوم السماء في فلك
الا لنقل السلطان عن ملك • غاب محب الدنيا الى ملك
وملك ذي العرش دائما ابدا • ليس بفان ولا بمشترك

قال فسبها واقامها من حضرته فعثرت في قدح كان له من بلور فكسرته فتطير بذلك ولما نهضت الجارية سمع صارخا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لجليسه الا تسمع فلم يسمع شيئا ثم عاد الصوت بذلك فما كان الا ليلة او ليلتان حتى قتل في رابع صفر يوم الاحد وقد جهد في حصره ذلك بجيشه انه لم يبق عنده طعام ولا شراب وجاع ليلة فما اتي برغيف ودجاجة الا بعد كلفة كثيرة وطلب ماء فلم يوجد له فبات

عطشانا فلما اصبح قتل قبل ان يشرب ماء

ذكر كيفية مقتله

لما اشتد به الامر اجتمع عنده من بقي معه من الامراء والخدم والجند فشاورهم في امره فقالت طائفة تذهب بمن بقي معك الى الجزيرة او الشام فتتقوى بالاموال وتستخدم الرجال وقال بعضهم بل تخرج الى طاهر فتاخذ لك منه امانا وتبايع لاخيك واذا فعلت ذلك فان اخاك يامر لك بما يكفيك من امر الدنيا وغاية مرادك الدعة والراحة وذلك يحصل لك وقال بعضهم بل هرثمة اولى بان تاخذ لك منه الامان فانه مولاكم واحنى عليك فمال الى ذلك فلما كانت ليلة الاحد الرابع من صفر بعد عشاء الاخرة واعد هرثمة ان يخرج اليه ثم لبس ثياب الخلافة والطيلسان واستدعا بولديه فشمهما وضمهما وقال استودعكما الله ومسح دموعه بطرف كمه ثم ركب على فرس سوداء وبين يديه شمعة فلما انتهى الى هرثمة اكرمه وعظمه وركبا في حراقة في دجلة وبلغ ذلك طاهرا فغضب من ذلك وقال انا الذي فعلت هذا كله ويذهب الى غيري وينسب هذا كله الى هرثمة فلحقهما وهما في الحراقة فرماها اصحابه فغرقت من الماء فغرق من فيها غير ان محمد الامين سبح الى الجانب الاخر واسره بعض الجند وجاء فاعلم طاهرا بذلك فبعث اليه جندا من العجم فجاءوا الى البيت الذي اوي اليه وعنده بعض اصحابه وهو يقول له ادن مني فاني اجد وحشة شديدة وجعل يلتف في ثيابه وقلبه يخفق خفقا عظيما يكاد ان يخرج من صدره فلما دخلوا عليه اوليك قال انا لله وانا اليه راجعون ثم دنا منه احدهم فضربه بالسيف على مفرق راسه فجعل يقول ويحكم انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ابن هارون انا اخو المامون الله الله في دمي فلم يلتفتوا الى شيء من ذلك بل تكاثروا عليه وذبحوه من قفاه وذهبوا براسه الى طاهر وتركوا جثته ثم جاءوا من باكر النهار فلفوها في جل فرس وذهبوا بها وكان ذلك في ليلة الاحد لاربع ليال خلت من صفر من هذه السنة اعني سنة ثمان وتسعين ومائة

وهذا ذكر شيء من ترجمة الامين

هو محمد الامين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابو عبد الله ويقال ابو موسى القرشي الهاشمي العباسي البغدادي وامه ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور وكان مولده بالرصافة سنة سبعين قال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثنا عياش بن هشام عن ابيه قال ولد محمد بن هارون في شوال سنة سبعين ومائة وولي الخلافة بمدينة السلام لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاخرة بعقب سنة ثلاث وتسعين وقتل ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين قتله قريش الرنداني وحمل راسه الى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح وتلا هذه الاية قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية فكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر وثمانية ايام وكان طويلا سمينا ابيض اقنى صغير العينين عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين وقد رماه بعضهم بكثرة اللعب والشرب وقلة الصلاة وقد ذكر ابن جرير طرفا من سوء سيرته من اكثاره من اقتناء السودان والخصيان والطعام

الاموال والجواهر وامره باحضار الملاهي والمغنيين من ساير البلدان وامر بعمل خمس حراقات
على صورة الفيل والاسد والعقاب والحية والفرس وانفق على ذلك اموالا جزيلة جدا
وقد امتدحه ابو نواس على ذلك بشعر اتسع في معناه من صنيع الامين ذلك فانه قال
في اوله

سخر الله للامين مطايا • لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن برا • سار في الماء راكبا ليث غاب

ثم وصف كلا من تلك الحراقات واعتنى الامين ببنايات مايلة للتنزه وغير ذلك
وانفق في ذلك اموالا كثيرة جدا فكثر النكير عليه بسبب ذلك وذكر ابن جرير ان
الامين جلس يوما في مجلس نيق في الخلد وفرش له بانواع الحرير وانية الذهب
والفضة واحضر ندماءه وامر القهرمانة ان تهيئ له مائة جارية حسانا فتبعث
اليه بعشر بعد عشر يغنينه فلما جاءت العشر الاول اندفعن بصوت واحد

هموا قتلوه كي يكونوا مكانه • كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فغضب من ذلك وتبرم وضرب رايتهن بالكاس وامر بها ان تلقى الى الاسد فاكلها ثم
استدعى بعشر فاندفعن يغنين

من كان مسرورا بمقتل مالك • فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه • يلطمن قبل تبلج الاسحار

فطردهن واستدعى بعشر غيرهن فلما حضرن اندفعن يغنين

كليب لعمري كان اكثر ناصرا • وايسر جرما منك ضرج بالدم

فطردهن وقام من فوره وامر بتخريب ذلك المجلس وتحريق ما فيه وذكروا انه كان
الادب فصيحا يقول الشعر ويجيده ويعطي الجوايز الكثيرة عليه وكان شاعره ابا نواس
وقد قال فيه ابو نواس مدايح حسانا جدا وقد وجده مسجونا في سجن الرشيد مع الزنادقة
فاحضره واطلقه واطلق له وجعله من ندمايه ثم حبسه مرة اخرى بشرب الخمر
وطال حبسه ثم اطلقه واخذ عليه العهد ان لا يشرب الخمر ولا ياتي الذكران من العالمين
فامتثل ذلك فكان لا يفعل شيا من ذلك بعدما استتابه الامين وقد تادب على
الكسائي وقرا عليه القران وروى الخطيب من طريقه حديثا اورده عندما عزى
في غلام له توفي بمكة فقال حدثني ابي عن ابيه عن المنصور عن ابيه عن علي بن عبد الله
عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات محرما حشر ملبيا
وقد قدمنا ما وقع بينه وبين اخيه من الاختلاف والفرقة حتى افضى ذلك الى خلعه
وعزله ثم الى التضييق عليه وقتله وحاصله انه حصر في اخر عمره حتى احتاج
الى المضي الى هرثمة فخرج اليه ليجتمع به فالقي من الحراقة فسبح الى الشط الاخر
من دجلة فدخل دارا لبعض العامة وهو في غاية الخوف والدهش والجوع والعري والقلق
وجعل الرجل يلقنه الصبر والاستغفار فاشتغل بذلك ساعة من الليل ثم جاء الطلب
وراءه من جهة طاهر بن الحسين بن مصعب فدخلوا عليه وكان الباب ضيقا فجعلوا
يتدافعون وقام اليهم فجعل يدافعهم بمخدة كانت في يده فما وصلوا اليه حتى عرقبوه
وضربوا راسه وخاصرته بالسيف ثم ذبحوه واخذوا راسه وجثته فاتوا بها الى

طا

طاهر بن الحسين ففرح بذلك فرحا شديدا وامر بنصب الراس فوق رمح وجعل على راس
قصر هناك حتى اصبح الناس فنظروا اليه فوق الرمح عند باب الانبار وكثر عدد
الناس ينظرون اليه ثم بعث طاهر براس الامين مع ابن عمه محمد بن مصعب وبعث معه
بالبردة والقضيب والمصلى وكان من خوص مبطن فسلمه الى ذي الرياستين فدخل به
الى المامون على ترس فلما راه سجد وامر للذي جاء به بالف الف درهم وقد قال
ذو الرياستين حين قدم الراس يؤلب على طاهر انا امرناه بان ياتي به الينا اسيرا
فارسل به عقيرا فقال المامون قد مضى ما مضى وكتب طاهر الى المامون بكتاب
يخبره فيه بصفة ما وقع من القتال حتى ال الحال الى ما ال ولما قتل محمد بن الرشيد
هدات الفتن وخمدت الشرور وامن الناس وطابت النفوس ودخل طاهر بن الحسين
الى بغداد يوم الجمعة فصلى بالناس الجمعة وخطبهم خطبة عظيمة بليغة ذكر فيها ايات
من القران في ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وامرهم فيها بالجماعة والسمع والطاعة
ثم خرج الى معسكره فاقام به وامر بتحويل زبيدة من قصر ابي جعفر المنصور الى قصر
الخلد فخرجت يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الاول من هذه السنة وبعث بموسى
وعبد الله ابني الامين الى عمهما بخراسان وكان ذلك بابا سديدا وقد وثب طايفة
من الجند بطاهر بعد خمسة ايام من مقتل الامين فطلبوا منه ارزاقا فلم يكن عنده
اذ ذاك مال فخرقوا واجمعوا ونهبوا بعض متاعه ونادوا يا موسى يا منصور ولعلهم
ان موسى الملقب بالناطق بالحق هناك واذا هو قد سيره طاهر الى عمه المامون واختار
طاهر من معه من القواد ناحية وعزم على قتالهم ومناجزتهم بمن معه ثم رجعوا
اليه واعتذروا وندموا على ما كانوا فعلوا وامر لهم برزق اربعة اشهر بعشرين الف
دينار اقترضها من بعض الناس وطابت الخواطر واتسق الحال وصلح امر بغداد وكان
ابراهيم بن المهدي قد اسف على قتل محمد بن زبيدة ورثاه بابيات فبلغ ذلك المامون
فبعث اليه يعنفه ويلومه على ذلك وقد ذكر ابن جرير مراثي كثيرة للناس في الامين
وذكر من اشعار الذين يهجونه طرفا وذكر من شعر طاهر بن الحسين حين قتله قوله

ملكت الناس قهرا واقتدارا • وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو • الى المامون تبتدر ابتدارا

خلافة عبد الله المامون بن الرشيد بن هارون

لما قتل محمد بن هارون ببغداد في رابع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل في اخر
المحرم استوسقت البيعة شرقا وغربا للمامون عبد الله بن الرشيد فولى الحسن بن سهل
نيابة العراق وفارس والاهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن وبعث نوابه الى هذه
الاقاليم وكتب الى طاهر بن الحسين وهو ببغداد ان ينصرف الى الرقة لحرب نصر بن شبث
وولاه نيابة الجزيرة والموصل والشام والمغرب وكتب الى هرثمة بن اعين بنيابة
خراسان وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي وتوفي فيها
من الاعيان سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان وهو
سادات العلماء وائمتهم في الحديث واسماء الرجال ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة

فيها قدم الحسن بن سهل الى بغداد نائبا عليها من جهة المامون ووجه نوابه الى بقية اعماله
التى تليها من الجزيرة والشام ومصر وبلاد المغرب وسار هرثمة الى نيابته بخراسان وكان قد ووجه طاهرا
خرج فى اواخر السنة الماضية فى ذى الحجة منها الحسن الهرش يدعو الى الرضا من آل محمد صلى
الله عليه وسلم فجبى الاموال وانتهب الانعام وعاث فى البلاد فبعث اليه المامون جيشا
فقتلوه فى المحرم من هذه السنة وفى هذه السنة خرج بالكوفة محمد بن ابراهيم بن اسماعيل
بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاخرة يدعوا
الى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وهو الذى يقال له ابن طباطبا وكان القايم
بامره وتدبير الحرب بين يديه ابو السرايا السرى بن منصور الشيبانى وتواصفوا اهل
الكوفة على وفاقه واجتمعوا عليه من كل فج عميق ووفدت اليه الاعراب من نواحى الكوفة
وكان النايب عليها من جهة الحسن بن سهل سليمان بن ابى جعفر المنصور فبعث الحسن
ابن سهل الى سليمان يلومه ويونبه وارسل بعشرة الاف فارس صحبة زهير بن زهير
بن المسيب فتقاتلوا خارج الكوفة فهزموا زهيرا واستباحوا جيشه ونهبوا ما كان
معه وذلك يوم الاربعاء سلخ جمادى الاخرة فلما كان الغد من الوقعة توفى ابن طباطبا
امير الشيعة فجاة يقال ان ابا السرايا سمه واقام مكانه غلاما امرد يقال له محمد بن محمد
بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب وانعزل زهير بن زهير بمن بقى من اصحابه الى قصر ابن
هبيرة وارسل الحسن بن سهل مع عبدوس بن محمد اربعة الاف فارس صورة مدد لزهير فالتقوا
هم وابو السرايا فهزمهم ابو السرايا ولم يفلت من اصحاب عبدوس احد وانتشر الطالبيون فى تلك
البلاد وضرب ابو السرايا الدراهم والدنانير فى الكوفة ونقش عليها ان الله يحب الذين يقاتلون
فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ثم بعث ابو السرايا جيوشه الى البصرة وواسط
والمداين فهزموا من فيها ودخلوها قهرا وقويت شوكتهم فاهم لذلك الحسن بن سهل وكتب
الى هرثمة من خراسان يستدعيه لحرب ابى السرايا فتمنع عليه ثم قدم فخرج الى ابى السرايا
فهزم ابا السرايا غير مرة وطرده حتى رده الى الكوفة وعدت الطالبيون على دور بنى العباس
بالكوفة فنهبوها وخربوا ضياعهم وفعلوا افعالا قبيحة وبعث ابو السرايا الى اهل المدينة
فاستجابوا له وبعث الى اهل مكة حسين بن حسن الافطس بن على بن على بن الحسين بن على بن ابى
طالب فتهيب ان يدخلها جهرة ولما سمع نايب مكة وهو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على جهرة
بن على بن عبد الله بن عباس بقدومه هرب من مكة طالبا ارض العراق وبقى الناس بلا امام فسيل
موذنها احمد بن محمد بن الوليد الازرقى ان يصلى بهم فابى فقيل لقاضيها محمد بن عبد الرحمن
المخزومى فامتنع وقال لمن ادعوا وقد هرب نايب البلاد فقدم الناس رجلا من عرضهم
فصلى بهم الظهر والعصر وبلغ الخبر الى حسين بن حسن الافطس فدخل مكة فى عشرة رهط
قبل الغروب فطاف بالبيت ثم وقف بعرفة ليلا وصلى بالناس الفجر بالمزدلفة ودفع بهم
واتم بقية المناسك فى ايام منى بالناس ودفع الناس من عرفة بغير امام وممن توفى فيها
من الاعيان اسحاق بن سليمان وابن عيينة وابو سابور وعمرو العنبرى وابو مطيع البلخى
ويونس بن بكير

سنة مائتين من الهجرة النبوية

فى اول يوم من هذه السنة جلس حسين بن حسن الافطس على طنفسة مثلثة خلف المقام وامر

بتجريد

بتجريد الكعبة مما عليها من كساوى بنى العباس وقال نطهرها من كساويهم وكساها ملاءتين
صفراوين عليهما اسم ابى السرايا ثم اخذ ما فى خزانة الكعبة من الاموال فتتبع ودائع
بنى العباس فاخذها وما خفى انه لهم اخذ مال الذى المال له ويلزمه باقراره للمسودة فياخذه
وهرب منه الناس فى شعب الجبال وحكوا ما على رؤوس الاساطين من الذهب فكان يترك
من الاساطين مقدار بعد جهد جهيد وقلعوا ما فى المسجد الحرام من الشبابيك وباعوها
بالاثمان البخسة واساوا السيرة غاية فلما بلغهم مقتل ابى السرايا كتموا ذلك وارتجلا
من الطالبيين شيخا كبيرا واستمر على سوء السيرة وفى سادس المحرم منها قهر هرثمة بن
اعين ابا السرايا وهزم جيشه واخرجه ومن معه من الطالبيين من الكوفة ودخلها هرثمة
ومنصور بن المهدى فامنوا اهلها ولم يعرضوا لهم وسار ابو السرايا بمن معه الى القادسية
ثم سار منها فاعترضهم بعض جيوش المامون فهزموهم ايضا وجرح ابو السرايا جراحة منكرة
جدا وهربوا يريدون الجزيرة الى منزل ابى السرايا براس العين فاعترضهم ايضا بعض الجيوش
فاسرهم واتوا بهم الحسن بن سهل وهو بالنهروان حين طرده الحربية فامر بضرب عنق ابى
السرايا فجزع من ذلك جزعا شديدا جدا وطيف براسه وامر بجسده ان يقطع باثنين وينصب
على جسر بغداد فكان بين خروجه وقتله عشرة اشهر وبعث الحسن بن سهل محمد بن محمد
المتامر بمكة الى المامون بخراسان الى مرو مع راس ابى السرايا وقد قال بعض الشعراء

الم تر ضربة الحسن بن سهل • بسيفك يا امير المومنينا
وزادت مرو راس ابى السرايا • وابقت عبرة للعابرينا

وكان الذى فى يده البصرة من الطالبيين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن
على ويقال له زيد النار لكثرة ما حرق من البيوت والمسودة فاسره على بن ابى سعيد
وارسله وبعث به ومن معه من القواد الى اليمن لقتال من بها من الطالبيين الذين قد
خرجوا بها وفيها خرج باليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ويقال
له الجزار لكثرة من قتل من اهل اليمن واخذ من اموالهم وقد كان مقيما بمكة فلما بلغه خبر ابى
السرايا وظهوره بارض الكوفة طمع فسار الى اهل اليمن فلما بلغ نايبها قدومه نزل له اليمن
وسار الى خراسان الى امير المومنين واجتاز بمكة فاخذ ما بها واستحوذ ابراهيم بن موسى
على بلاد اليمن وجرت حروب كثيرة وخطوب كثيرة يطول ذكرها ورجع محمد بن جعفر [illegible]
الذى ادعى الخلافة بمكة عما كان يزعمه وقال كنت اظن ان المامون قد مات فلما سمع ذلك
الناس وقد تحققت حياته وانا استغفر الله واتوب اليه مما كنت ادعيته من هذا وقد رجعت
الى بيعته وانما انا رجل من عرض المسلمين وهزم ابو السرايا واصحابه ومحمد بن محمد الذى قام
بالكوفة وادعى الخلافة وتفرق اصحابهما على يدى هرثمة بن اعين فنوى بعض الناس الى
المامون ان هرثمة لو شاء لما ظهر ابو السرايا واصحابه فاستدعى به الى مرو فامر به فضرب
بين يديه ووطى بطنه ثم رفع الى الحبس ثم قتل بعد ذلك بايام وانطوى خبره بالكلية
ولما وصل خبره الى بغداد سعت العامة والحربية بالحسن بن سهل نايب العراق وعزلوه
وقالوا لا نرضى به ولا بعماله ببلادنا واقاموا اسحاق بن موسى بن المهدى نايبا للمامون وقالوا
لا نرضى الا بهذا فاجتمع اهل الجانبين على ذلك والتف على الحسن بن سهل جماعة من القواد
والجند ودس اليهم وانتقى العامة على ذلك من القواد ووقعت الحرب بينهم ثلاثة ايام

في شعبان من هذه السنة ثم اتفق الحال على ان يعطيهم شيا من ارزاقهم ينفقونها في شهر رمضان فما زال يعطيهم الى شهر ذي القعدة حتى يدرك الزرع فخرج في ذي القعدة زيد بن موسى بن جعفر الذي يقال له زيد النار وقد كان خرج قبل هذه المرة بناحية الانبار ومعه اخو ابي السرايا وقد كان خرج قبل ذلك في البصرة فبعث اليه علي بن هشام نائب بغداد عن الحسن بن سهل والحسن بالمداين اذ ذاك من بغداد فاخذ واتي به الى علي بن هشام نائب بغداد واطفا الله ناره وبعث المامون في هذه السنة يطلب جماعة من العباسيين واحصوا كم العباسيون فبلغوا ثلاثة وثلاثين الفا ما بين ذكر وانثى وفي هذه السنة قتلت الروم ملكهم ليون وقد ملكهم سبع سنين وملكوا عليهم ميخائيل ثانية وفيها قتل المامون يحيى بن عامر بن اسماعيل وذلك لانه قال للمامون يا امير الكافرين فقتل صبرا بين يديه وفيها حج بالناس ابو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد وفيها توفي من الاعيان اسباط بن محمد وابو حمزة انس بن عياض وسلم بن قتيبة وعمرو بن عبد الواحد وابن ابي فديك ونصر بن اسماعيل ومحمد بن حمير ومعاذ بن هشام

ثم دخلت سنة احدى ومائتين

فيها راود اهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك فراودوه على ان يكون نايبا للمامون يدعو له في الخطبة فاجابهم الى ذلك وذلك بعد اخراج اهل بغداد علي بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين اظهرهم فجرت حروب كثيرة بسبب ذلك وفي هذه عم البلاء بالعيارين والشطار والفساق ببغداد وما حولها من القرى فكانوا ياتون الرجل فيسالونه مالا يقرضهم او يصلهم به فيمتنع عليهم فياخذون جميع ما في منزله وربما تعرضوا للغلمان والنسوان ويأتون اهل القرية فيستاقون من الانعام ويأخذون ما شاؤوا واسرا لهم من النسوان وانتهبوا اهل قطربل ولم يدعوا لهم شيا اصلا فانتدب رجل يقال له خالد الدريوش واخر يقال له سهل بن سلامة ابو حاتم الانصاري من اهل خراسان والتف عليهما جماعة من العامة فزجروا اشرارهم وقاتلوهم وقووا عليهم ومنعوهم من العيث في الارض فسادا واستقرت الامور كما كانت وذلك في شعبان ورمضان ولله الحمد والمنة وفي هذه السنة في شوال منها رجع الحسن بن سهل الى بغداد وصالح الجند وانفصل منصور بن المهدي ومن التف معه من الامر وفي هذه السنة بايع المامون لعلي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين الشهيد بن علي بن ابي طالب ان يكون ولي العهد من بعده وسماه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وطرح لبس السواد ولبس الخضرة والزم جنده بذلك وكتب به الى الافاق والاقاليم وكان مبايعته له يوم الثلثا لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة احدى ومايتين وذلك ان المامون راى ان عليا الرضى خير اهل البيت وليس في بني العباس مثله في علمه ودينه فجعله ولي عهده من بعده

ذكر بيعة اهل بغداد لابراهيم بن المهدي

لما جا الخبر الى بغداد ان المامون بايع لعلي بن موسى بولاية العهد من بعده اختلفوا فيما بينهم فمن مجيب ومن مانع وجمهور العباسيين على الامتناع وكان القايم في ذلك ابراهيم ومنصور ابنا المهدي فلما كان يوم الثلثا لخمس بقين من ذي الحجة اظهر العباسيون

البيعة

البيعة لابراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك وكان اسود اللون ومن بعده لابن اخيه اسحاق بن موسى بن المهدي وخلعوا المامون فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة ارادوا ان يدعوا للمامون ثم من بعده لابراهيم فقالت العامة لا نرضى الا بابراهيم فقط واختلف الناس واضطربوا فيما بينهم ولم يصلوا الجمعة وصلى الناس فرادى اربع ركعات وفي هذه السنة افتتح نائب طبرستان جبالها وبلادها البلاذر والشيز فذكر ابن جرير ان سلما الخاسر قال في ذلك شعرا وقد ذكر ابن الجوزي ان سلما توفي قبل ذلك بسنين فالله اعلم وفي هذه السنة اصاب اهل خراسان والري واصبهان مجاعة شديدة وغلا الطعام جدا وفي هذه السنة تحرك بابك الخرمي واتبعه طوايف من السفلة والجهلة وكان يقول بالتناسخ فقبحه الله ولعنه وسيأتي ما آل امره اليه وفيها حج بالناس اسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وفيها توفي من الاعيان ابو اسامة حماد بن اسامة وحماد بن مسعدة وحرمي بن عمارة وعلي بن عاصم ومحمد بن محمد صاحب ابي السرايا الذي كان قد بايعه اهل الكوفة بعد ابن طباطبا

ثم دخلت سنة اثنتين ومايتين

في اول يوم منها بويع لابراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المامون فلما كان يوم الجمعة خامس المحرم صعد ابراهيم بن المهدي الجمعة المنبر فبايعه الناس ولقب بالمبارك وغلب على الكوفة وارض السواد وطلب منه الجند ارزاقهم فماطلهم ثم اعطاهم مايتي درهم لكل واحد وكتب لهم بتعويض من ارض السواد فخرجوا لا يمرون بشي الا انتهبوه واخذوا حاصل الفلاح والسلطان واستناب ابراهيم على الجانب الشرقي العباس بن موسى الهادي وعلى الغربي اسحاق بن موسى الهادي وخرج خارجي يقال له المهدي بن علوان فبعث اليهم ابراهيم جيشا عليهم ابو اسحاق المعتصم بن الرشيد في جماعة من القواد فكسروه وركبوه ولله الحمد وفي هذه السنة خرج ابو السرايا بالكوفة فبيض فارسل اليه ابراهيم بن المهدي من قاتله فقتل اخو ابي السرايا وارسلوا براسه الى ابراهيم ولما كان ليلة اربع عشرة من ربيع الاخر من هذه السنة ظهرت في السما حمرة ثم ذهبت وبقي بعدها عمودان احمران في السما الى اخر الليل وجرت بالكوفة حروب بين اصحاب ابراهيم واصحاب المامون واقتتلوا قتالا شديدا وعلى اصحاب ابراهيم السواد وعلى اصحاب المامون الخضرة واستمر القتال بينهم الى اواخر رجب وفي هذه السنة ظفر ابراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوع فسجنه وذلك لانه التف عليه جماعة من الناس يقومون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن قد جاوزوا الحد وانكروا على السلطان ودعوا الى القيام بالكتاب والسنة وصار باب داره كانه باب دار سلطان عليه السلاح والرجال وغير ذلك من ابهة الملك فقاتله الجند فكسروا اصحابه فالقى السلاح وصار بين النساء والنظارة واختفى في بعض الدروب فاخذ وجي به الى ابراهيم فسجنه سنة كاملة وفي هذه السنة اقبل المامون من خراسان قاصدا العراق وذلك ان علي بن موسى بن جعفر العلوي اخبر المامون بما الناس فيه من الفتن والاختلاف بارض العراق وان الهاشميين ينقمون على المامون بانه مسحور ومسجون ويقولون عليك يعيبك لمن بعدك وان الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين ابراهيم بن المهدي فاستدعى المامون بجماعة من امرائه وقرابته فسالهم عما اخبره به علي الرضى فصدقوه الا بعد اخذهم الامان منه

وقالوا له ان الفضل بن سهل حسن لك قتل هرثمة وقد كان ناصحا لك فعاجله فقتله وان
طاهر بن الحسين مهد لك الامور حتى قاد لك الخلافة بزمامها فطرح الى الرقة وتحدد
لا عمل له ولا تستنهضه في امر وان الارض قد تفتقت من اقطارها وكثرت الفتن وانتشرت
الشرور بين الناس فلما تحقق ذلك المامون اراد الرحيل الى بغداد وقد فطن الفضل
بن سهل بما قالوا عليه اغاني علي ماوليك الناصحون للمامون فضرب قوما ونتف
لحى بعضهم وسار المامون فلما كان بسرخس عدا قوم على الفضل بن سهل وزير المامون وهو
في الحمام بالسيوف فقتلوه وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان وله ستون
سنة فبعث المامون في اثارهم فجيء بهم وهم اربعة من المماليك فقتلهم وكتب الى اخيه الحسن
بن سهل يعزيه فيه وولاه مكانه الوزارة وارتحل المامون من سرخس يوم عيد الفطر نحو
العراق وابراهيم بن المهدي بالمداين وفي مقابلته جيش يقاتلونه من جهة المامون وفي
هذه السنة تزوج بوران بنت الحسن وزوج علي بن موسى الرضى بابنته ام حبيب وزوج ابنه
محمد بن علي بن موسى بن جعفر بابنته الاخرى ام الفضل وحج بالناس في هذه السنة ابراهيم
بن موسى بن جعفر اخو علي الرضى ودعا لاخيه بعد المامون ثم انصرف بعد من الحج الى اليمن وقد كان
يتغلب عليها حمدويه بن علي بن موسى بن ماهان وفيها توفي من الاعيان ايوب بن سويد وحمزة
وعمر بن حبيب والفضل بن سهل الوزير وابو يحيى الحماني

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

فيها وصل المامون في سيره من خراسان الى العراق الى طوس فاقام عند قبر ابيه اياما من شهر
صفر فلما كان في اواخر الشهر اكل علي بن موسى الرضى عنبا فمات فجاة فصلى عليه المامون ودفنه الى
جانب ابيه الرشيد واسف عليه اسفا كثيرا فيما ظهر والله اعلم وكتب الى الحسن بن سهل يعزيه
في علي الرضا ويخبره بما حصل له من الحزن عليه وكتب الى بني العباس ببغداد يقول لهم انكم
انما نقمتم علي بسبب توليتي العهد من بعدي لعلي الرضا وها هو قد مات فارجعوا الى
السمع والطاعة فاجابوه باغلظ جواب كتب به الى احد وفي هذه السنة غلبت السوداء على
الحسن بن سهل حتى قيد في الحديد واودع في بيت فكتب الامراء بذلك الى المامون فكتب اليهم
واصل على اثر كتابي ثم جرت حروب كثيرة بين ابراهيم واهل بغداد وتنكر له العامة وابغضوه
وظهرت الفتن والشطار والفساق ببغداد وتفاقم الحال وصلوا يوم الجمعة ظهرا
اتم المؤذن من غير خطبة باربع ركعات واشتد الامر واختلف الناس فيما بينهم في ابراهيم
والمامون ثم غلبت المامونية عليهم

ذكر خلع اهل بغداد ابراهيم ودعائهم المامون

لما كان يوم الجمعة المقبلة دعا الناس للمامون وخلعوا ابراهيم واقبل حميد بن عبد الحميد
في جيش من جهة المامون فحاصر بغداد واحتاج جنده الى العطاء فطالبوه على السمع والطاعة
للمامون وقد قاتل عيسى بن محمد بن ابي خالد في جماعة من جهة ابراهيم بن المهدي ثم احتال
عيسى حتى صار في ايدي المامونية اسيرا ثم آل الحال الى ان اختفى ابراهيم بن المهدي من الناس
في اخر هذه السنة وكانت ايامه سنة واحد عشر شهرا واثني عشر يوما وقد وصل في هذا
الوقت المامون الى همذان وجيوشه قد استعادوا بغداد الى الطاعة وحج بالناس في هذه
السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي

وممن توفي فيها من الاعيان

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي العلوي
الملقب بالرضا كان المامون قد هم ان ينزل له عن الخلافة فابى عليه ذلك فجعله ولي العهد
من بعده كما قدمنا ذلك فتوفي في صفر من هذه السنة بطوس وقد روى الحديث عن ابيه
وغيره وعنه جماعة منهم المامون وابو الصلت الهروي وابو عثمان المازني النحوي قال
سمعته يقول الله اعدل من ان يكلف العباد ما لا يطيقون وهم اعجز من ان يفعلوا ما يريد
ومن شعره

كلنا يامل مدا في الاجل • والمنايا هي افات الامل
لا تغرنك اباطيل المنى • والزم القصد ودع عنك العلل
انما الدنيا كظل زائل • حل فيه راكب ثم ارتحل

ثم دخلت سنة اربع ومائتين

فيها كان قدوم المامون ارض العراق وذلك انه مر بجرجان فاقام بها شهرا ثم سار منها
نزل في المنزلة يوما ويومين ثم جاء الى النهروان فاقام بها ثمانية ايام وقد كان كتب
الى طاهر بن الحسين وهو بالرقة ان يوافيه الى النهروان فوافاه بها وتلقاه اليها رؤس
اهل بيته والقواد وجمهور الجيش فلما كان يوم السبت الاخر دخل بغداد ارتفاع النهار
لاربع عشرة ليلة بقيت من صفر في ابهة عظيمة وجيش عظيم وعليه وعلى جميع اصحابه
وقبابهم وجميع لباسهم الخضرة فلبس اهل بغداد وبنو هاشم اجمعون الخضرة ونزل المامون
بالرصافة ثم تحول الى قصره على دجلة وجعل الامراء ووجوه الدولة يترددون الى داره
على العادة وقد تحول لباس البغاددة الى الخضرة وجعلوا يحرقون كل ما يجدونه
من السواد فمكث بذلك ثمانية ايام ثم استعرض حوائج طاهر بن الحسين فكان اول
حاجة سالها ان يرجع الى لباس السواد فانه لباس ابائه من دولة ورثة الانبياء فلما كان
السبت الاخر وهو الثالث والعشرون من صفر جلس المامون للناس وعليه الخضرة ثم
امر بخلعة سوداء فالبسها طاهر بن الحسين ثم البس بعده جماعة من الامراء السواد
فلبس الناس السواد وعادوا الى ذلك بعد ما علم منهم الطاعة والموافقة وقد قيل
ان المامون مكث يلبس الخضرة بعد قدومه بغداد سبعا وعشرين يوما فالله اعلم
ولما جاء اليه عمه ابراهيم بن المهدي بعد اختفائه ست سنين وشهورا قال له انت
الخليفة الاسود فاخذ في الاعتذار والاستغفار وقال له انا الذي مننت عليه بالعفو
فانشد المامون عند ذلك

ليس يزري السواد بالرجل الشهم • ولا بالفتى الاديب الاريب
ان يكن للسواد منك نصيب • فبياض الاخلاق منك نصيبي

قال القاضي ابن خلكان وقد نظم هذا المعنى بعض المتاخرين وهو نصر الله بن قلاقس
الاسكندري فقال

رب سوداء وهي بيضاء فعل • حسد المسك عندها الكافور
مثل حب العيون يحسبه • الناس سوادا وانما هو نور

وكان المأمون قد شاور في قتل عمه المخلوع ابراهيم بن المهدي فقال له احمد بن خالد الوزير الاحول يا امير المؤمنين ان تقتله فلك نظراء وان عفوت عنه فما لك نظير ثم شرع المأمون في بناء قصور على دجلة الجانب قصره بها وسكنت الفتن وانزاحت الشرور وامر بمقاسمة اهل سواد العراق على الخمسين وكانوا يقاسمون على النصف واتخذ القفيز الملجم وهو عشرة مكاكي وصهو بالمكوك الاهوازي ووضع شيئا كثيرا من خراجات بلاد شتى ورفق بالناس في مواضع كثيرة وولى اخاه ابا عيسى بن الرشيد الكوفة وولى اخاه صالحا البصرة وولى عبيد الله بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب نيابة الحرمين وهو الذي حج بالناس في هذه السنة وفيها واقع يحيى بن معاذ بابك الخرمي فلم يظفر به

وفيها توفي جماعة من الاعيان

منهم ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي وقد افردنا له ترجمة مطولة في اول كتابنا طبقات الشافعيين ولنذكر هاهنا ملخصا من ذلك وبالله المستعان هو الامام العالم ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي والسائب بن يزيد اسلم يوم بدر وابنه شافع بن السائب من صغار الصحابة وامه ازدية وقد رأت حين حملت بالشافعي كان المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية وقد ولد الشافعي بغزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن سنة خمسين ومائة ومات ابوه وهو صغير فحملته امه الى مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبه فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ وهو ابن عشر وافتى وهو ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن ثماني عشرة سنة اذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي وعني باللغة والشعر واقام في هذيل نحوا من عشر وقيل عشرين سنة فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها وسمع الحديث الكثير على جماعة من الائمة والمشايخ وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فاعجبته قراءته وهمته واخذ عنه علم الحجاز بعد ما اخذه عن مسلم بن خالد الزنجي وروى عنه خلق كثير قد سردنا اسماءهم مرتبين على حروف المعجم وقرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين عن شبل عن ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل واخذ الشافعي الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما عن جماعة من الصحابة منهم عمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفقه ايضا على مالك عن مشايخه وتفقه به جماعة قد ذكرناهم ومن بعدهم الى زماننا في مصنف مفرد ولله الحمد والمنة وقد روى ابن ابي حاتم عن ابي بشر الدولابي عن محمد بن ادريس وراق الحميدي عن الحميدي عن الشافعي انه ولي الحكم بنجران من ارض اليمن ثم تعصبوا عليه ووشوا به الى الرشيد انه يروم الخلافة فحمل على بغل في قيد الى بغداد فدخلها في سنة اربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة فاجتمع بالرشيد فتناظر هو ومحمد بن الحسن بين يديه واحسن القول فيه محمد بن الحسن وتبين للرشيد براءته مما نسب اليه وانزله محمد بن الحسين عنده وكان ابو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة وقيل بسنتين

واكرمه محمد بن الحسن وكتب عنه الشافعي وقر بعير ثم اطلق له الرشيد الف دينار وقيل خمسة الاف دينار وعاد الشافعي الى مكة ففرق عامة ما حصل له في اهله وذوي رحمه من بني عمه ثم عاد الشافعي الى بغداد في سنة خمس وتسعين ومائة فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم احمد بن حنبل وابو ثور والحسين بن علي الكرابيسي والحرث بن سريج البقال وابو عبد الرحمن الشافعي والزعفراني وغيرهم ثم رجع الى مكة ثم رجع الى بغداد ايضا سنة ثمان وتسعين ومائة ثم انتقل منها الى مصر فاقام بها الى ان مات في سنة اربع ومائتين كما سيأتي وصنف بها كتابه الام وهي من كتبه الجديدة لانها من رواية الربيع وهو مصري وقد زعم امام الحرمين وغيره انها من القديم وهذا بعيد وعجيب من مثله والله اعلم وقد اثنى على الشافعي غير واحد من كبار الائمة منهم عبد الرحمن بن مهدي وسأله ان يكتب له كتابا في الاصول فكتب له الرسالة وكان يدعو له في صلاته دائما وشيخه مالك بن انس وقتيبة بن سعيد وقال هو امام وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وكان يدعو له في صلاته وابو عبيد وقال ما رأيت افصح ولا اعقل ولا اورع من الشافعي ويحيى بن اكثم القاضي ومحمد بن الحسن وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح اقوالهم واسحاق بن راهويه وكان احمد بن حنبل يدعو الله في صلاته نحوا من اربعين سنة وكان احمد يقول في الحديث الذي رواه ابو داود من طريق عبد الله بن وهب عن سعيد بن ابي ايوب عن شراحيل بن يزيد عن ابي علقمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها قال فعمر بن عبد العزيز على رأس المائة والشافعي على رأس المائتين وقال ابو داود الطيالسي ثنا جعفر بن سليمان عن النضر بن حميد الكندي او العبدي عن الجارود عن ابي الاحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما اللهم انك اذقت اولها عذابا او وبالا فاذق اخرها نوالا وهذا غريب من هذا الوجه وقد رواه الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه قال ابو نعيم عبد الملك بن محمد الاسفراييني لا ينطبق هذا الا على محمد بن ادريس الشافعي حكاه الخطيب وقال يحيى بن معين صدوق لا بأس به وقال مرة لو كان الكذب له مطلقا لكانت مروءته تمنعه من ان يكذب وقال ابن ابي حاتم سمعت ابي يقول الشافعي فقيه البدن صدوق وحكى بعضهم عن ابي زرعة انه قال ما عند الشافعي حديث غلط فيه وحكي عن ابي داود نحو هذا وقال امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة وقد سئل هل سنة لم تبلغ الشافعي فقال لا ومعنى هذا انها تبلغه تارة بسندها وتارة مرسلة وتارة منقطعة كما هو الموجود في كتبه والله اعلم وقال حرملة سمعت الشافعي يقول سميت ببغداد ناصر السنة وقال ابو ثور ما رأينا مثل الشافعي ولا رأى هو مثل نفسه وكذا قال الزعفراني وغير واحد وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه في فضائل الشافعي للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره من شرف نسبه وصحة دينه ومعتقده وسخاوة نفسه ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه وحفظه الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء وحسن التصنيف وجودة الاصحاب والتلامذة مثل احمد بن حنبل في زهده وورعه واقامته على السنة ثم سرد اعيان اصحابه من البغاددة والمصريين وكذا

عد ابو داود من جملة تلامذته في الفقه احمد بن حنبل وقد كان الشافعي رح من اعلم الناس بمعاني القران والسنة واشد الناس نزعا للدلائل منهما ومن احسن الناس قصدا واخلاصا كان يقول وددت ان الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب الي منه شي ابدا فاوجر عليه ولا يحمدوني وقد قال لغير واحد انه اذا صح عندكم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا به ودعوا قولي فاني اقول به وان لم تسمعوه مني وفي رواية فلا تقلدوني وفي رواية فلا تلتفتوا الى قولي وقال لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من ان يلقاه بشي من الاهواء وفي رواية خير له من ان يلقاه بعلم الكلام وقال لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه كما تفر من الاسد وقال ايضا في حكمي في اهل الكلام ان يطاف بهم في القبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل على الكلام وقال البويطي سمعت الشافعي يقول عليكم باصحاب الحديث فانهم اكثر الناس صوابا وكان يقول اذا رايت رجلا من اصحاب الحديث فكاني رايت رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جزاهم الله خيرا حفظوا لنا الاصل فلهم علينا الفضل ومن شعره في هذا المعنى قوله

• كل العلوم سوى القران مشغلة • الا الحديث والا الفقه في الدين •
• العلم ما كان فيه قال حدثنا • وما سوى ذاك وسواس الشياطين •

وكان يقول القران كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر وقد روى عنه الربيع وغير واحد من رؤس اصحابه ما يدل على انه كان يمر ايات الصفات واحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف على طريقة السلف وقال ابن خزيمة انشدني المزني قال انشدنا الشافعي لنفسه

• ما شئت كان وان لم اشا • وما شئت ان لم تشا لم يكن •
• خلقت العباد على ما علمت • ففي العلم يجري الفتى والمسن •
• فمنهم شقي ومنهم سعيد • ومنهم قبيح ومنهم حسن •
• على ذا مننت وهذا خذلت • وهذا اعنت وذا لم تعن •

وقال الربيع سمعت الشافعي يقول افضل الناس بعد رسول الله ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وعن الربيع قال انشدنا الشافعي

• قد تفرق الناس حتى احدثوا بدعا • في الدين بالراي لم تبعث بها الرسل •
• حتى استخف بحق الله اكثرهم • وفي الذي حملوا من حقه شغل •

وقد ذكرنا من شعره في السنة وكلامه فيها وفي الحكم والمواعظ طرفا صالحا في الذي كتبناه في اول طبقات الشافعية وقد كانت وفاته بمصر في يوم الخميس وقيل يوم الجمعة في اخر يوم من رجب سنة اربع ومائتين عن اربع وخمسين سنة وكان ابيض جميلا طويلا مهيبا يخضب بالحناء مخالفة للشيعة رح واكرم مثواه وجعل الجنة ماواه • وممن توفي فيها ايضا من الاعيان اسحاق بن الفرات واشهب بن عبد العزيز المصري المالكي والحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي الحنفي وابو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند احد الحفاظ وابو بدر شجاع بن الوليد وابو بكر الحنفي عبد الكبير وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف والنضر بن شميل احد ائمة اللغة وهشام بن محمد السائب الكلبي احد علماء التاريخ

ثم دخلت سنة خمس ومائتين

فيها

فيها ولى المامون طاهر بن الحسين بن مصعب نيابة بغداد والعراق وخراسان الى اقصى عمل المشرق ورضي عنه ورفع منزلته جدا وذلك لمرض الحسن بن سهل بالسوداء وولى المامون مكان طاهر على الرقة والجزيرة يحيى بن معاذ وقدم عبد الله بن طاهر بن الحسين الى بغداد في هذه السنة وكان ابوه قد استخلفه على الرقة وامره بمقاتلة نصر بن شبث وولى المامون عيسى بن محمد بن ابي خالد اذربيجان وارمينية وامره بمحاربة بابك الخرمي وولى عيسى بن يزيد الجلودي مقاتلة الزط ومات نائب مصر السري بن الحكم بها ونائب السند داود بن يزيد فولى مكانه بشر بن داود على ان يحمل اليه في كل سنة الف الف درهم وحج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين الشريفين وتوفي فيها من الاعيان اسحاق بن منصور السلولي وبشر بن بكر الدمشقي وابو عامر العقدي ومحمد بن عبيد الطنافسي ويعقوب بن الحضرمي وابو سليمان الداراني عبد الرحمن بن احمد بن عطية وقيل عبد الرحمن بن عسكر ابو سليمان الداراني احد ائمة العلماء العاملين اصله من واسط وسكن قرية غربي دمشق يقال لها داريا وقد سمع الحديث من سفيان الثوري وغيره وروى عنه احمد بن ابي الحواري وجماعة واسند الحافظ ابن عساكر من طريقه قال سمعت علي بن الحسين بن ابي الربيع الزاهد يقول سمعت ابراهيم بن ادهم يقول سمعت ابن عجلان يذكر عن القعقاع بن حكيم عن ابي صالح عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى قبل الظهر اربعا غفرت ذنوبه يومه ذلك وقال ابو القسم القشيري حكي عن ابي سليمان الداراني قال اختلفت الى مجلس قاص فاثر كلامه في قلبي فلما قمت لم يبق في قلبي شي فعدت ثانية فاثر كلامه في قلبي بعد ما قمت وفي الطريق ثم عدت ثالثة فبقي اثر كلامه في قلبي حتى جئت الى منزلي فكسرت الات المخالفات ولزمت الطريق فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا يعني بالعصفور القاص وبالكركي ابا سليمان الداراني وقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول ليس لمن الهم شيا من الخير ان يعمل به حتى يسمعه من الاثر فاذا سمعه من الاثر عمل به وحمد الله حين وافق ما في قلبه وقال الجنيد قال ابو سليمان الداراني ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم اياما فلا اقبل منه شيا الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة قال وقال ابو سليمان افضل الاعمال خلاف هوى النفس وقال لكل شي علم وعلم الخذلان ترك البكا وقال لكل شي صدى وصدى نور القلب شبع البطن وقال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم وقال كنت ليلة في المحراب ادعو ويداي ممدودتان فغلبني البرد فضممت احداهما وبقيت الاخرى مبسوطة ادعو بها وغلبتني عيني فنمت فهتف بي هاتف يا ابا سليمان قد وضعنا في هذه ما اصابها ولو كانت الاخرى لوضعنا فيها قال فاليت على نفسي ان لا ادعو الا ويداي ممدودتان خارجتان حرا كان او بردا وقال ابو سليمان نمت ليلة عن وردي فاذا انا بحوراء تقول لي تنام وانا اربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام وقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول ان في الجنة انهارا على شاطئها خيام فيهن الحور ينشي الله خلق احداهن انشاء فاذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيام جالسة على كرسي ميل في ميل قد خرج عجيزتها من جوانب الكرسي فيجي اهل الجنة من قصورهم يتنزهون ما شاؤا ثم يخلو كل رجل منهم بواحدة منهن قال ابو سليمان كيف يكون في الدنيا حال من يفتض

الابكار على شاطئ الانهار في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول ربما
مكثت خمس ليال لا اقرا بعد الفاتحة الا اية واحدة اتفكر في معانيها ولربما جاءت الاية
من القران فيطير العقل فسبحان من رده بعد وسمعته يقول اصل كل خير في الدنيا والاخرة
الخوف من الله عز وجل ومفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الاخرة الجوع وقال لي يوما
يا احمد جوع قليل وذل قليل وعري قليل وفقر قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك ايام
الدنيا قال واشتهى مرة رغيفا حارا بملح قال فجئته به فعض منه عضة ثم طرحه واقبل
يبكي ويقول يا رب عجلت لي شهوتي لقد اطلت جهدي وشقوتي وانا تائب فاقبل توبتي
فلم يذق الملح حتى لحق بالله عز وجل قال وسمعته يقول ما رضيت عن نفسي طرفة عين
ولو ان اهل الارض اجتمعوا على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما احسنوا وسمعته يقول
من راى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة وسمعته يقول اذا تكلف المتعبدون ان لا يتكلموا
الا باعراب ذهب الخشوع من قلوبهم وسمعته يقول من حسن ظنه بالله ثم لا يخاف فهو
مخدوع وقال ينبغي للخوف ان يكون اغلب من الرجا فاذا غلب الرجا على الخوف فسد القلب
وقال لي يوما هل فوق الصبر منزلة فقلت نعم يعني الرضا فصرخ صرخة غشي عليه ثم
افاق فقال اذا كان الصابرون يوفون اجرهم بغير حساب فما ظنك بالاخرى وهم الذين
رضي عنهم وقال بعضهم سمعت ابا سليمان يقول ما يسرني ان لي الدنيا من اولها الى اخرها
انفقه في وجوه البر واني اغفل عن الله طرفة عين وقال ابو سليمان قال لي زاهد الزاهد
اوصني فقال لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك فقال لي زدني فقال
ما عندي زيادة وقال ايضا من احسن في نهاره كوفي في ليله ومن احسن في ليله كوفي في نهاره
ومن صدق في ترك شهوة ذهب بها من قلبه والله اكرم من ان يعذب قلبا بشهوة تركت
له وقال اذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الاخرة وقال اذا كانت الاخرة
في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الاخرة لان
الاخرة كريمة والدنيا لئيمة وقال احمد بن ابي الحواري بت ليلة عند ابي سليمان فسمعته
يقول وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لاطالبنك بعفوك ولئن طالبتني
بلومي لاطالبنك بسخائك ولئن امرت بي الى النار لاخبرنهم اني كنت احبك وكان ابو سليمان
يقول لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي وكان يقول ما خلق الله خلقا
اهون علي من ابليس ولولا ان الله امرني ان اتعوذ منه ما تعوذت منه ابدا ولو بدا لي ما لطمت
الا صفحة وجهه وكان يقول ان اللص لا يجيء الى خربة ينقب حيطانها ويمكنه الدخول
اليها من اي مكان شاء وانما يجيء الى بيت معمور كذلك ابليس لا يجيء الا الى كل قلب عامر ليستنزله
عن شيء وكان يقول اذا اخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسواس والرياء والرؤيا قال
ومكثت عشرين سنة لم احتلم فدخلت مكة ففاتتني صلاة العشاء في جماعة فاحتلمت
تلك الليلة وقال ان من خلق الله قوما لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف
يشتغلون بالدنيا وقال الدنيا اقل عند الله من جناح بعوضة فما الزهد فيها انما
الزهد في الجنان والحور العين حتى لا يرى الله في قلبك غيره وقال الجنيد شيء يروى
عن ابي سليمان انا استحسنه كثيرا قوله من اشتغل بنفسه شغل عن الناس ومن اشتغل
بربه شغل عن نفسه وعن الناس وقال غيره كان ابو سليمان يقول خير السخاء ما وافق

الحاجة وقال ابو سليمان من طلب الدنيا حلالا واستعفافا عن المسالة واستغناء عن
الناس لقي الله يوم يلقاه ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا
مرائيا لقي الله وهو عليه غضبان وقال ابو سليمان ان قوما طلبوا الغنى فحسبوا انه في جمع
المال الا انما الغنى في القناعة وطلبوا الراحة في الكثرة وانما الراحة في القلة وطلبوا
الكرامة من الخلق الا وانما هي في التقوى وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق واللين وفي
طعام طيب والنعمة في الاسلام والستر والعافية وكان يقول لولا قيام الليل ما احببت
البقاء في الدنيا وما احب البقاء لتشقيق الانهار ولا لغرس الاشجار وقال اهل الطاعة في
ليلهم الذ من اهل اللهو بلهوهم وربما استقبلني الفرح في جوف الليل ولربما رايت القلب
يضحك ضحكا وقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول بينا انا ساجد اذ ذهب
بي النوم فاذا انا بها يعني الحوراء قد ركضتني برجلها فقالت حبيبي اترقد عيناك
والملك يقظان ينظر الى المتهجدين في تهجدهم بؤسا لعين اثرت لذة نومة على لذة
مناجاة العزيز قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضا فما هذا الرقاد حبيبي
وقرة عيني اترقد عيناك وانا اربى لك في الخدور منذ كذا وكذا فوثبت فزعا وقد
عرقت استحياء من توبيخها اياي وان حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي وقال احمد بن ابي الحواري
دخلت على ابي سليمان يوما فاذا هو يبكي فقلت ما لك فقال لي زجرت البارحة في منامي
قلت ما الذي حل قال بينا انا قد غفوت في محرابي اذ وقفت علي جارية تفوق الدنيا
حسنا وبيدها ورقة وهي تقول اتنام يا شيخ فقلت من غلبته عيناه نام فقالت كلا
ان طالب الجنة لا ينام فقالت اقرا فاخذت الورقة من يدها فاذا فيها مكتوب

لهتك لذة عن خير عيش ۔ مع الخيرات في غرف الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها ۔ وتنعم في الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك ان خيرا ۔ من النوم التهجد بالقران

وقال ابو سليمان انما يستحيي احدهم ان يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة
بخمسة دراهم وقال ايضا لا يجوز لاحد ان يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه
فاذا لم يبق في قلبه شيء من شهوات الدنيا جاز ان يظهر للناس الزهد بلبس العباء فانها من
اعلام الزهاد ولو لبس ثوبين ابيضين ليستر بهما ابصار الناس عنه كان اسلم لزهده
وكان يقول ايضا اذا رايت الصوفي يتنوق في الصوف فليس بصوفي وخيار هذه الامة
اصحاب القطن ابو بكر واصحابه وقال ابو سليمان نعم الاخ الذي يحفظك برؤيته قبل كلامه
وقد كنت انظر الى الاخ من اصحابي بالعراق فانتفع برؤيته شهرا وقال ابو سليمان قال
الله تعالى عبدي انك ما استحييت مني انسيت الناس عيوبك وانسيت بقاع الارض
عيوبك وذنوبك ومحوت زلاتك من ام الكتاب ولا اناقشك في الحساب يوم القيمة
وقال احمد بن ابي الحواري سالت ابا سليمان عن الصبر فقال والله ما نصبر على ما نحب فكيف
لا نحب فكيف فيما نكره وقال احمد وتنهدت عنده يوما فقال انك مسئول عنها يوم
القيمة فان كانت على ذنب سلف فطوبى لك وان كانت على الدنيا فويل لك وقال انما رجع
من رجع من الطريق قبل الوصول ولو وصلوا الى الله ما رجعوا وقال انما عصى الله من عصاه
من عصاه لهوانهم عليه ولو كرموا عليه لحجزهم عن معاصيه وقال الجلساء الرحمن يوم القيمة

من حصل فيهم خصال الا الكرم والحلم والعلم والرحمة والرفقة والفضل والاحسان والبر والعفو
واللطف وذكر ابو عبد الرحمن السلمي في كتاب محن المشايخ ان ابا سليمان الداراني اخرج من دمشق
وقالوا انه يزعم انه يرى الملائكة ويكلمونه فخرج الى بعض الثغور فرأى بعض اهل دمشق انه
ان لم يرجع اليكم هلكتم فخرجوا الى طلبه واستشفعوا اليه حتى ردوه وقد اختلف في وفاته
على اقوال فقيل سنة اربع ومائتين وقيل سنة خمس ومائتين وقيل سنة خمس عشرة ومائتين
وقيل سنة خمس وثلاثين ومائتين فالله اعلم وقد قال هرون الطاهري يوم مات
ابو سليمان لقد اصيب به اهل الاسلام كلهم قلت وقد دفن في قريته داريا وقبره بها مشهور
وعليه بناء وقبليه مسجد بناه الامير ناصر الدين عمر الحراني ووقف على المقيمين عنده
وقفا يدخل عليهم منه غلة وقد جدد مزاره في زماننا هذا ولم ار الحافظ بن عساكر تعرض لموضع
دفنه بالكلية وهذا عجيب منه وروى ابن عساكر عن احمد بن ابي الحواري قال كنت اشتهي ان ارى
ابا سليمان في المنام فرأيته بعد سنة فقلت له ما فعل الله بك يا معلم فقال يا احمد دخلت
يوما من باب الصغير فرأيت حمل شيح فاخذت منه عودا فما ادري تخللت به او رميته
فانا في حسابه الى الان وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحو من سنتين رحمهما الله

ثم دخلت سنة ست ومائتين

فيها ولى المأمون داود بن ماسجور بلاد البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وامره بمحاربة
الزط وفيها جاء مد كثير فغرق بلاد ارض السواد واهلك للناس شيئا كثيرا وفيها ولى المأمون
عبد الله بن طاهر بن الحسين الرقة وامره بمحاربة نصر بن شبث وذلك ان نائبها يحيى بن
معاذ مات وكان قد استخلف مكانه ابنه احمد فلم يمض ذلك المأمون واستناب عليها عبد
الله بن طاهر لشهامته ونهضته بالامور وحثه على قتال نصر بن شبث وقد كتب اليه ابوه من
خراسان بكتاب فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الكتاب والسنة وقد ذكره ابن
جرير بطوله وقد تداوله الناس بينهم واستحسنوه وتهادوه بينهم حتى بلغ امره الى المأمون
فامر فقرئ بين يديه فاستجاده جدا وامر ان يكتب به نسخ الى سائر العمال في الاقاليم وحج
بالناس في هذه السنة عبد الله بن الحسن نائب الحرمين وتوفي فيها من الاعيان اسحاق بن
بشر الكاهلي ابو حذيفة صاحب كتاب المبتدا وحجاج بن محمد الاعور وداود بن المحبر الذي
وضع كتاب العقل وشبابة بن سوار ومحاضر بن المورع وقطرب صاحب المثلث في اللغة ووهب
بن جرير ويزيد بن هرون شيخ الامام احمد

ثم دخلت سنة سبع ومائتين

فيها خرج عبد الرحمن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب ببلاد عك في اليمن يدعو
الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العمال باليمن اساؤوا السيرة الى الرعايا
فلما ظهر عبد الرحمن هذا بايعه الناس فلما بلغ امره الى المأمون بعث اليه دينار بن عبد الله في
جيش كثيف ومعه كتاب امان لعبد الرحمن ان هو سمع واطاع فحضروا الموسم ثم ساروا الى اليمن
فلما انتهوا الى عبد الرحمن بعث اليه دينار بكتاب الامان فقبله وسمع واطاع وجاء حتى وضع يده في يد
دينار فسار معه الى بغداد ولبس السواد وفيها توفي طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق بكمالها
وخراسان بكمالها وجد في فراشه ميتا بعدما صلى عشاء الاخرة والتف في الفراش فاستبطأ
اهله خروجه لصلاة الفجر فدخل عليه اخوه وعمه فوجداه ميتا فلما بلغ موته المأمون قال لليدين

وللفم وذلك انه بلغه انه خطب يوما فلم يدع له فوق المنبر ومع هذا ولى ولده عبد الله مكانه
مع ما اضافه اليه من الجزيرة والشام الى نيابته فاستخلف عبد الله على خراسان اخاه طلحة بن
طاهر سبع سنين ثم توفي طلحة فاستقل عبد الله بجميع تلك البلاد وكان نائب عبد الله
بن طاهر على بغداد اسحاق بن ابراهيم وقد كان طاهر بن الحسين هذا هو الذي انتزع بغداد
وارض العراق بكمالها من يد الامين بن الرشيد وقتله ايضا واستوسق الامر للمأمون كما ذكرنا
في سنة خمس وتسعين وقد دخل يوما طاهر هذا على المأمون فسأله حاجة فقضاها له
ثم نظر اليه المأمون واغرورقت عيناه فقال له ما يبكيك يا امير المؤمنين فلم يخبره فاعطى
طاهر حسينا الخادم مائتي الف درهم حتى استعلم له ما خبر بكائه فقال له لا تخبر به احدا انني
ذكرت مقتل اخي وما ناله من الاهانة على يدي طاهر والله لا يفوته مني فلما تحقق طاهر
ذلك سعى في النقلة من بين يديه ولم يزل حتى ولاه المأمون خراسان واطلق له خادما
من خدامه وعهد الى الخادم ان راى منه ما يريبه ان يسمه فلما خطب يوم جمعة ولم يدع
للمأمون سمه الخادم في كامخ فمات من ليلته وقد كان طاهر بن الحسين هذا يقال له ذو
اليمينين فقيل لانه ضرب رجلا بشماله فقده نصفين قلت ويحتمل انه لقب بذلك
لانه ولي العراق وخراسان وقد كان كريما ممدحا يحب الشعر ويجيز عليه الجزيل ركب يوما في حراقة
فقال فيه شاعر

عجبت لحراقة بن الحسين ... لا غرقت كيف لا تغرق
وبحران من فوقها واحد ... وآخر من تحتها مطبق
واعجب من ذاك اعوادها ... وقد مسها كيف لا تورق

فاجازه بثلاثة آلاف دينار وقال له ان زدتنا زدناك قال ابن خلكان وما احسن ما قال
بعض الشعراء في بعض الرؤساء وقد ركب البحر

ولما امتطى البحر ابتهلت تضرعا ... الى الله يا مجري الرياح بلطفه
جعلت الندى من كفه مثل موجه ... فسلمه واجعل موجه مثل كفه

قال القاضي ابن خلكان مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة
سنة سبع ومائتين وكان مولده سنة تسع وخمسين ومائة فكان الذي سار الى عبد الله بن طاهر
وهو بارض الرقة يعزيه في ابيه ويهنئه بولاية تلك البلاد القاضي يحيى بن اكثم عن امير المؤمنين
وفي هذه السنة غلا السعر ببغداد والكوفة والبصرة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة اربعين
درهما الى الخمسين درهما وحج بالناس في هذه السنة ابو عيسى بن الرشيد هرون اخو المأمون

وفيها توفي من الاعيان

بشر بن عمر الزهراني وجعفر بن عون وعبد الصمد بن عبد الوارث وقراد ابو نوح وكثير بن
هشام ومحمد بن كناسة ومحمد بن عمر الواقدي قاضي بغداد وصاحب السيرة والمغازي وابو
النضر هاشم بن القاسم والهيثم بن عدي صاحب التصانيف ويحيى بن زياد بن عبد الله
بن منظور ابو زكريا الكوفي نزيل بغداد مولى بني عبس المشهور بالفراء شيخ النحاة واللغويين
والقراء وكان يقال له امير المؤمنين في النحو روى الحديث عن حازم بن الحسين البصري عن
مالك بن دينار عن انس قال قرأ رسول الله وابو بكر وعمر وعثمان مالك يوم الدين بالالف
رواه الخطيب قال وكان ثقة اماما وذكر ان المأمون امره بوضع كتاب في النحو فاملاه وكتبه

الناس عنه ولم المأمون يكتبه في الخزائن وانه كان يؤدب ولديه وليي العهد فقام يوما فابتدراه أيهم يقدم نعليه فتنازعا في ذلك ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد نعلا فأطلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار وللفراء عشرة آلاف درهم وقال له لا أعز منك إذ يقدم نعليك وليا العهد وروي أن بشرا المريسي ومحمد بن الحسن سألا الفراء عن رجل سهى في سجد السهو فقال لا شيء عليه قالا ولم قال لأن أصحابنا قالوا المصغر لا يصغر فقالا ما ظننا أن امرأة تلد مثلك والمشهور أن محمدا سأله عن ذلك وكان ابن خالة الفراء قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الفراء توفي سنة سبع ومائتين قال الخطيب وكانت وفاته ببغداد وقيل بطريق مكة وقد استدركوه واثنوا عليه في مصنفاته

ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

فيها ذهب الحسن بن الحسين بن مصعب أخو طاهر بن الحسين من خراسان إلى كرمان فتحصن بها فسار إليه أحمد بن أبي خالد فحاصره حتى نزل فهرا فذهب به إلى المأمون فعفى عنه فاستعفى ذلك منه وفيها استعفى محمد بن سماعة من القضاء فأعفاه المأمون وولى مكانه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وفيها ولي المأمون محمد بن عبد الرحمن المخزومي القضاء بعسكر المهدي في شهر المحرم ثم عزله عن قريب وولى مكانه بشر بن سعيد بن الوليد الكندي في شهر ربيع الأول منها فقال المخزومي في ذلك

يا أيها الملك الموحد ربه • قاضيك بشر بن الوليد حمار

ينفي شهادة من يدين بما به • نطق الكتاب وجاءت الأخبار

ويعد عدلا من يقول بأنه • شيخ يحيط بجسمه الأقطار

وحج بالناس في هذه السنة صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون

وتوفي فيها من الأعيان

الأسود بن عامر وسعيد بن عامر وعبد الله بن بكر أحد مشايخ الحديث والفضل بن الربيع الحاجب ومحمد بن مصعب وموسى بن محمد الأمين الذي كان قد ولاه العهد من بعده ولقبه بالناطق بالحق ولم يتم له أمره حتى قتل أبوه وكان ما كان ويحيى بن أبي بكر ويحيى بن حسان ويعقوب بن إبراهيم الزهري ويونس بن محمد المؤدب

وفاة السيدة نفيسة

وفيها كانت وفاة السيدة نفيسة بنت أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب القرشية الهاشمية كان أبوها نائبا للمنصور على المدينة النبوية خمس سنين ثم غضب أبو جعفر المنصور فعزله عنها وأخذ منه كل ما كان جمعه منها وأودعه السجن ببغداد فلم يزل به حتى توفي المنصور فأطلقه المهدي وأطلق له ما كان أخذه منه وخرج معه إلى الحج في سنة ثمان وستين ومائة فلما كان بالحاجر توفي الحسن بن زيد عن خمس وثمانين سنة وقد روى له النسائي حديثه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم وقد ضعفه ابن معين وابن عدي ووثقه ابن حبان وذكره الزبير بن بكار وأثنى عليه في رياسته وشهامته والمقصود أن ابنته السيدة نفيسة دخلت إلى الديار المصرية مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر المنصور الصادق فأقامت بها وكانت ذات مال وإحسان إلى الزمنى والمجذومين والمرضى وعموم الناس وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير ولما ورد الشافعي الديار المصرية كانت تحسن إليه وربما صلى بها في شهر رمضان وحين توفي أمرت بجنازته فأدخلت إليها المنزل فصلت عليه ولما توفيت عزم زوجها إسحاق بن جعفر أن ينقلها إلى المدينة النبوية فمنعه أهل مصر من ذلك وسألوه أن يتركها عندهم فدفنت في المنزل الذي كانت تسكنه في محلة كانت تعرف قديما بدرب السباع بين مصر والقاهرة اليوم وقد بادت تلك المحلة فلم يبق منها سوى قبرها وكانت وفاتها في رمضان من هذه السنة فيما ذكره القاضي شمس الدين ابن خلكان في وفيات الأعيان قال ولأهل مصر فيها اعتقاد إلى الآن وقد بالغ العامة في أمرها كثيرا جدا ويطلقون فيها عبارات فيها مجازفة وألفاظ كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا يجوز إطلاقها في مثل أمرها وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالته والذي ينبغي أن يعتقد فيها من الصلاح ما يليق بأمثالها من النساء الصالحات رحمها الله وأكرمها

ومنهم الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان الذي كان زوال الدولة البرامكة على يديه وقد وزر بعدهم للرشيد وقد كان متمكنا من الرشيد وكان شديد التشبه بالبرامكة وكانوا يتشبهون به فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدم ذكره القاضي ابن خلكان أنه دخل يوما على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه ومع الفضل بن الربيع عشر قصص فلم يقض له منها واحدة بل يتعلل عليه في كل واحدة منها فجمعهن الفضل بن الربيع وقال ارجعن خائبات خاسرات ثم نهض وهو يقول

عسى وعسى يثني الزمان عنانه • بتصريف حال والزمان عثور

فتقضى لبانات وتشفى حسائف • وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعه الوزير يحيى بن خالد فقال له أقسمت عليك لما رجعت وأخذ من يده القصص فوقع عليها ثم لم يزل يحفر خلفهم حتى تمكن منهم وتولى الوزارة بعدهم وفي ذلك يقول أبو نواس

ما رعى الدهر آل برمك لما • أن رمى ملكهم بأمر فظيع

إن دهرا لم يرع عهدا ليحيى • غير راع ذمام آل الربيع

ثم وزر من بعد الرشيد لابنه الأمين فلما دخل بغداد اختفى فأرسل له فلما خرج ولم يزل خاملا حتى مات في هذه السنة وله ثمان وستون سنة رح

ثم دخلت سنة تسع ومائتين

فيها حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شبث بعدما حاربه خمس سنين فلما حصره في هذه السنة ضيق عليه جدا حتى ألجأه إلى أن طلب من عبد الله بن طاهر الأمان فكتب ابن طاهر إلى المأمون يعلمه بذلك فبعث إليه المأمون يأمره بكتابة أمان لنصر بن شبث عن أمير المؤمنين فكتب له عبد الله بن طاهر كتاب أمان فنزل فأمر عبد الله بتخريب المدن التي كان يتحصن بها وذهب شره وفيها جرت حروب مع بابك الخرمي فأسر بابك بعض أمراء الإسلام أحد مقدمي العساكر فكان ذلك شديدا على المسلمين وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والي المدينة ومكة وفيها توفي ملك الروم ميخائيل بن جورجس وكان له عليهم تسع سنين فملكوا عليهم

ابنه توفيل بن ميخائيل وتوفي فيها من مشايخ الحديث الحسن بن موسى الاشيب وابو علي
الحنفي وحفص بن عبد الله قاضي نيسابور وعثمان بن عمر بن فارس ويعلى بن عبيد الطنافسي

سنة عشر ومايتين

في صفر فيها دخل نصر بن شبث الى بغداد حين بعثه عبد الله بن طاهر من الرقة فدخلها
ولم يتلقاه احد من الجند بل دخل وحده فانزل في مدينة ابي جعفر ثم حول الى موضع
اخر وفي هذا الشهر ظفر المامون بجماعة من كبراء من كان مع ابراهيم بن المهدي فعاقبهم
وحبسهم في المطبق

ظهور ابراهيم بن المهدي بعد اختفايه

لما كان ليلة الاحد لثلاث عشرة بقيت من ربيع الاخر فيها اخذ ابراهيم بن المهدي
وله مدة ست سنين وشهور مختفي من المامون وهو متنقب في زي امراة ومعه
امراتان في بعض الدروب في اثناء الليل فقام الحارس فقال الى اين في هذه الساعة
ومن اين ثم اراد ان يمسكهن فاعطاه ابراهيم خاتما من يده من ياقوت فلما نظر اليه
الحارس استراب وقال انما هذا خاتم رجل كبير الشان فذهب بهن الى متولي الليل فامرهن
ان يسفرن عن وجوههن فتمنع ابراهيم فكشفوا عن وجهه فاذا هو فعرفه فذهب به
الى صاحب الجسر فسلمه اليه فرفعه الى باب المامون فاصبح في دار الخلافة والنقاب
على راسه والملحفة في صدره ليراه الناس ويعلموا كيف اخذ فامر المامون بالاحتفاظ به
والاحتراس عليه مدة ثم اطلقه ورضي عنه هذا وقد صلب جماعة ممن كان سجنهم
بسببه لكنهم ارادوا الفتك بالموكلين بالسجن ويهربون منه فصلب منهم اربعة
وقد ذكروا ان ابراهيم بن المهدي لما وقف بين يدي المامون شرع في تانيبه فترفق
له عمه ابراهيم كثيرا وقال يا امير المومنين ان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك
فقال بل اعفو يا ابراهيم ان القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو
الله عز وجل وهو اكبر مما تسال فكبر ابراهيم وسجد شكرا لله عز وجل وقد امتدح
ابراهيم بن المهدي لابن اخيه المامون بقصيدة بالغ فيها فلما سمعها المامون قال له
كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
وذكر الحافظ ابن عساكر ان المامون لما عفى عنه امره ان يغنيه شيا فقال اني تركته
فامره فاخذ العود في حجره وقال هذا مقام مسعود خربت منازله ودور

نمت عليه عداته ● كذبا فعاقبه اميره

ثم عاد فقال ● ذهبت من الدنيا وقد ذهبت عني ● لوى الدهر بي عنها وولى بها عني

فان ابك نفسي ابك نفسا عزيزة ● وان احتقرها احتقرها على ضن

واني وان كنت المسيء بعينه ● بربي تعالى جده محسن الظن

عدوت على نفسي فعاد بعفوه ● علي فعاد العفو منا على من

فقال له المامون احسنت يا امير المومنين حقا فرمى بالعود من حجره ووثب قايما فزعا من
هذا الكلام فقال له المامون اقعد واسكن مرحبا بك لم يكن ذلك لشي تتوهمه
والله لا رايت طول ايامي شيا تكرهه ثم امر له برد جميع ما كان له من الاموال
والضياع والدور فردت اليه وامر له بعشرة الاف دينار وخرج من عنده مكرما
معظما

عرس بوران

وفي رمضان منها بنى المامون ببوران بنت الحسن بن سهل وقيل انه خرج من بغداد
في رمضان الى معسكر الحسن بن سهل بفم الصلح وكان قد عوفي من مرضه ذلك فنزل
المامون عنده بمن معه من وجوه الامراء والروساء والاكابر بها شهر فدخل ببوران في
شوال من هذه السنة في ليلة عظيمة وقد اشعلت بين يديه شموع العنبر ونثر على
راسه الدر والجوهر فوق حصر منسوجة بالذهب الاحمر وكان عدد الجوهر منه الف درة
فامر به فجمع في صينية التي كان فيها من الذهب فقالوا يا امير المومنين انما نثرناه
لتلتقطه الجواري فقال لا انا اعوض من ذلك فجمع كله فلما جاءت العروس ومعها
جدتها وزبيدة ام الامين في جملة من جاء معها فاجلسها الى جانبه فصب في حجرها
ذلك الجوهر وقال لها هذا نحلة مني لك وسلي حاجتك فاطرقت حياء فقالت
جدتها كلمي وسلي من سيدك ما امرك به فقالت يا امير المومنين اسالك ان ترضى
عن عمك ابراهيم بن المهدي وان ترده الى منزلته التي كان فيها قبل ذلك فقال نعم
قالت وام جعفر يعني زبيدة تاذن لها في الحج قال نعم فخلعت عليها بذلتها
الاموية واطلقت لها قرية مقوره واما والد العروس الحسن بن سهل فانه كتب
اسماء ضياعه وقراياه واملاكه في رقاع ونثرها على الامراء ووجوه الناس فمن وقعت
في يده رقعة بعث الى القرية التي فيها نوابه فتسلموها ملكا خالصا وانفق على
المامون ومن معه من الجيش في مدة مقامه عنده سبعة عشر يوما ما يعادل خمسين
الف الف درهم ولما اراد المامون الانصراف من عنده اطلق له عشرة الاف الف
درهم واقطعه البلدة التي هو نازل فيها وهو اقليم فم الصلح مضافا الى ما بيده من
الاقطاعات ورجع المامون الى بغداد في اواخر شوال من هذه السنة وفي هذه السنة
ركب عبد الله بن طاهر الى الديار المصرية فاستنقذها بامر المامون من يدي عبيد
بن السري بن الحكم المتغلب بها واستعادها منه بعد حروب يطول ذكرها وفيها توفي
من الاعيان ابو عمرو الشيباني اللغوي واسمه اسحاق بن مرار وهرون بن محمد الطاي
ويحيى بن اسحاق

ثم دخلت سنة احدى عشرة ومايتين

وفيها توفي من الاعيان ابو الجواب وطلق بن غنام وعبد الرزاق بن همام الصنعاني
صاحب المصنف والمسند وعبد الله بن صالح العجلي وابو العتاهية الشاعر
المفلق المشهور واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان اصله من الحجاز وسكن
بغداد فكان يبيع الجرار اولا ثم حظي عند الخلفاء لا سيما المهدي وقد كان مع هذا
يتعلق جارية للمهدي اسمها عتبة وقد طلبها من الخليفة غير مرة فاذا سمح بها له
لا تريده الجارية وتقول للخليفة اتعطيني لرجل دميم الخلق كان يبيع الجرار

وكان يكثر التغزل فيها وشاع امره واشتهر بها وكان المهدي يفهم ذلك وقد اتفق في بعض الاحيان ان استدعى المهدي الشعراء الى المجلس فاجتمعوا وكان منهم بشار بن برد الاعمى فسمع صوتا لابي العتاهية فقال لجليسه اهم هاهنا ابو العتاهية قال نعم فوجم لها بشار ثم استنشد المهدي ابا العتاهية فانطلق ينشده قصيدته التي في اولها

الا ما لسيدتي ما لها • ادلت فاحمل ادلالها •

فقال بشار لجليسه ما رايت اجسر من هذا حتى انتهى ابو العتاهية الى قوله

اتته الخلافة منقادة • اليه تجرر اذيالها •
فلم تك تصلح الا له • ولم يك يصلح الا لها •
ولو رامها احد غيره • لزلزلت الارض زلزالها •
ولو لم تطعه بنات القلوب • لما قبل الله اعمالها •

فقال بشار لجليسه انظر ويحك طار الخليفة عن فراشه فقال لا والله ما خرج احد من الشعراء يومئذ بجائزة غيره قال ابن خلكان اجتمع ابو العتاهية بابي نواس وكان في طبقته وطبقة بشار بن برد فقال له ابو العتاهية لابي نواس كم تعمل في اليوم من الشعر قال بيتا او بيتين فقال لكني اعمل المائة والمائتين فقال له ابو نواس لانك تعمل مثل قولك

يا عتب ما لي ولك • يا ليتني لم اراك •

ولو اردت مثل هذا الالف والالفين لقدرت عليه وانا اعمل مثل قولي

من كف ذات حر في زي ذي ذكر • لها محبان لوطي وزناء •

ولو اردت مثل هذا لاعجزك الدهر قال ابن خلكان ومن لطيف شعر ابي العتاهية

ولو ان صبوت اليك حتى • صار من فرط التصابي •
يجد الجليس اذا دنا • ريح التصابي في ثيابي •

قال ابن خلكان واشعاره كثيرة ومولده سنة ثلاثين ومائة وتوفي يوم الاثنين ثالث جمادى الاخرة سنة احدى عشرة وقيل سنة ثلاث عشرة واوصى ان يكتب على قبره ببغداد

ان عيشا يكون اخره الموت • لعيش معجل التنغيص •

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومايتين

فيها وجه المامون محمد بن حميد الطوسي على طريق الموصل لمحاربة بابك الخرمي في ارض اذربيجان فاخذ جماعة من المتغلبين هناك فبعث بهم الى المامون اسارى الى بغداد وفي ربيع الاول من هذه السنة اظهر المامون في الناس بدعتين فظيعتين احداهما اطم من الاخرى وهي القول بخلق القران والاخرى تفضيل علي بن ابي طالب على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخطا في كل من هذين المذهبين خطا كبيرا واثم اثما عظيما ومن العلماء من يكفر من يقول بخلق القران كما سياتي ذلك في موضعه وحج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وفيها توفي من الاعيان اسد بن موسى الذي يقال له اسد السنة والحسين بن حفص

وابو عاصم النبيل الضحاك بن مخلد وابو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي الدمشقي ومحمد بن يوسف الفريابي شيخ البخاري

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومايتين

فيها ثار رجلان بمصر وهما عبد السلام وابن جليس فخلعا المامون واستحوذا على الديار المصرية وتابعهما طايفة من القيسية واليمانية فولى المامون اخاه ابا اسحاق نيابة الشام ومصر وولى ابنه العباس نيابة الجزيرة والثغور والعواصم واطلق لكل منهما ولعبد الله بن طاهر في ذلك اليوم خمسماية الف دينار فلم ير يوما اكثر اطلاقا منه اطلق فيه لهولاء الامراء الثلاثة الف الف دينار وخمسماية الف دينار وفيها ولى السند غسان بن عباد وحج بالناس فيها امير السنة الماضية

وفيها توفي من الاعيان

عبد الله بن داود الخريبي وعبد الله بن يزيد المقرئ المصري وعبيد الله بن موسى العبسي وعمرو بن ابي سلمة الدمشقي وحكى ابن خلكان في الوفيات عن بعضهم ان في هذه السنة توفي ابراهيم بن ماهان الموصلي النديم وابو العتاهية وابو عمرو الشيباني النحوي في يوم واحد ببغداد ولكنه صحح ان ابراهيم النديم توفي سنة ثمان وثمانين ومائة قال السهيلي في هذه السنة توفي عبد الملك بن هشام راوي السيرة حكاه ابن خلكان عنه والصحيح انه توفي في سنة ثماني عشرة كما نص عليه ابو سعيد بن يونس في تاريخ مصر العكوك الشاعر ابو الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الخراساني ويلقب بالعكوك لقصره وسمنه وكان من الموالي ولد اعمى وقيل بل اصابه جدري وهو ابن سبع سنين فعمي وكان اسود ابرص وكان شاعرا مطيقا فصيحا بليغا وقد اثنى عليه في الشعر الجاحظ فمن بعده قال الجاحظ ما رايت بدويا ولا حضريا احسن انشادا منه فمن ذلك قوله

بابي من زارني مكتتما • حذرا من كل شيء جزعا •
زائر نم عليه حسنه • كيف يخفي الليل بدرا طلعا •
رصد الخلوة حتى امكنت • ورعى السامر حتى هجعا •
ركب الاهوال في زورته • ثم ما سلم حتى ودعا •

وهو القايل في ابي دلف القاسم بن عيسى العجلي يمتدحه

انما الدنيا ابو دلف • بين مغزاه ومحتضره •
فاذا ولى ابو دلف • ولت الدنيا على اثره •
كل من في الارض من عرب • بين باديه الى حضره •
مستعير منك مكرمة • يكتسيها يوم مفتخره •

ولما بلغت المامون هذه الابيات عارض فيها ابو نواس الحسن بن هاني فطلبه المامون فهرب منه كل مهرب ثم احضر بين يديه فقال له ويحك فضلت القسم بن عيسى علينا فقال يا امير المومنين انتم اهل بيت اصطفاكم الله من بين عباده واتاكم ملكا عظيما وانما مدحته على اشكاله واضرابه فقال له والله ما ابقيت احدا لقد ادخلتنا في الكل حيث تقول كل من في الارض من عرب البيتين ومع هذا فلا استحل قتلك

بهذا اكن بكفرك وشكرك حيث تعوك في عبد دليل •

• انت الذي تنزل الايام منزلها • وتنقل الدهر من حال الى حال •
• وما مددت مدى طرف الى احد • الا قضيت بارزاق واجال •

قال الله فعل اخرجوا لسانه من قفاه فاخرجوا لسانه من قفاه فمات في هذه السنة سامحه الله ومن قوله يمتدح حميد بن عبد الحميد الطوسي •

• انما الدنيا حميد • واياديه الجسام •
• فاذا ولى حميد • فعلى الدنيا السلام •

وقوله

• تكفل ساكنو الدنيا حميدا • فقد اضحوا له فيها عيالا •
• كان اباه ادم كان اوصى • اليه ان يعول لهم فعالا •

ولما مات حميد هذا في سنة عشر مع المامون بعسكر الصلح قال العكوك يرثيه قصيدة منها قوله • •

• فادبنا ما ادبنا الناس قبلنا • ولكنه لم يبق للصبر موضع •

وقال ابو العتاهية يرثي حميدا ايضا •

• ابا غانم اما ذراك فواسع • وقبرك معمور الجوانب محكم •
• وما ينفع المقبور عمران قبره • اذا كان فيه جسمه يتهدم •

وقد اورد ابن خلكان للعكوك هذا اشعارا جيدة تركناها اختصارا

ثم دخلت سنة اربع عشرة ومايتين

في يوم السبت لخمس بقين من ربيع الاول منها التقى محمد بن حميد وبابك الخرمي لعنه الله فقتل الخرمي خلقا كثيرا من جيشه وقتله ايضا وانهزم بقية اصحاب ابن حميد فانا لله وانا اليه راجعون فبعث المامون اسحاق بن ابراهيم ويحيى بن اكثم الى عبد الله بن طاهر يخيرانه بين خراسان ونيابة الجبال واذربيجان وارمينية ليحارب بابك الخرمي فاختار الاقامة بخراسان لكثرة احتياجها الى الضبط والخوف من ظهور الخوارج بها ومنها دخل ابو اسحاق بن الرشيد الديار المصرية فانتزعها واستعادها الى السمع والطاعة وظفر بعبد السلام وابن جليس فقتلهما ومنها خرج رجل يقال له بلال الضبابي الشاري فبعث اليه المامون ابنه العباس في جماعة من الامراء فقتلوا بلالا وعادوا سالمين ومنها ولى المامون علي بن هشام الجبل وقم واصبهان واذربيجان ومنها حج بالناس اسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن خالد الذهبي احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح ابو جعفر الكاتب ولي ديوان الرسايل للمامون ترجمه ابن عساكر واورد من شعره •

• قد يرزق المرء من حسن حيلته • ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي •
• ما ضرني من عنى يوما ولا عدم • الا قولي عليه الحمد لله ○ وله
• اذا قلت في شي نعم فاتمه • فان نعم دين على الحر واجب •
• والا فقل لا فاسترح وارح بها • لئلا يقول الناس انك كاذب • وله
• اذا المرء افشى سره بلسانه • فلام عليه غيره فهو احمق ○ •

اذا اضاق

• اذا اضاق صدر المرء عن سر نفسه • فصدر الذي استودعته السر اضيق •

وحسين بن محمد المروذي شيخ الامام احمد وعبد الله بن عبد الحكم المصري ومعاوية بن عمرو

ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن اعين بن ليث بن رافع المصري احد من قرا الموطا على الامام مالك وتفقه لمذهبه وكان معظما ببلاد مصر وله بها ثروة واموال وافرة وحين قدم الشافعي مصر اعطاه الف دينار وجمع له من اصحابه الفي دينار اخرى وهو والد محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذي صحب الشافعي ولما توفي في هذه السنة دفن الى جانب قبر الشافعي وحين توفي ابنه عبد الرحمن دفن الى جانبه بينه من القبلة قال ابن خلكان فهي ثلاثة اقبر الشافعي شاميها وهما قبليه رحمهم الله

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومايتين

في اواخر المحرم من هذه السنة ركب المامون في العساكر من بغداد قاصدا بلاد الروم لغزو الروم واستخلف على بغداد واعمالها اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فلما كان بتكريت تلقاه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب من المدينة النبوية فاذن له المامون في الدخول على ابنته ام الفضل بنت المامون وكان معقود العقد عليها في حياة ابيه فدخل بها واخذها معه الى بلاد الحجاز وتلقاه اخوه ابو اسحاق بن الرشيد من الديار المصرية قبل وصوله الى الموصل وسار المامون في جحافل كثيرة الى بلاد طرسوس في جمادى الاولى منها وفتح حصنا هناك عنوة وامر بهدمه ثم رجع المامون من بلاد الروم الى دمشق فنزلها وعمر دير مران بسفح قاسيون واقام بها مدة وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومنها توفي من الاعيان ابو زيد الانصاري وابو سليمان الداراني ومحمد بن عبد الله الانصاري ومحمد بن المبارك الصوري وقبيصة بن عقبة وعلي بن الحسن بن شقيق ومكي بن ابراهيم فاما ابو زيد الانصاري فهو سعيد بن اوس بن ثابت البصري اللغوي احد الثقات الاثبات كان كبير القدر قال ابو عثمان المازني رايت الاصمعي جاء الى مجلس ابي زيد الانصاري فقبل راسه وجلس بين يديه وقال رييسنا وسيدنا منذ خمسين سنة قال القاضي ابن خلكان وله مصنفات كثيرة منها خلق الانسان وكتاب الابل وكتاب المياه وكتاب القوس والترس وغير ذلك وكانت وفاته في هذه السنة وقيل في التي قبلها او التي بعدها وقد جاوز التسعين وقيل انه قارب المائة

ثم دخلت سنة ست عشرة ومايتين

في هذه السنة عدا ملك الروم وهو توفيل بن ميخاييل فقتل جماعة من المسلمين في ارض طرسوس نحوا من الف وستماية انسان ويقال انه ايضا كتب الى المامون فبدا بنفسه فلما قرا المامون ذلك نهض من فوره فركب في الجيوش الى بلاد الروم عودا على بدء وصحبته اخوه ابو اسحاق بن الرشيد نايب الشام ومصر فافتتح بلدانا كثيرة صلحا وعنوة وافتتح اخوه ثلاثين حصنا وبعث المامون يحيى بن اكثم في سرية الى طوانة فافتتح بلادا كثيرة واسر خلقا من الذراري وغيرهم وقتل خلقا من الروم وحرق حصونا عدة ثم عاد الى العسكر واقام المامون ببلاد الروم من منتصف

جمادى الآخرة الى النصف من شعبان ثم عاد الى دمشق وقد وثب رجل يقال له عبدوس الفهري في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر فتغلب على نواب ابي اسحاق بن الرشيد وتوثب شوكته واتبعه خلق كثير منهم فركب المامون من دمشق يوم الاربعاء لاربع عشرة خلت من ذي الحجة منها الى الديار المصرية فكان من امره بها ما سنذكره وفي هذه السنة كتب المامون الى اسحاق بن ابراهيم نائب بغداد وما والاها من البلاد فامره ان يامر الناس بالتكبير عقيب الصلوات فكان اول ما بدي به في جامع المدينة والرصافة يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من هذه السنة انهم لما قضوا الصلاة قام الناس قياما فكبروا ثلاث تكبيرات ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات وهذه بدعة احدثها المامون بلا مستند ولا دليل ولا معتمد فان هذا لم يفعله من قبله احد ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس ان رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينصرف الناس من المكتوبة وقد استحب هذا طايفة من العلما كابن حزم وغيره وقال ابو الحسن بن بطال المذاهب الاربعة وغيرهم على عدم استحباب ذلك قال النواوي وقد روي عن الشافعي انه قال انما كان ذلك ليعلم الناس ان الذكر بعد الصلوات مشروع فلما علم ذلك لم يبق للجهر معنى وهذا كما روي عن ابن عباس انه كان يجهر بالفاتحة في صلاة الجنازة ليعلم الناس انها سنة ولهذا نظاير والله اعلم فاما هذه البدعة التي امر بها المامون فانها بدعة محدثة لم يعمل بها احد من السلف وفي هذه السنة وقع برد شديد جدا وفيها حج بالناس الامير الذي حج في العام الماضي وقيل غيره فالله اعلم

وممن توفي فيها من الاعيان

حبان بن هلال وعبد الملك بن قريب الاصمعي صاحب اللغة والنحو والشعر وغير ذلك ومحمد بن بكار بن هلال وهوذة بن خليفة وزبيدة امراة هارون الرشيد وابنة عمه وهي ام جعفر امة العزيز بنت المخلفة بن زبيدة بنت جعفر بن المنصور بن ابي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشية الهاشمية العباسية امراة هارون الرشيد واحب الناس اليه في زمانها مع ما كان معها من الحظايا والزوجات كما ذكرنا في ترجمته وانما لقبت بزبيدة لان جدها ابا جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها ويقول لها انما انت زبيدة فغلب ذلك عليها فلا تعرف الا به واصل اسمها امة العزيز وكانت لها من الجمال والمال والخير والديانة وعمل البر ما ليس لغيرها من الصدقات والاوقاف ووجوه القربات شي كثير جدا وروى الخطيب البغدادي انها حجت فبلغت نفقتها في ستين يوما اربعة وخمسين الف الف درهم وانها لما هنات المامون بالخلافة حين دخل بغداد قالت له لقد هنات نفسي بها عنك قبل ان اراك ولين كنت قد فقدت ابنا خليفة لقد عوضت ابنا خليفة لم الده وما خسر من اعتاض مثلك ولا ثكلت ام ملات يدها منك وانا اسال الله اجرا على ما اخذ وامتاعا بما عوض وذكروا انها توفيت ببغداد في جمادى الاولى سنة ست عشرة وماتين ثم قال الخطيب حدثني الحسن بن محمد الخلال لفظا قال وجدنا بخط ابي الفتح القواس حدثنا صدقة بن هبيرة الموصلي ثنا

محمد بن عبد الله الواسطي قال قال عبد الله بن المبارك الزمن رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك فقالت غفر لي في اول معول ضرب في طريق مكة قلت فما هذه الصفرة في وجهك قالت دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريسي زفرت جهنم عليه زفرة فاقشعر لها جسدي فهذه الصفرة في وجهي من تلك الزفرة وذكر القاضي ابن خلكان انه كان لها ماية جارية كلهن يحفظ القران العظيم ووردُ كل واحدة عشر القران وكان يسمع لهن في القصر دوي كدوي النحل

ثم دخلت سنة سبع عشرة وماتين

في المحرم منها دخل المامون الديار المصرية وظفر بعبدوس الفهري فامر به فضربت عنقه ثم كر المامون راجعا الى الشام وفي هذه السنة ركب المامون الى بلاد الروم ايضا فحاصر لولوه ماية يوم ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عجيفا فخدعته الروم فاسروه فاقام في ايديهم ثمانية ايام ثم انفلت من ايديهم واستمر محاصرا لهم فجاء ملك الروم بنفسه فاحاط بجيشه من ورايه فبلغ المامون فسار اليه فلما احس توفيل بقدومه انصرف هاربا من وجهه وبعث اليه الوزير الذي يقال له الصيغل يساله المصالحة والمهادنة لكنه بدا بنفسه في كتابه الى المامون فرد عليه كتابا بليغا مضمونه التقريع والتوبيخ واني انما اقبل منك الدخول في الحنيفية والا فالسيف والقتل والسلام على من اتبع الهدى وحج بالناس فيها سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي وفيها توفي من الاعيان حجاج بن منهال وشريح بن النعمان وموسى بن داود الضبي

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وماتين

في اول جمادى منها وجه المامون ابنه العباس الى بلاد الروم لبناء الطوانة وتجديد عمارتها وبعث الى سائر الاقاليم والافاق في تجهيز الفعلة من كل بلد اليها من مصر والشام والعراق وغير ذلك فاجتمع خلق كثير لا يعلمهم الا الله عز وجل وامره ان يجعلها ميلا في ميل وان يجعل سورها ثلاثة فراسخ وان يجعل لها ثلاثة ابواب عند كل باب حصن

ذكر اول المحنة والفتنة

في هذه السنة كتب المامون الى نايبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يامره ان يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القران وان يرسل اليه جماعة منهم الى الرقة ولنسخة كتاب المامون الى نايبه مطولة قد سردها ابن جرير ومضمونها الاحتجاج على ان القران محدث وليس بقديم وعنده ان كل محدث فهو مخلوق وهذا امر لا يوافقه عليه كثير من المتكلمين ولا المحدثين فان القايلين بان الله تعالى تقوم به الافعال الاختيارية لا يقولون بان فعله تعالى القايم بذاته المقدسة بعد ان لم يكن مخلوقا بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق بل هو كلام الله تعالى القايم بذاته المقدسة بعد ان لم يكن مخلوقا بل وما كان قايما بالذات لا يكون مخلوقا وقد قال الله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم فالامر بالسجود صدر منه تعالى بعد خلقه ادم فالكلام القايم بالذات ليس مخلوق وهذا له

فالامر بالسجود لادم

محمد

موضع اخر وقد صنف البخاري رح كتابا في هذا المعنى سماه خلق افعال العباد والمقصود
ان الكتاب لما ورد بغداد قرئ على الناس وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم
اليه وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وابو مسلم مستملي يزيد بن هارون ويحيى بن
معين وابو خيثمة زهير بن حرب واسماعيل بن داود واسماعيل بن ابي مسعود واحمد
بن الدورقي فبعث بهم الى المأمون الى الرقة فامتحنهم بالقول بخلق القران فاجابوا
الى ذلك واظهروا موافقته وهم كارهون فردهم الى بغداد وامر باشتهار امرهم بين
الفقهاء ففعل اسحاق بن ابراهيم ذلك واحضر خلقا من مشايخ الحديث والفقهاء
والقضاة وائمة المساجد وغيرهم فدعاهم الى ذلك عن امير المؤمنين وذكر لهم
موافقة اولئك المحدثين له على ذلك فاجابوا بمثل جواب اولئك موافقة لهم ووقعت
بين الناس فتنة عظيمة فانا لله وانا اليه راجعون ثم كتب المأمون كتابا ثانيا
الى اسحاق بن ابراهيم يستدل به على القول بخلق القران بشبه من الدلائل لا تحقيق
لها ولا حاصل لها بل هي من المتشابهات واورد من القران ايات هي حجة عليه لا له
قد اورده ابن جرير بطوله وامره ان يقرأ ذلك على الناس وان يدعوهم اليه والقول به
فاحضر اسحاق بن ابراهيم جماعة من الائمة وهم احمد بن حنبل وقتيبة وابو حسان الزيادي
وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن ابي مقاتل وسعدويه الواسطي وعلي بن الجعد واسحاق
بن ابي اسرائيل وابن الهرش وابن علية الاكبر ويحيى بن عبد الحميد العمري وشيخ اخر
من سلالة عمر كان قاضيا على الرقة وابو نصر التمار وابو معمر القطيعي ومحمد بن حاتم
بن ميمون ومحمد بن نوح الجنديسابوري المضروب وابن الفرخان والنضر بن شميل وابن
علي بن عاصم وابو العوام البزار وابو شجاع وعبد الرحمن بن اسحاق وجماعة فلما دخلوا على
اسحاق بن ابراهيم قرأ عليهم كتاب المأمون فلما فهموه قال لبشر بن الوليد ما تقول في القران
فقال هو كلام الله قال ليس عن هذا اسألك انما اسألك اهو مخلوق قال ليس بخالق
قال ولا عن هذا اسألك فقال ما احسن غير هذا وصمم على ذلك فقال اتشهد ان
لا اله الا الله احدا فردا لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من
المعاني ولا وجه من الوجوه فقال نعم كما قال فلما انتهت النوبة الى امتحان احمد
بن حنبل قال نعم فقال للكاتب اكتب ما قال فكتب ثم امتحنهم رجلا رجلا فاكثرهم
امتنع من القول بخلق القران واذا امتنع الرجل منهم يمتحنه بالرقعة التي وافق
عليها بشر بن الوليد الكندي من انه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني
ولا وجه من الوجوه فيقول نعم كما قال فلما انتهت النوبة الى امتحان احمد بن حنبل
قال له اتقول ان القران مخلوق فقال القران كلام الله لا ازيد على هذا قال فما
تقول في هذه الرقعة فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقال رجل من
المعتزلة انه يقول سميع باذن بصير بعين فقال له ما اردت بقولك سميع
بصير فقال اردت منهما ما اراده الله منهما وهو كما وصف نفسه ولا ازيد على
ذلك فكتبت جوابات القوم رجلا رجلا وبعث بها الى المأمون

فصل

قد تقدم ان اسحاق بن ابراهيم نائب بغداد لما امتحن الجماعة في القول بخلق القران ونفي
التشبيه فاجابوا كلهم الى نفي المماثلة واما القول بخلق القران فامتنعوا من ذلك
فقالوا لو اكلهم القران كلام الله قال الامام احمد ولا ازيد على هذا حرفا واحدا وقرأ
في نفي المماثلة قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقالوا له ما اردت
بقولك السميع البصير فقال اردت منهما ما اراد الله منهما وكان من الحاضرين
من اجاب الى القول بخلق القران مصانعة مكرها لانهم كانوا يعزلون من لا يجيب
عن وظائفه وان كان له رزق على بيت المال قطع وان كان مفتيا منع من الافتاء
وان كان شيخ حديث ردع عن الاسماع والاداء ووقعت فتنة صماء ومحنة شنعاء
وداهية دهياء فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم واما النائب
اسحاق بن ابراهيم للكاتب فكتب عن كل واحد منهم جوابه بعينه وبعث به الى المأمون فجاء الجواب
بمدح النائب على ما فعل والرد على كل فرد فرد فيما قال وامر نائبه ان يمتحنهم ايضا فمن اجاب
منهم شهر امره في الناس ومن لم يجب منهم الى القول بخلق القران فابعث به الى عسكر امير المؤمنين
مقيدا محتفظا به حتى يصل الى امير المؤمنين فيرى فيه رأيه ومن مذهبه ان يضرب عنق
من لم يقل بخلق القران فعقد الامير ببغداد مجلسا اخر واحضر اولئك وفيهم ابراهيم بن
المهدي وكان صاحبا لبشر بن الوليد الكندي وقد نص المأمون على قتلهما ان لم يجيبا على الفور
فلما امتحنهم اسحاق بن ابراهيم ثانيا بعد قراءة كتاب الخليفة اجابوا كلهم مكرهين متأولين
قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من
الله ولهم عذاب عظيم الا اربعة احمد بن حنبل ومحمد بن نوح والحسن بن حماد سجادة وعبيد الله
ابن عمر القواريري فقيدهم وارصدهم ليبعث بهم الى الخليفة ثم استدعاهم في اليوم الثاني
فامتحنهم فاجاب سجادة الى القول بخلق القران فاطلق قيده واطلقه ثم امتحنهم
في اليوم الثالث فاجاب القواريري الى ذلك ايضا فاطلق قيده ايضا واطلقه وامر
احمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابوري على الامتناع من ذلك فاكد قيودهما وجمعهما
في الحديد وبعث بهما الى الخليفة وهو بطرسوس وكتب معهما كتابا بارسالهما اليه فسارا
مقيدين في محارة على جمل متعادلين رضي الله عنهما وجعل الامام احمد يدعو الله عز وجل
ان لا يجمع بينهم وبين المأمون وان لا يرياه ولا يراهما وجاء كتاب المأمون الى اسحاق بن ابراهيم
وفيه انه قد بلغني ان القوم انما اجابوا مكرهين متأولين قوله تعالى الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان وقد اخطأوا في ذلك خطأ كبيرا فارسلهم كلهم الى امير المؤمنين فاستدعاهم
اسحاق بن ابراهيم والزمهم بالمسير الى طرسوس فساروا اليها فلما كانوا ببعض الطريق
بلغهم وفاة المأمون فردوا الى الرقة ثم اذن لهم في الرجوع الى بغداد وكان احمد بن
حنبل وصاحبه محمد بن نوح قد سبقا الناس ولكن لم يجتمعا به حتى مات واستجاب الله
من عبده ووليه احمد بن حنبل رح فلم يجتمعوا بالمأمون وردوا الى بغداد وسيأتي تمام
ما وقع من الامر العظيم في اول ولاية المعتصم بن الرشيد وتمام الكلام فيها يأتي في ترجمة
الامام احمد بن حنبل عند ذكر وفاته في سنة احدى واربعين ومائتين وبالله المستعان

وهذه ترجمة المأمون

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور عبد الله
بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس القرشي الهاشمي العباسي ابو جعفر امير المؤمنين المأمون
وامه ام ولد اسمها مراجل الباذغيسية وكان مولده في ربيع الاول سنة سبعين ومائة

ليلة توفي عمه الهادي وولي ابوه هارون الرشيد وكان ذلك ليلة جمعة كما تقدم
قال ابن عساكر روى الحديث عن ابيه وهشيم بن بشير وابي معاوية الضرير ويوسف
بن عطية وعباد بن العوام واسماعيل بن علية وحجاج بن محمد الاعور وروى عنه ابو حذيفة
اسحاق بن بشر وهو اسن منه ويحيى بن اكثم القاضي وابنه الفضل بن المامون ومعمر بن
شبيب وابو يوسف القاضي وجعفر بن ابي عثمان الطيالسي واحمد بن الحارث الشيعي
واليزيدي وعمرو بن مسعدة وعبد الله بن طاهر بن الحسين ومحمد بن ابراهيم السلمي ودعبل
بن علي الخزاعي قال وقدم دمشق مرات واقام بها مدة ثم روى من طريق ابي القسم
البغوي حدثنا احمد بن ابراهيم الموصلي قال سمعنا المامون في الشماسية وقد اجرى
الحلبة فجعل ينظر الى كثرة الناس فقال ليحيى بن اكثم اما ترى ثم قال حدثنا يوسف بن
عطية عن ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فاحبهم
اليه انفعهم لعياله ومن حديث ابي بكر الساجي عن الحسين بن احمد المالكي عن يحيى بن اكثم
القاضي عن المامون عن هشيم عن منصور عن الحسن عن ابي بكرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الحياء من الايمان ومن حديث جعفر بن ابي عثمان الطيالسي انه صلى
العصر يوم عرفة خلف المامون بالرصافة فلما سلم كبر الناس فجعل يقول لا يا غوغا
لا يا غوغا غدا سنة ابي القسم صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد صعد المنبر فكبر ثم قال
انا هشام بن بشير ثنا ابن شبرمة عن الشعبي عن البراء بن عازب عن ابي بردة بن نيار قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم قدمه الى اهله ومن
ذبح بعد ان يصلي فقد اصاب السنة الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
اللهم اصلحني واستصلحني واصلح على يدي وكان مولد المامون في ليلة مات عمه الهادي
وولي ابوه الرشيد وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وولي
الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل اخيه سنة ثمان وتسعين ومائة فاستمر في
الخلافة عشرين سنة وخمسة اشهر وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة
وقد بايع في سنة احدى ومائتين بولاية العهد من بعده لعلي الرضى بن موسى الكاظم بن
جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن ابي طالب
وخلع السواد ولبس الخضرة كما قدمنا فاعظم ذلك العباسيون من البغاددة وغيرهم
وخلعوا المامون وولوا عليهم ابراهيم بن المهدي كما تقدم بسط ذلك في موضعه واما
كونه على مذهب الاعتزال فانه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المريسي فاخذ عنهم هذا
المذهب الباطل وكان يحب العلم ولم تكن له بصيرة نافذة فيه فدخل عليه بسبب ذلك
الداخل وراج عنده الباطل ودعا اليه وحمل الناس قهرا عليه وذلك في اخر ايامه وانقضاء
دولته وقال ابو بكر بن ابي الدنيا كان المامون ابيض ربعة حسن الوجه قد وخطه
الشيب تعلوه صفرة اعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين على خده خال اسود
يقال لها مراجل وروى الخطيب البغدادي عن القاسم بن محمد بن عباد قال لم يحفظ
القران احد من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمامون وهذا غريب جدا قالوا وكان
يتلو في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وجلس يوما لاملاء الحديث فاجتمع عنده
القاضي بن اكثم وجماعة فاملى من حفظه ثلاثين حديثا وكانت له بصيرة بعلوم متعددة

في فقه وطب وشعر وفرائض وكلام ونحو وغريبه وعربية وعلوم النجوم واليه ينسب الزيج
المامونى وقد اختبر مقدار الدرجة في وطاة سنجار فاختلف عمله وعمل الاوايل من القدما
وروى ابن عساكر ان المامون جلس يوما للناس وفي مجلسه العلما والامرا فجاءت امراة
تتظلم اليه فذكرت ان اخاها توفي وترك ستمائة دينار فلم يحصل لها سوى دينار واحد
فقال لها على البديهة قد وصل اليك حقك كان اخاك ترك بنتين واما وزوجة
واثني عشر اخا واختا وهي انت قالت نعم يا امير المومنين فقال للبنتين الثلثان
اربعمائة دينار وللام السدس مائة دينار وللزوجة الثمن خمسة وسبعون دينارا بقي خمسة
وعشرون دينارا لكل اخ ديناران ولك دينار فتعجب الناس من فطنته وسرعة جوابه
وقد روي هذه الحكاية عن علي بن ابي طالب ودخل بعض الشعرا على المامون وقد قال
فيه بيتا يراه عظيما فلما انشده اياه لم يقع منه موقعا طائلا فخرج من عنده فلقيه
شاعر اخر فقال الا اعجبك انشدت المامون هذا البيت فلم يرفع به راسا فقال
وما هو قال قلت فيه

اضحى امام الهدى المامون مشتغلا • بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فقال له ذلك الشاعر ما زدت على ان جعلته عجوزا في محرابها فهلا قلت كما قال
جرير في عبد العزيز بن الوليد

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه • ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وقال المامون يوما لبعض جلسائه بيتان لاثنين ما يلحقهما احد قول ابي نواس

اذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت • له عن عدو في ثياب صديق

وقول شريح

تهون على الدنيا الملامة انه • حريص على استصلاحها من يلومها

قال وقد الجاني الزحام يوما وانا في الموكب حتى خالطت السوقة فرايت رجلا في دكان
عليه اثواب خلقة فنظر الي نظر من يرحمني او من يتعجب من امري فقال

ارى كل مغرور تمنيه نفسه • اذا ما مضى عام سلامة قابل

وقال يحيى بن اكثم سمعت المامون يوم عيد خطب الناس فحمد الله واثنى عليه وصلى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عباد الله عظم امر الدارين وارتفع جزاء العاملين
وطالت مدة الفريقين فوالله انه للجد لا اللعب وانه للحق لا الكذب وما هو الا الموت
والبعث والحساب والفصل والصراط ثم العقاب والثواب فمن نجا يومئذ فقد فاز
ومن هوى يومئذ فقد خاب الخير كله في الجنة والشر كله في النار وروى ابن عساكر من طريق
النضر بن شميل دخلت على المامون فقال كيف اصبحت يا نضر فقلت بخير يا امير المومنين
فقال ما الارجاء فقلت دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصون
من دينهم قال صدقت ثم قال يا نضر اتدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم قلت
اني لي بعلم الغيب فقال قلت

اصبح ديني الذي ادين به • ولست منه الغداة معتذرا
حب علي بعد النبي ولا • اشتم صديقنا ولا عمرا
وابن عفان في الجنان مع الا • برار ذاك القتيل مصطبرا

لا لا ولا اشتم الزبير ولا طلحة ان قال قايل غدرا ... وعايشة الام لست اشتمها من يفتريها فنحن منه برا

وهذا المذهب ثاني مرتبة من التشيع وقبله تفضيل علي على عثمان وقد قال بعض السلف الدارقطني من فضل عليا على عثمان فقد ازرى بالمهاجرين والانصار يعني في اجتهادهم ثلاثة ايام ثم اتفقوا على تقديم عثمان على علي بعد مقتل عمر رضي الله عنهم وبعد ذلك ست عشرة مرتبة في التشيع على ما ذكره صاحب كتاب البلاغ الاكبر والناموس الاعظم ينتهي الى الكفر والزندقة وقد صح عن امير المومنين علي بن ابي طالب انه قال لا اوتى باحد فضلني على ابي بكر وعمر الا جلدته جلد المفتري وتواتر عنه انه قال خير الناس بعد رسول الله ابو بكر ثم عمر فقد خالف المامون بن الرشيد في مذهبه الصحابة كلهم حتى علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وقد اضاف المامون الى بدعته هذه التي ازرى فيها على المهاجرين والانصار وخالفهم في ذلك البدعة الاخرى والطامة العظمى وهي القول بخلق القران مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكر وغير ذلك من الافعال التي يعتذر بها المنكر ولكن كان فيه شهامة عظيمة وقوة جسيمة وله همة في القتال وحصار الاعدا ومصابرة الروم وحصرهم في بلدانهم وقتل فرسانهم واسر ذراريهم وولدانهم وكان يقول كان معاوية بعمره وعبد الملك بحجاجه وانا بنفسي وكان يتقصد العدل ويتولى بنفسه بين الناس الفصل جاءته امراة ضعيفة فتظلمت على ابنه العباس وهو واقف على راسه فامر الحاجب فاخذ بيده فاجلسه معها بين يديه فادعت عليه انه اخذ ضيعة لها واستحوذ عليها فتناظرا ساعة فجعل صوتها يعلو على صوته فزجرها بعض الحاضرين فقال له المامون اسكت فان الحق انطقها والباطل اسكته ثم حكم لها بحقها واغرم لها ولده بعشرة الاف درهم وكتب الى بعض الامرا ليس من المروة ان تكون انيتك من ذهب وفضة وغريمك عار وجارك طاو ووقف رجل بين يدي المامون فقال له المامون والله لاقتلنك فقال يا امير المومنين تان علي فان الرفق نصف العفو فقال ويحك وقد حلفت لاقتلنك فقال يا امير المومنين لان تلقى الله حانثا خير لك من ان تلقاه قاتلا فعفا عنه وكان يقول ليت اهل الجرايم يعرفون مذهبي في العفو حتى يذهب الخوف عنهم ويدخل السرور الى قلوبهم وركب يوما في حراقة فسمع ملاحا يقول اترون هذا المامون ينبل في عيني وقد قتل اخاه الامين وهو لا يشعر بمكان الخليفة فجعل المامون يتبسم ويقول كيف ترون الخليفة حتى انبل في عين هذا الرجل الجليل وحضر عنده هدبة بن خالد يوما فتغدى عنده فلما رفعت المايدة جعل هدبة يلتقط ما تناثر منها فقال له المامون اما شبعت يا شيخ فقال بلى حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله قال من اكل مما تحت مايدته امن من الفقر قال فامر له المامون بالف دينار وروى ابن عساكر ان المامون قال يوما لمحمد بن عباد بن عباد بن المهلب يا ابا عبد الله قد اعطيتك الف الف والف الف والف الف وان عليك دينا فقال يا امير المومنين ان منع الموجود سوء ظن بالمعبود فقال احسنت يا ابا عبد الله اعطوه الف الف والف الف والف الف ولما اراد المامون ان يدخل ببوران بنت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لابيها الاشيا النفيسة وكان من جملة من يعتريه رجل من الادبا فاهدى اليه مزودا فيه ملح طيب ومزودا فيه اشنان

جد

جيد وكتب اليه اني كرهت ان تطوى صحيفة اهل البر ولا ذكر لي فيها فوجهت اليك بالمبتدا بيمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته وكتب اليه

بضاعتي تقصر عن همتي ... وهمتي تقصر عن مالي
فالملح والاشنان يا سيدي ... احسن ما يهديه امثالي

فدخل بها الحسن بن سهل على المامون فاعجبه ذلك وامر بالمزودين ففرغا وملئا دنانير وبعث بهما الى ذلك الاديب وولد للمامون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهنونه بتهنئة التهاني فدخل عليه بعض الشعرا فقال له يهنيه بولده

مد لك الله الحياة مدا ... حتى ترى ابنك هذا جدا
ثم يفدى مثل ما تفدى ... كانه انت اذا تبدا
اشبه منك قامة وقدا ... مؤزرا بمجده مردا

قال فامر له بعشرة الاف درهم وقدم عليه بدمشق مال جزيل بعدما كان قد افلس وشكى الى اخيه المعتصم ذلك فورد عليه خزاين من خراسان فيها ثلاثون الف الف درهم فخرج يستعرضها وقد زينت الجمال والاحمال ومعه يحيى بن اكثم القاضي فلما دخلت البلد قال ليس من المروة ان نحوز هذا كله والناس ينظرون ثم فرق منه اربعة وعشرون الف الف درهم ورجله في الركاب لم ينزل عن فرسه ومن لطيف شعره

لساني كتوم لاسراركم ... ودمعي نموم بسري مذيع
فلولا دموعي كتمت الهوى ... ولولا الهوى لم تكن لي دموع

وقد بعث خادمه ليلة من الليالي لياتيه بجارية فاطال عندها المكث وتمنعت الجارية من المجي اليه حتى ياتي اليها الخليفة بنفسه فانشا المامون يقول

بعثتك مشتاقا ففزت بنظرة ... واغفلتني حتى اسات بك الظنا
فناجيت من اهوى وكنت مقربا ... فيا ليت شعري عن دنوك ما اغنى
ورددت طرفا في محاسن وجهها ... ومتعت باستماع نغمتها اذنا
ارى اثرا منه بعينيك لم يكن ... لقد سرقت عيناك من حسنها حسنا

ولما ابتدع المامون ما ابتدع من التشيع والاعتزال فرح بذلك بشر المريسي وكان شيخ المامون في ذلك فانشا المريسي يقول

قد قال ماموننا وسيدنا ... قولا له في الكتاب تصديق
ان عليا اعني ابا حسن ... افضل من ارقلت به النوق
بعد نبي الهدى وان لنا ... اعمالنا والقران مخلوق

فاجابه بعض الشعرا من اهل السنة فقال

يا ايها الناس لا قول ولا عمل ... لمن يقول كلام الله مخلوق
ما قال ذاك ابو بكر ولا عمر ... ولا النبي ولم يذكره صديق
ولم يقل ذاك الا كل مبتدع ... على الرسول وعند الله زنديق
محمدا اراد به امحاق دينكم ... لان دينكم والله ممحوق
اصح يا قوم عقلا من خليفتكم ... يمسي ويصبح في الاغلال موثوق

وقد سال بشر من المامون ان يطلب قايل هذا فيودبه على ذلك فقال ويحك لو كان فقيها

ادبته ولكنه شاعر فلست اعرض له ولما تجهز المامون للغزو في اخر سفرة سافرها الى طرسوس استدعى بجارية كان يحبها وقد اشتراها في اخر عمره فجعل يضمها اليه فبكت الجارية وقالت قتلتني يا امير المومنين بسفرك هذا ثم انشات تقول

سادعوا دعوة المضطر ربا ... يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله ان يكفيك حربا ... ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها اليه وانشا يقول متمثلا

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها ... واذ هي تذري الدمع منها الانامل
صبيحة قالت في العتاب قتلتني ... وقتلي بما قالت هناك تحاول

ثم امر الخادم مسرورا بالاحسان اليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع ثم قال نحن كما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النسا ولو باتت باطهار

ثم ودعها وسار فمرضت الجارية في غيبته هذه ومات المامون ايضا فلما جاء نعيه اليها تنفست الصعدا وحضرها الموت وانشات تقول وهي في السياق

ان الزمان سقانا من مرارته ... بعد الحلاوة انفاسا فاروانا
ابدى لنا تارة منه فاضحكنا ... ثم انثنى تارة اخرى فابكانا
انا الى الله فيما لا يزال لنا ... من القضا ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها ... ما لا يدوم مصافاة واحزانا
ونحن فيها كانا لا يزايلنا ... للعيش احياؤنا يبكون موتانا

وكانت وفاة المامون بطرسوس يوم الخميس وقت الظهر وقيل بعد العصر لثلاث عشرة بقيت خلت من رجب من سنة ثماني عشرة ومايتين وله من العمر ثمان واربعين سنة وكانت مدة خلافته عشرين سنة واشهرا وصلى عليه اخوه المعتصم وهو ولي العهد من بعده ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم وقيل كانت وفاته ليلة الثلاثا وقيل يوم الاربعا لثمان بقين من رجب من هذه السنة وقيل انه مات خارج طرسوس باربع مراحل فحمل اليها حتى دفن بها وقيل انه نقل بعد ذلك في رمضان الى اذنه ودفن بها والله اعلم وقد قال ابو سعيد المخزومي

ما رايت النجوم اغنت عن المامون في عز ملكه المانوس
خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثل ما خلفوا اباه بطوس

وقد كان اوصى الى اخيه ابي اسحاق المعتصم وكتب وصيته بحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والامرا والوزرا والكتاب وفيها القول بخلق القران لم يتب من ذلك حتى ادركه اجله وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه واوصى ان يكبر عليه الذي يصلي عليه خمسا واوصى اخاه ابا اسحاق المعتصم بتقوى الله عز وجل والرفق بالرعية وان يعتقد ما كان يعتقده اخاه في القران والدعا الى ذلك واوصاه بعبد الله بن طاهر واسحاق بن ابراهيم واحمد بن ابي داود القاضي قال شاوره في امورك كلها ولا تفارقه وحذره من يحيى بن اكثم ونهاه عنه وذمه وقال خانني ونفر الناس عني ففارقته غير راض عنه ثم اوصاه بالعلويين خيرا ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وان يواصلهم بصلاتهم في كل سنة وقد ذكر الامام ابو جعفر بن جرير للمامون ترجمة حافلة اورد فيها

اشيا

اشيا كثيرة لم يذكرها الحافظ ابن عساكر مع كثرة ما يورده وفوق كل ذي علم عليم

خلافة المعتصم بالله ابي اسحاق محمد بن هرون الرشيد

بويع له بالخلافة يوم مات اخوه المامون بطرسوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من سنة ثماني عشرة ومايتين وكان اذ ذاك مريضا وهو الذي صلى على اخيه المامون وقد شغب بعض الجند فارادوا ان يولوا العباس بن المامون فخرج عليهم العباس بن المامون فقال لهم ما هذا الخلف البارد انا قد بايعت عمي المعتصم فسكن الناس وخمدت الفتنة وركب البرد بالبيعة الى الافاق وبالتعزية بالمامون وولاية المعتصم فامر المعتصم بهدم ما كان بناه المامون في مدينة طوانة وامر بابطال ذلك ونقل ما كان حول اليها من السلاح وغير ذلك واذن للفعول بالانصراف الى بلدانهم واقاليمهم ثم ركب المعتصم في الجنود قاصدا بغداد وصحبه العباس بن المامون فدخلها يوم السبت مستهل رمضان في ابهة عظيمة وتجمل تام وفي هذه السنة دخل خلق كثير من اهل همذان واصبهان وماسبذان ومهرجان قذق في دين الخرمية فتجمع منهم بشر كثير فجهز اليهم المعتصم جيوشا كثيرة اخرهم جهز اليهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب في جيش عظيم وعقد له على الجبال فخرج من بغداد في ذي القعدة وقرى كتابه بالفتح يوم التروية وانه قهر الخرمية وقتل منهم خلقا كثيرا وهرب بقيتهم الى بلاد الروم ولله الحمد والمنة وعلى يديه كانت فتنة الامام احمد بن حنبل وضرب بين يديه كما سياتي بسط ذلك في ترجمة احمد عند ذكر وفاته في سنة احدى واربعين ومايتين ان شا الله تعالى وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد وضحى اهل مكة يوم الجمعة واهل بغداد ضحوا يوم السبت

وممن توفي فيها من الاعيان

بشر بن غياث بن ابي كريمة ابو عبد الرحمن المريسي شيخ المعتزلة واحد من اضل المامون وقد كان هذا الرجل نظر في شي من الفقه واخذ عن القاضي ابي يوسف وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ثم غلب عليه علم الكلام وقد نهاه الشافعي عن تعاطيه فلم يقبل منه وقد قال له الشافعي لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك بالله احب الي من ان يلقاه بعلم الكلام وقد كان اجتماع بشر بالشافعي عندما قدم الشافعي بغداد قال القاضي ابن خلكان جرد القول بخلق القران وحكي عنه اقوال شنيعة وكان مرجيا واليه تنسب الطايفة المريسية المرجية وكان يقول ان السجود للشمس والقمر ليس بكفر وانما هو علامة الكفر وكان يناظر الامام الشافعي وكان لا يحسن النحو وكان يلحن لحنا فاحشا قال ويقال ان اباه كان يهوديا صباغا بالكوفة قال وكان يسكن درب المريس ببغداد والمريس عندهم هو خبز الرقاق يمرس بالسمن والتمر قال ومريس ناحية ببلاد النوبة ياتي من جهتها في الشتا ريح باردة ثم راج بشر المريسي عند المامون وحظي عنده وتقدم في حضرته ونفق سوقه الكاسد واستعبد ذهنه البارد ولما توفي في ذي الحجة من هذا العام او الذي قبله في قول صلى عليه رجل من المحدثين يقال له عبيد الشونيزي فلامه بعض المحدثين فقال لهم الا تسمعون كيف دعوت له في صلاتي عليه قلت اللهم ان عبدك هذا كان ينكر عذاب القبر اللهم فاذقه من عذاب القبر وكان ينكر شفاعة نبيك فلا تجعله من اهلها

وكان ينكر رؤيته في الدار الاخرة فاحجب وجهك الكريم عنه فقال لولا انه اصبت وهذا

الذي نطق به بعض السلف حيث قال لو امن كذب بكرامته لم ينلها وتوفي في هذا العام

عبد الله بن يوسف التنيسي وابو مسهر عبد الاعلى بن مسهر الغساني الدمشقي ويحيى

بن عبد الله البابلتي ابو محمد عبد الله بن هشام بن ايوب الحميري المعافري راوي السيرة

عن زياد بن عبد الله البكاي عن محمد بن اسحاق مصنفها وانما ينسب اليه فيقال

سيرة ابن هشام لانه هذبها وزاد فيها ونقص منها وحرر اماكن واستدرك اشيا وقد كان

اماما في النحو واللغة والعربية وقد كان مقيما بديار مصر وقد اجتمع به الشافعي حين

وردها وتناشدوا من اشعار العرب اشيا كثيرة وكانت وفاته بها لثلاث عشرة

خلت من ربيع الاخر من هذه السنة قاله ابن يونس في تاريخ مصر وزعم السهيلي انه

توفي سنة ثلاث عشرة فالله اعلم

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومايتين

فيها ظهر محمد بن القاسم بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بالطالقان

من خراسان يدعو الى الرضا من ال محمد واجتمع عليه خلق كثير وقاتله قواد عبد الله بن

طاهر مرات متعددة ثم ظهروا عليه وهرب فاخذ ثم بعث به الى عبد الله بن طاهر فبعثه

الى المعتصم فدخل عليه في النصف من ربيع الاخر فامر به فحبس في مكان ضيق طوله

ثلاثة اذرع في ذراعين فمكث فيه ثلاثا ثم حول الى اوسع منه واجري عليه رزق ومن

يخدمه فلم يزل محبوسا هنالك الى ليلة عيد الفطر فاشتغل الناس بالعيد فدلي

له حبل من كوة كان ياتيه الضوء منها فذهب فلم يدر كيف ذهب ولا الى اين صار من الارض

وفي يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى دخل اسحاق بن ابراهيم الى بغداد راجعا

من قتال الخرمية ومعه الاسرى منهم وقد قتل في حربه هذا من الخرمية مائة الف مقاتل منهم

ولله الحمد والمنة وفيها بعث المعتصم عجيفا في جيش كثيف لقتال الزط الذين عاثوا

في بلاد البصرة وقطعوا الطرق ونهبوا الغلات فمكث في قتالهم تسعة اشهر فقهرهم

وقمع شرهم وابا دخضراءهم وكان القايم بامرهم رجل يقال له محمد بن عثمان ومعه انسان يقال

له سملق هو داهيتهم وشيطانهم فاراح الله المسلمين منهم ومن شرهم وفيها توفي من الاعيان

سليمان بن داود الهاشمي شيخ الاسلام احمد وعبد الله بن الزبير الحميدي صاحب المسند

وتلميذ الشافعي وعلي بن عياش وابو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري وابو غسان النهدي

سنة عشرين ومايتين من الهجرة

في يوم عاشورا دخل عجيف في السفن الى بغداد ومعه من الزط سبعة وعشرون الفا

قد جاووا بالامان الى الخليفة فانزلوا في الجانب الشرقي ثم نفاهم الخليفة الى عين زربة

فاغارت الروم عليهم فاجتاحوهم عن اخرهم فلم يفلت منهم احد وكان اخر العهد بهم وفيها عقد

المعتصم للافشين واسمه حيدر بن كاوس على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي لعنه الله

وكان قد استفحل امره جدا وقويت شوكته وانتشرت اتباعه في بلاد اذربيجان وما

والاها وكان اول ظهوره في سنة احدى ومايتين وكان زنديقا كبيرا وشيطانا رجيما

فسار الافشين واحكم صناعة الحرب في الارصاد وعمارة الحصون واتصال البرد وارسل

اليه المعتصم بالدعم بغا الكبير بالاموال نفقة لمن معه من الجند والاتباع وقد

انتفع هو وبابك في هذه السنة فاقتتلا قتالا عظيما فقتل الافشين من اصحاب بابك

خلقا كثيرا وانهزم هو الى مدينته فاوى اليها مكسورا فكان هذا اول ما يصنع من امر بابك

لعنه الله وجرت بينهما حروب يطول ذكرها وبسطها وقد استقصاها الامام ابو

جعفر رح وفي هذه السنة خرج المعتصم من بغداد فنزل القاطول فاقام بها وفيها غضب

المعتصم على الفضل بن مروان بعد المكانة العظيمة وعزله عن الوزارة وحبسه واخذ

امواله وجعل مكانه محمد بن عبد الملك بن الزيات وحج بالناس في هذه السنة صالح بن

علي بن محمد امير السنة الماضية وتوفي فيها من الاعيان ادم بن ابي اياس وعبد الله

بن رجا وعفان بن مسلم وقالون احد مشاهير القراء وابو حذيفة النهدي

ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومايتين

فيها كانت وقعة هائلة بين بغا الكبير وبابك الخرمي فهزم بابك بغا وقتل خلقا من اصحابه

فانا لله وانا اليه راجعون ثم اقتتل الافشين وبابك فهزمه الافشين وقتل خلقا من

اصحابه وجرت بينهم حروب طويلة قد استقصاها ابو جعفر بن جرير رح في تاريخه

وحج بالناس نايب مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

وفيها توفي من الاعيان عاصم بن علي وعبد الله بن مسلمة القعنبي وعبدان وهشام بن

عبيد الله الرازي

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومايتين

فيها وجه المعتصم جيشا كثيفا مددا للافشين على محاربة الخرمية وبعث اليه بثلاثين

الف الف درهم نفقة للجند والاتباع وفيها اقتتل الافشين والخرمية قتالا عظيما وفتح

الافشين البذ مدينة بابك واستباح ما فيها ولله الحمد وذلك يوم الجمعة لعشرة

بقين من رمضان وذلك بعد محاصرة عظيمة وحروب هائلة وقتال شديد وجهد جهيد

وقد طال ابو جعفر بسطه جدا وحاصل الامر انه افتتح البلد واخذ جميع ما احتوى

عليه من الاموال

ذكر مسك بابك الخرمي واسره وقتله

لما احتوى المسلمون على بلده المسمى بالبذ وهي دار ملكه ومقر سلطانه هرب بمن معه

من اهله وولده ومعه امه وامراته فانفرد في شرذمة قليلة من خدمه ولم يبق معهم

طعام فاجتاز بحراث فبعث غلامه اليه ومعه ذهب فقال اعطه الذهب وخذ ما معه

فجاء اليه فدفع اليه الدينار وناوله الحراث ما معه من الخبز فنظر شريك الحراث اليه من

بعيد وهو ياخذ منه الخبز فظن انه قد اغتصبه منه فذهب الى حصن هناك فيه نايب

للخليفة يقال له سهل بن سنباط ليستعدي على الغلام فركب بنفسه وجاء فوجد الغلام

فقال له ما خبرك فقال لا شيء انما اعطيته دنانير واخذت منه هذا الخبز فقال ومن انت

فاراد ان يعمي عليه الخبر فالح عليه فقال انا من غلمان بابك فقال له واين هو فقال ها هو ذا جالس

يريد الغدا فسار اليه سهل بن سنباط فلما راه ترجل وجاء فقبل يده وقال يا سيدي

اين تريد فقال اريد ان ادخل بلاد الروم فقال الى عند من تذهب احرز من حصني وانا غلامك

وفي خدمتك وما زال به حتى خدعه واخذه معه الى الحصن فانزله عنده واجرى عليه النفقات

الكثيرة والتحف وغير ذلك وكتب الى الافشين يعلمه بذلك فارسل اليه اميرين لقبضه

طلب
عريف ابن
شام صاحب
سيرة

فنزلا قريبا من الحصن وكتبا الى ابن سباط فقال انهما مكانكما حتى ياتيكما امري وقال
لبابك انك قد حصل لك غم وضيق من هذا الحصن وقد عزمت على الخروج الى الصيد
ومعنا بزاة وكلاب فان احببت ان تخرج معنا لتنشرح قال نعم فخرجوا وبعث
ابن سباط الى الاميرين ان كونا بمكان كذا وكذا في وقت كذا وكذا من النهار فلما كانوا بذلك
الموضع اقبل الاميران بمن معهما من الجنود فاحاطوا ببابك وبابن سنباط فلما راوه جاءوا
اليه فقالوا انزل عن دابتك فقال ومن انتما فذكرا له انهما من عند الافشين فنزل
وكانت عليه دراعة بيضاء وعمامة بيضاء وخف قصير وفي يده باز فنظر
الى ابن سنباط وقال قبحك الله فهلا طلبت مني المال فكنت اعطيك اكثر مما يعطيك
هؤلاء ثم اركبوه واخذوه معهما الى الافشين فلما اقتربوا من بلد الافشين خرج
فتلقاه وامر الناس ان يصطفوا صفين وان ينزل بابك فيدخل بين الناس وهو
ماش ففعل ذلك وكان يوما مشهودا جدا وكان ذلك في شوال من هذه السنة
ثم احتفظ به وهو في السجن عنده ثم كتب الافشين الى المعتصم يخبره بان بابك في اسره
وقد استحضر اخاه عبد الله ايضا فكتب اليه المعتصم يامره ان يقدم بهما عليه الى
بغداد فجهزهما الى بغداد في تمام هذه السنة وحج بالناس فيها محمد بن داود المتقدم
ذكره وفيها توفي ابو اليمان الحكم بن نافع وعمر بن حفص بن غياث ومسلم بن ابراهيم ويحيى
بن صالح الوحاظي

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

في يوم الخميس ثالث صفر من هذه السنة دخل الافشين على المعتصم سامرا ومعه بابك
الخرمي واخوه عبد الله في تجمل عظيم وقد امر المعتصم ابنه هارون الواثق ان يتلقاه
الافشين وكانت اخباره تنفذ الى المعتصم في كل يوم من شدة اعتناء المعتصم بامر بابك
وقد ركب المعتصم قبل وصول بابك بيومين على البريد حتى دخل الى بابك وهو لا يعرفه
فنظر اليه ثم رجع فلما كان يوم دخوله عليه تاهب المعتصم واصطف الناس سماطين
وامر بابك ان يركب على فيل ليشتهر امره ويعرفوه وعليه قباء ديباج وقلنسوة سمور
مدورة وقد هيئ الفيل وخضبت اطرافه والبس من الحرير والامتعة التي تليق به
شيئا كثيرا وقد قال بعضهم

قد خضب الفيل كعاداته ... يحمل شيطان خراسان

والفيل لا يخضب اعضاؤه ... الا لذي شان من الشان

ولما احضر بين يدي الخليفة امر بقطع يديه ورجليه وجز راسه وشق بطنه ثم
امر بحمل راسه الى خراسان وصلبت جثته على خشبة بسامرا وكان بابك لعنه الله قد
شرب الخمر في ليلته اسفر صباحها عن قتله وذلك ليلة الخميس لثلاث عشرة خلت
من ربيع الاخر من هذه السنة وكان جملة من قتل من المسلمين في مدة ظهوره لعنه
الله وهي عشرون سنة مائتي الف وخمسة وخمسين الفا وخمسمائة قاله ابن جرير واسر
خلقا لا يحصون كثرة وكان من جملة من استنقذ الافشين من اسره نحو من سبعة الاف وستمائة
انسان واسر من اولاده سبعة عشر رجلا ومن حلائله وحلائل ابنائه ثلاثا وعشرين امراة
من الخواتين وقد كان اصل بابك لعنه الله ابن جارية زرية الشكل جدا فآل به الحال الى

هذه الحال

هذه الحال ثم اراح الله المسلمين من شره بعدما افتتن به خلق كثير وجم غفير من الطغام
ولما قتله المعتصم توج الافشين وقلده وشاحين من جوهر واطلق له عشرين الف
الف درهم وكتب له بولاية السند وامر الشعراء ان يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل
من الخير الى المسلمين وعلى تخريبه بلد بابك التي يقال لها البذ وتركها يبابا خرابا
فقالوا في ذلك فاحسنوا وكان من جملتهم ابو تمام الطائي وقد اورد قصيدته بتمامها
الامام ابو جعفر رح في تاريخه وهي قوله

بذي الجلاد البذ وهي قطين ... ما ان بها الا الوحوش قطين

لم يقر هذا السيف هذا الصبر في ... هيجاء الا عز هذا الدين

قد كان عذرة سودد فافتضها ... بالسيف فحل المشرق الافشين

فاعادها تعوي الثعالب وسطها ... ولقد ترى بالامس وهي عرين

هطلت عليها من جماجم اهلها ... ديم امارتها طلى وشؤون

كانت من المهجات قبل مفازة ... عسرا فاضحت وهي منه معين

وفي هذه السنة اعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين اوقع ملك الروم توفيل بن
ميخائيل لعنه الله باهل ملطية من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة قتل فيها منهم
خلقا كثيرا واسر ما لا يحصون كثرة فكان من جملة من اسر الف امراة من المسلمات ومثل
بمن وقع في اسره من المسلمين فقطع اذانهم وانافهم وسمل اعينهم قبحه الله وكان سبب
ذلك ان بابك لعنه الله لما احيط به من كل جانب في مدينته البذ واستوسقت
الجنود حوله كتب الى ملك الروم يقول له ان ملك العرب قد جهز الي جمهور جيشه ولم يبق
في اطراف بلاده من يحفظها فان كنت تريد الغنيمة فانهض سريعا الى ما حولك
من بلاده فخذها فانك لا تجد احدا يمانعك عنها فركب توفيل لعنه الله في مائة الف
وانضاف اليه المحمرة الذين كانوا قد خرجوا الى الجبال وقاتلهم اسحاق بن ابراهيم فلم
يقدر عليهم وتحصنوا بتلك الجبال فلما قدم ملك الروم صاروا معه على المسلمين
فوصلوا الى زبطرة فقتلوا من رجالها خلقا واسروا من حريمها امة كثيرة فبلغ ذلك
المعتصم فانزعج لذلك جدا وصرخ في قصره بالنفير ثم نهض من فوره فامر بتعبية الجيوش
واستدعى بالقاضي والعدول فاشهدهم ان ما يملكه من الضياع ثلثه لله وثلثه
لولده وثلثه لمواليه وخرج من بغداد فعسكر غربي دجلة يوم الاثنين لليلتين
خلتا من جمادى الاولى ووجه بين يديه عجيفا وطائفة من الامراء معهم خلق من الجيش
اغاثة لاهل زبطرة فاسرعوا في السير فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وانشمر
الى بلاده راجعا وتفارط الحال ولم يكن الاستدراك فيه فرجعوا الى الخليفة
باعلامه بما وقع من الامر فقال للامراء اي بلاد الروم امنع قالوا عمورية لم يعرض لها
احد منذ كان الاسلام وهي اشرف عندهم من القسطنطينية

ذكر فتح عمورية على يدي المعتصم

لما تفرغ المعتصم من شان بابك لعنه الله وقتله واخذ بلاده استدعى بالجيوش
الى بين يديه وتجهز جهازا لم يتجهزه احد كان قبله من الخلفاء واخذ معه من الات الحرب
والاحمال والجمال والقرب والدواب والنفط والخيل والبغال شيئا لم يسمع بمثله

وسار اليها في جحافل كالجبال وبعث الافشين حيدر بن كاوس من ناحية سروج وعبى
الخليفة جيشه تعبية لم يسمع بمثلها وقدم بين يديه الامرا المعروفين بالحرب وخبرته
فانتهى في سيره الى نهر اللمس وهو قريب من طرسوس وذلك في رجب من هذه السنة
المباركة وقد ركب ملك الروم في جيشه فقصد نحو المعتصم فتقاربا حتى كان
بين الجيشين نحو من اربعة فراسخ ودخل الافشين بلاد الروم من ناحية اخرى فجا من
ورا ملك الروم فحار في امره وضاق ذرعه بسببه لانه ان ناجز الخليفة جا الافشين
من خلفه فالتقيا عليه فيهلك وان سار الى احدهما وترك الاخر اخذه من ورايه ثم
اقترب منه الافشين فسار في شرذمة من الجيش اليه واستخلف على بقيته قريبا له
فالتقى هو والافشين في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان من هذه السنة فثبت
الافشين في ثاني الحال وقتل من الروم خلقا وجرح اخرين وتغلب فيه ملك الروم
وبلغه ان بقية الجيش قد تشردوا عن قرابته وذهبوا عنه ونفروا عليه فاسرع
الاوبة فاذا نظام الجيش قد اختل فغضب على قرابته وضرب عنقه وجات الاخبار
بذلك كله الى المعتصم فسره ذلك جدا وركب من فوره وجا الى انقرة ووافاه الافشين
بمن معه اليها لذلك فوجدوا اهلها قد هربوا منها وتفرقوا عنها فتقووا منها
بطعام وعلوفة كثيرة ثم فرق المعتصم جيشه ثلاث فرق فالميمنة عليها
الافشين والميسرة عليها اشناس والمعتصم في القلب وبين كل عسكرين فرسخان
وامر كل امير من الافشين واشناس ان يجعل لجيشه ميمنة وميسرة وقلبا ومقدمة
وساقة وانهم مهما مروا عليه من القرى حرقوه وخربوا واسروا وغنموا وسار بهم كذلك
قاصدا الى عمورية وكان بينها وبين انقرة سبع مراحل فاول من وصل اليها من الجيوش
اشناس امير الميسرة ضحوة يوم الخميس لخمس خلون من رمضان من هذه السنة فدار حولها
دورة ثم نزل على ميلين منها ثم جا المعتصم صبيحة يوم الجمعة بعده بيوم فدار
حولها دورة ثم نزل قريبا منها ثم قدم الافشين يوم السبت فدار حولها دورة ثم
نزل قريبا منها وقد تحصن اهلها وملوا ابراجها بالرجال والسلاح وهي مدينة
عظيمة جدا ذات سور منيع وابراج عالية كبيرة فقسم المعتصم الابراج على الامرا
فنزل كل امير تجاه الموضع الذي اقطعه وعينه له ونزل المعتصم قباله فكان مكان
قد ارشده اليه بعض من كان فيها من المسلمين الاسرا وقد كان تنصر عندهم وتزوج
منهم فلما راى امير المومنين والمسلمين رجع الى الاسلام وخرج الى الخليفة فاسلم واعلمه
بمكان في السور كان قد هدمه السيل وبني بنا فاسدا بلا اساس فنصب المعتصم
المجانيق حول عمورية فكان اول موضع انهدم ذلك الموضع الذي دلهم عليه ذلك الاسير
فبادر اهل البلد فسدوه بالخشب الكبار المتلاصقة فالح عليها المنجنيق فكسرها
فجعلوا فوقها البرادع ليردوا حدة الحجر فلما الح عليها المنجنيق لم يغن شيا وانهدم السور
من ذلك الجانب وتفسخ فكتب نايب البلد الى ملك الروم يعلمه بذلك وبعث ذلك
مع غلامين من قومهم فلما اجتازا بالجيش في طريقهم انكروا امرهما فسالوهما ممن انتما
فقالا من اصحاب فلان لرجل من المسلمين فحملا الى المعتصم ففتشهما فاذا معهما كتاب
ناطس نايب عمورية الى ملك الروم يعلمه بما حل بهم من الحصار وانه عازم على الخروج من ابواب

البلد

البلد عن بعض بغتة فيما حول المسلمين كاينا في ذلك ما كان فلما وقف المعتصم على ذلك
امر بالغلامين فخلع عليهما وان يعطى كل واحد منهما بدرة فاسلما من فورهما فامرهما الخليفة
ان يطافا بهما حول البلد وعليهما الخلع وان يوقفا تحت الحصن الذي فيه ناطس
فينثر عليهما الدراهم والخلع ومعهما الكتاب الذي كتبه ناطس معهما الى ملك الروم
فجعلت الروم تلعنهما وتسبهما وامر المعتصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتفاظ فيه
من خروج الروم بغتة فضاقت الروم ذرعا بذلك والح عليهم المسلمون في الحصار وقد
اعد المعتصم عليها المجانيق الكثيرة والدبابات وغير ذلك من الات الحرب ولما راى
المعتصم عمق خندقها وارتفاع سورها عمل المجانيق في مقاومة سورها وكان قد
غنم من الطريق غنما كثيرا جدا ففرقها في الناس وامر ان ياكل الرجل الراس ويجي بملء
جلده ترابا يطرحه في الخندق ففعل الناس ذلك فتساوى الخندق بوجه الارض من
كثرة ما طرح من الاغنام ثم امر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقا ممهدا وامر بالدبابات
ان توضع فوقه فلم يحوج الله الى ذلك وبينما الناس في الجسر اذ هدم المنجنيق ذلك
الموضع المعيب من السور فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس هدة عظيمة فظنها من
لم يرها ان الروم قد خرجوا على الناس بغتة فبعث المعتصم من ينادي في الناس انما
ذلك سقوط السور ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا لكن لم يكن يتسع ان يدخل
منه الجيش لضيقه عليهم فامر المعتصم بالمجانيق المتفرقة فجمعت هنالك ونصبت
حول ذلك الموضع الذي سقط ليضرب بها ما حوله ليتسع لدخول الخيل والرجال وقوي
الحصار هنالك جدا وقد وكلت الروم بكل برج من ابراج السور اميرا يحفظه واتفق ان
ذلك الامير الذي انهدم ما عنده من السور ضعف عن مقاومة ما تلقاه من المسلمين
فذهب الى ناطس فسأله النجدة فامتنع احد من الروم ان ينجده وقالوا لا نترك
ما نحن بصدده من حفظ اماكننا التي قد عينت لنا فلما يئس منهم خرج الى المعتصم
ليجتمع به فلما وصل اليه امر الخليفة المسلمين ان يدخلوا البلد من تلك الثغرة
التي انهدمت وخلت من المقاتلة فركب المسلمون نحوها فجعلت الروم يشيرون اليهم
لا تجيوا ولا يقدرون على دفاعهم فلم يلتفت اليهم المسلمون ثم تكاثروا عليهم ودخلوا البلد
قهرا وتتابع المسلمون اليها يكبرون وتفرقت الروم عن اماكنها فجعلوا يقتلونهم في كل
مكان حيث وجدوهم واين ثقفوهم وقد حصروهم في كنيسة لهم هائلة ففتحوها
قسرا وقتلوا من فيها فاحرقوا عليهم باب الكنيسة فاحترقوا عن اخرهم ولم يبق فيها
موضع محصن سوى المكان الذي فيه النايب وهو ناطس في حصن منيع فركب المعتصم
فرسه وجا حتى وقف بحذا الحصن الذي فيه ناطس فناداه المنادي ويحك يا ناطس
هذا امير المومنين واقف تجاهك فقال ليس بناطس هاهنا مرتين فغضب المعتصم
من ذلك وولى فنادى يا ناطس هذا ناطس فرجع الخليفة ونصبت السلالم على
الحصن وطلعت الرسل اليه فقالوا له ويحك انزل على حكم امير المومنين فتمنع ثم
نزل متقلدا سيفا فوضع السيف في عنقه ثم جي به حتى اوقف بين يدي المعتصم
فضربه بالسوط على راسه ثم امر به ان يمشي الى مضرب الخليفة مقيدا فيها الى الوطاق
الذي فيه الخليفة نازلا فاوثق هنالك واخذ المسلمون من عمورية اموالا عظيمة وغنايم

لا يحد ولا توصف فحملوا ما امكن حمله وامر المعتصم باحراق ما بقي من ذلك وباحراق ما هنالك
من المجانيق والدبابات وآلات الحرب لئلا يتقوى بها الروم على شي من حرب المسلمين ثم
انصرف راجعا نحو ناحية طرسوس في اواخر شوال من هذه السنة وكانت
اقامته على عمورية خمسة وخمسين يوما

ذكر مقتل العباس بن المامون

كان العباس بن المامون مع عمه المعتصم في غزاة عمورية وكان عجيف بن عنبسة
قد ندمه اذ لم ياخذ الخلافة بعد ابيه المامون حين مات بطرسوس ولامه على مبايعته
عمه المعتصم ولم يزل به حتى اجابه الى الفتك بعمه المعتصم واخذ البيعة من الامرا له وجهز
رجلا يقال له الحرث السمرقندي كان نديما للعباس فاخذ له البيعة من جماعة من
الامرا في الباطن واستوثق منهم وتقدم اليهم انه متى تمكن من الفتك بعمه فليقتله واحد منهم
من يقدر عليه من رؤوس اصحاب المعتصم كالافشين واشناس وغيرهم من الكبار
فلما كانوا بدرب الروم وهم قاصدون الى انقرة ومنها الى عمورية اشار عجيف على العباس
ان يقتل عمه في هذا المضيق وياخذ له البيعة ويرجع الى بغداد فقال له العباس لا
اكره ان افسد على الناس هذه الغزوة فلما فتحوا عمورية واشتغل الناس بالمغانم
اشار عليه ان يفتك به فوعده مضيق الدرب اذا رجعوا فلما رجعوا فطن المعتصم
بالخبر فامر بالاحتفاظ وقوس الحرس واخذ بالحزم واجتهد في العزم واستدعا بالحرث السمرقندي
فاستخبره فاقر له بجملة الامر واخذ البيعة للعباس من جماعة من الامرا واسماهم له فا
فاستكثرهم المعتصم واستدعى بابن اخيه العباس بن المامون فقيده وغضب عليه
واهانه ثم اظهر له انه قد رضي عليه وعفى عنه فارسله من القيد واطلق سراحه فلما
كان من الليل استدعاه الى حضرته في مجلس شرابه واستخلاه حين سقاه واستحكاه
عن الذي كان قد دبره من الامر فشرح له القضية وانهى اليه القصة فاذا الامر كما ذكر
الحرث السمرقندي فلما اصبح استدعى بالحرث فاخلاه وسأله عن القضية ثانيا فذكرها
له كما ذكرها له اول مرة فقال ويحك اني كنت حريصا على ذلك فلم اجد الى ذلك
سبيلا لصدقك اياي في هذه القصة ثم امر المعتصم حينئذ بابن اخيه العباس
فقيد وسلمه الى الافشين وامر بعجيف وبقية من ذكر من الامرا فاحتيط عليهم فاحيط
بهم ثم اخذ في انواع النقمات يعذبهم ثم قتل كل انسان منهم بنوع من القتلات
ومات العباس بن المامون بمنبج فدفن هناك وكان سبب موته انه جاع جوعا شديدا
ثم جيء باكل كثير فاكل وطلب الما فمنع حتى مات وامر المعتصم بلعنه على المنابر وسماه
اللعين وقتل جماعة من ولد المامون ايضا وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود
وفتحت عمورية كما تقدم وتوفي فيها من الاعيان بابك الخرمي قتل وصلب كما قدمنا
ذلك مبسوطا وخالد بن خداش وعبد الله بن صالح كاتب الليث ومحمد بن سنان
العوفي وموسى بن اسماعيل

ثم دخلت سنة اربع وعشرين ومايتين

فيها خرج رجل بامل طبرستان يقال له مازيار بن قارن بن وندا هرمز وكان لا يرضى ان
يرفع الحمل الى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين بل يبعثه الى الخليفة ليقبضه

منه فيبعثه الخليفة ثم يبتلي الحمل الى بعض البلاد فيقبضه منه ثم يبلغ الى عبد
الله بن طاهر ثم توثب على تلك البلاد واظهر المخالفة للمعتصم وقد كان المازيار هذا
ممن يكاتب بابك الخرمي ويعده بالنصر ويقال ان الذي قوى راس المازيار هو الافشين
ليعجز عبد الله بن طاهر فيوليه المعتصم بلاد خراسان مكانه فبعث اليه المعتصم
محمد بن ابراهيم بن مصعب اخا اسحاق بن ابراهيم في جيش كثيف فجرت بينهم حروب
طويلة استقصاها ابن جرير وكان اخر ذلك ان اسر المازيار وحمل الى عبد الله بن طاهر
فاستقره عن الكتب التي بعثها اليه الافشين فاقر بها فارسله نحو امير المومنين ومعه
من اموله التي اصطفيت اشيا كثيرة جدا من الذهب والجواهر والثياب فلما اوقف
بين يدي الخليفة سأله عن كتب الافشين اليه فانكرها فامر به فضرب بالسياط حتى مات
وصلب الى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد وقتل عيون اصحابه واتباعه وفي هذه
السنة تزوج الحسين بن الافشين باترجه بنت اشناس ودخل بها في قصر المعتصم
بسامرا في جمادى وكان عرسا عظيما وليه امير المومنين المعتصم بنفسه حتى قيل
انهم كانوا يخضبون لحى العامة بالغالية وفيها خرج منكجور قرابة الافشين بارض
اذربيجان وخلع الطاعة وذلك انه كان الافشين قد استنابه على بلاد اذربيجان
حين فرغ من امر بابك فظفر منكجور بمال عظيم مخزون لبابك في بعض البلدان فاحتجبه
لنفسه واخفاه عن الخليفة فظهر على ذلك رجل يقال له عبد الله بن عبد الرحمن
فكاتب الخليفة في ذلك فبعث منكجور يكذبه في ذلك وهم به ليقتله فامتنع منه
باهل اردبيل فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بعث اليه بغا الكبير فحاربه واخذه
بالامان وجاء به الى الخليفة وفي هذه السنة مات باطس الرومي الذي كان نايبا على
عمورية ثم فتحها المعتصم ونزل من حصنه على حكم المعتصم فاخذه معه اسيرا ○
واعتقله بسامرا حتى توفي في هذا العام وفي رمضان منها توفي ابراهيم بن المهدي
المنصور عم الخليفة ويعرف بابن شكلة وقد كان اسود اللون ضخما فصيحا فاضلا
قال ابن ماكولا وكان يقال له التنين يعني لسواده وقد ترجمه الحافظ بن عساكر
في تاريخه ترجمة حافلة وذكر انه ولي امرة دمشق عن اخيه الرشيد مدة سنين ثم عزل
عنها ثم اعيد اليها الثانية فاقام بها اربع سنين وذكر من عدله وصرامته اشيا
حسنة وانه اقام للناس الحج سنة اربع وثمانين ثم عاد الى دمشق وكان قد بايعه
اهل بغداد في اول خلافة المامون سنة اثنتين ومايتين كما ذكرنا وقد قاتله
الحسن بن سهل نايب بغداد فهزمه ابراهيم فقصده حميد الطوسي فهزم ابراهيم
واختفى ابراهيم ببغداد حين قدمها المامون مدة طويلة ثم ظفر به المامون سنة
عشر فعفى عنه واكرمه واستمر به في منزلته التي كان عليها قبل ذلك وكانت مدة
ولايته على بغداد ومعاملتها سنة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وكان بدو اختفائه
في اواخر ذي الحجة من سنة ثلاث ومايتين وكانت مدة اختفائه ست سنين واربعة
عشر شهرا وكان الظفر به في ثالث عشر ربيع الاول سنة عشر ومايتين وقد جرت
له في اختفائه هذا امور عجيبة يطول بسطها قال الخطيب البغدادي وقد كان
ابراهيم بن المهدي وافر الفضل غزير الادب واسع النفس سخي الكف وكان معروفا

بصنعة الغنا حاذقا بها وذكر الخطيب انه قل المال على ابراهيم بن المهدي في ايام خلافته ببغداد فالح الاعراب عليه في اخذ اعطياتهم فجعل يسوف بهم فخرج اليهم رسوله يقول انه لا مال عنده اليوم فقال بعضهم فليخرج الخليفة الينا فليغن لاهل هذا الجانب ثلاثة اصوات ولاهل الجانب الاخر ثلاثة اصوات فقال في ذلك دعبل بن علي شاعر المامون يذم ابراهيم بن المهدي في ذلك

يا معشر الاعراب لا تغلطوا ٭ خذوا عطاياكم ولا تسخطوا
فسوف يعطيكم حنينية ٭ لا تدخل الكيس ولا تربط
والمعبديات لقوادكم ٭ وما بهذا احد يغبط
فهكذا يرزق اصحابه ٭ خليفة مصحفه البربط

وكتب ابراهيم بن المهدي الى ابن اخيه المامون حين ظفر به بعد الاختفا ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى وقد جعل الله امير المومنين فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دونه فان عفا فبفضله وان عاقب فبحقه فوقع المامون في جواب ذلك القدرة تذهب الحفيظة وكفى بالندم انابة وعفو الله اوسع من كل شي ولما دخل ابراهيم عليه انشا يقول

ان اكن مذنبا فحظي اخطات ٭ فدع عنك كثرة التانيب
قل كما قال يوسف لبني يعقوب ٭ لما اتوه لا تثريب

فقال المامون لا تثريب وروى الخطيب البغدادي ان ابراهيم بن المهدي لما اوقف بين يدي المامون شرع يونبه على ما فعل فقال يا امير المومنين حضرت ابي وهو جدك وقد اتي برجل ذنبه عظيم اعظم من ذنبي فامر بقتله فقال مبارك بن فضالة يا امير المومنين ان رايت ان توخر قتل هذا الرجل حتى احدثك حديثا فقال قل فقال حدثني الحسن البصري عن عمران بن حصين ان رسول الله قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش الا ليقم العافون من الخلفا الى اكرم الجزا فلا يقوم الا من عفى فقال المامون فقد قبلت هذا الحديث بقبوله وعفوت عنك يا عم وقد ذكرنا في سنة اربع ومايتين زيادة على هذا وقد كانت له اشعار جيدة بليغة سامحه الله وقد ساق من ذلك الحافظ ابن عساكر في تاريخه اشيا كثيرة كان مولد ابراهيم بن المهدي في مستهل ذي القعدة سنة ثنتين وستين ومائة وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من رمضان من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة رح

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان ايضا

سعيد بن ابي مريم المصري وسليمان بن حرب وابو معمر المقعد وعلي بن محمد المدايني الاخباري احد ايمة هذا الشان في زمانه وعمرو بن مرزوق شيخ البخاري وقد تزوج هذا الرجل الف امراة وابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي احد ايمة اللغة والفقه والحديث والقران والاخبار وايام الناس وله المصنفات المشهورة المنتشرة بين العلما حتى يقال ان الامام احمد كتب كتابه في الغريب بيده ولما وقف عليه عبد الله بن طاهر رتب له في كل شهر خمسماية درهم واجراها على ذريته من بعده وذكر ابن خلكان ان طاهرا استحسنه وقال ان عقلا بعث صاحبه على تصنيف هذا الكتاب لحقيق ان لا يحوج صاحبه الى طلب المعاش واجرى له عشرة الاف درهم في كل شهر وقال محمد بن وهب المسعودي سمعت ابا عبيد يقول مكثت في تصنيف هذا الكتاب اربعين سنة وقال هلال بن العلا الرقي من الله على المسلمين بهولا الاربعة بالشافعي تفقه في الحديث وباحمد بن حنبل ثبت في المحنة وبيحيى بن معين نفى الكذب عن الحديث وبابي عبيد فسر الغريب من الحديث ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطا وذكر القاضي ابن خلكان انه ولي القضا بطرسوس ثماني عشرة سنة وذكر له من العبادة والاجتهاد فيها اشيا كثيرا وقد روى الغريب عن ابي زيد الانصاري والاصمعي وابي عبيدة وابن الاعرابي والفرا والكسائي وغيرهم وقال اسحاق بن راهويه نحن نحتاج اليه وهو لا يحتاج الينا وقدم بغداد وسمع الناس منه من تصانيفه وقال ابراهيم الحربي كانه جبل نفخ فيه روح يحسن كل شي وقال احمد بن كامل القاضي كان ابو عبيد فاضلا اديبا ربانيا عالما متفننا في اصناف علوم الكلام والاسلام في القران والفقه والغريب والاخبار حسن الرواية صحيح النقل لا اعلم احدا طعن عليه في شي من علمه وكتبه وله كتاب الاموال وكتاب فضايل القران ومعانيه وغير ذلك من الكتب المنتفعة بها رحمه الله توفي في محرم هذه السنة قاله البخاري وقيل في التي قبلها بمكة وقيل بالمدينة وله سبع وستون سنة رح وقيل انه جاوز السبعين فالله اعلم ومحمد بن عثمان ابو الجماهر الدمشقي الكفرسوسي احد مشايخ الحديث ومحمد بن الفضل ابو النعمان السدوسي الملقب بعارم شيخ البخاري ومحمد بن عيسى بن الطباع ويزيد بن عبد ربه الجرجسي الحمصي شيخا في زمانه

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومايتين

فيها دخل بغا الكبير ومعه منكجور قد اعطى الطاعة بالامان وفيها عزل المعتصم جعفر بن دينار عن نيابة اليمن وغضب عليه وولى على اليمن ايتاخ وفيها وجه عبد الله بن طاهر بالمازيار فدخل بغداد على بغل باكاف لخمس خلون من ذي القعدة فضربه المعتصم بين يديه اربعماية وخمسين سوطا ثم سقي الما حتى مات وامر بصلبه الى جانب بابك الخرمي واقر في ضربه ان الافشين كان يكاتبه ويحسن له خلع الطاعة فغضب المعتصم على الافشين وامر بسجنه فبني له مكان كالمنارة من دار الخلافة تسمى اللولوة انما يسع مكانه فقط وذلك حين تحقق الخليفة انه كان يريد مخالفته والخروج عليه وانه يعزم على الذهاب الى بلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين فعاجله الخليفة بالقبض عليه قبل ذلك كله وعقد له المعتصم مجلسا فيه قاضيه احمد بن ابي دواد المعتزلي ووزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات ونايبه اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فاتهم الافشين في هذا المجلس باشيا تدل على انه باق على دين اجداده من الفرس من ذلك انه غير مختتن فاعتذر بانه يخاف من الم ذلك فقال له الوزير وهو الذي كان يتولى مناظرته من بين القوم فانت تطاعن بالرماح في الحروب ولا تخاف من وقعها وتزعم انك تخاف من قطع قلفة من بدنك ومنها انه ضرب رجلين اماما ومونا كل واحد الف سوط لكونهما هدما بيت اصنام فاتخذاه مسجدا ومنها انه عنده كتاب كليلة ودمنة وفيه الكفر وهو محلى

بالجواهر والذهب فاعتذر بانه ورثه من ابيه وانهم بان الاعاجم يكاتبونه فيقولون الى اله الالهة من عبيده وانه يقرهم على ذلك فجعل يعتذر بانه انما اجراهم على ما كانوا يكاتبون به اباه واجداده وخاف ان يأمرهم بترك ذلك فيتضع عندهم فقال له لوزير ويحك فماذا ابقيت لفرعون حين قال انا ربكم الاعلى وانه كان يكاتب المازيار بان يخرج عن الطاعة وانه في خيفة حتى ينتصر دين المجوسية الذي كان قديما ويظهر على العرب والمغاربة وبنو الاتراك وانه كان يستطيب المخنوقة على المذبوحة وانه كان في كل يوم اربعا يستدعي شاة سوداء فيضربها بالسيف نصفين ويمشي بينهما ثم ياكلها فعند ذلك امر المعتصم بغا الكبير فسحبه الى سجنه مهانا ذليلا فجعل يقول انا كنت اتوقع منكم ذلك وفي هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الافشين واترجة بنت اشناس الى سامرا وحج بالناس فيها محمد بن داود وفيها توفي من الاعيان اصبغ ابن الفرج وسعدويه ومحمد بن سلام البيكندي وابو عمر الجرمي وابو عمر الحوضي وابو دلف العجلي التميمي الامير احد الاجواد وسعيد بن مسعدة ابو الحسن الاخفش الاوسط البلخي ثم البصري النحوي اخذ النحو عن سيبويه وصنف كتبا كثيرة منها في معاني القران وكتاب الاوسط في النحو وغير ذلك وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبب على الخليل وسمي الاخفش لصغر عينيه وضعف بصره وكان ايضا اجلع وهو الذي لا ينضم شفتاه على اسنانه وكان ناو لا يقال له الاخفش الصغير بالنسبة الى الاخفش الكبير ابي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الهجري شيخ سيبويه وابي عبيدة فلما ظهر علي بن سليمان ولقب بالاخفش ايضا صار سعيد بن مسعدة هو الاوسط والهجري الاكبر وعلي بن سليمان الاصغر قال القاضي ابن خلكان وكانت وفاته في هذه السنة وقيل سنة احدى وعشرين ومائتين الجرمي النحوي هو صالح بن اسحاق البصري قدم بغداد وناظر بها الفراء كان قد اخذ النحو عن ابي عبيدة وابي زيد والاصمعي وصنف كتبا منها الفرج يعني فرخ كتاب سيبويه وكان فقيها فاضلا نحويا بارعا عالما باللغة حافظا لها دينا ورعا حسن المذهب صحيح الاعتقاد روى الحديث قال ذلك كله ابن خلكان وروى عنه المبرد وذكره ابو نعيم في تاريخ اصبهان

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

في شعبان منها توفي الافشين في الحبس فامر به المعتصم فصلب ثم احرق وذري رماده في دجلة واحتيط على امواله وحواصله فوجد فيها اصنام مكللة بذهب وجواهر وكتب عن دين المجوس واشياء كثيرة مما يتهم بها ويتحقق بسببها ما ذكر عنه من الانتماء الى دين ابائه المجوس لعنهم الله وفيها توفي محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وحج بالناس محمد بن داود وفيها توفي سادة من المحدثين اسحاق الفروي واسماعيل بن ابي اويس وسنيد بن داود صاحب التفسير وغسان بن الربيع ويحيى بن يحيى التميمي شيخ مسلم بن الحجاج

ابو دلف العجلي

القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم الامير ابو دلف العجلي احد قواد المامون والمعتصم واليه ينتسب الامير ابو نصر بن ماكولا صاحب كتاب الاكمال وكان القاضي جلال الدين القزويني خطيب دمشق يزعم انه من سلالته ويذكر نسبه اليه وكان ابو دلف هذا كريما جوادا ممدحا قصده الشعراء من كل اوب وكان ابو تمام الطائي من جملة من يغشاه ويستمنح نداه وكانت له يد وفضيلة في الادب والغناء وصنف كتبا منها سياسة الملوك ومنها في الصيد والجزاء وفي السلاح وفي النزه وغير ذلك ومما احسن ما قال فيه بكر بن النطاح الشاعر

يا طالبا للكيمياء وعلمه ... مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم

لو لم يكن في الارض الا درهم ... ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

فيقال انه اعطاه على ذلك عشرة الاف درهم وكان شجاعا فاتكا ومعطاء جزيل العطا ويستدين على ذمته ويعطي وكان ابوه قد شرع في بناء مدينة الكرج فمات ولم يتمها فاتمها ابو دلف هذا وقد كان فيه تشيع وكان يقول من لم يكن مغاليا في التشيع فهو ولد زنا فقال له ابنه دلف لست على مذهبك يا ابه فقال له والله لقد وطئت امك قبل ان استبرئها فهذا من ذاك فذكر القاضي ابن خلكان ان ولده راى في المنام بعد وفاة ابيه اناتيا اتاه فقال له اجب الامير فقام معه فادخلني دارا وحشة وعرة سوداء الحيطان مقلعة السقوف والابواب واصعدني في درج منها ثم ادخلني غرفة في حيطانها اثر النيران وفي ارضها الرماد واذا ابي فيها وهو عريان واضع راسه بين ركبتيه فقال لي كالمستفهم دلف فقلت دلف فانشا يقول

ابلغن اهلنا ولا تخف عنهم ... ما لقينا في البرزخ الخناق

قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا ... فارحموا وحشتي وما قد الاقي

ثم قال افهمت قلت نعم ثم انشد

فلو كنا اذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا اذا متنا بعثنا ... ونسأل بعده عن كل شيء

ثم قال افهمت قلت نعم وانتبهت

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

فيها خرج رجل من اهل الغور بالشام يقال له ابو حرب المبرقع اليماني فخلع الطاعة ودعا الى نفسه وكان سبب خروجه ان رجلا من الجند اراد ان ينزل في منزله في غيبة ابي حرب فمانعته المراة فضربها الجندي في يدها فاثرت الضربة في معصمها فلما جاء بعلها اخبرته فذهب الى الجندي وهو غافل فضربه فقتله ثم تحصن في رؤوس الجبال وهو مبرقع فاذا جاءه احد دعاه الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذم من السلطان فاتبعه خلق كثير من الحراثين وغيرهم وقالوا هذا هو السفياني المذكور الذي يملك الشام واستفحل امره جدا واتبعه نحو من مائة الف مقاتل فبعث اليه الخليفة المعتصم وهو في مرض موته جيشا نحوا من الف مقاتل فلما قدم الامير وجد امة كثيرة قد اجتمعت حوله فخشي ان يناجزه والحالة هذه فانتظر حتى جاء وقت حرث الاراضي فتفرق عنه الناس الى اراضيهم وبقي في نفر قليلة من اصحابه فناهضه فاسره جيش الخليفة ونفر عنه اصحابه وحمله امير السرية وهو رجاء بن ايوب فقدم به على المعتصم فلامه المعتصم في تاخره

فاعتذر بانه كان معه مائة الف او يزيدون فلم يزل بها حتى امكنه ذلك منه
فشكره على ذلك ذكر وفاة الخليفة المعتصم وفى يوم الخميس لساعتين
مضتا منه الثامن عشر من ربيع الاول من هذه السنة كانت وفاة ابى اسحاق
محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور

وهذه ترجمة الخليفة المعتصم

هو امير المؤمنين ابو اسحاق محمد المعتصم بن امير المؤمنين هارون الرشيد بن امير المؤمنين
المهدى محمد بن امير المؤمنين ابى جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن على بن عبد الله
بن العباس ويقال له المثمن لوجوه منها انه ثامن ولد العباس ومنها انه ثامن
ولد الخلفاء من ذريته   انه فتح ثمانى فتوحات بلاد بابك على يدى الافشين
وعمورية بنفسه والزط بعجيف وبحر البصرة وقلعة الاحراق واعراب ديار ربيعة
والشاري وفتح مصر بعد عصيانها وقتل ثمانية اعداء بابك ومازيار وباطس
رئيس الروم والافشين ورئيس الزنادقة وعجيف وقارن وقائد الرافضة ومنها
انه اقام فى الخلافة ثمانى سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وقيل ويومين
وانه ولد سنة ثمانين ومائة فى شعبان وهو الشهر الثامن وانه توفى وله من
العمر ثمانية واربعون سنة ومنها انه خلف ثمانية بنين وثمانى بنات
ومنها انه دخل بغداد من الشام وهو خليفة فى شهر صفر سنة ثمانى عشرة
ومائتين بعد استكمال ثمانية اشهر من السنة بعد موت اخيه المامون بطرسوس
كما تقدم قالوا وكان اميا لا يحسن الكتابة وكان سبب ذلك انه يتردد معه الى
الكتاب غلام فمات فقال له ابوه الرشيد ما فعل غلامك قال مات واستراح من الكتاب فقال له ابوه
الرشيد والله لا تذهب الى الكتاب بعدها فتركوه فكان اميا وقيل بل كان يكتب
كتابة ضعيفة وقد اسند الخطيب البغدادى من طريقه عن ابيه حديثين منكرين
احدهما فى ذم بنى امية ومدح بنى العباس من الخلفاء والثانى فى النهى عن الحجامة
يوم الخميس وذكر بسنده عن المعتصم ان ملك الروم كتب اليه كتابا يتهدده فيه
فقال للكاتب اكتب قد قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار قال الخطيب غزا المعتصم بلاد الروم فى
سنة ثلاث وعشرين ومائتين فانكى نكاية عظيمة فى العدو ونصب على عمورية
المجانيق واقام عليها حتى فتحها فقتل بها ثلاثين الفا وسبى مثلهم وكان فى
سبيه ستون بطريقا وطرح النار فى عمورية من سائر نواحيها فاحرقها وجاء ببابها
الى العراق وهو باق حتى الان منصوب على احد ابواب دار الخلافة مما يلى المسجد
الجامع فى القصر وروى احمد بن ابى داود القاضى انه قال ربما اخرج المعتصم
ساعده الى وقال لى عض يا ابا عبد الله بكل ما تقدر عليه فاقول انه لا تطيب نفسى
يا امير المؤمنين فيقول انه لا يضرنى فاكدم بكل ما اقدر عليه فلا يؤثر ذلك فى يده
قال ومر يوما فى خلافة اخيه بمخيم الجند فاذا امرأة تقول ابنى ابنى فقال لها ما شانك
فقالت اخذه صاحب هذه الخيمة فجاء اليه المعتصم فقال له اطلق هذا الصبى
فامتنع عليه فقبض على جسده بيده فسمع صوت عظامه من تحت يده ثم ارسله

قسطنط

قسطنطينية وامر باخراج الصبى الى امه ولما ولى الخلافة كان شهما له همة
عالية ومهابة عظيمة جدا وقال بعضهم اذا كانت همته فى الانفاق فى الحرب
لا فى البناء ولا فى غيره وقال القاضى احمد بن ابى داود تصدق المعتصم على يدى
ووهب بما قيمته مائة الف الف درهم وقال غيره كان المعتصم اذا غضب لا يبالى
من قتل ولا ما فعل وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى دخلت يوما على المعتصم وعنده
قينة له تغنيه فقال لى كيف تراها فقلت يا امير المؤمنين اراها تقهره بحذق
وتختله برفق ولا تخرج من شىء الا الى احسن منه وفى صوتها قطع شذور احسن من
نظم الدر على النحور فقال والله لصفتك لها احسن منها ومن غنائها ثم قال
لابنه هارون الواثق ولى عهده من بعده اسمع هذا الكلام وقد استخدم من الاتراك
خلقا عظيما كان له من المماليك الترك قريب من عشرين الفا وملك من آلات الحرب
والدواب ما لم يتفق لغيره ولما حضرته الوفاة جعل يقول حتى اذا فرحوا بما
اوتوا اخذناهم بغتة وقال لو علمت ان عمرى هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وقال
انى احدث من بين هذا الخلق وجعل يقول ذهبت الحيل ليس حيلة وروى
عنه انه قال فى مرض موته اللهم انى اخافك من قبلى ولا اخافك من قبلك وارجوك
من قبلك ولا ارجوك من قبلى وكانت وفاته بسر من رأى فى يوم الخميس ضحى لتسع
عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من هذه السنة اعنى سنة سبع وعشرين ومائتين
وكان مولده يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومائة وولى الخلافة
فى رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وكان المعتصم ابيض اصهب اللحية طويلها
مربوعا مشربا للون حمرة امه ام ولد اسمها ماردة وهو احد اولاد ستة من ولد الرشيد
كل منهم اسمه محمد وكناهم ابو اسحاق المعتصم وابو العباس الامين وابو عيسى وابو احمد
وابو يعقوب وابو ايوب قاله هشام بن الكلبى وقد قام بالخلافة بعده ولده هارون
الواثق وذكر ابن جرير ان وزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات رثاه فقال

قد قلت اذ غيبوك واصطفقت
عليك ايدى بالتراب والطين
اذهب فنعم الحفيظ كنت
على الدنيا ونعم الظهير للدين
لا جبر الله امة فقدت
مثلك الا بمثل هارون

وقال مروان بن ابى الجنوب وهو ابن ابى حفصة

ابو اسحاق مات ضحى فمتنا ... وامسينا بهارون حيينا
لئن جاء الخميس بما كرهنا ... لقد جاء الخميس بما هوينا

خلافة هارون الواثق بن المعتصم

بويع له بالخلافة قبل ان مات ابوه المعتصم يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الاول
من هذه السنة اعنى سنة سبع وعشرين ومائتين ويكنى بابى جعفر وامه ام ولد رومية

يقال لها قراطيس وقد خرجت في هذه السنة قاصدة الحج فماتت بالحيرة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى وذلك لاربع خلون من ذي القعدة من هذه السنة وكان الذي قام للناس بالحج في هذه السنة جعفر بن المعتصم وممن توفي في هذه السنة من المشاهير ملك الروم توفيل بن ميخائيل وكانت مدة ملكه ثنتي عشرة سنة فملكت بعده امرأته تدوره وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صغيرا

وفيها توفي بشر الحافي الزاهد المشهور

وهو بشر بن الحرث بن عبد الرحمن بن عطا بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي ابو نصر الزاهد المعروف بالحافي نزيل بغداد قال ابن خلكان وكان اسم جده عبد الله هذا بعبور اسلم على يدي علي بن ابي طالب وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة وسمع بها كثيرا من حماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وابن مهدي ومالك وابي بكر بن عياش وغيرهم وعنه جماعة منهم ابو خيثمة وزهير بن حرب وسري السقطي والعباس بن عبد العظيم ومحمد بن حاتم قال محمد بن سعد سمع كثيرا ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يحدث وقد اثنى عليه غير واحد من الايمة في عبادته وزهده وورعه ونسكه وتقشفه قال احمد يوم بلغه موته لم يكن له نظير الا عامر بن عبد القيس ولو تزوج لكان قد تم امره وقال ابراهيم الحربي ما اخرجت بغداد اتم عقلا ولا احفظ للسانه منه ما عرف له غيبة لمسلم وكان في كل شعرة عقل ولو قسم عقله على اهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شي وذكر غير واحد انه كان شاطرا في بدء امره وان سبب توبته انه وجد رقعة فيها اسم الله عز وجل في اتون حمام فرفعها ورفع طرفه الى السماء وقال سيدي اسمك ههنا ملقى يداس ثم ذهب الى عطار فاشترى بدرهم غالية وضمخ تلك الرقعة بها ووضعها حيث لا تنال فاحيا الله قلبه والهمه رشده وصار الى ما صار اليه من العبادة والزهادة ومن كلامه من احب الدنيا فليتهيا للذل وكان ياكل الخبز وحده فقيل له اما لك ادم فقال بلى اذكر العافية فاجعلها ادما وكان لا يلبس نعلا بل يمشي حافيا فطرق يوما بابا فقيل من فقال بشر الحافي فقالت جارية لو اشترى نعلين بدانقين لذهب عنه هذا الاسم قالوا وكان سبب تركه النعل انه جاء الى الحذاء فطلب منه شراكا لنعله فقال له ما اكثر كلفتكم على الناس فطرح النعل من يده وخلع الاخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلا ابدا قال ابن خلكان وكانت وفاته يوم عاشوراء وقيل في رمضان ببغداد وقيل بمرو قلت الصحيح ببغداد في هذه السنة وقيل في سنة ست وعشرين والاول اصح والله اعلم وحين مات اجتمع في جنازته اهل بغداد وعن بكرة ابيهم فاخرج من بعد صلاة الفجر ولم يستقر في قبره الا بعد العتمة وكان علي بن المديني وغيره من ايمة الحديث يصيح باعلا صوته في الجنازة هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الاخرة وروي ان الجن كانت تنوح عليه في بيته الذي كان يسكن فيه وانه راه بعضهم في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولكل من شهد جنازتي ولكل من احبني الى يوم القيمة وذكر الخطيب البغدادي انه كان له اخوات ثلاث وهن مخة ومضغة وزبدة وكلهن عابدة زاهدة مثله واشد ورعا ايضا وذهبت احداهن فاستاذنت على احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقالت اني ربما طفي السراج وانا اغزل فاذا كان ضوء القمر غزلت عليه فعلى عند البيع ان اميز هذا

من هذا فقال لها ان كان بينهما فرق فعلى يد المشتري وقالت له مرة الحرس ليلة بمشعل فغزلت في ضوءه طاقات فخلصني من ذلك فامرها ان تتصدق بذلك الغزل كله لما اشتبه عليها معرفته ذلك المقدار وسالته عن انين المرض افيه شكوى قال لا انما هو شكوى الى الله عز وجل ثم خرجت فقال يا بني اذهب فاعلم لي من هذه المراة قال عبد الله فذهبت وراءها فاذا هي قد دخلت دار بشر الحافي واذا اخته في رواية مخة وروى الخطيب البغدادي عن زبدة قالت جاء ليلة اخي بشر فدخل برجله في الدار وبقيت الاخرى من خارج فاستمر كذلك حتى اصبح فقلت له فيما فكرت ليلتك فقال تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي وفي نفسي واسمي بشر فقلت في نفسي ما الذي سبق منك حتى خصك بالاسلام من بينهم فتفكرت في تفضله علي وحمدته على ان جعلني من خاصته والبسني لباس احبابه وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فاطنب واطيب واطال من غير ملال وقد ذكر له ابن عساكر اشعارا حسنة وذكر انه كان يتمثل بهذه الابيات

نعاف الذي في الماء لا نستطيعه ... ونكرع في حوض الذنوب فنشرب
ونؤثر من اكل الطعام الذه ... ولا نذكر المختار من اين نكسب
ونرقد يا مسكين فوق نمارق ... وفي حشوها نار عليك تلهب
فحتى متى لا تستفيق جهالة ... وانت ابن سبعين بدينك تلعب

وممن توفي فيها احمد بن يونس اليربوعي واسماعيل بن عمرو البجلي وسعيد بن منصور صاحب السنن المشهورة التي لا يشاركه مثلها الا القليل ومحمد بن الصباح الدولابي وله سنن ايضا وابو الوليد الطيالسي وابو الهذيل العلاف المتكلم المعتزلي

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومايتين

فيها خلع الخليفة الواثق على اشناس الامير وتوجه والبسه وشاحين من جوهر وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود والامير وغلا السعر على الناس في طريق مكة جدا واصابهم حر شديد وهم بعرفة ثم برد شديد ومطر عظيم في ساعة واحدة ونزل عليهم وهم بمنى مطر لم ير مثله وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة فقتلت جماعة من الحجاج قال ابن جرير وفيها مات ابو الحسن المدايني في منزل اسحاق بن ابراهيم الموصلي وحبيب بن اوس الطاي ابو تمام الشاعر قلت اما ابو الحسن علي بن محمد المدايني احد ايمة هذا الشان وامام الاخباريين في زمانه فتقدم ذكر وفاته قبل هذه السنة فالله اعلم واما ابو تمام الطاي الشاعر صاحب الحماسة التي جمعها في فصل الشتاء بهمذان في دار وزيرها فهو حبيب بن اوس بن الحرث بن قيس بن الاشج بن يحيى بن مرينا بن سهم بن حلجان بن مروان بن دفافة بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الحرث بن طي وهو جلهمة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابو تمام الطاي الشاعر الاديب المشهور ونقل الخطيب عن محمد بن يحيى الصولي انه حكى عن بعض الناس انهم قالوا ابو تمام حبيب بن تدرس النصراني فسماه ابو تمام اوس بدل تدرس قال ابن خلكان واصله من قرية جاسم من عمل الجيدور بالقرب من طبرية وكان بدمشق يعمل عند حايك ثم صار الى مصر في شبيبته وابن خلكان اخذ ذلك من تاريخ الحافظ ابن عساكر وقد ترجم ابا تمام ترجمة حسنة وقال الخطيب البغدادي وهو شامي الاصل وكان بمصر في حداثته يسقي الماء في الجامع ثم جالس الادبا

فأخذ عنهم وتعلم منهم وكان فطنا فهما وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر فأجاد
وشاع ذكره وسار شعره وبلغ المعتصم خبره فحمله إليه وهو بسر من رأى وعمل فيه قصائد فأجازه
المعتصم وقدمه على شعراء وقته فقدم بغداد فجالس الأدباء وعاشر العلماء وكان موصوفا بالظرف
وحسن الأخلاق وكرم النفس وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر وغيره أخبارا مسندة قال
القاضي ابن خلكان كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع
وغير ذلك وكان يقال في طي ثلاثة حاتم في كرمه وداود الطائي في زهده وأبو تمام
في شعره قلت وقد كان الشعراء في زمانه جماعة من مشاهيرهم أبو الشيص ودعبل بن علي وابن
أبي فنن وقد كان أبو تمام من خيارهم دينا وأدبا وأخلاقا ومن رقيق شعره

يا حليف الندى ويا توأم الجود ❊ ويا خير من حبوت القريضا
ليت حماك بي وكان لك الأجر ❊ فلا تشتكي وكنت المريضا

وقد ذكر الخطيب عن إبراهيم بن محمد بن عرفة أن أبا تمام توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين وكذا
قال ابن جرير وحكي عن بعضهم أنه توفي سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وثلاثين
ومائتين فالله أعلم وكانت وفاته بالموصل وبنيت على قبره قبة وحكى الصولي عن الوزير
محمد بن عبد الملك بن الزيات أنه قال يرثيه

نبأ أتى من أعظم الأنباء ❊ لما ألم مقلقل الأحشاء
قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم ❊ ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

وقال غيره

فجع القريض بخاتم الشعراء ❊ وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا معا فتجاورا في حفرة ❊ وكذاك كانا قبل في الأحياء

وقد جمع الصولي شعر أبي تمام على حروف المعجم قال القاضي ابن خلكان وقد امتدح أحمد
بن المعتصم ويقال ابن المأمون بقصيدة فلما انتهى إلى قوله فيها

إقدام عمرو في سماحة حاتم ❊ في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له بعض الحاضرين أتقول هذا للأمير وهو أكبر قدرا من هؤلاء فأطرق ساعة ثم قال

لا تنكروا ضربي له من دونه ❊ مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ❊ مثلا من المشكاة والنواس

فلما أخذوا القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين وإنما قالهما ارتجالا فقال
بعضهم لا يعيش هذا بعد هذا الأمر قليلا فكان كذلك قال القاضي وقد زعم بعضهم
أن هذه القصيدة امتدح فيها بعض الخلفاء فأقطعه الموصل فأقام بها أربعين يوما
وليس هذا بصحيح ولا أصل له وإن كان قد لهج به بعض الناس كالزمخشري وغيره وقد أورد
له الحافظ ابن عساكر أشياء مستطرفة من شعره الرائق ونظمه الفائق فمن ذلك قوله

فلو كانت الأرزاق تجري على الحجى ❊ هلكن إذا من جهلهن البهائم
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ❊ ولا المجد في كف امرئ والدراهم

ومنه قوله

وما أنا بالغيران من دون عرسه ❊ إذا أنا لم أصبح غيورا على العلم
طبيب فؤادي مذ ثلاثون حجة ❊ ومذهب همي والمفرج للغم

وممن توفي

وممن توفي فيها من الأعيان أبو نصر التمار والعيسي وأبو الجهم ومسدد وداود بن عمرو الضبي
ويحيى بن عبد الحميد الحماني

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

في هذه السنة أمر الواثق بالله بضرب الدواوين واستخلاص الأموال منهم فمنهم من ضرب
ألف سوط ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار ودون ذلك وجاء الوزير محمد بن عبد الملك
لسائر ولاة الشرط بالعقوبة فنكبوا وحبسوا ولقوا جهدا عظيما وجلس إسحاق بن إبراهيم
للنظر في أمرهم وأقيموا للناس وافتضحوا فضيحة بليغة وكان سبب ذلك أن الواثق
جلس ليلة في دار الخلافة فتسمر عنده فقال هل منكم أحد يعلم سبب عقوبة جدي الرشيد
للبرامكة فقال له بعض الحاضرين نعم يا أمير المؤمنين كان سبب ذلك أن الرشيد عرضت
عليه جارية فأعجبه جمالها فساوم سيدها فيها فقال له يا أمير المؤمنين إني أقسمت
بكل أيمان أن لا أبيعها بأقل من مائة ألف دينار فاشتراها منه بها وبعث إلى يحيى بن خالد
الوزير ليبعث بها إليه من بيت المال فاعتل بأنها ليست عنده فأرسل الرشيد يؤنبه
ويقول له أليس في بيت مالي ألف دينار وألح في طلبها فقال يحيى بن خالد أرسلوها إليه
دراهم ليستكثر ذلك ولعله يرد الجارية فبعثوا بمائة ألف دينار دراهم ووضعوها في طريق
الرشيد وهو خارج إلى الصلاة فلما اجتاز بها رأى كوما من دراهم فقال ما هذا قالوا ثمن
الجارية فاستكثر ذلك وأمر بخزنها عند بعض خدمه في دار الخلافة وأعجبه جمع المال
في حواصله ثم شرع في تتبع أموال بيت المال فإذا البرامكة قد استهلكوه فجعل يهم
بأخذهم تارة ويحجم أخرى حتى كان في بعض الليالي سمر عنده رجل يقال له أبو العود فأطلق
له ثلاثين ألف درهم فذهب إلى الوزير يحيى بن خالد بن برمك فماطله بها مدة طويلة
فلما كان في بعض الليالي عرض أبو العود في ذلك للرشيد بقول عمر بن ربيعة

وعدت هند وما كادت تعد ❊ ليت هندا أنجزتنا ما تعد
واستبدت مرة واحدة ❊ إنما العاجز من لا يستبد

فجعل الرشيد يكرر قوله إنما العاجز من لا يستبد ويعجبه ذلك فلما كان الصباح دخل
عليه يحيى بن خالد فأنشده الرشيد هذين البيتين وهو يستحسنهما ففهم ذلك
يحيى بن خالد وخاف فسأل عمن أنشد ذلك للرشيد فقيل له أبو العود فبعث إليه
فأنجز له الثلاثين ألفا وأعطاه من عنده عشرين ألفا وكذلك ولداه الفضل
وجعفر فما كان عن قريب حتى أخذ الرشيد البرامكة وكان من أمرهم ما كان فلما
سمع ذلك كله الواثق أعجبه ذلك وجعل يكرر قول الشاعر إنما العاجز من لا يستبد
ثم بطش بالكتاب على إثر ذلك وأخذ منهم أموالا عظيمة جدا وحج بالناس في هذه السنة
محمد بن داود أمير الحج في السنين الماضية وممن توفي فيها من الأعيان خلف بن هشام
البزار أحد مشاهير القراء وعبد الله بن محمد المسندي ونعيم بن حماد الخزاعي أحد أئمة السنة
بعد أن كان من أكابر الجهمية وله المصنفات المشهورة في السنن وغيرها وممن توفي
في هذه السنة دينار بن عبد الله المنسوب إليه النسخة المكذوبة عنه وهي عالية
الإسناد إليه ولكنها موضوعة

سنة ثلاثين ومائتين

في جمادى منها خرجت بنو سليم حول المدينة النبوية فعاثوا في الارض فسادا واخافوا
السبيل وقاتلهم اهل المدينة فهزموا اهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة وتلك
المناهل والقرى فبعث اليهم الواثق بغا الكبير ابا موسى التركي في جيش فقاتلهم في شعبان
فقتل منهم خمسين فارسا واسر مثلهم وانهزم بقيتهم فدعاهم الى الامان وان يكونوا على
حكم امير المومنين فاجتمع اليه منهم خلق كثير فدخل بهم المدينة وسجن رؤسهم في دار يزيد
بن معاوية وخرج الى الحج في هذه السنة وشهد معه الموسم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب
نايب العراق وحج بالناس فيها محمد بن داود والامير وفي هذه السنة توفي عبد الله بن
طاهر بن الحسين نايب خراسان وما والاها من البلدان وكان خراجها تحت يده ثمانية
الاف الف درهم فولى الخليفة ابنه طاهر امكانه وكانت وفاة عبد الله بن طاهر
الامير بعد موت اشناس التركي بتسعة ايام وذلك يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت
من شهر ربيع الاول من هذه السنة وقد حكى القاضي ابن خلكان انه توفي سنة ثمان وعشرين
وقيل سبع وعشرين بنيسابور وكان كريما جوادا ممدحا وله شعر حسن اورد له منه قال وقد ولي نيابة
مصر بعد العشرين ومايتين وذكر الوزير ابو القسم بن المغربي ان البطيخ العبدلاوي
الذي بمصر منسوب الى عبد الله بن طاهر هذا قال القاضي ابن خلكان اما لانه كان
يستطيبه او لانه اول من زرعه هناك والله اعلم ومن شعره
اغفر لي لتحرز فضل الشكر مني ولا يفوتك اجري
لا تكلني الى التوسل بالعذر لعلي ان لا اقوم بعذري
ومن شعره ايضا قوله
نحن قوم تلييننا الحدق النجل على اننا نلين الحديدا
طوع ايدي الظبا تقودنا العين ونقتاد بالطعان الاسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيض المصونات اعينا وخدودا
تتقي سخطنا الاسود ونخشى سخط الخشف حين يبدي الصدودا
فترانا يوم الكريهة احرارا وفي السلم للغواني عبيدا
قال القاضي ابن خلكان وكان خزاعيا من موالي طلحة الطلحات وقد كان ابو تمام
يمدحه فرحل مرة اليه فاعتاقه الثلج بهمذان فصنف كتاب الحماسة عند بعض رؤسايها
وممن توفي فيها علي بن الجعد الجوهري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وله كتاب الطبقات وغيرها
من المصنفات وسعيد بن محمد الجرمي

ثم دخلت سنة احدى وثلاثين ومايتين

فيها وقعت مفاداة لجماعة من المسلمين الذين كانوا بايدي الروم على يدي الامير خاقان الخادم
وذلك في المحرم من هذه السنة فكانت عدة الاسارى الذين استنقذوا من ايدي الكفار
اربعة الاف وثلثمائة واثنين وستين اسيرا وفيها قتل احمد بن
نصر الخزاعي رحمه الله واكرم مثواه وكان سبب ذلك ان هذا الرجل وهو احمد بن نصر بن مالك بن الهيثم
الخزاعي وجده مالك بن الهيثم من اكبر الدعاة في الناس الى دولة بني العباس وكانت له وجاهة
ورياسة وكان ابوه نصر بن مالك يغشاه اهل الحديث وقد بايعه العامة في سنة احدى
ومايتين على القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر حين كثرت الدعار والشطار ببغداد

في زمان غيبة المأمون عن بغداد كما قدمنا بسط ذلك وبه يعرف سويقة نصر ببغداد
وكان احمد هذا من اهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير ومن ايمة السنة الامرين
بالمعروف والناهين عن المنكر وكان ممن يدعو الى القول بان القران كلام الله منزل غير مخلوق
وكان هارون الواثق من اشد الناس في القول بخلق القران يدعو اليه ليلا ونهارا
سرا وجهارا اعتمادا على ما كان ابوه المعتصم وعمه المأمون عليه في ذلك من غير دليل ولا
برهان ولا حجة ولا بيان ولا سنة ولا قران فاجتمع على هذا الرجل احمد بن نصر جماعة من اهل بغداد
والتف عليه من الالوف اعداد وانتصب للدعوة الى احمد بن نصر هذا رجلان وهما
ابو هارون السراج يدعو اهل الجانب الشرقي وطالب يدعو اهل الجانب الغربي
فلما كان شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لاحمد بن نصر الخزاعي في السر على
القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على السلطان لبدعته ودعوته
الى القول بخلق القران فتواعدوا على انه في الليلة الثالثة من شهر شعبان وهي
ليلة الجمعة يضرب طبل في الليل فيجتمع الناس الذين بايعوا في مكان اتفقوا عليه
وانفق ابو طالب وهارون في اصحابهم دينارا دينارا فكان من جملة من اعطوه رجلان من
بني اشرس وكانا ممن يتعاطيان الشراب فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من اصحابهم
واعتقدوا ان تلك الليلة هي ليلة الوعد وكان ذلك قبله بليلة فقاما يضربان على
طبل في الليل ليجتمع الناس اليهما فلم يجئ احد وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل
فاعلموا نايب السلطنة وهو محمد بن ابراهيم بن مصعب نايب اخيه اسحاق بن ابراهيم
لغيبته عن بغداد فاصبح الناس مختبطين واجتهد نايب السلطنة على احضار
ذينك الرجلين فاتي بهما فاقرا على الحال فتطلب احمد بن نصر واحضر خادما له فاستقر
فاقر بما اقر به الرجلان فجمع جماعة من رؤوس اصحاب احمد بن نصر معه وارسل بهم الى الخليفة
بسر من راى وذلك في اخر يوم من شعبان من هذه السنة فاحضر له جماعة من الاعيان
وحضر القاضي احمد بن ابي دواد المعتزلي ولم يظهر منه حنق على احمد بن نصر بين يدي
الواثق لم يعاتبه على شيء مما كان منه في امر مبايعته العامة له على الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فاعرض عن ذلك كله وقال له ما تقول في القران فقال هو كلام الله قال
امخلوق هو قال هو كلام الله وكان احمد بن نصر قد استقتل وحضر وقد تحنط وتنور وتقلد
له الواثق فما تقول في ربك اتراه يوم القيمة فقال يا امير المومنين جاءت الاخبار عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ترون ربكم يوم القيمة كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رويته فنحن على الخبر قال الخطيب في روايته فقال له الواثق ويحك ايرى كما يرى المحدود
المتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر انا اكفر برب هذه صفته قلت وما قاله
الخليفة لا يرد ولا يلزم ولا يرد به مثل هذا الخبر الصحيح والله اعلم ثم قال احمد
بن نصر الخزاعي للواثق وحدثني سفيان بحديث يرفعه ان قلب ابن ادم بين اصبعين
من اصابع الله يقلبه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت
قلبي على دينك فقال له اسحاق بن ابراهيم ويلك انظر ما تقول فقال انت
امرتني بذلك فاشفق اسحاق من ذلك وقال انا امرتك بذلك قال نعم انت امرتني
ان انصح له فقال الواثق لمن حوله ما تقولون في هذا فاكثروا القول فيه وقال

عبد الرحمن بن اسحاق وكان قاضيا على الجانب الغربي فعزل وكان موادا لاحمد بن نصر قبل ذلك
يا امير المومنين هو حلال الدم وقال ابو عبد الله الارمني صاحب احمد بن ابي داود اسقني
دمه يا امير المومنين فقال الواثق لا بد ان يأتي على ما تريد وقال القاضي احمد بن داود
يا امير المومنين هو كافر يستتاب لعل به عاهة او نقص عقل فقال الواثق اذا رايتموني
قمت اليه فلا يقومن احد معي فاني احتسب خطاي ثم نهض اليه بالصمصامة وقد كانت
سيفا لعمرو بن معدي كرب الزبيدي اهديت لموسى الهادي في ايام خلافته
وكانت صفيحة موصولة من اسفلها مسمورة بثلاثة مسامير فلما انتهى اليه ضربه بها
على عنقه وهو مربوط بحبل قد اوقف على نطع ثم ضربه اخرى على راسه ثم طعنه بالصمصامة
في بطنه فسقط صريعا على النطع ميتا فانا لله وانا اليه راجعون ثم انتضى سيما
الدمشقي سيفه فضرب عنقه وحز راسه وحمل معترضا حتى اتى به الحظيرة التي فيها
بابك الخرمي فصلب فيها وفي رجليه زوج قيود وعليه سراويل وقميص وحمل
راسه الى بغداد فنصب في الجانب الشرقي اياما وفي الغربي اياما وعنده الحرس في
الليل والنهار وفي اذنه رقعة مكتوب فيها هذا راس الكافر المشرك الضال احمد بن
نصر ممن قتل على يدي عبد الله هارون الامام الواثق بالله امير المومنين بعد ان اقام
عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع الى الحق
فابى الا المعاندة والتصريح فالحمد لله الذي عجله الى ناره واليم عقابه بالكفر فاستحل
بذلك امير المومنين دمه ولعنه ثم امر الخليفة بتتبع رؤوس اصحابه فاخذ منهم نحو من سبعة
وعشرين رجلا فاودعوا في السجون وسموا الظلمة ومنعوا ان يزورهم احد وقيدوا بالحديد
ولم يجر عليهم شيء من الارزاق التي كانت تجري على المحبوسين وهذا ظلم عظيم هذا ملخص
ما اورده ابن جرير رحمه الله وقد كان احمد بن نصر هذا من اكابر العلماء العاملين وممن كان قائما
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسمع الحديث من حماد بن زيد وسفيان بن عيينة
وهشيم بن بشير وكانت عنده مصنفاته كلها وسمع من الامام مالك بن انس احاديث
جيدة ولم يحدث بكثير من حديثه وحدث عنه احمد بن ابراهيم الدورقي واخوه يعقوب
بن ابراهيم ويحيى بن معين وذكره يوما فترحم عليه وقال قد ختم الله له بالشهادة وقد
كان لا يحدث يقول لست اهلا لذلك واحسن يحيى بن معين الثناء عليه وذكره الامام احمد
بن حنبل يوما فقال رحمه الله ما كان اسخاه لقد جاد بنفسه لله عز وجل وقال
جعفر بن محمد الصائغ بصر عيني والا فعميتا وسمع اذني والا فصمتا احمد بن نصر الخزاعي
حيث ضربت عنقه يقول راسه لا اله الا الله وقد سمعه بعض الناس وراسه مصلوب
يقرأ وهو على الجذع الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون قال
فاقشعر جلدي ورآه بعضهم في النوم فقال له ما فعل بك ربك فقال ما كانت الا غفوة
حتى لقيت الله فضحك الي ورأى بعض الناس في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه ابو بكر وعمر وقد مروا على الجذع الذي عليه راس احمد بن نصر فلما حاذوه اعرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الكريم عنه الى الجانب الاخر فقيل له يا رسول
الله ما لك اعرضت عن احمد بن نصر فقال استحياء منه حين قتله رجل من اهل بيتي
ولم يزل راس احمد بن نصر منصوبا ببغداد من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان

من هذه السنة اعني سنة احدى وثلاثين ومائتين الى بعد عيد الفطر بيوم او يومين
من سنة سبع وثلاثين ومائتين فجمع بين راسه وجثته ودفن بالجانب الشرقي من
بغداد بالمقبرة المعروفة بالمالكية رحمه الله وذلك بامر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة
بعد اخيه الواثق بالله وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب كتاب الحيدة
على امير المومنين المتوكل على الله وكان من خيار الخلفاء لانه احسن صنيعا الى
اهل السنة بخلاف اخيه الواثق وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب كتاب
الحيدة وابيه المعتصم وعمه المامون كان يكرم الامام احمد اكراما زايدا جدا كما سياتي بيانه
في موضعه والمقصود ان عبد العزيز بن يحيى الكناني قال للمتوكل يا امير المومنين المتوكل
على الله ما رئي اعجب من امر الواثق قتل احمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن الى ان
دفن فوجد المتوكل من ذلك وساءه ما سمع في اخيه الواثق فلما دخل عليه الوزير محمد
بن عبد الملك بن الزيات قال له في قلبي من قتل احمد بن نصر فقال يا امير المومنين
قطعني الله بالنار ان قتله الواثق الا كافرا ودخل عليه القاضي هرثمة فقال
له في ذلك فقال يا امير المومنين قطعني الله اربا اربا ان قتله الواثق الا كافرا ودخل
عليه القاضي احمد بن ابي داود فقال له مثل ذلك فقال ضربني الله بالفالج ان قتله
الواثق الا كافرا قال المتوكل فاما الزيات فانا احرقته بالنار واما هرثمة فانه هرب
وتبدى فاجتاز بقبيلة خزاعة فعرفه رجل من الحي فقال يا معشر خزاعة هذا الذي
قتل ابن عمكم احمد بن نصر فقطعوه اربا اربا واما ابن ابي داود فقد سجنه الله في جلده
يعني بالفالج ضربه الله به قبل موته باربع سنين وصودر من صلب ماله بالجزيل
جدا كما سياتي بيان ذلك في موضعه وروى ابو داود في كتاب المسائل عن احمد بن ابراهيم
الدورقي عن احمد بن نصر قال سالت سفيان بن عيينة القلوب بين اصبعين
وان الله يضحك ممن يذكره في الاسواق فقال امروها كما جاءت بلا كيف وفي هذه
كان الواثق قد عزم على الحج واستعد لذلك فذكر له ان الماء بالطريق قليل فترك
الحج عامئذ وفيها ولى جعفر بن دينار نيابة اليمن فسار اليها في اربعة الاف فارس
وفيها عدا قوم من العامة على بيت المال فاخذوا منه شيئا من الذهب والفضة
فاخذوا وسجنوا وفيها ظهر خارجي ببلاد ربيعة فقاتله نائب الموصل فكسره وانهزم
بقية اصحابه وفيها قدم وصيف الخادم بجماعة من الاكراد نحو من خمسمائة في القيود
كانوا قد افسدوا في الطرقات وقطعوها فاطلق الخليفة لوصيف خمسة وسبعين
الف دينار وخلع عليه خلعة سنية وفي هذه السنة قدم خاقان الخادم من بلاد
الروم وقد تم الصلح والمفاداة بينه وبين الروم وقدم معه جماعة من رؤس اهل
الثغور فامر الواثق بامتحانهم في القول بخلق القرآن وان الله لا يرى في الاخرة فاجابوا
الا اربعة فامر الواثق بضرب اعناقهم ان لم يجيبوا بمثل ما اجابت به بقيتهم وامر
الواثق ايضا بامتحان الاسارى المسلمين الذين فودي عنهم بذلك فمن اجاب
الى القول بخلق القرآن وان الله لا يرى في الاخرة فودي به والا ترك في ايدي الكفار وهذه
بدعة صلعاء شنعاء عمياء صماء لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا عقل صحيح بل الكتاب
والسنة والعقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر في موضعه وبالله المستعان وكان في نوع

وكان وقوع المفاداة عند نهر يقال له اللامس عند سلوقية بالقرب من طرسوس بدل كل
مسلم او مسلمة في ايدي الروم او ذمي او ذمية كان تحت عقد المسلمين اسيرا من الروم كان بايدي
المسلمين ممن لم يسلم فنصبوا جسرين على النهر فاذا ارسل الروم رجلا او امراة في جسرهم
فانتهى الى المسلمين كبّر وكبّر المسلمون ويرسل المسلمون اسيرا من الروم على جسرهم فاذا انتهى
اليهم تكلم بكلام يشبه التكبير ايضا ولم يزالوا كذلك مدة اربعة ايام بدل كل نفس بنفس ثم
بقي مع خاقان جماعة من الاسارى فاطلقهم للروم ليكون له الفضل عليهم قاله ابن جرير
وفي هذه السنة مات الحسن بن الحسين اخو طاهر بن الحسين بطبرستان في شهر رمضان
وفيها مات الخطاب ابن وجه الفلس وفيها مات ابو عبد الله بن الاعرابي الراوية يوم
الاربعاء لثلاث عشرة خلت من شعبان وهو ابن ثمانين سنة وفيها مات ام ابيها
بنت موسى اخت علي بن موسى الرضا وفيها مات مخارق المغني وابو نصر احمد بن حاتم راوية
الاصمعي وعمرو بن ابي عمرو الشيباني ومحمد بن سعدان النحوي قلت وممن توفي فيها من
الاعيان ايضا احمد بن نصر الخزاعي كما ذكرنا وابراهيم بن محمد بن عرعرة وامية بن بسطام
وابو تمام الطائي الشاعر في قول والمشهور ما تقدم وكامل بن طلحة ومحمد بن سلام الجمحي
واخوه عبد الرحمن ومحمد بن منهال الضرير ومحمد بن منهال اخو الحجاج وهو هارون بن معروف
والبويطي صاحب الشافعي مات في السجن مقيدا حتى يقول بخلق القران فامتنع من ذلك
رح ويحيى بن بكير راوي الموطا عن مالك

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومايتين

فيها عاثت قبيلة يقال لهم بنو نمير باليمامة في الارض فسادا فكتب الواثق الى بغا الكبير
وهو مقيم بارض الحجاز فحاربهم فقتل منهم جماعة واسر منهم آخرين وهزم بقيتهم ثم التقى
مع بني تميم وهو في الف فارس وهم في ثلاثة الاف فكانت بينهم حروب طويلة ثم كان
الظفر له عليهم آخرا وذلك في النصف من جمادى الاخرة ثم عاد بعد ذلك كله الى بغداد
ومعه من اعيان رؤوس العرب في الاسر والقيود وقد قتل من شرارهم في الوقايع المتقدم ذكرها
ما ينيف عن الفي رجل من بني سليم ونمير وكلاب ومرة وفزارة وثعلبة وطي وتميم وغيرهم
وفي هذه السنة اصاب الحجيج في الرجوع عطش شديد جدا حتى بيعت الشربة بالدنانير
الكثيرة ومات خلق كثير من العطش رحمهم الله وفيها امر الواثق بترك جباية اعشار
سفن البحر

وفاة الخليفة ابي جعفر هارون الواثق

بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر عبد الله ذي [illegible] بن
محمد الامام بن علي السجاد بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي كان من ملكه
في ذي الحجة بعلة الاستسقاء فلم يقدر على حضور العيد عامئذ فاستناب في الصلاة
بالناس قاضيه احمد بن ابي داود الايادي المعتزلي وكانت وفاته لست بقين من الشهر وذلك
انه قوي به الاستسقاء فاقعد في تنور قد احمي له بحيث يمكن اجلاسه فيه ليسكن وجعه
فلان عليه امره بعض الشيء فلما كان من الغد امر بان يحمى اكثر من العادة فاجلس فيه ثم اخرج
فوضع في محفة فحمل فيها وحوله امراؤه ووزراؤه وقاضيه فمات وهو محمول فيها فما شعروا
حتى سقط جبينه على المحفة وهو ميت فغمض القاضي عينيه بعد ذلك وهو الذي ولي

غسله والصلاة عليه ودفنه في قصر الهاروني وكان ابيض اللون مشربا حمرة جميلا
ربعة حسن الجسم قائم العين اليسرى فيها نكتة بياض وكان مولده سنة ست
وتسعين ومائة بطريق مكة فمات وهو ابن ست وثلاثين سنة وكانت مدة خلافته
خمس سنين وتسعة اشهر وخمسة ايام وقيل وسبعة ايام وثنتي عشرة ساعة وقد كان
جمع اصحاب النجوم في زمانه حين اشتدت علته لينظروا في مولده وما يقتضيه صناعة
النجوم كم تدوم ايام دولته فاجتمع عنده من رؤوسهم جماعة منهم الحسن بن سهل والفضل
بن اسحاق الهاشمي واسماعيل بن نوبخت ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القطربلي وسند
صاحب محمد بن الهيثم وعامة من يتكلم في النجوم فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال
عنده ثم اجمعوا انه يعيش دهرا طويلا وقدروا له خمسين سنة مستقبلة فلم
يلبث بعد قولهم الا عشرة ايام حتى مات ذكره الامام ابو جعفر بن جرير الطبري رح
قال ابن جرير يروى ذكر الحسين بن الضحاك انه شهد الواثق بعد ان مات المعتصم
بايام وقد عقد مجلسا كان اول مجلس عقده فكان اول من يغني في ذلك المجلس ان
تغنت جارية ابراهيم بن المهدي

ما درى الحاملون يوم استقلوا * نعشه للثواء ام للقاد
فليقل فيك باكياتك ما شئن * صباحا وعند كل مساء

قال فبكى وبكينا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه ثم اندفع بعضهم يغني

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا ايها الرجل

فازداد الواثق بكاؤه وقال ما سمعت كاليوم تعزية باب ونعي نفس وارفض ذلك
المجلس وروى الخطيب البغدادي ان دعبل بن علي الشاعر لما توفي الواثق عمد الى طومار
فكتب فيه ابيات شعر ثم جاء الى الحاجب فدفعه اليه وقال له اقرا امير المؤمنين السلام
وقل هذه ابيات امتدحك بها دعبل فلما فضها الواثق اذا فيها

الحمد لله لا صبر ولا جلد * ولا رقاد اذا اهل الهوى رقدوا
خليفة مات لم يحزن له احد * وآخر قام لم يفرح به احد
فمر هذا ومر الشوم يتبعه * وقام هذا فقام الويل والنكد

قال فتطلبه الخليفة بكل ما يمكنه فلم يقدر عليه حتى مات الواثق وروي ايضا
انه لما استخلف الواثق بن ابي داود على الصلاة يوم العيد فرجع اليه قال كيف
كان عيدكم يا ابا عبد الله فقال كنا في نهار لا شمس فيه فضحك وقال يا ابا عبد الله انا
مؤيد بك قال الخطيب وقد كان ابن ابي داود قد استولى على الواثق وحمله على التشديد
في المحنة ودعا الناس الى القول بخلق القران قال ويقال ان الواثق رجع عن ذلك
قبل موته فاخبرني عبيد الله بن ابي الفتح انا احمد بن ابراهيم بن الحسن ثنا ابراهيم بن محمد
بن عرفة حدثني حامد بن العباس عن رجل عن المهدي ان الواثق مات وقد تاب عن القول
بخلق القران وروي ان الواثق دخل عليه يوما مؤدبه فاكرمه اكراما كثيرا فقيل له في
ذلك فقال هذا اول من فتق لساني بذكر الله وادناني من رحمة الله وكتب اليه
بعض الشعراء

جذبت دواعي النفس عن طلب الغنى * وقلت لها عفي عن الطلب المتر

فان امير المؤمنين بكفه • مدار رجاء الارزاق دائبة تجري
توقع لئن دفعت حوادث نفسك عن امنيتها وادعتك الى صونها نحو ما طلبت منها
واجزل له العطا ومن شعره قوله •

• هي المقادير تجري في اعنتها • فاصبر فليس لها صبر على حال

ومن شعر الواثق قوله •

• تنح عن القبيح ولا ترده • ومن اوليته حسنا فزده
• ستكفى من عدوك كل كيد • اذا كاد العدو ولم تكده

وقال القاضي يحيى بن اكثم ما احسن احد من خلفاء بني العباس الى آل ابي طالب ما احسن اليهم الواثق ما مات وفيهم فقير ولما احتضر الواثق جعل يردد هذين البيتين

• الموت فيه جميع الخلق مشترك • لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
• ما ضر اهل قليل في تفاقرهم • وليس يغني عن الاملاك ما ملكوا

ثم امر بالبسط فطويت ثم الصق خده بالارض وجعل يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وقال بعضهم لما احتضر الواثق ونحن حوله غشي عليه فقال بعضنا لبعض انظروا هل فضى نحبه قال فدنوت من بينهم اليه لانظر هل سكن نفسه فافاق فلحظ الي بعينه فرجعت القهقرى خوفا منه فتعلقت قائمة سيفي في شيء فكدت ان اسلك فما كان عن قريب حتى مات واغلق عليه الباب الذي هو فيه وبقي فيه وحده واشتغلوا عن تجهيزه بالبيعة لاخيه جعفر المتوكل وجلست انا احرس الباب فسمعت حركة من داخل البيت فدخلت فاذا جرذ قد اكل عينه التي لحظ الي بها وكان بين الحالين الا اليسير وكانت وفاته بسر من راى التي كان يسكنها في القصر الهاروني في يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة من هذه السنة اعني سنة اثنتين وثلثين ومايتين وعمره ست وثلاثين سنة وقيل عن ثلاث وثلاثين سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وخمسة ايام وقيل خمس سنين وشهران واحد عشر يوما وصلى عليه اخوه جعفر المتوكل

خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله

بويع له بالخلافة بعد اخيه هارون الواثق وكانت بيعته وقت زوال الشمس من يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة وكانت الاتراك قد عزموا على تولية محمد بن الواثق فاستصغروه فتركوه وعدلوا الى جعفر هذا وكان عمره اذ ذاك ستا وعشرين سنة وكان الذي البسه خلعة الخلافة احمد بن ابي داود القاضي وهو اول من سلم عليه بالخلافة وبايعه الخاصة ثم العامة وكانوا قد اتفقوا على تسميته بالمنتصر الى صبيحة يوم الجمعة فقال احمد بن ابي داود قد رايت ان يلقب امير المؤمنين بالمتوكل على الله فاتفقوا على ذلك وكتب به الى الافاق وامر باعطاء العساكرية من الجند ثماني شهور وللمغاربة باربعة شهور ولغيرهم بثلاثة اشهر واستبشر الناس به وقد كان المتوكل راى في منامه في حياة اخيه الواثق كان شيا نزل عليه من السما مكتوب فيه جعفر المتوكل على الله فعبرها فقيل له هي الخلافة فبلغ الخلافة اذ ذاك اخاه الواثق فسجنه حينا ثم ارسله وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود امير مكة شرفها الله

وفيها توفي من الاعيان الحكم بن موسى وعمرو بن محمد الناقد ۝

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومايتين

في يوم الاربعاء سابع صفر منها امر الخليفة المتوكل على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير الواثق وكان المتوكل يبغضه لامور منها ان اخاه الواثق غضب عليه في بعض الاوقات فكان ابن الزيات يزيد الواثق غضبا على اخيه فبقي ذلك في نفسه منه ثم كان الذي استرضى الواثق عليه احمد بن ابي داود فحظي بذلك عنده في ايام ملكه ومن ذلك ان ابن الزيات كان قد اشار بخلافة محمد بن الواثق بعد ابيه ولف عليه الناس وجعفر المتوكل في جنب دار الخلافة فلم يتم الامر الا لجعفر المتوكل على رغم انف ابن الزيات فلهذا امر بالقبض عليه سريعا فطلبه فركب بعد غدا يظن ان الخليفة بعث اليه فانتهت به الرسل الى دار ايتاخ امير الشرطة فاحتيط عليه وقيد وبعثوا الى الحال الى داره فاخذ جميع ما كان فيها من الاموال والجواري والجواهر والحواصل والاثاث ووجدوا في مجلسه الخاص به آلات الشراب وبعث الخليفة الى حواصله وضياعه بسائر الاماكن فاحتيط عليها وامر به ان يعذب فمنع من الطعام والشراب وجعلوا ايضا ينخسونه كلما اراد الرقاد بالحديد ثم وضع بعد ذلك كله في تنور من خشب فيه مسامير من حديد في اسفله فاقيم عليه ووكل به من يمنعه من الرقاد فمكث كذلك اياما حتى مات وهو كذلك وقيل انه اخرج من التنور وفيه رمق فضرب على بطنه ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرب وقيل انه احرق ثم دفعت جثته الى اولاده فدفنوه فنبشت عليه الكلاب فاكلت لحمه وجلده سامحه الله ۝ وكانت وفاته لاحدى عشرة من ربيع الاول منها وكان قيمة ما وجد له من الحواصل نحوا من تسعين الف دينار وقد قدمنا ان المتوكل سأله عن قتل اخيه الواثق احمد بن نصر فقال له يا امير المؤمنين احرقني الله بالنار ان كان الواثق قتله يوم قتله الا وهو كافر وفي جمادى الاولى منها فلج احمد بن ابي داود القاضي المعتزلي فلم يزل كذلك حتى مات بعد اربع سنين وهو كذلك كما دعى على نفسه كما تقدم ثم غضب المتوكل على جماعة من الكتاب والعمال واخذ منهم اموالا جزيلة جدا وفيها ولى ابنه محمدا المنتصر الحجاز واليمن وعقد له على ذلك كله في رمضان منها وفيها عهد ملك الروم ميخائيل بن توفيل لامه تدورة فاقامها في الشمس والزمها الدير وقتل الرجل الذي اتهمها به وكان ملكها ست سنين وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود امير مكة حرسها الله وشرفها وفيها توفي ابراهيم بن الحجاج الشامي وحبان بن موسى العزي وسليمان بن عبد الرحمن القطعي وسهل بن عثمان العسكري ومحمد بن سماعة القاضي ومحمد بن عايذ الدمشقي صاحب المغازي ويحيى بن ايوب المقابري ويحيى بن معين احد ائمة الجرح والتعديل واستاذ اهل صناعة الحديث في زمانه

ثم دخلت سنة اربع وثلثين ومايتين

فيها خرج محمد بن البعيث بن الحليس عن الطاعة في بلاده من اذربيجان واظهر ان المتوكل قد مات والتف عليه جماعة من اهل تلك الرساتيق ولجا الى مدينة مرند فحصنها وجاءته البعوث من كل جانب وارسل اليه المتوكل جيوشا يتبع بعضها بعضا

فنصبوا على بلده المجانيق من كل جانب وحاصروه محاصرة عظيمة جداً وقاتلهم مقاتلة هائلة وصبر هو وأصحابه صبراً بليغاً وقدم بغا الشرابي لمحاصرته فلم يزل به حتى أسره واستباح أمواله وحريمه وقتل خلقاً من رؤوس أصحابه وأسر سائرهم واستقامت مادة ابن البعيث ولله الحمد. وفي هذه السنة في جمادى الأولى منها خرج المتوكل على الله إلى المدائن وفيها حج ايتاخ أحد الأمراء الكبار وهو والي مكة والمدينة والموسم ودُعي له على المنابر وقد كان ايتاخ هذا غلاماً خزرياً طباخاً لرجل يقال له سلام الأبرش فاشتراه منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة فرفع منزلته وحظي عنده وكذلك الواثق من بعده ابنه وضم إليه أعمالاً كثيرة وكذلك عامله المتوكل على الله أيضاً وذلك لرجلة ايتاخ وشهامته ونهضته ولما كان في هذه السنة شرب ليلة مع المتوكل فعربد عليه المتوكل فهم ايتاخ بقتله فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال أنت أبي وأنت ربيتني ثم دس إليه من يشير عليه بأن يستأذن للحج فاستأذن فأذن له وأمّره على كل بلدة يحل بها وخرج القواد في خدمته إلى طريق الحج حتى خرج وولى المتوكل الحجابة لوصيف الخادم عوضاً عن ايتاخ وحج بالناس فيها محمد بن داود أمير مكة وهو أمير الحج من سنين متقدمة وفيها توفي من الأعيان أبو خيثمة زهير بن حرب وسليمان بن داود الشاذكوني أحد الحفاظ وعبد الله بن محمد النفيلي وأبو الربيع الزهراني وعلي بن عبد الله بن جعفر المديني شيخ البخاري في صناعة الحديث ومحمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن أبي بكر المقدمي المعافى الرسعني ويحيى بن يحيى الليثي راوي الموطأ للغاربين عن الإمام مالك

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

في جمادى الآخرة منها كان هلاك ايتاخ في السجن وذلك أنه رجع من الحج فتلقته هدايا الخليفة ولما اقترب يريد دخول سامرا التي فيها أمير المؤمنين بعث إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليتلقاه وجوه بني هاشم فدخلها في أبهة عظيمة فقبض عليه إسحاق بن منصور وعلى ابنيه مظفر ومنصور وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني فأسلم تحت العقوبة وكان هلاك ايتاخ بالعطش وذلك أنه أكل شيئاً كثيراً بعد جوع شديد ثم استسقى الماء فلم يسق حتى مات ليلة الأربعاء لخمس خلون من جمادى الآخرة منها ومكث ولداه في السجن مدة خلافة المتوكل فلما ولي المنتصر ولده أخرجهما وفي شوال منها قدم بغا إلى سامرا ومعه محمد بن البعيث وأخواه صقر وخالد ونائبه العلاء ومعهم من رؤوس أصحابه نحو من مائتين وثمانين أسيراً فأدخلوا على الجمال ليراهم الناس فلما أوقف ابن البعيث بين يدي المتوكل أمر بضرب عنقه فأحضر السيف والنطع وجاء السيافون فوقفوا حوله فقال له المتوكل ويلك ما دعاك إلى ما صنعت فقال الشقوة يا أمير المؤمنين وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك وهو العفو ثم اندفع يقول بديهة

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلي • إمام الهدى والصفح بالمرء أجمل •
وهل أنا إلا جبلة من خطية • وعفوك من نور النبوة يجبل •

د • وإنك خير السابقين إلى العلى • ولا شك أن خير الفعال لمن يفعل •

فقال المتوكل إن معه لأدباً ثم عفا عنه ويقال بل شفع فيه المعتز ابن المتوكل فشفعه فيه ويقال بل أودع السجن في قيود ثقيلة فلم يزل فيه حتى هرب بعد ذلك وقد قال حين هرب منه

كم قد قضيت أموراً كان أهملها غيري • وقد أخذ الإفلاس بالكرم •
لا تعذليني فيما ليس ينفعني • إليك عني جرى المقدار بالقلم •
سأتلف المال في عسر وفي يسر • إن الجواد الذي يعطي على العدم •

وفي هذه السنة أمر المتوكل على الله أهل الذمة بأن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وثيابهم وأن يتطيلسوا بالعسلي وأن يكون على عمائمهم رقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم وأن يكونوا بالزنانير الخاصرة سائهم كزنانير الفلاحين اليوم وأن يجعلوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة وأن لا يركبوا خيلاً وليكن ركبهم من خشب إلى غير ذلك من الأمور الفظيعة لهم فحجتهم الله وأن لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي تكون لهم فيها حكم على مسلم وأمر بتخريب كنائسهم المحدثة وبتضييق منازلهم المتسعة فيؤخذ منها العشر وأن يعمل مما كان متسعاً كثيراً مسجداً وأمر بتسوية قبورهم بالأرض وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق وإلى كل بلد ورستاق وفيها خرج رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابوري ممن كان يتردد إلى الجذع بابك الخرمي يتعبد قريباً منه وذلك بقرب دار الخلافة بسر من رأى فادعى أنه نبي وأنه ذو القرنين وقد اتبعه على هذه الضلالة لزرد وافقه في هذه البدعة تجماعة أقلون وهم سبعة وعشرون وقد نظم لهم كلاماً في مصحف له قبحه الله زعم لعنه الله أن جبريل عليه السلام جاءه به من الله فأخذ فرفع أمره إلى المتوكل فأمر به فضرب ضرباً شديداً بالسياط فاعترف بما نسب إليه وما هو معول عليه وأظهر التوبة من ذلك والرجوع عنه فأمر الخليفة كل واحد من أتباعه أن يصفعه عشر صفعات ففعلوا لعنه وعليهم لعنة رب الأرض والسماوات ثم اتفق موته يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي الحجة من هذه السنة وفي يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة من هذه السنة المباركة أخذ الخليفة المتوكل على الله العهد لأولاده الثلاثة وهم محمد المنتصر ثم أبو عبد الله المعتز بالله واسمه محمد وقيل الزبير ثم إبراهيم وسماه المؤيد بالله ولم يل الخلافة فيهما وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد يكون نائباً عليها ويولي فيها ويضرب له السكة بها وقد عين ابن جرير ما لكل واحد منهم من البلدان والأقاليم والرساتيق وعقد لكل واحد منهم لواءين لواء أسود للعهد ولواء أبيض للعمل وكتب بينهم كتاباً بالرضى منهم وبمبايعة الأمراء الكبار لهم على ذلك وكان يوماً مشهوداً وفي شهر ذي الحجة منها تغير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ثم صار في لون ماء المد ففزع الناس لذلك وفي هذه السنة أتي المتوكل بيحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من بعض النواحي وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة فأمر بضربه فضرب ثماني عشرة مقرعة ثم حبس في المطبق وحج بالناس محمد بن داود قاله ابن جرير وفيها توفي إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر يعني نائب

ببغداد في يوم الثلثا لسبع بقين من ذي الحجة وصيّر ابنه محمد مكانه وخلع عليه خمس خلع وقلده سيفا ثم كان له في نيابة بغداد والعراق من زمن المامون ومن اكبر الدعاة تبعا لسادته وكبرائه الى القول بخلق القران وفيها توفي اسحاق بن ابراهيم بن ماهان الموصلي النديم الاديب بن الاديب لنا در الشكل وفيه المجموع الفضايل من كل فن يعرفه ابناء عصره من الفقه والحديث والجدل والكلام واللغة والشعر وانما اشتهر بالغنا لانه لم يكن له في الدنيا نظير فيه قال المعتصم كان اسحاق اذا غنا في يخيل الى انه قد زيد في ملكي وقال المامون لولا اشتهاره بالغنا لوليته القضا لما اعلم من عفته ورياسته واما شعره فله شعر حسن وديوان كبير وكانت عنده كتب كثيرة وتوفي في هذه السنة قال ابن خلكان وقيل في التي قبلها وقد ترجمه الحافظ بن عساكر ترجمة حافلة وذكر عنه اشياء حسنة واشعارا بديعة رايقة وحكايات مدهشة يطول استقصاوها فمن غريب ذلك انه غنى يوما ليحيى بن خالد بن برمك فوقع له بالف الف ووقع له ابنه جعفر بمثلها والفضل بمثلها في حكاية طويلة

ثم دخلت سنة ست وثلثين ومايتين

فيها امر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل والدور ونودي في الناس من وجد هاهنا بعد ثلاث رفع الى المطبق فلم يبق هناك بشر واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرث وتستغل وفيها حج بالناس محمد المنتصر بن المتوكل وفيها توفي محمد بن ابراهيم بن مصعب عم ابن اخيه محمد بن اسحاق بن ابراهيم وكان محمد بن ابراهيم هذا من الامرا الكبار وفيها توفي الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المامون التي تقدم ذكرها وكان من سراة الناس ورؤسايهم ويقال ان اسحاق بن ابراهيم توفي في هذه السنة فالله اعلم وفيها توفي ابو سعيد محمد بن يوسف المروزي فجاة فولى ابنه يوسف مكانه على نيابة ارمينية وفيها توفي ايضا ابراهيم بن المنذر الحزامي ومصعب بن عبد الله الزبيري وهدبة بن خالد القيسي وابو الصلت الهروي احد الضعفا

ثم دخلت سنة سبع وثلثين ومايتين

فيها قبض يوسف بن محمد بن يوسف نايب ارمينية على البطريق الكبير بها وبعثه الى نايب الخليفة واتفق بعد بعثه اياه ان سقط ثلج عظيم على تلك البلاد فتحزب اهل ذلك البطريق وجا واحاصروا البلد التي فيها يوسف بن محمد فخرج اليهم ليقاتلهم فقتلوه وطايفة كثيرة من المسلمين الذين معه وهلك كثير من الناس في الثلج من شدة البرد ولما بلغ المتوكل ما وقع من هذا الامر الفظيع ارسل الى اهل تلك الناحية بغا الكبير في جيش كثيف جدا فقتل بها من اهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة وقتل الامير نحوا من ثلثين الفا واسر منهم طايفة كبيرة ثم سار الى بلاد الباق من كورة البسفرجان وسلك الى مدن كثيرة كبار ومهد المما لك والبلاد والنواحي وفي صفر من هذه السنة غضب المتوكل على احمد بن ابي داود القاضي وكان على المظالم فعزله عنها واستدعى يحيى بن اكثم فولاه قضا القضا والمظالم ايضا وفي ربيع الاول امر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن ابي داود واخذ ابنه ابا الوليد محمد بن احمد بن ابي داود فحبسه في يوم السبت لثلاث خلون من

ربيع الاخر واخذ منه مصادرة مبلغ ماية الف دينار وعشرين الف دينار ومن الجواهر النفيسة ما يقاوم عشرين الف دينار ثم صولح على ستة عشر الف الف درهم وكان ابن ابي داود قد اصابه الفالج كما ذكرنا ثم نفى اهليهم من سامرا الى بغداد فيها قال ابن جرير فقال في ذلك ابو العتاهية

لو كنت في الراي منسوبا الى رشد • وكان عزمك عزما فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به • عن ان تقول كتاب الله مخلوق
ماذا عليك واصل الدين يجمعهم • ما كان في الفرع لولا الجهل والموق

وفي يوم عيد الفطر امر المتوكل بانزال جثة احمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي والجمع بين راسه وبين جسده وان يسلم الى اوليايه ففرح الناس بذلك واجتمع من العامة خلق كثير في جنازته وجعلوا يتمسحون باعواده للبركة وبالجذع الذي كان مصلوبا فوقه وارهج العامة في ذلك فكتب الى النايب يامره بردعهم عن تعاطي مثل ذلك وكتب الى الافاق بالمنع من الكلام في مسالة الكلام والكف عن القول بخلق القران واظهر اكرام الامام احمد بن حنبل واستدعاه من بغداد اليه فاجتمع به واكرمه وامر له بجايزة سنية فلم يقبل منها شيا وخلع عليه خلعة سنية من ملابسه فاستحيا منه كثيرا فلبسها الى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزعا عنيفا وهو يبكي رحمه الله وجعل في كل يوم يرسل اليه من طعامه الخاص يظن انه ياكل منه وكان الامام احمد لا ياكل لهم طعاما بل كان صايما مواصلا يطوي تلك الايام كلها لانه لا يتيسر له شي يرتضي اكله ولكن كان ابناه صالح وعبد الله يقبلان تلك الجوايز وهو لا يشعر بشي من ذلك قال صالح لولا اسرعنا الاوبة الى بغداد لحسبت انه يموت الشيخ من الجوع وارتفعت السنة جدا في ايام المتوكل وكان لا يولي احدا الا بعد مشورة الامام احمد بن حنبل وكانت ولاية يحيى بن اكثم قضاء القضاة عن مشورته ايضا وقد كان يحيى بن اكثم من ايمة السنة وعلماء الناس ومن المعظمين للكتاب والسنة والفقه والحديث واتباع الاثر وكان قد ولي من جهته حيان بن بشر قضاء الشرقية وسوار بن عبد الله العنبري قضاء الجانب الشرقي وكلاهما كان اعور فقال في ذلك بعض اصحاب ابن ابي داود

رايت من الكبائر قاضيين • هما احدوثة في الخافقين
هما اقتسما العمى نصفين قدا • كما اقتسما قضاء الجانبين
وتحسب منهما من هز راسا • لينظر في مواريث ودين
كانك قد وضعت عليه دنا • فتحت بزاله من فرد عين
هما فال الزمان بهلك يحيى • اذ افتتح القضا باعورين

وعزل الصايغة في هذه السنة علي بن يحيى الارمني وحج بالناس فيها علي بن عيسى بن جعفر بن ابي جعفر المنصور امير الحجاز وفيها توفي حاتم الاصم وعبد الاعلى بن حماد وعبيد الله بن معاذ العنبري وابو كامل الفضيل بن الحسين الجحدري

ثم دخلت سنة ثمان وثلثين ومايتين

في ربيع الاول منها حاصر بغا مدينة تفليس وعلى مقدمته زيرك التركي فخرج

اليه صاحب تفليس اسحاق بن اسماعيل فاسر اسحاق فامر بغا بضرب عنقه وصلبه وامر بالقاء النار في النفط الى نحو المدينة وكان اكثر نباتها من خشب الصنوبر فاحرق اكثرها واحترق من اهلها نحو من خمسين الف انسان وطفيت النار بعد يومين لان نار الصنوبر لا بقاء لها ودخل الجند فاسروا من بقي من اهلها واستلبوهم حتى استلبوا الموتى ثم سار بغا الى مدن اخرى ممن كان يمالي اهلها مع من قتل نايب ارمينية يوسف بن محمد بن يوسف فاخذ بثاره وعاقب من يجري عليه وفي هذه السنة جات الروم في نحو من ثلثماية مركب قاصدين ديار مصر من ناحية دمياط ه فدخلوها فجاة فقتلوا من اهلها خلقا كثيرا وحرقوا المسجد الجامع والمنبر واسروا من النسا نحو من ستماية امراة من المسلمات ماية وخمس وعشرون والباقيات من نسا القبط واخذوا من الاسلحة والامتعة والمغانم شيا كثيرا جدا وفر الناس منهم في كل جهة ولم يعرض لهم احد حتى عادوا الى بلادهم لعنهم الله وقبحهم وفي هذه السنة غزا الصايفة علي بن يحيى الارمني وحج بالناس امير التي قبلها وفيها توفي الامام اسحاق بن راهويه احد الاعلام وعلماء الاسلام والمجتهدين من الانام وبشر بن الوليد الفقيه الحنفي وطالوت بن عباد ومحمد بن بكار بن الريان ومحمد بن البرجلاني ومحمد بن ابي السري العسقلاني

ثم دخلت سنة تسع وثلثين ومايتين

في المحرم منها زاد المتوكل في التغليظ على اهل الذمة في التمييز في اللباس عن المسلمين وكذا امر بتخريب الكنايس المحدثة في الاسلام وفيها نفى المتوكل علي بن الجهم الى خراسان وفيها اتفق سعانين النصارى والنوروز في يوم واحد وذلك يوم الاحد لعشرين من ذي القعدة وزعمت النصارى ان هذا شي لم يتفق مثله في الاسلام الا في هذا العام وغزا الصايفة علي بن يحيى المذكور وحج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي وهو والي مكة قال ابن جرير وفيها توفي ابو الوليد القاضي احمد بن ابي داود الايادي المعتزلي قلت وممن توفي فيها من الاعيان داود بن رشيد وصفوان بن صالح موذن اهل دمشق وعبد الملك بن حبيب الفقيه المالكي احد المشاهير وعثمان بن ابي شيبة صاحب التفسير والمسند المشهير ومحمد بن مهران الرازي ومحمود بن غيلان ووهب بن بقية

احمد بن عاصم الانطاكي ه

ابو علي الواعظ الزاهد احد العباد له كلام حسن في الزهد ومعاملات القلوب قال ابو عبد الرحمن السلمي كان من طبقة الحرث المحاسبي وبشر الحافي وكان ابو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته روى عن ابي معاوية الضرير وطبقته وعنه احمد بن ابي الحواري ومحمود بن خالد وابو زرعة الدمشقي وغيرهم وروى عنه احمد بن الحواري عن مخلد بن الحسين عن هشام بن حسان قال مررت بالحسن البصري وهو جالس وقت السحر فقلت يا ابا سعيد مثلك يجلس في هذا الوقت قال اني قد توضات فاردت نفسي ان تقوم فتصلي فابت علي واردتني على ان تنام فابيت عليها ومن مستجاد كلامه اذا اردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك وقال

من الغنيمة الباردة ان تصلح ما بقي من عمرك فيغفر لك ما مضى منه وقال ايضا يسير اليقين يخرج الشك كله من القلب ويسير الشك يخرج اليقين كله من القلب وقال من كان بالله اعرف كان له اخوف وقال خير صاحب لك في دنياك الهم يقطعك عن الدنيا ويوصلك الى الاخرة ومن شعره رح

هممت ولم اعزم ولو كنت صادقا ... عزمت ولكن الفطام شديد
ولو كان لي عقل وايقان موقن ... لما كنت عن قصد الطريق احيد
ولا كان في شك اليقين مطامعي ... ولكن عن الاقدار كيف احيد

ومن شعره ايضا

داعيات الهوى تخف علينا ... وخلاف الهوى علينا ثقيل
فقد الصدق في الاماكن حتى ... وصفه اليوم ما عليه دليل
لا نرى خايفا فيلزمنا ... للخوف ولا صادقا بما يقول
فبقينا مذ دين حبارى ... نطلب الصدق ما اليه سبيل

وله ايضا

هون عليك فكل الامر ينقطع ... وخل عنك عنان الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرج ... وكل كرب اذا ما ضاق يتسع
ان البلاء وان طال الزمان به ... الموت يقطعه او سوف ينقطع

وقد اطال الحافظ بن عساكر ترجمته ولم يورخ وفاته وانما ذكرته هاهنا تقريبا والله اعلم

سنة اربعين ومايتين من الهجرة النبوية

فيها عدا اهل حمص على عاملهم ابي المغيث موسى بن ابراهيم الرافقي وكان قد قتل رجلا من اشرافهم فقتلوا جماعة من اصحابه واخرجوه من بين اظهرهم فبعث اليهم المتوكل ه اميرا عليهم وقال للمستعين ان قبلوه والا فاعلمني فقبلوه فعمل فيهم الاعاجيب واهانهم غاية الاهانة وفيها عزل المتوكل القاضي يحيى بن اكثم عن قضاء القضاة وصادره بما مبلغه ثمانون الف دينار واخذ منه كثيرا في ارض البصرة وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي على قضاء القضاة قال ابن جرير وفي المحرم منها توفي احمد بن ابي داود بعد ابنه محمد بعشرين يوما

وهذه ترجمة احمد بن ابي داود القاضي

احمد بن ابي داود واسمه الفرج وقيل دعمي والصحيح ان اسمه كنيته قاله ابن جرير القاضي ابو عبد الله الايادي المعتزلي وقال ابن خلكان في نسبه هو ابو عبد الله احمد بن ابي داود فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد بن سلام بن عبد هند بن عبد لخم بن مالك بن قنص بن منعة بن برجان بن دوس بن الديل بن امية بن حذافة بن زهر بن اياد بن نزار بن معد بن عدنان قال الخطيب البغدادي ولي ابن ابي داود قضاء القضاة للمعتصم ثم للواثق وكان موصوفا بالجود والسخاء وحسن الخلق ووفور الادب غير انه اعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القران قال الصولي لم يكن بعد البرامكة اكرم منه ولولا ما وضع من نفسه من محبة المحنة لاجتمعت عليه الالسن وكان مولده

في سنة ستين ومائة وكان اسن من يحيى بن اكثم بعشرين سنة قال ابن خلكان واصلهم من بلاد قنسرين وكان ابوه تاجرا يفد الى الشام ثم اخذ معه ولده الى العراق فاشتغل بالعلم وصحب هياج بن العلاء السلمي احد اصحاب واصل بن عطا فاخذ عنه الاعتزال وذكر انه كان يصحب يحيى بن اكثم القاضي ويأخذ عنه ثم سرد له ترجمة طويلة في كتابه الوفيات وقد امتدحه بعض الشعراء فقال

رسول الله والخلفاء منا ... ومنا احمد بن ابي داود

فرد عليه بعض الشعراء فقال

فقل للفاخرين على نزار ... وهم في الارض سادات العباد
رسول الله والخلفاء منا ... ونبرأ من دعي بني اياد
وما منا اياد اذ اقرت ... بدعوة احمد بن ابي داود

فلما بلغ ذلك احمد بن ابي داود قال لولا اني اكره العقوبة لعاقبت هذا الشاعر عقوبة ما فعلها احد وعفا عنه قال الخطيب حدثني الازهري ثنا احمد بن احمد الواعظ ثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك حدثني جرير بن احمد ابو مالك قال كان ابي يعني احمد بن ابي داود اذا صلى رفع يديه الى السماء وخاطب ربه وانشأ يقول

ما انت بالسبب الضعيف وانما ... نجح الامور بقوة الاسباب
فاليوم حاجتنا اليك وانما ... يدعى الطبيب لساعة الاوصاب

ثم روى الخطيب ان ابا تمام دخل يوما على احمد بن ابي داود فقال له احسبك عاتبا فقال انما يعتب على واحد وانت الناس جميعا فقال له انى لك هذه فقال من قول ابي نواس

وليس لله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

وامتدحه ابو تمام يوما فقال

لقد انست مساوي كل دهر ... محاسن احمد بن ابي داود
وما سافرت في الآفاق الا ... ومن جدواك راحلتي وزادي
يقيم الظن عندك والاماني ... وان قلقت ركابي في البلاد

فقال له هذا المعنى تفردت به او اخذته من غيرك فقال هو لي وفيه المام بقول ابي نواس

وان جرت الالفاظ يوما بمدحة ... لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وقال محمد بن يحيى الصولي ومن مختار مديح ابي تمام لاحمد بن ابي داود قوله

ااحمد ان الحاسدين كثير ... وما لك ان عد الكرام نظير
حللت محلا فاضلا متقدما ... من المجد والفخر القديم فخور
فكل غني او فقير فانه ... وان نال السماء فقير
اليك تناهى المجد من كل وجهة ... يصير فما يعدوك حيث يصير
وبدر اياد انت لا ينكرونه ... كذاك اياد للانام بدور
تجنبت ان تدعى الامير تواضعا ... وانت لمن يدعى الامير امير
فما من ندى الا اليك محله ... وما رفعة الا اليك تشير

قلت قد اخطأ الشاعر في هذا خطأ كبيرا والخشن في المبالغة كثيرا وقال احمد بن ابي داود يوما لبعضهم لم لا تسألني فقال له لاني لو سألتك اعطيتك ثمن ما تعطيني فقال له صدقت وارسل اليه بخمسة الاف درهم وقال ابن الاعرابي سأل رجل من احمد بن ابي داود ان يحمله على عير فقال يا غلام اعطه عيرا وبغلا وبرذونا وفرسا وجارية ثم قال له لو اعلم مركوبا غير هذه لاعطيتك ثم اورد الخطيب باسانيده عن جماعة من الناس في اخبار تدل على كرمه وفصاحته وادبه وحلمه ومبادرته الى قضاء الحاجات وعظمة منزلته عند الخلفاء وذكر محمد المهتدي بن الواثق ان شيخا دخل على الواثق فسلم فلم يرد عليه الخليفة السلام فقال الشيخ سلم الله عليك فقال يا امير المؤمنين بئس ما ادبك معلمك قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وما انت حييتني باحسن منها ولا رددتها فقال القاضي احمد بن ابي داود يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال له ناظره فقال له القاضي ما تقول يا شيخ في القرآن امخلوق هو فقال له الشيخ ما انصفتني في المسألة لي فقال قل فقال له هذا الذي تقوله علمه رسول الله وابو بكر وعمر وعثمان وعلي او ما علموه فقال لم يعلموه قال فانت علمت ما لم يعلموا فخجل وسكت ثم قال بل علموه قال فهلا دعوا اليه الناس كما دعوتهم انت اما وسعك ما وسعهم فسكت ابن ابي داود وامر الواثق له بجائزة نحو اربعمائة دينار قال المهتدي فدخل ابي المنزل فاستلقى على قفاه وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه وهو يقول اما وسعك ما وسعهم ثم امر باطلاق الرجل واعطاه اربعمائة دينار ورده الى بلاده وسقط من عينه ابن ابي داود ولم يمتحن بعده احدا وقد انشد ثعلب عن ابي الحجاج الاعرابي انه قال في ابن ابي داود

نكست الدين يا ابن ابي داود ... فاصبح من اطاعك في ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقا ... اما لك عند ربك من معاد
كلام الله انزله بعلم ... وانزله على خير العباد
ومن امسى ببابك مستضيفا ... كمن حل الفلاة بغير زاد
لقد اطرفت يا ابن ابي داود ... بقولك انني رجل ايادي

وروى الخطيب عن يحيى الجلاء او احمد بن الموفق انه قال ناظرني رجل من الواقفة في خلق القرآن فنالني منه ما اكره فلما امسيت اتيت امرأتي فوضعت لي العشاء فلم اقدر ان انال منه شيئا ونمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الجامع وهناك حلقة فيها احمد بن حنبل واصحابه وحلقة فيها ابن ابي داود واصحابه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الاية فان يكفر بها هؤلاء ويشير الى حلقة ابن ابي داود فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ويشير الى حلقة احمد بن حنبل واصحابه رحمهم الله وقال الخطيب وقال بعضهم رأيت في المنام ليلة مات ابن ابي داود وكان قائلا يقول هلك الليلة احمد بن ابي داود فقلت له وما سبب هلاكه فقال اغضب الله عليه فغضب عليه من فوق سبع سموات وقال بعضهم رأيت في تلك الليلة كأن النار زفرت زفرة عظيم فخرج منها اللهب

فقلت ما هذا فقيل هذه الخرزات لابن ابي داود وقد كان موته في يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة وصلى عليه ابنه العباس ودفن في داره ببغداد وعمره يوميذ ثمانون سنة وقد كان فلج قبل موته باربع سنين وبقي طريحا في فراشه لا يقدر على ان يحرك شيا من جسده وقد دخل عليه بعضهم فقال له والله ما جيتك عايدا ولكن جيت لاحمد الله على ان سجنك في جسدك وقد صودر في العام الماضي باموال جزيلة جدا كما تقدم بيانه قال ابن خلكان وقد كان مولده في سنة ستين ومائة قلت فعلى هذا يكون اسن من احمد بن حنبل ومن يحيى بن اكثم الذي ذكر ابن خلكان انه كان سبب اتصاله بالمامون على يديه فحظي عنده بحيث انه اوصى به الى اخيه المعتصم فولاه المعتصم القضا وعزل يحيى بن اكثم وكان لا يقطع امرا دونه فكان عنده مخصيصا ولاه القضا والمظالم لم وكان ابن الزيات الوزير يبغضه وبينهما منافسات ويهجوه كما تقدم وقد بالغ ابن خلكان في ترجمته ومدحه وقرظه وذكر من محاسنه وماثره فاطنب واكثر واطيب ولم يذكر شيا من مساويه بل ذكر امتحانه للامام احمد ذكرا موجزا باطرافه لا ناس وهي المحنة التي عم الناس ما بعدها من المحن التي تحتمت على الناس من باب الفتن وذكر ما ضرب به من الفالج وما صودر به من المال الزاج وان ابنه ابو الوليد محمدا صودر بالف الف دينار وما يقرب الف دينار وانه مات قبل ابيه بشهر او نحوه واما الحافظ ابن عساكر فانه بسط القول في ترجمته وشرحها شرحا مليحا وقد كان رجلا اديبا فصيحا كريما جوادا ممدحا يوثر العطا على المنع والتفرقة على الجمع وقد روى باسناده انه جلس يوما مع اصحابه ينتظرون خروج الواثق فقال القاضي انه ليعجبني هذا البيتان ولي نظرة لو كان يحبل ناظر بنظرته انثى لقد حبلت مني فانه لدت ما بين تسعة اشهر الى نظري ابنا فاني ابنها مني

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان ٥

ابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي احد الفقها المشاهير قال الامام احمد هو عندنا في مسلاخ الثوري وخليفة بن خياط احد ايمة التاريخ وسويد بن سعيد الحدثاني وسويد بن نصر وعبد السلام بن [illegible] الملقب بسحنون احد فقها المالكية المشهورين وعبد الواحد بن غياث وقتيبة بن سعيد شيخ الايمة الستة ابو الهيثم عبد الله بن خالد الكاتب عبد الله بن طاهر وشاعره كان عالما باللغة وله فيها مصنفات عديدة اورد منها القاضي ابن خلكان ومن شعره يمدح عبد الله بن طاهر

يا من يحاول ان تكون صفاته • كصفات عبد الله انصت واسمع •
فلا نصحنك في المشورة والذي • حج الحجيج اليه فاسمع اودع •
اصدق وعف وبر واصبر واحتمل • واصفح وكاف ودار واحلم واشجع •
والطف ولن وتان وارفق واتئد • واحزم وجد وحام واحمل وادفع •
فلقد محضتك ان قبلت نصيحتي • وهديت للنهج الاسد المهيع •

سحنون المالكي صاحب المدونة

هو ابو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي اصله من مدينة حمص فدخل به ابوه مع جند بلاد المغرب فاقام هنالك وانتهت اليه رياسة مذهب مالك وقد كان تفقه على ابن القاسم وسمع

انه قدم اسد بن الفرات المالكي من بلاد العراق الى بلاد مصر فسال عبد الرحمن بن القاسم صاحب الامام مالك عن اسولة كثيرة فاجابه عنها فعلقها له ودخل بها بلاد المغرب فانتسخها منه سحنون ثم قدم على ابن القاسم الى مصر فاعاد سواله عنها فزاد فيها ونقص ورجع عن اشيا منها فدونها سحنون ورجع بها الى بلاد المغرب وكتب معه ابن القاسم الى اسد بن الفرات ان يعرض نسخته على نسخة سحنون ويصلحها بها فلم يقبل فدعا عليه ابن القاسم فلم ينتفع به ولا بكتابه وصارت الرحلة الى سحنون وانتشرت عنه المدونة وساد اهل ذلك الزمان وتولى القضا بالقيروان الى ان توفي في هذه السنة عن ثمانين عاما رحمه الله

ثم دخلت سنة احدى واربعين ومايتين ٥

في جمادى الاخرة من هذه السنة وثب اهل حمص ايضا على عاملهم محمد بن عبدويه فارادوا قتله وساعدهم نصارى اهلها ايضا عليه فكتب الى الخليفة يعلمه بذلك فكتب اليه يامره بمناهضتهم وكتب الى متولي دمشق ان يمده بجيش من عنده ليساعده على اهل حمص وكتب اليه ان يضرب ثلاثة منهم معروفين بالشر بالسياط حتى يموتوا ثم يصلبهم على ابواب البلد وان يضرب عشرين اخرين منهم كل واحد منهم ثلثماية ثلثماية وان يرسلهم الى سامرا مقيدين في الحديد وان يخرج كل نصراني منها وان يهدم كنيستها العظمى التي الى جانب المسجد الجامع وان يضيفها اليه وامر له بخمسين الف درهم وللامرا الذين ساعدوه بصلات سنية فامتثل ما امره به الخليفة في اهل حمص وفي هذه السنة ضرب رجل ببغداد يقال له عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم ضربا شديدا مبرحا يقال انه ضرب الف سوط حتى مات وذلك لانه شهد عليه سبعة عشر رجلا عند قاضي الشرقية ابي حسان الزيادي انه يشتم ابا بكر وعمر وعايشة وحفصة رضي الله عنهم اجمعين فرفع امره الى الخليفة فجا كتاب الخليفة الى محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين نايب بغداد يامره ان يضرب هذا الرجل بين الناس حد السب ثم يضرب بالسياط حتى يموت ويلقى في دجلة ولا يصلى عليه ليرتدع بذلك اهل الالحاد والمعاندة ففعل معه ذلك قبحه الله ولعنه ومثل هذا الرجل يكفر ان كان قد قذف عايشة ام المومنين بالاجماع وفي من قذف من سواها من امهات المومنين قولان والصحيح انه يكفر ايضا لانهن ازواج رسول الله قال ابن جرير وفي هذه السنة انقضت الكواكب ببغداد وتناثرت وذلك ليلة الخميس لليلة خلت من جمادى الاخرة قال وفيها مطر الناس في اب مطرا شديدا قال وفيها مات شي كثير من الدواب والبقر قال وفيها اغارت الروم على عين زربة فاسرت من بها من الزط واخذوا نساهم وذراريهم ودوابهم قال وفيها كان الفدا بين المسلمين والروم وكان ذلك ببلاد طرسوس بحضرة قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد عن اذن الخليفة له في ذلك واستناب ابن ابي الشوارب فكان عدة الاسرى من المسلمين سبعماية وخمسة وثمانين رجلا ومن النسا ماية وخمسة وعشرون امراة وقد كانت ام الملك تدوره لعنها الله عرضت النصرانية على من كان في يدها من الاسارى وكانوا نحوا من عشرين الفا فمن اجابها الى النصرانية والا قتلته فقتلت اثني عشر الفا وتنصر بعضهم وبقي منهم هولا الذين ذكرنا وهم قريب من الستماية رجالا ونسا وفيها اغارت البجة على حرس من ارض مصر وقد كانت البجة

لا يغزون المسلمين قبل هذا لهدنة كانت لهم من المسلمين فنقضوا هدنته وصرحوا بالمخالفة
والبجة طايفة من سودان بلاد المغرب وكذا النوبة والقوبه وبيثون وزغرير ويكسوم
وامم كثيرة لا يعلمهم الا الذي خلقهم وفي بلاد هولاء معادن الذهب والجوهر وكان عليهم حمل
في كل سنة الى ديار مصر من هذه المعادن فلما كانت دولة المتوكل امتنعوا من اداء ما عليهم
سنين متعددة فكتب نايب مصر وهو يعقوب بن ابراهيم الباذغيسي مولى الهادي وهو
المعروف بقوصرة بذلك كله الى المتوكل فغضب المتوكل من ذلك غضبا شديدا وشاور في امر
البجة فقيل له يا امير المومنين انهم قوم اهل ابل وبادية وان بلادهم بعيدة ومعطشة ويحتاج
الجيش الذاهبون اليها ان يتزودوا لمقامهم بها طعاما وماء فصده ذلك عن البعث اليهم
ثم بلغه انهم يغيرون على اطراف الصعيد وخشي اهل مصر على انفسهم منهم فجهز لحربهم محمد بن عبد
الله القمي وجعل اليه نيابة تلك البلاد كلها المتاخمة لارضهم وكتب الى عمال مصر ان يعينوه
بجميع ما يحتاج اليه من الطعام والشراب وغير ذلك فتخلص معه من الجيوش الذين انضافوا
اليه من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين الف فارس وراجل وحمل معه الطعام والادام
في مراكب سبعة وامر الذين هم بها ان يلججوا بها في البحر ثم يوافوه بها اذا توسط بلاد البجة
ثم سار حتى دخل بلادهم وجاوز معادنهم واقبل اليه ملكهم واسمه علي بابا في جمع عظيم
اضعاف من مع محمد بن عبد الله القمي وهم قوم مشركون يعبدون الاصنام فجعل الملك
يطاول المسلمين في القتال لعله تنفد ازوادهم فياخذونهم بالايدي فلما نفد ما عند
المسلمين وطمع فيهم السودان بشر الله وله الحمد بوصول تلك المراكب وفيها من الطعام
والتمر والزيت وغير ذلك مما يحتاجون اليه شي كثير جدا فقسمه الامير بين المسلمين بحسب
حاجاتهم فييس السودان من هلاك المسلمين بالجوع فشرعوا في التاهب لقتال المسلمين
وكانوا يركبون على ابل شبيهة بالهجن زعرة جدا كثيرة النفار لا تكاد ترى شيا الا جفلت منه
فلما كان يوم الحرب عمد الامير الى جميع الاجراس التي معهم في الجيش فجعلها في رقاب الخيول
فلما كانت الوقعة حمل المسلمون حملة رجل واحد وهرب السودان فرار رجل واحد ونفرت
ابلهم من اصوات تلك الاجراس في كل وجه وتفرقوا شذر مذر واتبعهم المسلمون يقتلون
من شاوا لا يمتنع منهم احد فلا يعلم عدد من قتلوا منهم الا الله عز وجل ثم اصبحوا وقد
اجتمعوا رجالة فكبسهم القمي من حيث لا يشعرون فقتل عامة من بقي واخذ الملك بالامان وادى
ما كان عليه من الحمل واخذ معه اسيرا الى الخليفة وكانت هذه الوقعة في اول يوم من هذه السنة
وكان وصوله الى الخليفة في اواخر هذه السنة فولاه الخليفة على بلاده كما كان وجعل الى
ابن القمي امر تلك الناحية والنظر في امرها ولله الحمد والمنة قال ابن جرير ومات في هذه
السنة يعقوب بن ابراهيم المعروف بقوصرة في جمادى الاخرة قلت وهذا الرجل كان نايبا
على الديار المصرية من جهة المتوكل على الله قال وحج بالناس في هذه السنة عبد الله
بن محمد بن داود وحج جعفر بن دينار وهو والي طريق مكة واحداث الموسم ولم يتعرض ابن
جرير لوفاة احد من المحدثين في هذه وقد توفي فيها من الاعيان الامام احمد بن حنبل وجبارة
بن المغلس الحماني وابو توبة الحلبي وعيسى بن حماد سجادة ويعقوب بن حميد بن كاسب

ولنذكر شيا من اخبار الامام احمد بن حنبل رحمه الله

وفضايله ومناقبه وماثره على سبيل الاختصار فنقول وبالله المستعان احمد بن محمد بن
حنبل بن هلال بن اسد بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن انس بن عوف بن قاسط بن
مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وايل بن قاسط
بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن اد بن ادد
بن الهميسع بن ثابت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل ابو عبد الله الشيباني المروزي
ثم البغدادي هكذا ساق نسبه الحافظ الكبير ابو بكر البيهقي رح في الكتاب الذي جمعه
في مناقب الامام احمد عن شيخه الحافظ ابي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك وروى عن صالح
بن الامام احمد قال راى ابي هذا النسب في كتاب لي فقال وما تصنع بهذا ولم ينكر النسب
قالوا وقدم به ابوه من مرو وهو حمل فوضعته امه ببغداد في ربيع الاول من سنة اربع وستين
ومايه وتوفي ابوه وهو ابن ثلاثين سنة فكفلته امه قال صالح عن ابيه فثقبت اذني فجعلت
فيهما لولوتين فلما كبرت دفعتهما الي فبعتهما بثلاثين درهما وتوفي ابو عبد الله احمد بن
حنبل في يوم جمعة الثاني عشر من ربيع الاول من سنة احدى واربعين ومايتين وله من العمر
سبع وسبعون سنة رحمه الله وقد كان في حداثته يختلف الى مجلس القاضي ابي يوسف
ثم ترك ذلك واقبل على سماع الحديث فكان اول طلبه الحديث وسماعه من مشايخه
سنة تسع وسبعين ومايه وله من العمر ست عشرة وحج اول حجة حجها في سنة سبع وثمانين
ومايه ثم في سنة احدى وتسعين وفيها حج الوليد بن مسلم ثم في سنة ست وتسعين
وجاور الى سنة سبع وتسعين ثم حج في سنة ثمان وتسعين وجاور الى سنة تسع وتسعين
عند عبد الرزاق باليمن فكتب عنه هو ويحيى بن معين واسحاق بن راهويه قال الامام احمد
حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا انفقت في احدى هذه الحجج ثلاثين درهما قال
وقد ضللت في بعض هذه الحجج عن الطريق وانا ماش فجعلت اقول يا عباد الله دلوني
على الطريق فلم ازل اقول ذلك حتى وقفت على الطريق قال وخرجت الى الكوفة فكنت
في بيت تحت راسي لبنة ولو كان عندي خمسون درهما كنت رحلت الى جرير بن عبد الحميد
الى الري وخرج بعض اصحابنا ولم يمكني الخروج لانه لم يكن عندي وقال ابن ابي حاتم عن ابيه
عن حرملة سمعت الشافعي وعدني احمد بن حنبل ان يقدم على مصر قال ابن ابي حاتم يشبه
ان يكون خفة ذات اليد حالت بينه وبين الوفا بالعدة وقد طاف احمد بن حنبل في البلاد
والافاق وسمع من مشايخ العصر وكانوا يجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم وقد سرد شيخنا
في تهذيبه اسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم وكذلك الرواة عنه قال الحافظ
ابو بكر البيهقي بعد ان ذكر جماعة من شيوخ الامام احمد وقد اكثر احمد بن حنبل في المسند
وغيره الرواية عن الشافعي واخذ عنه جملة من كلامه في انساب قريش واخذ عنه من الفقه
ما هو مشهور وحين توفي احمد وجدوا في تركته رسالتي الشافعي القديمة والجديدة
فقد اوردنا ما رواه الامام احمد عن الامام ابي عبد الله الشافعي وهي احاديث لا تبلغ عشرين
حديثا ومن احسن ما رويناه عن الامام احمد عن الامام الشافعي عن الامام مالك بن انس عن
الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نسمة المومن طاير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقد قال
له الشافعي لما اجتمع به في الرحلة الثانية الى بغداد سنة تسعين ومايه وعمر احمد
اذ ذاك نيف وثلاثون سنة قال له يا ابا عبد الله اذا صح عندكم الحديث فاعلمني

او نسب اليه حجازيا كان او شاميا او عراقيا او يمنيا يعني انه لا يقول بقول فقهاء الحجاز الذين لا يقبلون
الا رواية الحجازيين ويتركون احاديث من سواهم منزلة احاديث اهل الكتاب وقول
الشافعي له هذه المقالة تعظيم لاحمد واجلال له وانه عنده بهذه المثابة اذا صح او ضعف
يرجع اليه في ذلك وقد كان الامام احمد بهذه المثابة عند الائمة والعلماء كما سيأتي ثناء
الائمة عليه واعترافهم له بعلو المكانة وارتفاع المنزلة في العلم رحمهم الله وقد بعد
صيته في زمانه واشتهر اسمه في شبيبته في الآفاق ثم حكى البيهقي كلام احمد في الايمان وانه
قول وعمل يزيد وينقص وكلامه في ان القرآن كلام الله غير مخلوق وانكاره على من يقول ٢
ان لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن قال وفيما حكاه ابو عمارة وابو جعفر ابنا احمد
شيخا السراج عن احمد انه قال اللفظ محدث واستدل بقوله ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد قال فاللفظ كلام الآدميين وروى غيرهما عن احمد انه قال القرآن
كيفما تصرف غير مخلوق واما افعالنا فهي مخلوقة قلت وقد قرر البخاري هذا المعنى
في افعال العباد وذكره ايضا في الصحيح واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم زينوا
القرآن باصواتكم ولهذا قال غير واحد من الائمة الصوت صوت القاري والكلام كلام
الباري وقد قرر البيهقي ذلك ايضا وروى البيهقي من طريق اسماعيل بن محمد بن اسماعيل
السلمي عن احمد انه قال من قال القرآن محدث فهو كافر ومن طريق ابي الحسن الميموني عن
احمد انه اجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث قال
يحتمل ان يكون تنزيله الينا هو المحدث لا الذكر نفسه هو المحدث وعن حنبل عن احمد انه
قال يحتمل ان يكون ذكرا آخر غير القرآن وهو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم او وعظه
اياهم ثم ذكر البيهقي كلام الامام احمد في اثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة واحتج
بحديث صهيب في الرؤية وهي الزيادة وكلامه في نفي التشبيه وترك الخوض
في الكلام والتمسك بما ورد في الكتاب والسنة من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه وروى البيهقي عن الحاكم عن ابي عمرو بن السماك عن حنبل ان احمد تأول قوله تعالى
وجاء ربك انه جاء ثوابه ثم قال البيهقي وهذا اسناد لا غبار عليه وقال الامام احمد
ثنا ابو بكر بن عياش ثنا الاصم عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود قال ما رآه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن وما رآه سيئا فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعا ان
يستخلفوا ابا بكر رضي الله عنه اسناد صحيح قلت وهذا الاثر فيه حكاية اجماع عن
الصحابة في تقديم الصديق رضي الله عنه والامر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه
وقد نص على ذلك غير واحد من الائمة قال الامام احمد بن حنبل حين اجتاز بحمص وقد
حمل الى المأمون في زمن المحنة ودخل عليه عمرو بن عثمان الحمصي فقال له ما تقول
في الخلافة فقال الامام احمد ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن قدم عليا على عثمان
فقد ازرى باصحاب الشورى لانهم قدموا عثمان رضي الله عنه

فصل

في ورعه وزهده وتقشفه رحمه الله ورضي عنه روى البيهقي من طريق المزني عن الشافعي
انه قال للرشيد ان اليمن يحتاج الى قاض فقال له اختر رجلا نوليه اياه وانا الشافعي قال
لاحمد بن حنبل وهو يتردد اليه في جملة من يأخذ عنه فامتنع من ذلك شديدا وقال
اني انما اختلف اليك للعلم اتأمرني ان الي القضاء فاستحيى الشافعي وروى

انه كان لا يصلي خلف عمه اسحاق بن حنبل ولا خلف بنيه ولا يكلمهم ايضا لانهم اخذوا
جائزة السلطان ومكث مرة ثلاثة ايام لم يحصل له ما يأكله حتى بعث الى اصحابه
فاستقرض منه دقيقا فعرف اهله حاجته الى الطعام فعجلوا فعجنوا وخبزوا له سريعا
فقال ما هذه العجلة كيف خبزتم سريعا فقالوا وجدنا تنور بيت صالح مسجورا
فخبزنا لك فيه فقال ارفعوا ولم يأكل وامر بسد بابه الى دار صالح قال البيهقي لان
صالحا اخذ جائزة المتوكل على الله وقال عبد الله مكث ابي بالعسكر ستة عشر
يوما لم يأكل فيها الا ربع مد سويقا يفطر بعد كل ثلاث ليال على سفة منه حتى رجع الى
بيته ولم ترجع اليه نفسه الا بعد ستة اشهر ورأيت موقيه دخلا في حدقتيه قال
البيهقي وقد كان الخليفة يبعث اليه شيئا كثيرا وكان احمد لا يتناول من طعامه
شيئا وبعث الخليفة المأمون مرة ذهبا ليقسم على اصحاب الحديث فما بقي منهم احد
الا اخذ الا احمد بن حنبل فانه ابى وقال سليمان الشاذكوني حضرت احمد وقد رهن
سطلا له عند فامي باليمن فلما جاءه بفكاكه اخرج اليه سطلين فقال خذ متاعك
فاشتبه عليه ايهما الذي له فقال انت في حل منه ومن الفكاك وتركه وحكى عبد الله
قال كنا في زمن الواثق في ضيق شديد فكتب رجل الى ابي ان عندي اربعة آلاف درهم
ورثتها من ابي وليست صدقة ولا زكاة فان رأيت ان تقبلها فامتنع من ذلك
وكرر عليه فابى فلما كان بعد حين ذكرنا ذلك فقال لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت
وعرض عليه بعض التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة جعلها باسمه فابى
ان يقبلها وقال نحن في كفاية وجزاك الله عن قصدك خيرا وعرض عليه تاجر آخر
ثلاثة آلاف دينار فامتنع من قبولها وقام وتركه وتعددت نفقة احمد وهو في اليمن
فعرض عليه شيخه عبد الرزاق ملء كفه دنانير فقال نحن في كفاية ولم يقبلها وسرقت
ثيابه وهو باليمن فجلس في بيته ورد عليه الباب فافتقده اصحابه فجاءوا اليه
فسألوه فاخبرهم فعرضوا عليه ذهبا فلم يقبله ولم يأخذ منهم الا دينارا واحدا ليكتب
لهم به فكتب لهم بالاجر وقال ابو داود وكانت مجالسة احمد مجالسة الآخرة
لا يذكر فيها شيء من الدنيا ما رأيت احمد بن حنبل ذكر الدنيا قط وروى البيهقي عن
الامام احمد انه سئل عن التوكل فقال هو قطع الاستشراف باليأس من الناس
فقيل له هل من حجة على هذا قال نعم ان ابراهيم لما القي به في المنجنيق عرض له
جبريل فقال هل من حاجة قال اما اليك فلا قال فسل من لك اليه الحاجة فقال
احب الامرين الي احبهما اليه وعن ابي جعفر محمد بن يعقوب الصفار قال كنا
مع احمد بن حنبل بسر من رأى فقلنا ادع الله لنا فقال اللهم انك تعلم [illegible]
انا نعلم انك لنا على اكثر مما نحب فاجعلنا على ما تحب ثم سكت فقلنا زدنا فقال
اللهم انا نسألك بالقدرة التي قلت للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين اللهم وفقنا لمرضاتك اللهم انا نعوذ بك من الفقر الا اليك ونعوذ
بك من الذل الا لك اللهم لا تكثر لنا فنطغى ولا تقل علينا فننسى وهب لنا من رحمتك
وسعة من رزقك يكون بلاغا في دنيانا وغنى من فضلك قال البيهقي وفي حكاية
ابي الفضل التميمي عن احمد وكان من دعائه في السجود اللهم من كان من هذه الامة على غير

الحق وهو يظن انه على الحق فرده الى الحق ليكون من اهل الحق وكان يقول اللهم من قبلت من عصاة
امة محمد فداها فاجعلني فداهم وقال صالح بن الامام احمد كان ابي لا يدع احدا يستقي له الماء للوضوء
بل كان يلي ذلك بنفسه فاذا خرج الدلو ملانا قال الحمد لله فقلت يا ابت ما الفايدة في ذلك
فقال يا بني اما سمعت قول الله عز وجل قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
والاخبار عنه في هذا الباب كثيرة جدا وقد صنف في الزهد كتابا حافلا عظيما لم يسبق
الى مثله ولم يلحقه احد فيه والمظنون بل المقطوع به انه يأخذ بما امكنه من ذلك رحمه الله
واكرم مثواه وجعل جنة الفردوس منقلبه ومثواه وقال اسماعيل بن اسحاق السراج
قال لي احمد بن حنبل هل تستطيع ان تريني الحرث المحاسبي اذا جاء منزلك فقلت نعم
وفرحت بذلك ثم ذهبت الى الحرث فقلت له اني احب ان تحضر الليلة انت واصحابك فقال
انهم كثير فاحضر لهم النرسيان والكسب فلما كان بين العشاءين جاء وكان الامام احمد قد سبقهم
فجلس في غرفة فلما وصلوا العشاء لم يصلوا بعدها شيا حتى جاء وانجلسوا بين يدي
الحرث سكوتا كان على رؤوسهم الطير حتى كان قريب من نصف الليل ثم سال رجل عن مسيلة
فشرع الحرث يتكلم فيما يتعلق بالزهد والوعظ فجعل هذا يبكي وهذا يان وهذا يزعق
قال فصعدت الغرفة فاذا الامام احمد يبكي حتى كاد يغشى عليه ثم لم يزالوا كذلك حتى
الصباح فلما اراد الانصراف قلت كيف رايت هولاء يا ابا عبد الله فقال ما رايت
احدا يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل وما رايت مثل هولاء ومع هذا فلا ارى لك ان تجتمع
بهم قال البيهقي يحتمل انه كره له صحبتهم لان الحرث بن اسد وان كان زاهدا لكنه كان عنده
شي من علم الكلام وكان احمد يكره ذلك او لعله كره ان يصحبهم ولا يدرك شاوهم والله اعلم
قلت بل انما كره ذلك لان في كلام بعض هولاء من التقشف وشدة السلوك ما لم يرد به الشرع والتدقيق
والتنقير والمحاسبة البليغة ما ليس به امر ولهذا لما وقف ابو زرعة على كتاب الحرث بن اسد
المسمى بالرعاية قال هذا بدعة ثم قال للرجل الذي جاء به عليك بما كان عليه مالك
والثوري والاوزاعي والليث بن سعد ودع هذا فانه بدعة وقال ابراهيم
الحربي سمعت احمد يقول ان احببت ان يدوم الله لك على ما تحب فدم له على ما يحب وكان
وكان يقول الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها الا الاكابر وكان يقول الفقر اشرف من الغنى
فان الصبر عليه اعظم مرارة وانزعاجه اعظم حالا من الشكر وكان يقول على العبد ان
يقبل الرزق بعد الياس ولا يقبله اذا تقدمه طمع وكان يحب التقلل طلبا لخفة
الحساب وقال ابراهيم قال رجل لاحمد هذا العلم تعلمته لله فقال هذا شرط شديد ولكن
حبب الي شي فجمعته وروى البيهقي ان رجلا جاء الى احمد بن حنبل فقال له ان امي زمنة
مقعدة منذ عشرين سنة وقد بعثتني اليك لتدعو الله لها فكانه غضب من ذلك
وقال نحن احوج ان تدعو هي لنا ثم دعا الله عز وجل لها فرجع الرجل الى امه فدق الباب
فخرجت اليه على رجليها وقالت قد وهبني الله العافية وروي ان سايلا سال فاعطاه
الامام احمد قطعة فقام رجل الى السايل فقال هبني هذه القطعة حتى اعطيك عوضها
ما تساوي درهما فابى فرقاه الى خمسين درهما وهو يابى وقال اني ارجو من بركتها ما ترجو
انت من بركتها

قال البيهقي باب ذكر ما جاء في محنة ابي عبد الله احمد بن حنبل رضي الله عنه

في ايام المامون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القران وما اصابه من الحبس الطويل والضرب
الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب واليم العقاب وقلة مبالاته بما كان يتم من ذلك
اليه وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم وكان رحمه الله
عالما بما ورد في مثل حاله من الايات المتلوة والاثار الماثورة وتبعه بما اوصى به في المنام
واليقظة فسلم ورضي ايمانا واحتسابا وفاز بخير الدنيا ونعيم الاخرة وهياه الله لما اتاه
من ذلك بلوغ اعلا منازل اهل البلا في الله من اوليا الله والحق به محبيه فيما نال
من كرامة الله ان شا الله من غير بلية وبالله التوفيق قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من
قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال تعالى في وصية لقمان
لابنه يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك
من عزم الامور في آي سواها في معناها كتبناها وقد روى الامام احمد الممتحن في مسنده
قايلا فيه ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عاصم بن بهدلة سمعت مصعب بن سعد يحدث
عن سعد قال سالت رسول الله اي الناس اشد بلاء فقال الانبيا ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان رقيق الدين ابتلي على حسب ذلك وان
كان صلب الدين ابتلي على حسب ذلك فما يزال البلاء بالرجل حتى يمشي في الارض وما
عليه خطيئة وقد رواه مسلم في صحيحه وقال احمد ثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا
ايوب عن ابي قلابة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من
كن فيه فقد وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب
المرء لا يحبه الا لله وان يقذف في النار احب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه
الله منه واخرجاه في الصحيحين وقال ابو القاسم البغوي ثنا احمد بن حنبل ثنا
ابو المغيرة ثنا صفوان بن عمرو السكسكي ثنا عمرو بن قيس السكوني ثنا عاصم بن حميد
قال سمعت معاذ بن جبل يقول انكم لن تروا من الدنيا الا بلاء وفتنة ولن يزداد
الامر الا شدة وبعد قال معاذ لن تروا من الايمة الا غلظة ولن تروا امرا يهولكم ويشتد
عليكم الا حضر بعده ما هو اشد منه قال البغوي سمعت احمد يقول اللهم رضينا
يمد بها صوته وروى البيهقي عن الربيع قال بعثني الشافعي بكتاب من مصر الى احمد
بن احمد فاتيته وقد انفتل من صلاة الفجر فدفعت اليه الكتاب فقال اقراته قلت لا
فاخذه فقراه فتغرغرت عيناه فقلت يا ابا عبد الله وما فيه فقال يذكر انه راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له اكتب الى ابي عبد الله احمد بن حنبل واقرا
عليه مني السلام وقل انك ستمتحن وتدعى الى القول بخلق القران فلا تجبهم
يرفع الله لك علما الى يوم القيمة قال الربيع فقلت البشارة فخلع قميصه
الذي يلي جلده فاعطانيه فلما رجعت الى الشافعي اخبرته فقال اني لست افجعك
فيه ولكن بله بالماء واعطنيه حتى اتبرك به

ذكر ملخص الفتنة والمحنة مجموعا

من كلام ايمة السنة رحمهم الله واثابهم الجنة قد ذكرنا فيما تقدم ان المامون كان قد
اجتمع به واستحوذ عليه جماعة من المعتزلة فازاغوه عن طريق الحق الى الباطل وزينوا

لا القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل قال الحافظ البيهقي ولم يكن في
الخلفاء قبله لا من بني امية ولا من بني العباس خليفة الا على منهج السلف حتى ولي هو الخلافة
فاجتمع به هولاء فحملوه على ذلك قالوا واتفق خروجه الى طرسوس لغزو الروم فكتب الى
نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يامره ان يدعوا الناس الى القول
بخلق القرآن واتفق ذلك في اخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثماني عشرة ومايتين
فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى جماعة من ائمة الحديث فدعاهم الى ذلك فامتنعوا
فتهددهم بالضرب وقطع الارزاق فاجاب اكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع من ذلك
احمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابوري فحملا على بعير وسيرا الى الخليفة عن امره
بذلك وهما مقيدان متعادلان على بعير واحد فلما كانوا ببلاد الرحبة جاء رجل من الاعراب
من عبادهم يقال له جابر بن عامر فسلم على الامام احمد وقال له يا هذا انك وافد الناس
فلا تكن مشوما عليهم وانك راس الناس اليوم فاياك ان تجيب فيجيبوا وان كنت
تحب الله فاصبر على ما انت فيه فما بينك وبين الجنة الا ان تقتل وانك ان لم تقتل
تمت وان عشت عشت حميدا قال الامام احمد فكان ذلك مما قوى عزمي على الامتناع
من ذلك فلما اقتربوا من جيش المامون ونزلوا دونه بمرحلة جاء خادم وهو يمسح
دموعه بطرف ثيابه وهو يقول يعز علي يا ابا عبد الله ان المامون قد سل سيفا لم
يسله قبل ذلك وبسط نطعا لم يبسطه قبل ذلك وانه يقسم بقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم لين لم تجبه الى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك
السيف قال فجثا الامام احمد على ركبتيه ورمق بطرفه الى السما ثم قال سيدي
غر هذا الفاجر حلمك حتى يتجرا على اوليايك بالضرب والقتل اللهم فان يكن القرآن
كلامك غير مخلوق فاكفنا موونته قال فجاءهم الصريخ بموت المامون في الثلث الاخير
من الليل قال الامام احمد ففرحنا بذلك ثم جاء الخبر بان المعتصم قد ولي الخلافة وقد
انضم اليه احمد بن ابي دواد وان الامر شديد فردونا الى بغداد في سفينة مع بعض الاسارى
ونالني منهم اذى كثير وكان في رجليه القيود ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى
عليه احمد فلما رجع احمد الى بغداد دخلها وهو مريض وذلك في رمضان فاودع السجن
نحوا من ثمانية وعشرين شهرا وقيل نيفا وثلاثين شهرا ثم اخرج الى الضرب بين
يدي المعتصم كما سياتي ان شا الله وبه الثقة وقد كان الامام احمد هو الذي يصلي
باهل السجن وعليه قيوده في رجليه

ذكر ضربه رضي الله عنه بين يدي المعتصم

لما احضره المعتصم من السجن زاد في قيوده قال احمد فلم استطع ان امشي بها فربطتها
في التكة وحملتها بيدي ثم جاوني بدابة فحملت عليها فكدت ان اسقط على وجهي من
ثقل الحديد وليس معي احد يمسكني فسلم الله حتى جينا دار الخليفة فادخلت في بيت
واغلق علي وليس عندي سراج فاردت الوضوء فمددت يدي فاذا انا باناء فيه ماء
فتوضات منه ثم قمت اصلي ولا اعرف القبلة فلما اصبحت اذا انا على القبلة ولله
الحمد قال ثم دعيت فادخلت على المعتصم فلما نظر الي وعنده ابن ابي دواد قال
اليس قد زعمتم انه حدث السن وهذا شيخ مكهل فلما دنوت منه وسلمت قال لي

ادن

ادنه فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال اجلس فجلست وقد اثقلني الحديد فمكثت
ساعة ثم قلت يا امير المومنين الى ما دعا اليه ابن عمك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الى شهادة ان لا اله الا الله قلت فاني اشهد ان لا اله الا الله قال ثم ذكرت
له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس ثم قلت فهذا الذي دعا اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ثم تكلم ابن ابي دواد بكلام لم افهمه وذلك اني لم
اتفقه كلامه ثم قال المعتصم لولا انك كنت في يد من كان قبلي لم اعرض لك ثم
قال يا عبد الرحمن الم امرك ان ترفع المحنة قال فقلت الله اكبر هذا فرج للمسلمين
ثم قال ناظروه يا عبد الرحمن كلمه فقال لي يا عبد الرحمن ما تقول في القرآن فلم
اجبه فقال المعتصم ما تقول في العلم فسكت فقلت القرآن من علم الله ومن زعم
ان علم الله مخلوق فقد كفر بالله فسكت فقالوا فيما بينهم يا امير المومنين اكفرك
واكفرنا فلم يلتفت الى ذلك فقال عبد الله كان الله ولا قرآن فقلت كان الله ولا
علم فسكت ثم جعلوا يتكلمون من ها هنا وها هنا فقلت يا امير المومنين اعطوني
شيا من كتاب الله او سنة رسول الله حتى اقول به فقال ابن ابي دواد وانت لا تقول
الا بهذا او هذا فقلت وهل يقوم الاسلام الا بهما وجرت بينهم مناظرات طويلة
واحتجوا عليه بقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وعنده في ذلك اجوبة تحدث
انزاله او ذكر غير القرآن محدث كما تقدم ورشح هذا بقوله ص والقرآن ذي الذكر يعني
به القرآن بخلاف المنكرة فانه غير القرآن وبقول الله خالق كل شي فاجاب بما حاصله
انه عام مخصوص كقوله تدمر كل شي بامر ربها فقال ابن ابي دواد هو والله يا امير المومنين
ضال مضل مبتدع وهولاء قضاتك والفقها فسلهم فقال لهم ما تقولون فيه فاجابوا
بمثل ما قال ابن ابي دواد ثم احضروه في اليوم الثاني فناظروه ايضا ثم قال في اليوم
الثالث فناظروه ايضا وفي ذلك كله يعلو صوته وحجته عليهم قال فاذا سكتوا فتح
الكلام عليهم ابن ابي دواد وكان من اجهل الناس بالعلم والكلام وقد تنوعت بهم المسالك
في المجادلة ولا علم لهم بالنقل فجعلوا ينكرون الاثار ويردون الاحتجاج بها قال احمد
وسمعت منهم مقالات لم اكن اظن احدا يقولها وقد تكلم معي برغوث بكلام طويل ذكر
فيه الجسم وغيره بما لا فايدة فيه فقلت لا ادري ما تقول الا اني اعلم ان الله احد صمد ليس
كمثله شي فسكت عني وقد اوردت لهم حديث الروية في الدار الاخرة فحاولوا ان يضعفوا
اسناده ويلفقوا عن بعض المحدثين كلاما يتسلقون به الى الطعن فيه وهيهات
واني لهم التناوش من مكان بعيد وفي غبون ذلك كله يتلطف به الخليفة ويقول
له يا احمد اجبني الى هذا حتى اجعلك من خاصتي وممن يطا بساطي فاقول يا امير المومنين
فاتوني باية من كتاب الله او سنة رسول الله حتى اجيبهم اليها واحتج احمد عليهم حين
انكروا الاحتجاج بالاثار بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر ولا يغني عنك شيا وبقوله وكلم الله موسى تكليما وبقوله انني انا الله لا اله الا
انا فاعبدني وبقوله الا له الخلق والامر وبقوله انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون الى غير ذلك من الايات فلما لم تقم لهم معه حجة عدلوا الى استعمال جاه
الخليفة في ذلك فقالوا يا امير المومنين هذا كافر ضال مضل وقال له اسحاق بن

ابراهيم نايب بغداد يا امير المومنين ليس من تدبير الخلافة ان يخلي سبيله ويغلب
خليفتين فعند ذلك حمي واشتد غضبه وكان الين عريكة وهو يظن انهم على شي قال
احمد فعند ذلك قال لي لعنك الله طمعت فيك ان تجيبني ثم قال خذوه خلعوه
اسحبوه قال فاخذت وسحبت ودعي بالعقابين والسياط وانا انظر وكان معي شعر
من شعر النبي صلى الله عليه وسلم مصرور في ثوبي فجردوني منه وصرت بين العقابين
فقلت يا امير المومنين الله الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ
مسلم يشهد ان لا اله الا الله الا باحدى ثلاث ويكون الحديث وان رسول الله قال
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماوهم
واموالهم فبم تستحل دمي ولم آت شيا من هذا يا امير المومنين اذكر وقوفك بين
يدي الله كوقوفي بين يديك فكانه امسك ثم لم يزل يقولون له يا امير المومنين
انه ضال مضل كافر فامر بي فاقمت بين العقابين وجي بكرسي فاقمت عليه
وامرني بعضهم ان آخذ بيدي الخشبتين فلم افهم فتخلعت يداي وجي بالضرابين ومعهم
السياط فجعل احدهم يضربني سوطين ويقول له شد قطع الله يدك ويجي الآخر
فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك فضربوني اسواطا فاغمي علي وذهب عقلي مرارا
فاذا سكن الضرب يعود الي عقلي وقام المعتصم الي يدعوني الى قولهم فلم اجبه وجعلوا
يقولون ويحك الخليفة على راسك فلم اقبل فاعادوا الضرب ثم عاد الي فلم اجبه
فاعادوا الضرب ثم جاء الي الثالثة فدعاني فلم اعقل ما قال من شدة الضرب
ثم اعادوا الضرب فذهب عقلي فلم احس بالضرب وارعبه ذلك من امري وامر فاطلقني
ولم اشعر الا وانا في بيت من حجره وقد اطلقت الاقياد من رجلي وكان ذلك في اليوم
الخامس والعشرين من رمضان من سنة احدى وعشرين ومايتين ثم امر الخليفة
باطلاقه الى اهله وكان جملة ما ضرب نيفا وثلاثين سوطا وقيل ثمانين سوطا
لكن كان ضربا مبرحا شديدا وقد كان الامام احمد رجلا طوالا رقيقا اسمر اللون كثير التواضع
رحمه الله ورضي عنه واكرم مثواه ولما حمل من دار الخلافة الى دار اسحاق بن ابراهيم وهو
صايم اتوه بسويق وماء ليفطر به لضعفه امتنع من ذلك واتم صومه وحين حضرت
صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن سماعة القاضي صليت في دمك فقال له احمد
قد صلى عمر وجرحه يثعب دما فسكت ويروى انه لما اقيم للضرب انقطعت تكة سراويله
فخشي ان يسقط فتنكشف عورته فحرك شفتيه بدعاء فعاد سراويله كما كان ويروى
انه قال يا غياث المستغيثين يا اله العالمين ان كنت تعلم اني قايم لك بحق فلا
تهتك لي عورة ولما بلغ الى منزله جاه الجرايحي فقطع لحما ميتا من جسده وجعل يداويه
والنايب يبعث في كل وقت يسال عنه وذلك ان المعتصم ندم على ما كان منه الى احمد ندما
كثيرا وجعل يسال النايب عنه والنايب يستعلم خبره فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون
بذلك ولما شفاه الله بالعافية بقي مدة وابهاماه يوذيهما البرد وجعل كل من سعى
في امره في حل الا اهل البدعة وكان يتلو في ذلك قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ويقول ماذا ينفعك ان تعذب اخاك المسلم
في سبيلك وقد قال الله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وينادي يوم القيمة

ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله ثلاث اقسم عليهن ما نقصت مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو
الا عزا ومن تواضع لله رفعه الله وكان الذين ثبتوا على المحنة فلم يجيبوا بالكلية
اربعة احمد بن حنبل وهو رئيسهم ومقدمهم ومحمد بن نوح بن ميمون الجنديسابوري ومات
في الطريق حين ذهب هو واحمد الى المامون ونعيم بن حماد الخزاعي وقد مات في السجن
وكذلك ابو يعقوب البويطي مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن ولم يجبهم
الى ذلك وكان مثقلا بالحديد واوصى ان يدفن فيها واحمد بن نصر الخزاعي وقد ذكرنا كيف
قتل في ايام المتوكل

ذكر ثناء الايمة على الامام احمد بن حنبل المعظم المبجل

قال البخاري لما ضرب احمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت ابا الوليد الطيالسي يقول
لو كان هذا في بني اسرائيل لكان احدوثة وقال اسماعيل بن الخليل لو كان احمد بن حنبل في
بني اسرائيل لكان نبيا وقال المزني احمد بن حنبل ابو بكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة
وعثمان يوم الدار وعلي يوم صفين وقال حرملة سمعت الشافعي يقول خرجت من العراق
فما خلفت بها رجلا افضل ولا اعلم ولا اورع ولا اتقى من احمد بن حنبل وقال شعبة
يحيى بن سعيد القطان ما قدم علي من بغداد احب الي من احمد بن حنبل وقال قتيبة
مات الثوري ومات الورع ومات الشافعي ومات السنن ويموت احمد بن حنبل وتظهر
البدع وفي رواية قال قتيبة ان احمد بن حنبل قام في الامة مقام النبوة قال
البيهقي يعني في صبره على ما اصابه من الاذى في ذات الله عز وجل وقال ابو عمرو بن
النحاس وذكر احمد يوما فقال رحمه الله عن الدنيا ما كان اصبره وبالصالحين ما كان
الحقه وبالماضين ما كان اشبهه عرضت له الدنيا فاباها والبدع فنفاها وقال
بشر بن الحرث الحافي بعد ما ضرب احمد بن حنبل ادخل الكير فخرج ذهبا احمر
وقال الميموني قال لي علي بن المديني بعدما امتحن احمد وقبل ان يمتحن يا ميموني
ما قام احد في الاسلام ما قام احمد بن حنبل فتعجبت من هذا عجبا شديدا وذهبت الى
ابي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال صدق ان ابا بكر
الصديق وجد يوم الردة انصارا واعوانا وان احمد بن حنبل لم يجد اعوانا ولا انصارا
ثم اخذ ابو عبيد يطري احمد وهو يقول لست اعلم في الاسلام مثله وقال
اسحاق بن راهويه احمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبيده في ارضه وقال
علي بن المديني اذا ابتليت بشي فافتاني احمد بن حنبل لم ابال اذا لقيت ربي كيف
كان وقال علي ايضا احمد بن حنبل حجة فيما بيني وبين الله ثم قال
ومن يقوى على ما يقوى عليه ابو عبد الله وقال يحيى بن معين كان في احمد بن
حنبل خصال ما رايتها في عالم قط كان محدثا وكان حافظا وكان عالما وكان ورعا
وكان زاهدا وكان عاقلا وقال يحيى بن معين ايضا اراد الناس منا ان نكون
مثل احمد بن حنبل والله ما نقوى ان نكون مثل احمد ولا في طريق احمد وقال محمد بن
يحيى الذهلي اتخذت احمد بن حنبل حجة فيما بيني وبين الله عز وجل وقال هلال
بن العلاء الرقي من الله على هذه الامة باربعة بالشافعي فهم الاحاديث وفسرها وبين

وبين المجمل من المفسر والخاص من العام والناسخ من المنسوخ وبابي عبيد عرف الغريب
ونشره وبيحيى بن معين نفي الكذب من الاحاديث وباحمد بن حنبل ثبت في المحنة
لولا هولاء الاربعة لهلك الناس وقال ابو بكر محمد بن محمد بن رجا ما راينا احمد
بن حنبل ولا راينا من راى مثله وقال ابو زرعة الرازي ما اعرف في اصحابنا اسود
الراس افقه منه وروى البيهقي عن الحاكم عن يحيى بن محمد العنبري قال
انشدنا ابو عبد الله البوشنجي في احمد بن حنبل ان ابن حنبل ان سالت امامنا وبه
الايمة في الانام تمسكوا

خلف النبي محمدا بعد الاولى ۔ كانوا الخلايف بعده واستهلكوا

حذو الشراك على الشراك وانما ۔ يحذو المثال مثاله المتمسك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزال طايفة
من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم
كذلك قال عبد الله بن المبارك واحمد بن حنبل وغيرهما هم اهل الحديث وروى
البيهقي عن ابي سعد الماليني عن ابن عدي عن ابي القسم البغوي عن ابي الربيع الزهراني
عن حماد بن زيد عن بقية بن الوليد عن معان بن رفاعة عن ابراهيم بن عبد الرحمن
العذري ح قال البغوي وحدثني زياد بن ايوب ثنا مبشر عن معان عن ابراهيم
بن عبد الرحمن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف
عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين
وهذا الحديث مرسل واسناده فيه ضعف والعجب ان ابن عبد البر صححه واحتج
به على عدالة كل من ينسب الى حمل العلم والامام احمد من ايمة اهل العلم رح واكرم
مثواه

ذكر ما كان من امر الامام احمد بعد المحنة

حين اخرج من دار الخلافة بعد الضرب صار الى منزله فدووي حتى برا ولله الحمد ولزم
منزله فلا يخرج منه الا الى جماعة او جمعة وامتنع من التحديث وكانت غلته
من ملك له في كل شهر سبعة عشر درهما ينفقها على عياله ويتقنع بذلك صابرا
محتسبا ولم يزل كذلك مدة خلافة المعتصم وكذلك في ايام ابنه محمد الواثق فلما
ولي المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله استبشر الناس بولايته فانه كان
محبا للسنة واهلها ورفع المحنة عن الناس وكتب الى الافاق انه لا يتكلم احد في
القول بخلق القران ثم كتب الى نايبه ببغداد وهو اسحاق بن ابراهيم ان يبعث
باحمد بن حنبل اليه فاستدعى الامام احمد اليه فاكرمه اسحاق وعظمه لما يعلم من اعظام
الخليفة له واجلاله وساله فيما بينه وبينه عن القران فقال له الامام سوال
تعنت او استرشاد فقال بل سوال استرشاد فقال هو كلام الله منزل غير مخلوق
وسكن الى قوله في ذلك ثم جهزه الى الخليفة بسر من راى وسبقه اليه وبلغه ان احمد
اجتاز بابنه محمد بن اسحاق فلم ياته ولم يسلم عليه فغضب اسحاق بن ابراهيم من ذلك
وشكاه الى الخليفة فقال المتوكل يرد وان كان قد وطي بساطي فرجع الامام احمد من
الطريق الى بغداد وقد كان الامام احمد منكرا لذلك ولكن لم يهن ذلك على كثير من الناس

وانما كان رجوعه عن قول اسحاق بن ابراهيم الذي كان هو السبب في ضربه ثم ان رجلا
من المبتدعة يقال له ابن الثلجي وشى الى الخليفة شيا ادا وهو انه زعم ان رجلا
من العلويين قد اوى الى منزل احمد بن حنبل وهو يبايع له الناس في الباطن فامر
الخليفة نايبه ببغداد ان يكبس منزل الامام احمد في الليل فلم يشعروا الا بالمشاعل
قد احاطت بالدار من كل مكان حتى من فوق الاسطحة فوجدوا الامام احمد جالسا في داره
مع عياله فسالوه عما ذكر عنه فقال ليس عندي من هذا علم وليس من هذا شي واني
لارى طاعة امير المومنين في السر والعلانية وفي عسري ويسري ومنشطي ومكرهي واثرة
علي واني لادعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار في كلام كثير قال
ففتشوا منزله حتى مكان الكتب وبيوت النساء والاسطحة فلم يروا شيا فلما بلغ ذلك المتوكل
وعلم براءته مما نسب اليه علم انهم يكذبون عليه كثيرا فبعث اليه يعقوب بن
ابراهيم المعروف بقوصرة وهو احد الحجبة بعشرة الاف درهم من الخليفة وقال
هو يقرا عليك السلام ويقول لك استنفق هذه فامتنع من قبولها فقال
يا ابا عبد الله اني اخشى من ردك اياها ان تقع وحشة بينك وبينه والمصلحة
لك قبولها فوضعها عنده ثم ذهب فلما كان من اخر الليل استدعى الامام احمد
اهله وبني عمه وعياله وقال لم انم هذه الليلة فجلسوا معه وكتبوا اسما جماعة
من المحتاجين من اهل الحديث وغيرهم من اهل بغداد والبصرة ثم اصبح ففرقها
في الناس ما بين الخمسين الى المايه والمايتين فلم يبق منها درهما واعطى منها لابي
كريب ولابي سعيد الاشج وتصدق بالكيس الذي كانت فيه ولم يعط منها لاهله شيا
وهم في غاية الفقر والحاجة وجا بني ابنه فقال اعطني درهما فنظر احمد الى ابنه صالح
فتناول صالح قطعة فاعطاها الصبي فسكت احمد رح وبلغ الخليفة انه قد تصدق
بالجايزة كلها حتى لم يبق منها شيا وانه تصدق بكيسها فقال علي بن الجهم يا امير
المومنين انه قد قبلها منك وتصدق بها عنك وما يصنع احمد بالمال انما يكفيه
رغيف فقال صدقت ثم لما مات اسحاق بن ابراهيم وابنه محمد ولم يكن بينهما
الا القريب وتولى نيابة بغداد عبد الله بن اسحاق كتب المتوكل اليه ان يحمل اليه
الامام احمد فقال لاحمد في ذلك فقال اني شيخ كبير وضعيف فرد الجواب على
الخليفة بذلك فارسل يعزم عليه لياتين وكتب الى احمد يقول له اني احب ان
آنس بقربك وبحصل لي بركة دعايك فسار الامام احمد وهو عليل في بنيه وبعض
اهله فلما قارب العسكر تلقاه وصيف الخادم في موكب عظيم فسلم على الامام
احمد فرد السلام ثم قال له وصيف قد امكنك الله من عدوك ابن ابي داود
فلم يرد عليه جوابا وجعل ابنه يدعو الله للخليفة ولوصيف فلما وصل الى العسكر
بسر من راى انزل في دار ايتاخ فلما علم بذلك ارتحل منها واراد ان يستكرى له دارا غيرها
وكان روس الامرا في كل يوم يحضرون عنده ويبلغونه عن الخليفة السلام ولا يدخلون
اليه حتى يخلعوا ما عليهم من الزينة والسلاح وبعث اليه الخليفة بالمفارش والطرح
وغيرها من الالات التي تليق بتلك الدار العظيمة واراد منه الخليفة ان يقيم
هناك ليحدث الناس عوضا عما فاتهم منه في ايام المحنة وما بعدها من السنين المتطاولة

النساء و

وهو محبوس في داره لا يخرج الى جماعة ولا الى جمعة ايضا فاعتذر اليهم بانه عليل وان اسنانه
تتحرك وهو ضعيف وبعث اليه الخليفة في كل يوم مائدة فيها الوان الاطعمة
والفاكهة والثلج ما يقاوم مائة وعشرين درهما في كل يوم والخليفة يحسب ان احمد
ياكل من ذلك ولم يكن احمد يطعم من ذلك شيئا بالكلية بل كان صائما يطوي فمكث
ثلاثة ايام لم يستطعم بطعام ومع ذلك هو عليل ثم اقسم عليه ولده حتى شرب
قليلا من السويق بعد ثمانية ايام وجاءه عبيد الله بن يحيى بن خاقان بمال جزيل
من الخليفة جائزة له فامتنع من قبولها فالح عليه الامير فلم يقبل فاخذها الامير
ففرقها على بنيه واهله وقال انه لا يمكن ان يرد على الخليفة جائزته وكتب المتوكل
لاهله ولاولاده في كل شهر اربعة الاف درهم فمانع ابو عبد الله في ذلك فقال
الخليفة لا بد من ذلك وما هذا الا لولدك فامسك ابو عبد الله ثم اخذ يلوم اهله
وعمه وبني عمه وقال انما بقي لنا ايام قلائل وكاننا وقد نزل بنا فاما الى جنة
واما الى نار في كلام طويل يعظهم به فاحتجوا عليه بالحديث الصحيح من
جاءه من هذا المال شيء وهو غير سائل ولا مستشرف فليقبله وبان ابن عمر
وابن عباس قبلا جوائز السلطان فقال لهم هذا وذاك سوا ولو اعلم ان هذا
المال اخذ من حقه وليس فيه ظلم ولا جور لم ابال ولما استمر ضعف ابي عبد
الله جعل المتوكل يبعث اليه بابن ماسويه المتطبب لينظر في مرضه فرجع
اليه فقال يا امير المؤمنين ان احمد بن حنبل ليس به علة في بدنه انما علته
من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة فسكت المتوكل ثم سالت ام الخليفة
منه ان يرى الامام احمد فبعث المتوكل اليه يسال له ان يجتمع بابنه المعتز ويدعو
له وليكن في حجره فتمنع من ذلك ثم اجابه اليه رجاء ان يعجل برجوعه الى اهله
ببغداد وبعث الخليفة اليه خلعة سنية ومركوبا من مراكبه فامتنع من ركوبه
لكون عليه ميثرة نمور فجيء ببغل لبعض التجار فركبه وجاء الى مجلس المعتز وقد
جلس الخليفة وامه في ناحية من ذلك المجلس من وراء ستر رقيق فلما جاء قال
السلام عليكم وجلس ولم يسلم عليه بالامرة فقالت ام الخليفة الله الله يا بني
في هذا الرجل ترده الى اهله فان هذا ليس ممن يريد ما انتم فيه وحين راى المتوكل احمد
قال لامه يا امه قد نارت الدار وجاء الخادم ومعه خلعة سنية مبطنة
وثوب وقلنسوة وطيلسان فالبسها الامام احمد بيده واحمد لا يتحرك بالكلية
قال احمد لما جلست الى المعتز قال مؤدبه اصلح الله الامير هذا الذي امر الخليفة
بان يكون مؤدبك فقال ان علمني شيئا تعلمته قال فعجبت من ذكائه في صغره
ثم خرج احمد وهو يستغفر الله ثم بعد ايام اذن له في الانصراف وهيئ له حراقة
فلم يقبل احمد ان ينحدر فيها بل ركب في زورق ودخل بغداد مختفيا وامر ان تباع
تلك الخلعة وان يتصدق بثمنها على الفقراء والمساكين وجعل يتالم من اجتماعه
بهم ويقول سلمت منهم طول عمري ثم ابتليت بهم في اخره وكاد يهلك من الجوع وقد
قال بعض الامراء يوما للمتوكل اعلا الله الخليفة يا امير المؤمنين ان احمد بن حنبل
لا ياكل لك طعاما ولا يشرب لك شرابا ولا يجلس على فرشك ويحرم ما تشربه فقال

لهم والله لو نشر المعتصم وكلمني في ذلك ما قبلت منه وجعلت رسل المتوكل تفد اليه في كل يوم
يستعلمون عن اخباره وكيف حاله وجعل يستفتونه في اموال ابن ابي دواد فلا يجيب بشيء ثم
احدر ابن ابي دواد من سامرا الى بغداد بعدما اشهد على نفسه ببيع ضياعه واخذت امواله
كلها قال عبد الله وحين رجع ابي من سامرا الى بغداد ذهبت عيناه في حدقتيه وما رجعت
اليه نفسه الا بعد ستة اشهر وامتنع من ان يستعير من بيوت قرابته وينتفع بشيء
مما هم فيه لاجل قبولهم اموال السلطان وكان مسيره الى المتوكل في سنة سبع وثلاثين
ومائتين ثم مكث الى سنة وفاته قل يوم الا ورسالة المتوكل تفد اليه في امور يشاوره
فيها ويستشيره ولما قدم المتوكل بغداد بعث اليه ابن خاقان ومعه الف دينار ليفرقها
على من يرى فامتنع من قبولها وقال ان امير المؤمنين قد اعفاني مما اكره فردها وكتب
رجل رقعة الى المتوكل يقول فيها يا امير المؤمنين ان احمد بن حنبل يشتم اباك ويرميهم
بالزندقة فكتب فيها المتوكل اما المامون فانه خلط فسلط الناس على نفسه واما
ابي المعتصم فانه رجل حرب ولم يكن فيه بصر بالكلام واما اخي الواثق فانه استحق ما قيل
فيه ثم امر ان يضرب هذا الرجل الرافع مائتي سوط فاخذه عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم
فضربه خمسمائة سوط فقال له الخليفة لم ضربته خمسمائة فقال مائتين
لطاعتك ومائتين لطاعة الله ورسوله ومائة لكونه قذف هذا الشيخ الرجل الصالح
احمد بن حنبل وقد كتب الخليفة الى الامام احمد يسأله عن القول بخلق القرآن سؤال
استرشاد لا تعنت ولا امتحان ولا عناد فكتب اليه احمد رسالة حسنة فيها اثار عن
الصحابة وغيرهم واحاديث مرفوعة وقد اوردها ابنه صالح في المحنة التي ساقها وهي
مروية عنه ونقلها غير واحد من الحفاظ

ذكر وفاة الامام احمد رحمه الله

قال ابنه صالح كان مرضه في اول شهر ربيع الاول من سنة احدى واربعين ومائتين ودخلت
عليه يوم الاربعاء ثاني ربيع الاول وهو محموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف فقلت يا ابت
ما كان غداؤك فقال لي ماء الباقلا ثم ذكر كثرة مجيء الناس من الاكابر وعموم الناس لعيادته
وكثرة جزع الناس عليه وكان معه خريقة فيها قطيعات ينفق على نفسه منها وقد امر
ولده عبد الله ان يطالب سكان ملكه وان يكفر عنه كفارة يمين فاخذ شيئا من الاجرة
فاشترى تمرا وكفر عن يمينه وفضل من ذلك ثلاثة دراهم وكتب الامام احمد وصيته ۞
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصى احمد بن محمد بن حنبل اوصى انه يشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون واوصى من اطاعه من اهله وقرابته ان يعبدوا الله في العابدين
وان يحمدوه في الحامدين وان ينصحوا لجماعة المسلمين واوصي اني قد رضيت بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا واوصي ان لعبد الله بن محمد المعروف بفوران علي نحوا من خمسين
دينارا وهو مصدق فيما قال فيقضى ماله علي من غلة الدار ان شاء الله فاذا استوفى اعطي
ولد صالح كل ذكر وانثى عشرة دراهم عشرة دراهم ثم استدعى بالصبيان من ذريته فجعل
يدعو لهم وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يوما فسماه سعيدا وكان له ولد اخر اسمه
محمد قد مشى حين مرض الامام احمد فدعاه فالتزمه وقبله ثم قال ما كنت اصنع بالولد

على كبر السن فقيل له ان يكون بعدك يدعون لك قال لا ولكن اجمل بحمد الله عز وجل وقد بلغه في مرضه عن طاوس انه كره الانين في المرض فترك الانين فلم يان حتى كانت الليلة التي توفي من صبيحتها وكانت ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الاول من هذه السنة فان حين غلبه الوجع وقد روي عن ابنه عبد الله ويروى عن صالح وقد يكون عن كل منهما عنه انه قال لما احتضر ابي رحمه الله جعل يكثر ان يقول لا بعد لا بعد فقلت يا ابت ما هذه اللفظة التي قد لهجت بها في هذه الساعة فقال يا بني ان ابليس واقف في زاوية البيت وهو عاض على اصبعه وهو يقول فتني يا احمد فتني يا احمد فاقول لا بعد لا بعد يعني انه لا يفوته حتى تخرج روحه من جسده على التوحيد كما جاء في بعض الاحاديث قال ابليس يا رب وعزتك لا ازال اغويهم ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال وعزتي وجلالي ولا ازال اغفر لهم ما استغفروني وفي اواخر ما كان من امره انه اشار الى اهله ان يوضئوه فجعلوا يوضئونه وهو يشير اليهم ان خللوا اصابعي وهو يذكر الله في جميع ذلك فلما اكملوا الوضوء توفي رح ورضي عنه وقد كانت وفاة الامام احمد رح صبيحة يوم الجمعة حين مضى نحو من ساعتين من النهار فاجتمع الناس في الشوارع وبعث محمد بن عبد الله بن طاهر حاجبه ومعه غلمان يحملون مناديل فيها اكفان وارسل يقول هذا نيابة عن الخليفة فانه لو كان حاضرا لبعث بهذا فارسل اولاده يقولون ان امير المؤمنين كان قد اعفاه في حياته مما يكره وهذا مما يكره وابوا ان يكفنوه في تلك الاثواب واتوا بثوب كان قد غزلته جارية له فكفنوه فيه واشتروا معه عوز لفافة وحنوطا واشتروا له راوية ماء وامتنعوا ان يغسلوه بماء من بيوتهم لانه كان قد هجر بيوتهم فلا ياكل منها ولا يستعير من امتعتهم وكان لا يزال متغضبا عليهم لكونهم كانوا يقبلون ما رتب لهم على بيت المال في كل شهر اربعة الاف درهم وكانوا عائلة وفقراء وحضر غسله نحو من مائة من بيت الخلافة من بني هاشم فجعلوا يقبلون بين عينيه ويدعون له ويترحمون عليه وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لا يعلم عددهم الا الله ونائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في الناس فتقدم خطوات فعزى اولاد الامام احمد فيه وكان هو الذي ام الناس في الصلاة عليه وقد اعاد جماعة من الناس الصلاة على القبر بعد الدفن من اجل ذلك ولم يستقر في قبره رحمه الله الا بعد صلاة العصر وذلك لكثرة الخلق وقد روى البيهقي وغير واحد ان الامير محمد بن عبد الله بن طاهر امر ان يحزر الناس فوجدوا الف الف وثلاثمائة الف وفي رواية وسبعمائة انسان سوى من كان في السفن واقل ما قيل سبعمائة الف وقال ابو حاتم سمعت ابا زرعة يقول بلغني ان المتوكل امر ان يمسح الموضع الذي وقف الناس عليه حيث صلي على احمد بن حنبل فبلغ مقام الفي الف وخمسمائة الف وقال الحافظ ابو بكر البيهقي عن الحاكم سمعت ابا بكر احمد بن كامل القاضي يقول سمعت محمد بن يحيى الزنجاني سمعت عبد الوهاب الوراق يقول ما بلغنا ان جمعا في الجاهلية والاسلام كان اكثر من الجمع على جنازة احمد ابي عبد الله وقال ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم حدثني محمد بن العباس المكي سمعت الوركاني جار احمد بن حنبل قال اسلم يوم مات احمد عشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس ووقع المأتم عند المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وفي بعض النسخ اسلم عشرة الاف بدل عشرين الفا فالله اعلم وقال الدارقطني سمعت ابا سهل بن زياد سمعت عبد الله بن احمد

يقول قال ابي قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز وقد صدق الله قوله في هذا فانه رح كان امام السنة في زمانه وعيون مخالفيه احمد بن ابي داود القاضي لم يحتفل احد بموته ولا شيعه من الناس الا القليل وكذلك الحرث بن اسد المحاسبي مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته لم يصل عليه الا ثلاثة او اربعة من الناس فلله الامر من قبل ومن بعد وقد روى البيهقي عن حجاج بن محمد الشاعر قال ما كنت احب ان اقتل في سبيل الله ولم اصل على الامام احمد وروي عن رجل من اهل العلم انه قال يوم دفن احمد اليوم مات سادس خمسة وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رحمهم الله وكان عمره رح يوم دفن سبعا وسبعين سنة واياما اقل من شهر

ذكر ما روي من المنامات الصالحة
التي رئيت للامام احمد ورؤيت له

وقد صح في الحديث انه لم يبق من النبوة الا المبشرات يراها المؤمن او ترى له روى البيهقي عن الحاكم سمعت علي بن حمشاذ سمعت جعفر بن محمد بن الحسين سمعت سلمة بن شبيب يقول كنا عند احمد بن حنبل وجاءه شيخ ومعه عكازه فسلم وجلس وقال من منكم احمد بن حنبل فقال احمد انا ما حاجتك قال ضربت اليك من اربعمائة فرسخ اريت الخضر في المنام فقال لي سر الى احمد بن حنبل وسل عنه وقل له ان ساكن العرش والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله عز وجل وعن ابي عبد الله محمد بن خزيمة الاسكندراني قال لما مات احمد اغتممت غما شديدا فرايته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت له يا ابا عبد الله اي مشية هذه فقال هذه مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وتوجني والبسني نعلين من ذهب وقال لي يا احمد هذا بقولك القرآن كلامي ثم قال يا احمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثوري كنت تدعو بهن في دار الدنيا قال فقلت يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء حتى لا تسالني عن شيء فقال لي يا احمد هذه الجنة قم فادخل اليها فدخلت فاذا انا بسفيان الثوري وله جناحان اخضران يطير بهما من نخلة الى نخلة وهو يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال فقلت له ما فعل بشر الحافي فقال بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم ياكل واشرب يا من لم يشرب وتنعم يا من لم يتنعم او كما قال وقال ابو محمد بن ابي حاتم عن محمد بن مسلم بن وارة قال لما مات ابو زرعة رايته في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال قال لي الجبار الحقوه بابي عبد الله وابي عبد الله مالك والشافعي واحمد بن حنبل وقال عثمان بن خرزاد الانطاكي رايت في المنام كان القيامة قد قامت وقد برز الرب لفصل القضاء وكان مناديا ينادي من تحت بطنان العرش ان ادخلوا ابا عبد الله وابا عبد الله وابا عبد الله وابا عبد الله الجنة قال فقلت للملك الى جانبي من هؤلاء فقال مالك والثوري والشافعي واحمد بن حنبل وقال ابو بكر بن ابي خيثمة عن يحيى بن ايوب المقدسي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو نائم وعليه ثوب مغطى واحمد بن حنبل ويحيى بن معين يذبان عنه

وتقدم في ترجمة احمد بن ابي داود عن يحيى الجلا انه راى كان احمد بن حنبل في حلقة بالمسجد الجامع واحمد بن ابي داود في حلقة اخرى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بين الحلقتين وهو يتلو هذه الاية اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء ويشير الى حلقة ابن ابي داود واصحابه فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ويشير الى احمد بن حنبل واصحابه

ثم دخلت سنة اثنتين واربعين ومائتين

فيها كانت زلازل هائلة في البلاد فمن ذلك ما كان بمدينة قومس تهدمت منها دور كثيرة ومات من اهلها نحو من خمسة واربعين الفا وستة وتسعون نفسا وكان منها باليمن وخراسان وفارس والشام وغيرها من البلاد زلازل منكرة وفيها اغارت الروم على بلاد الجزيرة فانتهبوا شيا كثيرا واسروا نحوا من عشرة الاف من الذراري فانا لله وانا اليه راجعون وحج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي نائب مكة وممن توفي فيها من الاعيان الحسن بن علي بن الجعد قاضي مدينة المنصور وابو حسان الزيادي قاضي الشرقية واسمه الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي سمع الوليد بن مسلم ووكيع بن الجراح والواقدي وخلقا سواهم وعنه ابو بكر بن ابي الدنيا وعلي بن عبد الله الفرغاني الحافظ المعروف بطغل وجماعة ترجمه الحافظ بن عساكر في تاريخه قال وليس هو من سلالة زياد بن ابيه انما تزوج بعض اجداده بام ولد لزياد فقيل له الزيادي ثم اورد من حديثه بسنده عن جابر الحلال بين والحرام بين الحديث وروى عن الخطيب انه قال كان من العلماء الافاضل من اهل المعرفة والثقة والامانة وولي قضاء الشرقية في خلافة المتوكل وله تاريخ على السنين وله حديث كثير وقال غيره كان رجلا صالحا دينا قد عمل الكتب وكانت له معرفة بايام الناس وله تاريخ حسن وكان كريما مفضالا وقد ذكر ابن عساكر عنه اشياء حسنة منها انه انفذ اليه بعض اصحابه يذكر انه قد اصابته ضائقة في عيد من الاعياد ولم يكن عنده غير مائة دينار فارسلها بصرتها اليه ثم سال ذلك الرجل صاحب له ايضا يشكو اليه مثل تلك الحال فارسل بها اليه وكتب ابو حسان الى ذلك الرجل الذي اخذ المائة يستقرض منه شيا وهو لا يشعر بالامر فارسل اليه بالمائة في صرتها فلما راها تعجب من امرها وركب اليه فساله عن ذلك فذكر ان فلانا ارسلها اليه فاجتمع الثلاثة واقتسموا المائة دينار رحمهم الله وجزاهم عن مروءتهم خيرا وابو مصعب الزهري احد رواة الموطا عن مالك وعبد الله بن ذكوان احد القراء المشاهير ومحمد بن اسلم الطوسي ومحمد بن رمح ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي احد ائمة الجرح والتعديل والقاضي يحيى بن اكثم

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين ومائتين

في ذي القعدة منها توجه المتوكل على الله من العراق قاصدا مدينة دمشق ليجعلها دار اقامته ومحلة امامته فادركه عيد الاضحى وهو بمدينة بلد فضحى بها وتاسف اهل العراق على ذلك فقال في ذلك يزيد بن محمد المهلبي

اظن الشام تشمت بالعراق • اذا عزم الامام على انطلاق
فان يدع العراق وساكنيها • فقد تبلى المليحة بالطلاق

وحج بالناس فيها عبد الصمد المذكور في التي قبلها وهو نائب مكة وممن توفي فيها من الاعيان

قال ابن جرير فيها توفي ابراهيم بن العباس مولى ديوان الضياع قلت ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول بكير الصولي الشاعر الكاتب المشهور وهو عم محمد بن يحيى الصولي وكان جده صول مكين ملك جرجان وكان اصله تركيا ثم تمجس ثم اسلم على يدي يزيد بن المهلب بن ابي صفرة ولابراهيم هذا ديوان شعر ذكره ابن خلكان واستجاد من شعره اشياء منها قوله

ولرب نازلة يضيق لها الفتى • ذرعا وعند الله منها المخرج
حلقت فلما استحكمت حلقاتها • فرجت وكان يظنها لا تفرج

ومن ذلك قوله

كنت السواد لمقلتي • فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت • فعليك كنت احاذر

ومن ذلك ما كتب به الى وزير المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات

وكنت اخي باخاء الزمان • فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اذم اليك الزمان • فاصبحت منك اذم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات • فها انا اطلب منك الامانا

وله

لا يمنعنك خفض العيش في دعة • نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها • اهلا باهل وجيرانا بجيران

وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة بسر من راى وولي الحسن بن مخلد بن الجراح خليفة ابراهيم في شعبان قال ومات هاشم بن بنجور في ذي الحجة قلت وتوفي فيها احمد بن سعيد الرباطي والحارث بن اسد المحاسبي احد ائمة الصوفية وحرملة بن يحيى التجيبي صاحب الشافعي وعبد الله بن معاوية الجمحي ومحمد بن عمر العدني وهارون بن عبد الله الحمال وهناد بن السري

ثم دخلت سنة اربع واربعين ومائتين

في صفر منها دخل الخليفة المتوكل على الله الى مدينة دمشق في ابهة الخلافة وكان يوما مشهودا وعزم على الاقامة بها وامر بنقل دواوين الملك اليها وامر ببناء القصور بها وهي التي بطريق داريا ثم انه استوخمها وراى ان هواها بارد ندي وماؤها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه وراى الهواء يتحرك من بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد وغبار الى قريب من ثلث الليل وراى كثرة البراغيث بها ودخل عليه فصل الشتاء فراى من كثرة الامطار والثلوج امرا عجيبا وغلت الاسعار وهو بها وانقطعت الاجلاب بسبب كثرة الشتاء والثلوج فضجر منها ووجه بغا الى بلاد الروم ثم رجع في اخر السنة الى سامرا بعد ما اقام بدمشق شهرين وعشرة ايام فالله اعلم وفي هذه السنة اتي المتوكل بالحربة التي كانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العيد وغيره وقد كانت للنجاشي فوهبها للزبير بن العوام فوهبها الزبير من النبي صلى الله عليه وسلم فلما صارت الى المتوكل على الله فرح بها فرحا شديدا وامر صاحب الشرطة ان يحملها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها غضب المتوكل على الطبيب بختيشوع ونفاه واخذ ماله وحج بالناس فيها عبد الصمد المذكور قبلها واتفق في هذه السنة يوم عيد الاضحى وعيد الفطر لليهود وشعانين النصارى وهذا عجيب غريب

ومن توفي فيها من الاعيان احمد بن منيع واسحاق بن موسى الخطمي وحميد بن مسعدة وعبد الحميد بن سنان وعلي بن حجر والوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات ويعقوب بن السكيت صاحب اصلاح المنطق

ثم دخلت سنة خمس واربعين ومايتين

فيها امر المتوكل ببناء مدينة الماحوزة وحفر نهرها فيقال انه انفق على بنائها وبناء قصر الخلافة فيها يقال له اللولوة الفي الف دينار وفي هذه السنة وقعت زلازل كثيرة ببلاد شتى فمن ذلك بمدينة انطاكية بحيث سقط فيها الف وخمسماية دار وانهدم من سورها نيف وتسعون برجا وسمعت من كوى دورها اصوات مزعجة جدا فخرجوا من منازلهم سراعا يهرعون وسقط الجبل الذي الى جانبها الذي يقال له الاقرع فساخ في البحر فهاج البحر عند ذلك وارتفع منه دخان اسود مظلم منتن وغار نهر على فرسخ منها فلا يدرى اين ذهب بالكلية اورده الامام ابو جعفر بن جرير قال وسمع تنيس صيحة دايمة طويلة مات منها خلق كثير قال وزلزلت فيها الرها والرقة وحران ورأس العين وحمص ودمشق والرملة وطرسوس والمصيصة واذنة وسواحل الشام ورجفت اللاذقية فما بقي منها منزل ولا بقي من اهلها الا اليسير وذهبت جبلة باهلها وفيها غارت مشاش عين مكة حتى بلغ ثمن القربة بمكة درهما حتى بعث المتوكل فانفق عليها قال وفيها مات اسحاق بن ابي اسرائيل وسوار بن عبد الله القاضي وهلال الرازي وفيها هلك نجاح بن سلمة وكان على ديوان التوقيع وقد كان حظيا عند المتوكل ثم جرت له كاينة اقتضت ان امر المتوكل باخذ امواله واملاكه وحواصله وقد اورد قصته مطولة ابو جعفر بن جرير

ومن توفي فيها من الاعيان

احمد بن عبدة الضبي وابو الحسن القواس مقرئ مكة واحمد بن نصر النيسابوري واسحاق بن ابي اسرائيل واسماعيل بن موسى بن بنت السدي وذو النون المصري وسوار القاضي وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم ومحمد بن رافع وهشام بن عمار وابو تراب النخشبي وابن الراوندي الزنديق احمد بن يحيى بن اسحاق ابو الحسين بن الراوندي نسبة الى قرية ببلاد قاسان كان يكون ببغداد يصنف كتبا في الزندقة وكانت لديه فضيلة لكنه استعملها فيما يضره في الدنيا والاخرة وقد ذكرنا له ترجمة مطولة حسب ما ذكرها ابن الجوزي وانما ذكرناه ههنا لان القاضي ابن خلكان ذكر انه توفي في هذه السنة وقد سلم عليه ولم يجرحه بشي اصلا بل مدحه فقال ابو الحسين احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي العالم المشهور له مقالة في علم الكلام وكان من الفضلاء في عصره وله من الكتب المصنفة نحو من ماية واربعة عشر كتابا منها كتاب فضيحة المعتزلة وكتاب التاج وكتاب الزمردة وكتاب القضيب وغير ذلك وله مجالس ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه اهل الكلام في كتبهم توفي سنة خمس واربعين ومايتين برحبة مالك بن طوق التغلبي وقيل ببغداد وتقدير عمره اربعون سنة وذكر في البستان انه توفي سنة خمسين فالله اعلم هذا لفظه بحروفه وانما ارخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثمان وتسعين ومايتين وقد سبق

ذو النون المصري

ثوبان بن ابراهيم وقيل ابن الفيض بن ابراهيم ابو الفيض المصري احد المشايخ المذكورين في رسالة

القشيري وقد ترجمه القاضي ابن خلكان في الوفيات وذكر شيا من فضايله واحواله وارخ وفاته في هذه السنة وقيل في التي بعدها وقيل في سنة ثمان واربعين ومايتين فالله اعلم وهو معدود في جملة من روى الموطا عن مالك وذكره ابن يونس في تاريخ مصر وقال ابوه نوبيا وقيل من اهل اخميم وكان حكيما فصيحا قال وسيل عن سبب توبته فذكر انه راى قنبرة عميا نزلت من وكرها فانشقت الارض عن سكرجتين من ذهب وفضة في احداهما سمسم وفي الاخرى ماء وقد شكي مرة الى المتوكل فاحضر فلما دخل عليه وعظه فابكاه فرده مكرما الى اهله فكان اذا ذكر عنده يثني عليه

ثم دخلت سنة ست واربعين ومايتين

في يوم عاشورا منها تحول المتوكل الى الماحوزة فنزل بقصر الخلافة فيها واستدعا بالقراء ثم بالمطربين واعطى واطلق وكان يوما مشهودا وفي صفر منها وقع الفدا بين المسلمين والروم ففودي من المسلمين نحو من اربعة الاف اسير وفي شعبان منها مطرت بغداد مطرا عظيما استمر نحوا من احد وعشرين يوما ووقع بارض بلخ مطر اغلبه دم عبيط وحج بالناس فيها محمد بن سليمان الزينبي وحج فيها من الاعيان محمد بن عبد الله بن طاهر وولي امور الموسم وممن توفي فيها من الاعيان احمد بن ابراهيم الدورقي والحسين بن الحسن المروزي وابو عمر الدوري احد القراء المشاهير ومحمد بن مصفى الحمصي ودعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي مولاهم الشاعر الماجن البليغ في المدح والهجا اكثر قال حضر يوما عند سهل بن هارون الكاتب وكان بخيلا فاستدعى بغدايه فاذا ديك في قصعته واذا هو عاسي لا يقطعه سكين ولا يعمل فيه ضرس فتفقد الراس فقال للطباخ ويلك ماذا صنعت بالراس فقال ظننتك لا تاكله فالقيته فقال ويحك والله اني لاعيب على من يلقي الرجلين فكيف بالراس وفيه الحواس الاربع ومنه يصوت وبه فضل وعيناه يضرب بهما المثل والعرف وبه يتبرك وعظمه امش العظام فان كنت رغبت عن اكله فاحضره فقال لا ادري اين هو قال بل انا ادري هو في بطنك قاتلك الله

احمد بن ابي الحواري واسمه عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحرث ابو الحسن التغلبي الغطفاني احد الزهاد المشهورين والعباد المذكورين والابرار المشكورين ذوي الاحوال الصالحة والكرامات الصادقة اصله من الكوفة وسكن دمشق بها وتلمذ للشيخ ابي سليمان الداراني رحمهما الله وروى الحديث عن سفيان بن عيينة ووكيع وابي اسامة وخلق وعنه ابو داود وابن ماجة وابو حاتم وابو زرعة الدمشقي والرازي وخلق كثيرون ذكره ابو حاتم فاثنى عليه وقال يحيى بن معين اني لاظن ان الله يسقي اهل الشام به وكان الجنيد بن محمد يقول هو ريحانة الشام وقد روى الحافظ ابن عساكر انه كان قد عاهد ابا سليمان الداراني ان لا يغضبه فجاءه يوما وهو يحدث الناس فقال يا سيدي هذا قد سجر التنور فماذا تامر فلم يرد عليه ابو سليمان لشغله بالناس ثم اعادها احمد ثانية وثالثة فقال له في الثالثة اذهب فاقعد فيه ثم اشتغل ابو سليمان بحديث الناس ثم استفاق فقال لمن حضره اني قلت لاحمد اذهب فاقعد في التنور واني اخشى ان يكون قد فعل ذلك فقوموا بنا اليه فذهبوا فوجدوه جالسا في التنور ولم يحترق منه شعرة واحدة وروى ان احمد بن ابي الحواري اصبح ذات يوم وقد ولد له ولد ولا يملك شيا يصلح به الولد فقال لخادمه اذهب فاستدن لنا وزنة من دقيق فبينا هو في ذلك اذ جاءه رجل بماية درهم فوضعها بين يديه فدخل عليه رجل في تلك الساعة فقال له يا احمد انه قد ولد لي الليلة ولد ولا املك شيا فرفع احمد طرفه الى السما وقال

يا مولاي هكذا بالعجلة وقال للرجل خذ هذه الدراهم لك ولم يأخذ له منها درهما واسند ابن
ابي الدنيا وروى عن خادمه انه خرج الى الثغر للرباط فما زال الثغر بالثغر ايانقذ الي من بكرة
الى الزوال ثم فرقها الى الغروب ثم قال لكن هذا لا يرد على الله شيا ولا ناخذ عنه شيا
ولما جات المحنة زمن المامون الى دمشق وعين فيها احمد بن ابي الحواري وهشام بن عمار
وسليمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن ذكوان فكلهم اجابوا الا احمد بن ابي الحواري فحبس
بدار الحجارة ثم هدد فاجاب تورية مكرها ثم اطلق رحمه الله وتقدم قوله ليلة بالثغر يكرر هذه الاية
اياك نعبد واياك نستعين حتى اصبح وقوله الذي كتبه في البحر فالنعم الكتب دليل
الى الله عز وجل ولكن لا نشتغل بالدليل بعد الوصول محال ومن كلامه من دل على الله
سواه وانما يطلب العلم لادب الخدمة وقال من عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف الاخرة
رغب فيها ومن عرف الله اثر رضاه وقال من نظر الى الدنيا نظر ارادة وحب لها اخرج
الله نور اليقين والزهد من قلبه وقال ايضا قلت لابي سليمان الداراني في ابتدا امري
اوصني فقال انت مستوصٍ قلت نعم ان شا الله فقال خالف نفسك في كل مراد لها
فانها الامارة بالسوء واياك ان تحقر احدا من المسلمين واجعل طاعة الله دثارا والخوف
منه شعارا والاخلاص زادا والصدق جنة واقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها
ولا تغفل عنها انه من استحيى من الله في كل اوقاته واحواله وافعاله بلغه الى مقام الاوليا
من عباده قال فجعلت هذه الكلمات امامي ففي كل وقت اذكرها واطالب نفسي بها
الصحيح انه مات في هذه السنة وقيل في سنة ثلثين وماتين وقيل غير ذلك

ثم دخلت سنة سبع واربعين وماتين

في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يدي ولده المنتصر وكان سبب ذلك
انه امر ابنه ابا عبد الله المعتز الذي هو ولي العهد من بعد ابيه ان يخطب بالناس في يوم
جمعة فاداها اداء عظيما بليغا فبلغ ذلك من المنتصر كل مبلغ وحنق على ابيه
واخيه ثم اتفق ان احضره ابوه بين يديه فامر نديما له بضربه في راسه وصفعه وصرح
بعزله عن ولاية العهد فاشتد ايضا حنقه اكثر مما كان فلما كان يوم عيد الفطر
خطب الخليفة المتوكل على الله بالناس وعنده بعض التشكي من علة به ثم عدل الى خيام
قد ضربت له اربعة اميال في مثلها فنزل هناك ثم استدعى في كل يوم ثالث
الشهر بندمائه وكان على عادته في سمره وحضرته وشربه ثم تمالى ولده المنتصر وجماعة
من الامراء على الفتك به فدخلوا عليه في ليلة الاربعا لاربع خلون من شعبان ويقال
من شوال من هذه السنة وهو على السماط فابتدروه بالسيوف فقتلوه ثم ولوا
بعده المنتصر على ما سنذكر

وهذه ترجمة المتوكل على الله

جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور عبد الله بن
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابو الفضل المتوكل وامه ام ولد يقال لها شجاع وكانت
من سيدات النسا شجاعة وحزما كان مولده بفم الصلح سنة سبع وماتين وبويع له
بالخلافة بعد اخيه الواثق في يوم الاربعا لست بقين من ذي الحجة سنة ثنتين وثلثين
وماتين كما تقدم وقد روى الخطيب من طريقه عن يحيى بن اكثم عن محمد بن عبد الوهاب عن

سفيان عن الاعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن
عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حرم الرفق حرم الخير ثم انشا المتوكل
يقول

الرفق يمن والاناة سعادة • فاستان في رفق تلاق نجاحا •
لا خير في حزم بغير روية • والشك وهن ان اردت سراحا •

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه وحدث عن ابيه المعتصم ويحيى بن اكثم القاضي وروى
عنه علي بن الجهم الشاعر وهشام بن عمار الدمشقي وقدم دمشق في خلافته وابتنى بها قصرا
بارض داريا وقال يوما لبعضهم ان الخلفا كانت تتصعب على الرعية ليطيعوها وانا
الين لهم ليحبوني ويطيعوني وقال احمد بن مروان المالكي ثنا احمد بن علي البصري قال
وجه المتوكل الى احمد بن المعذل وغيره من العلما فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس
كلهم غير احمد بن المعذل فقال المتوكل لعبيد الله ان هذا لا يرى بيعتنا فقال له بلى يا امير
المومنين ولكن في بصره سو فقال احمد بن المعذل يا امير المومنين ما في بصري سو ولكن
نزهتك من عذاب الله قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يتمثل له الرجال قياما
فليتبوا مقعده من النار فجا المتوكل فجلس الى جنبه وروى الخطيب البغدادي ان علي
بن الجهم دخل على المتوكل وفي يده درتان يقلبهما فانشده قصيدته التي يقول فيها

واذا مررت ببير عروة • فاسقني من مايها

فاعطاه التي في يمينه وكانت تساوي مايه الف ثم انشده يقول في ابيات

تسير عدل تفرق من يمن بحره البحار •
يرجى ويخشى لكل خطب كانه جنة ونار •
الملك فيه وفي بنيه ما اختلف الليل والنهار •
يداه في الجود ضرتان عليه كلتاهما تغار •
لم تات منه اليمين شيا الا اتت مثله اليسار •

قال فاعطاه التي في يساره ايضا قال الخطيب وقد روى هذه الابيات
لعلي بن هارون البحتري في المتوكل وروى ابن عساكر عن علي بن الجهم قال وقفت قينة
لخطية المتوكل بين يديه وقد كتبت على خدها بالغالية جعفر فتامل ذلك ثم انشا
يقول

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا • بنفسي محط المسك من حيث اثرا •
لين اودعت سطرا من المسك خدها • لقد اودعت قلبي من الحب اسطرا •
فيا من مناها في السريرة جعفر • سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا •
ويا من لمملوك الملك بيمينه • مطيع له فيما اسر واظهرا •

قال ثم امر المتوكل عريبا فغنت به وقال الفتح بن خاقان دخلت يوما على المتوكل
فاذا هو مطرق متفكر فقلت يا امير المومنين ما لك متفكرا فوالله ما على الارض اطيب منك
عيشا ولا انعم منك بالا فقال اطيب مني رجل له دار واسعة وزوجة صالحة
ومعيشة حاضرة لا يعرفنا فنوذيه ولا يحتاج الينا فنزدريه وقد كان محببا الى رعيته
قايما بالسنة فيهم وقد شبهه بعضهم بالصديق في رده على اهل الردة حتى رجعوا الى الدين

دبير بن عبد العزيز حين رد مظالم بني امية وهو اظهر السنة بعد البدعة واخمد البدعة بعد
انتشارها واشتهارها فرحمه الله وقد راه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور فقلت
المتوكل قال المتوكل قلت فما فعل بك ربك قال غفر لي قلت بماذا قال بقليل من السنة
احييتها وروى الخطيب عن صالح بن احمد انه راى في منامه ليلة مات المتوكل كان رجلا يصعد
به الى السماء وقايل يقول

• ملك يقاد الى مليك عادل • متفضل في العفو ليس بجاير •

وروى عن عمرو بن شيبان الحلبي قال لما رايت ليلة قتل المتوكل قايلا يقول

• يا نايم العين في اقطار جثمان • افض دموعك يا عمرو بن شيبان •
• اما ترى الفتية الارجاس ما فعلوا • بالهاشمي وبالفتح بن خاقان •
• وافى الى الله مظلوما فضج له • اهل السموات من مثنى ووحدان •
• وسوف تاتيكم اخرى مسومة • توقعوها لها شان من الشان •
• فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم • فقد بكاه جميع الانس والجان •

قال فاصبحت فاخبرنا الناس فجاء نعيه انه قتل في تلك الليلة قال ثم رايته بعد هذا بشهر
وهو واقف بين يدي الله عز وجل فقلت ما فعل بك ربك فقال غفر لي بقليل من السنة
احييتها قلت فما تصنع هاهنا قال انتظر ابني محمدا اخاصمه الى الله الحليم العظيم الكريم
وقد ذكرنا قريبا كيفية مقتله وان ابنه محمدا المنتصر مالى جماعة من الامراء على قتله فقتل
في ليلة الاربعا او في الليلة الرابع خلت من شوال من هذه السنة سنة سبع واربعين وماتين
بالمتوكلية وهي الماحوزة وصلي عليه يوم الاربعا ودفن بالجعفري وله من العمر اربعون سنة
وكانت مدة خلافته اربع عشرة سنة وعشرة اشهر وثلاثة ايام وكان اسمر حسن العينين
نحيف الجسم خفيف العارضين اقرب الى القصر

خلافة محمد المنتصر بن المتوكل

قد تقدم انه تمالى هو وجماعة من الامرا على قتل ابيه حين قتل الخليفة المتوكل بويع له في الليل
فلما كان الصباح من يوم الاربعا رابع شوال اخذت له البيعة من العامة فكان ذا ولما حكم
به ان اتهم الفتح بن خاقان على قتل ابيه وقتله ايضا به وبعث الى اخيه المعتز فاحضره
اليه وبايعه اخوه المعتز وقد ولي العهد قبله ولكن اكرهه فسلم وبايع وبعثت البيعة
الى الافاق وفي ثاني يوم من خلافته ولى المظالم لابي عمرة احمد بن سعيد مولى بني هاشم فقال
الشاعر

• يا ضيعة الاسلام لما ولي • مظالم الناس ابو عمره •
• صير مامونا على امة • وليس مامونا على بعره •

وكانت البيعة له بالمتوكلية وهي الماحوزة فاقام بها عشرة ايام ثم تحول هو وجميع قواده
وحشمه منها الى سامرا وفي ذي الحجة من هذه السنة اخرج المنتصر عمه علي بن المعتصم من
سامرا الى بغداد ووكل به وحج بالناس محمد بن سليمان الزينبي وتوفي فيها من الاعيان
ابراهيم بن سعيد الجوهري وسفيان بن وكيع بن الجراح وسلمة بن شبيب وابو عثمان المازني
النحوي واسمه بكر بن محمد بن عثمان البصري شيخ النحاة في زمانه اخذ عن ابي عبيدة والاصمعي
وابي زيد الانصاري وغيرهم واخذ عنه ابو العباس المبرد واكثر عنه وللمازني مصنفات كثيرة

في هذا الشان وكان شبيها بالفقها ورعا زاهدا ثقة مامونا روى عنه المبرد ان رجلا من
اهل الذمة طلب منه ان يقرا عليه كتاب سيبويه ويعطيه مائة دينار فامتنع من ذلك
فلامه بعض الناس في ذلك فقال انما تركت هذا لما فيه من ايات الله تعالى قال فاتفق بعد
هذا ان جارية غنت بحضرة الواثق

• اظلوم ان مصابكم رجلا • رد السلام تحية ظلم •

فاختلف من بحضرة الواثق في اعراب هذا البيت وهل يكون رجلا مرفوعا او منصوبا
وبما نصب اهو اسم ان ماذا واصرت الجارية على ان المازني حفظها هذا هكذا قال
فارسل الخليفة اليه فلما مثل بين يديه قال انت المازني قال نعم قال من اي تميم
ام من مازن ربيعة ام من مازن قيس فقلت من مازن ربيعة قال فاخذ يكلمني بلغتي
فقال باسمك وهم يقولون الباء ميما والميم باء فكرهت ان اقول مكر فقلت بكر فاعجبه
اعراضي عن المكر وعرف ما اردت فقال على ماذا ينصب رجلا فقلت لانه معمول المصدر
مصابكم فاخذ اليزيدي يعارضه فعلاه المازني بالحجة فاطلق له الخليفة الف دينار ورده
الى اهله مكرما وعوضه الله عن المائة دينار بالف دينار وروى المبرد عنه قال قرا رجلا
كتاب سيبويه الى اخره فلما انتهى قال لي اما انت فجزاك الله خيرا واما انا فوالله ما فهمت
حرفا توفي المازني في هذه السنة وقيل سنة ثمان واربعين وقيل سنة
وثلاثين والله اعلم

ثم دخلت سنة ثمان واربعين ومايتين

ففيها اغزى المنتصر وصيفا التركي غزو الصايفة لقتال الروم وذلك ان ملك الروم قصد
بلاد الشام فجهز معه جيشا كثيفا ورجالا وعددا وامر له بنفقات كثيرة وامره اذا فرغ
من قتال الروم ان يقيم بالثغر اربع سنين وكتب اله الى محمد بن عبد الله بن طاهر نايب
العراق كتابا اعظيما فيه ايات كثيرة بالتحريض على القتال والترغيب فيه وفي هذه السنة
لسبع بقين من صفر من هذه السنة المباركة خلع ابو عبد الله محمد المعتز والمويد ابراهيم
اخوا امير المومنين وليا العهد انفسهما من الخلافة واشهدا عليهما بذلك وانهما عاجزان
عن الخلافة وان المسلمون في حل من بيعتهما وذلك بعدما تهددهما اخوهما المنتصر
وتوعدهما بالقتل ليفعلا ذلك ومقصوده تولية ابنه عبد الوهاب عن اشارة امراء
الاتراك بذلك وخطبا بذلك على روس الاشهاد بحضرة القواد والقضاة واعيان
بني هاشم والناس عامة وكتب بذلك الى الافاق والاقاليم ليعلموا بذلك ويخطبوا بذلك
على المنابر وتزال اسماوهما عن محال الكتابة والدعا لهما فاراد ان يسلبهما الملك
ويجعله في عقبه ولا قدار تكذبه وتخالفه وذلك انه لم يستكمل بعد ابيه سوى ستة
اشهر وفي اواخر صفر عرضت له علة كان فيها حتفه على ما سنذكره وقد كان المنتصر راى
في منامه كانه يصعد سلما فبلغ الى خمس وعشرين درجة فقصها على بعض المعبرين
فقال له تلي خمسا وعشرين سنة تلي فيها الخلافة واذا بها مدة عمره وقد استكملها
في هذه السنة وقال بعضهم دخلنا عليه يوما وهو يبكي وينتحب شديدا فساله
بعض اصحابه فقال رايت ابي المتوكل في منامي هذا وهو يقول يا محمد قتلتني وظلمتني
وغبنتني خلافتي والله لا متعت بها بعدي الا اياما يسيرة ثم مصيرك الى النار قال

فاسال الله عيني ولا جزعي فقال له بعض اصحابه هذه رؤيا وهي تصدق وتكذب فقم بنا الى الشراب فامر باحضار الشراب والندماء واخذ فيه وهو منكسر الهمة وما زال كذلك مكسورا حتى مات وقد اختلفوا في علته التي كانت فيها وفاته فقيل انه اصابه داء في راسه فقطر في اذنيه دهن فلما انتهى الى دماغه عوجل بالموت وقيل بل ورمت معدته فانتهى الورم الى قلبه فمات وقيل بل اصابته ذبحة فاستمرت به عشرة ايام فمات وقد قيل انه فصده الحجام بمبضع مسموم فمات من يومه قال ابن جرير فاخبرني بعض اصحابنا ان ذلك الحجام رجع الى منزله وهو محموم فدعى اجيرا له ليفصده فاخذ مباضع استاذه فاختار منها اجودها فاذا به ذلك المبضع المسموم الذي فصد به الخليفة ففصد استاذه به وهو لا يشعر وانسى الله الحجام ما ذكره حتى راه قد فصده به وتحكم فيه السم فاوصى عند ذلك ومات من يومه وذكر ابن جرير انه دخلت عليه امه وهو في المرض الذي مات فيه فقالت له كيف حالك فقال ذهبت مني الدنيا والاخرة ويقال انه انشد وقد احيط به وييئس من الحيوة وهو في السياق

فما فرحت نفسي بدنيا اصبتها ولكن الى الرب الكريم اصير ومات يوم الاحد لخمس مضين من ربيع الاخر من هذه السنة وقت صلاة العصر عن خمس وعشرين سنة وقيل وستة اشهر ولا خلاف انه انما ولي الخلافة ستة اشهر لا ازيد منها وذكر ابن جرير عن بعض اصحابه انه لم يزل يسمع الناس يقولون العامة وغيرهم حين ولي المنتصر انه لا يمكث في الخلافة سوى ستة اشهر لا ازيد منها كما مكث شيرويه بن كسرى حين قتل اباه وكذلك وقع سواء وقد كان المنتصر اعين اقنى قصيرا مهيبا جيد البدن وهو اول خليفة من بني العباس برز قبره وذلك باشارة امه حبشية الرومية ومن جيد كلامه قوله

والله ما عز ذو باطل • ولو طلع القمر من جبينه •
ولا ذل ذو حق ولو • اصفق العالم عليه •

خلافة المستعين وهو ابو العباس احمد بن محمد المعتصم

بويع له بالخلافة يوم مات المنتصر بايعه عموم الناس ثم خرجت عليه شرذمة من الاتراك يقولون يا معتز يا منصور فالتف عليهم خلق وقام بنصر المستعين جمهور الجيش فاقتتلوا قتالا شديدا اياما فقتل خلق من الفريقين وانتهبت اماكن كثيرة من بغداد وجرت فتن كثيرة جدا ثم استقر الامر للمستعين فعزل وولى وقطع ووصل وامر ونهى ومات بغا الكبير في جمادى الاخرة فولى الخليفة مكانه ولده موسى بن بغا وقد كانت لبغا هذا اثار شامية وغزوات في المشارق والمغارب متوالية وفي هذه السنة ابتاع المستعين من ابي عبد الله المعتز شيئا كثيرا من المتاع والاثاث والضياع بما قيمته عشرة الاف الف دينار وعشر حبات من جوهر ومن ابراهيم بما قيمته ثلاثة الاف الف دينار وثلاث حبات وفيها عدا اهل حمص على عاملهم فاخرجوه من بين اظهرهم فبعث اليهم المستعين فاخذ منهم مائة رجل من سراتهم وامر بهدم سورهم وحج بالناس فيها محمد بن سليمان الزينبي وتوفي فيها من الاعيان احمد بن صالح والحسين بن علي الكرابيسي وعبد الجبار بن العلا وعبد الملك بن شعيب وعيسى بن حماد ومحمد بن حميد الرازي ومحمد بن زنبور ومحمد بن العلا ابو كريب ومحمد بن يزيد ابو هشام الرفاعي وابو حاتم السجستاني واسمه سهل بن محمد بن عثمان

بن يزيد

بن يزيد الجشمي ابو حاتم السجستاني النحوي اللغوي صاحب المصنفات الكثيرة وكان بارعا في اللغة اشتغل فيها على ابي عبيدة والاصمعي واكثر الرواية عن ابي زيد الانصاري واخذ عنه المبرد وابن دريد وغيرهما وكان عبدا صالحا كثير الصدقة والتلاوة يتصدق بدينار ويقرا في كل اسبوع ختمة وله شعر من ذلك قوله

• ابرزوا وجهه الجميل • ولاموا من افتتن •
• لو ارادوا صيانتي • ستروا وجهه الحسن •

قال ابن خلكان وكانت وفاته في المحرم وقيل في رجب من هذه السنة

ثم دخلت سنة تسع واربعين ومائتين

في يوم الجمعة النصف من رجب منها التقى جمع من المسلمين وخلق من الروم بالقرب من ملطية فاقتتلوا قتالا عظيما قتل من الفريقين خلق كثير وقتل امير المسلمين عمر بن عبيد الله بن الاقطع وقتل معه الفا رجل من المسلمين وكذلك قتل الامير علي بن يحيى الارمني في طائفة من المسلمين ايضا فانا لله وانا اليه راجعون وقد كان هذان الاميران من اكبر انصار الاسلام ووقعت فتنة عظيمة ببغداد في اول يوم من صفر من هذه السنة وذلك ان العامة كرهوا جماعة من الامراء الذين قد تغلبوا على امر الخلافة وقتلوا المتوكل واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده فنهضوا الى السجن فاخرجوا من فيه وجاؤوا الى الجسر فقطعوه وضربوا الاخر بالنار فاحرقوه ونادوا بالنفير فاجتمع خلق كثير وجم غفير ونهبوا اماكن متعددة وذلك بالجانب الشرقي من بغداد ثم جمع اهل اليسار من اهل بغداد اموالا كثيرة لتصرف الى من ينهض الى ثغور الروم لقتالهم عوضا عمن قتل من المسلمين هنالك فاقبل خلق كثير من الجبال والاهواز وفارس وغيرها لغزو الروم وذلك ان الخليفة والجيش تاخروا عن النهوض الى بلاد الروم فغضبت العامة من ذلك وفعلوا ما ذكرنا ولتسع بقين من ربيع الاول نهض عامة اهل سامرا الى السجن فاخرجوا من فيه وجاءهم قوم من الجيش يقال لهم الزرافة فهزمتهم العامة فركب عند ذلك وصيف وبغا الصغير وعامة الاتراك فقتلوا من العامة خلقا كثيرا وجرت فتن طويلة كثيرة ثم سكنت وفي النصف من ربيع الاخر وقعت فتنة بين الاتراك وذلك ان الخليفة المستعين كان قد فوض امر الخلافة والتصرف في اموال بيت المال الى ثلاثة وهم اتامش التركي وكان اخص من عنده وهو بمنزلة الوزير وفي حجره العباس بن المستعين يربيه ويعلمه الفروسية والى شاهك الخادم والى ام الخليفة وكان لا يمنعها شيئا تريده وكان لها كاتب يقال له سلمة بن سعيد النصراني فاقبل اتامش فاسرف في اخذ الاموال حتى لم يبق ببيت المال شيء فغضبت الاتراك عند ذلك وغارت منه فعند ذلك اجتمعوا عليه وركبوا اليه فاحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين فلم يمكنه منعه منهم ولا دفعهم عنه فانزلوه صاغرا فقتلوه وانتهبوا امواله وحواصله ودوره واستوزر الخليفة بعده ابا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وولى بغا الصغير فلسطين وولى وصيفا الاهواز وجرى خبط كبير وفتن كثيرة من الخليفة وعليه وتحركت المغاربة بسامرا في يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى الاخرة فكانوا يجتمعون فيركبون ثم يتفرقون وفي يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الاولى وهو اليوم السادس عشر من تموز مطر اهل سامرا مطرا عظيم

بر عد وبرق والغيم مطبق والمطر مستهل كثير من اول النهار الى اصفرار الشمس وفي ذي الحجة
اصاب اهل الري زلزلة شديدة جدا ورجفة هائلة تهدمت منها الدور ومات منها خلق
كثير وخرج بقية اهلها الى الصحراء وحج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد
بن ابراهيم الامام

وممن توفي فيها من الاعيان

ايوب بن محمد الوزان والحسن بن الصباح البزار صاحب   ورجاء بن مرجا الحافظ وعبد
بن حميد صاحب المسند والتفسير الحافل وعمرو بن علي الفلاس وعلي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود
بن اسيد القرشي الشامي من ولد سامة بن لؤي الخراساني البغدادي احد الشعراء المشهورين
واهل الديانة المعتبرين وله ديوان شعر فيه اشياء حسنة وكان فيه تحامل على علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وكان له خصوصية بالمتوكل ثم غضب عليه فنفاه الى خراسان وامر
نائبه بها ان يصلبه يوما مجردا ففعل به ذلك ومن مستجاد شعره قوله

بلاء ليس يعدله بلاء • عداوة غير ذي حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه • ويرتع منك في عرض مصون

وانما قال ذلك في مروان بن ابي حفصة حين هجاه فقال في هجائه قوله

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر • وهذا علي بعده يدعي الشعرا
ولكن قد كان جارا لامه • فلما ادعى الاشعار اوهمني امرا

كان علي بن الجهم قد قدم الشام ثم عاد قاصدا العراق فلما جاوز حلب ثار عليه اناس من
بني كلب فقاتلهم فجرح فكان فيه حتفه فوجد بين ثيابه رقعة فيها مكتوب

يا رحمة للغريب في البلد • النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق احبابه فما انتفعوا • بالعيش من بعده وما انتفعا

وكانت وفاته بهذا السبب في هذه السنة رح

سنة خمسين ومائتين من الهجرة

فيها كان ظهور ابي الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب بالكوفة وامه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الله بن
جعفر بن ابي طالب وذلك انه اصابته فاقة شديدة فرحل الى سامرا فسال وصيفا
ان يجري عليه رزقا فاغلظ له القول فرجع الى ارض الكوفة فاجتمع عليه خلق من الاعراب
وخرج اليه خلق من اهل الكوفة فنزل على الفلوجة وقد كثر الجمع فكتب محمد بن عبد
الله بن طاهر نائب العراق الى عامل الكوفة وهو ايوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان
يامره بقتاله ودخل يحيى بن عمر قبل ذلك في طائفة من اصحابه الى الكوفة فاحتوى على بيت
مالها فلم يجد فيه سوى الفي دينار وسبعين الف درهم وظهر امره بالكوفة وفتح السجنين
واطلق من فيهما واخرج نواب الخليفة منها واخذ اموالهم واستحوذ عليها واستحكم
امره بها والتف عليه خلق من الزيدية وغيرهم ثم خرج من الكوفة الى سوادها ثم كر راجعا
اليها فتلقاه عبد الرحمن بن الخطاب الملقب وجه الفلس فقاتله قتالا شديدا
فانهزم وجه الفلس ودخل يحيى بن عمر الكوفة ودعا الى الرضا من آل محمد وقوي امره جدا وصار
اليه جماعة من الناس من اهل الكوفة وغيرها وتولاه اهل بغداد من العامة وغيرهم ممن

ينسب

ينسب الى التشيع واحبوه اكثر مما كانوا يحبون احدا من الخارجين من اهل البيت وشرع
في تحصيل السلاح وطبعه واعداد الالات العدد وجمع الرجال وقد خرج نائب
الكوفة منها وهو الحسين بن اسماعيل الى ظاهرها واجتمع اليه امداد كثيرة من جهة
الخليفة ومحمد بن عبد الله بن طاهر واستراحوا وجمعت خيولهم فلما كان اليوم الثالث
عشر من رجب اشار من اشار على يحيى بن عمر ممن لا راي له ان يركب فيناجز الحسين
بن اسماعيل ويكبس جيشه فركب في جيش كثير فيه خلق من الفرسان والمشاة ايضا
من عامة اهل الكوفة بغير اسلحة فساروا فلما انتهوا اليهم نهضوا اليهم فاقتتلوا قتالا
كثيرا في ظلمة اخر الليل فما طلع الفجر الا وقد انكشف اصحاب يحيى بن عمر وداستهم الخيول
ووجدوا يحيى بن عمر قد تقنطر به فرسه وطعن في ظهره فحزوا راسه وحملوه الى الامير
فبعثه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فارسله من الغد الى الخليفة مع رجل يقال له عمر بن الخطاب
اخي عبد الرحمن بن الخطاب به فنصب بسامرا ساعة من النهار ثم بعث الى بغداد لينصب
عند الجسر فلم يمكن ذلك من كثرة العامة فجعل في خزائن السلاح ولما جيء براس يحيى بن عمر
الى محمد بن عبد الله بن طاهر دخل الناس عليه يهنئونه بالفتح والظفر فدخل عليه ابو هاشم
داود بن الهيثم الجعفري فقال له ايها الامير انك لتهنا بقتل رجل لو كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيا لعزي به فما رد عليه شيئا ثم خرج ابو هاشم الجعفري وهو يقول

يا بني طاهر كلوه وبيا • ان لحم النبي غير مري
ان وترا يكون طالبه الله • لوتر نجاحه بالحري

وكان الخليفة المستعين قد وجه اميرا الى الحسين بن اسماعيل نائب الكوفة فلما قتل
يحيى بن عمر دخلوا الكوفة اراد ذلك الامير ان يضع في اهلها السيف فمنعه الحسين
بن اسماعيل وامن الاسود والابيض واطفا الله هذه الفتنة ثم خرج رجل اخر من اهل
البيت ايضا فلما كان رمضان من هذه السنة خرج الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل
بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب بناحية طبرستان وكان سبب ذلك
انه لما قتل يحيى بن عمر اقطع المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر طائفة من ارض تلك
الناحية فبعث كاتبا له يقال له جابر بن هارون وكان نصرانيا ليتسلم تلك
الاراضي فلما انتهى اليهم كرهوا ذلك جدا وارسلوا الى الحسن بن زيد هذا فجاء اليهم فبايعوه
والتف عليهم جملة الديلم وجماعة الامراء في تلك النواحي فركب فيهم ودخل الى طبرستان
واخذها قهرا وجبى خراجها واستفحل امره ثم خرج منها طالبا لقتال سليمان بن عبد
الله امير تلك النواحي فالتقيا هنالك فكانت بينهما حروب ثم انهزم سليمان هزيمة
منكرة وترك اهله وماله ولم يرجع دون جرجان فدخل الحسن بن زيد سارية فاستحوذ
على ما فيها من الاموال والحواصل وسير اهل سليمان اليه على مراكب مكرمين واجتمع للحسن
بن زيد امرة طبرستان بكمالها ثم بعث الى الري فاخذها ايضا واخرج منها الطاهرية
وصار الى حد همذان ولما بلغ خبره المستعين وكان مدبر ملكه يومئذ وصيف التركي اغتم
لذلك جدا واجتهد في بعث الجيوش والامراء لقتال الحسن بن زيد هذا وفي يوم عرفة
من هذه السنة ظهر بالري احمد بن عيسى بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب وادريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي

بن ابي طالب فصلى بالناس يوم العيد احمد بن عيسى هذا ودعا الى الرضا من آل محمد
فحاربه محمد بن علي بن طاهر بن طاهر فهزمه احمد بن عيسى واستفحل امره وفي هذه السنة
وثب اهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن اخي المازيار بن قارن فقتلوه في رجب
فوجه اليهم المستعين موسى بن بغا الكبير فاقتتلوا بارض الرستن فهزمهم وقتل جماعة
من اهلها وحرق اماكن كثيرة منها واسر اشراف اهلها وفيها وثبت الشاكرية
والجند في ارض فارس على عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم فهرب منهم فانتهبوا داره
وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن وفيها غضب الخليفة على جعفر بن عبد الواحد
ونفاه الى البصرة وفيها استقطع ثلثه جماعة من الاسروسنة دار الخلافة وحج
بالناس فيها جعفر بن الفضل امير مكة شرفها الله وممن توفي فيها من الاعيان
ابو الطاهر احمد بن عمرو بن السرح والبزي احد القراء المشاهير والحرث بن مسكين
وابو حاتم السجستاني احد ائمة اللغة وعباد بن يعقوب الرواجني وعمرو بن بحر
الجاحظ صاحب الكلام والمصنفات وكثير بن عبيد الحمصي ونصر بن علي الجهضمي

ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائتين

فيها اجتمع راي المستعين وبغا الصغير ووصيف على قتل باغر التركي وكان من
القواد الكبار الذين باشروا قتل المتوكل وقد اتسع اقطاعه وكثر فاتموا له فقتل
ونهبت داره كاتبه دليل بن يعقوب النصراني واموال وحواصله فركب الخليفة
في حراقة من سامرا الى بغداد فاضطربت الامور بسبب خروجه اليها وذلك في شهر
المحرم فنزل الخليفة دار محمد بن عبد الله بن طاهر وفي هذه السنة وقعت فتنة عظيمة
شنعا بين جند بغداد وجند سامرا ودعا اهل سامرا الى بيعة المعتز واستقر امر اهل بغداد
على المستعين واخرج المعتز واخوه المويد من السجن فبايع اهل سامرا المعتز واستحوذ
على حواصل بيت المال فاذا فيه خمسمائة الف دينار وفي حواصل ام المستعين الف
الف دينار وفي حواصل العباس بن المستعين ستمائة الف دينار واستفحل امر المعتز بسامرا
وامر المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر ان يحصن بغداد فعمل في السور والخندق
وغرم على ذلك ثلثمائة الف دينار وثلاثين الف دينار ووكل بكل باب امير يحفظه ونصب
على السور خمسة مجانيق منها واحد كبير جدا يقال له الغضبان وستة عرادات واعدوا
الات الحرب والعدد وقطعت القناطر من كل ناحية لئلا يصل الجيش اليهم وكتب المعتز
الى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه الى الدخول معه في امره ويذكره ما كان اخذه عليهم المتوكل
من العهود والمواثيق ان تكون الخلافة بعد المنتصر له فلم يلتفت اليه بل رد عليه واحتج
بحجج يطول ذكرها وكتب كل واحد من المستعين والمعتز الى بغا الكبير وهو مقيم باطراف الشام
لحرب اهل حمص يدعوه الى نفسه وبعث اليه باللواء يعقدها لمن يختار من اصحابه وكتب
اليه المستعين يامره بالمصير اليه الى بغداد ويستنيب في عمله فركب مسرعا فصار الى سامرا
مع المعتز على المستعين وكذلك هرب عبد الله بن بغا من عند ابيه من بغداد الى سامرا وكذلك
غيره من الامراء والاتراك وعقد المعتز لاخيه ابي احمد بن المتوكل على حرب المستعين وجهز
معه جيشا لذلك فسار في خمسة الاف من الاتراك وغيرهم نحو بغداد وصلى بعكبرا
يوم الجمعة ودعا لاخيه المعتز ثم وصل الى بغداد في ليلة الاحد لسبع خلون من صفر

فاجتمع

فاجتمعت العساكر هنالك وقد قال رجل يقال له باذنجانه كان في عسكر ابي احمد

يا بني طاهر اتتكم جنود الله ... والموت بينها منثور
وجيوش امامهن ابو احمد ... نعم المولى ونعم النصير

وجرت بينهم حروب طويلة وفتن مهولة جدا وقد اورده ابن جرير مطولة ثم بعث
المعتز مع موسى بن اشناس ثلاثة الاف مددا لاخيه ابي احمد بن المتوكل فوصلوا لليلة
بقيت من ربيع الاول فوقفوا في الجانب الغربي عند باب قطربل وابو احمد واصحابه على
باب الشماسية والحرب مستعرة والقتال كثير والقتل واقع قال ابن جرير وذكر ان
المعتز كتب الى اخيه ابي احمد يلومه على التقصير في قتال اهل بغداد فكتب اليه ابو احمد

لامر المنايا علينا طريق ... وللدهر فينا اتساع وضيق
وايامنا عبر للانام ... فمنها البكور ومنها الطروق
ومنها هنات يشيب الوليد ... ويخذل فيها الصديق الصديق
وفتنة دين لها ذروة ... تفوت العيون وبحر عميق
قتال مبين وسيف عتيد ... وخوف شديد وحصن وثيق
وطول صياح لداعي الصباح ... السلاح السلاح فما يستفيق
فهذا طريح وهذا جريح ... وهذا حريق وهذا غريق
وهذا قتيل وهذا تليل ... وآخر يشدخه المنجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب ... ودور خراب وكانت تروق
اذا ما سمونا الى مسلك ... وجدناه قد سد عنا الطريق
فبالله نبلغ ما نرتجي ... وبالله ندفع ما لا نطيق

قال ابن جرير وهذا الشعر ينشد لعلي بن امية في فتنة المخلوع والمامون وقد استمرت
الفتنة والقتال ببغداد بين ابي احمد اخي المعتز وبين محمد بن عبد الله بن طاهر
نايب المستعين والبلد محصور واهله في ضيق شديد جدا بقية شهور هذه السنة
وقتل من الفريقين خلق كثير وقعات متعددات وايام نحسات فتارة يظهر
اصحاب ابي احمد وياخذون بعض الابواب فيحمل عليهم الطاهرية فيزيحونهم عنه ويقتلون
منهم خلقا ثم يتراجعون اليهم فيقتتلون ويصابرونهم مصابرة عظيمة لكن اهل بغداد
كلما لهم الى ضعف وقلة الميرة والجلب اليه ثم شاع بين العامة ان محمد بن عبد الله
بن طاهر يريد ان يخلع المستعين ويبايع المعتز وذلك في اواخر السنة فتنصل
من ذلك واعتذر الى الخليفة والى العامة وحلف بالايمان العظيمة فلم تبرأ ساحته
من ذلك حق البراءة عند العامة واجتمعت العامة والغوغاء الى دار ابن طاهر
والخليفة نازل بها فسالوا ان يبرز لهم الخليفة ليروه ويسالوه عن ابن طاهر امراض
عنده ام لا وما زالت الضجة والاصوات حتى برز لهم الخليفة من فوق المكان الذي
هم فيه وعليه السواد ومن فوقه البردة النبوية وبيده القضيب وقال لهم
فيما خاطبهم به اقسمت عليكم بحق صاحب هذه البردة والقضيب لما رجعتم
الى منازلكم ورضيتم عن ابن طاهر فانه غير متهم لدي فسكنت الغوغاء وتراجعوا
الى منازلهم ثم انه انتقل الخليفة من دار ابن طاهر الى دار رزق الخادم وذلك

في اول شهر ذي الحجة وصلى بهم العيد يوم الاضحى في الجزيرة التي بحذاء دار ابي خازم
وبرز الخليفة للناس يومئذ وبين يديه الحربة وعليه البردة وبيده القضيب
وكان يوما مشهودا ثم غلا بها ملها من الحصار وغلاء الاسعار المتزجين عن
لباس الجوع والخوف نسال الله العافية في الدنيا والاخرة ولما تفاقم الامر وتأكد
الحال وضاق المجال وجهد الرجال وجاع العيال شرع ابن طاهر مظهرا ما كان كامنا
في نفسه من خلع المستعين فجعل يعرض له بذلك ثم كاشفه به وناظره فيه وقال
له ان المصلحة تقتضي ان تصالح عن الخلافة على مال تاخذه سلفا وتعجيلا ويكون لك
من الخراج في كل عام ما تختاره وتحتاجه ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب حتى
اجاب الى ذلك واناب فكتب بما اشترط المستعين في خلعه نفسه من الخلافة
كتاب ولما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة ركب محمد بن طاهر الى الرصافة
وجمع القضاة والفقهاء وادخلهم على المستعين فوجا فوجا اشهدهم عليه انه قد صير
امره الى محمد بن عبد الله بن طاهر وكذلك جماعة الحجاب والخدم ثم تسلم منهم جوهر
الخلافة واقام عند المستعين الى هوي من الليل واصبح الناس يرجفون ويتنوعون
فيما يقولون من الاراجيف واما ابن طاهر فانه ارسل بالكتاب مع جماعة من الامراء الى اول
السنة الداخلة وفي هذه السنة في ربيع الاول منها كان ظهور رجل من اهل البيت
ايضا بارض قزوين وزنجان وهو الحسين بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن
اسماعيل الارقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ويعرف الحسين بن
احمد هذا بالكوكبي وسياتي ما كان من امره هناك وفيها خرج اسماعيل بن يوسف
العلوي وهو ابن اخت موسى بن عبد الله الحسني وسياتي ما كان من امره ايضا وفيها
خرج بالكوفة ايضا رجل من الطالبيين ايضا وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله
بن حسين بن علي بن ابي طالب فوجه اليه المستعين مزاحم بن خاقان فقاتله فانهزم
العلوي وقتل من اصحابه بشر كثير ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها الف دار
ونهب اموال الذين خرجوا معه وباع بعض جواري الحسين بن محمد هذا وكانت
معتقة على باب المسجد الجامع وفيها ظهر اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن
الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب بمكة فهرب منه نائبها جعفر بن الفضل بن
عيسى بن موسى فانتهب اسماعيل بن يوسف منزله ومنازل اصحابه وقتل جماعة من
الجند وغيرهم من اهل مكة واخذ ما في الكعبة من الذهب والفضة والطيب وكسوة
الكعبة واخذ من الناس نحوا من مائتي الف دينار ثم خرج الى المدينة النبوية فهرب
منه عاملها علي بن الحسين بن اسماعيل ثم رجع اسماعيل ابو يوسف الى مكة في رجب
فحصر اهلها حتى هلكوا جوعا وعطشا فبيع الخبز ثلاث اواق بدرهم واللحم الرطل باربعة
وشربة الماء بثلاثة دراهم ولقي منه اهل مكة كل بلاء ثم ترحل عنهم الى جدة بعد
مقام سبعة وخمسين يوما فانتهب اموال التجار هنالك واخذ المراكب وقطع
الميرة عن اهل مكة حتى جلبت اليها من اليمن ثم عاد لا جزاه الله خيرا عن المسلمين الى
مكة فلما كان يوم عرفة لم يمكن الناس من الوقوف بها لا ليلا ولا نهارا وقتل من الحجيج الفا
ومائة وسلبهم اموالهم ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ومن معه من الحرامية لا تقبل الله

منهم

منهم صرفا ولا عدلا وفيها توفي من الاعيان اسحاق بن منصور الكوسج وحميد بن زنجويه
وعمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي وابو التقي هشام بن عبد الملك اليزني

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر خلافة المعتز بعد خلع المستعين نفسه

استهلت وقد استقرت الخلافة باسم ابي عبد الله المعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم
بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور وقيل ان اسم المعتز احمد وقيل
الزبير وهو الذي عول عليه الحافظ ابن عساكر وترجمه في تاريخه وقد خلع المستعين احمد
بن محمد بن المعتصم نفسه من الخلافة وبايع المعتز ولما كان يوم الجمعة رابع المحرم دعا الخطباء
بجوامع بغداد على المنابر للخليفة المعتز بالله وانتقل المستعين من الرصافة الى قصر الحسن
بن سهل هو وعياله وجواريه ووكل بهم سعيد بن رجاء في جماعة معه واخذ من المستعين
البردة والقضيب والخاتم وبعث بذلك الى المعتز ثم ارسل اليه المعتز يطلب منه
خاتمين من جوهر بقيا عنده يقال لاحدهما برج وللاخر جبل فارسلهما وطلب المستعين
ان يسير الى مكة فلم يمكن فطلب البصرة فقيل انها وبيئة فقال ان ترك الخلافة اوبا منها
ثم اذن له في المسير الى واسط فخرج ومعه حرس يوصلونه اليها نحو اربعمائة واستوزر المعتز
احمد بن ابي اسرائيل وخلع عليه والبسه تاجا على راسه ولما تمهد الامر ببغداد واستقرت البيعة
للمعتز بها ودان له اهلها واجتمع بها شملها وقدمها الميرة من كل جانب واسبغ الناس
في الارزاق والاطعمة ركب ابو احمد منها في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم
الى سامرا وشيعه محمد بن عبد الله بن طاهر في وجوه القواد فخلع ابو احمد على ابن طاهر خمس خلع
وسيفا ورده من الروذبار وقد ذكر ابن جرير مدائح الشعراء في المعتز وتشفيهم بخلع المستعين
فاكثر من ذلك جدا فمن ذلك محمد بن مروان بن ابي الجنوب بن مروان في مدح المعتز وذم
المستعين كما جرت عادة الشعراء

ان الامور الى المعتز قد رجعت ... والمستعين الى حالاته رجعا
وكان يعلم ان الملك ليس له ... وانه لك لكن نفسه خدعا
ومالك الملك مؤتيه ونازعه ... آتاك ملكا ومنه الملك قد نزعا
ان الخلافة كانت لا تلائمه ... كانت كذات حليل زوجت متعا
ما كان اقبح عند الناس بيعته ... وكان احسن قول الناس قد خلعا
امسى بك الناس بعد الضيق في سعة ... والله يجعل بعد الضيق متسعا
والله يدفع عنك السوء من ملك ... فانه بك عنا السوء قد دفعا

وكتب امير المؤمنين المعتز من سامرا الى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر ان يسقط اسم
وصيف وبغا ممن كان من رسومهما في الدواوين وعزم على قتلهما ثم استرضي عنهما فرضي عنهما
وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز اخاه ابراهيم الملقب بالمؤيد عن ولاية العهد وحبسه
واخاه ابا احمد بعدما ضرب المؤيد اربعين مقرعة ولما كان يوم الجمعة سابعه خطب بخلعه
وزير كتابا على نفسه بذلك وكانت وفاته بعد ذلك بخمسة عشر يوما فقيل انه ادرج في
لحاف من سمور وامسك طرفاه حتى مات غما وقيل بل ضرب بحجارة من ثلج حتى مات بردا وبعد

ذلك كله اخرج من السجن ولا اثر به فاحضر القضاة والاعيان فاشهدهم انه مات من غير سبب
وليس به اثر ثم حمل على حمار ومعه كفنه فارسل به الى امه فدفنته

ذكر قتل المستعين في شوال من هذه السنة

كتب المعتز الى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يامره بتجهيز جيش نحو المستعين فجهز احمد بن طولون
التركي فوافاه فاخرجه لست بقين من رمضان فقدم به القاطول لثلاث مضين من شوال
ثم قتل فقيل ضرب حتى مات وقيل بل غرق في دجلة وقيل بل ضربت عنقه وقد ذكر ابن جرير
انه سار اليه سعيد بن صالح التركي حين اراد قتله فسأله ان يمهله حتى يصلي ركعتين فلما كان في السجدة
الاخيرة قتله وهو ساجد ودفن جثته في مكانها وعفى اثره وحمل راسه الى المعتز فدخل به
عليه وهو يلعب بالشطرنج فقيل هذا راس المخلوع فقال ضعوه حتى افرغ من الدست
فلما فرغ نظر اليه وامر بدفنه ثم امر لسعيد بن صالح الذي قتله بخمسين الف درهم
وولاه معاون البصرة وفي هذه السنة مات اسماعيل بن يوسف العلوي الذي فعل بمكة
ما فعل والحد في حرم الله ما الحد كما تقدم فهلك في هذه السنة ولم ينظره ربه عز وجل واحمد
ابن محمد المستعين بالله واسحاق بن بهلول وزياد بن ايوب ومحمد بن بشار بندار ومحمد
ابن المثنى الزمن ويعقوب بن ابراهيم الدورقي

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

في رجب منها عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير على الجيش وضم اليه جماعة من القواد ليذهبوا الى قتال
عبد العزيز بن ابي دلف بناحية همذان وذلك لانه خرج عن الطاعة وهو في نحو من عشرين
الف فارس فواقعوا عبد العزيز اواخر هذا الشهر فهزموه هزيمة فظيعة ثم كانت بينهم وقعة اخرى
في رمضان عند الكرج فهزم عبد العزيز ايضا وقتل من اصحاب عبد العزيز ايضا بشر كثير
واسروا ذراري كثيرة حتى اسروا ام عبد العزيز وبعثوا الى الخليفة بسبعين حملا من الرؤوس
واعلاما كثيرة واخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من بلاد الخليفة وفي رمضان منها خلع
المعتز على بغا الشرابي والبسه التاج والوشاحين وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة
هائلة عند البوازيج وذلك ان رجلا يقال له مساور بن عبد الحميد حكم بها والتف عليه
نحو من سبعمائة من الخوارج فقصده رجل يقال له بندار الطبري في نحو من ثلثمائة من اصحابه
فالتقوا في بلاد السن فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الخوارج نحو من خمسين وقتل
من اصحاب بندار مائتان وقيل وخمسون رجلا وقتل بندار فيمن قتل ثم قصد مساور الى
حلوان فقاتله اهلها واعانهم حجاج اهل خراسان فقتل مساور منهم نحوا من اربعمائة انسان
فنجا الله وقتل من اصحابه جماعة كثيرون ايضا ولثلاث بقين من شوال قتل وصيف التركي
وارادت العامة ان تنهب داره ودور اولاده فلم يمكنهم ذلك وجعل الخليفة المعتز
ما كان اليه الى بغا الشرابي وفي ليلة اربع عشرة ليلة من ذي القعدة من هذه السنة كسف القمر
حتى غاب اكثره وغرق نوره وعند انتهاء كسوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق
ببغداد وكانت علته قروح في راسه وحلقه فذبحته ولما اتي به ليصلى عليه اختلف اخوه عبيد
الله وابنه طاهر ايهما يصلي عليه وتنازعا حتى جذبت السيوف وتراجم الناس بالحجارة وصاح
الغوغاء يا طاهر يا منصور فمال عبيد الله الى الشرقية ومعه القواد واكابر الناس فدخل
داره وكان اخوه قد اوصى اليه وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية لعبيد الله بن

عبد الله

عبد الله بن طاهر فاطلق عبيد الله للذي قدم بالخلع خمسين الف درهم وفيها نفى الخليفة
المعتز اخاه ابا احمد من سر من راى الى واسط ثم الى البصرة ثم الى بغداد فانزل في الشرقية
في قصر دينار بن عبد الله وفيها نفى علي بن المعتصم الى واسط ثم رد الى بغداد ايضا وفي يوم الاثنين
سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكبير هو والحسين بن احمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة
احدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالا شديدا ثم هزم الكوكبي واخذ موسى بن بغا قزوين
وهرب الكوكبي الى الديلم وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة ان الكوكبي حين التقا
امر اصحابه ان يترسوا بالجحف فكانت السهام لا تعمل فيهم فامر موسى بن بغا اصحابه عند ذلك
ان يطرحوا ما معهم من النفط بالارض ثم جاولوهم واروهم انهم قد انهزموا منهم فتبعهم اصحاب
الكوكبي فلما توسطوا الارض التي فيها النفط امر عند ذلك بالقاء النار فيه فجعلت
النار تحرق اصحاب الكوكبي ففروا سراعا هاربين وكر عليهم موسى واصحابه فقتلوا منهم مقتلة
عظيمة وهرب الكوكبي الى الديلم وتسلم موسى بن بغا قزوين وفيها هاج بالناس عبد الله بن محمد
بن سليمان الزينبي

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو الاشعث واحمد بن سعيد الدارمي وسري السقطي احد كبار مشايخ ائمة الصوفية
وهو السري بن المغلس ابو الحسن السقطي البغدادي تلميذ معروف الكرخي حدث عن هشيم
وابي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويحيى بن يمان ويزيد بن هارون وغيرهم وعنه ابن اخته
الجنيد بن محمد وابو الحسين النوري ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي وجماعة وكانت له دكان
يتجر فيها فمرت به جارية قد انكسر اناء كان معها تشتري فيه شيئا لسادتها فجعلت تبكي
فاعطاها ما تشتري شيئا تشتري به بدله فنظر معروف اليه وما صنع بتلك الجارية فقال
له بغض الله اليك الدنيا وقال السري مررت في يوم عيد فاذا معروف ومعه صبي صغير
شعث الحال فقلت ما هذا فقال لي هذا كان قاعدا والصبيان يلعبون وهو منكسر
فقلت ما لك لا تلعب فقال انا يتيم لا شيء معي اشتري به جوزا العب به فاخذته لاجمع له
نوى يشتري به جوزا يفرح به فقلت الا اكسوه واعطيه شيئا يشتري به فقال او تفعل قلت
نعم فقال خذه اغنى الله قلبك قال فسويت عندي الدنيا اقل شيء وكان عنده من اللوز
فساومه رجل على الكر بثلاثة وستين دينارا ثم ذهب الرجل فاذا اللوز يساوي الكر منه
تسعين دينارا فقال له انا اشتري منك الكر بتسعين دينارا فقال له اني ساومتك
بثلاثة وستين واني لا ابيعه الا بذلك فقال الرجل فانا اشتري منك بتسعين فقال
لا ابيعه الا بما ساومتك عليه فقال له الرجل ان من النصح الآن لا اشتري منك الا بتسعين
دينارا وذهب ولم يشتر منه وجاءت امراة يوما الى سري فقالت له ان ابني قد اخذه الحرس وانا
احب ان تبعث الى صاحب الشرطة لئلا يضرب فقام فكبر وطول في الصلاة وجعلت
المراة تحترق في نفسها فلما انصرف من الصلاة قالت الله الله في ولدي فقال لها انا
في حاجتك وما رام مجلسه حتى جاءت امراة فقالت لتلك المراة ابشري فقد اطلق
المتولي لك ولدك فانصرفت اليه وقال السري انا اكل لقمة ليس لاحد علي فيها تبعة ولا لاحد
فيها منة لا اجد الى ذلك سبيلا وفي رواية قال اني اشتهي البقل منذ ثلاثين سنة فلا
اقدر عليه وعن السري انه قال احترق سوقنا فقصدت المكان الذي فيه دكاني فتلقاني

رجل فقال لي السري فإنه كان بك سلمت فقلت الحمد لله ثم ذكرت ذلك للجنيد فقال أنا أستغفر الله منه منذ ثلاثين سنة. وأما الخطيب فقال سري صليت وردي ذات ليلة ثم مددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك قال فضممت ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي أبدا. وقال الجنيد بن محمد ما رأيت أعبد لله من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا إلا في علة الموت. وقال الخطيب عن أبي نعيم عن جعفر الخلدي عن الجنيد بن محمد قال دخلت عليه أعوده فقلت كيف تجدك فقال
أشكو للطبيب ما بي والذي أصابني من طبيبي قال فأخذت المروحة أروحه فقال لي كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من داخل ثم أنشأ يقول

القلب محترق والدمع مستبق ... والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شيء فيه لي فرج ... فامنن علي به ما دام بي رمق

قال وقلت له أوصني فقال لا تصحب الأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار وقد ذكر الخطيب وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد أذان الفجر ودفن بعد العصر قال ودفن في مقبرة الشونيزي وقبره ظاهر معروف وإلى جانبه قبر الجنيد وروى عن القاضي عن أبي عبيد بن حربويه قال رأيت سريا في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي ولكل من شهد جنازتي فقلت له فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك قال فأخرج درجا فنظر فيه فلم ير فيه اسمي فقلت بلى قد حضرت فنظر فإذا اسمي في الحاشية. وحكى ابن خلكان قولا أن سريا توفي في سنة إحدى وخمسين فالله أعلم قال ابن خلكان ومما كان ينشده السري

إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني ... فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا ... وتذبل حتى لا تجيب المناديا

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

فيها أمر الخليفة المعتز بقتل بغا الشرابي ونصبت رأسه بسامرا ثم ببغداد ثم حرقت جثته بالنار وأخذت أمواله وحواصله وفيها ولي أحمد بن طولون الديار المصرية وهو باني الجامع المشهور بها وحج بالناس فيها علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد وممن توفي فيها من الأعيان زياد بن أيوب الحساني وعلي بن محمد بن علي بن موسى الرضا يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ببغداد وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد ومحمد بن عبد الله المخرمي ومؤمل بن إهاب

بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الاثني عشر وهو والد الحسن بن علي العسكري المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة وقد كان عابدا زاهدا أشخصه المتوكل إلى سامرا فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر ومات بها في هذه السنة وقد ذكر للمتوكل أن بمنزله سلاحا وكتبا كثيرة من الناس فأرسل فكبسه فوجدوه جالسا مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف وهو على بسيط الأرض ليس دونها حائل فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكل وهو على شراب فلما مثل بين يديه أجله وأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله

الكأس التي في يده فقال يا أمير المؤمنين إنه لم يخالط لحمي ودمي قط فاعفني منه فأعفاه ثم قال له أنشدني شعرا فأنشده

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال فبكى المتوكل حتى بل الثرى وبكى من حوله بحضرته وأمر برفع الشراب وأمر له بأربعة آلاف دينار وتحلل منه ورده إلى منزله مكرما رح

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

فيها كانت وقعة بين مفلح وبين الحسن بن زيد الطالبي فهزمه مفلح ودخل آمل طبرستان وأحرق منازل الحسن بن زيد ثم سار وراءه إلى الديلم وفيها كانت محاربة شديدة بين يعقوب بن الليث وبين علي بن الحسين بن قريش بن شبل فبعث علي بن الحسين رجلا من جهته يقال له طوق فحاصره أكثر من شهر ثم ظفر يعقوب بطوق فأسره وأسر وجوه أصحابه ثم سار إلى علي بن الحسين هذا فأسره أيضا وأخذ بلاده وهي كرمان فأضافها إلى ما بيده من مملكة سجستان ثم بعث يعقوب بن الليث بهدية سنية إلى المعتز بالله منها دواب وبزاة وثياب فاخرة وفيها ولى الخليفة سليمان بن عبد الله بن طاهر نيابة بغداد والسواد في ربيع الأول منها وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز والحسن بن مخلد كاتب قبيحة أم المعتز وأبا نوح عيسى بن إبراهيم وكانوا قد تمالؤوا على أكل بيت المال فضربهم وأخذ خطوطهم بأموال جزيلة يحملونها وذلك بغير رضى من المعتز في الباطن واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياعهم وسموا الكتاب الخونة وولى الخليفة غيرهم وفي رجب من هذه السنة ظهر عيسى بن جعفر وعلي بن زيد الحسنيان بالكوفة وقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى واستفحل أمرهما

مقتل الخليفة المعتز بالله

ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة خلع الخليفة المعتز بالله ولليلتين مضتا من شعبان أظهر موته وكان سبب خلعه أن الجند اجتمعوا فطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم فسأل من أمه أن تقرضه مالا يدفعه عنه فلم تعطه وأظهرت أنه لا شيء عندها فاجتمعت الأتراك على خلعه فأرسلوا إليه ليخرج إليهم فاعتذر بأنه قد شرب دواء وأن عنده ضعفا ولكن ليدخل إلي بعضكم فدخل بعض الأمراء فتناولوه بالدبابيس يضربونه وجروا برجله وأخرجوه وعليه قميص مخرق ملطخ بالدم فأقاموه في وسط دار الخلافة في حر شديد حتى جعل يراوح بين قدميه من شدة الحر وجعل بعضهم يلطمه وهو يبكي ويقول له الضارب اخلعها والناس مجتمعون ثم أدخلوه حجرة مضيقا عليه فيها وما زالوا عليه بأنواع العذاب حتى خلع نفسه من الخلافة وولي بعده المهتدي بالله كما سيأتي ثم سلموه إلى من يسومه سوء العذاب بأنواع المثلات ومنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام حتى

جعل يطلب شربة من ماء البير فلم يسق ثم ادخلوه سربا بنيه حصين ثم جصص فدسوه فيه فاصبح
ميتا فاستلوه من الجص سليم الجسد فاشهدوا عليه جماعة من الاعيان انه مات وليس به
اثر وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من هذه السنة وكان يوم السبت وصلى عليه المهتدي
بالله ودفن مع اخيه المنتصر الى جانب قصر الصوامع عن اربع وعشرين سنة وكانت خلافته
اربع سنين وستة اشهر وثلاثة وعشرين يوما وكان طويلا جسيما وسيما اقنى الانف مدور
الوجه حسن المضحك ابيض اسود الشعر جعده كثيفه كثيف اللحية حسن العينين والحو
ضيق الجبين احمر الوجنتين رحمه الله وقد اثنى الامام احمد على جودة ذهنه وحسن فهمه وادبه
حين دخل عليه في حياة ابيه بسامرا كما قدمنا في ترجمة الامام احمد وروى الخطيب
البغدادي عن علي بن حرب قال دخلت على المعتز بالله فما رايت خليفة احسن وجها
منه فلما رايته سجدت فقال يا شيخ تسجد لاحد من دون الله فقلت حدثنا ابو عاصم الضحاك
بن مخلد النبيل ثنا بكار بن عبد العزيز بن ابي بكرة عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا راى ما يفرح به او يسر بما يسره سجد شكرا لله عز وجل قال
الزبير بن بكار صرت الى المعتز وهو امير فلما سمع بقدومي خرج مستعجلا الى فعثر فانشا
يقول

يموت الفتى من عثرة بلسانه • وليس يموت المرء من عثرة الرجل

وذكر الحافظ ابن عساكر ان المعتز لما حذق القران في حياة ابيه المتوكل اهتم ابوه لذلك
واجتمعت الامراء والكبراء والرؤسا بسر من راى واحتفلوا لذلك اياما عديدة وجرت
احوال عظيمة ولما جلس الصبي على المنبر وسلم على ابيه بالخلافة وخطب الناس نثرت
الجواهر في الصواني والذهب والدراهم على الخواص والعوام بدار الخلافة فكان قيمة ما نثر
من الجوهر ما يساوي مائة الف دينار ومثلها ذهبا والف الف درهم غير ما كان من خلع ومطعم
واشربة ومما يفوت الحصر وكان وقتا مشهودا لم يكن سرور بدار الخلفاء ابهج منه ولا
احسن وخلع الخليفة على ام ولده المعتز وهي قبيحة خلعا سنية واعطاها واجزل
العطا واجزل العطاء وكذلك على مؤدب المعتز وهو محمد بن عمران من الجوهر والذهب
وغير ذلك شيا كثيرا

خلافة المهتدي بالله ابي عبد الله محمد

بن الواثق بن المعتصم وكانت بيعته يوم الاربعا لليلة بقيت من رجب من هذه السنة
بعد خلع المعتز نفسه بين يديه واشهاده على نفسه بانه عاجز عن القيام بامر
الخلافة وانه قد رغب الى من يقوم باعبائها محمد بن الواثق بالله ثم مد يده فبايعه
قبل الناس كلهم ثم بايعه الخاصة ثم كانت بيعة العامة وكتب على المعتز كتابا شهد
عليه فيه بالخلع والعجز والمبايعة للمهتدي وفي اخر يوم من رجب هذا وقع ببغداد فتنة
هائلة كتب شهد عليه فيه بالخلع والعجز والمبايعة للمهتدي وفي اخر يوم من رجب هذا وقع
وثبت العامة على نائبها سليمان بن عبد الله بن طاهر ودعوا الى بيعة ابي احمد بن المتوكل
وذلك لعدم علم اهل بغداد بما وقع بسامرا من بيعة المهتدي بالله بن الواثق وقتل
من اهل بغداد وغرق منهم خلق كثير ثم لما بايع الناس بيعة العامة للمهتدي بالله في سابع
شعبان وبلغ اهل بغداد ذلك سكنوا واستقرت الامور ومشت واستقل المهتدي بالخلافة

ولله الحمد وفي رمضان من هذه السنة ظهر عند قبيحة ام المعتز اموال عظيمة وجواهر نفيسة
كان من جملة ذلك ما يقارب الفي الف دينار ومن الزمرد الذي لم ير مثله مقدار مكوك ومن
الحب الكبار مكوك وكيلجة ياقوت احمر مما لم ير مثله وقد كانت قبل ذلك مختفية عند صالح
بن وصيف ثم ترحت عنه فكانت تدعو عليه تقول اللهم اخز صالح بن وصيف كما هتك
ستري وقتل ولدي وبدد شملي واخذ مالي وغربني عن بلدي وركب الفاحشة مني وقد
كان الاتراك طلبوا من ابنها المعتز خمسين الف دينار تصرف في ارزاقهم وضمنوا له
ان يقتلوا صالح بن وصيف فلم يكن عنده من ذلك شي فطلب من امه قبحها الله ان
تقرضه ذلك فابت واظهرت انه لا شي عندها ثم ظهر عندها من الاموال ما ذكرنا وقد كان لها
من الغلات في كل سنة ما يعدل عشرة الاف الف دينار واستقرت الخلافة للمهتدي
بالله وكان ولله الحمد خليفة صالحا قال يوما للاتراك لست لي ام لها من الغلة ما يقاوم
عشرة الاف الف دينار ولست اريد الا القوت فقط ولا اريد فضلا على ذلك الا لاخوتي
فانهم قد مستهم الحاجة وفي يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان امر صالح بن وصيف
بضرب احمد بن اسرائيل الذي كان وزيرا وابي نوح عيسى بن ابراهيم الذي كان نصرانيا فاظهر
الاسلام وكان كاتب قبيحة فضرب كل واحد منهما خمسماية سوط بعد استخلاص اموالهما
ثم طيف بهما على بغلين منكسين فماتا وهما كذلك ولم يكن ذلك عن رضى المهتدي بالله
ولكنه لا يقدر على الانكار على صالح بن وصيف في بادي الامر وفي رمضان من هذه وقعت فتنة
عظيمة ببغداد ايضا بين محمد بن اوس ومن اتبعه من الشاكرية والجند وغيرهم وبين
العامة والرعاع فاجتمع من العامة نحو ماية الف وكان بين الناس قتال بالنبال
والرماح والسيوف وقتل خلق كثير ثم انهزم محمد بن اوس واصحابه فنهبت العامة ما وجدوا
من اموال له فكان منه شي يعدل الفي الف او نحو ذلك ثم اتفق الحال على اخراج محمد بن
اوس من بغداد الى اين اراد من سائر البلاد فخرج منها خايفا طريدا وذلك لانه لم
يكن عند الناس مرضي السيرة بل كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وامر الخليفة المهتدي
بالله ان ينفى القيان والمغنين من سامرا وامر بقتل السباع التي في دار السلطان
والكلاب المعدة للصيد ايضا وابطال الملاهي ورد المظالم وجلس للعامة وكانت
ولاية والدنيا كلها من ارض الشام مفتونة ثم استدعى الخليفة المهتدي موسى بن
بغا الكبير ليتقوى به على من عنده من الاتراك ليجتمع كلمة الخلافة واعتذر من استدعائه
ما هو فيه من الجهاد في تلك البلاد

ذكر خارجي اخر ادعى انه من اهل البيت ظهر بالبصرة

وفي النصف من شوال من هذه السنة ظهر رجل بظاهر البصرة فزعم انه علي بن محمد بن
احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ولم يكن
صادقا في دعواه بهذا النسب وانما كان عسيفيا من عبد القيس واسمه علي بن محمد بن عبد
الرحيم وامه قرة بنت علي بن رحب بن محمد بن حكيم من بني اسد بن خزيمة واصله من قرية
من قرى الري قال ابن جرير قال وقد خرج في سنة تسع واربعين وماتين بالبحرين
فادعى انه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن عباس بن علي بن ابي طالب
فدعا الناس بهجر الى طاعته فاتبعه جماعة من اهلها فوقع بسببه قتال كثير

وتتبع كبار وحروب كثيرة منتشرة ولما خرج في هذه السنة عليه خلق من الزنج الذين
كانوا يكسحون السباخ فعبر بهم دجلة فنزل الديناري وكان يزعم لبعض الجهلة من
اتباعه انه يحيى بن عمر ابو الحسين المقتول بناحية الكوفة وكان يدعي انه حفظ سورا
من القران في ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره في مدة وهن سبحان والكهف
وص وزعم انه فكر يوما بالبادية الى اي البلاد يصير فخوطب من سحابة ان يقصد البصرة
فقصدها فلما اقترب منها وجد اهلها مفترقين شعبتين سعدية وبلالية فطمع
ان ينضم اليه احداهما فيستعين بها على الاخرى فلم يقدر على ذلك فارتحل الى بغداد
فاقام بها سنة وانتسب بها الى محمد بن احمد بن عيسى بن زيد وكان يزعم بها انه يعلم
ما في ضماير اصحابه وان الله يعلمه بذلك فتبعه على ذلك جملة من الطغام
وطايفة من رعاع العوام ثم عاد الى البصرة في رمضان من هذه السنة فاجتمع معه
بشر كثير ولكن لم يكن معهم عدد يقاتلون به فاتاهم جيش من ناحية البصرة فاقتتلوا
جميعا فلم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة اسياف ومع هذا هزموا عدوهم
وكانوا في اربعة الاف مقاتل ثم مضى نحو البصرة بمن معه فاهدى له رجل من اهل جبا
فرسا فلم يجد لها سرجا ولا لجاما فالقى عليها حبلا وركبها وشنق حنكها بليف ثم
صادر رجلا فتهدده بالقتل فاخذ منه مايتين وخمسين دينارا والف درهم وكان هذا
اول مال اخذه من هذه البلاد واخذ من اخر ثلاثة براذين واخذ من موضع شيا من
الاسلحة والامتعة فصار في جيشه قليل سلاح وخيول ثم جرت بينه وبين
جيوش من جهة نايب البصرة وقعات متعددة يهزمهم فيها وكلما لامره يقوى ويتزايد
اصحابه وعظم جيشه ومع ذلك لا يتعرض لاموال الناس وانما يريد اخذ اموال
السلطان وقد انهزم اصحابه في بعض تلك الحروب هزيمة فظيعة ثم تراجعوا
اليه واجتمعوا وكروا على البصرة فهزموهم وقتلوا منهم خلقا واسروا اخرين وكان
لا يؤتى باحد من الاسرى الا قتله ثم قوي امره بعد ذلك وخافه اهل البصرة وبعث
الخليفة اليها مددا يكونون لهم على صاحب الزنج هذا الخارجي قبحه الله ثم اشار عليه
رؤوس اصحابه ان يهجم بهم على اهل البصرة فيدخلوها عنوة فهجن اراءهم وقال بل نكون
منها قريبا حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا اليها ويخطبوننا عليها وسياتي ما كان من
امره وامر اهل البصرة في السنة المستقبلة ان شاء الله تعالى وحج بالناس في هذه السنة
علي بن الحسين بن اسماعيل بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

وممن توفي فيها من الاعيان

الجاحظ المتكلم المعتزلي واليه تنسب الفرقة الجاحظية منهم وهو ابو عثمان عمرو بن
بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري المعروف بالجاحظ لنتوء عينيه ويقال
له الحدقي وكان شنيع المنظر سيئ المخبر رديء الاعتقاد ينسب الى البدعة وربما جاوز
به بعضهم الى الانحلال حتى يقال في المثل يا ويح من كفره الجاحظ والله اعلم بحاله وكان بارعا
فاضلا قد اتقن علوما كثيرة وصنف كتبا جمة تدل على قوة ذهنه وجودة ومن اجل كتبه كتاب
الحيوان وكتاب البيان والتبيين قال ابن خلكان وهما احسن مصنفاته وابهاهما وقد
اطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه وذكر انه اصابه الفالج في اخر عمره وحكي عنه انه قال انا من جانبي

الايسر مفلوج لو قرض بالمقاريض ما علمت ومن جانبي الايمن منقرس فلو مرت به الذبابة لالمت
وبي حصاة واشد ما علي ست وتسعون سنة وكان ينشد

اترجو ان تكون وانت شيخ * كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

وعبد الله بن عبد الرحمن ابو محمد الدارمي صاحب المسند المشهور وقد سمعناه بعلو وعبد الله
بن هاشم الطوسي والخليفة ابو عبد الله محمد بن المعتز بالله بن جعفر بن المتوكل على الله في رجب
كما تقدم ومحمد بن عبد الرحيم الملقب صاعقة

ومحمد بن كرام المتكلم الذي تنسب اليه الفرقة الكرامية

وقد نسب اليهم جواز وضع الاحاديث

محمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء وزن جمال ابن عراق بن حزابة بن البراء
ابو عبد الله السجستاني العابد يقال انه من بني نزار ومنهم من يقول محمد بن كرام بكسر
الكاف وتشديد الراء وهذا الذي سكن بيت المقدس الى ان مات بها وجعل الاخر شيخا
من اهل نيسابور والصحيح الذي يظهر من كلام الحاكم ابي عبد الله الحافظ والحافظ ابي القاسم
بن عساكر انهما واحد وقد روى ابن كرام عن علي بن حجر وعلي بن اسحاق الحنظلي السمرقندي سمع
التفسير عن محمد بن مروان عن الكلبي وابراهيم بن يوسف الماكياني ومالك بن سليمان
الهروي واحمد بن حرب وعتيق بن محمد الجرشي واحمد بن الازهر النيسابوري واحمد بن عبد الله
الجويباري ومحمد بن تميم الفاريابي وكانا كذابين وضاعين وغيرهم وعنه محمد بن اسماعيل
بن اسحاق وابو اسحاق ابراهيم بن سفيان وعبد الله بن محمد القيراطي وابراهيم بن الحجاج
النيسابوري ذكر الحاكم انه حبسه طاهر بن عبد الله فلما اطلقه ذهب الى ثغور الشام
ثم عاد الى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله وطال حبسه فكان يتاهب لصلاة
الجمعة فيمنعه السجان فيقول اللهم انك تعلم اني منعت من غيري وقال غيره اقام ببيت
المقدس اربع سنين وكان يجلس للوعظ عند العامود الذي عند مشهد عيسى واجتمع
عليه خلق كثير ثم تبين لهم انه يقول ان الايمان قول فتركه اهلها ونفاه متوليها
الى غور زغر فمات بها ونقل الى بيت المقدس وكانت وفاته في صفر من هذه السنة وقال
الحاكم توفي ببيت المقدس ليلا ودفن بباب اريحا عند قبور الانبياء عليهم السلام وله
ببيت المقدس من الاصحاب نحو من عشرين الفا

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومايتين

في صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من المحرم قدم موسى بن بغا الكبير الى سامرا فدخلها
في جيش هائل قد عباه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فقصد دار الخلافة التي فيها
المهتدي بالله وقد جلس للعامة لكشف المظالم فاستاذنوا عليه فلم ياذن لهم ساعة
وتاخر عنهم فظنوا في انفسهم ان الخليفة انما طلبهم خديعة منه ليسلط عليهم صالح
بن وصيف فدخلوا عليه بالقوة فجعلوا يراطنونه بالتركي ثم عزموا فاقاموه من مجلسه وانتهبوا
ما كان فيه ثم اخذوه مهانا الى دار اخرى فجعل يقول لموسى بن بغا ما لك ويحك اني انما
جئت بك لتقوى بك على صالح بن وصيف فقال له لا باس عليك احلف لي انك لا تريد
خلاف ما اظهرت فحلف له الخليفة فطابت انفسهم وبايعوه بيعة ثانية مشافهة

وأخذوا عليه العهود والمواثيق أن لا يمالئ صالحاً عليهم واصطلحوا على ذلك ثم بعثوا إلى صالح بن وصيف ليحضرهم للمناظرة في أمر المعتز ومن قتله صالح بن وصيف من الكتاب وغيرهم فوعدهم أن يأتيهم ثم اجتمع بجماعة من الأمراء من أصحابه وأخذ يتأهب لجمع الجيوش عليه ثم اختفى من ليلته فلم يعلم أحد أين ذهب في تلك الساعة فبعثت المنادين عليه في أرجاء البلد وتهدد من أخفاه فلم يزل مختفياً إلى آخر صفر على ما سنذكر ورد سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نيابة بغداد وسلم الوزير عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن بن مخلد الذي كان أراد صالح بن وصيف قتله مع تينك الرجلين فبقي في السجن حتى رجع إلى الوزارة ولما أبطأ خبر صالح بن وصيف على موسى بن بغا وأصحابه قال بعضهم لبعض اخلعوا هذا الرجل يعنون المهتدي بالله فقال بعضهم أتقتلون رجلاً صواماً قواماً لا يشرب النبيذ ولا يأتي الفواحش والله إن هذا ليس كغيره ولا يطاوعكم الناس عليه وبلغ ذلك الخليفة فخرج وهو متقلد سيفاً فجلس على السرير واستدعى بموسى بن بغا وأصحابه فقال بلغني ما تمالأتم عليه من أمري وإني والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط وقد أوصيت إلى أخي بولدي وهذا سيفي والله لأضربن به ما استمسك قائمه بيدي والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن أو ليذهبن بها أكثركم أما دين أما حياء أما رعة كم يكون هذا الإقدام على الخلفاء والإقدام والجراءة على الله سواء عندكم من قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه هذا عنكم دعا بأرطال الشراب فشربها سروراً بمكروهكم وإذ هبوا فانظروا إلى منزلي ومنازل إخوتي ومن يتصل بي هل ترون فيها من آلات الخلافة أو فرشها شيء غير ما يكون في بيوت آحاد الناس وتقولون إني أعلم علم صالح وهل هو إلا كواحد منكم فاذهبوا فاعلموا علمه فابلغوا اشفاء نفوسكم منه وأما أنا فلست أعلم علمه قالوا فاحلف لنا على ذلك فقال أما اليمين فإني أبذلها ولكني أدخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب في غد إذا صليت صلاة الجمعة قال فكأنهم لانوا لذلك ولما كان يوم الأحد لثمان بقين من صفر ظهر أبو صالح بن وصيف فقتل وجيء برأسه إلى المهتدي بالله وقد انفتل من صلاة المغرب فلم يزد على أن قال واروه ثم أخذ في تسبيحه وذكره ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين رفع الرأس على رمح ونودي عليه في أرجاء البلد هذا جزاء من قتل مولاه وما زال الأمر مضطرباً حتى تفاقم الأمر وعظم الخطب

ذكر خلع المهتدي وولاية المعتمد أحمد بن المتوكل

وإيراد شيء من فضائل المهتدي

لما بلغ موسى بن بغا أن مساور الشاري قد عاث بتلك الناحية ركب إليه في جيش كثيف ومعه مفلح وبايكبال التركي فاقتتلوا هم ومساور الخارجي فلم يظفروا به بشيء يعجبهم وهرب منهم وأعجزهم وقد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المنكرة والمقصود أن الخليفة المهتدي بالله أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك فكتب إلى بايكبال أن يتسلم الجيش من موسى بن بغا ويكون هو الأمير على الناس وأن يقبل بهم إلى سامرا فلما وصل إليه الكتاب أقرأه موسى بن بغا فاشتد غضبه على المهتدي واتفقا عليه وقصدا إليه بلد سامرا وتركا ما كانا فيه فلما بلغ ذلك المهتدي استخدم من فوره جنداً من المغاربة والفراعنة والأشروسنية والأزكشية والأتراك أيضاً وركب في جيش كثيف فلما سمعوا به رجع موسى بن بغا إلى طريق خراسان وأظهر بايكبال السمع والطاعة فدخل في ثاني عشر رجب إلى الخليفة سامعاً مطيعاً فلما أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بني هاشم شاورهم فيه فقال له صالح بن علي بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور يا أمير المؤمنين لم يبلغ أحد من الخلفاء في الشجاعة والإقدام ما بلغت وقد كان أبو مسلم الخراساني شراً من هذا وأكثر جنداً ولما قتله أبو جعفر المنصور سكنت الفتنة وخمد صوت أصحابه فأمر عند ذلك المهتدي بالله بضرب عنق بايكبال ثم ألقى رأسه إلى الأتراك فلما رأوا ذلك أعظموه وأصبحوا من الغد مجتمعين على أخيه طغوتيا فخرج إليهم الخليفة فيمن معه فلما التقوا خامرت الأتراك الذين كانوا مع الخليفة إلى أصحابهم وصاروا إلباً واحداً على الخليفة وأصحابه فقتل منهم أربعة آلاف ثم حملوا عليهم فهزموهم فانهزم المهتدي بالله وبيده السيف صلتاً وهو ينادي يا أيها الناس انصروا خليفتكم فدخل دار أحمد بن جميل صاحب المعونة فوضع فيها سلاحه ولبس البياض وأراد أن يذهب فيختفي فعاجله أحمد بن خاقان منها فأخذه قبل أن يذهب ورمي بسهم وطعن في خاصرته وحمل على دابة وخلفه سائس وعليه قميص وسراويل حتى أدخل إلى دار أحمد بن خاقان فجعل من هناك يصفعونه ويبزقون في وجهه وأخذ خطه بستمائة ألف دينار وسلموه إلى رجل فلم يزل يطأ خصيتيه حتى مات رحمه الله وذلك يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب فكانت خلافته أقل من سنة بخمسة أيام وولد في سنة تسع عشرة وقيل سنة خمس عشرة ومائتين وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد ودفن بمقبرة المنتصر بن المتوكل وكان أسمر رقيقاً أحلى حسن اللحية أشهب حسن العينين عظيم البطن عريض المنكبين قصيراً طويل اللحية يكنى أبا عبد الله قال الخطيب وكان من أحسن الخلفاء مذهباً وأجملهم طريقة وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة وإنما روى حديثاً واحداً أسنده عنه قال حدثني علي بن هاشم بن طراح عن محمد بن الحسن الفقيه عن ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس قال قال العباس يا رسول الله ما لنا في هذا الأمر قال لي النبوة ولكم الخلافة بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم وقال للعباس من أحبك نالته شفاعتي ومن أبغضك لا نالته شفاعتي وروى الخطيب أن رجلاً استعدى المهتدي على خصمه فحكم بينهما بالعدل فأنشأ الرجل يقول

حكمتموه فقضى بينكم • أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة في حكمه • ولا يبالي غبن الخاسر

فقال له المهتدي بالله أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك وأما أنا فما جلست مجلسي هذا حتى قرأت قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال فبكى الناس حوله فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم وقال بعضهم سرد المهتدي الصوم منذ ولي إلى أن قتل رحمه الله وكان يحب أن يقتدي بما سلكه عمر بن عبد العزيز الأموي في أيام خلافته من الورع والتقشف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط وقال أحمد بن سعيد الأموي كنا جلوساً بمكة وعندي جماعة ونحن نبحث في النحو وأشعار العرب إذ وقف

علينا رجال يحبون نا نشا بتول •

• اما تستحون الله يا معدن الحلم • شغلتم بذا والناس في اعظم الشغل •
• امامكم اضحى قتيلا مجدلا • وقد اصبح الاسلام مفترق الشمل •
• وانتم على الاشعار والنحو عكفا • تصيحون بالاصوات في كذا •

قال فنظرنا وارخنا ذلك اليوم فاذا المهتدي بالله قد قتل في ذلك اليوم وكان يوم الاثنين لاربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومايتين

خلافة المعتمد على الله احمد بن المتوكل على الله

بويع له بالخلافة يوم الثلثا لثلث عشرة خلت من رجب من سنة ست وخمسين ومايتين في دار الامير يارجوج وذلك قبل خلع المهتدي بالله ثم كانت بيعة العامة يوم الاثنين لثمان بقين من رجب ولعشر بقين من رجب دخل موسى بن بغا ومفلح الى سر من راى فنزل موسى في داره وسكن الناس وخمدت الفتن هنالك فاما صاحب الزنج المدعي انه علوي فهو محاصر للبصرة والجيوش الخليفتية في وجهه دونها وهو في كل وقت يقهرها ويغنم ما يفد اليهم في المراكب من الاطعمة وغيرها واستحوذ بعد ذلك على الايلة وعبادان وغيرهما من البلدان وخاف منه اهل البصرة خوفا شديدا وكلما الامر يقوى وجيوشه تكثر وعدده تتزايد ولم يزل ذلك دابه الى انسلاخها وفي هذه السنة خرج رجل اخر يقال له علي بن زيد الطالبي وجاءه جيش من جهة الخليفة فكسره الطالبي واستفحل امره بالكوفة وقويت شوكته وتفاقم امره وفيها وثب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي على نايب الاهواز الحرث بن سيما الشارباني فقتله واستحوذ على بلاد الاهواز وفي رمضان منها تغلب الحسن بن زيد الطالبي على بلاد الري فتوجه اليه موسى بن بغا في شوال من عند المعتمد وخرج لتوديعه وفيها كانت وقعة عظيمة على باب دمشق بين اماجور نايب دمشق ولم يكن معه الا قريب من اربعمائة فارس وبين ابن لعيسى بن الشيخ وهو في قريب من عشرين الفا فهزمه اماجور وجاءت من الخليفة ولاية لابن الشيخ بلاد ارمينية على ان يترك اهل الشام فقبل ذلك وانصرف عنهم وحج بالناس في هذه السنة محمد بن احمد بن عيسى بن ابي جعفر المنصور وكان في جملة الحجاج ابو احمد بن المتوكل فتعجل وعجل السير الى سامرا فدخلها ليلة الاربعا لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة

وممن توفي فيها من الاعيان

الخليفة المهتدي بالله في رجب منها كما تقدم الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي قاضي مكة وقدم بغداد وحدث بها وله كتاب النسب لقريش وكان من اعلم الناس بذلك وكتابه في ذلك حافل جدا وقد روى عنه ابن ماجه وغيره وقد وثقه الدارقطني والخطيب واثنى عليه وعلى كتابه وتوفي بمكة عن اربع وثمانين سنة في ذي القعدة من هذه السنة ودفن بمكة رح

البخاري صاحب الصحيح

وقد ذكرنا له ترجمة حافلة في اول شرحنا لصحيحه ولنذكر منها نبذة من ذلك فنقول بالله وبالله المستعان محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ويقال بذذبه الجعفي مولاهم ابو عبد الله البخاري الحافظ امام اهل الحديث في زمانه والمقتدى به في اوانه والمقدم على ساير اضرابه واقرانه وكتابه الصحيح يستسقى بقراءته الغمام واجمع على قبوله وصحة ما فيه اهل الاسلام ولد البخاري رح في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة اربع وتسعين ومائة ومات ابوه وهو صغير فنشا في حجر امه فالهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب وقرا الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل انه كان يحفظ وهو صبي سبعين الف حديث سردا وحج وعمره ثماني عشرة سنة فاقام بمكة يطلب بها الحديث ثم رحل بعد ذلك الى ساير مشايخ الحديث في البلدان التي امكنه الرحلة اليها وكتب عن اكثر من الف شيخ وروى عنه خلايق وامم وقد روى الخطيب البغدادي عن الفربري انه قال سمع الصحيح من البخاري معي نحو من تسعين الف لم يبق منهم احد غيري وقد روى البخاري من طريق الفربري كما هي رواية الناس اليوم من طريقه وحماد بن شاكر وابراهيم بن معقل وطاهر بن محمد بن مخلد واخر من حدث عنه ابو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدوي النسفي وقد توفي النسفي هذا في سنة تسع وعشرين وثلثمائة ووثقه الامير ابو نصر بن ماكولا وممن روى عن البخاري مسلم في غير الصحيح وكان مسلم يتلمذ له ويعظمه وروى عنه الترمذي في جامعه والنسائي في سننه في قول بعضهم وقد دخل بغداد ثماني مرات وفي كل منها يجتمع بالامام احمد بن حنبل فيحثه احمد على المقام ببغداد ويلومه على الاقامة بخراسان وقد كان يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوري السراج فيكتب الفايدة تمر بخاطره ثم يطفي سراجه ثم يقوم مرة اخرى حتى كان يتعدد ذلك منه قريبا من عشرين مرة وقد كان اصيب بصره وهو صغير فرات امه ابراهيم الخليل فقال يا هذه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعايك وقال ببكايك فاصبح وهو بصير وقال البخاري فكرت البارحة فاذا انا قد كتبت في مصنفاتي نحوا من مايتي الف حديث مسندة وكان يحفظها كلها ودخل مرة الى سمرقند فاجتمع باربعمائة من علماء الحديث بها فركبوا اسانيد وادخلوا اسناد الشام في اسناد العراق وخلطوا الرجال في الاسانيد وجعلوا متون الاحاديث على غير اسانيدها ثم قرؤها على البخاري فرد كل حديث الى اسناده وقوم تلك الاسانيد كلها وما تعلقوا عليه بسقطة في اسناد ولا متن وكذلك صنع ماية محدث من اهل بغداد وذكروا انه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة والاخبار عنه في هذا المعنى كثيرة وقد اثنى عليه علماء زمانه من شيوخه واقرانه فقال الامام احمد ما اخرجت خراسان مثله وقال اسحاق بن راهويه لو كان في زمن الحسن لاحتاج الناس اليه لمعرفته بالحديث وفقهه وقال ابو بكر بن ابي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير ما راينا مثله وقال علي بن المديني لم ير مثل نفسه وقال علي بن حجر لا اعلم مثله وقال محمود بن النضر بن سهل الشافعي دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورايت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على انفسهم وقال ابو علي العباس الدعولي كتب اهل بغداد الى البخاري

• المسلمون بخير ما حييت لهم • وليس بعدك خير حين تفتقد •

وقال الفلاس كل حديث لا يعرفه البخاري فليس بحديث وقال نعيم بن حماد هو فقيه

مدة الامة وكذا قال يعقوب بن ابراهيم الدورقي ومنهم من فضله في الفقه والحديث على احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وقال قتيبة بن سعيد رحل الي من شرق الارض وغربها فما رحل الي مثل محمد بن اسماعيل البخاري وقال رجا بن رجا فضل البخاري على العلما يعني في زمانه كفضل الرجال على النسا وقال هو اية من ايات الله يمشي على الارض وقال ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي محمد بن اسماعيل البخاري افقهنا واعلمنا واغوصنا واكثرنا طلبا وقال اسحاق بن راهويه هو ابصر مني وقال ابو حاتم الرازي محمد بن اسماعيل البخاري افقهنا واعلمنا واغوصنا واكثرنا اعلم من دخل العراق وقال عبيد العجلي رايت ابا حاتم وابا زرعة يجلسان اليه يستمعان ما يقول ولم يكن مسلم يبلغه وكان اعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا وكان دينا فاضلا يحسن كل شي وقال غيره رايت محمد بن يحيى الذهلي يسال البخاري عن الاسامي والكنى والعلل وهو يمر فيها كالسهم كانه يقرا قل هو الله احد وقال احمد بن حمدون القصار رايت مسلم بن الحجاج جا الى البخاري فقبل بين عينيه وقال دعني حتى اقبل رجليك يا استاذ الاستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله ثم ساله عن حديث كفارة المجلس فذكر له علته فلما فرغ قال مسلم لا يبغضك الا حاسد واشهد انه ليس في الدنيا مثلك وقال الترمذي لم ار بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد اعلم من البخاري وكنا يوما عند عبد الله بن منير فقال للبخاري جعلك الله زين هذه الامة قال الترمذي فاستجيب له فيه وقال ابن خزيمة ما رايت تحت اديم السما اعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واحفظ له من محمد بن اسماعيل البخاري ولو ذهبنا نسطر ما اثنى عليه الايمة في حفظه واتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وتبحره لطال علينا ونحن على عجل من اجل الحوادث وقد ذكرنا ذلك مبسوطا في اول شرح الصحيح والله سبحانه وتعالى هو المستعان وقد كان رح في غاية السخا والشجاعة والحيا والورع والزهد في دار الفنا والرغبة في دار البقا قال ارجوا ان القى الله وليس احد يطالبني اني اغتبته فذكر له التاريخ وما ذكر فيه من جرح وتعديل وغير ذلك فقال ليس هذا من هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ايذنوا له فبيس اخو العشيرة ونحن انما روينا ذلك رواية لم نقله من عند انفسنا وكان رح يصلي في كل ليلة ثلاث عشرة ركعة وكان يختم في كل يوم من رمضان ختمة وكانت له جدة ومال جيد ينفق منه سرا وجهرا ويكثر الصدقة بالليل والنهار سرا وعلانية وكان مستجاب الدعوة مسدد الرمية شريف النفس بعث اليه بعض السلاطين ليأتيه حتى يسمع اولاده عليه فارسل اليه في بيته يوتى الحكم يعني ان كنتم تريدون ذلك فهلموا الي وابى ان يذهب اليهم وهو خالد بن احمد الذهلي نايب الطاهرية ببخارا فبقي في نفسه الامر من ذلك فاتفق ان جاه كتاب من محمد بن يحيى الذهلي من نيسابور بان البخاري يقول ان لفظه بالقران مخلوق وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتاب افعال العباد فاراد ان يصرف الناس عن السماع من البخاري وقد كانوا يعظمونه جدا حين رجع اليهم نثروا على راسه الذهب والفضة يوم دخل بخارا عايدا الى اهله وكان له مجلس للاملا بجامعها فلم يقبلوا من الامير فامر عند ذلك بنفيه من البلد

فخرج

فخرج منها ودعا على خالد بن احمد فلم يمض شهر حتى امر ابن طاهر بان ينادى على خالد بن احمد على اتان وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات ولم يبق احد ساعده على ذلك الا ابتلي ببلا شديد ثم نزح البخاري الى بلدة يقال لها خرتنك على فرسخين من سمرقند فنزل عند اقارب له وجعل يدعو الله ان يقبضه اليه حين راى الفتن كما جا في الحديث واذا اردت بقوم فتنة فتوفنا اليك غير مفتونين ثم اتفق مرضه على اثر ذلك وكانت وفاته ليلة عيد الفطر وكانت ليلة السبت عند صلاة العشا وصلي عليه يوم … بعد الظهر من هذه السنة اعني سنة ست وخمسين ومايتين وكفن في ثلاثة اثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وفق ما اوصى به وحين دفن فاح من قبره رائحة غالية اطيب من المسك فدام ذلك اياما ثم علت سواري بيض مستطيلة بحذا قبره وكان عمره يوم مات رح ثنتين وستين سنة وقد ترك رح بعده علما نافعا لجميع المسلمين فعمله فيه لم ينقطع بل هو موصول بما اسداه من الصالحات في الحيوة وقد قال رسول الله اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الحديث رواه مسلم وشرطه في صحيحه هذا اعز من شرط كل كتاب صنف في الصحيح لا يوازيه فيه غيره لا صحيح مسلم ولا غيره وما احسن ما قال بعض الشعرا من الفصحا

صحيح البخاري لو انصفوه ... لما خط الا بما الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى ... هو السد بين الفتى والعطب
اسانيد مثل نجوم السماء ... امام متون كمثل الشهب
به قام ميزان دين الرسول ... ودان به العجم بعد العرب
حجاب من النار لا شك فيه ... يميز بين الرضى والغضب
اسانيد مثل نجوم السماء ... امام متون كمثل الشهب
وستر رقيق الى المصطفى ... ونص مبين لكشف الريب
فيا عالما اجمع العالمون ... على فضل رتبته في الرتب
سبقت الايمة فيما جمعت ... وفزت على زعمهم بالقصب
نفيت الضعيف من الناقلين ... ومن كان متهما بالكذب
وابرزت في حسن تبويبه ... وترتيبه عجبا للعجب
فاعطاك مولاك ما تشتهيه ... واجزل حظك فيها وهب

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومايتين

فيها ولى الخليفة المعتمد على الله يعقوب بن الليث بلخ وطخارستان وما يلي ذلك من كرمان وسجستان والسند وغيرها وفي صفر منها عقد المعتمد لاخيه ابي احمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن واضاف اليه في رمضان نيابة بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز وفارس واذن له ان يستنيب في ذلك وفيها تواقع سعيد الحاجب وصاحب الزنج في اراضي البصرة فهزمه سعيد واستنقذ من يده خلقا من النسا والذرية واسترجع منه اموالا جزيلة واذل الزنج غاية الاذلة ثم ان الزنج بيتوا سعيدا وجيشه فقتلوا منهم خلقا كثيرا ويقال ان سعيد بن صالح قتل ايضا ثم التقى مع منصور بن جعفر الخياط في جيش كثيف فهزمهم هذا الخارجي

المدعي انه طالبي وهو كاذب قال ابن جرير ومنها ظفر ببغداد بموضع يقال له بركة
زلزل برجل خناق قد قتل خلقا من النساء فحمل الى المعتمد فضرب بين يديه الفي سوط و
اربعمائة فلم يمت حتى ضرب الجلادون انثييه بخشب العقابين فمات ورد الى
بغداد وصلب هنالك ثم احرقت جثته وفي ليلة الرابع عشر من شوال من هذه السنة
كسف القمر وغاب اكثره وفي صبيحة هذا اليوم دخل جيش الخبيث الى البصرة قهرا فقتلوا
من اهلها خلقا كثيرا وهرب نائبها بغراج ومن معه واحرقت الزنج جامع البصرة ودورا
كثيرة وانتهبوها ثم نادى فيهم ابراهيم بن يحيى المهلبي احد اصحاب الخارجي من اراد الامان
فليحضر فاجتمع خلق كثير من اهلها فراى انه قد اصاب فرصة فغدر بهم وامر بقتلهم فلم يفلت
منهم الا الشاذ كانت الزنج تحيط بالجماعة من اهل البصرة ثم يقول بعضهم لبعض
كيلوا وهو الاشارة بينهم اذا قتل احد فيحملون عليهم بالسيوف فلا يسمع الا تشهد
اوليك وضجيجهم عند القتل فانا لله وانا اليه راجعون وهكذا يفعلون في كل محل
من محال البصرة في عدة ايام وهرب الناس منهم كل مهرب واحرقوا الكلا من الجبل
الى الجبل فحرقت النار ما وجدت من شي من انسان او بهيمة او اثاث او غير ذلك واحرقوا
المسجد الجامع ايضا وقد قتل من هولا جماعة كثيرة من الاعيان والادبا والفضلا والمحدثين
والعلما فانا لله وانا اليه راجعون وكان هذا الخبيث قد اوقع باهل فارس وقعة كثيرة
ثم بلغه ان اهل البصرة قد جاءهم من الميرة شي كثير وقد اتسعوا بعد الضيق فحسدهم
على ذلك فروى ابن جرير عن شعر يقول دعوت الله على اهل البصرة فخوطبت
فقيل لي انما اهل البصرة خبزة تاكلها من جوانبها فاذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة
فاولت ذلك انكساف القمر وقد كان هذا شايعا في اصحابه حتى وقع الامر طبق ذلك
ولا شك ان هذا كان معه شيطان يخاطبه كما كان ياتي شيطان مسيلمة الى مسيلمة
والله اعلم ولما اوقع اصحابه من الزنج وغيرهم ما اوقعوا باهل البصرة قال لمن معه
اني صبيحة ذلك اليوم دعوت الله على اهل البصرة فرفعت لي بين السما والارض
ورايت اهلها يقتلون ورايت الملائكة تقاتل مع اصحابي واني لمنصور على الناس
والملائكة تقاتل معي وتثبت جيوشي وتؤيدني في حروبي ولما صار اليه العلوية
الذين كانوا بالبصرة انتسب حينئذ الى يحيى بن زيد وهو كاذب في ذلك بالاجماع
لان يحيى بن زيد لم يعقب الا بنتا ماتت وهي ترضع فقبح الله هذا اللعين ما اكذبه
وافجره واغدره وفي مستهل ذي القعدة جهز الخليفة من سامرا جيشا كثيفا مع الامير
محمد المعروف بالمولد لقتال صاحب الزنج فقبض في طريقه على سعيد بن احمد الباهلي
الذي كان قد تغلب على ارض البطائح واخاف السبل وفيها اخاف محمد بن واصل السلطان
بارض فارس وتغلب عليها وفيها وثب رجل من الروم يقال له بسيل الصقلبي على ملك
الروم ميخائيل بن توفيل فقتله واستحوذ على مملكة الروم وقد كان لميخائيل في الملك
في ملك الروم اربعا وعشرين سنة وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن اسحاق
بن اسماعيل بن العباس بن محمد بن علي وممن توفي فيها من الاعيان الحسن بن عرفة بن
يزيد صاحب الجزء المشهور المروي وقد جاوز المائة بعشر سنين وقيل بسبع وكان له عشرة
من الولد سماهم باسماء العشرة رضي الله عنهم وقد وثقه يحيى بن معين وغيره وكان يتردد

الى الامام احمد وكان مولده في سنة خمسين ومائة وتوفي في هذه السنة عن مائة
وسبع سنين وزيد بن اخزم الطائي والرياشي قتلهما الزنج في جملة من قتلوا من اهل
البصرة كما تقدم فضحهم فقبحهم الله وما قتلوا من المسلمين رحمهم الله وعلي بن خشرم
وابو سعيد الاشج احد مشايخ الذي يكثر عنهم والعباس بن الفرج ابو الفضل الرياشي
النحوي اللغوي كان عالما بايام العرب والسير كثير الاطلاع روى عن الاصمعي وابي
عبيدة وغيرهما وعنه ابراهيم الحربي وابو بكر بن ابي الدنيا وغيرهما قتل الرياشي في هذه
السنة بالبصرة قتلته الزنج فيمن قتلوا ذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات
وحكى عنه الاصمعي انه قال مر بنا اعرابي ينشد ابنه فقلنا له صفه لنا فقال
كانه دنينير فقلنا لم نره فلم نلبث ان جاء بحمله على عنقه اسيد كانه جعل فقلنا
لو سالتنا عن هذا لارشدناك الى ابنك منذ اليوم ها هنا يلعب مع الغلمان
ثم انشد الاصمعي

نعم ضجيع الفتى اذا برد الليل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله في الفواد كما زين في عين والد ولد

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

في يوم الاثنين لعشر بقين من ربيع الاول عقد الخليفة المعتمد على الله لاخيه
ابي احمد على ديار مصر وقنسرين والعواصم وجلس يوم الخميس مستهل ربيع الاخر
فخلع على اخيه وعلى مفلح وركبا نحو البصرة في جيش كثيف عدده وعدد فاقتتلوا
قتالا شديدا فقتل مفلح للنصف من جمادى الاولى اصابه سهم بلا نصل في صدره
فاصبح ميتا وحملت جثته الى سامرا ودفن بها وفيها اسر يحيى بن محمد البحراني
احد امرا صاحب الزنج الكبار وحمل الى سامرا فضرب بين يدي المعتمد مايتي سوط
ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف ثم خط بالسيوف ثم ذبح ثم احرق وكان الذي
اسره جيش ابي احمد في وقعة هايلة مع الزنج قبحهم الله ولما بلغ خبره صاحب الزنج
اسف على ذلك ثم قال لقد خوطبت فيه فقيل لي قتله كان خيرا لك لانه كان
شرها يخفي من المغانم خيارها وقد كان هذا اللعين اعني صاحب الزنج المدعي لغير
ابيه يقول لقد عرضت علي النبوة فخفت ان لا اقوم باعبائها فلم اقبلها وفي
ربيع الاخر وصل سعيد بن احمد الباهلي الى باب السلطان فضرب سبعماية سوط
حتى مات ثم صلب وفيها قتل قاض واربعة وعشرون رجلا من اصحاب صاحب
الزنج عند باب العامة بسامرا وفيها رجع محمد بن واصل الى طاعة السلطان
وحمل خراج فارس وتمهدت الامور هنالك واستقلت على السواد وفي اخر رجب
كانت بين ابي احمد وبين الزنج وقعة هايلة قتل فيها خلق من الفريقين ثم استوخم
ابو احمد منزله فتحول الى واسط فنزلها فاول شعبان فوقعت هنالك زلزلة
شديدة وهدة عظيمة تهدمت بسبب ذلك دور كثيرة ومات من الناس نحو من
عشرين الفا وفي هذه السنة وقع وباء شديد في الناس ببغداد وسامرا وواسط
وغيرها من البلاد وحصل للناس ببغداد داء يقال له القفاع فانا لله وانا اليه

وراجعون وفي يوم الخميس لسبع خلون من رمضان احد رجل من باب العامة بسامرا ذكر
عنه انه يشتم السلف فضرب الف سوط حتى مات وفي يوم الجمعة ثامنه توفي الامير
ابو احمد فصلى عليه اخو الخليفة ابو عيسى وحضره جعفر بن المعتمد على الله وفيها
كانت وقعة هائلة بين موسى بن بغا وبين اصحاب الحسن بن زيد ببلاد خراسان فهزمهم
موسى بن بغا هزيمة فظيعة وفيها كانت وقعة هائلة بين مسرور البلخي وبين
مساور الخارجي فاسر مسرور من اصحابه جماعة كثيرة وحج بالناس الفضل بن اسحاق
المتقدم وممن توفي فيها من الاعيان احمد بن سويد واحمد بن حفص واحمد بن سنان
القطان واحمد بن الفرات وحميد بن الربيع ومحمد بن سنجر صاحب المسند ومحمد
بن يحيى الذهلي ويحيى بن معاذ الرازي

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين ٥

في يوم الجمعة لاربع بقين من ربيع الاخر رجع ابو احمد بن المتوكل من واسط الى سامرا
وقد استخلف على حرب الخبيث صاحب الزنج الملقب بالمولد وكان شجاعا شهما
وفيها بعث الخليفة الى كنجور نائب الكوفة جماعة من القواد فذبحوه واخذوا
ما كان معه من المال فاذا هو اربعون الف دينار وفيها تغلب رجل جمال يقال
له شركب على مدينة مرو وما يليها من كان معه من اتباعه ونفى قرارها مناكيد لثلاث
عشرة بقيت من ذي القعدة توجه موسى بن بغا الكبير من سامرا الى حرب الخبيث
وخرج الخليفة المعتمد لتوديعه وخلع عليه عند مفارقته وخرج عبد الرحمن
بن مفلح الى بلاد الاهواز نائبا عليها ليكون عونا لموسى بن بغا على حرب صاحب الزنج
الخبيث لعنه الله فهزم عبد الرحمن بن مفلح جيشا للخبيث وقتل من الزنج خلقا
كثيرا واسر طائفة كثيرة منهم وارعبهم ارعابا بليغا بحيث لم يتجاسروا على مواقفته
مرة ثانية وقد حرضهم الخبيث كل التحريض فلم ينجع فيهم ثم تواقع عبد الرحمن بن
مفلح وعلي بن ابان المهلبي وهو مقدم جيوش صاحب الزنج فجرت بينهما حروب
يطول شرحها ثم كانت الدائرة على الزنج ولله الحمد والمنة فرجع علي بن ابان الى
الخبيث مغلوبا مقهورا مذموما مدحورا وبعث عبد الرحمن بن مفلح بالاسارى
الى سامرا فبادر اليهم العامة فقتلوا اكثرهم وسلبوهم وفيها دخل ملك الروم
لعنه الله بلاد شميساط ثم الى ملطية فقاتله اهلها فهزموه وقتلوا بطريق
البطارقة الذي كان معه ورجع الى بلاده خاسئا وهو حسير وفيها دخل يعقوب
بن الليث الى نيسابور فظفر بالخارجي الذي كان يراه ينتحل الخلافة منذ ثلاثين
سنة فقتله وحمل راسه على رمح وطيف به في الافاق والاقاليم ومعه رقعة فيها
مكتوب ذلك وحج بالناس في هذه السنة ابراهيم بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن
سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وممن توفي فيها من الاعيان ابراهيم بن يعقوب
ابو اسحاق الجوزجاني خطيب دمشق له المصنفات المفيدة منها المترجم فيه
علوم غزيرة وفوايد كثيرة واحمد بن اسماعيل السهمي وحجاج بن يوسف الشاعر
ومحمود بن ادم

سنة ستين من الهجرة

فيها وقع غلاء عظيم ببلاد المسلمين كلها حتى اجلى اكثر اهل البلدان منها يسعون غيرها
لم يبق بمكة احد من المجاورين وممن يشبههم حتى ارتحلوا الى المدينة وغيرها من البلاد وخرج
نايب مكة منها وبلغ كر الشعير ببغداد ماية وعشرين دينارا واستمر ذلك وفيها قتل صاحب
الزنج المتغلب على البصرة لعلي بن زيد صاحب الكوفة وفيها اخذت الروم من المسلمين
حصن لولوة وحج بالناس ابراهيم بن محمد بن اسماعيل المذكور قبلها وممن توفي فيها من
الاعيان الحسن بن محمد الزعفراني وعبد الرحمن بن بشر ومالك بن طوق الذي تنسب
اليه رحبة مالك بن طوق وحنين بن اسحاق العبادي الطبيب المشهور الذي عرب ٢
كتاب اقليدس وحرره بعده ثابت بن قرة وعرب حنين كتاب المجسطي ايضا وغير ذلك
من كتب الطب من لغة اليونان الى لغة العرب وكان المامون شديد الاعتنا بذلك
جدا وكذلك جعفر البرمكي قبله ولحنين مصنفات كثيرة في الطب واليه تنسب
مسايل حنين وكان بارعا في فنه جيدا وكانت وفاته يوم الثلثا لست خلون من
صفر من هذه السنة قاله ابن خلكان

ثم دخلت سنة احدى وستين ومائتين ٥

فيها انصرف الحسن بن زيد من بلاد الديلم الى طبرستان واحرق مدينة شالوس
لممالاتهم يعقوب بن الليث عليه وفيها قتل مساور الخارجي ليحيى بن جعفر الذي
كان يلي طريق خراسان في جمادى الاخرة فشخص اليه مسرور البلخي ثم تبعه ابو احمد
بن المتوكل فتنحى مساور فلم يلحق وفيها كانت وقعة بين ابن واصل الذي تغلب
على فارس وبين عبد الرحمن بن مفلح فكسره ابن واصل واسره وقتل طاشتمر واصطلم
الجيش الذي كان معهما فلم يفلت منهم الا اليسير ثم سار ابن واصل الى واسط يريد
حرب موسى بن بغا فرجع موسى بن بغا الى باب السلطان ان يعفى من نيابة بلاد المشرق
لما راى من كثرة المتغلبين بها فعزل عنها وولي ذلك ابو احمد اخو الخليفة المعتمد
وسار ابو الساج لحرب الزنج فاقتتلوا قتالا شديدا فكسرتهم الزنج ودخلوا الاهواز
فقتلوا خلقا كثيرا من اهلها واحرقوا منازلهم ثم صرف ابو الساج عن نيابة الاهواز
وحرب الزنج وولي ذلك ابراهيم بن سيما وتجهز مسرور البلخي في جيش لقتال الزنج ايضا
وفيها ولي نصر بن احمد بن اسد الساماني ما وراء نهر بلخ وكتب اليه بذلك في شهر
رمضان وفي شوال من هذه السنة قصد يعقوب بن الليث الى ابن واصل فالتقيا
في ذي القعدة فهزمه يعقوب بعد قتل عسكره واسر خاله وطائفة من حرمه واخذ
من امواله قيمة اربعين الف الف درهم وقتل من كان يمالئه وينصره من اهل
تلك البلاد واطد تلك النواحي جزاه الله خيرا ولاثنتي عشرة ليلة خلت
من شوال من هذه السنة ولى المعتمد على الله ولده جعفر العهد من بعده وسماه المفوض
الى الله وولاه المغرب وضم اليه موسى بن بغا وولاه افريقية ومصر والشام والجزيرة
والموصل وارمينية وطريق خراسان وغير ذلك وجعل الامر من بعد جعفر الى اخيه
احمد بن المتوكل ولقبه الموفق بالله وولاه المشرق وضم اليه مسرورا البلخي وولاه
بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكسكر وكور دجلة والاهواز
وفارس واصبهان وقم والكرج والدينور والري وزنجان والسند وكتب بذلك كتابين

وزينت في الآفاق وعلقت فيها سنة خمس بالكعبة المعظمة وحج بالناس فيها الفضل بن
اسحاق وممن توفي فيها من الاعيان احمد بن سليمان الرهاوي واحمد بن عبد الله العجلي
والحسن بن ابي الشوارب بمكة وداود بن سليمان الجعفري وشعيب بن ايوب وعبد
الله بن الواثق اخو المهتدي بالله وابو شعيب السوسي وابو يزيد البسطامي احد ائمة
الصوفية وعلي بن اشكاب واخوه محمد ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح رحمهم الله تعالى

وهذا ذكر شيء من اخبار مسلم بن الحجاج

على سبيل الاختصار رحمه الله واكرم مثواه

مسلم بن الحجاج بن مسلم ابو الحسين القشيري النيسابوري احد الائمة من حفاظ الحديث
صاحب الصحيح الذي هو تلو الصحيح للبخاري عند اكثر العلماء وذهب المغاربة وابو
علي النيسابوري شيخ الحاكم النيسابوري من المشارقة الى تفضيل صحيح البخاري على
صحيح مسلم فان ارادوا انه افضل لعدم كونه ليس فيه شيء من التعليقات الا
القليل وانه يسوق الاحاديث بتمامها في موضع واحد ولا يقطعها كتقطيع البخاري
لها في الابواب فهذا القدر لا يوازي قوة اسانيد البخاري واختياره في الصحيح
ما اورده في جامعه معاصرة الراوي لشيخه وسماعه منه في الجملة فان مسلما لا يشترط
في كتابه الشرط الثاني كما هو مقرر في علوم الحديث وقد بسطنا ذلك في اول شرح البخاري
ولله الحمد والمنة في ترجمة الامام البخاري رحمه الله والمقصود الآن ان مسلما دخل الى العراق
والحجاز والشام ومصر وسمع من جماعة كثيرين قد اوردهم شيخنا الحافظ المزي في
تهذيبه مرتبين على حروف المعجم وروى عنه جماعة كثيرون منهم الترمذي في جامعه
حديثا واحدا وهو حديث محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احصوا هلال شعبان لرمضان وصالح بن محمد جزرة وعبد الرحمن بن
ابي حاتم وابن خزيمة وابن صاعد وابو عوانة الاسفرايني وقال الخطيب البغدادي
اخبرني محمد بن احمد بن يعقوب انا محمد بن نعيم الضبي انا ابو الفضل محمد بن ابراهيم
سمعت احمد بن سلمة يقول رأيت ابا زرعة وابا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة
الصحيح على مشايخ عصرهما واخبرني ابن يعقوب انا محمد بن نعيم سمعت الحسين بن
محمد الماسرجسي يقول سمعت ابي يقول سمعت مسلم بن الحجاج يقول صنفت هذا المسند
الصحيح من ثلثمائة الف حديث مسموعة وروى الخطيب قال حدثني ابو القسم
عبيد الله بن احمد بن علي السودرجاني باصبهان سمعت محمد بن اسحاق بن منده سمعت
ابا علي الحسين بن علي النيسابوري يقول ما تحت اديم السماء اصح من كتاب مسلم بن
الحجاج في علم الحديث وقد ذكر مسلم عند اسحاق بن راهويه فقال بالعجمية
ما معناه اي رجل كان هذا وقال اسحاق بن منصور لمسلم لن نعدم الخير ما ابقاك
الله للمسلمين وقد اثنى عليه جماعة من علماء اهل الحديث وغيرهم وقال ابو عبد الله
محمد بن يعقوب الاخرم قلما يفوت البخاري ومسلما مما ثبت في الحديث وروى
الخطيب عن ابي عمرو محمد بن احمد بن حمدان الحيري قال سألت ابا العباس احمد بن سعيد
بن عقدة الحافظ عن البخاري ومسلم ايهما اعلم فقال كان البخاري عالما ومسلم عالما
فكررت ذلك مرارا وهو يرد علي هذا الجواب ثم قال لي يا ابا عمرو قد يقع للبخاري الغلط

في اهل

في اهل الشام وذلك انه اخذ كتبهم فنظر فيها فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ويذكره في موضع
آخر باسمه ويظن انهما اثنان فاما مسلم فقلما يقع له الغلط لانه كتب المقاطيع والمراسيل
قال الخطيب انما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه ولما ورد البخاري نيسابور
في آخر امره لازمه مسلم وادام الاختلاف اليه وقد حدثني عبيد الله بن احمد بن عثمان الصيرفي
قال سمعت ابا الحسن الدارقطني يقول لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء قال
الخطيب واخبرني ابو بكر المنكدري ثنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثني ابو نصر بن محمد الوراق
سمعت ابا حامد احمد بن حمدان القصار سمعت مسلم بن الحجاج وجاء الى محمد بن اسماعيل
البخاري فقبل بين عينيه وقال دعني حتى اقبل رجليك يا استاذ الاستاذين وسيد
المحدثين وطبيب الحديث في علله حدثك محمد بن سلام ثنا مخلد بن يزيد
الحراني انا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم في كفارة المجلس فما علته فقال البخاري هذا حديث مليح ولا اعلم في الدنيا
في هذا الباب غير هذا الحديث الا انه معلول حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا وهيب عن سهيل
عن عون بن عبد الله قوله قال البخاري وهذا اولى فانه لا يعرف لموسى بن عقبة سماع من
سهيل قلت وقد افردت لهذا الحديث جزءا على حدة واوردت فيه طرقه والفاظه ومتنه
وعلله ولله الحمد والمنة قال الخطيب وقد كان مسلم يناضل عن البخاري رحمهما الله
ثم ذكر ما كان وقع بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور
وكيف بودي على البخاري بسبب ذلك في نيسابور وان الذهلي قال يوما لاهل مجلسه
وفيهم مسلم بن الحجاج الا من كان يقول بقول البخاري في مسألة اللفظ فليعتزل مجلسنا
فنهض مسلم من فوره الى منزله وجمع ما كان سمعه من الذهلي جميعه وارسل به اليه وترك الرواية
عن الذهلي بالكلية فلم يرو عنه شيئا لا في صحيحه ولا في غيره واستحكمت الوحشة بينهما
هذا ولم يترك البخاري بل يروي عنه في صحيحه وغيره وعذره رحمه الله وقد ذكر الخطيب
سبب موت مسلم رحمه الله انه عقد له مجلس للمذاكرة فسئل يوما عن حديث لم يعرفه فانصرف
الى منزله واوقد السراج وقال لاهل الدار لا يدخل احد الليلة علي وقد اهديت له سلة
من تمر فهي عنده يأكل منها تمرة ويكشف حديثا ثم يأكل اخرى ويكشف آخر ولم يزل
ذلك دأبه حتى اصبح وقد اكل تلك السلة وهو لا يشعر فحصل له بسبب ذلك ثقل ومرض
من ذلك حتى كانت وفاته عشية يوم الاحد ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة
احدى وستين ومائتين وذلك بنيسابور وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعي
سنة اربع ومائتين فكان عمره سبعا وخمسين سنة رحمه الله ابو يزيد البسطامي طيفور بن
عيسى بن آدم بن عيسى بن علي احد مشايخ الصوفية وكان جده مجوسيا فاسلم وكان لابي يزيد
اخوان صالحان عابدان وهو اجلهما وقد قيل له بأي شيء وصلت الى هذه المعرفة فقال
ببطن جائع وبدن عار وكان يقول دعوت نفسي الى الطاعة فلم تجبني فمنعتها الماء سنة
وقال ايضا اذا نظرتم الى الرجل اعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى
تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود واداء الشريعة قال القاضي
ابن خلكان وله مقامات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة وكانت وفاته
سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله قلت قد حكي عنه كلمات فيها شطح وقد تكلم كثير من العلماء

من الصوفية والفقهاء عليها لمن تناول على المحامل البعيدة وقابل أنه قال في حال الاصطلام والسكر ومن مبدع ومخطئ والله أعلم

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

فيها قدم يعقوب بن الليث في جحافل فدخل واسط فخرج إليه المعتمد من سامرا لقتاله فنزل سط بين بغداد وواسط فانتدب له أبو أحمد الموفق بالله أخو الخليفة في جيش على ميمنته موسى بن بغا وعلى ميسرته مسرور البلخي فاقتتلوا في رجب من هذه السنة أياما قتالا عظيما هائلا ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه وذلك يوم عيد الشعانين فقتل منهم خلق كثير وغنم منهم أبو أحمد شيئا كثيرا من الذهب والفضة والمسك والدواب ويقال إنهم وجدوا في جيش يعقوب هذا رايات عليها صلبان ثم انصرف المعتمد إلى المدائن وولى محمد بن طاهر إلى نيابة بغداد وأمر له بخمسمائة ألف درهم وفيها غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس وهرب ابن واصل منها وفيها كانت حروب كثيرة بين صاحب الزنج وجيش الخليفة وفيها ولي القضاء علي بن محمد بن أبي الشوارب وفيها جمع للقاضي إسماعيل بن إسحاق قضاء جانبي بغداد وحج بالناس الفضل بن إسحاق العباسي قال ابن جرير وفيها وقع بين الخياطين والجزارين بمكة فاقتتلوا يوم التروية وقبلها بيوم فقتل منهم سبعة عشر نفسا وخاف الناس أن يفوتهم الحج بسببهم ثم توادعوا إلى ما بعد الحج وممن توفي فيها من الأعيان صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها وعمر بن شبة النميري ومحمد بن عاصم ويعقوب بن شيبة صاحب المسند الحافل المشهور

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

فيها جرت حروب كثيرة منتشرة في بلدان شتى من ذلك مقتلة عظيمة في الزنج فنجم الله حصرهم في بعض المواقف بعض الأمراء من جهة الخليفة فقتل الموجود من عنده عن آخرهم ولله الحمد والمنة وفيها سلمت الصقالبة حصن لؤلؤة إلى طاغية الروم لعنه الله وفيها تغلب أخو شركب الجمال على نيسابور وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر وأخذ من أهلها ثلث أموالهم مصادرة فقبحه الله وممن توفي فيها من الأعيان مساور بن عبد الحميد الشاري الخارجي وقد كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين وقد اتبعه خلق من الأعراب وغيرهم وطالت مدته حتى قصمه الله ووزير الخلافة عبيد الله بن يحيى بن خاقان صدمه في الميدان خادم يقال له رشيق فسقط عن دابته على أم رأسه فخرج دماغه من أذنيه وأنفه فمات بعد ثلاث ساعات وصلى عليه أبو أحمد الموفق بن المتوكل ومشى في جنازته وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من ذي القعدة من هذه السنة واستوزر المعتمد الحسن بن مخلد فلما قدم موسى بن بغا سامرا عزله واستوزر مكانه سليمان بن وهب وسلمت دار عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المعروف بكيغلغ وأحمد بن الأزهر والحسن بن أبي الربيع ومعاوية بن صالح الأشعري

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

في المحرم منها عسكر أبو أحمد وموسى بن بغا بسامرا وخرجا منها لليلتين مضتا من صفر من هذه السنة وخرج المعتمد ليودعهما وسارا فلما صارا إلى بغداد توفي الأمير موسى ابن بغا بها وحمل إلى سامرا ودفن بها وفيها ولي المولد واسطا فحاربه سليمان بن جامع نائبها من جهة الخبيث صاحب الزنج فهزمه محمد المولد بعد حروب طويلة بينهما وفيها سار ابن الديراني إلى مدينة الدينور فاجتمع عليه دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف وابن عياض فهزماه ونهبا أمواله ورجع مغلولا ولما توفي موسى بن بغا عزل الخليفة المعتمد الوزير الذي كان من جهته وهو سليمان بن وهب وحبسه مقيدا وأمر بنهب دوره ودور أقربائه وولى الحسن بن مخلد إلى الوزارة فبلغ ذلك أبا أحمد وهو ببغداد فسار بمن معه إلى سامرا فتحصن منه أخوه المعتمد بجانبها الغربي فلما كان يوم التروية عبر جيش أبي أحمد إلى الجانب الذي فيه المعتمد فلم يكن بينهم قتال بل اصطلحوا على رد سليمان بن وهب إلى الوزارة وهرب الحسن بن مخلد فنهبت أمواله وحواصله واختفى أبو عيسى بن المتوكل ثم ظهر وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل خوفا من أبي أحمد وحج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي وممن توفي فيها من الأعيان أحمد بن عبد الرحمن بن وهب وإسماعيل بن يحيى المزني أحد رواة الجديد عن الشافعي من أهل مصر وقد ترجمناه في طبقات الشافعية وترجمه ابن خلكان في الوفيات أيضا فأحسن وأطنب وأطيب وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي أحد الحفاظ المشهورين قيل إنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث وكان فقيها ورعا زاهدا عابدا خاشعا متواضعا أثنى عليه أهل زمانه وشهدوا له بالتقدم على أقرانه وكان في حال شبيبته إذا اجتمع بأحمد بن حنبل للمذاكرة يقتصر أحمد على الصلوات المكتوبات ولا يفعل المندوبات اكتفاء بالمذاكرة عن ذلك وكانت وفاته في يوم الاثنين سلخ ذي الحجة من هذه السنة وكان مولده سنة مائتين وقيل سنة تسعين ومائة وقد ذكرنا ترجمته مبسوطة في التكميل ومحمد بن إسماعيل بن علية قاضي دمشق ويونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري ممن روى عن الشافعي أيضا وقد ذكرناه في التكميل وفي الطبقات وقبيحة أم المعتز إحدى حظايا المتوكل على الله جمعت من الجواهر واللآلئ والذهب والمصاغ ما لم يجمع لمثلها ثم سلبت ذلك كله وقتل ولدها المعتز وشحت عليه بخمسين ألف دينار يداري بها عنه وكانت وفاتها في ربيع الأول من هذه السنة

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

فيها كانت وقعة بين ابن ليثويه عامل أبي أحمد على جسلا وبين سليمان بن جامع فظفر فيها ابن ليثويه بابن جامع الذي من جهة الخبيث صاحب الزنج فقتل خلقا من أصحابه وأصاب منهم سبعة وأربعين أميرا وحرق لهم مراكب كثيرة وغنم منه أموالا جزيلة ولله الحمد والمنة وفي المحرم من هذه السنة حاصر أحمد بن طولون نائب الديار المصرية مدينة أنطاكية وفيها سيما الطويل فلم يزل حتى افتتحها بعد حروب يطول ذكرها وقتل سيما المذكور وأقام بها حتى جاءته هدايا ملك الروم وفيها جماعة أسارى من المسلمين مع كل أسير مصحف منهم عبد الله بن رشيد بن كاوس الذي كان عامل الثغور فاجتمع لأحمد بن طولون ملك الشام بكماله مع الديار المصرية لأنه لما مات نائب دمشق أماجور ركب ابن طولون من مصر فتلقاه ابن أماجور إلى الرملة فأقره عليها وسار إلى دمشق فدخلها

ثم الى حمص فتسلمها ثم الى حماه فملكها ثم الى حلب فاستحوذ عليها ثم ركب الى انطاكية
فكان من امره ما سنذكره وكان احمد بن طولون قد استخلف على الديار المصرية ابنه
العباس فلما بلغه قدوم ابيه عليه ما كان في نيته لما امن الحواصل وسار في جماعة الى
ذلك فصار والى برقة خارجا عن طاعة ابيه فبعث اليه من اخذه ذليلا حقيرا ورده
الى مصر فحبسه وقتل جماعة من اصحابه وفيها تواثب رجل يقال له القسم بن مهاة على
دلف بن عبد العزيز بن دلف بن ابى دلف العجلى فقتله واستحوذ على اصبهان فانتصر
اصحاب دلف له فقتلوا القاسم هذا وراسوا عليهم احمد بن عبد العزيز وفيها لحق
محمد المولد بيعقوب بن الليث فصار اليه في المحرم منها فامر السلطان بنهب
امواله وحواصله واملاكه وضياعه وفيها دخل صاحب الزنج الى النعمانية فقتل
وحرق ثم صار الى جرجرايا فانزعج الناس ودخل اهل السواد في بغداد فلجاوا اليها
محصورين وفيها ولى ابو احمد عمرو بن الليث خراسان وفارس واصبهان وسجستان
وكرمان والسند ووجدوا اليها بذلك وبالخلع والتحف وفيها حاصرت الزنج تستر
حتى كادوا يفتتحونها فوافاهم تكين البخارى فلم يضع ثياب سفره حتى ناجز الزنج
فهزمهم هزيمة فظيعة منكرة جدا وقتل منهم خلقا لا يحصون كثرة وهرب اميرهم على ابن
ابان المهلبى مخذولا ومدحورا قال ابن جرير ومن بعده وقعة ما دمون المشهورة
ثم ان على بن ابان المهلبى اخذ في مكاتبة تكين واستماله الى ناحيته والى صاحب الزنج فشرع تكين
في الاجابة الى ذلك فبلغ ذلك مسرورا البلخى فسار نحوه واظهر له الامان حتى اخذه
فقيده وتفرق جيشه عنه ففرقة صارت الى الزنج وفرقة الى محمد بن عبيد الله
الكردى وفرقة انضافت الى مسرور البلخى بعدما اعطاهم الامان وولى مكانه
على عمالته اميرا اخر يقال له اغرتمش وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن اسحاق بن موسى
بن عيسى العباسى

وممن توفى فيها من الاعيان

احمد بن منصور الرمادى راوية عبد الرزاق وقد صحب الامام احمد وكان يعد من الابدال
عن ثلث وثمانين سنة وسعدان بن نصر وعبد الله بن محمد المخرمى وعلى بن حرب الطائى
الموصلى وابو حفص النيسابورى على بن موفق الزاهد ومحمد بن سحنون قال
ابن الاثير في كامله وفيها قتل ابو حفص الفضل العباس بن الفرج الرياشى صاحب
ابى عبيدة والاصمعى قتلته الزنج بالبصرة ويعقوب بن الليث الصفار احد
الملوك العقلاء الابطال فتح بلادا كثيرة من ذلك بلد الرخج التى كان بها ملك
يجلس في سرير من ذهب على رؤس اثنى عشر رجلا وكان له بيت في راس جبل عال سماه
مكة لما زال الحق فقتله واخذ بلده واسلم اهلها على يديه ولكن كان قد خرج عن طاعة
الخليفة وقاتله ابو احمد الموفق كما تقدم ثم مات واوا اخاه عمرو بن الليث فكان
يليه اخوه يعقوب مع شرطة بغداد وسامرا كما سياتى

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

في صفر منها تغلب اساتكين على بلد الرى واخرج عاملها منها ثم مضى الى قزوين فصالحه
اهلها فدخلها فاخذ منها اموالا جزيلة ثم عاد الى الرى فمانعه اهلها عن الدخول

اليها فقاتلهم ودخلها قهرا وفيها ولى عمرو بن الليث شرطة بغداد وسامرا لعبيد
الله بن طاهر وبعث اليه ابو احمد بالخلعة وخلع عليه عمرو بن الليث ايضا واهدى اليه
عمودين من ذهب وذلك مضافا الى ما كان لاخيه يليه من البلدان وفيها سار اغرتمش
لقتال على بن ابان المهلبى واجتاز بتستر فاخذ من كان في السجن من اصحاب على بن ابان
المهلبى من الامرا فقتلهم عن اخرهم ثم سار الى على بن ابان فاقتتلا قتالا شديدا في مرات
عديدة كانت اخرها لعلى بن ابان المهلبى فقتل خلقا من اصحاب اغرتمش واسر بعضهم
فقتلهم وبعث برؤسهم الى الخبيث صاحب الزنج فنصب رؤسهم على سور مدينته قبحه
الله وفيها وثب اهل حمص على عاملهم عيسى الكرخى فقتلوه في شوال منها وفيها دعا الحسن
بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسين الاصغر العقيقى اهل طبرستان الى نفسه واظهر لهم
ان الحسن بن زيد قد اسر ولم يبق من يقوم بهذا الامر غيره فبايعوه فلما بلغ ذلك الحسن
بن زيد قصده فقاتله فقتله وانتهبوا الذين اتبعوه وحرقه دورهم وفيها وقعت فتنة
بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية وتغلب عليها رجل من اهل البيت من سلالة
الحسن بن زيد الذى تغلب على طبرستان وجرت شرور كثيرة هنالك بسبب قتل الجعفرية
والعلوية يطول ذكرها وفيها وثب طايفة من الاعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها وصار
بعضها الى صاحب الزنج واصاب الحجيج منهم شدة عظيمة وبلاء شديد وفيها اغارت
الروم ايضا على ديار ربيعة وفيها دخل ابن ابى الساج مكة فقاتله المخزومى فقهره ابن
ابى الساج وحرق داره واستباح ما له وذلك يوم التروية من هذه السنة وقد جعل
الى ابن ابى الساج امرة الحرمين من جهة الخليفة وحج بالناس في هذه السنة هارون
بن محمد المتقدم ذكره فيما قبلها وفي هذه السنة عمل محمد بن عبد الرحمن الداخل خليفة
الاندلس وبلاد المغرب مراكب في نهر قرطبة ليدخل بها الى البحر المحيط فتكسرت وتقطعت
ولم ينج من اهلها الا اليسير وغرق اكثرهم وفيها التقى اسطول المسلمين واسطول
الروم ببلاد صقلية فاقتتلوا فقتل من المسلمين خلق كثير فانا لله وانا اليه راجعون
وفيها حارب لؤلؤ غلام احمد بن طولون لموسى بن اتامش فكسر جيشه واسره لؤلؤ وبعث
به مولاه الى احمد بن طولون نايب الشام ومصر وافريقية من جهة الخلافة ثم
اقتتل لؤلؤ هذا وطايفة من الروم فقتل من العدو خلقا كثيرا قال ابن الاثير
وفيها اشتد الحال وضاق الناس ذرعا بكثرة الهيج وتغلب المتغلبين على كثير
من البلاد بسبب ضعف الخليفة المعتمد على الله واشتغال اخيه ابى احمد بقتال
الزنج قال وفيها اشتد الحر في تشرين الثانى جدا ثم قوى به البرد حتى جمد الماء
وممن توفى فيها من الاعيان ابراهيم بن ارومه وصالح بن الامام احمد قاضى اصبهان ومحمد
بن شجاع البلخى احد اصحاب الجهمية ومحمد بن عبد الرحمن الملك الدقيقى

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

فيها وجد ابو احمد الموفق ولده ابا العباس في نحو من عشرة الاف فارس وراجل في احسن
هيئة واكمل تجمل لقتال الزنج فساروا نحوهم فكان بينهم من القتال والنزال ما اوقات
متعددات ووقعات مشهورات ما يطول بسطه وقد استقصاه الامام ابو جعفر
بن جرير رحمه الله في تاريخه مبسوطا وحاصل ذلك انه آل الحال الى ان انتهت الحرب والجلاد والنزال

الى ان استعوذ ابو العباس بن الموفق على ما كان استولى عليه الزنج ببلاد واسط واراضي
دجلة هذا وهو شاب حدث لا خبرة له بالحرب ولكن سلمه الله وغنمه ولعل ذلك لسداد
نيته واجابة دعوته وفتح على يديه واستنقذ نعم عليه وهذا الشاب هو الذي ولي
الخلافة بعد عمه المعتمد ولقب بالمعتضد كما سيأتي ثم ركب ابو احمد الموفق ناصر
دين الله من بغداد في صفر من هذه السنة في جيوش كثيفة فدخل واسط في ربيع الاول
منها فتلقاه ابنه فاخبره عن الجيش الذين معه وما تحملوا من اعباء الجهاد فخلع عليه وعلى
الامراء كلهم خلعا سنية ثم سار بجميع الجيوش الى صاحب الزنج وهو بالمدينة التي انشاها
وسماها المنيعة فقاتلوا دونها قتالا عظيما فقهرهم ودخلها عنوة وهربوا منها فبعث
في آثارهم فلحقوهم الى البطائح يقتلون ويأسرون وغنم ابو احمد من المدينة شيئا كثيرا
واستنقذ من النساء المسلمات خمسة آلاف امرأة وامر بارسالهن الى اهاليهن بواسط
ثم امر بهدم سور البلد وطم خندقها وجعلها بلقعا بعد ما كانت للشر مجمعا وعادت
يبابا بعد ما كانت للخبيث جنابا ثم سار الموفق الى المدينة التي يقال لها المنصورة
من انشاء الزنج ايضا وبها سليمان بن جامع فحاصرها وقاتلوه دونها فقتل خلق كثير
من الفريقين ورمي ابو العباس بن الموفق احمد بن مهدي بسهم فاصابه في دماغه فقتله
وكان من كبار امراء صاحب الزنج فشق ذلك عليه جدا واصبح الناس محاصرين مدينة
الزنج وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر والجيوش الموفقية مرتبة
احسن الترتيب فتقدم الموفق فصلى اربع ركعات وابتهل الى الله في الدعاء واجتهد
في حصارها فهزم الله مقاتلتها وانتهى الى خندقها فاذا هو قد حصن غاية التحصين
واذا قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق وخمسة اسوار فجعل كلما جاوز سورا قاتلوه
دون الآخر فيقهرهم ويحوزه الى الذي يليه حتى انتهى الى البلد فقتل منهم خلقا كثيرا وهرب
بقيتهم واسر من نساء الزنج ومن حلائل سليمان بن جامع وذويه نساء كثيرا وصبيانا
واستنقذ من ايديهم من النساء المسلمات والصبيان من اهل البصرة والكوفة وواسط
نحوا من عشرة آلاف نسمة فسيرهم الى اهاليهم جزاه الله خيرا ثم امر بهدم خنادقها واسوارها
وردم خنادقها وانهارها واقام بها سبعة عشر يوما وبعث في آثار من انهزم من
الزنج فكان لا يؤتى باحد منهم الا استماله الى الخير برفق ولين وصفح واضافه الى بعض
الامراء وكان مقصوده رجوعهم الى الحق ثم ركب الى الاهواز فاجلاهم عنها وطردهم منها
وقتل خلقا كثيرا من اشرافهم منهم ابو عيسى محمد بن ابراهيم البصري وكان رئيسا فيهم
مطاعا وغنم شيئا كثيرا من اموالهم وكتب الموفق الى صاحب الزنج قبحه الله كتابا يدعوه
الى التوبة والانابة مما ارتكبه من المآثم والمظالم والمحارم ودعوى النبوة والرسالة
وخراب البلدان واستحلال الفروج والاموال ويبذل له الامان ان هو رجع الى الحق فلم
يرد عليه صاحب الزنج جوابا

ذكر مسير ابي احمد الموفق الى المدينة

التي فيها صاحب الزنج وهي المختارة ليحاصرها لما كتب ابو احمد الى صاحب الزنج يدعوه
الى الحق فلم يجبه استهانة به ركب في جيوش عظيمة تزيد على خمسين الف مقاتل
قاصدا الى مدينته التي انشاها وسماها المختارة فلما انتهى اليها وجدها في غاية الاحكام
وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئا كثيرا وقد التف على صاحب الزنج نحو من ثلاثمائة
الف مقاتل بسيف ورمح ومقلاع وممن يكثر سوادهم فتقدم الموفق ولده ابا العباس
بين يديه فتقدم حتى وقف تحت قصر الملك فحاصره محاصرة لم ير مثلها وتحيرت
الزنج من اقدامه وجرأته مع صغر سنه وحداثة عمره فتراكمت الزنوج عليه من كل مكان
فهزمهم واصيب بهبود اكبر امرائه بالسهام والحجارة ثم خامرت جماعة من امراء صاحب
الزنج واجتهادا الى الموفق فاكرمهم واعطاهم خلعا سنية فرغب الى ذلك جماعة كثيرة من
منهم فصاروا اليه وركب ابو احمد في يوم النصف من شعبان فنادى في الناس كلهم بالامان
الا صاحب الزنج فتحول خلق كثير من جيشه الى ابي احمد ولله الحمد وابتنى الموفق تجاه مدينة
صاحب الزنج مدينة سماها الموفقية وامر بحمل الامتعة والتجارات اليها فاجتمع بها
من انواع الاشياء وصنوفها ما لم يجتمع في بلد قبلها وعظم شأنها وامتلأت بما يستعين
بها على قتال صاحب الزنج ثم جرت بينهم حروب عظيمة وما زالت الحرب ناشبة بينهم
حتى انسلخت هذه السنة وهم محاصرون البلد الخبيث ومن فيه وقد تحول منه خلق كثير
فصاروا على صاحب الزنج بعد ان كانوا معه بلغ عددهم قريبا من خمسين الفا من الامراء
الخواص والاجناد والموفق واصحابه ولله الحمد كلهم في ازدياد وقوة وظفر ونصر وممن
توفي فيها من الاعيان اسماعيل سمويه واسحاق بن ابراهيم ساذان ويحيى بن نصر الخولاني
وعباس الترقفي ومحمد بن حماد بن بكر بن حماد ابو بكر المقرئ صاحب خلف بن هشام البزار ببغداد
في ربيع الاول ومحمد بن عمر البابلي ويحيى بن محمد بن يحيى الذهلي حيكان ويونس بن حبيب
راوي مسند ابي داود الطيالسي عنه

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

في المحرم منها استأمن جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان وكان من كبار امراء صاحب
الزنج ودعاتهم في انفسهم فخرج الى الموفق فخلع عليه واكرمه وركب في سميرية فوقف تجاه قصر
الملك فنادى في الناس واعلمهم بكذب صاحب الزنج وفجوره وانه في غرور هو ومن اتبعه
فاستأمن بسبب ذلك بشر كثير منهم وبردت قتال الزنج الى ربيع الآخر فعند ذلك امر
الموفق اصحابه بمحاصرة السور وامرهم اذا ثلموه ان لا يدخلوا البلد حتى يأمرهم فثلموا
البلد وانثلم السور وعجلوا فدخلوا فقاتلتهم الزنج فهزمتهم المسلمون وتقدموا
الى وسط المدينة فجاءتهم الزنج من كل جانب وخرجت الكمائن من اماكن لا يهتدون اليها
فقتلوا من المسلمين خلقا واستلبوهم وفر الباقون فلامهم ابو احمد على مخالفته من
العجلة واجرى الارزاق على ذرية من قتل منهم فحسن ذلك عند الناس جدا وظفر ابو
العباس بجماعة من الاعراب وغيرهم كانوا يجلبون الطعام الى الزنج فقتلهم وظفر بهبوذ
بن عبد الوهاب فقتله وكان ذلك من اكبر الفتح عند المسلمين واعظم الرزايا عند
الزنج ولله الحمد وبعث عمرو بن الليث الى ابي احمد الموفق ثلاثمائة الف دينار وخمسين
منا مسكا وخمسين منا عنبرا ومائتي منا عودا وفضة قيمتها مائة الف دينار
وثيابا من وشي وغلمانا كثيرة جدا وخرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية
فحاصر اهل ملطية فأعانهم اهل مرعش فانهزم الخبيث خاسئا وغزا الصائفة من
ناحية الثغور عامل ابن طولون فقتل من الروم سبعة عشر الفا وحج بالناس فيها هارون

بن محمد الهاشمي وقيل احمد بن عبد الله الحجستاني وتوفي فيها من الاعيان احمد بن سيار واحمد بن شيبان واحمد بن يونس الضبي وعيسى بن احمد البلخي ومحمد بن عبد الله بن الحكم المصري الفقيه المالكي وقد صحب الشافعي وروى عنه

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

في هذه السنة اجتهد الموفق وفقه الله في تخريب سور مدينة صاحب الزنج فخرب منه شيئا كثيرا وتمكن الجيوش من العبور الى البلد ولكن جاءه في اثناء هذه الحال سهم في صدره من يد رجل رومي يقال له قرطاس فكاد يقتله ولكن اضطرب لذلك وهو يتجلد ويحضر القتال مع ذلك واقام ببلده الموفقية اياما يتداوى فاضطربت الاحوال وخاف الناس جدا من صاحب الزنج واشاروا على الموفق بالمسير الى بغداد فلم يقبل وقويت علته ثم من الله عليه بالعافية في شعبان ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا فنهض مسرعا الى الحصار فوجد الخبيث قد رمم شيئا كثيرا مما كان هدم الموفق فامر بتخريبه وما حوله وما قرب منه ثم لازم الحصار فما انفك حتى فتح المدينة الغربية وخرب قصور صاحب الزنج ودور امرائه واستلب من اموالهم شيئا كثيرا مما لا يحد ولا يوصف كثرة واسر خلقا من نساء الزنج واستنقذ من نساء المسلمين وصبيانهم خلقا كثيرا فامر بردهم الى اهليهم مكرمين وقد تحول صاحب الزنج الى الجانب الشرقي وعمل الجسور والقناطر الحائلة بينه وبين وصول السميريات اليه فامر الموفق بتخريبها وقطع الجسورة واستمر الحصار في هذه السنة وما برح حتى تسلم الجانب الشرقي واستحوذ على حواصله وامواله وفر الخبيث وابعد كرمارا وترك حلائله واولاده وحواصله فاخذها الموفق ولله الحمد والمنة وشرح ذلك كله يطول جدا وقد حرره مبسوطا ابن جرير ولخصه متوسطا ابن الاثير واختصره ابن كثير والله الموفق للصواب واليه المرجع والماب ولما راى الخليفة المعتمد ان اخاه قد استحوذ على امور الخلافة وهو الذي يولي ويعزل كتب الى احمد بن طولون يشكوا اليه ذلك فكتب اليه ان يتحول الى عنده ببلاد مصر ووعده النصر والقيام معه فاستغنم غيبة اخيه الموفق وركب في جمادى الاولى ومعه جماعة من القواد وقد ارصد له احمد بن طولون جيشا بالرقة يتلقونه فلما اجتاز الخليفة باسحاق بن كنداج نائب الموصل وعامة الجزيرة اعتقله عن المسير وقيد اعيان الامراء الذين معه وعاتب الخليفة ولامه على هذا الصنيع اشد اللوم ثم الزمه العود الى سامرا ومن معه من الامراء فرجعوا اليها في غاية الاهانة والمذلة ولما بلغ ذلك الموفق شكر سعي اسحاق وولاه جميع اعمال احمد بن طولون الى اقصى بلاد افريقية وكتب الى اخيه ان يلعن ابن طولون في دار العامة فلم يمكن المعتمد الا اجابته الى ذلك وهو كاره وكان ابن طولون قد قطع من الخطبة ذكر الموفق واسقط اسمه عن الطرازات وفي ذي القعدة وقعت فتنة بمكة بين اصحاب الموفق واصحاب ابن طولون فقتل من اصحاب ابن طولون نيف وسلب بقيتهم واستلبهم اصحاب الموفق شيئا كثيرا وفي هذه السنة قطعت الاعراب على الحجيج الطريق واخذوا منهم خمسة الاف بعير باحمالها وفيها توفي ابراهيم بن منقذ الكناني واحمد بن خلاد مولى المعتصم وكان من دعاة المعتزلة اخذ الكلام عن جعفر

بن مبشر المعتزلي وسليمان بن حفص المعتزلي صاحب بشر المريسي وابي الهذيل العلاف وعيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني نائب ارمينية وديار بكر وابو فروة يزيد بن محمد الرهاوي احد الضعفا

سنة سبعين ومائتين من الهجرة

فيها كان مقتل صاحب الزنج قبحه الله

وذلك ان الموفق لما فرغ من شان مدينة صاحب الزنج المختارة واحتاز ما كان بها من الاموال وقتل من كان بها من الرجال وسبى من وجده فيها من النسا والاطفال وهرب الخبيث عن حومة الجلاد والنزال وصار الى بعض البلاد طريدا شريدا بشر حال عاد الموفق وفقه الله الى مدينته الموفقية مؤيدا منصورا وقدم عليه لولو غلام احمد بن طولون منابذا لسيده سامعا مطيعا لابي احمد الموفق فكان وروده عليه في ثالث المحرم من هذه السنة فاكرمه وعظمه واعطاه وخلع عليه واحسن اليه وبعثه طليعة بين يديه لقتال صاحب الزنج وركب هو في الجيوش الكثيفة الهائلة وراءه فقصد الخبيث وقد تحصن ببلدة اخرى فلم يزل يحاصره حتى اخرجه منها ذليلا وهو صاغر واستحوذ على ما كان بها من الاموال والمغانم ثم بعث السرايا والسرايا وراءه فاسروا عامة من كان قد صحبه من خاصته وجماعته منهم سليمان بن جامع فاستبشر الناس باسره وكبروا فرحا بالنصر والفتح وحمل الموفق بمن معه حملة واحدة على اصحاب الخبيث فاستحر فيهم القتل وما انجلت الحرب حتى جاء البشير بقتل الخبيث صاحب الزنج في المعركة واتي براس الخبيث مع غلام للولوي احمد بن طولون فلما تحقق الموفق انه راسه بعد شهادة الامرا الذين كانوا من اصحابه بذلك خر لله ساجدا ثم انكفا راجعا الى الموفقية وراس الخبيث يحمل بين يديه وسليمان معه اسير فدخل البلد وهو كذلك وكان يوما مشهودا وفرح المسلمون بذلك في المشارق والمغارب ثم جي بانكلاي ولد صاحب الزنج وابان بن علي المهلبي مسعر حربهم ماسورين ومعهما قريب من خمسة الاف اسير فتم السرور وهرب قرطاس الذي رمى الموفق في صدره بذلك السهم الى رامهرمز فاخذ وبعث به الى الموفق فقتله ابو العباس ولد الموفق واستامن من بقي من جيوش الزنج فامنهم الموفق وفقه الله ونادى في الامان وان يرجع الناس الذين كانوا اخرجوا من ديارهم بسبب فتنة الزنج الى اوطانهم وبلدانهم ثم قدم ولده ابو العباس بين يديه الى بغداد ومعه راس الخبيث يحمل ليراه اهل بغداد فدخلها لثنتي عشرة بقيت من جمادى الاولى من هذه السنة وكان يوما مشهودا ببغداد وانتهت ايام صاحب الزنج المدعي الكذاب قبحه الله وقد كان ظهوره في يوم الاربعاء لاربع بقين من شهر رمضان سنة خمسين ومائتين وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين فكانت دولته اربع عشرة سنة واربعة اشهر وستة ايام ولله الحمد والمنة وقد قيل في انقضاء دولة الزنج وما كان من النصر عليهم اشعار كثيرة من ذلك قول يحيى بن محمد الاسلمي

اقول وقد جاء البشير بوقعة ... اعزت من الاسلام ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما ... ابيح حماهم خير ما كان جازيا

تغزو اذا لم يشطر الله ناصر ... بتجديد دين كان اصبح باليا
وتجديد ملك قد زوى بعد عزه ... واخذ بثارات تبيد الاعاديا
ورد عمارات اديلت واخربت ... لترجع في قد كرم ما انيا
وترجع امصارا ابيحت واحرقت ... مرارا فقد امست قواء عوافيا
ويشفي صدور المسلمين بوقعه ... تقر بها منا العيون البواكيا
ويتلى كتاب الله في كل مسجد ... ويلقى دعى الطا لبيين خاسيا
تداعى عن احبابه وبحبه ... وعن لذة الدنيا واصبح عاديا

وهي قصيدة طويلة هذا طرف منها . وفي هذه السنة اقبلت الروم في مائة الف مقاتل فنزلوا قريبا من طرسوس فخرج اليهم المسلمون فبيتوهم فقتلوا منهم في ليلة واحدة حتى الصباح نحو من سبعين الفا من المقاتلة ولله الحمد والمنة وقتل المقدم الذي عليهم وهو بطريق البطارقة وخرج اكثر الباقين وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة من ذلك سبعة صلبان من ذهب وفضة وصليبهم الاعظم عندهم وهو من ذهب صامت مكلل بالجواهر واربعة كراسي من ذهب ومايتا كرسي من فضة وانية كثيرة من فضة واربعة آلاف علم من ديباج وغنموا حريرا كثيرا وخمسة عشر الف دابة وسروجا وسلاحا وسيوفا محلاة واشياء كثيرة جدا ولله الحمد اولا وآخرا

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن طولون ابو العباس امير الديار المصرية وباني الجامع بها المنسوب اليه وقد ملك دمشق والعواصم والثغور مدة طويلة وقد كان ابوه طولون من الاتراك الذين اهداهم نوح بن اسد بن سامان الساماني عامل بخارا الى المامون في سنة مايتين ويقال الى الرشيد في سنة تسعين ومائة وولد احمد هذا في سنة اربع عشرة وقيل في سنة عشرين ومايتين ومات ابو طولون في سنة ثلاثين وقيل في سنة اربعين ومايتين وحكى ابن خلكان انه لم يكن اباه وانما تبناه فالله اعلم وحكى ابن عساكر انه من جارية تركية اسمها هاشم ونشا احمد هذا في صيانة وعفاف ودراسة للقران العظيم مع حسن الصوت وكان يعيب على اولاد الترك ما يرتكبونه من المحرمات والاشيا المنكرات وكانت امه جارية اسمها هاشم وحكى الحافظ بن عساكر في تاريخه عن بعض مشايخ مصر ان طولون لم يكن اباه وانما كان قد تبناه وانه كان ظاهر النجابة من صغره وانه اتفق ان بعثه طولون في حاجة ليأتيه بها من قصر دار الامارة فذهب فاذا حظية من حظايا ابيه مع بعض الخدم في فاحشة فاخذ حاجته التي امره بها ابوه وكر راجعا اليه سريعا ولم يخبره بشيء مما راى من ذلك فتوهمت الحظية ان يكون قد اخبره فجاءت الى طولون فقالت له ان احمد جاءني الان الى المكان الفلاني وراودني عن نفسي وانصرف الى قصره فوقع في نفسه صدقها فاستدعى احمد وكتب معه في كتاب وختمه الى بعض الامرا ان اذا وصل اليك حامل هذا الكتاب فاضرب عنقه وابعث براسه سريعا الي فذهب احمد وهو لا يدري ما في الكتاب فاجتاز في طريقه بقصر تلك الحظية فاستدعته اليها فقال اني مشغول بهذا الكتاب لاوصله الى فلان فقالت هلم فلي اليك حاجة وارادت ان تحتبسه عندها ليكتب لها كتابا لتحقق في ذهن الملك ما ذكرته من امره وارسلت بذلك الكتاب

مع الخادم

مع الخادم الذي كانت هي واياه على الفاحشة وجلس احمد يكتب لها الكتاب وذهب ذلك الخادم الى ذلك الامير بالكتاب فلما قراه امر بضرب رقبته وارسل براسه الى الملك طولون فتعجب الملك وقال اين احمد فطلب له فقال ويحك اخبرني كيف صنعت منذ خرجت من بين يدي فاخبره ما جرى من الامر ولما سمعت تلك الحظية بان راس الخادم قد اتى به الى الملك اسقط في يديها وتوهمت ان الملك قد تحقق الحال فقامت اليه تعتذر وتستغفر مما وقع منها مع الخادم واعترفت بالحق وبرات ساحة احمد فحظي عنده واوصى له بالملك من بعده ثم ولي نيابة الديار المصرية للمعتز فدخلها يوم الاربعا لسبع بقين من رمضان سنة اربع وخمسين ومايتين فاحسن الى اهلها احسانا كثيرا جدا وانفق فيهم من بيت المال ومن صدقاته واستغل الديار المصرية في بعض السنين اربعة الاف الف دينار وثلثمائة الف دينار وبنى بها الجامع وغرم عليه مايتي الف دينار وكان فراغه في سنة تسع وخمسين وقيل في سنة ست وستين وكانت له مائدة في كل يوم يحضرها الخاص والعام وكان يتصدق في كل شهر من خالص ماله بالف دينار وقال له وكيله يوما انه تاتيني المراة وعليها ازار وبذلة وهيئة تسالني افاعطيها فقال من مد يده اليك فاعطه وكان من احفظ الناس لتلاوة القران ومن اطيبهم صوتا به وقد قيل انه قتل صبرا او مات في حبسه ثمانية عشر الف انسان فالله اعلم وبنى البيمارستان فغرم عليه ستين الف دينار وعلى الميدان مائة وخمسين الفا وله صدقات كثيرة جدا واحسان زايد ثم ملك دمشق بعد اميرها اماجور في سنة اربع وستين ومايتين فاحسن اليهم ايضا واتفق انه وقع بها حريق عند كنيسة مريم فنهض بنفسه اليه ومعه ابو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي وكاتبه ابو عبد الله احمد بن محمد الواسطي ثم امر كاتبه ان يخرج من ماله سبعين الف دينار تصرف الى اهل الدور والاموال التي احترقت فصرف اليهم جميع قيمة ما ذكروه وبقي اربعة عشر الف دينار فامر بها ان توزع عليهم على قدر حصصهم ثم امر بمال عظيم يفرق على فقراء دمشق فاقل ما حصل للفقير دينار ثم خرج الى انطاكية فحاصر بها صاحبها سيما حتى قتله وتسلم البلد كما ذكرنا ذلك فيما تقدم ثم كانت وفاته بمصر في اوايل ذي القعدة من هذه السنة من علة اصابته من اكل لبن الجواميس فاصابه ذرب فداواه الاطبا فلم يقبل منهم فكان ياكل منه في الخفية فمات رحمه الله وقد ترك من الاموال والاثاث والدواب شيئا كثيرا جدا من ذلك عشرة الاف الف دينار وكان له ثلاثة وثلاثون ولدا منهم سبعة عشر ذكرا فقام بالامر بعده ولده خمارويه وسياتي ما كان من امره وكان له من الغلمان اربعة وعشرين الف غلام ومن الموالي سبعة الاف مولى ومن البغال والخيل شيء كثير جدا قال ابن خلكان وانما تغلب على البلاد لاشتغال الموفق طلحة بن المتوكل عن حرب صاحب الزنج وقد كان الموفق نايب اخيه المعتمد على الله وهو والد المعتضد رحمهم الله واحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سهل الكاتب صاحب كتاب الخراج قاله ابن خلكان واحمد بن عبد الله بن البرقي واسيد بن عاصم الجمال وبكار بن قتيبة المصري في ذي الحجة من هذه السنة والحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان في رجب من هذه السنة فكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر وستة ايام وقام بالامر من بعده اخوه محمد بن زيد وكان الحسن بن زيد كريما جوادا ممدحا يعرف

فيما حكاه ابن خلكان صح

الفقه والعربية قال له شاعر في جملة قصيدة الله فرد وابن زيد فرد فقال له يفيك الا قلت ثم لا قلت الله فرد وابن زيد عبد ثم نزل عن سريره وخر ساجدا لله والصق خده بالتراب ولم يعط ذلك الشاعر شيئا واستنجحه بعضهم فقال في اول قصيدته

لا تقل بشرى ولكن بشريان   غرة الداعي ويوم المهرجان

فقال له الحسن بن زيد لو ابتدات بالمصراع الثاني لكان احسن وابعد لك ان تبتدي شعرك بحرف لا فقال له الشاعر ليس في الدنيا كلمة اجل من قول لا اله الا الله فقال اصبت وامر له بجائزة سنية والحسن بن علي بن عفان العامري وداود بن علي الاصبهاني ثم البغدادي الظاهري امام اهل الظاهر روى عن ابي ثور ابراهيم بن خالد واسحاق بن راهويه وسليمان بن حرب وعبد الله بن مسلمة القعنبي ومسدد بن مسرهد وغير واحد وروى عنه ابنه الفقيه ابو بكر بن داود وزكريا بن يحيى الساجي قال الخطيب وكان فقيها زاهدا وفي كتبه حديث كثير والرواية عنه عزيزة جدا وكانت وفاته ببغداد في هذه السنة وكان مولده في سنة مائتين وقيل في سنة ثلاثين ومائتين وذكر الشيخ ابو اسحاق الشيرازي في طبقاته ان اصله من اصبهان وولد بالكوفة ومنشاه ببغداد وانه انتهت اليه رياسة العلم بها فكان يحضر مجلسه اربعمائة طيلسان اخضر قال وكان من المتعصبين للشافعي وصنف مناقبه وقال غيره كان حسن الصلاة والتواضع وقد قال الازدي ترك حديثه ولم يتابع الازدي على ذلك لكن روى عن الامام احمد انه تكلم فيه بسبب كلامه في القرآن وانه لفظه به مخلوق كما نسب الى الامام البخاري رح قلت وقد كان من الفقهاء المشهورين ولكن حصر نفسه بنفيه القياس الصحيح فضاق بذلك ذرعه في اماكن كثيرة من الفقه فلزمه القول باشياء قطعية صار اليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد من غير تفهم لمعنى النص وقد اختلف العلماء الحاسبون بعده في الاعتداد بخلافه وانه هل ينعقد الاجماع بدونه مع خلافه والاعتبار على اقوال ليس هذا موضع بسطها وممن توفي فيها الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي وقد ترجمناه في طبقات الشافعية والقاضي بكار بن قتيبة الحاكم بالديار المصرية في سنة ست واربعين ومائتين الى ان توفي بها مسجونا في حبس احمد بن طولون لكونه لم يخلع الموفق في سنة سبعين رح وكان عالما عابدا زاهدا كثير التلاوة والمحاسبة لنفسه وقد شغر منصب القضا بعده بمصر ثلاث سنين وقد بسط ابن خلكان ترجمته في الوفيات رح ابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضيها النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على جم علوم جمة نافعة اشتغل ببغداد وسمع بها الحديث على اسحاق بن راهويه وطبقته واخذ اللغة عن ابي حاتم السجستاني وذويه وصنف وجمع والف الكتب الكثيرة من ذلك كتاب المعارف وادب الكاتب الذي شرحه ابو محمد بن السيد البطليوسي وكتاب مشكل القرآن والحديث وغريب القرآن والحديث وعيون الاخبار واصلاح الغلط وكتاب الخيل وكتاب الانواء وكتاب المسايل والجوابات وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك وكانت وفاته في هذه السنة وقيل في التي بعدها ومولده في سنة ثلاث عشرة ومائتين فلم يجاوز الستين رح وروى عنه ولده احمد جميع مصنفاته وقد ولي ولده احمد قضاء مصر سنة احدى وعشرين وثلثمائة وتوفي بها بعد سنة رح ومحمد بن اسحاق بن جعفر

الصاغاني ومحمد بن مسلم بن وارة ومصعب بن احمد بن مصعب ابو احمد الصوفي وكان من اقران الجنيد وفيها توفي ملك الروم ابن الصقلبية لعنه الله وفيها ابتدا اسماعيل بن موسى بناء مدينة لاردة من الاندلس

ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائتين

فيها عزل الخليفة عمرو بن الليث عن ولاية خراسان وامر بلعنه على المنابر وفوض امر خراسان الى محمد بن طاهر وبعث الى عمرو جيشا فهزم عمرو وفيها كانت وقعة بين ابي العباس والمعتضد بن الموفق وبين خمارويه بن احمد بن طولون وذلك ان خمارويه لما ملك بعد ابيه بلاد مصر والشام جاءه جيش من جهة الخليفة عليهم اسحاق بن كنداجيق نائب الجزيرة وابن ابي الساج فقاتلوه بارض شيزر فامتنع من تسليم الشام اليهم فامدوا بابي العباس فتقدم اليهم فكسر جيش خمارويه بن احمد وتسلم دمشق واحتازها ثم سار نحو خمارويه الى بلاد الرملة عند ماء عليه طواحين فاقتتلوا هنالك قتالا شديدا مدة وتعرف بوقعة الطواحين ثم كانت النوبة اولا لابي العباس على خمارويه فهزمه حتى هرب خمارويه لا يلوي على شيء فلم يرجع حتى دخل الديار المصرية واقبل ابو العباس واصحابه على نهب معسكرهم فبينما هم كذلك اذ اقبل كمين لجيش خمارويه وهم مشتغلون بالغنيمة فوضعت المصريون فيهم السيوف فقتل خلق كثير وانهزم الجيش وهرب ابو العباس المعتضد فلم يرجع حتى وصل الى دمشق فلم يفتح له اهلها بابها فانصرف حتى وصل الى طرسوس وبقي الجيشان المصري والعراقي يقتتلان وليس لواحد منهما امير ثم كان الظفر للمصريين لانهم اقاموا ابا العشاير اخا خمارويه عليهم اميرا فغلبوا بسبب ذلك واستقرت ايديهم على دمشق وساير الشام وهذه من العجب الوقعات وفيها جرت حروب كثيرة بارض الاندلس من بلاد المغرب وفيها دخل المدينة النبوية محمد وعلي ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب فقتلا خلقا كثيرا من اهلها واخذا اموالا جزيلة وتعطلت الصلوات في المسجد النبوي اربع جمع لم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة فانا لله وانا اليه راجعون وجرت بمكة فتنة اخرى واقتتل الناس على باب المسجد الحرام ايضا وحج بالناس في هذه السنة هرون بن اسحاق العباسي

وممن توفي فيها من الاعيان

عباس بن محمد الدوري تلميذ ابن معين وغيره من ائمة الجرح والتعديل وعبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري ومحمد بن حماد الطهراني ومحمد بن سنان العوقي ويوسف بن مسلم بوران بنت الحسن بن سهل زوجة المامون ويقال ان اسمها خديجة وبوران لقب والصحيح الاول وعقد عليها المامون بفم الصلح سنة ثنتين ومائتين ولها عشر سنين فنثر ابوها على الناس يومئذ بنادق المسك مكتوب في رقعة وسط كل بندقة اسم قرية او ملك او جارية او غلام او فرس فمن التقط من ذلك شيئا ملكه ونثر على عامة الناس الدنانير ونوافج المسك وبيض العنبر وانفق على المامون وعسكره مدة مقامه تلك الايام خمسين الف الف درهم فلما ترحل عنه اطلق له عشرة الاف الف درهم واقطعه فم الصلح

وبنى بها في سنة عشر فلما جلس المامون فرشوا له حصيرا من ذهب ونثروا على قدميه الف حبة جوهر وهناك تور من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة اربعين منا من عنبر فقال هذا سرف ونظر الى ذلك الحب على الحصير فقال قاتل الله

ابا نواس حيث يقول في صفة الخمر •

• كان صغرى وكبرى من فواقعها • حصبا در على ارض من الذهب •

ثم امر بالدر فجمع فوضعه في حجرها وقال هذا نحلتك اياه لك وسلي حاجتك فقالت لها جدتها سلي سيدك فقد استنطقك فقالت اسال امير المومنين ان يرضى عن ابراهيم بن المهدي فرضي عنه ثم اراد الاجتماع بها فاعاقها الحيض وكان ذلك في شهر رمضان ثم توفي المامون في سنة ثماني عشرة وتاخرت هي بعده حتى كانت وفاتها في هذه السنة ولها ثمانون سنة

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائتين

في جمادى الاولى منها سار نايب عمرو بن الليث وهو ادلو بكين في اربعة الاف مقاتل الى احمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان بعد اخيه الحسن بن زيد وهو بالري في جمع عظيم من الديلم وغيرهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم العلوي وغنم ما في معسكره وقتل من اصحابه ستة الاف ودخل الري فاخذ من اهلها مائة الف دينار وفرق عماله في نواحي الري ومنها وقع بين ابي العباس بن الموفق وبين صاحب ثغر طرسوس وهو يازمار الخادم فثار اهل طرسوس على ابي العباس فاخرجوه عنهم فرجع الى بغداد ومنها دخل حمدان بن حمدون وهارون الشاري مدينة الموصل وصلى بهم الشاري في جامعها الاعظم ومنها عاثت بنو شيبان في اراضي الموصل وسعوا في الارض فسادا ومنها تحركت بقية الزنج في ارض البصرة ونادوا يا انكلاي يا منصور وكان انكلاي بن صاحب الزنج وسليمان بن جامع وابان بن علي المهلبي وجماعة من وجوه امرايهم في حبس الموفق فبعث اليهم فقتلوا وحملت روسهم اليه وصلبت ابدانهم ببغداد وسكنت الشرور ومنها اصلح امر المدينة النبوية وتراجع الناس اليها ولله الحمد ومنها جرت حروب كثيرة ببلاد الاندلس وتسلمت الروم من المسلمين بلدين عظيمين من بلاد الاندلس فانا لله وانا اليه راجعون ومنها قدم صاعد بن مخلد الكاتب من فارس الى واسط فامر الموفق ان يتلقوه فدخل في ابهة عظيمة ولكن ظهر منه تيه وعجب شديد فامر الموفق عما قريب بالقبض عليه وعلى اهله واموالهم وحواصلهم واستكتب مكانه ابا الصقر

وممن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن الوليد بن ابي الحسحاس واحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عطارد العطاردي التميمي راوي السيرة عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق بن يسار وغير ذلك وابو عيسى الحجازي وسليمان بن سيف وسليمان بن وهب الامير الوزير حبسه الموفق وشعيب بن بكار ويزيد بن ابي عاصم النبيل ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الانماطي ويلقب كيلجة وهو من تلاميذ يحيى بن معين ومحمد بن عبد الوهاب الفرا ومحمد بن عبيد الله بن المنادي ومحمد بن عوف الحمصي وابو معشر المنجم

واسمه جعفر بن محمد بن عمر البلخي استاذ عصره في صناعة التنجيم وله فيها التصانيف المشهورة كالمدخل والزيج والالوف وغيرها وينكلم على ما يتعلق بالتسيير وكذلك بالاحكام قال القاضي بن خلكان وله اصابات عجيبة ثم حكى ان بعض الملوك تطلب رجلا فتسبب لذلك الرجل فاختفى وخاف من ابي معشر المنجم ان يدل عليه الملك لصنعته فعمد الى طست فملاه دما ووضع وسطه هاونا وجلس على ذلك الهاون فاستدعى الملك ابا معشر فضرب رمله وحرر امره ثم قال لهذا عجيب اجد هذا الرجل جالسا على جبل من ذهب في وسطه بحر من دم ولكن ليس هذا في الدنيا ثم اعاد الضرب فوجده كذلك فتعجب الملك ايضا ونادى في البلد بامان المذكور فظهر فلما مثل بين يدي الملك سال ابن اختفى فاخبره بامره فتعجب الناس من ذلك قلت والظاهر ان الذي ينسب الى جعفر بن محمد الصادق من علم الزجر والطرق واختلاج الاعضاء وغير ذلك انما هو منسوب الى جعفر بن محمد هذا وليس بالصادق فالله اعلم

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

فيها وقع بين اسحاق بن كنداجيق نايب الموصل والجزيرة وبين صاحب ابن ابي الساج نايب قنسرين وغيرها بعدما كانا متفقين فكاتب ابن ابي الساج خمارويه صاحب مصر وخطب له ببلاده وقدم خمارويه الى الشام فاجتمع به ابن ابي الساج ثم سار الى اسحاق بن كنداج فتواقعا فانهزم ابن كنداج وفر الى قلعة ماردين فحاصره بها ثم ظهر ابن ابي الساج واستحوذ على الموصل وبلاد الجزيرة وخطب لخمارويه بها واشتغل امره جدا ومنها قبض الموفق على لولو غلام احمد بن طولون وصادره باربعمائة الف دينار وسجنه فكان يقول ليس لي ذنب الا كثرة مالي ثم اخرج بعد ذلك من السجن وهو فقير ذليل فعاد الى الديار المصرية في ايام هارون بن خمارويه ومعه غلام واحد وهذا جزاء كفر نعمة سيده عليه ومنها عدا اولاد ملك الروم على ابيهم فقتلوه وتملك بعده احد اولاده ومنها كانت وفاة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الاموي صاحب الاندلس عن خمس وستين سنة وكانت ولايته اربعا وثلاثين سنة واحد عشر يوما شهرا وكان ابيض مشربا بحمرة اوقص يخضب بالحنا والكتم وكان عاقلا ذكيا يدرك الاشيا المشتبهة وخلف ثلاثة وثلاثين ذكرا وقام بالامر بعده ولده المنذر فاحسن الى الناس واحبوه ومنها كانت وفاة خلف بن احمد بن خالد الذي كان امير خراسان في جيش المعتمد على الله وهذا الرجل هو الذي اخرج البخاري من بخارا فدعا عليه فلم يفلح بعدها ولم يبق في الامرة الا اقل من شهر حتى احتيط عليه وعلى امواله وحواصله وهذا جزاء من تعرض لاهل السنة وايمة الحديث

وممن توفي فيها من الاعيان

اسحاق بن سيار وحنبل بن اسحاق بن عم الامام احمد بن حنبل واحد الرواة المشهورين عنه على انه قد تفرد في بعض ما يرويه ويحكيه والله اعلم وابو امية

الطرسوسي وابو الفتح بن شخرف احد مشايخ الصوفية ذوي الاحوال والكرامات
والمقامات والكلمات النافعات وكم ابن الاثير قوله في كامله ان ابا داود صاحب
السنن توفي في هذه السنة بل في سنة خمس وسبعين كما سياتي وابن ماجة القزويني
صاحب السنن وهو ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة ابو عبد الله القزويني مولى
ربيعة صاحب كتاب السنن المشهورة وهي دالة على علمه وتبحره واطلاعه واتباعه
للسنة النبوية في الاصول والفروع ويشتمل على اثنين وثلاثين كتابا والفا
وخمسماية باب ويحتوي على اربعة الاف حديث كلها جياد سوى اليسير وقد حكي
عن ابي زرعة الرازي انه انتقد منها بضعة عشر حديثا وربما يقال انها موضوعة
او منكرة جدا وله تفسير حافل وتاريخ كامل من لدن الصحابة الى عصره قال
ابو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني ابو عبد الله محمد بن يزيد ويعرف
بن يزيد بماجه مولى ربيعة عالم بهذا الشان صاحب تصانيف في التاريخ والسنن
ارتحل الى العراقين ومصر والشام ثم ذكر طرفا من مشايخه وقد ترجمناهم في كتابنا
التكميل ولله الحمد والمنة قال وقد روى عنه الكبار القدما ابن سيبويه ومحمد
بن عيسى الصفار واسحاق بن محمد وعلي بن ابراهيم بن سلمة القطان وجدي احمد
بن ابراهيم وسليمان بن يزيد وقال غيره كانت وفاته في يوم الاثنين ودفن
يوم الثلثا لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومايتين عن اربع
وستين سنة وصلى عليه اخوه ابو بكر وتولى دفنه مع اخيه ابي عبد الله وابنه
عبد الله بن محمد بن يزيد رحمه الله

ثم دخلت سنة اربع وسبعين ومايتين

فيها نشبت الحرب بين ابي احمد الموفق وبين ابي عمرو بن الليث بفارس فقصده
ابو احمد فهرب منه عمرو من بلد الى بلد وهو يتبعه ثم لم يقع بينهما قتال ولا مواجهة
وقد تحيز الى ابي احمد الموفق مقدم جيش عمرو بن الليث وهو ابو طلحة شركب
الجمال ثم اراد العود فقبض عليه ابو احمد واباح ماله لولده ابي العباس المعتضد
وذلك بالقرب من شيراز وفيها غزا بازمار الخادم نايب طرسوس بلاد الروم فاوغل
فيها فقتل وغنم وسلم وفيها دخل صديق الفرغاني سامرا فنهب دور التجار بها
وكر راجعا وقد كان هذا الرجل ممن يحرس الطرقات فترك ذلك واقبل يقطعها
وضعف الجند بسامرا عن مقاومته وممن توفي فيها من الاعيان ابراهيم بن
احمد بن يحيى الاصم ابو اسحاق قال ابن الجوزي في المنتظم كان حافظا فاضلا
روى عن حرملة وغيره وتوفي في جمادى الاخرة من هذه السنة اسحاق بن ابراهيم
بن زياد ابو يعقوب المقرئ عن هدبة وعنه ابن مخلد توفي في ربيع الاول منها
ايوب بن سليمان ابن داود الصغدي عن ادم بن ابي اياس وابي اليمان وعلي بن
الجعد وعنه ابن صاعد وابن السماك وكان ثقة توفي في رمضان منها الحسن
بن مكرم بن حسان ابو علي البزاز سمع عفان وابا النضر ويزيد بن هارون وغيرهم
وعنه المحاملي وابن مخلد وابن النجاد وكان ثقة توفي في رمضان منها عن ثلاث
وسبعين سنة خلف بن محمد بن عيسى ابو الحسين الواسطي كردوس روى عن يزيد

بن هارون

بن هارون وعدة وعنه المحاملي وابن مخلد قال ابن ابي حاتم صدوق قال
الدارقطني ثقة توفي في ذي الحجة منها وقد نيف على الثمانين عبد الله بن روح بن
عبد الله ابو محمد المدايني المعروف بعبدوس روى عن شبابة ويزيد بن هارون وعنه
المحاملي وابن السماك وابو بكر الشافعي وكان من الثقات توفي في جمادى الاخرة عبد الله
بن ابي سعد ابو محمد الوراق اصله من بلخ وسكن بغداد روى عن سريج بن يونس وعفان
وعلي بن الجعد وغيرهم وعنه ابن ابي الدنيا والبغوي والمحاملي وكان ثقة صاحب
اخبار واداب وملح وتوفي بواسط في جمادى الاخرة منها عن سبع وسبعين سنة محمد
بن اسماعيل بن زياد ابو عبد الله وقيل ابو بكر الدولابي سمع ابا النضر وابا اليمان وابا
مسهر وعنه ابو الحسين بن المنادي ومحمد بن مخلد وابن السماك وكان ثقة

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومايتين

في المحرم منها وقع الخلف بين ابن ابي الساج وبين خمارويه واقتتلا عند ثنية العقاب
شرقي دمشق فغلب ابن ابي الساج وانهزم وقد كانت له حواصل بحمص فبعث خمارويه
من سبقه اليها فاخذها ومنع منه حمص فذهب الى حلب فتبعه خمارويه فسار الى الرقة
فاتبعه فذهب الى الموصل ثم انهزم منها خوفا من خمارويه ووصل خمارويه الى بلد
واتخذ بها سريرا طويلا على الفرات فكان يجلس عليه في الفرات وعند ذلك طمع
فيه اسحاق بن كنداج فسار وراءه ليظفر منه بشي فلم يقدر وقد التقيا في بعض
الايام فنصر ابن ابي الساج صبرا عظيما ثم انصرف الى ابي احمد ببغداد فاكرمه
وخلع عليه واستصحبه معه الى الجبل ورجع اسحاق بن كنداج الى ديار بكر ومضر من
الجزيرة وفي هذه السنة في شوال منها سجن ابو احمد الموفق ابنه ابا العباس المعتضد
في دار الامارة وكان سبب ذلك انه امره بالمسير الى بعض الوجوه فامتنع ان يسير
الا الى الشام التي كان عمه المعتمد ولاه اياها فغضب عليه وامر بسجنه فثارت
واختبطت بغداد وركب الموفق الى الميدان فقال للناس اتظنون انكم اشفق على ولدي
مني فسكن الناس عند ذلك وتراجعوا الى منازلهم ثم افرج عنه ولله الحمد والمنة وفي
هذه السنة سار رافع الى محمد بن زيد اخي الحسن بن زيد العلوي فاخذ منه مدينة جرجان
فهرب منه الى استراباذ فحصره بها سنتين فغلا بها السعر حتى بيع الملح وزن الدرهم
بدرهمين فهرب محمد بن زيد منها ليلا الى سارية ثم اخذ منه رافع بلادا كثيرة بعد
ذلك في مدة متطاولة وفي المحرم منها او في صفر كانت وفاة المنذر بن محمد بن عبد
الرحمن صاحب الاندلس عن ست واربعين سنة وكانت ولايته سنة واحد عشر
شهرا وعشرة ايام وكان اسمر طويلا بوجهه اثر جدري جوادا ممدحا يحب الشعراء ويصلهم
بمال كثير وخلف من الاولاد ستة ذكور وقام بالامر من بعده اخوه عبد الله بن محمد
فامتلات بلاد الاندلس في ايامه فتنا وشرورا حتى هلك كما سياتي

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو بكر احمد بن محمد بن الحجاج المروذي صاحب الامام احمد وكان من الائمة الاذكيا وكان
احمد يقدمه على جميع اصحابه ويانس به ويبعثه في الحاجة فيقول قل ما شيت وهو
الذي اغمض الامام احمد وكان فيمن غسله ايضا وقد نقل عن احمد مسايل كثيرة حسنة

له رنعة عظيمة تجده شيخه الى سامراحين اراد الغزو حسنون الفا احمد بن محمد بن
غالب بن خالد بن مرداس ابو عبد الله الباهلي البصري المعروف بغلام خليل وقد سكن
بغداد وروى عن سليمان بن داود الشاذكوني وشيبان بن فروخ وقرة بن حبيب
وغيرهم وعنه ابن السماك وابن مخلد وغيرهما وقد انكره مسلم ابي حاتم وغيره احاديث
رواها منكرة عن شيوخ مجهولين قال ابو حاتم ولم يكن ممن يفتعل الحديث كان رجلا
صالحا وقد كذبه ابو داود وغيره واحد وروى ابن عدي عنه انه اعترف بوضع الحديث
ليرقق بها قلوب الناس وقد كان عابدا زاهدا يقتات الباقلى الصرف وحين مات
غلقت اسواق بغداد وحضر الناس للصلاة عليه ثم حمل في زورق الى البصرة ودفن
بها وكان ذلك في رجب من هذه السنة واحمد بن ملاعب روى عن يحيى بن معين وغيره
وكان ثقة دينا عالما فاضلا انتشر عنه علم كثير واسحاق بن ابراهيم بن هاني ويعقوب
النيسابوري وكان من اخصاء اصحاب الامام احمد وعنده اختفى في زمن المحنة وابو
سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري النحوي اللغوي صاحب التصانيف
وعبد الله بن يعقوب بن اسحاق التميمي العطار الموصلي قال ابن الاثير وكان كثير الحديث
معدلا عند الحكام ويحيى بن ابي طالب

وابو داود السجستاني صاحب السنن

وهو سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشر بن شداد بن عمرو بن عمران ابو داود الازدي
السجستاني احد الائمة الرحالين الجوالين في الآفاق والاقاليم جمع وصنف
وخرج وألف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والعراق
وخراسان وغير ذلك وله السنن المشهورة المتداولة بين العلماء التي قال فيها
ابو حامد الغزالي يكفي المجتهد معرفتها من الاحاديث النبوية وحدث عنه جماعة من
الائمة منهم ابنه ابو بكر عبد الله وابو عبد الرحمن النسائي واحمد بن سليمان النجاد وهو
اخر من روى عنه ابن ابي الدنيا سكن البصرة وقدم بغداد غير مرة وحدث بكتابه السنن
بها ويقال انه صنفه بها وعرضه على الامام احمد فاستجاده واستحسنه وقال
الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي حدثني ابو بكر محمد بن علي بن ابراهيم القارئ الدينوري
بلفظه قال سمعت ابا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الفرضي قال سمعت ابا بكر
بن داسه يقول سمعت ابا داود يقول كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة
الف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعني كتاب السنن جمعت فيه اربعة
الاف حديث وثمانمائة ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ويكفي الانسان لدينه من ذلك
اربعة احاديث احدها قوله عليه السلام الاعمال بالنيات الثاني قوله من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والثالث قوله لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى
لنفسه والرابع قوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات وحدث
عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي انا ابو بكر الخلال قال ابو داود سليمان بن
الاشعث السجستاني الامام المقدم في زمانه رجل لم يسبقه الى معرفته بتخريج
العلوم وبصره بمواضعه احد في زمانه رجل ورع مقدم وقد سمع منه احمد بن
حنبل حديثا واحدا كان ابو داود يذكره وكان ابراهيم الاصبهاني وابو بكر بن صدقة

بن فيحون من قدره ويذكرونه بما لا يذكرون احدا من زمانه مثله قلت الحديث الذي
كتبه عنه وسمعه منه الامام احمد هو ما رواه من حديث حماد بن سلمة عن ابي العشراء الدارمي
عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العتيرة فحسنها وقال ابراهيم الحربي
وغيره ألين لابي داود الحديث كما الين لداود الحديد وقال غيره كان احد حفاظ
الاسلام للحديث وعلله وسنده في اعلا درجة النسك والعفاف والصلاح والورع
من فرسان الحديث وقال غيره كان ابن مسعود يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه
ودله وسمته وكان علقمة يشبهه وكان وكيع يشبهه وكان احمد يشبهه وكان ابو داود
يشبه احمد بن حنبل وقال محمد بن بكر بن عبد الرزاق كان لابي داود كم واسع وكم ضيق فقيل
له ما هذا يرحمك الله فقال هذا الواسع للكتب والاخر لا نحتاج اليه وقد كان مولد ابي
داود في سنة ثنتين ومائتين وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لاربع عشرة بقيت من
شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة ودفن الى جانب قبر
سفيان الثوري وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل وذكرنا ثناء الائمة عليه ومحمد
بن اسحاق بن ابراهيم ابو العنبس الصيمري الشاعر كان مجيدا في شعره اديبا كثير الملح
وكان هجاء ومن جيد شعره قوله

كم مريض قد عاش من بعد يأس • بعد موت الطبيب والعواد
قد تصاد القطا فتنجو سليما • ويحل القضاء بالصياد

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين

في المحرم منها اعيد عمرو بن الليث الى شرطة بغداد وكتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور
ثم اسقط اسمه في شوال منها وعزل عن ذلك وولي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وفيها
ولي الموفق ابن ابي الساج نيابة اذربيجان وفيها قصد هارون الشاري الخارجي مدينة
الموصل فنزل شرقي دجلتها فحاصرها فخرج اليه اشراف اهلها فاستامنوه فامنهم ورجع
عنهم وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد العباسي امير الحرمين والطايف ولما
رجع حجاج اليمن نزلوا في بعض الاماكن فجاءهم سيل ولم يشعروا به حتى غرقهم كلهم فلم يفلت
منهم احد فانا لله وانا اليه راجعون وذكر ابن الجوزي في منتظمه وابن الاثير في كامله ان في هذه
السنة انفرج تل في ارض البصرة يعرف بتل شقيق عن سبعة اقبر في مثل الحوض وفيها
سبعة ابدانهم صحيحة واكفانهم تفوح منهم ريح المسك احدهم شاب له جمة وعلى شفته
بلل كانه قد شرب ماء وكان عينيه مكحولتان وبه ضربة في خاصرته واراد بعض من حضر
ان ياخذ من شعره شيئا فاذا هو قوي كشعر الحي وممن توفي فيها من الاعيان احمد بن حازم
بن ابي غرزة الحافظ صاحب المسند المشهور له حديث كثير ورواية عالية وبقي بن
مخلد ابو عبد الرحمن الاندلسي الحافظ الكبير صاحب المسند المشهور له حديث كثير
ورواية عالية المبوب على ابواب الفقه روى فيه عن الف وستمائة صحابي وقد
فضله ابن حزم على مسند الامام احمد وعندي في ذلك نظر والظاهر ان مسند احمد
اجود منه واجمع وقد رحل بقي الى العراق فسمع من الامام احمد وغيره من ائمة الحديث
بالعراق وغيرها يزيدون على المائتين باربعة وثلاثين شيخا وله تصانيف اخر
وكان مع ذلك رجلا صالحا عابدا زاهدا مجاب الدعوة ذكر القشيري ان امراة جاءته فقالت

له ان ابني قد اسر ببلد الفرنج واني لا انام الليل من شوقي اليه ولي دويرة اريد ان ابيعها
لاستفكه فان رأيت ان تشير الى احد يأخذها لاسعى في فكاكه فليس لي ليل ولا نهار
ولا صبر ولا قرار فقال نعم انصرفي حتى ننظر في ذلك ان شاء الله واطرق الشيخ
وحرك شفتيه يدعو الله لولدها بالخلاص فذهبت فما كان عن قليل حتى جاءت وابنها
معها فقالت اسمع خبره يرحمك الله فقال كيف كان امرك فقال اني كنت فيمن يخدم الملك
ونحن في القيود فبينما انا ذات يوم امشي اذ سقط القيد من رجلي فاقبل علي الموكل بنا
فشتمني وقال فككت القيد من رجليك فقلت لا والله ولكنه سقط ولم اشعر
فجاؤوا بالحداد فاعاده وشد مسماره وابده ثم قمت فسقط ايضا فاعادوه واكدوه
فسقط ايضا فسألوا رهبانهم فقالوا الك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب
دعاؤها لما اطلقوه فاطلقوني وخفروني حتى وصلت الى بلاد الاسلام فسأله ابو عمرو عن
الساعة التي سقط القيد من رجله فاذا هي الساعة التي دعا الله له فيها صاعد
بن مخلد الكاتب كان كثير الصدقة والصلاة وقد اثنى عليه ابو الفرج بن الجوزي في
منتظمه وتكلم فيه ابن الاثير في كامله وذكر انه كان فيه تيه وحمق وقد يمكن الجمع بين القولين
وما بين الصفتين ابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة ابو محمد الدينوري
ثم البغدادي احد العلماء الادباء والحفاظ الاذكياء روى عن اسحاق بن راهويه وغير
واحد وله التصانيف المفيدة المشهورة الانيقة كغريب القرآن ومشكله وغريب
الحديث ومشكله والمعارف وادب الكاتب وعيون الاخبار وغير ذلك وكان ثقة
جليلا نبيلا عند الائمة وكان اهل المغرب يتهمون من لم يكن في منزله من تصانيف ابن
قتيبة شيء وكان سبب وفاته انه اكل لقمة من هريسة فاذا هي حارة فصاح صيحة
شديدة ثم اغمي عليه الى وقت الظهر فافاق ثم لم يزل يتشهد الى ان مات وقت السحر
اول ليلة من رجب من هذه السنة وقيل انه توفي في سنة سبعين ومائتين والصحيح
في هذه السنة عبد الملك بن محمد بن عبد الله ابو قلابة الرقاشي احد الحفاظ وكان
يكنى بابي محمد ولكن غلب عليه لقبه ابو قلابة سمع يزيد بن هارون وروح بن عبادة
وابا داود الطيالسي وغيرهم وعنه ابن صاعد والمحاملي والنجاد وابو بكر الشافعي
وغيرهم وكان صدوقا عابدا يصلي في كل يوم اربعمائة ركعة وروى من حفظه ستين
الف حديث فغلط في بعضها لا على سبيل العمد وكانت وفاته في شوال من هذه السنة
عن ست وثمانين سنة رحمه الله ومحمد بن احمد بن ابي العوام ومحمد بن اسماعيل الصائغ
ويزيد بن عبد الصمد ابو الرداد عبيد الله بن عبد السلام بن عبيد الله بن الرداد
المؤذن المصري صاحب المقياس الذي هو منسوب اليه وولده يلونه الى يومنا هذا قاله القاضي
ابن خلكان في الوفيات

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

فيها دعا يازمان نائب طرسوس لخمارويه وذلك لانه هاداه بذهب كثير وتحف هائلة
من حرير وغير ذلك وفيها قدم جماعة عظيم من اصحاب خمارويه الى بغداد وفيها ولي المظالم
ببغداد يوسف بن يعقوب ونودي في الناس من كانت له مظلمة ولو عند الامير الناصر
لدين الله ابي احمد الموفق او عند احد من الناس فليحضره وسار في الناس سيرة حسنة
واظهر صرامة لم ير مثلها وحج بالناس هارون بن محمد الهاشمي

وممن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن اسحاق بن ابي العنبس ابو اسحاق الكوفي القاضي ببغداد بعد ابن سماعة سمع
يعلى بن عبيد وغيره وحدث عنه ابن ابي الدنيا وغيره وتوفي عن ثلاث وتسعين سنة
وكان ثقة فاضلا دينا صالحا احمد بن عيسى ابو سعيد الخراز احد مشاهير الصوفية
بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة وله تصانيف في ذلك وله كرامات واحوال
وصبر على الشدائد وضيق الحال روى عن ابراهيم بن بشار صاحب ابراهيم بن ادهم وغيره وعنه
علي بن محمد المصري وجماعة ومن جيد كلامه قوله رحمه الله اذا بكت اعين الخائفين فقد كاتبوا الله
بدموعهم وقوله العافية تستر البر والفاجر فاذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال وقوله
كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وقوله لا تشتغل بوقت ماض تضييع وقت ثان وقوله
ذنوب المقربين حسنات الابرار وقوله الرضا قبل القضاء تفويض والرضا مع القضاء
تسليم وقد روى البيهقي باسناده اليه انه سئل عن قوله عليه السلام جبلت القلوب على حب
من احسن اليها فقال يا عجبا لمن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته اليه قلت
وهذا الحديث ليس بصحيح ولكن كلامه عليه حسن وقال ابنه سعيد طلبت من ابي دانق
فضة فقال يا بني اصبر فلو احب ابوك ان يركب الملوك الى بابه ما تأبوا عليه وروى
الحافظ ابن عساكر عنه قال اصابني مرة جوع شديد فهممت ان اسأل الله طعاما ثم
قلت هذا ينافي التوكل فهممت ان اسأله صبرا فهتف بي هاتف يزعم انه منا قريب
وانا لا نضيع من اتانا ويسأل الله القوي حسبه وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا قال فقمت
ومشيت فراسخ بلا زاد وقال ابو سعيد الخراز المحب يتعلل الى محبوبه بكل شيء ولا يتسلى
عنه بشيء يتبع آثاره ولا يدع استخباره ثم انشد

اسائلكم عنها فهل من مخبر * فما لي بنعمى بعد مكثنا علم
فلو كنت ادري اين خيم اهلها * واي بلاد الله اذ ظعنوا امّوا
اذا لسلكنا مسلك الريح خلفها * ولو اصبحت نعمى ومن دونها النجم

وكانت وفاته في هذه السنة وقيل في سنة سبع واربعين وقيل في سنة سبع ست
وثمانين والاول اصح عيسى بن عبد الله بن سنان بن دلويه ابو موسى الطيالسي الحافظ
يلقب زغاث سمع عفان وابا نعيم وعنه ابو بكر الشافعي وغير واحد ووثقه الدارقطني
وكانت وفاته في شوال من هذه السنة عن اربع وثمانين سنة

ابو حاتم الرازي

محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران ابو حاتم الحنظلي الرازي احد الائمة الحفاظ
الاثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل وهو قرين ابي زرعة الرازي رحمهما
الله رحمة واسعة سمع الكثير وطاف الاقطار والامصار وروى عن خلق من الكبار وحدث
عنه الربيع بن سليمان ويونس بن عبد الاعلى وهما اكبر منه وقدم بغداد فحدث بها وروى
عنه من اهلها ابراهيم الحربي وابن ابي الدنيا والمحاملي وغيرهم قال لابنه عبد الرحمن
يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث اكثر من الف فرسخ وذكر انه لم يكن له شيء ينفق عليه في بعض
الاحيان وانه مكث ثلاثا لا يأكل شيئا حتى استقرض من بعض اصحابه نصف دينار وتلاشى عليه

غيره احد من العلما والفقها وكان بغدادي من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم فيقول
من اغرب علي بحديث واحد صحيح فله علي درهم اتصدق به قال وما اراد ان يسمع ما ليس
عندي فلم يات احد بشي من ذلك وكان في جملة من حضر ذلك ابو زرعة الرازي كانت
وفاة ابي حاتم في شعبان من هذه السنة محمد بن الحسين بن موسى بن الحسن ابو جعفر
الكوفي الخزاز المعروف بالحسيني له مسند كبير روى عن عبيد الله بن موسى والقعنبي
وابي نعيم وغيرهم وعنه ابن صاعد والمحاملي وابن السماك وكان ثقة صدوقا محمد
ابن سعدان ابو جعفر البزار سمع اكثر من خمسماية شيخ ولكن لم حدث الا باليسير وتوفي
شعبان وتوفي شعبان منها قال ابن الجوزي وهم محمد بن سعدان البزار عن القعنبي
وهو غير مشهور ومحمد بن سعدان النحوي مشهور توفي في سنة احدى وثلاثين ومايتين
قال ابن الاثير في كامله وتوفي فيها يعقوب بن سفيان بن جوان الامام الفسوي وكان
يتشيع ويعقوب بن يوسف بن معقل الاموي مولاهم والد ابي العباس احد الاصم وغريب
المغنية المامونية وقيل انها ابنة يحيى بن جعفر بن يحيى البرمكي فاما يعقوب بن سفيان
بن جوان فهو ابو يوسف بن ابي معاوية الفارسي الفسوي سمع الحديث الكثير وروى
عن اكثر من الف شيخ من الثقات منهم هشام بن عمار ودحيم وابو الجماهير وسليمان بن
عبد الرحمن الدمشقيون وسعيد بن منصور وابو عاصم ومكي بن ابراهيم وسليمان
بن حرب ومحمد بن كثير وعبيد الله بن موسى والقعنبي وروى عنه النسائي في سننه وابو
بكر بن ابي داود والحسن بن سفيان وابن خراش وابن خزيمة وابو عوانة الاسفراييني
وخلق سواهم وصنف كتاب التاريخ والمعرفة وغيره من الكتب المفيدة النافعة وقد
رحل في طلب الحديث الى البلدان النائية وتغرب عن وطنه من ذلك ثلاثين سنة
وقد روى ابن عساكر عنه انه قال كنت اكتب في الليل على ضوء السراج اذ نزل شي على بصري
فلم ابصر معه السراج فجعلت ابكي على ما فاتني من ذهاب بصري وما يفوتني بسبب ذلك
من كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انا فيه من الغربة ثم غلبتني عيني
فنمت فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي ما لك كيبيا فشكوت
اليه ما انا فيه من الغربة وما فاتني من كتابة السنة فقال لي ادن مني فدنوت منه فوضع
يده فوضع يده على عيني وجعل كانه يقرا شيا من القران ثم استيقظت فابصرت
وجلست انسخ وقد اثنى عليه ابو زرعة الدمشقي والحاكم ابو عبد الله النيسابوري وقال
هو امام اهل الحديث بفارس وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا وقد نسبه بعضهم الى
التشيع وذكر ابن عساكر ان يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه انه يتكلم في عثمان
بن عفان فامر باحضاره فقال له وزيره ايها الامير انه لا يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان
السجزي وانما تكلم في عثمان بن عفان الصحابي فقال دعوه ما لي وللصحابة اني حسبته
يتكلم في شيخنا قلت وما اظن ان هذا صحيحا عن يعقوب بن سفيان فانه امام محدث
كبير القدر وقد كانت وفاته قبل ابن ابي حاتم الرازي بشهر في رجب من هذه السنة
بالبصرة وقد راه بعضهم في المنام فقال له ما فعل بك ربك قال غفر لي وامرني
ان املي الحديث في السما كما كنت املي في الارض فجلست للاملا في السما الرابعة ○
وجلس حولي جماعة من الملايكة منهم جبريل يكتبون ما املي من الحديث باقلام الذهب

واما غريب المامونية

فقد ترجمها الحافظ ابن عساكر في تاريخه وحكى قولا لبعضهم انها ابنة جعفر بن يحيى
البرمكي سرقت وهي صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة وبيعت فاشتراها المامون بن
الرشيد ثم روى عن حماد بن اسحاق عن ابيه انه قال ما راينا امراة قط احسن
وجها وادبا وغناء وضربا وشعرا ولعبا بالشطرنج والنرد منها وما تشاء ان تجد
خصلة حسنة ظريفة بارعة في امراة الا وجدتها فيها وقد كانت شاعرة فصيحة
بليغة كان المامون يتعشقها ثم احبها بعده المعتصم وكانت هي تتعشق رجلا يقال
له محمد بن حامد وربما ادخلته اليها في دار الخلافة قبحها الله ثم تعشقت صالحا
المنذري وتزوجته سرا وكانت تقول فيه الشعر وربما غنت به بين يدي المتوكل وهو لا يشعر
فيمن هو فيضحك جواريه من ذلك فيقول لهن يا سحقات هذا خير من عملكن وقد اورد
ابن عساكر شيا من شعرها فمن ذلك انها لما دخلت على جعفر المتوكل تعوده من مرض
اصابه انشدته من شعرها وغنته به انوني فقالوا الخليفة علة ●
● فقلت ونار الشوق توقد في صدري ●
● الا ليتني بي علة الخليفة جعفر ●
● فكانت بي الحمى وكان له الاجري ●
● كفى حزنا ان قيل حم ولم امت ●
● من الحزن اني بعد هذا لذو صبر ●
● جعلت فداء للخليفة جعفر ●
● وذلك قليل للخليفة من شكري ●
ولما عوفي دخلت عليه فغنته من قيلها ●

● شكرا لانعم من عافاك من سقم ● دمت المعافى من الالام والسقم ●
● عادت بنورك للايام بهجتها ● واهتز نبت رياض الجود والكرم ●
● ما قام للدين بعد المصطفى ملك ● اعف منك ولا ارعى على الذمم ●
● بقاك الله فينا جعفرا ابدا ● بنور سنته عنا دجا الظلم ●

ولها في عافيته ايضا ●

● حمدنا الذي عافى الخليفة جعفرا ● على رغم اشياخ الضلالة والكفر ●
● وما كان الا مثل بدر اصابه ● كسوف قليل ثم اجلى عن البدر ●
● سلامته للدين عز وقوة ● وعلته للدين قاصمة الظهر ●
● مرضت فامرضت البرية كلها ● واظلمت الامصار من شدة الذعر ●
● فلما استبان الناس منك افاقة ● افاقوا وكانوا كالقيام على الجمر ●
● سلامة دنيانا سلامة جعفر ● فدام معافى سالما اخر الدهر ●
● امام يعم الناس بالعدل والتقى ● قريب من التقوى بعيد من الوزر ●

ولها من الاشعار الرايقة الفايقة شيا كثيرا وفيما ذكرنا كفاية والله الموفق للصواب
قال ابن عساكر بلغني ان مولدها في سنة احدى وثمانين ومايه وتوفيت سنة سبع
وسبعين ومايتين بسر من راى ولها ست وتسعون سنة ●

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

قال ابن الجوزي في المحرم منها من هذه السنة طلع نجم ذو جمة ثم صارت الجمة ذؤابة
قال ابن الجوزي في المحرم من هذه السنة وفي هذه السنة غار ماء النيل وهذا شيء لم
يعهد مثله ولا بلغنا في الاخبار السابقة فغلت الاسعار بمصر بسبب ذلك جدا قال
وخلع على عبيد الله بن سليمان بالوزارة وقال وفي المحرم منها قدم الموفق ابو احمد من
الغزو فتلقاه الناس الى النهروان فدخل بغداد وهو مريض بالنقرس فاستقر في داره
في اوائل صفر ومات بعد ايام كما سياتي في ترجمته في هذه السنة قال ابن الجوزي وفي هذه
السنة تحركت القرامطة قبحهم الله وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة اتباع الفلاسفة
الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وكانا يبيحان المحرمات ثم هم بعد ذلك
اتباع كل ناعق الى باطل واكثر ما يدخلون من جهة الرافضة لانهم اقل الناس عندهم
وعند غيرهم عقولا ويقال لهم الاسماعيلية لانتسابهم الى اسماعيل الاعرج بن جعفر
الصادق ويقال لهم القرامطة نسبة الى قرمط بن الاشعث البقار وقيل ان رئيسهم
كان في اول دعوته يامر من اتبعه بخمسين صلاة في كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما
يريد تدبيره من المكيدة ثم اتخذ نقباء اثني عشر واسس لاتباعه دعوة ومسلكا ودعا
الى امام من اهل البيت ويقال لهم الباطنية لانهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر
المحض والخرمية والبابكية نسبة الى بابك الخرمي الذي ظهر في ايام المعتصم فلم يزل
يبعث خلفه الجيوش حتى جيء به اسيرا فقتله كما ذكرنا فيما سبق ويقال لهم المحمرة نسبة
الى صبغ الحمرة شعارا مضاهاة لسواد بني العباس والتعليمية نسبة الى التعلم من
الامام المعصوم وترك الراي ومقتضى العقل ويقال لهم السبعية نسبة الى القول
بان الكواكب السبعة المتحيرة السيارة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون لعنهم الله وهي
القمر في الاولى وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ
في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة قال ابن الجوزي وقد بقي من البابكية
جماعة يقال انهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصابيح وينتهبون
النساء فمن وقع في يده امراة حلت له ويقولون هذا اصطياد مباح لعنهم الله وقد
بسط ابو الفرج بن الجوزي في هذا الموضع من تاريخه المسمى بالمنتظم تفصيل لعنهم الله
وقد سبقه الى ذلك القاضي ابو بكر بن الباقلاني المتكلم المشهور في كتابه هتك
الاستار وكشف الاسرار في الرد على الباطنية في الكتاب الذي جمعه بعض قضاتهم بديار
مصر في ايام الفاطميين الذي سماه البلاغ الاعظم والناموس الاكبر جعله ست عشرة
درجة اول درجة ان يدعو من يجتمع به اولا ان كان من اهل السنة الى القول بتفضيل
علي على عثمان ثم ينتقل اذا وافقه على ذلك الى تفضيله على الشيخين ابي بكر وعمر ثم يترقى
من ذلك الى سبهما لانهما ظلما عليا واهل البيت الحق ثم يترقى بعد ذلك الى تجهيل الامة
وتخطيئها في موافقة اكثرهم على ذلك ثم يشرع في القدح في دين الاسلام من حيث هو ويذكر
للمخاطب شبها وضلالات لا تروج الا على كل غبي جاهل شقي كما قال تعالى والسماء ذات
الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك اي يضل به من هو ضال وقال تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الجن والانس يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول

غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون
بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون والايات في هذا المعنى كثيرة ومضمونها
ان الجهل والضلال لا ينقاد له الا شرار الرجال كما قال الشاعر

ان هو مستحوذا على احد … الا على اضعف المجانين

ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والجهل والسخافة والرعونة مما لا ينبغي لضعيف
عقل او دين ان تصغو سماعه مما فتح عليهم ابليس من الابواب وانواع الجهالات وربما افاد
بعضهم ابليس اشياء لم يكن عنده كما قال بعضهم

وكنت امرا من جند ابليس برهة … من الدهر حتى صار ابليس من جندي

والمقصود ان هذه الطائفة تحركت في هذه السنة ثم استفحل امرهم وتفاقم الحال
بهم على ما سنذكره حتى آل الحال الى ان دخلوا المسجد الحرام فسفكوا فيه دماء الحجيج في
وسط المسجد حول الكعبة المكرمة وكسروا الحجر الاسود واقتلعوه من موضعه وذهبوا به
الى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلثمائة ثم لم يزل عندهم الى سنة تسع وثلثين وثلثمائة
فمكث غائبا عن موضعه ثنتين وعشرين سنة فانا لله وانا اليه راجعون واتفق
في هذه السنة شيئان احدهما ظهور هؤلاء والثاني موت حسام الاسلام وناصر الدين
ابو احمد الموفق تغمده الله برحمته واسكنه بحبوحة جنته بمنه وكرمه لكن ابقى الله
للمسلمين بعده ولده ابا العباس احمد بن ابي احمد الموفق الملقب بالمعتضد
وقد كان شهما شجاعا فاتكا كريما جوادا ممدحا

وهذه ترجمة ابي احمد الموفق رحمه الله

هو الامير الناصر لدين الله الموفق بالله ابو احمد محمد ويقال طلحة بن المتوكل على الله
جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد كان مولده في يوم الاربعاء لليلتين خلتا
من ربيع الاول سنة تسع وعشرين ومائتين وكان اخوه المعتمد حين صارت اليه
الخلافة قد عهد اليه بالولاية بعد ابنه جعفر ولقبه الموفق بالله ثم لما قتل صاحب
الزنج وكسر جيشه تلقب بناصر دين الله وصار اليه العقد والحل والولاية والعزل
واليه يجبى الخراج وكان يخطب له على المنابر فيقال اللهم اصلح الامير الناصر لدين الله
ابا احمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين اخا امير المؤمنين ثم اتفق موته قبل اخيه
المعتمد بستة اشهر وكان غزير العقل حسن التدبير كريما جوادا ممدحا شجاعا
مقداما رئيسا حسن المحاضرة والمجالسة عادلا حسن السيرة يجلس للمظالم وعنده
القضاة فينصف المظلوم من الظالم وكان عالما بالادب والنسب والفقه
وسياسة الملك وغير ذلك وله محاسن ومآثر كثيرة جدا وكان سبب موته انه اصابه
مرض النقرس في السفر ثم قدم الى بغداد وهو عليل فاستقر في داره في اوائل صفر
وقد تزايد به المرض وتورمت رجله حتى عظمت جدا وكان يوضع عليها الاشياء المبردة
كالثلج ونحوه وكان يحمل سريره اربعون رجلا بالنوبة عشرون عشرون فقال لهم
ذات يوم ما اظنكم الا قد مللتم فيا ليتني كواحد منكم اكل كما تاكلون واشرب كما تشربون
في عافية وقال ايضا في ديواني مائة الف مرتزق ليس فيهم اسوأ حالا مني ثم كانت
وفاته في القصر الحسني ليلة الخميس لثمان بقين من هذه السنة قال ابن الجوزي وقال

ابن الاثير من صفر من هذه السنة قال ابن الجوزي وله سبع واربعون سنة تنقص شهرا وايام ولما توفي ابو احمد الموفق اجتمع الامراء على اخذ البيعة بولاية العهد من بعده لولده ابي العباس فبايع له المعتمد بولاية العهد بعد ابنه المفوض وخطب له على المنابر بعد المفوض وخطب له على المنابر بعد المفوض وجعل اليه ما كان الى ابيه من الولاية والعزل والقطع والوصل والعقد والحل ولقب المعتضد بالله

وممن توفي فيها ايضا

ادريس بن سليم الفقعسي الموصلي قال ابن الاثير وكان كثير الحديث والصلاح واسحاق بن كنداج نائب الجزيرة وكان من ذوي الراي الشجعان المشهورين وقام بما كان اليه ولده محمد ويازمان نائب طرسوس جاءه حجر منجنيق من بلد كان محاصرها ببلاد الروم فمات منه وذلك في رجب من هذه السنة ودفن بطرسوس وتولى نيابة الثغر بعده احمد الجعيفي بامر خمارويه بن احمد بن طولون ثم عزله عن قريب بابن عمه موسى بن طولون وعبدة بن عبد الرحيم قبحه الله ذكر ابن الجوزي في المنتظم ان هذا الشقي كان من الذين يجاهدون في سبيل الله كثيرا في بلاد العدو فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرو بلدة من بلاد الروم اذ نظر الى امراة في ذلك الحصن فهويها فراسلها ما السبيل اليك فقالت ان تتنصر وتصعد الي فاجابها الى ذلك فقبحه الله فما راع المسلمين الا وهو عندها فاغتم المسلمون بسبب ذلك غما شديدا وشق عليهم مشقة عظيمة فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المراة في ذلك الحصن فقالوا له يا فلان ما فعل قرانك ما فعل صيامك ما فعلت صلاتك فقال اعلموا اني انسيت القران كله الا قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

في اواخر المحرم منها خلع جعفر المفوض من العهد واستقل بولاية العهد من بعد المعتمد ابو العباس بن الموفق ولقب بالمعتضد وجعل اليه السلطنة كما كان ابوه وخطب بذلك المعتمد على رؤس الاشهاد وكان يوما مشهودا ففي ذلك يقول يحيى بن علي يهنئ المعتضد

ليهنك عقد انت فيه المقدم ... حباك به رب بفضلك اعلم
فان كنت قد اصبحت والي عهدنا ... فانت غدا فينا الامام المعظم
ولا زال من والاك فينا مبلغا ... مناه ومن عاداك يشجى ويندم
وكان عمود الدين فيه تاود ... فعاد بهذا العهد وهو مقوم
واصبح وجه الملك جذلان ضاحكا ... يضيء لنا منه الذي كان يظلم
فدونك فاشدد عقدها تحويه ... فانك دون الناس فيه المحكم

ومنها نودي ببغداد ان لا يمكن القصاص والطرقية والمنجمون ومن اشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات وان لا تباع كتب الكلام والفلاسفة والجدل بين الناس وذلك بهمة ابي العباس المعتضد سلطان الاسلام وفي هذه السنة قدمت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيبان في ارض الموصل وقد بسط ذلك ابن الاثير في كامله وفي رجب

منها

منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الاثنين لتسع عشرة خلت منه

وهذه ترجمته

هو امير المومنين المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد واسمه احمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله ابي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس حتى استمرت ايامه في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة ايام وكان عمره يوم مات خمسين سنة وستة اشهر وكان اسن من اخيه ابي محمد الموفق بستة اشهر وتاخر بعده اقل من سنة ولم يكن اليه من الامر شيء وانما كان الامر كله فيما يتعلق بتدبير الخلافة الى الموفق وقد اتفق ان المعتمد طلب في بعض الايام ثلثمائة دينار فلم يحصل له فقال في ذلك

اليس من العجائب ان مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه
وتوخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه
اليه تحمل الاموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى اليه

وكان اول خليفة انتقل من سامرا الى بغداد ثم لم يعد بعد ذلك سامرا ولم يعد اليها احد من الخلفاء بل جعلوا دار اقامتهم ببغداد وكان سبب هلاكه فيما ذكر ابن الاثير انه شرب تلك الليلة شرابا وتعشى عشاء كثيرا وكانت وفاته في القصر الحسني من بغداد وحين مات احضر المعتضد القضاة والاعيان واشهدهم انه مات حتف انفه ثم غسل وكفن وصلى عليه ثم حمل فدفن بسامرا وفي صبيحة تلك الليلة بويع للمعتضد بالله

البلاذري المؤرخ احد المشاهير

احمد بن يحيى بن جابر بن داود بن الحسن ويقال له ابو جعفر ويقال له ابو بكر البغدادي البلاذري صاحب التاريخ المنسوب اليه سمع هشام بن عمار وابا عبيد القسم بن سلام وابا الربيع الزهراني وجماعة وعنه يحيى بن النديم واحمد بن عمار وابو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الازدي قال الحافظ ابن عساكر كان اديبا راوية له كتب جياد ومدح المامون بمدائح وجالس المتوكل وتوفي ايام المعتمد ووسوس في اخر عمره وروى ابن عساكر عن البلاذري قال قال لي محمود الوراق قل من الشعر ما يبقى لك ذكره ويزول عنك اثمه فقلت

استعدي يا نفس للموت واسعي ... لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت انه ليس للحي ... خلود ولا من الموت بد
انما انت مستعيرة ما سو ... ف تردين والعواري ترد
انت تسهين والحوادث لا ... تسهو وتلهين والمنايا تجد
اي ملك في الارض او اي حظ ... لامرئ حظه من الارض لحد
لا ترجي البقاء في معدن المو ... ت ودار حتوفها لك ورد
كيف يهوى امرؤ لذاذة ايا ... م عليه الانفاس فيها تعد

خلافة المعتضد بالله امير المؤمنين ابي العباس

احمد بن ابي احمد الموفق بن جعفر المتوكل

وكان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم كانت البيعة له صبيحة موت المعتمد وذلك
لعشر بقين من رجب من هذه السنة اعني سنة تسع وسبعين ومائتين وقد كان الخلافة
داثرا فاحياه بيمنه وعدله وشهامته وصرامته وشجاعته استوزر عبيد الله بن سليمان
بن وهب وولى مولاه بدرا الشرطة ببغداد وجاءته هدايا عمرو بن الليث ليسأله ان
يوليه امرة خراسان فاجابه الى ذلك وبعث اليه بالخلع واللواء فنصبه عمرو بن الليث في داره
ثلاثة ايام فرحا وسرورا بذلك وعزل رافع بن هرثمة عن امرة خراسان ودخلها عمرو بن
الليث فلم يزل يتتبع رافعا من بلد الى بلد حتى قتله في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي وبعث
براسه الى المعتضد وصفت امرة خراسان لعمرو بن الليث وفي هذه السنة قدم الحسين
بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من الديار المصرية بهدايا عظيمة من خمارويه الى
المعتضد بالله فتزوج المعتضد بابنة خمارويه فجهزها ابوها بجهاز لم يسمع بمثله
حتى قيل انه كان بين يديها من الذهب مائة هاون وحمل ذلك كله من الديار المصرية
الى بغداد صحبة العروس وكان وقتا مشهودا وفي هذه السنة ملك احمد بن عيسى بن
الشيخ قلعة ماردين وكانت قبل ذلك لاسحاق بن كنداجيق وفيها حج بالناس هارون
بن محمد العباسي وهي اخر حجة حجها وكان اول حجة حجها بالناس سنة اربع وستين ومائتين

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد امير المؤمنين المعتمد كما تقدم ترجمته قريبا ابو بكر بن ابي خيثمة احمد بن زهير بن
خيثمة صاحب التاريخ وغيره سمع ابا نعيم وعفان واخذ علم الحديث عن احمد بن حنبل ويحيى
ابن معين وعلم النسب من مصعب الزبيري وايام الناس عن ابي الحسن علي بن محمد المدائني
واخذ الادب عن محمد بن سلام الجمحي وكان ثقة حافظا ضابطا مشهورا وفي تاريخه هذا فوائد
كثيرة وفوائد غزيرة وقد روى عنه البغوي وابن صاعد وابن ابي داود وابن المنادي وقد
كانت وفاته في جمادى الاولى من هذه السنة عن اربع وتسعين سنة خاقان ابو عبد
الله الصوفي كانت له احوال وكرامات

الترمذي

محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك وقيل محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن
ويقال محمد بن عيسى بن سورة بن شداد ابو عيسى السلمي الترمذي الضرير ويقال انه
ولد اكمه وهو احد ائمة هذا الشان في زمانه وله المصنفات المشهورة منها الجامع والشمائل
واسماء الصحابة وغير ذلك وكتابه الجامع احد الكتب الستة التي يرجع اليها العلماء
في سائر الافاق وجهالة ابي محمد ابن حزم لابي عيسى حيث قال في محلاه ومن محمد بن عيسى
بن سورة لا تضره في دينه ودنياه ولا يضع من قدره عند اهل العلم بل يحط من منزلة ابن
حزم عند الحفاظ وكيف يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل وقد ذكرنا
مشايخه في كتابنا التكميل وروى عنه غير واحد من العلماء منهم محمد بن اسماعيل البخاري
في غير الصحيح والهيثم بن كليب الشاشي صاحب المسند ومحمد بن احمد بن محبوب
المحبوبي راوي الجامع عنه ومحمد بن المنذر شكر قال الحافظ ابو يعلى الخليل بن عبد الله
الخليلي القزويني في كتابه علوم الحديث محمد بن عيسى بن سورة بن شداد الحافظ
متفق عليه له كتاب في السنن وكلام في الجرح والتعديل روى عنه ابن محبوب والاجلاء

وهو مشهور بالامانة والعلم مات بعد الثمانين ومائتين كذا قال في تاريخه فانه وقد
قال الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن سليمان الغنجار في تاريخ بخارا محمد بن عيسى
بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الحافظ دخل بخارا وحدث بها وهو صاحب
الجامع والتاريخ توفي بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع
وسبعين ومائتين وذكره الحافظ ابو حاتم بن حبان في الثقات فقال كان ممن
جمع وصنف وحفظ وذاكر وقال الترمذي كتب عني البخاري حديث عطية عن ابي
سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري
وغيرك وروى ابن نقطة في تقييده عن الترمذي انه قال صنفت هذا المسند الصحيح
فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به وعرضته على علماء العراق فرضوا به وعرضته على علماء
خراسان فرضوا به ومن كان في بيته هذا الكتاب فكانما في بيته نبي يتكلم قالوا وجملة
المسند الجامع الذي صنفه الترمذي مائة واحد وخمسون كتابا وكتاب العلل صنفه
بسمرقند وكان فراغه منه في يوم عيد الاضحى من سنة سبعين ومائتين قال
ابن نقطة سمعت محمد بن طاهر المقدسي سمعت ابا اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري
يقول كتاب الترمذي عندي انفع من كتاب البخاري ومسلم قلت ولم قال لانه لا يصل الى
الفائدة منهما الا من هو من اهل المعرفة التامة وهذا الكتاب قد شرح احاديثه وبينها
فيصل اليها كل احد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهما والذي يظهر من حاله
انه طرا عليه العمى بعد ان رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وصنف ثم اتفق موته في بلده
في رجب من هذه السنة على الصحيح المشهور والله اعلم

سنة ثمانين ومائتين من الهجرة

في المحرم منها قتل المعتضد رجلا من اهل الزنج كان قد لجا اليه بالامان ويعرف
بشيلمة ذكر له انه كان يدعو الى رجل لا يعرف من هو وقد افسد جماعة فاستدعى به فقرره
فلم يقر وقال لو كان تحت قدمي ما اقررت به فامر به فشد على عمود خيمة ثم لوحه على النار
حتى تساقط جلده عن عظامه ثم امر بضرب عنقه وصلبه لليلتين خلون من
المحرم وفي اول صفر ركب الخليفة المعتضد بالله ابو العباس بن الموفق من بغداد
قاصدا بني شيبان من ارض الموصل فاوقع بهم باسا شديدا عند جبل يقال له نوباذ
وكان مع المعتضد حاد جيد الحداء فقال في بعض تلك الليالي يحدو بالمعتضد:

وقلت لها ان الذين عهدتهم • بظلك في امن وان زمانا لي
فقالوا مضوا واستخلفوني مكانهم • ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

قال فتغرغرت عينا المعتضد وقال صدق من ذا الذي يبقى على الحدثان وفي هذه
السنة امر المعتضد بتسهيل عقبة حلوان فغرم عليها عشرين الف دينار وكان
الناس يلقون منها شدة عظيمة وفيها وسع المعتضد جامع المنصور واضاف فيه
دار المنصور اليه وغرم عليه عشرين الف دينار وكانت الدار قبله فبناها مسجدا
على حدة وفتح بينهما سبعة عشر بابا وحول المنبر والمحراب الى المسجد ليكون في قبلة الجامع
على عادة الخطب قال الخطيب البغدادي وزاد بدر مولى المعتضد السقطات من

قصر المنصور المعروفة بالمدينة في هذا الوقت

ذكر بناء دار الخلافة ببغداد

اول من بناها المعتضد في هذه السنة فكان اول من سكنها من الخلفا الى اخر دولتهم وكانت ولا دارا للحسن تعرف بالقصر الحسني ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران التي تزوج بها المامون فعمرت فيها حتى استنزلها المعتضد عنها فاجابته الى ذلك ثم اصلحت ما وهي منها ورممت ما كان قد تشعث فيها وفرشت في كل موضع منها ما يليق به من المفارش واسكنت فيه ما يليق به من الجواري والخدم واعدت بها الماكل الشهية وما يحسن ادخاره في ذلك الزمان ثم ارسلت بمفاتيحها الى المعتضد فلما دخلها اذهله ما راى فيها من الخيرات ثم وسعها وزاد فيها وجعل لها سورا حولها فكانت قدر مدينة شيراز وبنى الميدان ثم بنى قصرا مشرفا على دجلة ثم بنى فيها المكتفي التاج ثم كانت ايام المقتدر فزاد فيها زيادات عظيمة جدا ثم اخرت اثارها الى ايام التتار الذين خربوها وسبوا من كان بها من الحرائر كما سياتي بيانه في موضعه من سنة ست وخمسين وستمائة قال الخطيب والذي يشبه ان يكون بوران سلمت دار الخلافة الى المعتمد فانها لم تعش الى ايام المعتضد وفيها زلزلت اردبيل ست مرات فتهدمت دورها فلم يبق منها مائة دار ومات تحت الردم مائة الف وخمسون الفا فانا لله وانا اليه راجعون وفيها غارت المياه ببلاد الري وطبرستان حتى بيع الماء كل ثلاثة ارطال بدرهم وغلت الاسعار هناك جدا وفيها غزا اسماعيل بن احمد الساماني بلاد الترك ففتح مدينة ملكهم واسر امراته الخاتون واباه ونحوا من عشرة الاف اسير وغنم من الدواب والامتعة والاموال شيا كثيرا اصاب الفارس الف درهم وحج بالناس في هذه السنة ابو بكر محمد بن هارون بن اسحاق العباسي

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن سيار بن ايوب الفقيه الشافعي المشهور بالعبادة والزهد واحمد بن ابي عمران موسى بن عيسى ابو جعفر البغدادي كان من اكابر الحنفية تفقه على محمد بن سماعة وهو استاذ ابي جعفر الطحاوي وكان ضريرا سمع الحديث من علي بن الجعد وغيره وقدم مصر فحدث بها من حفظه وتوفي بها في المحرم من هذه السنة وقد وثقه ابن يونس في تاريخ مصر احمد بن محمد بن عيسى بن الازهر ابو العباس البرتي القاضي وهو واسطي صاحب المسند روى عن مسلم بن ابراهيم وابي سلمة التبوذكي وابي نعيم وابي الوليد وخلق وكان ثقة ثبتا تفقه بابي سليمان الجوزجاني صاحب محمد بن الحسن وقد حكم بالجانب الشرقي من بغداد في ايام المعتز فلما كانت ايام الموفق طلب منه ومن اسماعيل القاضي ان يعطياه ما بايديهما من اموال اليتامى الموقوفة فبادر الى ذلك اسماعيل القاضي واستنظره ابو العباس البرتي هذا ثم بادر الى كل من انس منه رشدا فدفع اليه ماله فلما طولب به قال ليس عندي منه شي دفعته الى اهله فعزل عن القضا ولزم بيته فتعبد الى ان توفي في ذي الحجة من هذه السنة وقد راه بعضهم في المنام فقال قد دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه وصافحه وقبل بين عينيه وقال مرحبا بمن عمل بسنتي واثري وفيها توفي جعفر بن المعتضد وكان

بسامرا

بسامرا اباه وراشد مولى الموفق بمدينة الدينور فحمل الى بغداد وعثمان بن سعيد الدارمي مصنف الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه من التاويل لمذهب الجهمية وقد ذكرناه في طبقات الشافعية ومسرور الخادم وكان من اكابر الامرا ومحمد بن اسماعيل ابن يوسف ابو اسماعيل الترمذي صاحب التصانيف الحسنة في رمضان من هذه السنة قاله ابن الاثير وشيخنا الذهبي وهلال بن العلا المحدث المشهور وقد وقع لنا من حديثه طرف

وسيبويه استاذ النحاة

ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب وقيل مولى آل الربيع بن زياد الحارثي البصري ولقب سيبويه لجمال وجنتيه كانتا كالتفاحتين وسيبويه في لغة فارس رائحة التفاح وهو الامام العلامة العلم شيخ النحاة من لدن زمانه الى زماننا هذا والناس عيال على كتابه المشهور في هذا الفن وقد شرح بشروح كثيرة وقل من يحيط به علما اخذ سيبويه العلم عن الخليل بن احمد ولازمه وكان اذا قدم يقول الخليل مرحبا بزائر لا يمل واخذ ايضا عن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب وابي زيد الانصاري وابي الخطاب الاخفش الكبير وغيرهم قدم من البصرة الى بغداد ايام كان الكسائي يؤدب الامين بن الرشيد فجمع بينهما فتناظرا في شي من مسائل النحو فانتهى الكلام الى ان قال الكسائي تقول العرب كنت اظن الزنبور اشد لسعا من النحلة فاذا هو اياها فقال سيبويه انما يقولون فاذا هو هي فتطاول النزاع بينهما في ذلك فقال سيبويه بيني وبينك اعرابي لم يشبه شي من كلام الناس المولدين وكان الامين يحب نصرة استاذه فسال رجلا من الاعراب فنطق بما قال سيبويه فكره الامين ذلك وقال له ان الكسائي يقول خلافك فقال ان لساني لا يطاوعني على ما يقوله الكسائي فقال له احب ان تحضر وان تصوب قول الكسائي فطاوعه على ذلك وانفصل المجلس عن قول الاعرابي ان الكسائي اصاب فحمل سيبويه على نفسه وعرف انهم تعصبوا عليه ورحل عن بغداد فمات ببلاد شيراز في قرية يقال لها البيضا وقيل انه ولد بها وتوفي بمدينة ساوه في هذه السنة وقيل سنة سبع وسبعين وقيل ثمان وثمانين وقيل احدى وستين وقيل اربع وتسعين ومائة فالله اعلم وقد نيف على الاربعين وقيل بل انما عمر نيفا وثلاثين سنة فالله اعلم وقد قرا بعضهم هذه الابيات على قبره

ذهب الاحبة بعد طول تزاور • ونأى المزار فاسلموك واقشعوا
تركوك اوحش ما تكون بقفرة • لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
قضي القضاء وصرت صاحب حفرة • عنك الاحبة اعرضوا وتصدعوا

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائتين

فيها دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا ولله الحمد وفيها تكامل غور المياه ببلاد الري وطبرستان وغلت الاسعار جدا وتكامل وجهد الناس وقحطوا حتى اكل بعضهم بعضا فكان الرجل ياكل ابنته فانا لله وانا اليه راجعون وفيها حاصر

المعتضد قلعة ماردين وكانت بنو حمدان بن حمدون فتحتها فتسلمها واخذ ما كان
فيها ثم امر بتخريبها فهدمت في هذه السنة وصلت قطر الندى بنت خمارويه
صاحب الديار المصرية الى بغداد في تجمل عظيم ومعها من الجهاز شيء عظيم حتى قيل انه
كان في الجهاز مائة هاون من ذهب ثم بعد كل حساب معها مائة الف دينار ليشتري
بها من العراق ما تحتاج اليه مما لا يوجد مثله بالديار المصرية وفيها خرج المعتضد
الى بلاد الجبل وولى ولده عليا المكتفي نيابة الري وقزوين وزنجان وقم وهمدان
والدينور وجعل على كتابته احمد بن الاصبغ وولى عمر بن عبد العزيز بن ابي دلف
نيابة اصبهان ونهاوند والكرج ثم عاد راجعا الى بغداد وحج بالناس محمد بن هارون
بن اسحاق واصاب الحجاج في الاجفر مطر عظيم فغرق كثير منهم بشر كثير كان الرجل يغرق
في الرمل فلا يقدر احد على خلاصه

ومن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن الحسين بن ديزيل الحافظ صاحب كتاب المصنفات منها في صفين
مجلد كبير احمد بن محمد الطائي بالكوفة في جمادى منها اسحاق بن ابراهيم المعروف
بابن الختلي سمع وكان يفتي الناس بالحديث وكان يوصف بالفهم والحفظ ابن ابي
الدنيا عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي مولى بني امية ابو بكر
ابن ابي الدنيا الحافظ المشهور له التصانيف النافعة الشائعة الذائعة
في الرقائق تزيد على مائة مصنف رح سمع ابراهيم بن المنذر الحزامي وخالد بن خداش
وعلي بن الجعد وخلقا وكان مؤدبا للمعتضد وابنه علي بن المعتضد الملقب بالمكتفي
وكان له عليه في كل شهر خمسة عشر دينارا وكان ثقة صدوقا حافظا ذا مروءة لكن
قال صالح بن محمد جزرة الا انه كان يروي عن رجل يقال له محمد بن اسحاق البلخي
وكان هذا الرجل كذابا يضع للكلام اسنادا ويروي احاديث منكرة ومن شعر ابن ابي
الدنيا انه جلس اصحابه له ينتظرونه ليخرج اليهم فجاء المطر فحال بينه وبينهم
فكتب اليهم رقعة فيها مكتوب

انا مشتاق الى رؤيتكم ... يا اخلاي وسمعي والبصر
كيف انساكم وقلبي عندكم ... حال فيما بيننا هذا المطر

توفي ببغداد في جمادى الاولى من هذه السنة عن سبعين سنة وصلى عليه يوسف
بن يعقوب القاضي ودفن بالشونيزية رح عبد الرحمن بن عمرو ابو زرعة الدمشقي
الحافظ الكبير الشهير بين اهل العلم محمد بن ابراهيم بن المواز الفقيه المالكي
له اختيارات في مذهب الامام مالك من ذلك وجوب الصلاة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الصلاة

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين

في خامس ربيع الاول يوم الثلثا دخل المعتضد بالله بزوجته ابنة خمارويه وكان
قدومها الى بغداد صحبة عمها وصحبة ابن الجصاص وكان الخليفة غائبا وكان
دخولها اليه يوما مشهودا ومنع الناس من المرور في الطرقات وفيها نهى الخليفة
المعتضد ان يعمل للناس في يوم النوروز ما كانوا يتعاطونه من ايقاد النيران وصب
الماء وغير ذلك من الافعال المشابهة للمجوس ومنع من حمل هدايا الفلاحين الى
المقطعين في هذا اليوم وامر بتأخير ذلك الى الحادي عشر من حزيران وسمي
النوروز المعتضدي وكتب بذلك الى الآفاق وسائر العمال وفي ذي الحجة من
هذه السنة قدم ابراهيم بن احمد الماذرائي من دمشق على البريد فاخبر المعتضد
بان خمارويه ذبحه بعض خدمه على فراشه وولوا ولده جيش ثم
قتلوه ونهبوا داره وولوا هارون بن خمارويه وقد التزم في كل سنة بالف
الف دينار وخمسمائة الف دينار يحمل الى باب الخليفة فاقره المعتضد على ذلك
فلما كان المكتفي عزله وولى مكانه محمد بن سليمان الواثقي فاصطفى اموال الطولونيين
وكان ذلك آخر العهد بهم وفيها اطلق لؤلؤ غلام احمد بن طولون من السجن وعاد
الى مصر في اذل حال وحج بالناس الامير المتقدم ذكره

ومن توفي فيها من الاعيان

احمد بن داود ابو حنيفة الدينوري اللغوي صاحب كتاب النبات اسماعيل بن اسحاق
ابن اسماعيل بن حماد بن زيد ابو اسحاق الازدي القاضي اصله من البصرة ونشأ ببغداد
وسمع مسلم بن ابراهيم ومحمد بن عبد الله الانصاري والقعنبي وعلي بن المديني وكان
حافظا فقيها مالكيا جمع وصنف وشرح في المذهب عدة مصنفات في التفسير
والحديث والفقه وغير ذلك وقد ولي القضاء ايام المتوكل بعد سوار بن عبد الله
ببغداد ثم عزل ثم ولي وصار مقدم القضاة وكانت وفاته فجاءة ليلة الاربعاء
لثمان بقين من ذي الحجة من هذه السنة وقد جاوز الثمانين رح الحرث بن محمد
ابن ابي اسامة صاحب المسند المشهور خمارويه بن احمد بن طولون صاحب
الديار المصرية بويع له بملك الديار المصرية بعد ابيه سنة احدى وسبعين
ومائتين فقصده المعتضد ابو العباس بن الموفق في حياة ابيه فاقتتلوا
قتالا شديدا في ارض الرملة وقيل في ارض الصعيد فانهزم خمارويه هاربا على حمار
وكر جيشه على المعتضد فهرب كما قدمنا ثم تزوج ابنته ونصا فيما بعد ذلك
فلما كان في ذي الحجة من هذه السنة عدا الخدم من الخصيان على خمارويه فذبحوه
وهو على فراشه وذلك لانه اتهمهم بجواريه فمات عن ثنتين وثلاثين سنة
فقام بالامر من بعده ولده هارون بن خمارويه وهو آخر الطولونية وذكر ابن
الاثير ممن توفي في هذه السنة عثمان بن سعيد بن خالد ابو سعيد الدارمي الفقيه
الشافعي اخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي الفضل بن محمد بن المسيب بن
موسى بن زهير بن يزيد بن كيسان بن باذان ملك اليمن وقد اسلم باذان في
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو محمد الشعراني الفقيه العابد الحافظ
الرحال تلميذ يحيى بن معين وروى عنه فوائد في الجرح والتعديل وغير ذلك
وكذلك اخذ عن احمد بن حنبل وعلي بن المديني وزاد خلف بن هشام البزار وتعلم
اللغة من ابن الاعرابي وكان ثقة كبير القدر رح محمد بن القسم بن خلاد ابو العيناء
البصري الضرير الشاعر الاديب البليغ اللغوي تلميذ الاصمعي وكنيته ابو عبد الله
وانما لقب بابي العيناء لانه سئل عن تصغير عينا فقال عيينا وله معرفة تامة

بالأدب والحكايات والملح فأما الحديث فليس له منه إلا القليل

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين

في المحرم منها خرج المعتضد من بغداد قاصداً بلاد الموصل لقتال هارون الشاري الخارجي فظفر به وهزم أصحابه وكتب بذلك إلى بغداد ولما رجع الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون الخارجي وكان صفرياً فلما صلب قال لا حكم إلا لله ولو كره المشركون وكان الحسين بن حمدان بن حمدون قد قاتل الخوارج في هذه الغزوة قتالاً عظيماً فأطلق الخليفة أباه حمدان بن حمدون من القيود بعدما كان قد سجنه حين أخذ قلعة ماردين من يده وغضب عليه فأطلقه وخلع عليه وأحسن إليه وفيها كتب المعتضد إلى الآفاق برد ما فضل عن سهام ذوي الفروض إذا لم يكن عصبة إلى ذوي الأرحام وذلك عن فتيا أبي حازم القاضي وقد قال في فتياه إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيد بن ثابت فإنه تفرد برد ما فضل والحالة هذه إلى بيت المال ووافق علي بن محمد بن أبي الشوارب لأبي حازم وأفتى القاضي يوسف بن يعقوب بقول زيد فلم يلتفت إليه المعتضد وأمضى فتيا أبي حازم ومع هذا ولى القاضي يوسف بن يعقوب قضاء الجانب الشرقي وخلع عليه خلعة سنية وقلد أبا حازم قضاء أماكن كثيرة وكذلك لابن أبي الشوارب وخلع عليه خلعاً سنية أيضاً وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم فاستنقذ من أيديهم من المسلمين ألفان وخمسمائة وأربعة أنفس ولله الحمد والمنة وفيها حاصرت الصقالبة الروم في القسطنطينية فاستعان ملك الروم بمن عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم سلاحاً كثيراً فخرجوا معهم فهزموا الصقالبة ثم خاف ملك الروم من غائلة المسلمين ففرقهم في البلاد وفيها خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشغاله فخلفه فيها رافع بن هرثمة ودعا على منابرها لمحمد بن زيد الطالبي ولولده من بعده فرجع إليه عمرو وحاصره فيها ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها وفيها بعث الخليفة المعتضد وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب لقتال عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأمنه وأخذه معه إلى الخليفة فتلقاه الأمراء عن أمر الخليفة وخلع عليه وأحسن إليه

وممن توفي فيها من الأعيان

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الثقفي السراج النيسابوري كان الإمام أحمد يدخل إلى منزله وكان يعطيه الربيع من الجانب الغربي من بغداد وكان ينبسط فيه ويفطر عنده وكان من الثقات العلماء العباد توفي في صفر منها إسحاق بن يحيى بن محمد بن حازم بن بشر أبو القاسم الجبلي وليس هو بالذي تقدم ذكره في السنين المتقدمة سمع داود بن عمرو وعلي بن الجعد وخلقاً كثيراً وقد لينه الدارقطني فقال ليس بالقوي توفي في هذه السنة عن نحو ثمانين سنة. سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد أحد أئمة الصوفية لقي ذا النون المصري ومن كلام سهل الحسن قوله أمس قد مات واليوم في النزع وغداً لم يولد وهذا كما قال بعض الشعراء

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

قال القاضي ابن خلكان وكان سلوكه على يدي خاله محمد بن سوار وقيل إنه توفي في سنة ثلاث وسبعين فالله أعلم. عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش أبو محمد

الحافظ

الحافظ المروزي أحد الجوالين الرحالين حفاظ الحديث وأحد المتكلمين في الجرح والتعديل وقد كان يشير بشيء من التشيع فالله أعلم روى الخطيب عنه أنه قال شربت بولي في هذا الشأن خمس مرات يعني أنه اضطر إلى ذلك في الأسفار في طلبه الحديث. علي بن محمد بن أبي الشوارب عبد الملك الأموي البصري قاضي سامرا وقد ولي في بعض الأحيان قضاء القضاة وكان من الثقات سمع أبا الوليد وأبا عمر الحوضي وعنه النجاد وابن صاعد وقانع وحمل الناس عنه علماً كثيراً

ابن الرومي الشاعر

صاحب الديوان في الشعر علي بن العباس بن جريج أبو الحسن المعروف بابن الرومي وهو مولى عبيد الله بن جعفر وكان شاعراً مشهوراً ومطبوعاً فمن ذلك قوله

إذا ما مدحت الباخلين فإنما ... تذكرهم ما في سواهم من الفضل
وتهدي لهم غماً طويلاً وحسرة ... فإن منعوا منك النوال فبالعدل

ومن ذلك قوله

إذا ما كساك الدهر سربال صحة ... ولم تخل من قوت يحلو ويعذب
فلا تغبطن المترفين فإنه ... على قدر ما يكسوهم الدهر يسلب

وقوله

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب
إذا انقلب الصديق غدا عدواً ... مبيناً والأمور إلى انقلاب
ولو كان الكثير يطيب كانت ... مصاحبة الكثير من الصواب
ولكن قل ما استكثرت إلا ... وقعت على ذئاب في ثياب
فدع عنك الكثير فكم كثير ... يعاف وكم قليل مستطاب
وما اللجج الملاح بمرويات ... وتلقى الري في النطف العذاب

وقوله

وما الحسب الموروث لا در دره ... بمحتسب إلا بآخر مكتسب
فلا تتكل إلا على ما فعلته ... ولا تحسبن المجد يورث كالنسب
فليس يسود المرء إلا بنفسه ... وإن عد آباء كراماً ذوي حسب
إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة ... من المثمرات اعتده الناس في الحطب
وللمجد قوم ساوروه بأنفس ... كرام ولم يعبؤوا بأم ولا أب

ومن لطيف شعره

قلبي من الطرف السقيم سقيم ... لو أن من أشكو إليه رحيم
من وجهها أبداً نهار واضح ... من فرعها ليل عليه بهيم
إن أقبلت فالبدر لاح وإن مشت ... فالغصن راح وإن رنت فالريم
نعمت بها عيني فطال عذابها ... ولكم عذاب قد جناه نعيم
نظرت فأقصدت الفؤاد بسهمها ... ثم انثنت نحوي فكدت أهيم
ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت ... وقع السهام ونزعهن أليم
يا مستحل دمي محرم رحمتي ... ما أنصف التحليل والتحريم

وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة غير ما أوردناه من ذلك قوله وكان يزعم أنه لم يسبق إليه

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والأخريات رجوم

وذكر أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين وأنه مات في هذه السنة، وقيل في سنة ست وسبعين. وذكر أن سبب وفاته أن وزير المعتضد القاسم بن عبيد الله كان يخاف من هجوه ولسانه، فدس إليه من أطعمه وهو بحضرته خشكنانجة، فلما أحس بالسم قام، فقال له الوزير: إلى أين؟ قال: إلى المكان الذي بعثتني إليه. قال: سلم على والدي. فقال: لست أجتاز على النار.

محمد بن سليمان بن الحارث أبو بكر الباغندي الواسطي، كان من الحفاظ، وقد ذكر أن أبا داود كان يسأله عن الحديث، ومع هذا تكلموا فيه وضعفوه.

محمد بن غالب بن حرب أبو جعفر الضبي المعروف بتمتام، سمع عفان وقبيصة والقعنبي، وكان من الثقات، قاله الدارقطني، وربما أخطأ. توفي في رمضان عن تسعين سنة.

البحتري الشاعر صاحب الديوان المشهور، الوليد بن عبادة، ويقال الوليد بن عبيد بن يحيى أبو عبادة الطائي البحتري الشاعر، أصله من منبج، وقدم بغداد ومدح المتوكل والرؤساء، وكان شعره في المديح خيرا منه في المراثي، فقيل له في ذلك فقال: المديح للرجاء والمراثي للوفاء، وبينهما بعد. وقد روى شعره المبرد وابن درستويه وابن المرزبان، وقد قيل له: إنهم يقولون إنك أشعر من أبي تمام، فقال: لولا أبو تمام ما أكلت الخبز، كان أبو تمام أستاذنا. وقد كان البحتري شاعرا مطيقا فصيحا بليغا، رجع إلى بلده فمات به في هذه السنة، وقيل في التي بعدها، عن ثمانين سنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

في المحرم منها دخل رأس رافع بن هرثمة إلى بغداد، فأمر الخليفة بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر ثم بالجانب الغربي إلى الليل. وفي ربيع الأول منها خلع على محمد بن يوسف بن يعقوب بالقضاء بمدينة المنصور عوضا عن ابن أبي الشوارب بعد موته بخمسة أشهر وأيام. وفي تاسع عشر ربيع الآخر ظهرت بمصر ظلمة شديدة وحمرة في الأفق حتى صار الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جدا، وكذلك الجدران، فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل، فخرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرعون إليه حتى كشف عنهم. وفي هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، فحذره وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب من ذلك، فإن العامة تنكر قلوبهم وهم يترحمون عليه في أسواقهم وجوامعهم، فلم يلتفت إليه وأمر بذلك وأمضاه، وكتبت نسخ بلعنة معاوية وذكر فيها ذمه وذم ابنه يزيد وجماعة من بني أمية، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذم معاوية، وقرئت في الجانبين من بغداد، ونهيت العامة عن الترحم عليه والترضي عنه، فلم يزل به الوزير حتى قال له فيما قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الصنيع مما يرغب العامة في الطالبيين وقبول الدعوة إليهم، فوجل لذلك المعتضد وترك ما كان عزم عليه من ذلك خوفا على الملك، وقدر الله أن هذا الوزير كان ناصبيا يبغض عليا، فكان هذا من هفوات المعتضد سامحه الله. ونودي في البلدان أن لا تجتمع العامة على قاص ولا كاهن ولا منجم ولا جدلي ولا غير ذلك، وأن لا يهتموا بأمر النيروز، ثم أطلق لهم أمر النيروز، وكانوا يصبون الماء على المارة، فتوسعت العامة في ذلك وغلوا فيه حتى جعلوا يصبون المياه على الجند والشرطة وغيرهم، وهذا أيضا

من هفواته

من هفواته. قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة وعد المنجمون الناس أن أكثر الأقاليم سيغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار والسيول وزيادة الأنهار، فأكذبهم الله في قولهم هذا، فلم تكن سنة أقل مطرا منها، وقلت العيون جدا، وقحط الناس في كل بقعة حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مرارا كثيرة، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

قال: وفي هذه السنة كان يتبدى بالليل في دار الخلافة شخص بيده سيف مشهور، فإذا أرادوا أخذه انهزم منهم فدخل في بعض الأماكن أو الزروع أو الأشجار أو العطفات التي في دار الخلافة، فلا يطلع له على خبر، فقلق من ذلك المعتضد قلقا شديدا، وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به، وأمر الحرس من كل جانب بشدة الاحتراس، فلم يفد ذلك شيئا، واستدعى بالمعزمين ومن يعاني علم السحر وأمر المجانين فعزموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئا فأعياهم أمره. ثم بعد مدة اطلع على جلية خبره وحقيقة أمره، أنه كان خادما خصيا يتعشق بعض الجواري من خواص الحظايا اللاتي لا يصل إلى النظر إليها مثله، فكان قد اتخذ لحى مختلفة الألوان فيلبس الواحدة ويتبدى بالليل في شكل مزعج، فينزعج الجواري والخدم ويثورون من كل جانب ويقصدونه فيدخل في بعض العطفات ويخلعها ويجعلها في كمه، ويظهر أنه من جملة الخدم المتطلبين لكشف هذا الأمر ويسأل هذا وهذا ما الخبر، والسيف في يده صفته أنه من جملة من يهتم بهذا الأمر، وإذا اجتمع الجواري يتمكن من النظر إلى تلك المعشوقة وملاحظتها والإشارة إليها بما يريده منها. ولم يزل ذلك دأبه إلى زمن المقتدر، فبعث في سرية إلى طرسوس فنمت عليه تلك الجارية وانكشف زيفه ومحاله وأهلكه الله عز وجل. وفي هذه السنة اضطرب الجيش على هارون بن خمارويه بمصر، فقاموا إليه بعض أمرائه يدبر الأمور ويصلح الأحوال، وهو أبو جعفر بن أبان، فبعث إلى دمشق، وكانت قد سعت بيعة جيش بن خمارويه في مدة ولايته تسعة أشهر بعد أبيه واضطربت أحوالها، فبعث إليهم جيشا كثيفا مع بدر الحمامي والحسين بن أحمد الماذرائي، فأصلحا أمرها واستعملا على نيابتها طغج بن جف، ورجعا إلى الديار المصرية والأمور مختلة جدا، وهكذا يكون انقضاء الدول وأواخرها، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال.

وممن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملي الزاهد النيسابوري، يلقب بحكويه العابد، سمع قتيبة وأحمد وإسحاق وغيرهم، واستملى على المشايخ ستا وخمسين سنة، وكان زاهدا رث الهيئة، دخل يوما على أبي عثمان سعيد بن إسماعيل وهو في مجلس التذكير فبكى أبو عثمان وقال للناس: إنما أبكاني رثاثة ثياب رجل كبير من أهل العلم أنا أجله عن أن أسميه في هذا المجلس، فجعل الناس يلقون الخواتيم والدراهم والثياب حتى اجتمع من ذلك شيء كثير بين يدي الشيخ أبي عثمان، فنهض عند ذلك أبو عمرو المستملي فقال: أيها الناس أنا الذي قصده الشيخ بكلامه، ولولا أني كرهت أن تتهموا الشيخ لسترت ما ستره. فتعجب أبو عثمان من إخلاصه، ثم أخذ أبو عمرو ذلك المجتمع بين يدي الشيخ فما خرج من المسجد حتى تصدق بجميعه على الفقراء والمحاويج. كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة.

إسحاق بن الحسن بن سعد أبو يعقوب الحربي، سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما، وكان أسن من إبراهيم

الحربي بثلاث سنين ولما توفي اسحاق الحربي نودي عليه بالبلد فقصد الناس داره للصلاة
عليه واعتقد بعض العامة انه ابراهيم الحربي فجعلوا يقصدون داره فيقول لهم ابراهيم
ليس لهذا الموضع قصدتم وعندنا تونه ايضا فما عمر بعده الا دون السنة رحمهما الله
اسحاق بن محمد ابو بلا يعقوب الدمري عمر تسعين سنة وكان ثقة صالحا اسحاق بن موسى
بن عمران الفقيه ابو يعقوب الاسفرايني الشافعي عبيد الله بن علي بن الحسن بن اسماعيل
ابو العباس الهاشمي كانت اليه الحسبة ببغداد وامامة جامع البصرة عبيد الله بن معاوية
العتابي من ولد عتاب بن اسيد بصري قدم بغداد وحدث عن ازهر السمان وابي عاصم
النبيل يزيد بن الهيثم بن طهمان ابو خالد الدقاق ويعرف بالبادا قال ابن الجوزي
والصواب ان يقال البادي لانه ولد توما فكان هو الاول في الميلاد روى عن يحيى
بن معين وغيره وكان ثقة صالحا

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

فيها خرج صالح بن مدرك الطائي على الحجاج بالاجفر فاخذ اموالهم ونساءهم وخدمهم يقال انه
اخذ منهم ما قيمته الفا الف دينار وفي ربيع الاول منها يوم الاحد لعشر بقين منه
ارتفعت بنواحي الكوفة ظلمة شديدة جدا ثم سقطت امطار برعود وبروق
لم ير مثلها وسقط في بعض القرى مع المطر حجارة بيض وسود وسقط برد كبار وزن
البردة مائة وخمسون درهما واقتلعت الرياح شيئا كثيرا من النخيل مما حول دجلة وزادت
دجلة زيادة عظيمة حتى خيف على بغداد من الغرق وغزا راغب الخادم مولى الموفق
بلاد الروم ففتح حصونا كثيرة واسر ذراري كثيرة جدا وقتل من اسارى الرجال الذين
تحصلوا معه ثلاثة الاف رقبة وعاد سالما توفي ابن المصعوري وحج بالناس فيها محمد
بن عبد الله بن داود الهاشمي وفيها توفي احمد بن عيسى بن الشيخ صاحب آمد فقام بامرها
من بعده ولده محمد فقصده المعتضد ومعه ابنه ابو محمد علي المكتفي فحاصره بها فخرج
اليه مستامنا فتسلمها منه وخلع عليه واكرم اهله لحسن اليه واستخلف
عليها ولده المكتفي ثم سار الى قنسرين والعواصم فتسلمها من كاتب هارون بن خمارويه
وارتد له في ذلك ومصالحته له على ذلك وفيها غزا ابن الاخشيد باهل طرسوس بلاد
طرسوس من الروم ففتح الله على يديه ولله الحمد

وممن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن اسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم ابو اسحاق الحربي احد الائمة في الفقه والحديث
وغير ذلك من الفنون كان زاهدا عابدا تخرج باحمد بن حنبل وروى عنه كثيرا قال الدارقطني ابراهيم
الحربي امام مصنف عالم بكل شيء بارع في كل علم صدوق وكان يقاس باحمد بن حنبل في زهده
وعلمه وورعه وقال ابراهيم الحربي اجمع عقلاء كل امة انه من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه
وكان يقول الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله وقد كان بي شقيقة
منذ خمس واربعين سنة ما اخبرت بها احدا قط ولي عشر سنين ابصر بفرد عين ما اخبرت
به احدا وذكر انه مكث نيفا وسبعين سنة من عمره ما يسال اهله غداء ولا عشاء
بل ان جاءوه بشيء اكله والا طوى الى الليلة القابلة وذكر انه انفق في بعض الرمضانات
على نفسه وعياله درهما واحدا واربعة دوانيق ونصفا وما كنا نعرف من هذه الطبائخ

شيئا انما هو باذنجان مشوي او باقة بقل او نحو هذا وقد بعث اليه امير المؤمنين
المعتضد في بعض الاحيان بعشرة الاف درهم فابى ان يقبلها فردها فرجع الرسول
يقول لك الخليفة فرقها على من تعرف من فقراء جيرانك فقال هذا شيء لم نجمعه ولا
نسال عن جمعه فلا يسالنا عن تفريقه قل لامير المؤمنين اما تتركنا والا تحولنا من
بلده ولما حضرته الوفاة دخل عليه بعض اصحابه يعوده فقامت ابنته تشكو
اليه ما هم فيه من الجهد وانه لا طعام لهم الا الخبز اليابس بالملح وربما عدموا الملح
في بعض الاحيان فقال لها ابراهيم يا بنية تخافين الفقر انظري الى تلك الزاوية
فيها اثنى عشر الف جزء قد كتبتها في العلم فبيعي كل يوم منها جزءا بدرهم فمن عنده
اثنى عشر الف درهم فليس بفقير ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذي الحجة وصلى عليه
يوسف بن يعقوب القاضي عند باب الانبار وكان الجمع كثيرا جدا

المبرد النحوي

محمد بن يزيد بن عبد الاكبر ابو العباس الازدي الثمالي المعروف بالمبرد النحوي البصري
امام في اللغة والعربية اخذ ذلك عن المازني وابي حاتم السجستاني وكان ثقة
ثبتا فيما ينقله وكان مناويا لثعلب وله كتاب الكامل في الادب وانما سمي المبرد لانه اختبى
من الوالي عند ابي حاتم تحت المزملة قال المبرد دخلنا يوما على المجانين نزورهم
انا واصحاب معي بالرقة فاذا فيهم شاب قريب عهد بالمكان عليه ثياب ناعمة فلما
بصر بنا قال حياكم الله ممن انتم قلنا من اهل العراق فقال بابي العراق واهلها
انشدوني او انشدكم قال المبرد فقلت بل انشدنا انت فقال

الله يعلم انني كمد • لا استطيع ابث ما اجد
روحان لي روح تضمنها • بلد واخرى حازها بلد
وارى المقيمة ليس ينفعها • صبر ولا يقوى لها جلد
واظن غائبتي كشاهدتي • بمكانها تجد الذي اجد

قال المبرد فقلت والله ان هذا لظريف فزدنا منه فانشا يقول

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم • ورحلوها فثارت بالهوى الابل
وابرزت من خلال السجف ناظرها • ترنو الي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان عقده عنم • ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حل بي وبهم • من نازل البين حان البين وارتحلوا
يا راحل العيس عجل كي اودعهم • يا راحل العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم انقض مودتهم • فليت شعري لطول العهد ما فعلوا

فقال رجل من البغضاء الذين معي ماتوا فقال الشاب اذا اموت فقال له ان شئت
فتمطى واستند الى سارية عنده ومات وما برحنا حتى دفناه رحمه الله ومات المبرد وقد
جاوز التسعين

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

فيها وقع تسلم آمد من ابن الشيخ في ربيع الاخر ووصل كتاب هارون بن احمد بن طولون
من مصر الى المعتضد وهو مخيم بآمد ان يسلم اليه قنسرين والعواصم على ان يقره على امرة

الديار المصرية فاجابه الى ذلك ثم رحل عن آمد قاصدا العراق وامر بهدم سور آمد فهدم البعض ولم يقدر على ذلك فقال ابن المعتز يهنيه بفتح آمد

اسلم امير المومنين ودم ... في غبطة وليهنك النصر
فلرب حادثة نهضت لها ... متقدما فتاخر الدهر
ليث فرايس الليوث فما ... يبيض من دمها له ظفر

ولما رجع الخليفة الى بغداد وجاته هدية عمرو بن الليث من نيسابور فكان وصولها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاخرة وكان مبلغها مالا فيه مقدار اربعة الاف الف درهم خارجا عن دواب وسروج وغير ذلك وفيها تحارب اسماعيل بن احمد الساماني وعمرو بن الليث وذلك ان عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثمة وبعث براسه الى الخليفة سال منه ان يقطعه ما وراء النهر مضافا الى ما بيده من ولاية خراسان فاجابه الى ذلك فانزعج لذلك اسماعيل بن احمد الساماني نايب ما وراء النهر وكتب اليه انك قد وليت دنيا عريضة فاقتنع بها عما في يدي من هذه البلاد فلم يقبل فاقبل اليه اسماعيل في جيوش عظيمة جدا فالتقيا عند بلخ فهزم اصحاب عمرو واسر عمرو فلما جي به الى اسماعيل بن احمد قام اليه وقبل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وامنه وكتب الى الخليفة في امره يذكر ان اهل تلك البلاد قد ملوه وضجروا من ولايته عليهم فجا كتاب الخليفة بان يتسلم حواصله وامواله فسلبه اياها فآل به الحال بعد ان كان مطبخه يحمل على ستماية جمل الى القيد والسجن

ظهور ابي سعيد الجنابي راس القرامطة قبحهم الله ولعنهم

وهذا الخبيث من الزنج واشد فسادا

كان ظهوره في جمادى الاخرة من هذه السنة بنواحي البصرة فالتف عليه من الاعراب وغيرهم بشر كثير وقويت شوكته جدا وقتل من حوله من اهل القرى ثم صار الى القطيف قريبا من البصرة ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد الى نايبها يامره بتحصين سورها فعمروه وجددوا امرا له بنحو من اربعة الاف دينار فامتنعت البصرة من القرامطة بسبب ذلك وتغلب ابو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد واكثروا في الارض الفساد وكان اصل ابي سعيد الجنابي هذا انه كان سمسارا في الطعام يبيعه ويحسب للناس الاثمان فقدم رجل يقال له يحيى بن المهدي في سنة احدى وثمانين ومايتين فدعا اهل القطيف الى بيعة المهدي فاستجاب له رجل يقال له علي بن المعلا بن حمدان الزيادي وساعده في الدعوة الى المهدي وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطيف فاستجابوا له فكان في جملة من استجاب ابو سعيد الجنابي هذا قبحه الله ثم تغلب على امرهم واظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له ودانوا له فتامر عليهم وصار هو المشار اليه فيهم واصله من بلدة يقال لها جنابا وسياتي ما يكون من امره وامر اصحابه

قال ابن الجوزي في المنتظم ومن عجايب ما وقع من الحوادث في هذه السنة ثم روى بسنده ان امراة تقدمت الى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمسماية دينار فانكره فجات ببينة تشهد لها به فقالوا نريد ان تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم انها الزوجة ام لا فلما صمموا على ذلك قال الزوج لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه فاقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر الى وجهها فقالت المراة واذا قد اراد ذلك فهو

في حل

في حل من صداقي عليه في الدنيا والاخرة

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن عيسى ابو سعيد الخراز فيما ذكره شيخنا الذهبي وقد ارخه ابن الجوزي في سنة سبع وسبعين ومايتين فالله اعلم

اسحاق بن محمد بن احمد بن ابان ابو يعقوب النخعي الاحمر الذي تنتسب اليه الطايفة الاسحاقية من الشيعة وقد ذكر ابن النوبختي والخطيب وابن الجوزي ان هذا الرجل كان يعتقد الالهية في علي بن ابي طالب وانه انتقل الى الحسن ثم الى الحسين وانه كان يظهر في كل وقت وقد اتبعه على هذا الكفر خلق من الحمير قبحهم الله وقبحهم وانما قيل له الاحمر لانه كان ابرص فكان يطلي برصه بما يغير لونه وقد اورد له النوبختي اقوالا عظيمة في الكفر لعنه الله وقد روى شيا من الحكايات والملح عن المازني وطبقته ومثل هذا اقل واذل ان يروى عنه

بقي بن مخلد ابن يزيد ابو عبد الرحمن الاندلسي الحافظ احد علما الغرب له التفسير والمسند والسنن والاثار التي فضلها ابن حزم على تفسير ابن جرير ومسند احمد ومصنف ابن ابي شيبة وفيما زعم ابن حزم نظر وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فاثنى عليه خيرا ووصفه بالحفظ والاتقان وانه كان مجاب الدعوة رح وارخ وفاته بهذه السنة عن خمس وسبعين سنة

الحسن بن بشار بن موسى ابو علي الخياط روى عن ابي بلال الاشعري وعنه ابو بكر الشافعي وكان ثقة راى في منامه وكانت به علة قايلا يقول له كل لا واشرب لا ففسره بقوله تعالى زيتونة لا شرقية ولا غربية فاكل زيتونا وشرب زيتا فبرا من علته تلك

محمد بن ابراهيم ابو جعفر الانماطي المعروف بمربع تلميذ يحيى بن معين كان ثقة حافظا

عبد الرحيم بن البرقي وعلي بن عبد العزيز البغوي صاحب المسند ومحمد بن موسى بن وضاح المصنف

محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم ابو العباس القرشي البصري الكديمي وهو ابن امراة روح بن عبادة ولد سنة ثلاث وثمانين وماية وسمع عبد الله بن داود الخريبي ومحمد بن عبد الله الانصاري وابا داود الطيالسي والاصمعي وخلقا وعنه ابن السماك والنجاد واخر من حدث عنه ابو بكر بن مالك القطيعي وقد كان حافظا مكثرا وقد تكلم فيه الناس لاغرابه في الروايات وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكميل بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة دفن يوم الجمعة قبل الصلاة للنصف من جمادى الاخرة من هذه السنة وقد جاوز الماية سنة وصلى عليه يعقوب القاضي رح

يعقوب بن اسحاق بن بختة ابو يوسف الواسطي سمع من يزيد بن هارون وقدم بغداد فحدث بها باربعة احاديث ووعد الناس ان يحدثهم من الغد فمات من ليلته عن ماية واثنتي عشرة سنة رح

والوليد بن عبادة البحتري فيما ذكره شيخنا الذهبي وقد تقدم في سنة ثلاث وثمانين كما ذكره ابن الجوزي فالله اعلم

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومايتين

في ربيع الاول منها تفاقم امر القرامطة صحبة ابي سعيد الجنابي فقتلوا وسبوا وافسدوا في بلاد هجر فجهز الخليفة اليهم جيشا كثيفا وامر عليهم العباس بن عمرو الغنوي وامره على اليمامة والبحرين ليحارب ابا سعيد فالتقوا هنالك والعباس في عشرة الاف مقاتل فاسرهم ابو سعيد كلهم فتجاسر بينهم كلهم الا الامير وحده وقتل الباقون

عن آخرهم صبرا بين يدي أبي سعيد فنجاه الله وهذا عجيب جدا وهو عكس واقعة
عمرو بن الليث فإنه أسر من بين أصحابه وكانوا خمسين ألفا ويقال إن العباس لما
قتل أبو سعيد وأصحابه صبرا بين يديه والعباس ينظر أقام العباس عند أبي سعيد
أياما ثم أطلقه وحمله على رواحل وقال ارجع إلى صاحبك فأخبره بما رأيت وقد كانت
هذه الوقعة في أواخر شعبان من هذه السنة ولما وقع هذا انزعج الناس انزعاجا
عظيما جدا وهم أهل البصرة بالجلاء منها فمنعهم من ذلك نائبها أحمد الواثقي فإنا لله
وإنا إليه راجعون وفيها أغارت الروم على بلاد طرسوس وكان نائبها وهو ابن الإخشاد
قد توفي من العام الماضي واستخلف على الثغر أبا ثابت فخرج الروم في تلك الناحية
وحشدوا وأنه عساكرهم إلى هنالك فالتقاهم أبو ثابت فلم يقدر على مقاومتهم فقتلوا
من أصحابه جماعة وأسروه فيمن أسروا فاجتمع أهل الثغر على ابن الأعرابي فولوه أمرهم
وذلك في ربيع الآخر وفيها قتل محمد بن زيد العلوي أمير طبرستان والديلم وكان سبب
ذلك أنه لما ظفر إسماعيل بن أحمد الساماني بعمرو بن الليث نائب خراسان ظن أن
إسماعيل لا يجاوز عمله وأن خراسان قد خلت له فأقبل من بلده يريدها وسبقه إلى خراسان
إسماعيل بن أحمد وكتب إليه أن الزم عملك ولا تجاوزه إلى غيره فلم يقبل فبعث إليه جيشا
مع محمد بن هارون الذي كان ينوب عن رافع بن هرثمة فلما التقيا هرب منه محمد بن هارون
خديعة فسار الجيش وراءه للطلب فكر عليهم راجعا فانهزموا منه فاحتاز ما في معسكرهم
وخرج محمد بن زيد بجراحات شديدة مات بسببها بعد أيام وأسر ولده زيد فبعث به
إلى إسماعيل بن أحمد فأكرمه وأنزله ببخارى وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلا أديبا حسن
السيرة فيما يوليه من تلك البلاد وكان فيه تشيع فتقدم إليه يوما خصمان اسم
أحدهما معاوية واسم الآخر علي فقال محمد بن زيد إن الحكم بينكما ظاهر فقال معاوية
أيها الأمير لا تغتر بنا فإن أبي كان من كبار الشيعة وإنما سماني معاوية مداراة لمن
ببلده من أهل السنة وهذا كان أبوه من كبار النواصب فسماه عليا تقية فتبسم
محمد بن زيد وأحسن إليه رح قال ابن الأثير في كامله وممن توفي في هذه السنة إسحاق
بن أيوب بن عمر بن الخطاب العدوي عدي ربيعة وكان أمير ديار ربيعة من الجزيرة
فولي مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر وعلي بن عبد العزيز البغوي صاحب
أبي عبيد القاسم بن سلام ومحمد بن أحمد بن مهدي الأزدي الموصلي وكان من الأعيان ق
وذكر هو وأبو الفرج بن الجوزي أن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون امرأة المعتضد
بالله توفيت في هذه السنة قال ابن الجوزي لسبع خلون من رجب منها ودفنت داخل
قصر الرصافة يعقوب بن يوسف بن أيوب أبو بكر المطوعي سمع أحمد بن حنبل وعلي بن
المديني وعنه النجاد والخلدي كان ورده في كل يوم قراءة قل هو الله أحد ثلاثون
ألف مرة أو أحدا وثلاثون ألف مرة قلت وممن توفي فيها أبو بكر بن أبي عاصم
صاحب السنة والمصنفات وهو أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل
له مصنفات في الحديث كثيرة منها كتاب السنة في أحاديث الصفات على طريقة
السلف وكان حافظا كبيرا جليلا وقد ولي قضاء أصبهان بعد صالح بن الإمام أحمد
وكان قد طاف البلاد في طلب الحديث وصحب أبا تراب النخشبي وغيره من مشايخ

الصوفية وقد اتفق له مرة كرامة هائلة وهو أنه كان هو واثنان من كبار الصحابة
في سفر فنزلوا يوما على رمل أبيض فجعل أبو بكر هذا يقلبه بيده ويقول اللهم
ارزقنا خبيصا بلون هذا فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابي وبيده قصعة فيها خبيص
بلون ذلك الرمل في بياضه فأكلوا منه رح وكان يقول لا أحب أن يحضر مجلسي
مبتدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذي ولا منحرف عن الشافعي وأصحاب
الحديث وكانت وفاته في هذه السنة بأصبهان وقد رآه بعضهم بعد وفاته وهو
يصلي فلما انصرف قال له ما فعل بك ربك فقال يؤنسني ربي عز وجل

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

اتفق في هذه السنة مصائب عديدة منها أن الروم قصدوا بلاد الرقة في محافل
من البر والبحر فقتلوا خلقا وأسروا نحوا من خمسة عشر ألفا من الذرية وفيها
أن بلاد أذربيجان أصاب أهلها وباء شديد حتى لم يبق أحد يقدر على دفن الموتى فتركوا
في الطرق لا يوارون عن الأبصار ومنها أن بلاد أردبيل أصابهم ريح شديدة
أيضا من بعد العصر إلى ثلث الليل ثم زلزلوا زلزالا شديدا واستمر ذلك أياما فتهدمت
الدور والمنازل وخسفت بآخرين منهم فكان جملة من مات تحت الهدم مائة ألف
وخمسين ألفا فإنا لله وإنا إليه راجعون وفيها اقترب القرامطة من البصرة فخاف
أهلها خوفا شديدا وهموا بالرحيل منها فمنعهم واليها

وممن توفي فيها من الأعيان

بشر بن موسى بن صالح أبو علي الأسدي ولد سنة تسع ومائة وسمع روح بن عبادة حديثا
واحدا وسمع الكثير من هوذة بن خليفة والحسن بن موسى الأشيب وأبي نعيم وعلي بن
الجعد والأصمعي وغيرهم وعنه ابن المنادي وابن مخلد وابن صاعد والنجاد وأبو عمرو
الزاهد والخلدي والحلبي وأبو بكر الشافعي وابن الصواف وغيرهم وكان ثقة أمينا
نبيلا حافظا وهو من أهل المروءات وكان أحمد يكرمه ومن شعره

ضعفت ومن جاز الثمانين يضعف • وينكر كل ما كان يعرف •
ويمشي رويدا كالأسير مقيدا • يداني خطاه في الحديد ويرسف •

ثابت بن قرة بن هارون ويقال ابن زهرون بن ثابت بن كرام بن إبراهيم الصابئ
الفيلسوف الحراني صاحب التصانيف ومنها أنه حرر كتاب إقليدس الذي عربه
حنين بن إسحاق العبادي وكان أصله صيرفيا بحران فترك ذلك واشتغل بعلم
الأوائل فنال منه رتبة سامية عند أهله ثم صار إلى بغداد فعظم شأنه بها وكان
يدخل مع المنجمين على الخليفة وهو باق على دين الصابئة وحفيده ثابت بن سنان
له تاريخ أجاد فيه وأحسن وكان بليغا ماهرا حاذقا بالغا وعمه إبراهيم بن ثابت
بن قرة كان طبيبا عارفا أيضا ترجم لهم كلهم في هذه الترجمة القاضي ابن خلكان
رحمه الله الحسن بن عمرو بن الجهم أبو الحسن الشيعي من شيعة المنصور لا من الروافض
حدث عن علي بن المديني وعلي بن بحر الحاني وعنه أبو عمرو بن السماك عبيد الله بن وهب
بن سليمان بن وهب وزير المعتضد كان حظيا عنده وقد عز عليه وفاته وقال لم تفقد
وأهمه من يجعله من بعده فعقد لولده القاسم بن عبيد الله الوزارة من بعد أبيه

جبر المصاب به وابو القسم عثمان بن سعيد بن بشار المعروف بالانماطي احد كبار
الشافعية وقد ذكرناه في طبقاتهم هارون بن محمد بن اسحاق بن موسى بن عيسى ابو
موسى الهاشمي امام الناس في الحج سمع وحدث وتوفي بمصر في رمضان من هذه السنة

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

فيها عاثت القرامطة بسواد الكوفة فظفر بعض العمال بطائفة منهم فبعث
برئيسهم الى المعتضد وكان يقال له ابو الفوارس فنال من العباس بين يدي الخليفة
فامر به فقلعت اضراسه وخلعت يداه ثم قطعت مع رجليه وصلب ببغداد وشهر
امره وفيها قصدت القرامطة دمشق في جحفل عظيم كثير فقاتلهم نائبها طغج بن جف
من جهة هارون بن خمارويه فهزموه مرات متعددة وتفاقم الحال بهم وكان ذلك
بسفارة يحيى بن زكرويه بن مهرويه الذي ادعى عند القرامطة انه محمد بن عبد الله
بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد كذب في ذلك
وزعم لهم انه قد اتبعه على امره مائة الف وان ناقته مامورة حيثما توجهت به نصر على
اهل تلك الناحية فراج ذلك عندهم ولقبوه الشيخ واتبعه طائفة من بني الاصبغ
وتسموا بالفاطميين وقد بعث الخليفة اليهم جيشا كثيفا فهزموه ثم اجتازوا بالرصافة
فاحرقوا جامعها ولم يجتازوا بقرية الا انتهبوها ولم يزل ذلك دابهم حتى وصلوا دمشق
فقاتلهم نائبها فهزموه مرات وقتلوا من اهلها خلقا كثيرا وانتهبوا من اموالهم اشياء
كثيرة فانا لله وانا اليه راجعون وفي هذه الحال الشديدة اتفق موت الخليفة المعتضد
بالله في ربيع الاول من هذه السنة احسن الله خاتمتها

وهذه ترجمة المعتضد

احمد بن الامير ابي احمد الموفق الملقب بناصر دين الله واسمه ابي احمد محمد وقيل طلحة
بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ابو العباس امير المومنين الخليفة
المعتضد بالله ولد في سنة ثنتين وقيل ثلاث واربعين ومائتين وامه ام ولد
وكان اسمر نحيف الجسم معتدل القامة قد وخطه الشيب في مقدم لحيته طول وفي راسه
شامة بيضاء وبويع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب
سنة تسع وسبعين فاستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب وولى القضاء اسماعيل
بن اسحاق ويوسف بن يعقوب وابن ابي الشوارب وكان امر الخلافة قد ضعف في ايام
عمه المعتمد على الله فلما ولي المعتضد اقام شعارها ورفع منارها وشيد دعائمها
وحيطانها واكد اركانها وكان شجاعا فاضلا من رجالات قريش حزما وجراءة وغزوا
وعزا واقداما وحرمة وكذلك كان ابوه من قبله وقد اورد ابن الجوزي باسناده ان
المعتضد اجتاز في بعض اسفاره بقرية فيها مقثاة فوقف صاحبها صائحا
مستصرخا بالخليفة فاستدعى به فساله عن امره فقال ان بعض الجيش اخذوا لي شيئا من
القثاء وهم من غلمانك فقال اتعرفهم فقال نعم فعرضهم عليه فعرف منهم ثلاثة
فامر الخليفة بتقييدهم وحبسهم فلما كان الصباح نظر الناس الى ثلاثة انفس
مصلبين على جادة الطريق فاستعظم الناس ذلك وانكروه وعاب كثير من الناس
على الخليفة ذلك وقالوا قتل ثلاثة بسبب قثاء اخذوه فلما كان بعد قليل امر

الخواص

الخواص مسامره ان ينكر عليه ذلك وليتلطف في مخاطبته بذلك فدخل عليه ذات ليلة
وهو عازم على المفاوضة معه في ذلك ففهم الخليفة ما في نفسه من كلام يريد ابداءه فقال
له اني افهم ان في نفسك كلاما فما هو فقال يا امير المومنين وانا آمن قال نعم قلت له فان
الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء فقال والله ما سفكت دما حراما
منذ وليت الخلافة فقلت له فعلام قتلت احمد بن الطيب وقد كان خادمك ولم يظهر له
خيانة فقال انه دعاني الى الالحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه فقلت له يا هذا
انا ابن عم صاحب الشريعة وانا منتصب في منصبه فاكفر حتى اكون من غير قومه ثم قتلته
فقلت له فما بال الثلاثة الذين قتلتهم في القثاء فقال والله ما كان اولئك الذين اخذوا
القثاء وانما كانوا لصوصا قد وجب قتلهم بعثت فجيء بهم من السجون فقتلتهم اريتهم
الذين اخذوا القثاء واردت ان اهول على الجيش لئلا يفسدوا في الارض ثم امر باخراج
اولئك الذين كان حبسهم بسبب القثاء فاطلقهم بعدما استتابهم وخلع عليهم ورد اليهم
الجاري الذي كانت لهم قال ابن الجوزي وخرج المعتضد يوما فعسكر بباب الشماسية
ونهى ان ياخذ احد من بستان احد شيئا فاتي باسود قد اخذ عذقا من بسر فتامله طويلا
ثم امر بضرب عنقه ثم التفت الى اصحابه وقال ان العامة سينكرون هذا ويقولون
ان رسول الله قال لا قطع في ثمر ولا كثر ولم يكفه ان يقطع يده حتى قتله واني لم اقتل
هذا على سرقته وانما هذا الاسود له خبر عجيب هذا رجل من الزنج كان قد استامن من حيوة
الزنج وانه تقاول هو ورجل من المسلمين فضرب المسلم فقطع يده فمات الرجل فاهدر
ابي دم الرجل تاليفا للزنج فاليت على نفسي لئن انا قدرت عليه لاقتلنه فما وقعت
عيني عليه الا هذه الساعة فقتلته بذلك الرجل وقال ابو بكر الخطيب انا محمد بن
احمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم الضبي سمعت ابا الوليد حسان بن محمد الفقيه
يقول سمعت ابا العباس بن سريج يقول سمعت اسماعيل بن اسحاق القاضي يقول
دخلت على المعتضد وعلى راسه احداث روم صباح الوجوه فنظرت اليهم فرآني المعتضد
وانا اتاملهم فلما اردت القيام اشار الي فمكثت ساعة فلما خلا قال لي ايها القاضي
والله ما حللت سراويلي على حرام قط وروى البيهقي عن الحاكم عن حسان بن محمد عن ابن
سريج عن القاضي اسماعيل بن اسحاق قال دخلت يوما على المعتضد فدفع الي كتابا
فاذا قد جمع له الرخص من زلل العلماء فقلت يا امير المومنين انما جمع هذا زنديق
فقال وكيف فقلت ان من اباح النبيذ لم يبح المتعة ومن اباح المتعة لم يبح الغنا
ومن جمع زلل العلماء ثم اخذ بها ذهب دينه فامر بتحريق ذلك الكتاب وروى الخطيب
بسنده عن صافي الحرمي الخادم قال انتهى المعتضد وانا سائر بين يديه الى منزل شغب
وابنه المقتدر جعفر جالس وحوله نحو من عشرة من الوصائف والصبيان من
اصحابه في سنه وبين يديه طبق من فضة فيه عنقود من عنب وكان العنب
اذ ذاك عزيزا جدا وهو ياكل عنبة واحدة ثم يفرق على كل واحد من جلسائه عنبة
عنبة فتركه المعتضد وجلس في بيت مهموما فقلت له ما لك يا امير المومنين فقال
ويحك والله لولا النار والعار لاقتلن هذا الغلام فان في قتله صلاحا للامة فقلت
اعيذك بالله يا امير المومنين العن الشيطان فقال ويحك يا صافي ان هذا الغلام

في غاية السخاء فان طباع الصبيان تأبى الكرم وهذا في غاية الكرم فان الناس لا يولون
عليهم الا من يؤمن ولدي فيستولي عليهم المكتفي ثم لا تطول ايامه للعلة التي به وهي داء الخنازير
ثم يموت فيولى على الناس جعفر هذا فيصرف جميع اموال بيت المال الى الحظايا
لشغفه بهن وقرب عهده من بينهن فتضيع امور المسلمين وتتعطل الثغور وتكثر
الفتن والخوارج والشرور قال الصافي فوالله لقد شاهدت ما قاله سواء سوا وروى
ابن الجوزي عن بعض خدم المعتضد قال كان الخليفة يوما نائما وقت القيلولة
ونحن حول سريره فاستيقظ مذعورا فصرخ بنا فجئنا فقال ويحكم اذهبوا الى دجلة
فاول سفينة تجدونها فارغة منحدرة فأتوني بملاحها واحتفظوا بها فذهبنا
سراعا فوجدنا ملاحا في سميرية فارغة منحدرا فأتينا به الخليفة فلما راى الخليفة
كاد يتلف فصاح به الخليفة صيحة واحدة فكادت روح الملاح تخرج فقال له
الخليفة ويحك يا ملعون اصدقني عن قضيتك مع المراة التي قتلتها اليوم والا ضربت
عنقك قال فتلعثم ثم قال نعم يا امير المومنين كنت اليوم سحرا في مشرعتي
الفلانية فنزلت امراة لم ار مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر فطمعت
فيها واحتلت عليها حتى شددت فاها وغرقتها واخذت جميع ما كان عليها من الحلي
والثياب فخشيت ان ارجع به الى منزلي فيشتهر خبرها فاردت الذهاب الى واسط
فلقيني هولاء الخدم فقال له واين حليها قال في صدر السفينة تحت البواري فامر
الخليفة باحضار الحلي فجيء به فامر عند ذلك بتغريق الملاح في المكان الذي غرق فيه المراة
وامر ان ينادى على اهل المراة ليحضروا حتى يتسلموا ما لها فحضروا وبعد ثلاثة ايام
فسلم الى اليتيم ما كان مع تلك المراة من الحلي فقال له خدمه يا امير المومنين من اين علمت
هذا قال رايت في نومي ذلك كان شيخا ابيض الراس واللحية والثياب وهو ينادي
يا احمد يا احمد خذ اول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المراة التي
قتلها اليوم وسلبها فاقم عليه الحد وكان ما شاهدتم وعن خفيف السمرقندي
الحاجب قال كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته وقد انقطع عن العسكر
وليس معه غيري اذ خرج علينا اسد فقصدنا فقال لي المعتضد يا خفيف افيك خير
قلت لا والله يا مولاي فقال ولا حتى تمسك فرسي وانزل انا فقلت بلى قال فنزل عن
فرسه فامسكتها وغرز اطراف ثيابه في منطقته واستل سيفه ورمى بقرابه الي ثم
تقدم الى الاسد فوثب الاسد عليه فضربه المعتضد بالسيف فاطار يده فاشتغل
الاسد بيده فضربه ثانية في هامته ففلقها فخر صريعا فدنا منه فمسح
سيفه في صوفه ثم اقبل الي فاغمد سيفه وركب فرسه ثم عدنا الى العسكر قال
وصحبته الى ان مات فوالله ما سمعته ذكر ذلك لاحد فما ادري من اي شيء اعجب امن شجاعته
ام من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لاحد ام من عدم عتبه علي حيث ضننت
بنفسي عنه والله اعلم بذلك فقط وروى الحافظ ابن عساكر عن ابي الحسين
النوري انه اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح فقال له ما هذه ولمن هذه فقال له هذه خمر
للمعتضد فصعد ابو الحسين اليها فجعل يضرب الدنان بعود في يده حتى كسرها كلها
سوى واحد تركه واستغاث الملاح فجاءت الشرط فاخذوه فاوقفوه بين يدي المعتضد

فقال

فقال له من انت فقال المحتسب فقال ومن ولاك الحسبة قال الذي ولاك الامامة
ولاني الحسبة يا امير المومنين فاطرق راسه ثم رفعه فقال له ما الذي حملك على ما صنعت
قال شفقة عليك لدفع الضرر عنك فاطرق راسه ثم رفعه فقال ولم تركت
من الدنان واحدا فقال لاني اقدمت عليها فكسرتها اجلالا لعظمة الله ولم ابال باحد من
الناس حتى انتهيت الى هذا الدن تحرك في نفسي كبر على اني اقدمت على مثلك فتركته
فقال له المعتضد اذهب فقد اطلقت يدك فغير ما احببت ان تغيره من
المنكر فقال النوري الان تنقص لي التغيير فقال ولم قال لاني كنت اغير عن الله وانا الان
اغير عن شرطي فقال له سل حاجتك فقال له احب ان تخرجني من بين يديك سالما فامر
فاخرج فصار الى البصرة فاقام بها مختفيا خشية ان يشق عليه احد في حاجة عند
المعتضد فلما توفي رجع الى بغداد وذكر القاضي ابو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي
عن شيخ من التجار قال كان لي على بعض الامراء مال كثير فماطلني ومنعني حقي وجعل كلما
جئت اليه يحجبه عني ويامر غلمانه يؤذونني فاستعديت عليه الى الوزير فلم يفد
فيه شيئا والى اولياء الامر فلم يقطع عنه وما زاده ذلك الا منعا وجحودا فدللت لذلك
الرجل على رجل خياط امام مسجد هناك فقصدته فقام معي نحو الامير فلما عاينه الامير
اكرمه واحترمه وبادر الى اعطائي حقه والخلاص من ذمته فتعجب ذلك التاجر
من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعفه كيف انطاع ذلك الامير له فعرض عليه شيئا
من المال الذي قبضه من الامير فلم يقبل منه شيئا فسأله عن خبره وذكر له تعجبه من
ذلك والح عليه فقال له ان سبب ذلك انه كان عندنا ههنا رجل تركي شاب حسن
امير فلما كان ذات يوم اقبلت امراة حسناء قد خرجت من حمام وعليها ثياب مرتفعة
فتعلق بها وهو سكران يريدها على نفسها ليدخلها منزله وهي تأبى عليه وتصرخ
باعلا صوتها يا معشر المسلمين انا امراة ذات زوج وهذا يريدني على نفسي ليدخلني
منزله وقد حلف زوجي بالطلاق ان لا ابيت في غير منزله ومتى بت ههنا طلقت
من زوجي ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الايام قال فقمت اليه فانكرت
عليه فضربني بدبوس في يده فشج راسي وغلب المراة على نفسها وادخلها منزله
فرجعت فغسلت الدم عني وعصبت راسي وصليت بالناس العشاء وقلت
لهم ان هذا قد فعل ما علمتم فقوموا بنا اليه لننكر عليه فقام الناس معي فهجمنا
عليه داره فثار الينا في جماعة من غلمانه بايديهم العصي والدبابيس يضربون
الناس وقصدني هو من بين الناس فضربني ضربا شديدا مبرحا واخرجنا من منزله
ونحن في غاية الاهانة فرجعت الى منزلي وانا لا اهتدي من الوجع فنمت على فراشي
لا ياخذني نوم وحرت ماذا اصنع حتى انقذ هذه المراة من يده في هذه الليلة
حتى لا يقع على زوجها الطلاق فرايت ان اؤذن للصبح في اثناء الليل لكي تخرج
من منزله فقمت الى المنارة فاذنت وجعلت انظر الى باب داره لكي تخرج المراة وصممت
ان لم تخرج ان اقيم للصلاة حتى يتحقق الصباح فبينا انا انظر اذ امتلا
الطريق فرسانا ورجالا وهم يقولون اين الذي اذن فقلت ها انا ذا وانا اريد
ان يعينوني عليه فقالوا انزل فنزلت فاخذوني وذهبوا بي لا املك من نفسي

شيا وما زالوا بي حتى ادخلوني على الخليفة المعتضد بالله فلما رايته جالسا في مقام
الخلافة ارعدت من الفرق فقال لي اسكن جاشك ثم قال انت الذي اذنت
قلت نعم يا امير المومنين فقال ما حملك على ان اذنت وقد بقي من الليل كثير
لتغر بذلك الصوام والمسافرين فقلت يومنني امير المومنين حتى اقص عليه
خبري فقال انت امن فذكرت له شيبا اذا في هذه الساعة فغضب غضبا
شديدا وامر باحضار ذلك الرجل والمراة التي في منزله فاحضرا سريعا فبعث
المراة الى زوجها مع ثقة من جهته وامره ان يامر زوجها بالعفو عنها والصفح
والاحسان اليها فانها مكرهة ومعذورة ثم اقبل على ذلك الشاب فقال له
ما رزقك وكم لك من المال وكم عندك من الجوارى والزوجات فذكر له شيا كثيرا
فقال له ويحك اما كفاك ما انعم به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتجرات
على السلطان وتعديت حدود الله وما كفاك ذلك حتى عمدت الى رجل يامرك
بالمعروف وينهاك عن المنكر فضربته واهنته فلم يكن له جواب فامر به فجعل
في قيد وفي عنقه غل وادخل في جوالق وضرب ضربا شديدا حتى خفت صوته ثم
القاه في دجلة وامر بدرا صاحب الشرطة ان يحتاط على ما في داره من الحواصل
والاموال التي كان يتناولها من بيت المال ثم قال لذلك الرجل
الصالح كلما شاهدت منكرا صغيرا كان او كبيرا ولو على هذا واشار الى صاحب
الشرطة فاعلمني به فان اتفق اجتماعك بي والا فعلامة ما بيني وبينك ان تؤذن
في مثل وقتك هذا قال فكنت لا امر احدا من هولا الدولة
بشي من الخير او انهى عن الشر الا بادر الى امتثاله وقبوله خوفا من المعتضد وما
احتجت ان اؤذن في مثل تلك الساعة الى الان وذكر الوزير عبيد الله بن
سليمان بن وهب قال كنت يوما عند المعتضد وخادم واقف على راسه
يذب عنه به اذ حركها فجات في قلنسوة الخليفة فسقطت فاعظمت ذلك
جدا وخفت من هول ما وقع ولم يكترث الخليفة بذلك بل اخذ قلنسوة فلبسها
ثم قال لبعض الخدم ان هذا فليذهب لراحته فانه قد نعس وزيدوا في عدة
من يذب بالنوبة قال الوزير فاخذنا نشكر للخليفة على حلمه فقال لان هذا
المسكين لم يتعمد هذا وانما نعس وليس العتاب والمعاتبة الا على المتعمد لا على
المخطي والساهي قال حفيف السمرقندي الحاجب لما جاء الخبر الى المعتضد
بموت وزيره عبيد الله بن سليمان وتحقق ذلك خر ساجدا طويلا فقيل
له يا امير المومنين لقد كان يخدمك ويبنصحك فقال انما سجدت شكرا لله اني
لم اعزله ولم اوذه ثم استشار الحاضرين فيمن يستوزره من بعده وذكر من حلين
احدهما جرادة وكان حازم الراى قويا والاخر احمد بن محمد بن الفرات فعدل به بدر صاحب
الشرطة عنهما واشار عليه بالقاسم بن عبيد الله فسفه رايه في ذلك فالح
عليه فولاه وبعث اليه يعزيه في ابيه ويهنيه بالوزارة فلما لبث القسم بن
عبيد الله حتى ولي المكتفي الخلافة من بعد المعتضد حتى قتل بدرا وكان المعتضد
كان ينظر الى ما بينهما من العداوة من وراء ستر رقيق وهذه فراسة عظيمة وتوسم

قوى وقد رفع الى المعتضد ان قوما يجتمعون على معصية فاستشار وزيره في امرهم فقال
ينبغي ان يصلب بعضهم ويحرق بعضهم فقال ويحك لقد بردت لهب غضبي عليهم بقسوتك
هذه اما علمت ان الرعية وديعة الله عند سلطانها وانه سايله عنها ولم يقابلهم بما قال
الوزير فيهم وبهذه النية لما ولي الخلافة كان بيت المال صفرا من الاموال والاحوال فاسدة
والاعراب تعيث في الارض فسادا في كل وجه فلم يزل برايه وتدبيره حتى كثرت الاموال
في بيت المال وصلحت الاحوال في ساير الاقاليم والافاق والمحال ومن شعره في جارية
له توفيت فوجد عليها وجدا عظيما

يا حبيبا لم يكن يعدله عندي حبيب * انت عن عيني بعيد ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في شي من اللهو نصيب * لك من قلبي على قلبي وان بنت رقيب
وخيالي منك مذ غبت خيال لا يغيب * لو تراني كيف لي بعدك عول ونحيب
وفوادي حشوه من حرق الحزن لهيب * لتيقنت بان بي بك محزون كيب
ما ارى نفسي وان طيبتها عنك تطيب * ليس دمعي لي بعصي وصبري لي مجيب

وقال فيها ايضا

لم ابك للدار ولكن لمن * قد كان فيها مرة ساكنا
فخانني الدهر بفقدانه * وكنت من قبل له امنا
ودعت صبري عند توديعه * وبان قلبي معه ظاعنا

وقد بعث اليه ابن المعتز يعزيه ويسليه عن مصيبته فيها

يا امام الهدى بنا لا بك الغم * وافنيتنا وعشت سليما
انت علمتنا على النعم الشكر * وعند المصايب التسليما
فاسل عما مضى فان التي كا * نت سرورا صارت ثوابا عظيما
قد رضينا بان نموت وتحيا * ان عندي في ذا الخطا جسيما
من يمت طايعا لديك فقد * اعطي فوزا ومات موتا كريما

وقد اجتمع ليلة عند المعتضد ندماوه فلما انقضى السمر وصار الى خطاياه وناموا
القوم اتاهم خادم من عند الخليفة وقال يقول لكم انه قد اصابه ارق من بعدكم وقد
عمل بيتا اعيا ثانيه فمن اجازه فله جايزة وهو هذا البيت

ولما انتبهنا للخيال الذي سرى * اذا الدار قفر والمزار بعيد

فجلس القوم من فرشهم يفكرون في ثانيه فبدر واحد منهم فقال

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي * لعل خيالا طارقا سيعود

فلما رجع به الخادم الى الخليفة وقع منه موقعا جيدا وارسل بجايزة سنية واستعظم
المعتضد يوما من بعض الشعرا قول الحكم بن قنبر المازني البصري

يرمي على من اطار النوم فامتنعا • وزاد قلبي على اوجاعه وجعا
كانما الشمس من اعطافه لمعت • حسنا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان عظمت • منه الاساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته • من القلوب وجيه حيثما شفعا

ولما كان في ربيع الاول من هذه السنة اعني سنة تسع وثمانين ومائتين اشتد وجع الخليفة المعتضد بالله فاجتمع رؤسا القواد منهم يونس الخادم الى الوزير القسم بن عبيد الله واشاروا بان يجتمع الناس لتجديد البيعة للمكتفي بالله علي بن المعتضد بالله ففعل ذلك وتاكد العهد وكان في ذلك الخير كثيرا وحين حضرت المعتضد الوفاة انشد لنفسه

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى • وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرنقا
ولا تامنن الدهر اني امنته • فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال فلم ادع • عدوا ولم امهل على ظنه خلقا
واخليت دار الملك من كل نازع • فشردتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة • ودانت رقاب الخلق اجمع لي رقا
رماني الردى سهما فاخمد جمرتي • فها انا ذا في حفرتي عاجلا القى
ولم يغن عني ما جمعت ولم اجد • لذي ملك الاحياء في حسنها رفقا
وافسدت دنياي وديني سفاهة • فمن ذا الذي مني بمصرعه اشقى
فيا ليت شعري بعد موتي ما القى • الى نعمة لله ام ناره القا

وكانت وفاته ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الاول من هذه السنة ولم يبلغ الخمسين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر وثلاثة عشر يوما وخلف من الاولاد الذكور عليا المكتفي وجعفرا المقتدر وهرون ومن البنات احدى عشرة بنتا ويقال سبع عشرة بنتا وترك في بيت المال سبعة عشر الف الف دينار وكان ماسكا عن صرف الاموال في غير وجهها فلهذا كان بعض الناس يبخله ومن الناس من يجعله من الخلفاء الراشدين المذكورين في الحديث الاثني عشر المنصوص عليهم في حديث جابر بن سمرة فالله اعلم وقد عمل ابو العباس عبد الله بن المعتز العباسي في ابن عمه المعتضد مرثاة حسنة يقول فيها

يا دهر ويحك ما ابقيت لي احدا • وانت والد سوء تاكل الولدا
استغفر الله بل ذا كله قدر • رضيت بالله ربا واحدا صمدا
يا ساكن القبر في غبراء مظلمة • بالظاهرية مقصى الدار منفردا
اين الجيوش التي قد كنت تسحبها • اين الكنوز التي احصيتها عددا
اين السرير الذي قد كنت تملاه • مهابة من رأته عينه ارتعدا
اين الاعادي الاولى ذللت صعبهم • اين الليوث التي صيرتها نقدا
اين الوفود على الابواب عاكفة • وردا القطا صفو ما جاد واطردا
اين الرجال قياما في مراتبهم • من راح منهم ولم يقتل فقد سعدا
اين الجياد التي حجلتها بدم • وكن يحملن منها الضيغم الاسدا
اين الرماح التي غذيتها مهجا • مذ مت ما وردت قلبا ولا كبدا

اين السيوف

اين السيوف واين النبل مرسلة • يصبن من شئت من قرن وان بعدا
اين المجانيق امثال الفيول اذا • رمين حائط حصن قائما قعدا
اين القصور التي شيدتها فعلت • ولاح منها سنا الابريز فاتقدا
اين الجنان التي تجري جداولها • وتستجيب اليها الطائر الغردا
اين الوصائف كالغزلان رائحة • يسحبن من حلل موشية جددا
اين الملاهي واين الراح تحسبها • ياقوتة كسيت من فضة زردا
اين الوثوب الى الاعداء مبتغيا • صلاح ملك بني العباس اذ فسدا
ما زلت تقسر منهم كل قسورة • وتحطم العاتي الجبار معتمدا
ثم انقضيت فلا عين ولا اثر • حتى كانك يوما لم تكن احدا
لا شيء يبقى سوى خير تقدمه • ما دام ملك لانسان ولا خلدا

اوردها الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير

خلافة المكتفي بالله ابي محمد علي بن المعتضد بالله امير المؤمنين

بويع له بالخلافة بعد موت ابيه في ربيع الاول من هذه السنة وليس في الخلفاء من اسمه علي سوى هذا وعلي بن ابي طالب وليس فيهم من يكنى بابي محمد الا هذا والحسن بن علي بن ابي طالب والهادي والمستضيء بامر الله وحين ولي المكتفي بغداد ثارت الفتن وانتشرت في البلاد وفي رجب زلزلت الارض زلزلة عظيمة جدا وفي رمضان تساقطت النجوم من السماء نجوم كثيرة ولم يزل الامر كذلك حتى طلعت الشمس ولما انتهت الخلافة اليه كان بالرقة فكتب اليه الوزير واعيان الامراء فركب ودخل بغداد في يوم مشهود وذلك يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الاولى من هذه السنة وفي هذا اليوم امر بقتل عمرو بن الليث الصفار وكان معتقلا في سجن ابيه وامر بتخريب المطامير التي كان اتخذها ابوه للسجن وامر ببناء جامع مكانها وخلع في هذا اليوم على الوزير القسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ست خلع وقلده سيفا وكان عمره يومئذ خمسا وعشرين سنة وبعض شهر وفي هذه السنة انتشرت القرامطة بعد موت المعتضد في الافاق وقطعوا الطريق على الحجيج وتسمى بعضهم بامير المؤمنين فبعث المكتفي اليهم جيوشا كثيرة وانفق اموالا غزيرة حتى اطفا الله بعض شرهم قبحهم الله وفي هذه السنة خرج محمد بن هرون عن طاعة اسماعيل بن احمد الساماني وكاتبه اهل الري بعد قتله محمد بن زيد الطالبي فصار اليهم فسلموا اليه البلد فاستحوذ عليها فقصده اسماعيل بن احمد بالجيوش فقهره واخرجه منها ذليلا مدحورا قال ابن الجوزي في المنتظم وفي يوم التاسع من ذي الحجة صلى الناس العصر في زمن الصيف وعليهم ثياب الصيف فهبت ريح شديدة باردة جدا حتى احتاج الناس من ذلك الى الاصطلاء بالنار ولبسوا الفراء والمحشوات وجمد الماء كفصل الشتاء قال ابن الاثير وكذا وقع بمدينة حمص قال وهبت ريح عاصف بالبصرة فاقتلعت شيئا كثيرا من نخيلها وخسف بموضع منها فمات تحته ستة آلاف نسمة قال ابن الاثير

وابن الجوزي وزلزلت بغداد في رجب من هذه السنة مرات متعددة ثم سكنت ولله الحمد والمنة وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي

وممن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم احد الصوفية الكبار قال ابن الاثير وهو من اقران سري السقطي احمد بن محمد المعتضد بالله غلب عليه سوء المزاج والجفاف لكثرة الجماع وكان الاطبا يصفون له ما يرطب بدنه فيستعمل ضد ذلك حتى سقطت قوته وقد ذكرنا كيفية وفاته في ترجمته انفا بدر غلام المعتضد ورأس الجيش كان القاسم بن عبيد الله الوزير قد عزم في حياة المعتضد على ان يصرف الخلافة عن اولاد المعتضد فناوض في ذلك بدرا ابدا فامتنع عليه وابى الا البيعة لاولاد مولاه فلما ولي المكتفي خاف الوزير من غائلة ما كان اشار به الى بدر فعمل عليه في الباطن عند المكتفي ولم يزل حتى احتاط الخليفة على حواصله وامواله وهو بواسط ثم بعث اليه بالامان فقدم فامر الوزير من قتله فقتل يوم الجمعة لست خلون من رمضان من هذه السنة وحمل راسه وبقيت جثته فاخذها اهله ثم بعثوها في تابوت الى مكة فدفنوها بها وذلك انه اوصى بذلك وكان قد اعتق كل مملوك له قبل وفاته وحين اريد قتله صلى ركعتين لله عز وجل ثم قتلوه الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الفهم بن محرز بن ابراهيم ابو علي الحافظ البغدادي سمع خلف بن هشام ويحيى بن معين ومحمد بن سعد وغيرهم وعنه الخطبي والطوماري وكان عسرا في التحدث الا لمن لازمه وكان له معرفة جيدة بالاخبار والنسب والشعر واسما الرجال يميل الى مذهب العراقيين توفي عن ثمان وسبعين سنة وقد قال الدارقطني ليس بالقوي عمارة بن وثيمة بن موسى ابو رفاعة الفارسي صاحب التاريخ على السنين وقد وله مصر وحدث عن ابي صالح كاتب الليث وغيره عمرو بن الليث الصفار احد الامرا الكبار قتل في السجن ولما قدم المكتفي بغداد

سنة تسعين ومائتين من الهجرة

فيها اقبل يحيى بن زكرويه بن مهرويه ابو القاسم القرمطي المعروف بالشيخ في جحافل من القرامطة فعاث بناحية الرقة فسادا فجهز اليه الخليفة جيشا كثيفا نحو عشرة الاف فارس وفيها ركب الخليفة المكتفي من بغداد الى سامرا يريد الاقامة بها فثنى رايه عن ذلك الوزير القسم بن عبيد الله ورجع به الى بغداد وفيها قتل يحيى بن زكرويه بن مهرويه على باب دمشق قتله جيش المصريين زرقه رجل من المغاربة بمزراق من نار فحرقه وذلك بعدما كان قتل خلقا كثيرا من جيشها من اصحاب طغج بن جف نائبها ثم من الله على الناس بقتله ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا فقام بامر القرامطة من بعده اخوه الحسين وتسمى باحمد وتكنى بابي العباس وتلقب بامير المومنين واطاعه القرامطة كما كانوا يطيعون اخاه فحاصر دمشق فصالحه اهلها على مال ثم سار الى حمص فافتتحها وخطب له على منابرها ثم سار الى حماه ففعل اهل تلك النواحي واستباح اموالهم وحريمهم فكان يقتل الدواب والصبيان في المكاتب ويبيح لمن معه وطي النسا فربما وطي الواحدة الجماعة من الرجال فاذا ولدت ولدا هني به

كل واحد

كل واحد منهم فكتب اهل الشام الى الخليفة يشكون اليه ما يلقون من هذا اللعين فجهز المكتفي جيوشا كثيفة وانفق اموالا جزيلة وركب في رمضان فنزل الرقة وبث الجيوش في كل جانب لقتال القرامطة وكان القرمطي يكتب الى اصحابه من عبيد الله احمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بامر الله الحاكم بحكم الله الداعي الى كتاب الله الذاب عن حريم الله المختار من ولد رسول الله وكان يدعي انه من نسل علي بن ابي طالب من فاطمة وهو كاذب افاك قبحه الله فانه كان من اشد الناس عداوة لقريش ثم لبني هاشم ثم دخل سلمية فلم يدع بها احدا من بني هاشم حتى قتله وقتل اولاده واستباح نساءه وفيها ولي ثغر طرسوس ابو العشاير احمد بن نصر عوضا عن مظفر بن حاج فانه عزل عنها لشكوى اهل الثغر منه وحج بالناس الفضل بن محمد العباسي

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الله بن الامام احمد بن حنبل ابو عبد الرحمن الشيباني كان اماما حافظا ثقة مكثرا عن ابيه وغيره قال ابن المنادي لم يكن احد اروى عن ابيه منه سمع منه المسند ثلاثين الفا والتفسير مائة الف وعشرين الفا من ذلك سماع ومن ذلك وجادة ومن ذلك الناسخ والمنسوخ والمقدم والموخر في كتاب الله والتاريخ وحديث شعبة وجوابات القران والمناسك الكبير والصغير وغير ذلك من التصانيف وحديث الشيوخ قال وما زلنا نرى اكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والاسما والكنى والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها ويذكرون عن اسلافهم الاقرار له بذلك حتى ان بعضهم اسرف في تقريظه اياه بالمعرفة وزيادة في السماع للحديث على ابيه ولما مرض قيل له اين تدفن فقال صح عندي ان بالقطيعة نبيا مدفونا ولان اكون في جوار نبي احب الي من ان اكون في جوار ابي فمات في جمادى الاخرة في هذه السنة عن سبع وسبعين سنة كما مات لها ابوه وكان الجمع كثيرا جدا وصلى عليه زهير بن اخيه ودفن في مقابر باب التبن رحمه الله عبد الله بن احمد بن سعيد ابو بكر الرباطي المروزي صحب ابا تراب النخشبي وكان الجنيد يمدحه ويثني عليه عمر بن ابراهيم ابو بكر الحافظ المعروف بابي الاذان وكان ثقة ثبتا محمد بن الحسين بن الفرج ابو ميسرة الهمداني صاحب المسند وكان احد الثقات المشهورين والمصنفين المتصنفين محمد بن عبد الله ابو بكر الدقاق احد ائمة الصوفية وعبادهم روي عن الجنيد انه قال رايت ابليس في المنام وكانه عريان فقلت الا تستحيي من الناس فقال هولاء ناس انا العب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة انما الناس جماعة في مسجد الشونيزي قد اضنوا قلبي كلما هممت بهم اشاروا الى الله عز وجل فاكاد احترق فلما انتبهت لبست ثيابي وقصدت مسجد الشونيزي فاذا فيه ثلاثة جلوس ورؤوسهم في مرقعاتهم فرفع احدهم راسه من جبته فقال يا ابا القاسم انت كلما قيل لك شي تقبل فاذا هم ابو بكر الدقاق وابو الحسين النوري وابو حمزة محمد بن علي بن علويه بن عبد الله الجرجاني الفقيه الشافعي تلميذ المزني ذكره ابن الاثير

ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائتين

فيها جرت وقعة عظيمة هائلة بين القرامطة وجند الخليفة فهزمت القرامطة هزيمة عظيمة وأسر رئيسهم الحسين بن زكرويه الملقب بأمير المؤمنين الذي يقال له ذو الشامة وقد تسمى كما ذكرنا بأحمد ويكنى بأبي العباس والتف عليه خلائق من الأعراب وغيرهم واستفحل أمره جدا فلما أسر حمل إلى الخليفة في جماعة كثيرة من رؤوس أصحابه وأدخل بغداد على فيل مشهورا للناس وأمر الخليفة بعمل دكة مرتفعة فأجلس عليها القرمطي وجيء بأصحابه فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر وقد جعل في فمه خشبة معترضة مشدودة إلى قفاه ثم أنزل فضرب مائتي سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي ثم أحرق وحمل رأسه على خشبة وطيف به في أرجاء بغداد وذلك في شهر ربيع الأول وفيها قصدت الأتراك بلاد ما وراء النهر في جحافل عظيمة فبيتهم المسلمون فقتلوا منهم خلقا كثيرا وجما غفيرا لا يحصون وسبوا منهم ما لا يحصون كثرة ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وفيها بعث ملك الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف فأغاروا على أطراف البلاد وقتلوا خلقا كثيرا وسبوا أناسا من الذرية وفيها دخل نائب طرسوس بلاد الروم ففتح مدينة أنطاكية وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر يعادل عندهم القسطنطينية وخلص من المسلمين خمسة آلاف أسير وأخذ للروم ستين مركبا وغنم شيئا عظيما جدا بلغ نصيب كل من الغزاة ألف دينار وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وممن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس الشيباني مولاهم الملقب بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة مولده سنة مائتين سمع محمد بن زياد بن الأعرابي والزبير بن بكار والقواريري وغيرهم وعنه ابن الأنباري وابن عرفة وأبو عمرو الزاهد وكان ثقة حجة دينا صالحا مشهورا بالصدق والحفظ وذكر أنه سمع من القواريري مائة ألف حديث وكانت وفاته يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة عن إحدى وتسعين سنة قال ابن خلكان وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه وكان قد أصابه صمم شديد فصدمته فرس فألقته في هوة فاضطرب دماغه فمات من اليوم الثاني قال وهو مصنف كتاب الفصيح وهو صغير الحجم كبير الفائدة وله كتاب المصون واختلاف النحويين ومعاني القرآن وكتاب القراءات ومعاني الشعر وما يجري فيه اللحن وذكر أشياء كثيرة أيضا ومما نسب إليه من الشعر

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها • فلم تلبث النفس التي أنت قوتها
ستبقى بقاء الضب في الماء أو كما • أقام لدى ديمومة البين حوتها
أغرك أني قد تصبرت جاهدا • وفي النفس مني منك ما سيميتها
فلو كان ما بي بالصخور لهدها • وبالريح ما هبت وطال خفوقها
فصبرا لعل الله يجمع بيننا • فأشكو همومي منك فيك لقيتها

القاسم بن عبيد الله بن سليمان الوزير تولى بعد أبيه الوزارة في أيام المعتضد ثم وزر لولده المكتفي من بعده فلما كان رمضان من هذه السنة مرض فبعث إلى المسجونين فأطلق من فيها من المظلومين ثم كانت وفاته في ذي القعدة منها وقد قارب

ثلاثا وثلاثين سنة وقد كان حظيا عند الخليفة جدا وخلف من الأملاك ما يعدل سبعمائة ألف دينار محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد أبو عبد الله البصري القاضي بواسط المعروف بالجذوعي حدث عن مسدد وعلي بن المديني وابن نمير وغيرهم وكان من الثقات الفضلاء الأجواد العدول الأمناء وممن توفي فيها محمد بن إبراهيم البوشنجي ومحمد بن علي الصائغ وحنبل أحد مشايخ الفقهاء وأئمة العلماء

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائتين

فيها دخل محمد بن سليمان في نحو من عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفي إلى الديار المصرية لقتال هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون فتقاتلا فقهره محمد بن سليمان وجمع آل طولون فكانوا سبعة عشر رجلا فقيدهم واستحوذ على أموالهم وأملاكهم وانقضت دولة الطولونية عن الديار المصرية وكتب بالفتح إلى المكتفي وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي أمير الحاج في السنين المتقدمة وممن توفي فيها من الأعيان إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم الكجي أحد المشايخ المعمرين كان يحضر مجلسه خمسون ألفا من محبرة سوى النظارة ويستملي عليه سبعة مستملين كل يبلغ صاحبه ويكتب بعض الناس قياما وكان كلما حدث بعشرة آلاف حديث تصدق بصدقة ولما فرغ من قراءة السنن عليه عمل مأدبة غرم عليها ألف دينار وقال شهدت اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلت شهادتي وحدي أفلا أعمل شكرا لله عز وجل وروى ابن الجوزي والخطيب عن أبي مسلم الكجي قال خرجت ذات ليلة من المنزل بليل فمررت بحمام وعلي جنابة فدخلته فقلت للحمامي أدخل حمامك أحد بعد فقال لا فدخلت فلما فتحت باب الحمام الداخل إذا قائل يقول أبا مسلم أسلم تسلم ثم أنشأ يقول

لك الحمد إما على نعمة • وإما على نقمة تدفع
تشاء فتفعل ما شئته • وتسمع من حيث لا تسمع

قال فبادرت فخرجت فقلت للحمامي أليس زعمت أنه لم يدخل حمامك أحد فقال نعم وماذا لك فقلت إني سمعت قائلا يقول كذا قال أو سمعته قلت نعم فقال يا سيدي هذا رجل من الجان يتبدى لنا في بعض الأحيان وينشد الأشعار ويتكلم بكلام حسن فيه مواعظ فقلت هل حفظت من شعره شيئا فقال نعم ثم أنشدني من شعره

أيها المذنب المفرط مهلا • كم تمادى وتكسب الذنب جهلا
كم وكم تسخط الجليل بفعل • سمج وهو يحسن الصنع فعلا
كيف تهدا جفون من ليس يدري • أرضي عنه من على العرش أم لا

عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حازم القاضي الحنفي كان من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء ورعا نزها كثير الصيام نزه الديانة نزه الأمانة وقد ذكر له ابن الجوزي في المنتظم آثارا حسنة وأفعالا جميلة رحمه الله

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

فيها التف على أخي الحسين القرمطي المعروف بذي الشامة الذي قدمنا ذكر مقتله في السنة الماضية خلائق من القرامطة والأعراب واللصوص وأهل البوادي

بطريق الفرات فعاثت بهم في الارض فسادا ثم قصد طبرية فامتنعوا منه بسوارها فدخلها
قهرا وقتل بها خلقا من الرجال واخذ شيا كثيرا من الاموال ثم كر راجعا الى البادية
ودخلت فرقة اخرى من القرامطة الى هيت فقتلوا اهلها الا القليل واخذوا منها
اموالا جزيلة حملوها على ثلاثة الاف بعير معهم فبعث اليهم الخليفة المكتفي جيشا فقاتلوهم
واخذوا رئيسهم فضربت عنقه ونبغ رجل من القرامطة يقال له الداعية باليمن
فحاصر صنعاء فدخلها قهرا وقتل خلقا من اهلها ثم سار الى بقية مدن اليمن
فاكثر فيها الفساد وقتل خلقا من العباد ثم قاتله اهل صنعاء فظفروا به وهزموه
فاغار على بعض مدنها وبعث الخليفة اليها المظفر بن حاج نايبا وخلع عليه فسار
اليها فلم يزل بها حتى مات وفي يوم عيد الاضحى دخلت طايفة من القرامطة نحو من
ثمانماية الى الكوفة والناس في صلاة العيد فنادوا يا ثارات الحسين يعنون المقتول
ببغداد فبادر الناس الدخول الى الكوفة فولج خلفهم القرامطة فرمتهم العامة
بالحجارة وغير ذلك فقتلوا منهم نحوا من عشرين ورجع الباقون خاسيين ولله الحمد
والمنة وفي هذه السنة ظهر رجل بمصر يقال له الخلنجي فخلع الطاعة واجتمع
اليه طايفة من الجند قام الخليفة احمد بن كيغلغ نايب دمشق واعمالها بالركوب اليه
فاقتتلا بظاهر مصر فهزمه الخلنجي هزيمة منكرة فبعث الخليفة اليه جيشا اخر
فهزموا الخلنجي وهرب فاستتر بمصر واحضره سلم الى الامير الخليفتي وانطفا خبره
ولله الحمد ولما اشتغل الجيش بامر الديار المصرية بعث زكرويه بن مهرويه بعد مقتل
ابنه الحسين ببغداد جيشا صحبة رجل كان يعلم الصبيان يقال له عبد الله بن
سعيد فقصد بصرى واذرعات والبثنية فحاربه اهلها ثم آمنهم فلما ان تمكن منهم
قتل المقاتلة ورام الدخول الى دمشق فقاتله نايبها احمد بن كيغلغ بدمشق وهو صالح
بن الفضل فهزمه القرمطي وقتل صالحا ثم قتل وحاصر دمشق فلم يمكنه فتحها فانصرف
الى طبرية فقتلوا اكثر اهلها كما ذكرنا ونهبوا منها شيا كثيرا ثم صاروا الى هيت
ففعلوا كذلك ثم جهز الخليفة اليهم جيشا فاخذ رئيسهم من بينهم ونجا بقيتهم
ثم صاروا الى الكوفة في يوم عيد الاضحى كما ذكرنا فلم ينتج لهم امر ولله الحمد والمنة
وكل ذلك باشارة زكرويه بن مهرويه وهو مختف في بلده بين ظهراني قومه من القرامطة
اذا الح في طلبه من الخليفة قد اتخذوا على بابه تنورا فتقوم امراة تسجره وتخبز فيه
فلا يشعر احد بامره اصلا فبعث الخليفة اليه جيشا كثيفا فقاتلهم زكرويه بنفسه
ومن اطاعه فهزم جيش الخليفة وغنم من اموالهم شيا كثيرا فقوي به واشتد امره فندب
الخليفة اليهم جيشا كثيفا اخر فكان من امره وامرهم ما سنذكره وفيها افتتح اسماعيل
بن احمد الساماني نايب خراسان وما وراء النهر طايفة من بلاد الاتراك وفيها اغارت
الروم على بعض اعمال حلب وفيها حج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الله بن محمد ابو العباس الناشي الشاعر المعتزلي اصله من الانبار واقام ببغداد مدة
ثم انتقل الى مصر فمات بها وكان يعاكس الشعراء ويرد على المنطقيين والعروضيين
وكان شاعرا مطبقا الا انه كان فيه هوس وقد ارتحل الى مصر فمات بها في هذه السنة

وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرناها في السيرة
قال القاضي ابن خلكان كان متبحرا في عدة علوم من جملتها المنطق وكان ذكيا
فطنا وله قصيدة في فنون من العلوم على روي واحد تبلغ اربعة الاف بيت
وله عدة تصانيف جميلة واشعار كثيرة قال وهو الناشي الاكبر وفيها توفي عبيد
عبيد الله بن محمد بن خلف ابو محمد البزار احد الفقهاء من اصحاب ابي ثور كان
عنده دعه وكان من الثقات النبلاء نصر بن احمد بن عبد العزيز ابو محمد
الكندي الحافظ المعروف بنصرك كان احد حفاظ الحديث المشهورين وكان
الامير خالد بن احمد الذهلي نايب بخارا قد اخذه اليه وصنف له المسند
وكانت وفاته ببخارا في هذه السنة

ثم دخلت سنة اربع وتسعين ومايتين

في المحرم من هذه السنة اعترض زكرويه لعنه الله واصحابه الحجاج من اهل خراسان
وهم قافلون من مكة فقتلهم عن اخرهم واخذوا اموالهم وسبى نساءهم وكان قيمة
ما اخذوه منهم الفي الف دينار وعدة من قتل عشرين الف انسان وكانت نساء
القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج بالماء يزعمن انهن يسقين الجرحى فمن
كلمهن من الجرحى قتلنه واجهزن عليه لعنهن الله ولعن ازواجهن

ذكر مقتل زكرويه لعنه الله

لما بلغ الخليفة خبر الحجيج وما اوقع بهم الخبيث زكرويه جهز اليه جيشا كثيفا
فالتقوا معه فاقتتلوا قتالا شديدا جدا فقتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق
منهم الا القليل وذلك في يوم ربيع الاول منها وضرب زكرويه لعنه الله بالسيف
على راسه فوصلت الضربة الى دماغه واخذ اسيرا فمات بعد خمسة ايام فشقوا
عن بطنه وصبروه وحمل وجماعة من رؤوس اصحابه الى بغداد واحتوى العسكر
على ما كان بايدي القرامطة من الاموال والحواصل ولله الحمد وامر الخليفة بقتل
اصحاب القرمطي وان يطاف براس القرمطي في ساير بلاد خراسان لئلا يمتنع
الناس عن الحج بسبب ما وقع واطلق ما كان بايدي القرامطة من النساء والصبيان
الذين اسروهم وفيها غزا احمد بن كيغلغ نايب دمشق بلاد الروم من ناحية
طرسوس فقتل منهم نحوا من عشرة الاف واسروا من ذراريهم نحوا من خمسين
الفا واسلم بعض البطارقة من الروم وجماعة نحو من مايتي اسير كانوا في حصنه
فارسل ملك الروم جيشا في طلبه فركب هو في جماعة من المسلمين فكبس الروم
فقتلهم وغنم منهم غنيمة كثيرة جدا ولما قدم على الخليفة اكرمه واحسن اليه
واعطاه ما تمناه وفيها ظهر بالشام رجل ادعى انه السفياني فاخذ وبعث به
الى بغداد فادعى انه موسوس وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد بن علي بن مروان ابو علي المعروف بعبيد العجلي
كان حافظا مكثرا متقنا ثقة مقدما في حفظ المسندات توفي في صفر منها
صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب ابو علي الاسدي اسد خزيمة المعروف بجزرة لانه قرا

على بعض المشايخ اذا بالامة كانت له خرزة يرقي بها المريض فعزا ما جزره تصحيفا منه فلقب بذلك لذلك وقد كان حافظا مكثرا جوالا رحالا طاف الشام ومصر وخراسان وانتقل من بغداد فسكن بخارا وكان ثقة صدوقا امينا وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين وسؤالات كثيرة وكان مولده بالكوفة سنة عشر ومايتين وتوفي في هذه السنة محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالبياضي لانه حضر مجلس الخليفة وعليه ثياب بياض فقال الخليفة من ذاك البياضي فعرف به وكان ثقة روى عنه ابن الانباري وابن مقسم قتلته القرامطة في هذه السنة محمد بن الامام اسحاق بن راهويه سمع اباه واحمد بن حنبل وغيرهما وكان عالما بالفقه والحديث جميل الطريقة وقدم بغداد فحدث بها وقتلته القرامطة فيمن قتلوا من الحجيج هذه السنة

محمد بن نصر المروزي احد ايمة الفقها

محمد بن نصر ابو عبد الله المروزي الفقيه ولد ببغداد ونشا بنيسابور واستوطن سمرقند وكان من اعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من ايمة الاسلام بالاحكام وقد رحل الى الافاق وسمع من المشايخ الكثير النافع وصنف الكتب المفيدة الحافلة النافعة وكان من احسن الناس صلاة واكثرهم فيها خشوعا وقد صنف كتابا عظيما في الصلاة روى الخطيب البغدادي عنه انه قال خرجت من مصر قاصدا الى مكة فركبت البحر ومعي جارية لي فغرقت السفينة فذهب لي الفا جزء وسلمنا انا والجارية فلجانا الى جزيرة فطلبنا بها ماء فلم نجد فوضعت راسي على فخذ الجارية ويئست من الحياة فبينا انا كذلك اذا رجل قد اقبل وفي يده كوز فقال لي هاه فاخذته فشربت منه وسقيت الجارية ثم ذهب فلم ادر من اين اقبل ولا الى اين ذهب وقد كان من اكرم الناس واسخاهم نفسا وكان اسماعيل بن احمد يصله في كل سنة باربعة الاف واخوه اسحاق بن احمد يصله ايضا باربعة الاف ويصله اهل سمرقند باربعة الاف فينفق ذلك كله فقيل له لو ادخرت منها شيا لنائبة فقال يا سبحان الله انا مكثت في مصر مدة انفق فيها في كل سنة عشرين درهما افرايت ان لم يحصل لي شي من هذا ايبقي لي في السنة عشرون درهما وكان محمد بن نصر المروزي اذا دخل على اسماعيل بن احمد السامانى ينهض له ويكرمه فعاتبه يوما اخوه اسحاق بن احمد فقال له تقوم لرجل في مجلس حكمك وانت ملك خراسان قال اسماعيل فبت تلك الليلة وانا منقسم القلب فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لي يا اسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بتعظيمك محمد بن نصر وذهب ملك اخيك باستخفافه بمحمد بن نصر وقد روي انه اجتمع بالديار المصرية محمد بن نصر ومحمد بن جرير ومحمد بن المنذر فجلسوا في بيت يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شي يقتاتون به فاقترعوا فيما بينهم من يسعى لهم في شي ياكلونه ليدفعوا عنهم ضررهم فجاءت القرعة على احدهم فنهض الى الصلاة فجعل يصلي ويدعوا الله عز وجل وذلك وقت القيلولة فراى نايب مصر واظنه احمد بن طولون وهو نايم وقت

القيلولة

القيلولة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له ادرك المحمدين فانهم ليس عندهم شي يقتاتونه فانتبه الامير من منامه فسال من هاهنا من المحدثين فذكر له هولاء الثلاثة فارسل اليهم في الساعة الراهنة بالف دينار فدخل بها عليهم وازال الله ضررهم ويسر عليهم وقد بلغ محمد بن نصر ساعيا اليا وكان يسال الله ولدا فاتاه يوم انسان فبشره بولد ذكر قد ولد له فرفع يديه فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق فاستفاد الحاضرون من ذلك فوايد منها انه قد ولد له على كبر السن ولد ذكر بعدما كان يسال الله في ذلك ومنها انه سماه يوم مولده كما سمى رسول الله ولده ابراهيم قبل السابع ومن ذلك التفاوه بالخليل في تسميته ولد له اسماعيل موسى بن هارون بن عبد الله ابو عمران المعروف والده بالحمال ولد سنة اربع عشرة ومايتين وسمع احمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما وكان امام اهل عصره في حفظ الحديث ومعرفة الرجال والاتقان وكان ثقة شديد الورع عظيم الهيبة قال عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري كان احسن الناس كلاما على الحديث علي بن المديني ثم موسى بن هارون ثم الدارقطني

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومايتين

فيها كانت المفاداة بين المسلمين والروم فكان جملة من استنقذ من المسلمين من رجال ونساء نحوا من ثلاثة الاف نسمة ولله الحمد وفي النصف من صفر منها كانت وفاة اسماعيل بن احمد الساماني امير خراسان وقد كان عاقلا عادلا حسن السيرة في رعيته حليما كريما جوادا ممدحا وهو الذي كان يحسن الى محمد ابن نصر المروزي ويعظمه ويكرمه ويحترمه فيقوم له في مجلس ملكه وتولى بعده ولده احمد بن اسماعيل وبعث اليه الخليفة المكتفي بالله بالولاية والتشريف وقد تذاكر الناس عند اسماعيل بن احمد ذات ليلة الفخر بالانساب فقال ينبغي ان يكون الانسان عصاميا لا عظاميا يعني ينبغي ان يفتخر بنفسه لا بنسبه وبلده وجده لا بابيه وجده كما قال بعضهم

* وبجدي سميت لا بجدودي • فقال الاحر •
* حسبي فخارا وشيمة ادبي • ولست من هاشم ولا العرب •
* ان الفتى من يقول ها انا ذا • ليس الفتى من يقول كان ابي •

وفي هذه السنة كانت وفاة الخليفة المكتفي بالله ابو محمد علي بن المعتضد

وهذه ترجمته وذكر وفاته

هو ابو محمد علي بن امير المومنين المعتضد بالله ابي العباس احمد بن الامير ابي احمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور رحمهم الله وقد ذكرنا انه ليس من الخلفا العباسيين من اسمه علي الا هو بعد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولم يكن في الخلفا من يكنى بابي محمد سوى الحسن بن علي وموسى الهادي وهو والمستضيء بامر الله وكان مولده في رجب من سنة اربع وستين ومايتين وبويع له بالخلافة بعد ابيه في حياته في يوم الجمعة لاحدى عشرة بقيت من

ذي القعدة من سنة

ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين ومائتين وعمره نحو من خمس وعشرين سنة وكان ربعة من الرجال جميلاً رقيق اللون حسن الشعر وافر اللحية عريضها ولما مات ابوه المعتضد وباشر هو منصب الخلافة دخل عليه بعض الشعراء فانشده

اجل الرزايا ان يموت امام * واسنى العطايا ان يقوم امام
فاسقى الذي مات الغمام وجاده * ودامت تحيات له وسلام
وابقى الذي قام الاله وزاده * مواهب لا تفنى لهن دوام
وتمت له الآمال واتصلت بها * فوائد موصول لهن تمام
هو المكتفي بالله يكفيه كلما * عناه بركن منه ليس يرام

وقد كان يقول الشعر فمن ذلك قوله

من لي بان يعلم ما القى * فيعرف الصبوة والعشقا
ما زال لي عبداً وحبي له * صيرني عبداً له رقا
العتق من شاني ولكنني * من حبه لا املك العتقا

وكان نقش خاتمه علي بن متوكل على ربه وكان له من الولد محمد وجعفر وعبد الصمد وموسى وعبد الله ومما ذون والفضل وعيسى والعباس وعبد الملك وفي ايامه فتحت انطاكية واستنقذ من ايدي الروم وكان فيها من اسارى المسلمين بشر كثير وجم غفير واخذ المسلمون من غنائمهم شيئاً كثيراً جداً كما تقدم ولما حضرته الوفاة سأل عن اخيه ابي الفضل جعفر بن المعتضد فصح عنده انه بالغ فاحضره في يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة واحضر القضاة واشهدهم على نفسه بانه قد جعل الخلافة اليه من بعده ولقبه بالمقتدر بالله وتوفي المكتفي بعد ثلاثة ايام وقيل في آخر يوم السبت بين الظهر والعصر وقيل بعد المغرب ليلة الاحد لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر عن ثنتين وقيل ثلاث وثلاثين سنة وكانت خلافته ست سنين وستة اشهر وتسعة عشر يوماً وكان قد اوصى بصدقة من خالص ماله ستمائة الف دينار كان جمعها وهو صغير وكان مرضه بدار الخناز برح

خلافة المقتدر بالله امير المؤمنين

ابي الفضل جعفر بن المعتضد

جددت له البيعة بعد موت اخيه وقت السحر لاربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة اعني سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرين يوماً ولم يل الخلافة احد قبله اصغر سناً منه ولما اجلس في منصب الخلافة صلى اربع ركعات ثم سلم ورفع صوته بالدعاء والاستخارة ثم بايعه الناس بيعة العامة وكتب اسمه على الرقوم وغيرها المقتدر بالله وكان في بيت مال الخاصة خمسة عشر الف الف دينار وفي بيت مال العامة ستمائة الف دينار ونيف وكانت الجواهر الثمينة في الحواصل من لدن بني امية وايام بني العباس قد تناهى جمعها فما زال يفرقها في حظاياه واصحابه حتى انفدها وقد استوزر جماعة من الكتاب يكثر تعدادهم منهم ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات ولاه ثم عزله بغيره ثم اعاده ثم عزله بغيره ثم اعاده

ثم عزله

ثم عزله ثم تنقله وقد تقدمت ذكرهم الشيخ ابو الفرج بن الجوزي وكان له من الخدم والحجاب والحشمة التامة شيء كثير جداً وكان كريماً جداً ديناً عابداً مع هذا كله وكثرة صلاة وصيام تطوع وفي يوم عرفة اول ولايته فرق من الاغنام والابقار ثلاثين الف راس ومن الابل الفي بعير ورد الرسوم والكلف والارزاق التي كانت عليه في ايام العباسيين واطلق اهل الحبوس الذين يجوز اطلاقهم ووكل امر ذلك الى القاضي محمد بن يوسف وكان قد بنيت ابنية في الرحبة دخلها كل شهر الف دينار فامر بهدمها ليتوسع على المسلمين الطرقات وسيأتي ذكر شيء من ايامه وترجمته فيما بعد

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن نوح بن عبد الله ابو اسحاق المزكي الحافظ الزاهد امام اهل عصره بنيسابور في معرفة الحديث والرجال والعلل وقد سمع خلقاً من المشايخ الكبار ودخل على الامام وذاكره وكان مجلسه مهيباً ويقال انه كان مجاب الدعوة وكان لا يملك الا الدار التي كان يسكنها وحانوتاً يستغله كل شهر سبعة عشر درهماً ينفقها على نفسه وعيال له وكان لا يقبل من احد شيئاً وكان يطبخ له الجزر بالخل فيتأدم به طول الشتاء وقال ابو علي الحسين بن علي الحافظ النيسابوري لم تر عيناي مثله ابو الحسين النوري احد ائمة الصوفية احمد بن محمد ويقال محمد بن محمد والاول اصح ابو الحسين النوري ويعرف بابن البغوي واصله من خراسان وحدث عن سري السقطي ثم صار من اكابر ائمة القوم قال ابو احمد المغازلي ما رأيت احداً قط اعبد من ابي الحسين النوري قيل له ولا الجنيد قال ولا الجنيد وقال غيره صام عشرين سنة لا يعلم به احد من اهله ولا غيرهم وكانت وفاته في مسجد وهو مقنع فلم يعلم احد به الا بعد اربعة ايام اسماعيل بن احمد بن سامان الساماني احد ملوك خراسان للخلفاء وهو الذي قتل عمرو بن الليث الصفار الخارجي وكتب بذلك الى الخليفة المعتضد فولاه خراسان ثم ولاه المكتفي الري وما وراء النهر وبلاد الترك فغزاهم ووقع بهم باساً شديداً وبنى الربط في الطرقات يسع الرباط منها الف فارس واوقف عليها اوقافاً جزيلة وقد اهدى اليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا عظيمة منها ثلاث عشرة جوهرة زنة كل واحدة منها ما بين السبع مثاقيل الى العشرة وبعضها احمر وبعضها ازرق قيمتها ما يزيد الف دينار فبعث بها الى الخليفة المعتضد وشفع في طاهر فشفعه فيه ولما مات اسماعيل بن احمد وبلغ المكتفي موته تمثل بقول ابي نواس

لن يخلف الدهر مثلهم ابداً * هيهات هيهات شأنهم عجب

العمري الحافظ صاحب عمل يوم وليلة

الحسن بن علي بن شبيب ابو علي العمري الحافظ رحل وسمع من الشيوخ وادرك خلقاً منهم علي بن المديني ويحيى بن معين وعنه ابن صاعد والنجاد والخلدي وكان من بحور العلم وحفاظ الحديث صدوقاً ثبتاً يشبك اسانيده بالذهب من الكبر لانه جاوز الثمانين وكان يكنى اولاً بابي القاسم ثم بابي علي وتولى القضاء في على

التفرد واعمالها وانما قيل له المعرى بابنه ام الحسن بنت ابى سفيان صاحب معمر
بن راشد وكانت وفاته ليلة الجمعة لاحدى عشرة بقيت من محرم هذه السنة عبد
الله بن الحسن بن احمد بن ابى شعيب عبد الله بن مسلم ابو شعيب الاموى الحرانى
المودب المحدث بن المحدث ولد سنة ست ومائتين وسمع اباه وجده وعفان بن
مسلم وابا خيثمة وكان صدوقا مامونا توفى فى ذى الحجة من هذه السنة على بن احمد
المكتفى بالله بن المعتضد تقدم ذكر ترجمته قريبا من هذه السنة ابو جعفر الترمذى
محمد بن احمد بن نصر ابو جعفر الترمذى الفقيه الشافعى وكان من اهل العلم والزهد
قال الدارقطنى ثقة مامون ناسك وقال القاضى احمد بن كامل لم يكن لاصحاب
الشافعى بالعراق ارأس منه ولا اشد ورعا وكان من التقلل فى المطعم على حالة عظيمة
فقرا وورعا وصبرا كان ينفق على نفسه فى كل شهر اربعة دراهم وكان لا يسال
احدا شيا وكان قد اختلط فى اخر عمره وتوفى فى المحرم من هذه السنة

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

فى ربيع الاول منها اجتمع جماعة من القواد والجند على خلع المقتدر بالله وتولية
عبد الله بن المعتز الخلافة فعوضوا ذلك اليه فاجابهم على انه لا يسفك بسببه دم وكان
المقتدر قد خرج للعب بالصوالجة فقصد اليه الحسين بن حمدان يفتك به فلما سمع
المقتدر الضجة بادر الى دار الخلافة فاغلقها دون الجيش واجتمع القواد والاعيان
والقضاة فى دار المخرمى فبايعوا عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة ولقب بالمرتضى
بالله وقال الصولى انما لقبوه المنتصف بالله واستوزر ابا عبد الله محمد بن
داود وبعث الى المقتدر يامره بالتحول من دار الخلافة الى دار ابن طاهر لينتقل
هو اليها فاجيب بالسمع والطاعة فركب الحسين بن حمدان من الغد الى دار الخلافة
ليتسلمها فقاتله الخدم ومن فيها ولم يسلموها اليه فلم يقدر اهله وتعصبوا لها
الا بالجهد الجهيد فلما قدر عليهم ارتحل من فوره الى الموصل فتفرق نظام الجماعة واراد
ابن المعتز ان يتحول الى سامرا لينزلها فلم يتبعه احد من الامرا فدخل الى دار ابن الجصاص
فاستجار به ووقع النهب بالبلد واختبط الناس وبعث المقتدر الى اصحاب ابن
المعتز فقبض عليهم وقتل اكثرهم واعاد ابن الفرات الى الوزارة فجدد البيعة للمقتدر
وارسل الى دار ابن الجصاص فكبسها واحضر ابن المعتز والجصاص فصادر ابن الجصاص
بمال جزيل جدا يقال انه وزن ستة عشر الف الف درهم مصادرة ثم اطلقه
واعتقل ابن المعتز فلما دخل فى ربيع الاخر ليلتان ظهر للناس موته واخرجت جثته
مسلمة الى اهله فدفن وصفح المقتدر عن بقية من سعى فى هذه الفتنة حتى لا يفسد
نيات الناس قال ابن الجوزى ولا يعرف خليفة خلع ثم اعيد سوى الامين والمقتدر
وفى يوم السبت لاربع بقين من ربيع الاول سقط ببغداد ثلج عظيم حتى اجتمع على
الاسطحة منه نحو من اربع اصابع وهذا يستغرب فى بغداد جدا ولم تخرج السنة
حتى خرج الناس للاستسقاء لتاخر المطر عن ابانه وفى شعبان خلع على يونس الخادم
وامر بالمسير الى طرسوس لغزو الروم وفى هذه السنة امر المقتدر بان لا يستخدم احد
من اليهود والنصارى فى الدواوين وان الزموا بيوتهم واخذوا بلبس العسلى وجعل

الرقاع بين اظهرهم ليعرفوا بها وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى
ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق فانا لله وانا اليه راجعون

وممن توفى فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن زكريا بن ابى عتاب ابو بكر البغدادى الحافظ ويعرف باخى ميمون روى عن
نصر بن على الجهضمى وغيره وروى عنه الطبرانى وكان يمتنع ان يحدث وانما يسمع منه
فى المذاكرات توفى فى شوال منها ابو بكر الاثرم احمد بن محمد بن هانى ابو بكر الطائى
الاثرم تلميذ الامام احمد وقد سمع عفان وابا الوليد والقعنبى وابا نعيم وخلقا كثيرا
وكان حافظا حاذقا قوى المذاكرة كان ابن معين يقول كان احد ابوى الاثرم جنيا لسرعة
فهمه وحفظه وحذقه وله كتب مصنفة فى العلل والناسخ والمنسوخ وكان من بحور
العلم خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى ابو محمد العكبرى سمع الحديث وكان
ظريفا له ثلاثون خاتما وثلاثون عكازا يلبس فى كل يوم من الشهر خاتما وياخذ فى يده
عكازا ثم يستانف ذلك فى الشهر الثانى وكان له سوط معلق فى منزله فاذا سئل
عن ذلك يقول ليرهب العيال منه

ابن المعتز الشاعر الذى بويع بالخلافة

عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون
ويكنى ابن المعتز ابو العباس الشاعر الهاشمى العباسى الفصيح البليغ المطبق
ورد فى قادة الناس فى الخير والشر وقد سمع المبرد وثعلبا وقد روى عنه من الحكم والاداب
شى كثير فمن ذلك قوله انفاس الحى خطاياه امل الدنيا ركب يسار بهم وهم نيام ربما
اورد الطمع ولم يصدر ربما شرق شارب الماء قبل ريه من تجاوز الكفاف لم يغنه
الاكثار كلما عظم قدر المنافس فيه عظمت الفجيعة به من ارتحل الحرص انضاه
الطلب الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد فى حظه اشقى الناس اقربهم من
السلطان كما ان اقرب الاشيا الى النار اسرعها احتراقا من شارك السلطان
فى عز الدنيا شاركه فى ذل الاخرة يكفيك من الحاسد انه يغتم وقت سرورك الفرصة
سريعة الفوت بعيدة العود الاسرار اذا كثرت خزانها ازدادت ضياعا العزل
يضحك من تيه الولاية الجزع اتعب من الصبر لا تشن وجه العفو بالتقريع تركه
المسيئ اوه للوارث ومن شعره فى الحكم مما يناسب هذا المعنى قوله

سابق الى مالك وراثه ... ما المرء فى الدنيا بلباث
كم صامت يخنق اكياسه ... قد صاح فى ميزان ميراث

وله

يا ذا الغنى والسطوة القاهرة ... والدولة الناضرة الآمرة
ويا شياطين بنى آدم ... ويا عبيد الشهوة الفاجرة
انتظروا الدنيا فقد اقربت ... وعن قليل تلد الاخرة

وله ايضا

اعط يا نفس وما لى ... توبة قبل الممات
قبل ان يفجعنا الدهر ... ببين وشتات
لا تخونينى اذا مت ... وقامت بى نعاتى
انما الوافى بعهدى ... من وفى بعد مماتى

وقال الصولي نظر ابن المعتز في حياة ابيه الخليفة الى جارية فاعجبته فمرض من حبها فدخل ابوه عليه عايدا فقال له كيف تجدك فانشا يقول

ايها العاذلون لا تعذلوني ... وانظروا حسن وجهها تعذروني

وانظروا هل ترون احسن منها ... ان رايتم شبيهها فاعذلوني

ففحص ابوه عن القضية واستعلم خبر الجارية ثم بعثها اليه بعد ما اشتراها بسبعة الاف دينار وبعثها اليه وقد ذكرنا ان في ربيع الاول من هذه السنة اجتمع القواد والاعيان والقضاة على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز هذا ولقب بالمرتضى او المنتصف بالله فما مكث في الخلافة الا يوما او بعض يوم ثم غلب المقتدر وقتل عامة من خرج معه واعتقل في دار السلطان عند يونس الخادم فقتل في اوايل ربيع الاخر لليلتين خلتا منه ويقال انه انشد في اخر يوم من حياته

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك ... خانتك من بعد طول الامن دنياك

مرت بنا سحرا طير فقلت لها ... طوباك يا ليتني اياك طوباك

ان كان قصدك شرقا فالسلام على ... شاطي الصراة ابلغي ان كان مسراك

من موثق بالمنايا لا فكاك له ... يبكي الدما على الف له باكي

فرب آمنة جاءت منيتها ... ورب مفلتة من بين اشراك

اظنه اخر الايام من عمري ... واوشك اليوم ان يبكي لي الباكي

ولما قدم ليقتل انشا يقول

فقل للشامتين بنا رويدا ... امامكم المصايب والخطوب

هو الدهر الذي لا بد من ان ... يكون اليكم منه ذنوب

ثم كان ظهور قتله لليلتين خلتا من ربيع الاول من هذه السنة وقد ذكر له القاضي ابن خلكان مصنفات كثيرة فمنها طبقات الشعرا وكتاب اشعار الملوك وكتاب الاداب وكتاب البديع وكتاب الغنا وغير ذلك وذكر انه لما بقي من الامر خلعوا المقتدر وبايعوه يوما وليلة ثم تمزق شمله واختفى في بيت ابن الجصاص الجوهري ثم ظهر عليه فقتل وصودر ابن الجصاص بالفي الف دينار وبقي معه ستماية الف دينار قيل وكان اسمر اللون مسنون الوجه يخضب بالسواد وعاش خمسين سنة وذكر شيا من كلامه واشعاره رح محمد بن الحسين بن حبيب ابو حصين الوادعي القاضي من اهل الكوفة وقدم بغداد وحدث بها عن احمد بن يونس ويحيى بن عبد الحميد وجندل بن والق وعنه ابن صاعد والنجاد والمحاملي قال الدارقطني كان ثقة توفي بالكوفة في هذه السنة محمد بن داود بن الجراح ابو عبد الله الكاتب عم الوزير علي بن عيسى كان من اعلم الناس بالاخبار وايام الخلفا له مصنفات في ذلك روى عن عمر بن شبة وغيره وكانت وفاته في ربيع الاول منها عن ثلاث وخمسين سنة

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومايتين

فيها غزا القسم بن سيما الصايفة وفادى يونس الخادم الاسارى الذين بايدي الروم وحكى ابن الجوزي عن ثابت بن سنان انه راى في ايام المقتدر ببغداد امراة بلا ذراعين ولا عضدين وانما كفاها ملصقتان بكتفيها لكنها لا تعمل بهما شيا وكانت

تعمل برجليها ما يعمله النسا بايديهن من الغزل ومشط الراس وغير ذلك وتاخرت الامطار عن بغداد في هذه السنة وارتفعت الاسعار بها وجات الاخبار بان مكة شرفها الله جاءها سيل عظيم بحيث انه كان البيت غرق من السيول وان زمزم فاضت ولم ير ذلك قبل هذه السنة وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي

وممن توفي فيها من الاعيان

محمد بن داود بن علي ابو بكر الفقيه الظاهري ابن الظاهري كان عالما بارعا اديبا شاعرا فقيها ماهرا وهو مصنف كتاب الزهرة اشتغل على ابيه وتبعه في مذهبه ومسلكه وما كان يسلكه ويختاره من الطريق في تصنيفه وكان ابوه يحبه ويقربه ويدنيه قال رويم بن محمد كنا يوما عند داود اذ دخل ابنه محمد باكيا فقال له ما لك فقال ان الصبيان يلقبوني عصفور الشوك فضحك ابوه فاشتد غضب ولده وقال انت اضر علي منهم فضمه ابوه اليه وقال لا اله الا الله ما الالقاب الا من السما ما انت يا بني الا عصفور الشوك ولما توفي ابوه اجلس ابنه محمد هذا في مكانه في الحلقة فاستصغره الناس عن ذلك فساله سايل يوما عن حد السكر فقال اذا عزبت عنه الهموم وباح بسره المكتوم فاستحسن ذلك منه وعظم في اعين الناس قال ابن الجوزي في المنتظم وقد ابتلي بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زخرف فاشتمل العفاف والدين ولم يزل ذلك دابه حتى كان سبب وفاته من ذلك قلت قد دخل في الحديث المروي عن ابن عباس مرفوعا عليه وموقوفا عنه من عشق فكتم فعف فمات مات شهيدا وقد قيل عنه انه كان يبيح العشق يعني بشرط العفاف وحكى هو عن نفسه انه لم يزل يتعشق منذ كان في الكتاب وانه صنف كتاب الزهرة في ذلك في صغره وربما وقف ابوه داود على بعض ذلك وكان يتناظر هو وابو العباس بن سريج كثيرا بحضرة القاضي ابي عمر محمد بن يوسف فيتعجب الناس من مناظرتهما وحسنهما وقد قال له ابن سريج يوما في مناظرة انت بكتاب الزهرة اشهر منك بهذا فقال له تعيرني بكتاب الزهرة وانت لا تحسن تستتم قراته وهو كتاب جمعناه هزلا فاجمع انت مثله جدا وقال القاضي ابو عمر محمد بن يوسف كنت يوما انا وابو بكر بن داود راكبين فاذا جارية تغني بشي من شعره

اشكو غليل فواد انت متلفه ... شكوى عليل الى الف يعلله

سقمي يزيد على الايام كثرته ... وانت في عظم ما القى تقلله

الله حرم قتلي في الهوى اسفا ... وانت يا قاتلي ظلما تحلله

فقال ابو بكر محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت هيهات سارت به الركبان كانت وفاة محمد بن داود رح في رمضان من هذه السنة وجلس ابن سريج للعزا وقال ما اسا الا على التراب الذي اكل لسان محمد بن داود رح محمد بن عثمان بن ابي شيبة ابو جعفر حدث عن يحيى بن معين وعلي بن المديني وخلق وعنه ابن صاعد والخلدي والباغندي وغيرهم وله كتاب في التاريخ وغيره من المصنفات وقد وثقه صالح بن محمد جزرة وغيره وكذبه عبد الله بن الامام احمد فقال هو كذاب من الامر تعجب من بره

عشر كانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنة محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسين
بن مصعب من بيت الامارة والحشمة باشر نيابة العراق مدة ثم ظفر به يعقوب
ابن الليث في سنة ثمان وخمسين فاسره وبقي معه يطوف به في الافاق اربع سنين
ثم نجا في بعض الاوقات لما توفي يعقوب بنفسه ولم يزل مقيما ببغداد الى ان توفي في هذه
السنة موسى بن اسحاق بن موسى بن عبد الله ابو بكر الانصاري الخطمي مولده سنة عشر
ومائتين سمع اباه واحمد بن حنبل وعلي بن الجعد وغيرهم وحدث عنه الناس وهو شاب
وقرا عليه القران وكان يحفظ مذهب الشافعي وولي قضاء الري والاهواز وكان ثقة
فاضلا نبيلا عفيفا فصيحا كثير الحديث وتوفي في المحرم من هذه السنة يوسف
بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد والد القاضي ابي عمر محمد بن يوسف قاتل
الحلاج وكان يوسف بن يعقوب هذا ابن عم اكابر القضاة واعيان العلماء ولد
سنة ثمان ومائتين وسمع سليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق ومسددا وغيرهم
وكان ثقة فولي قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقي من بغداد وكان ثقة
نزها عفيفا شديد الحرمة جاءه يوما بعض خدم الخليفة المعتضد فترفع في المجلس
فامره حاجب القاضي ان يساوي خصمه فامتنع اذلالا بجاهه عند الخليفة فزجره
القاضي وقال ايتوني بدلال النخاس حتى ابيع هذا العبد وابعث بثمنه الى الخليفة وجاء
حاجب القاضي فاخذ بيده واجلسه مع خصمه فلما انقضت الحكومة رجع الخادم الى المعتضد
فبكى بين يديه واخبره بما قال القاضي فقال والله لو باعك لاجزت بيعه ولما استرجعتك
ابدا فليس خصوصيتك عندي تزيل مرتبة الحكم فانه عمود السلطان وقوام الاديان
كانت وفاته في رمضان من هذه السنة

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

فيها قدم القسم بن سيما من بلاد الروم فدخل بغداد ومعه الاسارى والعلوج بايديهم
اعلام عليها صلبان من ذهب وخلق من الاسارى وفيها قدمت هدايا من نائب خراسان
احمد بن اسماعيل بن احمد الساماني من ذلك مائة وعشرون غلاما بمراكبهم واسلحتهم
وما يحتاجون اليه وخمسون بازيا وخمسون جملا تحمل من مرتفع الثياب وخمسون رطلا
من مسك وفيها توفي القاضي عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب فتقلد
مكانه على الجانب الشرقي والكرخ ابنه محمد وفي شعبان منها اخذ رجلان يقال لاحدهما
ابو كبيرة والاخر يعرف بالسمري فذكرا انهما من اصحاب رجل يقال له محمد بن بشر وانه يدعي
الربوبية لعنهم الله وفيها وردت الاخبار ان الروم قصدت اللاذقية وفيها وردت
الاخبار بان ريحا صفرا هبت بمدينة الموصل من حرها البشر كثير وحج بالناس الهاشمي

وممن توفي فيها من المشاهير والاعيان

ابن الراوندي لعنه الله احمد بن يحيى بن اسحاق ابو الحسين المعروف بابن الريوندي احد
مشاهير الزنادقة الملحد بن عليه اللعنة من رب العالمين كان ابوه يهوديا فاظهر الاسلام
فيقال انه حرف التوراة كما عادى ابنه القران والحديث وصنف كتابا في الرد على القران
سماه الدامغ وكتابا في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه الزمرد وله كتاب التاج
في معنى ذلك وكتاب الفريد وكتاب امامة المفضول وقد انتصب للرد عليه في كتبه

مدة جماعة منهم الشيخ ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة في زمانه
وتداخلوا في ذلك وكذلك ولده ابو هاشم عبد السلام بن ابي علي قال الشيخ ابو علي
الجبائي قرات كتاب الملحد الجاهل السفيه ابن الريوندي فلم اجد فيه الا السفه والكذب
والافتراء قال وقد وضع كتابا في قدم العالم ونفي الصانع وتصحيح مذهب الدهر
والرد على اهل التوحيد ووضع كتابا في الرد على محمد صلى الله عليه وسلم في سبعة عشر
موضعا من كتابه ونسبه الى الكذب وطعن على القران ووضع كتابا لليهود والنصارى على
المسلمين يحتج لهم فيها على ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من
الكتب التي تبين بها خروجه عن الاسلام نقله ابن الجوزي وقد اورد الشيخ ابو الفرج
ابن الجوزي في منتظمه طرفا من كلامه الملعون في الطعن على الايات والشريعة ورد
عليه في ذلك وهو اقل واحقر من ان يلتفت الى شيء من جهله ومهذياته وسفهه وخذلانه
وتمويهه وترويجه وطغيانه وقد اسند اليه حكايات من المرغوب والاستهتار والكفر
الكبار منها ما هو صحيح عنه ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله وعلى شاكلته في الكفر والتستر
بالمسخرة وقد قال الله تعالى ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم الاية وقد كان ابو عيسى الوراق مصاحبا
لابن الراوندي قبحهما الله فلما علم الناس بامرهما طلب السلطان ابا عيسى فاودع
السجن الى ان مات واما ابن الراوندي فهرب ولجا الى ابن لاوي اليهودي وصنف له
كتابه الذي سماه الدامغ للقران فلم يلبث الا اياما يسيرة حتى مات لعنه الله
ويقال انه اخذ وصلب قال ابو الوفا ابن عقيل ورايت في كتاب محقق انه عاش
ستا وثلاثين سنة مع ما انتهى اليه من التوغل في المخازي لعنه الله وقبحه ولا رحم
عظامه وقد ذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وقلس عليه ولم يجرحه بشيء وارخ
وفاته سنة خمس واربعين ومائتين

الجنيد شيخ الصوفية رحمه الله

الجنيد بن محمد بن الجنيد ابو القاسم الخراز ويقال له القواريري اصله من نهاوند وولد
ببغداد ونشا بها وسمع الحديث من الحسن بن عرفة وتفقه بابي ثور ابراهيم بن خالد
الكلبي وكان يفتي بحضرته وعمره عشرون سنة وقد ذكرناه في طبقات الشافعية واتقن
بصحبة الحرث بن اسد المحاسبي وخاله سري السقطي ولازم التعبد وتكلم على طريقة
التصوف وكان ورده في كل يوم ثلثمائة ركعة وثلثين الف تسبيحة ومكث اربعين
سنة لا ياوي الى فراش وكان مع ذلك يعرف سائر فنون العلم رح ولما حضرته الوفاة
جعل يتلو القران فقيل له لو رفقت بنفسك فقال لا احوج الى ذلك مني الان
وهذا اوان طي صحيفتي قال القاضي ابن خلكان اخذ الفقه عن ابي ثور صاحب
الشافعي ويقال كان يتفقه على مذهب الثوري وكان ابن سريج يصحبه ويلازمه قال
وسئل الجنيد عن العارف فقال من نطق عن سرك وانت ساكت وكان يقول مذهبنا
هذا مقيد بالكتاب والسنة وراى بعضهم معه سبحة فقيل له اتتخذ سبحة
مع شرفك قال طريق وصلت به الى الله لا افارقه وقال له خاله سري السقطي تكلم على الناس
فلم ير نفسه لذلك موضعا فراى في النوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له

تكلم على الناس فغدا على خاله فقال له خاله لم تفضحنا حتى تبدل لك قال لا تتكلم على الناس فجاءه يوما شاب نصراني في صورة مسلم فقال له ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال فاطرقت ثم رفعت راسي اليه فقلت له اسلم فقد آن وقت اسلامك قال فاسلم الغلام وقال الجنيد ما انتفعت بشيء كانتفاعي بابيات سمعتها من جارية تغني بها في غرفة وهي تقول

اذا قلت اهدى الهجر لي حلل البلى • تقولين لولا الهجر لم يطب الحب
وان قلت هذا القلب احرقه الهوى • تقولين بنيران الهوى شرف القلب
وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة • حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

قال فصعقت وصحت فخرج صاحب الدار فقال يا سيدي ما لك فقلت مما سمعت فقال هي هبة مني اليك فقلت قد قبلتها وهي حرة لوجه الله ثم زوجتها لرجل فاولدها ولدا صالحا حج على قدميه ثلاثين حجة سعيد بن اسماعيل بن سعيد بن منصور ابو عثمان الواعظ ولد بالري ونشا بها ثم انتقل الى نيسابور وسكنها الى ان مات وقد دخل بغداد وكان يقال انه مجاب الدعوة قال الخطيب انا عبد الكريم بن هوازن قال سمعت ابا عثمان يقول منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وكان ابو عثمان ينشد

اسات ولم احسن وجيتك هاربا • وانى لعبد عن مواليه مهرب
يؤمل غفرانا فان خاب ظنه • فما احد منه على الارض اخيب

وروى الخطيب عنه انه قال سئل اي اعمالك ارجى عندك فقال اني لما ترعرعت وانا بالري كنت اخطب لاتزوج فامتنع فجاءتني امراة فقالت يا ابا عثمان قد احببتك حبا اذهب نومي وقراري وانا اسالك بمقلب القلوب لما تزوجتني فقلت الك والد قالت نعم فاحضرته فاستدعى بالشهود فتزوجتها فلما خلوت بها عورا جا مشوهة الخلق فقلت اللهم لك الحمد على ما قدرته لي وكان اهلي يلومونني على تزويجي بها فكنت ازيدها اكراما وربما احتبستني عندها ومنعتني من الحضور في بعض المجالس وكاني في بعض اوقاتي على الجمر وانا لا ابدي لها من ذلك شيا فمكثت كذلك خمس عشرة سنة فما شيء ارجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي سمنون بن حمزة ويقال ابن عبد الله احد مشايخ الصوفية كان ورده في كل يوم وليلة خمسماية ركعة وسمى نفسه الكذاب لدعواه في قوله

فليس لي في سواك حظ • فكيف ما شيت فامتحني

فابتلي بعسار البول فكان يدور على المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب وكان له كلام متين في المحبة وقد وسوس في اخر عمره وكلامه في المحبة مستقيم كما كان صافي الخرمي كان من اكابر امراء الدولة العباسية ورؤوس الدولة المقتدرية اوصى في مرضه ان ليس له عند غلامه القسم شي فلما توفي حمل غلامه القسم الى الوزير ماية الف دينار وسبعماية وعشرين منطقة من ذهب مكللة فاستمر غلامه على امرته ومنزلته اسحاق ابن حنين بن اسحاق ابو يعقوب العبادي نسبة الى قبايل الجزيرة الطبيب ابن الطبيب له ولابيه مصنفات كثيرة في هذا الشان وكان ابوه يعرب كلام ارسطاليس وغيره

من حكماء اليونان توفي في هذه السنة الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا ابو عبد الله الشيعي الذي اقام الدعوة للمهدي عبيد الله بن ميمون الذي يزعم انه فاطمي وقد زعم غير واحد من اهل التاريخ انه كان يهوديا صباغا بسلمية والمقصود الان ان ابا عبد الله الشيعي هذا دخل بلاد افريقية وحده لا مال معه ولا رجال فلم يزل يعمل الحيلة حتى انتزع الملك من يد ابي نصر زيادة الله اخر ملوك بني الاغلب على بلاد افريقية واستدعى حينئذ مخدومه المهدي من بلاد المشرق فقدم فلم يخلص اليه الا بعد شدايد طوال وحبس في اثنا الطريق فاستنقذه الشيعي وسلمه المملكة فندمه اخوه وقال له ماذا صنعت وهلا كنت استبديت بالامر دون هذا فندم وشرع يعمل الحيلة على المهدي فاستشعر المهدي ذلك فدس اليهما من قتلهما في هذه السنة وكان قتلهما بمدينة رقادة من بلاد القيروان اقليم افريقية ملخص من كلام ابن خلكان

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومايتين

قال ابن الجوزي فيها ظهرت ثلاث كواكب مذنبة احدها في رمضان واثنان في ذي القعدة تبقى اياما ثم تضمحل ووقع طاعون بارض فارس مات بسببه سبعة الاف انسان وغضب الخليفة على الوزير علي بن محمد بن الفرات وعزله عن الوزارة وامر بنهب دوره فنهبت اقبح نهب واستوزر ابو علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان قد التزم لام ولد المقتدر بماية الف دينار حتى سعت في ولايته وفيها وردت هدايا كثيرة من الاقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرهما من ذلك خمسماية الف دينار من الديار المصرية استخرجت من كنز وجد هناك من غير موانع كما يدعيه كثير من جهلة بني ادم حيلة ومكرا وخديعة لياكلوا اموال الاغنام والجهلة الطغام من قليلي العقول والاحلام وقد وجد في هذا الكنز ضلع انسان طوله اربعة عشر شبرا وعرضه شبر وذكر انه من قوم عاد فالله اعلم وكان من جملة هديته تيس له ضرع يحلب لبنا ومن ذلك بساط ارسله ابن ابي الساج طوله سبعون ذراعا وعرضه ستون ذراعا عمل في عشر سنين لا قيمة له وهدايا فاخرة ارسلها احمد بن اسماعيل بن احمد الساماني من بلاد خراسان كثيرة جدا وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي امير الحجيج من مدة سنين متطاولة

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن نصر بن ابراهيم ابو عمرو الخفاف الحافظ كان يذاكر بماية الف حديث سمع اسحاق بن راهويه بطبقته وكان كثير الصيام سرده نيفا وثلاثين سنة وكان كثير الصدقة سأله سايل فاعطاه درهمين فحمد الله فجعلها خمسة فحمد الله فجعلها عشرة ثم ما زال يزيده ويحمد السايل الله حتى جعلها ماية فقال جعل الله عليك واقية باقية فقال للسايل والله لو لزمت الحمد لله لزدتك ولو الى عشرة الاف درهم. بهلول بن اسحاق بن بهلول بن حسان بن سنان ابو محمد التنوخي سمع اسماعيل بن ابي اويس وسعيد بن منصور ومصعبا الزبيري وغيرهم وعنه جماعة اخرهم ابو بكر الجراحي الحافظ وكان ثقة حافظا ضابطا بليغا فصيحا في خطبه توفي فيها عن خمس وتسعين سنة. الحسين

ابن عبد الله بن احمد ابو علي الخرقي صاحب المختصر في الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل كان خليفة المروذي توفي يوم العيد عيد الفطر ودفن عند قبر الامام احمد بن حنبل محمد بن اسماعيل ابو عبد الله المغربي حج على قدميه سبعا وتسعين حجة وكان يمشي في الليل المظلم حافيا كما يمشي الرجل في ضوء النهار وكان المشاة يأتون به فيرشدهم الى الطريق وقال ما رايت ظلمة منذ سنين كثيرة وكانت قدماه مع كثرة مشيه كانهما قدما عروس مترفة وله كلام مليح نافع ومقامات اوصى ان يدفن بالجانب بجنب شيخه علي بن رزين فهما على جبل الطور قلت

زيادة: قال ابو نعيم كان ابو عبد الله المغربي من المعمرين توفي عن مائة وعشرين سنة وقبره بجبل طور سينا عند قبر استاذه علي بن رزين قال ابو عبد الله افضل الاعمال عمارة الاوقات بالموافقات وقال الفقير هو الذي لا يرجع الى مستند في الكون غير الالتجا الى من اليه فقره ليغنيه بالاستغنا به كما عززه بالاستعانة بالافتقار اليه وقال اعظم الناس ذلا فقير داهن غنيا وتواضع له واعظم الناس عزا غني تذلل للفقير او حفظ حرمته

قال المؤلف محمد بن ابي بكر بن ابي بكر بن ابي خيثمة ابو عبد الله الحافظ بن الحافظ كان ابوه يستعين به في جمعه التاريخ وكان فهما حاذقا حافظا توفي في ذي القعدة منها محمد بن احمد بن كيسان النحوي احد حفاظه والمكثرين منه كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معا قال ابن مجاهد كان ابن كيسان انحى من الشيخين المبرد وثعلب محمد بن اسحاق بن يحيى ابو سعيد سكن دمشق روى عن ابراهيم بن سعيد الجوهري واحمد بن منيع وابن ابي شيبة وغيرهم روى عنه ابو بكر النقاش وغيره وكان محمد ابن يحيى هذا يدعى بحامل كفنه وذلك ما ذكره الخطيب قال بلغني انه توفي فغسل وكفن وصلي عليه ودفن فلما كان الليل جاءه نباش ليسرق كفنه ففتح عليه قبره فلما حل عنه كفنه استوى جالسا وفر النباش هاربا من الفزع ونهض محمد بن يحيى هذا فاخذ كفنه معه وخرج من القبر وقصد منزله فوجد اهله يبكون عليه فدق عليهم الباب فقالوا من هذا فقال انا فلان فقالوا يا هذا لا يحل لك ان تزيدنا حزنا الى حزننا فقال افتحوا والله انا فلان فعرفوا صوته ففتحوا له فلما راوه فرحوا به فرحا شديدا وابدل الله حزنهم سرورا ثم ذكر لهم ما كان من امره وامر النباش وكان قد اصابته سكتة ولم يكن قد مات حقيقة فقدر الله بحوله وقوته ان بعث له هذا النباش ففتح عليه قبره فكان ذلك سببا لحياته نعاش بعد ذلك مدة سنين ثم كانت وفاته في هذه السنة فاطمة القهرمانة غضب عليها المقتدر مرة فصادرها فكان في جملة ما اخذ منها ما يقارب الف الف دينار ثم غرقت في طيارة لها في هذه السنة

ثم دخلت سنة ثلثمائة من الهجرة

فيها كثر ماء دجلة وتراكمت الامطار ببغداد وتناثرت نجوم كثيرة في ليلة الاربعا لسبع بقين من جمادى الاخرة وفيها كثرت الامراض ببغداد والاسقام وكلبت الكلاب حتى الذئاب بالبادية فكانت تقصد الحمار والناس بالنهار ومن عضته اكلبته وفيها انحسر جبل بالدينور يعرف بالتل فخرج من تحته ماء عظيم غرق عدة من القرى وفيها سقطت شرذمة من جبل لبنان الى البحر وفيها حملت بغلة ووضعت مهرة وفيها صلب الحسين بن منصور الحلاج وهو حي اربعة ايام يومين في الجانب الشرقي ويومين

في الجانب الغربي وذلك في ربيع الاول منها وحج بالناس امير الحجيج المتقدم ذكره في السنين قبلها وهو الفضل بن عبد الملك الهاشمي العباسي اثابه الله وتقبل منه

وممن توفي بعد وفاته التلثماية

تقريبا الصنوبري الشاعر وهو احمد بن محمد بن مراد ابو بكر الصنوبري الحنبلي قال الحافظ بن عساكر كان شاعرا محسنا وقد حكى عن علي بن سليمان الاخفش ثم ذكر اشيا من لطايف اشعاره فمن ذلك قوله

لا النوم ادري به ولا الارق ... يدري بهذين من به رمق
ان دموعي من طول ما استبقت ... كلت فما تستطيع تستبق
ولي مليك لم تبد صورته ... مذ كان الا صلت له الحدق
نويت تقبيل نار وجنته ... وخفت ادنو منها فاحترق
شمس غدا يشرب شمسا غدت ... وخدها في النور من خده
تغيب في فيه ولكنها ... من بعد ذا تطلع في خده

وقد روى الحافظ البيهقي عن شيخه الحاكم عن ابي الفضل نصر بن محمد الطوسي قال انشدنا ابو بكر الصنوبري

هدم الشيب ما بناه الشباب ... والغواني في ما قضين غضاب
قلب الابنوس عاجا فللاعين منه وللقلوب انقلاب
وضلال في الراي ان يشنا البازي على حسنه ويهوى الغراب

وقد اورده ابن عساكر في ابن له نظم يجعل يبكي على نفسه

منعوه احب شي اليه ... من جميع الورى ومن والديه
منعوه غذاه ولقد كان ... مباحا له وبين يديه
عجبا للزمان اذ عاش دهرا ... ثم فيها مسندي الفراق اليه

ابراهيم بن محمد بن احمد بن المولد ابو اسحاق الصوفي الواعظ الرقي احد مشايخها روى الحديث وصحب ابا عبد الله بن الجلا الدمشقي والجنيد وغير واحد وروى عنه تمام بن محمد وابو عبد الرحمن السلمي وقد اورد ابن عساكر من شعره قوله

لك مني على البعاد نصيب ... لم ينله على الدنو حبيب
وعلى الطرف من سواك حجاب ... وعلى القلب من هواك رقيب
زين في ناظري هواك وقلبي ... والهوى فيه رايع ومشوب
كيف يغني قرب الطبيب عليلا ... انت اسقمته وانت الطبيب
الصمت امن من كل نازلة ... من ناله نال افضل الغنم
ما نزلت بالرجال نازلة ... اعظم ضرا من لفظة الفم
عثرة هذا اللسان مهلكة ... ليست لدينا كعثرة القدم
احفظ لسانا يلقيك في تلف ... فرب قول اذل ذا كرم

ثم دخلت سنة احدى وثلثمائة من الهجرة

فيها غزا الحسين بن حمدان الصايفة ففتح حصونا كثيرة من بلاد الروم وقتل امما لا يحصون كثرة وفيها عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن وزارته وقلدها علي بن

عيسى فكان من خيار الوزراء وافضلهم للعدل والاحسان واتباع الحق وفيها
كثرت الامراض الدموية ببغداد في تموز وآب فمات من ذلك خلق كثير وجم غفير
من غير اهلها وفيها وصلت هدايا صاحب عمان وفيها بقرة بيضا وغزال
اسود وفي شعبان منها ركب المقتدر الى باب الشماسية على الخيل ثم انحدر الى داره
في دجلة وكانت اول ركبة ركبها للعامة وفيها استاذن الوزير علي بن عيسى
المقتدر بالله في مكاتبة رأس القرامطة ابي سعيد الحسن بن بهرام
الجنابي فاذن له فكتب اليه كتابا طويلا يدعوه فيه الى السمع والطاعة ويوبخه
على ما يتعاطاه اصحابه من ترك الصلوات والزكوات وارتكاب المنكرات
وانكارهم على من يذكر الله ويسبحه ويحمده واستهزائهم بالدين واسترقاقهم
الحرائر ثم توعده بالحرب وتهدده فلما سار الكتاب نحوه قتل ابو سعيد
قبل ان يصله قتله بعض خدمه وعهد بالامر من بعده لولده سعيد فغلبه
على ذلك اخوه ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد فلما قرؤوا الكتاب الوزير اليهم
اجابوه بما حاصله ان هذا الذي تنسب الينا مما ذكرتم ليس عندكم الا من
طريق من يشنع علينا واذا كان الخليفة ينسبنا الى الكفر بالله فكيف يدعونا
الى السمع والطاعة له وفيها جيء بالحسين بن منصور الحلاج الى بغداد
وهو مشهور على جمل وغلام له راكب جملا آخر ينادي عليه هذا احد دعاة القرامطة
فاعرفوه ثم حبس ثم احضر الى مجلس الوزير فناظره فاذا هو لا يقرأ القرآن
ولا يعرف من الحديث ولا الفقه ولا اللغة ولا الاخبار ولا الشعر شيئا وكان الذي
نقم عليه انه وجدت له رقاع يدعو فيها الناس الى الضلالة والجهالة بانواع
من الرموز يقول في مكاتباته كثيرا تبارك ذو النور الشعشعاني فقال له
الوزير علي بن عيسى رح تعلمك الطهور والفروض اجدى عليك من رسائل
لا يدري ما تقول فيها وما احوجك الى الادب ثم امر به فصلب حيا صلب الاشهار
لا القتل ثم انزل فحبس في دار الخلافة فجعل يظهر لهم انه على السنة وانه زاهد
حتى اغتر به كثير من الخدم وغيرهم من اهل دار الخلافة من الجهلة الطغام حتى
صاروا يتبركون به ويتمسحون بثيابه وسيأتي ما صار اليه امره حتى قتل
باجماع الفقهاء ووقع في آخر الحجة من هذه السنة ببغداد وباء شديد حتى مات
بشر كثير ولا سيما بالحربية ملعب عامة دورها وحج بالناس الفضل بن عبد الملك
الهاشمي **وممن توفي فيها من الاعيان**
ابراهيم بن خالد الشافعي جمع العلم والزهد ومن تلاميذه ابو بكر الاسماعيلي جعفر
بن محمد بن الحسين بن المستفاض ابو بكر الفريابي قاضي الدينور طاف البلاد
في طلب العلم وسمع الكثير عن المشايخ المكثرين مثل قتيبة وابي كريب وعلي
بن المديني وبندار وعنه ابو الحسين بن المنادي والنجاد وابو بكر الشافعي وخلق
كثير واستوطن بغداد وكان ثقة حافظا حجة وكان عدة من يحضر مجلسه نحوا
من ثلاثين الفا والمستملون عنده فوق الثلثمائة واصحاب المحابر نحو
عشرة آلاف وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة عن اربع وتسعين سنة وكان

قد حفر لنفسه قبرا قبل وفاته بخمس سنين فكان يزوره فيقف عنده ثم لم
يقض انه دفن فيه بل في مكان آخر رح حيث كان ابو سعيد الجنابي القرمطي وهو
الحسين بن بهرام قبحه الله وهو رأس القرامطة والذين يقولون عليه في بلد
البحرين وما والاها علي بن احمد الراسبي كان يلي بلاد واسط الى شهرزور وغيرها
وقد خلف من الاموال شيئا كثيرا من ذلك الف الف دينار ومن آنية الذهب
والفضة ونحو ذلك ما يعادل مائة الف دينار ومن الخز الف ثوب ومن
الخيل والبغال والجمال الف رأس محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك
ابن ابي الشوارب يعرف بالاحنف كان قد ولي قضاء مدينة المنصور نيابة
عن ابيه حين كان ... مات في جمادى الاولى من هذه السنة وتوفي ابوه بعده في رجب
وبينهما ثلاثة وسبعون يوما ودفنا في موضع واحد رحمهما الله تعالى وممن
توفي فيها ايضا ابو بكر محمد بن هارون البرذعي الحافظ وابن ناجية

ثم دخلت سنة ثنتين وثلثمائة

فيها ورد كتاب بوشر الخادم بانه قد اوقع بالروم باسا شديدا وانه قد اسر منهم
مائة وخمسين بطريقا ففرح المسلمون بذلك وفيها ختن الخليفة المقتدر
خمسة من اولاده فغرم على هذا الختان ستمائة الف دينار من ذلك خمسة آلاف
نثار ومائة الف درهم وقد ختن معهم من قبلهم خلقا من اولاد اليتامى واحسن
اليهم وهذا صنيع حسن رح وفيها صادر الخليفة ابا علي بن الجصاص بستة
عشر الف الف دينار غير الآنية والثياب الثمينة وفيها ارسل الخليفة المقتدر
اولاده الى المكتب فكان يوما مشهودا وفيها بنى الوزير المارستان بالحربية
من بغداد وانفق عليه اموالا جزيلة جدا جزاه الله خيرا وحج بالناس فيها
الفضل بن عبد الملك وقطعت الاعراب وطائفة من القرامطة الطريق على
الراجعين من الحجيج فقتلوا منهم خلقا واسروا اكثر من مائتي امرأة حرة فانا
لله وانا اليه راجعون وممن توفي فيها من الاعيان بشر بن نصر بن منصور
ابو القاسم الفقيه الشافعي من اهل مصر ويعرف بغلام عرق وعرق خادم من
خدام السلطان كان يلي البريد فقدم معه هذا الرجل فاقام بها حتى كانت
وفاته فيها رح بدعة جارية عريب المغنية بذل لسيدتها فيها مائة الف
دينار من بعض من رغب فيها فعرضت ذلك عليها فكرهت مفارقتها لسيدتها
فاعتقتها سيدتها في يومها ذلك وتاخرت وفاتها الى هذه السنة وقد تركت
من العين والاملاك ما لم يملكه رجل القاضي ابو زرعة محمد بن عثمان الشافعي
قاضي مصر ثم دمشق وهو اول من حكم على مذهب الشافعي بالشام واشاعه
بها وكان ثقة عدلا من سادات القضاة وكان اصله من اهل الكتاب اليهود
وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية

ثم دخلت سنة ثلاث وثلثمائة

فيها وقف المقتدر بالله اموالا جزيلة وضياعا على الحرمين الشريفين واستدعى
بالقضاة والاعيان فاشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك وفيها قدم الى بغداد

بجماعة من الاسارى من الاعراب الذين كانوا عدوا على الحجيج في تلك السنة فلم يتمالك
العامة ان عدت عليهم فقتلوهم فلحق بعضهم فعوقب لكونه افتات على السلطان
وفيها وقع حريق شديد في سوق النجارين من بغداد فاحترق السوق بكماله وفي ذي
الحجة من هذه السنة مرض المقتدر بالله ثلاثة عشر يوما ولم يمرض في مدة خلافته
مع طولها سوى هذه المرضة وحج بالناس الفضل بن عبد الملك ولما خاف الوزير على
الحجاج من شر القرامطة في رجعتهم من مكة كتب اليهم رسالة ليشغلهم بها عن امر
الحجيج فاتهمه بعض الكبار بمراسلة القرامطة فلما انكشف امره وما قصده حظي عند
الناس بذلك جدا

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

النسائي رحمه الله احمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار ابو عبد الرحمن
النسائي صاحب السنن الامام في عصره والمقدم على اضرابه واشكاله وفضلاء دهره
رحل الى الآفاق واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالائمة الحذاق ومشايخه الذين
روى عنهم مشافهة قد ذكرناهم في كتابنا التكميل ولله الحمد وترجمناهم ايضا
وروى عنه خلق كثير وجم غفير وقد جمع السنن الكبير وانتخب منه ما هو اقل حجما منه
بمرات وقد وقع لنا سماع كل منهما وقد ابان في تصنيفه عن حفظ واتقان وصدق
وايمان وتوفيق وعرفان قال الحاكم عن الدارقطني ابو عبد الرحمن النسائي مقدم على ٢
كل من يذكر بهذا العلم من اهل عصره وكان يسمي كتابه الصحيح وقال ابو علي الحافظ
ان للنسائي شرطا في الرجال اشد من شرط مسلم بن الحجاج وكان من ائمة المسلمين
وقال ايضا هو الامام في الحديث بلا مدافعة وقال ابو الحسين محمد بن المظفر الحافظ
سمعت مشايخنا بمصر يعترفون له بالتقدم والامامة ويصفون من اجتهاده في
العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والاجتهاد وقال غيره كان يصوم يوما
ويفطر يوما وكانت له اربع زوجات وسريتان وكان كثير الجماع حسن الوجه مشرق
اللون وكان كثير الجماع قالوا وكان يقسم للاماء كما يقسم للحرائر وقال الدارقطني
كان ابو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يحدث عن احد سوى النسائي وقال رضيت به حجة
بيني وبين الله عز وجل وقال ابن يونس كان النسائي اماما في الحديث ثقة ثبتا حافظا وكان
خروجه من مصر في سنة اثنتين وثلاثمائة وقال ابن عدي سمعت منصورا الفقيه
واحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي يقولان ابو عبد الرحمن النسائي امام من ائمة المسلمين
وكذلك اثنى عليه غير واحد من الائمة وشهدوا له بالفضل والتقدم في هذا الشأن
والحفظ والمعرفة وقد ولي الحكم بمدينة حمص سمعته من شيخنا الحافظ ابي الحجاج المزي
رحمة الله عليه عن رواية الطبراني في معجمه الاوسط حيث قال ثنا احمد بن شعيب
الحاكم وذكروا انه كان له من النساء اربع نسوة وكان في غاية الحسن وجهه كانه قنديل
وكان يأكل في كل يوم ديكا ويشرب عليه من نقيع الزبيب الحلال وقد قيل انه كان
ينسب الى شيء من التشيع قالوا ودخل الى دمشق فسأله اهلها ان يحدثهم بشيء من فضائل
معاوية فقال اما يكفي معاوية ان يذهب راسا براس حتى يروى له فضائل فجعلوا
يطعنون في خصيتيه حتى اخرج من المسجد الجامع فسار من عندهم فقصد مكة فمات

بها في هذه السنة وقبره بها كذا حكاه الحاكم عن محمد بن اسحاق الاصبهاني عن
مشايخه وقال الدارقطني كان افقه مشايخ مصر في عصره واعرفهم بالصحيح والسقيم
من الآثار واعرفهم بالرجال فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج الى الرملة فسئل عن
فضائل معاوية فامسك عنه فضربوه في الجامع فقال اخرجوني الى مكة فاخرجوه وهو
عليل فتوفي بمكة مقتولا شهيدا وقال الحاكم مع ما رزق النسائي من الفضائل رزق
الشهادة في آخر عمره مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة وقال الحافظ ابو بكر محمد بن
عبد الغني بن نقطة في تقييده ونقلت من خط ابي عامر محمد بن سعدون العبدري
الحافظ مات ابو عبد الرحمن النسائي بالرملة مدينة فلسطين يوم الاثنين
لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة ودفن ببيت المقدس
وحكى ابن خلكان في الوفيات انه توفي في شعبان من هذه السنة وانه انما صنف
الخصائص في فضل علي واهل البيت لانه رأى اهل دمشق حين قدمها في سنة اثنتين
وثلاثمائة عندهم نفرة من علي وسألوه عن معاوية فقال ما قال فدفعوا في خصيتيه
فمات وهكذا ذكر ابن يونس وابو جعفر الطحاوي انه توفي بفلسطين في صفر من
هذه السنة وكان مولد النسائي في سنة خمس عشرة او اربع عشرة ومائتين
فعمر بثا عرفوله رح فكان عمره ثمانيا وثمانين سنة الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد
العزيز بن النعمان بن عطاء ابو العباس الشيباني النسوي محدث خراسان وقد
كان يضرب اليه آباط الابل في معرفة الحديث والفقه رحل الى الآفاق وتفقه على
ابي ثور وكان يفتي بمذهبه واخذ الادب عن اصحاب النضر بن شميل وكانت اليه الرحلة
بخراسان ومن غريب ما اتفق له انه كان هو وجماعة من اصحابه بمصر في رحلتهم
لطلب الحديث فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة ايام لا يأكلون فيها شيئا ولا يجدون
ما يبيعونه للقوت واضطرهم الحال الى تجشم السؤال وانفت انفسهم من ذلك
وعزت عليهم واستنكفت كل الامتناع والحاجة تضطرهم الى تعاطي ذلك فاقترعوا
فيما بينهم ايهم يقوم باعباء هذا الامر فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان فقام
عنهم فاختلى في زاوية المسجد الذي هم فيه فصلى ركعتين اطال فيهما واستغاث بالله
وسأله باسمائه العظام فما انصرف من الصلاة حتى دخل المسجد شاب حسن الهيئة
مليح الوجه فقال ايكم الحسن بن سفيان فقلت انا فقال الامير طولون يقرأ عليكم
السلام ويعتذر اليكم من تقصيره وهذه مائة دينار لكل واحد منكم فقلنا له ما الحامل
له على هذا فقال انه احب ان يختلي اليوم بنفسه فبينما هو الآن نائم اذ جاءه فارس
في الهوى بيده رمح فدخل عليه المنزل ووضع عقب الرمح في خاصرته فوكزه به وقال
قم فادرك الحسن بن سفيان واصحابه قم فادركهم قم فادركهم فانهم
منذ ثلاثة ايام جياع في المسجد الفلاني فقال له من انت قال انا رضوان خازن
الجنة فاستيقظ الامير وخاصرته تالمه الما شديدا فبعث بالنفقة في الحال اليهم
ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حول ذلك المسجد ووقفه على الواردين اليه جزاه الله
خيرا وقد كان الحسن بن سفيان رحمه الله من ائمة هذا الشأن وفرسانه وحفاظه وقد اجتمع
عنده جماعة من الحفاظ منهم ابن خزيمة وغيره فقرأوا عليه شيئا من الاحاديث وجعلوا

يقلبون الاسانيد ليستعلموا ما عند الشيخ فما قلبوا شيئا الا ورده الى الصواب وعمره اذ ذاك تسعون سنة وهو في هذا الشان حافظ ضابط لا يشذ عنه شيء من حديثه ومن فوايده ان العيسي كوفي والعيشي بصري والعنسي مصري رويم بن احمد ويقال ابو محمد بن رويم بن يزيد ابو الحسن ويقال ابو الحسين ويقال ابو محمد احد ايمة الصوفية وكان عالما بالقران ومعانيه وكان يتفقه على مذهب داود بن علي الظاهري قال بعضهم كان رويم يكتم حب الدنيا اربعين سنة وذلك انه تصوف اربعين سنة ثم لما ولي اسماعيل بن اسحاق القضا ببغداد جعله وكيلا في بابه فترك التصوف ولبس الخز والقصب والدبيقي وركب الخيل واكل الطيبات وبنى الدور زهير بن صالح بن الامام احمد بن حنبل روى عن ابيه وعنه ابو بكر احمد بن سلمان النجاد قال الدارقطني كان ثقة مات وهو شاب ابو علي الجبائي شيخ المعتزلة هو محمد بن عبد الوهاب ابو علي الجبائي شيخ الطايفة المعتزلة في زمانه وعليه اشتغل ابو الحسن الاشعري ثم رجع عنه وللجبائي تفسير حافل مطول له فيه اختيارات غريبة في التفسير وقد رد عليه الشيخ ابو الحسن الاشعري فيه وقال كان القران نزل بلغة اهل جبا كان مولد الشيخ ابي علي في سنة خمس وثلثين ومايتين ومات في هذه السنة

ابن بسام الشاعر

ابو الحسن علي بن احمد بن منصور بن نصر بن بسام البسامي الشاعر المطيق للهجا لم يترك احدا حتى هجاه حتى اباه وامه امامة بنت حمدون النديم وقد اورد له ابن خلكان اشيا كثيرة من شعره من ذلك قوله في تخريب المتوكل

• قبر الحسين بن علي وداره • بان يترع ويمحى رسمه •

وكان شديد التحامل على علي وولده فلما وقع ما ذكرناه وكان ذلك في سنة ست وثلاثين ومايتين قال ابن بسام هذا •

• تالله ان كانت امية قد اتت • قتل ابن بنت نبيها مظلوما •
• فلقد اتاه بنو ابيه بمثله • هذا لعمرك قبره مهدوما •
• اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا • في قتله فتتبعوه رميما •

ثم دخلت سنة اربع وثلثمائة

فيها عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره ابا الحسن علي بن عيسى بن الجراح وذلك لانه وقعت بينه وبين ام موسى القهرمانة نفرة شديدة فسال الوزير ان يعفى من الوزارة فعزل ولم يتعرض لشيء من املاكه وطلب ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات فاعيد الى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين وخلع عليه الخليفة يوم التروية سبع خلع واطلق له ثلثمائة الف درهم وعشرة تخوت ثياب ومن الخيل والبغال والجمال شي كثير واقطع الدار التي بالمخرم فسكنها فعمل فيها ضيافة في تلك الليلة فسقي فيها اربعين الف رطل من الثلج وفي الصيف من هذه السنة اشتهر ببغداد ان حيوانا يقال له الزبزب يطوف بالليل ياكل الاطفال من الاسرة ويعدو على النيام فربما قطع يد الرجل وثدي المراة وهو نايم فجعل الناس يضربون على اسطحتهم بالنحاس

من الهواوين

من الهواوين والطسوت وغير ذلك ينفرونه عنهم حتى كانت بغداد ترتج من شرقيها وغربيها واصطنع الناس لاولادهم مكبات من السعف وغير ذلك واغتنمت اللصوص هذه التشويش فكثرت النقوب واخذت الاموال فامر الخليفة بان يوخذ حيوان من كلاب الماء فيصلب على الجسر ليسكن الناس بذلك ففعل فسكن امر الناس ورجعوا الى انفسهم واستراح الناس من ذلك وتقلد ثابت بن سنان الطبيب المورخ امر المارستانات ببغداد في هذه السنة وكانت خمسة وورد الخبر من خراسان بانهم وجدوا قبور شهدا قتلوا في سنة سبعين من الهجرة مكتوبة اسماوهم في رقاع مربوطة باذانهم واجسادهم طرية كما هي

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

محمد بن احمد بن الهيثم بن صالح بن عبد الله بن الحصين بن علقمة بن لبيد بن نعيم بن عطارد بن حاجب بن زرارة ابو الحسن التميمي الملقب بنورجه قدم بغداد وحدث بها وكان ثقة حافظا يوسف بن الحسين بن علي ابو يعقوب الرازي سمع احمد بن حنبل وصحب ذا النون المصري وروى عنه ابو بكر النجاد وروى الخطيب بسنده اليه انه بلغه ان ذا النون يحفظ اسم الله الاعظم فقصده ليعلمه اياه قال فلما وردت عليه استهان بي وكانت لي لحية طويلة ومعي ركوة عظيمة فجاء يوما رجلا فناظر ذا النون فاسكت ذا النون فناظرت انا الرجل فاسكتته فقام ذو النون فجلس بين يدي وانا شاب وهو شيخ واعتذر الي فخدمته سنة ثم سالته ان يعلمني اسم الله الاعظم فلم يبعدني ووعدني فمكثت بعد ذلك ستة اشهر ثم اخرج الي طبقا عليه مكبة مشدود بمنديل وقال لي اذهب بهذا الى صاحبنا فلان قال فجعلت افكر في الطريق ما هذا الذي ارسلني به فلما وصلت الجسر فتحته فاذا فيه فارة فغرت وذهبت فلقيت غيظا شديدا وقلت ذو النون يسخر بي فرجعت اليه وانا حنق فقال لي يا احمق انما اختبرتك فاذا لم تكن امينا على فارة فان لا تكون امينا على الاسم الاعظم بطريق الاولى اذهب عني فلا اراك بعدها وقد روى ابو الحسين الرازي انه راه في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بقولي عند الموت اللهم اني نصحت الناس قولا وخنت نفسي فعلا فهب خيانة فعلي لنصح قولي يموت بن المزرع بن يموت ابو بكر العبدي من عبد قيس وهو ثوري وكان ابن اخت الجاحظ قدم بغداد وحدث بها عن ابي عثمان المازني وعن ابي حاتم السجستاني وابي الفضل الرياشي وكان صاحب اخبار واداب وملح وقد كان غير اسمه بمحمد فلم يغلب عليه الا الاول وكان اذا ذهب يعود مريضا فدق الباب فقيل من فيقول ابن المزرع ولا يذكر اسمه لئلا يتفاءل اهل المريض بسماع ذلك

ثم دخلت سنة خمس وثلثمائة

فيها قدم رسول الروم في طلب المفاداة والهدنة وهو شاب حدث السن ومعه شيخ منهم وعشرون غلاما فلما ورد بغداد شاهد امرا هايلا جدا وذلك ان الخليفة المقتدر بالله امر بالاحتفال لذلك ليشاهد ما فيه ارهاب للاعدا فركب الجيش بكماله يوميذ وكان مايه الف وستين الفا ما بين فارس وراجل في الاسلحة التامة وغلمان

الخليفة يومئذ سبعة آلاف اربعة آلاف ابيض وثلاثة آلاف اسود في غاية الملابس والعدد وللخليفة والحجبة يومئذ سبعماية حاجب واما الطيارات التي بدجلة والزبازب والسميريات فشيء كثير مزينة وحين دخل الرسول دار الخلافة شاهد امرا دهشة ورأى من الحشمة والزينة والحرمة ما يبهر الابصار وحين اجتاز بالحاجب ظن انه الخليفة فقيل له هذا الحاجب الكبير فمر بالوزير في ابهته فظنه الخليفة فقيل هذا الوزير وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يسمع بمثلها كان فيها من الستور يومئذ ثمانية وثلاثون الف ستر منها اثنى عشر الف ستر وخمسماية مذهبة وقد بسط فيها اثنان وعشرون الف بساط وفيها الوحوش قطعانا تتانس بالناس بحيث تاكل من ايديهم وماية سبع مع السباعة ثم ادخل الى دار الشجرة وهي عبارة عن بركة ماء فيها ماء صاف وفي وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفضة لها ثمانية عشر غصنا اكثرها من ذهب وفيها الشماريخ والاوراق الملونة عليها طيور مصنوعة من الذهب والفضة واللالي تصوت بانواع الاصوات من الماء المسلط عليها والشجر بكمالها تتمايل كما تتمايل الاشجار بحركات عجيبة تدهش من يراها ثم ادخل الى مكان يسمونه الفردوس فيه من انواع المفارش والالات ما لا يحد ولا يوصف كثرة وحسنا وفي دهاليزه ثمانية عشر الف جوشن مذهبة وما زال كلما مر على مكان ادهشه واخذ ببصره حتى انتهى الى الخليفة المقتدر بالله وهو جالس على سرير من ابنوس قد فرش بالدبيقي المطرز وعن يمين السرير تسعة عقود معلقة وعن يساره تسعة اخرى من افخر الجواهر يعلو ضوءها على ضوء النهار فوقف الرسول والذي معه بين يدي الخليفة على نحو من ماية ذراع والوزير علي بن محمد بن الفرات واقف بين يدي الخليفة والترجمان دون الوزير فجعل الخليفة يخاطب الوزير والوزير يخاطب الترجمان والترجمان يخاطبهما ثم خلع عليهما واطلق لهما خمسين سقرقا في كل سقرق خمسة آلاف درهم واخرجا من بين يديه وطيف بهما في بقية دار الخلافة وعلى حافات دجلة الفيلة والزرافة والسباع والفهود وغير ذلك وهذا من اغرب ما وقع من الحوادث في هذه السنة وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي وممن توفي فيها من الاعيان سليمان بن محمد بن احمد ابو موسى النحوي الكوفي المعروف بالحامض صحب ثعلبا اربعين سنة وخلفه في حلقته وصنف غريب الحديث وخلق الانسان والوحوش والنبات وكان دينا صالحا روى عنه ابو عمر الزاهد توفي ببغداد في ذي الحجة منها ودفن بباب التبن وعبد الله بن شيرويه الحافظ وعمران بن مجاشع وابو خليفة الفضل بن الحباب وقاسم بن زكريا بن يحيى المطرز المقرئ احد الثقات الاثبات سمع ابا كريب وسويد بن سعيد وعنه الخلدي وابن الجعابي توفي ببغداد في هذه السنة

ثم دخلت سنة ست وثلثماية

في اول يوم من المحرم وهو مستهل هذه السنة فتح المارستان الذي بنته السيدة ام المقتدر وجلس فيه سنان بن ثابت الطبيب ورتبت الاطباء والخدم والقومة وكانت نفقته في كل شهر ستماية دينار واشار سنان بن ثابت على الخليفة ببناء

مارستان

مارستان فقبل منه وبنى وسمي المقتدري وفيها وردت الاخبار عن امراء الصوائف بما فتح الله عليهم من الحصون في بلاد الروم وفيها شغبت العامة وارجفوا بموت المقتدر بالله فركب في الجحافل حتى بلغ الثريا ورجع من باب العامة ووقف طويلا ليراه الناس ثم ركب الى الشماسية وانحدر الى دار الخلافة في دجلة فسكنت الفتن وفيها قلد المقتدر حامد بن العباس الوزارة وخلع عليه وخرج من عنده وخلفه اربعماية غلام لنفسه ثم تبين عجزه فاخرج علي بن عيسى وجعل معه ليتفقد الامور وينظر معه في الاعمال وكان ابو علي بن مقلة ممن يكتب ايضا بحضرة حامد بن العباس الوزير ثم صار الى المنزلة كلها لعلي بن عيسى واستقل بالوزارة في السنة الاتية وفيها امرت السيدة ام المقتدر قهرمانة لها تعرف بثمل ان تجلس في التربة التي بنتها بالرصافة في كل يوم جمعة وان تنظر في المظالم التي ترفع اليها في القصص ويحضر في مجلسها القضاة والفقهاء وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي

وممن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن احمد بن الحرث ابو القسم الكلابي الشافعي سمع الكثير من الحرث بن مسكين وغيره وكان رجلا صالحا ثقة على مذهب الشافعي يحب الخلوة والانقباض توفي في شعبان منها احمد بن الحسن الصوفي احد مشايخ الحديث المكثرين المعمرين ابن سريج احمد بن عمر بن سريج ابو العباس القاضي بشيراز وله نحو اربعماية مصنف وكان احد ايمة الشافعية ويلقب بالباز الاشهب وكان تفقه على ابي القاسم الانماطي عن اصحاب الشافعي كالمزني وغيرهم وعنه انتشر مذهب الشافعي في الافاق وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية رح بما فيه مقنع توفي في جمادى الاولى منها عن سبع وخمسين سنة وستة اشهر وقبره يزار رحمه الله احمد بن يحيى ابو عبد الله الجلا البغدادي سكن الشام وصحب ابا تراب النخشبي وذا النون المصري روى ابو نعيم بسنده عنه قال قلت لابوي وانا شاب لي احببت ان تهباني لله عز وجل فغبت عنهما مدة طويلة ثم رجعت الى بلدنا عشاء في ليلة مطيرة فانتهيت الى الباب فدققته فقالا من هذا فقلت انا فلان ولدكما فقالا انه قد كان لنا ولد ووهبناه لله عز وجل وانا من العرب لا نرجع فيما وهبنا ولم يفتحا لي الباب الحسن بن يوسف بن اسماعيل بن حماد بن زيد القاضي ابو يعلى وهو اخو القاضي ابي عمر محمد بن يوسف وكان اليه ولاية القضاء بالاردن عبد الله بن احمد بن موسى بن زياد ابو محمد الجواليقي القاضي المعروف بعبدان الاهوازي ولد سنة ست عشرة وماتين وكان احد الحفاظ الاثبات يحفظ ماية الف حديث جمع المشايخ والابواب روى عن هدبة وكامل بن طلحة وغيرهم وعنه ابن صاعد والمحاملي وغيرهما محمد بن باب شاذ ابو عبيد الله البصري سكن بغداد وحدث بها عن معاذ العنبري وبشر بن معاذ العقدي ويحيى الاصلي وعن الفلاس وبشر بن معاذ وعنه ابو بكر الشافعي وابن الجعابي كذبه ابن ناجية وقال الدارقطني ليس به باس محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد ابو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع وكان عالما فاضلا عارفا

بايام الناس فقيها قاريا نحويا له مصنفات منها كتاب الجدود وولي القضا بالاهواز وحدث عن الحسن بن عرفة والزبير بن بكار وغيرهما وعنه احمد بن كامل وابو علي الصواف وغيرهما ومن شعره

اذا ما غدت طلابة العلم تبتغي • من العلم يوما ما تخلد في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم • ومحبرتي اذني ودفترها قلبي

منصور بن اسماعيل بن عمر ابو الحسن الفقيه احد ايمة الشافعية وله مصنفات وله الشعر الحسن قال ابن الجوزي ويظهر في شعره التشيع وكان جنديا ثم كف بصره وسكن الرملة ثم قدم مصر حتى كانت وفاته بها ابو نصر المحب احد مشايخ الصوفية كان له كرم وسخاء ومروة

ثم دخلت سنة سبع وثلثماية

في صفر منها وقع حريق بالكرخ في الدقاقين هلك فيه خلق كثير من الناس وفي ربيع الاخر منها دخل باسارى من الكرخ نحو ماية وخمسين اسيرا انفذهم الامير بكر الحامي وفي ذي القعدة انقض كوكب عظيم غالب الضوء وتقطع ثلاث قطع وسمع بعد انقضاضه صوت رعد شديد هايل من غير غيم ذكره ابن الجوزي وفيها دخلت القرامطة الى البصرة فاكثروا فيها الفساد وفيها عزل حامد بن العباس عن الوزارة واعيد اليها ابو الحسن بن الفرات المرة الثالثة وفيها كسرت العامة ابواب السجون فاخرجوا من كان بها فادركت الشرط الذين اخرجوا من السجن فلم يفتهم احد منهم بل ردوا كلهم الى السجون وحج بالناس في هذه السنة احمد بن العباس اخو ام موسى القهرمانة وممن توفي فيها من الاعيان احمد بن علي بن المثنى ابو يعلى الموصلي صاحب المسند المشهور سمع الامام احمد بن حنبل وطبقته وكان حافظا خيرا حسن التصنيف عدلا فيما يرويه ضابطا لما يحدث به اسحاق بن عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن سلمة ابو يعقوب البزار الكوفي رحل الى الشام ومصر وكتب الكثير وصنف المسند واستوطن بغداد وكان من الثقات وروى عنه ابن المظفر الحافظ وكانت وفاته في شوال بها جعفر بن محمد بن موسى ابو محمد بن الاعرج النيسابوري الحافظ قدم بغداد وروى عنه الطبراني والازدي وغيرهما من الحفاظ وكان ثقة حافظا عارفا توفي بحلب في هذه السنة زكريا بن يحيى الساجي الفقيه المحدث شيخ ابي الحسن الاشعري في السنة والحديث علي بن سهل بن الازهر ابو الحسن الاصبهاني كان اولا مترفا ثم صار زاهدا عابدا يبقى الايام لا ياكل شيا وكان يقول الهاني الشوق عن الطعام والشراب وكان يقول انا لا اموت كما تموتون بالاعلال والاسقام انما هو دعاء واجابة ادعى فاجيب فكان كما قال بينما هو جالس في جماعة اذ قال لبيك ووقع ميتا ومحمد بن هارون الروياني صاحب المسند وابن دريج العكبري والهيثم بن خلف

ثم دخلت سنة ثمان وثلثماية

غلت الاسعار في هذه السنة ببغداد فاضطربت العامة وقصدوا دار حامد بن العباس الذي ضمن قسرا من الخليفة وغلت الاسعار بسبب ذلك وعدوا في ذلك اليوم وكان يوم الجمعة على الخطيب فمنعوه الخطبة وكسروا المنابر وقتلوا الشرط وحرقوا جسورا كثيرة وامر الخليفة بقتال العامة ثم نقض الضمان الذي كان ضمنه حامد بن العباس ضمنه

فاما

فاختلطت الاسعار وابيع الكر بنافص خمسة دنانير فطابت نفس العامة بذلك وسكنوا وفي تموز من هذه السنة وقع برد شديد جدا بحيث ان الناس تركوا النوم في الاسطحة وتدثروا باللحف والاكسية ووقع في شتاء هذه السنة ثلج عظيم وكان فيها برد شديد جدا بحيث اضر ذلك ببعض النخيل وحج بالناس في هذه السنة احمد بن العباس اخو القهرمانة وممن توفي فيها من الاعيان ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه راوي صحيح مسلم عنه احمد ابن الصلت بن المغلس ابو العباس الحماني احد الوضاعين للاحاديث روى عن خاله جبارة بن المغلس وابي نعيم ومسلم بن ابراهيم وابي بكر بن ابي شيبة وابي عبيد القاسم بن سلام وغيرهما احاديث كلها وضعها هو في مناقب ابي حنيفة وغير ذلك وحكى عن يحيى بن معين وعلي بن المديني وبشر بن الحرث اخبارا كلها كذب قال ابو الفرج بن الجوزي قال ابو محمد بن ابي الفوارس كان احمد بن الصلت يضع الحديث واسحاق بن احمد الخزاعي المفضل الجندي وعبد الله بن محمد بن وهب الدينوري وعبد الله بن ثابت بن يعقوب ابو عبد الله المقري النحوي التوزي سكن بغداد وروى عن عمر بن شبة وعنه ابو عمرو السماك ومن شعره

اذا لم تكن حافظا واعيا • فعلمك في البيت لا ينفع
وتحضر بالجهل في مجلس • وعلمك في الكتب مستودع
ومن يك في دهره هكذا • يكن دهره القهقرى يرجع

ثم دخلت سنة تسع وثلثماية

فيها وقع حريق كثير في نواحي بغداد وذلك بسبب زنديق قتل فاثر من كان من جهته الحريق في اماكن كثيرة فهلك بسبب ذلك خلق كثير من الناس وفيها في جمادى الاولى قلد المقتدر بالله مونس الخادم بلاد مصر والشام ولقبه المظفر وكتب بذلك في المراسلات الى الافاق وفي ذي القعدة احضر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى الى دار الوزير عيسى بن علي لمناظرة الحنابلة في اشيا نقموها عليه فلم يحضروا ولا احد منهم وقدم الوزير حامد بن العباس للخليفة بستانا بناه وسماه الناعورة قيمته ماية الف دينار وفرش مساكنه بانواع المفارش المفتخرة وفي هذه السنة كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج ولنذكر شيا من ترجمته وسيرته وكيفية مقتله على وجه الايجاز وبيان المقصود بطريق الانصاف والعدل

وهذه نبذة من سيرته واحواله وكشف سريرته واقواله

الحسين بن منصور بن محمي الحلاج ابو مغيث ويقال ابو عبد الله كان جده مجوسيا اسمه محمي من اهل فارس نشا بواسط وقيل بتستر ودخل بغداد وتردد الى مكة مرارا للحج وجاور بها سنوات متفرقة وكان يصابر نفسه ويجاهدها فلا يجلس الا تحت السماء وسط المسجد الحرام في البرد والحر ولا ياكل الا بعض قرص ويشرب قليلا من الماء معه وذلك وقت الفطور مدة سنة كاملة ويجلس على صخرة في قبالة الحر في جبل ابي قبيس وقد صحب جماعة من سادات مشايخ الصوفية كالجنيد بن محمد وعمرو بن عثمان المكي وابي الحسين النوري قال الخطيب البغدادي والصوفية يختلفون فيه فاكثرهم نفى ان يكون الحلاج منهم وابى ان يعده فيهم وقبله من متقدميهم ابو العباس بن عطا البغدادي ومحمد بن خفيف الشيرازي وابراهيم بن محمد

نبذة في ترجمة الحلاج

النصراباذي النيسابوري وصححوا له حاله ودونوا كلامه حتى قال ابن خفيف الحسين
بن منصور عالم رباني وقال ابو عبد الرحمن السلمي واسمه محمد بن الحسين سمعت ابراهيم
بن محمد النصراباذي وعوتب في شيء حكي عن الحلاج في الروح فقال لمن عاتبه ان كان بعد
النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قال ابو عبد الرحمن وسمعت منصور بن عبد
الله يقول سمعت الشبلي يقول كنت انا والحسين بن منصور شيا واحدا الا انه اظهر
وكتمت وقد روي عن الشبلي من وجه اخر انه قال وقد راى الحلاج مصلوبا الم ننهك عن
العالمين قال الخطيب والذين نفوه من الصوفية نسبوه الى الشعبذة في فعله وفي
الزندقة في عقده قال وله الى الان اصحاب ينسبون اليه ويغلون فيه وقد كان الحلاج حسن
العبارة حلو المنطق وله شعر على طريقة التصوف قلت لم يزل الناس منذ قتل الحلاج
مختلفين في امره فاما الفقهاء فقد حكى غير واحد من الائمة اجماعهم على قتله وانه كان كافرا
ممخرقا مموها مشعبذا وكذلك قول اكثر الصوفية فيه ومنهم طائفة كما تقدم اجملوا
القول فيه وغرهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه وباطن قوله فانه كان في ابتداء امره فيه تعبد
وتاله وسلوك ولكن لم يكن له علم يسلك به في عبادته فدخل عليه الداخل بسبب
ذلك كما قال بعض السلف من عبد الله بغير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن
سفيان بن عيينة انه قال من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد
من عبادنا كان فيه شبه من النصارى ولهذا دخل على الحلاج باب الحلول والاتحاد فصار
من اهل الانحلال والالحاد وقد ورد من غير وجه انه تنقلب به الاحوال وتردد الى البلدان
واقام ببلدان شتى وهو في ذلك كله يظهر للناس انه من الدعاة الى الله عز وجل وصح انه
دخل الهند ليتعلم السحر وقال ادعو به الى الله عز وجل وكان اهل الهند يكاتبونه بالمغيث
ويكاتبه اهل تركستان بالمقيت ويكاتبه اهل خراسان بالمميز واهل فارس بابي عبد الله
الزاهد واهل خوزستان بابي عبد الله الزاهد حلاج الاسرار وكان بعض البغاددة حين
كان عندهم يقولون له المصطلم واهل البصرة تقول له المحير ويقال انما سماه الحلاج
اهل الاهواز لانه كان يكاشفهم عما في ضمائرهم وقيل لانه قال لحلاج اذهب لي في حاجة
كذا وكذا فقال اني مشغول فقال اذهب وانا اسد عنك فذهب ورجع سريعا فاذا
جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه يقال انه اشار المرود فامتاز الحب عن القطن وفي صحة
هذا نظر وقيل لان اباه كان حلاجا ومما يدل على انه قد كان ذا سلوك في بدء امره اشياء
كثيرة منها شعره فمن ذلك قوله

جبلت روحك في روحي كما • يجبل العنبر بالمسك الفتق
فاذا مسك شيء مسني • فاذا انت انا لا نفترق

وقال ايضا

مزجت روحك في روحي كما • تمزج الخمرة بالماء الزلال
فاذا مسك شيء مسني • واذا انت انا في كل حال

وله ايضا

قد تحققتك في سري • فخاطبك لساني
فاجتمعنا لمعان • وافترقنا لمعان

ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ العيان • فلقد صيرك الوجد من الاحشاء دان

وقد انشد لابن عطا قول الحلاج

اريدك لا اريدك للثواب • ولكني اريدك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها • سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فقال ابن عطا هذا مما يتزايد به عذاب الشغف وتهيام الكلف واحتراق الاسف
فاذا صفا ووفا علا الى مشرب عذب ومطل من الحق دائم سكب وقد انشد ابو عبد الله
بن خفيف قول الحلاج

سبحان من اظهر ناسوته • سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا • في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه • كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال ابن خفيف على من يقول هذا لعنة الله فقيل له ان هذا من شعر الحسين بن
منصور فقال لعله يكون متقولا عليه ومما ينسب اليه شيء من الشعر قوله

ارسلت تسال عني كيف كنت • وما لاقيت بعدك من هم ومن حزن
لا كنت ان كنت ادري كيف كنت ولا • لا كنت ان كنت ادري كيف لم اكن

قال القاضي ابن خلكان ويروى لسمنون لا للحلاج ومن شعره ايضا قوله

متى سهرت عيني لغيرك او بكت • فلا بلغت ما املت وتمنت
وان اضمرت نفسي سواك فلا رعت • رياض المنى من وجنتيك وجنت

ومن شعره ايضا

دنيا تخادعني كاني • لست اعرف حالها
حظر المليك حرامها • وانا اجتنبت حلالها
ووجدتها محتاجة • فوهبت لذتها لها

وقد كان يتلون في ملابسه فتارة يلبس لباس الصوفية وتارة يتجرد في ملابس
زرية وتارة في لباس الاجناد ويعاشر ابناء الدنيا وقد رآه بعضهم في لباس رث
وبيده ركوة وعكاز وهو سائح فقال له ما هذه الحالة فانشا يقول

لئن امسيت في ثوبي عديم • لقد بليا على حر كريم
فلا يغررك ان ابصرت حالا • مغيرة عن الحال القديم
فلي نفس ستتلف او سترقى • لعمرك بي الى امر جسيم

ومن مستجاد كلامه قوله وقد سأله رجل ان يوصيه بشيء ينفعه فقال عليك
بنفسك ان لم تشغلها بالحق شغلتك عن الحق وقال له رجل عظني فقال كن مع
الحق بحكم ما اوجب وروى الخطيب بسنده اليه انه قال علم الاولين والاخرين مرجعه
الى اربع كلمات حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل
قلت وقد اصيب الحلاج في المقامين الاخيرين فلم يتبع التنزيل ولم يبق على
الاستقامة بل تحول عنها الى الاعوجاج والبدعة نسال الله العافية قال ابو عبد
الرحمن السلمي عن عمرو بن عثمان المكي انه قال كنت اماشي الحلاج في بعض ازقة مكة

وكنت اقرا القران فسمع قراتي فقال يمكنني ان اقول مثل هذا ففارقته وقال
الخطيب حدثني مسعود بن ناصر ثنا ابن باكويه الشيرازي سمعت ابا زرعة الطبري
يقول الناس فيه يعني الحسين بن منصور بين قبول ورد ولكن سمعت محمد
بن يحيى الرازي يقول سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول لو قدرت عليه لقتلته
بيدي فقلت ايش الذي وجد الشيخ عليه قال قرات اية من كتاب الله فقال
يمكنني ان اولف مثله واتكلم به قال ابو زرعة الطبري وسمعت ابا يعقوب الاقطع
يقول زوجت ابنتي من الحسين بن منصور لما رايت من حسن طريقته واجتهاده فبان
لي بعد مدة يسيرة انه ساحر محتال خبيث كافر قلت كان تزويجه بها بمكة وهي
ام الحسين بن بنت ابي يعقوب الاقطع فاولدها ولده احمد بن الحسين بن منصور
وقد ذكر سيرة ابيه كما ساقها من طريقه الخطيب وقد ذكر ابو القسم القشيري
في كتابه الرسالة في باب حفظ قلوب المشايخ ان عمرو بن عثمان دخل على الحلاج
وهو بمكة وهو يكتب شيا في اوراق فقال له ما هذا فقال هو ذا اعارض القران
قال فدعا عليه فلم يفلح بعدها وانكر على ابي يعقوب الاقطع تزويجه اياه ابنته
وكتب الى الافاق كتبا كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه فشرد الحلاج في البلاد
فعاث يمينا وشمالا وجعل يظهر للناس انه يدعو الى الله عز وجل ويستعين بانواع
من الحيل والمحال ولم يزل ذلك دابه وشانه حتى احل الله به باسه الذي لا يرد عن
القوم المجرمين فقتله بسيف الشرع الذي لا يقع الا بين كتفي زنديق والله اكرم
من ان يسلطه على صديق وكيف وقد تهجم على القران العظيم واراد معارضته
في البلد الحرام الكريم وقد قال الله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم ولا الحاد اعظم من هذا وقد اشبه في هذا كفار قريش في معاندتهم الذي
قال الله تعالى فيهم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا
ان هذا الا اساطير الاولين

ذكر اشيا من حيل الحلاج

روى الخطيب البغدادي ان الحلاج انفذ رجلا بين يديه الى بعض بلاد الجبل فاقام
بتلك البلدة يظهر لهم الصلاح والنسك ويقرئ القران فاقام مدة على ذلك ثم
اظهر لهم انه قد عمي فمكث حينا على ذلك ثم اظهر انه قد زمن فكان يحبو الى المسجد
ثم صار يحمل فمكث سنة كذلك ثم قال لهم اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام وهو يقول لي سيرد الى هذه البلدة رجل صالح يكون شفاوك على يديه
فكانوا يترقبون حتى جاء الوقت الذي واعده فيه الحلاج ودخل الحلاج البلدة
مختفيا وعليه ثياب صوف بيض فلزم سارية من المسجد يتعبد فيها ولا يلتفت
الى احد فابتدر الناس الى ذلك المتعامي المتزامن فقيل له قد قدم رجل صالح
فهلم اليه فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه فقال له يا عبد الله اني رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لي كذا وكذا فعسى ان تكون
انت اياه فرفع يديه ودعا الله عز وجل له والناس حضور متكاثرون ينظرون
ما يكون من امره ففتح الرجل عينيه وقام قايما على قدميه فضج الناس وعظموا الحلاج

تعظيما زايدا ولبس ذلك بحق فاقام عندهم مدة ثم خرج من بين اظهرهم وبقي
ذلك الرجل عندهم مدة شهور ثم قال ان من نعمة الله علي اذ رد علي
بصري وشفاني ان اجاهد في سبيله بثغر طرسوس فعزم على ذلك فجمعوا له من بينهم
مالا جزيلا الوفا من الذهب والفضة ثم ودعهم وودعوه فذهب الى الحلاج
فاقتسما ذلك المال وروى بعضهم قال كنت اسمع ان الحلاج له احوال
فاحببت ان اختبره فجيت فسلمت عليه فقال لي تشتهي علي الساعة فقلت
اشتهي سمكا طريا فدخل منزله فغاب ساعة ثم خرج ومعه سمكة تضطرب ورجلاه
عليهما الطين فقال دعوت الله فامرني ان اتي البطايح لاتيك بهذه فخضت
الاهواز وهذا الطين منها فقلت ان شيت ادخلني منزلك لاكشف امرك
فان ظهرت على شي والا امنت بك فقال ادخل فدخلت فلم اجد فيه منفذا
الى غيره فتحيرت في امره ثم نظرت فاذا تازير فكشفته فاذا من ورايه باب فدخلت
فخرجت منه الى بستان هايل فيه من ساير الثمار الجديدة والعتيقة قد احسن
ابقاوها واذا اشيا كثيرة معدة للاكل واذا هناك بركة كبيرة فيها سمك كثير
كبار فدخلتها فاخرجت منها واحدة فنال رجلي من الطين كما نال رجليه فجيت
الى الباب فقلت له افتح فقد امنت بك فلما خرجت وراني على مثل حاله جرى
ورايي ليقتلني فضربته بالسمكة في وجهه وقلت يا عدو الله اتعبتني في هذا
اليوم ولما خلصت منه لقيني بعد ذلك فضاحكني وقال لا تفش هذا لاحد
او ابعث اليك من يقتلك على فراشك قال فلم احدث به حتى صلب وقد قال
يوما لرجل امن بي حتى ابعث اليك بعصفورة تاخذ من ذرقها وزن حبة فتضعه
على كذا وكذا رطلا من نحاس فيصير ذهبا فقال له الرجل امن انت بي حتى ابعث
اليك بفيل اذا استلقى على قفاه بلغت قوايمه الى السما واذا اردت ان
تخفيه وضعته في احدى عينيك قال فبهت وسكت ولما ورد بغداد جعل يدعو
الى نفسه ويظهر اشيا من المخاريق وغيرها من الاحوال الشيطانية واكثر ما كان
يروج على الرافضة لقلة عقولهم وضعف تمييزهم بين الحق والباطل فاستدعى يوما
برييس من الرافضة فدعاه الى الايمان به فقال له الرجل اني رجل احب
النسا واني اصلع الراس وقد شبت فان انت اذهبت عني هذا وهذا امنت
انك الامام المعصوم وان شيت قلت انك نبي وان شيت قلت انك انت
الله قال فبهت الحلاج ولم يحر اليه جوابا وقال الشيخ ابو الفرج بن الجوزي كان
متلونا كثيرا لتلون تارة يلبس المسوح وتارة يلبس الدراعة وتارة يلبس القبا
وهو مع كل قوم على مذهبهم ان كانوا سنة او رافضة او معتزلة او غير ذلك ولما
اقام بالاهواز جعل ينفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القدرة فسيل
الشيخ ابو علي الجبايي عن ذلك فقال ان هذا كله مما ينال بالحيلة ولكن ادخلوه
بيتا لا منفذ له ثم سلوه ان يخرج اليكم جوزتين من شوك فلما بلغ الحلاج كلام
ابي علي الجبايي فيه تحول من الاهواز وقال الخطيب انا ابراهيم بن مخلد انا اسماعيل
بن علي الخطبي في تاريخه قال وظهر امر رجل يعرف بالحلاج يقال له الحسين بن منصور

وكان في حبس السلطان بسعاية فيه في وزارة علي بن عيسى الاولى وذكر عنه ضروب من الزندقة ووضع الحيل على تضليل الناس من جهات تشبه الشعوذة والسحر وادعاء النبوة فكشفه علي بن عيسى عند قبضه عليه وانهى خبره الى السلطان يعني المقتدر بالله فلم يقر بما رمي به من ذلك فعاقبه وصلبه حيا اياما متوالية في رحبة الجسر في كل يوم غدوة وينادى عليه بما ذكر عنه ثم ينزل ثم يحبس فاقام في الحبس سنين كثيرة ينقل من حبس الى حبس حتى حبس باخرة في دار السلطان فاستغوى جماعة من غلمان السلطان وموه عليهم واستمالهم بضروب من حيله حتى صاروا يحمونه ويدفعون عنه ويرفهونه ثم راسل جماعة من الكتاب وغيرهم ببغداد وغيرها فاستجابوا له وترقى به الامر حتى ذكر انه ادعى الربوبية وسعي بجماعة من اصحابه الى السلطان فقبض عليهم ووجد عند بعضهم كتب له تدل على تصديق ما ذكر عنه واقر بعضهم بلسانه بذلك وانتشر خبره وتكلم الناس في قتله فامر امير المؤمنين بتسليمه الى حامد بن العباس وامر ان يكشفه بحضرة القضاة ويجمع بينه وبين اصحابه فجرى في ذلك خطوب طوال ثم استيقن السلطان امره ووقف على ما ذكر له عنه فامر بقتله واحراقه بالنار فاحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربي يوم الثلثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثماية فضرب بالسياط نحوا من الف سوط وقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه واحرقت جثته بالنار ونصب راسه للناس على سور الجسر الجديد وعلقت يداه ورجلاه الى جانب راسه

وقال ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي سمعت ابراهيم بن محمد الواعظ يقول قال ابو القسم الرازي قال ابو بكر بن ممشاذ حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم الى فلان بن فلان فوجه به الى بغداد فسئل الحلاج عن ذلك فاقر انه كتبه فقالوا كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية فقال لا ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب الا الله وانا واليد آلة فقيل له معك على هذا احد فقال نعم ابن عطا وابو محمد الجريري وابو بكر الشبلي فسئل الجريري عن ذلك فقال من يقول بهذا كافر وسئل الشبلي عن ذلك فقال من يقول بهذا يمنع وسئل ابن عطا عن ذلك فقال بقول الحلاج في ذلك فعوقب حتى كان سبب هلاكه ثم روى ابو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الله الرازي ان الوزير حامد بن العباس لما احضر الحلاج سأله عن اعتقاده فكتبه فسأل عن ذلك فقهاء بغداد فانكروا ذلك فقيل للوزير ان ابا العباس بن عطا يقول بهذا فطلبه الى منزله فجاءه فجلس في صدر المجلس فسأله عن ذلك فقال من لا يقول بهذا فهو بلا اعتقاد فقال له الوزير ويحك تصوب مثل هذا الاعتقاد فقال ما لك ولهذا عليك بما نصبت له من اخذ اموال الناس وظلمهم وقتلهم ما لك ولكلام هؤلاء السادة فامر الوزير بضرب شدقيه ونزع خفيه وان يضرب بهما راسه فما زال يفعل ذلك به حتى سال الدم من منخريه وامر بسجنه فقيل له ايها الوزير ان العامة تتشوش بهذا فحمل الى منزله فقال ابن عطا اللهم اقتله اخبث قتلة واقطع يديه ورجليه فمات ابن عطا بعد سبعة ايام وقتل الوزير بعد ذلك شر قتلة وقطعت يداه ورجلاه واحرقت داره وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته واجمعوا على قتله وصلبه قال ابو بكر محمد بن داود الظاهري حين احضر الحلاج في المرة الاولى قبل وفاة ابي بكر وسئل عنه فقال ان كان ما انزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم حقا وما جاء به حق فما يقول الحلاج باطل وكان شديدا عليه وقال ابو بكر الصولي قد رايت الحلاج وخاطبته فرايته جاهلا يتعاقل وغبيا يتبالغ وفاجرا يتزهد ولما صلب في اول مرة ونودي عليه اربعة ايام سمعه بعضهم يقول وقد جيء به ليصلب وهو راكب على بقرة ما انا بالحلاج القي علي شبهه وغاب فلما ادني الى الخشبة ليصلب عليها سمعته يقول

• يا معين الفنا علي • اعني على الفنا •

وقال بعضهم سمعته وهو مصلوب يقول الهي اصبحت في دار الرغائب انظر الى العجائب الهي انك تتودد الى من يؤذيك فكيف بمن يؤذى فيك

ذكر صفة مقتل الحلاج

قال الخطيب البغدادي وغيره كان الحلاج قد قدم اخر قدمة الى بغداد يصحب الصوفية وانتسب اليهم وكان الوزير اذ ذاك حامد بن العباس فبلغه ان الحلاج قد اضل خلقا من الحشم والحجاب في دار السلطان ومن غلمان نصر القشوري الحاجب وزعم لهم انه يحيي الموتى وان الجن يخدمونه ويحضرون له ما يختاره ويشتهيه وقال انه قد احيى عدة من الطير وذكر لعلي بن عيسى ان رجلا يقال له محمد بن علي القنائي الكاتب يعبد الحلاج ويدعو الناس الى طاعته فكبس منزله فاقر انه من اصحاب الحلاج ووجد في منزله اشيا بخط الحلاج مكتوبة بماء الذهب في الورق الحرير مجلدة بافخر الجلود ووجد عنده سفطا فيه من رجيع الحلاج وبوله واشياء من اثاره وبقية خبز من زاده فطلب الوزير من الخليفة المقتدر ان يتكلم في امر الحلاج ففوض امره اليه فاستدعى بجماعة من اصحاب الحلاج فتهددهم فاعترفوا له انه قد صح عندهم انه اله وانه يحيي الموتى وكاشفوا الحلاج بذلك فجحده وكذبهم وقال اعوذ بالله ان ادعي الربوبية او النبوة وانما انا رجل اعبد الله واكثر الصلاة والصوم وفعل الخير ولا اعرف غير ذلك وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد ويكثر ان يقول سبحانك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وكانت عليه مدرعة سوداء وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا وهي واصلة الى ركبتيه قالوا وكان مع ذلك يصلي في كل يوم وليلة الف ركعة وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب ماذون لمن يدخل اليه وكان يسمي نفسه تارة بالحسين بن منصور وتارة محمد بن احمد الفارسي وكان نصر الحاجب قد افتتن به وظن انه رجل صالح وكان قد ادخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل له فاتفق زواله وكذلك رقى لوالدة المقتدر السيدة ام المقتدر فزال عنها فنفق سوقه وحظي في دار السلطان فلما انتشر الكلام فيه سلم الى الوزير حامد بن العباس فحبسه في قيود كثيرة في رجليه وجمع له الفقهاء فاجمعوا على كفره وزندقته وانه ساحر ممخرق ورجع عنه رجلان صالحان ممن كان قد اتبعه احدهما ابو علي هارون بن عبد العزيز

الاوارجي والاخر يقال له الدباس فذكرا من فضائحه وما كان يدعوا الناس اليه من الكذب
والفجور والمخرقة والسحر شيئا كثيرا وكذلك احضرت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضائح
كثيرة من ذلك انه اراد ان يغشاها وهي نائمة فانتبهت فقال لها قومي الى الصلاة وانما
كان اراد ان يطاها وامرتها ابنتها بالسجود له فقالت او يسجد بشر لبشر فقال نعم
اله في السماء واله في الارض ثم امرها ان تاخذ من تحت بارية هناك ما احبت فوجدت
تحتها دنانير كثيرة مبددة ولما كان معتقلا في دار حامد بن العباس دخل عليه بعض الغلمان
ومعه طبق فيه طعام لياكل منه فوجده قد ملأ البيت من سقفه الى ارضه فذعر ذلك
الغلام والقى ما كان في يده من ذلك الطبق والطعام ورجع محموما فمرض عدة ايام ولما
كان اخر مجلس احضر القاضي ابو عمر محمد بن يوسف وجيء بالحلاج وقد احضر له كتاب من دور
بعض اصحابه وفيه من اراد الحج فليصم ثلاثة ايام وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم
يفعل في داره ما يفعل الحجيج بمكة ثم يستدعي بثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه
ويتولى خدمتهم بنفسه ثم يكسوهم قميصا قميصا ويعطي كل واحد سبعة دراهم او قال
ثلاثة دراهم فاذا فعل ذلك قام له مقام الحج وان من صام ثلاثة ايام لم يفطر الا في اليوم
الرابع على ورقات هندبا اجزاه ذلك عن صيام رمضان ومن صلى في ليلة ركعتين
من اول الليل الى اخره اجزاه ذلك عن الصلاة بعد ذلك وان من جاور بمقابر الشهدا
بمقابر قريش عشرة ايام يصلي ويدعو ويصوم ثم لا يفطر الا على شيء من خبز الشعير والملح
الجريش اغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره فقال له القاضي ابو عمر من اين لك
هذا قال من كتاب الاخلاص للحسن البصري فقال له كذبت يا حلال الدم قد سمعنا كتاب
الاخلاص للحسن البصري بمكة وليس فيه شيء من هذا فاقبل الوزير حامد بن العباس
على القاضي ابي عمر فقال له قد قلت يا حلال الدم فاكتب ذلك في هذه الورقة والح عليه
وقدم اليه الدواة فكتب ذلك في تلك الورقة وكتب من حضر خطوطهم فيها وانفذ
الوزير الى المقتدر وجعل الحلاج يقول لهم ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم ان تتاولوا
علي واعتقادي الاسلام ومذهبي السنة وتفضيل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابي عبيدة بن الجراح ولي كتب في السنة موجودة
في الوراقين فالله الله في دمي فلا يلتفتون الى شيء مما يقول وهو يكرره وهم يكتبون
خطوطهم بما كان من الامر ورد الحلاج وقد اشتهر امره ولم يختلف فيه اثنان وقد افتتن
كثير من الناس به فجاء الجواب بان يسلم الى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة فليضربه
الف سوط فان مات والا ضربت عنقه ففرح الوزير بذلك وطلب صاحب الشرطة
فسلمه اليه وبعث معه طائفة من غلمانه يوصلونه الى محل الشرطة من الجانب الغربي
خوفا من ان يستنقذ من ايديهم وذلك بعد عشاء الاخرة من ليلة الثلاثا لست
بقين من ذي القعدة من هذه السنة وركب على بغل عليه اكاف وحوله جماعة من
السياسة على مثل شكله فاستقر منزله بدار الشرطة في هذه الليلة فذكر انه بات
يصلي في هذه الليلة ويدعو دعاء كثيرا فقال ابو عبد الرحمن السلمي سمعت ابا بكر
الشاشي يقول قال ابو الحديد يعني المصري لما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها
الحسين بن منصور قام في الليل فصلى ما شاء الله فلما كان في اخر الليل قام قائما فتغطى

بكسائه

بكسائه ومد يديه نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحفظ فكان مما حفظت ان قال
نحن شواهدك فلو دلت سنا عزتك لتبدي ما شئت من شانك ومشيئتك وانت الذي
في السماء اله وفي الارض اله تتجلى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كاحسن
الصورة والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة ثم اوعزت
الى شاهدك الآني في ذاتك الهوي كيف انت اذا مثلت بذاتي عند عقيب كراتي ودعوت
الى ذاتي بذاتي وابديت حقائق علومي ومعجزاتي صاعدا في معارجي الى عروش ازلياتي
عند القول من برياتي اني احتضرت وقتلت وصلبت واحرقت واحتملت سافيات
الذاريات في الجاريات وان ذرة من محوج مكان مما لولا متجليا في الاعظم
من الراسيات ثم انشا يقول

انعى اليك نفوسا طاح شاهدها • فيما ورا الحيث في شاهد القدم
انعى اليك قلوبا طالما هطلت • سحائب الوحي فيها ابحر الحكم
انعى اليك لسان الحق منك ومن • اودى وتذكاره في الوهم كالعدم
انعى اليك بيانا تستكين له • اقوال كل فصيح مقول فهم
انعى اليك اشارات العقول معا • لم يبق منهن الا دارس العلم
انعى وحبك اخلاقا لطائفة • كانت مطاياهم من مكمد الكظم
مضى الجميع فلا عين ولا اثر • مضي عاد وفقدان الاولى ارم
وخلفوا معشرا يحذون لبستهم • اعمى من البهم بل اعمى من النعم

قالوا ولما اخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به الى القتل انشد

طلبت المستقر بكل ارض • فلم ار لي بارض مستقرا
اطعت مطامعي فاستعبدتني • ولو اني قنعت لعشت حرا

وقيل انه قالها حين قدم الى الجذع ليصلب عليه والمشهور ما ذكرناه ثم مشى وهو
يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا وجعل ينشد

نديمي غير منسوب • الى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب • فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الخمر • دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح • مع التنين في الصيف

ثم قال يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها
ويعلمون انها الحق ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل قالوا ثم قدم فضرب الف
سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك ساكت لا ينطق بكلمة ولم يتغير لونه
ويقال انه جعل يقول مع كل سوط احد احد وقال ابو عبد الرحمن سمعت عبد الله بن
علي يقول سمعت عيسى القصار يقول اخر كلمة تكلم بها الحلاج ان قال حسب الواحد
افراد الواحد فما سمع بهذه الكلمة احد من المشايخ الا رق له واستحسن هذا الكلام
منه قال السلمي وسمعت ابا بكر البجلي يقول سمعت ابا الفاتك البغدادي وكان صاحب
الحلاج رايت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كاني واقف بين يدي ربي عز وجل
وانا اقول يا رب ما فعل الحسين بن منصور فقال كاشفته بمعنى فدعا الخلق الى

بنفسه فانزلت به ما رايت دمنهم من قال بل جزع عند ذلك جزعا شديدا وبكى بكاء
كثيرا فالله اعلم وقال الخطيب ثنا عبيد الله بن احمد بن عثمان الصيرفي قال قال
لنا ابو عمر بن حيويه لما اخرج حسين الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس ولم ازل ازاحم
حتى رايته فقال لاصحابه لا يهولنكم هذا فاني عائد اليكم بعد ثلاثين يوما ثم قتل
وذكر الخطيب انه قال وهو يساق لمحمد بن عبد الصمد والي الشرطة ادع بي اليك فان
عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية فقال له قد قيل انك ستقول مثل
هذا وليس الى رفع الضرب عنك سبيل ثم قطعت يداه ورجلاه وحز راسه واحرقت
جثته ورمي رماده في دجلة ونصب الراس يومين ببغداد على الجسر ثم حمل الى خراسان
وطيف به في النواحي وجعل اصحابه يعدون انفسهم برجوعه اليهم بعد اربعين يوما
وزعم بعضهم انه راى الحلاج من اخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار في طريق النهروان
فقال له لعلكم مثل هولاء البقر الذين ظنوا اني انا هو المضروب المقتول فكانوا
بجهلهم يقولون انما قتل عدو من اعداء الحلاج وقال بعض علماء ذلك الزمان
ان كان هذا الراي صادقا فلعل دابة يحيى من الشياطين بدت على صورته ليضل
به الناس كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب قال الخطيب واتفق ان دجلة
زادت في هذا العام زيادة كثيرة فقالوا انما زادت لان رماد الحلاج خالطها
ونودي ببغداد ان لا يشتري احد من كتب الحلاج شيئا ولا يبيعه وكان قتل
الحلاج في يوم الثلاثا لست بقين من ذي القعدة من سنة تسع وثلثماية ببغداد
وقد ذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وحكى اختلاف الناس فيه ونقل عن
الغزالي في مشكاة الانوار انه كان يتاول لكلامه ويحمله على ما يليق ثم نقل عن امام
الحرمين انه كان يذمه ويقول انه تقوى والجنابي وابن المقفع على افساد عقايد الناس
وتفرقوا في البلاد فكان الجنابي في هجر والبحرين وكان ابن المقفع ببلاد الترك
ودخل الحلاج العراق قال القاضي ابن خلكان وهذا لا ينتظم فان ابن المقفع كان
قبل الحلاج بدهر فانه كان في ايام السفاح والمنصور ومات سنة خمس واربعين
ومائة او قبلها ولعل امام الحرمين اراد المقنع الخراساني الذي ادعى الربوبية وادعى
الغزو واسمه عطاء وقد قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة ولا يمكن
اجتماعه مع الحلاج واذا اردنا ان نصحح كلام امام الحرمين في ذكر ثلاثة قد اجتمعوا
في وقت على ما ذكر فيكون اراد بذلك الحلاج وابن الشلمغاني يعني ابا جعفر محمد بن علي
والقرمطي الجنابي وهو ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الحسين بن بهرام الذي قتل الحجاج واخذ
الحجر ودم زمزم بالقتلى ونهب استار الكعبة كما سياتي ذلك مبسوطا وقد ذكره
ملخصا القاضي هاهنا

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو العباس بن عطا احد ايمة الصوفية وهو احمد بن محمد بن عطا الادمي حدث
عن يوسف بن موسى القطان والمفضل بن زياد وغيرهما وكان يقرا في كل يوم ختمة
وفي شهر رمضان يقرا في كل يوم وليلة ثلاث ختمات وكانت له ختمة يتدبر فيها
معاني القران يتلوها من سبع عشرة سنة ومات ولم يختمها وهذا الرجل كان قد اشتبه

عليه

عليه امر الحلاج واظهر موافقته فعاقبه الوزير حامد بن العباس بالضرب على شدقيه
وامر بنزع خفيه وضربه بهما على راسه حتى سال الدم من منخريه ومات بعد سبعة ايام
من ذلك وكان قد دعا على الوزير بان تقطع يداه ورجلاه ويقتل شر قتلة فمات
الوزير الا كذلك وابو اسحاق ابراهيم بن هارون الطبيب الحراني وابو محمد عبد الله
بن حمدون النديم

سنة عشر وثلثماية من الهجرة

فيها اطلق يوسف بن ابي الساج من الضيق وكان معتقلا ورد اليه امواله
واعيد الى عمله واضيف اليه بلدان اخرى ووضع عليه في كل سنة خمسماية الف
دينار يحملها الى الحضرة فبعث حينيذ الى يونس الخادم يطلب منه ابا بكر بن الادمي
القارى وكان قد قرا بين يديه حين اعتقل واشهر في سنة احدى وسبعين ومايتين
وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد فخاف القارى
من سطوته واستعفى من يونس الخادم فقال له يونس اذهب وانا شريكك
في الجايزة فلما دخل عليه قرا بين يديه وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي
فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين فقال له بل احب ان تقرا ذلك العشر
الذي قراته عند اسماري وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه
اليم شديد فاذا ذلك كان سبب توبتي الى الله عز وجل وكان ذلك على يديك
ثم امر له بالجزيل واحسن اليه وفيها مرض علي بن عيسى الوزير فجاءه هارون
بن المقتدر ليعوده فتبسط له الطريق فلما اقترب من داره تحامل وخرج اليه
وبلغه سلام الخليفة وجاء يونس الخادم معه ثم جاء الخبر بان الخليفة قد عزم على
عيادته فاستعفى من يونس الخادم ثم ركب على جهد عظيم حتى سلم على الخليفة
حتى لا يكلف الخليفة الركوب اليه وفي هذه السنة قبض على القهرمانة ندام موسى من
ينتسب لها فكان حاصل ما حمل الى بيت المال من جهتها الف الف دينار وفي يوم
الخميس لعشر بقين من ربيع الاخر خلع المقتدر بتصيير القضا لابي الحسين عمر
بن الحسين بن علي الشيباني المعروف بابن الاشناني وكان من حفاظ الحديث وفقهاء
الناس ولكنه عزل بعد ثلاثة ايام وكان قبل ذلك محتسبا ببغداد وفيها عزل
محمد بن عبد الصمد عن شرطة بغداد ووليها نازوك وخلع عليه وفي جمادى الاخرة
ظهر كوكب له ذنب طوله ذراعان وذلك في برج السنبلة وفي هذه السنة
في شعبان قبيلها وصلت هدايا نايب مصر وهو الحسين بن المادراي وفيها بغلة
معها فلوها وغلام يصل لسانه الى طرف انفه وفي هذا الشهر قريت الكتب على
المنابر بما كان من الفتوح ببلاد الروم وفي هذه السنة ورد الخبر بانه انشق بارض
واسط خلوع في الارض في ثلاثة عشر موضعا اكثرها طوله الف ذراع واقلها مايتا
ذراع وانغرق من امهات القرى الف وثلثماية قرية وحج بالناس اسحاق بن عبد
الملك الهاشمي

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو بشر الدولابي محمد بن احمد بن حماد بن سعد ابو بشر الدولابي مولى الانصار

ويعرف بالوراق احد ايمة حفاظ الحديث وله تصانيف حسنة في التاريخ وغير ذلك وروى عن جماعة كثيرة قال ابن يونس وكان يضعف وتوفي وهو قاصد الى الحج من مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة

ابو جعفر بن جرير الطبري

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الامام ابو جعفر الطبري مولده في سنة اربع وعشرين ومايتين وكان اسمر اعين مليح الجسم مديد القامة فصيح اللسان روى الكثير عن الجم الغفير ورحل الى الافاق في طلب الحديث وله التاريخ الحافل والتفسير الكامل وغيرهما من المصنفات النافعة في الاصول والفروع ومن احسن ذلك تهذيب الاثار ولكن لم يتمه ويذكر عنه انه مكث اربعين سنة يكتب في كل يوم اربعين ورقة قال الحافظ ابو بكر الخطيب استوطن ابن جرير بغداد وكان احد ايمة العلما يحكم بقوله ويرجع اليه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيها احد من اهل عصره وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراآت بصيرا بالمعاني فقيها في الاحكام عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا باقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم عارفا بايام الناس واخبارهم وله الكتاب المشهور في تاريخ الامم والملوك وكتاب في التفسير لم يصنف احد مثله وكتاب سماه تهذيب الاثار لم ار سواه في معناه الا انه لم يتمه وله في اصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيارات وتفرد بمسايل حفظت عنه قال الخطيب وبلغني عن الشيخ ابي حامد احمد بن ابي طاهر الفقيه الاسفرايني انه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيرا او كلاما هذا معناه وروى الخطيب عن امام الايمة ابي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة انه طالع كتاب التفسير لابن جرير في سنين من اوله الى اخره ثم قال ما اعلم على اديم الارض اعلم من ابن جرير ولقد ظلمته الحنابلة وقال رجل رحل الى بغداد يكتب عن المشايخ ولم يتفق له سماع عن ابن جرير لان الحنابلة كانوا يمنعون كانوا يمنعون ان يجتمع به احد فقال لو كتبت عنه لكان خيرا لك عن كل من كتبت له قلت وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا ياخذه في الله لومة لايم وحسن القراة على الحسن الصفات وكان من كبار الصالحين وهو احد المحمدين الذين اجتمعوا بمصر في ايام الامير ابن طولون وهم محمد بن اسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني ومحمد بن جرير هذا وقد ذكرنا ذلك في ترجمة محمد بن نصر المروزي وكان الذي قام فصلى محمد ابن اسحاق بن خزيمة فرزقهم الله ببركة صلاته وقد اراد الخليفة المقتدر بالله في بعض الاحيان ان يكتب كتاب وقف يكون شروطه متفقا عليها من العلما فقيل له لا تقدر على استحضاره لذلك الا محمد بن جرير فطلب منه ذلك فكتبها فاستدعاه الخليفة اليه وقال له سل حاجتك فقال لا حاجة لي فقال لا بد ان تسالني شيا فقال اسال من امير المومنين ان يتقدم الى الشرطة حتى يمنعوا السوال يوم الجمعة ان يدخلوا الى المقصورة بالجامع فامر الخليفة بذلك وكان ينفق على نفسه من مغل قرية تركها له ابوه بطبرستان ومن شعره

اذا اعسرت لم يعلم رفيقي ... واستغني فيستغني صديقي
حيايي حافظ لي ما وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو اني سمحت ببذل وجهي ... لكنت الى الغنى سهل الطريق

ومن شعره ايضا

خلقان لا ارضى طريقهما ... بطر الغنى ومذلة الفقر
فاذا غنيت فلا تكن بطرا ... واذا افتقرت فته على الدهر

وقد كانت وفاته وقت المغرب عشية يوم الاحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلثمائة وقد جاوز الثمانين بخمس او ست سنين وفي شعر راسه ولحيته سواد كثير ودفن في داره لان بعض الرعاة من عوام الحنابلة منعوا من دفنه نهارا ونسبوه الى الرفض ومن الجهلة من رماه بالالحاد وحاشاه من هذا ومن ذلك ايضا بل كان احد ايمة الاسلام في العلم بكتاب الله وسنة رسوله وانما تقلدوا ذلك عن ابي بكر محمد بن داود حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظايم وبالرفض ولما توفي اجتمع الناس من ساير البلد وصلوا عليه بداره ودفن فيها ومكث الناس يترددون الى قبره شهورا يصلون عليه رحمه الله تعالى قلت وقد رايت له كتابا جمع فيه احاديث غدير خم في مجلدين ضخمين وكتابا جمع فيه طرق حديث الطير ونسب اليه انه يقول بجواز مسح القدمين في الوضوء وانه لا يوجب الغسل وقد اشتهر عنه هذا فمن العلما من يزعم ان ابن جرير اثنان احدهما شيعي واليه ينسب ذلك وينزهون ابا جعفر هذا من هذه الصفات والذي عول عليه كلامه في التفسير انه يوجب غسل القدمين ويوجب مع الغسل دلكهما ولكنه عبر عن الدلك بالمسح فلم يفهم كثير من الناس مراده جيدا فنقلوا عنه انه يوجب الجمع بين الغسل والمسح والله اعلم وقد رثاه جماعة من اهل العلم منهم ابن الاعرابي حيث يقول

حدث مفظع وخطب جليل ... دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعي العلوم اجمع لما ... قام ناعي محمد بن جرير
فهوت انجم لها زاهرات ... موذنات رسومها بالدثور
وتغشى ضياها النير الاشرق ... ثوب الدجنة الديجور
وغدا روضها الانيق هشيما ... ثم عادت سهولها كالوعور
يا ابا جعفر مضيت حميدا ... غير وان في الجد والتشمير
بين اجر على اجتهادك موفور ... وسعي الى التقى مشكور
مستحقا به الخلود لدى ... جنة عدن في غبطة وسرور

ولابي بكر بن دريد رحمه الله فيه مرثاة طويلة طلنا ناهاور ردها الخطيب بتمامها

ثم دخلت سنة احدى عشرة وثلثمائة

فيها دخل ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الجنابي امير القرامطة في الف وسبعماية فارس الى البصرة ليلا نصب السلالم الشعر في سورها فدخلها قوة وفتحوا ابوابها وقتلوا من لقوه من اهلها وهرب اكثر الناس فالقوا انفسهم في الماء فغرق كثير منهم ومكث بها سبعة عشر يوما يقتل وياسر من يشاء من نسايها وذراريها وياخذ ما يختاره من اموال اهلها ثم عاد الى بلده هجر وكلما بعث اليه الخليفة جندا من قبله فر وترك البلد يبابا فانا لله وانا اليه راجعون وفي هذه السنة عزل المقتدر عن الوزارة حامد

ابن العباس وعلي بن عيسى ورد إلى الوزارة أبا الحسن ابن الفرات الولاية الثالثة وسلم
إليه حامدا وعلي بن عيسى فأما حامد فإن المحسن بن الوزير ضمنه من المقتدر بخمسمائة
ألف ألف دينار فتسلمه فعاقبه بأنواع العقوبات وأخذ منه أموالا جزيلة لا تحصى كثرة
ثم أرسل به مع موكلين عليه إلى واسط ليحتاطوا على أمواله هناك وحواصله
وأمرهم أن يسقوه سما في الطريق فسقوه ذلك في بيض مشوي كان قد طلبه منهم فمات
في رمضان من هذه السنة وأما علي بن عيسى فإنه صودر بها القهرمانة من الذهب شيئا
كثيرا جدا آلاف الآلاف من الدنانير وغير ذلك وأشار الوزير ابن الفرات على الخليفة المقتدر
بالله أن يبعد عنه مؤنسا الخادم ويأمره بالذهاب إلى الشام وكان قد قدم من بلاد الروم
وقد فتح شيئا كثيرا من بلدانهم وغنم مغانم كثيرة جدا فسأل أن ينظر إلى سلخ رمضان وكان
قد أعلم الخليفة بما كان يعتمده ابن الوزير من تعذيب الناس ومصادرتهم الأموال فلج
الخليفة الوزير إلى إبعاد مؤنس فأخرجه إلى الشام وفيها كثر الجراد وأفسد كثيرا من الغلات
وفيها في رمضان منها أمر برد تغيير المواريث إلى ذوي الأرحام وفيها في النصف من رمضانها
أحرق على باب العامة صورة ماني وأربعة أعدال من كتب الزنادقة فسقط منها ذهب كثير
كانت محلاة به وفيها اتخذ أبو الحسين ابن الفرات الوزير مارستانا في درب الفضل ينفق
عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار

وممن توفي فيها من الأعيان الخلال

أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال صاحب كتاب الجامع لعلوم الإمام أحمد ولم يصنف
في مذهب الإمام أحمد مثل هذا الكتاب وقد سمع الحديث من الحسن بن عرفة وسعدان بن نصر
وغيرهما وكانت وفاته يوم الجمعة قبل الصلاة ليومين مضتا من ربيع الأول منها أبو محمد
الجريري أحد أئمة الصوفية صحب سريا السقطي وكان الجنيد يكرمه ويحترمه ولما حضرت
الجنيد الوفاة أوصى أن يجلس الجريري مكانه وقد اشتبه على الجريري هذا شأن الحلاج وكان من أجمل
القول فيه على أن الجريري هذا مذكور بالصلاح والديانة وحسن الأدب رحمه الله عز وجل الزجاج
صاحب معاني القرآن إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج كان فاضلا دينا حسن
الاعتقاد وله المصنفات الحسنة منها كتاب معاني القرآن وغيره من المصنفات العديدة
المفيدة وقد كان في أول أمره يخرط الزجاج فأحب علم النحو فذهب إلى المبرد فكان يعطي
المبرد كل يوم درهما ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم حتى مات
المبرد وقد كان الزجاج مؤدبا للقاسم بن عبيد الله فلما ولي الوزارة كان الناس يأتونه
بالرقاع ليقدمها إلى الوزير فحصل له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين ألف دينار وكانت
وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة وعنه أخذ أبو علي الفارسي النحوي وأبو القاسم عبد الرحمن
ابن إسحاق الزجاجي لأخذه عنه وهو صاحب كتاب الجمل في النحو بدر مولى المعتضد وهو
بدر الحمامي ويقال له بدر الكبير كان في آخر وقت على نيابة فارس وولي من بعده ولده محمد
حامد بن العباس استوزره المقتدر في سنة ست وثلاثمائة وكان كثير المال والغلمان
كثير النفقات كريما سخيا كثير المروءة وله حكايات تدل على بذله وإعطائه الأموال الجزيلة
ومع هذا كله كان يجمع شيئا كثيرا وجد له في مطمورة ألوف من الذهب كان في كل يوم إذا دخل
إليها ألقى فيها ألف دينار فلما استلأت طمها فلما صودر دل عليها فاستخرج منها الجزل

جدا ومن أكبر سيئاته أنه كان من أكبر السعاة في الحسين بن منصور الحلاج حتى قتل
كما ذكرنا قبل هذا ثم كانت وفاة الوزير حامد بن العباس في رمضان من هذه السنة
مسموما عمير بن محمد بن بحر البحيري صاحب الصحيح

ابن خزيمة

محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي مولى مجشر بن مزاحم الإمام أبو بكر بن خزيمة
الملقب بإمام الأئمة كان من أوعية العلم وبحوره وطاف البلدان ورحل إلى الآفاق
في طلب العلم وسماع الحديث وكتب الكثير وصنف وجمع وله كتاب الصحيح من أنفع الكتب
وأجلها وهو من المجتهدين في دين الإسلام وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات
الشافعية عنه أنه قال ما قلدت أحدا منذ بلغت ست عشرة سنة وقد ذكرنا ترجمته
مطولة في كتاب طبقات الشافعية بما فيه كفاية والله أعلم وهو الذي قام يصلي حين وقعت
الفتنة عليه ليسترزق الله في صلاته حين أرملوا هو ومحمد بن نصر ومحمد بن جرير ومحمد بن
هارون الروياني وقد أورد هذا ابن الجوزي من طريقين في ترجمته وذلك ببلاد مصر
في دولة أحمد بن طولون فرزقهم الله على يديه وقد ذكرنا في ترجمة الحسن بن سفيان نحو
ذلك فالله أعلم وممن توفي في هذه السنة محمد بن زكريا الطبيب صاحب المصنف
الكبير في هذا الشأن

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

في المحرم منها اعترض القرمطي أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله ولعن من معه
الحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام قد أدوا فرض الله عليهم فقطع عليهم الطريق
فقاتلوه دفعا عن أموالهم وأنفسهم وحريمهم فقتل منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل وأسر
من نسائهم وأبنائهم ما اختاره واصطفى من أموالهم ما أراد فكان مبلغ ما أخذه من الأموال
ما يقاوم ألف ألف دينار ومن الأمتعة والمتاجر نحو ذلك وترك بقية الناس بعدما أخذ
جمالهم وزادهم وأموالهم ونساءهم على بعد الديار في تلك البرية بلا زاد ولا ماء ولا محمل وقد جاحف
عن الناس أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان فقهره وأسره فإنا لله وإنا إليه
راجعون وكان عدة من مع القرمطي ثمانمائة مقاتل وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة
قصمه الله ولما انتهى خبرهم إلى بغداد قام نساؤهم وأهاليهم في النياحة ونشرن شعورهن
ولطمن وجوههن في الأزقة وانضاف إليهم نساء الذين قد نكبوا على يدي الوزير
ابن الفرات فكان ببغداد يوم مشهود بسبب ذلك في غاية الفظاعة والشناعة
ولما سأل الخليفة عن الخبر ذكر له أن هذه نسوة الحجيج ومعهم نساء الذين صادرهم ابن
الفرات وجاءت يد الحاجب نصر القشوري على الوزير وقال يا أمير المؤمنين إنما استوى
هذا القرمطي بسبب إبعاد المظفر مؤنس الخادم فطمع مولانا في الأطراف وما أشار عليك
بإبعاده إلا ابن الفرات فبعث الخليفة المقتدر إلى الوزير ابن الفرات يقول له إن الناس
يتكلمون فيك لنصحك إياي وأرسل يطيب قلبه فركب هو وولده إلى الخليفة فدخلا عليه
فأكرمهما وطيب قلوبهما فخرجا من عنده فنالهما أذى كثير من نصر الحاجب وغيره من
كبراء الأمراء وجلس الوزير في دسته فحكم بين الناس على عادته وبات ليلته تلك مفكرا
في أمره وأصبح كذلك وهو ينشد

فاصبح لا يدري وان كان حازما   اقدامه خير له ام وراءه

ثم جاءه في ذلك اليوم امير من جهة الخليفة المقتدر فدخل عليه داره الى حرمه واخرجوه مكشوف الراس في غاية الذلة والاهانة فاركبوه في حراقة الى الجانب الاخر ففرح الناس بذلك ورجموا ابن الفرات بالاجر وتعطلت الجوامع وسخمت العامة المحاريب ولم يصل الجمعة الناس فيها واخذ خطه بالفي الف دينار واخذ خط ابنه بثلاثة الاف الف دينار وسلما الى نازوك امير الشرطة فاعتقلا حينا وخلص منهما الاموال ثم قدم مونس الخادم فسلما اليه الوزير ابن الفرات فاهانه غاية الاهانة بالضرب والتقريع له ولولده المحسن المجرم الذي ليس بمحسن ثم قتلا بعد ذلك فكانت وزارته هذه الثالثة عشرة اشهر واياما واستوزر ابو القسم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن خاقان وذلك في تاسع ربيع الاول من هذه السنة وكان الخليفة قد ارسل الى مونس الخادم ليحضر فدخل بغداد في تجمل عظيم وسلم اليه ابن الفرات كما ذكرنا فعاقبه وشفع عند الخاقاني ان يرسل الى علي بن عيسى وكان قد صار الى صنعا من اليمن مطرودا فعاد الى مكة وبعث اليه الوزير ان ينظر في امر الشام ومصر وامر الخليفة مونس الخادم بالمسير الى ناحية الكوفة لاجل القرامطة وانفق على جيشه وجه اليها الف الف دينار واطلق القرمطي من كان اسره من الحجيج وكانوا الفي رجل وخمسماية امراة واطلق ابا الهيجا نايب الكوفة معهم ايضا وكتب الى الخليفة يطلب منه البصرة والاهواز فلم يجبه الى ذلك وركب المظفر مونس الخادم في محافل الى بلاد الكوفة فسكن امرها ثم انحدر الى واسط خوفا عليها من القرامطة واستناب على الكوفة ياقوت الخادم فتمهدت الامور وانصلحت وفي هذه السنة ظهر رجل بين الكوفة وبغداد فادعى انه محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وصدقه على ذلك طايفة من الاعراب والطغام والتفوا عليه وقويت شوكته في شوال فارسل اليه الوزير جيشا فقاتلوه فهزموه وقتلوا خلقا من اصحابه وتفرق بقيتهم وهذا المدعي المذكور هو رئيس الاسماعيلية واولهم وظفر نازوك نايب الشرطة بثلاثة من اصحاب الحلاج وهم حيدره والشعراني وابن منصور فطالبهم بالرجوع فلم يرجعوا فضرب اعناقهم وصلبهم في الجانب الشرقي ولم يحج في هذه السنة احد من اهل العراق لكثرة خوف الناس من القرامطة لعنهم الله

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

ابراهيم بن حشر ابو اسحاق الزاهد النيسابوري كان يعظ الناس فكان من جملة كلامه الحسن قوله يضحك القضاء من الحذر ويضحك الاجل من الامل ويضحك التقدير من التدبير ويضحك القسمة من الجهد والعنا. علي بن محمد بن الفرات ابو الحسن الوزير ولاه المقتدر الوزارة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله هذه السنة وقتله وكان ذا اموال جزيل جدا ملك عشرة الاف الف دينار وكان دخله من ضياعه في كل سنة الفي الف دينار وكان ينفق على خمسة الاف من العلماء والعباد ويجري عليهم نفقات في كل شهر اثابه الله وكان فيه كفاية ونهضة ومعرفة بالوزارة والحساب يقال انه نظر يوما في الف كتاب ووقع على الف رقعة فتعجب من حضره من ذلك وكانت فيه مروة وكرم وحسن سيرة في ولاياته غير المرة الثالثة فانه ظلم وغشم وصادر الناس واخذ اموالهم فاخذه الله اخذ عزيز مقتدر

وكان كثير

وكان فيه كرم وسعة في النفقة ذكر عنده ذات ليلة اهل الحديث والصوفية واهل الادب والشعراء والفقراء فاطلق من ماله لكل طايفة عشرين الفا وكتب رجل على لسانه الى نايب مصر كتابا فيه الوصية به اليه فلما وقف عليه المكتوب اليه استراب به وقال ما هذا خطه وارسل به الى الوزير فلما وقف عليه الوزير عرف انه كذب وزور واستشار الحاضرين عنده في الذي زور عليه فقال بعضهم ينبغي ان تقطع يده وقال غيره يقطع ابهامه وقال الاخر يضرب ضربا عنيفا فقال الوزير او خير من ذلك فاخذ الكتاب وكتب عليه نعم هذا خطي وهو من اخص اصحابي فلا تتركن شيا مما يقدر عليه من الاحسان الا وصلته به فلما عاد الكتاب احسن نايب مصر الى ذلك الرجل ووصله بنحو من عشرين الف دينار واستدعى ابن الفرات يوما ببعض الكتاب فقال له ويحك ان نيتي فيك سيية واني في كل وقت اريد ان اقبض عليك واصادرك مالك فرايت في المنام من ليال اني قد امرت بالقبض عليك فجعلت تمتنع مني فامرت ان نقاتل فجعلوا كلما ضربوك بشي من سهام وغيرها من السلاح تتقي الضرب برغيف في يدك فلا يصل اليك بسببه شي فاعلمني ما قصة هذا الرغيف فقال ايها الوزير ان امي منذ كنت صغيرا كانت تضع لي كل ليلة تحت وسادتي رغيفا ثم تصبح فتتصدق به عني ولم يزل ذلك دابها حتى ماتت ففعلته بعدها فانا في كل ليلة ابيت تحت وسادتي رغيفا ثم اصبح فاتصدق به فتعجب الوزير من ذلك وقال والله لا ينالك مني سو ابدا ولقد حسنت نيتي فيك واحببتك وقد اطال ابن خلكان ترجمته وذكر بعض ما اوردناه محمد بن محمد بن سليمان بن الحرث بن عبد الرحمن ابو بكر الازدي الواسطي المعروف بالباغندي سمع محمد بن عبد الله بن نمير وابن ابي شيبة وشيبان بن فروخ وعلي بن المديني وخلقا من اهل الشام ومصر والكوفة والبصرة وبغداد ورحل الى الامصار البعيدة وعني بهذا الشان واشتغل فيه فافرط حتى قيل انه كان ربما سرد بعض الاحاديث باسانيدها في الصلاة وهو لا يشعر فيسبح به حتى يتذكر انه في الصلاة وكان يقول انا اجيب في ثلثماية الف مسالة من الحديث وقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا رسول الله ايما اثبت في الحديث منصور او الاعمش فقال له منصور منصور وقد كان يعاب بالتدليس حتى قال الدارقطني هو كثير التدليس يحدث بما لم يسمع وربما سرق بعض الاحاديث

ثم دخلت سنة ثلث عشرة وثلثماية

قال ابن الجوزي في ليلة خلت من المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب الى الشمال قبل مغيب الشمس فاضات الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد وفي صفر بلغ الخليفة المقتدر بالله ان جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثا فينالون من الصحابة ولا يصلون الجمعة ويكاتبون القرامطة ويدعون الى ولاية محمد بن اسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد ويدعون انه المهدي ويتبرون من المقتدر وممن يتبعه فامر بالاحتياط عليهم واستفتى العلما في تخريب المسجد المذكور فافتوا بانه مسجد ضرار يهدم كما هدم مسجد الضرار فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح ونودي عليهم وامر الخليفة بهدم المسجد المذكور كما افتى بذلك العلما فهدمه نازوك وامر الوزير الخاقاني فجعل مكانه مقبرة فدفن فيه جماعة من الموتى وخرج للناس الحج

ذي القعدة فاعترضهم ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الجنابي القرمطي لعنهما الله فرجع
اكثر الناس الى بلدانهم ولم يمكنهم الحج عامهم هذا ويقال ان بعضهم سأل منه الامان ليذهبوا
فامنهم وقد كان معهم جند الخليفة فلم يغن ذلك عنهم شيئا لتمرده وشدة باسه معه
وانزعج اهل بغداد من ذلك وترحل اهل الجانب الغربي الى الجانب الشرقي خوفا من القرامطة
ودخل القرمطي الى الكوفة فاقام بها ستة ايام يأخذ من اموالها ما يختاره قال ابن الجوزي وكثر
الرطب في هذه السنة ببغداد حتى ابيع كل ثمانية ارطال بحبة وعمل منه تمر وحمل الى
البصرة وعزل المقتدر وزيره الخاقاني عن الوزارة بعد سنة وستة اشهر ويومين
وولى مكانه ابا القاسم احمد بن عبيد الله بن الخصيب الخصيبي لاجل مال بذله من جهة
زوجة المحسن بن الفرات وكان ذلك المال سبعمائة الف دينار فاقر الخصيبي علي بن
عيسى على الاشراف على ديار مصر وبلاد الشام وهو مقيم بمكة يسير اليهما في بعض الاوقات
فيعمل ما ينبغي عمله من ذلك ثم يرجع الى مكة شرفها الله

ذكر من توفي فيها من الاعيان

علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان ابو الحسن الغضائري سمع القواريري وعباسا
العنبري وكان من العباد الثقات قال جئت يوما الى السري السقطي فدققت عليه
بابه فخرج الي ووضع يده على عضادتي الباب وهو يقول اللهم اشغل من شغلني
عنك بك فنالتني بركة هذه الدعوة فحججت على قدمي من حلب الى مكة اربعين سنة ذاهبا
وآيبا ابو العباس السراج الحافظ محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران بن عبد الله الثقفي
مولاهم ابو العباس السراج احد الايمة الثقات الحفاظ مولده سنة ثماني عشرة ومائتين
وسمع قتيبة واسحاق بن راهويه وخلقا كثيرا من اهل خراسان وبغداد والكوفة والبصرة
والحجاز وقد حدث عنه البخاري ومسلم وهما اكبر منه واقدم ميلادا ووفاة وله مصنفات
كثيرة نافعة جدا وكان يعد من مجابي الدعوة وقد راى في منامه كانه يرقى في سلم فصعد
فيه تسعا وتسعين درجة فما اولها على احد الا قال له تعيش تسعا وتسعين سنة
فكان ذلك وقد ولد له ابنه ابو عمرو وعمره ثلاث وثمانون سنة قال الحاكم فسمعت
ابا عمرو يقول كنا اذا دخلت المسجد على ابي والناس عنده يقول لهم هذا عملته
في ليلة ولي من العمر ثلاث وثمانون سنة

ثم دخلت سنة اربع عشرة وثلثمائة

كتب ملك الروم وهو الدمستق لعنه الله الى اهل السواحل ان يحملوا اليه الخراج والا قاتلهم
فابوا عليه فركب اليهم في اول هذه السنة فعاث في الارض فسادا ودخل ملطية فقتل
من اهلها كثيرا واسر واقام بها ستة عشر يوما وجاء اهلها الى بغداد يستنجدون الخليفة
عليه ووقع ببغداد حريق في مكانين مات بسببهما خلق كثير واحرق في احدهما الف
دار ودكان وجاءت الكتب بموت الدمستق ملك النصارى لعنه الله فقرئت الكتب
على المنابر بذلك وجاءت الكتب من مكة ان اهلها في غاية الانزعاج بسبب اقتراب القرمطي
اليهم وقصده اياهم فرحلوا منها الى الطائف وتلك النواحي وهبت ريح عظيمة بنصيبين
اقتلعت الاشجار وهدمت البيوت قال ابن الجوزي وفي يوم الاحد لثمان مضين
من شوال منها وهو سابع كانون الاول سقط ببغداد ثلج عظيم جدا وحصل بسببه برد

شديد

شديد بحيث اتلف كثيرا من النخيل والاشجار وجمدت الادهان حتى الاشربة وماء الورد
والخل والخلجان الكبار ودجلة وعقد بعض مشايخ الحديث مجلسا للتحديث على متن دجلة
من فوق الجمد وكتب عنه الحديث هنالك ثم انكسر البرد بمطر وقع فازال ذلك كله ولله
الحمد وقدم حجاج خراسان الى بغداد فاعتذر اليهم مونس الخادم بان القرامطة قد قصدوا
مكة فرجعوا ولم يتهيأ الحج تلك السنة من ناحية العراق بالكلية وفي ذي القعدة عزل
الخليفة وزيره ابا العباس الخصيبي بعد سنة وشهرين وامر بالقبض عليه ووجه ذلك
اهماله امر الوزارة والنظر في المصالح لاشتغاله بالخمر في كل ليلة فيصبح مخمورا لا عقل
له وقد وكل الامور الى نوابه فخانوه وعملوا مصالحهم وولى مكانه ابا القاسم عبيد الله بن
محمد الكلواذي نيابة عن علي بن عيسى حتى يقدم ثم ارسل في طلب علي بن عيسى وهو
في دمشق فقدم بغداد في ابهة عظيمة فقدم بغداد في ابهة عظيمة فنظر في المصالح
العامة والخاصة ورد الامور الى السداد والاستقامة وتمهدت القواعد واستدعى
بالخصيبي فتهدده ولامه وفاتشه على ما كان يعتمده ويفعله في خاصة نفسه وفي
الامور العامة وذلك بحضرة القضاة والاعيان ثم رده الى السجن وفيها اخذ نصر
بن احمد الساماني الملقب بالسعيد بلاد الري وسكنها الى سنة ست عشرة وفيها غزت
الصائفة من بلاد طرسوس بلاد الروم فغنموا وسلموا ولم يحج ركب العراق خوفا من القرامطة
لعنهم الله

وممن توفي فيها من الاعيان

سعد النوبي صاحب باب النوبي من دار الخلافة ببغداد توفي في صفر من هذه السنة
واقيم اخوه في حفظ هذا الباب الذي صار ينسب بعده اليه ومحمد بن محمد الباهلي
ومحمد بن عمر بن لبابة القرطبي ونصر بن القاسم الفرايضي الحنفي ابو الليث سمع القواريري
وكان ثقة عالما بالفرايض على مذهب ابي حنيفة مقريا جليلا

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلثمائة

في صفر منها كان قدوم علي بن عيسى الوزير من دمشق الى بغداد وقد تلقاه الناس الى اثناء
الطريق فمنهم من كان قد تلقاه الى الانبار ومنهم دون ذلك وحين دخل الى الخليفة
المقتدر خاطبه فاحسن مخاطبته وانصرف الى منزله فبعث اليه بالفرش والقماش
وعشرين الف دينار واستدعاه من الغد فخلع عليه فانشد وهو في الخلعة

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها ۞ فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون اخا الدنيا فان وثبت ۞ يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وجاءت الكتب بان الروم قد دخلوا سميساط واخذوا جميع ما فيها ونصبوا بها خيمة
الملك واقاموا الناقوس في الجامع بها فامر الخليفة مونسا الخادم بالتجهيز للمسير
اليهم وخلع عليه خلعة سنية ثم جاءت الكتب بان المسلمين وثبوا على الروم فقتلوا
منهم خلقا كثيرا وغنموا غنائم كثيرة جدا ولله الحمد ولما تجهز مونس للمسير جاءه بعض
الخدم فاعلمه بان الخليفة يريد ان يقبض عليه اذا دخل لوداعه وقد حفرت زبية
في دار الخلافة مغطاة ليردى فيها فاحجم عن الذهاب وجاءت الامراء اليه من كل جانب
ليكونوا معه على الخليفة فبعث اليه المقتدر برقعة بخطه يحلف له فيها ان هذا الامر

الذي بلغه ليس بصحيح فطابت نفسه وركب الى دار الخلافة في غلمان فلما
دخل على الخليفة خاطبه مخاطبة عظيمة وحلف له انه طيب النفس عليه وله عنده
الصفا الذي يعرفه وخرج من بين يديه معظما مكرما وركب العباس بن المقتدر
والوزير علي بن عيسى ونصر الحاجب في خدمته لتوديعه وكبرا الامرا بين يديه مثل
الحجبة وكان خروجه يوما مشهودا قاصدا بلاد الثغور لقتال الروم ظفره الله بهم
وايده ونصره وفي جمادى الاولى قبض على رجل حناق قد قتل خلقا من النسا لانه
ادعى انه يعرف العطف والتنجيم فقصدته النسا لذلك فاذا انفرد بالمراة قام
اليها فخنقها بوتر واعانته امراته على ذلك ثم حفر لها في داره فدفنها فاذا امتلات
تلك الدار انتقل عنها الى غيرها ولما ظهر عليه وجد في داره سبع عشرة امراة مخنوقة
ثم تتبع الدور التي سكنها فوجدوا اشيا كثيرا قد قتل من النسا فضرب الف سوط ثم
صلب حيا حتى مات قبحه الله

ظهور الديلم قبحهم الله

وفي هذه السنة كان ظهور الديلم ببلاد الري فكان منهم ملك غلب على امرهم يقال له
مرداويج يجلس على سرير من ذهب وبين يديه سرير من فضة ويقول انا سليمان
بن داود وقد سار في اهل الري وقزوين واصبهان سيرة قبيحة جدا كان يقتل
النسا والصبيان في المهود ويأخذ اموال الناس وهو في غاية الجبروت والشدة
والجراة على محارم الله عز وجل فقتلته الاتراك واراح الله المسلمين من شره ولله الحمد
والمنة وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين يوسف بن ابي الساج وبين ابي طاهر
القرمطي عند الكوفة سبقه اليها ابو طاهر فحال بينه وبينها فكتب اليه يوسف
ابن ابي الساج اسمع واطع والا فاستعد للقتال يوم السبت تاسع شوال من هذه السنة
فقال هلم فلما تراءى الجمعان استقل يوسف بن ابي الساج وكان معه عشرون الفا
جيش القرمطي وكان مع القرمطي الف فارس وخمسماية راجل فقال وما قيمة هولاء الكلاب
٢ وامر الكاتب ان يكتب بالفتح قبل اللقاء الى الخليفة فلما اقتتلوا ثبت القرامطة
ثباتا عظيما وترجل ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الجنابي لعنه الله في نحو من اصحابه وحمل
بهم حملة صادقة فهزموا جند الخليفة واسروا يوسف بن ابي الساج وقتلوا خلقا
كثيرا من جند الخليفة واستحوذوا على الكوفة وجاءت الاخبار بذلك الى بغداد وشاع بين
الناس بان القرمطي يريد ان يقصد بغداد ليأخذها فانزعج المسلمون لذلك وظنوا
صدقه فاجتمع الوزير بالخليفة فقال يا امير المومنين ان الاموال انما تدخر لتكون
عونا على قتال اعداء الله وان هذا الامر لم يقع بعد زمن الصحابة افظع منه قد قطع هذا
الكافر طريق الحج على الناس وفتك في المسلمين مرة بعد مرة وان بيت المال ليس فيه
شي فاتق الله يا امير المومنين وخاطب السيدة يعني امه فان كان عندها مال قد ادخرته
لشدة فهذا وقته فدخل على امه فكانت هي التي ابتدأته بذلك وبذلت له خمسماية الف دينار
وكان في بيت المال مثلها فسلمها الخليفة الى الوزير ليصرفها في تنفيذ الجيوش
نحو القرامطة فجهز الوزير جيشا اربعين الفا مع امير يقال له بليق فاخذوا عليه
الطرقات وكان يريد دخول بغداد عند الشتوا سعه فلم يلبث جيش الخليفة ان انهزم

فانا لله وانا اليه راجعون وكان يوسف ابن ابي الساج مقيدا في خيمة فجعل ينظر الى
محل الوقعة فلما رجع القرمطي قال له اردت ان تهرب ثم امر به فضربت عنقه ورجع
القرمطي من ناحية بغداد الى الانبار ثم انصرف الى هيت فاكثر اهل بغداد الصدقة
وكذلك الخليفة وامه والوزير شكرا لله عز وجل على صرفه عنهم هذا الخبيث ولله الحمد
والمنة وفي هذه السنة بعث المهدي المدعي انه فاطمي الذي ظهر ببلاد المغرب ولده ابا
القاسم في جيش فانهزم جيشه وقتل من اصحابه خلق كثير واختط في هذه السنة
المدينة المحمدية وفيها حاصر عبد الرحمن بن الداخل الاموي مدينة طليطلة وكانوا
مسلمين لكنهم نقضوا ما كانوا عاقدوه عليه ففتحها قهرا وقتل خلقا من اهلها

وممن توفي فيها من المشاهير ابن الجصاص الجوهري

الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري ابو عبد الله البغدادي كان ذا اموال عظيمة
وثروة متسعة جدا وكان اصل نعمته من بيت احمد بن طولون كان قد جعله جوهريا له
يتسوق له ما يقع من نفائس الجواهر بمصر فاكتسب بسبب ذلك اموالا جزيلة جدا
قال ابن الجصاص كنت يوما بباب ابن طولون اذ خرجت القهرمانة وبيدها عقد فيه
مائة حبة من الجوهر يساوي ذلك الفي دينار فقالت اريد ان تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون
اصغر من هذا الحجم فان هذا افرخ على ما يريدونه فاخذته منها وذهبت به الى المنزل فحصلت
جواهر اصغر منها تساوي عشر قيمة تلك بكثير فدفعتها اليها وفزت انا بذلك الذي
جاءت به وكانت قيمته ماتي الف دينار وقد اتفق انه صودر في زمان المقتدر مصادرة
عظيمة اخذ منه ما يقارب ستة عشر الف الف دينار وبقي معه من الاموال شيا كثيرا
قال بعضهم دخلت عليه وهو يتردد في منزله كانه مجنون فقلت ما لك فقال ويحك
اخذ مني كذا وكذا وانا احس ان روحي ستخرج فعذرته ثم اخذت في تسليته فقلت
له ان دارك وبساتينك وضياعك الباقية لك تساوي سبعماية الف دينار واصدقني
كم بقي عندك من الجواهر والمتاع فاذا هو يساوي ثلثماية الف دينار فقلت ان هذا
لا يشاركك فيه احد من التجار ببغداد مع ما لك من الوجاهة عند الدولة والناس قال
فسري عنه وتسلى عما فات عليه واكل وكان له ثلاثة ايام لم ياكل شيا ولما خلص من
مصادرة المقتدر بشفاعة ام المقتدر السيدة فيه حكى عن نفسه قال نظرت في دار الخلافة
الى مائة خيشة فيها متاع رث مما حمل الي من مصر وهو عندهم بدار مضيعة وكان لي
في كل عدل الف دينار موضوعة فيه من مصر لا يشعر بها احد فاستوهبته لك من ام
المقتدر فكلمت في ذلك ولدها فاطلقه لي فتسلمته فاذا الذهب لم ينقص منه شي
وقد كان مع ذلك مغفلا شديد التغفيل في كلامه وافعاله وقد ذكر عنه اشياء تدل
على ذلك وقيل انه انما كان يفعل ذلك ليظهر انه مغفل وقيل انه كان يقول ذلك
على سبيل البسط والدعابة والله اعلم وفيها توفي عبد الله بن محمد القزويني وفيها
كان مقتل الحسن بن القسم الداعي العلوي صاحب الري على يدي الديلم وسلطانهم يومئذ
مرداويج المجرم قبحه الله وعلي بن سليمان ابن الفضل ابو الحسن الاخفش روى عن المبرد
وثعلب واليزيدي وغيرهم وعنه الروياني والمعافى وغيرهما وكان ثقة في نقله فقيرا
في ذات يده توصل الى علي بن مقلة حتى كلم فيه الوزير علي بن عيسى في ان يرتب له شي

فلم يجب إلى ذلك وضاق به الحال حتى كان يأكل اللفت التي تبات لجاره من كثرة أكله وذلك
في شعبان من هذه السنة والله أعلم ومنهم الأخفش الصغير والأوسط هو سعيد بن مسعدة
تلميذ سيبويه وأما الأكبر فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هجر وهو شيخ
سيبويه وأبي عبيدة وغيرهما وأبو بكر محمد بن السري السراج النحوي صاحب الأصول في النحو
قاله ابن الأثير ومحمد بن المسيب الأرغياني

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلثمائة

فيها عاث القرمطي وهو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله في الأرض فسادا
حاصر الرحبة فدخلها قهرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا وطلب منه أهل قرقيسيا الأمان
فأمنهم وبعث سرايا إلى ما حولها من الأعراب فقتل منهم خلقا أيضا حتى صاروا إذا سمعوا
بذكره يهربون من سماع اسمه وقرر على الأعراب إتاوة يحملونها إلى هجر في كل سنة عن كل
رأس ديناران وعاث في نواحي الموصل وسنجار وتلك الديار فقتل وسبى ونهب فقصده
مؤنس الخادم فلم يتواجها ثم رجع إلى بلده فابتنى بها دارا سماها دار الهجرة ودعا إلى المهدي
الذي ببلاد المغرب بالمهدية وتفاقم أمره وكثر أتباعه فصاروا يكبسون القرية
من أرض السواد فيقتلون أهلها وينهبون أموالها ورام في نفسه دخول الكوفة وأخذها
فلم يقدر على ذلك وعصمها الله منه ولما رأى الوزير علي بن عيسى ما يفعل هذا الهجري
القرمطي ببلاد الإسلام والخليفة وجيشه ضعفا عن مقاومته استعفى من الوزارة
وعزل نفسه عنها فسعى فيها أبو علي بن مقلة الكاتب المشهور فوليها بسفارة نصر
الحاجب وأبي عبد الله البريدي بالباء الموحدة من البريد ويقال اليزيدي لخدمة جده
يزيد بن منصور الحميري ثم جهز الخليفة جيشا كثيفا مع مؤنس الخادم فاقتتلوا مع
القرامطة فقتلوا من القرامطة خلقا كثيرا وأسروا منهم طائفة كثيرة من أشرافهم ودخلوا
مع مؤنس الخادم إلى بغداد والأسارى بين يديه وأعلام من أعلامهم بيض منكسة مكتوب
عليها ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ففرح
المسلمون بذلك فرحا شديدا وطابت أنفس أهل بغداد وانكسر شر القرامطة الذين كانوا
قد نشأوا وكثروا وأظهروا رؤوسهم بأرض العراق ونهبوا كثيرا من القرايا وفوضوا أمرهم إلى رجل
يقال له حريث بن مسعود لا أسعده الله ودعوا إلى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب وبنى
المهدية جد الخلفاء الفاطميين وهم أدعياء فيما ذكروه لهم من النسب كما قد نص على ذلك
غير واحد من أئمة العلماء كما سيأتي تفصيله وبيانه في موضعه وفي هذه السنة وقعت وحشة
بين مؤنس الخادم وبين المقتدر وسبب ذلك أن نازوك أمير الشرطة وقع بينه وبين
هارون بن غريب وهو ابن خال المقتدر فانتصر هارون على نازوك وشاع بين العامة
أن هارون أن هارون سيصير أمير الأمراء فبلغ ذلك مؤنس الخادم وهو بالرقة فأسرع
الأوبة إلى بغداد واجتمع بالخليفة فتصالحا ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة
فقويت الوحشة بينهما وانضم إلى مؤنس جماعة من الأمراء وترددت الرسل بينهما وانقضت
هذه السنة والأمر كذلك وهذا كله من ضعف الأمور واضطرابها وكثرة الفتن وانتشارها

وممن توفي فيها من الأعيان

بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد أبو الحسن الزاهد ويعرف بالحمال روى الحديث عن الحسن

ابن عرفة وغيره وكان يضرب بزهده المثل وكانت له كرامات كثيرة وله منزلة كبيرة عند
الناس وكان لا يقبل من السلطان شيئا وقد أنكر يوما على ابن طولون شيئا من المنكرات
وأمره بالمعروف فألقي بين يدي الأسد فكان يشمه ويحجم عنه فرفع من بين يديه وعظمه
الناس جدا أكثر مما كانوا يعظمونه وقد سأله بعض الناس كيف كان حالك وأنت
بين يدي الأسد فقال لم يكن علي بأس قد كنت أفكر في سؤر السباع أهو طاهر أم نجس
قالوا وجاءه رجل فقال له إن لي على رجل مائة دينار وقد ذهبت الوثيقة وأنا أخشى أن
ينكر الرجل فأسألك أن تدعو لي فقال له إني رجل قد كبرت وأنا أحب الحلوى فاذهب فاشتر لي
منها رطلا وائتني به حتى أدعو لك فذهب الرجل فاشترى ثم جاء ففتح الورقة
فإذا حجته بالمائة دينار فقال له الشيخ أهذه حجتك قال نعم قال خذها وخذ الحلوى
فأطعمها صبيانك ولما توفي خرج أهل مصر في جنازته تعظيما لشأنه وإكراما له ومحمد
بن حريم ومحمد بن عقيل البلخي وأبو بكر بن أبي داود السجستاني الحافظ بن الحافظ رحمهما
الله تعالى وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفراييني صاحب الصحيح
المستخرج على مسلم وقد كان من الحفاظ المكثرين والأئمة المشهورين ونصر الحاجب
للخليفة المقتدر وكان من خيار الأمراء دينا عاقلا أنفق من ماله في حرب القرامطة
مائة ألف دينار وخرج بنفسه محتسبا فمات في أثناء الطريق هذه السنة

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلثمائة

فيها كان خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد أخي المقتدر بالله في المحرم من
هذه السنة اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والخليفة فاتفق الأمراء على مؤنس
الخادم وتفاقم الحال وآل إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر بالله وتولية محمد بن المعتضد
فبايعوه بالخلافة وسلموا عليه بها ولقبوه القاهر بالله وذلك ليلة السبت النصف
من المحرم من هذه السنة وقلد أبو علي بن مقلة وزارته ونهبت دار المقتدر وأخذ منها
شيء كثير ووجد لأم المقتدر بالله ستمائة ألف دينار قد دفنتها في قبر في تربتها فحملت
إلى بيت المال وأخرج المقتدر وأمه وخالته وخواص جواريه من دار الخلافة وذلك
بعد محاصرة دار الخلافة وهرب من كان بها من الحجبة والخدم منها وولي نازوك الحجوبة
مضافا إلى ما بيده من الشرطة وألزم المقتدر بأن كتب على نفسه كتابا بالخلع من
الخلافة وأشهد على نفسه بذلك جماعة من الأمراء وسلم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد
بن يوسف فقال لولده أبي الحسين احتفظ بهذا الكتاب فلا يرينه أحد من خلق
الله ولما أعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين رده إليه فشكره على ذلك جدا وولاه
قضاء القضاة ولما كان يوم الأحد السادس عشر من المحرم جلس القاهر بالله في منصب
الخلافة وجلس بين يديه الوزير أبو علي بن مقلة وكتب إلى العمال بالآفاق يخبرهم
بولاية القاهر بالله الخلافة عوضا عن المقتدر وأطلق علي بن عيسى من السجن
وزاد في إقطاع الأمراء الذين قاموا بنصره منهم أبو الهيجاء بن حمدان ولما كان يوم الاثنين
جاء الجند فطلبوا أرزاقهم وشغبوا وساروا إلى نازوك فقتلوه وكان مخمورا ثم صلبوه
وهرب الوزير والحجبة ونادوا يا مقتدر يا منصور ولم يكن مؤنس يومئذ هنالك وجاءت
الجنود إلى باب مؤنس يطلبون منه المقتدر فأغلق بابه دونه خدمه فلما رأى مؤنس

جماعة من

انه لابد من تسليم المقتدر ليتم امره بالخروج فخاف ان يكون حيلة عليه ثم تجاسر فخرج
فحمله الرجال على اعناقهم حتى ادخلوه دار الخلافة فسأل عن اخيه القاهر وابي الهيجاء بن حمدان
ليكتب لهما امانا فما كان عن قريب حتى جاء خادم ومعه راس ابي الهيجاء قد احتزه
واخرجه من بين كتفيه وجاء المقتدر بالله فجلس في الدست واستدعى بالقاهر
فاجلسه بين يديه واستدناه اليه وقبل بين عينيه وقال يا اخي انت لا ذنب لك
وقد علمت انك قهرت والقاهر يقول الله الله نفسي نفسي يا امير المؤمنين فقال
وحق رسول الله لا جرى عليك مني سوء ابدا وعاد ابن مقلة فكتب الى الافاق يعلمهم بعود
المقتدر وتراجعت الامور الى حالها الاول ببغداد واستقر المقتدر في الخلافة كما كان
وحمل راس نازوك وابي الهيجاء بن حمدان فنودي عليهما هذا راس من عصى مولاه وهرب
ابو السرايا بن حمدان الى الموصل وكان ابن نفيس من اشد الناس على المقتدر فلما عاد الى
الخلافة خرج من بغداد متنكرا فدخل الموصل ثم صار الى ارمينية ثم لحق بمدينة
القسطنطينية فتنصر مع اهلها لعنه الله واياهم واما مونس فانه لم يكن في الباطن
على المقتدر وانما وافق جماعة الامراء مكرها ولهذا لما اودع المقتدر في داره لم ينله
منه سوء بل كان يطيب قلبه ولو شاء لقتله لما طلب من داره فلهذا لما عاد الى الخلافة
رجع الى مونس نيابته عنده لثقته به وقرر ابا علي بن مقلة على الوزارة وولى محمد بن
يوسف ابا عمر قضاء القضاة وجعل محمدا اخاه وهو القاهر بالله عنده في دار صفية
محتبسا عندها فكانت تحسن اليه غاية الاحسان وتشتري له السراري وتكرمه غاية
الاكرام

ذكر اخذ القرامطة الحجر الاسود

الى بلادهم وما كان منهم الى الحجيج لعن الله القرامطة

خرج ركب العراق واميرهم منصور الديلمي فوصلوا الى مكة سالمين وتوافت الركوب
من كل جانب فما شعروا الا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية فانتهب اموالهم
واستباح قتالهم فقتل الناس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام وفي جوف
الكعبة وجلس اميرهم ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الجنابي لعنه الله على باب الكعبة والرجال
تصرع حوله في المسجد الحرام في الشهر الحرام ثم في يوم التروية الذي هو من اشرف الايام
وهو يقول

انا الله وبالله انا ۞ يخلق الخلق وافنيهم انا

وكان الناس يفرون فيتعلقون باستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئا بل يقتلون
وهم كذلك ويطوفون فيقتلون في الطواف وقد كان بعض اهل الحديث يومئذ
يطوف فلما قضى طوافه اخذته السيوف فلما وجب الى الارض انشد وهو كذلك

ترى المحبين صرعى في ديارهم ۞ كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

ثم امر القرمطي لعنه الله ان يدفن القتلى ببير زمزم ودفن كثيرا منهم في اماكنهم حتى في
المسجد ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجعة ولم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يصلى
عليهم لانهم شهداء في نفس الامر ومن خيار الشهداء وهدم قبة زمزم وامر بقلع باب
الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين اصحابه وامر رجلا ان يصعد الى ميزاب

الكعبة فاراد ذلك ان يقتلعه من موضعه فسقط على ام راسه فمات لعنه الله
وصار الى امه الهاوية فانكف اللعين عند ذلك عن الميزاب ثم امر بان يقلع الحجر
الاسود فجاءه رجل فضرب الحجر الاسود بمثقل في يده وقال اين الطير الابابيل اين الحجارة
من سجيل ثم قلع الحجر الاسود شرفه الله وكرمه وعظمه واخذوه حين راحوا معهم الى
بلادهم فكان عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردوه كما سنذكره في سنة تسع
وثلاثين وثلثمائة فانا لله وانا اليه راجعون ولما رجع الى بلاده تبعه امير مكة هو
واهل بيته وجنده وسالوه وتشفعوا اليه في ان يرد الحجر ليوضع في مكانه وبذل له جميع ما عنده
من الاموال فلم يفعل فقاتله امير مكة فقتله القرمطي وقتل اكثر اهله وجنده واستمر
ذاهبا الى بلاده لعنه الله ومعه الحجر الاسود واموال الحجيج وقد الحد في المسجد الحرام
الحادا لم يسبقه اليه احد ولا يلحقه فيه احد وسيجازيه على ذلك الذي لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وانما حمل هؤلاء على هذا الصنيع انهم كانوا كفارا زنادقة
وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنين ببلاد افريقية من ارض
المغرب ويلقب اميرهم بالمهدي وهو ابو محمد عبيد الله بن ميمون القداح وكان صباغا
بسلمية يهوديا فادعى انه قد اسلم ثم سار منها فصار الى بلاد افريقية فادعى انه شريف
فاطمي فصدقه على ذلك طائفة كثيرة من البربر وغيرهم وكان نزار ملكه بها وكان هؤلاء
القرامطة يراسلونه ويدعون اليه ويترامون عليه ويقال انهم انما كانوا يفعلون
ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له وذكر ابن الاثير ان المهدي كتب الى ابي طاهر القرمطي
يلومه على فعله بمكة حيث سلط الناس على الكلام فيهم وانكشفت اسرارهم التي
كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح وامره برد ما اخذ منها وعوده اليها
فكتب اليه بالسمع والطاعة وانه قد قبل ما اشار به من ذلك وكان اذا اسكر يخلط
كثيرا فاذا صحا قال لنديمه لا تخبر بهذا الذي قلته لك احدا رواه ابن الجوزي في
منتظمه وروي عن بعضهم قال كنت في المسجد الحرام يوم انقلع الحجر الاسود اذ دخل
رجل وهو سكران راكب على فرس فصفر لها حتى بالت في المسجد الحرام في مكان الطواف
ثم حمل على كل رجل كان الى جانبي فقتله ثم نادى باعلا صوته يا حمير الستم قلتم في بيتكم
هذا ومن دخله كان امنا فاين الامن قال فقلت له اتسمع جوابا قال نعم قلت انما
اراد الله فامنوه قال فثنى راس فرسه وانصرف وقد سال بعضهم ههنا سؤالا فقال
قد احل الله عز وجل باصحاب الفيل وكانوا نصارى وهم اشرف منهم ما ذكره في كتابه العزيز
حيث يقول الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل
عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول ومعلوم ان القرامطة
شر من اليهود والنصارى والمجوس بل ومن عبدة الاصنام وانهم فعلوا بمكة ما لم يفعله
اصحاب الفيل وقد اجيب عن ذلك بان اصحاب الفيل انما عوقبوا اظهارا
لشرف البيت ولما يراد به من التشريف العظيم بارسال النبي الكريم من البلد
الذي فيه البيت ليعلم شرف هذا الرسول الكريم الذي هو خاتم الانبياء فلما اراد هؤلاء
اهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها عاجلهم باهلاكهم الله سريعا عاجلا كما ذكر
في كتابه واما هؤلاء فكان من امرهم ما كان بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد والعلم

بالحرورية من دين الله بشرف مكة والكعبة وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء من أكبر الملحدين الكافرين بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله فلهذا لم يجنح الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة بل أخرهم الرب جل جلاله ليوم تشخص فيه الأبصار والله سبحانه وتعالى يمهل ويملي ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار وقال تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وقال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ وقال متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين طائفة من العامة اختلفوا في تفسير قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة يجلسه معه على العرش وقال الآخرون المراد بذلك الشفاعة فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك

بياض بأصله

يشفع عند الله عز وجل في أن يأتي لفصل القضاء بين عباده وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق مقام الشفاعة العظمى حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويغبطه به الأولون والآخرون وفيها وقعت فتنة ببلاد خراسان بين بني ساسان وأخيهم نصر بن أحمد الملقب بالسعيد وخرج في شعبان منها رجل بالموصل وخرج آخر بالبوازيج فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شرهم وتفرق أصحابهم وفيها التقى مفلح الساجي وملك الروم الدمستق فهزمه مفلح وطرده وراءه إلى أرض الروم وقتل منهم خلقا كثيرا ولله الحمد وهبت ريح شديدة ببغداد تحمل رملا أحمر يشبه رمل الحجاز فامتلأت منه البيوت

وممن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن الحسن بن الفرج بن سقير أبو بكر النحوي كان عالما بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف أحمد بن مهدي بن رستم العابد الزاهد أنفق في طلب العلم ثلثمائة ألف درهم ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش وقد روى الحافظ أبو نعيم بسنده عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له إني قد امتحنت بمحنة أكرهت على الزنا وأنا حبلى وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجي وأن هذا الحمل منك فاسترني سترك الله ولا تفضحني فسكت عنها فلما وضعت جاءني أهل المحلة وإمام مسجدهم يهنوني بالولد فأظهرت البشر وبعثت فاشتريت بدينارين شيئا حلوا وجعلت أرسل إليها مع إمام المسجد كل شهر دينارين صفة نفقة الولد فمكثت كذلك سنتين ثم مات المولود فجاؤوني يعزوني فيه فأظهرت التخشع والحزن فجاءتني المرأة بالدنانير التي كنت أرسل بها إليها فقال جمعتها عندها فقلت هذه إنما كنت أرسل بها صلة للولد فخذيها فافعلي بها ما شئت بدر بن الهيثم بن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان أبو القسم

اللخمي القاضي الكوفي نزل بغداد وحدث بها عن أبي كريب وغيره وكان سماعه الحديث بعد ما جاوز أربعين سنة وكان ثقة نبيلا عاش مائة سنة وست عشرة سنة وكانت وفاته في شوال من هذه السنة بالكوفة عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القسم البغوي ويعرف بابن بنت منيع ولد سنة ثلاث عشرة وقيل أربع عشرة ومائتين ورأى أبا عبيد ولم يسمع منه وسمع من أحمد وعلي بن المديني ويحيى ابن معين وعلي بن الجعد وخلف بن هشام البزار وخلق وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه منه موسى بن هارون الحافظ فرماه في دجلة وقال يريد أن يجمع بين الثلاثة وقد تفرد عن سبعة وثمانين شيخا وكان ثقة حافظا ضابطا روى عنه الحفاظ وله مصنفات قال موسى بن هارون الحافظ كان ابن منيع ثقة صدوقا فقيل له إن ههنا ناسا يتكلمون فيه فقال يحسدونه ابن منيع لا يقول إلا الحق وقال ابن أبي حاتم وغيره يدخل في الصحيح وقال الدارقطني كان البغوي قلما يتكلم على الحديث فإذا تكلم كان كلامه كالمسمار في الساج وقد ذكره ابن عدي في كامله فتكلم فيه وقال حدث بأشياء أنكرت عليه وكان معه طرف من معرفة التصانيف والحديث وقد انتدب ابن الجوزي للرد على ابن عدي في هذا الكلام وذكر أنه توفي ليلة عيد الفطر من هذه السنة وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين وشهورا وهو مع ذلك صحيح السمع والبصر والأسنان يطأ الإماء وكانت وفاته ببغداد ودفن بمقبرة باب التبن رحمه الله وأكرم مثواه محمد بن الحسين بن محمد بن عمار الشهيد الحافظ أبو الفضل الهروي ويعرف بابن أبي سعد قدم بغداد وحدث بها عن محمد بن عبد الله الأنصاري وحدث ابن مظفر الحافظ وكان من الثقات الأثبات الحفاظ المتقنين له مناقشات على بضعة عشر حديثا من صحيح مسلم قتله القرامطة يوم التروية بمكة في هذه السنة في جملة من قتلوا رحمه الله وأكرم مثواه وجعل جنات الفردوس منقلبه ومثواه الكعبي المتكلم هو أبو القسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي نسبة إلى بني كعب أحد مشايخ المعتزلة وهو الذي ينسب إليه الطائفة الكعبية منهم قال القاضي ابن خلكان كان من كبار المتكلمين وله اختيارات في علم الكلام من ذلك أن أفعال الله تعالى تقع بلا اختيار ولا مشيئة هكذا أورده عنه قلت وقد خالف الكعبي نص القرآن في غير ما موضع قال الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وقال ولو شاء ربك ما فعلوه وقال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا إلى غير ذلك مما هو معلوم بالضرورة لصحيح العقل والشرع

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلثمائة

فيها عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا علي بن مقلة فكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن مخلد وجعل علي بن عيسى ناظرا معه وفي جمادى الأولى منها احترقت دار علي بن مقلة وكان قد أنفق عليها مائة ألف دينار فانتهب الناس أخشابها وما وجدوا فيها من حديد ورصاص وغير ذلك وصادره الخليفة بمائتي ألف دينار وفيها طرد الخليفة الرجالة الذين كانوا

بدار الخلافة عن بغداد وذلك انهم لما ردوا المقتدر الى الخلافة شرعوا يتعصبون بكلام
كثير عليهم يقولون من اعان ظالما سلط عليه ومن اصعد الحمار الى السطح يقدر ينزله
فامر باخراجهم عن بغداد وممن قام منهم عوقب واحرقت دور كثيرة من دورهم واحرق
بعض نسائهم واولادهم فخرجوا منها في غاية الاهانة فنزلوا واسط وتغلبوا عليها
واخرجوا عاملها فركب اليهم مونس الخادم فاوقع بهم باسا شديدا وقتل منهم خلقا كثيرا
فلم تقم لهم بعد ذلك راية وفي ربيع الاول منها عزل الخليفة ناصر الدولة بن حمدان
من الموصل وولى عليها عميه سعيدا ونصرا ابني حمدان وولاه ديار ربيعة نصيبين وسنجار
والخابور وراس العين ومعها ميافارقين وارزن ضمن ذلك من الخليفة بمال يحمله
كل سنة وفي جمادى الاولى خرج رجل ببلاد البوازيج يقال له صالح بن محمود فاجتمع عليه
جماعة من بني مالك ثم سار الى سنجار فحاصرها فدخلها واخذ شيئا كثيرا من اموال اهلها وخطب
بها خطبة وعظ فيها وذكر فكان في جملة ما قال نتولى الشيخين ونبرا من
الحسين ولا نرى المسح على الخفين ثم سار فعاث في الارض فسادا فانتدب له نصر بن حمدان
فقاتله فاسر صالح بن محمود هذا ومعه ابنان له فحمل الى بغداد فدخلها وقد اشهر شهرة
فظيعة وخرج اخر ببلاد الموصل فاتبعه الف رجل فحاصر اهل نصيبين فخرجوا اليه
فقاتلوا معه فقتل منهم مائتين واسر الفا ثم باعهم من نفوسهم وصادر اهلها باربعمائة
الف درهم فانتدب له ناصر الدولة بن حمدان فقاتله فظفر به فاسره وسيره الى بغداد
ايضا ولله الحمد وفيها خلع الخليفة على ابنه هارون وركب معه الوزير والجيش واعطاه
نيابة فارس وكرمان وسجستان ومكران وخلع على ابنه ابي العباس الراضي وجعله نائب
بلاد المغرب ومصر والشام ويكون مونس الخادم يسد عنه امورها وحج بالناس في هذه
السنة عبد السميع بن ايوب بن عبد العزيز الهاشمي وخرج للحجيج خفارة وبذرقة
حتى سلموا في الذهاب والاياب من القرامطة ولله الحمد وكان قبل احتياط الوزير حامد
بن العباس عليه في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب ماذون لمن يدخل اليه وكان
يسمي نفسه تارة بالحسين بن منصور وتارة محمد بن احمد الفارسي وكان نصر الحاجب
قد افتتن به وظن انه رجل صالح وكان قد ادخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل
له فاتفق زواله وكذلك وقع لوالدة المقتدر السيدة ام المقتدر رقت عليها فنفق سوقه
وحظي في دار السلطان فلما انتشر الكلام فيه سلم الى الوزير حامد بن العباس فحبسه
في قيود كثيرة في رجليه وجمع له الفقهاء فاجمعوا على كفره وزندقته وانه ساحر ممخرق
ورجع صاحبان ممن كان اتبعه احدهما ابو علي هارون بن عبد العزيز الاوارجي والاخر
يقال له الدباس فذكرا من فضايحه وما كان يدعو الناس اليه من الكذب والفجور
والمخرقة والسحر شيئا كثيرا وكذلك احضرت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضايح
كثيرة من ذلك انه اراد ان يغشاها وهي نائمة فانتبهت فقال لها قومي الى الصلاة وانما
كان اراد ان يطاها وامرها ابنتها بالسجود له فقالت او يسجد بشر لبشر
فقال نعم اله في السماء واله في الارض ثم امرها ان تاخذ من تحت بارية هنالك ما احبت
فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبذورة ولما كان معتقلا في دار حامد بن العباس دخل
عليه بعض الغلمان ومعه طبق فيه طعام لياكل منه فوجده قد ملا البيت من سقفه

الى ارضه فذعر ذلك الغلام والقى ما كان في يده من ذلك الطبق والطعام ورجع محموما
فمرض عدة ايام ولما كان اخر مجلس حضر القاضي ابو عمر محمد بن يوسف وجيء بالحلاج
وقد احضر له كتاب من دور بعض اصحابه وفيه من اراد الحج ولم يتيسر له فليبن في داره
بيتا لا يناله شيء من النجاسات ولا يمكن احدا من دخوله فاذا كان في ايام الحج فليصم
ثلاثة ايام وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم يفعل في داره ما يفعل الحجيج بمكة ثم
يستدعي بثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه ويتولى خدمتهم بنفسه ثم يكسوهم
قميصا قميصا ويعطي كل واحد سبعة دراهم وقال ثلاثة دراهم فاذا فعل ذلك
قام له مقام الحج وان من صام ثلاثة ايام لا يفطر الا في اليوم الرابع على ورقات هندبا
اجزاه ذلك عن صيام رمضان ومن صلى في ليلة ركعتين من اول الليل الى اخره اجزا
ذلك عن الصلاة بعد ذلك وان من جاور بمقابر الشهدا مقابر

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة

في المحرم من هذه السنة دخل الحجيج الى بغداد وقد خرج مونس الخادم للحج في هذه السنة
في جيش كثيف خوفا من القرامطة ففرح المسلمون بذلك وزينت بغداد يومئذ
وضربت الخيام والقباب لمونس الخادم وقد بلغ مونسا الخادم في اثناء الطريق ان
القرامطة امامه فعدل بالناس عن جادة الطريق فاخذ بهم في شعاب واودية
فتاهوا هنالك اياما فشاهد الناس هنالك عجايب وغرايب وراوا عظاما
في غاية الضخامة وشاهدوا اناسا قد مسخوا حجارة وراى بعضهم امراة واقفة
على تنور تخبز فيه قد مسخت حجرا والتنور قد صار حجرا وحمل مونس من ذلك شيئا كثيرا الى الحضرة
ليصدق ما يخبر به من ذلك ذكره ابن الجوزي في منتظمه فيقال انهم من قوم عاد او ثمود
وفيها عزل المقتدر سليمان بن الحسن الوزير بعد سنة وشهرين وتسعة ايام واستوزر
مكانه ابا القسم عبيد الله الكلوذاني ثم عزله بعد شهرين وثلاثة ايام واستوزر
الحسين بن القاسم ثم عزله ايضا وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومونس الخادم بسبب
ان الخليفة ولى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت وكان يلي الشرطة ايضا فقال
مونس ان الحسبة لا يتولاها الا القضاة والعدول وهذا لا يصلح لها ولم يزل
بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة ايضا وانصلح الحال بينهما
ثم تجددت الوحشة بينهما في ذي الحجة من هذه السنة وما زالت تتزايد حتى آل
الحال الى قتل المقتدر بالله كما سنذكره وفي هذه السنة اوقع ثمل متولي طرسوس
بالروم وقعة عظيمة جدا ثم اوقع بهم مرة ثانية كذلك وكتب ابن الديراني الارمني
الى الروم يحضهم على الدخول الى بلاد الاسلام ووعدهم منه النصر والاعانة فدخلوا
في جحافل كثيرة جدا وانضاف اليهم الارمن فركب اليهم مفلح غلام يوسف بن ابي
الساج وهو يومئذ نائب اذربيجان واتبعه خلق كثير من المطوعة فقصدوا اولا
بلد ابن الديراني فقتل من الارمن نحوا من مائة الف واسر خلقا كثيرا وغنم اموالا جزيلة
وتحصن ابن الديراني بقلعة له هنالك وجاءت الروم فوصلوا الى سميساط فحاصروها
فبعثوا يستصرخون بسعيد بن حمدان نائب الموصل فسار اليهم مسرعا فوجد الروم قد
كادوا يفتحونها فلما علموا بقدومه اجلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوا ما رجع

خاسئين الى بلادهم ومعهم ابن نفيس الذي كان قد تنصر معهم وقد كان من اهل بغداد قبل
ذلك كما ذكرناه قبل وركب ابن حمدان في آثار الروم فدخل بلادهم فقتل خلقا كثيرا
منهم وغنم اشيا كثيرة ايضا قال ابن الاثير في هذه السنة في شتوا لها جا سيل
الى تكريت فارتفع في اسواقها اربعة عشر شبرا وغرق بسببه اربعمائة دار وخلق
لا يعلمهم الا الله حتى كان المسلمون والنصارى يدفنون جميعا لا يعرف هذا من هذا
قال وفيها هاجت بالموصل ريح فيها حمرة ثم اسودت حتى كان الانسان لا يبصر
صاحبه وظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك بمطر ارسله الله عليهم

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن ابو عبد الله الانطاكي قاضي ثغور الشام ويعرف
بابن الصابوني وكان ثقة نبيلا قدم بغداد وحدث بها على بن الحسين بن حرب بن
عيسى ابو عبيد بن حربويه القاضي بمصر مدة طويلة جدا وكان ثقة عالما جليلا
من خيار القضاة واعدلهم وكان يتفقه على مذهب ابي ثور وقد ذكرناه في طبقات
الشافعية بما فيه مقنع وكفاية وقد استعفى عن القضا فعزل عنه في سنة احدى
عشرة وثلثمائة ورجع الى بغداد فاقام بها حتى مات بها في هذه السنة في صفر وصلى
عليه ابو سعيد الاصطخري ودفن بداره قال الدارقطني حدث عنه ابو عبد الرحمن
النسائي في الصحيح ولعله مات قبله بعشرين سنة وذكر من جلالته وفضله رح
محمد بن الفضل بن العباس ابو عبد الله البلخي الزاهد حكى عنه انه مكث اربعين
سنة لم يخط فيها خطوة لغير الله ولا نظر الى شي فاستحسنه حياء من الله عز وجل
وانه مكث ثلاثين سنة لم يمل على ملكيه قبيحا محمد بن سعد ابو الحسين الوراق
صاحب ابا عثمان النيسابوري وكان فقيها يتكلم على المعاملات ومن جيد كلامه
قوله من غض بصره عن محرم اورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدي بها سامعوه
ومن غض بصره عن شبهة نور الله قلبه بنور يهتدي به الى طريق مرضاته يحيى
ابن عبد الله بن موسى ابو زكريا الفارسي كتب بمصر عن الربيع بن سليمان وكان ثقة
صدوقا حسن الصلاة عدلا عند الحكام

سنة عشرين وثلثمائة

فيها كان مقتل الخليفة المقتدر بالله

وكان سبب ذلك ان مونسا الخادم خرج من بغداد في المحرم من هذه السنة مغاضبا
للخليفة في مماليكه وحشمه متوجها نحو الموصل ورد من اثناء الطريق مولاه بشرى
الى المقتدر ليستعلم له وبعث معه رسالة يخاطبه بها امير المؤمنين فلما وصل
امره الوزير الحسين بن القاسم وكان من اكبر اعداء مونس ان يوديها اليه فامتنع
من ادائها الا الى الخليفة بحضرته بين يديه فامره ان يقولها للوزير فامتنع
وقال ما امرني صاحبي بهذا فشتمه الوزير وشتم صاحبه وامر بضربه ومصادرته
بثلثمائة الف دينار واخذ خطه بها وامر بنهب داره ثم امر الوزير بالقبض على
اقطاع مونس واملاكه واملاك من معه فحصل من ذلك مال عظيم وارتفع امر
الوزير عند المقتدر ولقبه عميد الدولة وضرب اسمه على الدراهم والدنانير وتمكن من

الامور جدا فعزل وولى وقطع ووصل وفرح بنفسه حينا قليلا وارسل الى هارون بن
غريب الخال والى محمد بن ياقوت يستحضرهما الى الحضرة عوضا عن مونس فتحقق المظفر
مونس في مسيره الى الموصل وجعل يقول لامرا الاعراب ان الخليفة قد ولاني الموصل وديار ربيعة
فالتف عليه خلق كثير وجعل ينفق فيهم الاموال الجزيلة وله اليهم قبل ذلك ايادٍ سابقة
وقد كتب الوزير الى آل حمدان وهم ولاة الموصل وتلك النواحي يامرهم بمحاربة مونس الخادم
فركبوا اليه في ثلاثين الفا وواجههم مونس في ثمانمائة من مماليكه وخدمه فهزمهم ولم
يقتل منهم سوى رجل واحد يقال له داود وكان من اشجعهم وقد كان مونس رباه وهو صغير
ودخل مونس الى الموصل فقصدته العساكر من كل جانب يخلعون طاعته لاحسانه اليهم
قبل ذلك من اهل بغداد والشام ومصر ومن الاعراب حتى صار في جحافل من الجنود واما الوزير
الحسين بن القسم فانه ظهرت خيانته وعجزه فعزله المقتدر في ربيع الاخر وولى مكانه
الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات فكان اخر وزرا المقتدر واما مونس فاقام بالموصل تسعة
اشهر ثم ركب في الجيوش في شوال قاصدا بغداد ليطالب المقتدر بارزاق الاجناد وانصافهم
فسار وقد بعث بين يديه الطلايع حتى جاء فنزل باب الشماسية من بغداد وقاتله عنده
ابن ياقوت وهرون بن غريب عن كره منه واشير على الخليفة بان يستدين من والدته
فينفق في الاجناد فقال لم يبق عندها شي وعزم الخليفة على الهرب الى واسط وان يترك
بغداد لمونس حتى يتراجع امر الناس ثم يعود اليها فرده عن ذلك ابن ياقوت واشار
عليه بمواجهة مونس واصحابه فانهم متى راوه رجعوا كلهم اليه وتركوا مونسا فركب وهو
كاره وبين يديه الفقها ومعهم المصاحف منتشرة وعليه البردة والناس حوله فوقف
على تل عال بعيد من المعركة ونودي في جيشه من جاء براس فله خمسة دنانير ومن جاء باسير
فله عشرة دنانير ثم بعثت اليه امراوه يعزمون عليه ان يتقدم فامتنع من التقدم الى محلة
المعركة ثم الحوا عليه فجاء بعد منع شديد فما وصل اليهم حتى انهزموا وفروا راجعين ولم
يلتفتوا اليه ولا عطفوا عليه فكان اول من لقيه من امرا مونس علي بن بليق فلما راه ترجل
وقبل الارض بين يديه وقال لعن الله من اشار عليك بالخروج في هذا اليوم ثم وكل به قوما
من المغاربة البربر فلما تركهم واياه شهروا عليه السلاح فقال لهم ويلكم انا الخليفة فقالوا
قد عرفناك يا سفلة انما انت خليفة ابليس تنادي في جيشك من جا براس فله خمسة
دنانير وضربه احدهم بسيفه على عاتقه فسقط الى الارض وذبحه اخر وتركوا جثته وقد
سلبوه كل شي كان عليه حتى سراويله وبقي مكشوف العورة مجدلا على وجه الارض حتى جاء رجل
فغطى عورته بحشيش ثم دفنه في موضعه وعفي اثره واخذت المغاربة راس المقتدر على
خشبة قد رفعوها وهم يلعنونه فلما انتهوا به الى مونس ولم يكن حاضرا الوقعة فحين
نظر الى راس المقتدر لطم راسه ووجهه وقال ويلكم والله لم امركم بهذا لعنكم الله تقتلونه
والله ليقتلن كلنا ثم ركب فوقف عند دار الخلافة حتى لا تنهب وهرب عبد الواحد بن
المقتدر وهرون بن غريب وابنا رائق الى المدائن وكان فعل مونس هذا سببا لطمع
اصحاب الاطراف في الخلفا وضعف امر الخلافة جدا مع ما كان المقتدر يعتمده من
التبذير والاسراف في الاموال وطاعة النسا وعزل الوزرا حتى قيل ان جملة ما صرفه
في الوجوه الفاسدة والتبذير ما يقارب ثمانين الف الف دينار

وهذه ترجمة المقتدر بالله أمير المؤمنين

هو جعفر أمير المؤمنين المقتدر بالله بن المعتضد أحمد بن أبي أحمد الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا الفضل العباسي مولده في ليلة الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ثنتين وثمانين ومائتين وأمه أم ولد اسمها شغب ولقبت في خلافة ولدها السيدة وبويع بالخلافة يوم الأحد لأربع عشرة مضت من ذي القعدة من سنة ست وتسعين محتجين بصغره وعدم بلوغه وتولية عبد الله بعد أخيه المكتفي بن المعتز فلم يتم ذلك وانتقض الأمر في ذلك اليوم كما ذكرنا ثم لما كان في شهر الله المحرم من سنة سبع عشرة وثلاثمائة أحضره مونس واجتمع الأمراء والقواد وألزموه بخلع نفسه وأحضروا أخاه محمد بن المعتضد فبايعوه بالخلافة ولقبوه القاهر بالله فلم يتم ذلك سوى يومين ثم رجع المقتدر إلى الخلافة كما ذكرنا وقد كان المقتدر بالله ربعة من الرجال حسن الوجه والعينين بعيد ما بين المنكبين حسن الشعر مدور الوجه مشرب اللون حسن الخلق قد شاب رأسه وعارضاه وقد كان ذكيا جوادا ممدحا له عقل جيد وفهم وافر ورأي صحيح وقد كان كثير التحجب والتوسع في النفقات وزاد في رسوم الخلافة وأمور الرياسة وما زاد شيء إلا نقص كان في داره أحد عشر ألف خادم خصي غير الصقالبة والروم والسودان وكان له دار يقال لها دار الشجرة فيها من الأثاث والأمتعة شيء كثير جدا كما ذكرنا ذلك في سنة خمس وثلاثمائة حين قدم رسول ملك الروم وقد ركب المقتدر في حراقة وجعل يستعجل الطعام فأبطأوا به فقال للملاح ويحك أعندك شيء نأكله قال نعم فأتاه بشيء من لحم الجدي وخبز حسن وملوحات وغير ذلك فأعجبه ثم استدعاه فقال هل عندك شيء من الحلوى فإني لا أجد بالشبع حتى آكل شيئا من الحلوى فقال يا أمير المؤمنين إن حلاوتنا التمر والكسب فقال هذا شيء لا أطيقه ثم جيء بطعامه فأكل منه وأتي بالحلاوات فأكل وأطعم الملاحين وأمر بأن يبنى حلاوة تعمل في كل يوم بنحو ما يغرم تكون في الحراقة إذا اتفق ركوبه فيها ليأكل منها فكان الملاح يأخذ ذلك في كل يوم مدة سنين متعددة ولم يتفق ركوب المقتدر فيها مرة أخرى وقد أراد بعض خواصه أن يطهر ولده فعمل أشياء هائلة ثم طلب من أم الخليفة أن تعار القرية التي عملت في طهور المقتدر من فضة ليراها الناس في هذا المهم فتلطفت أم المقتدر عنده حتى أطلقها له بالكلية وكانت صفة قرية من القرى كلها من فضة بيوتها وأماليها وأبقارها وأغنامها وجمالها وخيولها وزروعها وثمارها وأنهارها وما يتبع ذلك مما يكون في القرى الجميع من فضة مصور وأمر بنقل سماط الدار إلى هذا الرجل وأن لا يكلف شيئا من المطاعم سوى سمك طري فاشترى الرجل بثلاثمائة دينار سمكا وكان جملة ما أنفق على سماط المقتدر يومئذ ألفا وخمسمائة دينار وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوظائف وكان كثير التنفل بالصلاة والصوم والعبادة ولكنه كان مؤثرا لشهواته مطيعا لحظاياه كثير التلون والولاية والعزل وما زال ذلك دأبه حتى كان هلاكه على يدي مونس الخادم كما ذكرنا فقتل عند باب الشماسية لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة أعني سنة عشرين وثلاثمائة وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وشهر وخمسة أيام وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وأربعة

عشر يوما

عشر يوما فكان أكثر مدة ممن تقدمه

خلافة القاهر

لما قتل المقتدر بالله كما ذكرنا عزم مونس الخادم على تولية أبي العباس بن المقتدر بعد أبيه ليطيب قلب أم المقتدر فعدل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء فقال له أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي بعد التعب والكد نبايع لخليفة له أم وخالات يطيعهن ويشاورهن ثم أحضر محمد بن المعتضد وهو أخو المقتدر فبايعه القضاة والأمراء والوزراء ولقبوه القاهر بالله وذلك في سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة سنة عشرين وثلاثمائة واستوزر له أبو علي بن مقلة ثم أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم أبو العباس بن الخصيب وشرع القاهر في مصادرة أصحاب المقتدر وتتبع أولاده واستدعى بأم المقتدر وهي مريضة بالاستسقاء وقد تزايد بها من شدة جزعها على ولدها حين بلغها قتله وكيف بقي مكشوف العورة فبقيت أياما لا تأكل شيئا من الخبز والملح ومع هذا كله استدعى بها القاهر فقررها على أموالها فذكرت له ما يكون للنساء من الحلي والمصاغ والثياب ولم تقر بشيء من الأموال والجواهر وقالت لو كان عندي من هذا شيء ما سلمت ولدي فأمر بضربها وعلقت برجليها ومسها بعذاب شديد من العقوبة وأشهدت على نفسها ببيع أملاكها فأخذه الجند مما يحاسبون عليه من أرزاقهم وأرادها على بيع أوقافها فامتنعت من ذلك وأبت أشد الإباء واستدعى القاهر بجماعة من أولاد المقتدر منهم أبو العباس الراضي وهارون والعباس وعلي والفضل وإبراهيم فأمر بمصادرتهم وحبسهم وسلمهم إلى حاجبه علي بن يلبق وتمكن الوزير أبو علي بن مقلة فعزل وولى وأخذ وأعطى ومنع بن البردي عن أعمالهم

وممن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن عمير بن جوصا أبو الحسن الدمشقي أحد المحدثين الحفاظ والرواة الأيقاظ إبراهيم بن محمد بن علي بن بطحا بن علي بن مقلة أبو إسحاق التميمي المحتسب ببغداد روى عن عباس الدوري وعلي بن حرب وغيرهما وكان ثقة فاجتاز يوما على باب القاضي أبي عمر محمد بن يوسف والخصوم عكوف على بابه والشمس قد ارتفعت عليهم فبعث حاجبه إليه يقول له إما أن تخرج فتفصل بينهم وإما أن تبعث فتعتذر إليهم إن كان لك عذر حتى يعودوا إليك بعد هذا الوقت أبو علي بن خيران الفقيه الشافعي أحد أئمة المذهب هو الحسين بن صالح بن خيران أبو علي الفقيه الكبير الورع البارع عرض عليه منصب القضاء فلم يفعل فختم الوزير علي بن عيسى على بابه فبقي كذلك ستة عشر يوما ولم يجد الماء إلا من بيوت الجيران ومع هذا يمتنع عليهم وغلبهم ولم يل لهم شيئا فقال له الوزير إنما أردنا أن نعلم الناس أن ببلدنا وفي مملكتنا من عرض عليه قضاء القضاة في المشارق والمغارب فلم يقبل وقد كانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية بما فيه كفاية رح عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه الإستراباذي أحد أئمة المسلمين والحفاظ المحدثين وقد ذكرناه أيضا في طبقات الشافعية القاضي أبو عمر المالكي محمد بن يوسف بن إسماعيل بن حماد بن زيد أبو عمر القاضي ببغداد ومعاملاتها من سائر البلاد وكان من أئمة الإسلام علما ومعرفة وفصاحة

وبلاغة وعقلا ورياسة بحيث كان يضرب بعقله المثل وقد روى الكثير عن المشايخ
وحدث عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ وحمل الناس عنه علما كثيرا من الفقه والحديث
وقد جمع له قضاء القضاة في سنة سبع عشرة وثلثمائة وله مصنفات كثيرة وجمع
مسندا حافلا وكان اذا جلس للتحديث جلس ابو القسم البغوي عن يمينه وهو قريب
من سن ابيه وعن يساره ابن صاعد وبين يديه ابو بكر النيسابوري وسائر الحفاظ حول
سريره من كل جانب قالوا ولم ينتقد عليه حكم من احكامه اخطا فيه قلت
وكان من اعظم صواب احكامه قتله الحسين بن منصور الحلاج فبعده الله واخزاه وذلك
في سنة تسع وثلثمائة كما تقدم وقد كان جميل الاخلاق حسن المعاشرة اجتمع عنده
يوما اصحابه فجيء بثوب فاخر ليشتريه بنحو من خمسين دينارا فاستحسنه الحاضرون
فاستدعا بالقلانسي وامره ان يقطع ذلك الثوب قلانس بعدد الحاضرين وله مناقب
ومحاسن جمة وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة وقد
رآه بعضهم في المنام فقيل له ما فعل بك ربك فقال غفر لي بدعوة الرجل الصالح ابراهيم
الحربي رحمهما الله

ثم دخلت سنة احدى وعشرين وثلثمائة

فيها احضر الخليفة رجلا كان يقطع الطريق بدجلة فضرب بين يديه الف سوط
ثم ضربت عنقه وقطعت ايدي اصحابه وارجلهم وفيها امر القاهر بالله بابطال الخمور
والمغاني والقيان وامر ببيع الجواري المغنيات في سوق النخس على انهن سواذج قال
ابن الاثير انما فعل القاهر ذلك لانه كان محبا للغنا فاراد ان يشتري الجواري المغنيات
بارخص الاثمان نعوذ بالله من هذه الاخلاق وفيها اشاعت العامة بينهم بان الحاجب
علي بن بليق يريد ان يلعن معاوية على المنابر فلما بلغ ذلك الحاجب بعث الى رئيس
الحنابلة ابي محمد البربهاري الواعظ ليقابله على ذلك فهرب واختفى فامر بجماعة من اصحابه
فحدروا الى البصرة وفيها عظم الخليفة وزيره ابا علي بن مقلة وخاطبه بالاحترام
والاكرام ثم ان الوزير ومونس الخادم وعلي بن بليق وجماعة من الامرا اشتوروا واتفقوا
بينهم على خلع القاهر بالله وتولية ابي احمد بن المكتفي وبايعوه فيما بينهم وضيقوا على القاهر
بالله في رزقه ومن يجتمع به وارادوا القبض عليه سريعا فبلغ ذلك الخليفة على يدي
طريف السبكري فسعى في القبض عليهم فوقع في مخالبه الامير الكبير المظفر مونس الخادم
فامر بحبسه قبل ان يراه والاحتياط على دوره واملاكه وكانت فيه عجلة وجراءة وهوج
وخرق شديد وجعل في منزلته امارة الامراء ورياسة الجيش طريفا السبكري وقد كان احد
الامراء عند مونس الخادم قبل ذلك وقبض على بن بليق واختفى والده علي بن بليق وكذا هرب
الوزير ابو علي بن مقلة فاستوزر بدله ابا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله في مستهل شعبان
وخلع عليه وامر بتحريق دار ابي علي بن مقلة ووقع النهب ببغداد وهاجت الفتنة وامر
القاهر بان يجعل ابو احمد بن المكتفي بين حائطين ويسد عليه بالاجر والكلس وهو حي
فمات وارسل الى المختفين فنادى من اخفاهم خربت داره فوقع بعلي بن بليق فقتله
ذبح بين يديه كما يذبح الشاة فاخذ راسه في طست ودخل القاهر بنفسه على ابيه بليق
فوضع الراس بين يديه فلما رآه بكى واخذ يقبله ويترشفه فامر بذبحه ايضا فذبح ثم اخذ

الراسين

الراسين في طستين فدخل بهما على مونس الخادم فلما راهما تشهد ولعن قاتلهما فقال
القاهر عند ذلك جروا برجل الكلب فاخذ فذبح ايضا واحتز راسه فوضع في طست وطيف
بالرؤوس في بغداد هذا جزاء من يخون الامام ويسعى في الدولة فسادا ثم اعيدت الرؤوس
الى خزائن السلاح وفي ذي القعدة قبض القاهر على الوزير ابي جعفر محمد بن القاسم بن
عبيد الله وسجنه وكان مريضا بالقولنج فبقي ثمانية عشر يوما ومات فكانت وزارته
ثلاثة اشهر واثني عشر يوما واستوزر مكانه ابا العباس احمد بن عبيد الله بن سليمان
الخصيبي ثم قبض على طريف السبكري وسجنه فلم يزل فيه حتى خلع القاهر وفيها جاء الخبر
بموت تكين الخاصة بديار مصر وان ابنه محمدا قد قام بالامرة بعده فيها وسارت الخلع اليه
من القاهر بالله تنفيذا لولايته واستقرارها

ذكر ابتداء امر بني بويه

وظهور دولتهم في هذه السنة

وهم ثلاثة اخوة عماد الدولة ابو الحسن علي وركن الدولة ابو علي الحسن ومعز الدولة
ابو الحسين احمد اولاد ابي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الاصغر بن
شيركنده بن شيرزيل الاكبر بن شيرانشاه بن شيرويه بن سستان شاه بن سسن فروز
بن شيروزيل بن سسناد بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك
بن سابور ذي الاكتاف الفارسي كذا نسبهم الامير ابو نصر بن ماكولا في كتابه وانما قيل
لهم الديالمة لانهم جاوروا الديلم وكانوا بين اظهرهم مدة وقد كان ابوهم ابو شجاع بويه فقيرا
مدقعا يصطاد السمك ويحتطب بنوه الحطب على رؤوسهم وقد ماتت امراته وخلفت له
هؤلاء الاولاد الثلاثة فحزن عليها فبينما هو ذات يوم عند بعض اصحابه وهو شهريار
بن رستم الديلمي اذ مر منجم فاستدعاه فقال له اني رايت مناما غريبا كاني ابول فخرج
من ذكري نار عظيمة حتى كادت تبلغ عنان السما ثم انفرقت ثلاث شعب ثم انتشرت
كل شعبة الى شعب كثيرة فاضاءت الدنيا بتلك النار ورايت البلاد والعباد قد
خضعت لهذه النار فقال له المنجم هذا منام عظيم لا افسره لك الا بمال جزيل فقال
والله لا شيء عندي اعطيك ولا املك غير فرسي هذه فقال هذا يدل على انه يملك من صلبك
ثلاثة ملوك ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة فقال له ويحك اتسخر
بي وامر بنيه فصفعوه ثم اعطاه عشرة دراهم فقال لهم المنجم اذكروا هذا اذا قدمت
عليكم وانتم ملوك وخرج وتركهم وهذا من اعجب الاشياء وذلك ان هؤلاء الاخوة الثلاثة
كانوا عند ملك يقال له ماكان بن كالي في بلاد طبرستان فتسلط عليه مرداويج فضعفت
امر ماكان فشاوروه في مفارقته حتى يكون من امره خرجوا عنه ومعهم جماعة من الامرا
فصاروا الى مرداويج فاكرمهم واستعملهم على الاعمال في البلدان فاعطى عماد الدولة
علي بن بويه نيابة الكرج فاحسن فيها السيرة والتف عليه الناس واحبوه فحسده
مرداويج وبعث اليه يعزله عنها ويستدعيه اليه فامتنع من القدوم عليه وصار الى اصبهان
فحارب نائبها فهزمه عماد الدولة فلما بلغ ذلك مرداويج قلق منه وارسل اليه جيشا
فاخرجوه من اصبهان فقصد ارجان فاخذها من نائبها وحصل له من الاموال شيء كثير جدا
ثم اخذ بلدانا كثيرة واشتهر امره وبعد صيته وحسنت سيرته واجتمع اليه من الجند

خلق كثير وحجر عليه وقد آل بهم الحال الى ان ملكوا بغداد من يدي الخلفا العباسيين
لهم القطع والوصل والولاية والعزل واليهم تجبى الاموال واليهم يرجع في ساير الامور
والاحوال على ما سنذكره كل ذلك مبسوطا والله المستعان المحمود على كل حال

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان الطحاوي

احمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك ابو جعفر الطحاوي نسبة الى طحا وهي قرية بصعيد
مصر الفقيه الحنفي صاحب المصنفات المفيدة والفوايد وهو احد الثقات الاثبات
والحفاظ الجهابذة وطحا بلدة بديار مصر وهو ابن اخت المزني رحمهما الله وكانت
وفاته في مستهل ذي القعدة من هذه السنة عن اثنين وثمانين سنة وذكر ابو سعد
السمعاني انه ولد سنة تسع وعشرين ومايتين فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين
والله اعلم وذكر ابن خلكان في الوفيات ان سبب انتقاله الى مذهب ابي حنيفة
ورجوعه عن مذهب خاله المزني ان خاله قال له يوما والله لا يجي منك شي فغضب
واشتغل على ابي جعفر بن ابي عمران الحنفي حتى برع وفاق اهل زمانه وصنف كتبا كثيرة
منها احكام القران واختلاف العلما ومعاني الاثار والتاريخ الكبير وله في الشروط
كتاب وكان بارعا فقيها وقد كتب للقاضي ابي عبد الله محمد بن عبده وعدل القاضي
ابو عبيد بن حربويه وكان يقول رحم الله المزني لو كان حيا لكفر عن يمينه وكانت
وفاته في مستهل ذي القعدة ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها رحمه الله تعالى
وترجمه ابن عساكر ايضا وذكر انه قدم دمشق في سنة ثمان وستين ومايتين
واخذ الفقه عن قاضيها ابي خازم رحمه الله احمد بن محمد بن موسى بن النضر بن حكيم بن علي
بن زربي ابو بكر بن ابي حامد صاحب بيت المال سمع عباسا الدوري وخلقا وعنه
الدارقطني وغيره وكان ثقة صدوقا جوادا ممدحا اتفق في ايامه ان رجلا من اهل
العلم كانت له جارية يحبها حبا شديدا فركبته ديون كثيرة اقتضى الحال ان باع
تلك الجارية في الدين فلما قبض ثمنها ندم ندامة عظيمة جدا وبقي متحيرا في امره
واباعها التي كانت عنده فبلغ سيدها ان الجارية قد اشتراها ابن ابي حامد صاحب
بيت المال فتشفع اليه ببعض اصحابه في ان يردها اليه بثمنها فلما قال له ذلك
لم يكن عنده شعور منها وذلك ان امراته اشترتها له ولم تعلمه بعد بامرها حتى تجمل
من استبرايها وكان ذلك اليوم اخره فلبسوها الحلي والمصاغ وصنعوها له وحسبن
شغف عنده في امرها بعثت الخدم علمه بها ثم دخل حتى يستكشف خبرها من منزله فاذا بها
قد هييت له وزخرفت ففرح فرحا شديدا اذ وجدها من اجل ذلك الرجل فاخرجها
معه وهو يظهر السرور فقال لسيدها هذه جاريتك فلما راها اضطرب كلامه واختلط
في عقله مما راى من حسن منظرها وهيبتها وقال خذها فقال له خذها بارك الله لك فيها
ففرح الفتى فرحا شديدا وقال يا سيدي تامر بحمل المال فقال لا حاجة لي به وانت
في حل منه فاني اخشى ان لم يبق معك شي ان تبيعها ثانية ممن لا يردها عليك فقال
يا سيدي فهذا الحلي والمصاغ الذي عليها فقال هذا شي وهبناه لها لا نعود فيه ابدا
فاشتد فرح الفتى واخذها معه فلما ودع ابن ابي حامد قال للجارية ايما كان احب
اليك نحن او سيدك هذا فقالت اما انتم فاغنيتموني بخيركم الله خيرا واما سيدي
هذا فلو اني ملكت منه ما ملك مني لم ابعه بالاموال الجزيلة فاستحسن الحاضرون
ذلك من قولها مع صغر سنها شغب ام امير المومنين المقتدر بالله الملقبة
بالسيدة كان دخل املاكها في كل سنة الف الف دينار وكانت تتصدق باكثر ذلك
على الحجيج في اشربة وازواد واطبا يكونون معهم ولتسهيل الطرقات والموارد وكانت
في غاية الحشمة والرياسة ونفوذ الكلمة ايام خلافة ولدها فلما قتل كانت مريضة
فزادها ما مرضها الى مرضها ولما استقر امر الخلافة للقاهر وهو ابن زوجها المعتضد اخو ابنها
وقد كانت حضنته حين توفيت امه وخلصته من ابنها لما كان مونس قد بايعه ولم يتم
ذلك فعاقبها القاهر عقوبة عظيمة جدا حتى يعلقها برجلها وراسها منكوس
فربما بالت فينحدر على وجهها ليقررها على الاموال التي في يدها فلم يجد لها شيا سوى
ثيابها ومصاغها وحليها في صناديق لها قيمتها مائة الف وثلاثون الف دينار
وجميع ما كان يدخلها تتصدق به وقد وقفت شيا كثيرا ولكن كان لها املاك فامر
ببيعها واتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها فامتنع الشهود من
اداء الشهادة حتى يجلوها من وراء الستر باذن الخليفة فقالوا لها انت شغب
جارية المعتضد ام جعفر المقتدر فبكت بكاء طويلا قالت نعم وكتبوا حليتها
عجوز سمراء اللون دقيقة الجبين وبكى الشهود وتفكروا في تقلب الزمان في تنقل
الحدثان وكانت وفاتها في جمادى الاولى من هذه السنة ودفنت بالرصافة
عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن ابان مولى عثمان
بن عثمان وهو ابو هاشم بن ابي علي الجبائي رحمهما الله المتكلم ابن المتكلم المعتزلي ابن المعتزلي
واليه تنتسب البهشمية من المعتزلة وله مصنفات في الاعتزال كما لابيه من قبله
مولده في سنة سبع واربعين ومايتين وتوفي في شعبان من هذه السنة قال
القاضي ابن خلكان وكان له ابن يقال له ابو علي فدخل يوما على الصاحب بن عباد
فاكرمه واحترمه وساله عن شي فقال لا اعرف نصف العلم فقال له صدقت وسبقك
ابوك الى النصف الاخر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية ابو بكر بن دريد الازدي
اللغوي النحوي الشاعر صاحب المقصورة ولد بالبصرة في سنة ثلاث وعشرين ومايتين
وتنقل في البلاد لطلب العلم والادب وكان ابوه من ذوي اليسار وقدم بغداد وقد
اسن فاقام بها الى ان توفي روى عن عبد الرحمن بن اخي الاصمعي وابي حاتم والرياشي
وعنه ابو سعيد السيرافي وابو بكر بن شاذان وابو عبيد الله المرزباني وغيرهم
ويقال كان اعلم الشعرا واشعر العلما وقد كان متهتكا في الشراب قال ابو منصور
الازهري دخلت يوما عليه فوجدته سكران فلم اعد اليه وسيل عنه الدارقطني فقال
تكلموا فيه وقال ابن شاهين كنا ندخل عليه فنستحيي مما نرى من العيدان المعلقة
والشراب المصفى وقد جاوز التسعين وقارب المائة وكانت وفاته في يوم الاربعا
لثنتي عشرة بقيت من شعبان وفي هذا اليوم كانت وفاة ابي هاشم بن ابي علي فصلي
عليهما معا ودفنا في مقبرة الخيزرانية وقال الناس مات اليوم علم اللغة وعلم
الكلام وكان ذلك يوما مطيرا ومن مصنفات ابن دريد الجمهرة في اللغة في نحو
عشر مجلدات وكتاب المطر والمقصورة والقصيدة الاخرى المقصورة الممدود

وغير ذلك مما يحمد الله

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلثماية

فيها قصد ملك الروم بلاد ملطية في خمسين الفا فحاصرها ثم اعطاهم الامان حتى تمكن منهم فقتل خلقا كثيرا واسر منهم ما لا يحصون كثرة فانا لله وانا اليه راجعون ثم وردت الاخبار بان مرداويج قد تسلم اصبهان وانتزعها من علي بن بويه وان علي بن بويه توجه الى ارجان فاخذها وقد ارسل ابن بويه الى الحضرة الخليفية بالطاعة والمعونة وان امكن ان يقبل العتبة الشريفة ويحضر بين يدي الخليفة ان رسم او يرسل الى شيراز فيكون مع ابن ياقوت ثم اتفق الحال بعد ذلك ان صار الى شيراز واخذها من نايبها ابن ياقوت بعد حرب عظيم ظفر ابن بويه بياقوت واصحابه فقتل منهم خلقا واسر جماعة فلما تمكن اطلقهم واحسن اليهم وخلع عليهم وعدل في الناس وكانت معه اموال كثيرة قد استفادها من اصبهان وقبلها من الكرخ وهمدان وغيرها الا انه كان كريما جوادا معطاء للجيوش الذين قد استولوا عليه ثم انه املق في بعض الاحيان وهو بشيراز وطالبه الجند بارزاقهم وخاف ان يختل نظام امره فاستلقى يوما على قفاه مفكرا في امره واذا حية قد خرجت من شق من سقف ذلك المكان الذي هو فيه ودخلت في اخر فامر بنزع تلك السقوف فوجد هناك مكانا فيه من الذهب كثيرا جدا نحو من خمسماية الف دينار فانفق في جيشه ما اراد وبقي عنده شي كثير وركب ذات يوم يتفرج في خراب البلد وينظر الى ابنية الاوايل ويتعظ بمن كان قبله فانخسفت الارض من تحت قايمة جواده فامر بحفرها هناك فوجد من الاموال والاشياء كثيرا جدا ايضا واستعمل عند رجل خياط قماشا للبسه فاستبطاه في صنعتها فامر باحضاره فلما ادخل بين يديه تهدده وكان الرجل اصم لا يسمع جيدا فقال والله ايها الملك ما لياقوت عندي سوى اثنى عشر صندوقا لا ادري ما فيها فامر باحضارها فاذا فيها اموال عظيمة تقارب ثلثماية الف دينار واطلع على ودايع كانت ليعقوب وعمرو ابني الليث فيها من الاموال ما لا يحد ولا يوصف كثرة فتقوى امره وعظم سلطانه جدا وهذا كله من الامور المقدرة لما يريده الله بهم من السعادة الدنيوية و يخلق ما يشاء ويختار ولله الامر من قبل ومن بعد وكتب الى الراضي ووزيره ابي علي بن مقلة يطلب ان يقاطع على ما قبله من البلاد على الف الف في كل سنة فاجابه الراضي الى ذلك وبعث اليه بالخلع واللوا وابهة الملك وفيها قتل القاهر بالله اميرين كبيرين وهما اسحاق بن اسماعيل النوبختي وهو الذي كان قد اشار على الدولة بخلافة القاهر وابو السرايا ابن حمدان اصغر ولد ابيه وكان في نفس القاهر منهما بسبب انهما زاداه مرة قبل ان يلي الخلافة في جاريتين مغنيتين فاستدعاهما الى المسامرة لسطيبا وحضرا فامر بالقايهما في بير هنالك فتضرعا اليه فلم يرحمهما فالقيا فيها وطينها عليهما

ذكر خلع القاهر وسمل عينيه

وكان سبب ذلك ان الوزير ابا علي بن مقلة كان قد هرب من القاهر حين قبض على مونس الخادم واختفى في داره وكان يراسل الجند يغريهم بالقاهر ويخوفهم سطوته واقدامه

وسرعة بطشه واخبرهم ان القاهر قد اعد لاكابر الامرا اماكن ليحبسهم فيها فهيجهم ذلك واسهم على القبض على القاهر فاجتمعوا واجمعوا رايهم على مناجزته في هذه الساعة فركبوا مع الامير المعروف بسيما وقصدوا دار الخلافة فاحاطوا بها ثم هجموا على القاهر من سائر ابوابها فخرج الوزير الخصيبي مستترا في زي امراة وانهزم القاهر وهو مخمور فاختفى في سطح حمام فظهروا عليه فقبضوه وحبسوه في مكان طريف السبكري واخرجوا طريفا واضطربت بغداد ونهبت وذلك يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الاولى من هذه السنة ثم احضروا فسملوا عينيه حتى سالتا على خديه وارتكب منه امر عظيم لم يسمع بمثله في الاسلام ثم ارسلوه فكان تارة يحبس وتارة يخلى سبيله وقد تاخرت موته الى سنة ثلاث وثلاثين واربعماية حتى قام يوما بجامع المنصور يسال الناس فاعطاه رجل خمسماية درهم وقيل انما اراد بهذا التشنيع على المكتفي بالله فالله اعلم وسنذكر ترجمته اذا ذكرنا وفاته

خلافة الراضي بالله ابي العباس

محمد بن المقتدر بالله

لما خلعت الجند القاهر وسملوه احضروا ابا العباس محمد بن المقتدر بالله فبايعوه على الخلافة ولقبوه الراضي بالله وقد كان ابو بكر الصولي اشار بان يلقب بالمرضي بالله فلم يقبل وحول الى هذا اللقب وذلك يوم الاربعا لست خلون من جمادى الاولى في هذه السنة اعني سنة ثنتين وعشرين وثلثماية وجاووا بالقاهر وهو اعمى قد سملت عيناه فاوقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة وسلمها اليه فقام الراضي باعبايها وكان من خيار الخلفا على ما سنذكره وامر باحضار ابي علي بن مقلة فولاه الوزارة وجعل علي بن عيسى ناظرا عليه واطلق كل من كان في حبس القاهر واستدعى عيسى طبيب القاهر فصادره بماية الف دينار وتسلم الوديعة التي كان القاهر اودعها عنده وكان جملة مستكثرة من الذهب والفضة والنقد يسيره وفي هذه السنة عظم امر مرداويج باصبهان وتحدث الناس انه يريد قصد بغداد وانه ممالي لصاحب البحرين وقد اتفقا على رد الدولة من العرب الى العجم واساء السيرة في رعيته لا سيما في خواصه من الاتراك فتمالوا على قتله فقتلوه فبعث الله وكان القايم باعباء ذلك اخص مماليكه واحظاهم عنده وهو بجكم يبيض الله وجهه ومن الامير هو الذي استنقذ الحجر الاسود من ايدي القرامطة وافتداه منهم بخمسين الف دينار بذلها لهم حتى ردوه الى مكة كما سياتي ولما قتل مرداويج من ديار الديلمي عظم امر علي بن بويه وارتفع قدره بين الناس وعلا شانه في الملوك وسياتي فيما آل اليه حاله ولما خلع القاهر وولي الراضي طمع هارون بن غريب في الخلافة لكونه ابن خال المقتدر وكان نايبا على ماه الكوفة والدينور وماسبذان فدعا الى ذلك واتبعه من الجند والامرا وجبى الاموال واستفحل امره وقويت شوكته وقصد بغداد فخرج اليه محمد بن ياقوت راس الحجبة في جميع جيش بغداد فاقتتلوا هنالك فخرج في بعض الايام هارون بن غريب يتفقد الجند بعمل حيلة ياسر محمد بن ياقوت فتقنطر به فرسه فسقط في نهر فضربه غلام له حتى قتله واخذ راسه وجاء به الى محمد بن ياقوت فانهزم اصحاب هارون ورجع محمد بن ياقوت فدخل بغداد وراس هارون بن غريب

يحمل بين يديه على رمح ففرح الناس بذلك وكان يوما مشهودا وفيها ظهر رجل ببغداد يعرف بابي جعفر محمد بن علي الشلمغاني ويقال له ابن ابي العزاقر فذكر عنه انه يدعي ما كان يدعيه الحلاج من الالهية وكان قد تمسك في دولة المقتدر عند حامد بن العباس واتهم بانه يقول بالتناسخ فانكر ذلك ولما كانت هذه المرة احضره الراضي وادعى عليه بما كان ذكر عنه فانكر ثم اقر ثانيا وافتى قوم ان دمه حلال الا ان يتوب من هذه المقالة فضرب ثمانين سوطا ثم ضربت عنقه وصلب والحق بالحلاج قبحهما الله وقتل معه صاحبه ابن ابي عون لعنه الله وهذا اللعين من جملة طايفة قد اتبعوه وصدقوه فيما يزعم من الكفر لعنهم الله وقد بسط ابن الاثير كلامهم مبسوطا من هولاء الكفرة بسطا جيدا وشبه مذهبهم بمذهب النصيرية لعنهم الله اجمعين وادعى رجل ببلاد الشاش النبوة واظهر مخاريق واشيا كثيرة من الحيل فجاءته الجيوش فقاتلوه فقتلوه واطفى خبره واضمحل امره

وفاة المهدي صاحب افريقية

اول خلفاء الفاطميين فيما زعموا

وفيها مات ابو محمد عبيد الله المدعي انه علوي الملقب بالمهدي باني المهدية بالمهدية عن ثلاث وستين سنة وكانت ولايته منذ دخل رقادة وادعى الامامة اربعا وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما وهو اول الخلفاء الفاطميين وقد كان شهما شجاعا ظفر بجماعة ممن خالفه وناواه وقاتله وعاداه وقد قام بامر الخلافة من بعده ولده ابو القاسم الملقب بالخليفة القايم بامر الله وحين توفي ابوه كتم موته سنة حتى دبر ما اراده من الامور ثم اظهر ذلك فعزاه الناس فيه وقد كان شهما شجاعا كابيه فتح البلاد وارسل السرايا الى بلاد الروم ورام اخذ الديار المصرية فلم يتفق له ذلك وانما جرى ذلك على يدي ابن ابنه المعز الفاطمي الذي بنى القاهرة المعزية كما سنذكره ان شا الله تعالى قال القاضي ابن خلكان في الوفيات وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافا كثيرا جدا فقال صاحب تاريخ القيروان هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقال غيره هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي احمد بن الرضي عبد الله وهولاء الثلاثة يقال لهم المستورون لخوفهم من خلفاء بني العباس والرضي عبد الله هذا هو ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وقيل غير ذلك في نسبه قال القاضي ابن خلكان والمحققون ينكرون دعواه في النسب قلت قد كتب غير واحد من الايمة منهم الشيخ ابو حامد الاسفرايني والقاضي الباقلاني والقدوري ان هولاء ادعيا ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه وان والد عبيد الله هذا كان يهوديا صباغا بسلمية وقيل كان اسمه سعيدا وانما لقب بعبيد الله وكان زوج امه الحسين بن احمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح وسمي القداح لانه كان كحالا يقدح العيون وكان الذي وطا له الامر بتلك البلاد ابو عبد الله الشيعي كما قدمنا ثم استدعاه فلما قدم من بلاد المشرق وقع في يد صاحب سجلماسة فسجنه فلم يزل الشيعي حتى استنقذه وولاه الامر ثم ندم الشيعي وهم بقتله ففطن عبيد الله له فقتله وقتل معه اخاه ويقال ان الشيعي لما دخل السجن اخذ صاحب سجلماسة قد قتله ووجد في السجن رجلا مجهولا فاظهره للناس وقال هذا هو المهدي وروج به الامر فهولاء من سلالة ذلك حكاه القاضي ابن خلكان

سلمية اسم

والله اعلم

والله اعلم وكان مولد المهدي هذا في سنة ستين ومايتين وقيل قبلها وقيل بعدها بسلمية وقيل بالكوفة واول ما دعي له على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لتسع بقين من ربيع الاخر سنة سبع وتسعين ومايتين بعد رجوعه من سجلماسة وكان ظهوره بها في ذي الحجة من السنة الماضية سنة ست وتسعين وزالت دولة بني العباس من تلك الناحية من هذا الحين الى ان ملكها العاضد في سنة سبع وستين وخمسماية وكانت وفاته بالمهدية التي بناها في ايامه ليلة الثلثا النصف من ربيع الاول من هذه السنة وقد جاوز الستين على المشهور والى الله عواقب الامور وسيفصل بين الامر والمامور يوم البعث والنشور

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر حدث عن ابيه بكتبه المشهورة وتوفي وهو على قضاء الديار المصرية في ربيع الاول من هذه السنة محمد بن احمد بن القاسم ابو علي الروذباري وقيل اسمه احمد بن محمد ويقال الحسن بن همام والصحيح الاول اصله من بغداد وسكن مصر وكان من ابناء الروساء الوزراء الكتبة وصحب الجنيد وسمع الحديث وحفظ منه كثيرا وتفقه بابراهيم الحربي واخذ النحو عن ثعلب وكان كثير الصدقة والبر للفقرا وكان اذا اعطى الفقير شيئا جعله في كفه ثم يتناوله الفقير يريد ان لا يكون يد الفقير تحت يده ومن شعره

لو مضى الكل مني لم يكن عجبا ... وانما عجبي في البعض كيف بقي
ادرك بقية روح منك قد تلفت ... قبل الفراق فهذا اخر الرمق

محمد بن احمد بن اسماعيل المعروف بخير النساج ابو الحسن الصوفي من كبار المشايخ ذوي الاحوال الصالحة والكرامات المشهورة ادرك سريا السقطي وغيره من مشايخ القوم وعاش ماية وعشرين سنة ولما حضرته الوفاة نظر الى زاوية البيت فقال قف رحمك الله فانك عبد مامور وانا عبد مامور وما امرت به لا يفوت وما امرت به يفوت ثم قام فتوضا وصلى وتمدد ومات رحمه الله وقد رآه بعضهم في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال لا تسل عن هذا ولكن استرحنا من دنياكم الوضرة

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثماية

فيها احضر ابن شنبوذ المقري فانكر جماعة من الفقهاء والقراء عليه حروفا انفرد بها فاعترف ببعضها وانكر بعضها فاستتيب من ذلك واستكتب خطه بالرجوع عما نقم عليه وضرب سبع درر باشارة الوزير ابي علي بن مقلة ونفي الى البصرة فدعا على الوزير ان يقطع يده ويشتت شمله فكان ذلك عما قريب وفيها في جمادى الاخرة منها نادى بدر الحرسي صاحب الشرطة في الجانبين من بغداد ان لا يجتمع اثنان من اصحاب ابي محمد البربهاري الواعظ الحنبلي وحبس منهم جماعة واستتر البربهاري فلم يظهر مدة قال ابن الجوزي في المنتظم وفي شهر ايار تكاثفت الغيوم واشتد الحر جدا فلما كان اخر يوم منه وهو الخامس والعشرون من جمادى الاخرة من هذه السنة هبت ريح شديدة جدا واظلمت واسودت الدنيا من بعد العصر ثم خفت ثم عادت الى بعد عشاء الاخرة واستبطا الاجناد ارزاقهم فقصدوا دار الوزير ابي علي بن مقلة فنقبوها واخذوا ما فيها ووقع حريق

عظيم في طريق الرازين فاحترق بسببه للناس شي كثير فعرض عليهم الراضي بالله بعض
ما كان ذهب لهم وفي رمضان اجتمع جماعة من الامرا على بيعة جعفر بن المكتفي وظهر الوزير
على امرهم فحبس جعفر ونهبت داره وحبس جماعة ممن كان معه بايعه وانطفات نائره
وخرج الحجاج في خفارة الامير لولو فاعترضهم ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الجنابي
لعنه الله فقتل اكثرهم ورجع من انهزم منهم الى بغداد وبطل الحج في هذه السنة من طريق
العراق وكان قتله لهم في ليلة الاربعا لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة قال
ابن الجوزي وفي هذه الليلة بعينها تساقطت كواكب كثيرة ببغداد والكوفة على صفة
لم ير مثلها ولا ما يقاربها قال وغلا السعر في هذه السنة حتى ابيع الكر من الحنطة
بمائة وعشرين دينارا ومنها على الصحيح كان مقتل مرداويج بن زياد الديلمي وكان قبحه
الله سيي السيرة والسريرة يزعم ان روح سليمان بن داود حلت فيه وله سرير من
ذهب يجلس عليه وان الاتراك بين يديه ويزعم انهم الجن الذين سخروا لسليمان بن داود
وكان يسيي المعاملة لهم ويحتقرهم غاية الاحتقار فما زال ذلك دابه حتى امكنهم الله منه
فقتلوه في حمام وكان الذي مالا على قتله غلامه بجكم التركي جزاه الله عن الاسلام واهله
خيرا وكان ركن الدولة بن بويه رهينة عنده فلما قتل اطلق من السجن والقيد وذهب
الى اخيه عماد الدولة وذهبت طايفة من الاتراك معه الى اخيه والتفت طايفة اخرى
من الاتراك على بجكم فسار بهم الى بغداد باذن الخليفة ثم صرفوا الى البصرة فكانوا بها
واما الديلم فانهم بعثوا الى اخي مرداويج وهو وشمكير فلما قدم عليهم تلقاه الى اثنا الطريق
حفاة مشاة فملكوه عليهم لئلا يذهب ملكهم فانتدب لمحاربته السعيد بن نصر بن احمد
الساماني صاحب خراسان وما والاها من تلك البلاد والاقاليم فانتزع منه بلدانا
هائلة ومنها بعث القايم بالله الفاطمي جيشا من افريقية في البحر الى ناحية الفرنج
فافتتحوا مدينة جنوه وغنموا غنايم كثيرة وثروة ورجعوا سالمين غانمين ومنها
بعث عماد الدولة بن بويه اخاه ركن الدولة الى اصبهان فاستولى عليها وعلى بلاد الجبل
واتسعت مملكة عماد الدولة وقويت شوكته وعظمت منزلته ومنها كان غلاء شديد
بخراسان وفناء كثير بحيث كان يهمهم دفن الموتى ومنها قتل ناصر الدولة ابو محمد الحسن
ابن عبد الله بن حمدان نايب الموصل عمه ابا العلا سعيد بن حمدان لانه اراد ان ينتزعها
منه فبعث اليه الخليفة وزيره ابا علي بن مقلة في جيوش فهرب منه ناصر الدولة فلما
طال مقام ابن مقلة بالموصل رجع الى بغداد فاستقرت يد ناصر الدولة على الموصل
وبعث الى الخليفة يسال ان يضمن تلك الناحية فاجيب الى ذلك واستمر الحال على
ما كان وخرج الحجيج فلقيهم القرمطي في القادسية فقاتلوه فظفر بهم فسالوه الامان
فامنهم على ان يرجعوا الى بغداد فرجعوا وتعطل عليهم الحج عامهم ذلك

وممن توفي فيها من الاعيان نفطويه النحوي

ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة الازدي
ابو عبد الله العتكي المعروف بنفطويه النحوي له مصنفات فيه وقد سمع الحديث
وروى عن المشايخ وحدث عنه الثقات من الناس وكان صدوقا وله اشعار حسنة
وروى الخطيب عن نفطويه انه مر على بقال فقال له ايها الشيخ كيف الطريق الى

درب الرواسين يعني درب الرواسين فالتفت البقال الى جاره فقال له قبح الله غلامي
ابطا علي بالسلق فلو كان عندي لصفعت هذا بجرزة منه فانصرف عنه نفطويه
ولم يرد عليه توفي نفطويه عن ثلاث وثمانين سنة في صفر من هذه السنة وصلى عليه
البربهاري رئيس الحنابلة ودفن بمقابر باب الكوفة توفي نفطويه عن ثلاث وثمانين
سنة في صفر من هذه السنة ومما انشده له ابو علي القالي في الامالي

قلبي ارق عليك من خديكا • وقواي اوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن يعذب نفسه • ظلما ويعطفه هواه عليكا

قال ابن خلكان وفي نفطويه يقول ابو عبد الله محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي
المتكلم المشهور صاحب الامامة واعجاز القران وغير ذلك

من سره ان لا يرى فاسقا • فليجتهد ان لا يرى نفطويه
احرقه الله بنصف اسمه • وصير الباقي صراخا عليه

وقال الثعالبي انما سمي نفطويه لدمامته وادمته وقال ابن خالويه لا يعرف من اسمه
ابراهيم وكنيته ابو عبد الله سواه عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ابو عبد
الله الهاشمي العباسي حدث عن بشار بن نصر الحلبي وغيره وعنه الدارقطني وكان ثقة
فاضلا فقيها شافعيا عبد الملك بن محمد بن عدي ابو نعيم الاستراباذي المحدث الفقيه
الشافعي ايضا توفي عن ثلاث وثمانين سنة علي بن الفضل بن طاهر بن نصر بن محمد ابو
الحسن البلخي كان من الجوالين في طلب الحديث وكان ثقة حافظا سمع ابا حاتم الرازي
وغيره وعنه الدارقطني وغيره محمد بن احمد بن اسد ابو بكر الحافظ ويعرف بابن البستنبان
سمع الزبير بن بكار وغيره وعنه الدارقطني وغيره جاوز الثمانين سنة

ثم دخلت سنة اربع وعشرين وثلثمائة

فيها جاء الجند فاحدقوا بدار الخلافة وقالوا ليخرج الينا الخليفة الراضي بنفسه
فيصلي بهم وخطبهم فخرج فصلى وخطب فقبض الغلمان على الوزير ابي علي بن مقلة وسالوا الخليفة
ان يستوزر غيره فرد الخيرة عليهم فاختاروا علي بن عيسى فلم يقبل واشار باخيه عبد الرحمن
بن عيسى فاستوزره واحرقت دار ابي علي بن مقلة وسلم هو الى عبد الرحمن بن عيسى وضرب
ضربا عنيفا واخذ خطه بالف الف دينار ثم عجز عبد الرحمن بن عيسى فعزل بعد خمسين
يوما وقلد الوزارة ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي فصادر علي بن عيسى بمائة الف
دينار وصادر اخاه عبد الرحمن بن عيسى بسبعين الف دينار ثم عزل بعد ثلاثة اشهر
ونصف وقلد سليمان بن الحسن ثم عزل بابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ولكن في
السنة الاتية واحرقت داره كما احرقت دار ابن مقلة في اليوم الذي احرقت تلك فيه
بينهما سنة واحدة وهذا كله من تخبيط الاتراك والغلمان ولما احترقت دار ابن
مقلة في هذه السنة كتب بعض الناس على بعض جدرانها

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وضعف امر الخلافة جدا وبعث الراضي الى محمد بن رائق وكان بواسط يستدعيه اليه ليوليه
امرة الامرا ببغداد وامر الخراج والمعاون في جميع البلاد والدواوين وامر ان يخطب له على
جميع المنابر وانفذ اليه بالخلع فقدم ابن رائق الى بغداد على ذلك كله ومعه الامير بجكم التركي
غلام مرداويج وهو الذي ساعد على قتله واراح المسلمين منه واستحوذ على امر العراق
بكماله ونقل اموال بيت المال الى داره ولم يبق للوزير تصرف في شي بالكلية ووهى امر
الخلافة جدا واستقل نواب الاطراف بالتصرف فيها ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد
ومعاملتها ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شي ولا كلمة تطاع وانما يحمل اليه ابن رائق
ما يحتاج اليه من الاموال والنفقات ونحوها وهكذا صار امر من جاء بعده من امرا الامراء واما
بقية الاطراف فالبصرة مع ابن رائق هذا وامر خوزستان في يد ابي عبد الله البريدي وقد
غلب ياقوت في هذه السنة على ما كان بيده من مملكة تستر وغيرها واستحوذ على حواصله
واموالها وامر فارس الى عماد الدولة ابي الحسن علي بن بويه والري واصبهان والجبل بيد
اخيه ركن الدولة بن بويه وينازعه في ذلك وشمكير اخو مرداويج وكرمان بيد ابي علي محمد
بن الياس بن اليسع وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان ومصر
والشام في يد محمد بن طغج وبلاد افريقية والمغرب بيد القائم بامر الله بن المهدي المدعي انه
فاطمي وقد تلقب بامير المومنين والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموي
وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن احمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد
الديلم والبحرين واليمامة وهجر في يد ابي طاهر سليمان بن ابي سعيد الجنابي القرمطي لعنه الله
وفيها وقع ببغداد غلاء عظيم وفناء كثير بحيث عدم الخبز منها خمسة ايام ومات من اهل
البلد خلق كثير واكثر ذلك كان في الضعفاء وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لهم من
يقوم بامرهم ويحمل على الجنازة الواحدة الاثنان من الموتى وربما يوضع بينهما الصبي وربما
حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى يوضع فيها جماعة ومات من اهل اصبهان نحو من مائتي
الف انسان وفيها وقع حريق بعمان احترق فيه من السودان الف ومن البيضان خلق وكان
من جملة ما احترق فيها اربعمائة حمل كافور وعزل الخليفة احمد بن كيغلغ عن نيابة الشام واضاف
ذلك الى ابن طغج نائب الديار المصرية وفيها ولد عضد الدولة ابو شجاع فناخسرو
ابن ركن الدولة بن بويه باصبهان

وممن توفي فيها من الاعيان

ابن مجاهد المقرى

ابو بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرى احد الايمة في هذا الشان حدث عن خلق
كثير وروى عنه الدارقطني وغيره وكان ثقة مامونا يسكن الجانب الشرقي من بغداد
وكان ثعلب يقول ما بقي في عصرنا احد اعلم بكتاب الله منه وكانت وفاته يوم الاربعا
واخرج يوم الخميس لعشر بقين من شعبان من هذه السنة وقد راه بعضهم في المنام وهو
يقرا فقال له اما مت فقال بلى ولكن كنت ادعو الله عقب كل ختمة ان اكون ممن يقرا
في قبره فانا ممن يقرا في قبره رح

جحظة الشاعر البرمكي

احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي ابو الحسن النديم المعروف بجحظة
الشاعر الماهر الاديب الاخباري ذو الفنون في العلوم والنوادر الحاضرة وكان جيد الغنا
ومن شعره

قد نادت الدنيا على نفسها   لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر واريته   وجامع بددت ما يجمع

وكتب له بعض الملوك رقعة على صيرفي بمال اطلقه له فلم يتحصل منها على شي فتعذر
عليه قبضها فكتب الى الملك يذكر له صورة الحال

اذا كانت صلاتكم رقاعا   تخطط بالانامل والاكف
ولم تجد الرقاع علي نفعا   فها خطي خذوه بالف الف

ومن شعره يهجو صديقا له ويذمه على شدة بخله وحرصه

لنا صاحب من ابدع الناس في البخل   وافضلهم فيه وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه   فجيت كما ياتي الى مثله مثلي
فلما جلسنا للغداء رايته   يرى انما من بعض اعضائه اكلي
ويغتاظ احيانا ويشتم عبده   واعلم ان الغيظ والشتم من اجلي
امد يدي سرا لاكل لقمة   فيلحظني شزرا فاعبث بالبقل
الى ان جنت كفي لحيني جناية   وذلك ان الجوع اعدمني عقلي
فاهوت يميني نحو رجل دجاجة   فجرت كما جرت يدي رجلها رجلي

ومن قوي شعره وجيد قوله

رحلتم فكم من انة بعد حنة   مبينة للناس حزني عليكم
وقد كنت اعتقت الجفون من البكا   فقد ردها في الرق شوقي اليكم

ومما اورده له القاضي ابن خلكان من الشعر الرايق قوله

فقلت لها بخلت علي يقظى   فجودي في المنام لمستهام
فقالت لي وصرت تنام ايضا   وتطمع ان ازورك في المنام

قال وانما لقبه بجحظة عبد الله بن المعتز وذلك لسوء منظره كما ذكرنا بعض
من هجاه

نبيت جحظة يستعير جحوظه   من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحمتا لمنادميه تحملوا   الم العيون للذة الاذان

ابن المغلس الفقيه الظاهري

عبد الله بن احمد بن محمد المغلس ابو الحسن الفقيه الظاهري المشهور له المصنفات
المفيدة في مذهبه اخذ الفقه عن ابي بكر بن داود وروى عن عبد الله بن احمد بن حنبل
وعلي بن داود القنطري وابي قلابة الرقاشي وآخرين وكان ثقة فاضلا وهو الذي
نشر علم داود في تلك البلاد توفي بالسكتة • ابو بكر بن زياد النيسابوري عبد الله بن
محمد بن زياد بن واصل بن ميمون ابو بكر الفقيه الشافعي النيسابوري مولى ابان بن
عثمان رحل الى العراق والشام ومصر وسكن بغداد وحدث عن محمد بن يحيى الذهلي
وعباس الدوري وخلق وعنه الدارقطني وغيره واحد من الحفاظ قال الدارقطني لم نر
في مشايخنا احفظ منه للاسانيد والمتون وكان افقه المشايخ جالس المزني والربيع

وقال ابو عبد الله بن بطة كنا نحضر مجلس ابن زياد فكان يحزر من يحضر المجلس من اصحاب المحابر بثلاثين الفا وقال الخطيب انا ابو سعد الماليني انا يوسف بن عمر بن مسرور سمعت ابا بكر بن زياد النيسابوري يقول اتعرف من اقام اربعين سنة لم ينم الليل ويتقوت كل يوم بخمس حبات ويصلي صلاة الغداة بطهارة العشاء ثم يقول انا هو هذا كله قبل ان اعرف ام عبد الرحمن ايش اقول لمن زوجني ثم قال في اثر هذا ما اراد الا الخير توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة عفان بن سليمان بن الحسن بن ايوب ابو الحسن التاجر اقام بمصر واوقف بها اوقافا داره على اهل الحديث وعلى سلالة العشرة رضي الله عنهم وكان تاجرا موسعا عليه مقبول الشهادة عند الحكام توفي في شعبان من هذه السنة

ابو الحسن الاشعري

علي بن اسماعيل بن ابي بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة بن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري قدم بغداد واخذ السنة عن زكريا بن يحيى الساجي وتفقه بابن سريج وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية وقد ذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وانه كان يجلس في حلقة الشيخ ابي اسحاق المروزي وقد كان معتزليا قبل ذلك فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ثم اظهر فضائحهم وقبائحهم وذكر له من التصانيف الموجز وغيره وحكى عن ابن حزم انه خمسة وخمسين تصنيفا وذكر ان مغله في كل سنة كان سبعة عشر درهما وانه كان من اكثر الناس دعابة وانه ولد سنة سبعين ومائتين وقيل سنة ستين ومائتين ومات في هذه السنة وقيل سنة بضع وثلاثين فالله اعلم محمد بن الفضل بن عبد الله ابو ذر التميمي كان رئيس جرجان سمع الكثير وتفقه لمذهب الشافعي وكانت داره مجمع العلماء وله افضال كثير على طلبة العلم من اهل زمانه هرون بن المقتدر اخو الخليفة الراضي توفي في ربيع الاول لستة خلون فحزن عليه اخوه وامر بنفي بختيشوع بن يحيى المتطبب الى الانبار لانه اتهم في علاجه ثم شفع فيه ام الراضي

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلثمائة

في المحرم منها خرج الخليفة الراضي وامير الامراء محمد بن رائق من بغداد قاصدين واسط لقتال ابي عبد الله البريدي نائب الاهواز الذي قد تجبر بها ومنع الخراج فلما صار الى ابن رائق الى واسط خرج عليه الحجرية فقاتلوه فسلط عليهم بجكم فطحنهم ورجع فلهم الى بغداد فتلقاهم لؤلؤ امير الشرطة فاحتاط على اكثرهم ونهبت دورهم ولم يبق لهم راس يرتفع وقطعت ارزاقهم من بيت المال بالكلية وبعث الخليفة وابن رائق الى ابي عبد الله البريدي يتهدده فاجاب الى حمل كل سنة ثلثمائة الف وستين الف دينار يقوم بحمل كل شهر على حدته والى ان يجهز جيشا الى قتال عضد الدولة بن بويه فلما رجع الخليفة الى بغداد وابن رائق لم يحمل شيئا ولم يبعث احدا ثم بعث ابن رائق بجكم وبدرا الخرشني لقتال ابي عبد الله البريدي فجرت بينهم حروب وخطوب يطول ذكرها ثم لجا البريدي الى عماد الدولة بن بويه فاستجار به واستحوذ بجكم على بلاد الاهواز وجعل اليه ابن رائق خراجها وحربها وكان بجكم هذا شجاعا فاتكا وفي ربيع الاول خلع الخليفة على بجكم

وعقد له الامارة ببغداد وولاه نيابة المشرق الى خراسان

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو حامد بن الشرقي

احمد بن محمد بن الحسن ابو حامد الشرقي مولده سنة اربعين ومائتين وكان حافظا كبير القدر كثير الحفظ كثير الحج رحل الى الامصار وجاب الاقطار وسمع من الكبار نظر اليه ابن خزيمة يوما فقال حياة ابي حامد تحجز بين الناس وبين الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن محمد بن سفيان ابو الحسين الخزاز النحوي حدث عن المبرد وثعلب وكان ثقة له مصنفات في علوم القرآن غزيرة الفوائد محمد ابن اسحاق بن يحيى ابو الطيب النحوي ابن الوشاء له مصنفات مليحة في الاخبار وقد حدث عن الحرث بن ابي اسامة والمبرد وثعلب وغيرهم محمد بن احمد بن هارون ابو بكر العسكري الفقيه على مذهب ابي ثور روى عن الحسن بن عرفة وعباس الدوري وعنه الدارقطني والآجري وغيرهما

ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلثمائة

فيها ورد كتاب من ملك الروم الى الخليفة الراضي مكتوب بالرومية والتفسير بالعربية فالرومي بالذهب والعربي بالفضة وحاصله طلب الهدنة بينه وبينه ووجه مع الكتاب بهدايا والطاف كثيرة فاخرة فاجابه الخليفة الى ذلك وفودي من المسلمين ستة الاف ما بين ذكر وانثى على نهر البدندون وفيها ارتحل الوزير ابو الفتح بن الفرات من بغداد الى الشام وترك الوزارة فوليها ابو علي بن مقلة ولكن كانت ولايته ضعيفة جدا ليس له من الامر شيء مع ابن رائق وطلب من ابن رائق ان يفرغ له عن املاكه فجعل يماطله فكتب الى بجكم يطمعه في بغداد وان يكون عوضا عن ابن رائق وكتب ابن مقلة الى الوزير الخليفة الراضي يطلب منه ان يسلم اليه محمد بن رائق واخصائه وله بحصتهم بالفي الف دينار فبلغ ذلك ابن رائق فاخذه فقطع يده وقال هذا افسد في الارض ثم جعل يحسن للخليفة ان يستوزره وان قطع يده لا يمنعه من الكتابة وانه يشد القلم على يده فيكتب بها فاخذه ابن رائق ايضا فقطع لسانه وسجنه في مكان ضيق وليس عنده من يخدمه فكان يستقي الماء بنفسه بفمه والحبل من البير بيده اليسرى ثم يمسكه بفمه بفيه ولقي شدة وعناء ومات في محبسه هذا وحيدا ودفن هناك ثم سال اهله نقله فدفن في داره ثم نقل منها الى غيرها فاتفق له اشياء غريبة منها انه وزر ثلاث مرات وعزل ثلاث مرات وولي لثلاثة من الخلفاء ودفن ثلاث مرات وسافر في عمره ثلاث سفرات مرتين منفيا ومرة في وزارته الى الموصل كما تقدم وفي هذه السنة دخل بجكم الى بغداد فقلده الراضي امرة الامراء مكان ابن رائق وقد كان بجكم هذا من غلمان ابي علي العارض وزير ماكان بن كالي الديلمي فاستوهبه ماكان من الوزير فوهبه له ثم فارقه ماكان ولحق بمرداويج وكان في جملة من قتله بالحمام كما تقدم وتمكن بجكم بدار مونس الخادم وعظم امره جدا وانفصل ابن رائق وكانت ايامه سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما ومنها بعث عماد الدولة بن بويه

اخاه معز الدولة فاخذ بلاد الاهواز لابي عبد الله البريدي وانتزعها من بجكم
واعادها اليه وفيها استولى لشكري احد امراء وشمكير الديلمي على بلاد اذربيجان
وانتزعها من رستم بن ابراهيم الكردي احد اصحاب ابن ابي الساج بعد قتال
طويل وفي هذه السنة اضطرب امر القرامطة جدا وقتل بعضهم بعضا واكفوا
بسبب ذلك عن الفساد في الارض ولزموا بلدهم هجر يرعون منها لا ينتقلون الى
غيره ولله الحمد والمنة ومن توفي فيها من الاعيان احمد بن زياد بن عبد الرحمن
اللخمي الاندلسي وكان ابوه من اصحاب مالك وهذا الرجل هو اول من ادخل فقه مالك
الاندلس وقد عرض عليه القضا بها فلم يقبل

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلثماية

في المحرم منها خرج الراضي بالله امير المومنين من بغداد الى الموصل لمحاربة ناصر
الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان نائبها وبين يديه بجكم امير الامرا وقاضي
القضاة ابو الحسين عمر بن محمد بن يوسف وقد استخلف ببغداد ولده القاضي
ابا نصر يوسف بن عمر على القضا عن امر الخليفة لذلك وكان عالما فاضلا ولما انتهى
بجكم الى الموصل واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان فهزم بجكم الحسن بن حمدان
وقرر الخليفة امر الموصل والجزيرة واما محمد بن رائق فانه اغتنم غيبة الخليفة
عن بغداد واستجاش بالقرامطة وجاء فدخل بهم بغداد فاكثر فيها الفساد
غير انه لم يتعرض لدار الخلافة ثم بعث الى الخليفة يطلب منه المصالحة والعفو
عما جرى فاجابه الى ذلك وبعث اليه قاضي القضاة ابا الحسين عمر بن محمد بن يوسف
ورحل ابن رائق عن بغداد ودخلها الخليفة في جمادى الاولى من هذه السنة ففرح
المسلمون بذلك ونزل عند غروب الشمس وليلة من شهر آذار وذلك في جمادى
الاولى مطر عظيم وبرد كبار كل واحدة نحو الاوقيتين واستمر فسقط بسببه
دور كثيرة من بغداد وظهر جراد كثير في هذه السنة وكان الحج من جهة درب العراق
قد تعطل من سنة سبع عشرة وثلثماية الى هذه السنة فشفع الشريف ابو علي
عمر بن يحيى العلوي عند القرامطة وكانوا يحبونه لشجاعته وكرمه في ان يمكنوا
الحجيج من الحج وان يكون لهم على كل جمل خمسة دنانير وعلى المحمل سبعة دنانير فخرج
الناس للحج في هذه السنة على هذا الشرط فكان من جملتهم الشيخ ابو علي بن ابي هريرة
احد ايمة الشافعية فلما اجتاز بهم طالبوه بالخفارة فثنى راس راحلته ورجع
وقال ما رجعت شحا ولكن سقط عني وجوب الحج بطلب هذه الخفارة وفي هذه
السنة وقعت فتنة بالاندلس وذلك ان عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس
الملقب بالناصر لدين الله قتل وزيره احمد فغضب له اخوه امية بن اسحاق
وكان نائبا على مدينة شنترين فارتد ودخل بلاد النصارى واجتمع بملكهم ردمير
ودلهم على عورات المسلمين فسار اليهم في جيش كثيف من الجلالقة فخرج اليهم الاموي
فاوقع بهم باسا شديدا وقتل من الجلالقة خلقا كثيرا ثم كر الفرنج على المسلمين فقتلوا
منهم خلقا كثيرا قريبا مما قتلوا منهم ثم والى المسلمون الغارات على بلاد الجلالقة
فقتلوا منهم امما لا يحصون كثرة ثم ندم امية بن اسحاق على ما صنع فطلب الامان

من عبد الرحمن

من عبد الرحمن فبعث اليه بالامان فلما قدم عليه تقبله واحترمه

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

الحسن بن القاسم بن جعفر بن دحيم ابو علي الدمشقي من ابناء المحدثين وكان اخباريا له
في ذلك مصنفات وقد حدث عن العباس بن الوليد البيروتي وغيره وكانت وفاته بمصر
في محرم هذه السنة وقد قارب الثمانين سنة الحسين بن القسم بن جعفر بن محمد
بن خالد بن بشر ابو علي الكوكبي الكاتب صاحب الاخبار والاداب روى عن احمد بن ابي
خيثمة وابي العينا وابن ابي الدنيا وروى عنه الدارقطني وغيره عثمان بن الخطاب بن عبد
الله ابو عمرو البلوي المغربي الاشج ويعرف بابن ابي الدنيا قدم هذا الرجل بغداد بعد الثلثماية
وزعم انه ولد اول خلافة ابي بكر ببلاد المغرب وانه وفد هو وابوه الى علي بن ابي طالب فاصابهم
في الطريق عطش شديد فذهب يرتاد لابيه ماء فراى عينا فشرب منها واغتسل ثم جاء
الى ابيه ليسقيه فمات ابوه وقدم هو على علي بن ابي طالب فاراد ان يقبل ركبته فصدمته
الركاب فشج راسه فكان يعرف بالاشج وقد صدقه في هذا الزعم طائفة من الناس ورووا عنه
نسخة فيها احاديث من روايته عن علي ممن صدقه في ذلك الحافظ محمد بن احمد بن المفيد
ورووا ما عنده ولكن كان المفيد متهما بالتشيع فسمح له في ذلك لانتسابه الى علي واما جمهور المحدثين
قديما وحديثا فكذبوه في ذلك وردوا عليه كذبه ونصوا على ان النسخة التي رووها موضوعة
منهم الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد السلفي واشياخنا الذين ادركناهم شيخ الاسلام ابن تيمية
والجهبذ ابو الحجاج المزي والحافظ مورخ الاسلام ابو عبد الله الذهبي وقد حررت ذلك في كتابي
التكميل ولله الحمد والمنة قال المفيد بلغني ان المغربي مات سنة سبع وعشرين وثلثماية
وهو راجع الى بلده محمد بن جعفر بن محمد بن سهل ابو بكر الخرائطي صاحب المصنفات اصله من اهل
سر من راى سكن الشام وحدث بها عن الحسن بن عرفة وغيره وممن توفي فيها الحافظ الكبير
ابن الحافظ الكبير ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس الرازي صاحب كتاب الجرح والتعديل
وهو من اجل الكتب المصنفة في هذا الشان وله التفسير الحافل الذي اشتمل على النقل
الكامل الذي يربي فيه على تفسير ابن جرير وغيره من المفسرين وله كتاب العلل المصنفة
المرتبة على ابواب الفقه وغير ذلك من المصنفات النافعة وكان من العبادة والزهادة
والورع والحفظ والكرامات الكثيرة المشهورة على جانب كبير رحمه الله واكرم مثواه
صلى مرة فلما سلم قال له بعض من صلى معه لقد اطلت علينا ولقد سبحت في سجودي
سبعين مرة فقال عبد الرحمن لكني والله ما سبحت الا ثلاث مرات وتهدم سور بعض بلاد
الثغور فتكلم عبد الرحمن بن ابي حاتم يوما على الناس وحثهم على عمارته وقال من يعمره
واضمن له على الله الجنة فقام رجل من التجار فقال اكتب لي بخطك بهذا الضمان وهذه
الف دينار لعمارته فكتب له رقعة بذلك وعمر ذلك السور ثم اتفق موت ذلك الرجل
عما قريب فلما حضر الناس جنازته طارت من كفنه رقعة وهي التي كان كتبها له ابن ابي حاتم
ثم عادت وقد كتب في ظاهرها قد امضينا لك هذا الضمان ولا تعد الى ذلك

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلثماية

قال ابن الجوزي في منتظمه في غرة المحرم منها ظهرت في الجو حمرة شديدة من ناحية
الشمال والمغرب وفيها اعمدة بيض عظيمة كثيرة العدد وفيها وصل الخبر بان ركن الدولة

ابا علي الحسن بن بويه الديلمي قد وصل الى واسط فركب الخليفة وبجكم لقتاله فانصرف راجعا ورجعا الى بغداد وفي هذه السنة ملك ركن الدولة بن بويه مدينة اصبهان اخذها من وشمكير اخي مرداويج لقلة جيشه في ذلك الحين وفي شعبان زادت دجلة زيادة عظيمة وانتشرت في الجانب الغربي وسقطت دور كثيرة وانبثق بثق من نواحي الانبار فغرق قرى كثيرة وهلك بسببه حيوانات وسباع كثيرة في البرية وفيها تزوج بجكم بسارة بنت ابي عبد الله البريدي وهو محمد بن احمد بن يعقوب الوزير يومئذ ببغداد ثم صرف عن الوزارة لسليمان بن الحسن وضمن البريدي بلاد واسط واعمالها بستماية الف دينار وفيها توفي قاضي القضاة ابو الحسن عمر بن محمد بن يوسف وتولى مكانه ولده ابو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف وخلع عليه الراضي يوم الخميس لخمس من شعبانها ولما خرج ابو عبد الله البريدي الى واسط كتب الى بجكم يحثه على الخروج الى بلاد الجبل ليفتحها ويساعده هو على اخذ الاهواز من يد عماد الدولة بن بويه وانما كان قصده ان يستغيبه عن بغداد ليأخذها فلما انفصل بجكم بالجنود بلغه ما يؤمله ابو عبد الله البريدي من المكيدة فرجع سريعا الى بغداد وركب في جيش كثيف الى واسط واخذ الطرق من كل جانب لئلا يشعر به الا وهو عنده فاتفق انه كان راكبا في زورق وعنده كاتب له اذ سقطت حمامة على حافة السفينة وفي ذنبها كتاب فاخذه بجكم فقال له ويحك اهذا خطك قال نعم ولم يقدر على الانكار فامر بقتله فقتل والقي في دجلة وحين شعر البريدي بقدوم بجكم هرب الى البصرة ولم يقم بها ايضا فاستولى بجكم على واسط وتسلط الديلم على جيشه الذي خلفهم بالجبل فرجعوا سراعا الى بغداد وفي هذه السنة استولى محمد بن رائق على بلاد الشام فدخل حمص اولا فاخذها ثم جاء الى دمشق وعليها بدر بن عبد الله الاخشيذي المعروف ببدير من جهة الاخشيذ محمد بن طغج فاخرجه ابن رائق منها قهرا واستولى عليها ثم ركب في جيش الى الرملة فاخذها ثم قصد عريش مصر ليدخلها فلقيه محمد بن طغج الاخشيذ فاقتتلا هنالك فهزمه ابن رائق واشتغل اصحابه بالنهب ونزلوا في خيام المصريين فكرت عليهم المصريون فقتلوهم قتلا عظيما وهرب محمد بن رائق في سبعين رجلا من اصحابه فدخل دمشق في اسوء حالة وشرها وسير اليه محمد بن طغج اخاه نصر بن طغج في جيش فاقتتلوا عند اللجون في رابع ذي الحجة فهزم المصريون وقتل اخو الاخشيذ فيمن قتل فغسله محمد بن رائق وكفنه وبعث به الى اخيه بمصر وارسل معه ولده وكتب اليه يحلف له انه ما اراد قتله وهذا ولدي فاقتد منه فاكرم الاخشيذ ولد محمد بن رائق واصطلحا على ان تكون الرملة وما بعدها للاخشيذ ويحمل اليه الاخشيذ مائة الف دينار واربعين الف دينار وما بعد الرملة يكون لمحمد بن رائق

وممن توفي في هذه السنة

جعفر المرتعش ابو محمد

احد مشايخ الصوفية كذا ذكره الخطيب وقال ابو عبد الرحمن السلمي اسمه عبد الله بن محمد ابو محمد النيسابوري كان من ذوي الاموال فتخلى منها وصحب الجنيد وابا حفص وابا عثمان واقام ببغداد حتى صار شيخ الصوفية فكان يقال عجائب بغداد ثلاث اشارات الشبلي ونكت المرتعش وحكايات جعفر الخواص سمعت ابا الفرج الصائغ يقول قال المرتعش

من ظن

من ظن انه يتخلص من النار او يبلغ الرضوان فقد جعل لنفسه وبفعله خطرا ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله اقصى منازل الرضوان وقيل للمرتعش ان فلانا يمشي على الماء فقال ان مخالفة الهوى اعظم من المشي على الماء ولما حضرته الوفاة وهو بمسجد الشونيزية حسبوا ما عليه من الدين فاذا عليه سبعة عشر درهما فقال بيعوا خريقتي هذه فيها فارجوا ان يرزقني الله كفنا وقد سألت الله ثلاثة اشياء ان لا يميتني وانا فقير وان يجعل وفاتي في هذا المسجد فاني صحبت فيه اقواما وان يجعل عندي من آنس به واحبه ثم غمض عينيه ومات

ابو سعيد الاصطخري ٥

الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل بن يسار ابو سعيد الاصطخري احد ائمة الشافعية وكان من الزهاد ورعا ناسكا عابدا تولى القضاء بقم ثم حسبة بغداد وكان يدور بها ويصلي على بغلته وهو سائر بين الازقة وكان متقللا جدا وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية بما فيه كفاية وله كتاب القضاء لم يصنف مثله في بابه توفي وقد قارب التسعين رحمه الله علي بن محمد ابو الحسن المزين الصغير احد مشايخ الصوفية اصله من بغداد وصحب الجنيد وسهلا التستري وجاور بمكة حتى توفي في هذه السنة وكان يحكي عن نفسه قال وردت بيرا في ارض تبوك فلما دنوت منها لقيت فسقطت في البير ولم يرني احد فلما كنت في اسفله مصطبة فعلوتها وقلت ان مت لا افسد على الناس الماء وسكنت نفسي وطابت للموت فبينما انا كذلك اذا انا قد دلت علي افعى فلفت علي ذنبها ثم رفعتني حتى اخرجتني الى وجه الارض وانسابت فلم ادر اين ذهبت ولا من اين جاءت وفي مشايخ الصوفية اخر يقال له ابو جعفر المزين الكبير جاور بمكة ومات بها ايضا وكان من العباد روى الخطيب عن علي بن ابي علي عن ابراهيم ابن محمد الطبري عن جعفر الخلدي قال ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير فقلت له زودني فقال لي اذا افتقدت شيئا فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء قال وجئت الى الكتاني فودعته وسألته ان يزودني فاعطاني خاتما على فصه نقش فقال اذا اغتممت فانظر الى هذا الفص يزل همك قال فكنت لا ادعو بذلك الدعاء الا استجيب ولا انظر الى ذلك الفص الا زال عني ما اجده من هم فبينما انا ذات يوم في سميرية اذ هبت ريح شديدة فاخرجت الخاتم لانظر فيه فلم ادر كيف ذهب فجعلت ادعو بذلك الدعاء يومي كله فلما رجعت الى المنزل فتشت المتاع الذي في المنزل فاذا الخاتم في بعض ثيابي التي كانت بالمنزل

صاحب كتاب العقد

احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ابو عمر القرطبي مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي كان من الفضلاء المكثرين والعلماء باخبار الاولين والمتأخرين وكتابه العقد يدل على فضائل جمة وعلوم كثيرة مهمة ولكنه يدل كثير من كلامه على تشيع فيه وميل الى الحط على بني امية وهذا عجيب منه لانه احد مواليهم وكان الاولى به ان يكون ممن يوالي لا ممن يعاديهم قال

القاضي ابن خلكان وله ديوان شعر حسن ثم اورد منه اشعارا في التغزل في المردان والنسوان ايضا وكان مولده في رمضان سنة ست وسبعين ومائتين وتوفي بزطبنز يوم الاحد ثامن عشر جمادى الاولى من هذه السنة عمر بن ابي عمر يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم ابو الحسين الازدي الفقيه المالكي القاضي بن القاضي ناب عن ابيه وعمره عشرون سنة وكان حافظا للقران والحديث والفقه على مذهب مالك والفرائض والحساب واللغة والنحو والشعر وصنف مسندا ورزق قوة الفهم وجودة القريحة وشرف الاخلاق وله الشعر الرائق الحسن وكان مشكور السيرة في القضاء عدلا ثقة اماما قال الخطيب ثنا ابو الطيب الطبري سمعت المعافى بن زكريا الجريري يقول كنا نجلس في حضرة القاضي ابي الحسين فجئنا يوما ننتظره على العادة فجلسنا عند بابه واذا اعرابي جالس كان له حاجة اذ وقع غراب على نخلة في الدار فصرخ ثم طار فقال الاعرابي ان هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام قال فزبرناه فقام وانصرف ثم خرج الاذن من القاضي الينا ان هلم فادخلوا فدخلنا فاذا به متغير اللون مغتما فقلنا ما الخبر فقال اني رايت البارحة في المنام شخصا يقول

منازل آل حماد بن زيد ◦ على اهليك والنعم السلام

وقد ضاق لذلك صدري قال فدعونا له وانصرفنا فلما كان اليوم السابع من ذلك اليوم دفن وقد كانت وفاته يوم الخميس لسبع عشرة مضت من شعبان من هذه السنة وله من العمر تسع وثلاثون وصلى عليه ابنه ابو نصر وولي بعده القضاء قال الصولي بلغ القاضي ابو الحسين من العلم مبلغا عظيما مع حداثة السن وحين توفي كان الراضي يبكي عليه بحضرتنا ويقول كنت اضيق بالشيء ذرعا فيوسعه علي ثم يقول والله لا بقيت بعده

ابن شنبوذ المقرئ

محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت ابو الحسن المقرئ المعروف بابن شنبوذ روى عن ابي مسلم الكجي وبشر بن موسى وخلق وكان يختار حروفا انكرها اهل زمانه عليه وصنف ابو بكر ابن الانباري كتابا في الرد عليه وقد ذكرنا فيما تقدم كيف عقد له مجلس في دار الوزير ابي علي محمد بن علي بن مقلة وانه ضرب حتى رجع عن كثير من القراءات الشاذة التي انكرها القراء اهل زمانه عليه وكانت وفاته في صفر منها وقد دعا ابن شنبوذ على ابن مقلة حين امر بضربه فلم يفلح ابن مقلة بعدها ابن مقلة الوزير احد الكتاب المشاهير محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله ابو علي المعروف بابن مقلة الوزير وقد كان في اول عمره ضعيف الحال ثم آل به الحال الى ان ولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء هم المقتدر والقاهر والراضي وعزل ثلاث مرات وقطعت يده ولسانه في آخر امره وحبس فكان يستقي الماء بيده اليسرى واسنانه وكان مع ذلك يكتب بيده اليمنى بعد قطعها كما كان يكتب وهي صحيحة وقد كان خطه من اقوى الخطوط كما هو مشهور عنه وقد بنى له دارا في زمن وزارته وجمع عند بنائها خلقا من المنجمين فاتفقوا على ان تبنى في الوقت الفلاني فاسس جدرانها بين العشائين كما اشاروا فما لبث بعد استتمامها الا يسيرا حتى بادت وخربت وصارت كوما وقد كان له بستان كبير جدا فيه عدة اجربة اي فدادين وعليه جميعه شبكة من

ابريسم

ابريسم وفيه من الطيور القماري والهزار والببغ والبلابل والطواويس والقبج شيء كثير وفيه من الغنم الغزلان وبقر الوحش وحمره والنعام والابل شيء كثير ايضا ثم صار هذا كله عما قريب الى الهلاك والفناء وقد انشد فيه بعض الشعراء حين بنى داره وما حولها من البناء

قل لابن مقلة لا تكن عجلا ◦ واصبر فانك في اضغاث احلام
تبني بانقاض دور الناس مجتهدا ◦ دارا ستنقض ايضا بعد ايام
ما زلت تختار سعد المشتري لها ◦ فلم توق به من نحس بهرام
ان القران وبطليموس ما اجتمعا ◦ في حال نقض ولا في حال ابرام

فعزل ابن مقلة عن وزارته وخربت داره واتلفت اشجاره وقطعت يده ثم قطع لسانه واغرم الف الف دينار ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة فكان يستقي له الماء بنفسه من بير عميق يدلي الحبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه وقاسى جهدا جهيدا بعدما ذاق عيشا رغيدا ومن شعره حين قطعت يده

ما سئمت الحياة لكن ◦ توثقت بايمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى ◦ حرموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بجهدي ◦ حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش ◦ يا حياتي بانت يميني فبيني

وكان يبكي على يده كثيرا ويقول بعدما خدمت بها ثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن مرتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص ثم ينشد

اذا ما مات بعضك فابك بعضا ◦ فان البعض من بعض

وقد مات رحمه الله في حبسه هذا ودفن في دار السلطان ثم سال ولده ابو الحسين ان يحول فاجيب فنبشوه ودفنه ولده عنده في داره ثم سالته زوجته المعروفة بالدينارية ان يدفن في دارها فنبشوه ودفن عندها فنبش ثلاث مرات ايضا مات رحمه الله وله من العمر ست وخمسون سنة ابو بكر بن الانباري محمد بن القسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة ابو بكر بن الانباري صاحب كتاب الوقف والابتداء وغير ذلك من المصنفات وكان من بحور العلم في اللغة والعربية وغير ذلك سمع الكديمي واسماعيل القاضي وثعلبا وغيرهم وكان ثقة صدوقا اديبا دينا فاضلا من اهل السنة من اعلم الناس بالنحو والادب واكثرهم حفظا له كانت له من المحافيظ مجلدات عظيمة كثيرة احمال جمال وكان لا ياكل الا النقالى ولا يشرب ماء الا قريبا من العصر مراعاة لحفظه ويقال انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا وحفظ تعبير الرؤيا في ليلة وكان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة وكانت وفاته ليلة عيد النحر من هذه السنة ام عيسى بنت ابراهيم الحربي كانت عالمة فاضلة تفتي في الفقه توفيت في رجب منها ودفنت الى جانب ابيها رحمها الله تعالى

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلثمائة

في المنتصف من ربيع الاول منها كانت وفاة الخليفة الراضي بالله امير المؤمنين ابي العباس احمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله احمد بن الموفق ابي احمد بن جعفر المتوكل ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي استخلف بعد عمه

الناصر لست خلون من جمادى الاولى سنة ثنتين وعشرين وامه ام ولد رومية تسمى ظلوم
وكان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين فكانت خلافته ست سنين وعشرة اشهر
وعشرة ايام وعمره يوم مات احد وثلثون سنة وعشرة اشهر وكان اسمر رقيق السمرة دري اللون
اسود الشعر سبطه قصير القامة نحيف الجسم في وجهه طول وفي مقدم لحيته تمام وفي
شعرها رقة هكذا وصفه من شاهده قال الخطيب البغدادي كانت للراضي فضائل كثيرة
وختم الخلفا في امور عدة منها انه آخر خليفة له شعر واخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش
والاموال واخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة جالس الخلفا الجلسا ووصل اليه الندما
واخر خليفة كانت نفقته وجوايزه وعطاياه وجراياته وخزاينه ومطابخه ومجالسه
وخدمه وحجابه واموره كلها تجري على ترتيب المتقدمين من الخلفا وقال غيره كان فصيحا
بليغا كريما جوادا ممدحا ومن جيد كلامه الذي سمعه منه محمد بن يحيى الصولي لله اقوام
هم مفاتيح الخير واقوام مفاتيح الشر فمن اراد الله به خيرا قصد به اهل الخير وجعله الوسيلة الينا
فنقضي حاجته فهو الشريك في الثواب والشكر ومن اراد به شرا عدل به الى غيرنا فهو الشريك في الوزر
والاثم والله المستعان على كل حال ومن لطيف الاعتذارات ما كتب به الراضي الى اخيه المتقي
وهما في المكتب وكان المتقي قد اعتدى على الراضي والراضي هو الكبير منهما فكتب اليه الراضي
بسم الله الرحمن الرحيم انا معترف لك بالعبودية فرضا وانت معترف لي بالاخوة
فضلا والعبد يذنب والمولى يعفو وقد قال الشاعر

• يا ذا الذي يغضب من غير شي • اعتب فعتباك حبيب الي •
• انت على انك لي ظالم • اعز خلق الله كل الي •

ومن لطيف شعره قوله فيما ذكره ابن الاثير في الكامل •

• يصفر وجهي اذا تامله • طرفي ويحمر وجهه خجلا •
• حتى كان الذي بوجنته • من دم جسمي اليه قد نقلا •

قاله ومما رثى به اباه المقتدر قوله •

• ولو ان حيا كان قبرا لميت • لصيرت احشائي لاعظمه قبرا •
• ولو ان عمري كان طوع مشيئتي • وساعدني المقدار قاسمته العمرا •
• بنفسي ثرى ضاجعت في تربة البلى • لقد ضم منك الليث والغيث والبدرا •

ومما انشده له ابن الجوزي في المنتظم •

• لا تعذلي كرمي على الاسراف • ربح المحامد متجر الاشراف •
• اجري كآبائي الخلائف سابقا • واشيد ما قد اسست اسلافي •
• اني من القوم الذين اكفهم • معتادة الاخلاف والاتلاف •

ومن شعره الذي رواه الخطيب من طريق ابي بكر محمد بن يحيى الصولي النديم عنه قوله

• كل صفو الى كدر • كل امن الى حذر •
• ومصير الشباب • للموت فيه او الكبر •
• در در المشيب • من واعظ ينذر البشر •
• ايها الآمل الذي • تاه في لجة الغرر •
• اين من كان قبلنا • درس العين والاثر •

مسيره

• سيرد المعاد من • عمره كله خطر •
• رب اني ذخرت عندك • ارجوك مدخر •
• انني مؤمن بما • بين الوحي في السور •
• واعترافي بترك نفعي • وايثاري الضرر •
• رب فاغفر لي الخطية • يا خير من غفر •

وقد كانت وفاته بعلة في ليلة السادس عشر من ربيع الاول من هذه السنة وكان قد ارسل
الى بجكم وهو بواسط ليعهد الى ولده الاصغر ابي الفضل فلم يتفق له ذلك وبايع الناس
اخاه المتقي بالله ابراهيم بن المقتدر بالله وكان امر الله قدرا مقدورا

خلافة المتقي لله ابي اسحاق ابراهيم بن المقتدر بالله

لما مات اخوه الراضي اجتمع القضاة والاعيان بدار بجكم واستشور وانتهى بولون عليهم فاتفق
رايهم كلهم على المتقي لله ابراهيم هذا فاحضروه الى دار الخلافة وارادوا بيعته فصلى
ركعتين صلاة الاستخارة وهو على الارض لم يصعد الى الكرسي بعد ثم صعد الى السرير وبايعه
الناس وكان ذلك يوم الاربعا لعشر بقين من ربيع الاول من هذه السنة اعني سنة تسع
وعشرين وثلثماية فلم يغير على احد شيا ولا غدر باحد حتى ولا على سريته لم يغيرها ولم يتسر
عليها وكان كاسمه المتقي لله كثير الصلاة والصيام والتعبد وقال لا اريد احدا من الجلسا حسبي
المصحف نديما لا اريد نديما غيره فانقطع عنه الجلسا والندما واتفقوا على بجكم فكانوا يجالسونه
فيحادثونه وينشدون عنده الاشعار فكان لا يفهم كثير شي مما يقولون لعجمته وكان
في جملتهم سنان بن ثابت الصابي المتطبب فكان بجكم يشكو اليه قوة النفس الغضبية
فيه وكان سنان يهذب من اخلاقه ويسكن جاشه ويروضها حتى سكن عن بعض ما كان يتعاطى
من سفك الدما وكان المتقي لله حسن الوجه معتدل الخلق قصير الانف ابيض مشربا
حمرة في شعره شقرة وجعودة كث اللحية اشهل العينين ابي النفس ولم يشرب النبيذ
قط فالمتقي فيه الاسم والفعل ولله الحمد ولما استقر المتقي لله في الخلافة انفذ الرسل
والخلع الى بجكم وهو بواسط ونفذت المكاتبات الى الافاق بولاية المتقي لله وفي هذه
السنة تحارب ابو عبد الله البريدي وبجكم بناحية الاهواز فقتل بجكم في الحرب واستظهر
البريدي عليه وقوي امره فاحتاط الخليفة على حواصل بجكم فكان في جملتها اخذ من امواله
الف الف دينار ومايتا الف دينار وكانت ايام بجكم على بغداد سنتين وثمانية اشهر وتسعة
ايام ثم ان البريدي حدثته نفسه ببغداد فانفق الخليفة اموالا جزيلة في الجند
ليمنعوه من ذلك وركب بنفسه فخرج الى اثنا الطريق ليمنعه من ذلك فجا انفه البريدي
ودخل بغداد في ثاني رمضان ونزل بالشفيعي فلما تحقق المتقي ذلك بعث اليه يهنيه
وارسل اليه الاطعمة وخوطب بالوزير ولم يخاطب بامرة الامرا فارسل البريدي يطلب من
الخليفة خمسماية الف دينار فامتنع الخليفة من ذلك فبعث اليه يتهدده ويتوعده
ويذكره ما حل بالمعتز والمستعين والمهتدي واختلفت الرسل بينهما ثم كان لا بد من ان
بعث اليه الخليفة بذلك قهرا ولم يتفق اجتماع الخليفة والبريدي ببغداد حتى خرج
منها البريدي الى واسط وذلك انه ثارت عليه الديالمة والتفوا على كبيرهم كورتكين واحرقوا
دار البريدي حتى نقض المال من الخليفة ولم يعطهم شيا وكانت الحكمية طايفة

اخرى قد اختلفت بعده ايضا وهم والديلم قد صاروا حزبين فانهزم البريدي من بغداد يوم سلخ رمضان فاستولى كورتكين على الامور ببغداد ودخل المتقي فقلده امارة الامرا وخلع عليه واستدعى المتقي لله علي بن عيسى واخاه عبد الرحمن ففوض الى عبد الرحمن تدبير الامور من غير تسمية بوزارة ثم قبض كورتكين على تكينك الاتراك غلام بجكم وغرقه ثم تظلمت العامة من الديلم انهم ياخذون منهم دورهم فشكوا ذلك الى كورتكين فلم يشكهم فمنعت العامة الخطبا ان يخطبوا او يصلوا في الجوامع واقتتل الديلم والعامة فقتل من الفريقين خلق كثير وجم وكان الخليفة قد كتب الى ابي بكر محمد بن رائق صاحب الشام يستنجد اليه ليخلصه من الديلم والبريدي فركب الى بغداد في العشرين من رمضان ومعه جيش عظيم وقد صار اليه من الاتراك البجكمية خلق كثير وحين وصل الى الموصل حاد عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان ثم راسلا ثم اصطلحا وحمل ابن حمدان الى ابن رائق مائة الف دينار فلما اقترب ابن رائق من بغداد خرج كورتكين في جيشه ليقاتله فدخل ابن رائق بغداد من غربها ورجع كورتكين بجيشه من شرقها ثم تصافوا ببغداد للقتال فساعدت العامة ابن رائق على كورتكين فانهزم الديلم وقتل منهم خلق كثير وهرب كورتكين فاختفى واستقر امر ابن رائق على بغداد وخلع عليه الخليفة وركب هو واياه في دجلة وظفر ابن رائق بكورتكين فاودعه السجن الذي في دار الخلافة قال ابن الجوزي في يوم الجمعة الثاني عشر من جمادى الاولى حضر الناس لصلاة الجمعة بجامع براثا وقد كان المقتدر احرق هذا المسجد لانه كبس فوجد فيه جماعة من الشيعة يجتمعون للسب والشتم فلم يزل خرابا حتى عمره بجكم في ايام الراضي ثم امر المتقي بوضع منبر فيه كان عليه اسم الرشيد وصلى الناس فيه هذه الجمعة قال فلم يزل يتام فيه الى بعد سنة خمسين واربعمائة قال ابن الجوزي وفي جمادى الاخرة في ليلة ثانيه كانت ليلة برد ورعد وبرق فسقطت القبة الخضراء من قصر المنصور وقد كانت هذه القبة تاج بغداد وعلم البلد ومأثرة من مآثر بني العباس عظيمة بنيت اول ملكهم فكان بين بنايها وبين سقوطها ما يزيد سبع وثمانون سنة وقال ابن الجوزي وخرج التشرينان والكانونان من هذه السنة ولم تمطر بغداد فيهما شيئا سوى مطرة واحدة لم تبل منها التراب فغلت الاسعار ببغداد حتى بيع الكر مائة وثلاثين دينارا ووقع الفنا في الناس حتى كان الجماعة يدفنون في القبر الواحد من غير غسل ولا صلاة وابيع العقار والاثاث بارخص الاسعار اشتري بالدرهم ما كان يساوي الدينار ورأت امرأة رسول الله في منامها وهو يامر بخروج الناس الى الصحرا للصلاة الاستسقا فامر الخليفة بامتثال ذلك فصلى الناس واستسقوا فجات الامطار وزادت الفرات شيئا لم ير مثله وغرقت العباسية ودخل الماء شوارع بغداد فسقطت القنطرة العتيقة والجديدة وقطعت الاكراد على قافلة من خراسان الطريق فاخذوا منهم ما قيمته ثلاثة الاف الف دينار وكان اكثر ذلك من اموال بجكم التركي وخرج الناس للحج في هذه السنة ثم رجعوا من اثناء الطريق بسبب رجل من العلويين قد ظهر بالمدينة النبوية ودعا الى نفسه وخرج عن الطاعة

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن ابراهيم بن سريد الفقيه احد اصحاب ابن شريح خرج من الحمام فسقط عليه فمات من فوره رح بجكم التركي الذي تولى امرة الامرا ببغداد قبل بني بويه وكان عاقلا يفهم

بالعربية ولا يتكلم بها يقول اخاف ان اخطئ والخطا من الرئيس قبيح وكان مع ذلك يحب العلم واهله وكان كثير الاموال والصدقات ابتدا بعمل مارستان ببغداد فلم يتم فجدده عضد الدولة ابن بويه وكان يقول العدل ربح للسلطان في الدنيا والاخرة وكان يدخر اموالا كثيرة بالصحاري فلما مات لم تدر اين هي وكان ندماء الراضي قد انحدروا الى بجكم وهو بواسط قد ضمنهما بثمانمائة الف دينار فكانوا يسامرونه كالخليفة فكان لا يفهم اكثر ما يقولون وكان لا يحتاج الطبيب سنان بن ثابت الصابي حتى لان خلقه وحسنت سريرته وكلت سطوته ولكن لم يعمر الا قليلا بعد ذلك وقد دخل عليه رجل فوعظه فابكاه فامر له بالف درهم فلحقه بها الغلام فقال بجكم لجلسائه ما اظنه يقبلها هذا محترق بالعمل ماذا يصنع بالدراهم فرجع الغلام وليس معه شي فقال قبلها فقال بجكم كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف وكانت وفاته لسبع بقين من رجب من هذه السنة وسببها انه خرج فلقي طائفة من الاكراد فاستهان بهم فقاتلوه فضربه رجل منهم فقتله فكانت امارته على بغداد سنتين وثمانية اشهر وتسعة ايام وخلف من الاموال والحواصل ما ينيف على الفي الف دينار احتاط عليها كلها المتقي لله

ابو محمد البربهاري الواعظ

الحسن بن علي بن خلف ابو محمد البربهاري العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ صحب المروزي وسهلا التستري تنزه عن ميراث ابيه وكان سبعين الف درهم كرهه وكان شديدا على اهل البدع والمعاصي وكان كبير القدر عند العامة والخاصة وقد عطس يوما وهو يعظ الناس فشمته الحاضرون ثم شمته من سمعهم حتى شمته اهل بغداد فانتهت الصيحة الى دار الخلافة فغار الخليفة من ذلك وتكلم فيه جماعة من ارباب الدولة فطلب فاستتر عند اخت بوران شهرا ثم اخذه القيام فمات عندها فامرت خادمها ان يصلي عليه فصلى فامتلات الدار رجالا عليهم ثياب بياض ودفنته عندها ثم اوصت ان تدفن عنده وكان عمره يوم مات ستا وتسعين سنة رح يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن البهلول ابو بكر الازرق لانه كان ازرق العين التنوخي الكاتب سمع جده والزبير بن بكار والحسن بن عرفة وغيرهم وكان حسن العيش كثير الصدقة يقال انه تصدق بمائة الف دينار وكان امارا بالمعروف نهاء عن المنكر روى عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ وكان ثقة عدلا توفي في ذي الحجة من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة

سنة ثلاثين وثلثمائة

قال ابن الجوزي في المحرم منها ظهر كوكب بذنب راسه الى الغرب وذنبه الى المشرق وكان عظيما جدا وذنبه منتشر وبقي ثلاثة عشر يوما الى ان اضمحل قال وفي نصف ربيع الاول بلغ الكر من الحنطة مائتي دينار وعشرة دنانير ومن الشعير مائة وعشرين دينارا ثم بلغ كر الحنطة ثلثمائة وستة عشر دينارا واكل الضعفا الميتة ودام الغلاء وكثر الموت وتقطعت السبل وشغل الناس بالمرض والفقر وترك دفن الموتى واشتغل الناس عن الملاهي واللعب قال ثم جاء مطر كافواه القرب وبلغت زيادة دجلة عشرين ذراعا وثلثا وذكر ابن الاثير في كامله ان محمد بن رائق الذي هو امير الامرا ببغداد جرت فيه نفرة بينه وبين ابي عبد الله البريدي الذي بواسط وحشة بسبب منع البريدي الخراج

الذي عنده ثم ركب اليه ابن رائق ليتسلم ما عنده من المال فوقعت مصالحة ورجع ابن
رائق فطالبه الجند بارزاقهم وضاق عليه حاله وتحيز جماعة من الاتراك الى البريدي
فضعف جانب ابن رائق فكاتب البريدي بالوزارة ببغداد ثم قطع اسم الوزارة عنه
فاشتد حنق البريدي وعزم على اخذ بغداد فبعث اخاه الحسين في جيش فتحصن ابن
رائق مع الخليفة بدار الخلافة ونصب فيها المناجيق والعرادات وعلى دجلة ايضا
فاضطربت بغداد ونهب الناس بعضهم بعضا ليلا ونهارا وجاء ابو الحسين اخو ابي
عبد الله البريدي بمن معه فقاتلهم الناس في البر وفي دجلة وتفاقم الحال واشتد
الخطب جدا مع الغلاء والوباء والقتال فانا لله وانا اليه راجعون ثم ان الخليفة وابن رائق
انهزما في جمادى الاخرة ومع الخليفة ابنه ابو منصور في عشرين فارسا فقصدوا نحو
الموصل واستحوذ ابو الحسين على دار الخلافة فقتل اصحاب البريدي من وجد بدار
الخلافة من الحاشية ونهبوا ما فيها حتى وصل النهب الى الحريم ولم يتعرضوا للقاهر
وهو اذ ذاك اعمى مكفوف واخرجوا كورتكين من الحبس فبعثه ابو الحسين الى اخيه ابي عبد الله البريدي
فكان اخر العهد به ونهبوا بغداد جهارا علانية ونزل ابو الحسين بدار مونس التي كان يسكنها
ابن رائق وكانوا يكبسون الدور ويكبسونها فيها من الاموال والحور وغلت الاسعار جدا
وضرب ابو الحسين المكس على الحنطة والشعير وذاق اهل بغداد لباس الجوع والخوف وكان
مع ابي الحسين في الجيش طائفة من القرامطة فافسدوا في البلد فسادا عظيما ثم وقعت
بينهم وبين الاتراك حروب طويلة شديدة فغلبهم الترك واخرجوهم من بغداد ووقعت
الحرب بين العامة والديلم ايضا وفي شعبان من هذه السنة اشتد الحال ايضا ونهبت
المساكن وكبس اهلها ليلا ونهارا وخرجت الجند من اصحاب البريدي فنهبوا الغلات من القرى
والحيوانات وجرى ظلم لم يسمع بمثله فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الاثير
وانما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة ان اخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر فربما تركوا الظلم
لهذا ان لم يتركوه لله عز وجل وقد كان الخليفة ارسل وهو ببغداد الى ناصر الدولة ابن
حمدان نائب الموصل والجزيرة يستمده ويستنجده على البريدي فارسل ناصر الدولة
اخاه سيف الدولة عليا في جيش كثيف فلما كان بتكريت اذا الخليفة وابن رائق
قد هربا فرجع معهما سيف الدولة الى اخيه وخدم سيف الدولة للخليفة المتقي لله
خدمة عظيمة في مسيره هذا ولما وصلوا الى الموصل خرج عنها ناصر الدولة فنزل
شرقيها وارسل التحف والضيافات ولم يجئ خوفا من الغائلة من جهة ابن رائق نائب
العراق وصاحب الشام فارسل الخليفة ولده ابا منصور ومعه ابن رائق للسلام على
ناصر الدولة فصار اليه فامر ان ينثر الذهب والفضة على رأس ولد الخليفة وجلسا
عنده ساعة ثم قاما ليرجعا فركب ابن الخليفة واراد ابن رائق ان يركب معه فقال له
ناصر الدولة اجلس اليوم عندي حتى نفكر فيما نصنعه في امرنا هذا فاعتذر اليه بابن الخليفة
واستراب بالامر فقبض ابن حمدان في كمه فجبذه ابن رائق منه فانقطع كمه وركب
سريعا فسقط عن فرسه فامر ناصر الدولة بقتله فقتل وذلك يوم الاثنين لسبع بقين
من رجب من هذه السنة فارسل الخليفة الى ابن حمدان فاستحضره وخلع عليه ولقبه
ناصر الدولة يومئذ وجعله امير الامراء وخلع على اخيه ابي الحسن علي ولقبه سيف الدولة يومئذ

ايضا

ايضا ولما قتل ابن رائق وبلغ خبر قتله الى صاحب مصر وهو الاخشيذ محمد بن طغج ركب
الى دمشق فتسلمها من محمد بن يزداد نائب ابن رائق ولم ينتطح فيها عنزان ولما بلغ خبر
مقتله الى بغداد فارق اكثر الاتراك ابا الحسين بن البريدي لسوء سيرته وخبث سريرته
قبحه الله وقصدوا الخليفة وابن حمدان في الموصل فقوي بهم ناصر الدولة وركب هو
والخليفة المتقي لله الى بغداد فلما اقتربوا منها هرب عنها ابو الحسين البريدي لا رحمه
الله اليه ودخل الخليفة المتقي لله الى بغداد ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة وذلك
في شوال من هذه السنة ففرح به المسلمون فرحا شديدا وبعث الى اهله وقد كان اخرجهم
الى سامراء فردهم وتراجع اعيان الناس الى بغداد بعدما كانوا قد رحلوا عنها ورد الخليفة
ابا اسحاق القراريطي الى الوزارة وولى توزون شرطة جانبي بغداد وبعث ناصر الدولة
اخاه سيف الدولة في جيش وراء ابي الحسين البريدي فلحقه عند المدائن فاقتتلوا
قتالا شديدا في ايام متعددات ثم كان اخر الامر ان انهزم ابو الحسين الى اخيه بواسط
وقد ركب ناصر الدولة بنفسه فنزل المدائن قوة لاخيه وقد انهزم سيف الدولة
مرة من ابي الحسين فرده اخوه وزاده جيشا اخر حتى كسر البريدي واسر جماعة من اعيان
اصحابه وقتل منهم خلق كثير وجم غفير ثم ارسل اخاه سيف الدولة الى واسط لقتال
ابي عبد الله البريدي فانهزم منه البريدي واخوه الى البصرة وتسلم سيف الدولة واسط
وسيأتي ما كان من خبره مع البريدي في السنة الاتية ان شاء الله تعالى واما ناصر الدولة
فانه عاد الى بغداد فدخلها في ثالث عشر ذي الحجة وبين يديه الاسارى على الجمال ففرح
الناس واطمأنوا ونظر في المصالح العامة واصلح معيار الدينار وذلك انه وجده قد
غير عما كان عليه فضرب دنانير سماها الابريزية فكانت تباع كل دينار بثلاثة عشر
درهما وانما كان يباع التي قبلها بعشرة وعزل الخليفة بدرا الخرشني عن الحجابة وولاها سلامة
الطولوني وجعل بدرا على طريق الفرات فسار الى الاخشيذ فاكرمه واستنابه على دمشق
فمات بها وفيها وصلت الروم الى قرب حلب فقتلوا خلقا واسروا نحوا من خمسة
عشر الف انسان فانا لله وانا اليه راجعون وفيها دخل الثملي من بلاد طرسوس الى بلاد
الروم فقتل وسبى وغنم وسلم واسر من بطارقتهم المشهورين خلقا كثيرا ولله
الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الاعيان

اسحاق بن محمد ابو يعقوب النهرجوري احد مشايخ الصوفية صحب الجنيد بن محمد
وغيره من ائمة القوم وجاور بمكة حتى مات بها في هذه السنة ومن كلامه الحسن قوله
مفاوز الدنيا تقطع بالاقدام ومفاوز الاخرة تقطع بالقلوب الحسين بن اسماعيل
بن سعيد بن ابان ابو عبد الله الضبي القاضي المحاملي الفقيه الشافعي المحدث سمع
الكثير وادرك خلقا من اصحاب ابن عيينة نحوا من سبعين رجلا وروى عن جماعة من
الائمة وعنه الدارقطني وخلق وكان يحضر مجلسه نحو من عشرة الاف وكان صدوقا
دينا فقيها محدثا ولي قضاء الكوفة ستين سنة واضيف اليه قضاء فارس واعمالها ثم
استعفى من ذلك كله ولزم منزله واقتصر على اسماع الحديث وكانت وفاته في ربيع الاخر
من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة رحمه الله وقد تناظر هو وبعض الشيعة بحضرة
بعض الاكابر فجعل الشيعي يذكر مواقف علي رضي الله عنه يوم بدر واحد والخندق وخيبر

وحنين وشجاعة ثم قال للمحاملي أتعرفها قال نعم ولكنا نعرف أين كان الصديق يوم بدر كان مع رسول الله في العريش بمنزلة الرئيس الذي يحامى عنه كما يحامى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي في مقام المبارزة ولو فرض أنه انهزم أو قتل لم يختل الجيش بسببه فأفحم الشيعي وقال له المحاملي وقد قدمه الذين رووا لنا الصلاة والزكاة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لا مال له ولا عبيد ولا عشيرة يمتنع بهم ويحامى عنه وإنما قدموه لعلمهم أنه خيرهم فأفحم أيضا علي بن محمد بن سهل أبو الحسن الصائغ أحد العباد الزهاد أصحاب الكرامات روى عن مشايخ أنه شاهد أبا الحسن الصائغ يصلي في الصحراء في شدة الحر ونسر قد نشر جناحه يظله من الحر قال ابن الأثير وفي هذه السنة توفي علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم صاحب المذهب المشهور وكان مولده سنة ستين ومائتين وهو من ولد أبي موسى الأشعري قلت والصحيح أن الأشعري توفي سنة أربع وعشرين كما تقدم قال وفيها توفي محمد بن يوسف بن النضر الهروي الفقيه الشافعي وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين وأخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعي قلت وقد توفي فيها أبو حامد بن بلال وزكريا بن أحمد البلخي وعبد الغافر بن سلامة الحافظ الجوال ومحمد بن رائق الأمير والشيخ أبو صالح مفلح الحنبلي واقف مسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي من دمشق وكانت له كرامات وأحوال ومقامات

ترجمة أبي صالح الدمشقي

الذي ينسب إليه المسجد ظاهر باب شرقي بدمشق

مفلح بن عبد الله أبو صالح المتعبد صحب الشيخ أبا بكر محمد بن سيد حمدويه الدمشقي وتأدب به وروى عنه الموحد بن إسحاق بن البري وأبو الحسن علي بن العجة قيم المسجد وأبو بكر محمد بن داود الدينوري الرقي روى الحافظ ابن عساكر من طريق الرقي عن الشيخ أبي صالح قال كنت أطوف بجبل اللكام أطلب الزهاد فمررت برجل وهو جالس على صخرة مطرقا فقلت له ما تصنع هاهنا فقال أنظر وأرعى فقلت لا أرى بين يديك شيئا إلا الحجارة فقال أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر ربي وبحق الذي أظهرك علي إلا جزت عني فقلت كلمني بشيء أنتفع به حتى أمضي فقال لي من لزم الباب أثبت في الخدم ومن أكثر ذكر الذنوب أكثر الندم ومن استغنى بالله أمن العدم ثم تركني ومضى وعن الشيخ أبي صالح قال مكثت ستة أو سبعة أيام لم آكل ولم أشرب ولحقني عطش عظيم فجئت النهر الذي وراء المسجد فجلست أنظر إلى الماء فتذكرت قوله تعالى وكان عرشه على الماء فذهب عني العطش فمكثت تمام العشرة أيام وعنه قال مكثت مرة أربعين يوما لم أشرب ماء فلقيني الشيخ أبو بكر محمد بن سيد حمدويه فأخذ بيدي فأدخلني منزله وجاء بماء فقال لي اشرب فشربت فأخذ فضلتي وذهب إلى امرأته وقال اشربي فضل رجل قد مكث أربعين يوما لم يشرب الماء قال أبو صالح ولم يكن اطلع على ذلك مني أحد إلا الله عز وجل ومن كلام أبي صالح الدنيا حرام على القلوب حلال على النفوس لأن كل شيء يحل لك أن تنظر إليه بعيني رأسك فيحرم عليك أن تنظر إليه بعين قلبك وكان يقول البدن لباس القلب والقلب لباس الفؤاد والفؤاد لباس الضمير والضمير لباس السر والسر لباس المعرفة ولأبي صالح مناقب كثيرة رحمه الله وأكرم مثواه وقد كانت

وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة

ثم دخلت سنة إحدى وثلثين وثلثمائة

في هذه السنة دخل سيف الدولة إلى واسط وقد انهزم عنها أبو عبد الله البريدي وأخوه أبو الحسين فاختلف الأتراك على سيف الدولة ومالوا إلى توزون وهمّوا بالقبض على سيف الدولة فهرب منهم قاصدا إلى بغداد وبلغ أخاه ناصر الدولة أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان الملقب بأمير الأمراء ببغداد الخبر فخرج من بغداد إلى الموصل فنهبت داره ببغداد فكانت إمارة ناصر الدولة على بغداد ثلاثة عشر شهرا وخمسة أيام وجاء أخوه سيف الدولة بعد خروجه منها فنزل بباب حرب وطلب من الخليفة المتقي لله أن يمده بمال يتقوى به على حرب توزون فبعث إليه بأربعمائة ألف درهم ففرقها في أصحابه وحين سمع بقدوم توزون خرج من بغداد ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان فخلع عليه المتقي وجعله أمير الأمراء واستقر أمره ببغداد وعند ذلك رجع أبو عبد الله البريدي إلى واسط وأخرج من كان بها من أصحاب توزون في أسر توزون غلام لسيف الدولة يقال له ثمال فأرسله إلى مولاه فحسن موقع ذلك عند آل حمدان وفي هذه السنة كانت زلزلة عظيمة ببلاد نسا سقط منها عمارات كثيرة وهلك بسببها خلق كثير قال ابن الجوزي وكان ببغداد في أيلول وتشرين حر شديد يأخذ بالأنفاس وفي صفر ورد الخبر بورود الروم إلى أرزن وميافارقين وأنهم سبوا وحرقوا وفي ربيع الآخر من هذه السنة عقد عقد أبي منصور إسحاق بن الخليفة المتقي لله على علوية بنت ناصر الدولة بن حمدان على صداق مائة ألف دينار وألف ألف درهم وولي العقد على الجارية أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي ولم يحضر ناصر الدولة وضرب ناصر الدولة سكة وزاد في الكتابة عليها عبد آل محمد قال ابن الجوزي وفي آذار هذه السنة غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع الوباء في الناس ووقع شيء من الجراد كثير جدا حتى أبيع منه كل خمسين رطل بدرهم فارتفق الناس به في الغلاء وفيها ورد كتاب ملك الروم إلى الخليفة يطلب منه منديلا بكنيسة الرها كان المسيح قد مسح به وجهه فصار صورة وجهه فيه ويعد المسلمين أنه إذا أرسل إليه يبعث من أسارى المسلمين خلقا كثيرا فأحضر الخليفة العلماء فاستشارهم في ذلك فمن قائل نحن أحق بعيسى بن مريم منهم وفي بعثه إليهم غضاضة على المسلمين ومن قائل علي بن عيسى الوزير يا أمير المؤمنين إنقاذ أسارى المسلمين من أيدي الكفار أنفع للناس من بقاء هذا المنديل بتلك الكنيسة فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم وتخليص الأسارى من أيديهم قال الصولي ووصل الخبر بأن القرمطي ولد له مولود فأهدى إليه أبو عبد الله البريدي هدايا عظيمة منها ذهب مرصع بالجوهر وكثر الرفض ببغداد فنودي بها من ذكر أحدا من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة وبعث الخليفة إلى عماد الدولة بن بويه خلعا فقبلها ولبسها بحضرة القضاة والأعيان وفيها كانت وفاة السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر وقد مرض قبل موته بالسل سنة وشهرا فاتخذ في داره بيتا وسماه بيت العبادة

فكان يلبس نطاقا ويمشي حافيا ويصلي فيه ويتضرع واكثر الصلاة والصيام وتجنب المنكرات والاثام الى ان مات رحمه الله فقام بالامر من بعده ولده نوح بن نصر في شعبان من هذه السنة ولقب بالامير الحميد فقتل محمد بن احمد النسفي البردهي وكان قد طعن فيه عنده وصلبه

وممن توفي فيها من الاعيان

ثابت بن سنان بن قرة الصابي ابو سعيد الطبيب اسلم على يدي القاهر بالله ولم يسلم ولده ولا احد من اهل بيته وقد كان متقدما في الطب وفي علوم كثيرة وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة بعلة الذرب فلم يغن عنه صناعته شيئا حتى جاءه الموت وما احسن ما قال بعض الشعراء في هذا المعنى

قل للذي صنع الشراب بكفه • اترد مقدورا اجرى

مات المداوي والمداوى والذي • صنع الشراب بكفه ومن اشترى

ابو الحسن الاشعري

ذكر ابن الجوزي في المنتظم وفاة الاشعري في هذه السنة وتكلم فيه وحط عليه كما جرت عادة الحنابلة يتكلمون في الاشعرية قديما وحديثا وذكر انه ولد سنة ستين ومائتين وانه توفي سنة احدى وثلثين وثلثمائة وانه صحب الجبائي اربعين سنة ثم رجع عنه وانه توفي ببغداد ودفن بمشرعة الروايا محمد بن احمد بن يعقوب بن الصلت السدوسي مولاهم ابو بكر سمع جده وعباسا الدوري وغيرهما وعنه ابو عمر بن مهدي وكان ثقة وروى الخطيب ان والد محمد هذا حين ولد اخذ طالع مولده المنجمون فحسبوا عمره فارصد له ابوه حبابيه عن كل يوم دينارا ثم ارصد له حبا اخر كذلك ثم اخر كذلك فكان يعد لكل يوم بثلاثة دنانير ومع هذا ما افاد شيئا بل افتقر حتى صار يستعطي من الناس ويحضر مجلس السماع عليه بلا ازار ويتصدق عليه اهل المجلس بشيء يقوم باوده والسعيد من اسعده الله محمد بن مخلد بن حفص ابو عبد الله الدوري العطار كان يسكن الدور وهي محلة بطرف بغداد سمع الحسن بن عرفة والزبير بن بكار ومسلم بن الحجاج وغيرهم وعنه الدارقطني وجماعة من الحفاظ وكان ثقة فهما واسع الرواية مشكور الديانة مشهورا بالعبادة وكانت وفاته في جمادى الاخرة من هذه السنة وقد استكمل سبعا وتسعين سنة وثمانية اشهر واحدى وعشرين يوما المجنون البغدادي روى ابن الجوزي من طريق ابي بكر الشبلي قال رايت مجنونا عند جامع الرصافة وهو عريان وهو يقول انا مجنون الله انا مجنون الله فقلت له ما لك لا تستتر وتدخل الجامع فتصلي فانشا يقول

يقولون زرنا واقض واجب حقنا • وقد اسقطت حالي حقوقهم عني

اذا هم راوا حالي ولم يانفوا لها • ولم يانفوا منها انفت لهم مني

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

فيها خرج المتقي لله من بغداد الى الموصل مغاضبا لتوزون امير الامراء وكان اذ ذاك بواسط قد تزوج ابنة من ابي عبد الله البريدي وصارا يدا واحدة على الخليفة وارسل ابن شيرزاد في ثلثمائة غلام الى بغداد فافسد فيها وقطع ووصل واستقل

بالامور

بالامور من غير مراجعة المتقي لله فغضب المتقي لله وخرج منها مغاضبا باهله واولاده ووزيره ومن اتبعه من الامراء واعيان اهل بغداد قاصدا بني حمدان فتلقاه سيف الدولة الى تكريت ثم جاء ناصر الدولة وهو بتكريت ايضا وحين خرج المتقي اكثر ابن شيرزاد الفساد ببغداد وظلم اهلها وصادرهم وارسل يعلم توزون فاقبل توزون مسرعا نحو تكريت فتواقع هو وسيف الدولة بن حمدان فهزم سيف الدولة واخذ معسكره ومعسكر اخيه ناصر الدولة ثم كر اليه سيف الدولة فهزمه ايضا وانهزم الخليفة المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة من الموصل الى نصيبين وجاء توزون فدخل الموصل وارسل الى الخليفة يطلب رضاه فارسل الخليفة يقول لا سبيل الى ذلك الا ان تصالح ابني حمدان فاصطلحوا وضمن ناصر الدولة بلاد الموصل بثلاثة الاف الف وستمائة الف ورجع توزون الى بغداد واقام الخليفة عند بني حمدان وفي غيبة توزون عن واسط اقبل اليها معز الدولة بن بويه في خلق من الديلم كثيرين فانحدر توزون مسرعا الى واسط فاقتتل مع معز الدولة بضعة عشر يوما فكان اخر الامر ان انهزم معز الدولة ونهبت حواصله وقتل من جيشه خلق كثير واسر جماعة من اشراف اصحابه ثم عاود توزون ما كان يعتريه من مرض الصرع فشغل بنفسه فرجع الى بغداد وفي هذه السنة قتل ابو عبد الله البريدي اخاه ابا يوسف وسبب ذلك ان ابا عبد الله قل ما كان عنده من الاموال فكان يستقرض من اخيه ابي يوسف فيقرضه القليل ثم تشنع عليه وعدم نصرته فمال الجند الى ابي يوسف واعرضوا عن ابي عبد الله فخشي ابو عبد الله ان يبايعوه ويتركوه فارسل اليه طائفة من غلمانه فقتلوه غيلة ثم انتقل الى داره واخذ جميع حواصله وامواله فكان قيمة ما استحوذ عليه من الاموال يقارب ثلاثة الاف الف دينار ولم يمتع بعده الا ثمانية اشهر مرض فيها مرضا شديدا بالحمى الحادة حتى كانت وفاته في شوال من هذه السنة فقام بالامر بعده اخوه ابو الحسين فتجبر لله فاساء السيرة في اصحابه فثاروا به فلجا الى القرامطة فاستجار بهم وقام بالامر من بعده ابو القسم بن ابي عبد الله البريدي في بلاد واسط والبصرة وتلك النواحي من الاهواز وغيرها واما الخليفة المتقي فانه لما اقام عند ال حمدان بالموصل ظهر له منهم تضجر وانهم يرغبون في مفارقته فكتب الى توزون في الصلح فاجتمع توزون مع القضاة والاعيان ببغداد وقرؤوا كتاب الخليفة وقابلوه بالسمع والطاعة ووضع خطه بالاقرار له ولمن معه بالاكرام والاحترام والخضوع فكان من الخليفة ودخوله الى بغداد ما سياتي في السنة الاتية وفي هذه السنة اقبلت طائفة من الروس في البحر الى نواحي اذربيجان فقصدوا بردعة فحصروها فلما ظفروا باهلها قتلوهم عن اخرهم وغنموا اموالهم وسبوا من استحسنوه من نسائهم ثم مالوا الى المراغة فوجدوا بها ثمارا كثيرة فاكلوا منها فاصابهم وباء شديد فمات اكثرهم فكان اذا مات احدهم دفنوا معه سلاحه وماله فياخذه المسلمون واقبل اليهم المرزبان بن محمد فقاتلهم فقتل منهم خلقا كثيرا ايضا مع ما اصابهم من الوباء الشديد وطهر الله تلك البلاد منهم وفي ربيع الاول من هذه السنة جاء الدمستق ملك الروم الى راس العين في ثمانين الفا

فدخلها ونهب ما فيها وقتل اهلها وسبى منهم نحوا من خمسة عشر الفا واقام بها ثلاثة
وقصدته الاعراب من كل وجه وقاتلوه قتالا عظيما حتى انجلى عنها وفي جمادى الاولى غلت
الاسعار ببغداد جدا وكثرت الامطار جدا حتى تهدم البنا ومات كثير من الناس تحت
الهدم وتعطلت كثير من الحمامات والمساجد بسبب قلة الناس ونقصت قيمة العقار
حتى كان يباع بالدرهم ما كان يساوي الدينار وخلت اكثر الدور وكان الملاك يعطون
من يسكنها اجره ليحفظها عليهم من الداخلين اليها لتخريبها وكثرت الكبسات من
اللصوص بالليل حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطبول وكثرت الفتن في كل
جهة فانا لله وانا اليه راجعون ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا وفي
رمضان من هذه السنة كانت وفاة ابي طاهر سليمان بن ابي سعيد الحسن الجنابي الهجري
الهجري القرمطي رئيس القرامطة لعنه الله وهو الذي قتل الحجيج حول الكعبة وفيها
وسلبها ستورها وبابها وحليها واقتلع الحجر الاسود من ركنها وحمله الى بلده هجر وبقي مدة
المدة كلها عنده من سنة سبع عشرة كما ذكرنا ولم يرده الاحسا الى سنة تسع وثلثين
كما سياتي ولما مات ابو طاهر هذا قام بالامر بعده في القرامطة اخوته الثلاثة
وهم ابو العباس الفضل وابو القسم سعيد وابو يعقوب يوسف بنو ابي سعيد
الجنابي لعنهم الله وكان ابو العباس ضعيف البدن مقبلا على قراة الكتب وكان ابو
يعقوب مقبلا على اللهو واللعب ومع هذا كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون في شي
وكان لهم سبعة من الوزرا متفقون ايضا قبحهم الله اجمعين وفي شوال منها توفي
ابو عبد الله البريدي كما وصفنا فاستراح المسلمون من هذا وهذا

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو العباس بن عقدة الحافظ احمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن ابو العباس
الكوفي المعروف بابن عقدة لقبه ابوه بذلك من اجل تعقيده في التصريف والنحو
وكان يعقده ورعا ناسكا وكان ابو العباس بن عقدة من الحفاظ الكبار سمع الحديث
ورحل وسمع من خلائق من المشايخ وسمع منه الطبراني والدارقطني والجعابي وابن عدي
وابن المظفر وابن شاهين قال الدارقطني اجمع اهل الكوفة انه لم ير من زمن ابن
مسعود الى زمان ابن عقدة احفظ منه ويقال انه كان يحفظ نحوا من ستمائة الف
حديث منها ثلاثمائة الف في فضائل اهل البيت بما فيها من الصحاح والضعاف
وكانت كتبه ستمائة حمل جمل وكان ينسب مع هذا كله الى التشيع قال الدارقطني
كان رجل سوء ونسبه ابن عدي الى انه كان يسوي النسخ للاشياخ ويامرهم بروايتها قال
الخطيب ثنا علي بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف سمعت ابا عمر بن حيويه يقول
كان ابن عقدة يجلس في جامع براثا يملي مثالب الصحابة او قال الشيخين فتركت
حديثه لا احدث عنه بشي قلت وقد حررت الكلام فيه بما فيه كفاية في كتابي التكميل
ولله الحمد والمنة وكانت وفاته في ذي القعدة منها احمد بن عامر بن بشر بن حامد
ابو حامد المروروذي نسبة الى مرو الروذ والروذ النهر الفقيه الشافعي تلميذ
الشيخ ابي اسحاق المروزي نسبة الى مرو الشاهجان وهي اعظم من تلك شرح مختصر
المزني وله كتاب الجامع في المذهب وصنف في اصول الفقه وكان اماما لا يشق غباره

توفي

توفي في هذه السنة رح

ثم دخلت سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة

فيها رجع الخليفة المتقي لله الى بغداد وخلع من الخلافة وسملت عيناه كان المتقي
وهو مقيم بالموصل قد ارسل الى الاخشيد محمد بن طغج صاحب الديار المصرية والبلاد
الشامية فاقبل اليه وقدم عليه في المنتصف من المحرم من هذه السنة وخضع
للخليفة غاية الخضوع وكان يقوم بين يديه كما يقوم الغلمان ويمشي والخليفة
راكب ثم عرض عليه ان يصير معه الى الديار المصرية او يقيم ببلاد الشام فابى عليه
ذلك فاشار عليه بالمقام مكانه الذي هو فيه ولا يذهب الى توزون ببغداد وحذره
من توزون ومكره وخديعته فلم يقبل وكذلك اشار عليه الوزير ابن الحسين بن مقلة
فلم يسمع فاهدى الى الخليفة هدايا كثيرة فاخرة وكذلك الى الامرا والكبرا والوزير
ثم كر راجعا الى بلاده وقد اجتاز بحلب فانحاز عنها صاحبها ابو عبد الله بن سعيد
ابن حمدان وكان ابن مقاتل بها فارسله الى الديار المصرية نائبا عنه حتى يعود اليها
واما الخليفة فانه ركب من الرقة في دجلة الى بغداد وارسل الى توزون فاستوثق
منه كما تحلف من الايمان فاكدها وقررها فلما اقترب منها خرج اليه توزون
ومعه العساكر فلما راى الخليفة قبل الارض بين يديه واظهر انه قد وفى له بما كان
حلف عليه وانزله في مضرب ضربه فاحتاط على من معه من الكبرا وامر بسمل عيني
الخليفة فسملت عيناه فصاح صيحة عظيمة سمعها الحرم فتعالت الاصوات بالبكا
فامر توزون بضرب الدبادب حتى لا تسمع اصوات الحرم ثم انحدر من فوره الى بغداد
فبايع للمستكفي بالله فكانت خلافة المتقي لله ثلاث سنين وخمسة اشهر وعشرين
يوما وقيل واحد عشر شهرا وستاتي ترجمته عند ذكر وفاته

خلافة المستكفي بالله ابي القسم

عبد الله بن المكتفي بن المعتضد

لما رجع توزون الى بغداد وقد خلع المتقي لله وسمله استدعى بعبد الله بن المكتفي
فبايعه على الخلافة ولقب بالمستكفي بالله وذلك في العشر الاخير من صفر من هذه
السنة وجلس توزون بين يديه وخلع عليه المستكفي خلعة سنية وكان المستكفي
مليح الشكل ربعة حسن الجسم والوجه ابيض اللون مشربا بحمرة اقنى الانف خفيف
العارضين وعمره يوم بويع بالخلافة احدى واربعون سنة واحضر المتقي بين يديه
وبايعه واخذ منه البردة والقضيب واستوزر ابا الفرج محمد بن علي السامري
ولم يكن اليه من الامر شي وانما الذي يتولى الامور ابن شيرزاد وحبس المتقي لله في السجن
وطلب المستكفي ابا القاسم الفضل بن المقتدر وهو الذي ولي الخلافة بعد ذلك
ولقب المطيع لله فاختفى منه ولم يظهر مدة خلافة المستكفي وامر المستكفي بهدم
داره التي عند دجلة

موت القايم الفاطمي وولاية ولده ابنه المنصور

وفي رمضان من هذه السنة والصحيح في شوال من السنة التي بعدها توفي القايم بامر الله
القاسم بن المهدي وقد عهد بالامر من بعده لولده المنصور اسماعيل فكتم موت

ابنه مدة حتى انتزع اره ثم اظهره وقد كان ابو يزيد الخارجي قد حاربهم في هذه السنة واخذ منهم مدنا كبارا وكسروه مرارا متعددة ثم يثور عليهم ويجمع الرجال ويقاتلهم من قدر عليه فانتدب المنصور لقتال ابي يزيد بنفسه وركب في الجيوش وجرت بينهما حروب يطول ذكرها وقد بسطها ابن الاثير في كامله وقد انهزم في بعض الاحيان جيش المنصور عنه ولم يبق الا في عشرين نفسا فقاتل بنفسه قتالا عظيما فهزم ابا يزيد بعدما كاد يقتله وثبت المنصور ثباتا عظيما فعظم في اعين الناس وزادت حرمته وهيبته واستنقذ بلاد القيروان منه وما زال يحاربه المنصور حتى ظفر به وقتله ولما جيء برأسه سجد شكرا لله عز وجل وكان ابو يزيد هذا قبيح الشكل اعرج قصيرا خارجيا شديدا يرى تكفير اهل الملة قبحه الله وجهه في الدنيا والآخرة وفي ذي الحجة من هذه السنة قتل ابو الحسين بن البريدي وصلب ثم احرق وذلك لانه قدم بغداد يستنجد بتوزون وابي جعفر بن شيرزاد على ابن اخيه فوعدوه النصر ثم شرع يفسد ما بين توزون وابن شيرزاد فعلم بذلك ابن شيرزاد فامر بسجنه وضربه واحضر له بعض الفقهاء فتيا عليها خطوط الفقهاء باباحة دمه فاستظهر عليه بذلك فامر بقتله وصلبه ثم احراقه وانقضت ايام البريديين وزالت دولتهم لا جمع الله بهم شملا وفي هذه السنة اخرج المستكفي بالله القاهر من دار الخلافة الذي كان الخليفة ثم سملت عيناه وانزله بدار ابن طاهر وقد افتقر حتى لم يبق له من اللباس سوى قطن جبة يلتف بها وفي رجله قبقاب من خشب وفي هذه السنة ركب معز الدولة في رجب منها الى واسط ليحاصرها فبلغ خبره الى توزون فركب هو والمستكفي بالله فلما سمع بهم معز الدولة رجع عنها الى بلاده وتسلمها الخليفة وضمنها ابو القسم بن ابي عبد الله فضمنه توزون ثم رجع هو والخليفة الى بغداد في شوال من هذه السنة وفي هذه السنة ركب سيف الدولة علي بن ابي الهيجاء عبد الله بن حمدان الى حلب فتسلمها من يانس المونسي ثم سار الى حمص ليأخذها فجاءته جيوش الاخشيد محمد بن طغج مع مولاه كافور فاقتتلوا فانهزم كافور والاخشيدية واستولى سيف الدولة على حمص ثم ركب الى دمشق ليحاصرها فلم يفتحها اهلها له فرجع عنها وقصده الاخشيد بجيوش كثيرة فالتقيا بقنسرين فلم يظفر احدهما بالآخر ورجع سيف الدولة الى الجزيرة ثم عاد الى حلب فاستقر ملكه بها فقصدته الروم في جحافل عظيمة فالتقى معهم فظفر بهم فقتل منهم خلقا كثيرا

ثم دخلت سنة اربع وثلثين وثلثمائة

في المحرم منها زاد الخليفة في لقبه امام الحق وكتب ذلك على سكة المعاملة وقال له الخطباء على المنابر ايام الجمع وفي المحرم من هذه السنة مات توزون التركي في داره ببغداد وكانت امارته سنتين واربعة اشهر وعشرة ايام وكان ابن شيرزاد كاتبه وكان بهيت لتخليص المال فلما بلغه الخبر اراد ان يعقد البيعة لناصر الدولة ابن حمدان فاضطربت الاجناد وعقدت الرياسة لنفسه ودخل بغداد في مستهل صفر وخرج اليه الاجناد كلهم وحلفوا له وحلف له الخليفة والقضاة والاعيان ودخل

على الخليفة فخاطبه بامير الامراء فزاد في ارزاق الاجناد وبعث الى ناصر الدولة يطالبه بالخراج فبعث اليه بخمسمائة الف درهم وبطعام ففرقه في الناس وامر ونهى وولى وعزل وقطع ووصل وفرح بنفسه ثلاثة اشهر وعشرين يوما ثم جاءت الاخبار بان معز الدولة ابن بويه قد اقبل في الجيوش قاصدا الى بغداد فاختفى ابن شيرزاد والخليفة وخرج اكثر الاتراك قاصدين الى الموصل ليكونوا مع ناصر الدولة بن حمدان

ذكر اول دولة بني بويه وحكمهم ببغداد

اقبل معز الدولة ابو الحسن احمد بن بويه في جحافل فلما اقترب من بغداد بعث الخليفة المستكفي بالله اليه بالهدايا والانزال وقال للرسول اخبره اني مسرور به واني انما اختفيت من شر الاتراك الذين انصرفوا الى الموصل وبعث اليه بالخلع والتحف ودخل معز الدولة بن بويه بغداد في حادي عشر جمادى الاولى من هذه السنة فنزل بباب الشماسية ودخل من الغد الى الخليفة فبايعه وخلع عليه المستكفي ولقبه بمعز الدولة ولقب اخاه ابا الحسن عليا بعماد الدولة واخاه ابا علي بركن الدولة وكتب القابهم على الدراهم والدنانير ونزل معز الدولة بدار مونس الخادم ونزل اصحابه من الديلم بدور الناس فلقي الناس من ذلك كلفة شديدة وامن معز الدولة ابن شيرزاد فلما ظهر استكتبه على الخراج ورتب للخليفة بسبب نفقاته خمسة آلاف في كل يوم واستقرت الامور على هذا النظام

ذكر القبض على المستكفي وخلعه

لما كان اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة حضر معز الدولة الى الحضرة فجلس على سرير بين يدي الخليفة وجاء رجلان من الديلم فمدا ايديهما الى الخليفة فانزلاه عن كرسيه وسحباه فتخربت عمامته في حلقه ونهض معز الدولة واضطربت دار الخلافة حتى خلص الى الحريم وتفاقم الحال وسيق الخليفة ماشيا الى دار معز الدولة فاعتقل بها واحضر ابو القسم الفضل بن المقتدر فبويع بالخلافة وسملت عينا المستكفي واودع السجن فلم يزل به مسجونا حتى كانت وفاته في سنة ثنتين وتسعين كما سيأتي بيانه وذكر ترجمته هنالك

خلافة المطيع لله

لما قدم معز الدولة بغداد وقبض على المستكفي وسملت عيناه استدعى بابي القسم الفضل بن المقتدر بالله وكان مختفيا من المستكفي وهو يحث في طلبه ويجتهد فلم يقدر عليه ويقال انه اجتمع بمعز الدولة سرا فحرضه على المستكفي حتى كان من امره ما كان فاحضر ابو القسم بن المقتدر فبويع بالخلافة ولقب بالمطيع لله وبايعه الامراء والاعيان ومعز الدولة والعامة فضعف امر الخلافة جدا حتى لم يبق للخليفة امر ولا نهي ولا وزير ايضا وانما يكون له كاتب على اقطاعه فقط وانما يورد المملكة ومصادرها الى معز الدولة وانما كان كذلك لان بني بويه ومن

معهم من الديلم فيهم تشيع شديد وكانوا يرون ان بني العباس قد غصبوا الامر من بني العلويين حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة عنهم الى العلويين واستشار اصحابه في ذلك فكلهم اشار عليه بذلك الا رجلا منهم كان سديد الراي فيهم فانه قال لا ارى لك هذا قال ولم ذاك قال لان هذا خليفة ترى انت واصحابك انه غير صحيح الامارة حتى لو امرت بقتله لقتله اصحابك ولو وليت رجلا من العلويين لكنت واصحابك تعتقدون صحة ولايته فلو امر بقتلك لقتلك اصحابك فلما فهم ذلك صرفه عن رايه الاول للدنيا لا لله عز وجل ثم نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان وبين معز الدولة ابن بويه فركب ناصر الدولة بعدما خرج معز الدولة والخليفة المطيع لله الى عكبرا فدخل بغداد فاخذ الجانب الشرقي ثم الغربي وضعف امر معز الدولة والديالمة الذين معه ثم مكر به معز الدولة وخدعه حتى استظهر عليه وانتصر اصحابه فنهبوا بغداد وما قدروا عليه من اموال التجار وغيرهم فكان قيمة ما اخذ اصحاب معز الدولة من الناس عشرة الاف الف دينار ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة ومعز الدولة ورجع ابن حمدان الى بلده الموصل واستقر معز الدولة بمدينة السلام بغداد ثم شرع في استعمال السعاة ليبلغوا اخاه ركن الدولة اخباره فغوى بعامة في ذلك وعلموا ابناءهم ذلك حتى كان من الناس من يقطع نيفا وثلاثين فرسخا في يوم والمجيبة المصارعون والملاكمون وغير ذلك من ارباب هذه الصناعات التي لا ينتفع بها الا قليلا كالسباحة ونحوها وكان يضرب الطبول بين يديه ويصارع بين الرجال والكوسات تدق حول سور المكان الذي هو فيه وهذه رعونة شديدة وسخافة عقل منه وممن هو انفق على ذلك ثم احتاج معز الدولة الى صرف اموال في ارزاق الاجناد فاقطعهم البلاد عوضا عن ارزاقهم فادى ذلك الى خرابها وترك عمارتها الا الاراضي التي بايدي اصحاب الجاهات وفي هذه السنة وقع غلاء شديد ببغداد حتى اكلوا الكلاب والسنانير وكان من الناس من يسرق الاولاد فيشويهم وياكلهم وكثر الموت في الناس حتى كان لا يدفن احد احدا بل يتركون على الطرقات فياكل كثيرا منهم الكلاب وابيعت الدور والعقار بالخبز وانتجع الناس الى البصرة فكان منهم من يموت في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مدة وفيها كانت وفاة القائم بامر الله ابي القسم محمد بن عبيد الله المهدي وولي الامر من بعده ولده المنصور اسماعيل وكان حازم الراي شديدا شجاعا كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية وكانت وفاته في شوال من هذه السنة على الصحيح وفيها توفي الاخشيد محمد بن طغج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وكانت وفاته بدمشق وله من العمر بضع وستون سنة واقيم ولده انوجور وكان صغيرا واقيم كافور الاخشيدي اتابكه فكان يدبر الممالك بالبلاد كلها واستحوذ على الامور كلها وسار الى مصر فقصد سيف الدولة بن حمدان دمشق فاخذها من اصحاب الاخشيد ففرح بها فرحا شديدا واجتمع بمحمد بن محمد بن نصر الفارابي التركي الفيلسوف بها وركب سيف الدولة يوما مع الشريف العقيقي في بعض نواحي دمشق فنظر سيف الدولة الى الغوطة فاعجبته وقال ينبغي ان تكون هذه كلها لديوان كانه يعرض باخذها فاوغر ذلك العقيقي الى اهل دمشق فكتبوا الى كافور الاخشيدي يستنجدونه فاقبل اليه في جيوش كثيفة فاجلاعنهم سيف الدولة وطرده عن حلب

ايضا

ايضا واستناب عليها ثم كر راجعا فاستناب على دمشق بدر الاخشيدي ويعرف ببدير فلما صار كافور الى الديار المصرية رجع سيف الدولة الى حلب فاخذها كما كانت اولا له ولم يبق له في دمشق شيء وكافور هذا هو الذي هجاه المتنبي ومدحه ايضا

وممن توفي فيها من الاعيان

الخرقي صاحب المختصر المشهور في الفقه

عمر بن الحسين بن عبد الله ابو القسم الخرقي صاحب المختصر في الفقه على مذهب الامام احمد وقد شرحه القاضي ابو يعلى بن الفراء والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي وقد كان الخرقي هذا من سادات الفقهاء والعباد كثير الفضائل والعبادة خرج لما كثر السب بها واودع كتبه ببغداد فاحترقت الدار التي هي فيها وعدمت مصنفاته وقصد دمشق فاقام بها حتى مات في هذه السنة وقبره بباب الصغير يزار قريبا من قبور الشهداء وفي مصنفه هذا المختصر في كتاب الحج ويأتي الحجر الاسود ويقبله ان كان هناك وانما قال ذلك لان تصنيفه لهذا الكتاب كان والحجر الاسود بايدي القرامطة حين اخذوه من مكة في سنة سبع عشرة وثلثمائة كما ذكرنا ولم يردوه الى سنة تسع وثلثين وثلثمائة كما سياتي بيانه في موضعه قال الخطيب قال لي القاضي ابو يعلى كانت له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر لانه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة واودع كتبه فاحترقت الدار التي هي فيها واحترقت الكتب فيها ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد ثم روى الخطيب من طريقه عن ابي الفضل عبد السميع الهاشمي عن الفتح بن شخرف قال رايت امير المؤمنين علي بن ابي طالب في المنام فقال لي ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء قال وفتح لي كفه فاذا فيها مكتوب

قد كنت ميتا فصرت حيا • وعن قليل تصير ميتا
فابن بدار البقاء بيتا • ودع بدار الفناء بيتا

قال ابن بطة مات الخرقي بدمشق سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وزرت قبره

محمد بن عيسى ابو عبد الله بن ابي موسى الفقيه الحنفي احد ائمة العراقيين في زمانه وولي القضاء ببغداد للمتقي ثم المستكفي وكان ثقة فاضلا كبست اللصوص داره يظنون ان له مالا فضربه بعضهم ضربة اثخنته فهرب منهم الى السطوح فالقى نفسه من شدة الفزع الى الارض فمات رح وذلك في ربيع الاول من هذه السنة

محمد بن محمد بن عبد الله ابو الفضل السلمي الوزير الفقيه المحدث الشاعر سمع الكثير وجمع وصنف وكان يصوم الاثنين والخميس ولا يدع صلاة الليل والتصنيف وكان يسال الله الشهادة كثيرا فولي الوزارة للسلطان فقصده الاجناد يطالبون ارزاقهم واجتمع ببابه منهم خلق كثير فاستدعى بحلاق فحلق راسه وتنور وتطيب ولبس كفنه وقام يصلي فدخلوا عليه فقتلوه رح وهو ساجد في ربيع الاخر من هذه السنة

الاخشيد

محمد بن عبد الله بن طغج بن جف ابو بكر الملقب بالاخشيد ومعناه ملك الملوك

لقبه بذلك الراضي لأنه كان ملك فرغانة وكل من ملكها كان يسمى الإخشيد كما أن من ملك
أشروسنة يسمى الأفشين ومن ملك خوارزم يسمى خوارزمشاه ومن ملك جرجان
يسمى صول ومن ملك أذربيجان يسمى أصبهبذ ومن ملك طبرستان يسمى أرسلان
قاله ابن الجوزي في المنتظم قال السهيلي وكانت العرب تسمي من ملك الشام مع الجزيرة
كافرا قيصر ومن ملك الفرس يسمى كسرى ومن ملك اليمن يسمى تبع ومن ملك الحبشة
يسمى النجاشي ومن ملك مصر كافرا يسمى فرعون ومن ملك الإسكندرية يسمى المقوقس
وذكر غير ذلك وكانت وفاته بدمشق ونقل إلى بيت المقدس فدفن هناك رحمه الله

أبو بكر الشبلي أحد مشايخ الصوفية

اختلفوا في اسمه على أقوال فقيل دلف بن جحدر وقيل ابن جعفر بن يونس أصله
من قرية يقال لها شبلية من بلاد أشروسنة من خراسان وولد بسامرا وكان أبوه
حاجب الحجاب للموفق وكان خاله نائب الإسكندرية وكانت توبة الشبلي على يدي
خير النساج سمعه يعظ فوقع كلامه في قلبه فتاب من فوره ثم صحب الفقراء والمشايخ
ثم كان بعد ذلك من أئمة القوم قال الجنيد بن محمد كان الشبلي تاج هؤلاء وقال
الخطيب أنا علي بن محمد المروزي سمعت علي بن المثنى التميمي يقول دخلت على الشبلي
في داره وهو يهيج ويقول

على بعدك لا يصبر من عادته القرب ●
ولا يقوى على حجبك من تيمه الحب ●
فإن لم ترك العين فقد يبصرك القلب

وقد ذكر له أحوال وكرامات وقد ذكرنا أنه ممن اشتبه عليه أمر الحلاج وذا ثقة
في بعض ما نسب إليه من الأقوال من غير تأمل لما تضمنها مما كان الحلاج يحاوله من
الإلحاد والاتحاد ولما حضرته الوفاة قال لخادمه قد كان علي درهم من مظلمة تصدقت
عن صاحبه بألوف ومع هذا ما على قلبي شغل أعظم منه ثم أمره أن يوضئه فوضأه
وترك تخليل لحيته فرفع يده وكان قد اعتقل لسانه فجعل يخلل لحيته بنفسه ثم
مات رحمه الله وذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وحكى عنه أنه دخل يوما على الجنيد فوقف
بين يديه وصفق بيديه وأنشد

عودوني الوصال والوصل عذب ● ورموني بالصد والصد صعب ●
زعموا حين أزمعوا أن ذنبي ● فرط حبي لهم وما ذاك ذنب ●
لا وحق الخضوع عند التلاقي ● ما جزاء من يحب إلا يحب ●

وذكر عنه أنه قال رأيت مجنونا على الجامع بباب الرصافة يوم جمعة وهو عريان وهو
يقول أنا مجنون الله أنا مجنون الله فقلت له ألا تستتر وتدخل تصلي مع الناس فأنشأ
يقول ●

يقولون زرنا واقض واجب حقنا ● وقد أسقطت حالي حقوقهم عني ●

إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ● ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني ●
وذكر الخطيب في تاريخه عنه أنه أنشد لنفسه ●

مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى ● دمعان في الأجفان يزدحمان ●
ما أنصفتني الحادثات رمينني ● بمودعين وليس لي قلبان ●

وكانت وفاته ليلة جمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة من هذه السنة وله سبع وثمانون
سنة ودفن في مقبرة الخيزران رحمه الله ●

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة استقر الخليفة المطيع لله في دار الخلافة واصطلح معز الدولة بن
بويه وناصر الدولة بن حمدان على ذلك ثم جرت بين ناصر الدولة وتكين التركي فاقتتلا
مرات متعددة ثم ظفر ناصر الدولة بتكين فسمله بين يديه واستقر أمره بالموصل
والجزيرة وفيها استحوذ ركن الدولة بن بويه على الري وانتزعها من الخراسانية
فاتسعت مملكة بني بويه جدا فإنه صار بأيديهم أعمال الري والجبل وأصبهان وفارس
والأهواز والعراق ويجبى إليهم ضمان الموصل وديار مضر وربيعة من الجزيرة ثم اقتتل
جيش معز الدولة وجيش أبي القسم بن البريدي فهزم أصحاب البريدي وأسر من
أعيانهم جماعة كثيرة وفيها وقع الفداء بين الروم والمسلمين على يدي نصر الثملي أمير
الثغور لسيف الدولة بن حمدان فكان عدة الأسارى نحوا من ألفين وخمسمائة
مسلم ولله الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الأعيان

الحسن بن حمويه بن الحسين القاضي الأستراباذي روى الحديث الكثير وحدث
وكان له مجلس للإملاء وحكم ببلده مدة طويلة وكان من المجتهدين بالأسحار يضرب به
المثل في مروءته ووجاهته وقد مات فجأة على صدر جاريته عند إنزاله رحمه الله عبد
الرحمن بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحلبي سمع ابن أبي الدنيا وغيره وحدث عنه الدارقطني
وخلق وكان ثقة ثبتا حافظا حدث من حفظه بخمسين ألف حديث عبد السلام
بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم أبو محمد
الكلبي الملقب ديك الجن الشاعر الشيعي ويقال إنه من موالي بني تميم وكانت له أشعا
ر في جارية وغير جارية وقد استجاد أبو نواس شعره في الخمريات علي بن عيسى بن داود
بن الجراح أبو الحسن الوزير وزر للمقتدر والقاهر وله سنة خمس وأربعين سمع الكثير
وعنه الطبراني وغيره وكان ثقة ثبتا فاضلا عفيفا كثير التلاوة والصلاة والصيام
يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم وكان أصله من الفرس وكان من أكبر القائمين على الحلاج
وقد روي عنه أنه قال كسبت سبعمائة ألف دينار أنفقت منها على وجوه الخير
ستمائة ألف وثمانين ألفا ولما دخل مكة حين نفي من بغداد طاف بالبيت وبالصفا
والمروة وكان حر شديد فألقى نفسه كالميت وقال أشتهي على الله شربة بثلج فقال
له بعض أصحابه إن هذا مما لا يتهيأ ههنا فقال أعرف ولكني استروحت إلى المنى
فلما كان في أثناء النهار جاءت سحابة فأمطرت ثم سقط برد شديد كثير فجمع له صاحب
ذلك من البرد شيئا كثيرا وخبأه له وكان الوزير صائما فلما أمسى جاء المسجد فأقبل

البيت صاحبه بأنواع من الأشربة كلها بثلج فجعل يستفيد من جوله من الصوفية والمجاورين ولم يشرب هو شيئا من ذلك فلما رجع إلى المنزل جيئنه بشيء من ذلك الشراب كنا قد خبأناه له وأقسمت عليه ليشربنه فشربه بعد جهد وقال كنت أشتهي لو كنت عسيت المغفرة رحمه الله وغفر له ومن شعر الوزير أبي الحسن علي بن عيسى قوله

• لمن كان عني سائلا بشماتة • لما نابني أو شامتا غير سائل •
• فقد أبرزت مني الخطوب ابن حرة • صبورا على أهوال تلك النوازل •

وقد روى أبو القسم علي بن الحسن التنوخي عن أبيه عن جماعة أن عطارا من أهل الكرخ كان مشهورا بالسنة ركبه ستمائة دينار دينا فغلق دكانه وانكسر عن كسبه ولزم منزله وأقبل على الدعاء والتضرع والصلاة ليالي كثيرة فلما كان في بعض الليالي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له اقصد علي بن عيسى الوزير فقد أمرته لك بأربعمائة دينار فلما أصبح الرجل قصد باب الوزير فلم يعرفه أحد فجلس لعل أحدا يستأذن له عليه حتى طال عليه المجلس وهم بالانصراف ثم إنه قال لبعض الحجبة قل للوزير إني رجل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأنا أريد أن أقصه على الوزير فقال له الحاجب وأنت الرائي إن الوزير قد أنفذ في طلبك رسلا متعددة ثم دخل فما كان بأسرع من أن أدخلني عليه فأقبل عليه الوزير يستعلمه عن اسمه وصفته ومنزله فذكر ذلك كله فقال له الوزير إني رأيت رسول الله وهو يأمرني بإعطائك أربعمائة دينار فأصبحت لا أدري من أسأل عنك وقد أرسلت في طلبك إلى الآن عدة من الرسل فجزاك الله خيرا في قصدك إياي ثم أمر بإحضار ألف دينار فقال له هذه أربعمائة لأمر رسول الله وستمائة هبة من عندي فقال الرجل لا والله لا أزيد على ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أرجو الخير والبركة فيه ثم أخذ منها أربعمائة دينار فقال الوزير هذا هو الصدق واليقين فخرج الرجل فعرض على أرباب الديون أموالهم فقالوا نحن نصبر عليك ثلاث سنين وافتح بهذا الذهب دكانك ودم على كسبك فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث فدفع إليهم مائتي دينار وفتح الدكان بالمائتين الأخرى فما حال الحول حتى كسب ألف دينار ولعلي بن عيسى أخبار كثيرة صالحة وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة وقيل في التي قبلها والله أعلم محمد بن إسماعيل بن إسحاق بن بحر أبو عبد الله الفارسي الفقيه الشافعي وكان ثقة ثبتا فاضلا سمع أبا زرعة الدمشقي وغيره وعنه الدارقطني وغيره وآخر من حدث عنه أبو عمر بن مهدي وكانت وفاته في شوال من هذه السنة هارون بن محمد بن هارون بن علي بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد ابراهيم بن صبيح بن ذهل بن مالك بن سعد بن ضبة أبو جعفر والد القاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون كان أسلافه ملوك عمان في قديم الزمان ويزيد بن جابر أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه وكان هارون هذا أول من انتقل من أهله من عمان فنزل بغداد وحدث بها وروى عنه ابنه وكان فاضلا متضلعا من كل فن وكانت داره مجمع العلماء في سائر الفنون ونفقاته دارة عليهم وكانت له منزلة عالية وهيبة وافرة ببغداد وقد أثنى عليه الدارقطني ثناء كثيرا وقال كان مبرزا في النحو

واللغة والشعر ومعاني القرآن قال ابن الأثير وفيها توفي أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العباس بن صول الصولي وكان عالما بفنون الآداب والأخبار وإنما ذكره ابن الجوزي في التي بعدها كما سيأتي ابو العباس ابن القاص أحمد بن أبي أحمد الطبري الفقيه الشافعي تلميذ ابن سريج وله كتاب التلخيص وكتاب المفتاح وهو مختصر شرحه أبو عبد الله الحسين وأبو علي السنجي أيضا وكان أبوه يقص على الناس الأخبار والآثار وأما هو فتولى قضاء طرسوس وكان يعظ الناس أيضا فحصل له خشوع فسقط مغشيا عليه فمات في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وقيل سنة ست وثلاثين فالله أعلم

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة

فيها خرج معز الدولة والمطيع لله من بغداد إلى البصرة فاستنقذاها من يد أبي القسم ابن البريدي وهرب هو وأكثر أصحابه واستولى معز الدولة على البصرة وبعث يتهدد القرامطة ويتوعدهم بأخذ بلادهم وزاد في قطاع الخليفة ضياعا تعمل في السنة ما يبلغ ألف دينار ثم سار معز الدولة ليلتقي أخيه عماد الدولة بالأهواز فقبل الأرض بين يدي أخيه وقام ماثلا أيضا ويأمره بالجلوس فلا يفعل ثم عاد إلى بغداد ورجع الخليفة إليها أيضا وقد نهبت دار أبو جعفة وفي هذه السنة استحوذ ركن الدولة على بلاد طبرستان وجرجان وانتزعهما من يد وشمكير أخي مرداويج ملك الديلم فذهب وشمكير إلى خراسان يستنجد بصاحبها ٥

وممن توفي فيها من الأعيان

ابو الحسين ابن المنادي

أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد أبو الحسين ابن المنادي سمع جده وعباسا الدوري ومحمد بن إسحاق الصاغاني وكان ثقة أمينا حجة صادقا صنف كثيرا وجمع علوما جمة ولم يسمع منها إلا اليسير وذلك لشراسة أخلاقه وآخر من روى عنه محمد بن فارس الصولي ونقل ابن الجوزي عن أبي يوسف القزويني أنه قال صنف أبو الحسين ابن المنادي في علوم القرآن أربعمائة كتاب ونيفا وأربعين كتابا ولا يوجد في كلامه حشو بل هو نقي الكلام جمع بين الرواية والدراية وقال ابن الجوزي ومن وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه كانت وفاته في محرم هذه السنة عن ثمانين سنة

الصولي

محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبو بكر الصولي كان أحد العلماء بفنون الأدب حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء روى عن أبي داود السجستاني والمبرد وثعلب وأبي العيناء وغيرهم وكان واسع الرواية جيد الحفظ حاذقا بتصنيف الكتب وله كتب كثيرة هائلة ونادم جماعة من الخلفاء وحظي عندهم وكان جده صول وأهله ملوكا بجرجان ثم كان أولاده من أكابر الكتاب وكان الصولي هذا جيد الاعتقاد حسن الطريقة وله شعر حسن وقد روى عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ ومن شعره قوله

احببت من اجله من كان يشبهه • وكل شيء من المعشوق معشوق •
حتى حكيت بجسمي ما بمقلته • كأن سقمي من عينيه مسروق •

خرج الصولي من بغداد الى البصرة لحاجة لحقته فمات في هذه السنة وفيها كانت وفاة ابنة الشيخ ابي الحسن الزاهد المكي وكانت من العابدات الناسكات المقيمات بمكة وانها كانت تنفقات من كسب ابيها مما كان يكتسبه من عمل الخوص في كل سنة بثلاثين درهما يرسلها اليها فاتفق انه ارسلها مرة مع بعض اصحابه فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهما يريد بذلك برها وزيادة في نفقتها فلما اختبرتها قالت هل وضعت على هذه شيئا اصدقني بحق الذي حججت له فقال لها نعم فقالت ارجع بها فلا حاجة لي فيها ولولا انك قصدت الخير لدعوت عليك فانك اجعتني عامي هذا لم يتوفر لي رزق من المزابل الى قابل فقلت لا تأخذي منها الثلاثين درهما فقالت انك قد اخلطت بما لك ولا ادري ما هو قال الرجل فرجعت بها الى ابيها فابى ان يقبلها وقال شققت يا هذا علي وضيقت عليها ولكن اذهب فتصدق بها

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلثماية

فيها ركب معز الدولة من بغداد الى الموصل فانهزم منه ناصر الدولة الى نصيبين فملك معز الدولة بن بويه الموصل في رمضان من هذه السنة فعسف اهلها واخذ اموالهم وكثر الدعاء عليه ثم عزم على اخذ البلاد كلها من يد ناصر الدولة بن حمدان فجاءه خبر من اخيه ركن الدولة يستنجده على من قبله من الخراسانية فاحتاج الى مصالحة ناصر الدولة على ان يحمل عما تحت يده من بلاد الجزيرة والشام في كل سنة ثمانية الاف الف درهم وان يخطب له ولاخويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلاده كلها ففعل وعاد معز الدولة الى بغداد وبعث الى اخيه ركن الدولة بجيش هائل واخذ له عهدا من الخليفة بولاية خراسان وفيها دخل سيف الدولة صاحب حلب الى بلاد الروم فلقيه جمع كثيف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم سيف الدولة واخذت الروم مرعش واوقعوا باهل طرسوس بأسا شديدا فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الجوزي وفي رمضان انتهت زيادة دجلة الى احد وعشرين ذراعا وثلث فغرقت الضياع والدور التي عليها واشرف الجانب الغربي على الغرق وهم الناس بالهرب منه

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم ابو محمد البيع وهو والد الحاكم ابي عبد الله النيسابوري اذن ثلاثا وستين سنة وغزا اثنتين وعشرين غزوة وانفق على الحديث مائة الف وكان يقوم الليل كثير الصدقة ادرك عبد الله بن احمد ومسلم بن الحجاج وروى عن ابن خزيمة وغيره وتوفي عن ثلاث وتسعين سنة قدامة الكاتب المشهور هو قدامة بن جعفر بن قدامة ابو الفرج الكاتب له مصنف في الخراج وصناعة الكتابة وبه يقتدي علماء هذا الشأن وقد سأل ثعلبا عن اشياء محمد بن علي بن عمر ابو علي المذكر الواعظ بنيسابور كان كثيرا التدليس عن المشايخ الذين لم يلقهم وتوفي في هذه السنة عن مائة وسبع سنين ابو عبد الله محمد بن مطهر بن عبد الله ابو النجا الفرضي الضرير الفقيه المالكي له كتاب في الفقه على مذهب مالك وله مصنفات في الفرائض

قليلة النظر وكان ذا دينا فاضلا صادقا ارخ

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلثماية

في ربيع الاول منها وقعت فتنة بين الشيعة والسنة ونهبت الكرخ وفي جمادى الاخرة تقلد القاضي ابو السايب عتبة بن عبيد الله الهمداني قضاء القضاة وفيها خرج رجل يقال له عمران بن شاهين كان قد استوجب بعض العقوبات فهرب من السلطان الى ناحية البطايح فكان يقتات بما يصيده من السمك والطيور والتف عليه خلق من الصيادين وقطاع الطريق فقويت شوكته واستعمله ابو القسم بن البريدي على حماية بعض تلك النواحي وارسل اليه معز الدولة بن بويه جيشا مع وزيره ابي جعفر الصيمري فهزموا الوزير لكنه دهمه امر اشتغل به عنه وذلك

وفاة عماد الدولة ابن بويه

وهو ابو الحسن علي بن بويه اكبر اولاد بويه واول من تملك منهم وكان عاقلا حازما جيد السيرة رئيسا في نفسه كان اول ظهوره في سنة اثنتين وعشرين وثلثماية كما ذكرنا فلما كان في بعض هذا العام قويت عليه الاسقام وتواترت لديه الالام فاحس من نفسه بالهلاك ولم يغن عنه ما هو فيه من الملك وكثرة الاموال والرجال من الديالمة والاتراك ولم يحصلوا له الفكاك ولم يكن له ولد ذكر فارسل الى اخيه ركن الدولة يستدعي اليه ولده عضد الدولة ليجعله ولي عهده من بعده فلما قدم عليه فرح به فرحا شديدا وخرج بنفسه في جميع جيشه لتلقيه فلما دخل به دار المملكة اجلسه على السرير وقام بين يديه كاحد الامراء ليرفع من شانه عند امرايه ووزرايه واعوانه ثم عقد له البيعة على ما يملكه من البلدان والاموال وتدبير الملك والرجال وفيهم من بعض رؤساء الامراء كراهية لذلك فشرع في القبض عليهم وقتل من شاء منهم وسجن آخرين حتى تمهدت الامور لعضد الدولة ثم كانت وفاة عماد الدولة بشيراز في هذه السنة عن سبع وخمسين سنة وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة وكان من خيار الملوك في زمانه وممن حاز قصب السبق دون اقرانه وكان هو في الحقيقة امير الامراء وبذلك كان يكاتبه الخلفاء ولكن اخوه معز الدولة كان ينوب عنه ببغداد والعراق والسواد ولما مات عماد الدولة اشتغل الوزير ابو جعفر الصيمري عن محاربة عمران بن شاهين وكتب اليه معز الدولة ان يسير الى شيراز ليضبط امرها فقوي امر عمران بعد ضعفه وكان من امره ما سيأتي في موضعه

وممن توفي في هذه السنة

ابو جعفر النحاس النحوي

احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس ابو جعفر المرادي المصري النحوي المعروف بالنحاس اللغوي المفسر الاديب له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره ولقي اصحاب المبرد وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة قال ابن خلكان لخمس خلون منها يوم السبت وكان سبب وفاته انه جلس عند المقياس يقطع شيئا من العروض فظنه

بعض الحمامات يتحرى النيل ليلا فتوفي من رفسه برجله فسقط فغرق ولم يدر أين ذهب رح وكان
قد أخذ النحو عن علي بن سليمان الأخفش وأبي بكر بن الأنباري وأبي إسحاق الزجاج ونفطويه
وغيرهم وله مصنفات كثيرة مفيدة منها تفسير القرآن والناسخ والمنسوخ وشرح
أبيات سيبويه ولم يصنف مثله وشرح المعلقات والدواوين العشرة وغير ذلك
وروى الحديث عن أبي عبد الرحمن النسائي وكان بخيلا جدا وانتفع الناس به رح وفيها
كانت وفاة الخليفة المستكفي بالله عبد الله بن علي المكتفي بالله وقد ولي الخلافة سنة
وأربعة أشهر ويومين ثم خلع وسملت عيناه كما تقدم ذكره وكانت وفاته في هذه السنة
وهو معتقل في داره وله من العمر ستة وأربعون سنة وشهران علي بن حمشاذ بن سختويه بن
نصر أبو الحسن العدل محدث عصره بنيسابور رحل إلى البلدان وسمع الكثير وحدث
وصنف مسندا في أربعمائة جزء وله غير ذلك مع شدة الإتقان والحفظ وكثرة العبادة
والصيانة والخشية لله عز وجل قال بعضهم صحبته في السفر والحضر فما أعلم أن
الملائكة كتبت عليه خطيئة وله تفسير في مائتي جزء ونيف دخل الحمام من غير مرض
فتوفي فيه فجأة وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوال من هذه السنة رح علي بن محمد
بن أحمد بن الحسن أبو الحسن الواعظ البغدادي ثم ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى عرف
بالمصري ثم رجع إلى بغداد وقد سمع الكثير وروى عن الدارقطني وغيره وكان له مجلس
وعظ يحضره الرجال والنساء وكان يتكلم وهو مبرقع لئلا يرى الناس حسنه وجماله
وقد حضر وعظه أبو بكر النقاش مستخفيا فلما سمع كلامه قام قائما وشهر نفسه وقال له
القصص بعدك حرام قال الخطيب وكان ثقة أمينا عارفا جمع حديث الليث
وابن لهيعة وله كتب كثيرة في الزهد وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة وله سبع
وثمانون سنة

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

في هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها رد الحجر الأسود المكي إلى مكانه وكانت القرامطة
قد أخذوه في سنة سبع عشرة وثلثمائة كما ذكرنا وقتلوا من وجدوه من الحجيج ذلك العام
حول الكعبة المطهرة وفيها أيضا وكان ملكهم إذ ذاك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن
بن أبي سعيد الحسن الجنابي لعنه الله ولما وقع ذلك أعظم المسلمون ذلك جدا وقد بذل
لهم الأمير بجكم التركي خمسين ألف دينار ليردوه إلى موضعه فلم يقبلوا وقالوا نحن أخذناه
بأمر ولا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره فلما كان في هذا العام حملوه إلى الكوفة وعلقوه على
الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس وكتب أخو أبي طاهر كتابا فيه إنا أخذنا
هذا الحجر بأمر وقد رددناه بأمر من أخذناه بأمره أمرنا بأخذه ليتم حج الناس ومناسكهم ثم
أرسلوه إلى مكة بغير شيء على قعود فوصل في ذي القعدة من هذه السنة ولله الحمد والمنة
وكانت مدة مقامه عندهم ثنتين وعشرين سنة ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا وقد
ذكر غير واحد أن القرامطة حين أخذوه حملوه على عدة جمال فعطب تحته ويعتري
أسنمتها الجرب ولما ردوه حمله قعود واحد لم يصبه بأس ولله الحمد والمنة وفي هذه
السنة دخل سيف الدولة بن حمدان بجيش كثيف نحو من ثلاثين ألفا إلى بلاد الروم
فتوغل فيها وفتح حصونا وقتل خلقا وأسر أمما وغنم شيئا كثيرا ثم رجع فأخذت الروم عليه

الدرب الذي يخرج منه فقتلوا خلقا ممن معه وأسروا بقيتهم واستردوا ما كان أخذه
لهم ونجا سيف الدولة في نفر يسير من أصحابه فإنا لله وإنا إليه راجعون وفيها
مات الوزير أبو جعفر الصيمري فاستوزر معز الدولة مكانه أبا محمد الحسن بن محمد
المهلبي في جمادى الأولى فاستفحل أمر عمران بن شاهين أيضا وتفاقم الحال به وبعث
إليه معز الدولة جيشا بعد جيش يهزمهم مرة بعد مرة ثم عدل معز الدولة إلى مصالحته
واستعماله على بعض تلك النواحي

وممن توفي في هذه السنة

الحسن بن داود بن بابشاذ أبو الحسن المصري قدم بغداد وكان من أفاضل الناس وعلمائهم
على مذهب أبي حنيفة مفرط الذكاء قوي الفهم كتب الحديث وكان ثقة مات ببغداد في هذه
السنة ودفن في مقبرة الشونيزية ولم يبلغ من العمر أربعين سنة محمد القاهر بالله أمير
المؤمنين بن المعتضد بالله ولي الخلافة سنة وستة أشهر وسبعة أيام وكان بطاشا
شريرا لانتقام يخاف منه وزيره أبو علي بن مقلة فاستتر وشرع في العمل عليه عند
الأتراك فخلعوه وسملوه وأودع دار الخلافة برهة من الدهر ثم أخرج في سنة ثلاث وثلاثين
إلى دار ابن طاهر وقد نالته فاقة وحاجة شديدة وسأل في بعض الأيام ثم كانت في هذا
العام وله ثنتان وخمسون سنة ودفن إلى جانب أبيه المعتضد محمد بن عبد الله بن أحمد
أبو عبد الله الصفار الأصبهاني محدث عصره بخراسان سمع الكثير وحدث عن ابن أبي الدنيا
ببعض كتبه وكان مجاب الدعوة ومكث لا يرفع رأسه إلى السماء نيفا وأربعين سنة وكان
يقول أنا سمي محمد بن عبد الله وأمي آمنة يفرح بهذه الموافقة في الاسم واسم الأب
والأم

أبو نصر الفارابي

محمد بن محمد أبو نصر الفارابي التركي الفيلسوف كان من أعلم الناس
بالموسيقا بحيث كان يتوصل بصناعته إلى التأثير في الحاضرين من مستمعيه إن شاء
حركه بما يبكي أو بما يضحك أو بما ينوم وكان حاذقا في الفلسفة ومن كتبه تفقه ابن
سينا فيها وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني ويخصص بالمعاد الأرواح
العالمة لا الجاهلة وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه
الأقدمين فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين وقد كانت وفاته بدمشق
فيما قاله ابن الأثير في كامله ولم أر الحافظ ابن عساكر ترجمه في تاريخه فالله أعلم

سنة أربعين وثلثمائة

فيها قصد صاحب عمان البصرة ليأخذها في مراكب كثيرة وجاء لنصره أبو يعقوب
الهجري فمانعه عنها الوزير أبو محمد المهلبي فصده عنها وأسر جماعة من أصحابه وشيئا
كثيرا من مراكبه فسارت معه في دجلة ودخل بها إلى بغداد في أبهة عظيمة ولله الحمد
وفيها رفع إلى الوزير أبي محمد المهلبي أمر رجل من أتباع أبي جعفر محمد بن علي بن أبي العزاقر الذي
كان قتل على الزندقة كما قتل الحلاج وأنه يدعي ما كان يدعي ابن أبي العزاقر وقد
اتبعه جماعة من الجهلة ببغداد وصدقوه في دعواه الربوبية وأن أرواح الأنبياء
والصديقين انتقلت إليهم ووجد في منزله كتب تدل على ذلك فلما تحقق أنه هالك

ادعى انه شيعي ليحظى عند معز الدولة ابن بويه وكان يحب الرافضة فتجاهد فلما اشتهر
عنه ذلك لم يتمكن الوزير منه خوفا على نفسه انه يقوم عليه الشيعة فانا لله وانا اليه
راجعون غير انه احتاط على شيء من اموالهم فكان جميعها اموال الزنادقة قال
ابن الجوزي وفي رمضان وقعت فتنة عظيمة بسبب المذهب

وممن توفي فيها من الاعيان

اشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم ابو عمرو العامري نسبة الى عامر بن لؤي وكان احد
الفقهاء المشهورين وكانت وفاته في شعبان منها ابو الحسن الكرخي احد ائمة الحنفية
المشهورين ولد سنة ستين وسكن بغداد ودرس بها فقه ابي حنيفة وانتهت اليه رياسة
اصحابه وانتشر اصحابه في البلاد وكان متعبدا كثير الصلاة والصوم صبورا على الفقر
عزوفا عما في ايدي الناس وكان مع ذلك راسا في الاعتزال وقد سمع الحديث من اسماعيل بن
اسحاق القاضي وروى عنه ابن حيويه وابن شاهين واصابه الفالج في اخر عمره فاجتمع عنده
بعض اصحابه وتشاوروا فيما بينهم ان يكتبوا الى سيف الدولة بن حمدان ليساعده بشيء
يستعين به في مرضه فلما علم بذلك الشيخ رفع راسه الى السماء وقال اللهم لا تجعل رزقي الا من حيث
عودتني فمات قبل ذلك قبل ان يصل اليه ما ارسل به سيف الدولة وهو عشرة الاف
درهم فتصدق بها بعد وفاته وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة عن ثمانين سنة
وصلى عليه ابو تمام الحسن بن محمد الزينبي وكان صاحبه ودفن في درب ابي زيد على نهر الواسطين
ومنها كانت وفاة محمد بن صالح بن زيد ابو جعفر الوراق سمع الكثير وكان يفهم ويحفظ وكان
ثقة زاهدا لا ياكل الا من كسب يده ولا يقطع صلاة الليل قال بعضهم صحبته سنين كثيرة
فما رايته فعل شيئا الا يرضي الله عز وجل ولا قال شيئا يسال عنه وكان يقوم اكثر الليل ومنها كانت
وفاة منصور بن قراتكين صاحب الجيوش الخراسانية من جهة الامير نوح الساماني وكانت
وفاته لمرض حصل له وقيل لانه ادمن شرب الخمر اياما متتابعة فهلك بسبب ذلك فاقيم
بعده في الجيوش ابو علي بن المحتاج الزجاجي صاحب مصنف الجمل هو ابو القاسم عبد الرحمن
بن اسحاق النحوي البغدادي الاصل ثم الدمشقي مصنف الجمل في النحو وهو كتاب نافع كثير
الفائدة صنفه بمكة وكان يطوف بعد كل باب منه ويدعو الله تعالى ان ينتفع به
واخذ النحو عن محمد بن العباس اليزيدي وابي بكر بن دريد وابن الانباري وكانت
وفاته في رجب سنة سبع وقيل تسع وثلاثين وقيل سنة اربعين وثلثمائة مدة بدمشق
وقيل بطبرية وقد شرحت الجمل بشروح كثيرة من احسنها واجمعها ما وضعه ابن عصفور

ثم دخلت سنة احدى واربعين وثلثمائة

فيها ملكت الروم سروج وقتلوا اهلها وخربوا مساجدها قال ابن الاثير وفيها قصد
عمان البصرة فمنعه منها المهلبي كما تقدم قال وفيها تقدم معز الدولة على وزيره
الصيمري مائة وخمسين مقرعة ولم يعزله بل استمر عليه وفيها اختصم البصريون والعراقيون
بمكة فخطب لصاحب مصر ثم غلبهم العراقيون فخطبوا لركن الدولة بن بويه وفيها كانت
وفاة المنصور الفاطمي وهو ابو طاهر اسماعيل بن القايم بامر الله القاسم بن المهدي
محمد بن عبيد الله صاحب المغرب وله من العمر تسع وثلاثون سنة وكانت خلافته سبع
سنين وستة عشر يوما وكان بطلا شجاعا فاتكا قتل ابا يزيد الخارجي الذي كان

لا يطاق

لا يطاق شجاعة واقداما وصبرا وكان فصيحا بليغا يرتجل الخطبة على البديهة في الساعة
الراهنة وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية بسبب برد ذكره ابن الاثير وكان ملد
فاختلف عليه الاطباء وقد عهد بالامر من بعده لولده المعز الفاطمي وهو باني القاهرة
المعزية كما سياتي بيان ذلك واسمه معد وعمره اذ ذاك اربع وعشرون سنة وكان شجاعا
عاقلا ايضا حازما لدى الطاعة من البربر واهل تلك الناحية خلق كثير وبعث
مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر واتخذ له فيها دار الملك وهما
القصران اللذان هنالك وذلك في سنة اربع وستين وثلثمائة كما سياتي بيانه

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ابو سعيد الاعرابي البصري سكن مكة وصار شيخ الحرم
وصحب الجنيد بن محمد والثوري وغيرهما واسند الحديث وصنف كتبا للصوفية اسماعيل
بن محمد بن اسماعيل بن صالح ابو علي الصفار النحوي احد المحدثين لقي المبرد واشتهر بصحبته
وكان مولده في سنة سبع واربعين ومائتين سمع الحسن بن عرفة وعباسا الدوري
وغيرهما وروى عنه جماعة منهم الدارقطني وقال صام اربعة وثمانين رمضانا وقد كانت
وفاته في هذه السنة عن اربع وتسعين سنة رحمه الله اسماعيل بن القايم بن المهدي
الملقب بالمنصور العبيدي الذي يزعم انه فاطمي صاحب بلاد المغرب وهو والد المعز باني
القاهرة وهو باني المنصورية بالمغرب كان شجاعا فصيحا بليغا قال ابو جعفر
المروزي خرجت معه لما كسر ابا يزيد الخارجي فبينما انا وهو يسير اذ سقط رمحه فنزلت
فاخذته وناولته اياه وتفاءلت له بقول الشاعر

فالقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

فقال هلا قلت كما قال الله تعالى فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع
الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين قال فقلت انت
ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت كما علمت وانا قلت كما بلغ اليه علمي قال
ابن خلكان وهذا كما جرى لعبد الملك بن مروان حين امر الحجاج ان يبني بابا بالبيت المقدس
ويكتب عليه اسمه فبنى له بابا اخر فوقعت صاعقة على باب عبد الملك فاحرقته فكتب
اليه الحجاج من العراق يسليه عما اهمه من ذلك يقول انا وانت كما قال الله تعالى
واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال
فسري عن الخليفة وكانت وفاة المنصور في هذه السنة اصابه برد شديد فمات
به

ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وثلثمائة

فيها دخل سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب الى بلاد الروم فقتل منهم خلقا واسر
آخرين وغنم مالا جزيلا ورجع سالما غانما وفيها اختلف الحجيج بمكة ووقعت حرب
بين اصحاب ابن طغج واصحاب معز الدولة فغلبهم العراقيون ثم بعد انقضاء الحج اقتتلوا
فغلبهم العراقيون ايضا

وممن توفي فيها من الاعيان

علي بن محمد بن ابي الفهم ابو القاسم التنوخي جد القاضي ابي القاسم التنوخي شيخ الخطيب

ولد بانطاكية وقدم بها فتفقه بها على مذهب ابي حنيفة وكان يعرف الكلام على طريقة المعتزلة ويعرف النجوم ويقول الشعر وله القصيدة بالاهواز وغيرها وقد سمع الحديث من البغوي وغيره وكان فهما ذكيا حفظ وهو ابن خمس عشرة سنة قصيدة لدعبل الشاعر في ليلة واحدة وهي ستمائة بيت وعرضها على ابيه صبيحتها فقام اليه وضمه وقبل بين عينيه وقال يا بني لا تخبر بهذا احدا لئلا تصيبك العين وذكر ابن خلكان انه كان نديما للوزير المهلبي ووفد على سيف الدولة بن حمدان فاكرمه واحسن اليه واورد له من شعره اشياء حسنة من ذلك قوله في الخمر

وراح من الشمس مخلوقة • بدت لك في قدح من نهار •
هواء ولكنه جامد • وماء ولكنه غير جار •
كان المدير لها باليمين • اذا مال للسقي او باليسار •
تدرع ثوبا من الياسمين • له فرد كم من الجلنار •

محمد بن ابراهيم بن الحسين بن الحسن بن عبد الخالق ابو الفرج البغدادي الفقيه الشافعي ويعرف بابن سكرة سكن مصر وحدث بها وسمع منه ابو الفتح بن مسرور وذكر ان فيه لينا

محمد بن موسى بن يعقوب بن المامون بن الرشيد هارون ابو بكر ولي امرة مكة في سنة ثمان وستين ومائتين وقدم مصر فحدث بها عن علي بن عبد العزيز البغوي بموطا الامام مالك وكان ثقة مامونا توفي بمصر في ذي الحجة من هذه السنة

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وثلثمائة

فيها كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان وبين الدمستق فقتل خلق من اصحاب الدمستق واسر جماعة من رؤساء بطارقته وكان في جملة من قتل قسطنطين بن الدمستق وسبى خلقا واسر اخرين وذلك في ربيع الاول من هذه السنة ثم جمع الدمستق خلقا كثيرا فالتقوا مع سيف الدولة في شعبان فجرت بينهم حروب عظيمة وقتال شديد فكانت الدائرة للمسلمين وخذل الله الكافرين فقتل منهم خلق كثير واسر جماعة من الروس وكان منهم صهر الدمستق وابن ابنته ايضا وفيها حصل للناس امراض كثيرة وحمات واوجاع في الحلق وفيها مات الامير الحميد نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر وقام بالامر بعده ولده عبد الملك

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن احمد ابو علي الكاتب المصري صحب ابا علي الروذباري وغيره وكان ابو عثمان المغربي يعظم امره ويقول ابو علي الكاتب من السالكين ومن كلامه الذي حكاه عنه ابو عبد الرحمن السلمي قوله روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان اخفوها وتبدو عليهم وان ستروها وانشد

اذا ما اسرت انفس الناس ذكره • تبينته فيهم ولم يتكلموا •
تطيب انفاسهم فتذيعها • وهل سر مسك اودع الريح يكتم •

علي بن محمد بن عقبة بن همام ابو الحسن الشيباني الكوفي قدم بغداد فحدث بها عن جماعة وروى عنه الدارقطني وكان ثقة عدلا كثير التلاوة فقيها ومكث يشهد على الحكام ثلاثا وسبعين سنة مقبولا عندهم واذن في مسجد حمزة الزيات نيفا وسبعين سنة وكذلك

ابوه

ابوه من قبله

محمد بن علي بن احمد بن العباس الكرخي الاديب كان عالما زاهدا ورعا يختم القران كل يوم ويديم الصوم وسمع الحديث من عبدان واقرانه

ابو الخير التيناتي العابد الزاهد اصله من المغرب وكان مقيما بقرية يقال لها تينات من عمل انطاكية ويعرف بالاقطع لانه كان مقطوع اليد كان قد عاهد الله عهدا ثم نكثه فاتفق ان مسك جماعة من اللصوص في الصحراء وهو هناك فاخذ معهم فقطعت يده معهم وكانت له احوال وكرامات وكان ينسج الخوص بيده الواحدة دخل عليه بعضهم فشاهد منه ذلك فاخذ عليه العهد ان لا يخبر به احدا ما دام حيا فوفى له بذلك

ثم دخلت سنة اربع واربعين وثلثمائة

قال ابن الجوزي فيها شمل الناس ببغداد وواسط واصبهان والاهواز داء مركب من دم وصفراء ووباء مات بسبب ذلك خلق كثير بحيث كان يموت في كل يوم قريب من الف نفس وجاء فيها جراد عظيم اكل الخضراوات والاشجار والثمار وفي المحرم عقد معز الدولة لابنه ابي منصور بختيار الامر من بعده بامرة الامراء وفيها خرج رجل باذربيجان ادعى انه يعلم الغيب وكان يحرم اللحم وما يخرج من الحيوانات فاضافه مرة رجل فجاءه بطعام كشكية بشحم فاكله فقال له الرجل بحضرة من معه انك تدعي انك تعلم الغيب وهذا الطعام فيه شحم وانت تحرمه فلم لا علمته قال فتفرق الناس عنه وفيها جرت حروب كثيرة بين المعز الفاطمي وبين صاحب الاندلس عبد الرحمن الناصر الاموي قصها ابن الاثير

وممن توفي فيها من الاعيان

عثمان بن احمد بن عبد الله بن يزيد ابو عمرو الدقاق المعروف بابن السماك روى عن حنبل بن اسحاق وغيره وعنه الدارقطني وغيره وكان ثقة ثبتا كتب المصنفات الكثيرة بخطه توفي في ربيع الاول من هذه السنة ودفن بمقبرة باب التبن وحضر جنازته خمسون الفا

محمد بن احمد بن محمد بن احمد ابو جعفر القاضي السمناني ولد سنة احدى وستين ومائتين وسكن بغداد وحدث بها وكان ثقة عالما سخيا حسن الكلام عراقي المذهب وكانت داره مجمعا للعلماء ثم ولي قضاء الموصل وكانت وفاته بها في هذه السنة في ربيع الاول

محمد بن احمد بن بطة بن اسحاق الاصبهاني ابو عبد الله سكن نيسابور ثم عاد الى اصبهان وليس هذا بابي عبد الله بن بطة العكبري وهذا بضم الباء من بطة والفقيه الحنبلي بفتحها وقد كان جد هذا وهو بطة بن اسحاق ابو سعيد من المحدثين ايضا ذكره ابن الجوزي في منتظمه

محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج ابو النضر الفقيه الطوسي كان فقيها عالما ثقة عابدا يصوم النهار ويقوم الليل ويتصدق بالفاضل من قوته ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقد رحل في طلب الحديث الى الافاق النائية والبلدان المتباينة وكان قد جزأ الليل ثلاثة اجزاء فثلث للنوم وثلث للتصنيف وثلث للقراءة وقد رآه بعضهم في المنام بعد وفاته فقال له وصلت الى ما طلبت فقال اي والله نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرضت مصنفا لي في الحديث عليه فتقبله

ابو بكر بن الحداد الفقيه الشافعي

هو محمد بن احمد بن محمد ابو بكر بن الحداد احد ايمة الشافعية روى عن النسائي وقال رضيت به حجة بيني وبين الله عز وجل وقد كان ابن الحداد فقيها فروعيا ومحدثا ونحويا وفصيحا في العبادة دقيق النظر في الفروع له كتاب في ذلك غريب الشكل وقد ولي القضاء بمصر نيابة عن ابي عبيد بن حربويه وذكرناه في طبقات الشافعية ابو يعقوب الاذرعي اسحاق بن ابراهيم بن هاشم بن يعقوب بن ابراهيم النهدي قال ابن عساكر من اهل اذرعات مدينة بالبلقا احد الثقات من عباد الله الصالحين رحل وحدث عن جماعة وعنه اخرون وقال غيره كان من جلة اهل دمشق وعبادهم وعلمايها وقد روى عنه ابن عساكر اشيا تدل على صلاحه وخرق العادة له فمن ذلك انه قال سالت الله ان يقبض بصري فعميت فلما استضررت بالطهارة سالت الله عوده فرده علي توفي بدمشق في هذه السنة وقيل سنة اربع واربعين وثلثماية وصححه ابن عساكر وقد نيف على التسعين رح

ثم دخلت سنة خمس واربعين وثلثماية

فيها عصى روزبهان على معز الدولة وانحاز الى الاهواز ولحق به عامة من كان مع المهلبي كان يحاربه فلما بلغ ذلك معز الدولة لم يصدق لانه كان قد احسن اليه ورفع من قدره بعد الضعة والخمول ثم ركب اليه لقتاله فانبغت الخليفة المطيع لله خوفا من ناصر الدولة ابن حمدان فانه بلغه انه قد جهز جيشا مع ولده ابي المرجا الى بغداد لياخذها حين بلغه ان معز الدولة قد خرج منها فارسل معز الدولة حاجبه سبكتكين الى بغداد ليحفظها وقصد معز الدولة الى روزبهان فاقتتلوا قتالا عظيما فهزمه معز الدولة وفرق اصحابه واخذه اسيرا ودخل به اسيرا معه الى بغداد في ابهة عظيمة فسجنه ثم اخرجه ليلا وغرقه لان الديلم ارادوا اخراجه من السجن قهرا وانطوى ذكر روزبهان واخوته وكان قد اشتعل اشتعال النار وحظيت الاتراك عند معز الدولة وانحطت الديلم عنده لانه ظهر له منهم خيانة مع روزبهان واخوته وفيها دخل سيف الدولة الى بلاد الروم فقتل وسبى ورجع الى اذنة ثم عاد الى حلب فخشيت الروم فجمعوا واقبلوا الى ميافارقين فقتلوا وسبوا وحرقوا ورجعوا لعنهم الله وركبوا في البحر الى طرسوس فقتلوا من اهلها الفا وثمانماية وسبوا وحرقوا قرى كثيرة وفيها زلزلت همذان زلزالا عظيما انهدمت البيوت وانشق قصر شيرين بصاعقة ومات تحت الهدم خلق كثير لا يحصون كثرة فانا لله وانا اليه راجعون وفيها وقعت فتنة عظيمة بين اهل اصبهان واهل قم بسبب سب الصحابة من اهل قم فثار عليهم اهل اصبهان فقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا اموال التجار فغضب ركن الدولة لاهل قم لانه كان شيعيا فصادر اهل اصبهان باموال كثيرة

وممن توفي فيها من الاعيان غلام ثعلب

محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم ابو عمر الزاهد غلام ثعلب روى عن الكديمي وموسى بن سهل الوشا وغيرهما وروى عنه جماعة واخر من حدث عنه ابو علي بن شاذان وكان كثير الزهد والعلم حافظا مطيقا يملي من حفظه شيا كثيرا ضابطا لما يحفظه ولكثرة اغرابه اتهمه بعضهم ورماه بالكذب وقد اتفق له مع القاضي ابي عمر وكان يؤدب ولده انه املى من حفظه ثلاثين مسيلة بشواهدها وادلتها من لغة العرب واستشهد على بعضها

بيتين غريبين جدا فعرضهما القاضي ابو عمر على ابن دريد وابن الانباري وابن مقسم فلم يعرفوا منها شيا حتى قال ابن دريد هذا مما وضعه ابو عمر من عنده فلما جا ابو عمر ذكر له القاضي ما قاله ابن دريد عنه فطلب ابو عمر من القاضي ان يحضر له من كتبه دواوين العرب فلم يزل ياتيه بشاهد لما ذكره بعد شاهد حتى خرج من الثلاثين مسيلة ثم قال واما البيتان فان ثعلبا انشدناهما وانت حاضر فكتبتهما في دفترك فطلب القاضي دفتره فاذا هما فيه فلما بلغ ذلك ابن دريد كف لسانه عن ابي عمر الزاهد فلم يذكره حتى مات وتوفي ابو عمر هذا يوم الاحد ودفن يوم الاثنين الثالث عشر من ذي القعدة ودفن في الصفة المقابلة لقبر معروف الكرخي ببغداد محمد بن علي بن رستم ابو بكر الماذرائي الكاتب كان مولده في سنة سبع وخمسين ومايتين بالعراق ثم صار الى مصر هو واخوه احمد مع ابيهما وكان على الخراج لخمارويه بن احمد بن طولون ثم صار هذا الرجل من رؤسا الناس واكابرهم وقد سمع الحديث من احمد بن عبد الجبار وطبقته وقد روى الخطيب عنه انه قال كان ببابي شيخ كبير من الكتاب قد بطل عن وظيفته فرايت والدي في المنام وهو يقول يا بني اما تتقي الله انت مشغول بلذاتك والناس ببابك يهلكون من العري والجوع هذا فلان قد تقطع سراويله ولا يقدر على ابداله فلا تهمل امره فاستيقظت مذعورا وانا ناو له الاحسان فنمت ثم استيقظت وقد نسيت المنام فبينما انا سائر الى دار الملك اذا انا بذلك الشيخ على دابة ضعيفة فلما راني اراد ان يترجل فبدت الى فخذه وليس عليه سراويل وقد لبس الخف بلا سراويل فلما رايته ذكرت المنام فاستدعيت به عند ذلك فاطلقت له الف دينار وثيابا ورتبت له على وظيفته ما يفي دينارا كل شهر ووعدته بخير في الاجل ايضا احمد بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن بن حسين بن ابي طالب الشريف الحسني الرسي قبيلة من الاشراف ابو القسم المصري الشافعي وقد كان نقيب الطالبيين بمصر ومن شعره قوله

قالت لطيف خيال زارني ومضى ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال ابصرته لو مات من ظما ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت وفاء الحب عادته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

قال ابن خلكان توفي ليلة الثلاثا لخمس بقين من شعبان من هذه السنة

ثم دخلت سنة ست واربعين وثلثماية

فيها كانت فتنة بين اهل الكرخ واهل السنة في المذهب بسبب السب فقتل من الفريقين خلق وفيها نقص البحر ثمانين ذراعا ويقال باعا فبدت فيه جبال وجزائر لم تكن ترى قبل ذلك وفيها كانت بالعراق وبلاد الري والجبل وقم ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحو اربعين يوما تسكن ثم تعود فتهدمت بسبب ذلك ابنية كثيرة وغارت مياه كثيرة ومات خلق كثير فانا لله وانا اليه راجعون وفيها تجهز معز الدولة بن بويه لقتال ناصر الدولة بن حمدان الذي بالموصل فراسله ناصر الدولة والتزم له باموال يحملها اليه في كل سنة ثم انه منع حمل ما اشترط على نفسه فقصده معز الدولة في السنة الاتية كما سياتي وفيها في تشرين منها كثرت في الناس اوجاع في الحلوق والماشري وكثر موت الفجاة حتى ان لصا نقب دارا ليدخلها فمات وهو في النقب ولبس القاضي خلعة القضا ليخرج

للحكم بين الناس بالبصرة حكى خفية فمات قبلان بالبصرة الاخرى

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن عبد الله بن الحسين ابو بكر بن ابي برزة العدوي المستملي على المشايخ كتب عن ابي مسلم الكجي وغيره وكان ثقة توفي في ربيع الاول منها الحسن بن خلف بن شاذان ابو علي الواسطي عن اسحاق الازرق ويزيد بن هارون وغيرهما روى عنه البخاري في صحيحه وتوفي في هذه السنة هكذا رايت هذه الترجمة في هذه السنة من المنتظم لابي الفرج بن الجوزي ابو العباس الاصم محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الاموي مولاهم ابو العباس الاصم مولده في سنة سبع واربعين ومائتين وراى الذهلي ولم يسمع منه ورحل به ابوه الى اصبهان ومكة ومصر والشام والجزيرة وبغداد وغيرها من البلاد فسمع الكثير عن الجم الغفير ثم رجع الى خراسان وهو ابن ثلاثين سنة وقد صار محدثا كبيرا ثم طرا عليه الصمم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار وكان يؤذن في مسجده ستين سنة وحدث ستا وسبعين سنة فالحق الاحفاد بالاجداد وكان ثقة صادقا ضابطا لما سمعه ويسمعه ثم كف بصره قبل موته بشهر وكان يحدث من حفظه باربعة عشر حديثا وسبع حكايات ومات وقد بقي له سنة من المائة

ثم دخلت سنة سبع واربعين وثلثمائة

فيها كانت زلزلة ببغداد في شهر نيسان وفي غيرها من البلاد الشرقية فمات بسببها خلق كثير وخربت دور كثيرة وظهر في اخر نيسان وشهر ايار جراد عظيم اتلف الغلات الصيفية والثمار ودخلت الروم آمد وميافارقين فقتلوا الفا وخمسمائة انسان واخذوا مدينة شمشاط واخربوها فانا لله وانا اليه راجعون وفي المحرم منها ركب معز الدولة الى الموصل فاخذها من يد ناصر الدولة وهرب منها ناصر الدولة الى نصيبين ثم الى ميافارقين ثم خلفه معز الدولة فصار الى اخيه سيف الدولة بحلب ثم راسل سيف الدولة معز الدولة في المصالحة بينه وبين اخيه ناصر الدولة فوقع الصلح على حمل كل سنة الفي الف وتسعمائة الف ورجع معز الدولة الى بغداد بعد انعقاد الصلح وفيها بعث المعز الفاطمي مولاه ابا الحسن جوهر القائد في جيوش ومعه زيري بن مناد الصنهاجي ففتحوا بلادا كثيرة من اقصى المغرب حتى انتهوا الى البحر المحيط فامر جوهر ان يصطاد له منه سمك فارسل به في قلال الماء الى المعز الفاطمي وحظي جوهر عنده وعظم شانه حتى صار له بمنزلة الوزير

وممن توفي فيها من الاعيان

الزبير بن عبد الواحد بن محمد بن زكريا بن صالح بن ابراهيم ابو عبد الله الاسداباذي رحل وسمع وطوف الاقاليم وسمع الحسن بن سفيان وابن خزيمة وابا يعلى وخلقا وكان حافظا متقنا صدوقا وصنف الشيوخ والابواب ابو سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر هو عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الاعلى الصدفي المصري المؤرخ كان حافظا مكثرا خبيرا بايام الناس وتواريخهم له تاريخ مفيد جدا لاهل مصر ومن ورد اليها وله ولد يقال له ابو الحسن علي كان منجما له زيج مفيد يرجع اليه اصحاب هذا الفن كما يرجع المحدثون الى اقوال ابيه وما يؤرخه وينقله ويحكيه ولد سنة احدى وثمانين ومائتين وتوفي في هذه السنة يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الاخرة بالقاهرة رح ابن درستويه النحوي عبد الله

ابن جعفر

ابن جعفر بن درستويه بن المرزبان ابو محمد الفارسي النحوي سكن بغداد وسمع عباسا الدوري وابن قتيبة والمبرد وسمع منه الدارقطني وغيره من الحفاظ واثنى عليه غير واحد منهم ابو عبد الله بن منده وكانت وفاته في صفر من هذه السنة وذكر له القاضي ابن خلكان مصنفات كثيرة مفيدة فيما يتعلق باللغة والنحو وغير ذلك محمد بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب ابو الحسن القرشي الاموي قاضي بغداد وكان حسن الاخلاق طلابة للحديث ومع هذا نسب الى اخذ الرشوة في الاحكام والولايات فالله اعلم

ثم دخلت سنة ثمان واربعين وثلثمائة

فيها كانت فتنة بين الرافضة واهل السنة فقتل فيها خلق كثير ووقع حريق بباب الطاق وغرق بدجلة خلق كثير من الحجاج من اهل الموصل نحو من ستمائة نفس فانا لله وانا اليه راجعون وفيها دخلت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا وغنموا ورجعوا سالمين لعنهم الله وفيها قلت الامطار وغلت الاسعار واستسقى الناس فلم يسقوا وظهر جراد عظيم فاكل ما نبت من الخضراوات فاشتد الامر جدا فما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وفيها عاد معز الدولة الى بغداد من الموصل وزوج ابنته من ابن اخيه مؤيد الدولة ولد بن معز الدولة وسيرها معه الى الري

وممن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن شيبان ابو اسحاق القرميسيني شيخ الصوفية بالجبل صحب ابا عبد الله المغربي ومن جيد كلامه قوله اذا سكن الخوف القلب احرق مواضع الشهوات منه وطرد عنه الرغبة في الدنيا ابو بكر النجاد احمد بن سلمان بن الحسن بن اسرائيل بن يونس ابو بكر النجاد الفقيه احد ائمة الحنابلة ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين سمع عبد الله بن احمد وابا داود السجستاني وابن ابي الدنيا وخلقا كثيرا وكان يطلب الحديث ماشيا حافيا وقد جمع المسند وصنف في السنن كتابا كبيرا وكانت له بجامع المنصور حلقتان واحدة للفقه واخرى لاملاء الحديث وحدث عنه الدارقطني وابن رزقويه وابن شاهين وابو بكر بن مالك القطيعي وغيرهم وكان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف ويترك منه لقمة فاذا كانت ليلة الجمعة اكل تلك اللقم وتصدق برغيف ليلة الجمعة وكانت وفاته ليلة الجمعة لعشر بقين من ذي الحجة عن خمس وتسعين سنة ودفن قريبا من قبر بشر بن الحارث الحافي جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم ابو محمد الخواص المعروف بالخلدي سمع الكثير وحدث كثيرا وحج ستين حجة وكان ثقة صدوقا دينا محمد بن ابراهيم بن يوسف بن محمد ابو عمرو الزجاجي النيسابوري صحب ابا عثمان والجنيد والنوري والخواص وغيرهم واقام بمكة وكان شيخ الصوفية بها وحج ستين حجة ويقال انه مكث اربعين سنة لم يتغوط ولم يبل الا خارج الحرم بالكلية محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة بن يزيد بن عبد الملك ابو بكر الادمي صاحب الالحان كان من احسن الناس صوتا بتلاوة القران وربما سمع اهل كلواذا صوته من بغداد في الليل وحج مرة مع ابي القاسم البغوي فلما كانوا بالمدينة راوا شيخا اعمى يقص على الناس اخبارا موضوعة فقال البغوي ينبغي الانكار عليه فقال له بعض الجماعة انك لست ببغداد يعرفك الناس والجمع كثير هاهنا ولكن نرى ان تامر ابا بكر الادمي فيقرا لنا هاهنا فاستفتح فقرا فانجفل الناس اليه وتركوا الاعمى فلم يبق عنده

أحد فأخذ الأعمى بيد قائده فقال له اذهب بنا هكذا تزول النعم وكانت وفاته يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ربيع الأول من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته بمدة فقال له ما فعل بك ربك فقال أوقفني بين يديه وقاسيت شدائد فقلت له تلك الليالي والمواقف والقراءة فقال ما كان شيء أضر علي منها لأنها كانت للدنيا فقلت إلى أي شيء انتهى أمرك فقال قال لي الله عز وجل آليت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة

فيها ظهر رجل بأذربيجان من أولاد عيسى بن المكتفي بالله فتلقب بالمستجير بالله ودعا إلى الرضى من آل محمد وذلك لفساد دولة المرزبان في ذلك الزمان فاقتتلوا قتالا كثيرا ثم انهزم أصحاب المستجير وأخذ أسيرا فمات واضمحل أمره ولله الحمد وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فقتل من أهلها خلقا كثيرا وفتح حصونا وأحرق بلادا كثيرة وسبى وغنم وكر راجعا فأخذت عليه الروم الدرب ومنعوه من الرجوع ووضعوا السيف في أصحابه فما نجا في ثلثمائة فارس إلا بعد جهد جهيد وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير وفيها في أواخرها توفي أبوجور بن الإخشيد صاحب مصر وقام بالأمر بعده أخوه وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي الذي كان صاحب الأهواز وواسط وفيها رجع حجيج مصر من مكة فنزلوا واديا فجاءهم سيل فأخذهم كلهم فألقاهم في البحر عن آخرهم وفيها أسلم من الترك مائتا ألف خركاه فسموا ترك إيمان ثم خفف اللفظ بذلك فقيل تركمان

وممن توفي فيها من الأعيان

جعفر بن حرب الكاتب كانت له نعمة وثروة عظيمة تقارب أبهة الوزراء فاجتاز يوما وهو راكب في موكب له عظيم فسمع رجلا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فصاح اللهم بلى فكررها دفعات ثم بكى ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل إلى دجلة فاستتر بالماء ولم يخرج منه حتى فرق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه ورد إلى أهلها وتصدق بالباقي ولم يبق له شيء بالكلية فاجتاز به رجل فتصدق عليه بثوبين فلبسهما وخرج فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات رحمه الله. أبو علي الحافظ الحسين بن علي بن يزيد بن داود أبو علي الحافظ النيسابوري أحد الأئمة الحفاظ المتقنين المكثرين المصنفين قال الدارقطني كان إماما مهذبا وكان ابن عقدة لا يتواضع لأحد كتواضعه له وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثنتين وخمسين سنة. حسان بن محمد بن أحمد بن هارون أبو الوليد القرشي الفقيه الشافعي إمام أهل الحديث بخراسان في زمانه وأزهدهم وأعبدهم أخذ الفقه عن ابن سريج وسمع الحديث من الحسن بن سفيان وغيره وله التصانيف المفيدة وقد ذكرنا ترجمته في الشافعيين وكانت وفاته ليلة الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول من هذه السنة عن ثنتين وسبعين سنة. حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي سمع الكثير وصنف التصانيف منها المعالم شرح فيها سنن أبي داود والأعلام شرح فيه البخاري وغريب الحديث وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعاني والفقه ومن أشعاره

مادمت

ما دمت حيا فدار الناس كلهم ... فإنما أنت في دار المداراة

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليل نديما للندامات

هكذا ترجمه أبو الفرج بن الجوزي في منتظمه حرفا بحرف. عبد الواحد بن عمر بن محمد ابن أبي هاشم كان من أعلم الناس بحروف القرآن ووجوه القراءات وله في ذلك مصنفات وكان من الأمناء الثقات روى عن ابن مجاهد وأبي بكر بن أبي داود وعنه أبو الحسن الحمامي توفي في شوال منها ودفن في مقبرة الخيزران. أبو أحمد العسال الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن سليمان بن محمد أبو أحمد العسال الأصبهاني أحد الأئمة الحفاظ والأكابر العلماء قال ابن منده كتبت عن ألف شيخ لم أر فيهم أتقن من أبي أحمد العسال توفي في رمضان منها

سنة خمسين وثلثمائة

في المحرم منها مرض معز الدولة بن بويه بانحصار البول فقلق من ذلك وجمع بين حاجبه سبكتكين ووزيره المهلبي وأصلح بينهما ووصاهما بولده بختيار خيرا ثم عوفي من ذلك فعزم على الرحيل إلى الأهواز واعتقد أن ما أصابه من هواء بغداد ومائها فأشير عليه بالمقام بها وأن يبني بها دارا في أعلاها حيث الهواء الرقيق والماء الصافي فبنى لها دارا غرم عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه ويقال أنفق عليها ألف ألف دينار ومات وهو يبني فيها وقد خرب أشياء كثيرة من معالم بغداد في بنائها وكان مما خرب فيها المعشوق من سر من رأى وقلع الأبواب الحديد على مدينة المنصور والرصافة وقصورها وحولها إلى داره هذه لا تمت فرحته بها فقبحها الله. وفيها مات القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله وقبضت أملاكه وولي بعده القضاء أبو عبد الله الحسن بن أبي الشوارب وضمن أن يؤدي في كل سنة إلى معز الدولة مائتي ألف درهم وخلع عليه معز الدولة وسار ومعه الدبادب والبوقات إلى منزله وهو أول من ضمن القضاء ولم يأذن له الخليفة المطيع لله في الحضور عنده ولا في حضور الموكب لأجل ذلك ثم ضمن معز الدولة الشرطة وضمن الحسبة أيضا وفيها سار قفل من أنطاكية يريدون طرسوس وفيهم نائب أنطاكية فثار عليهم الفرنج فأخذوهم عن بكرة أبيهم فلم يفلت منهم سوى النائب جريحا في أماكن من بدنه وفيها دخل نجا غلام سيف الدولة إلى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم ورجع سالما وفيها توفي الأمير عبد الملك بن نوح الساماني صاحب خراسان سقط عن فرسه فمات فقام بالأمر بعده أخوه منصور بن نوح الساماني وفيها توفي الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس من بلاد المغرب وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة وترك أحد عشر ولدا وكان أبيض حسن الوجه عظيم الجسم طويل الظهر قصير الساقين وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين الداخلين إلى المغرب وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق وتغلب الفاطميين ببلاد المغرب فتلقب بأمير المؤمنين قبل موته بثلاث وعشرين سنة ولما توفي قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمستنصر ومن جملة أولاد الناصر عبد الله كان شافعي المذهب ناسكا شاعرا ولا يعرف في الخلفاء أطول مدة من الناصر الأموي فإنه مكث خمسين سنة سوى المستنصر بن الحاكم الفاطمي صاحب مصر مكث ستين سنة كما سيأتي بيان ذلك في موضعه وممن توفي فيها من الأعيان أبو سهل بن زياد القطان أحمد بن محمد بن

عبد الله بن زياد ابو سهل القطان كان ثقة حافظا كثير التلاوة للقرآن حسن الانتزاع
للمعاني ينتفض ذلك انه استدل على تكفير المعتزلة بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا اسماعيل بن علي بن اسماعيل بن بيان ابو محمد الخطبي سمع الحرث بن ابي اسامة وعبد الله
ابن احمد والكديمي وغيرهم وعنه الدارقطني وغيره من الحفاظ وكان ثقة حافظا فاضلا نبيلا
عارفا بايام الناس والخلفا وله تاريخ مرتب على السنين وكان اديبا لبيبا عاقلا صدوقا
وكانت وفاته في جمادى الاخرة من هذه السنة عن احدى وثمانين سنة رح احمد بن محمد بن
سعيد بن عبيد الله بن احمد بن محمد بن سعيد بن ابي مريم ابو بكر القرشي الوراق ويعرف بابن
فطيس وكان يحسن الكتابة مشهورا وكان يكتب الحديث لابن جوصا ترجمه ابن عساكر رح
وفاته بشاني شوال من هذه السنة تمام بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن
العباس بن محمد بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ابو بكر الهاشمي العباسي حدث عن
عبد الله بن احمد وعنه ابن رزقويه وتوفي في هذه السنة عن احدى وثمانين سنة ايضا
رح الحسين بن القاسم ابو علي الطبري الفقيه الشافعي احد الايمة المحررين في الخلاف
درسوا وصنف فيه وله الايضاح في المذهب وكتاب في الجدل وكتاب في اصول الفقه وغير
ذلك من المصنفات وقد ذكرنا ترجمته في الطبقات عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم
ابن عيسى بن جعفر بن ابي جعفر المنصور ابو جعفر الهاشمي الامام ويعرف بابن بويه
وله سنة ثلاث وستين ومايتين روى عن ابن ابي الدنيا وغيره وعنه ابن رزقويه
وكان خطيبا بجامع المنصور مدة طويلة وقد خطب فيه سنة ثلثين وثلثماية وقبلها
بماية سنة خطب فيها ابوه في سنة ثلاثين ومايتين وهما في النسب الى المنصور
سوا توفي في صفر منها عتبة بن عبد الله بن موسى بن عبيد الله ابو السايب
الهمداني القاضي الشافعي كان فاضلا بارعا تقدم وولي القضا وكان فيه تخليط
في الامور وقد رآه في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي وامر بي الى الجنة على ما كان
من التخليط وقال لي اني آليت ان لا اعذب ابناء الثمانين وهذا الرجل هو اول من ولي قضا
القضاة ببغداد من الشافعية محمد بن احمد بن حسن بن احمد بن حبان ابو بكر الدهقان
بغدادي سكن بخارا وحدث بها عن يحيى بن ابي طالب والحسن بن مكرم وغيرهما وتوفي عن سبع
وثمانين سنة ابو علي الخازن توفي في شعبان من هذه السنة فوجد في داره من الدفاين
وعند الناس من الودايع ما يقارب اربعماية الف دينار

ثم دخلت سنة احدى وخمسين وثلثماية

دخول الروم الى حلب

فيها دخل الدمستق ملك الروم لعنه الله الى حلب في مايتي الف مقاتل وكان سبب ذلك انه
ورد اليها بغتة فنهض اليه سيف الدولة بن حمدان بمن حضر من اصحابه فقاتله فلم
يقو به لكثرة جنوده وقتل من اصحاب سيف الدولة خلقا كثيرا وكان سيف الدولة
قليل الصبر ففر منهزما في نفر يسير من اصحابه فكان اول ما استفتح به ان استحوذ على
دار سيف الدولة ظاهر البلد فاخذ منها اموالا عظيمة وحواصل وعددا للحرب لا تحصى
كثرة ثم تردد في محاصرة السور فقاتل اهل البلد دونه قتالا عظيما وقتلوا خلقا كثيرا من الروم

وثلمت

وثلمت الروم في السور ثلمة عظيمة فوقف فيها الروم فحمل المسلمون عليهم فازاحوهم عنها
فلما جن الليل جد المسلمون في عمارتها فما اصبح الصباح الا وهي كما كانت وحفظوا السور
حفظا عظيما ثم بلغ المسلمين ان رجالة الشرط قد عاثوا في البلد ينهبون الدور فرجع
الناس الى منازلهم يمنعونها منهم فغلبت الروم على السور فعلوه ودخلوا البلد يقتلون
من لقوه فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وانتهبوا الاموال والاولاد والنسا وخلصوا
من كان بايدي المسلمين من اسارى الروم وكانوا الفا واربعماية فاخذوا السيوف وقاتلوا
مع قومهم وكانوا اضر شي على المسلمين واسروا نحوا من بضعة عشر الفا ما بين صبي وصبية
ومن النسا شيا كثيرا ومن الرجال الفين وخربوا المساجد واحرقوها وصبوا في حباب
الزيت الما حتى فاض الزيت على وجه الارض وهلك وكل شي لا يقدرون على حمله احرقوه
واقاموا في البلد تسعة ايام يفعلون هذه المفاسد العظيمة ثم عزم الدمستق على الانصراف
خوفا من رجوع سيف الدولة فقال له ابن اخيه انه بقيت القلعة ولم نأخذها فقال
له انا قد بلغنا فوق ما كنا نومله وانها منيعة ذات رجال غزاة فقال لابد منها فقال له اذهب
اليها فقصدها ليحاصرها فرموه بحجر فقتله في الساعة الراهنة من بين الجيش كله
فغضب الدمستق عند ذلك وامر باحضار من كان في ايديهم من اسارى المسلمين وكانوا قريبا
من الفين فضرب اعناقهم بين يديه ثم كر راجعا قبحه الله ولعنة الله عليه وقد دخلوا
عين زربة قبل ذلك في المحرم من هذه السنة ايضا فاستامنهم اهلها فامنهم الملك وامر بان
يدخلوا كلهم الى المسجد ومن بقي في منزله قتل فصار اهلها كلهم في المسجد ومن تاخر منهم قتل
ثم قال لا يبقين احد منكم اليوم الا ذهب حيث شا ومن تاخر قتل فازدحموا في خروجهم
من المسجد فمات كثير منهم وخرجوا على وجوههم لا يدرون اين يذهبون فمات في الطرقات
منهم خلق كثير ثم هدم الجامع وكسر المنبر وقطع من حول البلد اربعين الف نخلة وهدم سور
البلد والمنازل المشار اليها منها وافتتح حولها اربعة وخمسين حصنا بعضها
بالسيف وبعضها بالامان وقتل خلقا كثيرا واسرت الروم ابا فراس بن سعيد بن حمدان نايب
منبج من جهة سيف الدولة وكان شاعرا مطيقا له ديوان حسن وكانت مدة مقامه بعين
زربة احدى وعشرين يوما ثم سار الى قيسارية فلقيه اربعة الاف من اهل طرسوس مع نايبها
ابن الزيات فقتل اكثرهم وادركه صوم النصارى فاشتغل به حتى فرغ منه ثم هجم على حلب
بغتة فكان من امره ما ذكرناه ايضا وفي هذه السنة كتبت العامة من الروافض على ابواب
المساجد ببغداد لعن معاوية بن ابي سفيان ولعن من غصب فاطمة فدكا ويعنون
ابا بكر رضي الله عنه ومن منع دفن الحسن عند جده ويعنون مروان بن الحكم ولما بلغ ذلك معز
الدولة لم ينكره ولم يغيره ثم بلغه ان اهل السنة محوا ذلك فامر بان يكتب لعن الله الظالمين
لآل محمد من الاولين والآخرين والتصريح باسم معاوية في اللعن فكتب ذلك فقبح الله معز الدولة
وشيعته من الروافض وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل الى الروافض
لا جرم ان الله لا ينصر امثال هولاء بل يديل عليهم اعداءهم لمتابعتهم اهواءهم وتقليدهم سادتهم
وكبراءهم وآباءهم وتركهم انبياءهم وعلماءهم ولهذا لما ملكت الفاطميون بلاد الشام
واستحوذوا على سواحلها كلها حتى بيت المقدس الفرنج ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص
وحماة ودمشق وبعض اعمالها وجميع السواحل مع الفرنج والنواقيس النصرانية والقسوس

الانجيلية بثغر الشام من الحصون والقلاع وبكثرة اماكن المساجد وشريف البقاع وفيها
وقعت فتنة بين اهل البصرة بسبب السب فقتل منهم خلق كثير وجم غفير وفيها اعاد سيف
الدولة بناء عين زربة وبعث مولاه نجا فدخل بلاد الروم فقتل منهم خلقا كثيرا وسبى
جما غفيرا وغنم وسلم وبعث حاجبه مع جيش طرسوس فدخلوا بلاد الروم فغنموا وسبوا
ورجعوا سالمين ولله الحمد والمنة وفيها فتح المعز الفاطمي حصن طبرمين من بلاد المغرب
وكان من احصن بلاد الفرنج افتتحه قسرا بعد محاصرة سبعة اشهر ونصف شهر وقصدت
الفرنج جزيرة اقريطش فاستنجد اهلها بالمعز فسير اليهم جيشا فانتصروا على الفرنج
ولله الحمد

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن محمد بن هارون ابو محمد المهلبي الوزير لمعز الدولة بن بويه مكث في وزارته ثلاث
عشرة سنة وكان فيه حلم وكرم واناة حكى ابو اسحاق الصابي قال كنت يوما عنده
وقد جيء بدواة قد صنعت له وقد رصع فيها حلية كثيرة فقال لي ابو محمد الفضل بن عبد
الرحمن الشيرازي سرا بيني وبينه ما كان احوجني الى مثلها لابيعها وانتفع بها فقلت
واي شيء يفعل الوزير فقال يدخل في حرامه فسمعها الوزير وهو مصغ الينا ولا يشعر
فلما امسى بعث بالدواة الى ابي محمد الشيرازي ومعها عشرة ثياب وخمسة الاف
درهم واصطنع له غيرها فاجتمعنا يوما آخر عنده وهو يوقع من تلك الدواة الجديدة
فنظر الينا فقال ايكم يريدها منكم صاحبها العصابة الدخول قال فاستحيينا وعلمنا
انه كان يسمع كلامنا يومئذ وقلنا بل يمتع الله الوزير بها ويبقيه ليهب لنا مثلها توفي
ابو محمد المهلبي في هذه السنة عن اربع وستين سنة دعلج بن احمد بن دعلج بن عبد الرحمن
ابو محمد السجستاني المعدل سمع بخراسان وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة
وكان من ذوي اليسار والمشهورين بالبر والافضال وله صدقات جارية واوقاف
دارة على اهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان وكانت له دار عظيمة ببغداد وكان يقول
ليس في الدنيا مثلها لانه ليس في الدنيا مثل بغداد ولا في بغداد مثل القطيعة ولا
في القطيعة مثل درب ابي خلف ولا في درب ابي خلف مثل داري وصنف الدارقطني
له مسندا وكان اذا شك في حديث تركه وكان الدارقطني يقول لم ار في مشايخنا اثبت
منه وقد انفق على اهل العلم وذوي الحاجات اموالا جزيلة جدا اقترض منه بعض التجار
عشرة الاف دينار فضمن بها ضياعا فربح في مدة ثلاث سنين ثلاثين الف دينار فعزل
منها عشرة الاف دينار وجاءه بها فاضافه دعلج ضيافة حسنة فلما فرغ من شانهما قال
ما شانك فقال هذه الدنانير التي تفضلت بها قد حضرت فقال يا سبحان الله اني لم اعطكها
لتردها فحل بها الاهل فقال اني قد ربحت ثلاثين الف دينار فهذه منها فقال له دعلج
اذهب بها بارك الله لك فقال له كيف يتسع مالك هذا ومن اين افدت هذا المال
فقال اني كنت في حداثة سني اطلب الحديث فجاءني رجل تاجر من اهل البحر فدفع الي الف
الف درهم وقال اتجر في هذه فما كان من ربح فبيني وبينك وما كان من خسارة فعلي دونك
وعليك عهد الله وميثاقه ان وجدت حاجة او خلة ان تسدها منها لي هذا ثم جاءني فقال
اني ساركب في البحر فان هلكت فالمال لك على ان تعطي ما شرطت عليك فهو في يدي على ما قال
ثم قال لا تخبر بهذا احدا مدة حياتي فلم اخبر به احدا حتى مات وقد كانت وفاته في جمادى

الآخرة

الآخرة من هذه السنة عن اربع او خمس وتسعين سنة رحمه الله عبد الباقي بن قانع بن مرزوق
ابو الحسن الاموي مولاهم سمع الحارث بن ابي اسامة وعنه الدارقطني وغيره وكان من اهل
الثقة والامانة والحفظ ولكنه تغير في آخر عمره قال الدارقطني كان يخطئ ويصر على الخطأ
توفي في شوال منها

ابو بكر النقاش المفسر

محمد بن الحسن بن زياد بن هارون بن جعفر ابو بكر النقاش المفسر المقرئ مولى ابي دجانة
سماك بن خرشة واصله من الموصل وكان عالما بالتفسير والقرآن وسمع الكثير في البلدان
شتى عن خلق من المشايخ وحدث عنه ابو بكر بن مجاهد والخلدي وابن شاهين وابن رزقويه
وخلق وآخر من حدث عنه ابو علي بن شاذان وتفرد باشياء منكرة وقد وثقه الدارقطني على
كثير من خطائه ثم رجع عن ذلك وصرح بعضهم بتكذيبه فالله اعلم وله كتاب التفسير الذي
سماه شفاء الصدور وقال بعضهم بل هو اشفاء الصدور وقد كان رجلا صالحا في نفسه
وقد كان رجلا صالحا في نفسه عابدا ناسكا حكى من حضره يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء
ثم رفع صوته يقول لمثل هذا فليعمل العاملون يرددها ثلاث مرات ثم خرجت نفسه رحمه الله
وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثاني شوال من هذه السنة ودفن في داره بدار القطن
محمد بن سعيد ابو بكر الحربي الزاهد ويعرف بابن الضرير وكان ثقة عابدا ومن كلامه
قوله دافعت الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة

في عاشر المحرم من هذه السنة امر معز الدولة بن بويه ان تغلق الاسواق وان يلبس النساء
المسوح من الشعر وان يخرجن في الاسواق حاسرات عن وجوههن ناشرات شعورهن في الاسواق
يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن علي ففعل ذلك ولم يمكن اهل السنة منع ذلك لكثرة
الشيعة وكون السلطان معهم وفي ثامن عشر ذي الحجة منها امر معز الدولة باظهار الزينة
ببغداد وان تفتح الاسواق بالليل كما في الاعياد وان تضرب الدبادب والبوقات
وان تشعل النيران بابواب الامراء وعند الشرط فرحا بعيد الغدير فكان وقتا عجيبا ويوما
مشهودا وبدعة ظاهرة منكرة وفيها اغارت الروم على الرها فقتلوا واسروا ورجعوا
موفورين لعنهم الله وثارت الروم بملكهم فقتلوه وولوا غيره ومات الدمستق ملك الارمن
ايضا واسمه النقفور وهو الذي اخذ حلب وقتل اهلها

ترجمة النقفور ملك الارمن

واسمه الدمستق كان هذا الملعون من اغلظ الملوك قلبا واشدهم كفرا واقواهم باسا واحدهم
شوكة واكثرهم قتلا للمسلمين في زمانه استحوذ في ايامه لعنه الله على كثير من السواحل واكثرها
وانتزعها من ايدي المسلمين قسرا واستمرت في يده قهرا واضيفت الى مملكة الروم قدرا
وذلك لتقصير اهل ذلك الزمان وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان
وفتح حلب في نحو من الف مقاتل بغتة في سنة احدى وخمسين وجال فيها جولة ففر
من بين يديه صاحبها سيف الدولة ففتحها اللعين عنوة وقتل من اهلها من الرجال
والنساء ما لا يعلمه الا الله وخرب دار سيف الدولة التي كانت ظاهر حلب واخذ اموالها
وحواصلها وعددها وبدد شملها وفرق عددها واستفحل امر الملعون فانا لله وانا اليه

راجعون وبالغ في الاجتهاد في فتنة الاسلام واهله وجد في التشمير فالحكم لله العلي الكبير
وقد كان لعنه الله لا يدخل بلدة الا قتل المقاتلة وبقية الرجال وسبى النساء والاطفال
وجعل جامعها اصطبلا لخيوله وكسر منبرها واسكت مؤذنيها بخيله ورجله وطبوله ولم
يزل ذلك من دابه ودينه حتى سلط الله عليه زوجته فقتلته بجواريها في وسط
مسكنه واراح الله منه الاسلام واهله وازاح عنهم قتام ذلك الغمام ومزق شمله فلله النعمة
والافضال وله الحمد على كل حال واتفق في سنة وفاته موت صاحب القسطنطينية
فتكاملت المسرات وحصلت الامنية فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتذهب
السيئات وبرحمته تغفر الزلات والمقصود ان هذا اللعين اعني النقفور الملقب
بالدمستق ملك الارمن كان قد ارسل قصيدة الى الخليفة المطيع لله نظمها له بعض
كتابه ممن كان قد خذله الله واذله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وصرفه
عن الاسلام واصله يفتخر فيها هذا اللعين ويتعرض لسب الاسلام والمسلمين ويتوعد
فيها اهل حوزة الاسلام بانه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين عما قريب من الاعوام
وهم اقل واذل واخس واضل من الانعام ويزعم انه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ابن
البتول وربما يعرض فيها بجناب الرسول عليه من ربه افضل التحية والاكرام ودوام الصلاة
مدى الايام ولم يبلغني عن احد من اهل ذلك العصر رد عليه جوابه وربما انها لم تشتهر وانهم
اقل من ان يردوا واخطا بدلالة كالمعاند المجاهد ولقد كان ناظمها يدل على انه شيطان مارد
وقد انتخى للجواب عنها بعد ذلك ابو محمد بن حزم الظاهري فافاد واجاد واجاب عن كل
فصل باطل بالصواب والسداد فبل الله بالرحمة ثراه وجعل الجنة منقلبه ومثواه
وها انا اذكر القصيدة الارمنية المخذولة الملعونة واتبعها بالقصيدة الاسلامية
المنصورة الميمونة قال المرتد الكافر الارمني على لسان ملكه لعنهما الله واهل ملتهم
اجمعين اكتعين ابصعين امين يا رب العالمين ومن خط ابن عساكر كتبتها وقد
نقلوها من كتاب صلة الصلة للفرغاني

من الملك الطهر المسيحي مالك • الى خلف الاملاك من آل هاشم
الى الملك الفضل المطيع اخي العلا • ومن يرتجى للمعضلات العظائم
اما سمعت اذناك ما انا صانع • بلى فعاك الوهن عن فعل حازم
فان تك عما قد تقلدت نائما • فاني عما همني غير نائم
ثغوركم لم يبق فيها لوهنكم • وضعفكم الا رسوم المعالم
فتحنا الثغور الارمنية كلها • بفتيان صدق كالليوث الضراغم
ونحن جلبنا الخيل تعلك لجمها • ونبلغ منها قصدها للشكايم
الى كل ثغر بالجزيرة آهل • الى جند قنسرينكم فالعواصم
ملطية مع سميساط من بعد كركر • وفي البحر اضعاف الفتوح التواجم
وبالحدث الحمراء جالت عساكري • وكيسوم بعد الجعفري المعالم
وكم قد ذللنا من اعزة اهلها • فصاروا لنا من بين عبد وخادم
وسد سروج اذ خربنا بجمعنا • لنا رتبة تعلو على كل قايم
واهل الرملة الاذوا بنا وتحزبوا • بمنديل مولى جل عن وصف آدمي

وصبح

وصبح راس العين منا بطارق • بنصر غدونا لها بضرب الجماجم
ودارا وميا فارقين وارزنا • صبحناهم بالخيل مثل الملاغم
واقريطش قد جزت اليها مراكبي • على ظهر بحر مزبد متلاطم
فحزتهم اسرى وسيقت نساؤهم • ذوات الشعور المسبلات النواعم
هناك فتحنا عين زربة عنوة • نعم وابدنا كل طاغ وظالم
الى حلب حتى استبحنا حريمها • وهدم منها سورها كل هادم
وقد فر عنها سيف دولة دينكم • وناصركم منا على رغم راغم
وملنا على طرسوس ميلة مايل • اخذنا لمن فيها بحز الحلاقم
فكم ذات عز حرة علوية • منعمة الاطراف ريا المعاصم
سبينا فسقناها خضوعا حواسرا • بغير مهور لا ولا حكم حاكم
وكم من قتيل قد تركنا مجدلا • يصب دما بين اللهى واللهازم
وكم وقعة في الدرب افنت حماتكم • وسقناهم قسرا كسوق البهايم
وملنا على ارياحكم وحريمها • مدوخة تحت العجاج السواهم
فاهوت اعاليها وبدل رسمها • من الانس وحشا بعد بيض نواعم
اذا صاح فيها البوم جاوبه الصدى • وانتحبه في الربع نوح الحمايم
وانطاكية لم تبعد علي وانني • سافتحها يوما بهتك المحارم
ومسكن ابائي دمشق فانني • سارجع فيها ملكنا تحت خاتمي
ومصر سافتحها بسيفي عنوة • واخذ اموالها لها بمي
واجزي كافورا بما يستحقه • بمشط ومقراض وقص محاجم
الا شمروا يا اهل حران شمروا • اتتكم جيوش الروم مثل الغمايم
فان تهربوا تنجوا كراما وتسلموا • من الملك الصادي بقتل المسالم
كذاك نصيبين وموصلها الى • جزيرة ابائي وملك الاقادم
سافتح سامرا وكوثا وعكبرا • وتكريتها مع جبل والنطايم
واقتل اهليها الرجال باسرهم • واغنم اموالا بها لكنايم
الا شمروا يا اهل بغداد ويلكم • فكلكم مستضعف غير رايم
رضيتم بحكم الديلمي خليفة • فصرتم عبيدا للعبيد الديالم
ويا قاطني الرملات ويلكم ارجعوا • الى ارض صنعا واهل البهايم
وعودوا الى ارض الحجاز اذلة • وخلوا بلاد الروم اهل المكارم
سالقي جيوشي نحو بغداد سايرا • الى باب طاق حيث دار الغنايم
واحرق اعلاها واهدم سورها • واسبي ذراريها على رغم راغم
واحرز اموالا بها واسرة • واقتل من فيها بسيف النقايم
واسري بجيشي نحو الاهواز مسرعا • لاحراز ديباج وخز السواسم
واشعلها نهبا واخرب قصورها • واسبي ذراريها كفعل الاقادم
ومنها الى شيراز والري فاعلموا • خراسان قصدي والجيوش لحادم
الى شاش بلخ بعدما وخوانها • وفرغانة مع مروها والمخارم

نسابور اخربها واهدم حصونها • واورد بها يوما كيوم المسادم •
وكرمان لا انسى سجستان كلها • وكابلها النائي وملك الاعاجم •
من المشرق الاقصى الى المغرب انثني • الى قيروان الارض غرب الكتايم •
الى السوس اقصاها ادبر ملكها • الى اصبهان الارض شرق الاعاجم •
اسير بجندي نحو بصرتها التي • لها البحر عجاج رابع متلازم •
الى واسط وسط العراق وكوفة • كما كان يوما جدنا ذو الغنايم •
واسرع منها نحو مكة سابقا • اجر جيوشا كالليالي السواجم •
فاملكها دهرا عزيزا مسلما • اقيم بها للحق كرسي عالم •
واحوي نجدا كلها وتهامها • وسرواتها من مذحج وقحاطم •
واغزو يمانا كلها وزبيدها • وصنعاءها مع صعدة والتهايم •
الحضرموت سهلها وجبالها • الى البحر احسابها والتهايم •
فاتركها ايضا يبابا بلاقعا • خلاء من الاهلين ارض نعايم •
واحوي اموال اليمانين كلها • وما جمع القرماط يوم محارم •
اعود الى القدس التي شرفت لنا • بعز مكين ثابت الاصل قايم •
واعلو سريري للسجود يعظمني • ملوك بني حوا بحمل الدراهم •
هنالك تخلو الارض من كل مسلم • لكل تقي الدين اغلف ناعم •
نصرنا عليكم حين جار ولاتكم • واعلنتم بالمنكرات العظايم •
قضاتكم باعوا القضا بدينهم • كبيع ابن يعقوب ببخس الدراهم •
عدولكم بالزور يشهد كلهم • وبالبر والرطيل مع كل قايم •
سافتح ارض الله شرقا ومغربا • وانشر دين الصلب نشر العمايم •
فعيسى علا فوق السماوات عرشه • ففاز الذي والاه يوم الخصايم •
وصاحبكم في الترب ودى به الثرى • فصار رفاتا بين تلك الرمايم •
تناولتم اصحابه بعد موته • بسب وقذف وانتهاك محارم •

هذا اخرها لعن الله ناظمها واسكنه النار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم يدعوا ناظمها ثبورا ويصلى سعيرا ويباشر ذلا طويلا يوم يعض الظالم على يديه ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان للانسان خذولا

ومنها جوابها لابي محمد بن حزم الفقيه الظاهري

قالها ارتجالا حين بلغته غضبا لله ولرسوله كما شاهده •
سقى ثراه ورحمه الله واكرم مثواه وغفر الله له خطاياه •

من المحتمي بالله رب العوالم • ودين رسول الله من آل هاشم •
محمد الهادي الى الله بالتقى • وبالرشد والاسلام افضل قايم •
عليه من الله السلام مرددا • الى ان يوافي البعث كل العوالم •
الى قايل بالافك جهلا وضلة • عن النقفور المفتري في الاعاجم •
دعوت اماما ليس من امرايه • بكفيه الا كالرسوم الطواسم •

دهتنا الدواهي في خلافتنا كما • دهت قبلها الاملاك دهم الدواهم •
ولا عجب من نكبة او ملمة • تصيب الكريم الحر ابن الاكارم •
ولو انه في حال ماضي جدوده • لجرعتم منه سمام الاراقم •
عسى عطفة لله في اهل دينه • تجدد منهم دارسات المعالم •
فخرتم بما لو كان فهم يردكم • حقا بوجهكم الله احكم حاكم •
اذا لعرتكم خجلة عند ذكره • واخرس منكم كل فاه مخاصم •
سلبناكم كرا ففزتم ببره • من الكر افعال الضعاف العزايم •
فطرتم سرورا عند ذاك ونخوة • كفعل المهين الناقص المتعاظم •
وما ذاك الا في تضاعيف غفلة • عرتنا وصرف الدهر جم الملاحم •
ولما تنازعنا الامور تخاذلا • ودانت لاهل الجهل دولة ظالم •
وقد شغلت فينا الخلايف فتنة • لعبدانهم من تركهم والديالم •
بكفر اياديهم وجحد حقوقهم • بمن رفعوه من حضيض البهايم •
وثبتم على اطرافنا عند ذاكم • وثوب لصوص عند غفلة نايم •
الم ينتزع منكم بايد وقوة • جميع بلاد الشام ضربة لازم •
ومصر وارض القيروان باسرها • واندلس قسرا بضرب الجماجم •
الم تنتصف منكم على ضعف حالها • صقلية في بحرها المتلاطم •
احلت بقسطنطينية كل نكبة • وسامتكم سوء العذاب الملازم •
مشاهد تقديساتكم وبيوتها • لنا وبايدينا على رغم راغم •
اما بيت لحم والقمامة بعدها • بايدي رجال المسلمين الاعاظم •
وكرسيكم في ارض اسكندرية • وكرسيكم في القدس في اروشالم •
ضممناهم قسرا برغم انوفكم • كما ضمت الساقين سود الاداهم •
وكرسي انطاكية كان برهة • ودهرا بايدينا بذل الملاحم •
فليس سوى كرسي رومة فيكم • وكرسي قسطنطينية في المقادم •
ولا بد من عود الجميع باسره • الينا بعز قاهر متعاظم •
اليس يزيد حل وسط دياركم • على باب قسطنطينية بالصوارم •
ومسلمة قد داسها بعد ذاكم • بجيش لهام كالليوث الضراغم •
واخدمكم بالذل مسجدنا الذي • بني فيكم في عصره المتقادم •
الى جنب قصر الملك من دار ملككم • الا هذه حقا صريمة صارم •
وادى لنا الرشيد مليككم • اتاوة مغلوب وجزية غارم •
سلبناكم مسرى نهور بعنوة • حبانا بها الرحمن ارحم راحم •
الى شنت يعقوب دارة دولة • الى لجة البحر البعيد المحارم •
فهل سرتم في ارضنا قط جمعة • اتى الله ذاكم يا بقايا الهزايم •
فما لكم الا الاماني وحدها • بضايع نوكى تلك احلام نايم •
رويدا يعد نحو الخلافة نورها • ويسفر مغبرا لوجوه السواهم •
وحينيذ تدرون كيف فراركم • اذا صدمتكم خيل جيش مصادم •

على سالف العادات منا ومنكم • ليالي انتم في عداد الغنائم
سبيتم سبايا يحصر العد دونها • وسبيكم فينا كقطر الغمائم
فلو رام خلق عدنا رام معجزا • واني بتعداد لريش الحمائم
بابناء حمدان وكافور صلتم • اراذل اخناس قصار المعاصم
دعي وحجام سطوتم عليهما • وما قدر مصاص دماء المحاجم
فهلا على دمياتة قبل ذا كذا • على عمل او ما زمانا لضرا غم
ليالي قادوكم كما اقتاد جازر • جلائب اتياس لحز الحلاقم
وساقوا على رسل بنات ملوككم • سبايا كما سيقت ظباء الصرائم
ولكن سلوا عنا هرقلا ومن خلا • لكم من ملوك مكرمين قماقم
يخبركم عنا المنوح منكم • وقيصركم عن سبينا للكرائم
وعما فتحنا من منيع بلادكم • وعما اقمنا فيكم من مآتم
ودع كل نذل مستزلا لعده • اماما ولا من محكمات الدعائم
تنبهات سامرا وتكريت منكم • الى جبل لكم اتاني هاشم
متى يجننا ما الضعيف ودونها • تطاير هامات وحز الغلاصم
ومن دون بغداد سيوف حديدة • مسيرة شهر للفنيق القواصم
محلتنا اهل الزند والخير والتقى • ومنزلة يحتلها كل عالم
دعوا الرملة البيضاء عنكم فدونها • من المسلمين المستعد كل صارم
ودون دمشق جمع جيش كانه • سحائب طير ينتحي بالقوادم
وضرب تلقى الكفر كل مذلة • كما ضرب السكي بيض الدراهم
ومن دون اكناف الحجاز جحافل • كقطر الغيوث الهاطلات السواجم
بها من بني عدنان كل سميدع • ومن حي قحطان كرام العمائم
ولو قد لقيتم من قضاعة كبة • لقيتم ضراما في يبيس الهشائم
اذا صبحوكم ذكروكم بما خلا • لهم معكم من مأزق وملاحم
زمان بنو دون الصوائف غزوكم • تخنتم ضمانا انكم في المغانم
ستأتيكم منهم قريبا عصائب • تنسيكم تذكار اخذ العواصم
واموالكم تحل لهم ودماؤكم • بها يشتفي حر النفوس الحوائم
وارضكم حقا سيقتسمونها • كما قسموا دهرا بعدل المقاسم
ولو طرقتكم من خراسان عصبة • وشيراز والري القلاع القوائم
لما كان منكم عند ذلك غير ما • عهدنا لكم ذل وغض الاداهم
نقدنا لما زاروكم في دياركم • مسيرة عام بالخيول الصلادم
واما سجستان وكرمان والالى • بكابل حلوان بلاد البراهم
وفي فارس والسوس جمع عرمرم • وفي اصبهان كل اروع حازم
فلو قد اتاكم جمعهم لغدوتم • فرائس كالآساد فوق البهائم
وبالبصرة الزهراء والكوفة التي • سمت وبوادي واسط والكظائم
جموع تسامى الرمل عدا بعدما • فما احد ننوبه منها بسالم

ومن دون

ومن دون بيت الله في مكة التي • حماها مجيد للثريا مزاحم
محل جميع الارض منها تيقنا • محلة سفل الخف من فص خاتم
دفاع من الرحمن عنها بحقها • فما هو عنها كر طرف براثم
بها دفع الاحبوش عنها وقبلهم • بحصباء طير في ذرى الجو حائم
ويجمع جمع البحر من عسكر مترم • حمى سوح البطحاء ذات المحارم
ومن دون قبر المصطفى وسط طيبة • جموع كسود من الليل فاحم
يمدهم جيش الملائكة العلى • كفاحا ودفعا عن مصل وصائم
فلو قد لقيناكم لحزتم رمائما • بحزن اعالي نجدنا والتهائم
وبالبحر الممنوع فتيان غارة • اذا ما لقوكم كنتم كالمطاعم
وفي جانبي ارض اليمامة عصبة • معا وراد اجاد طووا للبراجم
ستنسيكم والقرمطيين دولة • يقود لميمون النقيبة حازم
خليفة حق ينصر الدين حكمه • ولا يتقي في الله لومة لائم
الى ولد العباس ينمي وجده • بفخر عميم او لزهر العباسم
وان كان من عليا عدي وتيمها • ومن اسلم اهل الصلاح الخضارم
محلتهم في مسجد القدس اولدى • منازل بغداد محل المكارم
هموا نصروا الاسلام نصرا موزرا • وهم فتحوا البلدان فتح المراغم
رويدا فوعد الله بالصدق وارد • بتجريع اهل الكفر طعم العلاقم
سنفتح قسطنطينية وذواتها • ونجعلكم قوت النسور القشاعم
ونملك اقصى ارضكم وبلادكم • ونلزمكم ذل الخزي والمغارم
ونفتح ارض الصين والهند عنوة • بجيش لارض الترك والخزر حاطم
مواعيد للرحمن فينا صحيحة • وليست كامال العقول السقائم
الى ان يرى الاسلام قد عم حكمه • جميع البلاد بالجيوش الصوادم
اتفتن يا مخذول دين مثلث • بعيد عن المعقول بادي المآثم
يدين لمخلوق يدين عبادة • فيا لك سحتا ليس يخفى لكاتم
اناجيلكم مصنوعة متكاذب • كلام الالى فيها اتوا بالعظائم
وعود صليب ما تزالون سجدا • له يا عقول الهاملات السوائم
تدينون تضلالا بصلب الهكم • بايدي يهود ارذلين الائم
الى ملة الاسلام توحيد ربنا • فما دين ذي دين لها بمقاوم
وصدق رسالات الذي جاء بالهدى • محمد الآتي برفع المظالم
واذعنت الاملاك طوعا لدينه • ببرهان صدق ظاهر في المواسم
كما كان في صنعاء مالك دولة • واهل عمان حيث رهط الجهاضم
وسائر املاك اليمانين اسلموا • ومن بلد البحرين قوم اللهازم
اجابوا لدين الله دون مخافة • ولا رغبة يحظى بها كف عادم
فحلوا عرى التيجان طوعا ورغبة • بحق يقين بالبراهين ناجم
وحاباه بالنصر المكين الاهه • وصير من عاداه تحت المناسم

فقير وحيد لم تغنه عشيرة • ولا دفعوا عنه شنيعة شاتم •
ولا عنده مال عتيد لناصر • ولا دفع مرهوب ولا لمسالم •
ولا وعد الانصار مالا يخصهم • بلى كان معصوما لاقدام عاصم •
فلم تمتهنه قط قوة آسر • ولا مكنت من جسمه يد لاطم •
كما يفتري افكا وزورا وضلة • على وجه عيسى منكم كل لاطم •
على انه قد قلتم هو ربكم • فيا لضلالات الحماقة غايم •
ابى الله ان يدعى له ابن وصاحب • ستلقى دعاة الكفر حالة قادم •
ولكنه عبد نبي مكرم • من الناس مخلوق ولا قول زاعم •
ايلطم وجه الرب تبا لنوككم • لقد فقتم في ظلمكم كل ظالم •
وكم آية ابدى النبي محمد • وكم علم ابداه للشرك خاطم •
تساوى جميع الناس في نصر حقه • فللكل في اعظامه حال خادم •
فعرب واحبوش وترك وبربر • وكرديهم قد فاز قدح المراحم •
وقبط وانباط وخزر وديلم • وروم رموكم دونه بالقواصم •
ابوكم اسلاف لهم فتغشوا • فآبوا بحظ في السعادة جاثم •
به دخلوا في ملة الحق كلهم • ودانوا لاحكام الاله اللوازم •
به صح تفسير المنام الذي اتى • به دانيال قبل حتم خاتم •
وسند وهند اسلموا وتدينوا • بدين الهدى في رفض دين الاعاجم •
وشق لنا بدر السماوات آية • واشبع من صاع له كل طاعم •
وسالت عيون الماء في بطن كفه • فاروى به جيشا كثيرا البهايم •
وجاء بما تقضي العقول بصدقه • ولا كدعاو غير ذات قوايم •
عليه سلام الله ما ذر شارق • يحاكيه ظلما اسحم قاتم •
براهينه كالشمس لا شي مثلها • وتخليطكم في جوهر واقانم •
لنا كل علم من قديم ومحدث • وانتم حمير ابيات المحازم •
اتيتم بشعر بارد متخاذل • ضعيف معاني النظم جم البلاعم •
فدونكها كالعقد فيه زبرجد • ودر ويا قوت باحكام حاكم •

وفيها عزل ابن ابي الشوارب عن القضا ونقضت سجلاته وابطلت احكامه مدة ايامه وولي القضا بدله ابو بشر عمر بن اكثم بلا رزق ورفع عنه ما كان يحمله ابن ابي الشوارب في كل سنة ولله الحمد وفي ذي الحجة استسقى الناس لتاخر المطر وذلك في كانون الثاني وحكى ابن الجوزي في المنتظم عن ثابت بن سنان المورخ قال حدثني جماعة من اهل الموصل ممن اثق بهم ان بعض بطارقة الارمن انفذ في سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة الى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من الارمن ملتصقين سنهما خمس وعشرون سنة ملتحيين ومعهما ابوهما ولهما سرتان وبطنان ومعدتان وجوعهما يختلف وكان احدهما يميل الى النسا والاخر يميل الى الغلمان وكان يقع بينهما خصومة وتشاجر وربما حلف احدهما لا يكلم الاخر فيمكثان كذلك اياما ثم يصطلحان فوهبهما ناصر الدولة الفي درهم وخلع عليهما ودعاهما الى الاسلام فيقال انهما اسلما واراد ان يبعثهما الى بغداد ليراهما الناس ثم انه رجع

عن ذلك

عن ذلك ثم انهما رجعا الى بلدهما مع ابيهما فاعتل احدهما ومات وانتن ريحه وبقي الاخر لا يمكنه التخلص منه وكان ايضا لنا بينهما من الحاضرين وقد كان ناصر الدولة اراد فصل احدهما من الاخر وجمع الاطبا لذلك فلم يمكن فلما مات احدهما حار ابوهما في ذلك فاتفق اعتلال الاخر من غم نتن اخيه فمات غما فدفنا جميعا في قبر واحد وممن توفي فيها من الاعيان عمر بن اكثم بن احمد بن حبان بن بشر ابو بشر الاسدي الفقيه الشافعي ولد سنة اربع وثمانين وولي القضا في زمن المطيع نيابة عن ابي السايب عتبة بن عبيد الله ثم ولي قضاة القضاة وهو اول من ولي قضا القضاة من الشافعية سوى ابي السايب وكان محمود السيرة في القضا وكانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنة

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة

في عاشر المحرم عملت الرافضة عزا الحسين كما تقدم في السنة الماضية فاقتتل الروافض واهل السنة في هذا اليوم قتالا شديدا ونهبت الاموال وفيها عصا نجا غلام سيف الدولة عليه وذلك انه كان في العام الماضي قد قصد اهل حران واخذ منهم اموالا كثيرة فتمرد بها وذهب الى بلاد اذربيجان فاخذ طايفة منها من يد رجل من الاعراب يقال له ابو الورد فقتله واخذ من امواله شيا كثيرا وقويت شوكته بسبب ذلك فسار اليه سيف الدولة فاخذه وامر بقتله فقتل بين يديه والقيت جيفته في الاقذار ومحل الجيف والنتن وفيها جا الدمستق الى المصيصة في جيش كثيف فحاصرها ونقب سورها فدافعه اهلها فاحرق رستاقها وقتل ممن حولها خمسة عشر الف انسان وعاثوا فسادا في بلاد اذنة وطرسوس وكروا راجعين الى بلادهم قبحهم الله وفيها قصد معز الدولة الموصل وجزيرة ابن عمر فاخذها من يد ناصر الدولة بن حمدان ثم سار في طلب ناصر الدولة فكر ناصر الدولة في جيشه فدهمه فاسترجع الملك من يد معز الدولة فعاد معز الدولة فاخذ الموصل واقام بها ثم سأله في الصلح فاصطلحا على ان يكون الحمل في كل سنة وان يكون ابو تغلب ناصر الدولة ولي عهد ابيه من بعده فاجاب معز الدولة الى ذلك وكر راجعا الى بغداد بعدما جرت له خطوب طويلة قد استقصاها ابن الاثير في كامله وبسطها وفيها ظهر رجل ببلاد الديلم وهو ابو عبد الله محمد بن الحسين من اولاد الحسن بن علي ويعرف بابن الداعي فالتف عليه خلق كثير ودعا الى نفسه وتسمى بالمهدي وكان اصله من بغداد وانتظم له شأن بتلك البلاد وهرب منه ابن الناصر العلوي وفيها قصد ملك الروم وفي صحبته الدمستق ملك الارمن بلاد طرسوس فحاصروها مدة ثم غلت عليهم الاسعار واخذ فيهم الوبا فمات منهم كثير كما قال الله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا وكان من عزمهم انهم يستحوذون على البلاد كلها فرجعوا خاسئين ولله الحمد وفيها كانت وقعة المجاز ببلاد صقلية وذلك انه اقبل من الروم خلق كثير ومن الفرنج ما يقارب مائة الف فبعث اهل صقلية الى المعز الفاطمي يستنجدونه فبعث اليهم جيوشا كثيرة في الاسطول فكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من اول النهار الى العصر ثم قتل امير الروم منويل وفر الروم وانهزموا فتبعهم المسلمون فقتلوا منهم خلقا كثيرا وسقط الفرنج

في وادي عميق فهلك اكثرهم وركب الباقون في المراكب فبعث الامير احمد صاحب صقلية
في آثارهم مراكب اخر فقتلوا اكثر المسلمين في البحر ايضا وغنم المسلمون في هذه الغزوة شيئا
كثيرا من الاموال والحيوانات والامتعة والاسلحة فكان في جملة ذلك سيف مكتوب عليه
هذا سيف هندي زنته مائة وسبعون مثقالا طالما قوتل به بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبعث في جملة تحف عظيمة الى المعز الفاطمي الى افريقية ومنها قصدت
القرامطة مدينة طبرية لياخذوها من يد ابن الاخشيد صاحب مصر والشام وطلبوا من
سيف الدولة ان يمدهم بحديد يتخذونه سلاحا فقلع لهم ابواب الرقة وكانت من حديد صما
وهي احدروها في الفرات وارسل بذلك كله اليهم حتى قالوا اكتفينا ومنها طلب معز
الدولة من الخليفة المطيع لله ان ياذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فبعث خادما
من عنده فطافوا معه فيها وهو مسرع وجزع وقد خاف من غائلة ذلك وخشي
ان يقتل في بعض المداخل ثم تصدق بعشرة الاف شكرا لله عز وجل على السلامة
وازداد حبا في الخليفة المطيع لله عز وجل من يومه فكان في جملة ما راى من العجائب بها
صنم من نحاس على صورة امراة حسنا جدا وحوله اصنام صغار كانت قد اتي به في زمن المقتدر
فاقيم هناك ليتفرج على الجواري والنساء فهم المعز ان يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فتركه وفي
ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة خرج رجل بالكوفة فادعى انه علوي وكان يتبرقع
فسمي المبرقع وعاطت بصيته وبعد صيته وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله
بامر الموصل وناصر الدولة بن حمدان فلما توطدت وعاد الى بغداد اختفى المبرقع وذهب في البلاد
فلم ينتج له امر بعد ذلك وممن توفي فيها من الاعيان بكار بن احمد بن بكار بن زياد بن درستويه
بن عيسى المقرئ روى الحديث عن عبد الله بن احمد وعنه ابو الحسن الحمامي وكان ثقة واقرا
القران ازيد من ستين سنة رح وكانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنة وقد جاوز السبعين
وقارب الثمانين ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر ابي حنيفة رح ابو اسحاق الهجيمي ولد
سنة خمسين ومائتين وسمع الحديث فكان اذا سئل ان يحدث يقسم لا يحدث حتى يجاوز
المائة فابر الله قسمه وجاوزها فاسمع وكانت وفاته في هذه السنة عن مائة وثلاث سنين
رح

ثم دخلت سنة اربع وخمسين وثلثمائة

في عاشر المحرم عملت الشيعة المأتم على ما تقدم في السنتين الاولتين وعلقت الاسواق وعلقت
المسوح وخرجت النساء سافرات ناشرات يلطمن وجوههن في الازقة والاسواق وهذا
تكلف لا حاجة اليه في الدين ولا في الدنيا ولو كان هذا امرا محمودا لكان صدر هذه الامة وخيرتها
اولى به اذ لو كان خيرا لسبقونا اليه واهل السنة يقتدون ولا يبتدعون وتسلطت
السنة على الروافض فكبسوا مسجد براثا الذي هو عش الروافض وقتلوا بعض من كان
فيه من القومة ومنها في رجب منها جاء ملك الروم بجيوش كثيفة الى المصيصة ففتحها
قسرا وقتل من اهلها خلقا واستاق بقيتهم معه اسارى وكانوا قريبا من مائتي الف انسان
فانا لله وانا اليه راجعون وجاء الى طرسوس فسال اهلها منه الامان فامنهم وامرهم بالجلاء
عنها والانتقال منها فاتخذ الجامع اصطبلا لخيوله وحرق المنبر ونقل قناديله الى كنايس
بلده وتنصر بعض اهلها معه لعنه الله وكان اهل طرسوس والمصيصة قد اصابهم قبل هذا
البلا غلا عظيم ووبا شديد بحيث كان يموت في اليوم منهم ثلثمائة نفس ثم دهمهم

هذا الامر

هذا الامر الشديد فانتقلوا من شهادة الى شهادة اعظم منها وعزم ملك الروم على المقام
بطرسوس ليكون اقرب الى بلاد المسلمين ثم عن له فسار الى القسطنطينية وفي خدمته
الدمستق ملك الارمن لعنهما الله وجعل امر تسفير الحجيج الى نقيب الطالبيين وكتب
له منشور بالنقابة والحجيج وهو ابو احمد الحسين بن موسى الموسوي وهو والد الرضي والمرتضى
ومنها توفيت اخت معز الدولة فركب الخليفة في طيارة وجاء اليه للعزاء فقبل معز الدولة
الارض بين يديه وشكر له سعيه اليه وصدقاته عليه وفي ثامن عشر ذي الحجة عملت
الروافض عيد غدير خم على العادة الجارية التي ذكرناها ومنها تغلب على انطاكية رجل يقال
له رشيق النسيمي بمساعدة رجل يقال له ابن الاهوازي كان يضمن الطواحين فاعطاه
مالا واطمعه في اخذ انطاكية واخبره ان سيف الدولة قد اشتغل بميافارقين وعجز
عن الرجوع الى حلب فتم لهما ما راماه من اخذ انطاكية ثم ركبا في جيوش منها الى حلب
فجرت بينهما وبين نايب سيف الدولة حروب عظيمة ثم اخذ البلد وتحصن النايب
بالقلعة وجاءت النجدة من سيف الدولة الى حلب مع غلام له اسمه بشارة فانهزم
رشيق فسقط عن فرسه فبادره بعض الاعراب فقتله واخذ راسه فجاء به الى حلب واستقل
ابن الاهوازي بما بيده من انطاكية فاقام رجلا من الروم اسمه دزبر فسماه الامير واقام اخر
من العلويين ليجعله خليفة وسماه الاستاذ اولا فقصده نايب حلب وهو قرعويه
فاقتتلا قتالا شديدا فهزمه ابن الاهوازي واستقر بانطاكية فلما عاد سيف الدولة
الى حلب لم يبت بها الا ليلة واحدة حتى سار الى انطاكية فاقتتلوا قتالا عظيما ثم
انهزم دزبر وابن الاهوازي واسرا فقتلهما سيف الدولة بن حمدان ومنها ثار رجل من
القرامطة اسمه مروان كان يحفظ الطرقات لسيف الدولة بحمص فملكها وما حولها
فقصده جيش من حلب مع الامير بدر فاقتتلوا معه فرماه بدر بسهم مسموم فاصابه
واتفق ان اسر اصحاب مروان بدرا فقتله مروان بين يديه صبرا ومات مروان بعد ايام
وتفرقت اصحابه قبحهم الله ومنها عصى اهل سجستان اميرهم خلف بن احمد وذلك انه
حج في سنة ثلاث وخمسين واستخلف عليهم طاهر بن الحسين فطمع في الملك بعده واستمال
اهل البلد فلما رجع من الحج لم يسلم البلد وعصى عليه فذهب الى بخارا الى الامير منصور
بن نوح الساماني فاستنجده فبعث معه جيشا فاستنقذ البلد من طاهر وسلمها الى
الامير خلف بن احمد وقد كان خلف عالما محبا للعلماء فذهب طاهر فجمع جموعا ثم جاء
فحاصر خلفا واخذ منه البلد فرجع خلف الى الامير منصور الساماني فبعث معه من ارجع
له البلد ثانية وسلمها اليه فلما استقر خلف بها وتمكن منها منع ما كان يحمله من التحف
والهدايا والحمل الى الامير منصور ببخارا فبعث اليه جيشا فتحصن خلف في حصن يقال
له حصن ارك فنازلوه ولبث الحصر فيه تسع سنين لم يقدروا عليه وذلك لمناعة هذا الحصن
وعمق خندقه وارتفاعه وهو في نفسه شيء في مآل اليه امره بعد ذلك ومنها قصدت
طايفة من الترك بلاد الخزر فاستنجد الخزر باهل خوارزم فقالوا لو اسلمتم لنصرناكم فاسلموا
الا ملكهم فقاتلوا معهم الترك فاجلوهم عنهم ثم اسلم بعد ذلك ولله الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الاعيان

المتنبي الشاعر المشهور

احمد بن الحسين بن احمد بن الحسن بن عبد الصمد ابو الطيب الجعفي الشاعر المشهور المعروف بالمتنبي وكان يعرف ابوه بعيدان بفتح العين السقا كان يستقي الماء لاهل الكوفة على بعير له وهو شيخ كبير وعيدان هذا قال ابن ماكولا والخطيب هو بكسر العين وبعدها ياء مثناة من تحت وقيل بل بفتح العين لا كسرها فالله اعلم كان مولد المتنبي بالكوفة سنة ست وثلثمايه ونشا بالشام بالبادية وطلب الادب ففاق اهل زمانه ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان وامتدحه وحظي عنده ثم صار الى مصر فامتدح كافور الاخشيدي ثم هجاه وهرب منه وورد بغداد فامتدح بعض اهلها وسمع عليه ديوانه فيها وقدم الكوفة فامتدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون الف دينار ثم سار الى فارس فامتدح عضد الدولة بن بويه فاطلق له اموالا جزيلة تقارب له ماتي الف درهم وقيل بل حصل له نحو من ثلاثين الف دينار ثم دس اليه من يسال له ايما احسن عطايا عضد الدولة بن بويه او سيف الدولة بن حمدان فقال هذه اجزل ولكن فيها تكلف وتلك اقل ولكن عن طيب نفس من معطيها لانها عن طبيعة وهذه عن تكلف فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ عليه ودس اليه طايفة من الاعراب فوقفوا له في اثناء الطريق وهو راجع الى بغداد ويقال انه قد كان هجا مقدمهم ضبة الاسدي وقد كانوا يقطعون الطريق فلهذا اوعز اليهم عضد الدولة ان يتعرضوا له فيقتلوه ويأخذوا لهم ما معه من الاموال فانتهوا اليه وهو ستون راكبا في يوم الاربعاء وقد بقي من رمضان ثلاثة ايام وقيل بل قتل في يوم الاثنين لخمس بقين من رمضان ويقال بل كان ذلك في شعبان وقد نزل عند عين تحت شجرة انجاص وقد وضعت سفرته ليتغدى ومعه ولده محسن وخمسة عشر غلاما له فلما راهم قال هلموا يا وجوه العرب فلما لم يكلموه احس بالشر فنهض الى سلاحه وخيله فتواقفوا ساعة فقتل ابنه محسن وبعض غلمانه واراد هو ان ينهزم فقال له مولى له اين تذهب وانت القايل •

• فالخيل والليل والبيدا تعرفني • والطعن والضرب والقرطاس والقلم •

فقال ويحك قتلتني ثم كر راجعا فطعن زعيم القوم برمح في عنقه فقتله فاجتمعوا عليه فشجروه بالرماح حتى قتلوه واخذوا جميع ما كان معه من الاموال وذلك بالقرب من النعمانية وهو ايب الى بغداد ودفن هناك وله من العمر ثمان واربعون سنة وذكر ابن عساكر انه لما نزل في المنزلة التي كانت فيها منزلته هذه سال له بعض الاعراب ان يعطيهم خمسين درهما ويخفرونه فمنعه الشح والكبر ودعوى الشجاعة من ذلك وقد كان المتنبي جعفي النسب صليبة منهم وقد ادعى حين كان مع بني كلب بارض السماوة قريبا من حمص انه علوي ثم حسني ثم ادعى انه نبي فاتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم وزعم انه انزل عليه قرآن فمن ذلك والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار امض على سننك واقف اثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قامع بك من الحد في دينه وضل عن سبيله وهذا من خذلانه وكثرة هذيانه في قرآنه ولو لزم قافية مدحه والهجاء لكان من اشعر الشعرا وافصح الفصحا ولكن اراد بجهله وقلة عقله ان يتقول لما يشبه كلام رب العالمين رب الارض والسما الذي لا يشبهه شي من الاشيا لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله واحواله تعالى الله خالق الاشيا ولما اشتهر خبره بارض السماوة وانه قد التف عليه

جماعة

جماعة من اهل الغبا وقد خرج اليه نايب حمص وهو من جهة بني الاخشيد وهو الامير لولو بيض الله وجهه فقاتله وشرد شمله واسره وسجنه دهرا طويلا فمرض في السجن واشرف على التلف فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتابا اعترف فيه ببطلان ما ادعاه وانه قد تاب من ذلك ورجع الى دين الاسلام واطلق سراحه وكان بعد ذلك اذا ذكر بهذا يجحده ان امكنه جحده والا اعتذر منه واستحيى من ذلك وقد شهر بصفة تدل على كذبه فيما كان ادعاه من الافك والبهتان وهو لفظة المتنبي الدالة على الكذب ولله الحمد وقد قال بعضهم يهجوه •

• اي فضل لشاعر يطلب الفضل • من الناس بكرة وعشيا •
• عاش حينا يبيع في الكوفة • الماء وحينا يبيع ماء المحيا •

وللمتنبي ديوان مشهور في الشعر فيه اشعار رايقة ومعاني ليست بمسبوقة بل مبتكرة شايقة وهو في الشعرا المحدثين كامرئ القيس في الشعرا المتقدمين وهو عندي بخط يده وفيما ذكر من له خبرة بهذه الاشيا مع تقدم امده وقد ذكر ابو الفرج بن الجوزي في منتظمه قطعا رايقة استحسنها من ديوانه وكذلك الحافظ الكبير ابو القسم ابن عساكر شيخ اقليمه وحافظ زمانه مما استملحه استاذ الوعاظ الشيخ ابو الفرج بن الجوزي قول المتنبي

• عزيز اسى من داؤه الحدق النجل • عناء به مات المحبون من قبل •
• فمن شاء ان ينظر الي فمنظري • نذير الى من ظن ان الهوى سهل •
• جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي • فاصبح لي عن كل شغل به شغل •
• ومن جسدي لم يترك السقم شعرة • فما فوقها الا وفيها له فعل •
• كان رقيبا منك سد مسامعي • عن العذل حتى ليس يدخلها العذل •
• كان سهاد الليل يعشق مقلتي • فبينهما في كل هجر لنا وصل •

ومن ذلك قوله •

• كشفت ثلاث ذوايب من شعرها • في ليلة فارت ليالي اربعا •
• واستقبلت قمر السما بوجهها • فارتني القمرين في وقت معا •

ومن ذلك قوله •

• ماذا لقيت من الجاهلين كلهم • شعري ولا سمعت بسحري بابل •
• واذا اتتك مذمتي من ناقص • فهي الشهادة لي باني فاضل •
• من لي بفهم اهيل عصر يدعي • ان يحسب الهندي منهم باقل •

وله • ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى • عدوا له ما من صداقته بد •

وقوله •

• واذا كانت النفوس كبارا • تعبت في مرادها الاجسام •

وقوله •

• ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت • على عينه حتى يرى صدقها كذبا •

وله •

• خذ ما تراه ودع شيا سمعت به • في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل •

وفي هذا انا نيه وله في مدح بعض الملوك الذين كان يستمنح منهم العطا

يفنى الكواكب والابصار شاخصة ... منها الى الملك الميمون طائره
قد حزن في بشر في تاجه قمر ... في درعه اسد تدمى اظافره
حلو خلائقه شوس حقائقه ... يحصى الحصى قبل ان تحصى ماثره

وفيها قوله

يا من الوذ به فيما اؤمله ... ومن اعوذ به مما احاذره
لا يجبر الناس عظما انت كاسره ... ولا يهيضون عظما انت جابره

وقد بلغني عن شيخنا العلامة ابي العباس ابن تيمية رح انه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة ويقول انما يصلح هذا لجناب الله عز وجل واخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم انه سمع الشيخ يقول ربما قلت هذين البيتين في السجود ومما اورده الحافظ ابو القسم بن عساكر من شعر المتنبي في ترجمته قوله

ابعين مفتقر اليك رايتني ... فاهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم انا الملوم لانني ... انزلت حاجاتي بغير الخالق

قال القاضي ابن خلكان وهذان البيتان ليسا في ديوانه وقد رواهما الحافظ الكندي باسناد صحيح ومن ذلك قوله

اذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير ... كطعم الموت في امر عظيم

ومن ذلك قوله

وما انا بالباغي على الحب رشوة ... قبيح هوى يرجى عليه ثواب
اذا نلت منك الود فالمال هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

قد تقدم انه ولد بالكوفة سنة ست وثلثماية وانه قتل في رمضان سنة اربع وخمسين وثلثماية قال ابن خلكان وقد فارق سيف الدولة ابن حمدان سنة ست واربعين لما كان من ابن خالويه اليه ما كان من ضربه اياه بمفتاح في وجهه فادماه فصار الى مصر فامتدح كافور الاخشيذي فاقام عنده اربع سنين وكان المتنبي يركب في جماعة من مماليكه فتوهم منه كافور فجفاه فهجاه المتنبي فهرب فارسل في اثره فاعجزه فقيل لكافور بما نبهه حتى توهمت منه فقال هذا رجل اراد ان يكون نبيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم افلا يروم ان يكون ملكا بديار مصر ثم سار المتنبي الى عضد الدولة فامتدحه فاعطاه كثيرا ثم عاد من عنده فعرض له فاتك بن ابي جهل الاسدي فقتله وابن محسد وغلامه مفلح يوم الاربعا لست بقين وقيل لليلتين بقيتا من رمضان وقيل يوم الاثنين لثمان وقيل لخمس بقين منه وذلك بسواد بغداد وقد رثاه الشعرا وقد شرح ديوانه العلما بالشعر واللغة نحو من ستين شرحا بين وجيز وبسيط

ومن توفي فيها من الاعيان ايضا

ابو حاتم البستي بن حبان صاحب الصحيح

محمد بن حبان بن احمد بن معاذ بن معبد ابو حاتم البستي صاحب الانواع والتقاسيم واحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين ودخل البلدان وسمع الكثير من المشايخ ثم

ولي قضا

ولي قضاء بلده ومات بها في هذه السنة وقد حاول بعضهم الكلام من جهة معتقده ونسبه الى ان النبوة مكتسبة وهي نزعة فلسفية والله اعلم بصحتها عنه وقد ذكرته في طبقات الشافعية

محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن مقسم ابو بكر بن مقسم المقري العطار البغدادي ولد سنة خمس وستين ومايتين وسمع الكثير وروى عنه الدارقطني وغيره وكان من اعرف الناس بالقراات وله كتاب في النحو على طريقة الكوفيين سماه كتاب الانوار قال ابن الجوزي ما رايت مثله وله تصانيف اخر لكن تكلم الناس فيه بسبب تفرده بقراات لا تجوز عند الجميع وكان يذهب الى ان كل ما لا يخالف الرسم ويسوغ من حيث المعنى واللفظ يصح القراة به كقوله تعالى فلما استياسوا منه خلصوا نجيا اي يتناجون قال لو قرى نجبا من النجابة لكان قويا وقد ادعي عليه وكتب عليه مكتوب انه قد رجع عن مثل ذلك ومع هذا لم ينته عما كان يذهب اليه حتى مات قاله ابن الجوزي

محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عبدويه بن موسى ابو بكر الشافعي ولد بجبل سنة ستين ومايتين وسمع الكثير وسكن بغداد وكان ثقة ثبتا كثير الرواية سمع منه الدارقطني وغيره من الحفاظ وكان يحدث بفضائل الصحابة حتى منعت الديلم من ذلك جهرة في الجامع بمدينة المنصور مخالفة لهم وكذلك في مسجده بباب الشام وتوفي في هذه السنة عن اربع وتسعين سنة رح

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلثماية

في عاشر المحرم عملت الروافض ببغداد بدعتهم الشنعا وفتنتهم الصلعا وفيها اخذت القرامطة الهجريون عمان وفيها قصدت الروم آمد فحاصروها فلم يقدروا عليها ولكن قتلوا من اهلها ثلثماية واسروا منهم اربعماية ثم ساروا الى نصيبين وفيها سيف الدولة فهم بالهرب مع العرب ثم تاخر مجي الروم فثبت مكانه وقد كادوا ابن يلونا ركا وفيها وردت طايفة من جيش خراسان في بضعة عشر الفا يظهرون انهم يريدون غزو الروم فاكرمهم ركن الدولة بن بويه وامنوا اليهم فنقضوا اليهم فاخذوا الديلم على غرة فقاتلهم ركن الدولة فظفر بهم لان البغي مصرعه وهرب اكثرهم وفيها خرج معز الدولة من بغداد الى واسط لقتال عمران بن شاهين حتى تفاقم الحال بامره واشتهر في تلك النواحي صيته فذكره فقوي المرض بمعز الدولة فاستناب على الحرب ورجع الى بغداد فكانت وفاته في السنة الاتية كما سنذكره ان شاء الله تعالى وفيها قوي امر ابن عبد الله بن الداعي ببلاد الديلم واظهر النسك والعبادة ولبس الصوف وكتب الى الافاق حتى الى بغداد يدعو الى الجهاد وفيها تم الفدا بين سيف الدولة وبين الروم فاستنقذ منهم اسارى كثيرة منهم ابن عمه ابو فراس بن سعيد بن حمدان وابو الهيثم بن حصين القاضي وذلك في رجب منها وفي جمادى الاخرة نودي برفع المواريث الحشرية وان ترد الى ذوي الارحام وفيها ابتنى معز الدولة بن بويه في بنا مارستان وارصد له اوقافا جزيلة وفيها قطعت بنو سليم السابلة على الحجيج من اهل الشام ومصر والمغرب واخذوا منهم عشرين الف بعير باحمالها وكان عليها من الاموال والامتعة ما لا يقوم كثرة وكان لرجل يقال له ابن الخواتيمي قاضي طرسوس ماية الف دينار وعشرين الف دينار عينا وذلك انه اراد التحول من بلاد الشام الى العراق بعد الحج وكذلك

وتبع الكثير من الناس وحين اخذت الجمال تركوهم على برد الديار لا شي لهم فقتل منهم من قتل وما اكثر من عطب فانا لله وانا اليه راجعون وحج بالناس في هذه السنة الشريف ابو احمد نقيب الطالبيين من ناحية العراق

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن داود بن علي بن عيسى بن محمد بن القسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب ابو عبد الله العلوي الحسني قال الحاكم ابو عبد الله النيسابوري كان شيخ آل رسول الله في عصره بخراسان وسيد العلوية في زمانه وكان من اكثر الناس صلاة وصدقة ومحبة للصحابة صحبته مدة فما سمعته ذكر عثمان الا قال الشهيد وبكى وما سمعته ذكر عايشة الا قال الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله وبكى وقد سمع الحديث من ابن خزيمة وطبقته وكان اباؤه بخراسان وفي سائر بلدانهم سادات نجباء حيث كانوا من البيت الرسول الله سيمهم لهم دانت رقاب بني معد محمد بن الحسين بن علي بن الحسن بن يحيى بن حسان ابو الوضاح ابو عبد الله الانباري الشاعر المعروف بالوضاحي كان يذكر انه سمع الحديث من المحاملي وابن مخلد وابي روق وروى عنه الحاكم ابو عبد الله شيئا من شعره وكان شاعر من في وقته ومن شعره

سقى الله باب الكرخ ربعا ومنزلا • ومن حله صوب السحاب المجلجل
فلو ان باكي دمنة الدار باللوى • وجارتها ام الرباب بماسل
راى عرصات الكرخ او حل ارضها • لامسك عن ذكر الدخول فحومل

ابو بكر بن الجعابي محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سيار ابو بكر بن الجعابي قاضي الموصل ولد في صفر سنة اربع وثمانين ومائتين سمع الكثير وتخرج بابي العباس بن عقدة واخذ عنه علم الحديث وشيئا من التشيع ايضا وكان حافظا مكثرا مطيقا يقال انه كان يحفظ اربعمائة الف حديث باسانيدها ومتونها ويذاكر بستمائة الف حديث ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والحكايات قريبا من ذلك ويحفظ اسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم واوقات وفياتهم ومذاهبهم حتى تقدم على اهل زمانه وفاق على سائر اقرانه وكان يجلس للاملاء فيزدحم الناس عند منزله وانما كان يملي من حفظه اسناد الحديث ومتنه محررا جيدا صحيحا وقد نسب الى التشيع كاستاذه ابن عقدة وكان يسكن باب البصرة عندهم وقد سئل الدارقطني عنه فقال تخلط وقال ابو بكر البرقاني كان صاحب غرائب ومذهبه معروف في التشيع وقد حكي عنه قلة دين وشرب خمر فالله اعلم ولما احتضر اوصى ان تحرق كتبه فحرقت وحرق معها كتب كثيرة كانت عنده للناس فبئس ما عمل وحين خرج بجنازته كانت سكينة نايحة الرافضة تنوح عليه في جنازته

ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلثماية

استهلت والخليفة المطيع لله والسلطان معز الدولة بن بويه الديلمي وعملت الروافض في يوم عاشورا عزا الحسين على عادة ابتدعوه من النوح

وفاة معز الدولة

ولما كان ثالث عشر ربيع الاول من هذه السنة توفي معز الدولة ابو الحسن بن محمد احمد ابن بويه الديلمي بعلة الذرب فصار لا يثبت في معدته شي بالكلية ولما احس بالموت

اظهر التوبة واناب الى الله عز وجل ورد كثيرا من المظالم وتصدق بكثير من امواله واعتق خلقا كثيرا من مماليكه وعهد الامر الى ابنه بختيار عز الدولة بن معز الدولة وقد اجتمع ببعض العلماء فكلمه في السنة واخبره ان عليا زوج ابنته ام كلثوم من عمر بن الخطاب فقال والله ما سمعت بهذا قط ورجع الى السنة ومتابعتها ولما حضر وقت الصلاة خرج ذلك الرجل الى الصلاة فقال له الا تصلي هاهنا قال لا قال ولم قال لان دارك مغصوبة فاستحسن منه ذلك وكان معز الدولة حليما كريما عاقلا وكانت احدى يديه مقطوعة وهو الذي احدث السعاة بين يدي الملوك ليبعث باخباره الى اخيه ركن الدولة الى شيراز سريعا وحظي عنده اهل هذه الصناعة وتعلم اهل بغداد ذلك حتى كان بعضهم يجري في اليوم الواحد نيفا واربعين فرسخا وكان من انبلهم ساعيان ماهران وهما فضل ومرعوش يتعصب لهذا عوام اهل السنة ولهذا عوام الشيعة وجرت لهما مناصف ومواقف ولما مات معز الدولة دفن بباب التبن في مقابر قريش وجلس للعزا واصاب الناس مطر ثلاثة ايام تباعا فبعث عز الدولة الى رؤوس الدولة في هذه الايام بالجزيل ليلا تجتمع الدولة على مخالفته حتى استحكم امره وهذا من عقله ودهاه وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ومدة ولايته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهرا ويوما وكان قد نادى في ايامه برد المواريث الى ذوي الارحام قبل بيت المال وقد سمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة ابو الحسين احمد بن بويه هاتفا يقول

لما بلغت ابا الحسين • مراد نفسك في الطلب
وامنت من حدث الليالي • واحتجبت عن النوب
مدت اليك يد الردى • واخذت من بيت الذهب

ولما مات معز الدولة قام بالامر من بعده ولده عز الدولة فانكب على اللعب واللهو والاشتغال بامر النسا فتفرق شمله واختلفت الكلمة عليه وطمع الامير منصور بن نوح الساماني صاحب بلاد خراسان في ملك بني بويه وارسل الجيوش الكثيفة صحبة الملك وشمكير فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه ارسل الى ابنه عضد الدولة والى ابن اخيه عز الدولة يستنجدهما فارسلا اليه بجنود كثيرة فركب فيها ركن الدولة وبعث اليه وشمكير يتهدده ويتوعده ويقول لين قدرت عليك لافعلن بك ولافعلن فكتب اليه ركن الدولة لكني ان قدرت عليك لاحسن اليك ولاصفحن عنك فكانت العاقبة لهذا فدفع الله عنه شره وذلك ان وشمكير ركب فرسا صعبا فتصيد عليه فحمل عليه خنزير فنفر به الفرس فالقته على الارض فخرج الدم من اذنيه فمات من ساعته وتفرقت العساكر وبعث ابن وشمكير يطلب الامان من ركن الدولة فامنه وارسل اليه بالمال والرجال ووفى بما قال وصرف الله عنه كيد السامانية وذلك بصدق النية وحسن الطوية

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني

علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم الاموي ابو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني وكتاب ايام العرب ذكر فيه الفا

وسبعماية يوم من ايامهم ووقايعهم وقد كان شاعرا اديبا كاتبا عالما بالاخبار وايام الناس الا انه
كان يتشيع قال ابن الجوزي ومثله لا يوثق به فانه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق
ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تامل كتاب الاغاني راى كل قبيح ومنكر وقد روى
الحديث عن محمد بن عبد الله بن مطين وخلق وروى عنه الدارقطني وغيره وكانت وفاته
في ذي الحجة من هذه السنة قال ابن خلكان وقيل في التي بعدها وكان مولده في سنة
اربع وثمانين ومايتين التي توفي فيها البحتري الشاعر وقد ذكر له مصنفات عديدة منها
الاغاني والديارات وايام العرب الف وسبعماية يوم وغير ذلك

سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب

ابو الحسن بن ابي الهيجاء عبد الله بن احمد بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي الملقب بسيف
الدولة احد الامرا الشجعان والملوك الكثيري الاحسان على ما كان فيه من التشيع وقد
ملك دمشق في بعض الاوقات واتفق له اشياء غريبة منها ان خطيبه كان مصنف
الخطب النباتية احد الفصحا البلغا وشاعره المتنبي ومطربه ابو نصر الفارابي وكان كريما
جوادا ممدحا معطا الجزيل ومن شعره في اخيه ناصر الدولة صاحب الموصل

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها • وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
وما كان لي عنها نكول وانما • تجاوزت عن حقي فتم لك الحق
اما كنت ترضى ان اكون مصليا • اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

وله ايضا

قد جرى في دمعه دمه • فالى كم انت تظلمه
رد عنه الطرف منك • فقد جرحته منك اسهمه
كيف يستطيع التجلد • من خطرات الوهم تقتله

وكان سبب موته الفالج وقيل عسار البول وتوفي بحلب وحمل تابوته الى ميافارقين
فدفن بها وعمره ثلاث وخمسون سنة وقام بملك حلب من بعده ولده سعد الدولة
ابو المعالي شريف ثم تغلب عليه مولى ابيه قرعويه فاخرجه من حلب الى امه بميافارقين
ثم عاد اليها كما سياتي بيانه وذكر القاضي ابن خلكان شيا كثيرا مما قاله سيف الدولة
وقيل فيه قال ولم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفا ما اجتمع ببابه من الشعرا
وقد اجاز الجماعة من الكبار منهم كالمتنبي والخالديين والسري الرفا والنامي والببغا
والوادادي وغيرهم وذكر القاضي ابن خلكان انه ولد سنة ثلاث وقيل احدى وثلثماية وانه
ملك حلب بعد الثلاثين والثلثماية وكان قبل ذلك يملك واسط ونواحيها ثم
تنقلت به الاحوال حتى ملك حلب انتزعها من يد احمد بن سعيد الكلابي صاحب الاخشيد
وملك دمشق في وقت وقد قال يوما لندمايه

ايكم يجيز قولي • وما اظن احدا منكم يجيزه
لك جسمي تعله • فدمي لم تحله

فقال ابو فراس اخوه بديهة

قال ان كنت مالكا • فلي الامر كله

وفيها توفي كافور الاخشيدي مولى محمد بن طغج الاخشيد وقد قام بالامر من بعد مولاه لصغر

اولاده

اولاده فملك مصر ودمشق وناوى سيف الدولة وغيره وقد كتب على قبره

انظر الى غير الايام ما صنعت • افنت اناسا بها كانوا وما فنيت
دنياهم ضحكت ايام دولتهم • حتى اذا فنيت ناحت لهم وبكت

ابو علي القالي صاحب الامالي

اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان ابو علي القالي
اللغوي الاموي مولاهم لان سلمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان والقالي نسبة الى
قالي قلا ويقال انها ارزن الروم فالله اعلم وكان مولده بمنازجرد من ارض الجزيرة من ديار
بكر وسمع الحديث على ابي يعلى الموصلي وغيره واخذ النحو واللغة من ابن دريد وابي بكر بن
الانباري ونفطويه وغيرهم وصنف الامالي وهو مشهور وكتاب البارع على حروف المعجم
في خمسة الاف ورقة وغير ذلك من المصنفات في اللغة ودخل بغداد وسمع بها ثم
ارتحل الى قرطبة فدخلها في سنة ثلاثين وثلثماية واستوطنها وصنف كتبا كثيرة
فيها الى ان توفي بها في هذه السنة عن ثمان وستين سنة قال القاضي ابن خلكان وفيها
توفي ابو علي محمد بن الياس وهم ثلاثة اليسع والياس وسليمان والملك الكبير وشمكير
كما قدمنا ذكره في هذه السنة وممن توفي فيها من الملوك الحسن بن الفيرزان صاحب بلاد
كذا
ومعز الدولة بن بويه الديلمي كما تقدم ذكره وسيف الدولة بن حمدان
صاحب حلب كما ذكرنا قال ابن الاثير وفيها ملك النقفور ملك الروم يعني الدمستق
صاحب بلاد الارمن وقد ذكرنا ترجمته وما ورد عنه وكافور الاخشيدي في قول حكاه ابن
خلكان

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلثماية

فيها شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد ان رجلا قد ظهر يقال له محمد بن عبد الله ويلقب
بالمهدي ويزعم انه الموعود به في الحديث الوارد في المهدي وانه يدعو الى الخير وينهى عن
الشر ودعا اليه ناس ببغداد فان دعوا سنيا قالوا هو من سلالة العباس وان كان المدعو
شيعيا قالوا له علوي وكان الرجل اذ ذاك مقيما بمصر عند كافور الاخشيدي قبل ان يموت
وكان يكرمه فكان من جملة المستجيبين له سبكتكين الحاجب وكان شيعيا فظنه علويا وكتب
اليه ان يقدم الى بغداد ليأخذ له البلاد فترحل من مصر فتلقاه سبكتكين الى قريب الانبار
فلما راه عرفه واذا هو محمد بن المستكفي بالله العباسي فلما تحقق انه عباسي وليس بعلوي انثنى
رايه عنه فتفرق شمله وتمزق اصحابه كل ممزق وحمل الى عز الدولة بن معز الدولة فامنه
وتسلمه المطيع لله فجدع انفه واختفى امره فلم يظهر له اثر بالكلية بعد ذلك وفيها وردت
طايفة من الروم لعنهم الله الى بلاد انطاكية فقتلوا خلقا من حواضرها وسبوا اثني
عشر الفا من اهلها ورجعوا الى بلادهم ولم يعرض لهم احد وعملت الروافض في عاشوراها
المآتم وفي يوم غدير خم الهنا والسرور وفيها عرض للناس في تشرين داء الماسري
فمات خلق كثير فجاءة فانا لله وانا اليه راجعون وفيها مات اكثر جمال الحجيج في الطريق
من العطش ولم يصل منهم الى مكة الا القليل ومات اكثر من وصل منهم الحج عامه تلك فانا
لله وانا اليه راجعون وفيها اقتتل ابو المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان وخاله
وابن عم ابيه ابو فراس بن سعيد بن حمدان الشاعر عند قرية يقال لها صدد فقتل
ابو فراس في المعركة قال ابن الاثير ولقد صدق من قال ان الملك عقيم وفيها اظهرت

الشيعة الحزن الشديد يوم عاشورا من المحرم وعملوا عيد غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة واظهروا الفرح والسرور

وممن توفي فيها ايضا

ابراهيم المتقي لله ابن جعفر المقتدر وكان قد ولي الخلافة ثم الجي الى ان خلع عنها في سنة ثلاث وثلثين وثلثماية كما ذكرنا والزم بيته فمات في هذه السنة ودفن بداره عن ستين سنة وح عمر بن جعفر بن عبد الله بن ابي السري ابو حفص البصري الحافظ ولد سنة ثمانين ومايتين وكان سحب على المشايخ وحدث عن ابي خليفة الفضل بن الحباب وغيره وقد انتقد عليه ماية وضع لها الدارقطني فنظر فيها فاذا الصواب مع عمر بن جعفر محمد بن احمد بن علي بن مخلد ابو عبد الله الجوهري المحتسب ويعرف بابن المحرم وكان احد اصحاب ابن جرير وقد روى عن الكديمي وغيره وقد اتفق انه تزوج امراة فلما دخلت عليه جلس يكتب الحديث فجاءت امها فاخذت الدواة فرمت بها وقالت هذه اضر على ابنتي من ثلثماية ضرة وقد توفي في هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة وكان يضعف في الحديث كافور بن عبد الله الاخشيدي كان مولى السلطان محمد بن طغج الاخشيد اشتراه من بعض اهل مصر بثماني عشرة دينارا وقربه وادناه واختصه من بين الموالي واصطفاه ثم جعله اتابكا حين ملك ولداه ثم استقل بالامور بعد موتهما في سنة خمس وخمسين واستقرت المملكة باسمه بدعا له على المنابر بالديار المصرية والشامية الى بلاد الحجاز جميعا وكان شهما ذكيا فاتكا جيد السيرة مدحه الشعراء وقد اليه المتنبي حين ذهب مغاضبا على سيف الدولة بن حمدان فاوى الى كافور وحصل له منه رفد ثم تغير عليه فابعده كافور فهجاه ورحل عنه وصار الى عضد الدولة بن بويه فكان مما امتحن المتنبي كما تقدم بيانه واما كافور فانه لما توفي دفن بتربته المشهورة به وقام في الملك بعده ابو الحسن علي بن الاخشيد ومنه اخذ الفاطميون الادعيا بلاد مصر كما سياتي وكانت مملكة كافور سنتين وثلاثة اشهر رحمه الله

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلثماية

في عاشورا عملت الروافض بدعتهم وفي يوم غدير خم عملوا الفرح المبتدع وحصل بالعراق غلاء عظيم كاد يعدم الخبز بالكلية وعاثت الروم في البلاد فسادا وحرقوا حمص وافسدوا فيها فسادا عريضا وسبوا من المسلمين نحو ماية الف انسان فانا لله وانا اليه راجعون ودخل جوهر القايد الى الديار المصرية ودخل ابو الحسن جوهر القايد الرومي في جيش كثيف من جهة المعز الفاطمي الى ديار مصر يوم الثلثا لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان فلما كان يوم الجمعة خطب للمعز الفاطمي على منابر الديار المصرية وسايراعمالها وامر جوهر المودن بالجامع العتيق وبجامع طولون ان يوذنوا بحي على خير العمل وان يجهر الايمة بالبسملة وذلك لانه لما توفي كافور الاخشيدي لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه واصابهم غلاء شديد اضعفهم فلما بلغ ذلك المعز وهو ببلاد افريقية بعث جوهر القايد الرومي مولى ابيه المنصور في جيش كثيف الى الديار المصرية فلما بلغ ذلك اصحاب كافور هربوا منها قبل وصول جوهر اليها فدخلها فاخذها بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة ففعل ما ذكرنا من الامور واستقرت ايديهم على تلك البلاد بعد

كافور

كافور الاخشيدي وفي هذه السنة شرع جوهر القايد في بناء القاهرة المعزية وبناء القصرين عندها على ما سنذكره وتمهيد الاقامات لمولاه المعز الفاطمي وارسل جوهر جعفر ابن فلاح في جيش كثيف الى الشام فقاتلوا قتالا شديدا وكان بدمشق الشريف ابو القسم بن ابي يعلى الهاشمي وكان مطاعا فيهم كما جمع عن العباسيين مدة طويلة ثم آل الحال الى ان خطب للمعز بدمشق وحمل الشريف ابو القسم الى الديار المصرية واسر الحسن بن عبد الله بن طغج وجماعة من الامرا فحملوا الى الديار المصرية فحملهم جوهر الى المعز بافريقية واستقرت يد الفاطميين على دمشق في سنة ستين كما سياتي واذنوا بها حي على خير العمل اكثر من سبعين سنة وكتبت لعنة الشيخين على ابواب الجامع بها ومساجدها فانا لله وانا اليه راجعون ولم يزل ذلك كذلك حتى ازالت ذلك دولة الاتراك على ما سياتي بيانه وتفصيله في موضعه ان شا الله تعالى وفيها دخلت الروم الى حمص فوجدوا اكثر اهلها قد جلوا عنها وانتقلوا عنها لخوفهم واسروا من بقي فيها ومن حولها نحو من ماية الف انسان فانا لله وانا اليه راجعون وممن توفي فيها من الاعيان فيما ذكره ابن الجوزي في منتظمه كافور الخادم الاخشيدي مولى الاخشيد ابي بكر محمد بن طغج صاحب الديار المصرية اشتراه مولاه بثمانية عشر دينارا ثم استحوذ على مملكة مولاه لصغر اولاده فملك مصر ودمشق اثنتين وعشرين سنة تخطب بها في ايامه للحلويين وذكروا انه كان كريما جوادا ممدحا وقد قصده المتنبي فمدحه فاعطاه ثم لما فارقه هجاه فطلبه ليقتله فما قدر عليه لما استبقاه ولا ذا انه طعم الوفاة دمعا رقة الحيوة قال ابن الجوزي وقد رايت مدح المتنبي له فوجدت كلامه يحتمل المدح والذم وكانه لعب بذلك الخادم

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلثماية

في عاشر المحرم منها عملت الروافض بدعتهم الشنعا فغلقت الاسواق وتعطلت المعايش ودارت النسا سافرات عن وجوههن ينحن على الحسين بن علي ويلطمن وجوههن والمسوح معلقة في الاسواق والتبن منثور فيها وفيها دخلت الروم انطاكية فقتلوا اهلها الشيوخ والعجايز وسبوا من النسا والاطفال نحوا من عشرين الفا وذلك كله بتدبير الارمني النقفور لعنه الله قال ابن الجوزي وكان قد تمرد وطغا وتمرد وقد تزوج مع ذلك بامراة الملك الذي كان قبله ولها منه ابنان فاراد ان يخصيهما ويجعلهما في الكنيسة ليلا يصلحا بعد ذلك للملك فلما فهمت ذلك امهما عملت عليه وسلطت عليه الامرا فقتلوه وهو نايم وملكوا عليهم اكبر ولديها وفي ربيع صرف عن القضا ابو بكر احمد بن سيار واعيد اليه ابو محمد بن معروف قال ابن الجوزي وفي هذه السنة نقصت دجلة حتى غارت الابار وحج بالناس الشريف ابو احمد النقيب قال وانقض كوكب في ذي الحجة فاضاء الدنيا حتى بقي له شعاع كالشمس ثم سمع له صوت كالرعد قال ابن الاثير وفي المحرم من هذه السنة خطب للمعز الفاطمي بدمشق عن امر جعفر بن فلاح الذي سيره جوهر القايد من مصر الى الشام فقاتله ابو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة فغلبه ابن فلاح واسر ابن طغج وسيره الى جوهر فارسله جوهر الى المعز وهو بافريقية واستقرت يد الفاطميين على دمشق ايضا بعد حروب يطول ذكرها ○

بين صح

تطاول الامر الى اخر هذه السنة وفي هذه السنة وقع بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ابنه ابي تغلب وسببه انه لما مات معز الدولة بن بويه ببغداد عزم ابو تغلب ومن وافقه من اهل بيته على الدخول الى بغداد واخذ مملكة العراق فقال لهم ابوهم ان عز الدولة قد ترك لابنه اموالا جزيلة لا يقدرون عليه ما دامت في يده ولكن اصبروا حتى ينفقها فانه مبذر فاذا افلس فثوروا عليه فانكم تغلبونه لا محالة فحقد عليه ولده ابو تغلب بسبب ذلك ولم يزل يتأتى له حتى حبسه في القلعة فاختلف اولاده بينهم وصاروا احزابا وضعفوا عن حفظ ما بايديهم حتى بعث ابو تغلب الى عز الدولة يضمن منه بلاد الموصل بالف الف درهم كل سنة يحملها اليه واتفق موت ابيه ناصر الدولة في هذه السنة واستقر ابو تغلب بالموصل وملكها الا انهم فيما بينهم مختلفين متحاربين فهلكوا ولو اتفقوا لملكوا وفي هذه السنة دخل ملك الروم الى طرابلس فاحرق كثيرا منها وملك قلعة عرقة ونهبها وسبى اهلها وكان في قلعتها صاحب طرابلس كان لجأ اليها حين اخرجه اهل طرابلس لشدة ظلمه فاسرته الروم واستحوذوا على جميع امواله وحواصله وكانت كثيرة جدا ثم مال الى السواحل فملكوا ثمانية عشر منبرا سوى القرى وتنصر خلق كثير على ايديهم لعنهم الله وجاء الى حمص فحرقوا ونهبوا ومكث ملك الروم شهرين فيأخذ ما يشاء من البلاد ويأسر من قدر عليه من العباد وصارت له مهابة عظيمة في قلوب الناس ثم عاد الى بلاده ومعه من السبي نحو من مائة الف صبي وصبية وكان سبب عوده الى بلاده كثرة الامراض في جيشه واشتياقهم الى اولادهم واهاليهم واوطانهم لعنهم الله وبعث سرية الى الجزيرة فنهبوا وسبوا وكان قرعويه غلام سيف الدولة قد استحوذ على حلب واخرج منها ابن استاذه ابا المعالي شريف بن سيف الدولة فسار الى حران ليتحكم فيها فابوا ان يدخلوه اليهم فذهب الى امه بميافارقين وهي ابنة سعيد بن حمدان فمكث عندها حينا ثم سار الى حماة فملكها ثم عاد الى حلب بعد سنتين على ما سنذكره فيما بعد ولما عاثت الروم في هذه السنة بالشام صانعهم قرعويه عن حلب وبعث اليهم باموال لتخف عنهم ثم عادوا الى انطاكية فملكوها وقتلوا خلقا كثيرا منها وسبوا عامة اهلها وركبوا الى حلب وابو المعالي يحاصر غلام ابيه قرعويه بها فخاف منهم ابو المعالي فهرب عنها وحصرها الروم فاخذوا البلد وامتنعت القلعة عليهم ثم اصطلحوا مع قرعويه على مهادنة ومال يحمله كل سنة وسلموا اليه البلد ورجعوا عنه وفي هذه السنة خرج على المعز الفاطمي وهو بافريقية رجل يقال له ابو خزر فنهض اليه المعز بنفسه وجنوده فهرب منه فارسل في طلبه بلكين بن زيري فشرده وطرده ثم عاد فاستامن فقبل منه المعز ذلك وصفح عنه وجاء الرسول من جوهر القائد الى المعز في هذه السنة يبشره بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها ففرح بذلك المعز الفاطمي فرحا شديدا وامتدحه الشعراء وكان ممن امتدحه شاعره محمد بن هانئ في قصيدة اولها •

• تقول بنو العباس هل فتحت مصر • فقل لبني العباس قد قضي الامر •

ومنها رام عز الدولة صاحب بغداد محاصرة عمران بن شاهين فلم يقدر عليه فصالحه ورجع الى بغداد وفيها اصطلح قرعويه وابو المعالي فخطب له قرعويه بحلب وخطبا

جميعا

جميعا في معاملتهما للمعز الفاطمي بحلب وحمص وخطب بمكة للمطيع لله وللقرامطة ايضا وبالمدينة للمعز الفاطمي وخطب ابو احمد الموسوي بظاهرها وذكر ابن الاثير في هذه السنة توفي النقفور الذي كان دمستقا ثم صار ملك الروم واراد قتل ابني الملك الذي كان قبله فتمالأت امهما لهما فقتلته غيلة قاتله الله وكان هذا اللعين من ابناء المسلمين كان ابوه من اهل طرسوس من خيار المسلمين يعرف بابن الفقاس فتنصر هذا الكلب وحظي عند النصارى حتى صار من امره ما صار وكان من اشد الناس على المسلمين وقد اخذ بلادا كثيرة عنوة من ذلك طرسوس واذنة وعين زربة والمصيصة وغير ذلك من البلاد وقتل خلقا كثيرا لا يعلمهم الا الله عز وجل وسبى من المسلمين والمسلمات ما لا يعلم عددهم الا الذي خلقهم وهذا اللعين هو الذي بعث تلك القصيدة الى المطيع لله وقد اوردناها في اخر الجزء الذي قبل هذا في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ثم انتدب لها فيما بعد ذلك الفقيه ابو محمد بن حزم الظاهري فاجاب عنها جوابا شافيا كافيا فجزاه الله عن الاسلام خيرا

وممن توفي فيها من الاعيان

محمد بن احمد بن الحسين بن اسحاق بن ابراهيم بن عبد الله الفتاح ابو علي الصواف روى عن عبد الله بن احمد وطبقته وعنه خلق منهم الدارقطني وقال ما رأت عيناي مثله في تحرزه ودينه وقد بلغ تسعا وثمانين سنة رح محارب بن محمد بن محارب ابو العلاء القاضي الفقيه الشافعي من ذرية محارب بن دثار وكان ثقة عالما فاضلا روى عن جعفر الفريابي وغيره ابو الحسين احمد بن محمد بن احمد المعروف بابن القطان احد ائمة الشافعية تفقه بابن سريج ثم بالشيخ ابي اسحاق المروزي وتفرد برياسة المذهب بعد موت ابي القاسم الداركي وصنف في اصول الفقه وفروعه وكانت الرحلة اليه ببغداد ودرس بها وكتب شيئا كثيرا وكانت وفاته في جمادى الاولى

سنة ستين وثلثمائة

في عاشر محرمها عملت الرافضة بدعتهم المحرمة على عادتهم المتقدم ذكرها وفي ذي القعدة منها اخذت القرامطة دمشق وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح من جهة المعز الفاطمي وكان رئيس القرامطة واميرهم الحسين بن احمد بن بهرام وقد امده عز الدولة من بغداد بسلاح وعدد كثيرة ثم ساروا الى الرملة فاخذوها وتحصن من كان بها من المغاربة بيافا فركبوا عليها من يحصرها وساروا نحو الديار المصرية في جمع كثير من الاعراب والاخشيدية والكافورية فوصلوا عين شمس فاقتتلوا هم وجنود جوهر قتالا شديدا والظفر للقرامطة وحصروا المغاربة حصرا عظيما ثم حملت المغاربة في بعض الايام على ميمنة القرامطة فهزمتها ورجعت القرامطة الى الشام فجدوا في حصار يافا فارسل جوهر الى اصحابه خمسة عشر مركبا ميرة لاصحابه فاخذتها مراكب القرامطة سوى مركبين اخذتهما الفرنج وجرت خطوب كثيرة ومن شعر الحسين بن احمد بن بهرام امير القرامطة •

• زعمت رجال الغرب اني هبتها • فدمي اذا ما بينهم مطلول •
• يا مصر ان لم اسق ارضك من دم • يروي ثراك فلا سقاني النيل •

وفيها تزوج ابو تغلب بن حمدان ابنة بختيار عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صداق مائة الف دينار ووقع العقد في صفر وفيها استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحب

ابا القاسم بن عباد فاصلح امورة كلها وساس دولته جيدا وفيها اذن بدمشق وسائر الشام بحي على خير العمل قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة نائب دمشق جعفر بن فلاح اول من تأمر بها عن الفاطميين وهو الامر بذلك نيابة عن المعز الفاطمي صاحب القاهرة اخبرنا ابو محمد بن الاكفاني قال قال ابو بكر احمد بن محمد بن شرام في يوم الخميس لخمس خلون من صفر من سنة ستين وثلثمائة اعلن المؤذنون في الجامع بدمشق وسائر مساجد البلد والمساجد بحي على خير العمل بعد حي على الفلاح امرهم بذلك جعفر بن فلاح ولم يقدروا على مخالفته ولا وجدوا من المسارعة الى طاعته بدا وفي يوم الجمعة الثامن من جمادى الاخرة منها امر المؤذنون ان يثنوا الاذان والتكبير في الاقامة مثنى مثنى وان يقولوا في الاقامة حي على خير العمل فاستعظم الناس ذلك وصبروا على حكم الله

وممن توفي فيها من الاعيان

الطبراني سليمان بن احمد بن ايوب ابو القسم الطبراني اللخمي الحافظ الكبير صاحب المعجم الكبير والاوسط والصغير وكتاب السنة وكتاب مسند الشاميين وغير ذلك من المصنفات المفيدة عمر مائة سنة وكانت وفاته في هذه السنة باصبهان ودفن بها عند قبر حممة الدوسي الصحابي رضي الله عنه قال ابو الفرج بن الجوزي في المنتظم وقال ابن خلكان وسمع من الف شيخ قال وكانت وفاته في يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة من هذه السنة وقيل في شوال منها رحمه الله الرفاء الشاعر السري بن احمد بن السري ابو الحسن الكندي الرفاء الشاعر الموصلي ارخ وفاته ابن الاثير في هذه السنة اعني سنة ستين وثلثمائة وكانت وفاته ببغداد وذكر ابن الجوزي انه توفي في سنة اثنتين وستين وثلثمائة كما سياتي محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم بن عمران بن بريد ابو بكر البندار اصله انباري سمع من احمد ابن الخليل البرجلاني ومحمد بن العوام الرياحي وجعفر بن محمد الصايغ وابي اسماعيل الترمذي قال ابن الجوزي وهو اخر من روى عنهم قال وكانت اصوله جيادا بخط ابيه وسماعه صحيحا وقد استملى عليه عمر البصري وكانت وفاته فجاة يوم عاشورا وقد جاوز الثمانين رح محمد بن الحسين بن عبد الله ابو بكر الاجري سمع جعفر الفريابي وابا شعيب الحراني وابا مسلم الكجي وخلقا وكان ثقة صدوقا وله تصانيف كثيرة مفيدة منها الاربعون الاجرية وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلثمائة ثم انتقل الى مكة فاقام بها حتى مات بعد ان اقام بها ثلاثين سنة رح محمد بن جعفر بن محمد بن مطر ابو عمرو الزاهد سمع الكثير ورحل الى الافاق المتباينة وسمع من الحفاظ الكبار وكان يضرب اللبن ويتقوت بالبنور الفقراء ويتقوت بر غيف بجزرة او ببصلة ويقوم الليل كله وكانت وفاته في جمادى الاخرة من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة محمد بن داود ابو بكر الصوفي ويعرف بالدقي اصله من الدينور واقام ببغداد ثم انتقل الى دمشق وقرا على ابن مجاهد وسمع الحديث من محمد بن جعفر الخرائطي وصحب ابن الجلاء والدقاق وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز المائة رح محمد بن الفرخان ابن روزبة الطبيب له ورى دخل بغداد وحدث بها عن ابيه باحاديث منكرة وروى عن الجنيد وابن مسروق قال ابن الجوزي وقد كان فيه ظرف ولباقة غير انهم كانوا يتهمونه بوضع الحديث وممن توفي فيها احمد بن محمد بن الفتح ويقال ابن ابي الفتح بن خاقان ابو العباس بن الحداد امام جامع دمشق قال ابن عساكر كان من عباد الله الصالحين ذكر ان جماعة جاؤا لزيارته

تسمعوه

تسمعوه يتاوه من وجع كان به فانكروا عليه ذلك فلما خرج اليهم قال لهم انه اسم من اسماء الله يستروح اليه الاعلاء قال فزاد في اعينهم وعظموه قلت هذا الذي قاله لا يوجد عنه مسلما بلا دليل يحتاج الى نقل صحيح عن المعصوم فان اسماء الله تعالى توقيفية على الصحيح والله اعلم

ثم دخلت سنة احدى وستين وثلثمائة

في عاشر المحرم عملت الرافضة ببغداد البدعة التي قد تقررت من النوح على الحسين رضي الله عنه وفيه وفي المحرم منها اغارت الروم على الجزيرة وبلاد بكر فقتلوا خلقا كثيرا من اهلها وساروا فيها كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون الى نصيبين ففعلوا كذلك ببلاد بكر ولم يغن عن اهل تلك النواحي ابو تغلب بن حمدان متوليها شيئا ولم يكن عنده دفاع ولا له قوة فعند ذلك ذهب اهل الجزيرة الى بغداد يستنصرون ويستصرخون فرثا لهم اهل بغداد وارادوا الدخول على الخليفة المطيع لله فلم يمكن ذلك وكان بختيار ابن معز الدولة مشغولا بالصيد فذهبت الرسل وراءه فبعث الحاجب سبكتكين يستنفر الناس فتجهز خلق كثير من العامة وكتب الى ابي تغلب ان يعد الميرة والاقامات فاظهر السرور وبذل ذلك والفرح والابتهاج ولما تجهزت العامة للغزاة وقعت بينهم فتنة شديدة من الروافض والسنة فاحرقت السنة دور الروافض بالكرخ وسارت العيارون ببغداد يأخذون اموال الناس وبايع النقيب ابو احمد الموسوي والوزير ابو الفضل الشيرازي وارسل بختيار بن معز الدولة الى الخليفة يطلب منه اموالا يستعين بها في هذه الغزاة فبعث اليه يقول لو كان الخراج يجبى الي لدفعت منه ما يحتاج المسلمون اليه ولكن انت تصرف منه ما ليس بضرورة وانا فليس عندي شيء ابعث به اليك فترددت الرسل بينهما واغلظ بختيار للخليفة في ذلك وتهدده فاحتاج الخليفة ان يحصل له شيئا فباع بعض ثياب بدنه وشيئا من اثاث وقلع بعض سقوف داره وحصل اربعمائة الاف درهم فصرفها بختيار في مصالح نفسه وابطل تلك الغزاة فنقم الناس للخليفة وساءهم ما فعل ابن بويه من اخذه مال الخليفة وترك الجهاد في سبيل الله فلا جزاه الله خيرا عن المسلمين ولا عن امامهم ايضا وفيها تسلم ابو تغلب بن حمدان قلعة ماردين فنقل حواصلها وما فيها الى الموصل وفيها اصطلح الامير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة على ان يحملا اليه في كل سنة مائة الف دينار وخمسين الف دينار وتزوج بابنة ركن الدولة وحمل اليه من الهدايا والتحف ما لا يحد ولا يوصف وفي شوال منها خرج المعز الفاطمي باهله وحاشيته وجنوده من مدينة المنصورة من بلاد المغرب قاصدا الديار المصرية بعدما مهد له مولاه جوهر القائد امرها واطدها له وبنى له بها القصرين واستخلف المعز على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية واعمالها نوابا من حزبه وانصاره من اهل تلك البلاد واستصحب معه شاعره محمد بن هانئ الاندلسي فتوفي في اثناء الطريق على ما سنذكره وكان قدوم المعز الى القاهرة في رمضان من السنة الاتية على ما سياتي ان شاء الله تعالى وفيها اهاج بالناس الشريف ابو احمد الموسوي النقيب على الطالبيين كلهم

وممن توفي فيها من الاعيان

سعيد بن ابي سعيد الجنابي ابو القسم القرمطي الهجري تامر بالامر بعده اخوه ابو يعقوب ابن يوسف ولم يبق من سلالة ابي سعيد سواه عثمان بن عمر بن خفيف ابو عمرو المقرئ المعروف بالدراج حدث عن ابي بكر بن ابي داود وعنه ابن رزقويه وكان من اهل القران والفقه والدراية والديانة والسنة جميل المذهب وكان يعد من الابدال وكانت وفاته في يوم جمعة من رمضان من هذه السنة علي بن اسحاق بن خلف ابو الحسين القطان الشاعر المعروف بالزاهي ومن شعره

• مم بهى عاشق بين اصبحا مصطحبين • جمعا بعد فراق فجعا منه ببين •
• ثم عادا في سرور من صدود امنين • فهما روح ولكن ركبت في بدنين •

حمد بن سهل بن شداد ابو بكر المخرمي سمع ابا خليفة وجعفر الفريابي وابن جرير وغيرهم وعنه الدارقطني وابن رزقويه وابو نعيم وقد ضعفه البرقاني وابن ابي الفوارس وغيرهما

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلثماية

عملت الروافض بدعتهم يوم عاشورا من النياحة وتعليق المسوح وغلق الاسواق وفيها اجتمع الفقيه ابو بكر الرازي الحنفي وابو الحسن علي بن عيسى الرماني وابن الدقاق الحنبلي بعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه وحرضوه على غزو الروم فبعث جيشا لقتالهم فاظفره الله بهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وبعثوا برؤوسهم الى بغداد فسكنت انفس الناس ولله الحمد والمنة وفيها سارت الروم مع الدمستق لعنه الله فحاصر امد وعليها هزارمرد غلام لابي الهيجا بن حمدان فكتب الى ابي تغلب يستنصره فبعث اليه اخاه ابا القسم هبة الله ابن ناصر الدولة بن حمدان فاجتمعا لقتاله ولقياه في اخر يوم من رمضان في مكان ضيق لا مجال للخيل فيه فاقتتلوا مع الروم قتالا شديدا فهزمت الروم على الفرار فلم تقدر فاستحر فيهم القتل واخذ الدمستق اسيرا واودع في السجن فلم يزل فيه حتى مرض ومات في السنة القابلة وقد جمع له ابو تغلب الاطبا فلم ينفعه شي وفيها احترق الكرخ ببغداد وكان سببه ان صاحب المعونة ضرب رجلا من العامة فمات فثار به العامة وجماعة من الاتراك فهرب منهم فدخل دارا فاخرجوه مسحوبا وقتلوه وحرقوه فركب الوزير ابو الفضل الشيرازي وكان شديد التعصب للسنة وبعث حاجبه الى اهل الكرخ فالقى في دورهم النار فاحترقت طايفة كثيرة من الدور والاموال من ذلك ثلثماية دكان وثلاثة وثلاثون مسجدا وسبعة عشر الف انسان فانا لله وانا اليه راجعون فعند ذلك عزل عز الدولة بختيار بن معز الدولة وزيره هذا عن الوزارة وولاها محمد بن بقية فتعجب الناس من ذلك كثيرا وذلك ان هذا الرجل كان وضيعا عند الناس لا حرمة له كان ابوه فلاحا بقرية واناوكان هو ممن يخدم عز الدولة يقدم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه الى ان ولي الوزارة ومع هذا كان اشد ظلما للرعية من الذي قبله وكثرت في زمانه العيارون ببغداد وفسدت الامور ببغداد جدا ووقع بين عز الدولة وبين حاجبه سبكتكين ثم اصطلحا على دخن وفيها كان دخول المعز الفاطمي الى الديار المصرية وصحبته توابيت ابايه فوصل الى اسكندرية في شعبان منها وقد تلقاه اعيان مصر اليها فخطب الناس هناك خطبة بليغة ارتجالا وذكر فيها فضلهم وشرفهم وقد كذب وقال فيها ان الله اغاث الرعايا بهم وبدولتهم وحكى ذلك قاضي بلاد مصر وكان جالسا الى جنبه فسأله فقال له هل رايت خليفة افضل مني فقال له لم ار احدا من الخلايف سوى

امير

امير المومنين فقال له احججت قال نعم قال وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقبر ابي بكر وعمر قال فتحيرت ماذا اقول ثم نظرت فاذا ابنه قايم مع كبار الامرا فقلت شغلني عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شغلني امير المومنين عن السلام على ولي العهد ونهضت اليه فسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس الى غيره ثم سار من الاسكندرية الى مصر فدخلها في الخامس من رمضان من هذه السنة فنزل بالقصرين فقيل انه اول ما دخل الى محل ملكه خر ساجدا شكرا لله عز وجل ثم كانت اول حكومة انتهت اليه ان امراة كافور الاخشيدي تقدمت اليه فذكرت له انها كانت اودعت رجلا من اليهود الصواغ قباء من لولو منسوج بالذهب وانه جحد ذلك فاستحضره وقرره فجحد اليهودي ذلك وانكره فامر عند ذلك المعز بان يحفر داره ويستخرج ما فيها فوجدوا القبا قد جعله في جرة ودفنها فيه فسلمه المعز اليها ووفره عليها فقدمته اليه وعرضته عليه فابى ان يقبله منها ورده عليها فاستحسن ذلك منه الحاضرون من مومن وكافر وقد ثبت في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليويد هذا الدين بالرجل الفاجر

وممن توفي فيها

السري بن احمد بن السري ابو الحسن الكندي الموصلي الرفا الشاعر المطبق له مدايح في سيف الدولة بن حمدان وغيره من الملوك والامرا وقد قدم بغداد فتوفي بها في هذه السنة قال القاضي ابن خلكان وقيل في سنة اربع وقيل خمس وستين وقيل في سنة اربع واربعين قال وقد كانت بينه وبين محمد وسعيد ابني هاشم الخالديين الموصليين معاداة وادعى عليهما سرقة شعره وكان يحتمل ينسخ ديوان كشاجم وربما زاد فيه من شعر الخالديين ليكثر حجمه ويرميهما بالكذب قال ابن خلكان وللسري الرفا هذا ديوان شعر كبير جيد ثم انشد له من شعره قوله

• يلقى الندى برقيق وجه مسفر • فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا •
• رحب المنازل ما اقام فان سرى • في جحفل ترك الفضا مضيقا •

وقوله
• البستني نعما رايت بها الدجى • صبحا وكنت ارى الصباح بهيما •
• فغدوت يحسدني الصديق وقبلها • قد كان يلقاني العدو رحيما •

وقوله
• بنفسي من اجود له بنفسي • ويبخل بالتحية والسلام •
• وحتفي كامن في مقلتيه • كمون الموت في حد الحسام •

محمد بن هاني الاندلسي الشاعر المطبق كان قد استصحبه المعز الفاطمي من بلاد القيروان وتلك النواحي حين توجه الى الديار المصرية فلما كان ببعض الطريق وجد محمد بن هاني مقتولا مجدلا على حافة البحر وذلك في رجب من هذه السنة وقد كان شاعرا مطبقا قوي النظم الا انه قد كفره غير واحد من العلما في مبالغاته في مدحه فمن ذلك قوله يمتدح المعز قبحهما الله

• ما شئت لا ما شات الاقدار • فاحكم فانت الواحد القهار •

وهذا خطا كبير وكفر كثير وقال ايضا قبحه الله واخزاه ونصرناه

• ولطا لما زاحمت تحت ركابه جبريلا •

ومن ذلك قوله قال ابن الاثير لم اجد ذلك في ديوانه

• حل برقادة المسيح • حل بها ادم ونوح •

• حل بها الله ذو المعالي • فكل شي سواه ريح •

قال ابن الاثير وقد شرع بعض المتعصبين له في الاعتذار عنه فالله اعلم قلت ومثل هذا الكلام ان صح عنه فليس عنه اعتذار لا في الدار الاخرة ولا في هذه الدار

ومن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن محمد بن سختويه بن عبد الله المزكي احد الحفاظ المبرزين اتقن علم الحديث واهله امو الاجزله وسمع الناس بحريحه وعقد له مجلس الاملا بنيسابور ورحل وسمع من المشايخ شرقا وغربا ومن مشايخه ابن جرير وابن ابي حاتم وكان يحضر مجلسه خلق كثير من كبار المحدثين منهم ابو العباس الاصم واضرابه وكانت وفاته في هذه السنة عن سبع وستين سنة سعيد بن القسم بن العلا بن خالد ابو عمرو البردعي احد الحفاظ روى عنه الدارقطني وغيره الرفا الشاعر وهو السري بن احمد بن السري ابو الحسن الكندي الرفا الشاعر الموصلي كان قد امتدح سيف الدولة بن حمدان فاجرى له رزقا فلم يزل به الخالديان حتى قطعا رسمه من عنده فدخل بغداد فامتدح الوزير ابا محمد المهلبي فرحلا وراه ولم يزالا في ثلبه عنده حتى هجره وقلاه وركبه الدين ومات ببغداد في هذه السنة سامحه الله محمد بن الحسن بن كوثر بن علي ابو بحر البربهاري روى عن ابراهيم الحربي وعباس الدوري وابن ابي الدنيا والكديمي وغيرهم وقد روى عنه ابن رزقويه وابو نعيم وانتخب عليه الدارقطني وقال اقتصروا على حديثه فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده وقد تكلم فيه غير واحد من حفاظ زمانه بسبب تخليطه وغفلته واتهمه بعضهم بالكذب ايضا القاضي الحسين بن محمد ابن احمد ابو علي المروذي احد مشايخ المذهب في زمانه وله التعليقة المشهورة تفقه بابي بكر القفال المروزي واخذ عنه جماعة منهم البغوي صاحب التهذيب والتفسير وشرح السنة والمصابيح وغير ذلك وقد ذكرته في الطبقات بما فيه كفاية قال القاضي ابن خلكان واذا قال الامام الغزالي قال القاضي فهو هذا

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلثماية

فيها عملت البدعة الشنعا على عادة الروافض ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين السنة والروافض وكلا الفريقين قليل عقل بعيد من السداد وذلك ان جماعة من السنة اركبوا امراة جملا وسموها عايشة وتسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير وقالوا نقاتل اصحاب علي بن ابي طالب فقتل من الفريقين خلق كثير وعاث العيارون في البلد بالفساد ونهبت الاموال وقتل الرجال ثم اخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا فسكنت الفتنة وفيها اخذ عز الدولة بختيار بن معز الدولة الموصل وزوج ابنته من ابي تغلب بن حمدان وفيها وقعت الفتنة بالبصرة بين الديلم والاتراك فقويت الديلم على الترك بسبب ان الملك فيهم فقتلوا منهم خلقا كثيرا وحبسوا رؤسهم ونهبوا كثيرا من اموالهم وكتب عز الدولة الى اهله اني ساكتب اليكم اني قد مت فاذا جاكم الكتاب فاظهروا النوح واجلسوا للعزا فاذا جاء سبكتكين للتعزية فاقبضوا عليه فانه ركن الاتراك وراسهم فلما جا البريد الى بغداد بذلك اظهروا النوح والصراخ ففهم سبكتكين ان هذه مكيدة فلم يقربهم وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة وركب من فوره في الاتراك فحاصر دار عز الدولة ببغداد ثم انزل اهله منها ونهب ما فيها واحدرهم من دجلة الى واسط منفيين

وكان قد عزم على بعث الخليفة المطيع معهم فتوسل الخليفة اليه فعفى عنه واقره بداره وقويت شوكة سبكتكين والاتراك ببغداد ونهبت اموال الديلم ودورهم وخلع سبكتكين على رؤسا العامة لانهم كانوا معه على الديلم وقويت السنة على الشيعة واحرقوا الكرخ حريقا ثانيا وظهرت السنة على ايدي الاتراك وخلع المطيع وولي ولده الطايع لله على ما سنذكره ان شا الله تعالى

خلافة الطايع وخلع ابيه المطيع لله

ذكر ابن الاثير انه لما كان اليوم الثالث عشر من ذي القعدة وقال ابن الجوزي في منتظمه كان ذلك يوم الثلثا التاسع عشر من ذي القعدة من هذه السنة خلع المطيع لله وذلك لفالج اصابه فثقل لسانه فساله سبكتكين ان يخلع نفسه ويولي من بعده ولده الطايع فاجاب فعقدت البيعة للطايع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين وخلع ابوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة ولكن تفويض مهما بولاية ولده واسم الطايع ابو بكر عبد الكريم بن المطيع لله ابي القسم الفضل بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد ابي العباس احمد بن الامير ابي احمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ولم يل الخلافة من اسمه عبد الكريم سواه ولا من ابوه حي سواه وسوى ابي بكر الصديق ولم يل الخلافة من بني العباس اسن منه كان عمره ثمانيا واربعين سنة يوم بويع وكانت امه ام ولد اسمها عتب تعيش ايضا يوم بويع بالخلافة ولما بويع الطايع ركب وعليه البردة وبين يديه سبكتكين والجيش ثم خلع من الغد على سبكتكين خلع الملوك ولقبه نصر الدولة وعقد له لواء الامارة ولما حضر الاضحى ركب الطايع وعليه السواد فخطب الناس خطبة خفيفة حسنة وحكى ابن الجوزي في المنتظم ان المطيع لله كان قد تسمى بعد خلعه بالشيخ الفاضل

ذكر الحرب بين المعز الفاطمي
والحسن بن احمد القرمطي

لما استقر المعز الفاطمي بالديار المصرية وابتنى فيها القاهرة والقصرين وتاطد ملكه سار اليه الحسين بن احمد القرمطي من الاحسا في جمع كثيف من اصحابه والتف معه امير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائي في عرب الشام بكمالهم فلما سمع بهم المعز الفاطمي اسقط في يديه لكثرتهم وكتب الى القرمطي يستميله ويقول له ان دعوة ابايك انما كانت الى ابائي قديما فدعوتنا واحدة ويذكر فيه فضله وفضل ابائه فرد الجواب وصل كتابك الذي كثر تفضيله وقل تحصيله ونحن سايرون على اثره والسلام فلما انتهوا الى ديار مصر عاثوا فيها قتلا ونهبا وافسادا وحار المعز ماذا يصنع لكثرة من مع القرمطي وضعف جيشه عن مقاومتهم فعدل الى المكيدة والخديعة فراسل حسان بن الجراح امير العرب ووعده بماية الف دينار ان هو خذل بين الناس فارسل اليه ان ابعث الي بما التزمت وتعال بمن معك فاذا التقينا انهزمت بمن معي فارسل اليه المعز بماية الف دينار في اكياس ولكن اكثرها ضرب النحاس ولبسه الذهب وجعله في اسفل الاكياس ووضع في رءوس الاكياس الدنانير الخالصة ولما بعثها اليه ركب في اثرها بجيشه فالتقى الناس فلما تواجه الفريقان ونشبت الحرب بينهم انهزم حسان بن الجراح بالعرب فضعف

جانب القرمطي وقوي عليه المعز الفاطمي فكسره وانهزمت القرامطة بين يديه فرجعوا الى اذرعات
في اذل حال واقله وبعث المعز في آثارهم القائد ابا المحمود بن ابراهيم في جعفر في عشرة آلاف
فارس ليحسم مادة القرامطة

ملك المعز الفاطمي دمشق وانتزاعه اياها من القرامطة

لما انهزم القرمطي واصحابه بعث المعز سرية عليهم ظالم بن موهوب العقيلي اميرا على دمشق
فتسلمها من القرامطة بعد حصار شديد واعتقل متوليها ابا الهيجا القرمطي وابنه
واعتقل رجلا يقال له ابو بكر كذا من اهل نابلس كان يتكلم في الفاطميين
ويقول لو كان معي عشرة اسهم لرميت الروم بسهم ورميت المغاربة يعني الفاطميين
بتسعة فسلخ بين يدي الخليفة المعز وحشي جلده تبنا وصلب بعد ذلك ولما تفرغ
ابو المحمود القائد من قتال القرامطة اقبل نحو دمشق فخرج اليه ظالم بن موهوب فتلقاه
الى ظاهر البلد واكرمه وانزله ظاهر دمشق فافسد اصحابه في الغوطة والمرج ونهبوا
الفلاحين وقطعوا الطرقات على الناس وتحول اهل الغوطة الى البلد من كثرة النهب
وجيء بجماعة من القتلى فالقوا في الجامع فكثر الضجيج وغلقت الاسواق واجتمعت
العامة للقتال والتقوا مع المغاربة فقتل من الفريقين جماعة وانهزمت العامة غير
مرة واحرقت المغاربة ناحية باب الفراديس فاحترق شيء كثير من الاموال والدور ولبثت
الحرب بينهم الى سنة اربع وستين واحرق البلد مرة اخرى بعد عزل ظالم بن موهوب وتولية
جيش بن صمصامة ابن اخت ابي المحمود فخرب البلد وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد
ومات كثير من الفقراء في الطرقات من كثرة الجوع والعطش ولم يزل الحال كذلك حتى ولي
عليهم الطواشي ريان الخادم من جهة المعز فسكنت الامور ولله الحمد ولما قويت الاتراك
ببغداد على عز الدولة بختيار بن معز الدولة تحير في امره وماذا يصنع وهو بالاهواز فارسل
الى عمه ركن الدولة يستنجده فارسل اليه بعسكر مع وزيره ابي الفتح بن العميد وارسل
الى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة فتباطأ عليه وارسل الى عمران بن شاهين فلم
يجبه والى ابي تغلب بن حمدان فاظهر نصره وانما يريد في الباطن اخذ بغداد وخرجت
الاتراك من بغداد في جحفل كبير ومعهم الخليفة الطائع وابوه المطيع فلما انتهوا
الى واسط توفي المطيع لله وبعد ايام توفي سبكتكين ايضا فحملا الى بغداد فالتفت
الترك على امير يقال له الفتكين واجتمع شملهم والتقوا مع بختيار فضعف امره
جدا وقوي عليه ابن عمه عضد الدولة فاخذ منه ملك العراق وفرق شمله وتفرق امره
وفيها خطب للمعز الفاطمي بالحرمين مكة والمدينة النبوية وفيها خرج جمع من بني هلال
وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا
العام فلا اجر لهم التدخيل وفي هذا العام انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة واوله
من اول دولة المقتدر سنة خمس وتسعين ومائتين وفيها كانت زلزلة شديدة بواسط
وحج بالناس في هذه السنة الشريف ابو احمد الموسوي ولم يحصل لاحد حج في هذه السنة
سوى من كان معه على درب العراق وقد اخذ بالناس على طريق المدينة فتم حجهم وصح
ولله الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الاعيان العباس

ابن الحسين

ابن الحسين ابو الفضل الشيرازي الوزير لعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه
كان من المتعصبين للسنة عكس مخدومه فعزله وولى محمد بن بقية البابا كما تقدم
وحبس هذا فقتل في محبسه في ربيع الاخر منها عن نيف وخمسين سنة وكان فيه
ظلم وحيف فالله اعلم ابو بكر عبد العزيز بن احمد بن جعفر الفقيه الحنبلي المعروف
بغلام الخلال احد مشاهير الحنابلة الاعيان وممن صنف وجمع وناظر وسمع الحديث
من ابي القاسم البغوي وطبقته وكان عمره يوم توفي فوق الثمانين قال ابن الجوزي
وله المقنع في مائة جزء والشافي في ثمانين جزءا وزاد المسافر والخلاف مع الشافعي
وكتاب القولين ومختصر السنة وغير ذلك في التفسير والاصول علي بن احمد ابو الفتح
البستي الشاعر له ديوان جيد قوي له في المطابقة والمجانسة يد طولى ومبتكرات
اولى وقد ذكر ابن الجوزي في المنتظم من ذلك قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم
فمن ذلك قوله

اذا قنعت بميسور من القوت ... بقيت في الناس حرا غير ممقوت
يا قوت يومي اذا ما در خلفك لي ... فلست آسى على در وياقوت

وقوله

يا ايها السائل عن مذهبي ... ليقتدي فيه بمنهاجي
منهاجي العدل وقمع الهوى ... فهل لمنهاجي من هاجي

وقوله

افد طبعك المكدود بالجد راحة ... يجم وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته ذلك فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

ومن ذلك قوله

اذا خدمت الملوك فالبس ... من التوقي اعز ملبس
وادخل عليهم اذا دخلت اعمى ... واخرج اذا ما خرجت اخرس

اذا شئت ان تلقى عدوك راغما ... وتقتله هما وتحرقه غما
فسام العلى وازدد من الفضل انه ... من ازداد فضلا زاد حاسده غما

وقوله

انا شيبانا العصابة الدواة ... قرنت ملكنا بطول الدوام
لم نزل نحن في ثغور سداد ثغور ... واصطلام الاعداء واصطلام
وانتظام الاموال دون قتام ... وانتشام الاموال بين قتام

وقوله

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... اتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فانت بالنفس لا بالجسم انسان

ابو فراس بن حمدان الشاعر له ديوان مشهور اسرته الروم وقتلته اخوه سيف الدولة على حران
ومنبج فقاتل فرقة الروم فاسر ثم استنقذه سيف الدولة واتفق موته في هذه السنة
عن ثمان واربعين سنة وله شعر رايق ومعاني حسنة وقد رثاه اخوه سيف الدولة

المرء نصب مصائب لا تنقضي ... حتى يوارى جسمه في رمسه
فموجل يلقى الردى في غيره ... ومعجل يلقى الردى في نفسه

واتفق انه كان عند سيف الدولة رجل من العرب فقال له فاز في معناهما فانشأ الاعرابي
يقول

من يتمنى العمر فليتخذ ... صبرا على فقد احبابه

قلت هذا البيت من قصيدة
كبيرة اولها
زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران
وقد شرحها السيد عبد الله شارح
اللب شرحا نفيسا يشتمل على فوايد جليلة
لم يسبق بمثله هو

ومن يحم يلوي نفسه • ما يمنعاه الاعاديه

كذا ذكر ابن الساعي هذين البيتين من شعر سيف الدولة في اخيه ابي فراس وانما ذكرهما ابن الجوزي في منتظمه من شعر ابي فراس نفسه وان الاعرابي احدهما البيتين المذكورين بعدهما وذكر من شعر ابي فراس اشيا حسنة من ذلك قوله في قصيدة له

سيذكرني قومي اذا جد جدهم • وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به • وما يغلو التبر لو نفق الصفر

ومن ذلك قوله في قصيدة

الى الله اشكو اننا في منازل • تحكم في آسادهن كلاب
فليتك تحلو والحياة مريرة • وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر • وبيني وبين العالمين خراب

ثم دخلت سنة اربع وستين وثلثمائة

فيها جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الى واسط ومعه وزير ابيه ابو الفتح بن العميد فهرب منه السبكتكين في جماعة الاتراك الى بغداد وسار وراءه اليها فنزل بالجانب الشرقي وامر بختيار ان ينزل على الجانب الغربي فحصر الترك حصرا شديدا وامر امرا الاعراب ان يغيروا على الاطراف ويقطعوا الميرة الواصلة الى بغداد فغلت الاسعار ببغداد جدا وامتنع الناس من المعاش من كثرة العيارين والنهب وكبس العسكرين البيوت لطلب الطعام واشتد الحال جدا ثم التقت الاتراك وعضد الدولة فكسرهم وهربوا الى تكريت واستحوذ عضد الدولة على بغداد وما والاها من البلاد وكان الترك قد اخرجوا معهم الخليفة فرده عضد الدولة واعاده الى دار الخلافة مكرما ونزل هو بدار الملك وضعف امر بختيار عز الدولة جدا ولم يبق معه شي بالكلية فاغلق بابه وطرد الحجبة والكتاب عن بابه واستعفى من الامارة وكان ذلك بمشورة عضد الدولة فاستعطفه عضد الدولة في الظاهر وقد اشار عليه في الباطن ان لا يقبل فلم يقبل وترددت الرسل بينهما فصمم بختيار على الامتناع ظاهرا فالزمه عضد الدولة بذلك واظهر للناس انه انما يفعل هذا عجزا منه على القيام باعباء الملك فامر بالقبض على بختيار وعلى اهله واخوته ففرح بذلك الخليفة الطايع لله وسر به واظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان دارسا وجدد دار الخلافة حتى صار كل محل منها انسا وارسل الى الخليفة بالاموال الكثيرة والامتعة الحسنة العزيزة وقتل جماعة من المفسدين من مردة الترك وشطار العيارين قال ابن الجوزي وفي هذه السنة عظم البلا بالعيارين ببغداد واحرقوا سوق باب الشعير واخذوا اموالا كثيرة وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد واخذوا الخفر من الاسواق والدروب وعظمت المحنة بهم جدا واستفحل امرهم كثيرا حتى ان رجلا منهم اسود كان مستضعفا نجم فيهم فكثر ماله حتى اشترى جارية بالف دينار فلما حصلت عنده حاولها عن نفسها فابت عليه فقال لها ما تكرهين مني قالت اكرهك كلك فقال لها فما تحبين قالت تبيعني قال او خير من ذلك فحملها الى القاضي فاعتقها واعطاها الالف دينار واطلقها فتعجب الناس من حلمه وكرمه مع فسقه وقوته قال وورد الخبر في المحرم بانه خطب للمعز الفاطمي بمكة والمدينة في الموسم ولم يخطب

للطايع

للطايع قال وفي رجب منها غلت الاسعار ببغداد جدا حتى ابيع الكر الدقيق بماية ونيف وسبعين دينارا قال وفيها اضمحل امر عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه وتفرق جنده عنه ولم يبق معه سوى بغداد وحدها فبعث الى ابيه يشكو ذلك فارسل يلومه على الغدر بابن عمه عز الدولة فلما بلغه ذلك خرج من بغداد بعد ما اخرج ابن عمه بختيار من السجن واعاده الى ما كان عليه وشرط عليه ان يكون نايبا له بالعراق يخطب له بها وجعل معه اخاه ابا اسحاق امير الجيوش لاستضعافه عز الدولة عن تدبير الامور واستمر راجعا الى بلاده فارس وذلك كله عن امر ابيه له بذلك وغضبه عليه بسبب غدره بابن عمه وتحرقه عليه وتكرار مكاتبات ابيه في ذلك ولما سار عضد الدولة ترك بعده وزير ابيه ابا الفتح بن العميد ليلحقه بعد ثلاث فتشاغل بالقصف مع عز الدولة واللهو واللعب فاوجب ذلك وحشة بين عضد الدولة وبين ابن العميد فكان في ذلك سبب هلاك ابن العميد ولما استقر عز الدولة ببغداد وملك العراق لم يف لابن عمه عضد الدولة بشي مما كان عاهده عليه ولا ما كان التزم له به بين يديه بل تمادى في ضلاله القديم واستمر على مشيه الذي هو غير مستقيم قال وفي يوم الخميس لعشر خلون من ذي القعدة تزوج الخليفة الطايع لله شاه ناز بنت عز الدولة على صداق ماية الف دينار وفي سلخ ذي القعدة عزل القاضي ابو الحسن محمد بن صالح ابن ام شيبان وقلده ابو محمد بن معروف واقام الحج في هذه السنة اصحاب المعز الفاطمي وخطب له بالحرمين دون الطايع

ذكر اخذ دمشق من ايدي الفاطميين

ذكر ابن الاثير ان الفتكين غلام معز الدولة الذي كان قد خرج عن طاعته كما تقدم والتفت عليه عساكر وجيوش من الديلم والترك والاعراب نزل في هذه السنة على دمشق ليأخذها من ايدي الفاطميين وكان عليها ريان الخادم من جهة المعز الفاطمي فلما نزل بظاهر دمشق خرج اليه كبارها وشيوخها فذكروا له ما هم فيه من الظلم والغشم ومخالفة الاعتقاد بسبب ملك الفاطميين عليهم وسألوه ان يصمم على اخذ البلد ليستنقذها منهم فعند ذلك صمم على البلد ولم يزل حتى اخذها واخرج ريان الخادم منها واستقل بامرها وكسر اهل الشر ورفع اهل الخير ووضع العدل فيهم وقمع اهل اللعب واللهو وكف ايدي الاعراب الذين كانوا قد عاثوا في البلاد فسادا واخذوا عامة المرج والغوطة ونهبوا اهلها ولما استقامت الامور على يديه وصلح امر اهل الشام على يديه كتب اليه المعز الفاطمي من مصر يشكر سعيه ويطلبه اليه ليخلع عليه ويجعله نايبا من جهته فلم يجبه الى ذلك وخاف غايلته وقطع خطبته من الشام وخطب للطايع العباسي وقصد صيدا وبها خلق من المغاربة عليهم ابن الشيخ وفيهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي كان نايبا على دمشق للمعز الفاطمي كما تقدم فاساء بها السيرة فحاصرهم ولم يزل حتى اخذ البلد منهم وقتل منهم نحوا من اربعة الاف من سراتهم ثم قصد طبرية ففعل كذلك فعند ذلك عزم الفاطمي على المسير اليه وقتاله فبينما هو يجمع له العساكر والجيوش اذ توفي المعز الفاطمي في سنة خمس وستين كما سياتي وقام بعده ولده العزيز فاطمان عند ذلك افتكين بالشام واستفحل امره وقويت شوكته ثم اتفق المصريون في امره

فاتفق رأيهم على ان بعثوا جوهرا القائد اليه وذلك عن رأى الوزير يعقوب بن كلس فلما
تجهز جوهر القائد لقصد الشام حلف افتكين اهل دمشق على مناصرته ومناصحته
فحلفوا له بذلك وجاء جوهر فحصر دمشق سبعة اشهر حصرا شديدا ورأى من شجاعة
افتكين امرا هائلا فلما طال الحال اشار من اشار على افتكين بان
يكتب الى الحسين بن احمد القرمطي وهو بالاحسا ليجيء اليه فلما اقترب ليأتي لنصرته
فحين سمع جوهر بقدومه لم يمكنه ان يبقى بين عدوين من داخل البلد ومن خارجها فانشمر
عن دمشق وقصد الرملة فتبعه افتكين والقرمطي في نحو من خمسين الفا فتوافقوا
عند نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من الرملة وحصروا جوهرا بالرملة فضاق
حاله جدا من الطعام والشراب حتى اشرف هو ومن معه على الهلاك فسأل ان يجتمع
هو وافتكين على ظهور الخيل فلم يزل يترفق له ان يطلقه ليرجع له مثنيا عليه الخير ولا
يسمع من القرمطي في رأيه فيه وكان جوهر داهية فاجابه الى ذلك فندمه القرمطي وقال
الرأي انا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم فانه الآن سيذهب الى سيده فيخبره ثم يخرج
الينا ولا طاقة لنا به فكان كما قال لما اطلقه لم يكن له دأب الا انه حث العزيز على
الخروج بنفسه وجيوشه فاقبل في جحافل امثال الجبال وكثرة من الرجال والعدد والاثقال
والاموال وعلى مقدمته جوهر القائد وجمع افتكين والقرمطي الجيوش والاعراب وساروا الى
الرملة فالتقوا في محرم سنة سبع وستين فلما تواجهوا رأى العزيز من شجاعة افتكين
امرا عظيما فارسل اليه يعرض عليه الطاعة ويرجع عليه ان يجعله مقدم عساكره
وان يحسن اليه غاية الاحسان فترجل افتكين عن فرسه بين الصفين وقبل الارض
نحو العزيز وارسل يقول لو كان هذا قبل هذا امكنني واما الآن فلا ثم ركب فرسه وحمل على
الميسرة الميسرة ففرق شملها وبدد خيلها ورجلها فبرز عند ذلك العزيز من القلب
وامر الميمنة فحملت حملة صادقة فانهزم القرمطي وتبعه بقية الشاميين وركبت
المغاربة اقفاءهم يقتلون ويأسرون من شاءوا وتحول العزيز فنزل خيام الشاميين
ومن معه من الجيش وارسل السرايا وراءهم وجعل العزيز لا يؤتى باسير الا خلع على من
جاء به وجعل لمن جاءه بافتكين مائة الف دينار فاتفق ان افتكين عطش وهو منهزم
عطشا شديدا فاجتاز بمفرج بن دغفل وكان صاحبه فاستسقاه فسقاه واضافه
وانزله عنده في بيوته فليحمل اليه الذهب فارسل اليه بمائة الف دينار وجاء من
تسلمه فلما احيط بافتكين لم يشك الا انه مقتول فما هو الا ان حضر عند العزيز
اكرمه غاية الاكرام واحترمه غاية الاحترام ورد اليه حواصله وامواله فلم يفقد شيئا
وجعله من اخص اصحابه وامرائه وانزله الى جانب منزله ورجع به الى الديار المصرية
مكرما معظما واقطعه هنالك اقطاعات جزيلة وارسل الى القرمطي يعرض عليه
ان يقدم عليه ويكرمه كما اكرم افتكين فامتنع عليه وخاف منه فارسل اليه بعشرين
الف دينار وجعلها له في كل سنة تلك شرف بذلك ولم يزل افتكين مكرما حتى وقع
بينه وبين الوزير يعقوب بن كلس فعمل عليه حتى سقاه سما فمات فحزن عليه الخليفة
بذلك غضب على الوزير وحبسه بضعا واربعين ليلة واخذ منه خمسمائة الف
دينار ثم رأى انه لا غنى به عن الوزير فاخرجه الى السجن واعاده الى الوزارة وذهب

افتكين

افتكين في حال سبيله رحمه الله هذا ملخص ما ذكره ابن الاثير في كامله

وممن توفي في هذه السنة

سبكتكين الحاجب التركي مولى المعز الديلمي وحاجبه وقد ترقى في المراتب حتى آل به
الحال الى ان قلده الطائع الامارة وخلع عليه واعطاه اللواء ولقبه بنور الدولة
فكانت مدة دولته في هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوما ودفن ببغداد وداره
هي دار الملك ببغداد وهي دار عظيمة جدا وقد اتفق له انه سقط يوما عن فرسه
فانكسر ضلعه فداواه الطبيب حتى استقام ظهره وقدر على الصلاة الا انه لا يستطيع
الركوع فاعطاه شيئا كثيرا من الاموال وكان يقول له اذا ذكرت مرضي عندك وانك
لي لا اقدر على مجازاتك وتكون اذا ذكرت وضعك قدميك على ظهري اشتد غضبي منك
وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبع بقين من المحرم منها وقد ترك من الاموال اشياء
كثيرة جدا من ذلك الف الف دينار وعشرة آلاف الف درهم وصندوقان من
جوهر وخمسة عشر صندوقا من البلور وخمسة واربعون صندوقا من آنية الذهب
ومائة وثلاثون مركبا من ذهب منها خمسون وزن كل واحد الف دينار وستمائة
مركب فضة واربعة آلاف ثوب ديباج وعشرة آلاف دبيقي وعتابي وثلاثمائة
عدل معكوم من الفرش وثلاثة آلاف فرس وبغل والف جمل وثلاثمائة غلام واربعون
خادم وذلك غير ما اودع عند ابي بكر البزار صاحبه

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة

فيها قسم ركن الدولة بن بويه ممالكه بين اولاده عندما كبرت سنه فجعل لولده
عضد الدولة بلاد فارس وكرمان وارجان ولولده مؤيد الدولة الري واصبهان
ولفخر الدولة همذان والدينور وجعل ولده ابا العباس في كنف عضد الدولة
واوصاه به وفيها جلس قاضي القضاة ببغداد ابو محمد بن معروف في دار عز
الدولة وفي مجلسه عن امره له في ذلك ليفصل الحكومات ويحكم بين الناس بين يديه
وفيها حج بالناس امير المصريين من جهة العزيز بن المعز الفاطمي بعد ما حوصر
اهل مكة ولقوا شدة عظيمة وغلت الاسعار عندهم جدا وذكر ابن الاثير في هذه السنة
ذهب يوسف بلكين نائب المعز الفاطمي على بلاد افريقية الى سبتة فاشرف عليها
من جبل يطل عليها فجعل ينظر من اين يحاصرها فحاصرها نصف يوم فخافه
اهلها خوفا شديدا ثم انصرف عنها الى مدينة هناك يقال لها بصرة المغرب
فامر بهدمها ونهبها ثم سار الى مدينة برغواطة وبها رجل يقال له عيسى بن
ام الانصار وهو ملكها وقد اشتدت المحنة به لسحره وشعبذته وادعى انه نبي
فاطاعوه ووضع لهم شريعة يقتدون به فيها فقاتلهم بلكين فهزمهم وقتل هذا الفاجر
ولله الحمد والمنة ونهبوا الاموال وسبى ذراريهم فلم ير سبي احسن اشكالا منهم فيما ذكر اهل
تلك البلاد في ذلك الزمان

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن جعفر بن محمد بن سلم ابو بكر الختلي مسند كبير روى عن عبد الله بن احمد وابي
مسلم الكجي وخلق وروى عنه الدارقطني وغيره وكان ثقة قارب التسعين ثابت

ابو سنان بن ثابت بن قرة الصابي المؤرخ فيما ذكره ابن الاثير في الكامل الحسن بن
محمد بن احمد ابو علي الماسرجسي الحافظ رحل وسمع الكثير وصنف مسندا في الف
وثلثماية جزء بعلله وطرقه وله المغازي والقبايل وخرج على الصحيحين وغيرهما
قال ابن الجوزي وفي بيته وسلفه ثلثة عشر محدثا توفي في رجب منها ابو احمد
ابن عدي الحافظ عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن ابي مح احمد الجرجاني ابو احمد
ابن عدي الحافظ الكبير المفيد الامام العلم الجوال النقال الرحال وله كتاب الكامل
في الجرح والتعديل لم يسبق الى مثله ولا يلحق في شكله قال حمزة عن الدارقطني فيه
كفاية لا يزاد عليه ولد ابو احمد بن عدي في سنة سبع وسبعين ومايتين وهي
السنة التي توفي فيها ابو حاتم الرازي وتوفي ابن عدي في جمادى الاخرة من هذه السنة

المعز الفاطمي باني القاهرة المعزية

معد بن اسماعيل بن سعيد بن عبد الله ابو تميم المدعي انه فاطمي صاحب الديار المصرية
وهو اول من تملكها من الفاطميين كان يتملكهم ببلاد افريقية وما والاها من بلاد
المغرب فلما كان سنة ثلاث ثمان وخمسين وثلثماية وبعث بين يديه جوهر
القايد فاخذ له البلاد المصرية من كافور الاخشيدي بعد حروب تقدم ذكرها ان
واستقرت يد جوهر القايد عليها فبنى القاهرة المعزية وبنى منزل الملك المكان
المسمى بالقصرين ثم اقيمت الخطبة للمعز في سنة ثلاثين وستين وثلثماية وقدم
المعز كما ذكرنا في جحافل عظيمة ومعه الامراء من المغاربة والاكابر والقواد وحين نزل
الاسكندرية تلقاه وجوه الناس بها فخطبهم فيها خطبة بليغة افتخر فيها
بنفسه ومكة وادعى انه يعدل وينصف المظلوم من الظالم وان الله قد رحم
الامة بهم واستنقذهم من ايدي الظلمة الحقد لهم وانصافهم وهو مع ذلك يدعي
ظاهر الرفض ويبطن كما قال القاضي الباقلاني الكفر المحض وكذلك اهل طاعته
ومن نصره ووالاه واتبعه في مذهبه ووالاه فقبحهم الله واياه احضر الى بين يديه
الزاهد العابد التقي ابو بكر النابلسي فاوقف بين يديه فقال له المعز بلغني
انك قلت لو كان معي عشرة اسهم لرميت الروم بسهم ورميت المصريين بتسعة
فقال لما قلت هكذا فظن انه قد رجع وقال فكيف قلت قال قلت ينبغي ان
نرميكم بتسعة ثم نرميكم بالعاشر قال ولم قال لانكم غيرتم الامة وقتلتم الصالحين
وادعيتم نور الالهية فامر باشهاره في اول يوم ثم ضرب بالسياط في اليوم الثاني
ضربا شديدا مبرحا ثم امر بسلخه في اليوم الثالث فجيء بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرا القران
قال اليهودي فاخذتني رقة عليه فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمة الله عليه
فقيل له الشهيد واليه ينسب بنو الشهيد من اهل نابلس الى اليوم وقد كان في المعز الفاطمي
شهامة وقوة حزم وشدة عزم وله سياسة ويظهر انه يعدل وينصر الحق ولكنه كان مع ذلك
منجما يعتمد ما يرصده من حركات النجوم قال له منجمه ان عليك قطعا في هذه السنة فتوار
عن وجه الارض حتى تنقضي هذه المدة فعمل له سردابا واحضر الامراء واوصاهم بولده نزار
ولقبه بالعزيز وفوض اليه الامر حتى يعود اليهم فبايعوه على ذلك ودخل ذلك السرداب

فتوارى

فتوارى فيه سنة فكانت المغاربة منهم اذا راى الفارس سحابا ساريا ترجل عن فرسه واوما
اليه بالسلام ظانين ان المعز في ذلك الغمام فاستخف قومه فاطاعوه ثم برز الى الناس
بعد مضي سنة فجلس في مقام الملك وحكم على عادته ولكنه لم تطل مدته بعد ذلك بل
عاجله القضاء المحتوم والحين المقسوم فكانت وفاته في هذه السنة ولله الحمد والمنة
فكانت مدة ايامه في الملك ثلاثا وعشرين سنة وخمسة اشهر وعشرة ايام منها بمصر
سنتان وتسعة اشهر وجملة عمره كلها خمس واربعون سنة وستة اشهر لانه ولد بافريقية
في حادي عشر رمضان سنة تسع عشرة وثلثماية وكانت وفاته بمصر في اليوم السابع
عشر من ربيع الاخر سنة خمس وستين وثلثماية وهي هذه السنة

ثم دخلت سنة ست وستين وثلثماية

فيها توفي ركن الدولة ابو علي بن بويه وقد جاوز التسعين وكانت ايامه نيفا واربعين
سنة وقبيل موته في السنة الماضية قسم ممالكه بين اولاده كما ذكرنا وعمل ضيافة في
دار ابن العميد باصبهان حافلة حضرها ركن الدولة وبنوه واعيان دولته فعهد في هذا
اليوم الى ابنه عضد الدولة وخلع عضد الدولة على اخوته وساير الامراء الاقبية والاكسية
على عادة الديلم وحيوه بالريحان على عادتهم ايضا وكان يوما مشهودا ثم توفي ركن الدولة
بعده بقليل في هذه السنة وقد كان حليما وقورا كثير الصدقات محبا للعلما
وفيه ايثار وكرم كثير وحسن عشرة ورياسة وحنو على اقاربه ودولته على رعيته وحين
تمكن ابنه عضد الدولة قصد العراق ليأخذ ما من ابن عمه عز الدولة بختيار لسوء
سيرته وزاد اسرته فالتقوا في هذه السنة بارض الاهواز فهزمه عضد الدولة واخذ
اثقاله وامواله وبعث الى البصرة فاخذها واصلح بين اهلها حيي ربيعة ومضر وقد
كان بينهم خلف متقادم نحو من مائة وعشرين سنة وكانت مضر مائلة اليه وربيعة
عليه ثم اتفق الحيان واجتمع عليه الفريقان وقويت شوكة عضد الدولة وذل عز
الدولة وقبض على وزيره ابن بقية لانه استحوذ بالاموال دونه وجبى الاموال الى خزاينه
فاستظهر عز الدولة بما وجده من الحواصل لابن بقية ولم يبق له بها بقية وكذلك امر
ركن الدولة بالقبض على وزير ابيه ابي الفتح بن العميد لموجدة تقدمت منه عليه وقد
سلفه كرما فلم يبق لبني العميد ايضا في الارض بقية وقد كانت الاكابر منهم تتقي
منهم البقية وقد كان من العقوق والعصيان بانه قد كان تخانت المقادير وعاجله
غضب الشيطان فنعوذ بالله من غضب الرحمان وفي منتصف شوال من هذه السنة
توفي الامير منصور بن نوح الساماني صاحب بلاد خراسان ببخارا وكانت ولايته خمس عشرة
سنة وقام بالامر من بعده ابو القسم نوح وعمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور
وفيها توفي الحكم ولقبه المستنصر بالله بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الاموي وقد كان هذا
من خيار الملوك وعلمايهم عالما بالفقه والخلاف والتواريخ محبا للعلما محسنا اليهم
وكانت وفاته وله من العمر ثلاث وستون سنة وسبعة اشهر ومدة خلافته منها خمس عشرة
سنة وخمسة اشهر وقام بالامر من بعده ولده هشام وله عشر سنين ولقب بالمويد
بالله وقد اختلف عليه في ايامه واضطربت الرعايا وحبس مدة ثم اخرج واعيد الى
الخلافة وقام باعباء امره حاجبه المنصور ابو عامر محمد بن ابي عامر المعافري وابناه المظفر

والناصر نشأ من الرعايا جيدا وعدل فيهم وغزا الاعداء واستقر بهم الحال كذلك نحو من ست
وعشرين سنة وقد ساق ابن الاثير هاهنا قطعة من اخبارهم واطال في شرحها وفيها رجع
ملك حلب الى ابي المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان وذلك انه لما مات
ابوه وقام من بعده تغلب مولاه قرعويه عليه واخرجه منها خايفا يترقب فسار الى امه
بميافارقين في سنة سبع وخمسين ثم جا فنزل حماه وكانت الروم قد خربت حمص فسعى
في عمارتها وترميمها وسكنها ثم ان قرعويه استناب في حلب مولى له يقال له بكجور فتغلب
عليه وسجن مولاه قرعويه بقلعتها نحوا من ست سنين فكتب اهل حلب الى ابي المعالي
وهو بحمص ليسارعوه اذا يأتيهم فسار فحاصر حلب اربعة اشهر ففتحها واستحضر القلعة
عليه وقد تحصن بها بكجور ثم اصطلح مع ابي المعالي على ان يؤمنه على نفسه ويستنيبه
بحمص ففعل فناب له بكجور بحمص ثم انتقل في وقت الى نيابة دمشق واليه تنسب
هذه المزرعة ظاهر دمشق غربيها التي تعرف بالقصر البكجوري

ابتداء ملك سبكتكين ووالد محمود صاحب غزنه

وقد كان سبكتكين هذا مولى للامير ابي اسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة واعمالها للسامانية
وليس هذا بحاجب معز الدولة لان ذاك توفي قبل هذه السنة كما تقدم واما هذا فانه لما مات
مولاه لم يترك احدا يصلح للملك من بعده من ولده ولا من قومه فاصطلح الجيش على مبايعة
سبكتكين هذا لخيرته فيهم وحسن سيرته وكمال عقله وشجاعته وديانته فاستقر الملك بيده
واستمر من بعده في ولده السعيد المحمود محمود بن سبكتكين وقد غزا سبكتكين هذا بلاد
الهند ففتح شيا كثيرا من حصونهم وغنم اشيا كثيرة من اموالهم وكسر من اصنامهم وبددهم
ام اسابلاد باسر منعه من الجيوش جرح وبا شيب الولدان والمفارق ولشر الصديق وتغم
المفارق وقد قصد جيبا ملك الهند بنفسه وجنوده التي تعم السهول والجبال فكسره
مرتين وردهم الى بلادهم في اسوا حال وارداه بال وذكر ابن الاثير في كامله ان سبكتكين
لما التقى مع جيبا في بعض الغزوات كان بالقرب منهم عين في عقبة غورك من عادتهم
انه اذا وضعت فيها نجاسة او قذر تكفهرت السما وارعدت وابرقت وامطرت ولا تزال
كذلك حتى تطهر تلك العين من ذلك الشي الذي القي فيها وان سبكتكين امر بالقاء
نجاسة في تلك العين عند ذلك وكانت قريبا من نحو العدو فلم تزل الوان رعود وبروق
وامطار وصواعق حتى الجاهم ذلك الحال الى الهرب والرجوع الى بلادهم خايبين هاربين
وارسل ملك الهند يطلب من سبكتكين الصلح فاجابه بعد امتناع من ولده محمود على
مال جزيل يحمله اليه وبلاد كثيرة يسلمها اليه وخمسين فيلا ورهاين من رؤس قومه يتركها
عنده حتى يقوم له بما التزم له من ذلك وفيها توفي ابو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي
صاحب هجر ومقدم القرامطة فقام من بعده ستة من قومه وكانوا يسمون بالسادة وقد
اتفقوا على تدبير الامر من بعده ولم يختلفوا فمشى الحال وفيها تملك قابوس بن وشمكير بلاد
جرجان وطبرستان وتلك النواحي وفيها كانت وفاة الحسن بن احمد بن ابي سعيد الجنابي
ابو محمد القرمطي قال ابن عساكر واسم ابي سعيد الحسن بن بهرام ويقال الحسن بن احمد
بن الحسن بن يوسف بن كورد كار ريسا للقرامطة من الفرس قال ويعرف ابو محمد هذا بالاعصم

قاد ووله

قاد وولد بالاحسا في سنة ثمان وسبعين ومايتين وقد تغلب على دمشق والشام في سنة
سبع وخمسين وثلثماية ثم عاد الى الاحسا بعد سنة ثم عاد الى دمشق في سنة ستين وكسر
جيش جعفر بن فلاح اول من ناب بالشام عن المعز الفاطمي وقتله ثم توجه الى مصر فحصرها في مستهل
ربيع الاول سنة احدى وستين واستمر محاصرها شهورا وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن
موهوب العقيلي ثم عاد الى الاحسا ثم رجع الى الرملة فتوفي بها في هذه السنة وقد قارب
التسعين وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطايع بن المطيع وقد اورد له الحافظ اشعارا حسنة
رايقة فايقة فمن ذلك ما كتب به الى جعفر بن فلاح قبل الحرب بينهما

الكتب معذرة والرسل مخبرة * والحق متبع والخير موجود
والحرب ساكنة والخيل صافنة * والسلم مبتذل والظل ممدود
فان انبتم فمقبول انابتكم * وان ابيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا او نرد بنا * دمشق والباب مهدوم ومردود
اني امرو ليس من شاني ولا اربي * طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة * وذات دل لها دل وتفنيد
ولا ابيت بطين البطن من شبع * ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا الى طمع * يوما ولا غرني فيها المواعيد

ومن شعره

يا ساكن البلد المنيف تعززا * بقلاعه وحصونه وكهوفه
لا عز الا للعزيز بنفسه * وبخيله وبرجله وسيوفه
وبقبة بيضا قد ضربت على * شرف الخيام لجاره وحليفه
قرم اذا اشتد الوغى اردى العدى * وشفى النفوس بضربه ووقوفه
لم يرض بالشرف التليد لنفسه * حتى اشاد طريفه بتليده

وفيها دخل الخليفة الطايع لله بشاه ناز بنت عز الدولة بن بويه وكان عرسا حافلا
وفي هذه السنة حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان في تجمل عظيم كان يضرب المثل
بحجها وذلك انها عملت اربعماية محمل فلا يدرى في ايها هي ولما وصلت الى الكعبة المكرمة
نثرت عليها عشرة الاف دينار وكست المجاورين بالحرمين كلهم وانفقت اموالا جزيلة
في ذهابها وايابها وحج بالناس من العراق الشريف ابو عبد الله احمد بن ابي الحسين بن محمد
بن عبد الله العلوي وكذلك الى سنة ثمانين وثلثماية وكانت الخطبة في هذه السنة
بالحرمين للفاطميين اصحاب مصر دون العباسيين

وممن توفي فيها

اسماعيل بن نجيد بن احمد بن يوسف بن سالم ابو عمرو السلمي صحب الجنيد وغيره وروى
الحديث وكان ثقة ومن جيد كلامه من لم تهذبك رؤيته فليس بمهذب وقد احتاج
شيخه ابو عثمان مرة الى شي فسال اصحابه فيه فجاء ابن نجيد بكيس فيه الفا درهم فقبضه
منه وجعل يشكره الى اصحابه فقال له ابن نجيد يا سيدي انما المال الذي دفعته
اليك كان من مال امي وهي كارهة فاحب ان ترده اليها فاعطاه تلك الدراهم فلما كان
الليل جاء بها وقال احب ان تصرفها في امرك من غير ان يعلم بذلك احد فكان ابو عثمان

منها تخلف له على ذلك وحين خرج كان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان فحسن لعز
الدولة اخذ بلاد الموصل لانها اطيب واكثر مالا واقرب اليه الان وكان عز الدولة
ضعيفا لعقل قليل الدين فلما بلغ ذلك ابا تغلب ارسل الى عز الدولة يقول له ان
بعثت الي باخي حمدان بن ناصر الدولة اعنتك بجيشي وبنفسي حتى ارد لك الملك
ببغداد واقاتل معك عضد الدولة فامسك حمدان وارسله الى اخيه ابي تغلب فسجنه
في بعض القلاع وبلغ ذلك عضد الدولة وانهما قد اجتمعا على حربه فركب اليهما بجيشه
واراد اخراج الخليفة الطايع معه فاستعفاه فاعفاه واستمر هو ذاهبا اليهما فالتقى
معهما فكسرهما وهزمهما واخذ عز الدولة اسيرا فلما جي به لم ياذن له بل ارسل اليه من
قتله في الحال ثم سار من فوره فاخذ الموصل ومعاملتها وكان قد حمل معه ميرة كثيرة
وتشرد ابو تغلب في البلاد وبعث وراءه السرايا من كل جهة واقام عضد الدولة
بالموصل وضيق على ابي تغلب تلك البلاد واستحوذ على اكثر تلك الناحية لصرامته
وشجاعته وهمته وعزيمته واقام بالموصل الى اواخر سنة ثمان وفتح ميافارقين
وآمد وغيرهما من بلاد بكر وربيعة وتسلم بلاد مضر من ايدي نواب ابي تغلب فاخذ منها
الرحبة ورد بقيتها على صاحب حلب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان
وتسلط سعد الدولة على بلاد عمه ابي تغلب يتسلمها بلدا بلدا وحين رجع عضد
الدولة من الموصل استناب عليها ابا الوفا وعاد الى بغداد فتلقاه الخليفة الطايع
لله وتزين الناس له ظاهر البلد وكان يوما مشهودا ومما وقع من الحوادث في هذه
السنة الوقعة التي كانت بين العزيز بن المعز الفاطمي وبين افتكين غلام معز الدولة صاحب
دمشق فهزمه العزيز واسره واخذه معه الى الديار المصرية مكرما معظما كما تقدم وتسلم
العزيز دمشق واعمالها وقد تقدم في سنة اربع وستين بسط هذه الكاينة بما اغنى
عن اعادته وفيها خلع على القاضي عبد الجبار بن احمد المعتزلي بقضاء قضاة الري وما
تحت حكم مويد الدولة بن ركن الدولة من البلاد وله مصنفات حسنة منها دلايل النبوة
وعمد الادلة وغيرهما وحج بالناس في هذه السنة نايب المصريين وهو الامير باديس بن
زيري اخو يوسف بلكين ولما دخل مكة اجتمع اليه اللصوص وسالوا منه ان يضمنهم
الموسم هذا العام بما شاء من الاموال فاظهر لهم الاجابة وقال اجتمعوا كلكم
حتى اضمنكم كلكم فاجتمع عنده بضع وثلاثون حراميا فقال هل بقي منكم احد فحلفوا له
انه لم يبق منهم احد فعند ذلك امر بقطع ايديهم كلهم ونعما فعل وكانت الخطبة في هذه
السنة للفاطميين بمكة والمدينة دون العباسيين

ومن توفي فيها من الاعيان

الملك عز الدولة بختيار بن معز الدولة ابي الحسين احمد بن بويه الديلمي ملك بغداد بعد ابيه
وهو فوق العشرين بقليل وكان حسن الجسم شديد البطش قوي القلب جدا بلغنا انه
كان ياخذ بقوايم الثور الشديد فيلقيه الى الارض من غير اعوان ويقصد الاسود في
اماكنها فيصيدها ولكنه كان كثير اللهو واللعب والاقبال على اللذات ولما كسره
ابن عمه ببلاد الاهواز كان فيما اخذ من امواله غلام له كان يحبه شديدا فبعث يترفق
لابن عمه حتى يرده وارسل اليه بتحف عظيمة واموال جزيلة وجاريتين عوادتين لا قيمة

لهما

لهما وبعث يقبل الارض في ذلك فرد عليه الغلام المذكور فكثر تخجيل الناس لعز الدولة
وسقط من اعين الملوك لانه كان يقول ذهاب هذا الغلام اشد علي مما جرى من اخذ بغداد
وارض العراق ثم الحرب كان اسره ابن عمه عضد الدولة كما ذكرناه وامر بقتله سريعا فكانت
مدة حياته ستا وثلاثين سنة ومدة دولته منها احدى عشرة سنة وشهور محمد
ابن عبد الرحمن ابو بكر القاضي المعروف بابن قريعة ولي قضاء السندية كان فصيحا ياتي
بالكلام المسجوع من غير تكلف ولا ترو وكان جميل المعاشرة ومن شعره

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول ... فحيلتي فيه قليله

وكان يقول للرجل من اصحابه اذا تماشيا ان تقدمت بين يديك فحاجب وان تاخرت
فواجب وكانت وفاته في يوم السبت لعشر بقين من جمادى الاخرة منها

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلثماية

في شعبان منها امر الخليفة الطايع لله ان يدعا لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر
ببغداد وان يضرب الدبادب على بابه وقت الفجر وبعد المغرب وبعد العشا قال
ابن الجوزي وهذا شي لم يتفق لغيره من بني بويه وقد كان معز الدولة سال من المطيع لله
ان يضرب الدبادب على بابه ببغداد فلم ياذن له في ذلك وفيها فتح عضد الدولة
في هذه السنة وهو مقيم بالموصل اكثر معاملة ما كان بيد ابي تغلب بن حمدان كآمد وميافارقين
والرحبة وغير ذلك من المدن الكبار والصغار وحين عزم على العود الى بغداد
استناب على الموصل ابا الوفا الحاجب ورجع الى بغداد فدخلها في سلخ ذي القعدة من هذه
السنة وتلقاه الخليفة والاعيان الى اثناء الطريق وكان يوما مشهودا

ذكر ملك قسام التراب لدمشق في هذه السنة

لما التقى افتكين مع العزيز بارض الرملة وانهزم افتكين والحسين القرمطي معه واسر افتكين
فذهب مع العزيز الى الديار المصرية فصار رجل من اهل دمشق يقال له قسام كان افتكين يقربه
ويدنيه ويامنه على اسراره فاستحوذ على دمشق واطاعه اهلها فقصدته عساكر العزيز
من مصر فحاصروه بها فلم يتمكنوا منه بشي وجاء ابو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان فحاصره
فلم يمكنه ان يدخل دمشق فانصرف عنه خايبا الى طبرية فوقع بينه وبين بني عقيل وغيرهم
من العرب حروب طويلة آل به الحال الى ان قتل ابو تغلب وكانت معه اخته جميلة وامراته
بنت عمه سيف الدولة فردا الى سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب فاخذ اخته
وبعث بجميلة الى بغداد فحبست في دار واخذ منها اموال جزيلة واما قسام فهو الحارثي
واصله من بني الحرث بن كعب من اليمن فاقام بدمشق يدبر امرها ويقوم بمصالحها مدة
سنين عديدة وكان مجلسه بالجامع ويجتمع الناس عنده فيامرهم وينهاهم بالمصالح فيمتثلون
ما يامرهم به وقال ابن عساكر اصله من قرية تلفيتا وكان ترابا تكلمت العامة
يقولون ان اسمه قسيم الزبال اغا هو قسام ولم يكن زبالا بل ترابا من قرية تلفيتا بالقرب
من قرية منين وكان في ابتداء امره انه انتمى الى رجل من احداث دمشق يقال له احمد بن الجسطار
وكان من حزبه ثم استحوذ على الامور وغلب الولاة والامرا وصارت اليه ازمة الاحكام الى ان
قدم بلكين التركي من مصر في يوم الخميس لتاسع عشر من المحرم سنة ست وسبعين

فاخذ ما معه ودخلها واختفى فيها مدة ايام ثم ظهر فاخذه اسيرا وارسله مقيدا الى الديار المصرية فاطلق واحسن اليه واقام بها ايضا مكرما

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله ابو بكر بن مالك القطيعي من قطيعة الدقيق ببغداد راوي مسند الامام احمد عن ابنه عبد الله وقد روى عنه غيره من مصنفات احمد وحدث عن غيره من المشايخ ايضا وكان ثقة كثير الحديث وقد حدث عنه الدارقطني وابن شاهين والبرقاني وابو نعيم والحاكم ولم يمتنع احد من الرواية عنه ولا التفتوا الى ما طعن به بعضهم من الكلام فيه بسبب غرق بعض كتبه حين غرقت القطيعة بالماء الاسود فاستحدث بعضها من نسخ اخر وهذا ليس بشي لانها قد تكون معارضة على كتبه التي قد عرفت والله اعلم ويقال انه تغير في اخر عمره فكان لا يدري ما قرئ عليه وقد جاوز التسعين رحمه الله

العقيقي صاحب الحمام والدار المنسوبين اليه بمحلة باب البريد بدمشق احمد بن الحسين بن احمد بن علي بن محمد العقيقي بن جعفر بن عبد الله ابن الحسين الاصغر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الشريف ابو القسم الحسيني العقيقي قال ابن عساكر كان من وجوه اشراف دمشق واليه تنتسب الدار والحمام بمحلة باب البريد وقد امتدحه الوأواء الشاعر وذكر انه توفي يوم الثلثا لاربع خلون من جمادى الاولى من هذه السنة وانه دفن من الغد واغلق البلد لاجل جنازته وحضرها بجوه واصحابه يعني نائب البلد ودفن خارج باب الصغير قلت وقد اشترى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس داره وبناها مدرسة ودار حديث وتربة وبها قبره وذلك في حدود سنة سبعين وستماية كما سياتي بيانه رحمه الله

تميم بن المعز الفاطمي وقد كان يكنى وقد كان من اكابر امرا دولة ابيه واخيه العزيز وكثير كرم وله فضل وقد اتفق له كاينة غريبة وهو انه ارسل الى بغداد فاشتريت له جارية مغنية بمبلغ جزيل فلما حضرت عنده اضاف اصحابه ثم امرها فغنت وكانت تحب شخصا ببغداد

وبدا له من بعد ما انتقل الهوى • برق تالق موهنا لمعانه •
يبدو كحاشية الردا ودونه • صعب الذرى متمنع اركانه •
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق • نظرا اليه وصده اشجانه •
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه • والما ما سمحت به اجفانه •

ثم غنت ابياتا اخر فاشتد طرب تميم وقال لها لابد ان تساليني حاجة فقالت عافيتك فقال ومع هذا فقالت ان تردني الى بغداد حتى اغني بها هذه الابيات فوجم الملك لذلك ولم يجد بدا من الوفا فارسلها مع بعض اصحابه فحجبها ثم سار بها الى بغداد على طريق العراق فلما امسوا الليلة التي يدخلون من صبيحتها بغداد ذهبت في الليل فلم يدر اين ذهبت فلما راح الخبر الى مولاها بذلك تالم تالما شديدا وندم ندما كثيرا ولكن حيث لا ينفعه ذلك

ابو سعيد السيرافي النحوي

الحسن بن عبد الله بن المرزبان ابو سعيد السيرافي النحوي القاضي سكن بغداد وولي القضا بها نيابة وله شرح كتاب سيبويه وطبقات النحاة وروى عن ابي بكر بن دريد وغيره

وكان

وكان ابوه مجوسيا وكان ابو سعيد السيرافي هذا عالما باللغة والقراآت والنحو والفرائض والحساب وغير ذلك من فنون العلم وكان زاهدا لا ياكل الا من عمل يده كان ينسخ كل يوم عشر ورقات بعشرة دراهم يكون منها نفقته وتورع وكان من اعلم الناس بنحو البصريين وينتحل مذهب اهل العراق في الفقه وقرا القرآن على ابن مجاهد وعلى اللغة على ابن دريد والنحو على ابن السراج وابن المرزبان ونسبه بعضهم الى الاعتزال وانكره اخرون وكانت وفاته في رجب من هذه السنة عن اربع وثمانين سنة ودفن بمقبرة الخيزران

عبد الله بن ابرهيم بن يوسف ابن القسم الريحاني ويعرف بالابندوني رحل في طلب الحديث الى الافاق ووافق ابن عدي في بعض ذلك ثم سكن بغداد وحدث بها عن ابي يعلى والحسن بن سفيان وابن خزيمة وغيرهم وكان ثقة ثبتا مصنفا زاهدا روى عنه البرقاني واثنى عليه خيرا وذكر ان اكثر اكله الخبز اليابس المادوم بمرق الباقلا وذكر اشيا من تقلله وزهده وورعه وتوفي عن خمس وتسعين سنة رح

عبد الله بن محمد بن ورقا الامير ابو احمد الشيباني من اهل البيوتات والحشمة بلغ التسعين وروى عن ثعلب عن ابن الاعرابي انه انشد لنفسه في صفة النسا

هي الضلع العوجا لست تقيمها • الا ان تقويم الضلوع انكسارها
اتجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى • اليس عجيبا ضعفها واقتدارها

قلت وهذا الشاعر اخذ هذا المعنى من الحديث الصحيح ان المراة خلقت من ضلع وان اعوج شي في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان استمتعت بها استمتعت وفيها عوج

ومنها توفي محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي راوي صحيح مسلم عن ابرهيم ابن محمد بن سفيان الفقيه عن مسلم بن الحجاج وكان من الزهاد ياكل من كسب يده من النسخ وبلغ ثمانين سنة رح

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلثماية

في المحرم منها توفي الامير عمران بن شاهين صاحب بلاد البطيحة منذ اربعين سنة تغلب عليها وفيها وعجز عنه الامرا والملوك والخلفا وبعثت اليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة فكل ذلك يغلبها ويكسرها وكلما له في تمكن وقوة ومكث كذلك هذه المدة كلها ومع هذا كله مات على فراشه حتف انفه فلا نامت اعين الجبنا وقام بالامر من بعده ولده الحسن فرام عضد الدولة ان ينتزع الملك من يديه فارسل اليه سرية فيها خلق من الجنود فكسرهم الحسن بن عمران بن شاهين وردهم خايبين وكاد ان يتلفهم بالكلية حتى ارسل اليه عضد الدولة فصالحه على مال يرسله اليه كل سنة واحدرها عن عضد الدولة على ذلك وهذا من العجايب الغريبة وفي صفر قبض على الشريف ابي احمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين واتهم بانه يفشي الاسرار وان عز الدولة اودع عنده عقدا ثمينا وانه بكتاب بخطه في افشا الاسرار فانكر انه خطه وكان مزورا عليه واعترف بالعقد فاخذ منه وعزل عن النقابة وولي غيره فيها وكان مظلوما في ذلك وفي هذا الشهر ايضا عزل عضد الدولة قاضي القضا

ابا محمد بن معروف وولى غيره وفي شعبان ورد الخبر من مصر الى عضد الدولة بمراسلات كثيرة فرد الجواب بما مضمونه صدق النية وحسن الطوية ثم سال عضد الدولة من الطايع ان يجدد عليه الخلع والجوهر وان يزيد في القابه تاج الدولة فاجابه الى ذلك كله وخلع عليه من انواع الملابس ما لم يتمكن من تقبيل الارض من كثرتها وفوض اليه ما وراء بابه من الامور ومصالح المسلمين في مشارق الارض ومغاربها بحضرة الرؤسا والامرا واعيان الناس وكان يوما مشهودا وفيها ارسل في رمضان الى الذعار من الاعراب من بني شيبان من غزاهم فغزاهم وكسرهم وقهرهم وكان لاميرهم ... بن محمد الاسدي متحصنا بعين التمر نيفا وثلاثين سنة فاخذت ديارهم واخذت اموالهم وكانوا الهم ولله الحمد والمنة وفي يوم الثلثا لتسع بقين من ذي القعدة تزوج الخليفة الطايع لله بنت عضد الدولة الكبرى وعقد العقد بحضرة الاعيان والرؤسا وكان عقدا ما بالاحتفال على صداق مبلغه ماية الف دينار ويقال ماينا الف دينار وكان وكيل عضد الدولة الشيخ ابو علي الحسن بن احمد الفارسي النحوي صاحب الايضاح والتكملة وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي ابو علي الحسن بن علي التنوخي وكان يوما مشهودا وفيها كان مقتل ابي تغلب ابن ناصر الدولة بن حمدان بالشام قرب ... وكانت معه اخته جميلة وزوجته بنت عمه سيف الدولة فردتا الى ابن عمه سعد الدولة بن سيف الدولة صاحب حلب قال ابن الاثير وفي هذه السنة جدد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها وجدد المساجد والمشاهد واجرى على الفقهاء والايمة الارزاق والجرايات من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والاطبا والحساب وغيرهم واطلق الصلات لارباب البيوتات والشرف والزم اصحاب الاملاك ببغداد بعمارة بيوتهم ودورهم ومهد الطرقات واطلق المكوس واصلح طريق الحجاج من بغداد الى مكة وارسل الصدقات والصلات للمجاورين بالحرمين قال واذن لوزيره نصر بن هرون ... بعمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقرايهم وفيها توفي حسنويه بن حسين الكردي كان قد استحوذ على نواحي بلاد الدينور وهمذان ونهاوند مدة خمسين سنة وكان حسن السيرة كثير الصدقة بالحرمين وغيرهما فلما توفي اختلف اولاده من بعده وتمزق شملهم وتمكن عضد الدولة من اكثر بلاده وقويت شوكته في الارض وفي هذه السنة ركب عضد الدولة في جنود كثيفة الى بلاد اخيه فخر الدولة وذلك لما كان بلغه من ممالاة عز الدولة واتفاقهما عليه فلما انتزع من اعدايه ركب فتسلم بلاد اخيه فخر الدولة همذان والري وما بينهما من البلاد وسلم ذلك الى اخيه مويد الدولة بويه بن ركن الدولة ليكون نايبه عليها ثم سار الى بلاد حسنويه الكردي فتسلم بلاده واخذ حواصله وذخايره وكانت جليلة كثيرة وحبس بعض اولاده وامر بعضهم وارسل الى الاكراد الهكارية فاخذ منهم بعض بلادهم وعظم شان عضد الدولة في البلاد وارتفع صيته وذكره الا انه اصابه في هذه السفرة داء الصرع وقد كان يقدم له مثله في الموصل فكان يكتمه ولكنه غلبه كثرة النسيان فلا يذكر الشي الا بعد جهد جهيد والدنيا ما تسر بقدر ما تضر

دار متى ما اضحكت في يومها • ابكت غدا بعدا لها من دار

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن عطا بن احمد ابو عبد الله الروذباري ابن اخت ابي علي الروذباري اسند الحديث

وكان

وكان يتكلم على مذاهب الصوفية وكان قد انتقل من بغداد فاقام بصور فتوفي فيها في هذه السنة الحسن بن زكريا ابو الحسين اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة وغيره ومن شعره قبل موته بيومين

يا رب ان ذنوبي قد احطت بها • علما وبي وباعلاني واسراري

انا الموحد لكني المقر بها • فهب ذنوبي لتوحيدي واقراري

ذكره ابن الاثير الحسن بن علي ابو عبد الله البصري احد مشايخ المعتزلة ويعرف بالجعل سكن بغداد وانتحل مذهب العراقيين وصنف للمعتزلة وكان اشتغاله في الفروع على ابي الحسين الكرخي وقد قارب الثمانين ثابت بن ابراهيم ابو الحسين الحراني الصابي المتطبب الحاذق في فنه توفي وقد قارب الثمانين حسنويه بن الحسين الكردي امير تلك البلاد كان كثير الصدقات كما ذكرنا عبد الله بن ابراهيم بن ايوب بن ماسي ابو محمد البزار اسند الكثير وبلغ خمسا وتسعين سنة وكان ثقة ثبتا توفي في رجب من هذه السنة محمد بن صالح بن علي بن يحيى ابو الحسن الهاشمي قاضي بغداد ويعرف بابن ام شيبان وكان عالما فاضلا له تصانيف وقد ولي الحكم ببغداد قديما وكان جيد السيرة توفي في هذه السنة وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين

سنة سبعين وثلثماية

فيها ورد الصاحب بن عباد من جهة مويد الدولة الى اخيه عضد الدولة فتلقاه عضد الدولة الى ظاهر البلد واكرمه وامر الدولة باحترامه وخلع عليه وزاد في اقطاعه ورد معه هدايا كثيرة جدا وفي جمادى الاخرة منها رجع عضد الدولة الى بغداد فتلقاه الخليفة الطايع وضربت له القباب وزينت الاسواق وفي هذا الشهر دخل الخليفة بزوجته بنت عضد الدولة وحمل معها من الجهاز شي عظيم وفي هذا الشهر ايضا وصلت هدايا من صاحب اليمن الى عضد الدولة وفيها اشيا حسنة وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة لصاحب مصر وهو العزيز بن المعز الفاطمي

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو بكر الرازي الحنفي احمد بن علي ابو بكر الفقيه الحنفي احد ايمة اصحاب الراي وله المصنفات المفيدة وله كتاب احكام القران وهو تلميذ ابي الحسن الكرخي وكان عابدا زاهدا ورعا انتهت اليه رياسة الحنفية في وقته ورحل اليه الطلبة من الافاق وقد سمع الحديث من ابي العباس الاصم وابي القسم الطبراني وغيرهما وقد اراده الطايع لله على ان يوليه القضا فلم يقبل وقد كانت وفاته في ذي الحجة من هذا العام وصلى عليه ابو بكر محمد بن موسى الخوارزمي محمد بن جعفر بن الحسن بن محمد بن زكريا ابو بكر الوراق ويلقب بغندر ايضا وقد كان جوالا رحالا سمع الكثير ببلاد فارس وخراسان وسمع الباغندي وابن صاعد وابن دريد وغيرهم وعنه الحافظ ابو نعيم الاصبهاني وكان ثقة حافظا ... ابن خالويه الحسين بن احمد بن خالويه ابو عبد الله النحوي اللغوي صاحب المصنفات اصله من همذان ثم دخل بغداد فادرك مشايخ هذا الشان كابي بكر بن الانباري وابن دريد وابن مجاهد وابي عمر الزاهد واشتغل على ابي سعيد السيرافي ثم صار الى حلب فكانت له مكانة عند آل حمدان وكان سيف الدولة يكرمه وهو احد جلسايه وله مع المتنبي مناظرات

وقد سرد له القاضي ابن خلكان مصنفات كثيرة منها كتاب ليس وانه يكثر ان يقول فيه ليس
في كلام العرب كذا وكتاب له تكلم فيه على اقسامه وترجم فيه الابنية الاثني عشر واعرب
ثلاثين سورة من القران وشرح الدريدية وغير ذلك وله شعر حسن وكان ثقة في زمانه
رحمه الله

ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثلثماية

في ربيع الاول منها وقع حريق عظيم بالكرخ من بغداد وفيها سرق شي نفيس لعضد الدولة
فتحير الناس من ذلك لشدة هيبة عضد الدولة ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد
فلم يعرف من اخذه ويقال انه صاحب مصر بعث من فعل هذا فالله اعلم

وممن توفي فيها من الاعيان الاسماعيلي

احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن العباس ابو بكر الاسماعيلي الجرجاني الحافظ الكبير الرحال
الجوال سمع الكثير وحدث وخرج وصنف فاجاد وافاد واحسن الانتقاد والاعتقاد
صنف كتابا على صحيح البخاري فيه فوايد كثيرة وعلوم غزيرة قال الدارقطني كنت
عزمت غير مرة على الرحلة اليه فلم ارزق وكانت وفاته يوم السبت غرة رجب سنة
احدى وسبعين وثلثماية وهو ابن اربع وسبعين سنة رح الحسن بن احمد بن صالح ابو
محمد السبيعي سمع ابن جرير وقاسم المطرز وغيرهما وعنه الدارقطني والبرقاني وكان ثقة
حافظا مكثرا وكان عسرا في الرواية الحسن بن علي بن الحسن بن الهيثم بن طهمان ابو عبد الله
الشاهد المعروف بالبادا سمع الحديث وكان ثقة عمر سبعا وتسعين سنة منها خمس
عشرة سنة مقعدا اعمى رح عبد الله بن الحسين بن اسماعيل بن محمد ابو بكر الضبي القاضي
ولي الحكم بعده بلاد شتى كثيرة وكان عفيفا نزها صينا ديناح عبد العزيز بن الحرث بن
اسد بن الليث ابو الحسن التميمي الفقيه الحنبلي له كلام ومصنف في الخلاف وسمع الحديث
وروى عنه غير واحد وقد ذكر الخطيب البغدادي انه وضع حديثا ورد ذلك ابو الفرج بن
الجوزي وقال انما ازال البغدادي الخطيب في اصحاب احمد بن حنبل قال وشيخ الخطيب الذي حكى
عنه هذا وهو ابو القسم عبد الواحد بن اسد العكبري لا يعتمد على قوله فانه كان معتزليا
وليس من اهل الحديث فكان يقول ان الكفار لا يخلدون في النار قلت وهذا غريب فانهم
يقولون بتخليد اصحاب الكباير فكيف لا يقول هذا بتخليد الكفار قال وعنه حكى الكلام
في ابن بطة ايضا علي بن ابراهيم ابو الحسن الحصري الصوفي الواعظ شيخ المتصوفة
ببغداد واصله من البصرة وكان قد صحب الشبلي وغيره وكان يعظ الناس بالجامع
ثم لما كبرت سنه بني له الرباط المقابل لجامع المنصور ثم عرف بصاحبه الزوزني فكان
لا يخرج الا من الجمعة الى الجمعة وله كلام جليل في التصوف على طريقهم ومما نقله ابن الجوزي
عنه انه قال ان لله تعالى عبيدا اى شي لي في حتى اخاف وارجوا ان رحم رحم ماله وان عذب
عذب ماله توفي في ذي الحجة وقد نيف على الثمانين ودفن بمقبرة باب حرب من بغداد
علي بن محمد الاحدب المزور كان قوي الخط له ملكة على التزوير لا يشا يكتب على كتابه احد
الا فعله فلا يشك ذلك المزور عليه انه خطه ونال الناس بلاء عظيم وختم السلطان
على يده مرارا فلم يفد ثم كانت وفاته في هذه السنة الشيخ ابو زيد المروزي الشافعي
محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد ابو زيد المروزي الشافعي شيخ الشافعية في زمانه وامام
اهل عصره في الفقه والزهد والعبادة والورع سمع الحديث ودخل بغداد وحدث

بها فسمع منه الدارقطني وغيره قال ابو بكر البزار عادلنا الشيخ ابا زيد في طريق الحج فما
اعلم ان الملايكة كتبت عليه خطية وقد ذكرت ترجمته بتمامها في كتاب طبقات الشافعية
قال الشيخ ابو نعيم توفي بمرو يوم الجمعة الثالث عشر من رجب من هذه السنة رحمه الله
واكرم مثواه محمد بن خفيف ابو عبد الله الشيرازي احد مشاهير الصوفية صحب
الحريري وابن عطا وغيرهما قال ابن الجوزي وقد ذكرت في كتابي المسمى بتلبيس ابليس عنه
حكايات تدل على انه كان يذهب مذهب الاباحية

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلثماية

قال ابن الجوزي في المحرم جرى الماء الذي ساقه عضد الدولة الى داره وبستانه وفي صفر
فتح المارستان الذي انشاه عضد الدولة في الجانب الغربي من بغداد وقد رتب فيه
الاطبا والخدم ونقل اليه من الادوية والاشربة والعقاقير شيا كثيرا قال وفيها توفي
عضد الدولة فكتم اصحابه موته حتى احضروا ولده صمصام الدولة فولوه الامر وارسلوا
الخليفة فبعث اليه بالخلع والولاية

ذكر شي من اخبار عضد الدولة

بويه عضد الدولة ابو شجاع بن ركن الدولة ابي علي الحسن بن بويه الديلمي صاحب العراق
وملك بغداد وهو اول من تسمى بشاهنشاه ومعناه ملك الملوك وقد ثبت في الصحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوضع اسم وفي رواية اخنع اسم عند الله رجل
تسمى ملك الاملاك لا ملك الا الله عز وجل وهو اول من ضربت له الدبادب ببغداد
واول من خطب له بها مع الخليفة وذكر القاضي ابن خلكان انه امتدحه الشعرا بمدايح
مايلة كالمتنبي وغيره فمن ذلك قول ابي الحسن محمد بن عبد الله السلامي في قصيدة
له

اليك طوى عرض البسيطة جاعل ... قصارى المطايا ان يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ... ثلاثة اشيا كما اجتمع النسر
وبشرت امالي بملك هو الورى ... ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

قال ابن خلكان وهذا هو السحر الحلال وقد قال المتنبي

هي الغرض الاقصى ورويتك المنى ... ومنزلك الدنيا وانت الخلايق

قال ابن خلكان وليس في الطلاوة كقول السلامي ولا استوفى المعنى كله فانه لم يذكر الدار
وقال ابو بكر احمد الارجاني في قصيدة له بيتا لم يلحق السلامي ايضا فقيه فرايت الناس

لقينه فرايت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والارض في دار

قال ابن خلكان وكتب اليه انتكين مولى اخيه صاحب دمشق يستمده بجيش يقاتل به
الفاطميين فكتب اليه عضد الدولة عزك غرك فصار قصار ذلك ذلك فاخش
فاحش فعلك فعلك تهدا بهذا قال ابن خلكان فقد ابدع كل الابداع وقد جرى
له من التعظيم من الخليفة ما لم يقع لاحد ممن كان قبله وقد ذكرنا انه كان ذا همة وصرامة
وعزم واجتهد في عمارة بغداد والطرقات واجرى النفقات والصدقات على المجاورين
بالحرمين واهل البيوتات وحفر الانهار وبنى المارستان العضدي وادار السور على مدينة

الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا كله في مدة ملكه على العراق وكانت خمس سنين وقد كان عاقلا فاضلا حسن السياسة شديد الهيبة بعيد الهمة الا انه كان يتجاوز في سياسة الامور الشرعية كان يحب جارية فالهته عن تدبير المملكة فامر بتغريقها وبلغه ان غلاما له اخذ لرجل بطيخة فضربه بسيف فقطعه نصفين وكان سبب موته داء الصرع وحين اخذته علة موته لم يكن له كلام سوى قوله تعالى ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وحكى ابن الجوزي في منتظمه انه كان يحب العلم والفضيلة وكان يقرا عنده كتاب اقليدس وكتاب النحو لابي علي الفارسي وهو الايضاح والتكملة الذي صنفه له وغير ذلك وذكر ان له شعرا فمنه قوله وقد خرج الى بستان فود لو قد جاء المطر فنزل المطر فانشا يقول

ليس شرب الكاس الا في المطر • وغناء من جوار في السحر •
غانيات سالبات للنهى • ناغمات في تضاعيف الوتر •
راقصات زاهرات نجل • رافلات في افانين الحبر •
مطربات محسنات مجن • رافضات الهم ايان الفكر •
مبرزات الكاس من مطلعها • مسقيات الخمر من فاق البشر •
عضد الدولة وابن ركنها • مالك الاملاك غلاب القدر •
سهل الله له بغيته • في ملوك الارض ما دار القمر •
واراه الخير في اولاده • ليساس الملك منهم بالغرر •

قال فلما قال هذا غلاب القدر لم يفلح بعدها وذكر غيره ان هذه الابيات اخر ما انشدت بين يديه ثم كانت وفاته عقب ذلك وكانت وفاته في شوال من هذه السنة عن سبع او ثمان واربعين سنة وحمل الى المشهد علي فدفن فيه وكان فيه تشيع وقد كتب على قبره في التربة التي بنيت له عند مشهد علي هذا قبر عضد الدولة وتاج الملة ابي شجاع بن ركن الدولة احب مجاورة هذا الامام المتقي لطمعه في الخلاص يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها والحمد لله وصلاته على محمد وعترته الطاهرة وقد تمثل عند موته بهذه الابيات وهي للقاسم بن عبيد الله

قتلت صناديد الرجال فلم ادع • عدوا ولم امهل على ظنه خلقا •
واخليت دور الملك من كل نازل • فشردتهم غربا ومزقتهم شرقا •
فلما بلغت النجم عزا ورفعة • وصارت رقاب الخلق اجمع لي رقا •
رماني الردى سهما فاخمد جمرتي • فها انا ذا في حفرتي عاطلا ملقى •
فاذهبت دنياي وديني سفاهة • فمن ذا الذي مني بمصرعه اشقى •

ثم جعل يكرر هذه الاية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه الى ان مات كما ذكرنا وجلس ابنه صمصامة الدولة على الارض وعليه ثياب السواد وجاءه الخليفة الطائع معزيا وناح النساء عليه في الاسواق اياما كثيرة ولما انقضى العزاء ركب صمصامة الدولة الى دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع وطوقه وسوره والبسه التاج ولقبه شمس الدولة وولاه ما كان يتولاه ابوه من قبله وكان يوما مشهودا محمد بن جعفر بن احمد بن جعفر بن الحسن بن وهب ابو بكر الحريري المعروف بزوج الحرة سمع ابن جرير والبغوي وابن ابي داود وغيرهم وعنه ابن رزقويه وابن شاهين والبرقاني وقال كان جليلا احد الثقات العدول وذكر الخطيب

البغدادي

البغدادي وابن الجوزي سبب تسميته بزوج الحرة لانه كان يدخل الى مطبخ ابنة بدر مولى المعتضد التي كانت زوجة المقتدر بالله فلما توفي المقتدر وبقيت هذه المراة سالمة من النكبات والمصادرات كثيرة الاموال فكان هذا وهو غلام شاب حدث يحمل شيئا من حوايج الطعام على راسه فيدخل به الى المطبخ الذي لها مع جملة الخدم وكان شابا رشيقا حركا فنفق على القهرمانة فقدمته حتى جعلته كاتبا على المطبخ ثم ترقى به الحال الى ان صار وكيلا للست ينظر في الضياع والعقار ثم آل به الحال حتى صارت الست تحدثه من وراء حجاب ثم علقت به واحبته وسالته ان يتزوج بها فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك فشجعته واعطته اموالا جزيلة ليظهر من الحشمة والسعادة ما يناسبه ليتاهل لذلك ثم شرعت تهادي القضاة والاكابر ثم عزمت على تزويجه ورضيت به عند حضور القضاة واعترض اولياؤها عليها فغلبتهم بالمكارمات والهدايا ودخل عليها فمكثت معه دهرا طويلا ثم توفيت قبله فورث منها نحوا من ثلثمائة الف دينار وطال عمره بها حتى كانت وفاته في هذه السنة رح

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة

فيها غلت الاسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الطعام الى اربعة الاف وثمانمائة ومات كثير من الناس من الضعف في الطرقات جوعا ثم تناقص الحال في ذي الحجة منها وجاء الخبر بموت مؤيد الدولة بن ركن الدولة وان ابا القسم بن عباد الوزير بعث الى اخيه فخر الدولة فولاه الملك مكان اخيه فاستوزر ابن عباد ايضا على ما كان عليه وخلع عليه واحسن اليه ولما بلغ القرامطة موت عضد الدولة قصدوا البصرة لياخذوها مع الكوفة فلم يتم لهم ذلك ولكن صولحوا على مال كثير فاخذوه وانصرفوا

ومن توفي فيها من الاعيان

بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة كان ملكا على بعض ما كان ابوه يملكه كما تقدم وكان الصاحب ابو القسم بن عباد وزيره وقد تزوج مؤيد الدولة هذا بزبيدة بنت عمه معز الدولة فغرم على عرسها سبعمائة الف دينار وهذا اسراف عظيم بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ويسمى ايضا يوسف وكان من اكابر امراء المعز وقد استخلفه على بلاد افريقية حين سار الى القاهرة وكان حسن السيرة له اربعمائة حظية وقد بشر في ليلة واحدة بسبعة عشر ولدا وهذا غريب جدا [illegible] سعيد بن سلام ابو عثمان المغربي اصله من بلاد القيروان ودخل الشام وصحب ابا الخير الاقطع وجاور بمكة مدة سنين وكان لا يظهر في المواسم وكانت له كرامات وقد اثنى عليه ابو سليمان الخطابي وغيره وروى له احوالا صالحة رح عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عثمان بن المختار ابو محمد المزني الواسطي يعرف بابن السقا سمع ابا يعلى الموصلي وابن ابي داود والبغوي وكان فهما حافظا دخل بغداد فحدث بها مجالس كثيرة من حفظه وكان يحضره الدارقطني وغيره من الحفاظ فلم ينكروا عليه شيئا غير انه حدث مرة عن ابي يعلى بحديث فانكروه عليه ثم وجدوه في اصله بخط الضبي كما حدث به فسوا فبرئ من عهدته

ثم دخلت سنة اربع وسبعين وثلثمائة

فيها جرى الصلح بين صمصامة الدولة الملقب بشمس الدولة وبين ابن عمه فخر الدولة

ابن ركن الدولة بن بويه وارسل الخليفة لفخر الدولة خلعا سنية وتحفا قال ابن الجوزي وفي رجب منها عمل عرس لقدر بن يمتاح فسقطت الدار على من فيها فهلك اكثر النساء ونبش من تحت الهدم فكانت المصيبة عامة وفيها كانت وفاة الحافظ ابي الفتح محمد بن الحسين ابن احمد بن الحسين ابي الفتح الازدي الموصلي المصنف في الجرح والتعديل وقد سمع الحديث من ابي يعلى وطبقته وضعفه كثير من حفاظ زمانه واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بويه حين قدم عليه بغداد فساقه باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل كان ينزل عليه في مثل صورة ذلك الامير فاجازه واعطاه دراهم كثيرة والعجب ان كان هذا صحيحا كيف راج هذا على احد ممن له ادنى فهم وعقل وقد ارخ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة وقيل انه توفي في سنة تسع وتسعين ستين

وممن توفي فيها من المشاهير

الخطيب ابن نباتة صاحب ديوان الخطب

ابو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الحذاقي نسبة الى بطن من قضاعة وقيل من اياد الفارقي خطيب حلب ايام سيف الدولة بن حمدان ولهذا اكثر ديوانه الخطب الجهادية ولم يسبق الى مثل ديوانه هذا ولا يلحق فيه الا ان يشاء الله تعالى لانه كان فصيحا بليغا ذكيا دينا ورعا روى الشيخ تاج الدين الكندي عنه انه خطب يوم جمعة بخطبة المنام ثم راى في ليلتها السبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه بين المقابر فلما اقبل عليه قال مرحبا يا خطيب الخطباء ثم اوما الى القبور فقال لابن نباتة كانهم لم يكونوا للعيون قرة ولم يعدوا في الاحياء مرة فتمم الكلام ابن نباتة حتى انتهى الى قوله يوم تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا واشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له احسنت احسنت ادنه فدنا فقبل وجهه وتفل في فيه وقال وفقك الله فاستيقظ وبه من السرور امر كبير وعلى وجهه بهاء ونور ولم يعش بعد ذلك الا ثمانية عشر يوما لم يستطعم فيها بطعام ويوجد منه مثل رائحة المسك حتى مات رحمه الله قال ابن الازرق الفارقي ولد ابن نباتة سنة خمس وثلثين وثلثمائة وتوفي سنة اربع وسبعين حكاه ابن خلكان

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة

فيها خلع الخليفة على صمصام الدولة وسوره وطوقه واركبه على فرس بسرج ذهب وبين يديه جنيب مثله وفيها ورد الخبر بان اثنين من سادة القرامطة وهما اسحاق وجعفر دخلا الكوفة في جحفل كبير فانزعجت النفوس بسبب ذلك وذلك لصرامتهم وشهامتهم ولان عضد الدولة مع شجاعته قد كان يصانعهم واقطعهم اراضي من ارض واسط وكذلك عز الدولة من قبله ايضا فجهز اليهم جيش من بغداد فطردوهم عن تلك النواحي التي قد اكثروا فيها الفساد وبطل ما كان في النفوس منهم ولله الحمد والمنة وفيها عزم صمصام الدولة على ان يضع مكسا على الثياب الابريسميات فاجتمع الناس بجامع المنصور وهموا بتعطيل الجمعة وانزعج الناس وكادت الفتنة تقع بينهم فاعفوا من ذلك ولله الحمد والمنة وفي ذي الحجة ورد الخبر بموت ابن مؤيد الدولة فجلس صمصام الدولة للعزاء وجاء اليه الخليفة الطايع في ثياب السواد والقراء والاولياء بين يديه فخاطبا في العزاء بالفاظ حسنة وانصرف

الخليفة راجعا الى داره وكان وقتا مشهودا وفيها توفي الشيخ ابو علي بن ابي هريرة واسمه الحسن بن الحسين احد مشايخ الشافعية وله اختيارات كثيرة غريبة وقد ترجمناه في الطبقات ولله الحمد الحسين بن علي بن محمد بن يحيى ابو احمد النيسابوري المعروف بحسينك كان تربيه عند ابن خزيمة وتلميذا له وكان يقدمه على اولاده ويقرا له وحده ما لم يقراه لغيره واذا تخلف ابن خزيمة عن مجالس السلطان بعث حسينك مكانه ولما توفي ابن خزيمة كان عمر حسينك ثلاثا وعشرين سنة ثم عمر بعده دهرا طويلا وكان من اكبر الناس عبادة وقراءة لا يترك قيام الليل في حضر ولا سفر ولا صيف ولا شتاء كثير الصدقات والبر والصلات وكان يحكي وضوء ابن خزيمة وصلاته ولم ير في الاغنياء احسن صلاة منه رحمه الله واكرم مثواه وصلى عليه الحافظ ابو احمد النيسابوري

ابو القسم الداركي

عبد العزيز بن محمد ابو القسم الداركي احد ائمة الشافعية في زمانه نزل نيسابور ثم سكن بغداد الى ان مات قال الشيخ ابو حامد الاسفرايني ما رايت افقه منه وحكى الخطيب البغدادي عنه انه كان يسال عن الفتوى فيجيب بعد تفكر طويل فربما كانت فتواه مخالفة لمذهب الشافعي وابي حنيفة فيقال له في ذلك فيقول ويلكم روى فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاخذ به اولى من الاخذ بمذهب الشافعي وابي حنيفة ومخالفتهما اسهل من مخالفة الحديث وقال القاضي ابن خلكان له في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه وكان يتهم بالاعتزال وكان قد اخذ الفقه عن الشيخ ابي اسحاق المروزي والحديث عن جده لامه الحسن بن محمد الداركي وهو احد مشايخ الشيخ ابي حامد الاسفرايني واخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيرهم من اهل الافاق وكانت وفاته في شوال وقيل في ذي القعدة من هذه السنة وقد نيف على السبعين رحمه الله محمد بن احمد بن محمد بن حسنويه ابو سهل النيسابوري ويعرف بالحسنوي كان فقيها شافعيا اديبا محدثا مشتغلا بما لا يعنيه رحمه الله محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح ابو بكر الفقيه المالكي سمع من ابي عروبة والباغندي وابن ابي داود وغيرهم وعنه البرقاني وله تصانيف في شرح مذهب مالك وانتهت اليه رياسة مذهبه وعرض عليه القضاء فاباه واشار بابي بكر الرازي الحنفي فلم يقبل الاخر ايضا وكانت وفاته في شوال منها عن ست وثمانين سنة رحمه الله

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة

قال ابن الجوزي في المحرم منها كثرت الحيات ببغداد فهلك خلق كثير ولسع خلق من ربيع وكان اليوم العاشر من تموز فوقع مطر كثير برعد وفي رجب غلت الاسعار ببغداد جدا وورد الخبر بانه كانت بالموصل زلزلة عظيمة سقط منها عمران كثيرة فيها ومات من اهلها امة عظيمة وفي هذه السنة وقع بين صمصام الدولة وبين اخيه شرف الدولة فاقتتلا فغلبه شرف الدولة واسره ودخل بغداد فتلقاه الخليفة وهناه بالسلامة ثم استدعى شرف الدولة بفراش ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته فكحل بعد موته وهذا من غريب ما وقع وفي ذي الحجة قبل قاضي القضاة ابو محمد بن معروف شهادة الحافظ ابي الحسن الدارقطني وابي محمد بن عقبة فذكر ان القاضي ندم على ذلك وقال كان يقبل قولي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدي فصار لا يقبل قولي على نقلي الا مع غيري

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة

في صفر منها عقد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة واعيان الدولة وجددت البيعة بين الطايع لله وبين شرف الدولة بن عضد الدولة وكان يوما مشهودا ثم في ربيع الاول منها ركب شرف الدولة من داره الى طياره الى دار الخليفة وزينت البلد وضربت الطبول والدبادب فخلع عليه الخليفة وطوقه وسوره واعطاه لوايين وعقد له على ما وراء داره واستخلفه على ذلك وكان في جملة من قدم مع شرف الدولة القاضي ابو عبيد الله بن احمد بن معروف فلما راه الخليفة قال له مرحبا بالاحبة

• مرحبا بالاحبة القادمينا • اوحشونا وطالما آنسونا •

فقبل الارض بين يدي الخليفة ولما انقضيت البيعة دخل شرف الدولة الى عند اخته امراة الخليفة فمكث عندها الى العصر والناس ينتظرونه ثم خرج وسار الى داره للتهنية وجاءه الخاصة والعامة يهنونه وفي هذه السنة اشتد الغلا جدا ثم لحقه فنا كثير فانا لله وانا اليه راجعون وفيها توفيت ام شرف الدولة وكانت تركية ام ولد فجاء الخليفة فعزاه بها وفيها ولد لشرف الدولة ابنان توامان فهني بهما

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن الحسين بن علي ابو حامد المروزي ويعرف بابن الطبري كان حافظا للحديث مجتهدا في العبادة متقنا بصيرا بالاثر متقنا فقيها حنفيا درس على ابي الحسين الكرخي وصنف كتبا في الفقه والتاريخ وولي قضاء القضاة بخراسان ثم دخل بغداد وقد علت سنه فحدث بها وكتب الناس عنه باملاء الدارقطني اسحاق بن المقتدر بالله وكانت وفاته ليلة الجمعة لسبع عشرة من ذي الحجة عن ستين سنة وصلى عليه ابنه القادر بالله وهو اذ ذاك امير ودفن في تربة جدته شغب ام المقتدر وحضر جنازته الامرا والحجاب والاعيان من جهة الخليفة ومن جهة شرف الدولة وارسل شرف الدولة من عزى الخليفة فيه واعتذر اليه من عدم الحضور لوجع حصل له جعفر بن المكتفي بالله وكان فاضلا توفي في هذه السنة ايضا رح ابو علي الفارسي النحوي الحسن بن احمد بن عبد الغفار بن سليمان ابو علي الفارسي النحوي صاحب المصنفات منها الايضاح والتكملة ولد ببلده ثم دخل بغداد وخدم الملوك وحظي عند عضد الدولة بحيث كان يقول انا غلام ابي علي في النحو وحصل له اموال وقد اتهمه قوم بالاعتزال وقد فضله قوم من النحاة من اصحابه على المبرد وممن اخذ عنه ابو عثمان بن جني وغيره وكانت وفاته في هذه السنة عن بضع وتسعين سنة رح ستيته بنت القاضي ابي عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي وتكنى امة الواحد قرات القران وحفظت الفقه والفرايض والحساب والدور والنحو وغير ذلك وكانت من اعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي وكانت تفتي به مع الشيخ ابي علي بن ابي هريرة وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة ومسارعة الى فعل الخيرات وقد سمعت الحديث وحدثت ايضا وكانت وفاتها في رمضان عن بضع وتسعين سنة

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائة

فيها في المحرم منها كثر الغلاء والفنا ببغداد فانا لله وانا اليه راجعون وفي شعبان

كثرت

كثرت الرياح العواصف بحيث هدمت شيا كثيرا من الابنية وغرقت شيا من السفن واحتملت بعض الزوارق فالقته بالارض من ناحية جوخى وهذا امر هايل وخطب شامل وفي هذا الوقت لحق اهل البصرة حر شديد بحيث سقط كثير من الناس في الطرق وماتوا من شدته

وممن توفي فيها

الحسن بن علي بن ثابت ابو عبد الله المقري الحافظ وكان اعمى وكان يحضر مجلس ابن الانباري فيحفظ ما يمليه كله وكان ظريفا حسن الراي وقد سبق الشاطبي الى قصيدة عملها في القراات السبع وذلك في حياة ابن النقاش المقري فكانت جيدة جدا وكذلك الشيوخ ذلك الزمان الخليل بن احمد القاضي شيخ الحنفية في زمانه وكان مقدما في الفقه والحديث سمع ابن خزيمة والبغوي وابن صاعد وغيرهم وهذا سمي النحوي المتقدم زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم ابو العباس الخرجاني بخا بين جيمين نسبة الى قرية من قرى قومس والجرجاني بجيمين وهم جماعة والخرجاني بخاء معجمة ثم جيم وقد حرر هذا الموضع الشيخ ابو الفرج ابن الجوزي في منتظمه

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة

فيها كانت وفاة شرف الدين بن عضد الدولة بن بويه الديلمي كان قد انتقل الى قصر معز الدولة عن اشارة الاطبا لصحة الهوا وذلك لشدة ما كان يجده من الداء فلما كان في جمادى الاولى تزايد به المرض ومات في هذا الشهر وقد عهد الى ابنه ابي نصر وجاء الخليفة في طيارة لتعزيته ابي نصر في والده شرف الدولة فتلقاه ابو نصر والترك والديلم بين يديه فقبل الارض بين يدي الخليفة وكذلك بقية العسكر والخليفة في الطيارة وهم يقبلون الارض الى ناحيته وجاء الرييس ابو الحسن علي بن عبد العزيز من عند الخليفة الى ابي نصر فبلغه تعزية الخليفة له فقبل الارض ايضا ثانيا وعاد الرسول الى الخليفة فبلغه شكر الامير ابي نصر ثم عاد الرسول من جهة الخليفة لتوديع ابي نصر فقبل الارض ثالثا ورجع ورجع الخليفة في طيارته الى داره فلما كان يوم السبت عاشر هذا الشهر ركب الامير ابو نصر الى حضرة الخليفة الطايع لله ومعه الاشراف والاعيان والقضاة والامرا وجلس الخليفة في الرواق فلما وصل الامير ابو نصر بن شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه خلع عليه الخليفة سبع خلع اعلاهن السواد وعمامة سودا وفي عنقه طوق وفي يديه سواران ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف والمناطق فلما حصل بين يدي الخليفة قبل الارض فاومى اليه بالجلوس فقبل الارض ثانية ووضع له كرسي فجلس عليه وكذا الرييس ابو الحسن علي بن عبد العزيز عهده وقدم الى الطايع لواه فعقده بيده ولقبه بها الدولة وضيا الملة ثم خرج من بين يديه والعسكر معه حتى عاد الى دار المملكة واقر الوزير ابا منصور بن صالحان على الوزارة وخلع عليه وفي هذه السنة بني جامع القطيعة قطيعة ام جعفر بالجانب الغربي من بغداد وكان اصل بنايه مسجدا ان امراة رات في المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك المكان يصلي ووضع يده في جدار هنالك فلما اصبحت ذكرت ذلك المنام فوجدوا اثر الكف في ذلك الموضع فبني مسجدا ثم

توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم رحمها الله ثم ان الشريف ابا احمد الموسوي جدد المسجد ووسعه وجعله جامعا واستاذن الخليفة الطائع لله في عقد جمعة فيه فاذن له فصلى الناس فيه في هذه السنة

وممن توفي في هذه السنة

شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ملك بغداد بعد ابيه وكان يحب الخير ويبغض الشر وامر بترك المصادرات وكان مرضه بالاستسقاء فتزايد به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة الثاني من جمادى الاخرة عن ثمان وعشرين سنة وخمسة اشهر وكانت مدة ملكه سنتين وثمانية اشهر وحمل تابوته الى تربة ابيه بمشهد علي وكلثم فيه تشيع محمد بن جعفر بن العباس بن جعفر ابو بكر النجار ويلقب غندار ايضا روى عن ابي بكر النيسابوري وطبقته وكان فهما يحفظ القران حفظا حسنا من ثقات الناس محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الكريم بن بديل ابو الفضل الخزاعي قدم بغداد وحدث بها قال الخطيب كانت له عناية بالقراآت وصنف اسانيدها ثم ذكر انه كان يخلط ولم يكن مامونا على ما يرويه وانه وضع كتابا في الحروف ونسبه الى ابي حنيفة فكتب الدارقطني وجماعة ان هذا الكتاب موضوع لا اصل له فافتضح وخرج من بغداد الى الجبل فاشتهر امره هناك وهبطت منزلته وقد كان يسمي نفسه اولا محمد ثم غيره الى محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن اياس ابو الحسن البزار الحافظ ولد في محرم سنة ثلثمائة ورحل الى بلاد شتى وسمع من ابن جرير والبغوي وخلق وروى عنه جماعة من الحفاظ منهم الدارقطني شيا كثيرا وكان يعظمه ويجله ولا يستند بحضرته وكان ابن مظفر ثقة ثبتا وكان قديما ينتقي على المشايخ ثم كانت وفاته يوم الجمعة ودفن يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الاولى والاخرة من هذه السنة

سنة ثمانين وثلثمائة

فيها قلد الشريف ابو احمد الحسين بن موسى الموسوي نقابة الاشراف الطالبيين والنظر في المظالم وامارة الحجيج وكتب عهده بذلك واستخلف له ولداه المرتضى ابو القسم والرضي ابو الحسين على النقابة وخلع عليهما من دار الخلافة وفيها تفاقم امر العيارين ببغداد وصار الناس احزابا في كل محلة امير مقدم واقتتل الناس واخذت الاموال واتصلت الكبسات واحترقت دور كبار ووقع حريق بالنهار في نهر الزجاج فاحترق بسببه شي كثير للناس

وممن توفي فيها من الاعيان

يعقوب بن يوسف ابو الفتوح بن كلس وزير صاحب مصر العزيز بن المعز الفاطمي كان سمحا فيها ذا همة عالية وتدبير جيد وكلمة نافذة عند مخدومه وقد فوض اليه امور سائر مملكته ولما مرض عاده العزيز ووصاه الوزير فيما يتعلق بامر مملكته ولما مات دفنه في قصره وتولى جثته بيده وحزن عليه كثيرا واغلق الديوان اياما من شدة حزن الملك عليه

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثلثمائة

فيها كان القبض على الخليفة الطائع لله وخلافة القادر بالله ابي العباس احمد بن الامير اسحاق ابن المقتدر بالله وكان ذلك في يوم السبت لتاسع عشر من شعبان من هذه السنة جلس

الخليفة

الخليفة على عادته في الرواق وقعد الملك بهاء الدولة على السرير ثم ارسل من اجتذب الخليفة بحمايل سيفه عن السرير ولفوه في كساء وحملوه الى الخزانة من دار المملكة واشتغل الناس بالنهب فلم يدر الناس ما الخطب ولا الخبر حتى ان كثيرا منهم يظن ان الملك بهاء الدولة هو الذي مسك فنهبت الخزائن والحواصل وشي كثير من اثاث دار الخلافة حتى اخذت ثياب الاعيان من القضاة والشهود ممن كان بدار الخلافة وجرت كاينة عظيمة جدا ورجع بهاء الدولة الى داره وكتب على الطائع كتاب بالخلع وشهد عليه الاشراف والقضاة انه قد خلع نفسه عن الخلافة وسلمها الى القادر بالله ونودي بذلك في الاسواق وشغب الدولة والاتراك وطالبوا برسم البيعة وراسلوا بهاء الدولة في ذلك وتطاول الامر الى يوم الجمعة فلم يتمكنوا من الدعاء له على المنبر بصريح اسمه بل قيل اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله ولم يسم ثم ارضى وجوههم واكابرهم واخذت البيعة على الجماعة واتفقت الكلمة وامر بهاء الدولة بتحويل جميع ما في دار الخلافة من الاواني والفرش وغير ذلك الى داره واباحت للعامة والخاصة فقلعوا ابوابها وشبابيكها وشعثوا اسبابها ثم شعثوا بغداد للحين ذلك مدة كلها والخليفة القادر بالله في ارض البطيحة قد هرب من الطائع لله حين كان يطلبه ولما ركب الى بغداد مانعته الديلم من الدخول اليها حتى يعطيهم رسم البيعة وجرت بينهم خطوب طويلة ثم رضوا ودخل بغداد وكان يوما مشهودا وكانت مدة هربه بارض البطيحة قريبا من ثلاث سنين وجلس في اليوم الثاني من مقدمه جلوسا عاما للتهنئة وسماع المدائح والقصائد وذلك في العشر الاخير من رمضان وفي العشر الاخير من شوال اجتمع الناس لبيعة بهاء الدولة وتفويض الخليفة اليه ما وراء بابه وكان يوما مشهودا ايضا وقد كان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء وسادات العلماء في ذلك الزمان وكان كثير الصدقة حسن الاعتقاد صنف عقيدة فيها فضائل الصحابة وغير ذلك فكانت تقرا في حلق اصحاب الحديث كل جمعة في جامع المهدي ويجتمع الناس لسماعها مدة خلافته وكان ينشد هذه الابيات ويترنم بها وهي لسابق البربري

سبق القضاء بكل ما هو كائن • والله يا هذا لرزقك ضامن
تعنى بما تكفى وتترك ما به • تعنى كانك للحوادث آمن
او ما ترى الدنيا ومصرع اهلها • فاعمل ليوم فراقها يا خاين
واعلم بانك لا ابا لك في الذي • اصبحت تجمعه لغيرك خازن
يا عامر الدنيا ليعمر منزلا • لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شي انت تعلم انه • حق وانت بذكره متهاون
ان المنية لا تؤامر من اتت • في نفسه يوما ولا تستاذن

وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم غدير خم جرت فتنة بين الروافض والسنة واقتتلوا فقتل خلق كثير واستظهر اهل البصرة وحرقوا اعلام السلطان فقتل جماعة اتهموا بذلك وصلبوا على القنطرة ليرتدع امثالهم وفي هذه السنة ظهر ابو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي امير مكة بها وادعى انه خليفة وسمى نفسه بالراشد بالله فمالاه اهل مكة وحصل له اموال من رجل اوصى له بها فانتظم امره بسببها وتقلد

سيفا زعم انه ذو الفقار واخذ في يده قضيبا زعم انه كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قصد بلاد الرملة ليستنصر بعرب الشام فتلقوه بالرحب وقبلوا له الارض
وسلموا عليه بامرة المومنين واظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود ثم
ان الحاكم صاحب مصر وكان قد قام بالامر بعد ابيه العزيز في هذه السنة كتب الى عرب
الشام ملطفات ووعدهم من الذهب بالوف وثياب وكذلك الى عرب الحجاز واستناب
على مكة اميرا وبعث اليه بجايزة وخمسين الف دينار فانتظم امر الحاكم وتفرق شمل
الراشد وتسحب الى بلاده كما بدا منها وعاد اليها كما رحل عنها واضمحل حاله وتقطعت
حباله

وممن توفي فيها

احمد بن الحسين بن مهران ابو بكر المقرئ وكانت وفاته في شوال منها عن ست وثمانين
سنة واتفق انه مات في يوم وفاته ابو الحسن العامري الفيلسوف فراى بعض الصالحين
احمد بن الحسين هذا في المنام فقال له يا استاذ اي شي فعل الله بك فقال اقام ابا
الحسن العامري الى جانبي وقال هذا فداوك من النار عبد الله بن احمد بن معروف ابو محمد
قاضي القضاة ببغداد روى عن ابن صاعد وعنه الخلال والازهري وغيرهما وكان من
العلما الثقات الالبا العقلا الفطنا حسن الشكل جميل الملبس عفيفا عن الاموال
رحمه الله وكان عمره يوم توفي خمسا وسبعين سنة وصلى عليه ابو احمد الموسوي فكبر خمسا ثم
صلى عليه ابنه بجامع المنصور فكبر اربعا ثم دفن في داره سامحه الله ورحمه وايانا امين
جوهر بن عبد الله القايد باني القاهرة المعزية واصله رومي ويعرف بالكاتب ارسله
مولاه المعز بن المنصور بن القايم بن المهدي المدعي انه فاطمي من افريقية لاخذ بلاد مصر عند
اضطراب جيشها بعد موت كافور الاخشيذي فقاموا عليهم احمد بن علي بن الاخشيذ فلم
يحفلوا عليه فارسل بعضهم الى المعز يستنجد به فارسل مولاه جوهرا هذا في ربيع الاول
من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فوصل الى القاهرة في شعبان في مائة الف مقاتل
ومعه من الاموال الف ومايتا صندوق لينفقه في ذلك فانزعج الناس وارسلوا يطلبون
منه الامان فامنهم فلم يرض الجيش بذلك وبرزوا لقتاله فكسرهم وجدد الامان لاهلها
ودخلها يوم الثلثا لثمان عشرة خلت من شعبان فنزل مصر ونزل في مكان القاهرة
اليوم واسس من ليلته القصرين وخطب يوم الجمعة الاتية فقطع خطبة بني
العباس وعوض بمولاه وذكر الايمة الاثني عشر وامر بان يحي على خير العمل وكان يظهر الاحسان
الى الناس ويجلس كل يوم سبت مع الوزير جعفر بن الفرات والقاضي واجتهد في تكميل
القاهرة وفرغ من جامعها سريعا وخطب به في سنة احدى وستين وهو جامع الازهر
وارسل جعفر بن فلاح الى الشام فاخذها للمعز وقدم مولاه المعز في سنة ثنتين وستين
كما تقدم فنزل بالقصرين ولم تزل منزلته عالية عنده ثم كانت وفاته في سنة احدى
وثمانين هذه وقام في منصبه وعظمته ابنه الحسين الذي كان يقال له قايد القواد
وهو اكبر امراء الحاكم ثم ابدا العزيز بن نعمان واظن هذا القاضي مصنف البلاغ
الاكبر والناموس الاعظم الذي فيه من الكفر ما لم يصل ابليس الى مثله وقد رد على هذا
الكتاب القاضي ابو بكر بن الباقلاني رحمه الله

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلثمائة

في عاشر

في عاشر المحرم منها رسم الوزير ابو الحسن علي بن محمد الكوكبي ويعرف بابن المعلم وكان قد استحوذ
على امور السلطان لاهل الكرخ وباب الطاق من الرافضة بان لا يفعلوا شيا من تلك
البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشورا من تعليق المسوح وتغليق الاسواق والنياحة
على الحسين فلم يفعلوا شيا من ذلك ولله الحمد وكان هذا الرجل من اهل السنة الا انه كان
طماعا ورسم بان لا يقبل احد من الشهود ممن استحدث عدالته بعد ابن معروف وكان كثير
منهم قد بذل اموالا جزيلة في ذلك فاحتاجوا الى ان جمعوا له شيا فوقع لهم بالاستمرار
ولما كان في جمادى الاخرة شغبت الديلم والترك على ابن المعلم هذا وخرجوا بخيامهم
الى باب الشماسية وراسلوا بها الدولة ليسلمه اليهم لسوء معاملته اياهم فدافع
عنه السلطان مدة فعظمت القضية في مراسلات متعددة ولم يزالوا به راسلونه في امره حتى
خنق ابو الحسن بن المعلم في حبل ومات ودفن بالمخرم رحمه الله وفي رجب من هذه السنة سلم
الخليفة الطايع لله الذي خلع الى امير المومنين خليفة الوقت ابي العباس القادر بالله
فامر بوضعه في حجرة من دار الخلافة وان يجري عليه الارزاق والتحف والالطاف مما
يستعمله الخليفة القادر من ماكل وملبس وطيب ووكل به من يحفظه ويخدمه وكان
يتعنت ويعتب على القادر بالله في تقلله من الماكل والملبس فرتب له من يخدمه
ويحضر له ما يشتهيه من سائر الانواع ولم يزل كذلك حتى توفي وهو في السجن رحمه الله
وفي شوال من هذه السنة ولد للخليفة القادر بالله ولد ذكر وهو ابو الفضل محمد بن
القادر بالله وقد ولاه العهد من بعده وسماه الغالب بالله فلم يتم له الامر وفي
هذا الوقت غلت الاسعار ببغداد حتى ابيع رطل الخبز باربعين درهما والجوزة بدرهم
وفي ذي القعدة قدم صاحب الاصيفر الاعرابي والتزم بحراسة الحجاج في ذهابهم وايابهم
وبشرط ان يخطب للقادر من اليمامة والبحرين الى الكوفة فاجيب الى ذلك
واطلقت له الخلع والاموال والالوية

وممن توفي فيها من الاعيان

محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ ابو عمر الخزاز المعروف
بابن حيويه سمع البغوي والباغندي وابن صاعد وخلقا كثيرا وروى عنه الدارقطني
وسمع منه الاعيان وكان ثقة دينا متيقظا ذا مروة وكتب من الكتب الكبار كثيرا
بيده وكانت وفاته في ربيع الاخر من هذه السنة وقد قارب التسعين ابو احمد
العسكري الحسن بن عبد الله بن سعيد ابو احمد العسكري احد الايمة في اللغة والادب
والنحو والنوادر وله في ذلك تصانيف مفيدة منها التصحيف وغيره وكان الصاحب
ابن عباد يود الاجتماع به فسافر الى عسكر مكرم حتى اجتمع به واكرمه وراسله بالاشعار
توفي فيها وله تسعون سنة كذا ارخه القاضي ابن خلكان في هذه السنة وذكره ابن
الجوزي فيمن توفي سنة سبع وثمانين كما سياتي

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة

فيها امر القادر بالله بعمارة مسجد الحربية وكسوته وان يجري مجرى الجوامع في الخطبة وغيرها
وذلك بعد ان استفتى العلما في جواز ذلك فلما افتوه به فعله وامر به قال
الخطيب البغدادي ادركت الجمعة تقام ببغداد في مسجد المدينة ومسجد الرصافة

ومسجد دار الخلافة ومسجد براثا ومسجد قطيعة أم جعفر ومسجد الحربية قال
ولم يزل الأمر على هذا إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة فتعطلت من مسجد براثا
وفي جمادى الأولى فرغ من الجسر الذي بناه بهاء الدولة في مشرعة القطانين واجتاز
عليه هو بنفسه وقد زين المكان واحتفل به وفي جمادى الآخرة شعثت الديلم والأتراك
لتأخر العطاء عنهم وغلاء الأسعار وراسلوا بهاء الدولة فأرسل يعتذر إليهم ويعللهم
وفي يوم الخميس الثاني من ذي القعدة من هذه السنة تزوج الخليفة سكينة بنت
بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار وكان وكيل أبيها الشريف أبو أحمد الموسوي وقد
توفيت هذه المرأة قبل دخول الخليفة عليها ووصولها إليه وفي هذه السنة ابتاع الوزير
أبو نصر سابور بن أردشير دارا بالكرخ وجدد عمارتها وبيضها ونقل إليها كتبا كثيرة ووقفها
على الفقهاء وسماها دار العلم وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء والله أعلم
وارتفعت الأسعار في أواخر هذه السنة جدا وضاق الحال وجاع العيال فلله الحمد على كل حال
وممن توفي فيها أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران أبو بكر البزاز سمع
الكثير من البغوي وابن صاعد وابن دريد وابن أبي داود وعنه الدارقطني والبرقاني
والأزهري وغيرهم وكان ثقة ثبتا صحيح السماع كثير الحديث متحريا ورعا توفي في هذه
السنة عن خمس وثمانين

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلثمائة

فيها عظم الخطب بأمر العيارين وعاثوا ببغداد فسادا وأخذوا العملات ليلا ونهارا
وحرقوا أماكن كثيرة منها وأخذوا من الأسواق الجبايات وتطلبهم الشرط فلم يفد ذلك
شيئا ولا فكروا فيهم بل استمروا على ما هم عليه من أخذ الأموال وقتل الرجال وإرعاب النساء
والأطفال في سائر المحال فلما تفاقم الحال بهم تطلبهم السلطان بهاء الدولة وألح في طلبهم
فهربوا بين يديه واستراح الناس من شرهم وفي ذي القعدة عزل الشريف أبو أحمد
الحسين بن موسى الموسوي وولداه اللذان كانا وليي عهده من بعده عن نقابة الطالبيين
ورجع ركب العراق في هذه السنة من أثناء الطريق بعدما فاتهم وقت الحج وذلك أن الأصيفر
الأعرابي الذي كان قد تكفل بحراستهم اعترض لهم في أثناء الطريق وذكر لهم أن الدنانير
التي كانت أطلقت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية وأنه يريد من الحجيج بدلها
وإلا لم يتركهم يجاوزوا هذا الموضع فمانعوه وراجعوه فحبسهم عن المسير حتى ضاق
الوقت ولم يبق منه ما أن يلحقوا الحج فيه فرجعوا إلى بلادهم ولم يحج منهم أحد وكذلك لم يحج
من الركب الشامي ولا أهل اليمن أحد وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة وفي يوم عرفة
قلد الشريف أبو الحسين علي بن أبي تمام الزينبي نقابة العباسيين وقرئ عهده بين
يدي الخليفة بحضرة القضاة والأعيان

وممن توفي فيها من الأعيان

الصابي الكاتب المشهور صاحب التصانيف إبراهيم بن هلال بن زهرون بن حبون
أبو إسحاق الحراني كاتب الرسائل للخليفة ولعز الدولة بن بويه وكان على دين الصابئة إلى
حين مماته وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن حفظا حسنا ويستعمل منه في الرسائل
وكانوا يحرصون عليه أن يسلم فلا يفعل وله شعر جيد قوي كانت وفاته في شوال من هذه

السنة وقد جاوز السبعين وقد رثاه الشريف الرضي قال أغار ثبت فضائله
عبيد الله بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البستي الزاهد ورث من آبائه أموالا كثيرة
فأنفقها كلها في وجوه الخير والقربات وكان كثير العبادة يقال إنه مكث سبعين سنة
لا يستند إلى حائط ولا إلى شيء ولا يتكئ على وسادة وحج من نيسابور ماشيا حافيا ودخل الشام
وأقام ببيت المقدس شهورا ثم دخل مصر وبلاد المغرب وحج من هناك ثم رجع إلى بلده
بست وكانت له بقية أموال وأملاك فتصدق بها ولما حضرته الوفاة جعل يتألم
ويتوجع فقيل له ما هذا فقال أرى بين يدي أمورا هائلة ولا أدري كيف أنجو منها وكانت
وفاته في المحرم من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة وليلة موته رأت امرأة أمها بعد
وفاتها وعليها ثياب حسان وزينة فقالت يا أمه ما هذا فقالت نحن في عيد لقدوم
عبيد الله الزاهد علينا علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسين النحوي المعروف بالرماني روى
عن ابن دريد وكانت له يد طولى في النحو واللغة والمنطق والكلام وله تفسير كبير وشهد
عند ابن معروف فقبله وروى عنه التنوخي والجوهري توفي عن ثمان وثمانين سنة ودفن
في الشونيزية عند قبر أبي علي الفارسي قال ابن خلكان والرماني نسبة إلى بيع الرمان
أو إلى قصر الرمان بواسط محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات أبو الحسن الكاتب
المحدث الثقة المأمون قال الخطيب البغدادي كان ثقة كتب الكثير وجمع ما لم يجمعه
أحد في وقته بلغني أنه كتب مائة تفسير ومائة تاريخ وخلف ثمانية عشر صندوقا مملوءة كتبا
أكثرها بخطه سوى ما سرق منه وكان خطه في غاية الصحة ومع هذا كانت له جارية تعارض
معه ما يكتبه رح محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله أبو عبد الله الكاتب المعروف
بابن المرزبان روى عن البغوي وابن دريد وغيرهما وكان صاحب أخبار وآداب صنف كتبا
كثيرة في فنون مستحسنة وكان مشايخه وغيرهم يحضرون عنده ويبيتون في داره
في فرش وأطعمة وغير ذلك وكان عضد الدولة إذا مر بداره لا يجتاز حتى يرسل إليه فيخرج
فيسلم عليه وكان أبو علي الفارسي يقول هو من محاسن الدنيا وقال العتيقي كان ثقة وقال
الأزهري ما كان ثقة وقال ابن الجوزي لم يكن من الكذابين وإنما كان فيه تشيع واعتزال
ويخلط السماع بالإجازة وبلغ ثمانيا وثمانين سنة رح

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلثمائة

فيها استوزر فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبي الملقب
بالكافي وذلك بعد وفاة الصاحب إسماعيل بن عباد وكان من مشاهير الوزراء وفيها قبض
بهاء الدولة على القاضي عبد الجبار وصادره بأموال جزيلة وكان من جملة ما بيع في المصادرة
ألف طيلسان وألف ثوب معزلي وحج بالناس في هذه السنة وما قبلها وما بعدها
المصريون والخطبة لهم في الحرمين

وممن توفي فيها من الأعيان

الجوهري صاحب الصحاح إسماعيل بن حماد الصاحب بن عباد وهو إسماعيل بن عباد بن
عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني أبو القاسم الوزير الشهير الملقب بكافي
الكفاة وزر لمؤيد الدولة وفخر الدولة ابني ركن الدولة بن بويه وقد كان من العلم والفضيلة
والبراعة والكرم والإحسان إلى العلماء على جانب عظيم كان يبعث في كل سنة بخمسة

الاف دينار تفرق على اهل العلم وله في الادب اليد الطولى وله مصنفات في فنون من العلم وانشى كتبا كثيرة كانت تحمل على اربعمائة بعير ولم يكن في وزراء بني بويه الديلم مثله ولا قريب منه في مجموع فضائله وقد كانت دولة بني بويه مائة وعشرين سنة وكانت وزارته ثمانية عشر سنة واشهرا وفتح خمسين قلعة لمخدومه مؤيد الدولة وابنه فخر الدولة بصرامته وشهامته وحسن تدبيره وجودة آرائه وكان يحب العلوم الشرعية ويبغض الفلسفة وما يشبهها من الآراء البدعية وقد مرض مرة بالاسهال فكان كلما قام عن الطست وضع عنده عشرة دنانير لئلا يتبرم به الفراشون فكانوا يودون لو طالت علته ولما عوفي انهب داره للفقراء وكان قيمة ما يحتوي عليه نحوا من خمسين الف دينار وقد سمع الحديث من المشايخ الجياد عوالي الاسناد وعقد له في وقت مجلس للاملاء فاحتفل الناس بحضوره لوجوه من الامراء فلما خرج لبس زي الفقهاء واشهد على نفسه بالتوبة والانابة مما يعانيه من امور السلطان وذكر للناس انه كان ياكل من حين نشا الى يومه هذا من اموال ابيه وجده ولكن يخالط السلطان وهو تائب مما يمارسه من شؤونه واتخذ بيتا في داره سماه دار التوبة ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته وحين حدث استملى عليه جماعة لكثرة مجلسه فكان في جملة من كان يكتب ذلك اليوم من الطلبة القاضي عبد الجبار الهمداني واضرابه ومن شابههم من رؤوس الفضلاء وسادات المحدثين والفقهاء وقد بعث اليه قاضي قزوين بهدية كتب سنية وكتب معها

العميدي عبد كافي الكفاة • وان اعتد في وجوه القضاة •
خدم المجلس الرفيع بكتب • منعمات من حسنها مترعات •

فلما وصلت اليه اخذ منها كتابا واحدا ورد باقيها وكتب تحتها البيتين

قد قبلنا من الجميع كتابا • ورددنا لوقتها الباقيات •
لست استغنم الكثير وطبعي • قول خذ ليس مذهبي قول هات •

وجلس الوزير ابن عباد مرة في مجلس شراب فناوله الساقي كاسا فلما اراد شربها قال له بعض خدامه يا سيدي ان هذا الذي في يدك مسموم فقال وما الشاهد على صحة قولك قال تجربته قال فيمن قال في الساقي قال ويحك لا استحل ذلك قال ففي دجاجة قال ان التمثيل بالحيوان لا يجوز ثم امر بصب ما في ذلك القدح وقال للساقي لا تدخل داري بعد هذا ولم يقطع عنه معلومه بعد هذا وقد عمل عليه الوزير ابو الفتح بن ذي الكفايتين حتى عزله عن وزارة مؤيد الدولة في وقت وباشرها عوضه واستمر مدة ثم بينما هو ليلة في بعض ايامه قد اجتمع عنده اصحابه وهو في انس وسرور قد هيا لهم مجلسا حافلا بانواع اللذات من الماكل والمشارب والملابس والتحف وقد نظم ابياتا والمغنون يلحنونها له وهو في غاية الطرب والسرور والفرح وهي هذه

دعوت الهنا ودعوت العلا • فلما اجاب دعوت القدح •
وقلت للايام شرخ الشباب • الي فهذا اوان الفرح •
اذا بلغ المرء اماله • فليس له بعدها مقترح •

ثم قال لاصحابه باكروني غدا الى الصبوح ونهض الى بيت منامه فما اصبح حتى قبض عليه مؤيد الدولة واخذ جميع ما في داره من الحواصل والاموال وجعله مثلة في العباد

واعاد الى وزارته الصاحب بن عباد احسن الله اليه يوم المعاد وقد ذكر ابن الجوزي ان الصاحب بن عباد حين حضرته الوفاة جاءه الملك فخر الدولة بن مؤيد الدولة يعوده ليوصيه في اموره فقال له اني موصيك ان تستمر الامور على ما تركتها عليه ولا تغيرها فانك ان استمررت بها نسبت اليك من اول الامر الى آخره وان غيرتها وسلكت غيرها نسب الخير المتقدم الي لا اليك وانا احب ان يكون نسبة الخير اليك وان كنت انا المشير بها عليك فاعجبه منه ذلك واستمر على ما وصاه به من الخير وكانت وفاته في عشية يوم الجمعة لست بقين من صفر قال ابن خلكان وهو اول من سمي من الوزراء بالصاحب ثم استعمل بعده فيهم وانما سمي بذلك لكثرة صحبته الوزير ابي الفضل بن العميد فكان يقال له صاحب ابن العميد ثم اطلق عليه ايام وزارته وقال الصابي في كتاب التاجي انما سماه الصاحب مؤيد الدولة بن بويه لانه كان صاحبه من الصغر وكان يسميه آكفا فلما ملك واستوزر ابن عباد سماه الصاحب فاشتهر به وتسمى به الوزراء بعده ثم ذكر ابن خلكان قطعة صالحة من مكارمه وفضائله وثناء الناس عليه وعدد له مصنفات كثيرة منها كتاب المحيط في اللغة في سبع مجلدات يحتوي على اكثر اللغة ومن شعره اشياء منها في الخمر قوله وهو معنى لطيف

رق الزجاج ورقت الخمر • وتشابها فتشاكل الامر •
فكانما خمر ولا قدح • وكانما قدح ولا خمر •

قال ابن خلكان وكانت وفاته بالري في هذه السنة وله نحو ستين سنة ونقل الى اصبهان رح

الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد ابو محمد الاديب كان شاعرا متمولا كثير المكارم روى عن علي بن محمد بن سعيد الموصلي وعنه الصوري وكان صدوقا وهو الذي انزل المتنبي في داره حين قدم بغداد واحسن اليه واجرى عليه النفقات حتى قال له المتنبي لو كنت مادحا تاجرا لمدحتك وقد كان ابو محمد هذا شاعرا ماهرا فمن شعره الجيد قوله

شريف المعالي غير منتظر بها • كسادا ولا سوقا تقام لها اخرى •
وما انا من اهل المكاسب كلما • توفرت الاثمان كنت لها اشرى •

ابن شاهين الواعظ

عمر بن احمد بن عثمان بن احمد بن ايوب بن ازداذ ابو حفص بن شاهين الواعظ المشهور سمع الكثير وحدث عن الباغندي وابي بكر بن ابي داود والبغوي وابن صاعد وخلق وكان ثقة امينا يسكن الجانب الشرقي من بغداد وكانت له المصنفات العديدة المعتمدة ذكر عنه انه صنف ثلثمائة وثلاثين مصنفا من ذلك التفسير في الف جزء والمسند في الف وخمسمائة جزء والتاريخ في مائة وخمسين جزءا والزهد في مائة جزء وكانت وفاته في ذي الحجة منها وقد قارب التسعين سنة رح

الحافظ الدارقطني

علي بن عمر بن احمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله ابو الحسن الدارقطني الحافظ الكبير استاذ هذه الصناعة في زمانه وقبله مدة وبعده الى زماننا هذا سمع الكثير وجمع وصنف والف واجاد وافاد واحسن النظر والتعليل

والانتقاد والاعتقاد وكان فريد عصره ونسيج وحده وامام دهره في اسماء الرجال وصناعة التعليل والجرح والتعديل وحسن التصنيف والتأليف واتساع الرواية والاطلاع التام في الدراية له كتاب السنن المشهور من احسن المصنفات في بابه لم يسبق الى مثله ولا يلحق في شكله الا من استمد من بحره وعمل كعمله وله كتاب العلل بين فيه الصواب من الزلل والمتصل من المرسل والمنقطع والمعضل وكتاب الافراد الذي لا يفهمه فضلا عن ان ينظمه الا من هو من الحفاظ الافراد والائمة النقاد والجهابذة الجياد وله غير ذلك من المصنفات التي هي كالعقود في الاجياد وقد كان الدارقطني من صغره موصوفا بالحفظ الباهر جلس مرة في مجلس اسماعيل الصفار وهو يملي على الناس الاحاديث والدارقطني ينسخ في جزء حديث فقال له بعض المحدثين في اثناء المجلس ان سماعك لا يصح وانت تنسخ فقال الدارقطني فهمي للاملاء خلاف فهمك اتحفظ كم املى حديثا قال لا فقال انه املى ثمانية عشر حديثا الى الآن فالحديث الاول منها عن فلان عن فلان ثم سردها كلها باسانيدها والفاظها فتعجب الناس منه رحمه الله وقال الحاكم ابو عبد الله النيسابوري لم ير الدارقطني مثل نفسه قال ابن الجوزي وقد اجتمع له مع معرفة الحديث العلم بالقراءات والنحو والفقه والشعر مع الامانة والعدالة وصحة العقيدة وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء السابع من ذي القعدة من هذه السنة وله من العمر تسع وسبعون سنة ويومان ودفن من الغد بمقبرة معروف الكرخي رحمه الله قال القاضي ابن خلكان وقد رحل الى الديار المصرية فاكرمه الوزير ابو الفضل جعفر بن الفضل بن حنزابة وزير كافور الاخشيدي وساعده هو والحافظ عبد الغني على اكمال مسنده فحصل للدارقطني منه مال جزيل قال والدارقطني نسبة الى دار القطن وهي محلة كبيرة ببغداد وقال عبد الغني بن سعيد المصري لم يتكلم على الاحاديث مثل علي بن المديني في زمانه وموسى بن هارون في زمانه والدارقطني في زمانه وسئل الدارقطني هل رأى مثل نفسه فقال اما في فن واحد فربما رأيت من هو افضل مني واما فيما اجتمع لي من الفنون فلا وقد روى الخطيب البغدادي عن الامير ابي نصر علي بن هبة الله بن ماكولا قال رأيت في المنام كأني اسأل عن حال ابي الحسن الدارقطني وما آل اليه امره في الآخرة فقيل لي ذاك يدعى في الجنة الامام

عباد بن عباس بن عباد ابو الحسن الطالقاني والد الوزير اسماعيل بن عباد سمع ابا خليفة الفضل بن الحباب وغيره من البغداديين والاصبهانيين والرازيين وغيرهم وحدث عنه ابنه الوزير ابو القاسم وابو بكر بن مردويه ولعباد هذا كتاب في احكام القرآن وقد اتفق موته وموت ابنه في هذه السنة رحمهما الله

عقيل بن محمد عبد الواحد ابو الحسن الاحنف العكبري الشاعر المشهور له ديوان مفرد ومن مستجاد شعره ما ذكره الشيخ ابو الفرج بن الجوزي في المنتظم قوله

اقنى على تجني الاجل • عذل العذول اذا عذل •
واشد من عذل العذول • صدود ذا الف قد وصل •
واشد من هذا وذا • طلب النوال من السفل •

ومن ذلك قوله

من اراد الملك • والراحة من هم طويل •

فليكن

فليكن فردا من الناس ويرضى بالقليل •
ويرى بالحزم ان الحزم في ترك الفضول •
ويداوي مرض الوحدة بالصبر الجميل •
لا يماري احدا ما عاش في قال وقيل •
يلزم الصمت فان الصمت تهذيب العقول •
يذر الكبر لاهليه ويرضى بالخمول •
اي عيش لامرئ يصبح في حال ذليل •
بين قصد من عدو ومداراة جهول •
واعتلال من صديق وتجن من ملول •
واحتراس من ظنون السوء او عذل العذول •
ومماشاة بغيض ومقاساة ثقيل •
اف من معرفة الناس على كل سبيل •
وتمام الامر لا يعرف سمحا من بخيل •
فاذا اكمل هذا كان في ملك جليل •

محمد بن عبد الله بن سكرة ابو الحسن الهاشمي من ولد علي بن المهدي وكان شاعرا اديبا خليعا ظريفا وكان ينوب في نقابة الهاشميين فترافع اليه رجل اسمه علي وامرأة اسمها عائشة يتحاكمان في جمل فقال لهذه قضية لا احكم فيها بشيء لئلا يعود الحال جذعة ومن مستجاد شعره ولطيفه قوله

في وجه انسانة كلفت بها • اربعة ما اجتمعن في احد •
الوجه بدر والصدغ غالية • والريق خمر والثغر من برد •

ومن مجون شعره قوله وقد دخل حماما فسرقت نعليه فعاد الى منزله حافيا

اليك اذم حمام ابن موسى • وان فاق المنى طيبا وحرا •
تكاثرت اللصوص عليه حتى • ليحفى من يطيف به ويعرى •
ولم افقد به ثوبا ولكن • دخلت محمدا وخرجت بشرا •

يوسف بن عمر بن مسرور ابو الفتح القواس سمع البغوي وابن ابي داود وابن صاعد وغيرهم وعنه الخلال والعشاري والتنوخي وغيرهم وكان ثقة نبيلا يعد من الابدال قال الدارقطني كنا نتبرك به وهو صغير وكانت وفاته لثلاث بقين من ربيع الآخر عن خمس وثمانين سنة ودفن بباب حرب يوسف بن ابي سعيد السيرافي ابو محمد النحوي ابن النحوي وهو الذي تمم شرح ابيه لكتاب سيبويه وكان يرجع الى علم ودين وكانت وفاته في ربيع الاول منها عن خمس وخمسين سنة

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلثمائة

في المحرم من هذه السنة كشف اهل البصرة عن قبر عتيق فاذا هم بميت طري عليه ثيابه وسيفه فظنوه الزبير بن العوام فاخرجوه وكفنوه واتخذوا عند قبره مسجدا ووقفت عليه اوقاف كثيرة وجعل عنده خدام وقوام وفرش وتنوير وفيها ملك الحاكم العبيدي بلاد مصر بعد ابيه العزيز بن المعز الفاطمي وكان عمره اذ ذاك احدى عشرة سنة

وستة اشهر وقام بتدبير المملكة ارجوان الخادم ورأس الدولة الحسن بن عمارة الكتامي
فلما تمكن الحاكم قتلهما واقام غيرهما ثم قتل خلقا حتى استقام له الامر على ما سنذكره
وحج في هذه السنة المصريون والخطبة لهم

وممن توفي فيها

احمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه ابو حامد بن ابي اسحاق المزكي النيسابوري سمع الاصم وطبقته وكان كثير العبادة من صغره الى كبره وصام من دهره سردا نيفا وعشرين سنة قال الحاكم وعندي ان الملك لم يكتب عليه خطيئة توفي في شعبان من هذه السنة عن ثلاث وستين

ابو طالب المكي

صاحب قوت القلوب

محمد بن علي بن عطية ابو طالب المكي الواعظ المذكر الزاهد المتعبد الرجل الصالح سمع الحديث وروى عنه غير واحد قال العتيقي كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة وصنف كتابا سماه قوت القلوب وذكر فيه احاديث لا اصل لها وكان يعظ الناس في الجامع ببغداد وحكى ابن الجوزي ان اصله من الجبل وانه نشأ بمكة وانه دخل البصرة بعد وفاة الحسن بن سالم فانتمى الى مقالته وقدم بغداد فاجتمع عليه الناس وعقد له مجلس الوعظ فغلط في كلامه وحفظ عنه انه قال ليس على المخلوقين اضر من الخالق فبدعه الناس وهجروه وامتنع من الكلام على الناس وقد كان ابو طالب ممن يبيح السماع فدخل عليه عبد الصمد بن علي فعاتبه في ذلك فانشد ابو طالب

فيا ليل كم فيك من متعة ... ويا صبح ليتك لم تقرب

فخرج عبد الصمد مغضبا وقال القسم بن بشران دخلت على شيخنا ابو طالب المكي وهو يموت فقلت له اوصني فقال اذا ختم لي بخير فانثر على جنازتي لوزا وسكرا فقلت وكيف اعلم ذلك قال اجلس عندي ويدك في يدي فان قبضت على يدك فاعلم انه قد ختم لي بخير قال فجلست عنده ويدي في يده فلما كان في اخر امره قبض على يدي قبضا شديدا فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسكر على نعشه قال ابن الجوزي توفي في جمادى الاخرة من هذه السنة وقبره ظاهر بالقرب من جامع الرصافة

العزيز صاحب مصر

نزار بن المعز معد بن تميم ويكنى نزار بابي منصور ويلقب بالعزيز توفي عن ثنتين واربعين سنة منها ولايته بعد ابيه احدى وعشرون سنة وخمسة اشهر وعشرة ايام وقام بالامر من بعده ولده الحاكم قبحه الله والحاكم هو الذي ينتسب اليه الفرقة الضالة المضلة الزنادقة الحاكمية واليه تنسب اهل وادي التيم من الدرزية اتباع هشتكين غلام الحاكم الذي بعثه اليهم يدعوهم الى الكفر المحض فاجابوه لعنه الله واياهم اجمعين واما العزيز هذا فانه قد كان استوزر رجلا نصرانيا يقال له عيسى بن نسطورس واخر يهوديا اسمه ميشا فعز بسببهما اهل هاتين الملتين في ذلك الزمان على المسلمين حتى كتبت اليه امرأة قصة في حاجة لها تقول فيها بالذي اعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بميشا واذل المسلمين بك الا كشفت عن ظلامتي

فعند ذلك

فعند ذلك امر بالقبض على هذين واخذ من النصراني ثلثمائة الف دينار وفيها توفيت بنت عضد الدولة التي كانت زوجة الطائع لله فحملت تركتها الى ابن اخيها بهاء الدولة فكان فيها جوهر كثير

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلثمائة

فيها توفي فخر الدولة ابو الحسن علي بن ركن الدولة بن بويه وترتب ولده رستم في الملك بعده وعمره اربع سنين وقام خواص ابيه بتدبير الممالك في الرعايا وممن توفي فيها ابو احمد العسكري اللغوي الحسن بن عبد الله بن سعيد ابو احمد العسكري اللغوي العلامة في فنه وفنون له التصانيف المفيدة في اللغة وغيرها ويقال انه كان يميل الى المعتزلة ولما قدم الصاحب بن عباد مع فخر الدولة البلدة التي كان فيها ابو احمد العسكري وقد كبر واسن بعث اليه الصاحب رقعة فيها هذه الابيات

ولما ابيتم ان تزوروا وقلتم ... ضعفنا فما نقوى على الوخدان
اتيناكم من بعد ارض نزوركم ... فكم منزل بكر لنا وعوان
نناشدكم هل من قرى لنزيلكم ... بطول جوار لا بملء جفان

فكتب العسكري في ظهرها

اروم نهوضا ثم يثني عزيمتي ... تعود اعضائي من الرجفان
فضمنت بيت ابن الرشيد كانما ... تعمد تشبيهي به وعناني
اهم بامر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

ثم تحامل وركب بغلته وسار الى الصاحب فوجده مشغولا في خيمته بابهة الوزارة فصعد الى اكمة ثم نادى باعلى صوته متمثلا بقول ابي تمام

مالي ارى القبة الفيحاء مقفلة ... دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها
كانها جنة الفردوس معرضة ... وليس لي عمل زاك فادخلها

فلما سمع صوته الصاحب ناداه ادخلها يا ابا احمد فلك السابقة الاولى فلما صار اليه وقدم عليه وتمثل بين يديه احسن اليه توفي العسكري يوم التروية من هذه السنة وقال ابن خلكان ولد سنة ثلث وتسعين ومائتين وتوفي سنة ثنتين وثمانين

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران ابو القسم الشاهد المعروف بابن الثلاج لان جده اهدى لبعض الخلفاء ثلجا فوقع منه موقعا فعرف عند الخليفة بالثلاج وقد سمع ابو القسم من البغوي وابن صاعد وابن ابي داود وحدث عنه التنوخي والازهري والعتيقي وغيرهم من الحفاظ قال ابن الجوزي وقد اتهمه المحدثون منهم الدارقطني ونسبوه الى انه يركب الاسناد ويضع الحديث على الرجال وكانت وفاته في ربيع الاول فجاءة

ابن زولاق

الحسن بن ابراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد بن راشد بن عبد الله بن سليمان ابن زولاق ابو محمد المصري الحافظ صنف كتابا في قضاة مصر ذيل به على كتاب ابي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي في ذلك انتهى الكندي الى سنة ست واربعين ومائتين وذيل ابن زولاق من القاضي بكار الى سنة ست وثمانين وثلثمائة ايام محمد

ابن النعمان قاضي العبيديين واظنه مصنف البلاغ الذي انتصر للرد عليه القاضي الباقلاني او هو مصنفه عبد العزيز بن النعمان فالله اعلم وكانت وفاة ابن زولاق في اواخر ذي القعدة من هذه السنة عن احدى وثمانين سنة رح

ابن بطة

عبيد الله بن محمد بن حمدان ابو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة احد علماء الحنابلة ومن له التصانيف الكثيرة الحافلة في فنون من العلم سمع الحديث من البغوي وابي بكر النيسابوري وابن صاعد وخلق في اقاليم متعددة وعنه جماعة من الحفاظ منهم ابو الفتح ابن ابي الفوارس والازجي والبرمكي واثنى عليه غير واحد من الائمة وكان ممن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقد راى بعضهم في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد اختلفت علينا المذاهب فقال عليك بابي عبد الله بن بطة فلما اصبح ذهب اليه ليبشره بالمنام فحين راه ابن بطة تبسم اليه وقال له قبل ان يخاطبه صدق رسول الله صدق رسول الله صدق رسول الله ثلاث مرات وقد تصدى الخطيب البغدادي للكلام في ابن بطة والطعن فيه بسبب ادعائه سماع السنن لرجا بن مرجا ومعجم البغوي واسند بعض الجرح فيه الى شيخه عبد الواحد بن علي الاسدي المعروف بابن برهان العكبري فانتدب ابن الجوزي للرد على الخطيب والانتصار لابن بطة فحكى عن ابي الوفا بن عقيل ان ابن برهان كان يرى مذهب المعتزلة في ان الكفار لا يخلدون في النار وانما قال لدوام ذلك من لا ينبغي لا معنى له هذا وقد صنف وصف نفسه بانه ارحم الراحمين ثم شرع ابن عقيل يرد عليه قال ابن الجوزي فكيف يقبل الجرح والتعديل من مثل هذا ثم روى ابن الجوزي بسنده عن ابن بطة انه سمع المعجم من البغوي قال والمثبت مقدم على النافي قال الخطيب وحدثني عبد الواحد بن برهان قال قال محمد بن ابي الفوارس روى ابن بطة عن البغوي عن ابي مصعب عن مالك عن الزهري عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال الخطيب وهذا باطل من حديث مالك والحمل فيه على ابن بطة قال ابن الجوزي والجواب من وجهين احدهما انه وجد بخط ابن برهان ان ما حكاه عنه الخطيب في القدح في ابن بطة باطل وهو شيخي اخذت عنه العلم في البداية الثاني ان ابن برهان قد تقدم القدح فيه بما خالف فيه الاجماع فكيف قبلت منه القول في رجل صالح قد حكيت عن مشايخ العلماء انه رجل صالح مجاب الدعوة نعوذ بالله من الهوى علي بن عبد العزيز بن مردك ابو الحسن البردعي روى عن ابن ابي حاتم وغيره وكان كثير المال فترك الدنيا واقبل على الاعتكاف في المسجد وكثرة الصلاة والعبادة

فخر الدولة بن بويه

علي بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ملك بلاد الري ونواحيها وحين مات اخوه مويد الدولة كتب اليه الوزير بن عباد بالاسراع اليه فولاه الملك بعد اخيه واستوزر ابن عباد على ما كان عليه في دولة اخيه مويد الدولة وتوفي عن ست واربعين سنة منها مدة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة اشهر وسبعة عشر يوما وترك من الاموال شيا كثيرا من ذلك من الذهب ما يقارب ثلاثة الاف الف دينار ومن الجواهر نحو

من خمسة

من خمسة عشر الف قطعة يقارب قيمتها ثلاثة الاف الف دينار وغير ذلك من اواني الذهب زنة الف الف دينار ومن الفضة زنة ثلاثة الاف الف درهم ومن الثياب ثلاثة الاف حمل وخزانة السلاح الف حمل ومن الفرش الف وخمسمائة حمل ومن الامتعة ما يليق بالملوك ومع هذا ليلة توفي لم يكن لهم وصول الى شيء من المال ولم يحصل له كفن الا ثوب رجل من المجاورين في المسجد واشتغلوا عنه بالملك حتى لولده رستم من بعده فانتن الملك ولم يتمكن احد من الوصول اليه فربطوه في حبال وجروه على درج القلعة فتقطع

ابن سمعون الواعظ

محمد بن احمد بن اسماعيل بن عنبس بن اسماعيل ابو الحسين بن سمعون الواعظ احد الصلحاء والعباد كان يقال له الناطق بالحكمة روى عن ابي بكر بن ابي داود وطبقته وكانت له يد طولى في الوعظ والتدقيق في المعاملات وكانت له كرامات ومكاشفات كان يوما وهو يعظ الناس على المنبر وتحته ابو الفتح بن القواس وكان من الصالحين المشهورين فنعس ابن القواس فامسك ابن سمعون عن الوعظ حتى استيقظ فحين استيقظ قال ابن سمعون رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك هذا قال نعم قال فلهذا امسكت حتى لا ازعجك عما كنت فيه وكان لرجل ابنة مريضة مدنفة فراى ابوها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له اذهب الى ابن سمعون ليأتي منزلك فيدعو لابنتك وهي تبرأ باذن الله فلما اصبح ذهب اليه فلما راه نهض ولبس ثيابه وخرج معه فظن الرجل انه يذهب الى المجلس وعظه فقال لا اقول له في اثناء الطريق فلما مر بدار الرجل دخل اليها الشيخ فاحضر اليه ابنته فدعا لها وانصرف فبرأت من ساعتها وبعث اليه الخليفة الطائع لله من احضره وهو مغضب فخيف على ابن سمعون منه فلما جلس بين يدي الخليفة اخذ في الوعظ فكان اكثر ما اورده من كلام علي بن ابي طالب فبكى الخليفة حتى سمع نشيجه ثم خرج من بين يديه وهو مكرم فقيل للخليفة رايناك طلبته وانت غضبان فقال بلغني انه ينتقص عليا فاردت ان اعاقبه فلما حضر لم يكن اكثر من ذكره عليا فعلمت انه موفق قد كوشف بما كان في خاطري عليه وراى بعضهم في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى جانبه عيسى ابن مريم وهو يقول اليس من امتي الاحبار اليس من امتي الرهبان اليس من امتي اصحاب الصوامع فبينما هما كذلك اذ دخل ابن سمعون فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افي امتك مثل هذا فسكت عيسى عليه السلام كان مولد ابن سمعون في سنة ثلثمائة وتوفي في يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة من هذه السنة ودفن بداره قال ابن الجوزي ثم اخرج بعد سنتين الى مقبرة احمد واكفانه لم تبل رح

اخر ملوك السامانية

نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن احمد بن اسماعيل ابو القسم الساماني ملك خراسان وغزنة وما وراء النهر ولي الملك وله ثلاث عشرة سنة واستمر في الملك احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر ثم قبض عليه خواصه واجلسوا اخاه عبد الملك مكانه فقصدهم محمود بن سبكتكين فانتزع الملك من ايديهم وقد كان لهم في الملك مائة سنة وسنتين

ومشهورا وبلادهم في هذا العام ولله الامر ابو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه الشافعي امام اهل نيسابور وشيخ اهل تلك الناحية كان يحضر مجلسه نحو من خمسمائة محبرة وكانت وفاته في هذه السنة على المشهور وقال الحافظ ابو يعلى الخليلي في الارشاد انه مات في سنة ثنتين واربعمائة فالله اعلم

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلثمائة

قال ابن الجوزي في ذي الحجة من هذه السنة سقط ببغداد برد شديد بحيث جمد الماء في الحمامات وبول الدواب في الطرقات وفيها جاءت رسل ابي طالب رستم بن فخر الدولة فتابعه الخليفة على معاملته ببلاد الري ولقبه مجد الدولة كهف الامة وبعث اليه بالخلع والولاية وكذلك لبدر بن حسنويه ولقبه ناصر الدين والدولة وكان كثير الصدقات وفيها هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب المنتسب الى خدمة الطائع من السجن بدار الخلافة الى البطيحة فآواه صاحبها مهذب الدولة ثم ارسل القادر بالله يحتج به مضيقا عليه فاعتقله ثم هرب من الاعتقال ايضا فذهب الى بلاد كيلان فادعى انه الطائع فصدقوه وبايعوه وادوا اليه العشر وغير ذلك من الحقوق ثم اتفق مجيء بعضهم الى بغداد فسأل عن الامر فاذا ليس له صحة ولا حقيقة فرجعوا عنه واضمحل امره وتسلاحا له فانهزم عنهم وحج بالناس في هذه السنة ايضا امير البصريين والخطبة فيها للحاكم العبيدي قبحه الله

وممن توفي فيها الخطابي

هو ابو سليمان حمد ويقال احمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابي البستي احد المشاهير الاعيان والفقهاء المجتهدين المكثرين له من المصنفات معالم السنن وشرح البخاري وغير ذلك من التصانيف المفيدة النافعة وله شعر حسن فمنه

ما دمت حيا فدار الناس كلهم ۰ فانما انت في دار المداراة ۰

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى ۰ عما قليل نديما للندامات ۰

كانت وفاته بمدينة بست في ربيع الاول من هذه السنة قاله ابن خلكان الحسين بن احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن بكير ابو عبد الله الصيرفي الحافظ سمع اسماعيل الصفار وابن السماك والنجاد والخلدي وابا بكر الشافعي وعنه ابن شاهين والازهري والتنوخي وحكى الازهري انه دخل عليه وبين يديه اجزاء كبار فجعل اذا ساق له اسنادا اورد متنه من حفظه واذا سرد متنا ساق اسناده قال ففعلت هذا معه مرارا كل ذلك يورد الحديث اسنادا او متنا كما في كتابه قال وكان ثقة فحسدوه وتكلموا فيه وحكى الخطيب ان ابن ابي الفوارس اتهمه بانه يزيد في سماع الشيوخ ويلحق رجالا في الاسانيد ويصل المقاطيع وكانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنة عن احدى واربعين سنة صمصام الدولة بن عضد الدولة صاحب بلاد فارس خرج عليه ابن عمه ابو نصر بن بختيار فهرب منه ونجا في جماعة من الاكراد فلما وغلوا به في بلادهم نهبوا خزائنه ونحوا اصله فلحقه اصحاب ابن بختيار فقتلوه وحملوا راسه في طشت فلما وضع بين يدي ابن بختيار قال هذه سنة سنها ابوك وكان ذلك في ذي الحجة من هذه السنة وكان عمره يوم قتل خمسا وثلاثين سنة ومدة ملكه بها تسع سنين واشهر

عبد العزيز

عبد العزيز بن يوسف الجمار ابو القسم كان من الانشاء لعضد الدولة ثم وزر لابنه بهاء الدولة خمسة اشهر وكان يقول الشعر وتوفي في شعبان من هذه السنة محمد بن احمد ابو ابن ابراهيم ابو الفتح الفرج المعروف بغلام الشنبوذي كان عالما بالقراءات وتفسيرها يقال انه كان يحفظ خمسين الف بيت شواهد للقرآن ومع هذا تكلموا في روايته عن ابي الحسن بن شنبوذ واساء الدارقطني القول فيه توفي في صفر من هذه السنة وكان مولده في سنة احدى وثلثمائة

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلثمائة

في هذه السنة قصد محمود بن سبكتكين بلاد خراسان فاستلب ملكها من ايدي السامانية وواقعهم مرات متعددة في هذه السنة وما قبلها حتى ازال اسمهم ورسمهم عن البلاد بالكلية وانقرضت دولتهم بالكلية ثم صمد لقتال ايلك خان ملك الترك وذلك بعد موت الخان الكبير الذي يقال له فائق وجرت له معهم حروب وخطوب وفيها استولى بهاء الدولة على بلاد فارس وخوزستان وفي هذه السنة ارادت الشيعة ان تعمل ما كانوا يصنعونه من الزينة في يوم عيد غدير خم وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فيما يزعمون فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين الى السنة فادعوا ان في مثل هذا اليوم حصر النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه في الغار فامتنعوا من ذلك وهذا ايضا جهل من هؤلاء فان هذا انما كان في اوائل شهر ربيع الاول من اول سني الهجرة فانهما اقاما فيه ثلاثا وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية ايام او نحوها وكان دخوله عليه السلام المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول وهذا امر معلوم مقرر ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتما يظهرون فيه الحزن على الحسين قابلتهم طائفة اخرى من جهلة اهل السنة فادعوا ان في اليوم الثامن عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير فعملوا له مأتما كما يعمل الشيعة للحسين وزاروا قبره كما يزار قبر الحسين وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها ولا يرفع البدعة الا السنة الصحيحة وبالله المستعان وفيها وقع برد شديد مع غيم مطبق وريح قوية جدا بحيث تلفت شيئا كثيرا من النخيل ببغداد فلم يتراجع حملها الى عادتها الا بعد سنين فانا لله وانا اليه راجعون وحج بركب العراق الشريفان الرضي والمرتضى فاعتقلهما امير الاعراب ابن الجراح فافتديا منه بتسعة آلاف دينار من اموالهما حتى اطلقهما

وممن توفي فيها

زاهر بن احمد بن محمد بن عيسى السرخسي المقرئ الفقيه المحدث شيخ عصره بخراسان قرأ على ابن مجاهد وتفقه بابي اسحاق المروزي امام الشافعية واخذ علم اللغة والادب والنحو عن ابي بكر بن الانباري وكانت وفاته في ربيع الآخر عن ست وتسعين سنة عبد الله بن محمد بن اسحاق بن سليمان بن مخلد بن ابراهيم بن مروان ابو القسم المعروف بابن حبابة روى عن ابي القسم البغوي وابي بكر بن ابي داود وطبقتهما وكان ثقة مأمونا مسندا ولد ببغداد سنة تسع وتسعين وكانت وفاته في جمادى الاولى من هذه السنة عن تسعين سنة وصلى عليه الشيخ ابو حامد الاسفرايني شيخ الشافعية ودفن

في مقابل الجامع المنصور

سنة تسعين وثلثمائة

في هذه السنة ظهر بارض سجستان معدن من ذهب كانوا يحفرون فيه مثل الابار ويخرجون منه ذهبا احمر وفيها قتل الامير ابو نصر بن بختيار صاحب بلاد فارس واستولى عليها بهاء الدولة وفيها قلد القادر بالله القضا بواسط واعمالها لابي حازم محمد بن الحسن الواسطي وقرى عهده بدار الخلافة وكتب له القادر وصية حسنة طويلة اوردها بحروفها الشيخ ابو الفرج بن الجوزي في منتظمه وفيها مواعظ واوامر ونواهي حسنة جدا

وممن توفي فيها

احمد بن محمد بن ابي موسى ابو بكر الهاشمي الفقيه المالكي القاضي بالمداين وغيرها وخطب بجامع المنصور وسمع الكثير وروى عنه الجم الغفير بانتخاب ابي الحسن الدارقطني الحافظ الكبير وكان عفيفا نزها ثقة دينا توفي في محرم هذه السنة عن خمس وسبعين سنة عبيد الله بن عثمان بن يحيى ابو القسم الدقاق ويعرف بابن حنيقا قال العلامة القاضي ابو يعلى بن الفرا وهو احده والصواب ابن حليقا باللام لا بالنون وقد سمع الحديث سماعا صحيحا وروى عنه الازهري والعتيقي قال الازهري كان ثقة مامونا حسن الخلق ما راينا مثله في معناه عبد الله بن احمد بن علي بن ابي طالب البغدادي نزيل مصر وحدث بها فسمع منه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري الحسين ابن محمد بن خلف بن الفرا والد القاضي ابي يعلى وكان رجلا صالحا فقيها على مذهب ابي حنيفة اسند الحديث وروى عنه ابنه ابو حازم محمد بن الحسين عمر بن ابراهيم بن احمد ابو (حفص) احمد المعروف بالكناني المقرئ ولد سنة ثلثمائة روى عن البغوي وابن مجاهد وابن صاعد وعنه الازهري وغيره وكان ثقة عالما محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن هارون ابو الحسين الدقاق المعروف بابن اخي ميمي سمع البغوي وغيره وعنه جماعة ولم يزل مع كبر سنه يكتب الحديث الى ان توفي وله تسعون سنة وكان ثقة مامونا دينا فاضلا حسن الاخلاق وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمان وعشرين من رمضان شعبان هذه السنة محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين احمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الشريف ابو الحسن العلوي الكوفي ولد سنة خمس عشرة وسمع من العباس بن عقدة وغيره وسكن بغداد وكانت له اموال كثيرة وضياع ودخل عظيم وحشمة وافرة ومنعة لينة وكان مقدما على الطالبيين في وقته وقد صادره عضد الدولة في وقت واستحوذ على جمهور امواله وسجنه ثم اطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة ثم صادره بهاء الدولة بالف الف دينار واكثر ثم سجنه ثم اطلقه واستنابه على بغداد ويقال ان غلاته كانت تساوي في كل سنة الفي الف دينار وله وجاهة كثيرة جدا ورياسة باذخة الاستاذ ابو الفتوح بن برجوان الناظر في الامور بالديار المصرية في الدولة الحاكمية واليه تنسب حارة بن برجوان بالقاهرة المعزية كان اولا من غلمان العزيز بن المعز ثم صار عند الحاكم نافذ الامر مطاعا كبيرا في الدولة ثم امر بقتله في القصر فضربه الامير زيدان الذي ينسب اليه الزيادة خارج باب الفتوح بسكين

في بطنه

في بطنه فقتله وقد ترك شيئا كثيرا من الاثاث والثياب من ذلك الف سراويل لها الف تكة من حرير قاله ابن خلكان في كتابه وولى الحاكم بعده في منصب الامير حسين بن القايد جوهر

الجريري المعروف بابن طرارا

المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود ابو الفرج النهرواني القاضي لانه ناب في الحكم المعروف بابن طرارا الجريري لاشتغاله على ابن جرير الطبري وسلوكه وراه في مذهبه وسمع الحديث من البغوي وابن صاعد وخلق وروى عنه جماعة وكان ثقة فاضلا كثير الادب والتفنن في اصناف العلوم وله المصنفات الكثيرة منها كتابه المسمى بالجليس والانيس فيه فوائد جمة كثيرة وكان الشيخ ابو محمد البافي احد ائمة الشافعية يقول اذا احضر المعافى فقد حضرت العلوم كلها ولو اوصى رجل بثلث ماله لاعلم الناس لوجب ان يصرف اليه وقال غيره اجتمع جماعة من الفضلا في دار بعض الروسا وفيهم المعافى فقالوا ايش نتذاكر في فن من العلوم فقال المعافى لصاحب المنزل وكان عنده كتب كثيرة في خزانة عظيمة مر غلامك هذا يأتي بكتاب من هذه الكتب فنتذاكر فيه فتعجب الحاضرون من هذا التمكن والتبحر قال الخطيب البغدادي انشدنا الشيخ ابو الطيب الطبري قال انشدنا المعافى بن زكريا لنفسه

الا قل لمن كان لي حاسدا ... اتدري على من اسات الادب
اسات على الله في فعله ... فانك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عني بان زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة رحمه الله ابن فارس صاحب المجمل وقيل انه توفي في سنة خمس وتسعين كما سياتي امة السلام بنت القاضي ابي بكر احمد بن كامل بن خلف بن شجرة ام الفتح سمعت من محمد ابن اسماعيل البصلاني وغيره وعنها الازهري وغيره وابو يعلى بن الفرا وغيرهم واثنى عليها غير واحد في دينها وفضلها وسيادتها وفضيلتها وكان مولدها في رجب من سنة ثمان وتسعين وتوفيت في رجب من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة رحمها الله

ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثلثمائة

فيها بايع الخليفة القادر بالله لولده ابي الفضل بولاية العهد من بعده وخطب له على المنابر ببغداد ولقب بالغالب بالله وكان عمره حينئذ ثماني سنين وشهورا ولم يتم له ذلك وكان سبب هذه العجلة ان رجلا يقال له عبد الله بن عثمان الواثقي ذهب الى بعض الاطراف من بلاد الترك وادعى ان القادر بالله جعله ولي عهده من بعده فخطبوا له هنالك فلما بلغ القادر امره بعث يطلبه فهرب منه في الافاق ثم اخذه بعض الملوك فسجنه في قلعة الى ان مات فلهذا بادر القادر الى هذه البيعة وفي يوم الخميس لثامن عشر من ذي القعدة ولد الامير ابو جعفر عبد الله بن القادر بالله وهذا هو الذي صارت اليه الخلافة

دعوا القادر بالله وفيها قتل الامير حسام الدولة المقلد بن المسيب العقيلي غيلة ببلاد الانبار وكان قد عظم شانه بتلك البلاد ورام الملك فجاءه القدر المحتوم فقتله بعض غلمانه الاتراك وقام بالامر من بعده ولده قرواش وحج بالناس المصريون

ومن توفي فيها من الاعيان

جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات ابو الفضل المعروف بابن حنزابة الوزير ولد سنة ثمان وثلثمائة ببغداد ونزل الديار المصرية ووزر بها لامير كافور الاخشيدي وكان ابوه وزير المقتدر قد سمع الحديث من محمد بن هارون الحضرمي وطبقته من البغداديين وكان قد سمع مجلسا من البغوي ولم يكن عنده فكان يقول من جاءني به اغنيته وكان له مجلس لاملاء الحديث بديار مصر وبسببه رحل الدارقطني الى هناك فنزل عنده وخرج له مسندا وحصل له منه مال جزيل وحدث عنه الدارقطني وغيره من الاكابر ومن مستجاد شعره قوله

• من اخمل النفس احياها وروحها • ولم يبت طاويا منها على ضجر •

• ان الرياح اذا اشتدت عواصفها • فليس ترمي سوى العالي من الشجر •

قال القاضي ابن خلكان كانت وفاته في صفر وقيل في ربيع الاول من هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة ودفن بالقرافة وقيل بداره قال وقيل انه كان اشترى دارا بالمدينة النبوية فجعلها تربة له فلما نقل اليها تلقته الاشراف لاحسانه اليهم فحملوه وحجوا به ووقفوا به بعرفات ثم اعادوه الى المدينة فدفنوه بتربته

ابن الحجاج الشاعر

الحسن بن احمد بن الحجاج ابو عبد الله الشاعر الماجن المقذع في نظمه بالفاظ يستنكف الناس اللسان عن التلفظ بها والاذان عن الاستماع لها وقد كان ابوه من كبار العمال وولي هو حسبة بغداد في ايام عز الدولة بن معز الدولة بن بويه فاستخلف عليها نوابا ستة وتشاغل هو بالشعر السخيف والراي الضعيف الا انه صنعة من حيث اللفظ وفيه قوة جيدة تدل على تمكن واقتدار على سبيل المعاني القبيحة التي هي في غاية الفضيحة وله غير ذلك من الاشعار المستجادة وقد امتدح مرة صاحب مصر فبعث اليه بالف دينار وذكر القاضي ابن خلكان ويقال انه عزل عن حسبة بغداد بابي سعيد الاصطخري فقول ضعيف لا يسامح بمثله القاضي رح فان ابا سعيد توفي سنة ثمان وعشرين وثلثمائة فكيف يعزل به ابن الحجاج عن حسبة بغداد وهو لا يكن ولاية ان لي الحسبة بعد ابي سعيد الاصطخري وذكر قدر القاضي ابن خلكان في هذه الصناعة تاتشنا فانه ارخ وفاة هذا بهذه الصناعة السنة والاصطخري بما تقدم وقد جمع الشريف الرضي اشعاره الجيدة على حدة في ديوان مفرد ورثاه حين توفي ورثاه هو وغيره من الشعراء عبد العزيز بن احمد بن الحسن الجزري القاضي بالحريم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات وكان ظاهريا على مذهب داود وكان لطيفا ظريفا تحاكم اليه وكيلان فبكى احدهما في الخصومة فقال له القاضي ارني وكالتك فناوله اياها ثم قال لم يجعل اليك ان تبكي عنه فاستضحك الناس ونهض الوكيل خجلا عيسى بن الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح ابو القاسم البغدادي كان ابوه من كبار الوزراء كتب هو للطائع ايضا

وسمع الحديث الكثير وكان صحيح السماع كثير العلوم وكان عارفا بالمنطق وعلم الاوائل فرموه بشيء من مذاهب الفلاسفة ومن جيد شعره قوله

• رب ميت قد صار بالعلم حيا • ومبقى قد مات جهلا وغيا •

• فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودا • لا تعدوا الحياة في الجهل شيا •

كان مولده في سنة ثنتين وثلثمائة وتوفي في هذه السنة عن تسع وثمانين سنة ودفن في داره ببغداد

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلثمائة

في المحرم منها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فقصده ملكها جيبال في جيش عظيم فاقتتلوا قتالا شديدا ففتح الله للمسلمين وانهزمت الهنود واسر ملكهم جيبال واخذ من عنقه قلادة قيمتها ثمانون الف دينار وغنم المسلمون منهم اموالا عظيمة وفتحوا بلادا كثيرة ثم اطلق محمود ملك الهند احتقارا له واستهانة به ليراه اهل مملكته في الناس الهند لتنحيين ولما وصل جيبال لعنه الله الى بلاده القى نفسه في النار التي يعبدونها من دون الله فاحترق لعنه الله وفي ربيع الاخر منها ثارت العوام على النصارى ببغداد فنهبوا كنيستهم التي بقطيعة الدقيق واحرقوها فسقطت على خلق فماتوا وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وصبيان وفي رمضان قوي امر العيارين وكثرت العملات والنهب ببغداد وانتشرت الفتنة قال ابن الجوزي وفي ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة انقض كوكب اضاء كضوء القمر ليلة التمام ومضى الضياء وبقي جرمه يتموج نحو ذراعين في ذراع براي العين وتشقق بعد ساعة وفي هذا الشهر قدم الحجاج من خراسان الى بغداد ليسيروا الى الحجاز فبلغهم عيث الاعراب بالفساد وانه لا قاهر لهم ولا ناظر ينظر في امورهم فرجعوا الى بلادهم ولم يحج من بلاد المشرق احد في هذه السنة وفي يوم عرفة ولد لبهاء الدولة ابنان توامان فمات احدهما بعد سبع سنين وبقي الاخر حتى قام بالامر بعد ابيه ولقب شرف الدولة وحج المصريون في هذه السنة بالناس

ومن توفي فيها من الاعيان

ابن جني النحوي عثمان بن جني ابو الفتح الموصلي النحوي اللغوي صاحب التصانيف الفائقة المتداولة في النحو واللغة وكان ابوه جني عبدا روميا مملوكا لسليمان بن فهد بن احمد الازدي الموصلي ومن شعره في ذلك

• فان اصبح بلا نسب • فعلمي في الورى نسبي •

• على اني اؤول الى • قروم سادة نجب •

• قياصرة اذا نطقوا • ارم الدهر في الخطب •

• اولاك دعا النبي لهم • كفى شرفا دعاء نبي •

وقد اقام ببغداد ودرس بها العلم الى ان توفي ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها قال القاضي ابن خلكان ويقال انه كان اعور وله في ذلك

• صدودك عني ولا ذنب لي • يدل على نية فاسدة •

• فقد وحياتك مما بكيت • خشيت على عيني الواحده •

ولولا مخافة انه لا اراك • لما كان في تركها فايدة

وبقال له ان هذه الابيات لغيره وكان اعور وله في مملوك حسن اعور

له عين اصابت كل عين • واخرى قد اصابتها العيون

ابو الحسن الجرجاني الشاعر الماهر

علي بن عبد العزيز ابو الحسن الجرجاني القاضي بالري سمع الحديث وترقا في العلوم حتى اقر له الناس بالتفوق فيها وله اشعار حسان ومن ذلك قوله

يقولون لي فيك انقباض وانما • راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم • ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما • بدا طمع صيرته لي سلما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى • ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي • لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
ااشقى به غرسا واجنيه ذلة • اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم • ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اذلوه جهارا ودنسوا • محياه بالاطماع حتى تجهما

ومن مستجاد شعره ايضا قوله

ما تطعمت لذة العيش حتى • صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء عندي اعز من العلم • فما ابتغي سواه انيسا
انما الذل في مخالطة الناس • فدعهم وعش عزيزا رئيسا

ومن شعره

اذا شئت ان تستقرض المال منفقا • على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها • عليك وانظارا الى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغني وان ابت • فكل منوع بعدها واسع العذر

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

فيها كانت وفاة الخليفة الطايع لله على ما سنذكره

وفيها منع عميد الجيوش الشيعة من النوح على الحسين في عاشورا ومنع جهلة السنة بباب البصرة وباب الشعير من النياحة على مصعب بن الزبير بعد ذلك بثمانية ايام فامتنع الفريقان ولله الحمد والمنة وفي اواخر المحرم خلع بهاء الدولة وزيره ابا غالب محمد بن خلف عن الوزارة وصادره بمائة الف دينار قاشانية وفيها ايضا غلت الاسعار جدا ببغداد وعدمت الحنطة حتى بيع الكر منها بمائة وعشرين دينارا وفيها بعث عميد الجيوش الى سورا واستدعا سيد الدولة ابا الحسن علي بن مزيد وقرر عليه في كل سنة اربعين الف دينار فالتزمه بذلك واقره على بلاده وفيها هرب ابو العباس الضبي وزير مجد الدولة بن فخر الدولة من الري الى بدر بن حسنويه فاكرمه وولي بعده الوزارة لمجد الدولة ابو علي الخطير وفيها استناب الحاكم على دمشق وجيوش الشام ابا محمد الاسود ثم بلغه انه عزر رجلا مغربيا على سب ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وطاف به في البلد فخاف من معرة ذلك فبعث فعزله عن دمشق مكرا وخديعة وانقطع الحج في هذه السنة من العراق بسبب الاعراب وممن توفي فيها من الاعيان ابراهيم

بن احمد بن محمد ابو اسحاق الطبري الفقيه المالكي مقدم المعدلين ببغداد وشيخ القراات وسمع الكثير من الحديث وخرج له الدارقطني خمسماية جزء حديث وكان كريما مفضلا على اهل العلم

الطايع لله

عبد الكريم الطايع لله بن المطيع لله تقدم كيف خلعه بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة وانه اودع في غرفة بدار الخلافة واجرى عليه ارزاقا كثيرة والطافا عزيزة الى ان توفي ليلة عيد الفطر من هذه السنة عن ست وسبعين سنة وقد باشر الخلافة سبع عشرة سنة وستة اشهر وخمسة ايام وصلى عليه القادر بالله فكبر عليه خمسا وشهد جنازته الاكابر والاعيان ودفن بالرصافة محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن زكريا ابو طاهر المخلص شيخ كثير الرواية سمع البغوي وابن صاعد وخلقا وعنه البرقاني والازهري والخلال والتنوخي وكان ثقة من الصالحين توفي في رمضان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله

محمد بن عبد الله ابو الحسن السلامي الشاعر المجيد له شعر مشهور ومدايح في عضد الدولة وغيره ميمونة بنت شاقولة الواعظة التي هي للقران حافظة ذكرت يوما في وعظها ان ثوبها الذي عليها واشارت اليه له في صحبتها تلبسه منذ سبع واربعين سنة وما تغير وانه كان من غزل امها قالت والثوب اذا لم يعص الله فيه لا يتخرق سريعا وقال ابنها عبد الصمد كان في دارنا حايط يريد ان ينقض فقلت لها الا ندعو البنا ليصلح هذا الجدار فاخذت رقعة فكتبت فيها شيئا ثم امرتني ان اضعها في موضع من الجدار فوضعتها فمكث كذلك عشرين سنة فلما توفيت اردت ان استعلم ما كتبت في الرقعة فحين اخذتها من الجدار سقط واذا فيها ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا بسم الله ممسك السموات والارض امسكه

ثم دخلت سنة اربع وتسعين وثلثمائة

فيها ولى بهاء الدولة الشريف ابا احمد الحسين بن احمد بن موسى الموسوي قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبيين ولقب بالطاهر الاوحد ذي المناقب وكان التقليد له بشيراز فلما وصل الكتاب الى بغداد لم ياذن له الخليفة القادر بالله في قضا القضاة فتوقف حاله بسبب ذلك وفيها ملك ابو العباس بن واصل بلاد البطيحة واخرج منها مهذب الدولة فقصده زعيم الجيوش لياخذ ما معه منه فهزمه بن واصل ونهب امواله وحواصله فكان في جملة ما اصاب في خيمة الخزانة ثلاثون الف دينار وخمسون الف درهم وفيها خرج الركب العراقي الى الحجاز الشريف في جحفل كبير وتجمل كثير فاعترضهم الاصيفر امير الاعراب ليمنعهم فبعثوا اليه شابين قاريين مجيدين كانا معهم يقال لهما ابو الحسين بن الرفا وابو عبد الله بن الزجاجي وكانا من احسن الناس قراة ليكلماه في شي ياخذه من الحجيج ويطلق سراحهم فيدركوا الحج فلما جلسا بين يديه قرا عشرا باصوات هايلة مطبوعة فادهشه ذلك واعجبه جدا وقال لهما كيف عيشكما ببغداد فقالا بخير لا يزال الناس يكرموننا ويبعثون الينا الذهب والدراهم والتحف فقال لهما هل اطلق لكما احد منهم الف الف دينار في يوم واحد قالا لا ولا الف دينار في يوم واحد قال فاني اطلقت لكما الف الف دينار فاطلق بسببهما الحجيج فلم يعرض لاحد منهم وذهب الناس وهم سالمون شاكرون لذينك الرجلين المقريين ولما وقف الناس بعرفات قرا هذان الرجلان قراة عظيمة على جبل

الرحمة فضج الناس من سائر الركوب لقراءتهما وقالوا لاهل العراق ما كان ينبغي ان تخرجوا
بهذين الرجلين في سفرة واحدة لاحتمال ان يصابا جميعا بل كان ينبغي ان تخرجوا باحدهما
فان اصيب سلم الاخر وكانت الحجة والخطبة في هذه السنة ايضا للمصريين كما هو من
سنين متقدمة وقد كان امير العراقيين عزم على العود سريعا الى بغداد من على طريقهم التي
جاوا منها وان لا يسيروا الى المدينة النبوية خوفا من الاعراب وكثرة الخفارات فشق ذلك
على الناس فوقف هذان القاريان على جادة الطريق التي منها يعدل الى المدينة النبوية
وقراا ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه الايات فضج الناس بالبكاء وامالت النوق اعناقها نحوهما فمال الناس والامير
باجمعهم الى المدينة النبوية فزاروا وعادوا سالمين الى بلادهم ولله الحمد والمنة ولما
رجع هذان القاريان رتبهما ولي الامر مع ابي بكر بن البهلول وكان مقريا جيدا ايضا ليصلوا
بالناس صلاة التراويح في رمضان فكثر الجمع وراءهم لحسن تلاوتهم وكانوا يتناوبون
في الامامة وقد قرا ابن البهلول يوما في جامع المنصور قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان
تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فنهض اليه رجل صوفي وهو يتمايل فقال كيف قلت
فاعاد الاية فقال الصوفي بلى والله وسقط ميتا رح قال ابن الجوزي وكذلك وقع لابي
الحسن بن الخشاب شيخ ابن الرفا وكان تلميذا لابي بكر الادمي المتقدم ذكره وكان جيد القراءة
حسن الصوت ايضا قرا ابن الخشاب ليلة في جامع الرصافة في الاحيا هذه الاية الم يان
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فتواجد رجل صوفي وقال بلى قد ان وجلس وبكى
بكاء طويلا ثم سكت سكتة ثم حركوه فاذا هو ميت رح ومن توفي فيها الحسن بن محمد
ابن اسماعيل ابو علي الاسكافي ويلقب بالموفق كان مقدما عند بهاء الدولة فولاه بغداد
فاخذ اموالا كثيرة من اليهود ثم هرب الى البطيحة فاقام بها سنين ثم قدم بغداد فولاه بهاء
الدولة الوزارة وكان شهما منصورا في الحروب ثم غاضبه بعد ذلك وقتله في هذه السنة
عن تسع واربعين سنة

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلثمائة

فيها عاد مهذب الدولة الى البطيحة ولم يمانعه ابن واصل وتقرر عليه في كل سنة لبهاء الدولة
خمسون الف دينار وفيها كان غلاء عظيم وفناء ببلاد افريقية بحيث تعطلت المخابز
والحمامات وذهب خلق كثير من الفناء وهلك اخرون من شدة الغلاء فلله الامر من قبل
ومن بعد وهو المسئول المامول ان يحسن العاقبة وفيها اصاب الحجيج في الطريق عطش
شديد بحيث هلك كثير منهم وكانت الخطبة للمصريين

وممن توفي فيها من الاعيان

محمد بن احمد بن محمد بن موسى بن جعفر ابو نصر البخاري المعروف بالملاحمي احد الحفاظ قدم
بغداد وحدث بها عن محمود بن اسحاق وعن البخاري روى عن الهيثم بن كليب وغيره وحدث
عنه الدارقطني وكان من اعيان اصحاب الحديث وكانت وفاته ببخارا في شعبان من هذه
السنة وقد جاوز الثمانين محمد بن ابي اسماعيل علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم
ابو الحسن العلوي ولد بهمذان ونشا ببغداد وكتب الحديث عن جعفر الخلدي وغيره
وسمع بنيسابور من الاصم وغيره ودرس فقه الشافعي على ابي علي بن ابي هريرة ثم دخل الشام

فضحج

تفقه بالصوفية حتى صار من كبارهم وحج مرات على الوحدة وكانت وفاته في محرم هذه السنة

ابن فارس

احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي الرازي صاحب المجمل في اللغة وكان مقيما
بهمذان وله رسائل حسان اخذ عنه البديع صاحب المقامات ومن رائق شعره قوله

مرت بنا هيفاء مجدولة • تركية تنمى لتركي
ترنو بطرف فاتر فاتن • اضعف من حجة نحوي

وله ايضا

اذا كنت في حاجة مرسلا • وانت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه • وذاك الحكيم هو الدرهم

قال ابن خلكان توفي سنة تسعين وثلثمائة وقيل سنة خمس وتسعين والاول اشهر

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلثمائة

قال ابن الجوزي في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة في كبره وضوئه عن
يسرة القبلة يتموج وله شعاع على الارض كشعاع القمر وثبت الى النصف من ذي القعدة
ثم غاب وفيها ولي ابو احمد بن الاكفاني قضاء جميع بغداد وفيها جلس القادر للامير
قرواش بن ابي حسان وقلده امارة الكوفة ولقبه معتمد الدولة وفيها تقلد الشريف
الرضي نقابة الطالبيين ببغداد ولقب بالرضي ذي الحسبين ولقب اخوه المرتضى ذا
المجدين وفيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فافتتح مدنا كبارا واخذ
اموالا جزيلة منها واسر بعض ملوكهم وهو ملك كواسحين هرب منه لما افتتحها وكسر اصنامها
فالبسه منطقة شدها على وسطه بعد تمنع شديد وقطع خنصره ثم اطلقه اهانة له
واظهارا لعظمة الاسلام واهله وفيها كانت الخطبة بالحرمين للحاكم العبيدي وتجدد في
الخطبة انه اذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم وكذلك بديار مصر مع زيادة السجود وكانوا
يسجدون عند ذكره من هو في الصلاة ومن في الاسواق ايضا يسجدون لسجودهم لعنه
الله

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو سعد الاسماعيلي اسماعيل بن احمد بن ابراهيم بن اسماعيل ابو سعد الجرجاني المعروف بالاسماعيلي
ورد بغداد والدارقطني حي فحدث عن ابيه ابي بكر الاسماعيلي والاصم وابن عدي وحدث عنه
الخلال والتنوخي وكان ثقة فاضلا فقيها على مذهب الشافعي عارفا بالعربية سخيا جوادا
على اهل العلم وله ورع والرياسة الى اليوم في بلده في ولده قال الخطيب البغدادي
سمعت الشيخ ابا الطيب الطبري يقول ورد ابو سعد الاسماعيلي بغداد فعقد له الفقهاء
مجلسين تولى احدهما الشيخ ابو حامد الاسفرايني وتولى الثاني ابو محمد الباقي بعث
الباقي الى القاضي ابي الفرج المعافى بن زكريا الجريري يستدعيه لحضور المجلس ليتجمل بحضوره
وكانت الرسالة مع ولده ابي الفضل وكتب على يده هذين البيتين

اذا اكرم القاضي الجليل وليه • وصاحبه القاه للشكر موضعا
ولي حاجة ياتي بني بذكرها • ويابى الذي فيها التطول اجمعا

فاجابه الجريري مع ولد الشيخ

دعا الشيخ مطواعا سميعا لامره • يؤاتيه باعا حيث يرسم اصبعا

ومما انا غادٍ في غدٍ نحو داره • ابادر مما قد حده لي مسرعا •

وكانت وفاة ابي سعد الاسماعيلي فجاءة بجرجان في ربيع الاخر وهو قايم يصلي في المحراب
في صلاة المغرب فلما قرا اياك نعبد واياك نستعين فاضت نفسه فمات رحمه الله
محمد بن احمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن بحر ابو عمرو المزكي الحافظ النيسابوري ويعرف
بالحيري رحل الى الافاق في طلب الحديث وكان حافظا جيدا للمذاكرة ثقة ثبتا حدث
ببغداد وغيرها من البلاد وتوفي في شعبان من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة ابو
عبد الله بن منده الحافظ محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ابو عبد الله الاصبهاني
الحافظ من بيت الحديث والحفظ رحل الى البلاد الشاسعة وسمع الكثير وصنف التاريخ
والشيوخ قال ابو العباس جعفر بن محمد الحافظ ما رايت احفظ من ابي عبد الله بن منده
توفي باصبهان في صفر من هذه السنة ٥

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلثمايه

فيها كان خروج ابي ركوة على الحاكم العبيدي صاحب مصر وملخص امر هذا الرجل انه كان من سلالة
هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي واسمه الوليد وانما لقب بابي ركوة لركوة كان يستصحبها
في اسفاره على طريق الصوفية وقد كان سمع الحديث بالديار المصرية ثم اقام بمكة ثم باليمن ثم
دخل الشام وهو في غبون هذا كله يبايع من انقاد له ممن يرى عنده همة ونهضة للدعوة
ثم من ولد هشام بن عبد الملك الاموي ثم انه اقام ببعض بلاد مصر في حلة من العرب
يعلم الصبيان ويظهر النسك والتقشف والعبادة والورع ويخبر بشي من المغيبات
حتى خضعوا له وعظموه جدا ثم دعا الى نفسه وذكر لهم انه الذي يدعوا اليه من الامويين
فاستجابوا له وخاطبوه بامير المومنين ولقب نفسه بالثاير بامر الله المنتصر من اعداء
الله ودخل برقة في محفل جم فجمع له اهلها نحوا من مايتي الف دينار واخذ رجلا من اليهود اتهم
بشي من الودايع فاخذ منه مايتي الف دينار ايضا ونقش الدراهم والدنانير بالقابه وخطب
بالناس يوم الجمعة ولعن الحاكم في الخطبة ونعما فعل فالتف على ابي ركوة من الجنود نحو من ستة
عشر الفا فلما بلغ الحاكم امره وما ال اليه حاله بعث بخمسماية الف دينار وخمسة الاف ثوب
من الحرير الى مقدم جيوش ابي ركوة وهو الفضل بن عبد الله يستميله اليه ويثنيه عن ابي
ركوة فحين وصلته الاموال من الحاكم رجع عن ابي ركوة وقال انا لا طاقة لنا بالحاكم وما
دمت بين اظهرنا فنحن مطلوبون بسببك فاختر لنفسك بلدا تكون فيها فسال ان
يبعثوا معه فارسين يوصلانه الى النوبة فان بينه وبين ملكها مودة وصحبة فارسله
ثم بعثوا وراءه من رده الى الحاكم بمصر فلما وصل اليه اركبه جملا وشهره ثم قتله في اليوم
الثاني واكرم الحاكم الفضل واقطعه اقطاعات كثيرة واتفق مرض الفضل فعاده
الحاكم مرتين فلما عوفي قتله والحقه بصاحبه ايضا وهذه مكافاة التمساح وفي رمضان
عزل قرواش عما كان بيده وولي ابو الحسن علي بن مزيد ولقب سند الدولة وفيها
هزم يمين الدولة محمود بن سبكتكين ايلك الخان ملك الترك عن بلاد خراسان وقتل
من الاتراك شيا كثيرا وفيها قتل ابو العباس بن واصل صاحب البصرة وحمل راسه الى بهاء
الدولة فطيف براسه بخراسان وفارس وفيها ثارت على الحجيج وهم بالطريق ريح سوداء
مظلمة جدا واعترضهم ابن الجراح امير الاعراب فاعاقهم عن الذهاب ففاتهم الحج في هذا العام

ورجعوا

ورجعوا الى بغداد فدخلوها في يوم التروية فانا لله وانا اليه راجعون وكانت الخطبة بالحرمين
للمصريين

ومن توفي فيها من الاعيان

عبد الصمد بن عمر بن اسحاق ابو القسم الدينوري الواعظ الزاهد قرا القران ودرس مذهب
الشافعي على ابي سعيد الاصطخري وسمع الحديث من ابي بكر احمد بن سلمان النجاد وروى عنه الازهري
والصيمري وكان ثقة صالحا يضرب به المثل في مجاهدة النفس واستعمال الصدق والمحض
والتعفف والتقشف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسن الوعظ ونفعه في القلوب
جاءه يوما رجل بماية دينار فقال انا غني عنها قال فخذها ففرقها على اصحابك هولا
فقال ضعها على الارض ثم قال للجماعة ليأخذ كل واحد منكم حاجته منها فجعلوا ياخذون
بقدر حاجاتهم حتى نفدوها وجاء ولده بعد ذلك يشكو حاجته فقال له اذهب الى البقال
فخذ على ربع رطل تمر وراه رجل وقد اشترى حاجة وحلوا فتعجب من ذلك فاتبعه
فانتهى الى دار فيها ارامل وايتام فدفعها اليهم وكان يدق الاشنان للغسالين بالاجرة
ويقتات من ذلك ولما حضرته الوفاة جعل يقول سيدي لهذه الساعة خبأتك وكانت
وفاته يوم الثلثا لسبع بقين من ذي الحجة من هذه السنة وصلي عليه بجامع المنصور ودفن
بمقبرة الامام احمد ابو العباس بن واصل صاحب سيراف والبصرة وغيرهما من البلاد
كان اولا يخدم بالكرخ وكان منصورا له انه سيملك فكان اصحابه يهزاون به ويمجنون عليه
فيقول للخادم اذا ملكت فاستخدمني ويقول الاخر اخلع علي ويقول الاخر عاقبني فقدر له ان تقلبت
به الاحوال الى ان ملك سيراف ثم البصرة واخذ بلاد البطيحة من مهذب الدولة واخرجه منها
طريدا بحيث احتاج في اثناء الطريق الى ان ركب بقرة واستحوذ ابن واصل على ما هنالك
من الاموال والحواصل وقصد الاهواز وهزم بهاء الدولة ثم ظفر به بهاء الدولة فقتله
في شعبان من هذه السنة وطيف براسه في البلاد

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلثمايه

فيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح حصونا كثيرة واخذ اموالا جزيلة
وجواهر نفيسة وكان في جملتها وجد بيت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة ذراعا
مملوا فضة ولما رجع الى غزنة بسط هذه الحواصل كلها في صحن داره واذن لرسل الملوك
فدخلوا عليه فراوا ما بهرهم وهالهم وفي يوم الاربعا الحادي والعشرين من ربيع الاخر وقع
ببغداد ثلج عظيم بحيث بقي على وجه الارض ذراعا ونصفا ومكث اسبوعا لم يذب
وبلغ سقوطه الى تكريت والكوفة وعبادان والنهروانات وفي هذا الشهر كثرت العملات
خفية وجهرة حتى من المساجد والمشاهد ثم ظفر اصحاب الشرط بكثير منهم فقطعوا ايديهم
وكحلوهم وشهروهم فخمدت الفتنة

فتنة مصحف ابن مسعود رضي الله عنه

وتحريقه عن فتيا الشيخ ابي حامد الاسفراييني ما ذكره ابن الجوزي في المنتظم
وفي عاشر رجب جرت فتنة بين الرافضة والسنة سببها ان بعض الهاشميين قصد
ابا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم وكان فقيه الشيعة في مسجده بدرب رباح
فتعرض له بالسب فثار اصحابه له واستنفر اصحاب الكرخ وصاروا الى دار القاضي ابي محمد
بن الاكفاني والشيخ ابي حامد الاسفرايني وجرت فتنة طويلة واحضرت الشيعة مصحفا

ذكروا انه مصحف ابن مسعود وهو يخالف المصاحف كلها فجمع الاشراف والقضاة والفقها في يوم جمعة لليلة بقيت من رجب وعرض المصحف عليهم فاشار الشيخ ابو حامد الاسفراييني والفقها بتحريقه ففعل ذلك بمحضر منهم فغضبت الشيعة من ذلك غضبا شديدا وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه وقصد جماعة من احداثهم دار الشيخ ابي حامد ليوذوه فانتقل منها الى دار القطن وصاحوا يا حاكم يا منصور وبلغ ذلك الخليفة فغضب وبعث اعوانه لنصرة اهل السنة فحرقت دور كثيرة من الشيعة وجرت خطوب شديدة وبعث عميد الجيوش الى بغداد لينفي عنها ابن المعلم فاخرج ثم شفع فيه ومنعت القصاص من التعرض للفتن والسوال باسم الشيخين الى بغداد لينفي عليهما ابن على وعاد الشيخ ابو حامد الى داره على عادته وفي شعبان زلزلت الدينور زلزلة شديدة سقطت فيها دور كثيرة وهلك تحتها الهدم سنة عشر الفا غير من ساخت به الارض وهلك للناس كثير من الاثاث والامتعة وهبت ريح سودا بدقوقا وتكريت وشيراز فقلعت كثيرا من المنازل والنخيل والزيتون وقتلت خلقا كثيرا وسقط بعض شيراز ووقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر ووقع بواسط برد زنة الواحدة مائة درهم وستة دراهم ووقع ببغداد في رمضان وذلك في اثار سطر عظيم مما لحمه المرازيب

تخريب قمامة

وفيها امر الحاكم العبيدي بتخريب كنيسة القمامة من بيت المقدس واباح العامة ما كان بها من الاموال والامتعة وغير ذلك وكان سبب ذلك ما انهى من البهتان الذي يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار التي يحتالون لها بحيث يتوهم الاغمار من جهلتهم انها نزلت من السما وانما هي مصنوعة بدهن البلسان في خيوط الابريسم والرقاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطغام منهم والعوام وهم الى الان يستعملونها في ذلك المكان بعينه وكذلك هدم في هذه السنة عدة كنايس ببلاد مصر ونودي في النصارى من احب الدخول في دين الاسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع الى بلاد الروم آمنا ومن اقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التي زاد فيها على العمرية من تعليق الصلبان على صدورهم من خشب وزنه اربعة ارطال وعلى اليهود تعليق راس العجل زنته ستة ارطال وفي الحمام يكون في عنقه قربة زنة خمسة ارطال اجراس وان لا يركبوا خيلا ثم بعد هذا كله امر باعادة بناء الكنايس التي هدمها واذن لمن اسلم منهم في الارتداد الى دينه وقال ننزه مساجدنا ان يدخلها من لا نية له قبحه الله

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو محمد الباني عبد الله بن محمد ابو احمد الباني البخاري الخوارزمي احد ايمة الشافعية في وقته تفقه على ابي القسم الداركي ودرس مكانه وله معرفة جيدة بالادب والفصاحة والشعر جاء مرة ليزور بعض اصحابه فلم يجده في المنزل فكتب

• قد حضرنا وليس يقضي التلاقي • نسال الله خير هذا الفراق •

• ان نغب لم اغب وان لم تغب • غبت كان افتراقنا باتفاق •

وقد كانت وفاته في محرم هذه السنة وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية عبد الله بن احمد ابن علي بن الحسين ابو القسم المقري المعروف بالصيدلاني وهو اخر من حدث عن ابن صاعد

من الثقات

من الثقات وروى عنه الازهري وكان ثقة مامونا صالحا توفي في رجب من هذه السنة وقد جاوز التسعين

الببغا الشاعر

عبد الواحد بن نصر بن محمد ابو الفرج المخزومي الشاعر الملقب بالببغا توفي في شعبان من هذه السنة وكان اديبا فاضلا مترسلا وشاعرا مجيدا فمن ذلك قوله •

• يا من تشابه منه الخلق والخلق • فما تسافر الا نحوه الحدق •

• توريد دمعي من خديك مختلس • وسقم جفني من جفنيك مسترق •

• لم يبق لي رمق اشكو هواك به • وانما يتشكى من به رمق •

محمد بن يحيى ابو عبد الله الجرجاني احد العلما الزهاد العباد المناظرين لابي بكر الرازي وكان يدرس في قطيعة الربيع وقد فلج في اخر عمره وحين مات دفن مع ابي حنيفة

بديع الزمان صاحب المقامات

احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد ابو الفضل الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسايل الرايقة والمقامات الفايقة وعلى منواله نسج الحريري واقتفى اثره وشكر تقدمه واعترف بفضله وكان قد اخذ عن ابن فارس في اللغة ثم برز وكان احد الفضلا الفصحا ويذكر انه سم واخذته سكتة فدفن سريعا ثم عاش في قبره وسمع صراخه فنبش عليه فاذا هو قد مات وهو آخذ على لحيته من هول القبر وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الاخر من هذه السنة

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلثماية

فيها قتل ابو علي بن ثمال نايب الرحبة من جهة الحاكم العبيدي قتله عيسى بن خلاط العقيلي وملكها فاخرجه منها عباس بن مرداس صاحب حلب وملكها وفيها صرف عمر بن عبد الواحد عن قضاء البصرة وولي ابو الحسين بن ابي الشوارب فذهب الناس يهنون هذا ويعزون هذا فقال في ذلك العصفري

عندي حديث طريف بمثله يتغنى •

• من قاضيين يعزى هذا وهذا يهنا •

فذا يقول اكرهونا وذا يقول استرحنا •

• ويكذبان جميعا ومن يصدق منا

وفي شعبان من هذه السنة عصفت ريح شديدة فالقت نخلا احمر في طرقات بغداد وفيها هبت على الحجاج ريح سودا مظلمة واعترضهم الاعراب فصدوهم عن السبيل واعتاقتهم حتى فاتهم الحج في هذه السنة ايضا ورجعوا واخذت بنو هلال طايفة من حجيج البصرة نحو من ستماية واخذوا منهم نحوا من الف الف دينار وانحطه للمصريين

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الله بن بكر بن محمد بن الحسين ابو احمد الطبراني سمع ببغداد ومكة وغيرهما من البلاد وكان مكثرا سمع منه الدارقطني وعبد الغني بن سعيد ثم اقام بالشام بالقرب من جبل عند بانياس يعبد الله الى ان مات في ربيع الاول من هذه السنة محمد بن علي بن الحسين ابو مسلم الكاتب آخر

ابن خزابه روى عن البغوي وابن صاعد وابن دريد وابن ابي داود وابن عرفة وابن مجاهد وغيرهم وكان الحربي من اصحاب البغوي وكان من اهل العلم والحديث والمعرفة والفهم وقد تكلم بعضهم في روايته عن البغوي لان اصوله كان غالبها مفقودا وذكر الصوري انه خلط في اخر عمره

ابو الحسن علي بن ابي سعيد

عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الاعلى الصدفي المصري صاحب كتاب الزيج الحاكمي في اربع مجلدات كان ابوه من كبار المحدثين الحفاظ ارخ لمصر تاريخا نافعا يرجع اليه العلما واما هذا فانه اشتغل بعلم النجوم فنال من شاوه منالا جيدا وكان شديد الاعتنا بعلم الرصد وكان مع هذا مغفلا سيئ الحال رثيث الثياب طويلا يتعمم على طرطور طويل ويتطيلس ويركب حمارا فمن راه يضحك منه وكان يدخل على الحاكم صاحب مصر فيكرمه ويذكر من تغفله ما يدل على عدم اعتنائه بامر نفسه وكان شاهدا معدلا وله شعر جيد فمنه قوله فيما ذكره ابن خلكان في الوفيات

احمل نشر الريح عند هبوبه • رسالة مشتاق لوجه حبيبه
بنفسي من تحيى النفوس بقربه • ومن طابت الدنيا به وبطيبه
وجدد وجدي طايف منه في الكرى • سرى موهنا في خفية من رقيبه
لعمري لقد عطلت كاسي بعده • وغيبتها عني لطول مغيبه

عني ام امير المومنين القادر بالله مولاه عبد الواحد بن المقتدر كانت من العابدات الصالحات من اهل الفضل والدين توفيت ليلة الخميس الثاني والعشرين من شعبان من هذه السنة وصلى عليها ابنها القادر وحملت بعد العشا الى الرصافة

سنة اربعماية من الهجرة النبوية

في ربيع الاخر نقصت دجلة نقصا كثيرا حتى ظهرت جزاير لم تكن تعرف وامتنع سير السفن في اماكنها وامر بكري تلك الاماكن ولم تكن قبل ذلك وفيها كمل السور على المشهد بالحاير وكان الذي بناه ابو محمد الحسن بن الفضل بن سهلان عن نذر نذره حين زاره وفي رمضان ارجف الناس بالخليفة القادر بالله فجلس للناس يوم جمعة بعد الصلاة وعليه البردة والقضيب وجاء الشيخ ابو حامد الاسفرايني فقبل الارض بين يديه وقرا لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا وهم فراحى وفي هذه السنة ورد بان الحاكم انفذ الى دار جعفر بن محمد الصادق بالمدينة فاخذ منها مصحفا والات كانت بها وهذه الدار لم تفتح بعد موت صاحبها الى هذه المدة وكان مع المصحف قعب خشب مطوق بحديد ودرقة خيزران وحربة وسرير حمل ذلك كله جماعة من العلويين اليه الى الديار المصرية فاطلق لهم انعاما كثيرا ونفقات زايدة ورد السرير واخذ الباقي وقال انا احق بهذا وردهم ذامين له داعين عليه وبنى الحاكم في هذه السنة دارا للعلم واجلس فيها الفقها ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل خلقا كثيرا منهم من الفقها والمحدثين واهل الخير والديانة وعمر الحاكم المنسوب اليه بالديار المصرية وهو جامع الحاكم وتانق في بنايه في هذه السنة وفي ذي الحجة منها اعيد المويد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الاموي الى مكة بعد خلعه وحبسه مدة طويلة

وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة للحاكم العبيدي صاحب مصر والشام

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو احمد الموسوي النقيب

الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر ابو احمد الموسوي النقيب والد الرضي والمرتضى ولي نقابة الطالبيين مرات متعددة نحوا من خمس مرات يعزل ويعاد ثم اقر في اخر عمره ثم توفي عن سبع وتسعين سنة وصلى عليه ابنه المرتضى ودفن في مشهد الحسين وقد رثاه ابنه المرتضى هذا بقصيدة حسنة قوية المترع والمطلع فمنها قوله

سلام الله تنقله الليالي • وتهديه الغدو له والرواح
على جدث تشبث من لوى • لينبوع العبادة والصلاح
فتى لم يروا الا بخلال • ولم يك زاده الا المباح
ولا دنست له ازر بوزر • ولا علقت له راح براح
خفيف الظهر من ثقل الخطايا • وعريان الجوانح من جناح
مشوق في الامور الى المعالي • ومدلول على باب النجاح
من القوم الذين لهم قلوب • بذكر الله عامرة النواحي
باجسام من التقوى مراض • لمبصرها واديان صحاح

الحجاج بن هرمز

ابو جعفر نايب بهاء الدولة على العراق وكان سد به ثغر الاعراب والاكراد وكان من المقدمين على ايام عضد الدولة وكانت له خبرة تامة بالحرب وحرمة شديدة وشجاعة وازه وهمة عالية ودار سعيدة ولما خرج عن بغداد في سنة ثنتين وتسعين وثلثماية كثرت بها الفتن والشرور وكانت وفاته بالاهواز في هذه السنة وله من العمر ماية سنة وخمس سنين ابو عبد الله بن الغني المصري التاجر كان ذا مال جزيل جدا استملت تركته على ازيد من الف الف دينار من ساير انواع الاموال وكانت وفاته بارض الحجاز ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن علي رضي الله عنه ابو الحسين بن الرفا المقرى المتقدم ذكره كان من احسن الناس صوتا واحلاهم اداء وقد تقدم ذكره في سنة اربع وتسعين وثلثماية بما اغنى عن اعادته

ثم دخلت سنة احدى واربعماية

في يوم الجمعة الرابع من المحرم خطب بالموصل للحاكم العبيدي عن امر صاحبها قرواش بن مقلد ابي منيع وقهره رعيته على ذلك وقد سرد ابن الجوزي صيغة الخطبة بحروفها وفي اخرها صلوا على ابايه من الخلفا المهدي ثم ابنه القايم ثم ابنه المنصور ثم ابنه المعز ثم ابنه العزيز ثم على ابنه الحاكم صاحب الوقت وبالغوا في الدعا لهم ولا سيما للحاكم المذكور وكذلك بقية اعماله من الانبار والمداين وغيرها وكان سبب ذلك ان الحاكم تردد مكاتباته ورسله وهداياه الى قرواش يستميله اليه ويقبل بوجهه عليه حتى فعل ما فعل مما ذكرنا فلما بلغ الخبر الى القادر العباسي كتب يعاتب قرواش بن مقلد

على ما صنع وتنفذ بها الدولة الى عميد الجيوش بمائة الف دينار لمحاربة قرواش فلما
بلغ ذلك قرواش رجع عن رأيه وندم على ما كان منه وامر بقطع الخطبة الحاكمية من بلاده
ورجعها الى القادر العباسي على عادته قال ابن الجوزي ولخمس بقين من رجب زادت
دجلة زيادة كثيرة واستمرت الزيادة الى رمضان وبلغت احدى وعشرين ذراعا وثلثا
ودخل الماء الى اكثر دور بغداد وفيها رجع الوزير ابو غالب بن خلف الى بغداد ولقب
فخر الملك بعد عميد الجيوش وفيها عصى ابو الفتح الحسن بن جعفر العلوي ودعا الى
نفسه وتلقب بالراشد بالله ولم يحج في هذه السنة احد من اهل ركب العراق ايضا فانا لله
وانا اليه راجعون

وممن توفي فيها من الاعيان والاشراف

ابو مسعود صاحب الاطراف

ابراهيم بن محمد بن عبيد ابو مسعود الدمشقي الحافظ الكبير مصنف كتاب الاطراف
على الصحيحين رحل الى بلاد شتى كبغداد والبصرة والكوفة وواسط والاهواز واصبهان
وخراسان وكان من الحفاظ الصادقين والامناء الضابطين ولم يرو الا اليسير روى
عنه ابو القاسم الطبراني وابو ذر الهروي وتمام السمتي وغيرهم وكانت وفاته ببغداد في رجب
واوصى الى الشيخ ابي حامد الاسفرايني فصلى عليه ودفن في مقبرة جامع المنصور قريبا من
السماك رح وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر واثنى عليه

عميد الجيوش الوزير

الحسن بن ابي جعفر استاذ هرمز ابو علي الملقب بعميد الجيوش وزير بهاء الدولة ولد سنة
خمسين وثلثمائة وكان ابوه من اصحاب عضد الدولة وولاه بهاء الدولة وزارته سنة ست
وتسعين والشرور كثيرة فمهد البلاد واخاف العيارين واستقامت على يديه الامور وامر
بعض غلمانه ان يحمل صينية فيها فضة مكشوفة من اول بغداد الى اخرها فما زاحمها فان
اعترضه احد فليدعها اليه وليعرف ذلك المكان فذهب الغلام فلم يعرضه احد ولله الحمد
والمنة ومنع الروافض مما كانوا يتعاطونه من النياحة في يوم عاشورا واقامة العيد
المبتدع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الذي يقال له عيد غدير خم وكان عادلا
منصفا رحمه الله خلف الواسطي صاحب الاطراف خلف بن محمد بن علي بن حمدون
ابو محمد الواسطي رحل الى البلاد وسمع الكثير ثم عاد الى بغداد ثم رحل الى الشام ومصر
وكتب للناس بانتخابه وصنف اطرافا على الصحيحين وكانت له معرفة تامة وحفظ جيد
ثم عاد الى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر في العلم حتى توفي في هذه السنة رحمه الله
وسامحه وممن روى عنه الازهري

ابو عبيد الهروي صاحب الغريبين

احمد بن محمد بن ابي عبيد الهروي العبدي ابو عبيد الهروي اللغوي البارع كان
من علماء الناس في الادب واللغة وكتابه الغريبين في معرفة غريب القرآن والحديث
يدل على اطلاعه وتبحره في هذا الشأن وكان من تلامذة ابي منصور الازهري قال
ابن خلكان وقيل انه كان يحب التبذل ويتناول في الخلوة ويعاشر اهل الادب في مجالس
اللذة والطرب سامحه الله قال وكانت وفاته في رجب سنة احدى واربعمائة وذكر ابن

خلكان في هذه السنة او التي قبلها وفاة ابي الفتح البستي الشاعر وهو علي بن محمد بن
الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز الكاتب صاحب التجنيس والحذاقة
والنظم والنثر وقد ذكرناه في سنة كذا
ومما اورد له ابن خلكان قوله من اصلح فاسده ارغم حاسده من اطاع غضبه اضاع
ادبه من سعادة جدك وقوفك عند حدك المنية تضحك من الامنية الرشوة رشاء
الحاجات حد العفاف الرضى بالكفاف ومن شعره

ان هز اقلامه يوما ليعملها ... انساك كل كمي هز عامله
وان اقر على رق انامله ... اقر بالرق كتاب الانام له

وله

اذا تحدثت في قوم لتؤنسهم ... بما تحدث من ماض ومن آت
فلا تعد لحديث ان طبعهم ... موكل بمعادات المعادات

ثم دخلت سنة ثنتين واربعمائة

في المحرم اذن فخر الملك للروافض في عمل البدعة الشنعاء والفضيحة الصلعاء
من الانتحاب والنوح والبكاء وتعليق المسوح وتغليق الاسواق من الصباح الى
المسا ودوران النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن يلطمن خدودهن
كفعل الجاهلية الجهلاء فلا جزاه الله عن السنة خيرا وسود وجهه يوم الجزاء انه
سميع الدعا ورب الارض والسما وفي ربيع الاخر امر القادر بالله بعمارة مسجد الكف
بقطيعة الدقيق وان يعاد الى احسن ما كان ففعل ذلك وزخرف زخرفة عظيمة
جدا

ذكر الطعن في نسب الفاطميين

مطلب في رد قول من قال ان الخلفا المصريين ومنهم الحاكم بامر الله اشراف

من ائمة بغداد وغيرها من البلاد

في ربيع الاخر من هذه السنة كتبت ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب
الخلفاء المصريين الذين يدعون انهم فاطميون وليسوا كذلك وتنسبهم الى
الى ديصان بن سعيد الخرمي في الدين وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة
والفقهاء والاشراف والاماثل والمعدلين والصالحين شهدوا جميعا ان الناجم
بمصر هو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي
والنكال والاستيصال ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا اسعده
الله فانه لما صار الى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ومن تقدم
من سلفه من الارجاس الانجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ادعياء
خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولا يتعلقون منه بسبب
وانه منزه عن باطلهم وان الذي ادعوه من الانتساب اليه باطل وزور وانهم
لا يعلمون ان احدا من اهل بيوتات الطالبيين توقف عن اطلاق هؤلاء الخوارج
انهم ادعياء وقد كان هذا الانكار لباطلهم شايعا في الحرمين وفي اول امرهم بالمغرب
منتشرا انتشارا يمنع من ان يدلس على احد كذبهم او يذهب وهم الى تصديقهم
وان هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق فجار ملحدون زنادقة معطلون
وللاسلام جاحدون ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون قد عطلوا الحدود

وأباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادّعوا
الربوبية وكتب في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وقد كتب خطه في المحضر خلق
كثير من العلويين الرضي والمرتضى وابن الأزرق الموسوي وأبو طاهر بن أبي الطيب
ومحمد بن محمد بن عمر بن أبي يعلى ومن القضاة أبو محمد بن الأكفاني وأبو القاسم الجزري
وأبو العباس بن السوري ومن الفقهاء أبو حامد الإسفرائيني وأبو محمد بن الكشفلي وأبو
الحسن القدوري وأبو عبد الله الصيمري وأبو عبد الله البيضاوي وأبو علي بن حمكان
ومن الشهود أبو القاسم التنوخي في كثير فزى بالبصرة وكتب فيه خلق كثير هذه
عبارة الشيخ أبي الفرج بن الجوزي قلت ومما يدل على أن هؤلاء أدعياء كما ذكره هؤلاء السادة
العلماء والأئمة الفضلاء وأنهم لا نسب لهم إلى علي ولا إلى فاطمة كما يزعمون قول عبد الله
بن عمر للحسين بن علي حين أراد الحسين الدخول إلى العراق عن كتب عوام أهل الكوفة
إليه بالبيعة له فقال له ابن عمر لا يذهب إليهم فإني أخاف عليك أن تقتل وإن
جدك قد خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وأنت بضعة منه وإنه
والله لا ينالها أنت ولا أحد من أهل بيتك فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه
المعقول من هذا الصحابي الجليل يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد
بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان في وقت نزول عيسى بن مريم من السماء
إلى الأرض كما سيأتي بيان ذلك من الأحاديث في الملاحم ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا
ديار مصر مدة طويلة فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة أنهم ليسوا من أهل بيت
النبوة كما نص عليه سادة القضاة والشهود والفقهاء والكبراء وقد صنف
القاضي الباقلاني في الرد على هؤلاء القوم المنتسبين إلى الفاطميين وسماه
كشف الأسرار وهتك الأستار بين فيه فضائحهم وقبائحهم ووضح أمرهم لكل أحد
بينهم شيئاً من مساوي أفعالهم وأقوالهم وقد كان يقول في عبارته هؤلاء قوم يظهرون
الرفض ويبطنون الكفر المحض وفي رجب وشعبان ورمضان أخرج الوزير فخر الملك
صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين والمقيمين بالمشاهد والمقابر وزار بنفسه
المساجد والمشاهد وغير ذلك وأخرج خلقاً من المسجونين بالحبوس وأظهر نسكاً
كثيراً وعمر داراً عظيمة عند سوق الدقيق مما يليه وفي شوال عصفت ريح شديدة عظيمة
سوداء فقصفت شيئاً كثيراً من النخيل أكثر من عشرة آلاف وورد كتاب من يمين الدولة
أبي القاسم محمود بن سبكتكين صاحب غزنة أيده الله بأنه ركب بجيشه إلى دار العدو
فاجتاز بهم في مسافة فأعوزهم الماء حتى كادوا يهلكون عطشاً فبعث الله سحابة
فأمطرت عليهم حتى شربوا وارتووا واستقوا فقفوا أثرهم وعدوهم ومع الأعداء نحو من ستمائة
فيل فهزموهم وغنموا منهم شيئاً كثيراً من الأموال ولله الحمد وعملت الشيعة يوم غدير خم
وهو الثامن عشر من ذي الحجة البدعة التي ابتدعوها إلا ببغداد فحمد الله وزينت
الحوانيت وتمكنوا بسبب الوزير كثير من الأتراك تمكناً كثيراً فإنا لله وإنا إليه راجعون

وممن توفي فيها

الحسن بن الحسن بن علي بن العباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت أبو محمد النوبختي الكاتب
ولد سنة عشرين وثلاثمائة وروى عن المحاملي وغيره وعنه البرقاني وقال كان شيعياً

معتزلياً

معتزلياً إلا أنه تبين لي أنه كان صدوقاً وقال الأزهري كان رافضياً رديء المذهب
وقال العتيقي كان ثقة في الحديث ويذهب إلى الاعتزال عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلاني
أحد الزهاد الكبار المشهورين كانت له نخلات يأكل منهن ويعمل بيده في البواري وكان
من ذلك وكان في غاية الزهادة والعبادة الكثيرة وكان لا يخرج من مسجده إلا من
الجمعة إلى الجمعة يصلي في الجامع ثم يعود إلى مسجده وكان مسجده لا يحصل له شيء يشعله
فيه فطلب منه بعض الأمراء أن يقبل منه شيئاً ولو زيتاً يشعله في قنديله فأبى الشيخ
ذلك وله هذا وأمثاله ولما مات رأى بعضهم بعض الأموات من جيران قبره فسأله عن
جواره فقال وأين هو لما وضع في قبره سمعنا قائلاً يقول الفردوس الأعلى أو كما قال
وكانت وفاته في رجب من هذه السنة عن نيف وثمانين سنة محمد بن جعفر بن محمد بن
هارون بن فروة بن ناجية أبو الحسن النحوي المعروف بابن النجار التميمي الكوفي وقدم
بغداد وروى عن ابن دريد الصولي ونفطويه وغيرهم وكانت وفاته في جمادى الأولى من
هذه السنة عن سبع وتسعين سنة رح أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي النيسابوري
قال أبو يعلى الخليلي توفي في هذه السنة وقد تقدم في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة

في سادس المحرم قلد الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي نقابة الطالبيين في سائر الممالك
وقرئ تقليده في دار الوزير فخر الملك بمحضر القضاة والأعيان وخلع عليه السواد وهو
أول طالبي خلع عليه السواد وفيها جيء بأمير بني خفاجة أبي فليتة قبحه الله وجماعة من
رؤوس قومه أسارى وكانوا قد اعترضوا الحجيج في السنة الماضية وهم راجعون
وعوروا المناهل التي يرد منها الحجاج ووضعوا فيها الحنظل بحيث إنه مات من العطش
نحو من خمسة عشر ألفاً وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لمواشيهم في أسوأ حال وأخذوا
جميع ما كان معهم من الأحمال والجمال النجيبة فأحضرهم الوزير فخر الملك فسجنهم ومنعهم الماء ثم
صلبهم تلقاء دجلة يرون صفاء الماء ولا يقدرون على شيء منه حتى ماتوا كذلك
جزاء وفاقاً ولقد أحسن فخر الملك في هذا الصنيع واقتدى بحديث العرنيين الرعاء
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والحديث في الصحيحين ثم بعث إلى أولئك
الذين اعتقلوا في بلاد بني خفاجة من الحجاج وقد تزوجت نساؤهم وقسمت أموالهم فردهم
إلى أماكنهم وأموالهم ولله الحمد والمنة قال ابن الجوزي وفي رمضان انقض كوكب من
المشرق إلى المغرب عليه ضوء على ضوء القمر وتقطع قطعاً وبقي ساعة طويلة قال
وفي شوال توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى فخرجت النوائح والصلبان معها جهرة
فأنكر ذلك بعض الهاشميين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس في رأسه فشجه فثار المسلمون
بهم فانهزموا إلى كنيسة لهم هناك فدخلت العامة إليها فنهبوا ما فيها وما
قرب منها من دور النصارى وتتبعوا النصارى في البلد وقصدوا دار الناصح وابن
أبي إسرائيل فقاتلهم غلمانهم وانتشرت الفتنة ببغداد ورفع المسلمون المصاحف
في الأسواق وعطلت الجمعة في بعض الأيام واستغاثوا بالخليفة فأمر بإحضار ابن أبي
إسرائيل فامتنع فعزم الخليفة على الخروج من بغداد وقويت الفتنة جداً ونهبت
دور كثير من النصارى ثم أحضر ابن أبي إسرائيل وبذل أموالاً جزيلة فعفي عنه وسكنت

الفتنة وفي ذي القعدة ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر أنه ورد إليه رسول ابن الحاكم صاحب مصر يدعوه إلى طاعته فبصق فيه وأمر بتحريقه وأسمع رسوله غليظ ما يقال وفيها قلد أبو نصر بن مروان الكردي إمرة آمد وميافارقين وديار بكر وخلع عليه بطوق وسوار ولقب نصير الدولة ولم يتمكن ركب العراق وخراسان في هذه السنة من الذهاب إلى الحج لفساد الطريق وعيث الأعراب وغيبة فخر الملك في إصلاح الأراضي وفي هذه السنة عادت مملكة الأمويين بالأندلس فتولى فيها سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي ولقب بالمستعين وبايعه الناس بقرطبة وفيها مات بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة بن بويه الديلمي صاحب بغداد والعراق وغير ذلك من البلاد وقام بالأمر من بعده ولده سلطان الدولة أبو شجاع وفيها مات ملك الترك الأعظم ايلك خان فتولى أمرهم من بعده أخوه طغاخان وفيها الملك شمس المعالي قابوس بن وشمكير دخل بيتا باردا في الشتاء وليس عليه شيء من اللباس حتى مات كذلك وولي الأمر من بعده ولده منوجهر ولقب فلك المعالي وخطب لمحمود بن سبكتكين وقد كان شمس المعالي قابوس عالما فاضلا أديبا شاعرا فمن شعره قوله

قل للذي بصروف الدهر عيرنا • هل عاند الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر يطفو فوقه جيف • ويستقر بأقصى قعره الدرر

فإن تكن نشبت أيدي الخطوب بنا • ومسنا من توالي صرفها ضرر

ففي السماء نجوم غير ذي عدد • وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ومن شعره المستجاد الحسن قوله

خطرات ذكرك تستثير مودتي • فأحس منها في الفؤاد دبيبا

لا عضو لي إلا وفيه صبابة • فكأن أعضائي خلقن قلوبا

وممن توفي فيها من الأعيان

احمد بن علي أبو الحسن البتي كان يكتب للقادر وهو بالبطيحة ثم كتب له على ديوان الخراج والبريد وكان يحفظ القرآن حسن التلاوة مليح الصوت في التلاوة حسن المجالسة طريفا كثير النادرة والمجانة خرج في بعض الأيام هو والشريفان الرضي والمرتضى وجماعة من رؤساء الأكابر لتلقي بعض الملوك فخرج عليهم بعض اللصوص فجعلوا يرمونهم بالحذافات ويقولون يا أزواج القحاب فقال البتي يا قوم ما خرج هؤلاء علينا إلا يعنينا فقالوا ومن أين علمت هذا فقال لولا أنهم علموا أننا أزواج قحاب الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبد الله الوراق الحنبلي كان مدرس أصحاب أحمد وفقيههم في زمانه وله المصنفات المشهورة منها كتاب الجامع في اختلاف العلماء نحو أربعمائة جزء وله في أصول الدين والفقه وعليه اشتغل القاضي أبو يعلى بن الفراء وكان معظما في النفوس مقدما عند السلطان ولا يأكل إلا من كسب يده من النسخ وروى الحديث عن أبي بكر الشافعي وابن مالك القطيعي وغيرهما وخرج في هذه السنة إلى الحج فلما عطش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هناك في الحر الشديد فجاءه رجل بقليل من ماء فقال له ابن حامد من أين لك هذا فقال ما هذا وقته اشرب فقال بلى هذا وقته عند لقاء الله عز وجل فمات ولم يشرب ومات من فوره رح الحسين بن أحمد بن محمد بن حليم أبو عبد الله الحليمي صاحب المنهاج في أصول الديانة وكان أحد مشايخ الشافعية

ولد بجرجان وحمل إلى بخارا وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رياسة المحدثين في عصره وولي القضاء ببخارا قال القاضي ابن خلكان انتهت إليه الرياسة فيما وراء النهر وله وجوه حسنة في المذهب وروى عنه الحاكم أبو عبد الله فيروز أبو نصر الملقب بهاء الدولة ابن عضد الدولة الديلمي صاحب بغداد والعراق وهو الذي قبض على الطائع وولى القادر وكان يحب المصادرات فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد من بني بويه وكان بخيلا جدا وتوفي بأرجان في جمادى الآخرة من هذه السنة عن اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكانت مدة ملكه أربعا وعشرين سنة وثلاثة أيام وكان مرضه الصرع ودفن إلى جانب أبيه بمشهد علي قابوس بن وشمكير كان ملكا وكان الجند قد تغيروا عليه فبايعوا ولده منوجهر وقتلوا أباه كما ذكرنا في الحوادث وكان قد نظر في النجوم فرأى أن ولده يقتله فكان يتوهم أنه ولده دارا لما يرى من مخالفته له ولا يخطر بباله منوجهر لما يرى من طاعته له فكان هلاكه على يديه وقد قدمنا شيئا من شعره الحسن الجيد في الحوادث رح

القاضي أبو بكر الباقلاني

محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ومن أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره فانتشرت عنه تصانيف كثيرة منها كتاب التبصرة ودقائق الحقائق والتمهيد في أصول الفقه وشرح الإبانة وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار ومن أحسنها كتابه الرد على الباطنية الذي سماه كشف الأسرار وهتك الأستار وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع فقيل شافعي وقيل مالكي حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي وقد قيل إنه كان يكتب على الفتاوى كتبه محمد بن الطيب الحنبلي وهذا غريب جدا وقد كان في غاية الذكاء والفطنة ذكر الخطيب البغدادي وغيره أن عضد الدولة بعثه في رسالة إلى ملك الروم فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل إليه إلا من باب قصير ففهم أنه أراد بذلك أن ينحني كهيئة الراكع للملك فدخل الباب بظهره فجعل يمشي القهقرى إلى نحو الملك ثم انفتل فسلم عليه فعرف الملك مكانه من العلم والفهم فعظمه ويذكر أن الملك أحضر إلى بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل ليستفز عقله بها فلما سمعها القاضي خاف أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك فجعل لا يألو جهدا أن جرح رجله حتى خرج منها دم كثير فاشتغل بالألم عن الطرب ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفة فعجب الملك من ذلك ثم استكشف الملك عن أمره فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب فتحقق وفور همته وعلو عزيمته وقد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال ما فعلت زوجة نبيكم وما كان من أمرها فيما رميت به من الإفك فقال مجيبا له على البديهة هما امرأتان ذكرتا بسوء مريم وعائشة فبرأهما الله عز وجل وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد وأتت تلك بولد ولم يكن لها زوج يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم عليها السلام فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع وكلاهما بحمد الله مبرأتان من السماء بوحي من الله عز وجل رضي الله عنهما وقد سمع الباقلاني الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي وغيرهما وقد قيل إن الدارقطني رآه يوما فقبل عينيه وقال هذا يرد على أهل الأهواء باطلهم ودعا له وكانت وفاة الباقلاني يوم السبت

الخوارزمي الحنفي

لتسع بقين من ذي القعدة ودفن بداره ثم نقل الى مقبرة باب حرب محمد بن موسى بن محمد ابو بكر الخوارزمي شيخ الحنفية وفقيههم وقد اخذ العلم عن ابي بكر احمد بن علي الرازي وانتهت اليه رياسة الحنفية ببغداد وكان معظما عند الملوك ومن تلامذته القاضي الصيمري وقد سمع الحديث من ابي بكر الشافعي وغيره وكان ثقة دينا على طريقة السلف يقول دين الله من الكلام في شيء وكان فصيحا حسن النظر ودعي الى ولاية القضا غير مرة فلم يقبل وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الاولى سنة ثلاث واربعمائة ودفن بداره من درب عبده الحافظ ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي مصنف التلخيص واصله قروي وانما غلب عليه القابسي لان عمه كان يتعمم قابسية فقيل لهم ذلك وقد كان حافظا بارعا في علم الحديث رجلا صالحا جليل القدر لما توفي في ربيع الاخر من هذه السنة عكف الناس على قبره ليالي يقرأون القران ويدعون وجاءت الشعراء من كل اوب يرثون ويترحمون ولما اجلس للمناظرة انشد لغيره

• لعمرك ما الانساب تنمي الى العلى • الكريم في الدنيا كريم •

• ولكن البلاد اذا اقشعرت • وصوح نبتها رعي الهشيم •

الحافظ ابن الفرضي ابو الوليد

ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي القرطبي قاضي بلنسية سمع الكثير وجمع وحصل وصنف التاريخ والمؤتلف والمختلف ومشتبه النسبة وغير ذلك وكان من علامة زمانه قتل شهيدا رحمه الله على يدي البربر فسمع وهو جريح طريح يقرأ على نفسه الحديث الذي في الصحيح ما يكلم احد في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيمة وكلمه يدما اللون لون الدم والريح ريح المسك وقد كان سال الله عند استار الكعبة الشهادة فاعطاه الله ذلك ومن شعره

• اسير الخطايا عند بابك واقف • على وجل مما به انت عارف •

• يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها • ويرجوك فيها فهو راج وخائف •

• ومن ذا الذي يرجو سواك ويتقي • وما لك في فصل القضاء مخالف •

• فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي • اذا نشرت يوم الحساب الصحائف •

• وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما • يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف •

• لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي • ارجي لاسرافي فاني لتالف •

ثم دخلت سنة اربع واربعمائة

في يوم الخميس عشرة ربيع الاول منها جلس الخليفة القادر بالله في ابهة الخلافة واحضر الى بين يديه سلطان الدولة بن بهاء الدولة والجمهور بين يديه فخلع عليه سبع خلع على العادة وعمامة سوداء وسيفا وتاجا مرصعا وسوارين وطوقا ولواءين عقدهما الخليفة بيده ثم اعطاه سيفا وقال للخادم قلده به فهو شرف له ولعقبه يفتح به شرق الارض وغربها وكان ذلك يوما مشهودا وكان ذلك بحضرة القضاة والامراء والوزراء والائمة والاعيان والكبراء بدار الخلافة وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح وقتل وسبى وغنم وسلم وكتب الى الخليفة القادر بالله ان يوليه ما بيده من مملكة خراسان وغيرها من البلاد فاجابه الى ذلك وفيها عاثت بنو خفاجة ببلاد الكوفة فبرز اليهم

نائبها ابو الحسن بن مزيد فواقعهم فقتل منهم خلقا واسر محمد بن ثمال وجماعة من رؤسهم وانهزم الباقون فارسل الله عليهم حجارة فاهلكت منهم خمسمائة انسان وحج بالناس في هذه السنة ابو الحسن محمد بن الحسن الاقساسي

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسين بن احمد بن جعفر بن عبد الله المعروف بابن البغدادي سمع الحديث وكان زاهدا عابدا كثير المجاهدة لا ينام الا عن غلبة ولا يدخل الحمام ولا يغسل ثيابه الا بالماء وحده الحسين ابن عثمان بن علي ابو عبد الله المقرئ الضرير المجاهدي قرأ على ابن مجاهد القران وهو صغير وكان اخر من بقي من اصحابه وكانت وفاته في جمادى الاولى من هذه السنة وقد جاوز المائة سنة ودفن في مقابر الخيزران علي بن سعيد الاصطخري احد شيوخ المعتزلة صنف للقادر بالله الرد على الباطنية فاجرى عليه جراية سنية وكان يسكن درب رباح وكانت وفاته في شوال وقد جاوز الثمانين

ثم دخلت سنة خمس واربعمائة

فيها منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من المنازل او يطلعن من الاسطحة او الطاقات ومنع الخفافين من عمل الاخفاف لهن ومن الخروج الى الحمامات وقتل خلقا من النساء على مخالفته في ذلك وهدم بعض الحمامات عليهن وجهز عجائز كثيرة يطفن في البيوت يتعلمن احوال النساء من منهن يعشق او تعشق باسمائهن واسماء من يتعرض لهن واكثر من الدوران في الليل بالبلد وغرق خلقا ممن يطلع على فسقهن من الرجال والنساء فضاق النطاق عليهن وعلى العشاق ولم يتمكن منهم ان يصل الى احد الا نادرا حتى ان امراة نادت قاضي قضاة الديار المصرية وهو مالك بن سعيد الفارقي وخلفت بحق الحاكم لما وقف لها فاستمع كلامها فوقف لها فبكت بكاء شديدا وقالت لي اخ ليس لي غيره وهو في السياق واني اسالك لما وصلتني الى منزله لانظر اليه قبل ان يفارق فرق لها القاضي رقة شديدة وامر رجلين معه ان يكونا معها حتى يبلغاها الى المنزل الذي تريده فاغلقت بابها واعطت المفتاح جارتها وذهبت حتى وصلت مع الرجلين الى منزل فطرقت ودخلت وقالت لهما اذهبا راشدين واذا هو منزل لرجل تهواه ويهواها فاخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي فاعجبه ذلك وجاء زوجها اخر النهار فوجد بابه مغلقا فسال عن امرها فذكر له ما صنعت فاستغاث على القاضي وذهب اليه وقال له ما اريد امراتي الا منك فانها ليس لها اخ بالكلية وانما ذهبت الى عشيقها فخاف القاضي من معرة هذا الامر فركب الى الحاكم وبكى بين يديه فسال عن شانه فاخبره بما اتفق له من الامر فارسل الحاكم مع الرجلين من يحضر الرجل والمراة جميعا على اي حال كانا عليه فوجدوهما متعانقين سكارى فسالهما الحاكم عن حالهما فاخذا يعتذران بما لا يجدي شيئا فامر بتحريق المراة في بارية وضرب الرجل بالسياط ضربا مبرحا وازداد احتياط الحاكم على النساء حتى مات ذكره ابن الجوزي وفي رجب منها ولي ابو الحسن احمد بن محمد بن ابي الشوارب قضاء الحضرة بعد موت ابي محمد بن الاكفاني وفيها عمر فخر الملك مسجد الشرقية ونصب عليه الشبابيك من الحديد

وممن توفي فيها من الاعيان

بكر بن شاذان بن بكر ابو القسم المقرئ الواعظ سمع ابا بكر الشافعي وجعفرا الخلدي وعنه

نائبها

الازهري والخلال وكان ثقة امينا صالحا عابدا زاهدا له قيام ليل وكرم اخلاق ومات
في هذه السنة وقد نيف على الثمانين ودفن بباب حرب بدر بن حسنويه بن الحسين
ابو النجم الكردي كان من خيار الملوك بناحية الدينور وهمذان له سياسة وصدقة
كثيرة كناه القادر بالله ابا النجم ولقبه ناصر الدولة وعقد له لواء وانفذه اليه
وكانت اعماله في غاية الامن بحيث اذا اعيا جمل احد من المسافرين يتركه بما عليه في البرية
رد اليه ولو بعد حين بما كان عليه لا ينقص منه شيء ولما عاث الاكراد في البلاد عمل لهم
ضيافة حسنة فقدمها اليهم ولم ياتهم بخبز فجلسوا ينتظرون الخبز فلما استبطاوه سالوا
عنه فقال اذا كنتم تهلكون الحرث فمن اين تاتون بخبز ثم قال لا اسمع باحد افسد في الارض
الا ارقت دمه واجتاز مرة في بعض اسفاره برجل قد حمل حزمة حطب وهو يبكي فقال
له ما لك فقال اني كان معي رغيفان اريد ان اتقوت بهما فاخذهما مني بعض الجند
فقال له اتعرفه اذا رايته قال نعم فوقف به في مضيق حتى مر عليه الجند فلما اجتاز
به ذلك الرجل الذي اخذ منه الرغيفين قال هذا هو فامر به ان ينزل عن فرسه وان
يحمل هذه الحزمة عن الحطاب حتى يبلغ بها الى المدينة فاراد ان يفتدي من ذلك بمال
جزيل فلم يقبل منه حتى تادب به الجيش كلهم وكان يصرف في كل جمعة عشرة الاف درهم
على الفقراء والارامل والايتام وفي كل شهر عشرين الف درهم في تكفين الموتى ويصرف
في كل سنة الف دينار الى عشرين نفسا يحجون عن والدته وعن عضد الدولة لانه كان
السبب في تمليكه وثلاثة الاف دينار في كل سنة ماية الف دينار الى الحدادين والحذائين
المنقطعين بين همذان وبغداد يصلحون لهم الاحذية ونعال دوابهم ويصرف في كل سنة
ماية الف دينار الى الحرمين صدقة على المجاورين وعمارة المصانع واصلاح المياه في طريق
الحجاز والطلاقات لاهل المنازل وحفر الابار واصلاحها وما اجتاز في طريقه بماء جار الا
بنى عنده قرية وعمر في ايامه من المساجد والخانات ما ينيف على الفي مسجد وخان هذا
كله خارجا عما يصرف من ديوانه من الجرايات والنفقات والصدقات والبر والصلات
على اصناف الناس من الفقهاء والقضاة والمؤذنين والاشراف والشهود والايتام
والضعفاء وكان كثير الصلاة والذكر وكان له من الدواب المرتبطة في سبيل الله وفي الجشر
ما ينيف عن عشرين الفا وكانت وفاته في هذه السنة ومدة امارته ثنتان وثلثون سنة
ودفن بمشهد علي وترك من الاموال اربع عشرة الف بدرة دنانير واربعين بدرة البدرة عشرة
الاف الحسن بن الحسين بن حكان ابو علي الهمداني احد الفقهاء الشافعيين ببغداد عني
اولا بالحديث سمع شيئا كثيرا حتى قيل انه كتب بالبصرة عن نحو من خمسماية شيخ ثم اشتغل
بالفقه على ابي حامد المروزي وروى عنه الازهري وقال كان ضعيفا ليس بشيء في الحديث
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم ابو محمد الاسدي المعروف بابن الاكفاني قاضي قضاة
بغداد ولد سنة ست عشرة وثلثماية وروى عن القاضي المحاملي ومحمد بن مخلد وابن عقدة
وغيرهم وعنه البرقاني والتنوخي يقال انه انفق على طلب العلم ماية الف دينار وكان
عفيفا نزها صين العرض وكانت وفاته في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ولي الحكم
منها اربعين سنة نيابة واستقلالا رح عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن ادريس
بن سعد الحافظ الاستراباذي المعروف بالادريسي رحل في طلب الحديث وعني به وسمع الاصم

وغيره

وغيره وسكن سمرقند وصنف لها تاريخا وعرضه على الدارقطني فاستحسنه وحدث
ببغداد فسمع منه الازهري والتنوخي وكان ثقة حافظا رح ابو نصر عبد العزيز بن عمر
بن محمد بن احمد بن نباتة الشاعر المشهور امتدح سيف الدولة وغيره من الاكابر والامراء
والوزراء وهو القائل البيت المطروق المشهور

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره • تعددت الاسباب والداء واحد

عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة ابو نصر السعدي الشاعر وشعره موصوف
ومن شعره

واذا عجزت عن العدو فداره • وامزح له ان المزاح وفاق
فالنار بالماء الذي هو ضدها • تعطي النضاج وطبعها الاحراق

وكانت وفاته في شوال من هذه السنة • عبد الغفار بن عبد الرحمن ابو بكر الدينوري الفقيه
السفياني في اواخر من كان يفتي على مذهب سفيان الثوري ببغداد في جامع المنصور وكان
اليه النظر في الجامع والقيام بامره وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ودفن خلف
الجامع

الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك

محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم ابو عبد الله الحاكم الضبي الحافظ ويعرف
بابن البيع من اهل نيسابور وكان من اهل العلم والحفظ والحديث ولد سنة احدى وعشرين
وثلثماية واول سماعه في سنة ثلاثين وثلثماية فسمع الكثير وطوف في الافاق وصنف
الكتب الكبار والصغار فمن ذلك المستدرك على الصحيحين وعلوم الحديث والاكليل
وتاريخ نيسابور وقد روى عنه من مشايخه الدارقطني وابن ابي الفوارس وغيرهما وقد كان
من اهل العلم والحفظ والامانة والديانة والصيانة والضبط والثقة والتحرز والورع
رح لكن قال الخطيب البغدادي كان ابن البيع يميل الى التشيع فحدثني ابو اسحاق ابراهيم
بن محمد الارموي قال جمع الحاكم ابو عبد الله احاديث زعم انها صحاح على شرط البخاري ومسلم
يلزمهما اخراجها في صحيحهما فمنها حديث الطير ومن كنت مولاه فعلي مولاه فانكر عليه
اصحاب الحديث ولم يلتفتوا فيما الى قوله ولا صوبوه في فعله وقال محمد بن طاهر المقدسي
قال الحاكم حديث الطير لم يخرج في الصحيح وهو صحيح قال ابن طاهر بل هو موضوع
لا يروى الا عن سقاط اهل الكوفة من المجاهيل عن انس فان كان الحاكم لا يعرف هذا فهو
جاهل والا فهو معاند كذاب وقال ابو عبد الرحمن السلمي دخلت على الحاكم وهو مختف
من الكرامية لا يستطيع ان يخرج منهم فقلت لو خرجت فامليت حديثا في فضائل معاوية
لاسترحت مما انت فيه فقال لا يجيء من قلبي لا يجيء من قلبي توفي في صفر من هذه السنة عن اربع
وثمانين سنة

ابن جني

عثمان بن جني ابو الفتح الموصلي النحوي اللغوي صاحب التصانيف الفائقة المتداولة
في النحو واللغة وكان ابوه جني عبدا روميا مملوكا لسليمان بن فهد بن احمد الازدي الموصلي
ومن شعره في ذلك

فان اصبح بلا نسب فعلمي في الورى نسبي

هو يوسف بن احمد بن كج ابو القاسم القاضي احد ائمة الشافعية وله وجوه غريبة

محلها في المذهب وكانت له نعمة عظيمة جدا وولي القضا بالدينور لبدر بن حسنويه
فلما تغيرت البلاد بعد موت بدر وثب عليه جماعة من العيار بن فقتلوه ليلة سبع
وعشرين من رمضان من هذه السنة

ثم دخلت سنة ست واربعماية

في يوم الثلثا مستهل المحرم وقعت فتنة بين اهل السنة والروافض ثم سكن الفتنة
الوزير فخر الملك على ان تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشورا من تعليق المسوح والنوح
وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد بالبصرة اعجز الحفارين والناس عن دفن
موتاهم وانه اظلت البلد سحابة في حزيران فامطرتهم مطرا شديدا كثيرا وفي يوم السبت
ثالث صفر قلد الشريف المرتضى ابو القاسم نقابة الطالبيين والمظالم والحج
وجميع ما كان يتولاه اخوه الرضي وقرئ تقليده بحضرة الوزير فخر الملك والقضاة والاعيان
وكان يوما مشهودا وفيه ورد الخبر عن الحجيج بانه هلك منهم بسبب العطش اربعة عشر
الفا وسلم منهم ستة الاف وانهم شربوا ابوال الجمال من العطش وفي هذه السنة غزا محمود
ابن سبكتكين بلاد الهند فغدر به الادلا فسلكوا به على بلاد غريبة فانتهوا الى ارض قد
غمرها الما من البحر فخاض بنفسه الما اياما حتى تخلصوا بعدما غرق كثير من جيشه
وعاد الى خراسان بعد جهد جهيد ولم يذهب الركب في هذه السنة من العراق لفساد
الطرقات بالبلاد من الاعراب

وممن توفي فيها من الاعيان

الشيخ ابو حامد الاسفرايني

احمد بن محمد بن احمد الشيخ ابو حامد الاسفرايني امام الشافعية في زمانه ومولده في سنة
اربع واربعين وثلثماية قدم بغداد وهو صغير سنة ثلاث او اربع وستين فدرس
الفقه على ابي الحسن بن المرزبان ثم على ابي القاسم الداركي ولم يزل يترقى به الحال حتى
صارت اليه رياسة الشافعية وعظم جاهه عند السلطان والعوام وكان ثقة
اماما فقيها جليلا نبيلا شرح المزني في تعليقة حافلة نحو من خمسين مجلدة وله
تعليقة اخرى في اصول الفقه وروى عن ابي بكر الاسماعيلي وغيره قال الخطيب البغدادي
ورايته غير مرة وحضرت تدريسه بمسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع
وحدثنا عنه الخلال والازجي وسمعت من يذكر انه كان يحضر تدريسه سبعماية متفقه
وكان الناس يقولون لو راه الشافعي لفرح به وقال ابو الحسين القدوري ما رايت
في الشافعيين افقه من ابي حامد رح وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في طبقات
الشافعية ولله الحمد وذكر ابن خلكان في الوفيات ان القدوري كان يقول هو افقه
وانظر من الشافعي قال الشيخ ابو اسحاق وليس هذا بمسلم لان ابا حامد واشباهه بالنسبة الى
الشافعي كما قال الشاعر

• نزلوا بمكة في قبايل نوفل • ونزلت بالبيدا ابعد منزل

قال ابن خلكان وله من المصنفات التعليقة الكبرى وله كتاب البستان وهو صغير
فيه غرايب قال وقد اعتذر اليه بعض الفقها في بعض المناظرات فانشا الشيخ ابو حامد
يقول • جفا جرى جهرا لدى الناس وانبسط • وعذر اتى سرا فاكد ما فرط •

ومن ظن

• ومن ظن ان يمحو جلي جفايه • خفي اعتذار فهو في اعظم الغلط •

وكانت وفاته ليلة السبت لاحدى عشرة بقيت من شوال من هذه السنة ودفن بداره
بعد ما صلي عليه بالصحرا وكان الجمع كثيرا والبكا غزيرا ثم نقل الى مقبرة باب حرب في
سنة عشر واربعماية قال ابن الجوزي وبلغ من العمر احدى وستين سنة واشهرا • ابو احمد
الفرضي عبيد الله بن محمد بن احمد بن محمد بن علي بن مهران ابو احمد بن ابي مسلم الفرضي المقري
سمع المحاملي ويوسف بن يعقوب وحضر مجلس ابي بكر بن الانباري وكان اماما ثقة ورعا
وقورا كثير الخير يقرى القران ثم يسمع الحديث وكان معظما جليلا اذا قدم على الشيخ
ابي حامد الاسفرايني نهض اليه حافيا فتلقاه الى باب المسجد جاوز الثمانين رح

الشريف الرضي

محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب ابو الحسن العلوي لقبه بها الدولة بالرضي ذي الحسبين ولقب
اخاه بالمرتضى ذي المجدين وكان نقيب الطالبيين ببغداد بعد ابيه وكان فاضلا
دينا قرا القران بعد ثلاثين سنة من عمره وحفظ طرفا جيدا من الفقه وفنون العلم
وكان شاعرا مطيقا سخيا جوادا ورعا وقد قال بعضهم كان الشريف الرضي في كثرة
شعره اشعر قريش فمن شعره المستجاد

• اشتر العز بما شيت فما العز بغال •
• بالقصار الصفر ان شيت او بالسمر الطوال •
• ليس بالمغبون عقلا من شرى عزا بمال •
• انما يدخر المال لحاجات الرجال •
• والفتى من جعل الاموال اثمان المعالي •

وله ايضا

• يا طاير البان غريدا على فنن • ما هاج نوحك لي يا طاير البان •
• هل انت مبلغ من هام الفواد به • ان الطليق يودي حاجة العاني •
• جناية ما جناها غير متلفنا • يوم الوداع وواشوقي الى الجاني •
• لولا تذكر ايامي بذي سلم • وعند رامة اوطاري واوطاني •
• لما قدحت بنار الوجد في كبدي • ولا بللت بما الدمع اجفاني •

وقد نسب الى الرضي قصيدة يترامى فيها على الحاكم العبيدي اباه ويود انه لو كان
ببلاده في حوزته ويا ليت ان ذلك كان حتى يرى كيف كان يكون منزلته عنده
ولو ان الخليفة العباسي اجاد السياسة لسيره الى الديار المصرية ليقضي مراده
ويعلم الناس كيف حاله لكن حلم العباسيين غزير فيقول في هذه القصيدة

• البس الذل في بلاد الاعادي • وبمصر الخليفة العلوي •
• من ابوه ابي ومولاه مولاي • اذا ضامني البعيد القصي •
• لف عرقي بعرقه سيدا الناس • جميعا محمد وعلي •
• ان خوفي بذلك الربع امن • واوامي بذلك الورد ري •

فلما سمع الخليفة القادر بامر هذه القصيدة انزعج وبعث الى ابيه الشريف الطاهر

ابي احمد الموسوي يعاتبه فارسل الى ابنه الرضي فانكر ان يكون قال ذلك منهم والروافض من
شانهم التقية فقال له ابوه فاذا لم تكن قلتها فقل ابياتا تذكر فيها ان الخليفة المصري
دعي لا نسب له فقال اني اخاف من غائلة ذلك واصر على انه لا يقول ما امره به ابوه
وترددت الرسل من الخليفة اليهم في ذلك وهم ينكرون ذلك حتى بعث الشيخ ابو حامد
الاسفرايني والقاضي ابا بكر الباقلاني فاحلفاه بالله وبالايمان المؤكدة انه ما قالها والله اعلم
بحقيقة الحال وكانت وفاته في خامس المحرم من هذه السنة عن سبع واربعين سنة وحضر
جنازته الوزير والقضاة والاعيان وصلى عليه الوزير فخر الملك ودفن بداره بمسجد
الانبار ثم ولي اخوه الشريف المرتضى ما كان يليه وزيد على ذلك مناصب اخر كما ذكرنا وقد
رثى المرتضى اخاه الرضي بمرثاه في قصيدة المرعرحة المطلع باديس بن منصور بن بلكين
بن زيري بن مناد الحميري ابو المعز مناد بن باديس نائب الحاكم على بلاد افريقية وابن نائبها
ولقبه الحاكم نصير الدولة وكان ذا هيبة وسطوة وحرمة وافرة وشجاعة وشهامة مهيبة
وكان اذا هز رمحا كسره وكانت وفاته بغتة فجاة ليلة الاربعا سلخ ذي القعدة من هذه
السنة ويقال ان بعض الصالحين دعا عليه تلك الليلة وقام في الامر بعده ولده المعز منا

ثم دخلت سنة سبع واربعماية

في ربيع الاول منها احرق مشهد الحسين بن علي وأروقته وكان سببه ان القومة اشعلوا
شمعتين كبيرتين فمالتا في الليل على التازير فاحترق ونفذت النار منه الى غيره حتى
كان ما كان وفي هذا الشهر ايضا احترق دار القطن ببغداد واماكن كثيرة بباب البصرة
واحترق جامع سامرا وفي هذا الشهر ورد الخبر بتشعيث الركن اليماني من المسجد الحرام وسقوط
جدار بين يدي قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت
المقدس وهو من اغرب الاتفاقات واعجبها وفي هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد
افريقية ونهبت اموالهم ولم يترك منهم الا من لا يعرف وفيها كان ابتداء دولة العلويين
بالاندلس وليها علي بن حمود بن ابي العيش العلوي فدخل قرطبة في المحرم من هذه السنة
وقتل سليمان بن الحكم الاموي وقتل اباه ايضا وكان شجاعا صالحا ودايعه الناس وتلقب
بالمتوكل على الله ثم قتل في الحمام في ثامن عشر ذي القعدة من هذه السنة عن ثمان واربعين
سنة وقام بالامر من بعده اخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمامون فاقام في الملك
ست سنين ثم كان بن اخيه يحيى ثم ادريس اخو يحيى ثم ملك الامويون ثم اجانب
حتى ملك امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وفي هذه السنة ملك محمود بن
سبكتكين يمين الدولة بلاد خوارزم بعد ملكها خوارزمشاه مامون بن مامون وفيها
استوزر سلطان الدولة ابو شجاع ابا الحسن علي بن الفضل الرامهرمزي عوضا عن فخر
الملك وخلع عليه خلع الوزارة ولم يحج احد في هذه السنة من بلاد العراق لفساد البلاد
والطرقات وعبث الاعراب

وممن توفي فيها

احمد بن محمد بن يوسف بن دوست ابو عبد الله البزاز احد حفاظ الحديث والفقها على
مذهب مالك وكان يذاكر بحضرة الدارقطني ويتكلم في علم الحديث فيقال ان الدارقطني
تكلم فيه بذلك السبب وقد تكلم فيه غيره بما لا يقدح كبير شي قال الازهري رايت كتبه

كلما

كلما طرية وكان يذكر ان اصوله العتق غرقت وقد اثنى الحديث من حفظه والمخلص
وابن شاهين حيان موجودان وكانت وفاته في رمضان عن اربع وثمانين سنة

الوزير فخر الملك

محمد بن علي بن خلف ابو غالب الوزير الملقب فخر الملك كان من اهل واسط وكان ابوه
صيرفيا فتنقلت به الاحوال الى ان وزر بهاء الدولة بن عضد الدولة وقد اقتنى
اموالا جزيلة وبنى دارا عظيمة تعرف بالفخرية وكانت ولا للخليفة المتقي لله فانفق
عليها اموالا كثيرة ونفقات عزيزة وكان كريما جوادا بذل الاكثير الصدقة كسى في يوم
الف فقير وكان كثير الصلاة ايضا وهو اول من فرق الحلاوة ليلة النصف من شعبان
وكان فيه ميل الى التشيع وقد قتله سلطان الدولة في هذه السنة بالاهواز واخذ
من اموال شيا كثيرا من ذلك ازيد من ستماية الف دينار خارجا عن الاملاك والاثاث
والمتاع وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة واشهرا وقد قيل ان سبب هلاكه
ان رجلا قتله بعض غلمانه فاستعدت امراة الرجل عليه الى الوزير ورفعت اليه قصصا
فكل ذلك لا يلتفت اليها فقالت له ذات يوم ارايت القصص التي رفعتها اليك
ولا تلتفت اليها قد رفعتها الى الله وانا انتظر التوقيع عليها فلما مسك الوزير
قال قد والله خرج توقيع المراة فكان من امره ما كان

ثم دخلت سنة ثمان واربعماية

فيها وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض ببغداد فقتل خلق كثير من الفريقين
وفيها ملك ابو المظفر بن ارسلان خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها وتلقب بشرف الدولة
وذلك بعد وفاة اخيه طغاي خان وقد كان طغان خان هذا دينا فاضلا يحب اهل
العلم والدين وقد غزا الترك مرة فقتل منهم ما ينيف الف مقاتل واسر منهم ماية الف
وغنم من اواني الذهب والفضة واواني الصين شيا لم يعهد لاحد مثله فلما مات
ظهرت ملوك الترك في البلاد الشرقية وفي جمادى الاولى منها ولي ابو الحسين احمد بن
مهذب الدولة ابي الحسن علي بن نصر بلاد البطايح بعد ابيه فقاتله ابن عمه وتغلب
عليها وضربه حتى قتله ثم لم تطل مدته فيها حتى قتل ثم آلت بعد ذلك الى سلطان
الدولة صاحب بغداد وفي هذه السنة ضعف امير الديلم ببغداد وطمع فيهم العامة
فنزلوا الى واسط فقاتلهم اهلها مع الترك ايضا وفيها ولي نور الدولة ابو الاعز دبيس
ابن ابي الحسن علي بن مزيد بعد وفاة ابيه وفيها قدم السلطان الدولة بغداد وضرب
الطبل اوقات الصلوات ولم يجر بذلك العادة وعقد عقده على بنت قرواش على صداق
مبلغه خمسون الف دينار ولم يحج احد في هذه السنة من اهل العراق لفساد البلاد وعبث
الاعراب وضعف الدولة وقال ابو الفرج بن الجوزي في المنتظم اخبرنا سعد الله بن
علي البزار انا ابو بكر الطريثيثي انا هبة الله بن الحسن الطبري قال وفي سنة ثمان واربعماية
استتاب القادر بالله امير المومنين فقهاء المعتزلة الحنفية فاظهروا الرجوع وتبرأوا
من الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للاسلام واخذ خطوطهم بذلك وانهم متى خالفوه
حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به امثالهم وامتثل يمين الدولة وامين الملة ابو القسم

محمود بن سبكتكين أمره أمير المؤمنين أن استن بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة وصلبهم وحبسهم ونفاهم وأمر بلعنهم على منابر المسلمين وإبعاد كل طائفة من أهل البدع وطردهم عن ديارهم وصار ذلك سنة في الإسلام

وممن توفي فيها من الأعيان

الحاجب الكبير شباشي أبو نصر مولى شرف الدولة ولقبه بهاء الدولة بالسعيد وكان كثير الصدقة والأوقاف على وجوه القربات فمن ذلك أنه وقف دباها على المارستان وكانت تغل شيئاً كثيراً من الزروع والثمار والخراج وبنى قنطرة الخندق والياسرية وغير ذلك ولما دفن بمقبرة الإمام أحمد أوصى أن لا يبنى عليه فخالفوه فعقدوا على قبره قبة فسقطت وبعد موته بنحو من سبعين سنة اجتمع نسوة عند قبره يبكين وينحن فلما رجعن رأت عجوز منهن كانت هي المقدمة فيهن في المنام كأن تركياً خرج من التهايل من قبره ومعه دبوس فحمل عليها وزجرها فإذا هو الحاجب السعيد فانتبهت مذعورة

ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من المحرم قرئ بدار الخلافة في الموكب كتاب في مذهب أهل السنة وفيه أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم وفي النصف من جمادى الأولى من هذه السنة فاض البحر المالح وأتى إلى الأبلة ودخل البصرة بعد يومين وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند أيضاً واتقع هو وملك ملوك الهند فاقتتل الناس قتالاً عظيماً ثم انجلت عن هزيمة الهند وأخذ المسلمون منهم أموالاً عظيمة من الجوهر والذهب والفضة وماتي فيل واقتصوا آثار المنهزمين وهدموا معاقل كثيرة جداً ثم عاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً ولله الحمد والمنة وفيها استوزر سلطان الدولة ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل العراق لفساد البلاد وعيث الأعراب

وممن توفي فيها من الأعيان

رجاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الأنصاري نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها أنصنا قدم بغداد فحدث بها وسمع منه الحفاظ وكان ثقة فقيهاً مالكياً عدلاً متقدماً عند الحكام مرضياً فرضياً ثم عاد إلى بلده وتوفي بها في هذه السنة وقد جاوز الثمانين عبد الله بن محمد بن أبي علان أبو أحمد قاضي الأهواز كان ذا ثروة كثيرة وله مصنفات منها كتاب في معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فيه ألف معجزة وكان من كبار شيوخ المعتزلة توفي في هذه السنة عن تسع وثمانين سنة علي بن نصر بن الحسن مهذب الدولة صاحب بلاد البطيحة كانت له مكارم كثيرة وكان الناس يلجأون إلى بلاده في الشدائد فيؤويهم ويحسن إليهم ومن أكبر مناقبه في ذلك إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر بالله حين استجار به ونزل عنده بالبطائح فاراً من الطائع لله فآواه وأحسن إليه وكان في خدمته حين ولي إمرة المؤمنين فكانت له بها عنده اليد البيضاء وتولى البطائح ثنتين وثلاثين سنة وشهوراً وتوفي في هذا العام عن ثنتين وسبعين سنة وكان سبب موته أنه افتصد فانتفخ ذراعه حتى مات رحمه الله عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز أبو محمد الأزدي المصري الحافظ كان عالماً بالحديث وفنونه وله فيه المصنفات

الكبيرة

الكبيرة المشهورة قال أبو عبد الله الصوري الحافظ ما رأت عيناي مثله في معناه وقال الدارقطني ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له عبد الغني كأنه شعلة نار وجعل يفخم أمره ويرفع ذكره وقد صنف الحافظ عبد الغني هذا كتاباً فيه أوهام الحاكم فلما وقف عليه الحاكم جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغني بالفضل ويشكره على ذلك ويرجع إلى ما أصاب فيه من الرد عليه رحمه الله ولد الحافظ عبد الغني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة وتوفي في صفر من هذه السنة محمد بن أمير المؤمنين القادر بالله ويكنى بأبي الفضل كان أبوه قد جعله ولي عهده من بعده وضرب السكة باسمه وخطب له الخطباء على المنابر ولقب بالغالب بالله فلم يقدر له ذلك وتوفي في هذه السنة عن سبع وعشرين سنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد أبو الفتح البزار الطرسوسي يعرف بابن البصري سمع الكثير من المشايخ وسمع منه الصوري ببيت المقدس حين أقام به وكان ثقة مأموناً رحمه الله

سنة عشر وأربعمائة

فيها ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند في السنة الخالية وفيه أنه دخل مدينة فوجد فيها ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام ومبلغ ما في الصنم من الذهب يقارب مائة ألف دينار ومبلغ من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم وعندهم صنم معظم يؤرخون مدته بجهالتهم العظيمة بثلاثمائة ألف عام وقد عمر المجاهدون هذه المدينة بالإحراق فلم يبق منها إلا الرسوم وبلغ القتل الكفار من الهند خمسين ألفاً وأسلم منهم نحو من عشرين ألفاً وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخمسين ألفاً واستعرض من الأفيال ثلاثمائة وستة وخمسين فيلاً وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم وفي ربيع الآخر جلس القادر بالله وقرئ عهد الملك أبي الفوارس ولقب قوام الدولة وخلع عليه بخلع حملت إليه بولاية كرمان ولم يحج أحد في هذه السنة من العراق

وممن توفي فيها من الأعيان

الأصيغر المسمى الذي كان يخفر الحاج أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك أبو بكر الحافظ الأصبهاني توفي في رمضان هذه السنة هبة الله بن سلامة أبو القاسم الضرير المقرئ المفسر كان من أعلم الناس وأحفظهم للتفسير وكانت له حلقة في جامع المنصور روى ابن الجوزي بسنده إليه قال كان لنا شيخ نقرأ عليه فمات بعض أصحابه فرآه في النوم فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي قال فما كان حالك مع منكر ونكير قال لما أجلساني وسألاني ألهمني الله أن قلت بحق أبي بكر وعمر دعاني فقال أحدهما للآخر قد أقسم علينا بعظيمين فدعه فتركاني وذهبا

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة

فيها عدم الحاكم صاحب مصر

وذلك أنه كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال فقد الحاكم بن العزيز بن المعز الفاطمي صاحب مصر فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك وذلك لأنه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً ولنذكر شيئاً من صفاته القبيحة وسيرته الملعونة أخزاه الله ولادته

ثم كان قبحه الله كثير التلون في افعاله واقواله جائرا في كيفية بلوغه ما يؤمله من تصييره
الملعون لانه كان يروم ان يدعي الالهية كما ادعاها فرعون في زمان موسى وقد كان امر
الرعية اذا ذكره الخطيب على المنابر يقوم الناس على اقدامهم صفوفا اعظاما لذكره
واحتراما لاسمه فكانوا يفعلون هذا في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين وكان اهل مصر
على الخصوص اذا قاموا خروا سجدا حتى انه ليسجد بسجودهم من في الاسواق من الرعاع وغيرهم
وامر اليهود والنصارى بالدخول في دين الاسلام كرها ثم اذن لهم في العود الى اديانهم
وخرب كنائسهم ثم عمرها وخرب قمامة ثم اعادها وابتنى المدارس وجعل فيها الفقها
والمشايخ ثم قتلهم وخربها والزم الناس باغلاق الاسواق نهارا وفتحها ليلا
فامتثلوا ذلك دهرا طويلا حتى اجتاز مرة بشيخ يعمل النجارة في اثنا النهار فوقف
عليه فقال الم ننهكم عن هذا فقال يا سيدي لما كان الناس يسهرون لما كانوا
يتعيشون بالنهار فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه واعاد الناس الى امرهم
الاول وكل هذا تغيير للرسوم واختبار لطاعة العامة ليرقى الى ما هو اطم من ذلك
لعنه الله وقد كان يعمل الحسبة بنفسه يدور في الاسواق على حمار له وكان لا يركب
الا حمارا فمن وجده قد غش في معيشة امر عبدا اسود معه يقال له مسعود ان
يفعل به الفاحشة العظمى وهذا امر منكر ملعون لم يسبق اليه لعنه الله وكان
قد منع النساء من الخروج من منازلهن وقطع الاعناب حتى لا يتخذ الناس خمرا ومنعهم
من طبخ الملوخية واشياء من الرعونات التي لا تنضبط ولا تنحصر وكانت العامة
موغرين عليه يبغضونه كثيرا ويكتبون له الاوراق التي فيها الشتيمة البليغة له
ولاسلافه وحريمه في صورة قصص فاذا قراها ازداد حنقا عليهم حتى ان اهل مصر
عملوا صورة امراة من ورق بخفها وازارها وفي يدها قصة فيها من الشتيمة واللعنة
شي كثير فلما راها ظنها امراة فذهب من ناحيتها واخذ القصة من يدها فقراها
فراى ما فيها فاغضبه ذلك جدا وامر بقتل تلك المراة فلما تحققها من ورق ازداد
ايضا الى غضبه ثم لما وصل الى القاهرة امر العبيد من السودان ان يذهبوا الى
مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الاموال والحريم فذهبت العبيد فامتثلوا
ما امرهم به فقاتلهم اهل مصر قتالا عظيما ثلاثة ايام والنار تعمل في الدور والحريم
وفي كل يوم يخرج بنفسه قبحه الله فيقف من بعيد ويبكي ويقول من امر هؤلاء العبيد
بهذا ثم اجتمع الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف وجاروا الى الله عز وجل واستغاثوا
به فرق لهم الترك والمشارقة وانحازوا اليهم فقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم السودان
وتفاقم الحال جدا ثم ركب الحاكم لعنه الله ففصل بين الفريقين وكف العبيد عنهم
وقد كان يظهر التنصل من القضية وان العبيد ارتكبوا ذلك من غير علمه واذنه وكان
ينفذ لهم السلاح ويحثهم على ذلك في الباطن لعنه الله وما انجلى الحال حتى احترق من مصر
٢ نحو من ثلثها ونهب قريب من نصفها وسبيت حريم خلق كثير ففعل بهن الفواحش
والمنكرات حتى ان منهن من قتلت نفسها خوفا من العار والفضيحة واشترى
الرجال من سبي لهم من النساء والحريم من ايدي العبيد قال ابن الجوزي ثم زاد ظلم
الحاكم حتى عن له ان يدعي الربوبية فصار قوم من الجهال اذا راوه يقولون يا واحد يا احد

يا محيي يا مميت

صفة مقتله لعنه الله

كان قد تعدى شره الى الناس حتى الى اخته وكان يتهمها بالفاحشة ويسمعها اغلظ الكلام فتبرمت
منه وعملت على قتله فراسلت اكبر الامرا امير يقال له ابن دواس فتوافقت هي وهو على قتله
وتواطئا على ذلك وجهز من عنده عبدين اسودين من عبيده شهمين فقال لهما اذا كان
في الليلة الفلانية فكونا بجبل المقطم ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر
في النجوم وليس معه الا ركابي وصبي فاقتلاه واقتلاهما معه واتفق الحال على ذلك وتقرر
فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لامه ان في هذه الليلة علي قطع عظيم فان نجوت منه
عمرت نحوا من ثمانين سنة ومع هذا فانقلي حواصلي اليك فان اخوف ما اخاف عليك من
اختي فنقل حواصله الى امه وكان له في صناديق قريب من ثلثماية الف دينار وجواهر
اخر فقالت له امه يا مولانا اذا كان الامر كما تقول فارحمني ولا تركب في ليلتك هذه
الى موضع وكان من عادته ان يدور حول القصر كل ليلة فدار ثم عاد الى القصر فنام
الى قريب من ثلث الليل الاخر فاستيقظ وقال ان لم اركب الليلة فاضت نفسي
فثار فركب فرسا وصحبه صبي وصعد الجبل المقطم فاستقبله ذانك العبدان فانزلاه
عن مركوبه وقطعا يديه ورجليه وبقرا بطنه وحملاه فاتيا به مولاهما ابن دواس
فحمله الى اخته فدفنته في مجلس دارها واستدعت الامرا والاكابر والوزير وقد اطلعته
على الجلية فبايعتهم لولد الحاكم ابي الحسن علي ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله وكان
بدمشق فاستدعت به وجعلت تقول للناس ان الحاكم قال لي انه يغيب سبعة ايام
ثم يعود فاطمان الناس بذلك وجعلت ترسل ركابيين يصعدون الجبل ثم يجيئون ويقولون
تركناه في الموضع الفلاني ويقول الذين بعدهم تركناه في موضع كذا وكذا حتى اطمان
الناس وقدم ابن اخيها وقد استصحب معه من تنيس الف الف دينار والفي الف
درهم فحين وصل البسته تاج جد ابيه المعز وحلة عظيمة واجلسته على السرير وبايعه
الامرا والرؤسا واطلق لهم الاموال الجزيلة وخلعت على ابن دواس خلعة سنية هائلة
وعملت عزا اخيها الحاكم ثلاثة ايام ثم ارسلت الى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين
يديه بسيوفهم وقوفا في خدمته ثم امرته في بعض الايام يقولوا له انت قاتل مولانا
ثم يهبرونه بسيوفهم ففعلوا ذلك وقتلت كل من اطلع على سرها في قتل اخيها فعظمت
هيبتها وقويت حرمتها وثبتت دولتها وقد كان عمر الحاكم حين قتل سبعا وثلثين سنة
وقد كانت مدة ملكه من ذلك خمسا وعشرين سنة لعنه الله

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة واربعماية

فيها تولى القاضي ابو جعفر احمد بن محمد السمناني الحسبة والمواريث ببغداد وخلع عليه
بالسواد وفيها قال جماعة من المسلمين للملك الكبير يمين الدولة محمود بن سبكتكين انت
اكبر ملوك الارض وفي كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر والعدو وهذه طريق الحج قد
تعطلت من مدة سنين وفتحك لها اوجب من غيرها فتقدم الى قاضي القضاة ابي
محمد الناصحي ان يكون امير الحجيج في هذه السنة وبعث معه بثلاثين الف دينار للاعراب
غير ما جهز معه من الصدقات الى الحرمين فسار الناس صحبته فلما كانوا بفيد اعترضهم
الاعراب فصالحهم القاضي ابو محمد الناصحي بخمسة الاف دينار فامتنعوا وصمم كبير

الاعراب وهو حماد بن عدي على اخذ الحجيج وركب فرسه وجال الجولة واستنهض معه من شياطين العرب فتقدم اليه غلام من اهل سمرقند فرماه بسهم فوصل الى قلبه فسقط ميتا وانهزمت الاعراب وسلك الناس الطريق فحجوا ورجعوا سالمين ولله الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو سعد الماليني

احمد بن محمد بن احمد بن اسماعيل بن حفص ابو سعد الماليني الصوفي وماليني قرية من قرى هراة كان من الحفاظ المكثرين الرحالين في طلب الحديث الى الافاق وكتب كثيرا وكان ثقة صدوقا صالحا وكانت وفاته بمصر في شوال من هذه السنة الحسن بن الحسين بن محمد بن الحسين بن رامين القاضي ابو محمد الاستراباذي نزل بغداد وحدث بها عن الاسماعيلي وغيره وكان من الشافعيين الكبار فاضلا صالحا الحسن بن منصور بن غالب الوزير الملقب ذا السعادتين ولد بسيراف سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة وتنقلت به الاحوال الى ان وزر ببغداد ثم قتل وصودر ابوه على ثمانين الف دينار الحسين بن عمر ابو عبد الله الغزال سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم قال الخطيب كتبت عنه وكان شيخا ثقة صالحا كثير البكاء عند الذكر محمد بن عمر ابو بكر العنبري الشاعر كان اديبا ظريفا حسن الشعر فمن ذلك قوله

• اني نظرت الى الزمان واهله نظرا كفاني •
• فعرفته وعرفتهم وعرفت عزي من هواني •
• فلذاك اطرح الصديق فلا اراه ولا يراني •
• وزهدت فيما في يديه ودونه نيل الاماني •
• فتعجبوا لمغالب وهب الاقاصي للاداني •
• وانسل من بين الزحام فما له في القلب ثاني •

قال ابن الجوزي وقد كان متصوفا ثم خرج عنهم وذمهم بقصائد ذكرتها في تلبيس ابليس وكانت وفاته يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى من هذه السنة محمد بن احمد بن محمد بن رزق الله بن عبد الله بن يزيد بن خالد ابو الحسن البزار المعروف بابن رزقويه قال الخطيب هو اول شيخ كتبت عنه في سنة ثلاث واربعمائة وكان يذكر انه درس الفقه على مذهب الشافعي وكان ثقة صدوقا كثير السماع والكتابة حسن الاعتقاد جميل المذهب مديما لتلاوة القران شديدا على اهل البدع ومكث دهرا يملي الحديث وكان يقول لا احب الدنيا الا لذكر الله وتلاوة القران وقراءتي عليكم الحديث وقد بعث بعض الامراء الى العلماء بذهب فقبلوا كلهم غيره فانه لم يقبل شيئا وكانت وفاته في يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الاولى من هذه السنة عن سبع وثمانين سنة ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي

ابو عبد الرحمن السلمي

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ابو عبد الرحمن السلمي النيسابوري روى عن الاصم وغيره وعنه مشايخ البغاددة كالازهري والمحاملي وغيرهما وروى عنه البيهقي وغيره قال ابن الجوزي كانت له عناية باخبار الصوفية فصنف لهم تفسيرا وسننا وتاريخا وتراجم وابوابا وله بنيسابور دار معروفة وبها صوفية وبها قبره ثم ذكر كلام الناس في تضعيفه في الرواية

فحكى

فحكى الخطيب عن محمد بن يوسف القطان انه قال لم يكن بثقة ولم يكن سمع من الاصم كثيرا فلما مات الحاكم روى عنه اشياء كثيرة جدا وكان يضع للصوفية الاحاديث قال ابن الجوزي وكانت وفاته في ثالث شعبان من هذه السنة ابو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري كان يعظ ويتكلم على الاحوال والمعرفة فمن كلامه من تواضع لاحد لاجل دنياه ذهب ثلثا دينه لانه خضع له بلسانه واركانه فلو خضع له بقلبه ذهب دينه كله وقال في قوله تعالى فاذكروني اذكركم اذكروني وانتم احياء اذكركم وانتم تحت التراب وقال البلاء الاكبر ان تريد فلا تراد وتدنو فترد الى الابعاد وانشد عند قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف

• جننا بليلى وهي جنت بغيرنا • واخرى بنا مجنونة لا نريدها •

وقال في قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره اذا كان المخلوق لا وصول اليه الا بتحمل المشاق فما ظنك بمن لم يزل

صريع الدلاء الشاعر

ابو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي الشاعر الماجن المعروف بصريع الدلاء قتيل الغواشي ذي الرقاعتين له قصيدة مقصورة في الهزل عارض بها مقصورة ابي بكر بن دريد يقول فيها

• والفحم من متاع تسترا • انفع للمسكين من لقط النوى •
• من ذبح الديك ولا يذبحه • طار من القدر الى حيث انتهى •
• من دخلت في عينه مسلة • فسله من ساعته كيف العمى •
• والذقن شعر في الوجوه طالع • كذلك القفصة من خلف القفا •

الى ان ختمها بالبيت الذي حسد عليه •

• من فاته العلم واخطاه الغنى • فذاك والكلب على حد سوا •

قدم مصر في سنة ثنتي عشرة واربعمائة وامتدح بها خليفتها الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم واتفقت وفاته بها في رجبها سامحه الله

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة واربعمائة

فيها جرت كائنة غريبة ومصيبة عظيمة وهي ان رجلا من المصريين من اصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على امر سوء فلما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الاول طاف هذا الرجل بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ضربات متواليات وقال الى متى يعبد هذا الحجر ولا محمد ولا علي فيمنعني عما افعله فاني اهدم اليوم هذا البيت وجعل يرتعد فاتقاه اكثر الحاضرين وتاخروا عنه وذلك انه كان رجلا طوالا جسيما احمر اللون اشقر الشعر وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن اراده بسوء فتقدم اليه رجل من اهل اليمن معه خنجر فوجاه بها وتكاثر عليه الناس فقتلوه وقطعوه قطعا وحرقوه وتتبعوا اصحابه فقتل منهم جماعة ونهبت اهل مكة الركب المصريين وتعدى النهب الى غيرهم ايضا وجرت خبطة عظيمة وفتنة كبيرة جدا ثم سكن الحال بعد ان تتبع اولئك النفر الذين تمالؤوا على الالحاد في اشرف البلاد غير انه سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الاظفار وبدا ما تحتها اسمر يضرب الى صفرة محببا مثل الخشخاش فاخذ بنو شيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الان

وهو ظاهر لمن تأمله، وفي هذه السنة فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك أبو علي الحسن الرخجي وزير شرف الملك بواسط، ورتبت له الخزائن والأشربة والعقاقير وغير ذلك مما يحتاج إليه

وممن توفي في هذه السنة

من الأعيان ابن البواب الكاتب

علي بن هلال أبو الحسن بن البواب صاحب الخط المنسوب، صحب ابن الحسين بن سمعون الواعظ، كان يقص بجامع المدينة، وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته، وأما خطه وطريقته فأشهر من أن ينبه عليها، وخطه أوضح تعريبا من خط أبي علي بن مقلة، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل. قال ابن الجوزي وكانت وفاته يوم السبت ثاني جمادى الآخرة من هذه السنة، ودفن بمقبرة باب حرب، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها

فللقلوب التي أبهجتها حزن • وللعيون التي أقررتها سهر

فما لعيش وقد ودعته أرج • وما لليل وقد فارقته سحر

وقال ابن خلكان ويقال له ابن الستري لأن أباه كان ملازما لستر الباب، ويقال له ابن البواب، وكان قد أخذ الخط عن أبي عبد الله محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار، وقد سمع ابن أسد هذا على النجاد وغيره، وتوفي في سنة عشر وأربعمائة، وأما ابن البواب فإنه توفي في جمادى الأولى من هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وقد رثاه بعضهم فقال

استشعر الكتاب فقدك سالفا • وقضت بصحة ذلك الأيام

فلذاك سودت الدوي كآبة • أسفا عليك وشقت الأقلام

ثم ذكر القاضي ابن خلكان أول من كتب بالعربية، فقيل إسماعيل عليه السلام، وقيل أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس، تعلمها من بلاد الحيرة عن رجل يقال له أسلم بن سدرة، وسأله ممن اقتبستها فقال من واضعها رجل يقال له مرامر بن مرة، وهو رجل من أهل الأنبار، فأصل الكتابة في العرب من أهل الأنبار. قال الهيثم بن عدي وقد كانت لحمير كتابة يسمونها المسند، وهي حروف متصلة غير منفصلة، وكانوا يمنعون العامة من تعلمها، وجميع كتابات الناس تنتهي إلى اثني عشر صنفا وهي العربية والحميرية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية والقبطية والبربرية والهندية والأندلسية والصينية، وقد اندرس كثير منها فقل من يعرف كثيرا منها. علي بن عيسى بن سليمان بن محمد بن أبان أبو الحسين الفارسي المعروف بالسكري الشاعر، كان يحفظ القرآن ويعرف القراءات، وصحب القاضي أبا بكر الباقلاني، وأكثر شعره في مديح الصحابة وذم الرافضة، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة، ودفن بالقرب من قبر معروف الكرخي، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات كلها

يا نفس يا نفس كم تمادين في الغي • وتأسين في الفعال المعيب

لا تغرنك السلامة في العيش • فإن السليم رهن الخطوب

كل حي فللمنون ولا يد فع • كأس المنون كيد الأريب

واعلمي أن للمنية وقتا • سوف يأتي عجلان غير هيوب

إن حب الصديق في موقف الحشر • أمان للخائف المطلوب

محمد بن أحمد بن منصور أبو جعفر البيع ويعرف بالعتيقي، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة

واقام بطرسوس مدة وسمع بها وبغيرها، وحدث بشيء يسير

ابن المعلم شيخ الإمامية

محمد بن محمد بن النعمان أبو عبد الله المعروف بابن المعلم، شيخ الروافض والمصنف لهم، والحامي عن حوزتهم، وكانت له وجاهة عند ملوك الأطراف لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع، وكان مجلسه يحضره كثير من العلماء من سائر الطوائف، وكان من جملة تلاميذه الشريف المرتضى، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته في رمضان في هذه السنة.

من للفضل أخرجت منه حساما • ومعان فضضت عنها ختاما

من يثير العقول من بعدما • كن همودا وينتج الأفهاما

من يعير الصديق رأيا إذا ما • سله في الخطوب كان حساما

ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة

فيها قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد، فخرج الخليفة في الطيار لتلقيه وصحبته الأمراء والقضاة والفقهاء والرؤساء، فلما واجهه شرف الدولة قبل الأرض بين يدي الخليفة مرات، والجيش واقف برمته، والعامة في الجانبين، والخليفة يبعث الرسل إليه بالسلام عليه، وكان يوما مشهودا. وفيها ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر فيه أنه دخل بلاد الهند أيضا، وأنه فتح بلادا وقتل خلقا منهم، وأنه صالحه بعض ملوكهم، وبعث إليه بهدايا سنية وتحف كثيرة، منها فيول كثيرة، ومنها طائر على هيئة القمري إذا وضع عند الخوان وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء، ومنها حجر يحك ويؤخذ ما يحصل منه فيطلى به الجراحات ذوات الأفواه الواسعة فيلحمها، وغير ذلك. وحج أهل العراق في هذه السنة، ولكن رجعوا على طريق الشام لاحتياجهم إلى ذلك

وممن توفي فيها من الأعيان

الحسن بن الفضل بن سهلان أبو محمد الرامهرمزي وزير سلطان الدولة، وهو الذي بنى سور الحائر عند مشهد الحسين، وقتل في شعبان من هذه السنة. الحسن بن محمد أبو عبد الله الكشفلي الطبري الفقيه الشافعي، تفقه على أبي القاسم الداركي، وكان شيخا فاضلا صالحا زاهدا، وهو الذي درس بعد الشيخ أبي حامد الإسفرايني في مسجده مسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع، وكانت الطلبة عنده، اشتكى بعضهم إليه حاجة وأنه قد تأخرت نفقته التي ترد عليه من أبيه، فأخذ بيده وذهب إلى بعض التجار بقطيعة الربيع فاستقرض له منه خمسين دينارا، فقال التاجر حتى تأكل شيئا، فمد السماط فأكلوا، ثم قال يا جارية هاتي المال، فأحضرت جارية شيئا من المال فوزن منه خمسين دينارا ودفعها إلى الشيخ، فلما قاما إذا بوجه الفقيه قد تغير، فقال له الكشفلي ما لك؟ فقال يا سيدي قد سكن قلبي حب هذه الجارية، فرجع إلى التاجر فقال له قد وقعنا في فتنة أخرى، فقال وما هي؟ فقال إن الفقيه قد هوي الجارية، فأمر التاجر بأن تخرج، فسلمها إليه وقال لعلها يكون قد وقع في قلبها منه مثل الذي وقع في قلبه منها، فلما كان بعد قريب قدمت على الفقيه نفقته من أبيه ستمائة دينار، فوفى التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض، وذلك ببشارة الشيخ أبي محمد الكشفلي، وكانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة، ودفن بمقبرة باب حرب. علي بن عبد الله بن جهضم أبو الحسن الصوفي المكي صاحب بهجة الأسرار، وكان

شيخ الصوفية بمكة وبها توفي في هذه السنة قال ابن الجوزي وقد ذكر القاسم بن جعفر
ابن عبد الواحد أبو عمر الهاشمي البصري قاضيها سمع الكثير وكان ثقة أمينا وهو راوي
سنن أبي داود عن أبي علي اللؤلؤي توفي في هذه السنة وقد جاوز التسعين رح محمد بن
أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار أبو الفرج القاضي الشافعي ويعرف بابن سميكة روى
عن النجاد وغيره وكان ثقة توفي في ربيع الأول منها ودفن بمقبرة باب حرب محمد بن أحمد
أبو جعفر النسفي عالم الحنفية في زمانه وله طريقة في الخلاف وكان فقيرا متزهدا
بات ليلة قلقا لما عنده من الفقر والحاجة فعرض له فكره في فرع من الفروع كان يشكل عليه
فانفتح له فقام يرقص ويقول أين الملوك وأبناء الملوك فسألته امرأته عن خبره فأعلمها
بما حصل له فتعجبت من شأنه رح وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة هلال بن
محمد بن جعفر بن سعدان أبو الفتح الحفار سمع إسماعيل الصفار والنجاد وابن السماك
وابن السماك وابن الصواف وكان ثقة توفي في صفر من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة

النسفي أبو جعفر الحنفي

ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة

فيها ألزم الوزير المغربي جماعة الأتراك والمولدين والشريف المرتضى ونظام الحضرتين
أبا الحسن الزينبي وقاضي القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب والشهود بالحضور لتجديد
البيعة لشرف الدولة فلما بلغ ذلك الخليفة توهم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة
من أجله فبعث إلى القاضي والرؤساء ينهاهم عن الحضور إليهم فاختلفت الكلمة بين الخليفة
وشرف الدولة ثم اصطلحا وتصافيا وجددت البيعة لكل منهما من الآخر ولم يحج في هذه
السنة من ركب خراسان أحد واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين شهد الموسم
في هذه السنة فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة ليحملها للملك محمود بن سبكتكين
فلما رجع بها استأذنه الملك محمود فأرسل بها إلى بغداد فحرقت على باب النوبي بحضرة
الخليفة القادر بالله العباسي رح وجزاه الله خيرا عن قصده الصالح وحسن سيرته

وممن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد بن عمرو بن خالد بن الرسل أبو الفرج المعدل المعروف
بابن المسلمة ولد سنة سبع وثلاثين وسمع أباه وأحمد بن كامل والخطبي ودعلج بن أحمد وغيرهم وكان
ثقة يسكن الجانب الشرقي من بغداد ويملي في أول كل سنة مجلسا في المحرم وكان عاقلا فاضلا
كثير المعروف داره مألف لأهل العلم وكان قد تفقه بأبي بكر الرازي وكان يصوم الدهر
ويقرأ في كل يوم سبعا ويعيده بعينه في تهجده وكانت وفاته في ذي القعدة منها أحمد
ابن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي أبو الحسن
المحاملي نسبة إلى بيع المحامل تفقه على الشيخ أبي حامد الإسفرايني وبرع فيه حتى كان الشيخ
أبو حامد يقول هو أحفظ للفقه مني وله المصنفات المشهورة منها اللباب والأوسط
والمقنع وله في الخلاف وعلق عن الشيخ أبي حامد تعليقة كبيرة قال ابن خلكان ولد
سنة ثمان وستين وثلثمائة وتوفي في يوم الأربعاء لتسع بقين من ربيع الآخر من هذه
السنة وهو شاب رح سلطان الدولة بن بهاء الدولة توفي بشيراز عن ثنتين
وثلاثين سنة وخمسة أشهر عبيد الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم الخفاف
المعروف بابن النقيب كان من أئمة السنة وحين بلغه موت ابن المعلم جلس ابن النقيب

للتهنئة

للتهنئة وقال ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم ومكث دهرا طويلا يصلي
الفجر بوضوء العشاء قال الخطيب البغدادي وسألته عن مولده فقال في سنة خمس وثلثمائة
وأذكر من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع والطائع والقادر
والغالب بالله خطب له بولاية العهد وكانت وفاته في سلخ شعبان من هذه السنة عن مائة
وعشر سنين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوف أبو حفص الدلال قال سمعت الشبلي ينشد

وقد كان شيء يسمى السرور • قديما سمعنا به ما فعل •
خليلي إن دام هم النفوس • قليلا على ما نراه قتل •
يؤمل دنيا لتبقى له • فمات المؤمل قبل الأمل •

محمد بن الحسن أبو الحسن الأقساسي العلوي نائب الشريف المرتضى في إمرة الحج حج بالناس
في سنين متعددة وله فصاحة وشعر جيد وهو من سلالة زيد بن علي بن الحسين

ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة

فيها قوي أمر العيارين ببغداد ونهبوا الدور جهرة واستهانوا بأمر السلطان

وفاة شرف الدولة

وفي ربيع الأول منها توفي شرف الدولة بن بويه الديلمي صاحب بغداد والعراق وغير ذلك
فكثرت الشرور ببغداد ونهبت الخزائن واستقر الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر
وخطب له على المنابر وهو على البصرة وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ماكولا وزيره ولقبه
علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة
ثم طلب من الخليفة أن يبايع لأبي كاليجار وكان ولي عهد أبيه سلطان الدولة الذي
استخلفه بهاء الدولة عليهم فتوقف الجواب ثم وافقهم على ما أرادوا من ذلك وأقيمت
الخطبة للملك أبي كاليجار يوم الجمعة سادس عشر شوال من هذه السنة ثم تفاقم الأمر
ببغداد من جهة العيارين وكبسوا الدور ليلا ونهارا وضربوا أهلها كما يضرب المصادرون
ويستغيث أحدهم فلا يغاث واشتد الحال وهربت الشرط من بغداد ولم تغن الأتراك
شيئا وعملت السرايج على أفواه السكك فلم تغن شيئا فإنا لله وإنا إليه راجعون واحترقت
دار الشريف المرتضى فانتقل منها إلى غيرها وغلت الأسعار ببغداد أيضا جدا ولم يحج أحد
من أهل خراسان

وممن توفي فيها من الأعيان

سابور بن أردشير وزر لبهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة ثلاث مرات ووزر لشرف
الدولة أيضا وكان كاتبا سديدا عفيفا عن الأموال كثير الخير سليم الباطن وكان إذا
سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة وقد وقف دار العلم في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة
وجعل فيها كتبا كثيرة جدا ووقف عليها غلة كثيرة فبقيت سبعين سنة ثم احترقت
عند مجيء الملك طغرلبك في سنة خمسين وأربعمائة وكانت محلتها بين السورين وقد
كان جيد المباشرة إلا أنه كان يعزل عماله سريعا ويتقارب للمتشيعين عثمان النيسابوري
الخركوشي الواعظ قال ابن الجوزي صنف كتابا في الوعظ من أبرد الأشياء وفيه أحاديث
كثيرة موضوعة وكلمات مرذولة إلا أنه كان خيرا صالحا وكانت له وجاهة عند الخلفاء
عند الملوك وكان الملك محمود بن سبكتكين إذا رآه قام له وكانت محلته حمى يحتمي بها من

الظلمة وقد وقع في بلده نيسابور موت فكان يغسل الموتى فوجد أنه غسل بخواص عشرة آلاف ميت. محمد بن الحسن بن صالح أبو منصور الوزير لشرف الدولة ولبهاء الدولة أيضاً وكان وزير صدق جيد المباشرة حسن الصلاة محافظاً على أوقاتها وكان محسناً إلى الشعراء والعلماء توفي ببغداد في هذه السنة عن ست وسبعين سنة. الملك شرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه الديلمي صاحب بغداد وغيرها من البلاد أصابه مرض حاد فتوفي منه لثمان بقين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً

التهامي الشاعر

له ديوان مشهور وله مرثاة في ولد له صغير أولها

حكم المنية في البرية جاري ٭ ما هذه الدنيا بدار قرار

ومنها

إني لأرحم حاسدي لحر ما ٭ ضمنت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ٭ في جنة وقلوبهم في نار

ومنها في ذم الدنيا

طبعت على كدر وأنت تريدها ٭ صفواً من الأقذار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها ٭ متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما ٭ تبني الرجاء على شفير هار

ومنها قوله في ولده بعد مماته

جاورت أعدائي وجاور ربه ٭ شتان بين جواره وجواري

وقد ذكر القاضي ابن خلكان أنه رآه بعضهم في المنام في هيئة حسنة فقال له فقال بهذا البيت رحمه الله توفي [illegible] في هذه السنة

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة

في العشرين من المحرم وقعت فتنة عظيمة بين الأسفهسلارية والعيارين وركبت الديلم والأتراك بالدبادب كما يفعل في الحرب وأحرقت أبواب كثيرة من الدور التي احتمى فيها العيارون وأحرق من الكرخ جانب كبير ونهب ماله وتعدى النهب إلى غيرهم أيضاً وقامت فتنة هائلة شنيعة ثم خمدت في اليوم الثاني وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار مصادرة لإثارتهم الفتن والشرور وفي شهر ربيع الآخر شهد أبو عبد الله الحسين بن علي الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب بعدما كان استتابه بما ذكر عنه من الاعتزال وفي رمضان انقض كوكب سمع له دوي كصوت الرعد ووقع في سلخ شوال برد لم يعهد مثله واستمر ذلك إلى العشرين من ذي الحجة وجمد الماء طول هذه المدة حتى جافات دجلة والأنهار الكبار وقاسى الناس شدة عظيمة وتأخر المطر وزيادة دجلة وقل الزراعة وامتنع كثير من الناس عن التصرف ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة لفساد البلاد والطرقات

وممن توفي فيها من الأعيان

قاضي القضاة ابن أبي الشوارب

أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب أبو الحسن القرشي الأموي قاضي قضاة بغداد بعد ابن الأكفاني ثنتي عشرة سنة وكان عفيفاً نزهاً وقد سمع

الحديث

الحديث من أبي عمر الزاهد وعبد الباقي بن قانع إلا أنه لم يحدث قال ابن الجوزي وحكى الخطيب البغدادي عن شيخه أبي العلاء الواسطي أن أبا الحسن هذا آخر من ولي الحكم ببغداد من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وقد ولي الحكم من سلالته أربعة وعشرون منهم ثمانية تقلدوا قضاء القضاة ببغداد قال أبو العلاء وما رأينا مثل ابن أبي الشوارب جلالة ونزاهة وصيانة وشرفاً وقد ذكر القاضي الماوردي أنه كان له صديقاً وصاحباً وأن رجلاً من خيار الناس أوصى له بمائتي دينار فحملهما الماوردي إليه فأبى أن يقبلهما وجهد عليه كل الجهد فلم يفعل وقال أسألك بالله لا تذكر هذا لأحد ما دمت حياً ففعل فلم يخبر عنه إلا بعد موته وقد توفي في شوال من هذه السنة جعفر بن أبان أبو مسلم الختلي سمع ابن بطة ودرس الفقه الشافعي على الشيخ أبي حامد الإسفراييني وكان ثقة ديناً فاضلاً توفي في رمضان من هذه السنة عمر بن أحمد بن عبدويه أبو حازم الهذلي النيسابوري سمع ابن نجيد والإسماعيلي وخلقاً وسمع منه الخطيب وغيره وكان الناس ينتفعون بإفادته وانتخابه توفي يوم عيد الفطر منها علي بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسن المقرئ المعروف بالحمامي سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم وكان صدوقاً فاضلاً حسن الاعتقاد وتفرد بأسانيد القراءات وعلوها وتوفي في شعبان من هذه السنة عن تسع وثمانين سنة صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي صاحب كتاب الفصوص في اللغة على طريقة القالي في الأمالي صنفه للمنصور بن أبي عامر فأجازه عليه خمسة آلاف دينار ثم قيل له إنه كذاب متهم فيما ينقله فألقوا الكتاب في النهر فقال في ذلك بعض الشعراء

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ٭ وهكذا كل ثقيل يغوص

فلما بلغ صاعداً هذا البيت عاد إلى عنصره إنما يخرج من قعر البحور الفصوص قلت كأنه سمى هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به الصحاح للجوهري لكن كان مع فضيلته وبلاغته وعلمه متهماً بالكذب فيما يرويه وينقله فلهذا رفض الناس كتابه ولم يشتهر بينهم وقد كان ظريفاً ماجناً سريع الجواب سأله رجل أعمى على سبيل التهكم بحضرة جماعة فقال له ما الجرنفل فأطرق ساعة وعرف أنه افتعل هذه اللفظة ثم رفع رأسه فقال هو الذي يأتي نساء العميان ولا يتعداهن إلى غيرهن فاستحيى ذلك الأعمى وضحك الحاضرون وقد كانت وفاته في هذه السنة سامحه الله

القفال المروزي

هو أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله القفال أحد أئمة الشافعية الكبار علماً وزهداً وحفظاً وتصنيفاً وإليه تنسب الطريقة الخراسانية ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجويني والقاضي حسين وأبو علي السنجي قال القاضي ابن خلكان وأخذ عنه إمام الحرمين وفيما قاله نظر لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك فإن القفال هذا توفي في هذه السنة وله تسعون سنة ودفن بسجستان وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة بعد وفاة القفال بسنتين ومات سنة ثمان وسبعين كما سيأتي وإنما قيل له القفال لأنه كان أولاً يعمل الأقفال ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة ثم أقبل على الاشتغال بعد ذلك رحمه الله

ثم دخلت سنة ثماني عشرة وأربعمائة

في ربيع الاول وقع برد اهلك شيا كثيرا من الزروع والثمار وقتل خلقا كثيرا من الغنم والوحوش قال ابن الجوزي وقد قيل انه كان في كل بردة رطلان واكثر وفي واسط بلغت البردة ارطالا وفي بغداد بقدر البيض وفي ربيع الاخر سالت الاسفهسلارية والغلمان من الخليفة ان يعزل عنهم ابا كاليجار لتهاونه بامرهم وفساد الاموال في ايامه وتولية جلال الدولة الذي كان قد عزلوه عنهم اولا فماطلهم الخليفة في ذلك وكتب الى ابي كاليجار ان يتدارك امره وان يسرع الاوبة الى بغداد قبل ان يفوت الامر ثم الحوا على الخليفة في جلال الدولة واقاموا له الخطبة ببغداد وتفاقم الحال وفسد النظام وفي هذه السنة ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين انه دخل بلاد الهند ايضا وانه كسر الصنم الاعظم الذي لهم المسمى بسومنات وقد كانوا يفدون اليه من كل فج عميق وينفقون عنده من الاموال شيا كثيرا جدا وكان عليه من الاوقاف عشرة الاف قرية ومدينة مشهورة وقد امتلات خزائنه اموالا وعنده الف رجل يخدمونه وثلثماية رجل يحلقون حجيجه وثلثماية وخمسون يغنون ويرقصون على باب الصنم وقد كان العبد يتمنى قلع هذا الصنم وكان يعوقه عنه طول المفاوز وكثرة الموانع ثم استخار الله تعالى وتجشم بجيشه تلك الاهوال الى بلد هذا الوثن فملكناه وقتلنا من اهله خمسين الفا وقلعنا هذا الوثن واوقدنا تحته النار وقد ذكر غير واحد ان الهنود بذلوا اموالا جزيلة للملك محمود بن سبكتكين ليترك لهم هذا الصنم الاعظم فاشار من اشار من الامرا بقبول تلك الاموال الجزيلة فقال حتى استخير الله تعالى فلما اصبح قال اني فكرت في هذا الامر فرايت انه اذا نودي يوم القيامة اين محمود الذي كسر الصنم احب الي من ان يقال اين محمود الذي ترك الصنم ثم عزم فكسره فوجد عليه وفيه من الذهب واللالي والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه باضعاف مضاعفة مع ما ادخر الله له من الاجر الجزيل في الاخرى والثناء الجميل في الاولى فرحمه الله واكرم مثواه وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة الى بغداد فتلقاه الخليفة في دجلة في الطيار ومعه الاكابر والامرا والاعيان فلما تواجهه جلال الدولة قبل الارض وعاد ثم سار الى دار الملك وعاد الخليفة الى داره وامر جلال الدولة ان يضرب له الطبل في اوقات الصلوات الثلاث كما كان الامر زمن عضد الدولة وصمصامها وشرفها وبهائها وكان الخليفة يضرب له في اوقات الصلوات الخمس فاراد جلال الدولة ذلك فقيل لا يحسن هذا لمساواة الخليفة ثم صمم على ذلك في الاوقات الخمس قال ابن الجوزي وفيها وقع برد شديد حتى جمد الخل والنبيذ وابوال الدواب

ومن توفي فيها

احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد المهتدي بالله ابو عبد الله الشاهد خطيب جامع المنصور من سنة ست وثمانين وثلثماية ولم يكن يخطب الا بخطبة واحدة في كل جمعة واذا سمعها الناس منه ضجوا بالبكا وخشعوا لصوته الحسين بن علي بن الحسين ابو القاسم المغربي الوزير ولد بمصر في ذي الحجة سنة سبعين وثلثماية وهرب منها حين قتل صاحبها اباه وعمه وقصد مكة ثم الشام ووزر في عدة اماكن

وقد وزر لشرف الدولة ببغداد ثم رجع وكان يقول الشعر الحسن وقد تذاكروا مع بعض الصالحين فانشده ذلك الرجل

اذا شيت ان تحيى غنيا فلا تكن ... على حالة الا رضيت بدونها

فاعتزل المناصب والسلطان فقال له بعض اصحابه تركت المناصب في عنفوان شبابك فانشا يقول

كنت في سفرة البطالة والجهل ... زمانا فحان مني القدوم
تبت من كل ماثم فعسى يمحى ... بهذا الحديث ذاك القديم
بعد خمس واربعين لقد ... ماطلت الا ان الغريم كريم

وقد كانت وفاته بميافارقين في رمضان من هذه السنة عن خمس واربعين سنة ودفن بمشهد علي محمد بن الحسن بن ابراهيم ابو بكر الوراق المعروف بابن الخفاف روى عن القطيعي وغيره وقد اتهموه بوضع الاسانيد والاحاديث قاله الخطيب وغيره

ابو القسم اللالكاي

هبة الله بن الحسن بن منصور ابو القسم اللالكاي الرازي وهو طبري الاصل احد تلامذة الشيخ ابي حامد الاسفراييني كان يحفظ ويفهم وعني بالحديث فصنف فيه اشيا كثيرة ولكن عاجلته المنية قبل ان ينشر اكثر كتبه وله كتاب في السنة وشرحها وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك وقع لنا سماعه على الحجار عاليا عنه وقد كانت وفاته بالدينور في رمضان من هذه السنة وراه بعضهم في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قال بماذا قال بالسنة ابو القسم بن امير المومنين القادر بالله توفي ليلة الاحد الثاني من جمادى الاخرة وصلى عليه غير مرة ومشى الناس في جنازته وحزن عليه ابوه شديدا وقطع الطبل اياما ابو الحسن بن طباطبا الشريف كان شاعرا مجيدا له شعر حسن

الاستاذ ابو اسحاق الاسفراييني

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الشيخ الامام العلامة ركن الدين الاستاذ ابو اسحاق الاسفراييني الفقيه الشافعي المتكلم الاصولي صاحب التصانيف في الاصلين منها كتاب الحلي في خمس مجلدات وتعليقة نافعة في اصول الفقه وغير ذلك وقد سمع الحديث الكثير من ابي بكر الاسماعيلي ودعلج وغيرهما واخذ عنه البيهقي والشيخ ابو الطيب الطبري والحاكم النيسابوري واثنى عليه وكانت وفاته يوم عاشورا من هذه السنة بنيسابور ثم نقل الى بلده فدفن في مشهده رحمه الله

القدوري صاحب الكتاب

احمد بن محمد بن احمد بن جعفر بن حمدان ابو الحسين القدوري الفقيه الحنفي صاحب المصنف المختصر الذي يحفظ كان اماما بارعا عالما وجيها مناظرا وهو الذي تولى مناظرة الشيخ ابي حامد الاسفراييني من الحنفية وكان يطريه ويقول هو اعلم وانظر من الشافعي وكانت وفاته يوم الاحد الخامس من رجب من هذه السنة عن ست وخمسين سنة ودفن الى جانب الفقيه ابي بكر الخوارزمي الحنفي رحمهما الله

ثم دخلت سنة تسع عشرة واربعماية

فيها وقع بين الجند وبين جلال الدولة وبين ابي داود وزيره وجرت امور طويلة الحال فيها
الى انهم اتفقوا على اخراجه من البلد حتى انه ضرب له زبزب ثم خرج وفي يده طير نهارا فجعلوا لا يلتفتون
اليه ولا يفكرون فيه فلما عزم على الركوب في ذلك الزبزب رشقوه ثم ندموا فرفعوا عليه فجاءوا
اليه وقبلوا الارض بين يديه واصلحت القضية بعد فسادها وفي هذه السنة قل الرطب
جدا بسبب هلاك النخل في السنة الماضية فابيع الرطب كل ثلاثة ارطال بدينار
جلالي ووقع برد شديد ايضا واهلك شيئا كثيرا من النخيل ايضا فانا لله وانا اليه راجعون
ولم يحج احد من اهل المشرق ولا من اهل الديار المصرية في هذه السنة الا ان قوما من خراسان
ركبوا في البحر من مدينة مكران فانتهوا الى جدة فحجوا رضي الله عنهم

ومن توفي في هذه السنة من الاعيان

حمزة بن ابراهيم ابو الخطاب المنجم حظي عند بهاء الدولة وعلم النجوم فكان ذو جاهة عنده
حتى ان الوزراء كانوا يكاتبونه ويتوسلون به اليه ثم خار امره ثم مات يوم مات بالكرخ
من سامرا غريبا فقيرا معلولا قد ذهب ماله وجاهه محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد
ابو الحسن التاجر سمع الكثير عن المشايخ المتقدمين وتفرد بعلو الاسناد وكان ذا مال
جزيل تخاف من المصادرة ببغداد فانتقل الى مصر فاقام بها سنة ثم عاد الى بغداد فاتفق
مصادرة اهل محلته فتسقط عليه ما افقره ومات حين مات لم يوجد له كفن رحمه الله مبارك
الانماطي كان ذا مال جزيل خلف يوم توفي ثلثماية الف دينار لم يترك وارثا سوى ابنة
واحدة ببغداد وكانت وفاته بمصر ابو الفوارس بن بهاء الدولة كان ظالما ماردا اذا
سكر يضرب الرجل من اصحابه او وزيره مايتي مقرعة بعدما يحلفه بالطلاق انه لا يتاوه
ولا يخبر بذلك احدا فيقال ان خواصه سموه فلما مات نادوا بشعار اخيه كاليجار
ابو محمد بن باشاد وزير كاليجار لقبه معز الدين فلك الدولة سيد الامة وزير الوزراء
عماد الملك ثم سلم الى جلال الدولة فاعتقله ومات في هذه السنة ابو عبد الله المتكلم
توفي في هذه السنة هكذا رايت ابن الجوزي ترجمه مختصرا

ابن علبون الشاعر

ابو محمد عبد المحسن بن محمد بن احمد بن غالب بن علبون الشامي ثم الصوري الشاعر
المطبق له شعر مليح بليغ كان قد نظم قصيدة بليغة في بعض الرؤساء ثم انشدها
لرئيس اخر فقال له ذو المعقبتين وزاد فيها بيتا واحدا يتولينه وذلك المناقب كلها
فلم اقتصرت على اثنين فاجاز مجايزة سنية فقيل له انها ليست فيك فقال
ان هذا البيت وحده بقصيدة وله ايضا في بخيل نزل عنده .

واخ مسه نزولي بقرح . مثل ما مسني من الجوع قرح .
بت ضيفا له كما حكم الدهر . وفي حكمه على الحر قبح .
فابتدا لي يقول وهو من السكرة . بالهم طافح ليس يصحو .
لم تغربت قلت قال رسول الله . والقول منه نصح ونجح .
سافروا تغنموا فقال وقد قال . تمام الحديث صوموا تصحوا .

سنة عشرين واربعمائة

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد معه برد كبار قال ابن الجوزي حزرت البردة الواحدة

بما يزيد خمسين رطلا وغاصت في الارض نحوا من ذراع وورد كتاب من يمين الدولة محمود بن
سبكتكين انه احل بطائفة من اهل الري من الباطنية والروافض قتلا ذريعا وصلبا
شنيعا وانه انتهب اموال رئيسهم رستم بن علي الديلمي فحصل منها ما يقارب الف
الف دينار وقد كان في حباله نحو من خمسين امراة حرة قد ولدن له ثلاثا وثلاثين ولدا
من ذكر وانثى وكانوا يرون الاباحة وفي رجب من هذه السنة انقضت كواكب كثيرة شديدة
الصوت قوية الضوء وفي شعبان كثرت العملات وضعفت رجال المعاونة عن مقاومة
العيارين وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين منه غار ماء دجلة حتى لم يبق منه الا القليل
ووقفت الارحاء وتعذر الطحن وفي هذا اليوم جمع القضاة والعلماء في دار الخلافة وقرئ
عليهم كتاب جمعه امير المومنين القادر بالله فيه مواعظ وتفاصيل مذاهب اهل السنة
والرد على اهل البدع من المعتزلة وغيرهم وفي العشرين من رمضان ايضا جمعوا ايضا
وقرئ عليهم كتاب اخر جمعه الخليفة ايضا فيه اخبار ومواعظ والرد على اهل البدع وتفسيق
من قال بخلق القران وصفة ما وقع بين بشر المريسي وعبد العزيز بن يحيى الكناني من
المناظرة ثم ختم القول بالوعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واخذ خطوط الحاضرين
بالموافقة لما سمعوه وفي يوم الاثنين عشر ذي القعدة جمعوا ايضا كلهم وقرئ عليهم
كتاب اخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على البدعة ومناظرة بشر المريسي والكناني
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضل الصحابة وذكر فضائل ابي بكر وعمر رضي الله عنهم
ولم يفرغوا الا بعد العتمة واخذت خطوطهم بموافقة ما سمعوه وعزل خطباء الشيعة
وولي خطباء غيرهم من اهل السنة وجرت فتنة عظيمة بمسجد براثا وضربوا الخطيب
السني بالاجر حتى كسروا انفه وخلعوا كتفه فانتصر له الخليفة واهان الشيعة واذلهم
حتى جاءوا يعتذرون مما صنعوا وان ذلك انما تعاطاه السفهاء منهم وسقطهم ولم يتمكن احد من
اهل العراق وخراسان في هذه السنة من الحج

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن ابي الحسن ابو علي الزاهد احد الزهاد اصحاب الاحوال دخل على بعض
الوزراء فقبل يده فعوتب الوزير في ذلك فقال كيف لا اقبل يدا ما امتدت
قط الا الى الله عز وجل علي بن عيسى بن الفرج بن صالح ابو الحسن الربعي النحوي اخذ
العربية اولا عن ابي سعيد السيرافي ثم عن الشيخ ابي علي الفارسي ولازمه عشرين
سنة حتى كان يقول قولوا له لو سار من المشرق الى المغرب لم يجد انحى منه وكان
يوما يمشي على شاطئ دجلة اذ نظر الى الشريفين الرضي والمرتضى في سفينة ومعهما
عثمان بن جني فقال لهما من اعجب الاشياء ان عثمان معكما وعلي بعيد عنكما يمشي على
شاطئ الفرات وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة ودفن
بباب الدير ويقال انه لم يشيع جنازته سوى ثلاثة انفس اسد الدولة ابو علي بن
صالح بن مرداس بن ادريس الكلابي اول ملوك بني مرداس بحلب انتزعها من يد نائب
الظاهر بن الحاكم العبيدي في ذي الحجة سنة سبع عشرة واربعمائة ثم جاءه كتيب
من مصر فاقتتلوا فقتل اسد الدولة هذا في سنة تسع عشرة وقام بحفيده نصر بن
ابن كنا

ثم دخلت سنة احدى وعشرين واربعمائة

مما كان في ربيع الاول من هذه السنة توفي الملك العادل المجاهد الثاغر المرابط المؤيد المنصور يمين الدولة ابو القسم محمود بن سبكتكين صاحب بلاد غزنة وتلك الممالك الكبار وفاتح اكثر بلاد الهند قهرا وكاسر بدودهم واوثانهم كسرا وقاهر هنودهم وسلطانهم الاعظم قهرا وقد تمرض نحوا من سنتين لم يضطجع فيهما على فراش ولا توسد وسادا بل كان يتكي وهو قاعد حتى مات وهو كذلك وذلك لشهامته وصرامته وقوة عزمه وله من العمر ستون سنة رح وقد عهد بالامر من بعده لولده محمد فلم يتم امره حتى عاد فصار اخوه مسعود بن محمود فاستحوذ على ممالك ابيه مع ما كان له من قبل فتحه هو بنفسه من بلاد الكفار من الرساتيق الكبار والصغار فاستقرت له الممالك شرقا وغربا في تلك النواحي في اواخر هذا العام وجاءته الرسل من كل ناحية ومن كل ملك يهنونه بالتحية والسلام والاكرام وسياتي ترجمة الملك محمود عند ذكره في المتوفين ايضا ومنها استحوذت التركية التي كان فتحها الملك محمود الى بلاد الهند على اكبر مدائنهم وهي المسماة برسي دخلوها في نحو من ماية الف مقاتل ما بين فارس وراجل فنهبوا سوق الجوهر والعطر نهارا كاملا ولم يدر اكثر اهلها لاتساعها وذلك انها كانت في غاية الكبر طولها مسيرة منزلة من منازل الهند وعرضها كذلك فاخذوا من الاموال والتحف ما لا يحد ولا يوصف حتى قيل انهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل ولم يصل الى هذه المدينة جيش من جيوش المسلمين لا قبل هذه السنة ولا بعدها وفي هذه السنة عملت الروافض بالكرخ بدعتهم الشنعاء وعادتهم القبيحة في يوم عاشورا ما كانوا يصنعونه من تعليق المسوح وتغليق الاسواق والنوح والبكا في الازقة والارجا فاقبل اليهم اهل السنة في الحديد واقتتلوا قتالا شديدا واي شديد فقتل من الفريقين طوايف كثيرة وجرت فتن كبيرة وشر مستطير فانا لله وانا اليه راجعون وفي هذه السنة امير المومنين القادر بالله وعهد بولاية العهد من بعده الى ولده ابي جعفر القايم بامر الله بحضر من القضاة والامرا والوزرا والكبرا وخطب له بذلك على المنابر وضرب اسمه على السكة المتعامل بها في البادي والحاضر ومنها اقبل ملك الروم من قسطنطينية في ثلثماية الف مقاتل فسار حتى بلغ بلاد حلب وعليها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فنزلوا على يوم منها ومن عزم ملك الروم قبحه الله ان يستحوذ على بلاد الشام بكمالها وان يستردها الى ما كانت عليه في ايديهم قبل الاسلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وقيصر هو من ملك الشام مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم الى هذا الروم الذي اراده هذا المذموم فلما نزل بجيشه قريبا من حلب كما ذكرنا ارسل الله عليهم عطشا شديدا وخالف بين كلمتهم وذلك انه كان معه الدمستق فعامل طايفة من الجيش على قتله ليستقل بالامر من بعده ففهم ذلك ملك الروم فكر من فوره راجعا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا ولما كروا راجعين الى بلادهم اتبعتهم الاعراب ينتهبونهم ليلا ونهارا وصباحا ومسا

فكان

فكان في جملة ما اخذوا اربعماية بغل محملة مالا وثيابا للملك ومات اكثر الروم جوعا وعطشا ونهبتهم الاعراب من كل جانب ولله الحمد والمنة ومنها ملك جلال الدولة واسط واستناب ولده عليها وبعث وزيره ابا علي بن ماكولا الى البطايح والبصرة ففتح البطايح وسار في الماء الى البصرة وعليها نايب لابي كاليجار فهزمهم البصريون فسار اليهم جلال الدولة بنفسه فدخلها في شعبان من هذه السنة وورد البشاير ببغداد فرحا بنصره ومنها جاء سيل عظيم بغزنة فاهلك شيا كثيرا من الزروع والاشجار ومنها في رمضان منها تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين بالف الف درهم وادرار ارزاق الفقها والعلما ببلاده على عادة ابيه من قبله وفتح بلادا كثيرة واتسعت مملكته جدا وعظم شانه وقويت اركانه وكثرت جنوده واعوانه ومنها دخل خلق كثير من الاكراد الى بغداد يسرقون خيل الاتراك ليلا فتحصن الناس منهم بخيولهم حتى خيول السلطان ومنها سقط جسر ببغداد وهو الذي عند الرواس على نهر عيسى ومنها وقع فتنة بين الاتراك النازلين بباب البصرة وبين الهاشميين فرفعوا المصاحف ورماهم الاتراك بالنشاب وجرت خبطة عظيمة ثم اصطلح الحال بين الفريقين ومنها كثرت العملات ببغداد واخذت الدور جهرة وكثرت العيارون واللصوص الاكراد ومنها تعطل الحج ايضا من بلاد العراق وخراسان لفساد البلاد ولم يحج احد سوى شرذمة من اهل العراق ركبوا من جمال البادية مع الاعراب ففازوا بالحج

ذكر من توفي من الاعيان في هذه السنة

احمد بن عبد الله بن احمد ابو الحسن الواعظ المعروف بابن الدران صاحب كرامات ومعاملات كان من اهل الجزيرة فسكن دمشق وكان يعظ الناس بالزيادة القبلية حيث كان يجلس القصاص قال ذلك الحافظ بن كثير قال وصنف كتبا في الوعظ وحكى حكايات كثيرة ثم قال سمعنا ابا طاهر محمد بن احمد بن ابي الصقر يقول سمعت ابا الحسن احمد ابن عبد الله الداني الواعظ ينشد

انما اصنع باللذات شغلي بذنوبي
انما العيد لمن فاز بحظ من حبيب
اصبح الناس على روح وريحان وطيب
ثم اصبحت على نوح وحزن ونحيب
فرحوا حين اهلوا شهرهم بعد المغيب
وهلالي متوار من وراء الحجب الغيوب
فلهذا يا خليلي قلت للذات غيبي
وجعلت الهم والحزن من الدنيا نصيبي
يا حبيبي ونديمي وسقامي وطبيبي
جد لصب يتلظى منك بالرحب الرحيب

ثم ارخ وفاته لعشر بقين من جمادي الاولى من هذه السنة ودفن بمسجد القدم الحسين بن محمد الخليع الشاعر له ديوان شعر حسن مليح وكانت وفاته في هذه السنة عن سن عالية وعمر طويل • محمود بن سبكتكين ابو القسم الملقب بيمين الدولة وامين الملة صاحب بلاد غزنة

ودماء الأمم وجيشهم يقال لهم الشامانية وكان أبوه قد تملك عليهم وتوفي في سنة سبع
وثمانين وثلثمائة فتملك بعده ولده هذا فسار فيهم وفي سائر الرعايا سيرة عادلة وقام
بأعباء الإسلام قياما تاما وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها وعظم شأنه في العالمين
واتسعت مملكته وامتدت رعاياه وطالت أيامه ولله الحمد والمنة وكان يخطب في سائر
ممالكه للخليفة العباسي القادر بالله وكانت رسل الفاطميين من الديار المصرية تفد
إليه بالكتب والهدايا والتحف فيحرق بهم ويقطع كتبهم ويحرق خلعهم وقد اتفق له في بلاد
الهند فتوحات لم تتفق لغيره من الملوك لا قبله ولا بعده وغنم مغانم كثيرة لا تنحصر
ولا تنضبط كثرة من الذهب واللآلي والسبي وكسر من أصنامهم وأبدادهم وأوثانهم شيئا
كثيرا جدا بيض الله وجهه وأكرم مثواه وقد ذكرنا ذلك مفصلا فيما سلف متفرقا في السنين
كان في جملة ما كسر من الأصنام صنم عظيم للهنود يقال له سومنات بلغ ما تحصل منه من الذهب
عشرين ألف ألف دينار وكسر ملك الهند الكبير الذي يقال له صيبال وقهر ملك الترك
الأعظم الذي يقال له إيلك خان وأباد ملك السامانية وقد ملكوا نحوا من مائة سنة
بلاد سمرقند وما حولها ثم هلكوا وبنى على جيحون جسرا أغرم عليه ألفي ألف دينار وهذا شيء لم يتفق
لغيره من الملوك وكان في جيشه أربعمائة فيل يقاتل بها وهذه عظيمة هائلة ومرتبة طائلة
وجرت له فصول ذكر تفصيلها يطول وكان في غاية الديانة والصيانة يحب العلماء ويكرمهم
ويجالسهم ويحسن إليهم وكان حنفي المذهب ثم صار شافعيا على يدي أبي بكر القفال الصغير على
ما ذكره إمام الحرمين وغيره وكان كراميا على اعتقادهم وكان من جملة من يجالسهم منهم محمد بن
الهيصم تناظر هو وأبو بكر بن فورك بين يدي الملك محمود بن سبكتكين في مسألة العرش مناظرة
طويلة ذكرها ابن الهيصم في مصنف له فمال الملك محمود بن سبكتكين إلى قول ابن الهيصم وكانت
معه لنفسه حكاية اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه وعلى أهله في كل وقت فيخرجه
من البيت ويختلي بامرأته وقد حار في أمره وكلما اشتكاه إلى أحد من أولي الأمر لا يجسر
أحد على إقامة الحد عليه هيبة للملك فلما قال له الملك ويحك متى جاءك فائتني فأعلمني
ولا تسمعن من أحد منعك من الوصول إلي ولو كان في الليل وتقدم إلى الحجبة أن هذا لا يمنعه
أحد متى جاء من ليل أو نهار فذهب الرجل مسرورا فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك
الشاب فأخرجه واختلى بأهله فذهب باكيا إلى دار الملك فقيل له إن الملك نائم فقال
قد تقدم إليكم بما سمعتم فانبهوا الملك فخرج معه بنفسه وحده وجاء منزل الرجل فنظر إلى
الغلام وهو نائم مع المرأة في فراش الرجل وعندهما شمعة تقد فتقدم الملك فأطفأها
الضوء ثم جاء فاحتز رأس الغلام وقال للرجل ويحك الحقني بشربة من ماء فسقاه ثم انطلق
ليذهب فقال له الرجل سألتك بالله لم أطفأت الشمعة فقال ويحك إنه ابن أختي كرهت
أن أشاهده حالة الذبح فقال ولم طلبت الماء سريعا فقال إني آليت منذ أخبرتني أن لا أطعم
طعاما ولا أشرب شرابا حتى أقوم بحقك فكنت عطشانا هذه الأيام حتى كان ما كان مما رأيت
فدعا له وانصرف وكان مرضه سوء مزاج اعتراه وانطلاق البطن سنتين فكان
فيهما لا يضطجع على فراش ولا يتكئ على شيء لقوة بأسه بل يستند إلى مخاد توضع له ويحضر مجلس الملك
ويفصل بين الناس على عادته حتى مات وهو كذلك في يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر
من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة ملك منها ثلاثا وثلاثين سنة وخلف من الأموال

شيئا كثيرا

شيئا كثيرا من ذلك سبعون رطلا من جوهر رحمه الله وقام بالأمر من بعده ولده محمد ثم صار
الملك إلى ابنه الآخر مسعود بن محمود فأشبه أباه وقد صنف بعض العلماء مجلدا في سيرته وأيامه
وأحكامه وفتوحاته ومماليكه

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

فيها كانت وفاة القادر بالله وخلافة ابنه القائم بأمر الله على ما سيأتي تفصيله وبيانه وفيها
وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض وقويت عليهم أهل السنة وقتلوا خلقا منهم وانتهبوا
الكرخ ودار الشريف المرتضى ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونة أهل الكرخ
من الروافض وتعدى النهب إلى دور كثيرة وانتشرت الفتنة جدا ثم سكنت بعد ذلك
وفيها كثرت العملات ببغداد وانتشرت المحنة بأمر العيارين في أرجاء البلد وتجاسروا على
أمور كثيرة ونهبوا دورا وأماكن سرا وجهرا ليلا ونهارا

خلافة القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر

بويع له بالخلافة لما توفي أبوه القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد
ابن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور في ليلة الاثنين
الحادي والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة عن ست وثمانين سنة وعشرة أشهر وأحد
وعشرين يوما ولم يعمر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده ومكث في الخلافة أحدا
وأربعين سنة وثلاثة أشهر وهذا أيضا شيء لم يسبقه أحد في ذلك وأمه أم ولد اسمها
عني مولاة عبد الواحد بن المقتدر وقد كان حليما كريما خيرا يحب أهل العلم والدين
والصلاح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان على طريقة السلف في الاعتقاد وله في ذلك
مصنفات كانت تقرأ على الناس وكان أبيض حسن الجسم طويل اللحية عريضها يخضبها
وكان يقوم الليل كثير الصدقة محبا للسنة وأهلها ويبغض البدعة والقائلين بها وكان
يكثر الصوم ويبر الفقراء من إقطاعه يبعث منه إلى المجاورين بالجامع المنصور وجامع
الرصافة وكان يخرج من داره في زي العامة فيزور قبور الصالحين وقد ذكرنا طرفا
صالحا من سيرته عند ذكر ولايته في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وجلسوا في عزائه سبعة
أيام لعظم المصيبة به ولتوطيد البيعة لولده القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن
القادر بالله وأمه قطر الندى أرمنية أدركت خلافته وكان مولده في يوم الجمعة الثامن
عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة وكانت بيعته بحضرة القضاة الفقهاء
والأمراء والكبراء والأعيان وكان أول من بايعه الشريف المرتضى وأنشده:

فأما مضى جبل وانقضى ... فمنك لنا جبل قد رسى
وإما فجعنا ببدر التمام ... فقد بقيت منه شمس الضحى
لنا حزن في محل السرور ... فكم ضحك في خلال البكا
فيا صارما أغمدته يد لنا ... بعدك الصارم المنتضى
ولما حضرنا لعقد البياع ... عرفنا بهديك طرق الهدى
فقابلتنا بوقار المشيب ... كمالا وسنك سن الفتى

وطالبت الأتراك برسم البيعة فلم يكن مع الخليفة شيء لأن أباه لم يترك مالا وكادت الفتنة
تقع بين الناس بسبب ذلك حتى دفع عنه الملك جلال الدولة مالا جزيلا إليهم نحوا من

ثلاثة آلاف الف دينار واستوزر الخليفة ابا طالب محمد بن ايوب واستقضى ابن ماكولا ولم يحج احد من الناس من اهل المشرق سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب

وممن توفي فيها غير الخليفة من الاعيان

الحسن بن جعفر ابو علي بن ماكولا الوزير لجلال الدولة وقد تقدم انه بعث الى البطيحة فقيها ورام اخذ البصرة فلم يمكنه ذلك وقاتلوه دونها فاسروه فسأل ان يذهب به الى الملك ابي كاليجار فعفى عنه واطلقه فلما صار الى الاهواز تعامل عليه غلام له وجارية فقتلاه في ذي الحجة من هذه السنة عن ست وخمسين سنة عبد الوهاب بن علي بن نصر بن احمد بن الحسين ابن هرون بن مالك بن طوق صاحب الرحبة التغلبي البغدادي ابو محمد احد ائمة المالكية ومصنفيهم ومنصفيهم له كتاب التلقين يحفظه الطلبة وغيره في الفروع والاصول وقد اقام ببغداد دهرا وولي قضاء بادرايا وباكسايا ثم خرج من بغداد لضيق حاله بها فلما دخل مصر اكرمه المغاربة واعطوه ذهبا كثيرا فتمول وسعد جدا فانشد يقول متشوقا الى بغداد ومعالمها

سلام على بغداد في كل موقف • وحق لها مني سلام مضاعف •
فوالله ما فارقتها عن قلى لها • واني بشطي جانبيها لعارف •
ولكنها ضاقت علي باسرها • ولم تكن الارزاق فيها تساعف •
فكانت كخل كنت اهوى دنوه • واخلاقه تنأى به وتخالف •

قال الخطيب البغدادي سمع القاضي عبد الوهاب من ابن السماك وكتبت عنه وكان ثقة ولم نر في المالكية احدا افقه منه قال القاضي شمس الدين بن خلكان في الوفيات عندما وصل الى الديار المصرية وحصل له شيء من المال وحسن حاله مرض من اكلة اشتهاها فذكر عنه انه كان يتقلب ويقول لا اله الا الله عندما عشنا متنا قال وله اشعار رائقة ظريفة فمن ذلك قوله

ونائمة قبلتها فتنبهت • فقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد •
فقلت لها اني فديتك غاصب • وما حكموا في غاصب بسوى الرد •
خذيها وكفي عن اثيم ظلامة • وان انت لم ترضي فالفا على العد •
فقالت قصاص يشهد العقل انه • على كبد الجاني الذ من الشهد •
فباتت يميني وهي هميان خصرها • وباتت يساري وهي واسطة العقد •
فقالت الم اخبر بانك زاهد • فقلت بلى ما زلت ازهد في الزهد •

ومما انشده ابن خلكان للقاضي عبد الوهاب المالكي

بغداد دار لاهل المال طيبة • وللمفاليس دار الضنك والضيق •
ظللت حيران امشي في ازقتها • كانني مصحف في دار زنديق •

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين واربعمائة

في سادس المحرم استسقى اهل بغداد لتاخر الامطار عن ابانها ولم يسقوا وكثر الموت في الناس ولما كان عاشوراء عملت البدعة الشنعاء وكثر النوح والبكاء وامتلأت بذلك الطرقات والاسواق والارجاء فانا لله وانا اليه راجعون ثم في صفر امر الناس بالخروج الى الاستسقاء لقحوط البلاد فلم يخرج من اهل بغداد باتساعها مائة انسان في الجوامع كلها فلا حول ولا

قوة الا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم وفيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة واتفق الحال على خروجه الى البصرة فرد كثيرا من جواريه الى استاذيهن وسلم داره واستبقى بعضهن وخرج من بغداد ليلة الاثنين سادس ربيع الاول من هذه السنة وكتب الغلمان والاسفهسلارية الى الملك ابي كاليجار ليقدم عليهم فقد تمهدت له البلاد ولم يبق احد من اهل العناد والالحاد ونهبوا دار جلال الدولة وغيرها وتاخر مجيء ابي كاليجار وذلك ان وزيره العادل بن مافنة اشار عليه بعدم القدوم الى بغداد فاطاعه في ذلك فكثرت العيارون ببغداد وتفاقم الحال بهم وفسد البلد وافتقر جلال الدولة بحيث احتاج الى ان باع بعض ثيابه في الاسواق وجعل ابو كاليجار يتوهم من الاتراك ويطلب منهم رهائن فلم يتفق ذلك وطال الفصل فرجعوا الى مكاتبة جلال الدولة وان يرجع الى بلده وشرعوا في الاعتذار اليه وخطبوا له في البلد على عادته ثم رجع بعد ثلاث واربعين ليلة الى بغداد وارسل الخليفة الرسل الى الملك ابي كاليجار وممن بعث اليه القاضي ابو الحسن الماوردي ليسلم عليه ويستوثق منه فدخلوا عليه وقد تحمل عظيما فسأل ان يلقب بالسلطان المعظم مالك الامم فقال الماوردي هذا لا يمكن لان السلطان المعظم الخليفة وكذلك مالك الامم ثم اتفقوا على تلقيبه بملك الدولة فارسل مع الماوردي تحفا عظيمة الفا الف دينار نيسابورية وغير ذلك من الدراهم الاف والتحف والالطاف واجتمع الجند على طلب ارزاقهم من الخليفة فتعذر ذلك فراموا ان يقطعوا خطبته فلم يصل الجمعة في هذا الوقت ثم خطب له من الجمعة القابلة وتخبط البلد جدا وكثر العيارون ثم في ربيع الاخر من هذه السنة حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النية وصفائها وانه على ما يجب من التصدق وصلاح السريرة ثم وقع بينهما تشتت بسبب لعب جلال الدولة وشربه النبيذ وتهتكه به ثم اعتذر الى الخليفة واصطلحا على فساد وفي رجب غلت الاسعار جدا ببغداد وغيرها من اراضي العراق فلم يحج احد منها وفي هذه السنة وقع موتان عظيم ببلاد الهند وغزنة وخراسان وجرجان والري واصبهان خرج منها في ادنى مدة اربعون الف جنازة وفي نواحي الجبل والموصل وبغداد طرف قوي من ذلك بالجدري بحيث لم تخل دار من مصاب واستمر ذلك في حزيران وتموز وآب وايلول وتشرين الاول والثاني وكان في الصيف اكثر منه في الخريف قال ابن الجوزي في المنتظم وقد راى رجل في هذه السنة من اهل اصبهان في منامه مناديا ينادي بصوت جهوري يا اهل اصبهان سكت نطق سكت نطق فانتبه الرجل مذعورا فلم يدر احد تاويلها حتى قيل ذلك لرجل اديب فقال احذروا يا اهل اصبهان فاني قرات في شعر ابي العتاهية •

سكت الدهر زمانا عنهم • ثم ابكاهم دما حين نطق •

فما كان عن قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين فقتل منهم خلقا كثيرا حتى قتل الناس في الجوامع معلقون فانا لله وانا اليه راجعون وفي هذه السنة ظفر الملك ابو كاليجار بالخادم صندل فقتله وكان قد استحوذ على مملكته ولم يبق له معه سوى الاسم فاستراح منه وفيها مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر واسمه قدرخان

وممن توفي فيها من الاعيان

روح بن محمد بن احمد ابو زرعة الرازي قال الخطيب سمع جماعة وقدم علينا حاجا فكتبت
عنه وكان صدوقا فهما اديبا يتفقه على مذهب الشافعي وولي قضاء اصبهان قال
وبلغني انه مات بالكرخ سنة ثلاث وعشرين واربعمائة علي بن احمد بن الحسن بن محمد بن نعيم
ابن الحسن البصري المعروف بالنعيمي الحافظ الشاعر المتكلم الفقيه الشافعي قال
البرقاني هو كامل في كل شيء لولا بأو فيه وقد سمع على جماعة ومن شعره الحسن قوله

• اذا اظمأتك اكف اللئام • كفتك القناعة شبعا وريا •
• فكن رجلا رجله في الثرى • وهامة همته في الثريا •
• ابيا لنائل ذي ثروة • تراه بما في يديه ابيا •
• فان اراقة ماء الحياة • دون اراقة ماء المحيا •

محمد بن الطيب بن سعد بن موسى ابو بكر الصباغ حدث عن النجاد وابي بكر الشافعي
وكان صدوقا وقد حكى الخطيب البغدادي انه تزوج بسبعمائة امرأة وذكر انه توفي
عن خمس وتسعين سنة رح علي بن هلال الكاتب المشهور وذكر ابن خلكان انه توفي في
هذه السنة وقيل في سنة ثلاث عشرة كما تقدم

ثم دخلت سنة اربع وعشرين واربعمائة

فيها تفاقم الحال بامر العيارين وتزايد امرهم واخذوا العملات وقوي امر مقدمهم البرجمي
وقتل صاحب الشرطة غيلة وتواترت العملات في الليل والنهار واحتفظ الناس بدورهم
وحرسوها حتى دار الخليفة وسور البلد وعظم الخطب بهم جدا وكان من شأن هذا البرجمي
انه لا يؤذي امرأة ولا يأخذ مما عليها شيئا وهذه مروة في الظلم كما قال الشاعر

• حنانيك بعض الشر اهون من بعض •

وفيها اخذ جلال الدولة البصرة وارسل اليها ولده العزيز فاقام بها الخطبة لابيه
وقطعت منها خطبة ابي كاليجار هذه السنة والتي بعدها ثم استرجعت من يد
جلال الدولة واخرج منها ولده ورجعت الخطبة لابي كاليجار وفي هذه السنة ثارت
الاتراك بالملك جلال الدولة لتأخر ارزاقهم واخرجوه من داره ورسموا عليه
في مسجد واخرجت حريمه فذهبت في الليل الى دار الشريف المرتضى فنزلها ثم
اصطلحت الاتراك عليه وحلفوا له على السمع والطاعة ورجع الى داره وكثرت
العيارون ببغداد واستطالوا على الناس ليلا ونهارا سرا وجهارا ولم يحج احد
من اهل العراق وخراسان هذه السنة لفساد البلاد وممن توفي فيها من الاعيان
احمد بن الحسين بن احمد ابو الحسين الواعظ المعروف بابن السماك ولد سنة ثلاث
وثلاثين وثلثمائة وسمع جعفر الخلدي وغيره وكان يعظ بجامع المنصور وجامع المهدي
ويتكلم على طريقة الصوفية وقد تكلم بعض الائمة فيه ونسبه الى الكذب توفي في هذه
السنة عن اربع وتسعين سنة

ثم دخلت سنة خمس وعشرين واربعمائة

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند وفتح حصونا كثيرة
وكان من جملتها انه حاصر قلعة حصينة فخرجت من السور عجوز كبيرة ساحرة واخذت
مكنسة فبلتها ورشتها على ناحية جيش المسلمين فمرض السلطان مسعود تلك

الليلة

الليلة مرضا شديدا فارتحل عن تلك القلعة فلما استقل ذاهبا عنها عوفي عافية
كاملة فرجع الى غزنة سالما وفيها ولي البساسيري حماية الجانب الغربي من بغداد
لما تفاقم امر العيارين وكثر شرهم وفسادهم وفيها ولي سنان بن سيف الدولة
غريب بن محمد بن معن بعد وفاة ابيه فقصد عمه قرواشا فاقره وساعده على استقامة
اموره وفيها هلك ملك الروم ارمانوس فملكهم بعده رجل ليس من بيت ملكهم وقد
كان صيرفيا في بعض الاحيان الا انه من سلالة الملك قسطنطين باني المدينة
التي لهم وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئا كثيرا ومات تحت الردم
خلق كثير وانهدم من الرملة ثلثها وتقطع جامعها تقطيعا وخرج اهلها منها
فاقاموا ظاهرها ثمانية ايام ثم سكن الحال فعادوا اليها وسقط بعض حائط بيت
المقدس ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ومن مسجد ابراهيم قطعة وسلمت
الحجرة وسقطت منارة عسقلان ورأس منارة غزة وسقط نصف بنيان نابلس وخسف
بقرية البارذان واهلها وبقرها وغنمها وساخت في الارض وكذلك قرى كثيرة هنالك
ذكره ابن الجوزي وكان غلاء شديد ببلاد افريقية وعصفت ريح سوداء بنصيبين
فالقت شيئا كثيرا من الاشجار حتى من البيوت والجوز والعناب واقتلعت قصرا
مشيدا بالحجارة والآجر والكلس ثم سقط مطر معه برد امثال الاكف والزنود والاصابع
وجزر البحر من تلك الناحية ميلا وفراسخ فذهب الناس خلفه لالتقاط السمك فرجع الماء عليهم
فهلك منهم خلق كثير وفيها كثر الموت بالخوانيق حتى كان يغلق الباب على من كان
في الدار كلهم قدر ما نقل واكثر ذلك كان ببغداد فمات من   شهر ذي الحجة سبعون
الفا وفيها وقعت الفتنة بين اهل السنة والروافض حتى بين العيارين من الفريقين
ومنع ابناء الاصبهاني وهما مقدما عياري اهل السنة منها اهل الكرخ من ورود ماء
دجلة فضاق عليهم النطاق وقتل ابن البرجمي واخوه في هذه السنة ولله الحمد والمنة
ولم يحج احد من اهل العراق

وممن توفي فيها

احمد بن محمد بن احمد بن غالب الحافظ ابو بكر المعروف بالبرقاني ولد سنة ست وثلثين
وثلثمائة وسمع الكثير ورحل الى البلاد وجمع كتبا كثيرة جدا وكان عالما بالقرآن والحديث
والفقه والنحو وله مصنفات في الحديث حسنة نافعة قال الازهري اذا مات
البرقاني ذهب هذا الشأن وما رأيت اتقن منه وقال غيره ما رأيت اعبد منه في اهل
الحديث وتوفي يوم الخميس مستهل رجب وصلى عليه ابو علي بن ابي موسى الهاشمي ودفن
في مقبرة الجامع ببغداد وقد اورد له الحافظ ابن عساكر من شعره قوله

• اعلل نفسي بكتب الحديث • واحمل فيه لها الموعدا •
• واشغل نفسي بتصنيفه • وتخريجه دائما سرمدا •
• فطورا اصنفه في الشيوخ • وطورا اصنفه مسندا •
• واقفو البخاري فيما نحاه • وصنفه جاهدا مجهدا •
• ومسلم اذ كان زين الانام • بتصنيفه مسلما مرشدا •
• وما لي فيه سوى انني • اراه هوى صادف المقصدا •

وارجوا الثواب بكتب الصلاة ❊ على السيد المصطفى احمد

احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابو العباس الاسوردي فقيه منزل الربيع وولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الاكفاني وقد سمع الحديث وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة فصيح اللسان صبورا على الفقر كاتما له وكان يقول الشعر الجيد وكان كما قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا توفي في جمادى الاخرة ودفن بمقبرة باب حرب

ابو علي البندنيجي

الحسن بن عبد الله بن يحيى الشيخ ابو علي البندنيجي احد ائمة الشافعية وتلميذ ابي حامد الاسفرايني ولم يكن في اصحابه مثله ودرس وافتى وحكم ببغداد وكان دينا ورعا وتوفي في جمادى الاخرة من هذه السنة ايضا عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث بن اسد ابو الفرج التميمي الفقيه الحنبلي الواعظ سمع من ابي بكر اثرا مسلسلا عن علي الحنان الذي يقبل على من اعرض عنه والمنان الذي يبدا بالنوال قبل السوال توفي في ربيع ودفن في مقبرة احمد بن حنبل غريب بن محمد بن معن سيف الدولة ابو سنان كان قد ضرب السكة باسمه وكان ملكا متمكنا في الدولة وخلف خمسماية الف دينار وكانت وفاته بسامرا عن سبعين سنة

ثم دخلت سنة ست وعشرين واربعماية

في المحرم كثر تردد الاعراب في قطع الطريق الحواشي وما حولها بحيث كانوا يسلبون ما على النساء ومن اسروه اخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه واستفحل امر العيارين ببغداد وكثرت شرورهم وافسادهم وفي شهر صفر زادت دجلة بحيث ارتفع على ذراعين وسقط من البصرة في مدة ثلاثة ايام نحو من الفي دار وفي شعبان ورد كتاب من مسعود بن محمود بانه قد فتح فتحا عظيما في الهند وقتل منهم خمسين الفا واسر تسعين الفا وغنم شيا كثيرا ولله الحمد والمنة ووقعت فتنة بين البغاددة والعيارين ووقع حريق كثير في اماكن متعددة منها وانتشر الخرق على الراقع ولم يحج احد من اهل العراق وخراسان في هذا العام

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن كليب الشاعر احد من هلك بالعشق روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده من طريق ابي عبد الله الحميدي بسنده ان احمد بن كليب هذا المسكين المعتر تعشق شابا يقال له اسلم بن ابي الجعد من بني خالد وكان فيهم وزارة وحجابة فانشد فيه اشعارا تحدث الناس بها وكان اسلم هذا يطلب العلم في مجالس المشايخ فاستحيا من الناس وانقطع في داره فلا يجتمع باحد من الناس فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضا شديدا لعاده الناس من ذلك فكان من جملة من عاده بعض المشايخ فساله عن مرضه فقال انتم تعلمون ذلك ودوائي لو زارني اسلم ونظر الي ونظرت اليه نظرة واحدة فراى ذلك الرجل من المصلحة انه لو دخل عليه وسال اسلم ان يزوره ولو مرة واحدة مختفيا به ولم يزل به حتى انطلقا اليه فلما دخلا درب الغلام استحيا من الدخول عليه جدا ورجع فحرص الرجل كل الحرص ليدخل عليه فابى وانصرف فدخل الرجل فذكر له

ما كان

ما كان من امره واباه وقد كان غلام ابن كليب دخل اليه فبشره بقدوم اسلم عليه ففرح جدا فلما تحقق رجوعه اختلط كلامه واضطرب في نفسه ثم قال لذلك الرجل اسمع يا ابا عبد الله مني واحفظ عني ثم انشا يقول

❊ اسلم يا راحة العليل ❊ رفقا على الهائم النحيل ❊

❊ وصلك اشهى الى فوادي ❊ من رحمة الخالق الجليل ❊

فقال له الرجل اتق الله ما هذه العظيمة فقال قد كان فخرج الرجل من عنده فما توسط الدرب حتى سمع الصراخ عليه وقد فارق الدنيا وهذه زلة شنعا وعظيمة صلعا وداهية دهيا ولولا ان الائمة ذكروها لما ذكرتها ولكن فيها عبرة لاولي الالباب وتنبيه لذوي العقول ان يسالوا الله رحمته ولطفه بهم ان يثبتهم على الخير والاسلام عند الممات انه كريم جواد قال الحميدي انشدني ابو محمد علي بن احمد قال انشدني محمد بن عبد الرحمن لاحمد بن كليب وقد اهدى الى اسلم كتاب الفصيح لثعلب ❊

❊ هذا كتاب الفصيح ❊ بكل لفظ مليح ❊

❊ وهبته لك طوعا ❊ كما وهبتك روحي ❊

الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران ابو علي ابن شاذان البزار احد مشايخ الحديث سمع الكثير وكان ثقة صدوقا جاء يوما شاب غريب فقال له اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي اذهب الى ابي علي بن شاذان فسلم عليه واقرئه مني السلام ثم انصرف الشاب فبكى الشيخ وقال ما اعلم لي عملا استحق به هذا غير صبري على اسماع الحديث وصلاتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما ذكر ثم توفي بعد شهرين او ثلاثة في محرم هذه السنة عن سبع وثمانين سنة ودفن بباب الدير

الحسن بن علي بن احمد بن الحسين بن سوره ابو عمرو الواعظ المعروف بابن الفلو سمع الحديث عن جماعة قال ابن الجوزي كان يعظ وله بلاغة وفيه كرم وكان فيه امر بمعروف ونهي عن منكر ومن شعره

❊ دخلت على السلطان في دار عزه ❊ بفقر ولم اجلب بخيل ولا رجل ❊

❊ وقلت انظروا ما بين فقري وملككم ❊ بمقدار ما بين الولاية والعزل ❊

توفي في صفر وقد قارب الثمانين ودفن في مقبرة باب حرب الى جانب ابن السماك

ثم دخلت سنة سبع وعشرين واربعماية

في المحرم تكامل عمارة قنطرة عيسى التي كانت قد سقطت وكان الذي ولي مشارفة الانفاق عليها الشيخ ابو الحسين القدوري الحنفي وفيها وفيما بعده تفاقم امر العيارين وكبسوا الدور وتزايد شرهم وعملاتهم وفيها توفي صاحب مصر الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز الفاطمي وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة واشهر وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وتسعة اشهر وكانت سيرته جيدة وقام بالامر بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين واسمه معد وكنيته ابو تميم وتكفل باعباء المملكة بين يديه الافضل امير الجيوش واسمه بدر بن عبد الله

الجمالي وكان الظاهر المذكور قد استوزر الصاحب ابا القاسم علي بن احمد الجرجاني وكان مقطوع اليدين من المرفقين في سنة ثماني عشرة فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر ثم لولده المستنصر حتى توفي الوزير الجرجاي المذكور في سنة ست وثلثين وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة وكان الذي يعلم عنه القاضي ابو عبد الله القضاعي صاحب كتاب الشهاب وكانت علامته عنه الحمد لله شكرا لنعمته وكان الذي قطع يديه من المرفقين الحاكم لانه ظهر من علته في سنة اربع عشرة واربعمائة ثم استعمله في بعض الاعمال في سنة اربع عشرة واربعمائة ثم لما فقد الحاكم لعنه الله في السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة ثم تنقلت به بعده ولده الظاهر المذكور ثم الجرجاي المذكور الاحوال حتى استوزر سنة ثماني عشرة كما ذكرنا وقد هجاه بعض الشعرا فقال

يا احمقا اسمع وقل … ودع الرقاعة والتحامق
اقمت نفسك في الثقات … وهبك فيما قلت صادق
فمن الامانة والتقى … قطعت يداك من المرافق

وممن توفي فيها من الاعيان

الثعالبي المفسر

احمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبي ويقال الثعلبي ايضا وهو لقب وليس بنسبة النيسابوري المفسر المشهور له التفسير الكبير وكتاب العرايس في قصص الانبيا وغير ذلك وكان كثير الحديث واسع السماع ولهذا يوجد في كتبه من الغرايب شي كثير وذكره عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور واثنى عليه وقال هو صحيح النقل موثوق به توفي سنة سبع وعشرين واربعمائة وقال غيره توفي يوم الاربعا لسبع بقين من المحرم منها ورويت له منامات صالحة رح قال السمعاني ونيسابور كانت مقصبة فامر سابور الثاني ببنايها مدينة وسموا القصب بالفارسية

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين واربعمائة

فيها خلع الخليفة على ابي تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي وقلده ما كان الى ابيه من نقابة العباسيين والصلاة وفيها وقعت الفرقة بين الجند وبين جلال الدولة وقطعوا خطبته وخطبة الملك كاليجار ثم اعادوا الخطبة لهما وصالحوا جلال الدولة وحلف الخليفة له وقد عزل وزيره ابن ماكولا واستوزر ابا المعالي بن عبد الرحيم وكان جلال الدولة قد سمع خلقا كثيرا معه منهم البساسيري ودبيس بن علي بن مزيد وقرواش بن مقلد العقيلي ونازل بغداد من جانبيها الغربي حتى اخذهما قهرا واصطلح هو وابو كاليجار على يدي اقضى القضاة الماوردي وتزوج ابو منصور بن ابي كاليجار بابنة جلال الدولة على صداق خمسين الف دينار واتفقت كلمتهما فحسن حال الدولة ولله الحمد وفيها وقع مطر ببلاد فم الصلح معه سمك وزن السمكة رطل ورطلان وفيها بعث صاحب مصر بمال لينفق على نهر بالكوفة اذا اذن الخليفة العباسي في ذلك فجمع الفقهاء

بالله الفقهاء وسألهم عن هذا المال فافتوا بان هذا فيء للمسلمين يصرف في مصالحهم فاذن في صرفه في مصالح المسلمين وفيها ثارت العيارون بالبلد وفتحوا السجن بالجانب الشرقي واخذوا منه رجالا وقتلوا من رجالة الشرط سبعة عشر رجلا وانتشرت الشرور في البلد جدا وفيها ولي عبد الله بن الحسين بن سلامة امارة تهامة بعد ابيه وفيها ولي عمان القاسم بن علي بن الحسين بن مكرم بعد وفاة ابيه ايضا ولم يحج احد من اهل العراق في هذه السنة لفساد البلاد واختلاف الكلمة

وممن توفي فيها من الاعيان

القدوري الحنفي

احمد بن محمد بن جعفر ابو الحسين القدوري الحنفي قال الخطيب سمع الحديث من عبد الله بن محمد الحوشي ولم يحدث الا بشي يسير كتبت عنه وكان صدوقا وكان ممن انجب في الفقه لذكايه وانتهت اليه في العراق رياسة اصحاب ابي حنيفة وارتفع جاهه وكان حسن القرآت وتوفي يوم الاحد الخامس من رجب من هذه السنة عن ست وستين سنة ودفن بداره في درب خلف الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب ابو علي العكبري الفقيه الحنبلي الشاعر ولد سنة خمس وثلثين وثلثمائة سمع من ابي بكر بن مالك وغيره وكان كما قال البرقاني ثقة امينا وكان يسترزق من الوراقة وهو الفقيه يقال انه كان يكتب ديوان المتنبي في ثلاث ليال فيبيعه بمائتي درهم ولما توفي اخذ السلطان من تركته الف دينار سوى الاملاك وكان قد اوصى بثلثها لمن في فقهاء الحنابلة فلم يصرف لطف الله بن احمد بن عيسى ابو الفضل الهاشمي ولي القضا والخطابة بدرب ريحان وكان ذا لسان وقد اضر في آخر عمره فكان يروي حكايات وانا شيد من حفظه وتوفي في صفر منها محمد بن احمد بن علي بن ابي موسى عيسى بن احمد بن موسى بن محمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب ابو علي الاصبهاني ولد سنة خمس واربعين وثلثمائة وقدم بغداد وخرج له ابو الحسن النعيمي اجزاء من حديثه فسمع منه البرقاني الا انه بان كذبه حتى كان بعضهم يسميه جراب الكذب واقام ببغداد سبع سنين ثم عاد الى الاهواز فمات بها في هذه السنة

مهيار الديلمي الشاعر

مهيار بن مرزويه ابو الحسين الكاتب الفارسي ويقال له الديلمي كان مجوسيا فاسلم الا انه سلك مسلك الرافضة فكان ينظم الشعر القوي الفحل في سب من مذاهبهم من سب الصحابة وغيرهم حتى قال ابو القسم بن برهان يا مهيار انتقلت من زاوية في النار الى زاوية اخرى كنت مجوسيا فاسلمت وصرت تسب الصحابة وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ وله ديوان شعر مشهور حسن فمن جياده قوله

استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب … واسال النوم عنكم وهو مسلوب
وابتغي عندكم قلبا سمحت به … وكيف يرجع شي وهو موهوب
ما كنت اعرف ما مقدار وصلكم … حتى هجرتم وبعض الهجر تاديب

ولمهيار ايضا

اجارتنا بالركب والغور منتهم … ايعلم خال كيف بات المتيم
رحلتم وعمر القلب فينا وفيكم … سواء ولكن ساهرون ونوم

تنا اينم من ظاعنين وخلفوا • قلوبا ابت ان تعرف الصبر عنهم •
ولما جلا التوديع عما حذرته • ولم يبق الا نظرة تتغنم •
بكيت على الوادي فحرمت ماءه • وكيف يحل الماء اكثره دم •

قال ابن الجوزي وكان شعره كله جيدا فاقتصرت على هذا وكانت وفاته في جمادى الآخرة هبة الله بن الحسن ابو الحسين المعروف بالحاجب كان من اهل الفضل والادب والتدين وله شعر حسن فمنه قوله

• يا ليلة سلك الزمان بطيبها في كل مسلك •
اذ بت في روض المسرة مدركا ما ليس يدرك •
• والبدر قد فضح الظلام وستره فيه مهتك •
• وكانما زهر النجوم بلمعها شعل تحرك •
• والغيم احيانا يلوح كانه ثوب ممسك •
• وكان تجعيد الرياح لدجلة ثوب مفرك •
• وكان نشر المسك ينفخ في النسيم اذا تحرك •
• وكانما المنثور مصفر الذرى ذهب مشبك •
• والنور يبسم في الرياض فان نظرت اليه سرك •
• شارطت نفسي ان اقوم بحقها والشرط املك •
• حتى تولى الليل منهزما وجاء الصبح يضحك •
• واه الغنى اوانه في طيب ظل العيش يترك •
• والدهر يحسب عمره فاذا اتاه الشيب ذلك •

وكانت وفاته في رمضان منها

ابو علي بن سينا الطبيب الفيلسوف

الحسين بن عبد الله بن سينا الشيخ الرئيس ابو علي الفيلسوف المتطبب الذي كان نادرة في زمانه كان ابوه من اهل بلخ فانتقل الى بخارا واشتغل بها ابن سينا فقرا القرآن واتقن علومه وهو ابن عشر واتقن الحساب والجبر والمقابلة واقليدس والمجسطي ثم اشتغل على ابي عبد الله الناتلي الحكيم فبرع فيه وفاق اهل زمانه وتردد الناس عليه واشتغلوا عليه وهو ابن ست عشرة سنة وقد عالج بعض ملوك السامانية وهو الامير نوح بن منصور فاعطاه جائزة سنية وحكمه في خزانة كتبه فراى فيها من العجائب فيقال انه عزا بعضها الى نفسه وله في الالهيات والطبيعيات كتب كثيرة قال القاضي ابن خلكان له نحو من مائة مصنف صغار وكبار منها القانون والشفاء والنجاة والاشارات وسلامان وابسال وحي بن يقظان وغير ذلك قال وكان من فلاسفة الاسلام وله من الاشعار قصيدته في النفس التي يقول فيها

• هبطت اليك من المحل الارفع • ورقاء ذات تعزز وتمنع •
• محجوبة عن كل مقلة عارف • وهي التي سفرت ولم تتبرقع •
• وصلت على كره اليك وربما • كرهت فراقك وهي ذات تفجع •

وهي طويلة وقوله

• اجعل غذاءك كل يوم مرة • واحذر طعاما قبل هضم طعام •
• واحفظ منيك ما استطعت فانه • ماء الحياة يصب في الارحام •

وذكر انه توفي بالقولنج في همذان وقيل باصبهان والاول اصح يوم الجمعة في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين واربعمائة عن ثمان وخمسين سنة قلت قد حصر الغزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة ثم رد عليه في تهافت الفلاسفة في عشرين مسئلة كفره في ثلاث منهن وهي قوله بقدم العالم وعدم المعاد الجثماني وان الله لا يعلم الجزئيات وبدعه في البواقي ويقال انه تاب عند الموت فالله اعلم

ثم دخلت سنة تسع وعشرين واربعمائة

فيها بدو ملك السلاجقة

فيها استولى ركن الدولة ابو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق على نيسابور وجلس على سرير ملكها وبعث اخاه داود الى سائر بلاد خراسان فملكها وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين وفيها قتل جيش المصريين لصاحب حلب وهو شبل الدولة من الخليفة ان يلقب بملك الدولة فاجابه الى ذلك بعد تمنع وفيها استدعى الخليفة القائم بامر الله القضاة والفقهاء واحضر جاثليق النصارى وراس جالوت اليهود والزموا بالغيار وفي رمضان لقب جلال الدولة بشاهنشاه الاعظم ملك الملوك بامر الخليفة وخطب بذلك على المنابر فنفرت العامة من ذلك ورموا الخطباء بالآجر ووقعت فتنة شديدة واستفتي الفقهاء في ذلك فافتى ابو عبد الله الصيمري ان هذه الاسماء يعتبر فيها القصد والنية وقد قال الله تعالى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقال وكان وراءهم ملك واذا كان في الارض ملوك جاز ان يكون بعضهم فوق بعض لتفاضلهم في القوة والامكان وجاز ان يكون بعضهم اعظم من بعض وليس في ذلك ما يوجب النكير ولا المماثلة بين الخالق والمخلوقين وكتب القاضي ابو الطيب الطبري ان اطلاق ملك الملوك جائز ويكون معناه ملك ملوك الارض واذا جاز ان يقال كافي الكفاة وقاضي القضاة جاز ملك الملوك فينصرف الكلام الى المخلوقين وكتب التميمي الحنبلي نحو ذلك واما القاضي الماوردي صاحب الحاوي الكبير فنقل عنه كما نقله ابن الجوزي والشيخ ابو عمرو بن الصلاح في ادب المفتي انه منع من ذلك واصر على المنع مع صحبته للملك جلال الدولة وكثرة ترداده اليه ووجاهته عنده وانه امتنع من الحضور في مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة فلما دخل عليه دخل وهو وجل خائف ان يوقع به مكروها فلما واجهه قال له قد اعلم انما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك اياي ووجاهتك عندي دينك واتباعك الحق ولو حابيت احدا من الناس لحابيتني وقد زاد لك ذلك عندي محبة ومكانة قلت والذي حمل القاضي الماوردي على المنع من ذلك هو السنة التي وردت بها الاحاديث الصحيحة من غير وجه قوي قال الامام احمد بن حنبل في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الاملاك قال احمد سالت ابا عمرو الشيباني عن اخنع اسم فقال اوضع وقد رواه البخاري عن علي بن المديني عن سفيان بن عيينة واخرجه مسلم من طريق همام

عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اغيظ رجل على الله يوم القيامة
واخبثه رجل تسمى ملك الاملاك لا ملك الا الله عز وجل وقال احمد حدثني محمد بن جعفر
ثنا عوف عن خلاس عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد
غضب الله على من قتله نبيه واشتد غضب الله على رجل تسمى ملك الاملاك لا ملك
الا الله عز وجل

وممن توفي فيها من الاعيان

الثعالبي صاحب يتيمة الدهر ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي
النيسابوري كان اماما في اللغة والاخبار وايام الناس بارعا مفيدا له التصانيف
الكبار في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة واكبر كتبه يتيمة الدهر في محاسن اهل
العصر وفيها يقول بعضهم

ابيات اشعار اليتيمة ۞ ابكار افكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم ۞ فلذلك سميت اليتيمه

وانما سمي الثعالبي لانه كان فراء يخيط جلود الثعالب وله اشعار كثيرة مليحة وله سنة
خمسين وثلثمائة ومات في هذه السنة رح الاستاذ ابو منصور عبد القاهر بن طاهر
ابن محمد البغدادي الفقيه الشافعي احد ايمة في الاصول والفروع وكان ماهرا في فنون
كثيرة منها علم الحساب والفرائض وكان ذا مال وثروة انفقه كله على اهل العلم وصنف
في العلوم ودرس في سبعة عشر علما وكان اشتغاله على الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني
واخذ عنه ناصر المروزي وغيره رح

سنة ثلثين واربعمائة

فيها التقى الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين والملك طغرلبك السلجوقي ومعه اخوه
داود في شعبان فهزمهما مسعود وقتل من اصحابهما خلقا كثيرا وفي هذه السنة
اسر وثاب للقائم بامر الله بحران والرحبة وقطع خطبة المستنصر العبيدي وفيها
خوطب ابو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز وهو مقيم بواسط وهذا الملك
هو الذي كان اخر من ملك من بني بويه بغداد لما طغوا وبغوا وتمردوا وتسموا بملك الاملاك
وهو اسم يبغضه الله سلبهم ما كان انعم به عليهم وجعل الملك لغيرهم قال الله تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما
لهم من دونه من وال وفيها خلع الخليفة على قاضي القضاة ابي عبد الله بن ماكولا
خلعة التشريف وفيها وقع ثلج عظيم ببغداد مقدار شبر على الاسطحة حتى جرفه الناس
عنها قال ابن الجوزي وفي جمادى الاخرة ملك بنو سلجوق بلاد خراسان والجبل
وتقسموا الاطراف وهو اول ملك السلجوقية ولم يحج احد في هذه السنة من اهل العراق
وخراسان ولا من الشام ومصر الا القليل

وممن توفي فيها من الاعيان

الحافظ ابو نعيم الاصبهاني

احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران ابو نعيم الاصبهاني الحافظ الكبير
ذو التصانيف الكثيرة الشهيرة من ذلك حلية الاولياء في مجلدات كثيرة دلت
على اتساع روايته وكثرة مشايخه وقوة اطلاعه على مخارج الاحاديث وتشعب طرقها
وله معجم الصحابة وهو عندي بخطه وله صفة الجنة وكتاب في الطب وغير ذلك من
المصنفات المفيدة وقد قال الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي كان ابو نعيم
يخلط المسموع له بالمجاز ولا يوضح احدهما من الاخر وقال عبد العزيز النخشبي لم يسمع
ابو نعيم مسند الحديث بن ابي اسامة من ابي بكر بن خلاد بتمامه فحدث به كله وقال
الشيخ ابو الفرج بن الجوزي سمع الكثير وصنف الكثير وكان يميل الى مذهب الاشعري
ميلا كثيرا وكانت وفاته في الثامن عشر من المحرم من هذه السنة عن اربع وتسعين سنة
لانه ولد فيما ذكره القاضي بن خلكان في سنة ست وثلثين وثلثمائة قال وله تاريخ
اصبهان وذكر في ترجمة والده ان مهران اسلم وانه مولى لعبد الله بن معاوية بن
عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وذكر ان معنى اصبهان واصله بالفارسية سباهان
اي مجمع العساكر وان اسكندر بناها قال السمعاني الحسن بن الحسين ابو علي الرخجي
وزر لشرف الدولة ابي علي بن بهاء الدولة سنتين ثم عزل وكان عظيم الجاه في زمان
عطلته وهو الذي بنى المارستان بواسط ورتب فيه الاشربة والاطباء والادوية
وغير ذلك مما يحتاج اليه ووقف عليه كفايته جزاه الله خيرا وكانت وفاته في هذه
السنة وقد قارب الثمانين سنة رح الحسن بن حفص ابو الفتوح العلوي امير مكة
شرفها الله تعالى الحسين بن محمد بن الحسن بن علي بن عبد الله المؤدب وهو ابو محمد
الخلال سمع صحيح البخاري من اسماعيل بن محمد الكشميهني وسمع غيره وكانت وفاته
في جمادى الاولى ودفن بباب حرب عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن بشر بن مهران
ابو القسم الواعظ سمع النجاد وعلي بن احمد والاجري وغيرهم وكان ثقة صدوقا وكان
يشهد عند الحكام فترك ذلك زهدا عنه ومات في ربيع الاخر من هذه السنة وقد جاوز
التسعين وصلي عليه في جامع الرصافة وكان الجمع حافلا ودفن الى جانب ابي طالب المكي
وقد كان اوصى بذلك محمد بن الحسين بن خلف بن الفرا ابو حازم اخو القاضي ابي يعلى
الحنبلي سمع الدارقطني وابن شاهين قال الخطيب كان لا باس به ورايت له اصولا
سماعه فيها ثم بلغنا انه خلط في الحديث بمصر واشترى من الوراقين صحفا فروى منها
وكان يذهب الى الاعتزال وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة بتنيس من بلاد مصر
محمد بن عبيد الله ابو بكر الدينوري الزاهد وكان خشن العيش وكان ابن القزويني
يثني عليه وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره وقد سال مرة ان يطلق للناس
مكس الملح وكان مبلغه في السنة الفي دينار فترك من اجله ولما توفي اجتمع اهل البلد
لجنازته وصلي عليه مرات ودفن بباب حرب رح الفضل بن منصور ابو الرضا ويعرف
بابن الظريف وكان شاعرا ظريفا ومن شعره قوله

يا قالة الشعر قد نصحت لكم ۞ ولست ادهى الا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي ۞ ذاك امور طويلة الشرح
ويطلبون النوال من رجل ۞ قد طبعت نفسه على الشح
وانتم تمدحون بالحسن والظرف ۞ وجوها في غاية القبح
من اجل ذا تحرمون رزقكم ۞ لانكم تكذبون في المدح

على اتساع

صونوا القوافي فما ارى احدا يعرف بين الرجا بالنجح

فان شككتم فيما اقول لكم فكذبوني بواحد سمح

هبة الله بن علي بن جعفر ابو القسم بن ماكولا وزر لجلال الدولة مرارا وكان حافظا للقران عارفا بالشعر والاخبار خنق بهيت في جمادى الاخرة ابو زيد الدبوسي عبد الله ابن عمر بن عيسى الفقيه الحنفي اول من وضع علم الخلاف وابرزه الى الوجود قال القاضي ابن خلكان قال وكان يضرب به المثل والدبوسي نسبة الى قرية من اعمال بخارا قال وله كتاب الاسرار والتقويم للادلة وغير ذلك من التصانيف والتعاليق قال وروى انه ناظر فقيها فبقي كلما الزمه ابو زيد الزاما تبسم وضحك فانشد ابو زيد

مالي اذا الزمته حجة قابلني بالضحك والقهقهه

ان كان ضحك المرء من فقهه فالدب في الصحرا ما افقهه

الحوفي صاحب اعراب القران

ابو الحسن علي بن ابراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي له كتاب في النحو كبير واعراب القران في عشر مجلدات وله تفسير القران ايضا وكان اماما في العربية والنحو والادب وله تصانيف كثيرة انتفع الناس بها قال القاضي ابن خلكان والحوفي نسبة الى ناحية بمصر يقال لها الشرقية وقصبتها مدينة بلبيس فجميع ريفها يسمون بذلك وهو من قرية يقال لها شبرى النخلة من اعمال الشرقية المذكورة

ثم دخلت سنة احدى وثلثين واربعماية

فيها زادت دجلة زيادة عظيمة بحيث حملت الجسر ومن عليه ما لقيتم باسفل البلد وسلموا وفيها وقع بين الجند وبين الملك جلال الدولة وقتل من الفريقين خلق كثير وجرت شرور طويلة وفساد عريض واتسع الخرق على الراقع ونهبت الاتراك دور الناس ولم يبق للملك عندهم حرمة ولا كلمة وغلت الاسعار ببغداد جدا وفيها بعث ابو كاليجار وزيره العادل ابن مافنة الى البصرة فملكها له وفيها زار الملك ابو طاهر مشهد علي ومشهد الحسين ومشى حافيا في بعض تلك الزيارات ولم يحج احد من اهل العراق في هذه السنة

وممن توفي فيها من الاعيان

اسماعيل بن احمد بن عبد الله ابو عبد الرحمن الضرير الحيري من اهل نيسابور كان من اعيان الفضلاء الاذكياء والثقات الامنا قدم بغداد حاجا في سنة ثلاث وعشرين واربعماية فقرا عليه الخطيب البغدادي جميع صحيح البخاري في ثلاثة مجالس يرويه عن ابي الهيثم الكشميهني عن الفربري عن البخاري وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز التسعين بشرى الفاتني وهو بشرى بن مسيس من سبي الروم اهداه بعض امراء بني حمدان لفاتن غلام المطيع فادبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ وروى عنه الخطيب وقال كان صدوقا صالحا دينا وكانت وفاته في يوم عيد الفطر محمد بن علي بن احمد بن يعقوب بن مروان ابو العلا الواسطي واصله من فم الصلح سمع الحديث وقرا القران وروى وقد تكلموا في روايته في القراات والحديث فالله اعلم وكانت وفاته في جمادى الاخرة من هذه السنة وقد جاوز الثمانين

ثم دخلت سنة ثنتين وثلثين واربعماية

فيها عظم شان السلجوقية وارتفع شان ملكهم طغرلبك محمد واخيه جغري بك داود وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن تقاق وقد كان جدهم هذا من مشايخ الترك القدما الذين لهم راي ومكيدة ومكانة عند ملكهم الاعظم ونشا ولده اسحاق نجيبا شهما فقدمه الملك ولقبه شباسي فاطاعته الجيوش وانقاد له الناس بحيث تخوف منه الملك واراد قتله فهرب منه الى بلاد المسلمين فاسلم فازداد عزا وعلوا ثم توفي عن ماية وسبع سنين وخلف ارسلان وميكائيل وموسى فاما ميكائيل فانه اعتنى بقتال الكفار من الاتراك حتى قتل شهيدا وخلف ولديه طغرلبك محمد وجغري بك داود فعظم شانهما في بني عمهما واجتمع عليهما الترك من المومنين وهم ترك الايمان الذين يقول لهم الناس تركمان وهم السلاجقة بني سلجوق جدهم هذا فقصدوا بلاد خراسان بعد موت محمود بن سبكتكين وقد كان يتخوف منهم الملك محمود بعض التخوف فلما توفي وقام ولده مسعود من بعده قاتلهم وقاتلوه مرارا فيهزمونه في اكثر المواقف واستكمل لهم ملك خراسان باسرها ثم قصدهم مسعود في جنود تضيق بهم الفضا فكسروه فيها وكبسه مرة داود فانهزم منه مسعود فاستحوذ على حواصله وخيامه وجلس على سريره وفرق الغنايم ومكث جيوشه على خيولهم ثلاثة ايام لا ينزلون عنها خوفا من دهمة العدو وبمثل هذا الاحتراس تم لهم ما راموه وكمل جميع ما املوه ثم كان من سعادتهم ان الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند ليشتي بها وترك هو ولده مودود جيشا كثيفا بسبب قتال السلاجقة فلما عبر الجسر الذي على جيحون نهبت جنوده حواصله واجتمعوا على اخيه محمد وخلعوا مسعود ا فرجع اليهم مسعود فقاتلهم فهزموه واسروه فقال له اخوه والله لا اقابلك على سوء صنيعك الي ولكن اختر لنفسك اي بلد تكون فيه انت وعيالك فاختار قلعة كركي فكان بها ثم ان الملك محمد اجعل لولده الامر من بعده وبايع الجيش له وقد كان في احمد هوج فاتفق هو وعمه يوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصفو لهم الامر ويتم لهم الملك فسار اليه احمد عن غير علم من ابيه فقتله فلما علم ابوه غاظه ذلك وعتب على ابنه عتبا شديدا وبعث الى ابن اخيه يعتذر اليه ويقسم انه لم يعلم بذلك حتى كان ما كان فكتب اليه مودود بن مسعود يقول رزق الله ولدك المعتوه عقلا يعيش به فقد ارتكب امرا عظيما واقدم على اراقة دم ملك مثل والدك الذي لقبه امير المومنين سيد الملوك والسلاطين وستعلمون اي حتف تورطتم واي شر تابطتم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم سار اليهم بجنود عظيمة فقاتلهم فقهرهم واسرهم فقتل عمه محمدا وابنه احمد وبني عمه كلهم الا عبد الرحيم وخلقا من رووس امرايهم وابتنى قرية سماها لذلك فتح اباذ ثم سار الى غزنة فدخلها في شعبان واظهر العدل وسلك سيرة جده محمود فاطاعه الناس وكتب اليه اصحاب الاطراف بالانقياد والاتباع غير ان الملك قد ضعف بيده وكان هذا من جملة سعادة السلاجقة وفيها خالف والد علي العزيز باديس صاحب افريقية فسار اليهم فحاصرهم نحوا من سنتين ووقع بافريقية في هذه السنة غلا شديد بسبب تاخر الامطار عنهم ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الرفض والسنة من اهل الكرخ واهل باب البصرة فقتل خلق كثير من الفريقين ولم يحج في هذه السنة احد من اهل العراق

وممن توفي فيها من الأعيان محمد بن الحسين بن الفضل بن العباس أبو يعلى البصري الصوفي أحد من عمر في الشعر والتغرب وقدم في سنة ثنتين وثلاثين فحدث بها عن أبي بكر ابن أبي الحديد الدمشقي وأبي الحسين بن جميع الغساني وكان ثقة صدوقا أمينا حسن الشعر

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

فيها ملك طغرلبك جرجان وطبرستان ثم عاد إلى نيسابور مؤيدا منصورا وفيها ظهر ركن الدولة أبو منصور بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه بعد وفاة أبيه ونازع الخلف بينه وبين أخويه أبي كاليجار وكرشاسف وفيها دخل أبو كاليجار همذان ورفع الجور عنها وفيها شغبت الأتراك ببغداد بسبب تأخر العطاء عنهم وسقطت قنطرة بني زريق على نهر عيسى وكذا القنطرة العتيقة التي تقاربها وفيها دخل بغداد رجل من البلغر يريد الحج وذكر أنه من كبارهم فأنزل بدار الخلافة وأجري عليه الأرزاق وذكر أنهم مولدون من الترك والصقالبة وأنهم في أقصى بلاد الترك وأن النهار يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات وكذلك الليل وعندهم عيون من زروع وثمار على المطر السنين وفي هذه السنة قرئ الاعتقاد الذي كان جمعه القادر بالله أمير المؤمنين بالديوان وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني ثم كتب بعده العلماء وقد سرده الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم بتمامه وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف

وممن توفي فيها من الأعيان

بهرام بن مافنه أبو منصور الوزير لأبي كاليجار وكان عفيفا نزها صينا عادلا في سيرته وقد وقف خزانة كتب بمدينة فيروزاباد تشتمل على سبعة آلاف مجلد من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبي علي وأبي عبد الله ابني مقلة. محمد بن جعفر بن أبي الحسين المعروف بالجهرمي قال الخطيب البغدادي هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا منهم وكان مجيد القول ومن شعره

يا ويح قلبي من تقلبه • أبدا يحن إلى معذبه
قالوا أكتمت هواه عن جلد • لو أن جلدا الحجر به
بأبي حبيب غير مكترث • عني ويكثر من تعتبه
حسبي رضاه من الحياة ويا • قلقي وموتي من تغضبه

مسعود الملك بن الملك محمود بن الملك سبكتكين صاحب بلاد غزنة وابن صاحبها قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود فانتقم له ابنه مودود بن مسعود فقتل عمه وابن عمه وأهل بيته من أجل أبيه واستتب له الأمر وحده من غير منازع من قومه كما تقدم. بنت أمير المؤمنين المتقي لله تأخرت مدتها حتى كانت وفاتها في رجب من هذه السنة عن إحدى وتسعين سنة بالحريم الطاهري ودفنت بالرصافة

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

فيها أمر الملك جلال الدولة أبو طاهر يحيى بن داموا الجوالي ومنع أصحاب الخليفة من قبضها فانزعج الخليفة القائم بأمر الله وعزم على الخروج من بغداد وراسل الفقهاء والقضاة

والأعيان

والأعيان في التأهب للخروج صحبته وأرجفت بغداد بسبب ذلك وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز هدمت قلعتها وسورها وأسواقها ودورها حتى من دار الإمارة عامة قصورها ومات تحت الهدم خمسون ألفا ولبس أهلها المسوح لشدة مصابهم وفيها استولى السلطان طغرلبك على أكثر البلاد الشرقية فمن ذلك مدينة خوارزم ودهستان وطبس والري وبلاد الجبل وكرمان وأعمالها وقزوين وخطب له في تلك النواحي كلها وعظم شأنه جدا واتسع صيته وفيها ملك ثمال بن صالح بن مرداس حلب وأخذها من أيدي جيش الفاطميين فبعث إليه المصريون من حاربه ولم يحج أحد في هذه السنة ولا في التي قبلها

وممن توفي فيها من الأعيان

أبو ذر الهروي

عبد الله بن أحمد بن محمد الحافظ أبو ذر الهروي الفقيه المالكي سمع الكثير ورحل إلى الأقاليم وخرج إلى مكة فسكنها ثم تزوج في العرب وأقام بالسروات فكان يحج في كل سنة ويقيم بمكة أيام الموسم ويسمع الناس عليه وأخذ عنه المغاربة مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري عن القاضي أبي بكر الباقلاني وكان يقول إنه أخذ مذهب الإمام مالك عن الباقلاني وقد كان ثقة حافظا ضابطا توفي في ذي القعدة من هذه السنة. محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر أبو الفتح الشيباني العطار ويعرف بقطيط سافر الكثير إلى البلاد الشاسعة وسمع الكثير وكان شيخا ظريفا يسلك طريق التصوف وكان يقول لما ولدت سميت قطيط على اسم البادية ثم سماني بعض أهلي محمدا

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

فيها وردت الجوالي إلى نواب الخليفة وفيها ورد كتاب من جلال الملك طغرلبك إلى جلال الدولة يأمره بالإحسان إلى الرعايا والوصاة بهم

ذكر ملك أبي كاليجار بغداد

بعد وفاة أخيه جلال الدولة بن بهاء الدولة

وفيها توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليجار بن بهاء الدولة وخطب له بها عن ملاءة أمرائها وأخرجوا الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة فتنقل في البلاد وتشرد عن مملكته المغيرها حتى توفي في سنة إحدى وأربعين وحمل فدفن عند أبيه بمقابر قريش وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكرا كثيفا إلى خراسان فبرز إليهم ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق في عسكر آخر فاقتتلوا قتالا عظيما وفيها في صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يؤذون المسلمين نحو من عشرة آلاف خركاه وضحوا في يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من غنم وتفرقوا في البلاد ولم يسلم من الخطا والتتر أحد وهم بنواحي الصين وفيها نفى ملك الروم بقسطنطينية كل غريب له دون العشرين سنة فيها وفيها خطب المعز بن باديس صاحب إفريقية ببلاده للخليفة العباسي وقطع خطبة الفاطميين وأحرق أعلامهم وأرسل

اليه القايم بامر الله الخلع واللوا المنشور ونبه بتعظيم له وثنا عليه وفيها ارسل الخليفة القايم بامر الله اقضى القضاة ابا الحسن علي بن حبيب الماوردي قبل وفاة جلال الدولة الى الملك طغرلبك ليصلح بينه وبين جلال الدولة وابي كاليجار فسار اليه فالتقاه بجرجان فتلقاه الملك على اربع فراسخ اكراما لمن ارسله واقام عنده الى السنة المقبلة فلما قدم اخبر بطاعته واكرامه له واحترامه من اجل الخليفة

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسين بن عثمان بن سهل بن احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف العجلي ابو سعد احد الرحالين في طلب الحديث الى البلاد المتنابية نشأ ثم اقام ببغداد مدة وحدث بها وروى عنه الخطيب وقال كان صدوقا فاستنبتها ثم انتقل في اخر عمره الى مكة فسكنها حتى توفي بها في شوال من هذه السنة

عبد الله بن ابي الفتح احمد بن عثمان بن الفرج بن الازهر ابو القسم الازهري الحافظ المحدث الشهير ويعرف بابن السواري سمع من ابي بكر بن مالك وخلق يطول ذكرهم وكان ثقة صدوقا دينا صحيح الاعتقاد حسن السيرة وكانت وفاته ليلة الثلثا التاسع عشر من صفر من هذه السنة عن ثمانين سنة وعشرة ايام

الملك جلال الدولة ابو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي صاحب بغداد وغيرها من البلاد كان يحب العباد ويزورهم ويلتمس الدعا منهم وقد نكبت مرات عديدة وخالفه الاتراك غير مرة واخرجوه من داره ومن بغداد بالكلية غير ما طريق ثم يعودون اليه ويرضون عنه حتى اعتراه وجع في كبده هذه السنة فمات من ذلك في ليلة جمعة الخامس من شعبان من هذه السنة وله من العمر احدى وخمسون سنة واشهر وولي بغداد من ذلك ستة عشر سنة واحد عشر يوما شهرا

ثم دخلت سنة ست وثلثين واربعماية

فيها دخل الملك ابو كاليجار بغداد وامر بضرب الطبل في اوقات الصلوات الخمس ولم تكن الملوك قبله تفعله انما كان عضد الدولة ثلاثة اوقات وما كان يضرب في الاوقات الخمسة الا الخليفة وكان دخوله في رمضان وقد فرق على الجند اموالا جزيلة وبعث الى الخليفة بعشرة الاف دينار وخلع على مقدمي الجيوش وهم البساسيري والنشاور والهمام ابو اللقا ولقبه الخليفة محيي الدولة وخطب له في بلاد كثيرة بامر ملوكها وخطب له بهمذان ولم يبق لنواب طغرلبك بها امر وفيها استوزر طغرلبك ابا القسم علي بن عبد الله الجويني وهو اول وزير له وفيها وزر ابو نصر احمد بن يوسف لصاحب مصر وكان يهوديا فاسلم بعد موت الجرجراي وفيها ولي نقابة العلويين الشريف ابو احمد عدنان بن الشريف الرضي وذلك بعد وفاة عمه المرتضى ابي القاسم علي وستاتي ترجمته وفيها ولي القاضي ابو الطيب الطبري قضاء الكرخ مضافا الى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق وذلك بعد موت القاضي ابي عبد الله الصيمري وفيها نظر رئيس الرؤسا ابو القسم بن المسلمة في كتابة ديوان الخليفة وكان له عنده منزلة عالية ولم يحج في هذه السنة احد من اهل العراق

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسين بن علي بن محمد بن جعفر ابو عبد الله الصيمري نسبة الى نهر بالبصرة يقال له الصيمري احد ايمة الحنفية ولي قضاء المداين ثم قضاء ربع الكرخ وحدث عن ابي بكر المفيد وابن شاهين وغيرهما وكان صدوقا وافر العقل جميل المعاشرة حسن العبادة عارفا بحقوق العلما توفي في شوال عن خمس وثمانين سنة

عبد الوهاب بن منصور بن احمد ابو الحسين المعروف بابن المشتري الاهوازي كان على قضاء الاهواز ونواحيها شافعي المذهب وكان له منزلة كبيرة عند السلطان صدوقا كثير المال حسن السيرة

الشريف المرتضى

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الشريف الموسوي الملقب بالمرتضى ذي المجدين وكان اكبر من اخيه الرضي ذي الحسبين نقيب الطالبيين وكان يحب الشعر على مذهب الامامية والاعتزال يناظر على ذلك وكان يناظر عنده في كل المذاهب وله تصانيف في التشيع اصولا وفروعا وقد نقل ابن الجوزي في ترجمته اشيا من مفردات الشيعة فمن ذلك انه لا يصح السجود الا على الارض او ما كان من جنسها وان الاستنجا انما يجزي في الغايط لا في البول وان الكتابيات حرام وذبايح اهل الكتاب حرام وكذا ما ذكوه هم وساير الكفار من الاطعمة وان الطلاق لا يقع الا بحضرة شاهدين والمعلق منه لا يقع وان وجد شرطه ومن نام عن صلاة العشا حتى انتصف الليل وجب قضاها ويجب عليه ان يصبح صايما كفارة لما وقع ومن ذلك ان المراة اذا جزت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطا ومن شق ثوبه في مصيبة وجب عليه كفارة يمين ومن تزوج بامراة لها زوج لا يعلمه يجب عليه ان يتصدق بخمسة دراهم وان قطع السارق من اصول الاصابع قال ابن الجوزي نقلتها من خط ابي الوفا بن عقيل قال وهذه مذاهب عجيبة تخرق الاجماع واعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم ثم سرد من كلامه شيا قبيحا في تكفير عمر وعثمان وعايشة وحفصة رضي الله عنهم وهو وامثاله ان لم يكن قد تاب فقد روى ابن الجوزي اخبرنا ابن ناصر عن ابي الحسن ابن الطيوري قال سمعت ابا القاسم بن برهان يقول دخلت على الشريف المرتضى ابا القاسم العلوي في مرضه واذا قد حول وجهه الى الجدار فسمعته يقول ابو بكر وعمر وليا فعدلا واسترحما فرحما افانا اقول ارتدا بعدما اسلما قال فقمت فما دخلت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه وقد ذكره القاضي ابن خلكان فحسن عليه واورد شيا من اشعاره الرايقة قال وقيل انه الذي وضع نهج البلاغة وكانت وفاته في هذه السنة عن احدى وثمانين سنة

محمد بن احمد بن شعيب بن عبد الله بن الفضل ابو منصور الروياني صاحب الشيخ ابي حامد الاسفراييني قال الخطيب سكن بغداد وحدث بها وكتبنا عنه وكان صدوقا يسكن قطيعة الربيع ومات في ربيع الاول من هذه السنة ودفن بباب حرب

ابو الحسين البصري المعتزلي

محمد بن علي بن الطيب ابو الحسين البصري المتكلم شيخ المعتزلة والمنتصر لهم والحامي عن ذمارهم بالتصانيف الكثيرة وقد كانت وفاته في ربيع الاخر من هذه السنة وصلى عليه القاضي ابو عبد الله الصيمري ودفن في الشونيزية ولم يكن له من رواية الحديث

سوى حديث واحد رواه عنه الخطيب البغدادي في تاريخه حدثنا محمد بن علي بن الطيب قرى على هلال بن محمد اخي هلال الرازي بالبصرة وانا اسمع قيل له حدثكم ابو مسلم الكجي وابو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي والغلابي والمازني والزريقي قالوا حدثنا القعنبي عن شعبة عن منصور عن ربعي عن ابي مسعود البدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت والغلابي اسمه محمد والمازني اسمه محمد بن حسان والزريقي ابو علي محمد بن احمد بن خالد البصري

ثم دخلت سنة سبع وثلثين واربعماية

فيها بعث السلطان طغرلبك السلجوقي اخاه ابرهيم ينال الى بلاد الجبل فملكها واخرج عنها صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة فالتحق بالاكراد ثم سار ابرهيم ينال الى الدينور فملكها واخرج منها صاحبها وهو ابو الشوك فسار ابو الشوك الى حلوان فتبعه ابرهيم فملكها عليه ثم احرق داره وغنم امواله فجهز الملك ابو كاليجار صاحب بغداد القتال السلاجقة الذين قصدوا اعمال نصاره فلم يمكنه ذلك لقلة الظهر وذلك ان الافة احرثت في هذه السنة بالخيل فمات له منها نحو من اثنى عشر الف فرس بحيث جافت بغداد من نتن الخيل وفيها وقع ببغداد بين الدوا فض والسنة ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود واحراق الكنيسة العتيقة التي لهم واتفق في هذه السنة موت رجل من اكابر النصارى بواسط فجلس اهله للعزاية على باب سجد هناك ثم اخرجوا جنازته جهرة ومعها طايفة من الاتراك يحرسونها فحملت عليهم العامة واخذوا الميت منهم واستخرجوه من اكفانه ناحرقوه ورموه في دجلة ومضوا الى الدير فنهبوه وعجز الاتراك عن دفعهم ولم يحج اهل العراق في هذا العام

وممن توفي فيها من الاعيان

فارس بن محمد بن عنان صاحب الدينور وحلوان كانت وفاته في هذا الاوان خديجة بنت موسى بن عبد الله الواعظة وتعرف ببنت البقال وتكنى ام سلمة قال الخطيب كتبت عنها وكانت فقيرة صالحة فاضلة احمد بن يوسف المازني الشاعر الكاتب وزير احمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين كان فاضلا بارعا لطيفا تردد في الرسالة الى القسطنطينية غير مرة وحصل كتبا عزيزة كثيرة ادخلها على جامعي آمد وميافارقين ودخل يوما على ابي العلا المعري فقال له اني معتزل الناس وهم يوذونني فقال له وقد تركت لهم الدنيا والاخرة وله ديوان قليل النظر عزيز الوجود حرص عليه القاضي الفاضل فلم يقدر عليه وكانت وفاته في هذه السنة ومن شعره في واد بزاعا

وقانا لفحة الرمضاء واد • وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا • حنو المرضعات على الفطيم
يراعي الشمس انا قابلته • فيحجبها وياذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى • فيلمس جانب العقد النظيم

قال ابن خلكان وهذه الابيات بديعة في بابها

ثم دخلت سنة ثمان وثلثين واربعماية

استهلت والموتان كثير في الدواب جدا حتى جافت بغداد قال ابن الجوزي وربما احضر بعض الناس الاطبا الى دوابهم فيسقونها ماء الشعير ويطبخونها وفيها حاصر السلطان

طغرلبك اصبهان فصالحه صاحبها على مال يحمله اليه وان يخطب له ببلده فاجابه الى ذلك وفيها ملك مهلهل قرميسين والدينور وفيها ثار على بني خفاجة رجب بن ابي منيع بن ثمال بعد وفاة بدران بن سلطان بن ثمال وهو لاء الاعراب اكثر من يصد الحجيج عن البيت الحرام فلا جرم ان الله خيبر وتحجهم الله يوم نيام الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سو الدار

وممن توفي فيها من الاعيان

الشيخ ابو محمد الجويني

عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الشيخ ابو محمد الجويني امام الشافعية في زمانه وهو والد امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن ابي محمد واصله من قبيلة يقال لها سنبس وجوين من نواحي نيسابور وسمع الحديث في بلاد شتى على جماعة وقرا الادب على ابيه وتفقه بابي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي ثم خرج الى مرو الى ابي بكر عبد الله بن احمد القفال ثم عاد الى نيسابور وعقد مجلس المناظرة وكان مهيبا لا يجرى بين يديه الا الجد وصنف التصانيف الكثيرة في انواع من العلوم وكان ورعا زاهدا شديد الاحتياط ربما اخرج الزكاة مرتين وقد ذكرناه في طبقات الشافعية وما قاله الايمة في مدحه وكانت وفاته في ذي القعدة وقال القاضي ابن خلكان صنف التفسير الكبير المشتمل على انواع العلوم وله في الفقه التبصرة والتذكرة ومختصر المختصر والفرق والجمع والسلسلة وغير ذلك وكان اماما في الفقه والاصول والعربية والادب وكانت وفاته في هذه السنة وقيل في سنة اربع وثلثين قاله السمعاني في الانساب وهو في سن الكهولة

ثم دخلت سنة تسع وثلثين واربعماية

وفيها اصطلح الملك طغرلبك السلجوقي وابو كاليجار صاحب بغداد وتزوج طغرلبك بابنة ابي كاليجار وتزوج ابو منصور بن ابي كاليجار بابنة الملك داود اخي طغرلبك وفيها اسرت الاكراد سرخاب اخا ابي الشوك واحضروه بين يدي ابرهيم ينال الخادم فقلع احدى عينيه وفيها استولى ابو كاليجار على بلاد البطيحة ونجا صاحبها ابو نصر بنفسه وفيها ظهر رجل يقال له الاصفر التغلبي وادعى انه من المذكورين في الكتب فاستغوى خلقا من الناس وقصد بلاد الروم فغنم منها اموالا تقوى بها وعظم فاتفق انه اسر وحمل الى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر فاعتقله وسد عليه فمات في السجن وفيها كان وبا شديد بالعراق والجزيرة وبغداد فمات خلق كثير حتى خلت الاسواق وغلت الاشياء التي يحتاج اليها المرضى وورد كتاب من الموصل بانه لا يصلي الجمعة من اهلها الا نحو اربعماية وان اهل الذمة لم يبق منهم الا نحو من مائة وعشرين نفسا وفيها وقع غلا شديد ايضا وجرت فتنة بين السنة والروافض ببغداد قتل فيها خلق كثير ولم يحج احد من ركب العراق في هذا العام

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن عبد الله بن احمد ابو الفضل القاضي الهاشمي الرشيدي من ولد الرشيد ولي القضا بسجستان وسمع الحديث من القطيعي وغيره قال الخطيب انشدني لنفسه

قالوا اقتصد في الجود انك منصف • وعدول الانصاف ليس يجور •
فاجبتهم اني سلالة معشر • لهم لواء في الندى منشور •
تالله اني شائد ما قد بنى • جدي الرشيد وقبله المنصور •

عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن ايوب ابو القسم الشاعر المعروف بالمطرز من شعره الذي رواه عنه الخطيب قوله

يا عبد كم لك من ذنب ومعصية • ان كنت ناسيها فالله احصاها •
لا بد يا عبد من يوم تقوم له • ووقفة لك يدمي القلب ذكراها •
اذا عرضت على قلبي تذكرها • وساء ظني فقلت استغفر الله •

محمد بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم ابو سعد الوزير وزر للملك ابي طاهر ست مرات ثم كانت وفاته بجزيرة ابن عمر في هذه السنة عن ست وخمسين سنة محمد بن احمد بن موسى ابو عبد الله الواعظ الشيرازي قال الخطيب قدم بغداد واظهر الزهد والتقشف والورع وعزوف النفس عن الدنيا فافتتن الناس به وكان يحضر مجلسه خلق كثير ثم انه قبل ما كان يعرض عليه من الدنيا فكثرت امواله ولبس الثياب الناعمة وجرت له امور وكثرت اتباعه واظهر انه يريد الغزو فاتبعه بشر كثير فنزل ظاهر البلد وكان يضرب له الطبل في اوقات الصلوات وسار الى ناحية بلاد اذربيجان فالتف عليه خلق كثير وصار مع امير تلك الناحية وكانت وفاته هنالك في هذه السنة قال الخطيب وقد حدث ببغداد وكتبت عنه احاديث يسيرة وحدثني بعض اصحابنا بشيء يدل على ضعفه في الحديث انشد هو لبعضهم

اذا ما اطعت النفس في كل لذة • نسبت الى غير الحجى والتكرم •
اذا ما اجبت النفس في كل دعوة • دعتك الى الامر القبيح المحرم •

محمد بن الحسين بن عمر بن برهان ابو الحسن الغزالي سمع محمد بن المظفر وغيره وكان صدوقا
محمد بن علي بن ابراهيم ابو الخطاب الحنبلي الشاعر من شعره قوله

ما حكم الحب فهو ممتثل • وما جناه الحبيب محتمل •
تهوى وتشكو الضنى وكل هوى • لا ينحل الجسم فهو منتحل •

وقد سافر الى الشام فاجتاز بمعرة النعمان فامتدح ابا العلاء بن سليمان بابيات فاجابه عنها وقد كان حسن العينين حين سافر فعاد اعمى وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة وقيل انه كان شديد الرفض فالله اعلم

الشيخ ابو علي السنجي

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه اخذ عن ابي بكر القفال وشرح الفروع لابن الحداد وقد شرحها قبله شيخه وبعده القاضي ابو الطيب الطبري وشرح ابو علي السنجي كتاب التلخيص لابن القاص شرحا كبيرا وله كتاب المجموع وقد اخذ منه الغزالي في الوسيط قال القاضي ابن خلكان وهو اول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان وكانت وفاته سنة بضع وثلثين واربعماية

سنة اربعين واربعماية

فيها توفي الملك ابو كاليجار

في جمادى الاولى منها مرض الملك ابو كاليجار صاحب بغداد وتوفي بمدينة نعصد في يوم ثلاث مرات وحمل في محفة فمات في ليلة الخميس وانتهبت الغلمان الخزائن واحرق الجواري الخيام سوى الخيمة التي هو فيها والخركاه التي هي فيها وولي بعده ابنه ابو منصور وسموه الملك الرحيم ودخل دار الخلافة في يوم مشهود وخلع عليه الخليفة سبع خلع وسوره وطوقه وعلى راسه التاج والعمامة السوداء الرصافية وقبل يد الخليفة وسار الى داره وذهب الناس لتهنئته وفيها ادير السور على شيراز وكان دوره اثني عشر الف ذراع وارتفاعه ثمانية اذرع وعرضه ستة اذرع وفيه احد عشر بابا وفيها غزا ابراهيم ينال بلاد الروم فغنم مائة الف راس واربعة الاف درع وقيل تسعة عشر الف درع ولم يبق بينه وبين القسطنطينية الا خمسة عشر يوما وحمل ما حصل له من المغانم على عشرة الاف عجلة بيض الله وجهه وفيها خطب لذخيرة الدين ابي العباس احمد ابن الخليفة القائم بامر الله على المنابر بولاية العهد بعد ابيه وحج بذلك وفيها اقتتل الروافض والسنة وجرت ببغداد فتن طويلة منكرة ولم يحج احد من اهل العراق في هذا العام

وممن توفي فيها من الاعيان

السيد الكبير الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله ابو محمد العباسي ولد في المحرم من سنة ثلاث واربعين وثلثماية وسمع من مؤدبه احمد بن منصور السكري وابي الازهر عبد الوهاب بن عبد الرحمن الكاتب وكان فاضلا دينا حافظا لاخبار الخلفاء عالما بايام الناس صالحا اعرض عن ولاية الخلافة عن قدرة وآثر بها القادر بالله وكانت وفاته في هذه السنة عن سبع وتسعين سنة واوصى ان يدفن بباب حرب بتربة ابوية فدفن قريبا من قبر الامام احمد وكان يوم جنازته مشهودا مشى الامراء والوزراء والبساسيري الى المقبرة وجلس رئيس الرؤساء ابو القسم بن المسلمة للعزاء منه الغد عبيد الله بن عمر بن احمد بن عثمان ابو القسم الواعظ المعروف بابن شاهين سمع من ابي بكر بن مالك وابن ماسي وابي يحيى البربهاري وابن المظفر قال الخطيب كتبت عنه وكان صدوقا وكان مولده في سنة احدى وخمسين وثلثماية وتوفي في ربيع الآخر من هذه السنة ودفن بباب حرب علي بن الحسن بن محمد بن المنتاب ابو القسم المعروف بابن ابي عثمان الدقاق قال الخطيب سمع القطيعي وغيره وكان شيخا صالحا صدوقا دينا حسن المذهب محمد بن جعفر بن ابي الفرج بن فسانجس الوزير ابو الفرج الملقب بذي السعادات وزر لابي كاليجار بفارس وبغداد وكان ذا مروءة غزيرة مليح الشعر والترسل ومن محاسنه انه كتب اليه في رجل مات عن ولد له ثمانية اشهر وله من المال ما يقارب مائة الف دينار فان رأى الوزير ان يقترض من المال الى حين بلوغ الطفل فكتب على ظهر الورقة المتوفى رحمه الله والطفل جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله ولا حاجة لنا الى مال الايتام اعتقل ثم قتل في رمضان من هذه السنة عن احد وخمسين سنة محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حكيم بن غيلان ابو طالب البزاز روى عن جماعة وهو آخر من روى عن ابي بكر الشافعي وكان صدوقا دينا صالحا قوي النفس على كبر السن كان يملك الف دينار فكان يصبها كل يوم في حجره

نبتقلبها ثم يردها الى موضعها وقد خرج له الدارقطني الاجزا الغيلانيات وهي سماعنا
وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شوال من هذه السنة عن اربع وتسعين سنة ويقال انه بلغ
مائة سنة وخمس سنين فالله اعلم الملك ابو كاليجار واسمه المرزبان بن سلطان الدولة
ابن بها الدولة بن عضد الدولة كانت وفاته في هذه السنة عن اربعين سنة واشهر
وقد ولي العراق نحوا من اربع سنين وسبيت له قلعة كان فيها ما يزيد على الف الف دينار
وقام بالامر من بعده ابنه الملك الرحيم ابو نصر كما تقدم ذكره في الحوادث

ثم دخلت سنة احدى واربعين واربعمائة

في عاشر المحرم تقدم الى اهل الكرخ ان لا يعملوا بدعة النوح فجرت بينهم وبين اهل البصرة
ما يزيد على الحد من الجراح والقتل وفيها بنى اهل الكرخ سورا عليه وبنى اهل السنة سورا
على سوق القلائين ونقض كل من الفريقين ابنية وحملوا الآجر الى مواضعه بالطبول
والمزامير وجرت بينهم مفاخرات في ذلك سخف لا تنحصر ولا تنضبط فانا لله وانا اليه
راجعون ثم جرت بينهم فتن يطول بسطها واحرقوا دورا كثيرة جدا وفيها وقعت وحشة
بين الملك طغرلبك واخيه ابراهيم ينال فامر الملك طغرلبك بحضره وسمل احدى عينيه
وقطع شفتيه فسار ابراهيم فجمع جموعا كثيرة واقتتل هو واخوه فهزمه طغرلبك ثم اسره
من قلعة قد تحصن بها بعد محاصرة اربعة ايام فاستنزله مقهورا فاحسن اليه واكرمه
واقام عنده مكرما وكتب ملك الروم الى طغرلبك في فداء بعض ملوكهم ممن كان اسره ابراهيم
ينال وبذل له فيه قطعة كثيرة من المال فبعثه مكرما مجانا اليه من غير عوض لشرط
عليه فارسل ملك الروم هدايا كثيرة وتحفا عزيرة وامر بعمارة المسجد الذي بالقسطنطينية
واقيمت فيه الصلاة والجمعة وخطب فيه للملك طغرلبك فبلغ هذا الامر العجيب سائر الملوك
فعظم الملك طغرلبك تعظيما زائدا وخطب له نصر الدولة بن مروان بالجزيرة وفيها
ولي مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الملك بعد وفاة ابيه وكان صغيرا
فمكث اياما ثم عدل عنه الى عمه علي بن مسعود ثم نازعه عمه عبد الرشيد بن محمود فاستقر
الملك بيده وانعزل علي بن مسعود وهذا امر عجيب جدا فلله الامر من قبل ومن بعد
وفيها ملك المصريون مدينة حلب واجلوا عنها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس
وفيها كان الحرب بين البساسيري وبين بني عقيل وفيها ملك البساسيري الانبار من يد
قرواش فاصلح امورها وفي شعبان سار البساسيري الى طريق خراسان وقصد ناحية
الدزدار وملكها وغنم مالا كثيرا كان فيها وكان سعدى بن ابي الشوك قد حصنها قال
ابن الجوزي في ذي الحجة ارتفعت سحابة سودا ليلا فزادت على ظلمة الليل وظهر في جوانب
السما كالنار المضرمة فانزعج الناس لذلك وخافوا واخذوا في الدعا والتضرع فانكشف
في باقي الليل بعد ساعة جيدة وكانت قد هبت ريح شديدة جدا قبل ذلك فاتلفت
شيا كثيرا من الاشجار وهدمت رواشن كثيرة في دار الخلافة ودار المملكة

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن احمد بن منصور ابو الحسن المعروف بالعتيقي نسبة الى جد له كان يسمى
عتيقا سمع من ابن شاهين وغيره وكان صدوقا توفي في صفر وقد جاوز التسعين علي
بن عبد الله بن الحسن ابو القسم العلوي ويعرف بابن الشبيبة قال الخطيب سمعت

ابن المظفر

ابن المظفر وكتبت عنه وكان صدوقا دينا حسن الاعتقاد يورق بالاجرة ويأكل منه
ويتصدق توفي في رجب منها وقد جاوز الثمانين عبد الوهاب بن اقضى القضاة ابي
الحسن الماوردي يكنى بابي الفايز شهد عند ابن ماكولا في سنة احدى وثلثين فاجاز
شهادته واحترامًا لابيه وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة

الحافظ ابو عبد الله الصوري

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد ابو عبد الله الصوري الحافظ طلب الحديث بنفسه بعد
ما كبر واسن ورحل في طلب الحديث الى الافاق وكتب الكثير وصنف واستفاد على الحافظ
عبد الغني بن سعيد المصري وكتب عنه شيخه عبد الغني شيا من تصانيفه وكان من
اعظم اهل الحديث همة في الطلب وهو شاب وكان من اقوى الناس عزيمة على العمل
الصالح كان يسرد الصوم كل يوم الا يومي العيدين وايام التشريق وكان مع ذلك حسن
الخلق جميل المعاشرة وقد ذهبت احدى عينيه فكان يكتب بالاخرى المجلد في جزء
قال ابو الحسين الطيوري يقال ان عامة كتب الخطيب سوى التاريخ مستفاد كتب
من ابي عبد الله الصوري كان قد مات الصوري وترك كتبه اثني عشر عدلا عند اخيه
فلما صار الخطيب الى الشام اعطى اخيه شيا واخذ بعض الكتب فحولها في كتبه
ومن شعر ابي عبد الله الصوري

تولى الشباب بريعانه • وجاء المشيب باحزانه
فقلبي لفقدان ذا مولم • كئيب بهذا ووجدانه
وان كان ما جار في سيره • ولا جاء في غير ابانه
ولكن اتى مؤذنا بالرحيل • فويلي من قرب ايذانه
ولولا ذنوب تحملتها • لما راعني حال اتيانه
ولكن ظهري ثقيل بما • جناه شبابي بطغيانه
فمن كان يبكي شبابا مضى • ويندب طيب ازمانه
فلبيس بكاي وما قد ترون • من لوعتي فقدانه
ولكن لما كان قد جره • علي بو ثبات شيطانه
فويلي وعولي ان لم يجد • علي مليكي برضوانه
ولم يتغمد ذنوبي وما • جنيت بواسع غفرانه
ويجعل مصيري الى جنة • يحل بها اهل قربانه
وان كنت ما لي من قربة • سوى حسن ظني باحسانه
واني مقر بتوحيده • عليم بعزة سلطانه
اخالف في ذاك اهل الجحود • واهل الفسوق وعدوانه
فارجو به الفوز في منزل • مقر لاعين سكانه
ولن يجمع الله اهل الجحود • ومن قد اقر بايمانه
فهذا يجيب ايمانه • وهذا يبوء بكفرانه
وهذا ينعم في جنة • وذلك في قعر نيرانه

ومن شعر ابي عبد الله الصوري ايضا رحمه الله

قل لمن عاند الحديث واضحى ... عائبا اهله ومن يدعيه
ابعلم تقول هذا ابن لي ... ام بجهل فالجهل خلق السفيه
ايعاب الذين هم حفظوا الـ ... دين من الترهات والتمويه
والى قولهم وما قد رووه ... راجع كل عالم وفقيه

وكان سبب موته رحمه الله انه افتصد فورمت يده لانه كانت ريشة الحاجم مسمومة لغيره فغلط ففصده بها فكانت فيها منيته باذن الله وقدره العظيم فحمل الى المارستان فمات به في يوم الاربعاء سلخ جمادى الاخرة من هذه السنة ودفن بمقبرة جامع المدينة وقد نيف على الستين سنة تغمده الله برحمته امين

ثم دخلت سنة ثنتين واربعين واربعمائة

فيها فتح السلطان طغرلبك اصبهان بعد حصار سنة فنقل اليها حواصله من الري وجعلها دار اقامته وخرب قطعة من سورها وقال انما يحتاج الى السور من يضعف قوته وانا حصني عساكري وسيفي وقد كان فيها ابو منصور فرامرز بن علاء الدولة ابي جعفر بن كالويه فاخرجه منها واقطعه بعض بلادها وفيها سار الملك الرحيم الى الاهواز واطاعه عسكر فارس وملك عسكر مكرم وفيها استولت الخوارج على عمان واخربوا دار الامارة منها واسروا ابا المظفر بن ابي كاليجار وفيها دخلت العرب باذن المستنصر الفاطمي بلاد افريقية وجرت بينهم وبين المعز بن باديس حروب طويلة وعاثوا في الارض فسادا عدة سنين وفيها اصطلح الروافض والسنة ببغداد وذهبوا كلهم لزيارة المشهدين مشهد علي ومشهد الحسين وترضوا في الكرخ عن الصحابة وترحموا عليهم وهذا عجيب جدا اللهم الا ان يكون من باب التقية ورخصت الاسعار ببغداد جدا ولم يحج احد من اهل العراق في هذه السنة ايضا

ومن توفي فيها

علي بن عمر بن الحسن ابو الحسن الحربي المعروف بالقزويني ولد في مستهل المحرم من سنة ثنتين وثلثمائة وهي الليلة التي توفي فيها ابو بكر الاجري وسمع ابا بكر بن شاذان وابا حفص الزيات وابن حيويه وكان وافر العقل من كبار عباد الله الصالحين له كرامات كثيرة يقرئ القران ويروي الحديث ولا يخرج الا للصلاة وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة فغلقت بغداد يومئذ وحضر الناس جنازته وكان يوما مشهودا رح علي بن ثابت الثمانيني النحوي الضرير شارح اللمع وكان في غاية العلم بالنحو وكان يأخذ عليه ذكر القاضي ابن خلكان انه اشتغل على ابن جني وشرح كلامه وكان ماهرا في صناعة النحو قال ونسبته الى قرية بالجزيرة يقال لها ثمانين باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة والله اعلم قرواش بن مقلد ابو المنيع صاحب الموصل والكوفة وغيرها كان من الجبارين وقد كان الحاكم صاحب مصر في بعض الاحايين استماله اليه فخطب له ببلاده ثم ترك ذلك واعتذر الى القادر فعذره وقد جمع هذا الجبار بين الاختين في النكاح فلامته العرب فقال واي شيء نعمله مما هو مباح في الشريعة وقد نكب في ايام المعز ونهبت حواصله وحين توفي قام بالامر بعده ابن اخيه قريش بن بدران بن مقلد مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة توفي في هذه السنة وقام بالامر من بعده عمه عبد الرشيد

بن محمود

ابن محمود بن سبكتكين

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين واربعمائة

فيها وقع الحرب بين الروافض والسنة فقتل من الفريقين خلق كثير وذلك ان الروافض نصبوا ابراجا وكتبوا عليها بالذهب محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن ابى فقد كفر فانكرت السنة اقتران علي مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا فنشبت الحرب بينهم واستمر القتال بينهم الى ربيع الاول فقتل رجل هاشمي فدفن عند الامام احمد ورجع السنة من دفنه فنهبوا مشهد موسى بن جعفر واحرقوه واحرقوا ضريح موسى ومحمد الجواد وقبور ملوك بني بويه ومن هناك من الوزراء واحترق قبر جعفر بن المنصور ومحمد الامين وامه زبيدة وقبور كثيرة وانتشرت الفتنة وتجاوزت الحد وقد قابلهم اولئك ايضا بمفاسد كثيرة فاحرقوا محال كثيرة وبعثروا قبورا قديمة واحرقوا من فيها من الصالحين حتى هموا بقبر الامام احمد فمنعهم النقيب وخاف من غائلة ذلك وتسلط على الرافضة عيار يقال له الطقطقي يتتبع رؤوسهم وكبارهم فيقتلهم جهارا وغيلة وعظمت المحنة بسببه جدا ولم يقدر عليه وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر فانا لله وانا اليه راجعون ولما بلغ ذلك دبيس بن علي بن مزيد وكان رافضيا قطع خطبة الخليفة القائم بامر الله ثم روسل فاعادها في رمضان وجاءت الهدايا من الملك طغرلبك الى الخليفة شكرا له على انعامه اليه واحسانه لديه بما كان بعثه له من الخلع والتقليد وارسل الى الخليفة بعشرين الف دينار والى الحاشية بخمسة الاف والى رئيس الرؤساء بالفي دينار وقد كان طغرلبك حين عمر الري وخرب فيها اماكن يصلحها وجد فيها دفائن كثيرة من الذهب والجوهر فعظم شانه بذلك وقوي ملكه بسببه

ومن توفي فيها من الاعيان

محمد بن محمد بن احمد ابو الحسن الشاعر البصري نسبة الى قرية دون عكبرا يقال لها بصرى باسم المدينة التي بحوران وقد سكن بغداد وكان متكلما مطبوعا له نوادر ومن شعره الذي رواه عنه الخطيب قوله

ترى الدنيا وزهرتها فتصبوا ... وما يخلو من الشهوات قلب
فضول العيش اكثرها هموم ... واكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه ... وعيش لين الاعطاف رطب
اذا ما بلغة جاءتك عفوا ... فخذها فالغنى مرعى وشرب
اذا اتفق القليل وفيه سلم ... فلا ترد الكثير وفيه حرب

ثم دخلت سنة اربع واربعين واربعمائة

فيها كتبت محاضر بذكر الخلفاء المصريين وانهم ادعياء لا نسب لهم صحيح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب فيها القضاة والفقهاء والاشراف وفيها كانت زلازل عظيمة بنواحي ارجان والاهواز وتلك البلاد تهدم بسببها شيء كثير من العمران والدور وشرفات القصور وحكى بعض من يعتمد قوله انه انفرج ايوانه وهو يشاهد ذلك حتى راى السماء منه ثم عاد الى حاله لم يتغير وفي ذي القعدة منها تجددت الحرب بين الروافض واهل السنة واحرقوا اماكن كثيرة وقتل من الفريقين خلق كثير وكتبوا على مساجدهم محمد وعلي خير البشر واذنوا بحي على

خيرا لعمل واستمرت الحروب بينهم وتسلط الطيطقي العيار على الروافض بحيث لا يقر لهم قرار وهدم من جملة من جرت به الاقدار

ومن توفي فيها من الاعيان

ابن المذهب راوي المسند

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن احمد بن وهب بن شبل بن فروة بن واقد ابو علي التميمي الواعظ المعروف بابن المذهب ولد سنة خمس وخمسين وثلثماية وسمع مسند الامام عن ابي بكر بن مالك القطيعي عن عبد الله بن الامام احمد عن ابيه وقد سمع الحديث من ابي محمد بن ماسي وابن شاهين والدارقطني وخلق وكان دينا خيرا وذكر الخطيب انه كان صحيح السماع للمسند احمد بن القطيعي غير انه الحق اسمه في اجزا قال ابن الجوزي وليس هذا بقدح لانه اذا تحقق سماعه جاز ان يلحق اسمه الذي غفل عنه الكاتب والعجب من قول الشيخ اخبرني فلان ولا يسمع منه الحافظ اسمه فيما تحقق سماعه له وقد تعنت عليه الخطيب اشيا لا حاجة اليها علي بن الحسين بن محمد ابو الحسن المعروف بالشاشي البغدادي وقد اقام بالبصرة فاستحوذ على عقول اهلها وعلى اموالها وعمل اشيا من الحيل يوهم بها انه من ذوي الاحوال والمكاشفات وهو في ذلك كاذب فاجر قبحه الله وقبح عمله وقد كان مع هذا رافضيا خبيثا قرمطيا لا اكثر الله امثاله في العالمين كانت وفاته في هذا العام ولله الحمد والشكر على الانعام القاضي ابو جعفر السمناني محمد بن احمد ابو جعفر السمناني القاضي احد المتكلمين على طريقة الشيخ ابي الحسن الاشعري وقد سمع الحديث من الدارقطني وغيره وكان عالما فاضلا سخيا وتولى القضا بالموصل وهو قاضيها في هذا العام في ربيع الاول منه وقد بلغ خمسا وثمانين سنة

ثم دخلت سنة خمس واربعين واربعماية

فيها تجدد الشر والقتال والحريق بين الروافض والسنة وقوي شر الاتراك وتفاقم الحال ووردت الاخبار بان الروم على قصد العراق وفيها نقل الى الملك طغرلبك ان الشيخ ابا الحسن الاشعري يقول بكذا وكذا وذكر شي من الامور التي انكرها الملك فامر بلعنه وصرح اهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك فضج الشيخ ابو القسم عبد الكريم بن هوازن القشيري من ذلك وصنف رسالة لتبقى شكاية اهل السنة لما نالهم من المحنة واستدعى السلطان جماعة من روس الاشعرية منهم القشيري فسالهم عما انهي اليه من ذلك فانكروا ان يكون الاشعري قال ذلك فقال السلطان انما لعنا من يقول بهذا وجرت فتن طويلة وفيها استولى الملك فولاستون ابو منصور بن الملك ابي كاليجار على شيراز وخرج منها اخوه ابو سعد وفي شوال سار البساسيري الى اكراد واعراب افسدوا بالبوازيج فهزمهم واخذ اموالهم ولم يحج احد من اهل العراق في هذه السنة

ومن توفي فيها من الاعيان

احمد بن عمر بن روح ابو الحسين النهرواني كان ينظر في العيار بدار الضرب وله شعر حسن قال كنت يوما على شط النهروان فسمعت رجلا يتغنى في سفينة منحدرة

• وما طلبوا سوى قتلي • فهان علي ما طلبوا •

فاستوقفته وقلت اضف اليه غيره فقال •

• على قتل الاحبة بالتمادي في الجفا غلبوا •

وبالهجران

• وبالهجران طيب النوم من عيني قد سلبوا •

• وما طلبوا سوى قتلي فهان علي ما طلبوا •

اسماعيل بن علي بن الحسين بن محمد بن زنجويه ابو سعيد الرازي المعروف بالسمان شيخ المعتزلة سمع الحديث الكثير وكتب عن اربعة الاف شيخ وكان عالما فاضلا صالحا اعتزاليا ومن كلامه من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الاسلام وكان حنفي المذهب عالما بالخلاف والفرايض والحساب واسماء الرجال وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه فاطنب في شكره والثنا عليه محمد بن الشيخ ابي طالب المكي محمد بن علي بن عطية سمع اباه وابن شاهين وكان يصدق وقا يكنى بابي جعفر محمد بن احمد بن عثمان بن الفرج بن الازهر ابو طالب المعروف بابن السوادي وهو اخو ابي القسم الازهري توفي عن نيف وثمانين سنة محمد بن احمد بن ابي تمام ابو تمام الزينبي نقيب النقبا وقام ابنه مكانه في النقابة

ثم دخلت سنة ست واربعين واربعماية

فيها غزا الملك طغرلبك بلاد الروم بعد اخذه بلاد اذربيجان فغنم من بلاد الروم وسبى وعمل اشيا حسنة ثم عاد سالما الى اذربيجان فاقام بها سنة وفيها اخذ قريش بن بدران الانبار وخطب بها وبالموصل للسلطان طغرلبك واخرج منهما نواب البساسيري وفيها دخل ابو الحارث المظفر البساسيري الى بغداد مع بني خفاجة منصرفه من الكوفة وظهرت منه اثار النفرة للخلافة فراسله الخليفة ليطيب نفسه وخرج في ذي الحجة الى الانبار فاخذها وكان معه دبيس بن علي بن مزيد وخرب اماكن وحرق غيرها ثم اذن له في الدخول الى بيت النوبة فخدم وانصرف ولم يعبر فقويت الوحشة ولم يحج احد من اهل العراق في هذه السنة

ومن توفي فيها من الاعيان

الحسين بن جعفر بن محمد بن جعفر بن داود ابو عبد الله السلماسي سمع ابن شاهين وابن حيويه والدارقطني وكان ثقة امينا مشهورا باصطناع المعروف وفعل الخير وافتقاد الفقرا وكثرة الصدقة وكان قد اريد على الشهادة فتابى من ذلك في كل شهر عشرة دنانير نفقة لاهله عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابو عبد الله الاصبهاني المعروف بابن اللبان احد تلاميذ الشيخ ابي حامد الاسفرايني وولي قضا ايذج وكان يصلي بالناس التراويح ثم يقوم بعدهم الى الفجر ربما انقضى الشهر عنه ولم يضطجع الى الارض

ثم دخلت سنة سبع واربعين واربعماية

فيها ملك طغرلبك السلجوقي بغداد وهو اول ملوك السلجوقية ملك العراق واخر ملوك بني بويه وفيها تاكدت الوحشة بين البساسيري وبين الخليفة واشتكت الاتراك منه واطلق رئيس الروسا عبارته فيه وذكر قبيح افعاله وانه يكاتب المصريين بالطاعة ويخلع ما كان عليه من بيعة العباسيين فقال الخليفة ليس الا اهلاكه قال الخطيب كان ارسلان التركي المعروف بالبساسيري قد عظم امره واستفحل لعدم اقرانه من مقدمي الاتراك واستولى على البلاد وطار اسمه وتهيبته امرا العجم والعرب ودعي له على كثير من المنابر العراقية والاهواز ونواحيهما ويجبي الاموال

ولم يكن الخليفة القائم بامر الله يقطع امرا دونه ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته وشهد عنده جماعة من الاتراك انه عزمهم وهو بواسط على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة فكاتب الخليفة الملك طغرلبك ابا طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق ابن تقاق الملقب طغرلبك يستنهضه على المسير الى العراق فانفض اكثر من كان مع البساسيري وعادوا الى بغداد ثم اجتمع رايهم على قصد دار البساسيري وهي في الجانب الغربي فاحرقوها وهدموا ابنيتها ووصل طغرلبك الى بغداد في رمضان سنة اربع واربعين وقد تلقاه الى اثناء الطريق الامراء والوزراء والحجاب ودخل بغداد في ابهة عظيمة جدا وخطب له بها ثم بعده للملك الرحيم ثم قطعت خطبة الملك الرحيم في اواخر شهر رمضان وذهب الى قلعة السيروان معتقلا فكان اخر ملوك بني بويه وكانت مدة ولايتهم لبغداد ست سنين وعشرة ايام وطغرلبك اول الملوك السلجوقية ونزل طغرلبك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها ونزل اصحابه على دور الاتراك وكان تجمعهم ثمانية الف قبة ووقعت فتنة بين الاتراك والعامة ونهب الجانب الشرقي بكماله وجرت خبطة عظيمة واما البساسيري فانه فر من الخليفة الى ناحية بلاد الرحبة وكتب الى صاحب مصر بانه على اقامة الدعوة له بالعراق فارسل اليه بولاية الرحبة ونيابتها ليكون على اهبة التمكن من الامر الذي يحاوله فتحها الله تعالى وفي يوم الثلثا عاشر ذي القعدة تقلد ابو عبد الله محمد بن علي الدامغاني قضاء القضاة وخلع عليه وذلك بعد موت ابي عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا ثم خلع على الملك طغرلبك بعده بيوم ورجع الى داره وبين يديه الدبادب والبوقات وفي هذا الشهر توفيت ذخيرة الدين ابو العباس محمد بن امير المومنين القائم بامر الله وهو ولي عهد ابيه فعظمت الرزية به وجلس رئيس الرؤسا للعزا وجاء الناس وقد اظهروا التحزن وخرقوا ثيابهم ونشروا عمايمهم وقطعت الدبادب ايام التعزية بدار الخلافة ودار الملك حزنا على ولي عهد الخلافة وفي هذه السنة استولى ابو كامل علي بن محمد الصليحي الهمداني على اكثر اعمال اليمن وخطب فيها للفاطميين وقطع خطبة العباسيين وفيها كثر فساد الغز ونهبهم للناس فساء رايهم العوام واقتتلوا ونهبتهم العامة حتى بيع الثور بخمسة قراريط والحمار بقيراطين الى خمسة قراريط وفيها اشتد الغلاء بمكة وعدمت الاقوات فارسل الله عليهم جرادا ملاء الارض فتعوضوا به عن الطعام ولم يحج احد من اهل العراق في هذه السنة

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسين بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن ابي دلف العجلي قاضي القضاة ابو عبد الله المعروف بابن ماكولا الشافعي اصله من جرباذقان ولي القضاء بالبصرة ثم ولاه القادر قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين واربعماية واقره ابنه القائم بامر الله الى ان مات في هذه السنة عن تسع وسبعين سنة وله في القضاء سبع وعشرون سنة وكان نصيبا دينا لا يقبل من احد هدية ولا من الخليفة وكان يذكر انه سمع من ابي عبد الله ابن منده وله شعر حسن منه

نصابا برمته من بعد شيب • فما اغنى المشيب عن التصابي
وسود عارضيه بلون خط • فلم يغنه لتسويد الخضاب

وابدى

وابدى للاحبة كل لطف • فما ازداد واسوى فرط اجتناب
سلام الله عودا بعد بدء • على ايام ريعان الشباب
تولى غير مذموم وابقى • بقلبي حسرة تحت الحجاب

علي بن الحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم ابو القسم التنوخي قال ابن الجوزي وتنوخ هذه اسم لعدة قبايل اجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على التناصر والتوازر فسموا تنوخا ولد بالبصرة سنة خمس وستين وثلثماية وسمع الحديث سنة سبعين وقبلت شهادته عند الحكام في حداثته وتولى القضاء بالمداين وغيرها وكان صدوقا محتاطا الا انه كان يميل الى الاعتزال والرفض

ثم دخلت سنة ثمان واربعين واربعماية

في يوم الخميس لثمان بقين من المحرم عقد عقد الخليفة على خديجة بنت اخي السلطان طغرلبك وقيل امرأة اخيه داود واسمها خديجة الملقبة ارسلان خاتون على صداق مائة الف دينار وحضر هذا العقد عميد الملك الكندري وابو علي بن ابي موسى نقيب الهاشميين وقاضي القضاة الدامغاني واقضى القضاة الماوردي ورئيس الرؤسا ابن المسلمة وهو الذي خطب الخطبة وقبل الخليفة العقد بنفسه فلما كان شعبان ذهب رئيس الرؤسا الى الملك طغرلبك وقال لامير المومنين يقول لك قال الله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقد اذن في نقل الوديعة الكريمة الى داره العزيزة فقال السمع والطاعة ثم ذهبت ام الخليفة الى دار المملكة لاستدعاء العروس فجاءت معها وفي خدمتها الوزير عميد الملك والحشم فدخلوا دار الخلافة وسالت الخليفة من عمها السلطان ان يسال معاملتها باللطف والاحسان فلما دخلت عليه قبلت الارض بين يديه مرارا فادناها اليه واجلسها الى جانبه وافاض عليها خلعة سنية وتاجا من جوهر واعطاها من الغد ماية ثوب ديباجا وقصبات ذهب وطاسة من ذهب قد نبت فيها الجوهر والياقوت والفيروزج واقطعها في كل سنة من عمال المداين اثني عشر الف دينار وفي هذه السنة امر السلطان طغرلبك ببناء دار الملك العضدية فخربت محال كثيرة في عمارتها ونهبت العامة اخشابا كثيرة بسببها من دور الاتراك والجانب الغربي وباعوه على الخبازين وغيرهم وفيها وقع غلاء شديد وخوف ونهب كثير ببغداد ثم عقب ذلك فناء عظيم بحيث دفن كثير من الناس بلا غسل ولا تكفين وغلت الاشربة وما يحتاج اليه المرضى كثيرا واغبر الجو وفسد الهواء وكثر الذباب قال ابن الجوزي في المنتظم وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد الروم وخراسان والجبال والدنيا كلها هذا لفظه قال وورد كتاب من مصر ان ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى احدهم على باب النقب والثاني على راس الدرج والثالث على الثياب المكورة وفيها امر رئيس الرؤسا بان تنصب اعلام سود في الكرخ فانزعج اهله لذلك وكان كثير الاذية للرافضة وانما كان يدافع عنهم عميد الملك الكندري وزير طغرلبك وفيها هبت ريح شديدة وارتفعت سحابة ترابية فاظلمت الدنيا واحتاج الناس في الاسواق الى السرج في النهار قال ابن الجوزي في المنتظم

ومنها في العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر نجم له ذؤابة بيضاء طولها في رأي العين
نحو من عشرة أذرع في عرض نحو الذراع ولبث على هذه الحال إلى النصف من رجب ثم اضمحل وكانوا
يقولون انه طلع مثل هذا عند ما ملكت مصر وكذلك ببغداد لما طلع فيها هذا ملكت وخطب
بها للمصريين ومنها ألزم الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل وأمروا ان ينادي
المؤذنون في الصبح بعد الحيعلتين الصلاة خير من النوم مرتين وأزيل ما كان على أبواب
مساجدهم ومشاهدهم وأبوابهم من كتابة محمد وعلي خير البشر ودخل المنشدون من باب
البصرة إلى الكرخ فأنشدوا بفضائل الصحابة في مدائحهم وذلك ان نوء الأول اضمحل
كانت بنو بويه تقويهم وتنصرهم فزالوا وبادوا وأذهب الله دولتهم وجاء الله بقوم
آخرين من الأتراك السلجوقية يحبون السنة ويوالون أهلها ويرفعون من قدرها
ويرفعون محلها والله المحمود أبدا على طول المدى وأمر رئيس الرؤساء وزير الخلافة للوالي
بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق لما كان يتظاهر به من الغلو
في الرفض فقتل وصلب على باب دكانه وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره ولله الحمد
والمنة ومنها جاء البساسيري قبحه الله إلى الموصل ومعه نور الدولة دبيس بن مزيد
في جيش كثيف فاقتتل مع صاحبها قريش ونصره قتلمش ابن عم طغرلبك وهو جد ملوك
الروم فهزمهما البساسيري وأخذ البلد فخطب بها للمصريين الفاطميين فأخرج
كاتبه من السجن وكان قد أظهر الإسلام خلفا منه ان ذلك ينفعه فلم ينفعه فقتل
وكذلك خطب للمصريين في هذه السنة بالكوفة وواسط وغيرهما من البلاد وعزم
الملك طغرلبك على المسير إلى الموصل لمناجزة البساسيري فنهاه الخليفة عن الخروج
وذلك لضيق الحال وغلاء الأسعار فلم يقبل فخرج بجيشه قاصدا الموصل في جحفل
عظيم ومعه الفيلة والمنجنيقات وكان جيشه لكثرتهم ينهبون القرى وربما سطوا
على بعض الحريم فكتب الخليفة إلى السلطان ينهاه عن ذلك فبعث يعتذر بكثرة
من معه واتفق انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسلم عليه فأعرض
عنه وقال له يحكمك الله في البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز وجل
فاستيقظ مذعورا وأمر وزيره ان ينادي في الجيش بالعدل وان لا يظلم احد احدا
ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلادا ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود ثم سار منها
إلى بلاد بكر ففتح أماكن كثيرة هناك ومنها ظهرت دولة الملثمين ببلاد المغرب
وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق واستولوا على بلاد كثيرة بالمغرب منها سجلماسة وأعمالها
والسوس وقتلوا خلقا كثيرا من أهلها وأول ملوك الملثمين رجل يقال له أبو بكر
بن عمر وقد أقام بسجلماسة إلى ان توفي سنة ثنتين وستين كما سيأتي بيانه وولي
بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين وتلقب بأمير المؤمنين وقوي أمره وعلا قدره ببلاد
المغرب ومنها ألزم الذمة بلبس الغيار ببغداد عن أمر السلطان طغرلبك بيض
الله وجهه ومنها ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر وهو أبو القسم
عبد الله بن المقتدي بأمر الله ومنها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من
البلاد على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية فإنا لله وإنا إليه راجعون ولم يحج أحد من
أهل العراق في هذه السنة وممن توفي فيها من الأعيان علي بن أحمد بن علي بن سلك أبو

الحسن

الحسن المؤدب المعروف بالفالي صاحب الأمالي وفالة قرية قريبة من إيذج أقام
بالبصرة مدة وسمع بها من أبي عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره وقدم بغداد فاستوطنها
وكان ثقة في نفسه كثير الفضائل ومن شعره

لما تبدلت المجالس أوجها • غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الأولى • كانوا ولاة صدورها وفنائها
أنشدت بيتا سائرا متقدما • والعين قد شرقت بجاري مائها
أما الخيام فإنها كخيامهم • وأرى نساء الحي غير نسائها

ومن شعره

تصدر للتدريس كل مهوس • بليد يسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم ان يتمثلوا • ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها • كلاها وحتى سامها كل مفلس

محمد بن عبد الواحد بن محمد بن الصباغ الفقيه الشافعي وليس هذا بصاحب
الشامل ذاك متأخر وهذا كان من تلامذة الشيخ أبي حامد الأسفراييني وكانت له
حلقة للفتوى بجامع المدينة وشهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني
الحنفي فقبله وقد سمع الحديث من ابن شاهين وغيره وكان ثقة جليل المقدار هلال
ابن المحسن بن إبراهيم بن هلال أبو الخير الكاتب الصابي صاحب التاريخ وجده أبو
إسحاق الصابي صاحب الرسائل كان صابيا أيضا وأسلم هلال هذا متأخرا وحسن
إسلامه وقد كان سمع في حال كفره من جماعة من المشايخ وذلك انه كان يتردد إليهم لطلب
الأدب فلما أسلم نفعه ذلك وكان سبب إسلامه على ما ذكره الشيخ أبو الفرج في
منتظمه بسنده مطولا انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام مرارا يدعوه ٢
إلى الله عز وجل ويأمره بالدخول في الإسلام ويقول له أنت رجل فلم تدع دين الإسلام
الذي قامت عليه الدلائل وأراه آيات في المنام شاهدها في اليقظة فمن ذلك
انه قال له ان امرأتك حامل بذكر فسمه محمدا فولدت فسماه محمدا وكناه أبا الحسن
في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي مطولة فأسلم وحسن إسلامه وكان صدوقا
توفي في هذه السنة وله تسعون سنة منها في الإسلام نيف وأربعون سنة تغمده
الله برحمته

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد بحيث خلت أكثر الدور
وسدت على أهلها فيها موتى وصار المار في الطريق لا يلقى إلا الواحد بعد الواحد
وأكل الناس الجيف والميتات من قلة الطعام ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضر
وأروح وشوى رجل صبية في الأتون وأكلها فقتل وسقط طائر ميت من سطح فاحتوشه
خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه وورد كتاب من بخارا انه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها
ثمانية عشر ألف إنسان وأحصي من مات في هذا الوباء ان كتب هذا الكتاب بألف
ألف وستمائة ألف وخمسون ألفا والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا
فارغة وطرقات خالية وأبوابا مغلقة حكاه ابن الجوزي قال وجاء الخبر من أذربيجان

وتلك البلاد بالوبا العظيم وانه لم يسلم الا العدد القليل قال ووقع وبا بالاهواز
واعمالها وبواسط والنيل والكوفة وطبق الارض وكان سبب ذلك الجوع حتى كان
الفقرا يشوون الكلاب وينبشون القبور ويشوون الموتى وياكلونهم وليس
للناس شغل في الليل والنهار الا غسل الاموات وتجهيزهم ودفنهم وقد كان يحفر
الحفيرة فيدفن فيها العشرون والثلاثون وكان الانسان يكون قاعدا فينشق
قلبه عن دم المهجة فيخرج الى الفم منه قطرة فيموت وتاب الناس وتصدقوا باكثر
اموالهم واراقوا الخمور وكسروا المعازف وتصالحوا ولزموا المساجد لقراءة القران
والعبادة وقل دار يكون فيها خمر الا ومات اهلها كلهم ودخل على مريض له سبعة
ايام في النزع فاشار بيده الى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فاراقوها فمات من فوره
بسهولة ومات رجل بمسجد فوجد معه خمسون الف درهم فلم يقبلها احد فتركت
في المسجد تسعة ايام لا يريدها احد فدخل اربعة لياخذوها فماتوا عليها وكان
الشيخ ابو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل عليه سبعماية متفقه فمات وماتوا كلهم
الا اثني عشر نفرا منهم رحمهم الله تعالى ولما اصطلح دبيس بن علي مع الملك طغرلبك
رجع الى بلاده فوجدها خرابا لقلة اهلها فارسل رسولا منه الى بعض النواحي
فتلقاه طايفة فقتلوه واكلوه قال ابن الجوزي وفي يوم الاربعا لسبع
بقين من جمادى الاخرة احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام والكبش واصحاب
السقط وباب الشعير وسوق العطارين وسوق العروس والانماط والخشابين
والجزارين والتمارين والقطيعة وسوق مخول ونهر الزجاج وسويقة غالب
والصفارين والصباغين وغير ذلك من المواضع وهذه مصيبة اخرى الى ما بالناس
من الغلا والفنا وفيها كثر العيارون ببغداد فاخذوا الاموال جهارا وكبسوا الدور ليلا
ونهارا وكبست دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة واحرقت كتبه ومآثره ودفاتره التي كان
يستعملها في بدعته ويدعوا اليها اهل ملته ولله الحمد وفيها دخل الملك طغرلبك بغداد
عايدا اليها من الموصل وقد تسلمها واستعادها من البساسيري وسلمها الى اخيه ابراهيم ينال
فلحسن نيته وسيرته حسنت منهم العلانية والسريرة ولله الحمد فتلقاه الامرا والوزرا الكبرا
الى اثناء الطريق واحضر له رئيس الرؤسا البيعة من الخليفة مرصعة بجوهر فلبسها
وقبل الارض ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة وقد ركب لها فرسا من مراكب الخليفة فلما
دخل على الخليفة اذ هو على سرير طوله سبعة اذرع وعلى كتفيه البردة النبوية وبيده القضيب
فقبل الارض ثم اجلس الملك على سرير دون سرير الخليفة ثم قال الخليفة لرئيس
الرؤسا قل له امير المومنين حامد لسعيك شاكر لفعلك آنس بقربك وقد ولاك جميع ما ولاه
الله اياه من بلاده فاتق الله فيما ولاك واجتهد في عمارة البلاد وصلاح العباد ونشر
العدل وكف الظلم ففسر له وزيره عميد الملك القول فقام وقبل الارض وقال انا خادم
امير المومنين وعبده ومصرف على امره ونهيه ومتشرف بما اهلني له واستخدمني له ومن الله
استمد المعونة والتوفيق ثم اذن الخليفة في ان ينهض للبس الخلع فقام الى بيت في ذلك
البهو فافيض عليه سبع خلع وتاج ثم عاد فجلس على السرير بعدما قبل يد الخليفة
ورام تقبيل الارض فلم يتمكن من التاج فاخرج الخليفة سيفا وقلده اياه وخاطبه بملك

الشرق

الشرق والغرب واحضر ثلاثة الوية فعقد منها الخليفة بيده لواء يقال له الحمد
واحضر العهد فسلم الى الملك ووصاه الخليفة بتقوى الله والقيام بالحق في ذلك العهد
وقرئ بين يدي الخليفة بحضرة الملك ثم نهض فقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه
ثم خرج في ابهة عظيمة الى داره وبين يديه الحجاب والجيش بكماله وجاء الناس للسلام عليه
والتهنية له وارسل الى الخليفة بتحف عظيمة منها خمسون الف دينار وخمسون غلاما
اتراكا بمراكبهم واسلحتهم ومناطقهم وخمسماية ثوب انواعا واعطى رئيس الرؤسا خمسة الاف
دينار وخمسين قطعة قماش وفيها قبض صاحب مصر على وزيره ابي محمد الحسن بن عبد الرحمن
البازوري واخذ خطه بثلاثة الاف الف دينار واحتيط على ثمانين من اصحابه وقد كان
هذا الوزير فقيها حنفيا يحسن الى اهل العلم واهل الحرمين وقد كان الشيخ ابو يوسف
القزويني يثني عليه ويمدحه

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو العلا المعري

احمد بن عبد الله بن سليمان ابو محمد بن سليمان بن احمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن
ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن انور بن اسحم بن ارقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن
عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف
ابن قضاعة ابو العلا المعري التنوخي الشاعر المشهور بالزندقة اللغوي صاحب
الدواوين والمصنفات في الشعر واللغة ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث
بقين من ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلثماية واصابه جدري وله اربع او ست
او سبع فذهب بصره وقال الشعر وله احدى عشرة سنة او ثنتا عشرة سنة ودخل
بغداد سنة تسع وتسعين وثلثماية فاقام بها سنة وسبعة اشهر ثم خرج منها طريدا
منهزما لانه سال سوالا ولكن بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله قال

تناقض ما لنا الا السكوت له ... وان نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

يقول اليد ديتها خمسماية دينار فما بالكم تقطعونها اذا سرقت ربع دينار وهذا من
قلة عقله وعمى بصيرته وذلك انها اذا جني عليها يناسب ان يكون ديتها كثيرة لينزجر
الناس عن العدوان واما اذا جنت بالسرقة فيناسب ان يقل قيمتها لينزجر عن اخذ
الاموال وصيانة اموال الناس ولهذا قال بعضهم كانت ثمينة لما كانت امينة
فلما خانت هانت ولما عزم الفقها على اخذه بهذا الكلام هرب ورجع الى بلده ولزم
منزله فكان لا يخرج منه ومكث خمسا واربعين سنة من عمره لا ياكل لحما ولا لبنا ولا بيضا
ولا شيا من حيوان على طريقة البراهمة من الفلاسفة ويقال انه اجتمع في بعض الصوامع
او اه الليل براهب يشككه في دينه فكان يقتات بالنباتات واكثر ما كان ياكل العدس
ويتحلى بالدبس وبالتين وكان لا ياكل بحضرة احد ويقول الاكل الاعمى عورة وكان في غاية الذكا
المفرط على ما ذكروا واما ما ينقل من الاشيا المكذوبة والخرافات المختلقة من انه وضع تحت
سريره درهم فقال اما ان تكون السما قد انخفضت مقدار درهم او ارتفعت الارض
مثل ذلك فهذا مما لا اصل له وهو كذب وكذلك يذكرون انه مر في بعض اسفاره بمكان

فطأطأ راسه فقيل له في ذلك فقال اما ههنا شجرة فلم يوجد ثم نظروا فاذا اصل شجرة
كانت هناك قديما قد اجتاز بها مرة فامره من معه بطأطأة راسه هناك فاستحضره
في هذه المرة فهذا ايضا لا يصح وهو كذب وكذلك ما شاكل هذا من الكذب البحت ولكن كان
ذكيا ولم يكن زكيا وله مصنفات كثيرة اكثرها في الشعر وفي بعض اشعاره ما يدل على زندقته
وانحلاله ومن الناس من يعتذر عنه ويقول انه كان في الباطن مسلما وانما يقول ذلك
بلسانه قال ابن عقيل وما كان الذي يلجئه الى ان يقول في دار الاسلام ما يكفره به الناس
والمنافقون مع قلة عقلهم وعلمهم ودينهم اجود سياسة منه حافظوا على قبائحهم
في الدنيا وهذا اظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس والله يعلم ان باطنه كظاهره قال
ابن الجوزي وقد رايت لابي العلا المعري كتابا سماه الفصول والغايات في معارضة السور
والايات على حروف المعجم في اخر كلماته وهو في نهاية الركة والبرودة فسبحان من اعمى
بصره وبصيرته قال وقد نظرت في كتابه المسمى لزوم ما لا يلزم ثم اورد ابن الجوزي
من اشعاره الدالة على استهتاره اشياء كثيرة فمن ذلك

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل . وترزق مجنونا وترزق احمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرء . راى منك ما لا يشتهي فتزندقا

ومن ذلك

وهيهات البرية في ضلال . وقد نظر اللبيب لما اعتراها
تقدم صاحب التوراة موسى . واوقع في الخسار من افتراها
فقال رجاله وحي اتاه . وقال الناظرون بل افتراها
وما حجي الى احجار بيت . كؤوس الخمر تشرب في ذراها
اذا رجع الحليم الى حجاه . تهاون بالمذاهب وازدراها

ومن ذلك

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت . ويهود حارت والمجوس مضللة
اثنان اهل الارض ذو عقل بلا . دين واخر دين لا عقل له

ومن ذلك

فلا تحسب مقال الرسل حقا . ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد . فجاؤوا بالمحال فكدروه

وقلت انا في معارضته

فلا تحسب مقال الرسل كذبا . ولكن قول حق بلغوه
وكان الناس في جهل عظيم . فجاؤوا بالبيان فاذهبوه

ومن ذلك

ان الشرائع القت بيننا احنا . واورثتنا افانين العداوات
وهل ابيح نساء الروم عن عرض . للعرب الا باحكام النبوات

ومن ذلك

افيقوا افيقوا يا غواة فانما . دياناتكم مكر من القدما

ومن ذلك

صرف الزمان مفرق الالفين . فاحكم الهي بين ذاك وبيني

اعنيت

انهيت عن قتل النفوس تعمدا . وبعثت انت لقبضها ملكين
وزعمت ان لها معادا ثانيا . ما كان اغناها عن الحالين

ومن ذلك

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة . وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
يحطمنا الايام حتى كاننا . زجاج ولكن لا يعاد لنا السبك

ومن ذلك

امور يستخف بها حلوم . وما يدري الفتى لمن الثبور
كتاب محمد وكتاب موسى . وانجيل ابن مريم والزبور

وذكر غير ذلك مما كل قطعة من هذه تدل على كفره وزندقته وانحلاله ويقال انه اوصى
ان يكتب على قبره

هذا جناه ابي علي . وما جنيت على احد

يعني ان اباه بتزويجه لامه اوقعه في هذه الدار حتى صار الى ما اليه صار وهو لم يجن على احد
بهذه الجناية وهذا كله كفر والحاد فيجد الله ولقاه في الدار الاخرة ما يستحقه الكفرة
والعتاة وقد زعم بعضهم انه اقلع عن هذا كله وتاب منه وانه قال قصيدته يعتذر
من هذا كله ويتنصل منه التي يقول فيها

يا من يرى مد البعوض جناحها . في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها في نحرها . والمخ في تلك العظام النحل
امنن علي بتوبة تمحو بها . ما كان مني في الزمان الاول

وقد كانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنة بمعرة النعمان عن ست وثمانين سنة
الا اربعة عشر يوما وقد رثاه جماعة من اصحابه وتلامذته وانشدت عند قبره ثمانون
مرثاة حتى قال بعضهم في مرثاته

ان كنت لم ترق الدماء زهادة . فلقد ارقت اليوم من جفني دما

قال ابن الجوزي وهؤلاء اما جهال بامره او ضلال على مذهبه وطريقته وقد راى
بعضهم في المنام رجلا ضريرا على عاتقه حيتان متدليان على صدره رافعان
رؤسهما وهما ينهشان من لحمه وقائل يقول هذا المعري الملحد وقد ذكره القاضي ابن
خلكان في الوفيات فزيغ في نسبه كما ذكرنا وذكر له من التصانيف كتبا كثيرة وذكر
انه وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتابه المسمى بالايك والغصون وهو المعروف
بالهمز والردف وانه اخذ العربية عن ابيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد
النحوي واخذ عنه ابو القسم علي بن المحسن التنوخي والخطيب ابو زكريا يحيى بن علي التبريزي
وذكر انه مكث خمسا واربعين سنة لا ياكل اللحم على طريقة الحكماء وانه اوصى ان يكتب على قبره
هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد قال ابن خلكان وهذا ايضا يتعلق باعتقاد
الحكماء فانهم يقولون اتخاذ الولد واخراجه الى هذا الوجود جناية عليه لانه يتعرض
للحوادث والافات قلت وهذا يدل على انه لم يتغير عن اعتقاد الحكماء الى اخر وقت وانه
لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم والله اعلم وذكر ابن خلكان انه كان متعبدا لهما نبيه
عليها بياض والبيسري غابرة ثم اورد من اشعاره الجيدة ابياتا فمنها قوله

لا تطلبن بآلة لك رتبة • قلم البليغ بغير حظ مغزل •
سكن السماكان السماء كلاهما • هذا له رمح وهذا أعزل •

الأستاذ أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابوري الحافظ الواعظ المفسر قدم دمشق وهو ذاهب للحج فسمع بها وذكر الناس وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة عظيمة وأورد أشياء حسنة من أقواله وشعره فمن ذلك

• إذا لم أصب أموالكم ونوالكم • ولم آمل المعروف منكم ولا البرا •
• وكنتم عبيدا للذي أنا عبده • فمن أجل ماذا أتعب البدن الحرا •

وروى ابن عساكر عن إمام الحرمين أنه قال كنت أتردد وأنا بمكة في المذاهب فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول عليك باعتقاد أبي عثمان الصابوني

سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة

فيها كانت فتنة الخبيث البساسيري وهو أرسلان التركي قبحه الله

وذلك أن إبراهيم ينال أخا الملك طغرلبك نزل الموصل الذي كان استعمله أخوه عليه وعزل إلى ناحية بلاد الجبل فاستدعاه أخوه وخلع عليه وأصلح أمره وكان في غضون ذلك ركب البساسيري ومعه قريش بن بدران أمير العرب إلى الموصل فأخذها وأخرب قلعتها فسار الملك طغرلبك سريعا من بغداد إلى الموصل فاسترجعها وهرب منه البساسيري وقريش بين يديه فخرج فتبعهما إلى نصيبين وفارقه أخوه إبراهيم وعصى عليه وهرب إلى همذان وذلك بإشارة البساسيري عليه فسار الملك طغرلبك وراء أخيه وترك عساكره وراءه فتفرقوا وقل من لحقه منهم ورجعت زوجته الخاتون ووزيره الكندري إلى بغداد ثم جاء الخبر بأن أخاه قد استظهر عليه وأن طغرلبك محصور بهمذان فانزعج الناس لذلك واضطربت بغداد وأرجف الناس بأن البساسيري عازم على قصد بغداد وأنه قد اقترب من الأنبار فعزم الكندري على المقام ببغداد فأرادت الخاتون أن تقبض عليه فتحول إلى الجانب الغربي فنهبت داره وقطع الجسر الذي بين الجانبين وركبت الخاتون في جمهور الجيش وذهبت إلى همذان لتنصر زوجها وسار الكندري ومعه أنوشروان بن تومان وأم الخاتون المذكورة ومعهما بقية الجيش إلى بلاد الأهواز وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة فعزم الخليفة على الترحل من بغداد إلى غيرها وليته فعل ثم أحب داره والإقامة مع أهله فمكث فيها اغترارا ودعة ولما خلا البلد من المقاتلة قيل للناس من أراد الخروج فليذهب حيث شاء فانزعج الناس وبكى الرجال والنساء والأطفال وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي وبلغت المعبرة دينارا ودينارين لعدم الجسر قال ابن الجوزي وطار في تلك الليلة على دار الخليفة عشر بومات مجتمعات يصحن صياحا مزعجا وقيل لرئيس الرؤساء من المصلحة أن الخليفة يرتحل من بغداد لعدم المقاتلة بها فلم يقبل وشرعوا في استخدام طائفة من العوام ودفع إليهم سلاح من دار المملكة فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة دخل البساسيري بغداد ومعه الرايات البيض المصرية وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين فتلقاه أهل الكرخ وتضرعوا إليه وسألوه أن يجتاز عندهم فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزوايا فخيم بها والناس إذ ذاك في ضر ومجاعة شديدة ونزل قريش بن بدران في نحو من مائتي فارس على مشرعة باب البصرة وكان البساسيري قد جمع العيارين وأطمعهم في نهب دار الخلافة ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بباب البصرة ونهبت دار قاضي القضاة الدامغاني وهلك أكثر السجلات والكتب الحكمية وأبيعت للعطارين ونهبت دور المتعلقين بخدمة الخليفة وأعادت الروافض الأذان بحي على خير العمل وكذلك أذن به في سائر جوامع بغداد في الجماعات والجمعات وخطب للخليفة المستنصر العبيدي الذي يقال له الفاطمي على منابر بغداد وغيرها وضربت له السكة على الفضة والذهب وحوصرت دار الخلافة فحاجف الوزير أبو القاسم ابن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء بمن معه من المستخدمين دونها فلم يفد ذلك شيئا فركب الخليفة بالسواد والبردة على كتفيه وعلى رأسه اللواء وبيده سيف مصلت وحوله زمرة من العباسيين والجواري حاسرات وجوههن ناشرات شعورهن معهن المصاحف على رؤوس الرماح وبين يديه الخدم بالسيوف المسللة ثم إن الخليفة أخذ ذماما من أمير العرب قريش بن بدران لنفسه وأهله ووزيره ابن المسلمة فأمنه على ذلك كله وأنزله في خيمته فلامه البساسيري على ذلك وقال لقد علمت ما كان وقع الاتفاق بيني وبينك من أنك لا تستبد برأي دوني ولا أنا دونك ومهما ملكنا فبيني وبينك واستحضر البساسيري أبا القاسم بن المسلمة فوبخه ولامه لوما شديدا ثم ضربه ضربا مبرحا واعتقله مهانا عنده ونهبت العامة دار الخلافة فلا يحصى ما أخذوا منها من الجواهر والنفائس والديباج والأثاث والثياب وغير ذلك مما لا يحد ولا يوصف ثم اتفق رأي البساسيري وقريش بن بدران على تسيير الخليفة من بغداد وتسليمه إلى أمير حديثة عانة وهو مهارش بن مجلي البدوي وهو من بني عم قريش بن بدران وكان رجلا صالحا فلما بلغه ذلك دخل على قريش أن لا يخرج من بغداد فلم يفد ذلك شيئا وسير مع أصحابه في هودج إلى حديثة عانة فكان عند مهارش أميرها حولا كاملا وليس معه أحد من أهله فحكي عن الخليفة القائم بأمر الله أنه قال لما كنت بحديثة عانة قمت ليلة إلى الصلاة فوجدت في قلبي حلاوة المناجاة ثم دعوت الله تعالى بما سنح ثم قلت اللهم أعدني إلى وطني واجمع بيني وبين أهلي وولدي ويسر اجتماعنا وأعد روض الأنس زاهرا وربع القرب عامرا فقد قل العزاء وبرح الخفاء قال فسمعت قائلا على شاطئ الفرات يقول نعم نعم فقلت هذا رجل يخاطب آخر ثم أخذت في السؤال والابتهال فسمعت ذلك الصائح يقول إلى الحول إلى الحول فعلمت أنه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه وكان كذلك خرج من داره في ذي القعدة من هذه السنة ورجع إليها في ذي القعدة من السنة المقبلة وقد قال الخليفة القائم في مقامه بالحديثة شعرا يذكر فيه حاله فمنه •

• خابت ظنوني فيمن كنت آمله • ولم يخل ذكر من واليت من خلدي •
• تعلموا من صروف الدهر كلهم • فما أرى أحدا يحنو على أحد •

ومنه

• ما لي من الأيام إلا موعد • فمتى أرى ظفرا بذاك الموعد •
• يومي يمر وكلما قضيته • عللت نفسي بالحديث إلى غد •
• أحيا بنفس تستريح إلى المنى • وعلى مطامعها تروح وتغتدي •

واما البساسيري فما اعتمده في بغداد فانه ركب يوم عيد الاضحى والبس الخطبا والمؤذنين البياض وعليه هو واصحابه كذلك وعلى راسه الالوية المستنصرية والمطارد المصرية وخطب للخليفة المستنصر الفاطمي صاحب مصر والروافض في غاية السرور والاذان في ساير بلاد العراق بحي على خير العمل وانتقم البساسيري من اعيان اهل بغداد انتقاما عظيما وغرق خلقا ممن يعاديه وبسط على اخرين الارزاق ولما كان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة احضر الى بين يديه الوزير ابا القاسم بن المسلمة الملقب برئيس الرؤسا وعليه جبة صوف وطرطور من لبد احمر وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ فاركب جملا وطيف به في البلد وخلفه من يصفعه بقطعة من جلد وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خلقان المداسات وبصقوا في وجهه ولعنوه وسبوه واوقف بازاء دار الخلافة وهو في ذلك كله يتلو قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ثم لما فرغ من التطواف به في البلد اعيد الى المعسكر فالبس جلد ثور بقرنيه وعلق بكلوب في شدقيه ورفع الى الخشبة حيا فجعل يضطرب الى اخر النهار فمات رحمه الله وكان اخر كلامه ان قال الحمد لله الذي احياني سعيدا واماتني شهيدا وفي هذه السنة وقع برد بارض العراق اهلك كثيرا من الغلات وقتل بعض الفلاحين وزادت دجلة زيادة عظيمة وزلزلت بغداد في شوال قبل الفتنة بشهر زلزالا شديدا فتهدمت دور كثيرة ووردت الاخبار انها اتصلت من بغداد الى همذان وواسط وعانة وتكريت وذكر ان الطواحين وقفت من شدة الزلزلة وفي هذه السنة كثر النهب ببغداد حتى كانت العمايم تختطف عن الرؤوس حتى ان الشيخ ابا نصر بن الصباغ خطفت عمامته وطيلسانه وهو ذاهب الى الصلاة يوم الجمعة وفي اواخر هذه السنة خرج السلطان طغرلبك من همذان فقاتل عليه وانتصر عليه ولله الحمد والمنة فتباشر الناس بذلك وكثر سرورهم وفرحهم ولم يظهروا ذلك من خوفهم من البساسيري واستنجد طغرلبك باولاد اخيه داود وكان قد مات ومعهم من الجنود على اخيه ابراهيم ينال فغلبوه له واسروه وذلك في اوايل سنة احدى وخمسين واجتمعوا على عمهم طغرلبك فساروا نحو العراق فكان من امرهم ما سياتي ذكره في السنة الاتية

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن محمد ابو عبد الله الوني الفرضي وهو شيخ الخبري وكان شافعي المذهب قتل ببغداد في فتنة البساسيري ودفن يوم الجمعة يوم عرفة من هذه السنة داود الملك جغري بك اخو طغرلبك وكان الاكبر وكان مقيما ببلخ بازاء اولاد محمود بن سبكتكين توفي في هذه السنة وقام اولاده مقامه في الملك ابو الطيب الطبري طاهر بن عبد الله بن طاهر ابو الطيب الطبري الفقيه شيخ الشافعية ولد بامل طبرستان سنة ثمان واربعين وثلثمائة وسمع بجرجان من ابي احمد الغطريفي وبنيسابور من ابي الحسن الماسرجسي وعليه درس الفقه وتفقه ايضا على ابي علي الزجاجي وابي القاسم بن كج ثم اشتغل ببغداد على ابي حامد الاسفراييني وشرح المختصر وفروع ابن الحداد وصنف في الاصول والجدل وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة وسمع ببغداد من الدارقطني وغيره وولي القضاء بربع الكرخ

بعد موت

بعد موت ابي عبد الله الصيمري وكان ثقة دينا ورعا عالما باصول الفقه وفروعه وله المصنفات الباهرة في ذلك حسن الخلق سليم الصدر مواظبا على تعليم العلم ليلا ونهارا وقد ذكرت ترجمته في الطبقات بما فيه كفاية ولله الحمد وحكى الشيخ ابو اسحاق الشيرازي عنه وكان شيخه وقد اجلسه بعده في الحلقة انه اسلم خفا له عند خفاف له ليصلحه فابطا عليه وكان كلما مر عليه غمسه في الماء وقال الساعة الساعة فقال له الشيخ انما اسلمته عندك لتصلحه ولم اسلمه لتعلمه السباحة وحكى القاضي ابن خلكان انه كان له ولاخيه عمامة وقميص اذا لبسهما هذا جلس الاخر بالبيت وقد قال في ذلك القاضي ابو الطيب

قوم اذا اغتسلوا اثياب جمالهم ... لبثوا البيوت الى فراغ الغاسل

وكان قد بلغ من العمر مائة سنة وسنتين وهو صحيح العقل والفهم والاعضا يفتي ويشتغل الى ان مات في هذه السنة رحمه الله

القاضي الماوردي صاحب الحاوي الكبير

علي بن محمد بن حبيب ابو الحسن الماوردي البصري شيخ الشافعيين صاحب التصانيف الكثيرة في الاصول والفروع والتفسير والاحكام السلطانية وادب الدين والدنيا قال بسطت الفقه في اربعة الاف ورقة يعني الحاوي الكبير واختصرته في اربعين ورقة يعني الاقناع وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة وكان حليما وقورا اديبا لم ير اصحابه ذراعه يوما من الدهر من شدة تحرزه وادبه وقد استقصيت ترجمته في الطبقات وكانت وفاته في هذه السنة عن ست وثمانين سنة ودفن بباب حرب رحمه الله وقد انشد له القاضي ابن خلكان اشعارا منها قوله

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين

رئيس الرؤسا ابن المسلمة

علي بن الحسين بن احمد بن محمد بن عمر ابو القاسم بن المسلمة وزير القايم بامر الله كان اولا قد سمع الحديث من ابي احمد الفرضي وغيره ثم كان احد المعدلين ثم استكتبه الخليفة القايم بامر الله واستوزره ولقبه رئيس الرؤسا شرف الوزرا جمال الورى وكان متضلعا بعلوم كثيرة مع سداد راي ووفور عقل وقد مكث في الوزارة اثنتي عشرة سنة وشهرا حتى قتله البساسيري بعدما شهره ثم صلبه معلقا بشدقيه كما قدمنا بسط ذلك في التاسع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة وله من العمر ثنتان وخمسون سنة وخمسة اشهر منصور بن الحسين ابو الفوارس الاسدي صاحب الجزيرة كانت وفاته في هذه السنة فاجتمعت العشيرة على اقامة ولده صدقة من بعده

ثم دخلت سنة احدى وخمسين واربعماية

استهلت وبغداد في قبضة البساسيري يخطب فيها للخليفة المستنصر الفاطمي والقايم قاعد بحديثة عانة ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر احضر البساسيري قاضي القضاة ابا عبد الله الدامغاني وجماعة من الوجوه والاعيان من العلويين والعباسيين واخذ عليهم البيعة للمستنصر بالله الفاطمي ثم دخل دار الخلافة وهو

المذكور وزعقه وامر بنقض تاج دار الخلافة فنقضت بعض الشراريف ثم قيل له
ان القبح في هذا اكثر من المصلحة فتركه ثم ركب الى زيارة المشهد بالكوفة وعزم على
حفر نهر يساق الى الحاير لوفاء نذر كان عليه وامر بان ينقل جثة ابن المسلمة الى ما يقارب
الحرم الطاهري وان تنصب على دجلة وكانت ام الخليفة وكانت عجوز كبيرة قد بلغت
التسعين وهي مختفية في مكان الى البساسيري تشكوا اليه الحاجة والفقر وضيق الحال
فارسل اليها ونقلها الى الحريم واخدمها جاريتين ورتب لها كل يوم اثني عشر
رطلا من خبز واربعة ارطال لحم ولا يخفى هذا فيرا طما فعله بولدها وباهل السنة
فصل ولما تخلص السلطان طغرلبك ابده الله من حصره بهمذان وقاتل
اخاه ابراهيم ينال واسره وقتله وتمكن في امره وطابت نفسه واستوسق له ولم يبق
له بتلك البلاد منازع كتب الى قريش بن بدران امير الاعراب يامره بان يعاد الخليفة
الى داره على ما كان عليه ويتوعده على ترك ذلك بابا شديدا وكتب اليه قريش يعد
ويسامحه ويقول انا معك على البساسيري بكل ما اقدر عليه حتى يمكن الله منه ولكن
اخشى ان تسرع في امر يكون فيه على الخليفة مفسدة او تبدوا اليه احد باذيه ولكني
ساعمل لها امر في بكل ما يمكن وامر برد امراة الخليفة الخاتون العظيمة ارسلان خاتون
الى دارها وقرارها ثم انه ارسل الى البساسيري واشار عليه بعود الخليفة الى داره وخوفه
من جهة الملك طغرلبك وقال له فيما قال انك دعوتنا الى طاعة المستنصر
صاحب مصر وبيننا وبينه ستماية فرسخ ولم ياتنا من جهته رسول ولا احد ولم
يفكر في شي مما ارسلنا اليه وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد وجاء كتاب من الملك طغرلبك
عنوانه الى الامير الجليل علم الدين ابي المعالي قريش بن بدران مولى امير المومنين من شاهنشاه
المعظم ملك المشرق والمغرب طغرلبك ابي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق وعلى راس الكتابة
العلامة السلطانية بخط السلطان حسبي الله وكان في الكتاب الان فقد سرت بنا
المقادير الى ملاك كل عدو للدين والملك ولم يبق لنا وعلينا من المهمات الا خدمة سيدنا
ومولانا الامام القايم بامر الله امير المومنين واطلاع ابهة امامته على سرير عزه فان
الذي يلزمنا ذلك ولا تسعة في التفسيح فيه ساعة من الدنيا وقد اقبلنا بخيول
المشرق الى هذا المهم العظيم ونريد من الامير الجليل علم الدين تمام السعي النجيح الذي
وفق له وتفرد به وهو ان يتمم وفاة امامته وخدمته في باب سيدنا ومولانا القايم
بامر الله امير المومنين من احد الرجلين اما ان يقبل به الى كرسي عزه ومثوى امامته ونوف
خلافته من مدينة السلام وينتدب بين يديه متوليا امره ومنفذا احكامه وشاهرا
سيفه وقلمه وذلك المراد وهو خليفتنا في تلك الخدمة المفروضة وتولية العراق باسرها
ونصفي له مشارع برها وبحرها لا يطاوها حافر خيل من خيول العجم شبرا من اراضي تلك المملكة
الا بالتماسه لمعاونته ومظاهرته واما ان يحافظ على شخصه العالي بتحويله من القلعة
الحلة او في القلعة الحصين لجاقتنا بخدمته فنتكفل باعادته ويكون الامير الجليل
مخيرا بين ان يلتقي بنا او يقيم حيث شاء فنوليه العراق ونستخلفه في الخدمة الامامية
وننصرف بعنقنا الى الممالك الشرقية فمهمنا لا يقتضي الا هذا الغرض المرض ولا نسعى
الى مملكة من تلك الممالك بل الهمة دينية وما دام الله تمكينه بينتفي ما ذكرنا

ويعلم

ويعلم ان توجهنا اثر هذا الكتاب لهذا الغرض المعلوم ولا غرض سواه فلا يسرن
قلوب عشايره ومن بنزفا بهم كلهم اخواننا في ذمتنا وعهدنا وعلينا به عهد الله
وميثاقه فما داموا موافقين للامير الاجل في موالينا ومن اتصل به من ساير العرب والعجم
والاكراد فانهم متزودون في جملته وداخلون في عهدنا وذمتنا وعهده وذمته ولكل
مجترم في العراق عفونا وامننا ما بدر منه الا البساسيري فانه لا عهد له ولا امان منا
وهو موكول الى الشيطان وتاويله وتداركب في دين الله عظيما وهو ان شاء الله ماخوذ
حيث وجد ومعذب على ما عمل فقد سعى في دماء خلق كثير بسوء دخيلته وداراتها له
على فساد عقيدته وكتب في رمضان من سنة احدى وخمسين واربعماية وبعث
بهذا الكتاب مع رسولين من اهل العلم وبعث معهما بتحف عظيمة للخليفة وامرهما
ان يخدما الخليفة نيابة عنه جزاه الله عن الاسلام خيرا ولما وصل الكتاب الى قريش
بن بدران استعلم عن اخبار الملك طغرلبك من الرسل وغيرهم فاذا معه جنود
عظيمة فخاف من ذلك خوفا شديدا وبعث الى البرية فامر بحفر اماكن للماء وتجهيز
علوفات كثيرة في اماكن ونفذ الكتاب والاخبار الى البساسيري فانزعج لذلك
البساسيري فخذله الله وخارت قوته وضعف امره وبعث الى اهله فنقلهم من بغداد
وارصد لها قاقات عظيمة بواسط وجعلها دار مقره وما فوق على عود الخليفة
الى بغداد ولكن اشترط شروطا كثيرة لكنه مستعجله ولما انتقل اهل البساسيري من بغداد
وصحبهم اهل الكرخ والروافض فتحهم الله واخذ من وانى دجلة كان خروجهم من بغداد في
سادس ذي القعدة من هذه السنة وفي مثله من العام الماضي دخلوا بغداد وعند
ذلك ثار الهاشميون واهل السنة من باب البصرة الى الكرخ فنهبوه واحرقوا منه محال
كثيرة جدا واحترق من جملة ذلك دار العلم التي كان وقفها الوزير اردشير من مدة سبعين
سنة وفيها من الكتب شي كثير وكان في جملة ما احرق درب الزعفراني وفيه الف وماية دار
لكل منها قيمة وترحل قريش بن بدران الى ارض الموصل وبعث الى حديثة عانة يقول
لاميرها مهارش بن مجلي الذي سلم اليه الخليفة المصلحة يقتضي ان الخليفة تحول الى
حتى ييأس منا نفسنا بسببه فلا نسلمه حتى ياخذ لنا امانا ويكون في يدك دون
يدي فامتنع عليه مهارش وقال قد غدر بي البساسيري وعدل بي باشيا لم ارها ولست
بمرسله اليك ابدا وله في عنقي ايمان اكيدة لا اغدرها وكان مهارش رجلا صالحا ثقة
امينا ورع وقال الامير محيي الدين ابو الحرث مهارش بن مجلي العقيلي صاحب عانة والحديثة
للخليفة من المصلحة ان نسير الى بلد بدر بن مهلهل فننظر ما يكون من امر السلطان
فان ظهر ودخل بغداد وان كانت الاخرى نظرنا لانفسنا فانا نخشى من البساسيري ان
يعود فيحصرنا فقال له الخليفة افعل ما فيه المصلحة فسار في الحادي عشر من ذي
القعدة لا اتصلا بقلعة بن عكبرا فلقيته رسل الملك طغرلبك بالهدايا التي كان
انفذها اليه وهو متشوق اليه كثيرا وجاءت الاخبار بان السلطان طغرلبك دخل
بغداد وكان يوما مشهودا واعتز الجيش ونهبوا البلد سوى دار الخلافة وصودر خلق
كثير من التجار واخذت منهم اموال كثيرة وشرعوا في عمارة دار الملك وارسل السلطان
الى الخليفة مراكب كثيرة من انواع الخيول غيرها وسرادق عظيمة وملابس سنية وما

يليق بالخليفة في السفر وارسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندري ولما انتهوا اليه ارسلوا
بتلك الالات قبل ان يصلوا اليه وقالوا لمن حوله اضربوا السرادق وليلبس الخليفة
ما يليق به ثم نحن نستاذن عليه فلا ياذن لنا الا بعد ساعة طويلة فلما دخل الوزير
ومن معه قبلوا الارض واخبروه بسرور السلطان بما حصل من العود الى بغداد والتهنية
البه جدا واخبروا امها رشا بشكر السلطان له وتبينه له بما ينبغي لمثله وكتب عميد الملك
كتابا الى الملك يعلمه بصفة ما جرى الامر عليه واحب ان ياخذ خط الخليفة على الكتاب
ليكون اقر لعين الملك فلم يكن عند الخليفة دواه فاحضر الوزير دواته ومعها سيف
وقال هذه خدمة السيف والقلم فاعجب الخليفة ذلك ثم رحلوا من منزل لمنزل لك
بعد يومين فلما وصلوا النهروان خرج السلطان طغرلبك من بغداد لتلقيه
فلما انتهى الى السرادق قبل الارض بين يدي الخليفة سبع مرات فاخذ الخليفة مخده
فوضعها بين يديه فاخذها الملك فقبلها ثم جلس عليها كما اشار امير المومنين
وقدم الى الخليفة الحبل الياقوت الاحمر الذي كان لبني بويه فوضعه بين يديه واخرج
اثنتي عشرة حبة من لولو كبار وقال ارسلان خاتون يعني زوجة الملك تخدم
وتسال ان يسبح بهذه السبحة وجعل يعتذر من تاخره عن الحضرة بسبب عصيان اخيه
ابراهيم فقتلته واتفق موت اخي الاكبر داود فاشتغلت بترتيب اولاده من بعده
وكنت عزمت ان اصعد الى الحديثة لاصون المهجة الشريفة ولكن لما بلغني خمد الله امر
الخليفة فرحت بذلك وانا شاكر لمهارش بما كان منه في خدمة امير المومنين وانا ان
شاء الله امضي وراء هذا الكلب البساسيري واقصده واعود الى الشام وافعل
بصاحب مصرها ما ينبغي ان يجازى عليه من سوء المقابلة بما كان من فعل البساسيري هاهنا
فدعا له الخليفة وشكره على ذلك كل ذلك بترجمة عميد الملك بين الخليفة والملك
طغرلبك واعطى الخليفة الملك سيفا كان معه لم يبق معه من امور الخلافة سواه
واستاذن الملك لتقدم الجيش ان يخدموا الخليفة فرفعت الاستار عن جوانب
الخركاه فلما شاهد الاتراك الخليفة قبلوا الارض ودخل الخليفة بغداد يوم الاثنين
لخمس بقين من ذي القعدة وكان ذلك يوما مشهودا الجيش كله معه والقضاة
والاعيان بين يديه والملك طغرلبك اخذ بلجام بغلته حتى وصل الى باب الحجرة
ولما وصل الخليفة الى مقر خلافته ودار مملكته استاذنه السلطان طغرلبك في الخروج
وراء البساسيري فاذن له وكان قد عزم على ان يعطي مهارش فقال يا امير المومنين
انا اكفيك ذلك ان شاء الله واطلق الملك لمهارش عشرة الاف دينار ولم يرض
وشرع السلطان في ترتيب الجيوش للمسير وراء البساسيري فارسل جيشا من ناحية
الكوفة ليمنعوه من الدخول الى الشام وخرج هو في التاسع والعشرين من الشهر في بقية
الجيش واما البساسيري فانه مقيم بواسط في جمع غلات وتمور يهيها لقتال اهل
بغداد ومن بها من الغز وعنده ان الملك طغرلبك ومن معه ليسوا بشي يخاف منهم
وذلك لما يريده الله تعالى من اهلاكه على يدي الملك طغرلبك جزاه الله عن الاسلام
خيرا

صفة اخذ البساسيري قبحه الله

لما سار السلطان نحوه وصلت اليه السرية الاولى فلقوه بارض واسط ومعه ابن مزيد
فاقتتلوا اقتالا فانهزم اصحابه وجاء البساسيري بنفسه على فرس فتبعه بعض
الغلمان فرمى فرسه بنشابة فالقته الى الارض وجاء فضربه على وجهه ولم يعرفه
واسره واحد منهم يقال له كمشتكين فحز راسه وحمله الى السلطان واخذت الاتراك
من جيش البساسيري من الاموال ما يعجز واعن حمله ولما وصل الراس الى السلطان امر
ان يذهب به الى بغداد وان يرفع على قناة وان يطاف به في المحال والدبادب والبوقات
والنفاطون معه وان يخرج الناس والنساء للفرجة عليه ففعل ذلك ثم نصب
على الطيار تجاه دار الخلافة ولله الحمد والمنة وقد كان مع البساسيري خلق من
البغادة خرجوا معه ظنا منهم انه سيعود اليها بعد ذلك فهلكوا ونهبت اموالهم
كلها ولم ينج من اصحابه الا القليل وفر ابن مزيد في ناس قليل الى البطيحة وفيهن
معه اولاد البساسيري وامهم وقد سلبتهم الاعراب ولم يتركوا لهم شيا فورد وا
البطيحة مسلوبين محروبين ثم استومن لهم ابن مزيد من السلطان
ودخل من حضر ببغداد وقد نهبت العساكر السلطانية ما بين واسط والبصرة
والاهواز وذلك لكثرة الجيش وانتشاره وكثافته واما الخليفة فانه لما عاد
الى دار الخلافة جعل لله عليه ان لا ينام على وطاء ولا ياتيه احد بطعامه اذا كان
صائما ولا يخدمه في وضوئه وغسله بل يتولى ذلك بنفسه لتقسم وعاهد الله
ان لا يؤذي احدا ممن اذاه وان يصفح عمن ظلمه وكان يقول ما عاقبت من عصى
الله فيك باكثر من ان تطيع الله فيه ولما ولي الملك الب ارسلان بن داود جغري
بك بن ميكائيل بن سلجوق بلاد خراسان بعد وفاة ابيه بتقرير عمه الملك
طغرلبك وكان له من الاخوة ثلاثة سليمان وقاورت وياقوت فتزوج طغرلبك
بام سليمان هذا واوصى له بالملك من بعده وكان في هذه السنة بمكة رخص لم
يسمع بمثله ابيع البر الكر كل ما يبقى رطل بدينار ولم يحج احد من اهل العراق في هذه
السنة

وممن توفي فيها من المشاهير

ارسلان ابو الحرث البساسيري التركي وكان من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة
وكان اولا مملوكا لرجل من اهل فسا فقيل له البساسيري ويلقب بالمظفر ثم كان مقدما
كبيرا عند الخليفة القائم بامر الله لا يقطع امرا دونه وخطب له على منابر العراق
كلها ثم طغى وبغى وتمرد وعتى وخرج على الخليفة بل وعلى المسلمين ودعا الى
خلافة الفاطميين فتم له ما اراده من الامل الفاسد واستدرج ثم كان اخذه في هذه
السنة على ما ذكرنا ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة وكان دخوله اهله
الى بغداد في سادس ذي القعدة من سنة خمسين واربعمائة ثم اتفق خروجهم
في سادس ذي القعدة من سنة احدى وخمسين بعد سنة هلالية كاملة ثم كان
خروج الخليفة من بغداد في يوم الثلثا الثامن عشر من كانون الاول
فاتفق قتل البساسيري في يوم الثلثا الثامن عشر من كانون الاول بعد
سنة شمسية وذلك في ذي الحجة من هذه السنة وفيها احمد الحسن بن ابي الفضل

ابو علي الشرمقاني المؤدب المقرئ الحافظ للقراآت والخلاف فيها كان ضيق الحال فرآه
شيخه ابن العلان ذات يوم وهو بأخذ اوراق الخس من دجلة فياكله فاعلم ابن المسلمة
فامر غلاما له ان يذهب الى الخزانة التي بمسجده فيتخذ لها مفتاحا غير مفتاحه ثم
كان يضع فيها كل يوم ثلاثة ارطال من خبز السميذ ودجاجة وحلاوة سكر فظن ابو علي
الشرمقاني ان ذلك كرامة وان هذا الطعام من الجنة فكتمه زمانا وجعل ينشد
من اطلعوه على سر فباح به ... لم يامنوه على الاسرار ما عاشا
فلما كان في بعض الايام ذاكره ابن العلان في امره وقال اراك قد سمنت فما هذا
الهزال وانت رجل فقير فجعل يلوح ولا يصرح ولا يكني ولا يفصح ثم اخبره بانه يجد كل يوم في
خزانته من طعام الجنة ما يكفيه فقال له ادع لابن المسلمة فانه الذي يفعل معك
ذلك وشرح له صورة الحال فانكسر ولم يعجبه ذلك علي بن محمود بن ابراهيم بن ماخره
ابو الحسن الزوزني شيخ الصوفية واليه ينسب رباط الزوزني وقد كان بني لابي
الحسن الحصري شيخه وقد صحب ابا عبد الرحمن السلمي وقال صحبت الف شيخ
واحفظ عن كل شيخ حكاية توفي في رمضان عن خمس وثمانين محمد بن علي بن الفتح
ابن محمد بن علي ابو طالب الحربي المعروف بالعشاري انما قيل له العشاري لطول
جسده وقد سمع الدارقطني وغيره وكان ثقة دينا صالحا وكانت وفاته في جمادى
الاولى من هذه السنة وقد نيف على الثمانين الونى الفرضي الحسين بن محمد ابو
عبد الله الوني نسبة الى ون قرية من اعمال قهستان الفرضي شيخ الخبري وهو ابو حكيم
عبد الله بن ابراهيم كان الوني اماما في الحساب والفرايض وانتفع الناس به وتوفي
في هذه السنة شهيدا في فتنة البساسيري رح

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين واربعماية

في يوم الخميس السابع عشر من ربيع صفر دخل السلطان الى بغداد مرجعه من واسط
بعدما قتل البساسيري وفي يوم الحادي والعشرين منه جلس الخليفة بدار الخلافة
وحضر الملك طغرلبك ومد سماطا عظيما بين يديه فاكل الامرا والعامة ثم في يوم
الخميس ثاني ربيع الاول عمل الملك طغرلبك في داره سماطا عظيما ايضا وفي يوم
الثلثا تاسع جمادى الاخرة ورد الامير عدة الدين ابو القاسم عبد الله بن ذخيرة
الدين بن امير المومنين القايم وجدته وعمته ولد من العمر يومئذ اربع سنين
صحبة ابي الغنايم بن المحلبان فتلقاه الناس اجلالا لجده وقد ولي هو الخلافة
بعد ذلك وهو المقتدي بامر الله وفي رجب وقف ابو الحسن محمد بن هلال الصابي
دار كتب بشارع ابن ابي عوف من غربي مدينة السلام ونقل اليها الف كتاب عوضا
عن دار اردشير التي احترقت بالكرخ وفي شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها
فامتدحه الشعرا وملك عطية بن صالح بن مرداس الرحبة وذلك كله بنزع من ايدي
الفاطميين ولله الحمد وفيها عاد الملك طغرلبك الى الجبل وعقد بغداد على العميد
ابي نصر العميد بمايتي الف دينار ولسنتين بعدها بثلثماية فشرع العميد في عمارة الكرخ واسواقه
ولم يحج احد من اهل العراق في هذه السنة غير ان طايفة اجتمعوا الى الكوفة وركبوا
مع طايفة من الخفر وممن توفي فيها من الاعيان مالي بن جعفر بن مالي ابو منصور

الجيلي

الجيلي من تلامذة الشيخ ابي حامد الاسفراييني وولي القضا بباب الطاق وبحريم دار
الخلافة وسمع الحديث من جماعة قال الخطيب وكتبنا عنه وكان ثقة ورح الحسن بن
محمد بن ابي الفضل ابو محمد النسوي الوالي سمع الحديث وكان ذكيا في صناعة الولاية
ومعرفة المتهم من البري لوما يلطف من الصنع كما نقل عنه انه وقف بين يديه جماعة
اتهموا بسرقة فاتي بكوز ليشرب منه فرمى به فانزعجوا الا واحدا فامر بهان
يقرروا قال السارق يكون جريا قويا فوجد الامر كذلك وقد قيل ان واحدا ضرب بين
يديه فادعى عليه عند القاضي ابي الطيب الطبري فحكم عليه بالقصاص ثم فادى
عن نفسه بمال جزيل حتى خلص من ذلك محمد بن عبيد الله بن احمد بن محمد بن عمروس
ابو الفضل البزار انتهت اليه رياسة الفقها المالكيين ببغداد وكان من القرا
المجودين واهل الحديث المسندين سمع ابن حبابة والمخلص وابن شاهين وقد قبل
شهادته ابو عبد الله بن الدامغاني فكان احد المعدلين قطر الندى ويقال بدر الدجى
ويقال علم ام الخليفة القايم بامر الله كانت عجوزا كبيرة قد بلغت التسعين وكانت
ارمنية وقد احتاجت في زمان البساسيري الى الحاجة حتى كتبت عليه
رقعة تشكو اليه فقرها وحاجتها فاجرى عليها رزقا واخدمها جاريتين وهذا كان من
احسن ما صنع ثم لم تمت حتى اقر الله عينيها بولدها والملك ورجوعهم الى دار الخلافة
على ما كانوا عليه ثم توفيت في رجب من هذه السنة فحضر الخليفة جنازتها وكانت
كافلة جليلة رحمها الله واكرم مثواها

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين واربعماية

فيها خطب الملك طغرلبك ابنة الخليفة فانزعج من ذلك وقال هذا شي لم تجر العادة
بمثله ثم طلب شيا كثيرة كهيئة المعتذر من ذلك مما كان لزوجته التي توفيت
من الاقطاعات بارض واسط وصداق ثلثماية الف دينار وان يقيم الملك ببغداد
لا يبرح منها ولا يحيد عنها يوما ابدا فوقع الاتفاق على بعض ذلك وارسل اليها بماية
الف دينار لابنة اخيه داود زوجة الخليفة ارسلان خاتون واشيا كثيرة من الات
الذهب والفضة والنثار والجواري والكراع ومن الجوهر الغالي وما يناقطعة
من ذلك سبعماية وعشرون قطعة من جوهر وزن كل واحد ما بين الثلاث مثاقيل
الى المثقال واشيا كثيرة فتمنع الخليفة لفوات بعض الشروط فغضب عميد الملك
الكندري الوزير لمخدومه وجرت شرور طويلة اقتضت ان ارسل السلطان كتابا
بامر فيه بانتزاع ابنة اخيه السيدة ارسلان خاتون ونقلها من دار الخلافة الى
دار الملك حتى ينفصل هذه القضية وعزم الملك على النقلة من بغداد واصلح
الطيار فانزعج الناس لذلك وجاء كتاب السلطان الى شحنة بغداد برسق بامره
بعدم المراقبة وكثرة العسف في مقابلة نزر اصحابنا بالحرمان وعزم على نقلة الخاتون
الى دار المملكة وبرسل من يحملها الى البلدة التي هو فيها وكاد ذلك يغضب على الخليفة
فانا لله وانا اليه راجعون قال ابن الجوزي وفي رمضان راى انسان من الزمني رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو قايم ومعه ثلاثة انفس فجاء اليه احدهم فقال
له لا تقوم فقال لا استطيع انا رجل مقعد فاخذ بيده وقال له قم فقام وانتبه فاذا

هو قد برد وضع يمشي في حوائجه وفي ربيع الآخر استوزر الخليفة ابا الفتح منصور بن احمد
بن دارست الاهوازي وخلع عليه وجلس في مجلس الوزارة وفي جمادى الآخرة لليلتين بقيتا
منه كسفت الشمس كسوفا عظيما جميع القرص فمكث اربع ساعات حتى بدت النجوم وآوت
الطيور الى اوكارها وتركت الطيران وكل ذلك لشدة الظلمة وفيها ولي ابو غنيم بن مزين
ماردين بلاد آمد بقية بعد وفاة ابيه صاحبها وفيها ولي نصر بن نصر الدولة احمد بن مروان
الكردي ديار بكر بعد ابيه ايضا وفيها ولي شرف الدولة بن قريش بن بدران بلاد الموصل
ونصيبين بعد ابيه وفيها خلع على طراد بن محمد الزينبي الملقب بالكامل وقلد نقابة
العباسيين وخلع على اسامة بن ابي عبد الله بن علي وقلد نقابة الطالبيين ولقب
المرتضى وفيها ضمن ابو اسحاق بن ابراهيم بن علان اليهودي ضياع الخليفة من صرصر
الى واسط كل سنة بسنة وثمانين الف دينار وسبعة عشر الف كر من غلة ولم يحج احد من
هذه السنة

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن مروان ابو نصر الكردي صاحب بلاد بكر وميافارقين لقبه القادر بالله نصر الدولة
ملك هذه البلاد ثنتين وخمسين سنة وتنعم تنعما لا يبلغ لاحد من اهل زمانه ولا
ادركه فيه احد من اقرانه وكان عنده خمسمائة سرية سوى من يخدمهن وعنده خمسمائة
خادم وعنده من المغنيات شيء كثير كل واحدة مشتراة خمسة الاف دينار واكثر وكان
يحضر في مجلسه من الالات والاواني ما يساوي مائتي الف دينار وتزوج بعدة من بنات
الملوك وكان كثير المهادنة للملوك واذا قصده عدو ارسل اليه بمقدار ما يعزم
على حربه ويصالحه بذلك فيرجع عنه وقد ارسل الى الملك طغرلبك بهدية حين
العراق ومنها الجبل الياقوت كان يكون لبني بويه اشتراه بمقدار عظيم وبعث
اليه بمائة الف دينار عينا وغير ذلك ووزر له ابو القاسم المغربي مرتين ووزر له
ايضا محمد بن محمد بن جهير فخر الملك وكانت بلاده آمن البلاد واطيبها واكثرها عدلا
وقد بلغه ان الطيور تجيء في الشتاء من الجبال الى القرى فيصطادها الناس فامر بفتح
الاهراء والقاء ما يكفيها من الغلات مدة الشتاء فكانت تكون في ضيافته طول عمره وكانت
وفاته في هذه السنة وقد قارب الثمانين وجاوزها وقال ابن خلكان قال ابن الازرق
في تاريخه انه لم يصادر احدا من رعيته سوى رجل واحد ولم تفته صلاة مع كثرة مباشرته
للذات وكانت له ثلاثمائة وستون حظية يبيت عند كل واحدة ليلة من السنة وخلف
اولادا كثيرة ولم يزل على ذلك الى ان توفي في التاسع والعشرين من شوال من هذه السنة

ثم دخلت سنة اربع وخمسين واربعمائة

وفيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرلبك يشكو من قلة انصاف الخليفة وعدم
موافاته له بما اسداه اليه من الخدم والتعصم للملوك الاطراف وقاضي القضاة ابن عبد
الله بن الدامغاني فلما راى الخليفة ذلك وان الملك قد ارسل الى نوابه بالاحتياط على
املاك الخليفة وقد انزعج لذلك كتب الى الملك طغرلبك يجيبه الى ما سال فلما
وصل ذلك الى طغرلبك فرح فرحا شديدا وارسل الى نوابه ان يطلقوا الاملاك الخليفية
ولما انتهت المراكب بذلك الى بغداد دقت البشائر بدار الخلافة وطيف بالكتابه

ببغداد

ببغداد بين ايديهم بالدبادب والبوقات وفرح الناس باجابة الخليفة الى ذلك واتفقت
الكلمة وتوكل الخليفة في العقد وكتب بذلك وكالة ثم وقع العقد بمدينة تبريز
بحضرة الملك طغرلبك وعمل سماط عظيم ولما جيء بالوكالة قام لها الملك وقبل الارض
عند رؤيتها ودعا للخليفة دعاء كثيرا ثم اوجب العقد على صداق اربعمائة الف دينار
وكثر دعاء الناس للخليفة وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان من هذه
السنة ثم بعث ابنة اخيه الخاتون ارسلان خاتون زوجة الخليفة في شوال
بتحف عظيمة وذهب كثير وجواهر عديدة ثمينة وهدايا عظيمة لامر العروس واهلها
كانهم وقال الملك للناس جهرة انا عبد من عبيد الخليفة ما بقيت لا املك شيئا سوى ما علي
من الثياب وفيها عزل الخليفة وزيره واستوزر ابا نصر محمد بن محمد بن جهير استقدمه
من ميافارقين وفيها عم الرخص جميع الارض حتى بيع بالبصرة كل الف رطل بثمان
قراريط

وممن توفي فيها من الاعيان

ثمال بن صالح بن مرداس ولقبه صاحب حلب كان كريما حليما وقد ذكر ابن الجوزي ان الفراش
تقدم اليه ليغسل يده فصدمت البلبلة الابريق ثنيته فسقطت في الطست
فعفا عنه الحسن بن علي بن محمد ابو محمد الجوهري ولد في شعبان سنة ثلاث وستين
وثلاثمائة وسمع الحديث على جماعة وتفرد عن مشايخ كثيرين منهم ابو بكر بن مالك القطيعي
وكان اخر من حدث عنه وتوفي في ذي القعدة من هذه السنة الحسين بن يزيد ابو علي
الدباغ قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ادع
الله ان يحييني على الاسلام فقال لي على السنة وعلى السنة وعلى السنة سعد بن
محمد بن منصور ابو المحاسن الجرجاني كان من الرؤساء الفضلاء وجه رسولا الى الملك
محمود بن سبكتكين في حدود سنة عشر وكان من الفقهاء العلماء تخرج به جماعة وروى
الحديث عن جماعة وعقد له مجلس النظر بجرجان كثيرا وقتل ظلما باستراباذ في رجب
من هذه السنة رحمه الله

ثم دخلت سنة خمس وخمسين واربعمائة

فيها دخل السلطان طغرلبك بغداد وعزم الخليفة على الغيبة ثم ترك وارسل وزيره
ابا نصر عوضا عنه وكان من جيش الملك اذية للناس في الطريق وتعرضوا للحرم حتى
انهم هجموا على النساء في الحمامات فخلصهن منهم العامة بعد جهد جهيد

دخول الملك طغرلبك على بنت الخليفة

لما استقر الملك طغرلبك ببغداد ارسل وزيره عميد الملك الى الخليفة يطالبه
بنقل السيدة من الدار العزيزة النبوية الى دار المملكة فمنع الخليفة من ذلك
وقال انكم انما سالتم ان يحصل العقد فقط لحصول التشريف ولا تلزم لنا
بخدمة المطالبة بها فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك وارسل الملك
زيادة على النقد مائة الف دينار وخمسين الف درهم وتحفا اخر واشياء لطيفة
فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر من هذه السنة زفت السيدة ابنة
الخليفة الى دار المملكة وضربت لها السرادقات من دجلة الى دار المملكة وضربت

الدبادب والبوقات عند دخولها دار المملكة وكانت ساعة عظيمة فاجلست على سرير مكلل
بالذهب وعلى وجهها برقع ودخل الملك طغرلبك فوقف بين يديها وقبل الارض ولم
يتمرله ولم يره فلم يجلس حتى انصرفت الى الصحن الدار والحجاب والاتراك يرقصون هنالك
فرحا وسرورا وبعث لها مع الخاتون ارسلان ابنة اخيه زوجة الخليفة عقدين فاخرين
وقطعة ياقوت حمرا كبيرة مما يلة ودخل من الغد فقبل الارض وجلس على سرير مكلل
بالفضة بازائها ساعة ثم خرج وارسل لها جواهر نفيسة كثيرة مثمنة وفرجية نسيج
مكللة بالحب وما زال كذلك كل يوم يدخل فيقبل الارض ويجلس على سرير بازائها ثم
يخرج فيبعث التحف والهدايا ولم يكن منها اليها شي وعمل كل يوم من هذه الايام السبعة
سماطا عظيما وخلع في يوم السابع على جميع الامرا ثم عرض له سفر واعتراه مرض فاستاذن
الخليفة بالانصراف بالسيدة فمعها الى تلك البلاد مدة قريبة ثم يعودا بها فاذن له بعد
تمنع شديد وحزن عظيم فخرج بها معه وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة برسم
خدمتها ونال والدها لفقدها الما عظيما جدا لا يعبر عنه وخرج السلطان وهو مريض
مدنف ايوس منه مشتغل لا ترجى منه العافية فلما كانت ليلة الاحد الرابع والعشرين
من رمضان جاء الخبر بانه توفي الملك طغرلبك في ثامن الشهر فثارت العيارون فقتلوا
العميد الشحنة وسبعماية من اصحابه ونهبوا الاموال وجعلوا ياكلون ويشربون على القتلى
نهارا حتى انسلخ الشهر لعنهم الله وقبحهم واخذت البيعة بعده لولد اخيه سليمان بن داود
وكان طغرلبك قد نص عليه واوصى اليه لانه كان قد تزوج بامه بعد ابيه داود فاختلفت
الكلمة واختلفت الامرا والاتراك الاموال في الخلع ولم يتفق عليهم خوف الامر حتى جاء اخي
سليمان وهو الملك عضد الدولة الب ارسلان محمد بن داود وكان الجيش كانوا يميلون اليه
ويقبلون عليه وقد خطب له اهل الجبل ومعه نظام الملك ابي علي الحسن بن علي بن اسحاق وزير
ولما راى الكندري قوة امره خطب له بالري ثم من بعده لاخيه سليمان بن داود وقد كان
الملك طغرلبك عاقلا حليما كثير الاحتمال شديد الكتمان للسر محافظا على الصلوات
وعلى صوم الاثنين والخميس مواظبا على لبس البياض وكان عمره يوم مات سبعين سنة
ولم يترك ولدا وكان مدة ملكه بحضرة العامة سبع سنين واحد عشر شهرا واثني
عشر يوما ولما مات اضطربت الاحوال وانتقضت الامور بعده جدا وعاثت
الاعراب في سواد بغداد وارض العراق ينهبون الاموال ويسلبون الرجال وتعذرت
الزراعة الا على المخاطرة فانزعج الناس لذلك وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسط
وارض الشام فهدمت قطعة من سور طرابلس وفيها وقع موتان بالجدري والفجاة
ووقع بمصر وبا شديد كان يخرج منها في كل يوم الف جنازة وفيها ملك الصليحي
صاحب اليمن مكة وجلب الاقوات اليها واحسن الى اهلها وفي اوايل هذه السنة طلبت
الست ارسلان خاتون زوجة الخليفة النقلة من عنده الى عند عمها وذلك لما
هجرها الخليفة وبارت عنده فبعثها الخليفة مع الوزير الكندري فلما وصلت الى عمها
كان مريضا مدنفا مشتغلا فارسل الى الخليفة يعتب عليه في هجرتها ومجانبتها فكتب اليه
الخليفة يقول ارتجالا

ومنبت شرفي وولي الغرام ... وارتجاع الشباب ما لا يرام

اذ منبت مني الليالي جديداه ... والليالي يضعفن والايام
نعلي ما عهدته من شبابي ... وعلى الغانيات مني السلام

وممن توفي فيها من المشاهير

زهير بن علي بن حرام ابو نصر الحاجي ورد بغداد فتفقه على الشيخ ابي حامد الاسفرايني
وسمع بالبصرة سنن ابي داود وعلى القاضي ابي عمر وحدث بالكثير وكان يرجع اليه في الفتاوى
وحل الاشكالات وكانت وفاته في رجب من هذه السنة سعيد بن مروان صاحب
آمد يقال انه سم فاتهم سعيد صاحب ميافارقين ممن سقاه فقطعه
قطعا الملك الكبير ابو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملك طغرلبك
وكان اول ملوك السلاجقة وكان خيرا مصليا محافظا على الصلاة في اوقاتها
يديم صيام الاثنين والخميس حليما عمن اساء اليه كتوما للاسرار سعيدا في حركاته
ويقال انه ملك في ايام مسعود بن محمود بن سبكتكين عامة بلاد خراسان واستناب
اخاه داود واخاه لامه ابراهيم ينال واولاد اخوته على كثير من البلاد ثم استدعاه
الخليفة لملك العراق حين فسدت الحال ببغداد من البساسيري وضعف الملك
الرحيم فقدمها وجلس له الخليفة وخلع عليه سبع خلع ولقبه بملك المشرق والمغرب
ثم اشتغل بقتال اخيه ابراهيم حتى كان من امر البساسيري ما ذكرناه في سنة خمسين
والتي تليها ثم ظفر باخيه ابراهيم فقتله ثم عاد الى بغداد واستعاد مما واعاد
الخليفة من حديثه الى دار خلافته وهو من حسناته ثم سعى في التزويج ببنت
الخليفة فتزوجها على تمنع كثير من الخليفة ودخل بها في هذه السنة ففرح فرحا
شديدا كما ذكرنا ولكنه لم يتمتع بها فانه عرض له مرض فتلف واستمر به حتى كانت وفاته
في ثامن رمضان من هذه السنة وله من العمر سبعون سنة وكان له في الملك ثلاثين
سنة منها في مملكة العراق ثمان سنين الا ثمانية عشر يوما

ثم دخلت سنة ست وخمسين واربعمائة

فيها قبض السلطان الب ارسلان على وزير عمه عميد الملك الكندري وسجنه
في بعض القلاع مدة ثم ارسل اليه من قتله واعتمد في الوزارة على نظام الملك
وكان وزيرا صدوقا مكرما للعلما والفقرا ولما عصى الملك شهاب الدولة قتلمش
وخرج عن الطاعة وطمع في اخذ الملك من الب ارسلان وكان من بني عم طغرلبك جمع
جنده واحتفل له الب ارسلان قال له الوزير ايها الملك لا تخف فاني قد استخدمت
لك جندا ليليا يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم وهم
العلما والصلحا فطابت نفسه بذلك وحين التقى مع قتلمش لم ينظره ان كسره
وقتل خلقا من جنوده وقتل قتلمش في المعركة واجتمعت الكلمة على الب ارسلان
وفيها ارسل ولده ملكشاه ووزيره نظام الملك ومعه جنود عظيمة الى بلاد
الكرج ففتحوا حصونا كثيرة وغنموا اموالا جزيلة جدا وفرح المسلمون بنصرهم وكتب
كتاب ولده على ابنة الخان الاعظم صاحب ما وراء النهر وزفت اليه وزوج ولده
الاخر بابنة صاحب غزنة واجتمع شمل البيتين السلجوقي والمحمودي وفيها
اذن الب ارسلان للسيدة ابنة الخليفة في الرجوع الى بغداد وارسل معها بعض

القضاة والامرا وقد دخلت بغداد في تجمل عظيم وخرج الناس للنظر اليها وقد خلت
ليلة ابنة عظيمة ففرح الخليفة واهل بغداد بذلك فرحا شديدا وامر الخليفة بالدعا
للملك الب ارسلان على المنابر في الخطب فقيل في الدعا اللهم واصلح السلطان
المعظم عضد الدولة وتاج الملة ابا شجاع محمد بن داود وجلس الخليفة للناس
جلوسا عاما وبايعهم للملك الب ارسلان وارسل اليه بالخلع والتقليد مع التشريف
نقيب النقبا طراد بن محمد الزينبي وابي محمد التميمي وموفق الخادم ولقب الوزير
نظام الملك قوام الدولة والدين رضي امير المومنين وانما كان يقال له قبل ذلك
خواجه بزرك وارسل الملك الب ارسلان بالهدايا العظيمة والتحف النفيسة
المفتخرة واستقر امره على بغداد وجميع بلاد العراق قال ابن الجوزي وفي ربيع الاول
شاع ببغداد ان قوما من الاكراد خرجوا يتصيدون فراوا في البرية خيما سودا وسمعوا
فيها لطما وعويلا كثيرا وقايلا يقول قد مات سيدوك ملك الجن واي بلد لم يلطم عليه
ولم يقم له ماتم فيه قلع اصله واهلك اهله قال فخرج النسا العواهر من حريم
بغداد الى المقابر يلطمن ثلاثة ايام ويخرقن ثيابهن وينشرن شعورهن وخرج
رجال من السفسافة يفعلون ذلك وفعل هذا في واسط وخوزستان وغيرها من
البلاد قال وكان هذا من الحمق لم ينقل مثله قال ابن الجوزي وفي يوم الجمعة
ثاني عشر شعبان هجم قوم من اصحاب عبد الصمد على ابي علي بن الوليد المدرس للمعتزلة
فسبوه وشتموه لامتناعه من الصلاة في الجامع وتدريسه لهذا المذهب واهانوه
وجروه ولعنت المعتزلة بجامع المنصور وجلس ابو سعد بن ابي عمامة فلعن المعتزلة
نجحه الله وفي شوال ورد الخبر بان السلطان غزا بلدا عظيما فيه ستماية الف دار
والف بيعة ودير وقتل منهم خلقا كثيرا واسر خمسماية الف انسان وفي ذي القعدة
حدث وبا عظيم ببغداد وغيرها من بلاد العراق وغلت الاسعار التي يتداوى بها وعدم
الشيرخشك وقل التمرهندي وزاد الحر في تشارين وفسد الهوا وفي هذا الشهر
خلع على ابي الغنايم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي في بيت النوبة بنقابة الطالبيين
والحج والمظالم ولقب بالطاهر ذي المناقب وقري تقليده بالموكب وحج بالناس في هذه
السنة ولله الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الاعيان

ابن حزم الظاهري

هو الامام الحافظ العلامة ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن
خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن ابي سفيان صخر بن حرب الاموي اصل
جده يزيد هذا فارسيا اسلم وخلف المذكور اول من دخل منهم بلاد المغرب وكانت بلدهم
قرطبة وولد ابن حزم هذا في سلخ رمضان من سنة اربع وثمانين وثلثماية فقرا القران
واشتغل بالعلوم الشرعية وبرز فيها وفاق اهل زمانه وصنف الكتب المشهورة يقال انه
جمع اربعماية مجلدة من تصنيفه في قريب من ثمانين الف ورقة وكان اديبا طبيبا شاعرا
فصيحا له في الطب والمنطق وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة وكان
مصاحبا للشيخ ابي عمر بن عبد البر النمري ومناويا للشيخ ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي

وقد جرت بينهما مناظرات يطول شرحها وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلما بلسانه
وفي قلمه ايضا فاورث ذلك حقدا في قلوب اهل زمانه وما زالوا به حتى بغضوه الى ملوكه
فطردوه عن بلاده حتى كانت وفاته في قرية له في ثاني شعبان من هذه السنة وقد جاوز
السبعين والعجب كل العجب انه كان ظاهريا جامدا في الفروع لا يقول بشي من الاقيسة
الجلية ولا غيرها وهذا الذي وضعه عند العلما وادخل عليه خطا كبيرا في نظره وتصرفه
وكان مع هذا اشد الناس تاويلا في باب الاصول لانه كان قد تضلع اولا من علم المنطق اخذه
عن محمد بن الحسن المذحجي الكناني القرطبي ذكره ابن ماكولا وابن خلكان عبد الواحد بن علي
بن برهان ابو القسم النحوي كان سي الاخلاق جدا لم يلبس سراويل قط ولا غطى راسه
ولم يقبل عطا احد وذكر عنه انه كان يقبل المرد في غير ريبة قال ابن عقيل وكان يختار
مذهب مرجيا المعتزلة وينفي عذاب جلود الكفار ويقول دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه
التشفي لا وجه له مع ما وصف به نفسه من الرحمة ويتاول قوله تعالى خالدين فيها ابدا اي
ابدا من الاباد قال ابن الجوزي وقد كان ابن برهان يقدح في اصحاب احمد ويخالف
اعتقاد المسلمين لانه قد خالف الاجماع في هذا فكيف يقبل كلامه توفي في هذا العام
وقد نيف على الثمانين

ثم دخلت سنة سبع وخمسين واربعماية

فيها كان مقتل عميد الملك الكندري وهو منصور بن محمد ابو نصر وزير طغرلبك وقد
كان مسجونا له تامة ولما قتل حمل فدفن عند ابيه بقرية كندر من عمل طريثيث
وليست بكندر التي بالقرب من قزوين واستحوذ السلطان على امواله وحواصله وقد
كان ذكيا فصيحا شاعرا اديبا فاضلا جيد الحاضر الجواب سريعه لما ارسله الملك طغرلبك
الى الخليفة يخطب اليه ابنته امتنع الخليفة من ذلك اشد الامتناع وانشد متمثلا
بقول الشاعر

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

فاجابه الوزير تمامه فقوله

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فسكت الخليفة واطرق وكان عمر الكندري حين قتل نيفا واربعين سنة ومن شعره

ان كان بالناس ضيق عن منافستي
فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعني
كل لكاس المنايا شارب حاسي

وقد كان الملك طغرلبك بعثه مرة ليخطب له امراة خوارزمشاه فتزوجها هو فخصاه
واقره على عمله وقد دفن ذكره بخوارزم وسفح دمه حين قتل بمرو الروذ ودفن جسده بكندر
وحمل راسه فدفن بنيسابور ونقل قحف راسه الى كرمان وفيها سار جماعة للحج بخفارة فلم
يمكنهم السير فعدلوا الى الكوفة ورجعوا وفي ذي الحجة منها شرع في بنا المدرسة النظامية
ببغداد ونقضت لاجلها دور كثيرة من مشرعة الزوايا وباب البصرة وفيها كانت حروب
كثيرة بين تميم بن المعز بن باديس وولاة دولة العرب والمغاربة وصنهاجة وفيها تزوج

بالناس في هذه السنة من بغداد النقيب ابو الغنائم

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين واربعمائة

في يوم عاشوراء اغلق اهل الكرخ دكاكينهم واحضروا نساء ينحن على الحسين كما جرت به سالف عاداتهم من البدعة المتقدمة فحين وقع ذلك انكرته العامة وطلب الخليفة ابا الغنائم النقيب الطاهري وانكر عليه ذلك فاعتذر بانه لم يعلم به وانه حين علم به ازاله وتردد اهل الكرخ الى الديوان يعتذرون من ذلك ويتنصلون منه وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة ويظهر البدع قال ابن الجوزي وفي ربيع الاول ولدت امراة صبية لها راسان ووجهان ورقبتان واربع ايدي على بدن كامل ثم ماتت قال وفي جمادى الاخرة كانت زلزلة بخراسان لبثت اياما تصدعت منها الجبال واهلكت جماعة وخسفت بعدة قرى وخرج الناس الى الصحراء واقاموا هنالك ووقع حريق بنهر معلى من بغداد فاحترق مائة دكان وثلاث دور وذهب للناس شي كثير ونهب الناس بعضهم بعضا قال ابن الجوزي وفي شعبان وقع نار في دمشق فاحترق دار اكانت مجاورة للجامع بالنار فاحترق جامع دمشق كذا قال ابن الجوزي والمشهور ان حريق جامع دمشق انما هو في سنة احدى وستين واربعمائة بعد ثلاث وستين واربعمائة بعد ثلاث سنين وان غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فالقيت نار بدار الامارة وهي الخضراء فاحترقت وتعدى حريقها حتى وصل الى الجامع فسقطت سقوفه وزخرفته وبقي كانه خرابة وبادت الخضراء فصارت كوما من تراب بعدما كانت في غاية الاحكام والاتقان وطيب الفناء وحسن البناء وهي الى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها الا سفلة الناس وسقاطهم بعدما كانت دار الملك والامارة منذ اسسها معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه واما الجامع فانه لم يكن على وجه الارض بناء احسن منه الى ان احترق فبقي خرابا مدة ثم شرع الملوك في تجديده وترميمه حتى تلطف في ايام العادل ابي بكر ولم تزل في تحسين معالمه الى زماننا هذا فتماثل حاله بعض الشي الى ان احترقت في ايام الامير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري في حدود سنة ثلثين وسبعماية وما قبلها وما بعدها بيسير وفيها رخصت الاسعار ببغداد رخصا بينا ونقصت دجلة نقصانا بينا وفيها اخذ الملك البارسلان العهد بالملك من بعده لولده ملكشاه ومشى بين يديه بالغاشية والامراء بين يديه يمشون بالخلع فكان يوما مشهودا وحج بالناس في هذه السنة نور الهدى ابو طالب الحسين بن نظام الحضرتين ابي الحسن محمد بن الزينبي وجاور بمكة

وممن توفي فيها من الاعيان

الحافظ الكبير ابو بكر البيهقي

احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى ابو بكر البيهقي احد الحفاظ الكبار وله التصانيف التي سارت بها الركبان الى سائر الامصار والاقطار ولد سنة اربع وثمانين وثلثماية وكان واحد زمانه في الاتقان والحفظ والتصنيف فقيها محدثا اصوليا واخذ العلم عن الحاكم ابي عبد الله النيسابوري وسمع على غيره شيا كثيرا وجمع اشيا

كثيرة جدا نافعة لم يسبق الى مثلها ولا يدرك فيها من ذلك كتاب السنن الكبير ونصوص الشافعي كل في عشرة مجلدات والسنن والاثار والمدخل والاداب وشعب الايمان والخلافيات ودلائل النبوة وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة التي لا تسامى ولا تدانى وكان زاهدا متقللا كثير العبادة والورع وقد كانت وفاته بنيسابور ونقل تابوته الى بيهق في جمادى الاولى من هذه السنة الحسن بن علي بن غالب بن منصور بن صعلوك ابو علي التميمي ويعرف بابن المبارك المقرى صاحب ابن سمعون له قراءات على حروف انكرت عليه وجرت عليه الكذب اما عمدا واما خطا واتهم في روايات كثيرة وكان ابو الحسن الغزنوي ممن ينكر عليه وكتب عليه محضرا لزم بعد الاقرار بالحروف المنكرة قال ابو محمد بن السمرقندي كان كذابا وكانت وفاته في هذه السنة عن اثنين وثمانين سنة ودفن عند ابراهيم الحربي قال ابن خلكان واخذ الفقه عن ابي الفتح ناصر بن محمد العمري ثم غلب عليه الحديث واشتهر به ورحل في طلبه

القاضي ابو يعلى ابن الفرا الحنبلي

محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن احمد ابو الفرا القاضي ابو يعلى شيخ الحنابلة وممهد مذهبهم في الفروع ولد في محرم سنة ثمانين وثلثماية وسمع الحديث الكثير وحدث عن ابن حبابة قال ابن الجوزي وكان من سادات الثقات وشهد عند ابن ماكولا وابن الدامغاني فقبلاه وتولى النظر في الحكم بحريم دار الخلافة وكان اماما في الفقه له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب احمد ودرس وافتى سنين وانتهى اليه المذهب وانتشرت تصانيفه واصحابه وجمع الامامة والفقه والصدق وحسن الخلق والتعبد والتقشف والخشوع وحسن السمت والصمت عما لا يعنى وكانت وفاته في العشرين من رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة واجتمع في جنازته الفقهاء والاعيان من الفقهاء والشهود وكان يوما حارا فافطر من تبع جنازته ذلك وترك من البنين عبيد الله ابا القاسم وابا حازم وابا الحسين ورآه بعضهم في المنام فقال ما فعل بك ربك فقال رحمني وغفر لي ورفع منزلتي واكرمني وجعل يعد ذلك باصابعه فقال بالعلم فقال بل بالصدق ابن سيده صاحب المحكم في اللغة هو ابو الحسن علي بن اسماعيل المرسي كان اماما حافظا في اللغة وكان ضريرا البصر اخذ علم العربية عن ابيه وكان ضريرا ايضا ثم اشتغل على ابي العلا صاعد البغدادي وله المحكم في مجلدات عديدة وله شرح الحماسة في ست مجلدات وغير ذلك وقرا على الشيخ ابي عمر كتاب الغريب لابي عبيد سردا من حفظه والشيخ يقابل بنسخته بما يقرا فسمع الناس يقرا انه من حفظه وتعجبوا لذلك وكانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنة وله ستون سنة وقيل انه توفي سنة ثمان واربعين والاول اصح

ثم دخلت سنة تسع وخمسين واربعمائة

فيها بنى ابو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك مشهد الامام ابي حنيفة النعمان ببغداد وعقد عليه قبة وعمل بازائه مدرسة وانزلها المدرس والفقها فدخل ابو جعفر بن البياضي زائرا فانشد عند ذلك ارتجالا

• المنزل العلم كان مضيعا • فجمعه هذا المغيب في اللحد •
• كذلك كانت هذه الارض ميتة • فانشرها جود العميد ابي سعد •

وفي شعبان هبت ريح باردة مات بسببها خلق كثير وزادت ببغداد واتلفت شجرا ببغداد من الليمون والاترج وفيها احترق قبر معروف الكرخي وكان سبب ذلك ان القيم طبخ له ما الشعير لمرضه فتعلقت النار الى الاخشاب فاحترق المشهد بكماله ووقع الفنا في الدواب فتنتفخ روسها واعينها حتى كانوا ياخذون حمر الوحش بالايدي ولكن يانفون من اكلها قال ابن الجوزي في المنتظم ويوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد ابو سعد الناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد وعين لمشيختها ابو اسحاق الشيرازي فلما تكامل اجتماع الناس وذهب ليتم ليدرس لقيه فقيه شاب فقال له يا سيدي تدرس في مكان مغصوب فامتنع من المسير ورجع الى بيته فاقيم الشيخ ابو نصر بن الصباغ ندرس فلما بلغ نظام الملك ذلك تغيظ على العميد وارسل الى الشيخ ابي اسحاق فرده الى التدريس بالنظامية في ذي الحجة من هذه السنة وكان لا يصلي فيها مكتوبة بل يخرج الى بعض المساجد فيؤدي المكتوبة لما ذكر من كونها في بعض ارضها غصب وكانت مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما حتى عاد الشيخ ابو اسحاق وفي ذي القعدة من هذه السنة قتل الصليحي امير اليمن وصاحب مكة قتله بعض امرا اليمن وخطب بها للقادر بالله العباسي وحج بالناس ابو الغنائم النقيب وممن توفي فيها محمد بن اسماعيل بن محمد ابو علي الطرسوسي ويقال له العراقي لطرفه وطول مقامه بها سمع الحديث من ابي طاهر المخلص وتفقه على ابي محمد الباقي ثم على الشيخ ابي حامد الاسفرايني وولي قضا بلده طرسوس وكان من الفقها الفضلا المبرزين

سنة ستين واربعماية من الهجرة النبوية

قال ابن الجوزي وفي جمادى الاولى كانت زلزلة بارض فلسطين اهلكت بلد الرملة ورمت شرافتين من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحقت وادي الصفرا وخيبر وانشقت الارض عن كنوز من المال وبلغ حسها الى الرحبة والكوفة وجا كتاب بعض التجار فيه هذه الزلزلة ويقول انها خسفت الرملة جميعها حتى لم يسلم منها الا داران فقط وهلك منها خمسة عشر الف نسمة وانشقت الصخرة التي ببيت المقدس ثم عادت فالتامت بقدرة الله تعالى وغار البحر مسيرة يوم وساح في البر وخرب الدنيا ودخل الناس الى ارضه يلتقطون فرجع عليهم فاهلك خلقا كثيرا منهم وفي يوم السبت النصف من جمادى الاخرة قرئ الاعتقاد القادري الذي فيه مذاهب اهل السنة والجماعة والانكار على اهل البدعة وقرا ابو مسلم الليثي البخاري المحدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين وذلك بمحضر الوزير ابن جهير وجماعة الاعيان من الفقها واهل الكلام واعترفوا بالموافقة ثم قرئ الاعتقاد القادري على الشريف ابي جعفر بن المهتدي بالله بباب البصرة وذلك لسماعه له من الخليفة القادر بالله مصنفه وفيها عزل الخليفة وزيره ابا نصر محمد

ابن محمد بن جهير الملقب بفخر الدولة وبعث اليه يعاتبه في اشيا كثيرة فاعتذر منها واخذ في الترفق والتذلل فاجيب بان يرحل الى اي الجهات شا فاختار حلة ابن مزيد فباع اصحابه دوابهم واملاكهم وطلقوا نساهم واخذ اولاده واهله وجا ليركب في سميرية ليتحدر منها الى الحلة والناس ينظرون يبكون لبكائه فلما اجتاز بدار الخلافة قبل الارض مرات والخليفة في الشباك والوزير يقول يا امير المومنين ارحم شيبتي وغربتي واولادي وعيالي فاعيد الى الوزارة بشفاعة دبيس بن مزيد في السنة الاتية واستدحه الشعرا وفرح الناس برجوعه الى الوزارة وكان يوم دخوله بغداد يوما مشهودا لكثرة الناس وبكايهم فرحا بقدومه عبد الملك بن محمد بن يوسف ابو منصور الملقب بالشيخ الاجل كان اوحد زمانه في القيام بالمعروف والمبادرة الى فعل الخيرات واصطناع الايادي عند اهلها من اهل السنة وفي شدة القيام على اهل البدع وقمعهم وافتقاد المستورين بالبر والصدقة على المحاويج واحفاده للتجهيز وطا قيد ومن غريب ما وقع انه كان يبر انسانا في كل سنة بعشرة دنانير يكتب بها الى رجل يقال له ابن رضوان فلما توفي جا الرجل الى ابن رضوان فطلب منه ما كان يصرف اليه عليه فقال له ابن رضوان انه قد مات ولا اقدر ان اصرف عليك شيا فذهب الرجل الى قبر الشيخ الاجل فقرا شيا من القران وترحم عليه ثم انصرف فاذا انه بكاغد فيه عشرة دنانير فاخذها وجا بها الى ابن رضوان فذكر له ذلك فقال له ابن رضوان هذه سقطت مني اليوم فخذها ولك علي مثلها في كل عام وقد كانت وفاته في المنتصف من المحرم عن خمس وستين سنة وكان يوما مشهودا حضره خلق من الناس لا يعلم عددهم الا الله عز وجل رحمه الله واكرم مثواه ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي فقيه الشيعة توفي في هذه السنة ودفن بمشهد علي وقد كان مجاورا به حين احترقت داره بالكرخ وكتبه في سنة ثمان واربعين الى المحرم من هذه السنة فتوفي ودفن هناك خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الواعظة المعروفة بانشا هجانية ولدت سنة اربع وسبعين وثلثماية وكانت صالحة صادقة وكانت قد صحبت ابن سمعون وروت عنه وعن ابن شاهين ودفنت الى جانب ابن سمعون رحمهما الله ابو القاسم عمر بن محمد بن احمد بن عكرمة البزري الجزري شيخ الشافعية بها وكان يلقب زين الدين جمال الاسلام دخل بغداد فاخذ عن الكيا الهراسي والغزالي الشاشي صاحب المستظهري وجمع كتابا على المهذب وذكر فيه اشكالاته واسوله واسما رجاله ولغته وهو في مجلد على ما ذكره القاضي ابن خلكان ورحلت اليه الطلبة من كل ناحية وكان احفظ الناس في وقته لمذهب الشافعي توفي في هذه السنة رح

ثم دخلت سنة احدى وستين واربعماية

في ليلة النصف من شعبان من هذه السنة كان حريق جامع دمشق وكان سببه ان غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فيما بينهم فالقيت نار بدار الملك وهي الخضرا المتاخمة للجامع من جهة القبلة فاحترقت وسرى حريقها الى الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المذهبة التي على جدرانه وتقلعت الفسيفسا التي كانت في ارضه وتغيرت معالمه ومحاسنه وتبدلت بهجته بضدها وقد كانت سقوفه

مذهبة مبطنة كلها والجملونات من فوقها وجدرانه بالفصوص المذهبة والملونة منصوص
فيها جميع بلاد الدنيا الكعبة ومكة فوق المحراب والبلاد كلها شرقا وغربا كل في مكانه
اللائق به وفيه كل شجرة مثمرة وغير مثمرة مشكل مصور في بلدانه واوطانه والستور مرخاة
على ابوابها النافذة الى الصحن وعلى اصول الحيطان الى مقدار الثلث منها وباقي الجدار
بالفصوص الملونة وارضه كلها بالفصوص الرخام والفسيفسا ولم يكن في الدنيا
بنا احسن منه لا قصور الملوك ولا غيرها من دور الخلفا وغيرهم ثم لما وقع هذا تبدل
الحال الكامل بضده وصارت ارضه طينا في زمن الشتا وغبارا في زمن الصيف محفورة
مجورة ولم يزل كذلك حتى بلط في زمن العادل ابي بكر بن ايوب بعد الستماية وكان جميع
ما سقط منه من الرخام وغيره من الاخشاب مودعا في المشاهد الاربعة شرقية وغربية
حتى فرغها من ذلك القاضي كمال الدين الشهرزوري في زمن الملك العادل نور الدين
محمود بن زنكي حين ولاه نظره مع القضا ونظر الاوقاف كلها ونظر دار الضرب وغير
ذلك ولم تزل الملوك تجدد محاسنه الى زماننا هذا فعاد بحاله في زمن السيفي الامير
سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري نايب الشام اثابه الله تعالى وقد ارخ الشيخ
ابو الفرج بن الجوزي في المنتظم هذا الحريق في سنة ثمان وخمسين وتبعه ابن الساعي
في تاريخه والصواب انه في هذه السنة كما ذكره ابن الساعي ايضا في هذه السنة وشيخنا
الحافظ ابو عبد الله الذهبي مورخ الاسلام في تاريخه وغير واحد والله اعلم بالصواب
وفيها نقمت الحنابلة على الشيخ ابي الوفا بن عقيل وهو من كبرايهم تردده الى ابي علي
ابن الوليد المتكلم المعتزلي واتهموه بالاعتزال ولا شك انه لم يكن يتردد اليه
الا ليحيط علما بمذهبه ولكن سرقه الهوى وصارت فيه نزعة منه وجرت بينهم فتنة
طويلة تاذى بسببها جماعة منهم وما سكنت الفتنة الا سنة خمس وستين ثم
اصطلحوا فيما بينهم بعد اختصام كثير وفيها زادت دجلة على احدى وعشرين ذراعا
حتى دخلت مشهد ابي حنيفة ومشهد النذور وفيها ورد خبر بان الافشين دخل بلاد
الروم حتى انتهى الى عمورية فقتل خلقا وغنموا اموالا كثيرة وفيها كان رخص عظيم بالكوفة
حتى ابيع السمك كل اربعين رطلا بحبة وحج بالناس ابو الغنايم العلوي

وممن توفي فيها من الاعيان

والمشاهير الفوراني صاحب الابانة

ابو القسم عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن فوران الفوراني المروزي احد ايمة الشافعية
ومصنف الابانة التي فيها من النقول الغريبة والاقوال والاوجه التي لا توجد الا فيها
كان بصيرا بالاصول والفروع اخذ الفقه عن ابي بكر القفال وحضر امام الحرمين عنده
وهو صغير فلم يلتفت اليه فصار في نفسه منه فهو يخطيه كثيرا في النهاية قال
القاضي ابن خلكان مهما قال في النهاية وقال بعض المصنفين كذا وشرع في تخطيته
فمراده الفوراني وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة بمرو عن ثلاث وستين سنة
وقد كتب تلميذه ابو سعد عبد الرحمن بن محمد بن المامون المتولي مدرس النظامية
بعد الشيخ ابي اسحاق وقبل ابن الصباغ وبعده ايضا كتابا على الابانة سماه تتمة
الابانة انتهى فيه الى كتاب الحدود ومات قبل اتمامه فتمم عليه اسعد العجلي وغيره فلم

يحققوا

يحققوا شاوه وسموه تتمة التتمة

ثم سنة ثنتين وستين واربعمائة

قال ابن الجوزي فمن الحوادث فيها انه كان على ثلاث ساعات من يوم الثلثا الحادي
عشر من جمادى الاولى وهو الثامن عشر من ازار كانت زلزلة عظيمة بالرملة واعمالها
فذهب اكثرها وانهدم سورها وعم ذلك بيت المقدس وتنيس وانخسفت
ايلة وانجفل البحر حتى انكشفت ارضه ومشى ناس فيه ثم عاد وتغيرت احدى زوايا
جامع مصر وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان اخريان وفيها توجه ملك
الروم من قسطنطينية الى الشام في ثلثماية الف فنزل على منبج واحرق القرى
ما بين منبج الى ارض الروم وقتل رجالهم وسبى نساهم وفزع المسلمون بحلب
وغيرها فزعا عظيما فاقام ستة عشر يوما ثم رده الله خاسيا وذلك لقلة
ما معهم من الميرة وهلاك اكثر جيشه بالجوع ولله الحمد والمنة وفيها ضاقت يد امير
مكة فاخذ الذهب من استار الكعبة والميزاب وباب الكعبة فضرب ذلك دراهم
ودنانير وكذلك فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي على صاحبه
افضل الصلاة والسلام وفي هذه السنة كان غلا شديد وقحط عظيم بديار مصر
بحيث انهم اكلوا الجيف والميتات والكلاب فكان يباع الكلب بخمسة دنانير
وماتت الفيلة فاكلت وافنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة
افراس بعد العدد الكثير ونزل الوزير يوما عن بغلته فغفل الغلام عنها لضعفه
من الجوع فاخذها ثلاثة نفر فذبحوها واكلوها فاخذوا فصلبوا فاصبحوا واذا
عظامهم بادية قد اكل الناس لحومهم وظهر على رجل يقتل الصبيان والنسا ويدفن
روسهم واطرافهم ويبيع لحومهم فقتل وكانت الاعراب يقدمون بالطعام فيبيعونه
ظاهر البلد لا يتجاسرون يدخلون لئلا يختطف من ايديهم واحتاج صاحب
مصر حتى باع اشيا كثيرة من نفايس ما عنده من ذلك احد عشر الف درع وعشرون
الف سيف محلى وثمانون الف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون الف قطعة
من الديباج القديم وابيعت ثياب النسا وصحف المهود وابيع ذلك بارخص
الاثمان وكذلك الاملاك وغيرها وكان بعض هذه النفايس من الخليفية
مما نهب من بغداد ايام البساسيري وفيها وردت الخدم والتحف والهدايا
من الملك الب ارسلان الى الخليفة القايم بامر الله وفيها ضرب اسم ولي العهد
على الدنانير وسمي الامري ومنع التعامل بغيرها وفيها ورد كتاب صاحب مكة الى الملك
الب ارسلان وهو بخراسان يخبره باقامة الخطبة القايم بامر الله وللسلطان بمكة
وقطع الخطبة للمصري فارسل اليه بثلاثين الف دينار وخلع سنية واجرى له في كل
سنة عشرة الاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك
بالري ثم عاد الى بغداد وحج بالناس ابو الغنايم العلوي

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن علي بن محمد ابو علي ابو الجوايز الواسطي سكن بغداد دهرا طويلا وكان اديبا
شاعرا ظريفا وله سنة ثنتين وخمسين وثلثماية وتوفي هذه السنة عن ماية

وعشر سنين ومن مستجاد شعره

واحربا من قولها ... قد خان عهدي ولها
وحق من صيرني ... وقفا عليها ولها
ما خطرت بخاطري ... الا كستني ولها

محمد بن احمد بن سهل المعروف بابن بشران النحوي الواسطي ولد سنة ثمانين وثلثمائة وكان عالما بالادب وانتهت اليه الرحلة في اللغة وله شعر حسن فمن ذلك قوله

يا شايد القصور مهلا ... اقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل اهل قصر ... الا قصاراهم الشتات
وانما العيش مثل ظل ... منتقل ما له ثبات

وقوله

ودعتهم ولي الدنيا مودعة ... ورحت ما لي سوى ذكراهم وطر
وقلت يا لذتي بيني لبينهم ... فان صفو حياتي بعدهم كدر
لولا تعلل قلبي بالرجاء لهم ... الفيته اثر ما بانوا بالعيس ينفطر
يا بين عيسهم يوم الكوخ اخذت ... اولئن بها للصبر بالغلا جزر
يا ساعة البين انت الساعة اقترب ... يا ساعة البين انت النار تستعر

وقوله

طلبت صديقا في البرية كلها ... فاعيا طلابي ان اصيب صديقا
بلى من يسمى بالصديق مجازه ... ولم يك في معنى الوداد صدوقا
فطلقت ود العالمين صريمة ... واصبحت من اسر الحفاظ طليقا

ثم دخلت سنة ثلاث وستين واربعمائة

فيها اقبل ملك الروم ارمانوس في جحافل امثال الجبال من الروم والكرج والفرنج وعدد عظيم وتجمل هائل ومعه خمسة وثلاثون الفا من البطارقة مع كل بطريق مائتا الف فارس ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون الفا ومن الغز الذين يسكنون وراء القسطنطينية خمسة عشر الفا ومعه مائة الف نقاب وحفار والف روزجاري ومعه اربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير والفا عجلة تحمل السلاح والسروج والعرادات والمجانيق منها منجنيق عدة الف ومائتا رجل ومن عزمه قبحه الله ان يبيد الاسلام واهله وقد اقطع بطارقته البلاد حتى بغداد واستوصى نائبها بالخليفة خيرا فقال له ارفق بذلك الشيخ فانه صاحبنا ثم اذا استوسقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام واهله ميلة واحدة فاستعادوه من ايدي المسلمين واستنقذوه فيما يزعمون والقدر يقول لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فالتقاه السلطان الب ارسلان في جيشه وهم قريب من عشرين الفا بمكان يقال له الزهوة في يوم الاربعاء لخمس بقين من ذي القعدة وخاف من كثرة المشركين فاشار عليه الفقيه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بان يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين فلما تواجه الفئتان نزل السلطان عن فرسه وسجد ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره فانزل الله نصره على المسلمين ومنحهم اكتاف المشركين

فقتلوا منهم خلقا لا يحصون كثرة واسر ملكهم ارمانوس اسره غلام رومي فاتى به السلطان واعطاه شيئا كثيرا وقد كان هذا الغلام عرض على نظام الملك الوزير في جملة نقد فلم يقبله فقال له سيده انه والله يشبه غلبه فرده فقال كيشه المستهزي به لعله يجيئنا بملك الروم اسيرا فوقع الامر كما قال ولله الحمد والمنة فلما اوقف ارمانوس بين يدي الملك الب ارسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال لو كنت انا الاسير بين يديك ماذا كنت تفعل قال كل قبيح قال فما ظنك بي قال اما ان تقتلني او تشهرني في بلادك واما العفو واخذ الفداء فبعيد قال ما عزمت على غير العفو والفداء فافتدى نفسه منه بالف الف دينار وقام بين يدي الملك فسقاه شربة وقبل الارض بين يديه والى نحو جهة الخليفة اجلالا واكراما واطلق له الملك عشرة الاف دينار ليتجهز بها واطلق معه جماعة من البطارقة من اصحابه وشيعه فرسخا وارسل معه جيشا يحفظونه ويحوطونه الى بلاده ومعهم راية مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فلما انتهى الى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره فارسل الى السلطان يعتذر اليه وبعث من الذهب والجوهر ما يقارب ثلثمائة الف دينار وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الارمن فاخذه وكحله وارسل الى السلطان فاعلمه بذلك يتقرب اليه به وفيها خطب صاحب حلب محمود بن صالح بن مرداس للقائم بامر الله وللسلطان الب ارسلان معه فبعث اليه الخليفة بالخلع والعهد مع الشريف طراد الزينبي وفيها حج بالناس نور الهدى ابو الغنائم ابن العلوي وخطب بمكة للقائم بامر الله وقطعت خطبة المصريين منها وقد كان يخطب لهم فيها مائة سنة فانقطع ذلك ولله الحمد والمنة

ومن توفي فيها من الاعيان

الحافظ ابو بكر الخطيب

احمد بن ثابت بن علي بن احمد بن مهدي ابو بكر الخطيب البغدادي احد مشاهير الحفاظ وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات العديدة المفيدة نحو من ستين مصنفا ويقال بل مائة مصنف فالله اعلم ولد سنة احدى وتسعين وثلثمائة وقيل سنة اثنتين وتسعين واول سماعه سنة ثلاث واربعمائة ونشأ ببغداد وتفقه على القاضي ابي الطيب الطبري وغيره من اصحاب الشيخ ابي حامد وسمع الحديث الكثير ورحل الى البصرة ونيسابور واصبهان وهمذان والشام والحجاز وسمي الخطيب لانه كان يخطب بدرب ريحان وسمع بمكة على القاضي ابي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت احمد في خمسة ايام ورجع الى بغداد وحظي عند الوزير ابي القاسم ابن المسلمة ولما ادعى اليهود الخيابرة ان معهم كتابا نبويا فيه اسقاط الجزية عنهم اوقف الوزير ابن المسلمة عليه الخطيب ابا بكر على هذا الكتاب فقال هذا كذب فقيل له ما الدليل على ذلك فقال لان فيه شهادة معاوية بن ابي سفيان ولم يكن اسلم يوم خيبر وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة وانما اسلم يوم الفتح وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان توفي عام الخندق سنة خمس فاعجب الناس ذلك وقد سبق الخطيب الى هذا النقد كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد ولله الحمد ولما وقعت فتنة البساسيري ببغداد سنة

حتى خرج منها إلى الشام فأقام بدمشق في المأذنة الشرقية من جامعها يقرأ على الناس الحديث النبوي وكان جهوري الصوت يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها فاتفق أنه قرأ يومًا فضائل العباس فثار عليه الروافض من أتباع الفاطميين فأرادوا قتله فتشفع بالشريف الزينبي فأجاره وكان مسكنه بدار العقيقي ثم خرج من البلد فأقام بمدينة صور فكتب شيئًا من مصنفات أبي عبد الله الصوري بخطه كان يستعيرها من زوجته فلم يزل مقيمًا بالشام إلى سنة ثنتين وستين ثم عاد إلى بغداد فحدث بأشياء من مسموعاته وقد كان سأل الله تعالى بمكة أن يملك ألف دينار وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور وأن يموت ببغداد ويدفن إلى جانب بشر الحافي فبلغه الله ذلك حدث بالتاريخ بجامع المنصور وأنه ملك ذهبًا يقارب ألف دينار وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار فأوصى بها لأهل الحديث وسأل السلطان أن يمضي له ذلك فإنه لا يترك وارثًا فأجيب إلى ذلك وله مصنفات كثيرة مفيدة منها كتاب التاريخ وكتاب الكفاية والجامع وشرف أصحاب الحديث والمتفق والمفترق والسابق واللاحق وتلخيص المتشابه في الرسم وفصل الوصل ورواية الآباء عن الأبناء ورواية الصحابة عن التابعين واقتضاء العلم العمل وقد سردها الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم قال ويقال إن هذه المصنفات أكثرها لأبي عبد الله الصوري فتممها الخطيب وقد كان حسن القراءة فصيح اللفظ عارفًا بالأدب يقول الشعر وقد كان أولًا على مذهب الإمام أحمد فانتقل عنه إلى مذهب الشافعي ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد ويقدح فيهم ما أمكنه وله دسائس عجيبة في ذمهم ثم شرع ابن الجوزي ينتصر لأصحابه بما يطول ذكره وقد أورد من شعر الخطيب قصيدة نقلها من خطه جيدة المطلع حسنة المنزع أولها

لعمرك ما شجاني رسم دار • وقفت به ولا ذكر المغاني
ولا أثر الخيام أراق دمعي • لأجل تذكري عهد الغواني
ولا ملك الهوى يومًا قيادي • ولا عاصيته فثنى عناني
عرفت فعاله بذوي التصابي • وما يلقون من ذل الهوان
فلم أطمعه فيّ وكم قتيل • له في الناس ما يحصى وعاني
طلبت أخا صحيح الود محضًا • سليم الغيب محفوظ اللسان
فلم أعرف من الإخوان إلا • نفاقًا في التباعد والتداني
وعالم دهرنا لا خير فيه • ترى صورًا تروق بلا معاني
ووصف جميعهم هذا فما إن • أقول سوى فلان أو فلان
ولما لم أجد حرًا يواتي • على ما ناب من صرف الزمان
صبرت تكرمًا لقراع دهري • ولم أجزع لما منه دهاني
ولم أك في الشدائد مستكينًا • أقول لها ألا كفي كفاني
ولكني صليب العود عود • ربيط الجأش مجتمع الجنان
أبي النفس لا أختار رزقًا • يجيء بغير سيفي أو سناني
لعز في لظى باغيه يشوى • ألذ من المذلة في الجنان

وقد ترجمه

وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة كعادته وأورد من شعره قوله

لا تغبطن أخا الدنيا لزخرفها • ولا للذة وقت عجلت فرحا
فالدهر أسرع شيء في تقلبه • وفعله بيّن للخلق قد وضحا
كم شارب عسلًا فيه منيته • وكم تقلد سيفًا من به ذبحا

وقد كانت وفاته يوم الاثنين ضحى السابع من ذي الحجة من هذه السنة وله ثنتان وسبعون سنة في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة جوار المدرسة النظامية واحتفل الناس بجنازته وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ودفن إلى جانب قبر بشر الحافي في قبر رجل كان قد أعده لنفسه فسئل أن يتركه للخطيب فشح بنفسه حتى قال له بعض الناس بالله عليك لو قعدت أنت والخطيب إلى بشر أيكما كان يجلسه إلى جانبه فقال الخطيب فقال فاسمح له به فوهبه له فدفن فيه رحمه الله وأكرم مثواه وهو ممن ينشد فيه قول الشاعر

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهدًا • حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وحكى ابن خلكان عن السمعاني أنه توفي في شوال وأنه تصدق بجميع ماله وأوقف كتبه رحمه الله. حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه ثم ترك ذلك وأقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة والإحسان إلى الخلق وبناء المساجد والرباطات وكان السلطان يأتي إليه ويتبرك به ولما وقع الغلاء كان يعمل في كل يوم شيئًا كثيرًا من الخبز والطعام فيتصدق به ويكسو في كل سنة قريبًا من ألف فقير ثيابًا وجبابًا وفراء وكذلك للنساء ويجهز بنات الفقراء الأيتام وأسقط أشياء كثيرة من المكوس والوظائف السلطانية عن نيسابور وأعمالها وهو في غاية التبذل والثياب الأطمار ولم يزل كذلك حتى كانت وفاته ببلده مرو الروذ في هذه السنة تغمده الله برحمته. محمد بن الحسن بن حمزة أبو يعلى الجعفري فقيه الشيعة في زمانه. محمد بن وشاح بن عبد الله أبو علي مولى أبي تمام محمد بن علي بن الحسن الزينبي سمع الحديث وكان أديبًا شاعرًا وكتب للنقيب الكامل وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض ومن شعره

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها • علي ولا أني تحنيت من كبر
ولكنني ألزمت نفسي حملها • لأعلمها أن المقيم على سفر

وممن توفي فيها الشيخ أبو عمر

ابن عبد البر النمري صاحب التصانيف منها التمهيد والاستذكار والاستيعاب وغيرها. ابن زيدون الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الشاعر الماهر الأندلسي القرطبي اتصل بالأمير المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية فحظي عنده وصار عنده مشكورًا في منزلة الوزير وزر له ولده أبو بكر بن أبي الوليد وهو صاحب القصيدة الفراقية المشهورة التي يقول فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
بالأمس كنا ولا نخشى تفرقنا * واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وهي طويلة صنعة قوية مهيجة على البكا لكل من قرأها او سمعها لانه ما من احد من ابناء الدنيا الا وقد فقد خليلا او حبيبا او قريبا او نسيبا ومن شعره

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع * سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعا حظه مني ولو بذلت * لي الحياة بحظي منه لم ابع
يكفيك انك لو حملت قلبي ما * لا تستطيع قلوب الناس يستطع
ته احتمل واستطل اصبر وعز اهن * وول اقبل وقل اسمع ومر اطع

توفي في رجب من هذه السنة واستمر ولده ابو بكر وزيرا للمعتمد بن عباد حتى اخذ ابن تاشفين قرطبة من يده في سنة اربع وثمانين فقتل يومئذ. كريمة بنت احمد بن محمد بن ابي حاتم المروزية كانت عالمة صالحة سمعت صحيح البخاري على الكشميهني وقرأ عليها الائمة كالخطيب وابي المظفر السمعاني

ثم دخلت سنة اربع وستين واربعمائة

فيها قام الشيخ ابو اسحاق الشيرازي مع الحنابلة في الانكار على المفسدين والذين يبيعون الخمور وفي ابطال المواجرات من البغايا وكوتب السلطان في ذلك فجاءت كتبه بالانكار. وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد ارتجت لها الارض ست مرات. وفيها كان غلاء شديد وموتان ذريع في الحيوانات بحيث ان بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بغنمه فاذا هن قد متن كلهن وجاء سيل عظيم وبرد كبار فاتلف شيئا كثيرا من الزروع والثمار بخراسان. وفيها تزوج الامير عدة الدين ولي العهد المقتدي بامر الله ابن الخليفة القائم بامر الله بابنة السلطان الب ارسلان سفري خاتون وذلك بنيسابور وكان وكيل السلطان نظام الملك ووكيل الزوج عميد الدولة بن جهير وحين عقد العقد نثر على السلطان جواهر نفيسة وكان يوما مشهودا زينت الابلة والخيول وضربت الدبادب والبوقات

وممن توفي فيها من الاعيان

بكر بن محمد بن حيد ابو منصور النيسابوري كان من عمرانه من سلالة عثمان بن عفان رضي الله عنه وروى الحديث عن ابي بكر بن المذهب وكان ثقة توفي في المحرم من هذه السنة وقد قارب الثمانين. محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ابو الحسين الهاشمي خطيب جامع المنصور وكان ممن يلبس القلانس الطوال حدث عن ابن رزقويه وغيره وروى عنه الخطيب وكان عدلا ثقة شهد عند ابن ماكولا وابن الدامغاني فقبلاه وتوفي في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله ودفن بقرب قبر بشر الحافي. محمد بن احمد بن ساده بن جعفر ابو عبد الله الاصبهاني القاضي بدجيل كان شافعي المذهب وروى الحديث عن ابي عمر بن مهدي وكانت وفاته ببغداد ونقل الى دجيل من عمل واسط رحمه الله

ثم دخلت سنة خمس وستين واربعمائة

في يوم الخميس حادي عشر المحرم حضر الى الديوان ابو الوفا علي بن محمد بن عقيل الحنبلي وقد كتب على نفسه كتابا يتضمن توبته من الاعتزال وانه رجع عن اعتقاد كون الحلاج من اهل الخير وقد رجع عن الخبر الذي عمله في ذلك وانه قد قتل باجماع علماء عصره وقد كانوا مصيبين وهو مخطئ وشهد عليه جماعة من الكتاب ورجع من الديوان الى دار الشريف ابي جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر اليه فعظمه

وفاة السلطان الب ارسلان

وملك ولده ملك شاه

كان السلطان قد سار في اول هذه السنة في مائتي الف مقاتل يريد غزو ما وراء النهر فاتفق في بعض المنازل انه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي فاوقف بين يديه فشرع يعاتبه في اشياء صدرت منه ثم امر بان يضرب له اربعة اوتاد ويصلب بينها فقال للسلطان يا مخنث مثلك يقتل مثلي فاحتد السلطان وامر بارساله واخذ القوس فرماه بسهم فاخطأه واقبل يوسف نحو السلطان فنهض عن السرير فنزل عنه فعثر فوقع فادركه يوسف فضربه بخنجر في يده في خاصرته فادركه الجيش فقتلوه وقد جرح السلطان جرحا منكرا فتوفي يوم السبت عاشر ربيع الاول من هذه السنة ويقال ان اهل بخارا لما اجتاز بهم نهب عسكره اشياء كثيرة لهم فدعوا عليه فهلك ولما توفي اجلس ولده ملك شاه على سرير الملك وقام الامراء بين يديه فقال له الوزير نظام الملك تكلم ايها السلطان فقال الاكبر منكم لي والد والاوسط اخي والاصغر ابني وسافعل معكم ما لم اسبق اليه فامسكوا فاعاد القول فاجابوه بالسمع والطاعة وقام باعباء امره الوزير نظام الملك فزاد في ارزاق الجند سبعمائة الف دينار وساروا الى مرو فدفنوا بها السلطان الب ارسلان وسيأتي ذكر شيء من ترجمته في الوفيات ولما بلغ خبر وفاة السلطان بغداد اقام الناس له العزاء وغلقت الاسواق واظهر الخليفة الجزع عليه وخرجت ابنة السلطان خاتون زوجة الخليفة وجلست على التراب وجاءت الكتب من السلطان ملك شاه الى الخليفة يتأسف فيها على والده ويسأل ان يقام له الخطبة ففعل ذلك وخلع على ملك شاه وعلى الوزير نظام الملك خلعا سنية واعطاه تحفا كثيرة من ذلك عشرون الف دينار ولقبه اتابك ومعناه الامير الكبير ولي الدولة فسار سيرة حسنة ولما بلغ قاورت بك موت اخيه الب ارسلان ركب في جيوش كثيرة قاصدا قتال ابن اخيه ملك شاه فالتقيا فاقتتلا فانهزم اصحاب قاورت واسر هو فانبه ابن اخيه ثم اعتقله ثم ارسل اليه من قتله وفيها جرت فتنة عظيمة بين اهل الكرخ وباب البصرة والقلائين فاقتتلوا فقتل خلق كثير واحترق جانب كبير من الكرخ فانتقم المتولي لاهل الكرخ من اهل باب البصرة والاحرس فاخذ من اموالهم شيئا كثيرا جناية لهم على ما صنعوا

وممن توفي فيها من الاعيان

السلطان الب ارسلان

البارسلان الملقب بسلطان العالم بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن يغاق التركي صاحب الممالك المتسعة وقد ملك بعد عمه السلطان طغرلبك سنة سبع سنين وستة اشهر واياما وكان نعادلا يسير في الناس سيرة حسنة كريما رحيما شفوقا على الرعية رفيقا على الفقراء بارا باهله واصحابه ومماليكه كثير الدعا بدوام ما انعم الله به عليه كثير الصدقات يتصدق في كل رمضان بخمسة عشر الف دينار ولا يعرف في زمانه جناية ولا مصادرة بل يقنع من الرعايا بالخراج في قسطين رفقا بهم كتب اليه بعض السعاة في نظام الملك من نعمة فاستدعاه وقال له ان كان هذا صحيحا فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان لم يكن صحيحا فاغفر لهم زلتهم بهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا بلغه ان غلاما من غلمانه اخذ ازارا لبعض التجار فصلبه فارتدع سائر المماليك به خوفا من سلطانه وسطوته وترك من الاولاد ملكشاه الذي قام بالامر من بعده واياز وتكش وبوري بوس وارسلان وارغو وسارة وعايشة وبنتا اخرى وكانت وفاته في هذه السنة عن احدى واربعين سنة ودفن عند والده بالري

ابو القاسم القشيري صاحب الرسالة

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة ابو القاسم القشيري وامه من بني سليم توفي ابوه وهو طفل فقرأ الادب والعربية وصحب الشيخ ابا علي الدقاق واخذ الفقه عن بكر بن محمد الطوسي والكلام عن ابي بكر بن فورك وصنف الكثير وله التفسير الكبير والرسالة التي ترجم فيها جماعة من المشايخ والصالحين وحج صحبة امام الحرمين وابي بكر البيهقي الحافظ وكان يعظ الناس وتوفي بنيسابور في هذه السنة عن سبعين سنة ودفن الى جانب شيخه ابي علي الدقاق ولم يدخل احد من اهل بيته بيت كتبه الا بعد سنين احتراما له وكانت له فرس يركبها فلما توفي لم تاكل علفا حتى نفقت بعده بجمعة ذكره ابن الجوزي واثنى عليه القاضي ابن خلكان في الوفيات ثنا كثيرا وذكر شيئا من شعره الرايق من ذلك قوله

• سقى الله وقتا كنت اخلو بوجهكم • وثغر الهوى في روضة الانس ضاحك •
• اقمنا زمانا والعيون قريرة • واصبحت يوما والجفون سوافك •

وقوله

• لو كنت ساعة بيننا ما بيننا • وشهدت حين نكرر التوديعا •
• ايقنت ان من الدموع محدثا • وعلمت ان من الحديث دموعا •

وقوله

• ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة • فاني من ليلى لها غير ذايق •
• واكثر شي نلته من وصالها • اماني لم يصدق كخطفة بارق •

ابن صربعر الشاعر

اسمه علي بن الحسين بن علي بن الفضل ابو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر الشاعر وكان نظام الملك يقول له انت صردر لا صربعر وقد هجاه بعضهم فقال

• لين نبز الناس قدما اباك • فسموه من شحه صربعرا •

• فانك تنثر ما صره • عقوقا له وتسميه شعرا •

قال ابن الجوزي في المنتظم فاحشر فان شعره في غاية الحسن ثم اورد له قطعا حسانا فمن ذلك قوله

• ايه احاديث نعمان وساكنه • ان الحديث عن الاحباب اسمار •
• افتش الريح عنكم كلما نفحت • من نحو ارضكم نكباء معطار •

قال وقد حفظ القران وسمع الحديث من ابن بشران وغيرهما وحدث وركب يوما دابة فتردى عنها في بير فمات ودفن بباب ابرز وذلك في صفر من هذه السنة قال ابن الجوزي قرات بخط ابن عقيل كان صربعر جارا لنا بالرصافة من سربلا الحساد وقد اورد له ابن خلكان شيئا من اشعاره الرايقة واثنى عليه في وقته والله اعلم محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ابو الحسين ويعرف بالزينبي ولد سنة سبعين وثلثمائة سمع الدارقطني وهو اخر من حدث عنه في الدنيا وابن شاهين وتفرد عنه وسمع خلقا اخرين وكان ثقة دينا كثير الصلاة والصيام فكان يقال له راهب بني هاشم وكان عنده من العلم والعقل كثير التلاوة رقيق القلب غزير الدمعة ورحل اليه الطلبة من الافاق ثم ثقل سمعه وكان يقرا على الناس وهو ابن احدى وتسعين خطيب وله ست عشرة سنة وشهد عند الحكام سنة ست واربعمائة وولي الحكم سنة تسع واربعمائة واقام خطيبا بجامع المنصور وجامع الرصافة ست وسبعين سنة وحكم ستا وخمسين سنة وتوفي في سلخ ذي القعدة من هذه وقد جاوز تسعين سنة وكان يوم جنازته مشهودا ورويت له منامات

ثم دخلت سنة ست وستين واربعمائة

في صفر جلس الخليفة جلوسا عاما وعلى راسه حفيده ذخيرة الدين ابو القاسم عبد الله المقتدي بالله وعمره يومئذ ثماني عشرة سنة وهو في غاية الحسن وحضر الامراء والكبراء فعقد الخليفة بيده لواء السلطان ملكشاه وكثر الزحام يومئذ حتى هنا الناس بعضهم بعضا بالسلامة

غرق بغداد

وفي جمادى الاخرة جاء مطر عظيم وسيل قوي وزادت دجلة حتى غرقت من جانبا كبيرا من بغداد وحتى خلص ذلك الى دار الخلافة فخرجت الجواري حاسرات حتى صرن الى الجانب الغربي وهرب الخليفة من مجلسه فلم يجد طريقا يسلكه فحمله بعض الخدم الى التاج وكان ذلك يوما عظيما وامرا مهولا وهلك للناس اموال عظيمة جدا ومات خلق كثير تحت الردم من اهل بغداد والغرباء وجاء على وجه السيل من الاخشاب والوحوش والحيات شيء كثير جدا وسقطت دور كثيرة في الجانبين وغرقت قبور كثيرة من ذلك مقبرة الخيزران ومقبرة احمد بن حنبل ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي واتلف السيل في الموصل شيئا كثيرا وهدم سور سنجار وقلع بابه واخذ بابه من موضعه الى مسيرة اربعة فراسخ وفي ذي الحجة جاء ريح شديدة بارض البصرة فانجعف منها نحو خمسة الاف نخلة

وممن توفي فيها من الاعيان

أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسين السمناني الحنفي الأشعري قال ابن الجوزي وهذا من الغريب زوج قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغاني ابنته وولاه نيابة القضاء وكان ثقة نبيلا من ذوي الهيئات جاوز الثمانين عبد العزيز بن أحمد بن علي بن سليمان أبو محمد الكناني الحافظ الدمشقي سمع الكثير وكتب كثيرا وصنف فأجاد وأفاد وله في الفضائل أشياء غريبة وبعضها يرويه موضوع ولا يعيبه عليه مع أنه كان ثقة ضابطا حافظا صدوقا مستقيم الطريقة والاعتقاد سلفي المذهب رحمه الله وقد كتب عنه الحافظ أبو بكر الخطيب محمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن جعفر أبو بكر العطار الأصبهاني الحافظ مستملي أبي نعيم سمع الكثير وكان يملي من حفظه وكتب عنه الخطيب حديثا واحدا وكان عظيما في بلده ثقة نبيلا جليلا وكان يملي من حفظه وكانت وفاته في هذه السنة

الماوردية

ذكر ابن الجوزي أنها كانت عجوزا صالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها وكانت عجوزا تكتب وتقرأ ومكثت خمسين سنة من عمرها لا يفطر نهارا ولا تنام ليلا ولا تقتات بخبز الباقلا وتأكل من التين اليابس فإذا أدرك الرطب وشيئا يسيرا من العنب والزبيب وربما أكلت من اللحم اليسير وحين توفيت تبع أكثر أهل البلد جنازتها ودفنت في مقابر الصالحين

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة

في صفر مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضا شديدا فانتفخ حلقه وامتنع من الفصد فلم يزل الوزير فخر الدولة به حتى افتصد فصلح الحال وكان الناس قد انزعجوا ففرحوا بعافيته وجاء في هذا الشهر سيل عظيم قاسى الناس منه شدة عظيمة ولم يكن أكثر أبنية بغداد تكاملت من الغرق الأول فخرج الناس إلى الصحراء فجلسوا على رءوس التلول تحت المطر ووقع وباء عظيم بالرحبة فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف وكذلك وقع بواسط والبصرة وخوزستان وأرض خراسان وغيرها

صفة موت الخليفة القائم بأمر الله

افتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من ماشرا كانت تعتاده من عام الغرق ثم نام بعد ذلك فانفجر فصاده فاستيقظ وقد سقطت قوته وحصل الإياس منه فاستدعى بحفيده وولي عهده من بعده عدة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد القائم وأحضر إليه القاضي والنقباء واشهدهم عليه ثانيا بولاية العهد له من بعده فشهدوا ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وسبعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام وكانت مدة خلافته أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوما فلم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة وقد جاوز خلافة أبيه أربعين سنة فكان مجموع أيامهما خمسا وثمانين سنة وأشهر وذلك مقارب لدولة بني أمية كلها وقد كان القائم بأمر الله جميلا مليح الوجه أبيض مشربا حمرة فصيحا ورعا زاهدا بليغا شاعرا كما تقدم ذكر شيء من شعره وهو بحديثة عانة سنة خمسين وكان نعادة كثير الإحسان إلى الناس رحمه الله وغسله الشريف أبو جعفر

بن أبي موسى

ابن أبي موسى الحنبلي عن وصية الخليفة له بذلك وعرض على الشريف أبو جعفر ما هنالك من الآيات والأموال فلم يقبل منه شيئا وصلى عليه الخليفة في صبيحة يوم الخميس المذكور ودفن عند أجداده ثم نقل إلى الرصافة فقبره يزار إلى الآن وغلقت الأسواق لموته وعلقت المسوح وناحت نساء الهاشميين وغيرهم وجلس الوزير ابن جهير وابنه للعزاء على الأرض وخرق الناس ثيابهم وكان يوما عصيبا واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام وقد كان من خيار بني العباس دينا واعتقادا ودولة وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري التي اقتضت إخراجه من داره ومفارقته أهله وأولاده ووطنه فأقام بحديثة عانة سنة كاملة ثم أعاد الله عليه نعمته وخلافته كما قال الشاعر

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم • إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر •

وقد تقدم له في ذلك سلف صالح كما قال تعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون في سورة ص وبسطنا الكلام في هذه القصة العباسية والفتنة البساسيرية في سنة خمسين والحادي وخمسين وأربعمائة

خلافة المقتدي بأمر الله

وهو أبو القاسم عدة الدين عبد الله

ابن الأمير ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله بن القادر العباسي وأمه أم ولد أرمنية تسمى أرجوان وتدعى قرة العين أدركت خلافته وخلافة ولده المستظهر والمسترشد وقد كان أبوه توفي وهو حمل فحين ولد ذكرا فرح جده والمسلمون به فرحا شديدا إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري لأن من عداهم يبتذلون في الأسواق مع العوام وكانت القلوب تنفر من تولية مثل أولئك الخلافة على الناس ونشأ هذا في حجر جده القائم بأمر الله يربيه بما يليق بأمثاله ويدربه على أحسن السجايا ولله الحمد والمنة وكان عمر المقتدي حين ولي الخلافة عشرين سنة وهو في غاية الجمال خلقا وخلقا وكانت بيعته يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من هذه السنة جلس في دار الشجرة بقميص أبيض وعمامة بيضاء لطيفة وطرحة قصب وجاء الوزراء والأمراء والأشراف ووجوه الناس فبايعوه فكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي وأنشده قول الشاعر

• إذا سيد منا خلا قام سيد •

ثم أرتج عليه فلم يدر ما بعده فقال الخليفة •

• قؤول لما قال الكرام فعول •

وبايعه من شيوخ العلم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي والشيخ أبو نصر بن الصباغ الشافعيان والشيخ أبو محمد التميمي الحنبلي ثم برز فصلى بالناس العصر ثم بعد ساعة أخرج تابوت جده بسكون ووقار من غير صراخ ولا نوح فصلى عليه وحمل إلى المقبرة رحمه الله وقد كان المقتدي بأمر الله شهما شجاعا أيامه كلها مباركة الرزق دارة والخلافة معظمة جدا وتصاغرت الملوك له وتضاءلوا بين يديه وخطب له بالحرمين وبيت

المقدس والساسات كلها واسترجع المسلمون الرملة وانطاكية وعمرت بغداد وغيرها من البلاد واستوزر ابن جهير ثم ابا شجاع ثم اعاد ابن جهير وقاضيه ابن الدامغاني ثم ابو بكر الشاشي وهولاء خيار القضاة والوزراء ولله الحمد وفي شعبان اخرجت المفسدات من الخواطي من بغداد على حمارات ينادى عليهن على انفسهن بالعار والفضيحة وخرب دورهن واسكنهن الجانب الغربي وخرب ابرجة الحمام ومنع من اللعب بها والزم الناس بالمآزر في الحمامات ومنع اهل الحمامات ان يصرفوا فضلاتها الى دجلة والزمهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب وفي شوال وقعت نار في اماكن متعددة من بغداد حتى في دار الخلافة فاحرقت شيا كثيرا من الدور والاماكن والدكاكين ووقع بواسط حريق في تسعة اماكن واحترق فيها اربعة وثمانون دارا وستة خانات واشيا كثيرة غير ذلك فانا لله وانا اليه راجعون وفيها عمل رصد للسلطان ملك شاه اجتمع عليه جماعة من اعيان المنجمين وانفق عليه اموال كثيرة وبقي الرصد دائرا حتى مات السلطان فبطل وفي ذي الحجة اعيدت الخطبة بمكة للمصريين وقطعت خطبة العباسيين وذلك لما قوي امر صاحب مصر بعد ما كان ضعيفا بسبب غلاء بلده فلما ارخصت تراجع الناس اليها وطاب العيش بها وقد كانت الخطبة العباسية بمكة مدة اربع سنين وخمسة اشهر وستعود كما كانت على ما سنبينه في موضعه وفي هذا الشهر انجفل اهل السواد من شدة الوبا وقلة ماء دجلة ونقصها وحج بالناس الشريف ابو طالب الحسين بن محمد الزينبي واخذ البيعة للخليفة المقتدي

وممن توفي فيها من الاعيان

الخليفة بامر الله عبد الله وتقدم ذكرنا شيا من ترجمته عند ذكر وفاته رح الداودي راوي صحيح البخاري عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ابو الحسين بن ابي طلحة الداودي ولد سنة اربع وسبعين وثلثماية سمع الكثير وتفقه على الشيخ ابي حامد الاسفرايني وابي بكر القفال وصحب ابا علي الدقاق وابا عبد الرحمن السلمي وكتب الكثير ودرس وافتى وصنف ووعظ الناس وكان له يد طولى في النظم والنثر وكان مع ذلك كثير الذكر لا يفتر لسانه عن ذكر الله عز وجل دخل عليه يوما الوزير نظام الملك فجلس بين يديه فقال له ايها الشيخ ان الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سالك عنهم ومن شعره

كان في الاجتماع بالناس نور * فمضى النور وادلهم الظلام
فسد الناس والزمان جميعا * فعلى الناس والزمان السلام

ابو الحسن علي بن الحسن بن علي بن ابي الطيب الباخرزي الشاعر المشهور اشتغل اولا على الشيخ ابي محمد الجويني ثم عدل الى الكتابة والشعر ففاق اقرانه وله ديوان مشهور ومنه

واني لاشكو لسع اصداغك التي
عقاربها في وجنتيك تحوم
وابكي لدر الثغر منك ولي اب
فكيف يديم الضحك من هو يتيم

ثم دخلت سنة ثمان وستين واربعماية

قال ابن الجوزي جاء جراد في شعبان بعدد الرمل والحصا فاكل الغلات وآذى اكثر الناس وجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فاكلوه فوقع الوبا ثم منع الله الجراد من الفساد فكان يمر ولا يضر بخضرة الاشجار قال ووقع غلاء شديد بدمشق واستمر ثلاث وفيها ملك نصر بن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج واجلا عنها الروم ولله الحمد وفي ذي القعدة من هذه السنة ملك الاقسيس مدينة دمشق وهزم اهلها المعلى ابن حيدرة الذي هو نايب المستنصر العبيدي الى مدينة بانياس وخطب فيها للمقتدي وقطعت خطبة المصريين عنها الى الان ولله الحمد فاستدعى المستنصر نايبه فحبسه عنده الى ان مات في السجن ولله الحمد ايضا وحج بالناس في هذه السنة مقطع الكوفة وهو الامير ختلغ القفنكين التركي ويعرف بالطويل وكان قد شرد خفاجة في البلاد وهزمهم ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركيا فوصل سالما الى مكة ولما نزل ببعض المنازل كبسه بعض العبيد فقتل فيهم مقتلة عظيمة وهزمهم هزيمة شنيعة ثم اغا كان ينزل بعد ذلك بالزاهر قاله ابن الساعاتي في تاريخه واعيدت الخطبة في ذي الحجة بمكة للعباسيين وقطعت خطبة المصريين ولله الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الاعيان

محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن ابي موسى ابو تمام بن ابي القاسم بن القاضي ابي علي الهاشمي نقيب العباسيين الهاشميين وهو ابن عم الشريف ابي جعفر بن ابي موسى الفقيه الحنبلي روى الحديث وسمع منه ابو بكر بن عبد الباقي ودفن بباب حرب محمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس ابو بكر الصفار من اهل نيسابور سمع الحاكم وابا عبد الرحمن السلمي وخلقا وتفقه على الشيخ ابي محمد الجويني وكان يخلفه في حلقته محمد بن محمد بن عبد الله ابو الحسين البيضاوي الشافعي ختن ابي الطيب الطبري على ابنته سمع الحديث وكان فقيها خيرا توفي في شعبان وتقدم للصلاة عليه الشيخ ابو نصر بن الصباغ وحضر جنازته ابو عبد الله الدامغاني ماموما ودفن في داره بقطيعة الكرخ محمد بن نصر بن صالح امير حلب وكان قد ملكها في سنة تسع وخمسين وكان من احسن الناس شكلا وفعلا مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق ابو جعفر البياضي الشاعر ومن شعره

ليس لي صاحب معين سوى الليل * اذا طال بالصدود علينا
انا اشكو بعد الحبيب اليه * وهو يشكو بعد الصباح الينا

وله

يا من لبست لهجره طول الضنا * حتى خفيت اذا عن العواد
وانست بالسهر الطويل فانسيت * اجفان عيني كيف كان رقادي
ان كان يوسف بالجمال مقطع الا * يدي فانت مقطع الاكباد

الواحدي المفسر

ابو الحسن علي بن احمد بن علي بن متويه الواحدي قال ابن خلكان ولا ادري هذه النسبة الى ماذا وهو صاحب التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز قال ومنه اخذ الغزالي اسما كتبه قال وله اسباب النزول والتحبير في شرح اسما الله الحسنى

وقد شرح ديوان المتنبي وليس في شروحه مع كثرتها مثله قال وقد رزق السعادة في تصانيفه واجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم وقد اخذ التفسير عن الثعلبي وقد مرض الواحدي مدة ثم كانت وفاته بنيسابور في جمادى الاخرة من هذه السنة ناصر ابن محمد بن علي ابو منصور التركي المصافري هو والد الحافظ محمد بن ناصر قرا القراآت وسمع الكثير وهو الذي تولى قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور وكان ظريفا صبيحا ومات شابا دون الثلاثين يوسف بن محمد بن يوسف بن الحسن ابو القاسم الهمذاني سمع وجمع وصنف وانتشرت عنه الرواية وكانت وفاته في هذه السنة وقد قارب التسعين

ثم دخلت سنة تسع وستين واربعمائة

في المحرم مرض الخليفة مرضا شديدا فارجف الناس به فركب حتى راه الناس جهرة فسكنوا وفي جمادى الاخرة زادت دجلة زيادة كثيرة احدا وعشرين ذراعا ونصفا فنقل الناس اموالهم وضيف على دار الخلافة فنقل تابوت القائم بامر الله ليلا الى الترب بالرصافة وفي شوال وقعت الفتنة بين الحنابلة والاشعرية وذلك ان ابن القشيري قدم بغداد فجلس يتكلم في المدرسة النظامية واخذ يذم الحنابلة وينسبهم الى التجسيم وساعده ابو سعد الصوفي ومال معه الشيخ ابو اسحاق الشيرازي وكتب الى نظام الملك يشكو اليه الحنابلة ويسأله المعونة وذهب جماعة الى الشريف ابي جعفر بن ابي موسى شيخ الحنابلة وهو في مسجده فدافع عنه اخرون وقتل رجل خياط من سوق الثلاثا وجرح اخرون وثارت الفتنة وكتب الشيخ ابو اسحاق وابو بكر الشاشي الى نظام الملك فجاء كتابه الى فخر الدولة ينكر ما وقع ويكره ان ينسب الى المدرسة التي بناها شي من ذلك وعزم الشيخ ابو اسحاق على الرحلة من بغداد غضبا مما وقع من الشر فارسل اليه الخليفة يسكنه ثم جمع بينه وبين الشريف ابي جعفر وابي سعد الصوفي وابي نصر ابن القشيري عند الوزير فاقبل الوزير على ابي جعفر يعظمه في الفعال والمقال وقام اليه الشيخ ابو اسحاق فقال انا ذلك الذي كنت تعرفه وانا شاب وهذه كتبي في الاصول اقول فيها خلافا للاشعرية ثم قبل راسه فقال له صدقت الا انك لما كنت فقيرا لم يظهر لنا ما في نفسك فلما جاء الاعوان والسلطان وخواجا بزرك يعني نظام الملك ابديت ما كان مختفيا وقام الشيخ ابو سعد الصوفي فقبل راس الشريف ابي جعفر وتلطف به فالتفت اليه مغضبا وقال ايها الشيخ اما الفقهاء اذا تكلموا في مسائل الاصول فلهم فيها مدخل واما انت فصاحب لهو وسماع وتغبير فمن زاحمك على ذلك ثم قال ايها الوزير اي صلح بيننا ونحن نوجب ما يعتقده وهم يكفرون وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد اظهرا اعتقادهما للناس على مذهب اهل السنة والجماعة والسلف ونحن على ذلك كما وافق عليه العراقيون والخراسانيون وقرئ على الناس في الديوان كلها فارسل الوزير الى الخليفة يعلمه بما جرى فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصا الشريف ابي جعفر ثم استدعي الى دار الخلافة للسلام عليه والتبرك بدعائه قال ابن الجوزي وفي ذي القعدة كثرت الامراض في الناس ببغداد وواسط والسواد وورد الخبر بان الشام كذلك

وفي هذا الشهر ازيلت المنكرات والبغايا ببغداد وهرب الفساق منها وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس بعد وفاة ابيه وفيها تزوج الامير علي بن ابي منصور ابن فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه الست ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ألب ارسلان وكانت زوجة القائم بامر الله وفيها حاصر الاقسيس صاحب دمشق مصر وضيق على صاحبها المستنصر بالله ثم كر راجعا الى دمشق وحج بالناس في هذه السنة الامير ختلغ التركي مقطع الكوفة

وممن توفي فيها من الاعيان

اسبهدوست بن محمد بن الحسن ابو منصور الديلمي لقي ابا عبد الله بن الحجاج وعبد العزيز بن نباتة وغيرهما من الشعراء وكان شيعيا فتاب وقال قصيدة في ذلك منها قوله

واذا سئلت عن اعتقادي قلت ما ... كانت عليه مذاهب الابرار
واقول خير الناس بعد محمد ... صديقه وانيسه في الغار
ثم الثلاثة بعده خير الورى ... اكرم بهم من سادة اطهار
هذا اعتقادي والذي ارجو به ... فوزي وعتقي من عذاب النار

طاهر بن احمد بن بابشاذ ابو الحسن البصري النحوي سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات من ساعته وذلك في رجب من هذه السنة قال القاضي ابن خلكان كان بمصر امام عصره وله المصنفات المفيدة من ذلك مقدمته وشرحها وشرح الجمل قال وكانت وظيفته بمصر انه لا يكتب من رسائل بديوان الانشاء الا عرض عليه فيصلح منها ما فيه خلل ثم ينفذ الى الجهة التي عينت لها وكان له على ذلك معلوم وراتب جيد قال فاتفق انه كان ياكل مع بعض اصحابه طعاما فجاء قط فرموا له شيئا فاخذه وذهب سريعا ثم اقبل فرموا له شيئا اخر فانطلق به ايضا سريعا ثم جاء مرارا كذلك فعلموا انه لا ياكل هذا كله فتبعوه فاذا هو يذهب الى قط اخر اعمى في سطح هناك فتعجبوا من ذلك فقال الشيخ يا سبحان الله هذا حيوان بهيم قد ساق الله اليه رزقه على يدي غيره افلا يرزقني وانا عبده ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه واقبل على الاشتغال والملازمة في غرفة في جامع مصر عمرو بن العاص الى ان مات وقد جمع تعليقه في النحو قريبا من خمسة عشر مجلدا فاصحابه كابن بري وغيره ينقلون منها وينتفعون بها ويسمونها تعليقة الغرفة رحمه الله عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن احمد بن المجمع بن محمد بن يحيى بن معبد بن هزارمرد ابو محمد الصريفيني ويعرف بابن المعلم احد مشايخ المسندين المشهورين تفرد عن جماعة من المشايخ لطول عمره وهو اخر من حدث بالجعديات عن ابن حبابة عن ابي القاسم البغوي عن علي بن الجعد وهو سماعنا ورحل اليه الناس بسببه وسمع عليه جماعة من الحفاظ منهم الحافظ ابو بكر الخطيب وكان ثقة محمود الطريقة صافي الطوية توفي بصريفين في جمادى الاولى من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة حيان بن خلف بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان ابو مروان القرطبي (بن حسين صح) مولى بني امية صاحب تاريخ المغرب في ستين مجلدا اثنى عليه الحافظ ابو علي الغساني

في فصاحته وصدقه وبلاغته وقال سمعته يقول المهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة والتعزية بعدها اغراء بالمصيبة قال ابن خلكان توفي في ربيع الاول منها ورآه بعضهم في النوم فقال ما فعل الله بك فقال غفر لي واما التاريخ فندمت عليه لكن الله بلطفه اقالني وعفا عني وغفر لي ابو نصر السجزي عبد الله بن سعيد بن حاتم ابو نصر السجزي الوايلي نسبة الى قرية يقال لها وايل من قرى سجستان سمع الكثير وجمع وصنف وخرج واقام بالحرم وله كتاب الابانة في الاصول وله يد في الفروع ايضا ومن الناس من كان يفضله في الحفظ على الصوري محمد بن علي بن الحسين ابو عبد الله الانماطي المعروف بابن سكينة ولد سنة تسعين وثلثمائة وكان كثير السماع وكانت وفاته في هذه السنة عن تسع وسبعين سنة

سنة سبعين واربعمائة

قال ابن الجوزي في ربيع الاول وقعت صاعقة بمحلة التوثة من الجانب الغربي على نخلتين في مسجد فاحرقت اعاليهما وصعد الناس فاطفاوا النار ونزلوا بالسعف وهو يشتعل نارا قال وورد كتاب من نظام الملك الى الشيخ ابي اسحاق الشيرازي في جواب كتابه اليه في شان الحنابلة ثم سرده ابن الجوزي ومضمونه انه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل اهلها عنها والغالب على تلك الناحية مذهب احمد ومحله معروف عند الائمة وقدره معلوم في السنة في كلام طويل قال وفي شوال وقعت فتنة بين الحنابلة وبين بعض فقهاء الحنابلة وحمي لكل من الفريقين طائفة من العوام وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلا ثم سكنت الثائرة وهدأت الفتنة قال وفي تاسع عشر شوال ولد للخليفة ولده المستظهر بالله ابو العباس احمد وزين البلد وجلس الوزير للهناء ثم في يوم الاحد السادس والعشرين من شوال ولد للخليفة ولده الاخر ابو محمد هارون قال ابن الجوزي وفيها ولي تاج الدولة ارسلان الشام وحاصر حلب وحج بالناس في هذه السنة الامير مقطع الكوفة المسمى خنلخ وذكر ابن الجوزي ان الوزير ابن جهير كان عمل منبرا مليحا لتقام عليه الخطبة بمكة فحين وصل اليها اذا الخطبة قد اعيدت للمصريين فكسر ذلك المنبر وحرق

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن احمد بن يعقوب بن احمد ابو بكر البزار المقري اخر من حدث عن ابي الحسين بن سمعون وقد كان ثقة متعبدا حسن الطريقة كتب عنه الخطيب وقال كان صدوقا توفي في هذه السنة عن تسع وثمانين سنة احمد ابن محمد بن احمد بن عبد الله ابو الحسين بن النقور البزار احد المسندين المعمرين تفرد بنسخ كثيرة عن ابن حبابة عن البغوي عن اشياخه نسخة هدبة وكامل بن طلحة وعمرو بن زرارة وابي سكن البلدي كان مكثرا متحريا وكان ياخذ على اسماع حديث طالوت بن عباد دينارا وقد افتاه الشيخ ابو اسحاق الشيرازي بجواز اخذ الاجرة على اسماع الحديث لاشتغاله به عن الكسب توفي عن تسع وثمانين سنة رحمه الله

احمد بن عبد الملك بن علي بن احمد ابو صالح المؤذن النيسابوري الحافظ كتب الكثير وجمع وصنف وكتب عن الف شيخ وكان يعظ ويؤذن جاوز الثمانين عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي القاسم بن ابي محمد الخلال اخر من حدث عن ابي حفص الكتاني وقد سمع الكثير وروى عنه الخطيب وثقه توفي عن خمس وثمانين سنة ودفن بباب حرب عبد الرحمن بن منده بن محمد بن اسحاق بن محمد ابن يحيى بن ابراهيم ابو القاسم بن ابي عبد الله الامام بن الامام سمع اباه وابن مردويه وخلقا في اقاليم شتى وسافر الى الدنيا وجمع شيئا كثيرا وكان ذا وقار وسمت حسن واتباع للسنة وفهم جيد كثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم وكان سعد بن محمد الزنجاني يقول حفظ الله الاسلام به وبعبد الله الانصاري الهروي توفي ابن منده هذا باصبهان عن سبع وثمانين سنة وحضر جنازته خلق لا يعلمهم الا الله عبد الملك بن عبد الغفار بن محمد بن المظفر بن علي ابو القاسم الهمذاني احد الحفاظ الفقهاء الاولياء وكان يلقب بحجر وقد سمع الكثير وكان يكتب للطلبة ويفيدهم وكانت وفاته بالري في المحرم من هذه السنة ودفن الى جانب ابراهيم الخواص

الشريف ابو جعفر الحنبلي

عبد الخالق بن عيسى بن احمد بن محمد بن عيسى بن احمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي الشريف ابو جعفر بن ابي موسى الحنبلي العباسي كان احد الفقهاء العباد العلماء المشهورين بالديانة والفضل والعبادة والقيام في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تاخذه في الله لومة لائم ولد في سنة احدى عشرة واربعمائة واشتغل على القاضي ابي يعلى بن الفراء وزكاه شيخه عند ابن الدامغاني فقبله ثم ترك الشهادة بعد ذلك وكان مشهورا بالصلاح والديانة وحين احتضر الخليفة القائم بامر الله اوصى ان يغسله الشريف ابو جعفر واوصى له بشيء جزيل فلم يقبل من ذلك شيئا وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والاشعرية بسبب ابن القشيري اعتقل في دار الخلافة مكرما معظما يدخلون عليه ويقبلون يده ولم يزل مقيما هناك حتى عرض له مرض فاذن له في المصير الى اهله فتوفي عندهم ليلة الخميس النصف من صفر من هذه ودفن الى جانب الامام احمد واتخذت العامة قبره ليلة الاربعاء سوقا يترددون اليه ويقراون الختمات عنده حتى جاء الشتاء فكان جملة ما قرئ عنده عشرة الاف ختمة محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ابو الحسن البيضاوي احد الفقهاء الشافعيين وتولى القضاء بربع الكرخ ودفن عند والده رحمهما الله

ثم دخلت سنة احدى وسبعين واربعمائة

فيها ملك السلطان تتش بن البارسلان دمشق وقتل ملكها اتسز وذلك لان اقسيس بعث يستنجده على المصريين فلما وصل اليه لم يركب لتلقيه فامر بقتله فقتل لساعته وفيها عزل الوزير ابن جهير باشارة نظام

الملك بسبب ميلانه على الشافعية ثم كاتب المقتدي بالله نظام الملك في اعادته فاعيد ولده واطلق هو وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين الى بغداد فضربت الطبول على بابه في اوقات الصلوات واساء الادب على الخلافة وضرب طوالات الخيول على باب العزة ومن يكون نائب السلطان فلم يجد الكتاب من السلطان بالانكار عليه وحج بالناس في هذه السنة الامير مقطع لكونه خلع التركي اثابه الله

وممن توفي فيها من الاعيان

سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين ابو القاسم الزنجاني رحل الى الافاق وسمع الكثير وكان اماما حافظا متعبدا ورعا انقطع في اخر عمره بمكة فكان الناس يتبركون بتقبيل يده قال ابن الجوزي اكثر مما يقبلون الحجر سليم الجوزي قرية من قرى دجيل كان عابدا زاهدا يقال انه مكث مدة يقتات في كل يوم بزبيبة وقد سمع الحديث وقرئ عليه رح عبد الله بن سبعون ابو احمد الفقيه المالكي القيرواني توفي ببغداد ودفن بباب حرب

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين واربعماية

فيها ملك ابراهيم بن محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة قلاعا كثيرة حصينة ثم عاد الى بلده سالما غانما وفيها ولد للامير ابو جعفر بن المقتدي بالله وزينت له بغداد وفيها ملك الموصل الامير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي بعد وفاة ابيه وفيها ملك منصور بن مروان بلاد بكر بعد ابيه وفيها امر السلطان بتغريق ابن علان اليهودي ضامن البصرة واخذ من ذخايره اربعماية الف دينار وضمن جاركيز البصرة بماية الف دينار وماية فرس في كل سنة وفيها فتح عبد الله بن نظام الملك تكريت وحج بالناس ختلغ التركي وقطعت خطبة المصريين بمكة وخطب فيها للمقتدي وللسلطان ملكشاه

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الملك بن الحسن بن احمد بن خيرون ابو نصر سمع الكثير وكان زاهدا عابدا يسرد الصوم ويختم في كل ليلة رح محمد بن محمد بن احمد بن الحسين بن عبد العزيز بن مهران العكبري سمع هلالا الحفار وابن رزقويه والحمامي وغيرهم وكان فاضلا جيد الشعر فمن شعره قوله

اطيل تفكري في اي ناس • مضوا قدما وفيمن خلفونا •
هم الاحيا بعد الموت ذكرا • ونحن من الخمول الميتونا •

توفي في رمضان من هذه السنة وله تسعون سنة رح هياج بن عبد الله الحطيني الشامي سمع الحديث وكان واحد زمانه زهدا وفقها واجتهادا في العبادة اقام بمكة مدة يفتي اهلها ويعتمر في كل يوم ثلاث مرات على قدميه ولم يلبس نعلا منذ اقام بمكة وكان يزور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهل مكة ماشيا حافيا وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطايف وكان لا يدخر شيا ولا يلبس الا قميصا واحدا ضربه بعض امراء مكة في بعض فتن الروافض فتشكى اياما ومات وقد نيف على الثمانين رح

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين واربعماية

فيها استولى تكش اخو السلطان ملكشاه على بعض خراسان وفيها اذن للوعاظ

في الجلوس

في الجلوس وكانوا قد منعوا من ذلك فتنة ابن القشيري وفيها قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيسا يقال له عبد القادر الهاشمي وقد كاتبوه من الاقطار وكان الساعي له رجل يقال له ابن رسول وكانوا يجتمعون عند جامع براثا فخيف من امرهم ان يكونوا عملا لبني ... فامر بالقبض عليهم وحج بالناس ختلغ التركي

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن عمر بن محمد بن اسماعيل ابو عبد الله بن الاخضر المحدث سمع علي ابن شاذان وكان على مذهب الظاهرية وكان كثير التلاوة حسن السيرة منقللا من الدنيا متنوعا رح الصليحي المتغلب على اليمن ابو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب كان ابوه قاضيا باليمن وكان سنيا فنشا هذا فتعلم العلم وبرع في اشيا كثيرة وكان شيعيا على مذهب القرامطة ثم كان يدل بالحجيج مدة خمسة عشر سنة وكان قد اشتهر امره وذكر بين الناس انه سيملك اليمن فهجم بلاد اليمن بعد قتله نجاحا صاحبها تهامة واستحوذ على بلاد اليمن بكمالها في قصر مدة واستوسق له الملك بها في سنة خمس وخمسين وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر فلما كان في هذا العام خرج الى الحج في الفي فارس فاعترض سعيد بن نجاح بالمهجم في نفر يسير فقتله هو واخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله ولله الحمد ومن شعر الصليحي هذا قوله

• انكحت بيض الهند سمر رماحهم • فرؤوسهم عوض النثار نثار •
• وكذا العلى لا تستباح نكاحها • الا بحيث يطلق الاعمار •

محمد بن الحسن بن عبد الله بن احمد بن يوسف بن الشبل ابو علي الشاعر البغدادي اسند الحديث وله الشعر الرايق فمنه قوله

• لا تظهرن لعاذل او عاذر • حاليك في السراء والضراء •
• فلرحمة المتوجعين مرارة • في القلب مثل شماتة الاعداء •

وقوله

• يفني البخيل بجمع المال مدته • وللحوادث والايام ما يدع •
• كدودة القز ما تبنيه يهدمها • وغيرها بالذي تبنيه ينتفع •

يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ابو القاسم السكري من اهل زنجان ولد سنة خمس وتسعين وثلثماية وتفقه على مذهب الشافعي ودرس الفقه على الشيخ ابي اسحاق الشيرازي وكان من اكبر تلامذته وكان عابدا ورعا خاشعا كثير البكاء عند الذكر مقبلا على العبادة وكانت وفاته في هذه السنة وقد قارب الثمانين

ثم دخلت سنة اربع وسبعين واربعماية

فيها ولي ابو كامل منصور بن نور الدولة دبيس ما كان يليه ابوه من الاعمال وخلع عليه السلطان والخليفة وفيها ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حران وصالح صاحب الرها وفيها فتح تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق مدينة انطرسوس وفيها ارسل الخليفة ابن جهير الى السلطان ملكشاه يخطب ابنته عنه واجابت امها الى ذلك بشرط ان لا يكون له زوجة ولا سرية سواها وان يكون مبيته عندها عنده فوقع الشرط على ذلك وممن توفي فيها من الاعيان داود بن السلطان ملكشاه

فوجد عليه أبوه وجدا عظيما بحيث إنه كاد أو هم أن يقتل نفسه فمنعه الأمراء من ذلك وانتقل عيره لذلك البلد وأمر النساء بالنوح عليه ولما وصل الخبر إلى بغداد جلس وزير الخليفة للعزاء. القاضي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي الباجي الفقيه المالكي أحد الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة فسمع هناك الكثير واجتمع بأئمة ذلك الوقت كالقاضي أبي الطيب الطبري والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذر الهروي وأقام ببغداد ثلاث سنين أيضا وبالموصل سنة عند أبي جعفر السمناني قاضيها يأخذ عنه الفقه والأصول وسمع الخطيب البغدادي وسمع الخطيب أيضا منه وروى عنه الخطيب هذين البيتين الحسنين

القاضي أبو الوليد الباجي

إذا كنت أعلم علما يقينا . بأن جميع حياتي كساعه .
فلم لا أكون ضنينا بها . وأجعلها في صلاح وطاعه .

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة وتولى قضاءها هناك ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضا قال وله مصنفات عديدة منها المنتقى في شرح الموطأ وإحكام الفصول في أحكام الأصول والجرح والتعديل وغير ذلك وكان مولده في سنة ثلاث وأربعمائة وتوفي بالمرية ليلة الخميس بين العشاءين التاسع عشر من رجب من هذه السنة رح علي بن مزيد أبو الحسن الملقب نور الدولة توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة مكث منها أميرا نيفا وستين وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل ولقب بهاء الدولة عبد الله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم البغدادي كان من الرؤساء ومرض بالشقيقة ثلاث سنين فمكث في بيت مظلم لا يرى ضوءا ولا يسمع صوتا

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

فيها قدم مؤيد الدولة بن نظام الملك فنزل في مدرسة أبيه وضربت الطبول على بابه في أوقات الصلوات وفيها نفذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك فكان كلما مر على بلدة خرج إليه أهلها يتلقونه بأولادهم ونسائهم يتبركون به ويتمسحون بركابه وربما أخذوا من تراب بغلته ولما وصل إلى ساوه خرج إليه أهلها وما مر بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم حتى اجتاز بسوق الأساكفة فلم يكن عندهم إلا مداسات الصغار فجعل الشيخ يتعجب من ذلك وفيها جددت الخطبة من جهة الخليفة لبنت السلطان ملكشاه فطلبت أمها أربعمائة ألف دينار ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار للرضاع وأن يكون الصداق مائة ألف دينار وفيها حارب السلطان أخاه تتش فأسره ثم أطلقه واستمرت يده على دمشق وأعمالها وحج بالناس ختلع

وممن توفي فيها من الأعيان

عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عمرو الحافظ من بيت الحديث رحل إلى الآفاق وسمع الكثير وتوفي بأصبهان في هذه السنة. ابن ماكولا الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي الأمير سعد الملك أبو نصر بن ماكولا أحد أئمة الحديث وسادة الأمراء رحل وطوف

وسمع الكثير وصنف الإكمال في المشتبه في أسماء الرجال وهو كتاب جليل لم يسبق إلى مثله ولا يلحق فيه إلا ما استدرك عليه ابن نقطة في كتاب سماه الاستدراك قتله مماليكه بكرمان في هذه السنة وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة وعاش خمسا وخمسين سنة رح قال ابن خلكان وقيل إنه قتل في سنة سبع وسبعين وقيل سنة خمس وثمانين وقيل سنة ست وثمانين قال وقد كان أبوه وزير القادر بالله وعمه عبد الله بن الحسين ولي قضاء بغداد قال ولا أدري لم سمي الأمير إلا أن يكون منسوبا إلى جده الأمير أبي دلف وأصله من جرباذقان وولد في عكبرا في شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة قال وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤتنف جمع فيه بين كتابي الدارقطني وعبد الغني بن سعيد في المؤتلف والمختلف فجاء ابن ماكولا وزاد على كتاب الخطيب وسماه الإكمال وهو في غاية الإفادة ولم يوضع مثله ولا يحتاج بعده إلى ذكر فضيلة أخرى ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وإتقانه ومن شعره المنسوب إليه

قوض خيامك عن أرض تهان بها . وجانب الذل إن الذل يجتنب .
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة . فالمندل الرطب في أوطانه حطب .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

فيها عزل عميد الدولة ابن جهير عن وزارة الخلافة فسار بأهله وأولاده إلى السلطان وقصدوا نظام الملك الوزير فعقد لولده فخر الدولة على بلاد بكر فسار إليها بالخلع والكوسات والعساكر وأمر أن ينتزعها من ابن مروان وأن يخطب لنفسه وأن يذكر اسمه على السكة فما زال حتى انتزعها من أيديهم وباد ملكهم على يديه كما سيأتي بيانه وسد وزارة الخلافة أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ثم عزل في شعبان واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين ولقب ظهير الدين وفي جمادى الأولى ولي مؤيد الملك أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولي تدريس النظامية بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رح وفيها عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش فحاصرها ففتحها وهدم سورها وصلب قاضيها ابن جلبة وابنيه على السور وفي شوال قتل أبو المحاسن بن أبي الرضا وذلك لأنه وشى إلى السلطان في نظام الملك وقال له سلمهم إلي حتى أستخلص لك منهم ألف ألف دينار فعمل نظام الملك سماطا ما بلاد واستحضر غلمانه وكانوا ألوفا وشرع يقول للسلطان هذا كله من أموالكم ووقفت من المدارس والربط فكله شكره لك في الدنيا وأجره لك في الآخرة فعند ذلك أمر السلطان بقتل أبي المحاسن وترك أن حصيا عنده خصيصا به وجيها لديه وعزل أباه عن كتابة الطغراء ووليها مؤيد الملك بن نظام الملك وحج بالناس في هذه السنة الأمير ختلع التركي مقطع الكوفة

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي

إبراهيم بن علي بن يوسف الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الفيروزابادي فيروزاباد من فارس وقيل هي مدينة جور شيخ الشافعية ومدرس النظامية ببغداد ولد سنة ثلاث وقيل خمس وقيل ست وتسعين وثلثمائة وتفقه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة فتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري

وسمع الحديث من ابن شاذان والبرقاني وكان زاهدا عابدا ورعا كبير القدر معظما محترما اماما في الفقه والاصول والحديث وفنون كثيرة وله المصنفات الكثيرة النافعة كالمهذب والتنبيه والنكت في الخلاف واللمع في اصول الفقه والتبصرة والمعونة وطبقات الشافعية وغير ذلك قلت وقد ذكرت ترجمته مستقصاة مطولة في اول شرح التنبيه وقد كانت وفاته ليلة الحادي والعشرين من جمادى الاخرة في دار ابي المظفر بن رئيس الرؤسا وغسله ابو الوفا بن عقيل الحنبلي وصلي عليه بباب الفردوس من دار الخلافة وشهد الصلاة عليه المقتدي بامر الله وتقدم للصلاة عليه ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤسا وكان يومئذ نائب الوزارة ثم صلي عليه مرة ثانية بجامع القصر ودفن بباب ابرز في تربة مجاورة للناجية رحمه الله وقد استلاحه الشعرا وغيره وبعد وفاته وكان ينشد لنفسه له شعر رائق فما انشده ابن خلكان من شعره

سألت الناس عن خل وفي • فقالوا ما الى هذا سبيل •
تمسك ان ظفرت بود حر • فان الحر في الدنيا قليل •

قال ابن خلكان ولما توفي جلس الفقهاء للعزاء بالمدرسة النظامية وعين مؤيد الملك ابن نظام الملك ابا سعد المتولي مكانه فلما بلغ الخبر الى نظام الملك كتب يقول كان من الواجب ان تغلق المدرسة سنة لاجله واراد ان يدرس الشيخ ابو نصر بن الصباغ طاهر بن الحسين بن احمد بن عبد الله الرواس قرا القران وسمع الحديث وتفقه على القاضي ابي الطيب الطبري وافتى ودرس وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى وكان ثقة ورعا زاهدا لازم مسجده خمسين سنة وكانت وفاته في هذه السنة عن ست وثمانين سنة ودفن قريبا من الامام احمد رحمه الله محمد بن احمد بن محمد ابن اسماعيل ابو طاهر الانباري الخطيب ويعرف بابن الصوطات البلاد وسمع الكثير وكان ثقة صالحا فاضلا عابدا وقد سمع منه الخطيب البغدادي وروى عنه مصنفاته وتوفي بالانبار في سلخ جمادى الاخرة عن نحو من مائة سنة محمد بن احمد بن الحسين بن جرده احد كبار الرؤسا ببغداد من ذوي الثروة والمروة كان ماله يحرز بثلثمائة الف دينار وكان اصله من عكبرا فسكن بغداد وكانت له دار عظيمة ببغداد تشتمل على ثلاثين مسكنا مستقلا وفيها حمام وبستان ولها بابان وعلى كل باب مسجد اذا اذن في احدهما لا يسمع من الاخر من اتساعها وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيري في سنة خمسين واربعمائة نزلت عنده في جواره فبعث الى الامير قريش بن بدران امير العرب بعشرة الاف دينار لحمى داره جزاه الله خيرا وهو الذي بنى المسجد المعروف به ببغداد وقد ختم فيه القران الوف من الناس وكان لا يفارق زي التجار كانت وفاته في عاشر ذي القعدة من هذه السنة ودفن في التربة المجاورة لتربة القزويني رحمه الله

ثم دخلت سنة سبع وسبعين واربعمائة

فيها كانت الحرب بين فخر الدولة ابن جهير وبين ابن مروان صاحب بلاد بكر فاستولى ابن جهير على حلل العرب وسبى حريمهم واخذ البلاد ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي فافتدى خلقا من العرب فشكره الناس على ذلك ومدحه الشعرا على ذلك وفيها بعث السلطان عميد الدولة ابن جهير في جيش

كثيف

كثيف ومعه قسيم الدولة اقسنقر جد بني اتابك احد ملوك الشام والموصل فسارا الى الموصل فملكوها في شعبان وملك سليمان بن قتلمش انطاكية فارادها شرف الدولة مسلم بن قريش ان يستنقذها منه فهزمه سليمان وقتله وقد كان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة له في كل قرية وال وقاض وصاحب خبر وكان يملك من السندية الى منبج وولي بعده اخوه ابراهيم بن قريش وكان مسجونا من سنين فاطلق وملك وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه في العشرين من رجب بسنجار وفيها عصى تكش اخو السلطان على ملكشاه اخاه فاخذه السلطان فسمله وسجنه وحج بالناس في هذه السنة الامير جارتكين الحساني وذلك لشكوى الناس من شدة سير ختلغ بهم واخذه الكوسات منهم سار مرة من الكوفة الى مكة في نيف عشر يوما

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن دوست ابو سعد النيسابوري شيخ الصوفية له رباط بمدينة نيسابور يدخل من بابه الجمل براكبه وحج مرات على التجريد حين انقطعت طريق مكة وكان ياخذ جماعة من الفقرا ويتوصل من قبايل العرب حتى يصل بمكة رحمه الله توفي في هذه السنة وقد جاوز التسعين واوصى ان يخلفه ولده اسماعيل فاجلس في مشيخة الرباط وله اثنتا عشرة سنة وهو الذي وقف الاوقاف على الرباط

ابن الصباغ صاحب الشامل

عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن احمد بن جعفر الامام ابو نصر بن الصباغ صاحب الشامل ولد سنة اربعمائة وتفقه ببغداد على ابي الطيب الطبري حتى فاق الشافعية بالعراق وصنف المصنفات المفيدة منها كتابه الشامل في المذهب وهو اول من درس في النظامية كما تقدم وكانت وفاته في هذه السنة ودفن بداره في الكرخ ثم نقل الى باب حرب رحمه الله قال القاضي ابن خلكان كان فقيه العراقيين وكان يضاهي الشيخ ابا اسحاق وكان ابن الصباغ اعلم منه بالمذهب واليه الرحلة وقد صنف الشامل في الفقه والعدة في اصول الفقه وتولى تدريس النظامية اولا ثم عزل بعد عشرين يوما بالشيخ ابي اسحاق فلما مات الشيخ ابو اسحاق سنة ست وستين تولاها ابو سعد المتولي ثم عزل بابن الصباغ ثم عزل ابن الصباغ بابي سعد المتولي وكان ثقة حجة صالحا ولد سنة اربعمائة واضر في اخر عمره رحمه الله مسعود بن ناصر بن عبد الله بن احمد بن اسماعيل ابو سعد السجزي الحافظ رحل في طلب الحديث وسمع الكثير وجمع الكتب النفيسة وكان حسن الخط صحيح النقل حافظا ضابطا رحمه الله

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين واربعمائة

في المحرم زلزلت ارجان فهلك خلق كثير من الروم ومواشيهم وفيها كثرت الامراض الحمى والطاعون بالعراق والحجاز والشام وتعقبه الموت الفجاءة ثم ماتت الوحوش في البرية ثم تلاه موت البهائم حتى عزت الالبان واللحمان ومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنة فقتل خلق كثير وفي ربيع الاول

هاجت ريح سوداء فسفت رملا وتساقطت اشجار كثيرة من النخيل وغيرها ووقعت صواعق في البلاد حتى ظن بعض الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلا ذلك ولله الحمد ومنها ولد للخليفة ولده ابو عبد الله الحسين وزينت بغداد وضربت الطبول والبوقات وكثرت الصدقات ومنها استولى فخر الدولة بن جهير على بلاد كثيرة منها امد وميافارقين وجزيرة ابن عمر وانقرضت دولة بني مروان على يده في هذه السنة وفي ثاني عشر رمضان منها قلد ابو بكر محمد بن المظفر الشامي قضاء القضاة ببغداد بعد وفاة ابي عبد الله الدامغاني وخلع عليه في الديوان وحج بالناس في هذه السنة الامير ختلغ التركي وزار النبي صلى الله عليه وسلم ذاهبا وآيبا وقال لا اظن انها اخر حججي فكان كذلك ومنها خرج توقيع الخليفة المقتدي بامر الله بتجديد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل محلة والامر بالزام اهل الذمة بالغيار وكسر الملاهي واراقة الخمور واخراج اهل الفساد

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم بن ابي ايوب ابو بكر الفوركي سبط الاستاذ ابي بكر بن فورك استوطن بغداد وكان متكلما يعظ الناس في النظامية فوقعت بسببه فتنة بين المذاهب قال ابن الجوزي وكان يؤثر الدنيا لا يتحاشى من لبس الحرير وذكر انه كان ياخذ مكس الفحم وكانت وفاته في هذه السنة وله نيف وستون سنة ودفن الى جانب قبر الاشعري عشرة الزوايا الحسن بن علي ابو عبد الله المروزي كان رئيس اهل زمانه واكملهم مروءة كان قد خدم في ايام بني بويه وتاخر الى هذا الحين وكانت الملوك تعظمه وتكاتبه بعبده وخادمه وكان مع ذلك كثير الصدقة والصلاة وقد بلغ من العمر خمسا وتسعين سنة واعد لنفسه قبرا وكفنا قبل موته بخمس سنين ابو سعد المتولي عبد الرحمن بن المامون بن علي ابو سعد المتولي مصنف التتمة ومدرس النظامية بعد الشيخ ابي اسحاق الشيرازي وكان فصيحا بليغا ماهرا بعلوم كثيرة كانت وفاته في شوال من هذه السنة عن اثنتين وخمسين سنة رح وصلى عليه القاضي ابو بكر الشامي ودفن بباب ابرز

امام الحرمين

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن حيويه ابو المعالي الجويني وجوين من قرى نيسابور الملقب بامام الحرمين لمجاورته بمكة اربع سنين كان مولده في سنة تسع عشرة واربعمائة سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ ابي محمد الجويني ودرس بعده في حلقته وتفقه على القاضي حسين ودخل بغداد وتفقه بها وروى بها الحديث وخرج الى مكة فجاور فيها اربع سنين ثم عاد الى نيسابور فسلم اليه التدريس والخطابة والوعظ وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب والبرهان في اصول الفقه وغير ذلك في علوم شتى واشتغل عليه الطلبة ورحلوا اليه من الاقطار وكان يحضر مجلسه ثلثمائة متفقه وقد استقصيت ترجمته في الطبقات وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الاول من هذه السنة عن سبع وخمسين سنة ودفن بداره ثم

نقل الى جانب والده رحمهما الله تعالى وقال القاضي شمس الدين بن خلكان في الوفيات كانت امه جارية اشتراها ابوه من كسب يده من النسخ وامرها ان لا يرضعه غيرها فاتفق ان امراة دخلت عليهم فارضعته مرة فاخذه الشيخ ابو محمد فوضع فاه على بطنه ولم يزل حتى استقاء كل ما كان في بطنه من لبنها قال ومما حصل لامام الحرمين ما يفيد اهل المشرق والمغرب لسنا ليوم امام الائمة ومن تصانيفه الشامل في اصول الدين والبرهان في اصول الفقه وتلخيص التقريب والارشاد والعقيدة النظامية وغياث الامم وغياث الخلق وغير ذلك مما اتمه ولم يتمه قال ولما مات في ربيع الاخر سنة ثمان وسبعين واربعمائة صلى عليه ولده ابو القاسم وغلقت الاسواق وكسر تلامذته وكانوا اربعمائة اقلامهم ومحابرهم ومنبره ومكثوا كذلك سنة وقد رثي بمراث كثيرة في قول بعضهم

قلوب العالمين على المقالي ... وايام الورى شبه الليالي
ايثمر غصن اهل العلم يوما ... وقد مات الامام ابو المعالي

محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد ابو علي بن الوليد شيخ المعتزلة كان يدرس علمهم فانكر اهل السنة عليه فلزم بيته خمسين سنة الى ان توفي في ذي الحجة من هذه السنة ودفن في مقبرة الشونيزي وهذا هو الذي تناظر هو والشيخ ابو يوسف القزويني المعتزلي في اباحة الولدان في الجنة كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما وكان حاضرهما قال هذا لا اباحة ذلك لكونه مأمون المفسدة هنالك وقال ابو يوسف ان هذا لا يكون ومن اين لك انهم يكون لهم ادبار وهذا العضو انما خلق في الدنيا مخرجا للاذى وليس في الجنة شيء من ذلك ولا يحتاجون اليه فلا يكون لهذه المسئلة صورة بالكلية وقد روى هذا الرجل شيئا حديثا واحدا عن شيخه ابي الحسين البصري بسنده المتقدم من طريق شعبة عن منصور عن ربعي عن ابي مسعود البدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وقد رواه القعنبي عن شعبة ولم يرو عنه سواه قيل لانه لما رحل اليه دخل عليه وهو يبول على البالوعة فسأله ان يحدثه فروى له هذا الحديث كالواعظ له والتزم ان لا يحدثه بغيره وقيل لان شعبة مر على القعنبي وكان لا يشتغل بعلم الحديث وكان اذ ذاك يعاني الشراب فسأله ان يحدثه فامتنع فسل سكينا وقال ان لم تحدثني والا قتلتك فروى له هذا الحديث فتاب واناب ولزم مالكا لكنه فاته السماع من شعبة فلم يتفق له غير هذا فالله اعلم ابو عبد الله الدامغاني القاضي محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغاني الحنفي قاضي القضاة ببغداد مولده في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتفقه ببلده ثم قدم بغداد في سنة ثماني عشرة واربعمائة فتفقه بها على ابي عبد الله الصيمري وابي الحسين القدوري وسمع الحديث منهما ومن ابن النقور والخطيب وغيرهم

وبرع في الفقه وكان له محفل وافر وتواضع زائد وانتهت اليه رياسة الفقهاء وكان فصيح العبارة وقد كان فقيرا في ابتداء طلبه عليه اطمار رثة ثم صارت اليه الرياسة والقضاء بعد ابن ماكولا في سنة تسع واربعين وكان القائم بامر الله يكرمه والسلطان طغرلبك يعظمه وباشر الحكم ثلاثين سنة في غاية السيرة الحسنة والامانة والديانة والصيانة ثم مرض اياما يسيرة ثم توفي في الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة وقد ناهز الثمانين ودفن بداره بدرب الغلايين ثم نقل الى مشهد ابي حنيفة رح محمد بن علي بن المطلب ابو سعد الاديب كان قد قرا النحو واللغة والادب والسير واخبار الناس ثم اقلع عن ذلك كله واقبل على كثرة الصلاة والتصدق والصوم الى ان توفي في هذه السنة عن سن وثمانين سنة محمد بن ابي طاهر العباسي ويعرف بابن الرحبي تفقه على ابن الصباغ وناب في الحكم محمود الطريقة وشهد عند ابن الدامغاني فقبله منصور بن دبيس ابن علي بن مزيد ابو كامل الامير والد سيف الدولة صدقة توفي في رجب من هذه السنة وقد كان له شعر وادب وفيه فضل فمن شعره قوله

اذا انا لم احمل عظيما ولم اقد * لهاما ولم اصبر على كل معظم
ولم اجر الجاني وامنع جوره * غداة انادي للفخار فانتمي
فلا نهضت بي همة عربية * الى المجد ترقيني ذرى كل مكرم

هبة الله بن احمد ابو الحسن ابن السبي مؤدب الخليفة المقتدي بامر الله سمع الحديث وتوفي في محرم هذه السنة وقد جاوز الثمانين وله شعر جيد فمنه قوله

رجوت الثمانين من خالقي * لما جاء فيها عن المصطفى
فبلغنيها فشكرا له * وزاد ثلاثا بها اردفا
واني لمنتظر وعده * لينجزه فهو اهل الوفا

ثم دخلت سنة تسع وسبعين واربعمائة

فيها كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وانطاكية وتلك الناحية فانهزم اصحاب سليمان وقتل هو نفسه بخنجر كان معه فسار السلطان ملك شاه من اصبهان الى حلب فملكها وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها وهي حران والرها وقلعة جعبر وكان جعبر شيخا كبيرا قد عمي وله ولدان وكان قطاع الطريق يلجاون اليها فيتحصنون بها فامر السلطان سابور بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه فنصب عليها المجانيق والعرادات ففتحها وامر بقتل صاحبها سابور فقالت زوجته لا تقتله حتى تقتلني معه فالقاه من رأسها فتكسر ثم امر بتوسيطه بعد ذلك فالقت المرأة نفسها وراءه فسلمت فلامها بعض الناس في ذلك فقالت كرهت ان يصل الى التركي فيبقى ذلك عارا علي فاستحسن منها ذلك واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنقر التركي وهو جد نور الدين الشهيد واستناب على الجزيرة حران والرقة وسروج والخابور محمد بن شرف الدولة مسلم وزوجه باخته زليخا خاتون وعزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر وسلمها الى

الحميد

العميد ابي علي البلخي وخلع على سيف الدولة صدقة بن دبيس الاسدي واقره على عمل ابيه ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة وهي اول دخلة دخلها فزار المشاهد والقبور ودخل على الخليفة فقبل يده ووضعها على عينيه وخلع عليه الخليفة خلعة سنية وفوض اليه امور الناس واستعرض الخليفة امراءه ونظام الملك واقف بين يدي الخليفة يعرفه بالامراء واحدا واحدا باسمه وكم جيشه واقطاعه ثم افاض عليه الخليفة خلعة سنية وخرج من بين يديه فنزل بمدرسة النظامية ولم يكن رآها قبل هذه السفرة فاستحسنها الا انه استصغرها واستحسن اهلها ومن بها من الجماعة رح على ذلك وسال الله ان يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم ونزل بخزانة كتبها واملى جزءا من مسموعاته فسمعه المحدثون منه وورد الشيخ ابو القاسم علي بن ابي الحسين الحسيني الدبوسي الى بغداد في تجمل عظيم فرتب مدرسا بالنظامية بعد ابي سعد المتولي رح وفي شهر ربيع الاخر وقعت المنارة بجامع القصر الشريف واذن فيها وفيها كانت زلزلة هائلة بالعراق والجزيرة والشام فهدمت شيئا كثيرا من العمران وخرج اكثر اهل البلدان الى الصحراء ثم عادوا وماج الناس بالامير خمارتكين الحسناني وقطعت خطبة المصري من مكة والمدينة وقلعت الصفائح التي على باب الكعبة التي عليها ذكر المصري وجدد غيرها عليها اسم المقتدي قال ابن الجوزي وظهر رجل بين السندية وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى يفتح القفل في اسرع مدة ويغوص دجلة في غوصتين ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعا ويتسلق الحيطان الملس ولا يقدر عليه احد وخرج من العراق سالما قال وفيها توفي قفيز بجامع المنصور فوجد في تركته ستمائة دينار مغربية قال وفيها عمل سيف الدولة صدقة سماطا للسلطان جلال الدولة ابي الفتح ملك شاه اشتمل على الف راس من الغنم ومائة من الجمال والخيل وغيرها ودخله عشرون الف منا من سكر وقد علق عليه من اصناف الطيور والوحوش المعمولة من السكر شيء كثير فتناول السلطان منه شيئا يسيرا ثم اشار فانتهب عن اخره ثم انتقل من ذلك المكان الى سرادق عظيم مرسل من الحرير وفيه خمسمائة قطعة من فضة ذات الوان من تماثيل الند والمسك والعنبر وغير ذلك مما فيه سماطا خاصا فاكل السلطان نحيته وحمل اليه عشرين الف دينار وقدم له السرادق بكماله

وممن توفي فيها من الاعيان

الامير جعبر بن سابق القشيري الملقب سابق الدين كان قد تملك قلعة جعبر مدة طويلة فنسبت اليه وانما كان يقال لها قبل ذلك الدوسرية نسبة الى غلام النعمان بن المنذر فصار الشيخ كبيرا وعمي وكان له ولدان يقطعان الطريق فاجتاز به السلطان ملك شاه بن الب ارسلان السلجوقي وهو ذاهب الى حلب ليأخذها فاستنزله منها وقتله واخذها منهم في هذه السنة وتقدم الامير ختلغ امير الحاج كان مقطعا الكوفة وله وقعات مع العرب اعربت عن شجاعته وارعبت قلوبهم وشردتهم في البلاد شذر مذر وقد كان حسن السيرة محافظا على الصلوات كثير التلاوة وله آثار حسنة بطريق مكة في اصلاح المصانع والاماكن التي يحتاج اليها وله مدرسة على الحنفية بمشهد

يونس بالكوفة وبنى مسجدا بالجانب الغربي من بغداد على دجلة بمشرعة الكرخ وكانت
وفاته في جمادى الاولى من هذه السنة رحمه الله ولما بلغ نظام الملك وفاته قال مات الف
رجل علي بن فضال المجاشعي ابو علي النحوي المؤلف المصنفات الدالة على علمه غزارة
فضله واسند الحديث وكانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنة ودفن بباب ابرز
علي بن احمد التستري كان مقدم اهل البصرة في المال والجاه وله مراكب تحمل في البحر
قرا القران وسمع الحديث وتفرد برواية سنن ابي داود وكانت وفاته في رجب من هذه
السنة يحيى بن الحسين بن اسماعيل الحسيني كان فقيها على مذهب زيد بن علي عنده
معرفة بالاصول والحديث

سنة ثمانين واربعمائة

في المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان ملك شاه الى دار الخلافة المكرمة على مائة
وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي غالبها اواني الذهب والفضة وعلى اربعة وسبعين
بغلا مجللة بانواع الديباج الملكي على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة فيها
جواهر وحلي وبين يدي البغال ثلاث وثلثون فرسا عليها مراكب الذهب مرصعة
بانواع الجواهر ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجوهر
وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير ابا شجاع وبين يديه نحو من ثلثمائة موكبية غير
المشاعل يخدم الست الخاتون امراة السلطان تركان شاه جاه الخليفة وسال
ان يحمل الوديعة الشريفة الى دار الخلافة فاجابت الى ذلك فحضر الوزير نظام الملك
واعيان الامراء بين ايديهم من الشموع والمشاعل ما لا يحصى وجاءت نساء الامراء كل واحدة
منهن في جماعتها وجواريها وبين ايديهن الشموع والمشاعل ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان
زوجة الخليفة بعد الجميع في محفة مجللة وعليها من الذهب والجواهر ما لا يحصى وقد احاط
بالمحفة مائتا جارية تركية بالمراكب المزينة بهر الابصار فدخلت دار الخلافة
على هذه الصفة وقد زين الحريم الطاهر واشعلت فيه الشموع وكانت ليلة مشهودة
هائلة جدا فلما كان من الغد احضر الخليفة امراء السلطان ومد سماطا لم ير مثله
عم الحاضرين والغائبين وخلع على الخاتون زوجة السلطان وكان يوما مشهودا
وكان السلطان متغيبا في الصيد ثم قدم بعد ايام وكان هذا الدخول في اول
هذه السنة كما ذكرنا وولدت من الخليفة في ذي القعدة ولدا ذكرا وزينت له بغداد
وفي هذه السنة ولد للسلطان ملك شاه ولد اسماه محمودا وهو الذي ملك بعده
ومنها جعل السلطان ولده ابا شجاع ولي العهد من بعده ولقبه ملك الملوك عضد
الدولة تاج الملة عدة امير المؤمنين وخطب له بذلك على منابر بغداد وغيرها ونثر
الذهب على الخطباء عند ذلك ومنها شرع في بناء الناحية بباب ابرز وعملت مسناة
دور مشنا الخيل وغيرها من ذلك وعمل سور بامر السلطان ملك شاه وحج بالناس نجم الدولة
خمارتكين

وممن توفي فيها من الاعيان

اسماعيل بن ابراهيم بن موسى بن سعيد ابو القاسم الساوي رحل في الحديث الى الآفاق حتى
جاوز ما وراء النهر وكان له حظ وافر من الادب ومعرفة بالعربية توفي بنيسابور في جمادى

الاولى من هذه السنة طاهر بن الحسين البندنيجي ابو الوفا الشاعر المبرز له قصيدتان
في مدح نظام الملك احداهما معجمة والاخرى غير منقوطة اولها

لاموا ولو علموا ما اللوم ما لاموا • وقد لومهم هم وآلام •

وكانت وفاته ببلده في رمضان عن نيف وسبعين سنة محمد بن امير المؤمنين المقتدي
بامر الله عرض له جدري فمات في هذه السنة وله تسع سنين فحزن والده والناس وجلس
للعزاء فارسل اليهم يقول ان لنا في رسول الله اسوة حسنة حين توفي ابنه ابراهيم وقال
الله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ثم عزم على الناس
فانصرفوا راجعين الى منازلهم محمد بن محمد بن زيد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ابو الحسن الحسيني الملقب بالمرتضى ذي الشرفين ولد
سنة خمس واربعمائة ببغداد ونشا بها وسمع الحديث الكثير وقرا بنفسه على الشيوخ
وصحب الحافظ ابا بكر الخطيب فصارت له معرفة جيدة بالحديث وسمع عليه الخطيب
شيئا من مرويا ته ثم انتقل الى سمرقند واملى الحديث باصبهان وغيرها وكان يرجع الى
عقل كامل وثروة وكانت له اموال جزيلة واملاك متسعة ونعمة وافرة يقال انه
ملك اربعين قرية وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء بلغت زكاة ماله
الصامت عشرة الاف دينار غير زكاة العشور وكان له بستان ليس للملك مثله فطلبه
منه ملك ما وراء النهر واسمه الخضر بن ابراهيم عارية ليتنزه فيه فابى عليه وقال اعيره
اياه فيشرب فيه الخمر بعدما كان منادى اهل العلم والدين فاعرض عنه وحقد عليه ثم
استدعاه اليه ليستشيره في بعض الامور على العادة فلما حصل عنده قبض عليه
وسجنه في قلعة واستحوذ على جميع املاكه وحواصله واموا له فكان يقول لما تحققت
صحة السنين لهذه المصادرة فاني ربيت في النعيم فكنت اقول ان مثلي لا بد ان يبتلى ثم
منعوه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله في القلعة فاخرجوه فدفنوه هناك فقبره يزار
اكرم الله مثواه وبل بالرحمة ثراه وجعل جنة الفردوس منقلبه ومثواه محمد بن هلال
بن المحسن بن ابراهيم ابو الحسن الصابي الملقب بغرس النعمة سمع اباه وابا علي بن شاذان
وكانت له صدقة ومعروف وقد ذيل على تاريخ ابيه الذي ذيله على تاريخ ثابت بن سنان
الذي ذيله على تاريخ ابن جرير الطبري وقد انشاء دارا ببغداد ووقف عليها فيها
اربعة الاف مجلد في فنون من العلم وترك حين مات سبعين الف دينار ودفن بمشهد
علي رضي الله عنه هبة الله بن علي بن محمد بن احمد بن المجلي ابو نصر جمع خطبا ووعظا وسمع
الحديث على خلق من المشايخ وتوفي شابا قبل اوان الرواية ابو بكر بن عمر امير الملثمين
كان في ارض فرغانة اتفق له من الناموس ما لم يتفق لغيره من الملوك كان يركب معه اذا
سار لقتال العدو خمسمائة الف مقاتل كان يعتقد طاعته وكان يقيم الحدود ويحفظ
محارم الاسلام ويسير في الناس سيرة شرعية مع صحة معتقده وموالاة الدولة العباسية
اصابته نشابة في بعض حروبه فجاءت في حلقه فقتلته في هذه السنة فاطمة بنت علي
المؤدب الكاتبة وتعرف ببنت الاقرع سمعت الحديث من ابي عمرو بن مهدي وغيره
وكانت تكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البواب وتكتب الناس عليها وبخطها كانت
الهدنة من الديوان الى ملك الروم وكتبت مرة الى عميد الملك الكندري رقعة فاعطاها

الف دينار توفيت في المحرم من هذه السنة ببغداد ودفنت بباب ابرز

ثم دخلت سنة احدى وثمانين واربعماية

فيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ببغداد وجرت خطوب كثيرة وفي ربيع الاخر اخرجت الاتراك من حريم الخلافة ومنها بنيت قوة للخلافة ولله الحمد وفيها ملك مسعود ابن الملك المويد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد ابيه وفيها فتح ملكشاه مدينة سمرقند وحج بالناس في هذه السنة الامير جاركين وممن حج فيها الوزير ابو شجاع واستناب ولده ابا منصور وطراد بن محمد الزينبي

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن السلطان ملكشاه كان ولي عهد ابيه توفي وعمره احدى عشرة سنة ومكث الناس في العزا سبعة ايام لم يركب احد فرسا والنسا ينحن عليه في الاسواق وسود اهل البلاد الرايات ابو اسمعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الانصاري الهروي روى الحديث وصنف وكان كثير السهر بالليل كانت وفاته في ذي الحجة عن ست وثمانين سنة

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين واربعماية

في المحرم درس ابو بكر الشاشي بالمدرسة التاجية بباب ابرز وكان قد انشاها الصاحب تاج الملك ابو الغنايم على الشافعية وفيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ورفعوا المصاحف وجرت حروب طويلة وقتل خلق كثير نقل ابن الجوزي في منتظمه من خط ابن عقيل انه قتل في هذه السنة قريب من مايتي رجل قال وسب اهل الكرخ الصحابة وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفعوا الى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعنة الله على اهل الكرخ الذين فعلوا ذلك وانما حكيت هذا ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغضة لدين الاسلام واهله والعداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم لله ولرسوله وشريعته وفيها ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وطايفة كثيرة من تلك الناحية بعد حروب عظيمة ووقعات هايلة وفيها استولى جيش المصريين على عدة من بلاد الشام وفيها عمرت منارة جامع حلب وفيها ارسلت الخاتون بنت السلطان تشكو الى ابيها اعراض الخليفة عنها فبعث اليها ابو حاتم الطواشي صواب والامير بزان ليرجعاها اليه فاجاب الخليفة الى ذلك وبعث معها بالسيدة وجماعة من اعيان الامراء وخرج ابن الخليفة ابو الفضل والوزير يشيعانها الى النهروان وذلك في ربيع الاول فلما وصلت الى ابيها توفيت في شوال من هذه السنة باصبهان رحمها الله فعمل عزاها ببغداد سبعة ايام وارسل الخليفة الى السلطان امرين التعزية بها وحج بالناس جاركين

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الصمد بن احمد بن علي المعروف بطاهر النيسابوري الحافظ رحل وسمع الكثير وخرج وعاجله الموت في هذه السنة بهمذان علي بن ابي يعلى بن زيد ابو القاسم الدبوسي مدرس النظامية بعد المتولي وقد سمع شيا من الحديث وكان فقيها ماهرا وجدليا باهرا عالما

ابو الحسين بن محمد بن علي بن عاصم بن مهران ابو الحسين القاضي وهو من اهل الكرخ سكن باب الشعير ولد سنة سبع وستين وكان من اهل الفضل والادب وسمع الحديث من الخطيب وغيره وكان ثقة حافظا ومن شعره قوله

لهفي على قوم بكاظمة • ودعتهم والركب معترض •
لم تترك العبرات مذ بعدوا • لي مقلة ترنو وتغتمض •
رحلوا فدمعي واكف هطل • جار وقلبي حشوه مرض •
وتعوضوا لا ذقت فقدهم • عني وما لي عنهم عوض •
اقرضتهم قلبي على ثقة • منهم بما ردوا الذي اقترضوا •

محمد بن احمد بن حامد بن عبيد ابو جعفر البخاري المتكلم المعتزلي اقام ببغداد ويعرف بقاضي حلب وكان حنفي المذهب في الفروع معتزليا في الاصول مات ببغداد في هذه السنة ودفن بباب حرب محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الاصبهاني المعروف بعسلويه احد الحفاظ الجوالين الرحالين سمع الكثير وجمع الكتب واقام بهراة وكان صالحا كثير العبادة توفي بنيسابور في ذي الحجة من هذه السنة

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين واربعماية

في المحرم ورد الفقيه ابو عبد الله الطبري بمنشور نظام الملك بتدريسه النظامية ببغداد فدرس بها ثم في ربيع الاخر ورد الفقيه ابو محمد عبد الوهاب الشيرازي بمنشور اخر بتدريسها فاتفق الحال على ان يدرس هذا يوما وهذا يوما وفي جمادى الاولى وهم اهل البصرة رجل اسمه بليا كان ينظر في النجوم فاستغوى خلقا من اهلها وزعم انه المهدي واحرق من البصرة شيا كثيرا من ذلك دار كتب كانت اول دار كتب وقفت في الاسلام واتلف شيا كثيرا من الدور والبيوت والمصانع وغير ذلك وفيها خلع على ابي القاسم علي بن طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد ابيه وفيها استفتي على معلمي الصبيان ان يمنعوا من المساجد صيانة لها ولم يستثن منهم سوى رجل كان فقيها شافعيا يدري كيف تصان المساجد واستدل المفتي بقوله عليه السلام جنبوا اكل حوخة الاحوخة لا بكر وحج بالناس فيها جاركين على العادة

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو نصر بن جهير

محمد بن محمد بن جهير الوزير ابو نصر عميد الملك الملقب فخر الدولة وزر للقايم ثم لولده المقتدي ثم عزله السلطان ملكشاه وولاه وولده عميد الدولة ديار بكر وغيرها واتفق موته في هذه السنة بالموصل وهي البلدة التي ولد بها

ثم دخلت سنة اربع وثمانين واربعماية

في المحرم منها كتب المنجم الذي احرق البصرة الى اهل واسط يدعوهم الى طاعته ويذكر في كتابه انه المهدي صاحب الزمان الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي الخلق الى الحق فان اطعتم امنتم من العذاب وان عدلتم عن الحق خسف بكم فامنوا بالله وبالامام

المهدي وفيها الزم اهل الذمة بلبس الغيار وشد الزنانير وكذلك نساؤهم في الحمامات وغيرها
وفي جمادى الاولى قدم الشيخ ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من اصبهان الى بغداد
على تدريس النظامية بها ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الائمة قال ابن الجوزي
وكان كلامه معسولا وذكاؤه شديدا وفي رمضان عزل الوزير ابو شجاع عن وزارة الخلافة
فانشد عند عزله

تولاها وليس له عدو ... وفارقها وليس له صديق

ثم جاء كتاب نظام الملك بان يخرج من بغداد فخرج الى عدة اماكن فلم تطب له فعزم على
الحج ثم طابت نفس نظام الملك عليه فبعث اليه يسأله ان يكون عديله عنها اليها وناب
ابن الموصلايا في الوزارة وقد كان اسلم قبل هذه المباشرة في اول هذه السنة وفي رمضان
دخل السلطان ملك شاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك وقد خرج لتلقيه قاضي
القضاة ابو بكر الشاشي وابن الموصلايا المسلم وجاءت ملوك الاطراف ليسلموا
عليه منهم اخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق واتابكه قسيم الدولة اق سنقر صاحب
حلب وفي ذي القعدة خرج ملك شاه وابنه وابن ابنته من الخليفة وخلق كثير الى الكوفة
وفيها استوزر ابو منصور بن جهير وهي الوزارة الثانية لوزارته للمقتدي وخلع عليه
وركب اليه نظام الملك فهناه بداره بباب العامة وفي ذي الحجة عمل السلطان الميلاد
في دجلة واشعلت نيران عظيمة واوقدت شموع كثيرة وجمعت المطربات في السميريات
وكانت ليلة مشهودة عظيمة عجيبة جدا وقد نظم فيها الشعراء الشعر فلما اصبح ليلة
من هذه الليلة طيف بالحسن الداعية المدعي انه المهدي بلبا المنجم على جمل ببغداد وهو
يسب الناس وهم يلعنونه وعلى راسه طرطور بودع والدرة تاخذه من كل جانب
ثم صلب بعد ذلك ولله الحمد والمنة وفيها امر السلطان ملك شاه بعمارة جامعه
المنسوب اليه بظاهر السور وفي هذه السنة ملك امير المسلمين يوسف بن تاشفين
صاحب بلاد المغرب كثيرا من بلاد الاندلس واسر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه واهله
باغمات وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والادب والحلم وحسن السيرة والعشرة
والاحسان الى الرعية والرفق بهم فحزن الناس عليه وقالت في مصابه الشعراء فاكثروا
وفيها ملكت الفرنج مدينة صقلية من بلاد المغرب ومات ملكهم فقام من بعده ولده
فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين واحسن اليهم كانه منهم وفيها كانت زلازل كثيرة
بالشام وغيرها فهدمت بنيانا كثيرا وكان من جملة ذلك تسعون برجا في سور انطاكية
وهلك تحت الهدم خلق كثير وحج بالناس فيها خمارتكين

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الرحمن بن احمد بن علك ابو طاهر ولد باصبهان وتفقه بسمرقند وهو الذي كان سبب
فتحها على يدي السلطان ملك شاه وكان من رؤساء الشافعية وقد سمع الحديث
الكثير قال عبد الوهاب بن منده لم ير فقيها في وقتنا انصف منه ولا اعلم وكان صادق
اللهجة كثير المروءة غزير النعمة وكانت وفاته ببغداد فمشى الوزراء والرؤساء في جنازته
غير ان نظام الملك ركب واعتذر بكبر السن ودفن الى جانب الشيخ ابي اسحاق الشيرازي
وكان يوما مشهودا وجاء السلطان ملك شاه الى التربة قال ابن عقيل جلست بكرة

العزا

العزا الى جانب نظام الملك والملوك قيام بين يديه اجترات على ذلك بالعلم
حكاه ابن الجوزي محمد بن احمد بن علي بن حامد ابو نصر المروزي كان اماما في القراءات وله
فيها المصنفات وسافر في ذلك كثيرا واتفق انه غرق في البحر في بعض اسفاره فبينما
الموج يرفعه ويضعه اذ نظر الى الشمس قد زالت فنوى الوضوء وانغمس في الماء ثم
صعد فاذا خشبة فركبها وصلى عليها ورزقه الله السلامة ببركة الصلاة وعاش
بعد ذلك دهرا وتوفي في هذه السنة وله نيف وتسعون سنة محمد بن عبد الله بن
الحسين ابو بكر الناصح الفقيه الحنفي المناظر المتكلم المعتزلي وقد ولي القضاء بنيسابور
ثم عزل عنها لتعصبه وكلاية واخذه الرشا وولي قضاء الري وقد سمع الحديث وكان
من اكابر العلماء وتوفي في رجب منها ارتق بن اكسب التركماني جد الملوك الارتقية
الذين هم اليوم ملوك ماردين كان شهما شجاعا عالي الهمة تغلب على بلاد كثيرة وقد
ترجمه ابن خلكان وارخ وفاته بهذه السنة

ثم دخلت سنة خمس وثمانين واربعمائة

فيها امر السلطان ملكشاه ببناء سوق المدينة المعروفة بطغرلبك الى جانب دار الملك
وجدد دكاكينها واسواقها ودروبها وآدرها وامر بتجديد الجامع الذي عمر على يدي هارون
الخادم في سنة اربع وعشرين وخمسمائة ووقف على نصب قبلته بنفسه ومنجمه ابراهيم
حاضر ونقلت اليه اخشاب جامع سامرا وشرع نظام الملك في بناء دار له بما يليه
وكذلك تاج الدين ابو الغنائم شرع في عمارة دار بما يليه ايضا واستوطنوا البلد وطابت
لهم بغداد وفي جمادى الاولى وقع حريق عظيم ببغداد في اماكن شتى فما اطفي حتى هلك للناس
شي كثير جدا فما عمروا بقدر ما عدموا وفي ربيع الاول خرج السلطان الى اصبهان وصحبته
ولد الخليفة ابو الفضل جعفر ثم عاد الى بغداد في رمضان فبينما هو في اثنا الطريق
يوم عاشره عدا صبي ديلمي على الوزير نظام الملك بعد ما افطر فضربه بسكين فقضى
عليه واخذ الصبي الديلمي فقتل وقد كان من كبار الوزرا وخيار الكبرا وسنذكر شيئا من سيرته
عند ذكر ترجمته وقدم السلطان من اصبهان الى بغداد في رمضان بنية غير صالحة
فلقاه الله في نفسه ما يتمناه لاعدايه وذلك انه لما استقر ركابه ببغداد وجاء الناس
للسلام عليه والتهنية بقدومه وارسل اليه الخليفة يهنيه بعث الى الخليفة
يقول له لا بد ان تنزل لي عن بغداد وتتحول عنها الى اي البلاد شيت فارسل اليه الخليفة
يستنظره شهرا فقال ولا ساعة واحدة فارسل يتوسل اليه في انظاره عشرة
ايام فاجاب الى ذلك بعد تمنع شديد فما استتم الاجل حتى خرج السلطان يوم الفطر
الى الصيد فاصابته حمى شديدة فافتصد فما قام منها حتى مات قبل العشرة ولله الحمد
والمنة واستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش وضبطت الاحوال جيدا وارسلت
الى الخليفة تسأله ان يكون ولدها محمود ملكا بعد ابيه وان يخطب له على المنابر
فاجابها الى ذلك وارسل اليه بالخلع وبعث يعزيها ويهنيها مع وزيره عميد
الدولة بن جهير وعمر الملك محمود هذا يومئذ خمس سنين ثم اخذت له البيعة في الجيوش
وسارت به خواصها الى اصبهان لتوطد له الملك فدخلوها وتم لهم مرادهم وامرهم وخطب
لهذا الغلام في البلدان كلها حتى في الحرمين واستوزر له تاج الملك ابو الغنائم

المرزبان بن خسرو وارسلت ام الملك محمود تسال الخليفة ان يولي الملك وان يجعل
ولايات العمال اليه فقال الخليفة هذا لا يسوغه الشرع ووافقه الغزالي على ذلك
وافتى المسطب بن محمد الحنفي بجواز ذلك فلم يعمل الا بقول الغزالي وانحاز اكثر جيش السلطان
الى ابنه الاخر بركياروق فبايعوه وخطبوا له بالري ونفيت الخاتون وولدها ومعهم شرذمة
من الجيش ومن الخاصكية فانفقت فيهم ثلاثين الف الف دينار لقتال بركياروق بن
ملك شاه فالتقوا في ذي الحجة فكانت الخاتون في المنهزمين ومعها ولدها وقد ثبت
في صحيح البخاري لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة وفي ذي القعدة اعترضت بنو خفاجة
الحجيج فقاتلهم من في الحجيج الجند مع الامير خمارتكين فهزموهم ونهبت اموال الاعراب
ولله الحمد والمنة وفيها جاء برد شديد عظيم بالبصرة وزن الواحدة منه خمسة ارطال
الى ثلاثة عشر رطلا فاتلف شيئا كثيرا من النخيل والاشجار وجاء ريح عاصف فاصعف
فالقى عشرات الوف من النخيل ايضا فانا لله وانا اليه راجعون وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وفي هذه السنة ملك تتش تاج الدولة صاحب دمشق
مدينة حمص وقلعة عرقة وقلعة افامية ومعه قسيم الدولة آقسنقر وكان السلطان
قد جهز سرية الى اليمن صحبة سعد الدولة كوهرائين وجبق امير التركمان فدخلاها
واساءا فيها السيرة فتوفي كوهرائين يوم دخوله مدينة عدن ولله الحمد والمنة

وممن توفي فيها من الاعيان

جعفر بن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابو الفضل التميمي المعروف بالحكاك المكي رحل
في طلب الحديث الى الشام والعراق واصبهان وغير ذلك من البلاد وسمع الكثير وخرج
الاجزاء وكان حافظا متقنا ضابطا اديبا ثقة صدوقا خيرا وكان يرسل عن صاحب
مكة وكان من ذوي الهيئات والمروات قارب الثمانين رحمه الله نظام الملك الوزير
الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس ابو علي الوزير نظام الملك وزير الملك الب ارسلان
وولده ملك شاه تسعا وعشرين سنة وكان من خيار الوزراء رحمه الله ولد بطوس في سنة
ثمان واربعمائة وكان ابوه من جند اصحاب محمود بن سبكتكين وكان من الدهاقين
فاشغل ولده هذا بقراءة القران وله احدى عشرة سنة واشغله بعلم القراءات
والتفقه على مذهب الشافعي وسماع الحديث واللغة والنحو وكان عالي الهمة فحصل من ذلك
طرفا صالحا ثم ترقى في المراتب حتى وزر للسلطان الب ارسلان بن داود بن ميكائيل
بن سلجوق ثم من بعده لولده ملك شاه تسعا وعشرين سنة لم ينكب في شيء منها
وبنى المدارس النظاميات ببغداد ونيسابور وغيرهما وكان مجلسه عامرا بالفقهاء
والعلماء بحيث يقضي معهم غالب نهاره فقيل له ان هولاء قد شغلوك عن كثير من المصالح
فقال هولاء جمال الدنيا والاخرة ولو اجلستهم على راسي لما استكثرت ذلك وكان اذا دخل
عليه ابو القاسم القشيري وابو المعالي الجويني قام لهما واجلسهما معه في المسند فاذا
دخل عليه ابو علي الفارمذي قام واجلسه مكانه وجلس بين يديه فعوتب في ذلك
فقال انهما اذا دخلا علي قالا انت وانت فيزيدانني تيها وان الفارمذي يذكر لي عيوبي
وظلمي فانكسر وارجع عن كثير من الذي انا فيه وكان محافظا على الصلوات في اوقاتها لا يشغله

بعد

بعد الاذان شغل عنها ويواظب على صيام الاثنين والخميس وله الاوقاف الدارة والصدقات
البارة وكان يعظم الصوفية تعظيما زائدا فعوتب في ذلك فقال اني كنت اخدم بعض
الامراء فجاءني يوما انسان فقال لي اخدم من تنفعك خدمته ولا تخدم من تاكله الكلاب
غدا فلم افهم ما يقول فاتفق ان ذلك الامير سكر تلك الليلة فخرج في اثناء الليل وهو ثمل
وكانت له كلاب تفترس الغرباء بالليل فلم تعرفه ومزقته فاصبح وقد اكلته الكلاب قال
فانا اطلب مثل ذلك الشيخ وقد سمع الحديث في اماكن شتى ببغداد وغيرها من البلاد
وكان يقول اني لاعلم اني لست باهل للرواية ولكني احب ان اربط في قطار نقلة حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ايضا رايت ليلة في المنام ابليس فقلت له ويحك
خلقك الله وامرك بالسجود له مشافهة فابيت وانا لم يامرني بالسجود وانا اسجد له
كل يوم مرات فانشا يقول

من لم يكن للوصال اهلا ... فكل احسانه ذنوب

وقد اجلسه مرة المقتدي بامر الله بين يديه وقال له يا حسن رضي الله عنك برضى امير
المومنين عليك وقد ملك الوفا من الترك وكان له بنون كثيرة وزر منهم خمسة وزر
ابنه احمد للسلطان محمد بن ملك شاه ولامير المومنين المسترشد بالله خرج نظام الملك
مع السلطان من اصبهان قاصدا بغداد في مستهل رمضان من هذه السنة فلما كان
اليوم العاشر اجتاز في بعض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند وهو يسايره في محفة
فقال قد قتل هاهنا خلق من الصحابة زمن عمر فطوبى لمن يكون عندهم فاتفق انه لما افطر
جاءه صبي في هيئة مستغيث به ومعه قصة فلما انتهى اليه ضربه بسكين في فواده وهرب
فعثر بطنب الخيمة فاخذ فقتل ومكث الوزير ساعة وجاءه السلطان يعوده فمات وهو
عنده رحمه الله وقد اتهم السلطان في امره انه هو الذي مالا عليه فلم تطل مدته بعده الا خمسة وثلاثين
يوما فكان في ذلك عبرة لاولي الالباب ولما بلغ موته اهل بغداد اجلس الوزير والرؤساء
للعزاء ثلاثة ايام ورثاه الشعراء منهم مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ... يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها ... فردها غيرة منه الى الصدف

واثنى عليه غير واحد حتى ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما عبد الباقي بن محمد بن الحسين
ابن داود بن ناقيا ابو القاسم الشاعر من اهل الحريم الطاهري ولد سنة عشر
واربعمائة وكان اديبا شاعرا ماهرا غير انه رماه بعضهم براي الاوائل وانه كان يقول في السماء
نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من خمر وما يسقط من ذلك نقطة الا هذا الماء الذي يخرب
البيوت ويهدم السقوف وهذا الكلام كفر من قائله لعنه الله نقله ابن الجوزي في
المنتظم وحكي عن بعضهم انه وجد في يده مكتوبا حين مات هذين البيتين

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ... ارجي نجاتي من عذاب جهنم

واني على خوفي من الله واثق ... بانعامه والله اكرم منعم

مالك بن احمد بن علي بن ابراهيم ابو عبد الله البانياسي الشامي وقد كان له اسم اخر سمته
به امه علي ابو الحسن فغلب عليه ما سماه به ابوه وما كناه به سمع الحديث على مشايخ
كثيرة وكان اخر من حدث عن ابي الحسن بن الصلت هلك في حريق سوق الريحانيين

وله ثمان وثمانون سنة وقد كان ثقة عزيز الحديث رح

السلطان ملك شاه

السلطان الكبير جلال الدولة ابو الفتح ملك شاه بن ابي شجاع الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق التركي ملك بعد ابيه كما ذكرنا فامتدت مملكته من اقصى بلاد الترك الى اقصى بلاد اليمن وراسله الملوك من سائر الاقاليم حتى ملك الروم والخزر واللان وكانت دولته صارمة والطرقات في ايامه آمنة ومع عظمته يقف للمراة والمسكين والضعيف وعمر العمارات الهائلة وبنى القناطر واسقط المكوس والضرائب وحفر الانهار الكبار الخراب وبنى مدرسة ابي حنيفة والسوق وبنى الجامع الذي يقال له جامع السلطان ببغداد وبنى منارة القرون من صيوده بالكوفة ومثلها فيما وراء النهر وضبط ما صاده بنفسه في صيوده فكان نحوا من عشرة آلاف صيد فتصدق بعشرة آلاف درهم وقال اني خائف من الله تعالى ان اكون ازهقت نفس حيوان لغير مأكلة وقد كانت له افعال حسنة وسيرة صالحة من ذلك ان فلاحا انهى اليه ان غلمانا اخذوا له حمل بطيخ هو راس ماله فقال اليوم يرد عليك حملك ثم قال لقيمه اريد ان تاتوني اليوم ببطيخ ففتشوا فاذا في خيمة الحاجب بطيخ فحملوه اليه فاستدعى بالحاجب فقال من اين لك هذا قال جاء به الغلمان فقال احضرهم فذهب فهربهم فارسل اليه فاحضره وسلمه الى الفلاح وقال خذه بيدك فانه مملوكي ومملوك ابي واياك ان تفارقه ورد عليه حمل البطيخ فخرج الفلاح بحمله وفي يده الحاجب فاستفدى نفسه منه بثلثمائة دينار ولما توجه لقتال اخيه تكش اجتاز بطوس فدخل لزيارة قبر علي بن موسى الرضا ومعه النظام فلما خرجا قال للنظام بما دعوت قال دعوت الله ان يظفرك على اخيك فقال لكني قلت اللهم ان كان اخي اصلح للمسلمين فظفره بي وان كنت اصلح لهم فظفرني به وقد سار ملك شاه هذا بعسكره من اصبهان الى انطاكية فما عرف ان احدا من جيشه ظلم احدا من الرعية واستعدى اليه تركماني ان رجلا افتض بكارة ابنته وهو يريد ان يمكنه من قتله فقال له يا هذا ان ابنتك لو شاءت ما مكنته من نفسها فان كنت لابد فاعلا فاقتلها معه فسكت الرجل ثم قال الملك او خير من ذلك قال وما هو قال تزوجها من ذلك الرجل وامهرها من بيت المال كفايتها وحكى له بعض الوعاظ ان كسرى اجتاز يوما في بعض اسفاره بقرية منفردا من جيشه فوقف على باب دار فاستسقى فاخرجت اليه جارية اناء فيه ماء قصب السكر بالثلج فشرب منه فاعجبه فقال كيف تصنعون هذا فقالت انه سهل علينا اعتصاره على ايدينا فطلب منها شربة اخرى فذهبت لتاتيه بها فوقع في نفسه ان ياخذ هذا المكان منهم ويعوضهم عنه فابطات عليه ثم خرجت وليس معها شي فقال لها ما لك فقالت انه كان نية سلطاننا تغيرت علينا فتعسر علي اعتصاره وهي لا تعرف انه السلطان فقال لها ادخلي فانك الآن تقدرين وغير نيته الى غيرها فذهبت وجاءته بشربة اخرى سريعا فشربها وانصرف فقال له السلطان هذه تصلح لي لكن قص على الرعية حكاية كسرى الاخرى حين اجتاز ببستان فطلب من ناطوره عنقودا من حصرم فانه قد اصابه

صفرا

صفرا وعطش فقال له الناطور ان السلطان لم ياخذ حقه منه فلا اقدر ان اعطيك منه شيا قال فتعجب الناس من ذكاء الملك وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك واستعدى اليه رجلان من الفلاحين على الامير خمارتكين انه اخذ منهما مالا جزيلا وكسر ثنيتيهما وقالا سمعنا بعدلك في العالم فان اقدتنا منه كما امرك الله والا استعدينا عليك يوم القيامة واخذوا بركابه فنزل عن فرسه وقال لهما خذا بكمي فاسحباني الى دار نظام الملك فهابا ذلك فعزم عليهما ففعلا ما امرهما به فلما بلغ النظام خرج مسرعا من خيمته فقال له الملك اني قلدتك الامر لتنصف المظلوم ممن ظلمه فكتب من فوره بعزل خمارتكين وحل اقطاعه وان يرد اليهما اموالهما وان تقلع ثنيتاه ان قامت عليه البينة وامر لهما الملك من عنده بمائة دينار واستطعمه بعض المكوس فقال له رجل من المستوفين يا سلطان العالم ان هذا يعدل ستمائة الف دينار واكثر فقال له ويحك ان المال مال الله والعباد عبيده والبلاد بلاده وانما يبقى هذا لي ومن نازعني في هذا ضربت عنقه وغنته امراة حسناء فطرب وتاقت نفسه اليها فهم بها فقالت ايها الملك اني اغار على هذا الوجه الجميل من النار وبين الحلال والحرام كلمة واحدة فاستدعى بالقاضي فزوجه بها وقد ذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل ان السلطان ملك شاه كان قد تشكك في عقيدته بسبب صحابته الباطنية ثم تنصل من ذلك وراجع الحق وذكر ان ابن عقيل كتب له شيا في الدليل على اثبات الصانع وقد ذكرنا انه لما رجع آخرة الى بغداد عزم على الخليفة ان يخرج منها فاستنظره عشرة ايام فمرض ومات قبل انقضاء الامد وكانت وفاته في ليلة الجمعة النصف من شوال عن سبع وثلاثين سنة وخمسة اشهر وكانت مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة واشهرا ودفن بالشونيزية ولم يصل عليه احد لشدة كتمان الامر وكان مرضه بالحمى وقيل انه سم فالله اعلم

باني التاجية ببغداد

المرزبان بن خسرو وتاج الملك الوزير ابو الغنائم باني التاجية التي درس بها ابو بكر الشاشي وبنى تربة الشيخ ابي اسحاق وقد كان السلطان ملك شاه اراد ان يستوزره بعد النظام فمات سريعا فاستوزره ولده محمود فلما قهره اخوه بركيارق قتله غلمان النظام وقطعوه اربا اربا في ذي الحجة من هذه السنة هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن احمد بن بوري ابو القاسم الشيرازي احد الرحالين الجوالين في الآفاق وكان حافظا ثقة دينا ورعا حسن الاعتقاد والسيرة له تاريخ حسن ورحل اليه الطلبة من بغداد وغيرها

ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة

فيها قدم الى بغداد رجل يقال له اردشير بن منصور ابو الحسين العبادي مرجعه من الحج فنزل النظامية فوعظ الناس وحضر مجلسه الغزالي المدرس بالمكان وازدحم الناس في مجلس وعظه وكثرت المجالس بعد ذلك وعطل كثير من الناس معايشهم فكان يحضر المجلس في بعض الاحيان ثلاثين الفا من الرجال والنساء

وتاب كثير من الناس ولزموا المساجد وأريقت الخمور وكسرت الملاهي وكان الرجل في نفسه صالحا له عبادات وفيه زهد وافر وله أحوال صالحة وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه وربما أخذوا منها من البركة التي يتوضأ منها للبركة ونقل ابن الجوزي أنه اشتهى مرة على بعض أصحابه توتا شاميا وثلجا فطاف البلد كله فلم يجده فرجع فوجد الشيخ في خلوته فسأله هل جاء اليوم أحد فقيل له جاءت امرأة فقالت إني قد غزلت بيدي غزلا وبعته وأنا أحب أن أشتري للشيخ به طرفة فاصنع فبكت فرحمها وقال اذهبي فقال لها ما ذا أشتري فقال لما شئت فاشترت بثوب شامي وثلج فأكله وقال بعضهم دخلت عليه وهو يشرب مرقة فقلت في نفسي ليته أعطاني فضله لأشربها لحفظ القرآن فناولني فضله وقال اشرب على تلك النية قال فرزقني الله حفظ القرآن وكانت له عبادات ومجاهدات ثم اتفق أنه تكلم في بيع العراطة بالصحيح فمنع من الجلوس وأخرج من البلد وفي هذه السنة خطب تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق لنفسه بالسلطنة وطلب من الخليفة أن يخطب له بها بالعراق فحصل التوقف في ذلك بسبب ابن أخيه بركياروق بن ملكشاه فسار إلى الرحبة وفي صحبته وطاعته آقسنقر قسيم الدولة صاحب حلب وبوزان صاحب الرها ففتح الرحبة ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران وهزم جيوشه من بني عقيل وقتل خلقا من الأمراء صبرا وكذلك أخذ ديار بكر واستوزر الكافي بن فخر الدولة بن جهير وكذلك أخذ همذان وخلاط ونحا أذربيجان واستفحل أمره ثم فارقه الأميران آقسنقر وبوزان فصارا إلى الملك بركياروق وبقي تتش وحده فطمع فيه ابن أخيه بركياروق فرجع تتش فلحق قسيم الدولة وبوزان كرتوبا بباب حلب فكسرهما وأسر بوزان وآقسنقر فصلبهما وبعث برأس بوزان فطيف به حران والرها وملكهما من بعده وفيها وقعت الفتنة بين الروافض والسنة وانتشرت بينهم شرور كثيرة وفي ثاني شعبان ولد الخليفة المسترشد بالله أبو منصور الفضل ابن أبي العباس بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدي ففرح الخليفة وولي عهده بالولد السعيد وفي ذي القعدة دخل السلطان بركياروق بغداد وخرج الوزير أبو منصور بن جهير لتلقيه وهناه عن الخليفة بالقدوم وفيها أخذ المستنصر العبيدي مدينة صور من أرض الشام ولم يحج أحد من أهل العراق في هذا العام

وممن توفي فيها من الأعيان

جعفر بن المقتدي بالله من الخاتون بنت ملكشاه في جمادى الأولى وجلس الوزير عميد الدولة للعزاء ثلاثة أيام سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن إبراهيم ابن محمد بن سليمان أبو مسعود الأصبهاني سمع الكثير وصنف وخرج على الصحيحين وكانت له معرفة بالحديث سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقاني وكتب عنه الخطيب وغيره وكانت وفاته في ذي القعدة عن تسع وثمانين سنة عبد الواحد بن أحمد ابن الحصين الدسكري أبو سعد الفقيه الشافعي صحب الشيخ أبا إسحاق الشيرازي وروى الحديث وكان من أهل العلم وكان يقول ما عصيت الله في هذا في لذة قط

توفي

توفي في رجب من هذه السنة ودفن بباب حرب علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر أبو الحسن الهكاري قدم بغداد ونزل في رباط الزوزني وكانت له أربطة قد ابتناها سمع الحديث وروى عنه غير واحد من الحفاظ وكان يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام في الروضة فقلت يا رسول الله أوصني فقال عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ومذهب الشافعي وإياك ومجالسة أهل البدع وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة علي بن محمد بن محمد أبو الحسن الخطيب الأنباري يعرف بابن الأخضر سمع أبا محمد الفرضي وسواه ممن حدث عنه وكانت وفاته في شوال عن خمس وتسعين سنة أبو نصر بن ماكولا علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف الأمير أبو نصر ابن ماكولا ولد سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة وسمع الكثير وكان من الحفاظ وله كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف جمع بين كتاب عبد الغني وكتاب الدارقطني وغيرهما وزاد عليهما أشياء كثيرة مهمة حسنة مفيدة نافعة وكان نحويا مبرزا فصيح العبارة حسن الشعر قال ابن الجوزي وسمعت شيخنا عبد الوهاب يطعن في دينه ويقول العلم يحتاج إلى دين وقتل في خوزستان في هذه السنة أو التي بعدها وقد جاوز الثمانين كذا ذكره ابن الجوزي

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدي وخلافة ولده المستظهر بالله

صفة موته

لما قدم السلطان بركياروق بغداد سأل من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتابا فيه العهد إليه فكتب ذلك وهيئت الخلع وعرضت على الخليفة والكتاب على الخليفة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ثم قدم إليه الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة ثم غسل يديه وجلس ينظر في العهد بعدما وقع عليه وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار قالت فنظر إلي وقال من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن فالتفت فلم أر أحدا ورأيته قد تغير حاله واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قواه وسقط إلى الأرض قالت فظننت أنه غشي عليه فحللت أزرار ثيابه فإذا هو لا يجيب داعيا فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلمت ولي العهد بذلك فجاء الأمراء ورؤوس الدولة يعزونه بأبيه ويهنونه بالخلافة فبايعوه

ذكر شيء من ترجمة المقتدي بأمر الله رحمه الله

هو أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة الأمير ولي العهد أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن القادر العباسي أمه أم ولد اسمها أرجوان أرمنية أدركت خلافته وخلافة ولده المستظهر وولد ولده المسترشد أيضا وكان أبيض تام القامة حلو الشمائل عمرت في أيامه محال كثيرة من بغداد ونفي عنها المغنيات وأرباب الملاهي وكان غيورا على حريم الناس آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حسن السيرة والسريرة تغمده الله برحمته وكانت وفاته يوم الجمعة رابع عشر المحرم من هذه السنة وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام وخلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر إلا يومين وأخفي موته ثلاثة أيام حتى توطدت

البيعة لابنه المستظهر ثم صلى عليه ودفن في تربتهم

خلافة المستظهر بالله ابي العباس محمد

لما توفي ابوه كما ذكرنا يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم من سنة سبع وثمانين واربعمائة كان عمره ست عشرة سنة وشهران فبويع بالخلافة وكان ولي البيعة الوزير ابو منصور بن جهير ثم اخذت البيعة له من الملك ركن الدولة بركياروق بن ملكشاه ثم من بقية الامراء والرؤسا وتمت البيعة الى ثلاثة ايام ثم ظهر التابوت يوم الثلثا الثامن عشر من المحرم وصلى عليه الخليفة وحضره الناس ولم يحضر السلطان بل كبار امرائه وحضر من العلماء الغزالي والشاشي وابن عقيل وبايعوا ايضا فكان المستظهر بالله كريم الاخلاق حافظا للقران العظيم فصيحا بليغا وشاعرا مطبقا ومن لطيف شعره قوله

اذاب حر الجوى في القلب ما جمدا • يوما مددت على رسم الوداع يدا
فكيف اسلك نهج الاصطبار وقد • ارى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد اخلف الوعد بدر قد شغفت به • من بعد ما قد وفا دهرا بما وعدا
اذ كنت انقض عهد الحب في خلدي • من بعد هذا فلا عاينته ابدا

وفوض المستظهر امور الخلافة الى وزيره ابي منصور عميد الدولة بن جهير فدبرها احسن تدبير ومهد الامور اتم تمهيد وساس الرعايا وكان من خيار الوزراء وفي ثالث عشر شعبان عزل الخليفة ابا بكر الشاشي عن القضاء وفوضه الى ابي الحسن ابن الدامغاني ووقعت فتنة بين السنة والروافض واحرقت محال كثيرة وقتل ناس كثيرون فانا لله وانا اليه راجعون وكانت الخطبة للسلطان بركياروق ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم من هذه السنة وهو اليوم الذي توفي فيه الخليفة المقتدي بامر الله بعدما علم على توقيعه ولم يحج احد من الناس لاختلاف الناس

وممن توفي فيها من الاعيان

اقسنقر الاتابك الملقب قسيم الدولة السلجوقي ويعرف بالحاجب صاحب حلب وديار بكر والجزيرة وهو جد الملك نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر وكان اولا من اصحاب السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي ثم تقدمت منزلته عنده حتى اعطاه حلب واعمالها باشارة الوزير نظام الملك وكان من احسن الملوك سيرة واجودهم سريرة وكانت الرعية معه في امن ورخص وعدل ثم كان موته على يدي السلطان تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وذلك انه استعان به وبصاحب حران والرها الملك بوزان على قتال ابن اخيه بركياروق ابن ملكشاه فغدرا اليه وتركاه فلما تمكن قاتلهما بباب حلب فقتلهما واخذ بلاد بوزان واما حلب فانها استقرت لولده عماد الدين زنكي بن اقسنقر فيما بعد ذلك في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة كما سياتي بيانه وذكر القاضي ابن خلكان في الوفيات انه كان مملوكا للسلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي هو

اخضر

وبزان

وبزان صاحب الرها فلما ملك تاج الدين تتش بن الب ارسلان حلب استنابه فيها فعصى عليه فقصده وكان يقصد ملك دمشق ايضا فقاتله فقتله في هذه السنة في جمادى الاولى منها ثم دفنه ولده عماد الدين زنكي بحلب ثم وصله اليها من فوق السور بالمدرسة الزجاجية الخليفة المقتدي بامر الله عبد الله بن ولي العهد ذخيرة الدين ابي العباس احمد بن امير المؤمنين الخليفة القائم بامر الله بن القادر وقد ذكرنا شيئا من ترجمته عند موته بدر الجمالي صاحب الجيوش بمصر ومدبر الممالك الفاطمية وكان عاقلا كريما محبا للعلماء ولهم عليه رسوم دارة تمكن في ايام المستنصر تمكنا عظيما ودارت ازمة الامور على ارائه وفتح بلادا كثيرة واستدت ايامه ونجل صيته وامتدحه الشعراء ثم كانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة وقام من بعده ولده الافضل

الخليفة المستنصر الفاطمي

معد بن تميم بن ابي الحسن علي بن الحاكم استمرت ايامه ستين سنة ولم يتفق هذا لخليفة قبله ولا بعده وكان قد عهد الى ولده نزار فخلعه الافضل بن بدر الجمالي بعد موت ابيه وبايع ابا القاسم احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلي فهرب نزار الى الاسكندرية فجمع الناس عليه وبايعوه وتولى امره قاضي اسكندرية جلال الدولة بن عمار فقصده الافضل فقاتله مرارا فهزمهم واسر القاضي ونزارا فقتل القاضي وحبس نزار بين حيطين حتى مات واستقر المستعلي في الخلافة وعمره احد وعشرون سنة محمد ابن ابي هاشم امير مكة كانت وفاته في هذه السنة عن نيف وتسعين سنة محمود بن السلطان ملكشاه كانت امه قد عقدت له الملك وانفقت فيه الاموال الجزيلة فنازعه اخوه بركياروق فقهره وقاتله فكسره ولزم بيته ببلده اصبهان فمات بها في هذه السنة وحمل الى بغداد فدفن بالتربة النظامية وكان من احسن الناس وجها واظرفهم شكلا وكانت وفاته في شوال من هذه السنة وتوفيت قبله امه الخاتون تركان شاه في رمضان وبها ختم عظامه وهي التي كانت قد جمعت شمل العساكر عليه واسندت ازمة المملكة اليه وملكت عشرة الاف مملوك تركي وانفقت في ذلك قريبا من ثلاثين الف الف دينار فانحل النظام ولم يحصل لها ولا لولدها التيام

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين واربعمائة

فيها ورد يوسف بن ابق التركماني من جهة تاج الدولة ابي سعيد تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق لاقامة الدعوة له ببغداد وكان تتش قد توجه لقتال الاخير بناحية الري فلما دخل رسوله الى بغداد هابوه وخافوه واستدعاه الخليفة فقربه وقبل الارض بين يدي الخليفة فناس اهل بغداد وخافوا ان ينهبهم فبينما هو كذلك اذ قدم عليه اخوه فاخبره ان تتش قتل في اول من قتل في الوقعة وكانت وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة فاستفحل امر بركياروق واستقل بالامور وكان دقاق بن تتش مع ابيه حين قتل فسار الى دمشق فتسلمها من الامير ساوتكين

الذي استنابه ابوه واستوزر ابا القاسم الخوارزمي وملك عبد الله بن تتش مدينة
حلب ودبّر امر مملكته جناح الدولة الحسين بن اتكين ورضوان بن تتش صاحب
مدينة انصا واليه ينتسب بنو رضوان بها وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع
الاول خطب لولي العهد ابي منصور الفضل بن المستظهر ولقب بذخيرة الدين وفي
ربيع الاخر خرج الوزير عميد الملك بن جهير فاختط سورا على الحريم واذن للعوام
في العمل والتفرج فاظهروا منكرات كثيرة وسخافات عقول ضعيفة وعملوا اشيا سخيفة
وبعث اليه ابن عقيل رقعة فيها مكتوب كلام غليظ وانكار بعضه وفي رمضان
جرح السلطان بركيارق وقعدا عليه فدادي فلم يتمكن منه واقر على اخرين فلم يقروا
فقتل الثلاثه وذهب الطواشي بن الخادم من جهة الخليفة مهنيا له بالسلامة
وفي ذي القعدة خرج ابو حامد الغزالي من بغداد متوجها الى بيت المقدس تاركا
للتدريس بالنظامية زاهدا في ذلك لابسا خشن الثياب بعد ناعمها وناب عنه
اخوه في التدريس وعاد في السنة الثالثة من خروجه حج ثم رجع الى بلده وقد
صنف كتاب الاحيا في هذه المدة وكان يجتمع اليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط
فيسمعونه وفي يوم عرفة خلع على القاضي ابي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن
السيبي ولقب بثبوت القضاة ورد الى ولاية القضا بالحريم وغيره وفي
هذه السنة اصطلح اهل الكرخ مع بقية المحال وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا
وتشاربوا وكان هذا من العجايب وفيها قتل احمد بن خان صاحب سمرقند وسببه
انه شهد عليه بالزندقة فخنق وولي مكانه ابن عمه مسعود وفيها دخل الاتراك
افريقية وغدروا بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبضوا عليه وملكوا بلادا
وقتلوا خلقا بعدما جرت بينهم وبينه حروب شديدة وكان مقدمهم رجل يقال له
شاه ملك وكان من اولاد بعض امرا المشرق فتقدم مصر وخدم بها ثم هرب الى الغرب
ففعل ما ذكر ولم يحج احد من العراق في هذه السنة

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن احمد بن خيرون ابو الفضل الباقلاني سمع الكثير وكتب عنه الخطيب
وكان شيخا له معرفة جيدة وهو من الثقات وشهد عند ابي عبد الله الدامغاني ثم
صار امينا له ثم ولي اشراف خزانة الغلات وتوفي في رجب عن ثنتين وثمانين
سنة تتش ابو المظفر تاج الدولة بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق
صاحب دمشق وغيرها من البلاد وقد كان يروج امره على ابن اخيه بركيارق وقد
ملك شاه بن الب ارسلان ولكن الله يقدر ما شا ويفعل وقال المتنبي ولله
سر في علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان قال ابن خلكان صاحب البلاد
الشرقية فاستنجده اتسز حين حاربه امير الجيوش من جهة صاحب مصر فلما
قدم دمشق ليخدمه وخرج اليه اتسز امر بمسكه وقتله واستحوذ هو على دمشق
واعمالها في سنة احدى وسبعين ثم حارب باتيهم اتسز فقتله واضطرب
في سنة ثمان وسبعين ثم حارب مسعود اخوه بركيارق ببلاد الري بعكسه واخوه وقتل
وهو في الحركه وملك ابنه رضوان حلب الى سنة سبع وخمسماية وابنه الاخر شمس الملك

ابو نصر دقاق دمشق الى سنة سبع وتسعين وخمسماية فقام من بعده ولده ومعه امه
في عقود فقام بالامر من بعده مملوك ابيه وزوج امه طغتكين الى سنة ثنتين وعشرين
وخمسماية فقام من بعده ولده تاج الملوك بوري اربع سنين ثم ابنه الاخر شمس الملوك
اسماعيل ثلاث سنين فقتلته امه ايضا وهي زمرد خاتون بنت جاولي لجلسنا اخاه شهاب
الدين محمود بن بوري فمكث اربع سنين ثم ملك اخوه محمد بن بوري بن طغتكين سنة
ثم ملك مجير الدين انر من سنة اربع وثلاثين الى ان انتزع المدينة نور الدين محمود بن
زنكي كما سياتي وكان اتابك العساكر بدمشق ايام انر معين الدين انر الذي ينسب اليه
القصير بالغور والمدرسة المعينية رحمه الله رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز ابو
محمد التميمي احد ايمة القرا الفقها على مذهب احمد والحديث وكان له مجلس للوعظ وحلقة
للفتوى بجامع المنصور ثم بجامع القصر وكان حسن الشكل محببا الى العامة له شعر
حسن وكان كثير العبادة فصيح العبارة حسن المناظرة وقد روى عن اباه حديثا له
مسلسلا عن علي بن ابي طالب قال سئل عن العلم فقال اجابة والا رحل وقد كان
ذا وجاهة عند الخليفة يبعثه في مهام الرسايل الى السلطان وكانت وفاته في يوم الثلثا
النصف من جمادى الاولى من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ودفن بداره بباب
المراتب باذن الخليفة وصلى عليه ابنه ابو الفضل

ابو يوسف القزويني

عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار الشيخ ابو يوسف القزويني شيخ المعتزلة
قرا على عبد الجبار بن احمد الهمداني ورحل الى مصر فاقام بها اربعين سنة وحصل كتبا كثيرة
وصنف تفسيرا في سبعماية مجلد قال ابن الجوزي جمع فيه العجب تكلم على قوله واتبعوا
ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان في مجلد كامل قال ابن عقيل كان طويل اللسان
بالعلم تارة وبالشر اخرى وقد سمع الحديث من ابي عمر بن مهدي وغيره ومات ببغداد عن
ست وتسعين سنة ولم يتزوج الا في اخر عمره ابو شجاع الوزير محمد بن الحسين بن عبد
الله بن ابراهيم ابو شجاع الوزير كان من خيار الامرا كثير الصدقة والاحسان الى العلما الفقرا
وسمع الحديث من الشيخ ابي اسحاق الشيرازي وغيره وصنف كتبا منها كتابه الذي ذيل على
تجارب الامم وزر للخليفة المقتدي بامر الله وكان يملك ستماية الف دينار فانفقها في الخيرات
والصدقات ووقف الوقوف الحسنة وبنى المشاهد واكثر الانعام على الارامل والايتام قال
له رجل ان بجانبنا ارملة لها اربعة ايتام وهم عراة وجياع فبعث اليهم مع رجل من خاصته
نفقة وكسوة وطعاما ونزع ثيابه عنه في البرد الشديد وقال والله لا البسها حتى
يرجع اليه بخبرهم فذهب الرجل مسرعا فقضى حاجتهم واوصلهم ذلك الاحسان ثم عاد
الى الوزير يخبره فلما اخبره عنهم بما سره لبس ثيابه وجيء مرة بقطايف سكر فلما
وضعت بين يديه تنغص بذكر من لا يقدر عليها فارسلها كلها الى المساجد والفقرا
والعميان ففرقت عليهم رحمه الله وكان لا يجلس في الديوان الا ومعه الفقها فاذا وقع امر
مشكل سالهم فيحكم بما يفتونه به وكان كثير التواضع مع الناس خاصتهم وعامتهم
ثم انعزل عن الوزارة فسار الى الحج وجاور بالمدينة النبوية ثم مرض فلما ثقل به المرض

جاء الى الحجرة النبوية فقال يا رسول الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وها انا استغفر الله من ذنوبي وارجو شفاعتك فيها يوم القيامة ثم مات يومئذ لليلة رح ودفن بالبقيع

القاضي ابو بكر الشامي

محمد بن المظفر بن بكران الحموي ابو بكر الشامي ولد سنة اربعمائة وتفقه ببلده ثم حج في سنة سبع عشرة وقدم بغداد فتفقه على الشيخ ابي الطيب الطبري وسمع بها الحديث وشهد عند ابن الدامغاني فقبله ولازم مسجده خمسا وخمسين سنة يقرئ الناس ويفقههم ولما مات ابو عبد الله الدامغاني اشار به ابو شجاع الوزير فولاه الخليفة المقتدي القضاء فكان من انزه الناس واعفهم لم يقبل من سلطان عطية ولا من صاحب هدية ولم يغير ملبسه ولا ماكله ولم ياخذ على القضاء اجرا ولم يستنب احدا بل كان يباشر القضاء ولم يحاب مخلوقا وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بينة اذا قامت عنده قرائن التهمة حتى يقروا ويذكر ان الشافعي في كلامه ما يدل على هذا وقد صنف ابو بكر الشامي كتابا في الرد عليه في ذلك ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن واستشهد له بقوله تعالى ان كان قميصه قد من قبل الاية وشهد عنده رجل من كبار الفقهاء والمناظرين يقال له المشطب بن محمد بن اسامة الفرغاني فلم يقبله لما عليه من الحرير وخاتم الذهب فقال المدعي ان السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير وخاتم الذهب فقال القاضي لو شهدا عندي على باقة بقل ما قبلت شهادتهما توفي رح يوم الثلثاء عاشر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ودفن بالقرب من ابن سريج ابو عبد الله الحميدي محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد ابو عبد الله الحميدي الاندلسي من جزيرة يقال لها ميورقة قريبة من الاندلس قدم بغداد فسمع بها الحديث وكان حافظا مكثرا دينا باهرا عفيفا نزها وهو صاحب الجمع بين الصحيحين وله غير ذلك من المصنفات وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب وكانت وفاته ليلة الثلثاء السابع عشر من ذي الحجة وقد جاوز السبعين ودفن قريبا من بشر الحافي سنة الله بن الشيخ ابي الوفا ابن عقيل كان قد حفظ القران وتفقه وظهر منه نجابة ثم مرض فانفق عليه ابوه مالا جزيلا فلم يفد شيا فقال له ابنه ذات يوم يا ابه انك قد اكثرت الادوية والادعية ولله في اختيار فدعني واختيار الله قال ابوه فعلمت انه لم يوفق لهذا الكلام الا وقد اختير للحظوة

ثم دخلت سنة سبع وثمانين واربعمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم في هذه السنة حكم جملة المنجمين بان سيكون فيها طوفان قريب من طوفان نوح وشاع الكلام بذلك بين العوام فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عيشون المنجم فسأله عن هذا الكلام فقال ان طوفان نوح اجتمع في برج الحوت الطوالع السبعة والان فقد اجتمع فيه ستة ولم يجتمع معها زحل فلا بد من وقوع طوفان في بعض البلاد والاقرب انها بغداد فتقدم باصلاح المسنيات والمواضع التي يخشى من انفجار الماء منها وجعل الناس ينتظرون ذلك فجاء الخبر بان الحجاج حصلوا في وادي المناقب فجاءهم سيل عظيم فنجا منهم من تعلق برؤوس الجبال وذهب

الماء بالرجال والرحال والجمال فخلع على ذلك المنجم واجرى له جراية وفيها ملك الامير قوام الدولة ابو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش وغرقه بعد حصار تسعة اشهر وفيها ملك تميم بن المعز بن باديس مدينة قابس واخرج منها اخاه عمر فقال الخطيب سوسه في ذلك مضحك الزمان وكان يلقب عابسا لما فتحت بحد سيفك قابسا وانثنيها بكرا وما امهرتها الا قنا وصوارما وفوارسا

• الله يعلم ما جنيت ثمارها • الا وكان ابوك قبل الغارسا •

• من كان في زرق الاسنة خاطبا • كانت له قلل البلاد عرائسا •

وفي صفر درس الشيخ ابو عبد الله الطبري بالنظامية ولاه فخر الملك بن نظام الملك وبركيارق وفيها اغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس ونضدوا مشهد الحسين بالحائر فتظاهروا فيه بالمنكرات والفساد فكبسهم الامير صدقة المذكور فقتل منهم خلقا كثيرا حتى عند الضريح ومن العجائب ان احدهم القى نفسه وفرسه من على راس السور فسلم وسلمت فرسه وحج بالناس في هذه السنة الامير خمارتكين الحسناني

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله ابو حكيم الخبري وخبر احدى بلاد فارس سمع الحديث وتفقه على الشيخ ابي اسحاق الشيرازي وكانت له معرفة بالفرايض وله معرفة بالادب واللغة وكانت له مصنفات وكان مرضي الطريقة وكان يكتب المصاحف بالاجرة فبينما هو يوما وضع القلم من يده واستند وقال والله لئن كان هذا موتا انه لطيب ثم مات رح عبد المحسن بن علي بن احمد الشيحي التاجر ويعرف بابن شهدانكه بغدادي سمع الكثير ورحل واكثر عن الخطيب وهو بصور وهو الذي حمله الى العراق فلهذا اهدى اليه تاريخ بغداد بخطه وقد روى عنه في مصنفاته وكان يسميه عبد الله وكان ثقة عبد الملك ابن ابراهيم بن احمد ابو الفضل الهمذاني تفقه على الماوردي وكانت له يد طولى في العلوم الشرعية وفي الحساب وغير ذلك وكان يحفظ غريب الحديث لابي عبيد والمجمل لابن فارس وكان عفيفا زاهدا طلبه المقتدي ليوليه قضاء القضاة فابى اشد الاباء واعتذر بالعجز وعلو السن وكان ظريفا لطيفا قال لي كان ابي اذا اراد ان يؤدبني ياخذ العصا بيده يقول نويت ان اضرب ولدي تاديبا كما امر الله ثم يضربني قال والى ان ينوي ويتم النية كنت اهرب توفي في رجب من هذه السنة ودفن عند قبر ابن سريج محمد بن احمد بن عبد الباقي بن منصور ابو بكر الدقاق ويعرف بابن الخاضبة كان معروفا بالافادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة النقل وجمع بين علم القران والحديث واكثر عن ابي بكر الخطيب ومن اصحابه المخلصين قال لما غرقت بغداد غرقت داري وكتبي فلم يبق لي شي فاحتجت الى النسخ فكتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات فنمت ذات ليلة فرايت كان القيامة قد قامت وقايل يقول ابن ابن الخاضبة فجيت فادخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قفاي ووضعت احدى رجلي على الاخرى وقلت استرحت من النسخ ثم استيقظت والقلم في يدي والنسخ بين يدي ابو المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار بن احمد بن محمد ابو المظفر

السمعاني الحافظ من اهل مرو تفقه اولا على ابيه في مذهب ابي حنيفة ثم انتقل الى مذهب الشافعي حين اخذ عن الشيخ ابي اسحاق الشيرازي وابن الصباغ وكانت له يد طولى في فنون كثيرة وصنف التفسير وكتاب الانتصار في الحديث والبرهان والقواطع في اصول الفقه والاصطلام وغير ذلك ووعظ في مدينة نيسابور وكان يقول ما حفظت شيا فنسيته وسيل عن اخبار الصفات فقال عليكم بدين العجايز وسيل عن الاستوا فقال

جيتماني لتعلما سر سعدى • تجداني بسر سعدى شحيحا •
ان سعدى لمنية المتمني • جمعت عفة ووجها صبيحا •

توفي رح في ربيع الاول من هذه السنة ودفن في مقبرة بمرو رح وبل بالرحمة ثراه

سنة تسعين واربعماية

فيها كان ابتدا ملك الخوارزمية وذلك لان السلطان بركياروق ملك فيها بلاد خراسان بعد مقتل عمه ارسلان ارغون بن الب ارسلان وسلمها الى اخيه احمد المعروف بالملك سنجر وجعل اتابكه الامير قماج ووزيره ابا الفتح علي بن الحسين الطغرايي واستعمل على خراسان الامير حبشي بن التوساق فولاه مدينة خوارزم شابا يقال له محمد بن انوشتكين وكان ابوه من مماليك امرا السلجوقية ونشا محمد في ادب وفضيلة وحسن سيرة ولما ولي خوارزم لقب خوارزم شاه فكان اول ملوكهم فاحسن السيرة وعامل الناس بالجميل وحين مات قام من بعده على خوارزم ولده اتسز فجرى على سنن ابيه واظهر عند العدل فحظي عند السلطان سنجر واحب الناس وارتفعت منزلته وفيها خطب الملك رضوان بن تاج الدولة تتش للخليفة المستعلي الفاطمي وفي رمضان قتل برسق اكابر الامرا وكان اول من تولى شحنكية بغداد وفي شوال قتل رجل باطني عند باب النوبي كان قد شهد عليه عدلان احدهما ابن عقيل انه دعاهما الى مذهبه فجعل يقول اتقتلونني وانا اقول لا اله الا الله فقال ابن عقيل قال الله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا الاية وجج بالناس في هذه السنة خاركين الجستاني وفي يوم عاشورا كبست دار بهاء الدولة ابو نصر بن جلال الدولة ابي طاهر بن بويه لامور ثبتت عليه عند القاضي بن نودمه فنقضت داره وعمل مكانها مسجدان للحنفية والشافعية وكان ملكشاه قد اقطعه المعابين ودسر عاقول وغيرهما

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن الحسن بن علي بن زكريا بن دينار ابو يعلى العبدي البصري ويعرف بابن الصواف ولد سنة اربعماية سمع الحديث وكان اماما متصوفا وفقيها مدرسا ذا سمت ووقار وسكينة وكان علامة في عشرة علوم توفي في رمضان من هذه السنة عن تسعين سنة رح

المعمر بن احمد بن المعمر بن احمد بن محمد ابو الغنايم الحسيني النقيب الطالبيين سمع الحديث وكان حسن الصورة كريم الاخلاق كثير التعبد لا يرى الا ذي مسلما ولا يشتم صاحبا توفي عن نيف وستين سنة كان منها نقيبا ثنتين وثلاثين سنة وكان من سادات قريش وتولى بعده ولده ابو الفتوح حيدرة ولقب بالرضي ذي الفخرين وقد رثاه الشعرا

بابيات ذكرها ابن الجوزي يحيى بن احمد بن محمد بن علي السيبي سمع الحديث ورحل اليه الطلبة وكان ثقة صالحا صدوقا دينا وعمر ماية سنة وثنتي عشرة سنة وثلاثة اشهر وهو في ذلك صحيح الحواس يقرا عليه القران والحديث

ثم دخلت سنة احدى وتسعين واربعماية

في جمادى الاولى ملك الفرنج مدينة انطاكية بعد حصار شديد بمواطاة من بعض المستحفظين على بعض الابراج وهرب صاحبها باغي سيان في نفر يسير وترك بها اهله وماله ثم اخذه في اثنا الطريق ندم شديد على ما فعل بحيث انه غشي عليه وسقط عن فرسه فذهب اصحابه وتركوه فجا راعي غنم فقطع راسه وذهب به الى ملك الفرنج ولما بلغ الخبر الى الامير كربوقا صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة واجتمع اليه دقاق بن تتش صاحب دمشق وصاحب حمص وغيرهما وسار الى الفرنج فالتقوا معهم بارض انطاكية فهزمهم الفرنج وقتلوا منهم خلقا كثيرا واخذوا منهم اموالا كثيرة فانا لله وانا اليه راجعون ثم سارت الفرنج الى معرة النعمان فحاصروها واخذوها ايضا فلا قوة الا بالله ولما بلغ هذا الحال الى الملك بركياروق شق عليه ذلك وكتب الى الامرا ببغداد ان يتجهزوا وصحبة الوزير ابن جهير لقتال الفرنج فبرز بعض الجيش الى ظاهر البلد بالجانب الغربي ثم انفسخت هذه العزيمة لانه بلغهم ان الفرنج في الف الف مقاتل فلا حول ولا قوة الا بالله وحج بالناس فيها الامير خمارتكين

وممن توفي فيها من الاعيان

طراد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن الامام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ابو عبد الله الفوارس بن ابي الحسن بن ابي القاسم بن ابي تمام من ولد زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وتمام ولد عبد الله بن محمد ابراهيم الامام بن محمد بن عبد الله بن عباس سمع الحديث الكثير والكتب الكبار وتفرد عن جماعة من المشايخ ورحل اليه من الافاق واملى الحديث في بلدان شتى وكان يحضر مجلسه العلما والسادة وحضر ابو عبد الله الدامغاني مجلسه وباشر نقابة العباسيين مدة طويلة وتوفي عن نيف وتسعين سنة في هذه السنة ودفن في مقابر الشهدا رح المظفر ابو الفتح بن رييس الروسا ابي القاسم بن المسلمة كانت داره مجمعا لاهل الدين والعلم والادب وبها توفي الشيخ ابو اسحاق الشيرازي ولما توفي ابو الفتح هذا دفن عند الشيخ ابي اسحاق في تربته

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين واربعماية

لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين واربعماية استحوذ الفرنج لعنهم الله وهم في نحو الف الف مقاتل على بيت المقدس شرفه الله تعالى فقتلوا في وسطه ازيد من سبعين الف قتيل وجاسوا خلال الديار وكان وعد الله مفعولا قال ابن الجوزي واخذوا من حول الصخرة اثنين واربعين قنديلا من فضة زنة كل منها ثلاثة الاف وستماية وتنور من فضة زنته اربعين رطلا بالشامي وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام الى العراق مستغيثين

على الفرنج الى الخليفة والسلطان ومنهم القاضي بدمشق ابو سعيد الهروي فلما سمع الناس
ببغداد هذا الامر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا وقد نظم ابو سعيد الهروي كلاما قرئ
في الديوان وعلى المنابر فجهش الناس بالبكاء وندب الخليفة الفقهاء الى الخروج ليحرضوا
الملوك على الجهاد فخرج ابن عقيل وغيره من اعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يفد
ذلك شيئا فانا لله وانا اليه راجعون فقال في ذلك ابو المظفر الابيوردي

مزجنا دماء بالدموع السواجم ❊ فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه ❊ اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بني الاسلام ان وراءكم ❊ وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها ❊ على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ❊ ظهور المذاكي او بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم ❊ تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

ومنها

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة ❊ تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها ❊ ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللن بايدي المشركين قواضبا ❊ ستغمد منهم في الطلى والجماجم
يكاد لهن المستجن بطيبة ❊ ينادي باعلى الصوت يا آل هاشم
ارى امتي لا يشرعون الى العدى ❊ رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى ❊ ولا يحسبون العار ضربة لازم
اترضى صناديد الاعارب بالاذى ❊ ويغضي على ذل كماة الاعاجم
فليتهم اذ لم يذودوا حمية ❊ عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وان زهدوا في الاجر اذ حمس الوغى ❊ فهلا اتوه رغبة في الغنائم

وفيها كان ابتداء امر السلطان محمد بن ملكشاه وهو اخو السلطان سنجر لابيه وامه
واستفحل امره الى ان صار من امره ان خطب له ببغداد في ذي الحجة من هذه السنة وفيها
سار الى الري فوجد زبيدة خاتون ام اخيه بركياروق فامر بخنقها وكان عمرها اذ ذاك
ثنتين واربعين سنة وفي هذه السنة غلت الاسعار ببغداد حتى مات كثير من الناس
جوعا واصابهم وباء شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى من كثرتهم

وممن توفي فيها من الاعيان

السلطان ابراهيم بن السلطان محمود بن مسعود بن السلطان محمود بن السلطان
مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة واطراف الهند وغيرها ملك
كانت له حرمة ومهابة عظيمة جدا حكى الكيا الهراسي حين بعثه السلطان بركياروق
اليه في رسالة انه شاهد عنده من امور السلطنة في ملبسه ومجلسه وما عنده من
السعادة الدنيوية شيئا عجيبا وقد وعظه بحديث لمناديل سعد بن معاذ في الجنة
احسن من هذا فبكى توفي في رجب من هذه السنة وقد جاوز التسعين ومدة ملكه منها
واربعون سنة عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح ابو تراب المراغي ولد سنة احدى
واربعمائة وتفقه على القاضي ابي الطيب الطبري وسمع عليه الحديث وعلى غيره من المشايخ

ببلدان شتى ثم اقام بنيسابور كان يحفظ شيئا كثيرا من مسائل الخلاف نحوا من اربعة
آلاف مسألة بادلتها والمناظرة عليها وغير ذلك من الحكايات والملح والآداب وكان يصبو
مشتغلا على طريقة التصوف جاءه منشور بقضاء همذان فقال انا انتظر منشورا من الله
على يدي ملك الموت بالقدوم عليه والله لجلوس ساعة في هذا المسجد على راحة القلب
احب الي من ملك العراقين وتعليم مسألة لطالب احب الي من ملك الثقلين حكاه
ابن الجوزي في المنتظم توفي في ذي القعدة من هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة
ابو القاسم بن امام الحرمين قتله بعض الباطنية بنيسابور رحمه الله

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

فيها دخل السلطان بركياروق بغداد ونزل بدار المملكة واعيدت له الخطبة
ببغداد وقطعت خطبة اخيه محمد بن ملكشاه وبعث اليه الخليفة الهدايا الهائلة
وفرح به العوام والنساء ولكنه في ضيق من امره بسبب السلطان محمد واقبال الدولة
عليه واجتماعهم اليه وقلة ما معه من الاموال فالح عليه الجند له بالنفقة وجامكياتهم
فعزم على مصادرة ابن جهير الوزير فالتجأ الى الخليفة فمنعه من ذلك واتفق الحال
على المصالحة بمائة الف وستين الف دينار ثم التقى هو واخوه السلطان
محمد عند قريب من همذان فهزمه اخوه محمد ونجا بنفسه في خمسين فارسا وقتل
في هذه الوقعة سعد الدولة كوهرائين الخادم كان قديم الهجرة في الدولة وولي
شحنكية بغداد وكان حليما حسن السيرة لم يتعاط ظلما ولم ير خادم ما رأى من الحشمة
والحرمة وكثرة الخدم وقد كان يكثر الصلاة بالليل ولا يجلس الا على وضوء وكان
مدة حياته لم يمرض قط ولم يصدع قط ولما جرى ما جرى من هذه الوقعة ضعف امر السلطان
بركياروق ثم تراجع اليه جيشه وانضاف اليه الامير داود حبشي في عشرين الفا
فالتقى مع اخيه الاصغر سنجر فهزمه سنجر ايضا وداود المذكور اسر في هذه الوقعة
فقتله الامير برغش احد امراء سنجر وتضعضع حاله وتفرق عنه رجاله وقطعت خطبته
من بغداد في رابع عشر رجب واعيدت خطبة السلطان وفي رمضان قبض على الوزير
عميد الدولة بن جهير وعلى اخويه زعيم الرؤساء ابي القاسم وابي البركات الملقب
بالكافي واخذت منهم اموال كثيرة وحبس بدار الخلافة فمات في شوال من هذه السنة
وفي الليلة السابعة والعشرين منه قتل شحنة اصبهان ضربه باطني بسكين في خاصرته
وقد كان يتحرز منهم طول مباشرته بدرع يلبسه تحت ثيابه سوى هذه الليلة ومات من
اولاده في هذه الليلة جماعة فخرج من داره ست جنائز في صبيحتها وفي هذه السنة
اقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة الف مقاتل فلقيهم كمشتكين الملقب بالدانشمند
واظنه ابن طايلق الجيوش الذي يقال له امين الدولة واقف الامينية بدمشق وبصرى
لا التي ببعلبك فهزم الفرنج وقتل منهم خلقا بحيث لم يبق منهم سوى ثلاثة آلاف
واكثرهم جرحى وذلك في ذي القعدة من هذه السنة ولحقهم الى ملطية فملكها واسر ملكها
وقد حج بالناس الامير التونتاش التركي وكان شافعي المذهب

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الرزاق الصوفي الغزنوي شيخ رباط عتاب حج مرات على التجريد ومات في هذه السنة

ولد نحو مائة سنة ولم يترك كفنًا فقالت له امرأته وهو في الاحتضار انك ستفتضح اليوم لا يوجد لك كفن فقال لها لو تركت كفنًا لافتضحت رحمه الله وعكسه ابو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن المحلبان كان لا يلبس الا الصوف شتاء وصيفًا وحين توفي وجد له اربعة الاف دينار مدفونة فتعجب الناس من تفاوت حاليهما واتفاق موتهما في هذه السنة رحم الاول وسامح الثاني

الوزير عميد الدولة بن جهير

محمد بن ابي نصر محمد بن محمد بن جهير الوزير الكبير ابو منصور الملقب عميد الدولة احد رؤساء الوزراء وسادات الكبراء خدم ثلاثة من الخلفاء ووزر منهم لاثنين وكان حليمًا قليل العجلة الا انه كان يتكلم فيه بسبب الكبر وتولى الوزارة مرات يعزل ثم يعاد ثم كان اخرها هذه المدة حبس بدار الخلافة فلم يخرج من السجن الا ميتًا في شوال من هذه السنة ابن جزلة الطبيب يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب صاحب المنهاج في الطب كان نصرانيا وكان يتردد الى الشيخ ابي علي بن الوليد المعتزلي يشتغل عليه في المنطق وكان يدعوه الى الاسلام ويوضح له الدلالات حتى اسلم وحسن اسلامه حتى استخلفه ابو عبد الله الدامغاني في كتب السجلات ثم كان يطبب الناس بغير ذلك بلا اجرة وربما ركب لهم الادوية من ماله تبرعًا وقد اوصى بكتبه ان تكون وقفًا في مسجد ابي حنيفة رحمه الله

ثم دخلت سنة اربع وتسعين واربعمائة

فيها عظم الخطب باصبهان ونواحيها بالباطنية فقتل السلطان منهم خلقًا كثيرًا وابيحت ديارهم واموالهم للعامة كل من يقدرون عليه فلهم قتله وماله وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة واول قلعة ملكوها في سنة ثلث وثمانين وكان الذي ملكها الحسن بن الصباح احد دعاتهم وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين كانوا بها ثم صار الى تلك النواحي ببلاد اصبهان فكان لا يدعو الا غبيًا لا يعرف يمينه من شماله ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز حتى يحترق مزاجه ويفسد دماغه ثم يذكر له شيئًا من اخبار اهل البيت ويكذب له من اقاويل الرافضة الضلال انهم ظلموا ومنعوا حقهم ثم يقول له فاذا كانت الخوارج يقاتلون مع بني امية لعلي فانت احق ان تقاتل في نصرة امامك علي بن ابي طالب ولا يزال يسقيه من هذا وامثاله حتى يستجيب له ويصير اطوع له من ابيه وامه ويظهر اشياء كثيرة من المخرقة والنيرنجيات والحيل التي لا تروج الا على الجهال حتى التفت عليه بشر كثير وجم غفير وقد بعث اليه الملك ملكشاه يتهدده ويتوعده وينهاه عن بعثه الفداوية الى العلماء فلما قرا الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حضره من الشباب اني اريد ان ارسل منكم رسولا الى مولاه فاشرابت وجوه الحاضرين منهم ثم قال لشاب منهم اقتل نفسك فاخرج سكينا فضرب بها غلصمته فسقط ميتًا وقال للاخر الق نفسك من هذا الموضع فرمى بنفسه من راس القلعة الى اسفل خندقها فتقطع فقال للرسول هذا الجواب فمنها امتنع السلطان من مراسلته هكذا اورده ابن الجوزي وسياتي ان الملك صلاح الدين

فاتح بيت المقدس جرى له مع سنان صاحب الالموت مثل هذا وفي شهر رمضان امر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلى فيه التراويح وان يجهر بالبسملة وان يمنع النساء من الخروج ليلا للفرجة وفي اول هذه السنة دخل السلطان بركيارق الى بغداد فخطب له بها ثم لحقه اخواه محمد وسنجر فدخلاها وهو مريض فعبر الى الجانب الغربي فقطعت خطبته وخطب لهما بها وهرب بركيارق الى واسط ونهب جيشه ما اجتازوا به من البلاد والاراضي فنهاه بعض العلماء عن ذلك ووعظه فلم يفد شيئا وفي هذه السنة ملكت الفرنج قلاعًا كثيرة منها قيسارية وسروج وسار ملك الفرنج كندفري وهو الذي اخذ بيت المقدس الى عكا فحاصرها فجاءه سهم في عنقه فمات من فوره لعنه الله

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ ابو منصور سمع الحديث وتفقه على القاضي ابي الطيب الطبري ثم على ابن عمه ابي نصر بن الصباغ وكان فقيها فاضلا كثير الصلاة يصوم الدهر وتولى القضاء بربع الكرخ والحسبة بالجانب الغربي عبد الله بن الحسن بن ابي منصور ابو محمد الطبسي رحل وجمع وصنف وكان احد الحفاظ المكثرين ثقة صدوقا عالما بالحديث ورعا حسن الخلق عبد الرحمن بن احمد بن محمد ابو محمد الرزاز السرخسي نزل مرو وسمع الحديث واملى ورحل اليه العلماء وكان حافظا لمذهب الشافعي متدينا ورعا رحمه الله عزيزي بن عبد الملك منصور ابو المعالي الجيلي القاضي الملقب شيدلة كان شافعيا في الفروع اشعريا في الاصول وكان حاكما بباب الازج وكان بينه وبين اهل باب الازج من الحنابلة شنآن كبير سمع رجلا ينادي على حمار له ضايع فقال يدخل باب الازج وياخذ بيد من شاء وقال يوما للنقيب طراد الزينبي لو حلف انسان انه لا يرى انسانا فرأى اهل باب الازج لم يحنث فقال له الشريف من عاشر قوما اربعين يوما فهو منهم ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيرا محمد بن احمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق ابو الفضائل الربعي الموصلي تفقه على الشيخ ابي اسحاق الشيرازي وسمع من القاضي ابي الطيب الطبري وكان ثقة صالحا كتب الكثير محمد بن الحسن بن ابو عبد الله المرادي نزل دارا وكان سفريا فقيها صالحا له كرامات ومكاشفات اخذ عن القاضي ابي يعلى بن الفراء الحديث وغيره قال ابن الجوزي بلغني ان ابنا له صغيرا طلب منه غزالا فقال له يا بني غدا ياتيك غزال فلما كان الغد اتى غزال فجعل ينطح الباب بقرنيه حتى فتحه فقال له ابوه يا بني اتاك الغزال محمد بن علي بن عبيد الله بن احمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ابو نصر الموصلي القاضي قدم بغداد سنة ثلاث وتسعين وحدث عن عمه بالاربعين الودعانية وقد سرقها عمه ابو الفتح بن ودعان من زيد بن رفاعة الهاشمي فركب لها اسانيد الى من بعد زيد بن رفاعه وهي موضوعة كلها وان كان في بعضها ما في صحيحه والله اعلم محمد بن منصور ابو سعد المستوفي شرف الملك الخوارزمي جليل القدر وكان متعصبا لاصحاب ابي حنيفة ووقف لهم مدرسة بمرو ووقف فيها كتبا كثيرة وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق وبنى القبة على قبر ابي حنيفة

ودفن وبنى اربطة في المفاوز وعمل خيرا كثيرا وكان من اكثر الناس مأكلا ومشربا واحسنهم ملبسا واكثرهم مالا ثم نزل العمالة بعد هذا كله واقبل على العبادة والاشتغال بنفسه الى ان مات محمد بن منصور النسوي المعروف بعميد خراسان قدم بغداد ايام طغرلبك وحدث عن ابي حفص عمر بن احمد بن مسرور وكان كثير الرغبة في الخير وقف بمرو مدرسة على ابي بكر بن ابي المظفر السمعاني وذريته قال ابن الجوزي فهم يتولونها الى الان وبنى بنيسابور مدرسة وفيها تربته وكانت وفاته في شوال من هذه السنة نصر بن احمد بن عبد الله بن البطر ابو الخطاب البزار القاري ولد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وسمع الكثير وتفرد عن ابن رزقويه وغيره ورحل اليه من الافاق وكان صحيح السماع

ثم دخلت سنة خمس وتسعين واربعمائة

في ثالث المحرم قبض على ابي الحسن علي بن محمد المعروف بالكيا الهراسي وعزل عن تدريس النظامية وذلك لانه رماه بعضهم عند السلطان بانه باطني فشهد له جماعة من العلماء منهم ابن عقيل ببراءته من ذلك وجاءت الرسالة من دار الخلافة بخلاصه وفي يوم الثلاثاء الحادي عشر من المحرم جلس الخليفة المستظهر بالله بدار الخلافة وعلى كتفيه البردة والقضيب بيده وجاء الملكان الاخوان السلطان محمد وسنجر ابناء السلطان ملكشاه فقبلا الارض وخلع عليهما الخليفة الخلع السلطانية على محمد سبعا وطوقا وسوارا ولواء وافراسا من مراكبه ولسنجر دون ذلك وولى الخليفة للسلطان محمد الملك واستنابه فيما يتعلق بامر الخلافة وربما اغلق عليه بابه ثم خرج السلطان محمد في تاسع عشر الشهر فارجف الناس بقدوم بركياروق ثم اصطلحوا على امر ورحل السلطان محمد فالتقوا وجرت حروب كثيرة وانهزم محمد وجرى عليه مكروه شديد كما سياتي بيانه وفي رجب قبل القاضي ابو الحسن الدامغاني شهادة ابن الحسين وابن خازم ابن القاضي ابي يعلى بن الفراء وفيها قدم عيسى بن عبد الله الغزنوي فوعظ الناس وكان شافعيا اشعريا فوقعت فتنة بين الحنابلة والاشعرية ببغداد وفيها وقع حريق عظيم ببغداد وحج بالناس خميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي صاحب الحلة

ومن توفي فيها من الاعيان

ابو القاسم صاحب مصر الملقب بالمستعلي كانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة وقام بالامر من بعده ابنه ابو علي وله تسع سنين ولقب بالامر باحكام الله محمد بن هبة الله ابو نصر البندنيجي الفقيه الشافعي اخذ عن الشيخ ابي اسحاق الشيرازي ثم جاور بمكة اربعين سنة يفتي ويدرس ويروي الحديث ومن شعره قوله

عدمتك نفسي ما تملين باطلي • وقد مر اخواني واهل مودتي
اعاهد ربي ثم انقض عهده • واترك عزمي حين تعرض شهوتي
وزادي قليل ما اراه مبلغي • أللزاد ابكي ام لطول مسافتي

ثم دخلت سنة ست وتسعين واربعمائة

فيها حاصر السلطان بركياروق اخاه السلطان محمدا باصبهان وضاقت على اهلها الارزاق واشتد الغلاء عندهم جدا واخذ السلطان محمد اهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج البلد فاجتمع عليهم الخوف والجوع والنقص من الاموال والانفس والثمرات وخرج السلطان محمد من اصبهان هاربا فارسل اخوه في اثره مملوكه اياز فلم يمكن من قبضه ورجع بنفسه سالما قال ابن الجوزي وفي صفر زيد في القاب قاضي القضاة ابي الحسن بن الدامغاني تاج الاسلام وفي ربيع الاول قطعت الخطبة للسلاطين ببغداد واقتصر على الدعاء للخليفة ثم التقى الاخوان بركياروق ومحمد فانهزم محمد ثم اصطلحا وفيها ملك الملك دقاق بن تتش بن ملك شاه صاحب دمشق مدينة الرحبة وفيها قتل ابو المظفر الخجندي الواعظ بالري وكان فقيها شافعيا مدرسا قتله رافضي علوي في الفتنة وكان عالما فاضلا كان نظام الملك يزوره ويعظمه وحج بالناس خمارتكين

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن علي بن عبد الله بن سوار ابو طاهر المقرئ صاحب المصنفات في علم القراءات وكان ثقة ثبتا مات عالما بهذا الشان وقد جاوز الثمانين ابو المعالي احد الصلحاء الزهاد ذوي الكرامات والمكاشفات وكان كثير العبادات متقللا من الدنيا لا يلبس صيفا ولا شتاء الا قميصا واحدا فاذا اشتد البرد وضع على كتفيه ميزرا وذكر انه اصابته فاقة شديدة في شهر رمضان فعزم على الذهاب الى بعض الاصحاب ليستقرض منه شيئا فبينما انا اريده اذا بطائر قد سقط على كتفي وقال يا ابا المعالي انا الملك الفلاني لا تمض اليه نحن ناتيك به قال فبكر الي الرجل رواه ابن الجوزي في منتظمه من طريقين عنه وكانت وفاته في هذه السنة ودفن قريبا من قبر احمد السيدة بنت القاسم بامر الله امير المومنين التي تزوجها الملك طغرلبك توفيت في هذه السنة ودفنت بالرصافة وكانت كثيرة الصدقة وجلس اخوها في بيت النوبة

ثم دخلت سنة سبع وتسعين واربعمائة

فيها قصد الفرنج لعنهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا منهم اثني عشر الفا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وتداسر في هذه الوقعة بردويل صاحب الرها وفي هذه السنة سقطت منارة واسط وقد كانت من احسن المنائر كان اهل البلد يفتخرون بها وبقبة الحجاج فلما سقطت سمع لاهل البلد بكاء وعويل لم يسمع بمثله ومع هذا لم يهلك بسببها احد وكان بناؤها في سنة اربع وثلثمائة في زمن المقتدر وفي هذه السنة تاكد الصلح بين السلطانين الاخوين بركياروق ومحمد واقتسما البلاد فقطعت الخطبة ببغداد لمحمد واستمرت للملك بركياروق وبعث اليه بالخلع والى الامير اياز وفي هذه السنة اخذت الفرنج مدينة عكا وغيرها من السواحل وفيها استولى الامير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط وفيها توفي الملك

دقاق بن تتش صاحب مدينة دمشق فاقام مملوكه طغتكين ولدا له صغيرا وكان قد
اخذ البيعة له وصار هو اتابكه تدبر الملك بدمشق مدة وفيها عزل السلطان بكيارق
وزيره ابا الفتح الطغرائي ونفاه الى غزنة وفيها ولي ابو منصور نظام الحضرتين
ديوان الانشا بعد وفاة خاله ابي سعد العلا بن الحسن بن الموصلايا وفيها قتل
الطبيب الماهر الحاذق ابو نعيم وكانت له اصابات عجيبة وحج بالناس الامير جاوكيز

وممن توفي فيها من الاعيان اردشير

ابن منصور ابو الحسين العبادي الواعظ قدم بغداد قاصدا الحج في سنة ست وثمانين
وقد كانت له احوال جيدة فيما يظهر والله اعلم اسماعيل بن محمد بن احمد بن عثمان ابو الفرج
القومساني من اهل همدان سمع من ابيه وجده وجماعة وكان حافظا حسن المعرفة بالرجال
والمتون ثقة مأمونا العلا بن الحسن بن وهب بن الموصلايا سعد الدولة كاتب
الانشا ببغداد وكان نصرانيا فاسلم في سنة اربع وثمانين ومكث في الرياسة مدة طويلة
نحوا من خمس وستين سنة وناب في الوزارة مرات وكتب الانشا مدة وكان فصيح العبارة
كثير الصدقة توفي في هذه السنة عن عمر طويل رحمه الله محمد بن احمد بن عمر ابو عمر النهاوندي
قاضي البصرة مدة طويلة وكان فقيها عالما سمع الحديث من ابي الحسن الماوردي وغيره
وكان من تلامذة الماوردي ومولده في سنة سبع وتسعين واربعماية رح

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين واربعماية

فيها توفي السلطان بركيارق وعهد الى ولده الصغير ملك شاه وعمره اربع سنين
وشهور وخطب له ببغداد ونثر عند ذكره الدراهم والدنانير ولقب جلال الدولة وجعل
اتابكه الامير اياز ثم جاء السلطان محمد بن ملك شاه الى بغداد فخرج الدولة
فتلقوه وصالحوه وكان الذي اخذ البيعة له في الصلح الكيا الهراسي مدرس النظامية
ببغداد وخطب له بالجانب الغربي ولابن عمه بالجانب الشرقي ثم قتل الامير اياز ودخل
بغداد دخلت اليه الخلع والدواة والدست وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيا الهراسي
في درس النظامية ليرغب الناس في العلم وفي ثامن رجب ازيل الغيار عن اهل الذمة
الذي كانوا الزموه في سنة اربع وثمانين ولا يعرف ما سبب ذلك وفيها كانت
حروب كثيرة بين المصريين والفرنج فقتلوا من الفرنج خلقا ثم اديل عليهم الفرنج فقتلوا
منهم خلقا ايضا

وممن توفي فيها من الاعيان

السلطان بركيارق بن ملك شاه بن البارسلان ركن الدولة السلجوقي جرت له خطوب
كثيرة وحروب هائلة واحوال متقلبة خطب له ببغداد سنين وعزل عنها
مرات وكان عمره يوم مات اثنتين وعشرين سنة وشهورا وقام من بعده ولده ملك
شاه جلال الدولة فلم يتم له ذلك لمنازعة عمه محمد له عيسى بن عبد الله بن
القسم ابو الوليد الغزنوي كان واعظا كاتبا شاعرا ورد بغداد فوعظها فتشنق
على اهلها وكان اشعري المذهب متعصبا له فخرج من بغداد قاصدا بلده فتوفي في هذه
السنة باسفراين محمد بن احمد بن ابراهيم بن سلفة الاصبهاني ابو احمد كان شيخا عفيفا

ثقة سمع الكثير وهو والد الحافظ ابي طاهر السلفي الحافظ ابو علي الجياني الحسين
ابن محمد بن احمد الغساني الاندلسي مصنف تقييد المهمل على الفاظ الصحيحين
وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالما بالشعر والادب واللغة وكان يسمع
في جامع قرطبة ليلة الجمعة لثنتي عشرة خلت من شعبان من هذه السنة عن احدى
وسبعين سنة محمد بن علي بن الحسن بن ابي الصقر ابو الحسن الواسطي سمع الحديث
وتفقه بالشيخ ابي اسحاق الشيرازي وقرا الادب وقال الشعر ومن ذلك قوله

من قال لي جاه ولي حشمة • ولي قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك بنفع على • صديقه لا كان من كانا

ثم دخلت سنة تسع وتسعين واربعماية

في المحرم منها ادعى رجل النبوة بنهاوند وسمى اربعة من اصحابه ابو بكر وعمر وعثمان
وعلي فاتبعه على ضلالته خلائق من الجهلة الرعاع وباعوا املاكهم ودفعوا
اثمانها اليه وكان كريما يعطي من قصده ما عنده ثم انه قتل بتلك الناحية لعنه
الله ورام رجل من ولد البارسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم امره فقبض
عليه في اقل من شهرين فكانوا يقولون ادعى رجل النبوة واخر الملك فما كان
باسرع من زوالهما وفي رجب زادت دجلة زيادة عظيمة فاتلفت شيئا كثيرا
من الغلات وغرقت دورا كثيرة ببغداد وفيها كسر طغتكين اتابك العساكر
بدمشق الفرنج وعاد منصورا الى دمشق وزينت البلد سبعة ايام سرورا بكسرة
الفرنج وفيها في رمضان منها حاصر الملك رضوان بن تتش صاحب حلب مدينة
نصيبين وفيها ورد بغداد ملك من ملوك الملثمين ومعه رجل يقال له الفقيه
فوعظ الناس في جامع القصر وهو ملثم ثم عاد الى مصر وقد كان ينسب الى الصلاح
وله حروب كثيرة مع الفرنج استشهد في بعضها وحج بالناس في هذه السنة من العراق
رجل من قرابة الامير سيف الدولة صدقة

وممن توفي فيها من الاعيان

سهل بن احمد بن علي الارغياني ابو الفتح الحاكم سمع الحديث من البيهقي وغيره وعلق عن
القاضي حسين طريقته وشكره في ذلك وكان قد تفقه اولا على الشيخ ابي علي السنجي
ثم تفقه وعلق عن امام الحرمين في الاصول بحضرة واستخاره وولي قضاء بلده مدة
وناظر ثم ترك ذلك كله واقبل على التعبد وتلاوة القران قال القاضي ابن خلكان
وبنى للصوفية رباطا مرتبا له ولزم التعبد الى ان مات في مستهل المحرم من هذه السنة
محمد بن احمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق ابو منصور الخياط احد القراء والصلحاء ختم
الوفا من الناس وسمع الحديث الكثير وحين توفي اجتمع العالم في جنازته اجتماعا
لم يعهد مثله في جنازة كانت في تلك الازمان وكان عمره يوم توفي سبعا وتسعين
سنة رح وقد راه بعضهم في المنام فقال له ما فعل بك ربك فقال غفر لي بتعليم
الصبيان الفاتحة محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين ابو الفرج البصري

فاصبح بها سمع ابا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما ورحل في طلب الحديث وكان عابدا خاشعا عند الذكر مهارش بن مجلي امير العرب بحديثة عانة وهو الذي اودع عنده الخليفة القايم بامر الله حين كانت فتنة البساسيري ببغداد فاكرم الخليفة حتى ورد عليه ثم جازاه الخليفة الجزا الاوفى وقد كان الامير مهارش هذا كثير الصلاه والصدقة وكانت وفاته في هذه السنة عن ثمانين سنة رح

سنة خمسماية من الهجرة النبوية

قال ابو داود حدثنا حجاج بن ابراهيم ثنا ابن وهب حدثني معوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يعجز الله هذه الامة من نصف يوم حدثنا عمرو بن عثمان ثنا ابو المغيرة ثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لارجوا ان لا تعجز امتي عند ربها ان يؤخرهم نصف يوم قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسماية سنة وهذا من دلايل النبوة وذكر هذه المدة لا ينفي زيادة عليها كما هو الواقع لانه عليه السلام ذكر اشيا من اشراط الساعة لا بد من وقوعها كما اخبر سوا بسوا وسياتي ذكرها فيما بعد زماننا هذا بالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومما وقع في هذه السنة من الحوادث ان السلطان محمد بن ملكشاه حاصر في هذه السنة قلاعا كثيرة من حصون الباطنية وافتتح منها اماكن كثيرة وقتل منهم خلقا كثيرا وجمعا كبيرا وجما غفيرا وكان من جملة ما افتتح من ذلك قلعة حصينة كان ابوه قد بناها بالقرب من اصبهان في راس جبل منيع وكان سبب ذلك انه كان مرة في الصيد فهرب منه كلب فاتبعه الى راس هذا الجبل فوجده وكان معه رجل من رسل الروم فقال الرومي لو كان هذا الجبل ببلادنا لاتخذنا فيه قلعة فحذا هذا الكلام السلطان على بنا في راسه قلعة انفق عليها الفا الف دينار ومايتي الف دينار فاستحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له احمد بن عبيد الله بن عطاش فتعب المسلمون بسببها فحاصرها السلطان محمد سنة حتى افتتحها وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع راسه وارسل فطاف به في الاقاليم ونقض هذه القلعة حجرا حجرا والقت امراته نفسها من اعلا القلعة فتلفت وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة وكان الناس يتشامون بهذه القلعة يقولون كان دليلها كلبا والمشير بها كافرا والمتحصن بها زنديقا ومنها كانت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين عبادة فتهزمت عبادة خفاجة واخذت بثارها المتقدم ومنها استحوذ سيف الدولة صدقة بن منصور الاسدي على مدينة تكريت بعد قتال كثير ومنها ارسل السلطان الامير محمد سقاوا محمد الامير سقاوا الى الموصل واقطعه اياها فتوجه فانتزعها من يد الامير جكرمش بعد ما قاتله وهزم اصحابه واسره ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الامرا سيرة وعدلا واحسانا ثم اخذ قلج ارسلان بن قتلمش فحاصر الموصل

فانتزعها

فانتزعها من يد جاولي فسار جاولي الى الرحبة فاخذها ثم اقبل الى قتال قلج فكسره والقى قلج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك ومنها كانت حروب كثيرة بين الروم والفرنج فاقتتلوا قتالا عظيما ولله الحمد وقتل من كل من الفريقين طايفة كثيرة ثم كانت الهزيمة بعد كل حساب على الفرنج والحمد لله رب العالمين وفي يوم عاشورا قتل فخر الملك ابو المظفر بن نظام الملك وكان اكبر اولاد ابيه وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور وكان صايما قتله باطني وقد كان راى في تلك الليلة الحسن بن علي رضي الله عنه وهو يقول له عجل الينا وافطر عندنا الليلة فاصبح متحيرا ينوي الصوم ذلك اليوم واشار عليه بعض اصحابه بان لا يخرج ذلك اليوم من المنزل فما خرج الى اخر النهار فراى شابا يتظلم وبيده رقعة فقال ما شانك فناوله الورقة فبينما هو يقراها اذ ضربه بخنجر في يده فقتله فاخذ الباطني فرفع الى السلطان سنجر فقرره فاقر على جماعة من اصحاب الوزير انهم امروه بذلك وكان كاذبا فقتل وقتلوا ايضا وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير ابا القاسم علي بن جهير وخرب داره التي كانت قد بناها ابوه من خراب بيوت الناس فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصاير والنهى واستنيب في الوزارة القاضي ابو الحسن بن الدامغاني وممن حج بالناس في هذه السنة امير تركمان اسمه ايلغازي من جهة السلطان محمد

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن المظفر ابو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي قال ابن خلكان كان انظر اهل زمانه تفقه على امام الحرمين وصار اوجه تلامذته وولي القضا بطوس ونواحيها وكان مشهورا بين العلما بحسن المناظرة وافحام الخصوم قال والخوافي بفتح الخا والواو نسبة الى خواف وهي ناحية من نواحي نيسابور وتوفي سنة خمسماية جعفر بن احمد بن الحسين بن احمد السراج ابو محمد القاري ولد سنة ست عشرة واربعماية وقرا القران بالروايات وسمع الكثير من الاحاديث النبويات من المشايخ والشيخات في بلدان شتى باينات وقد خرج له الحافظ ابو بكر الخطيب اجزا من مسموعاته وكان صحيح السماع اديبا شاعرا حسن النظم نظم كتاب المبتدا وكتاب التنبيه للخرقي وغير ذلك وله كتاب مصارع العشاق وغير ذلك ومن شعره

قل للذين بجهلهم اضحوا يعيبون المحابر
والحاملين لها من الايدي بمجتمع الاساور
لولا المحابر والمقالم والصحايف والدفاتر
والحافظين شريعة المبعوث من خير العشاير
والناقلين حديثه عن كابر ثبت وكابر
لرايت من شيع الضلال عساكرا تتلو عساكر
كل يقول بجهله والله للمظلوم ناصر

• سميتهم اهل الحديث اولى النهى واولى البصائر •
• هم حشو جنات النعيم على الاسرة والمنابر •
• رفقاء احمد كلهم عن حوضه ريان صادر •

جعفر بن احمد بن الحسين بن احمد بن جعفر ابو محمد السراج القاري صاحب مصارع
العشاق وغيره من التصانيف العجيبة وكان حافظا مبرزا على اقرانه من بغداد زمانه سمع
منه الحافظ السلفي وكان يفتخر بروايته ومن شعره

• ومدح شرخ شباب وقد • عممه الشيب على لحيته •
• يخضب بالوسمة عثنونه • يكفيه ان يكذب في لحيته •

وذكر له القاضي ابن خلكان قطعا من الاشعار المستحسنة وارخ وفاته في هذه السنة
وقد جاوز الثمانين رح عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد ابو محمد
الشيرازي الفارسي سمع الحديث الكثير وتفقه وولاه نظام الملك تدريس النظامية
ببغداد في سنة ثلاث وثمانين فدرس بها مدة وكان يملي الاحاديث وكان كثير التصحيف
ويروى حديث صلاة في اثر صلاة كتاب في عليين فقال كنار في غلس ثم فسر ذلك
لانه اكثر للاضاءة محمد بن ابراهيم بن عبد الله الاسدي الشاعر يكنى ابا الحسن التهامي وكان
يجري بها يجارض شعره وقد اقام باليمن وبالعراق ثم الحجاز ثم خراسان ومن شعره

• قلت ثقلت اذ اتيت مرارا • قال ثقلت كاهلي بالايادي •
• قلت طولت قال اوليت طولا • قلت ابرمت قال حبل الوداد •

يوسف بن علي ابو القاسم الزنجاني كان من اهل الدين حكى عن القاضي ابي الطيب
قال كنا يوما بجامع المنصور في حلقتنا فجاء شاب خراساني فذكر حديثا في ابي هريرة
في المصراة فقال الشاب هذا الحديث غير مقبول لما استتم كلامه حتى سقطت حية
من سقف المسجد فنهض الناس هاربين فتبعت تلك الشاب من بينهم فقيل له تب
تب فقال تبت فذهبت تلك الحية فلا يدرى اين ذهبت رواها ابن الجوزي عن شيخه
ابي المعمر الانصاري عن ابي القسم هذا

ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة

فيها جدد الخليفة الخلع على الوزير الجديد ابي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب واكرمه
واعظمه وفي ربيع الاخر دخل السلطان محمد الى بغداد فنقلت الوزيرة الاعيان واحسن
الى اهلها ولم يتعرض احد من الجيش للناس الى شيء وغضب السلطان غياث الدين
محمد على صدقة بن منصور الاسدي صاحب الحلة وتكريت بسبب انه اوى رجلا من اعدائه
يقال له ابو دلف سرخاب الديلمي صاحب كولة ساوه وبعث اليه ليرسله فلم يفعل
فارسل اليه جيشا فهزموا جيشه وقد كان جيشه عشرين الف فارس وثلاثين الف
راجل وقتل صدقة في المعركة واسر جماعة من روس اصحابه واخذ من خزانته خمسمائة الف
دينار وجواهر نفيسة قال ابن الجوزي وظهر في هذه السنة صبية عمياء تتكلم على
اسرار الناس وبالغ الناس في الحيل ليعلموا حالها فلم يعلموا قال ابن عقيل واشكل
امرها على العلماء والخواص والعوام حتى انها كانت تسال عن نقوش الخواتيم والوان
الفصوص وصفات الاشخاص وما في دواخل البنادق من الشمع والطين من الحب

المختلف والخرز وبالغ احدهم حتى ترك يده على ذكره فقيل لها ما الذي في يده فقالت
يحمله الى اهله وعياله ومنها قدم القاضي فخر الملك ابو علي بن عمار صاحب طرابلس الى بغداد
يستنفر الناس على الفرنج فاكرمه السلطان غياث الدين محمد اكراما زائدا وخلع عليه
وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج

وممن توفي فيها من الاعيان

تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية كان من خيار الملوك خلقا وكرما واحسانا ملك
ستا واربعين سنة وعمر تسعا وسبعين سنة وترك من البنين اربعمائة ومن البنات
ستين بنتا وملك من بعده ولده يحيى صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد
الاسدي الامير سيف الدولة صاحب الحلة وتكريت وواسط وغيرها وكان كريما عفيفا
ذا ذمام وملجا لكل خائف يامن في بلاده ويتخذها به وكان يحسن يقرا الكتب ولا يحسن
الكتابة وقد اقتنى كتبا نفيسة جدا وكان لا يتزوج على امراة قط ولا يتسرى على سرية
حفظا للذمام ولئلا يكسر قلب احد وقد مدح باوصاف جميلة كثيرة جدا اقتتل في بعض
المعركة فقتله غلام اسمه برغش وكان له من العمر تسعا وخمسين سنة ولي منها الامارة نيفا
وعشرين سنة رح

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله بالخاتون
بنت ملك شاه اخت السلطان على صداق مائة الف دينار ونثر الذهب وكتب العقد
باصبهان ومنها كانت الحروب الكثيرة بين الاتابك طغتكين صاحب دمشق وبين
الفرنج لعنهم الله ومنها ملك سعيد بن حميد العمري الحلة السيفية ومنها زادت
دجلة زيادة كثيرة فغرقت الغلات فغلت الاسعار بسبب ذلك غلاء شديدا وحج بالناس
الامير قيماز

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن العلوي ابو هاشم رئيس همذان كان ذا مال جزيل صادره السلطان في بعض
الاوقات بتسعمائة الف دينار فلم يبع فيها عقارا ولا غيره الحسين بن علي ابو الغنائم
ابن الخازن الكاتب المشهور بالخط المنسوب كانت وفاته في ذي الحجة منها قال
القاضي ابن خلكان كتب بيده خمسمائة ختمة وكانت وفاته فجاة الروياني صاحب البحر
عبد الواحد بن اسماعيل بن احمد بن محمد ابو المحاسن الروياني من اهل طبرستان احد ائمة
الشافعية ولد سنة خمس عشرة واربعمائة ورحل الى الافاق حتى بلغ ما وراء النهر وحصل
علوما جمة وسمع الحديث الكثير وصنف كتبا في المذهب من ذلك البحر في الفروع وهو حافل
كامل شامل للغرائب وغيرها وفي المثل حدث عن البحر ولا حرج وكان يقول لو احترقت
كتب الشافعي لامليتها من حفظي قتل ظلما يوم جمعة وهو يوم عاشوراء في الجامع من اهل
طبرستان رح قال القاضي ابن خلكان وقد اخذ الفقه عن ناصر المروزي وتعلق عنه وكانت
للروياني الجاه العظيمة والحرمة الوافرة في تلك الديار وكان نظام الملك كثير التعظيم
له وقد صنف كتبا في الاصول والفروع منها بحر المذهب وكتاب مناصيص الامام الشافعي

وكتاب الكافي وخطبة المؤمن وله في الخلاف ايضا. يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي ابو زكريا احد ايمة اللغة والنحو قرا على ابي العلاء وغيره وتخرج به جماعة منهم ابو منصور بن الجواليقي قال ابن ناصر وكان ثقة في النقل وله المصنفات الكثيرة قال ابن خيرون لم يكن مرضي الطريقة توفي في جمادى الاخرة ودفن الى جانب الشيخ ابي اسحاق الشيرازي بباب ابرز

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسماية

فيها اخذت الفرنج لعنهم الله طرابلس وقتلوا من بها من الرجال وسبوا الحرم والاطفال وغنموا الامتعة والاموال ثم اخذوا مدينة جبيل بحيرتنا ل فلا حول ولا قوة الا بالله الكبير المتعال وهرب منهم فخر الملك بن عمار فقصد صاحب دمشق طغتكين فاكرمه واقطعه بلادا كثيرة وفيها وثبت بعض الباطنية على الوزير ابي نصر احمد بن نظام الملك فجرحوه فاخذ الجراح تشفي الخمر فاعترف على جماعة من الباطنية فاخذوا فقتلوا ولله الحمد وحج بالناس الامير قيماز

ومن توفي فيها من الاعيان

احمد بن علي بن احمد ابو بكر العلوي كان يعمل في تخصيص الخيطان ولا ينتشر صورته ولا ياخذ من احد شيا وكانت له املاك يبيع منها وينفق منها وقد سمع الحديث من القاضي ابي يعلى وتفقه عليه شيا من الفقه وكان اذا حج يزور القبور بمكة فاذا وصل الى قبر الفضيل بن عياض يخط الى جانبه خطا بعصاه ويقول يا رب هاهنا فقدر انه حج في هذه السنة فوقف بعرفات محرما فتوفي بها من اخر ذلك اليوم فغسل وكفن وطيف به حول الكعبة ودفن الى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخطه ولما بلغ الناس وفاته ببغداد اجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغايب وح عمر بن عبد الكريم ابن سعدويه ابو الفتيان الدهستاني رحل في طلب الحديث ودار الدنيا وخرج وانتخب وكان له فهم بهذا الشان وكان ثقة وقد صحح عليه ابو حامد الغزالي كتاب الصحيحين وكانت وفاته بسرخس في هذه السنة محمد ويعرف بابي حاذي احد المتصلحا الكبار كان به مرض مزمن فراى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فعوفي فلزم مسجدا له اربعين سنة لا يخرج الا الى الجمعة وانقطع عن مخالطة الناس وكانت وفاته في هذه السنة ودفن في زاويته بالقرب من قبر ابن حنبل

ثم دخلت سنة اربع وخمسماية

فيها اول هذه السنة تجهز جماعة من الفقهاء البغادذة وغيرهم ومنهم ابن الزاغوني للخروج الى الشام ليقاتلوا الفرنج لعنهم الله وذلك حين بلغهم انهم قد فتحوا مدنا من عدة من ذلك مدينة صيدا في ربيع الاول وكذا غيرها من المداين ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج وفيها قدمت الخاتون بنت ملك شاه زوجة الخليفة الى بغداد فنزلت في دار اخيها السلطان غياث الدين محمد وحمل جهازها على ماية واثنين وستين جملا وتسعة وعشرين بغلا وزينت بغداد لقدومها وكان دخولها على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان فكانت ليلة مشهودة وفي شعبان درس ابو بكر الشاشي بالنظامية

مع الناجية

مع الناجية وحضر عنده الوزير والاعيان من الدولة وغيرهم وحج بالناس الامير قيماز ولم يتمكن الخراسانيون من كثرة العطش وقلة الماء

ومن توفي فيها من الاعيان

ادريس بن حمزة ابو الحسن الشامي الرملي العثماني احد فحول المناظرين عن مذهب الشافعي تفقه اولا على نصر بن ابراهيم المقدسي ثم ببغداد على الشيخ ابي اسحاق الشيرازي ودخل خراسان ووصل الى ما وراء النهر واقام بسمرقند ودرس بمدرستها الى ان توفي بها في هذه السنة

علي بن محمد بن علي عماد الدين ابو الحسن الطبري ويعرف بالكيا الهراسي احد الفقهاء الكبار من رؤوس الشافعية ولد سنة خمسين واربعماية واشتغل على امام الحرمين وكان هو والغزالي اكبر التلامذة وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد وقد كان ابو الحسن هذا فصيحا جهوري الصوت جميلا وكان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقي درج النظامية بنيسابور سبع مرات وكانت المراقي سبعين مرقاة وقد سمع الحديث الكثير وناظر وافتى ودرس وكان من اكابر الفضلاء وسادات الفقهاء وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الامام احمد بن حنبل في مجلد وله غيره من المصنفات وقد اتهم في وقت بانه مالى الباطنية فنزع منه التدريس ثم شهد له جماعة من العلماء ببراءته من ذلك فاعيد اليها وكانت وفاته يوم الخميس مستهل المحرم من هذه السنة عن اربع وخمسين سنة ودفن الى جانب الشيخ ابي اسحاق الشيرازي رحمهما الله وذكر القاضي ابن خلكان انه كان يحفظ الحديث ويناظر به وهو القايل اذا جالت فرسان الاحاديث في ميادين الكفاح طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح وحكى السلفي عنه انه استفتي في كتبة الحديث هل يدخلون في الوصية للفقهاء فاجاب نعم لقوله عليه السلام من حفظ على امتي اربعين حديثا بعثه الله فقيها عالما وانه استفتي في يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعبا وفسقا وسوغ شتمه واما الغزالي فانه خالف في ذلك ومنع من لعنه لانه مسلم ولم يثبت انه رضي بقتل الحسين ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغا للعنه لان القاتل لا يلعن لا سيما وباب التوبة مفتوح وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال واما الترحم عليه فجايز بل مستحب بل نحن نترحم عليه في جملة المؤمنين والمسلمين عموما في الصلوات ذكره ابن خلكان مبسوطا بلفظه في ترجمة الكيا هذا قال وانكا كبيرا لقدر المقدم المعظم

ثم دخلت سنة خمس وخمسماية

فيها بعث السلطان غياث الدين محمد جيشا كثيفا صحبة الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وسكمان القطبي صاحب تبريز واحمد بك صاحب مراغة وكذا ايلغازي صاحب ماردين والمقدم على الجميع الامير مودود صاحب الموصل لقتال الفرنج بالشام فانتزعوا من ايدي الفرنج حصونا كثيرة وقتلوا منهم خلقا كثيرا ولله الحمد ولما دخلوا دمشق دخل الامير مودود الى جامعها ليصلي فيه فجاءه باطني في زي سايل يطلب منه شيا فلما اقترب منه ضربه في فواده فمات من ساعته فلعن الله هذا الباطني ووجد رجل عجمي في سطح الجامع ببغداد ومعه سكين مسمومة فقيل انه كان يريد قتل الخليفة وفي هذه السنة ولد للخليفة من بنت السلطان ولد ذكر فضربت له الدبادب والبوقات وجلس الوزير بباب الفردوس للهناء وفيها توفي اخو الخليفة فقطع الطبل اياما وجلس الوزير بباب

الزهد وسيلة الغزالي وهكذا الدنيا يوما هذا يجري ويوما هنا وفي رمضان عزل الوزير احمد
ابن النظام وكانت مدة وزارته اربع سنين واحد عشر شهرا وفيها حاصرت الفرنج مدينة
صور وكانت بايدي المصريين عليها الاعز بن حسام فقاتلهم قتالا عظيما ومنعها منعا جيدا
حتى فني ما عنده من النشاب والعدد فامده طغتكين صاحب دمشق وارسل اليه
العدد والالات فقوي جاشه فترحلت عنه الفرنج في شوال من هذه السنة وحج بالناس
امير الجيوش نظر الخادم وكانت سنة مخصبة

ومن توفي فيها من الاعيان

ابو حامد الغزالي

محمد بن محمد ابو حامد الغزالي ولد سنة خمسين واربعمائة وتفقه على امام الحرمين
وبرع في علوم كثيرة وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة وكان من اذكياء العالم
في كل ما يتكلم به وساد في شبيبته حتى انه درس بالنظامية ببغداد في سنة اربع
وثمانين وله اربع وثلاثون سنة فحضر عنده رؤوس العلماء في ذلك الوقت وكان ممن حضر
عنده ابن عقيل وابو الخطاب من رؤوس الحنابلة فتعجبوا من فصاحته واطلاعه قال
ابن الجوزي وكتبوا كلامه في مصنفاتهم ثم انه خرج عن الدنيا بالكلية واقبل على اعمال
الاخرة فكان يتقوت من النسخ ورحل الى الشام فاقام بدمشق وببيت المقدس مدة ثم
انه صنف في هذه المدة كتابه احياء علوم الدين وهو كتاب عجيب يشتمل على علوم كثيرة
من الشرعيات وممزوج باشياء لطيفة من التصوف واعمال القلوب ولكن فيه احاديث
كثيرة غرائب ومنكرات ومنها ما هو موضوع كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل
بها على الحلال والحرام فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب اسهل امرا من
غيره وقد شنع عليه ابو الفرج ابن الجوزي ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعا كثيرا ثم حكيت
كلامه في ترجمته من طبقات الشافعية وقد كان الغزالي يقول انا مزجى البضاعة في الحديث
ويقال انه مال في اخر عمره الى سماع الاحاديث والتحفظ للصحيحين وقد صنف ابن الجوزي
كتابا على الاحياء سماه اعلام الاحياء باغاليط الاحياء قال ابن الجوزي ثم الزمه بعض الوزراء
بالخروج الى نيسابور فدرس بنظاميتها ثم عاد الى بلده طوس وابتنى رباطا واتخذ دارا
حسنة وغرس فيها بستانا انيقا واقبل على تلاوة القران وحفظ الاحاديث الصحاح وكانت
وفاته يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الاخرة من هذه السنة ودفن بطوس رحمه الله
وسأله بعض اصحابه وهو في السياق فقال اوصني فقال عليك بالاخلاص فلم يزل
يكررها حتى مات

ثم دخلت سنة ست وخمسمائة

في جمادى الاخرة جلس ابن الطبري مدرسا بالنظامية وعزل عنها الشاشي وفيها دخل الشيخ
الصالح احد العباد يوسف بن ايوب الى بغداد فوعظ الناس وكان له القبول التام وكان
فقيها شافعيا تفقه بالشيخ ابي اسحاق الشيرازي ثم اشتغل بالعبادة والزهادة وكانت
له احوال صالحة جاءه مرة رجل يقال له ابن السقا فسأله مسألة فقال له اسكت فاني اجد
من كلامك رائحة الكفر ولعلك ان تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مدة انه خرج
الى بلاد الروم في حاجة فتنصر هناك فانا لله وانا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم

الوكيل على الله توكلنا وقام اليه مرة وهو يعظ الناس ابن ابي بكر الشاشي فقال له انك
تتكلم على مذهب الاشعري والا فاسكت فقال له لا متعت بشبابك فمات ولم يبلغ سن الكهولة
وحج بالناس في هذه السنة امير الجيوش نظر الخادم ونال الناس عطش شديد

ومن توفي فيها من الاعيان ه

صاعد بن منصور بن اسماعيل بن صاعد ابو العلا الخطيب النيسابوري سمع الحديث
الكثير وولي الخطابة بعد ابيه والتدريس والتذكير وكان ابو المعالي الجويني يثني عليه
وقد ولي قضاء خوارزم المعمر بن المعمر ابو سعد بن ابي عمامة الواعظ كان فصيحا بليغا ماجنا
ظريفا ذكيا له كلمات في الوعظ حسنة ورسائل مسموعة مستحسنة توفي في ربيع الاول
من هذه السنة ودفن بباب حرب ابو علي المغربي كان زاهدا عابدا ورعا يقتات بادنى شيء
ثم عن له ان يشتغل بعلم الكيميا فاخذ الى دار الخلافة فلم يظهر له خبر بعد ذلك ه
سرية ام ولد الخليفة المستظهر بالله والدة المقتفي لامر الله وكانت سوداء كريمة محتشمة
النفس توفيت يوم الجمعة ثاني عشر شوال من هذه السنة ابو سعد السمعاني مصنف
الانساب وغيره وهو تاج الاسلام عبد الكريم بن ابي بكر محمد بن ابي المظفر بن عبد الجبار
السمعاني المروزي الفقيه الشافعي الحافظ المحدث قوام الدين احد الائمة المصنفين
المصنفين رحل وسمع الكثير حتى كتب عن اربعة الاف شيخ وصنف التفسير والتاريخ
والانساب والذيل على الخطيب البغدادي وذكر ابن خلكان مصنفات عديدة جدا منها
كتابه الذي جمع فيه الف حديث عن مائة شيخ وتكلم عليها اسنادا ومتنا وهو مفيد جدا

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فيها كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في ارض طبرية كان فيها ملك دمشق ه
الاتابك طغتكين وفي خدمته صاحب سنجار وصاحب ماردين وصاحب الموصل فهزموا
الفرنج هزيمة فاضحة وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا منهم اموالا جزيلة وملكوا تلك النواحي
ثم رجعوا الى دمشق فذكر ابن الساعي في تاريخه مقتل الملك مودود صاحب الموصل في هذه
السنة قال صلى هو والاتابك طغتكين يوم الجمعة بالجامع ثم خرجا الى الصحن ويد كل
واحد منهما في يد الاخر فظفر باطني على مودود فقتله رحمه الله ويقال ان طغتكين هو الذي كان
جهزه عليه فالله اعلم وجاء كتاب من الفرنج الى المسلمين فيه ان امة قتلت عميدها في يوم
عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها وفيها ملك حلب ارسلان بن
رضوان بن تتش بعد ابيه وقام بامر السلطنة بين يديه لؤلؤ الخادم فلم يكن له معه
سوى الرسم وفيها فتح المارستان الذي ابتناه كمشتكين الخادم ببغداد وحج بالناس
زنكي بن برسق

ومن توفي فيها من الاعيان ه

اسماعيل بن الحافظ ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي سمع الكثير وتنقل في البلاد ودرس
بمدينة خوارزم وكان فاضلا من اهل الحديث مرضي الطريقة وكانت وفاته ببلده ه
بيهق في هذه السنة شجاع بن ابي شجاع فارس بن الحسين بن فارس ابو غالب الذهلي
الحافظ سمع الحديث الكثير وكان فاضلا في هذا الشان شرع في تتميم التاريخ للخطيب

ثم غسله وكان يكثر من الاستغفار والتوبة لانه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات توفي في هذا
العام عن سبع وسبعين سنة محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن اسحاق بن الحسين بن منصور
بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عنبسة بن عتبة بن عنبسة بن معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب
الاموي ابو المظفر بن ابي العباس الابيوردي الشاعر كان عالما باللغة والانساب وسمع
الكثير وصنف تاريخ ابيورد وانساب العرب وله كتاب في المؤتلف والمختلف وغير ذلك
وكان ينتسب الى الكبر والتيه الزايد حتى انه كان يدعو في صلاته فيقول اللهم ملكني مشارق
الارض ومغاربها وكتب مرة الى الخليفة الخادم المعاوي فكشط الخليفة الميم فبقيت
العاوي ومن شعره

تنكر لي دهري ولم يدر انني • اعز واحداث الزمان تهون
وظل يريني الدهر كيف اعتداؤه • وبت اريه الصبر كيف يكون

محمد بن طاهر بن علي بن احمد ابو الفضل القرشي الحافظ ولد سنة ثمان واربعين واربعماية
واول سماعه سنة ستين وسافر في طلب الحديث الى بلاد كثيرة وسمع كثيرا وكانت له معرفة
جيدة بهذه الصناعة وصنف كتبا مفيدة غير انه صنف كتابا في اباحة السماع وفي
التصوف واستعمل فيه احاديث كثيرة منكرة جدا واورد احاديث صحيحة في غير موضعها
وقد اثنى على حفظه غير واحد من الايمة وذكر ابن الجوزي كتابه هذا الذي سماه صفة التصوف
وقال يضحك منه من راه قال وكان داودي المذهب فمن اثنى عليه فلاجل حفظه الحديث
والا فما يجرح به اولى قال وذكره ابو سعد السمعاني وانتصر له بغير حجة بعد ان قال
سالت عنه شيخنا اسماعيل بن احمد الطلحي فاسا الثنا عليه وكان سيء الراي فيه قال
وسمعنا ابا الفضل بن ناصر يقول محمد بن طاهر لا يحتج به صنف في جواز النظر الى المرد
وكان يذهب مذهب الاباحة ثم اورد له من شعره قوله

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت • به جوارح اقوام من الناس
وعج على دير داريا فان به الـ • رهبان ما بين قسيس وشماس
واشرب معتقة من كف كافرة • تسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع رنة الاوتار من رشا • مهفهف طرفه امضى من الماس
غنى بشعر امرئ في الناس مشتهر • مدون عندهم في صدر قرطاس
لولا نسيم بذاكركم يروحني • لكنت محترقا من حر انفاسي

ثم قال ابن السمعاني لعله قد تاب من هذا كله قال ابن الجوزي هذا عذر ضعيف بعد ان يذكر
جرح الايمة فيه ثم يعتذر عن ذلك باحتمال التوبة وذكر ابن الجوزي انه لما احتضر جعل
يردد هذا البيت

وما كنتم تعرفون الجفا • فممن ترى قد تعلمتم

ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد الاول من هذه السنة

ابو بكر الشاشي صاحب المستظهري

محمد بن احمد بن الحسين بن عمر ابو بكر الشاشي احد ايمة الشافعية في زمانه ولد في المحرم سنة
سبع وعشرين واربعماية وسمع الحديث على ابي يعلى بن الفراء وابي بكر الخطيب والشيخ ابي اسحاق

الشيرازي

الشيرازي وتفقه عليه وعلى غيره وقرا الشامل على مصنفه ابن الصباغ واختصره في كتابه
الذي جمعه للمستظهر بالله وسماه حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء ويعرف بالمستظهري
وقد درس بالنظامية ببغداد ثم عزل عنها وكان ينشد

تعلم يا فتى والعود غض • وطينك لين والطبع قابل
فحسبك يا فتى شرفا وفخرا • سكوت الحاضرين وانت قايل

توفي سحر يوم السبت الحادي عشر من شوال من هذه السنة ودفن الى جانب الشيخ ابي اسحاق
بباب ابرز المؤتمن بن احمد بن علي بن الحسين بن عبيد الله ابو نصر الساجي المقدسي سمع الحديث
الكثير وخرج وكان ثقة صحيح النقل حسن الخط مشكور السيرة لطيف النفس اشتغل
في الفقه على الشيخ ابي اسحاق الشيرازي مدة ورحل الى اصبهان وغيرها من البلاد وهو
معدود من جملة الحفاظ ولا سيما المتقنين وقد تكلم فيه محمد بن طاهر فقال ابن الجوزي وهو
احق منه بذلك وابن الثريا من الثرى وكانت وفاة المؤتمن يوم السبت ثامن عشر صفر
من هذه السنة ودفن بباب حرب

ثم دخلت سنة ثمان وخمسماية

فيها وقع حريق عظيم ببغداد وكانت زلزلة هايلة بارض الجزيرة سقط منها ثلاثة
ابراج من الرها وبعض سور حران ودور كثيرة فهلك اكثرهما وفي بالس نحو من ماية دار
وقلب نصف قلعتها وسلم نصفها وخسف بمدينة سميساط وهلك تحت الهدم
خلق كثير فانا لله وانا اليه راجعون وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة البرسلان
بن رضوان بن تتش قتله غلمانه وقام من بعده اخوه سلطان شاه بن رضوان وفيها
ملك السلطان سنجر بن ملك شاه بلاد غزنة وخطب له فيها بعد مقاتلة عظيمة
واخذ منها اموالا كثيرة من ذلك خمسة تيجان قيمة كل تاج منها الف الف دينار
وسبعة عشر سريرا من ذهب وفضة وثلثماية قطعة مصاغة مرصعة واقام بها
اربعين يوما وقرر في ملكها بهرام شاه من بيت بني سبكتكين ولم يخطب بغزنة قبل
السلطان سنجر من السلجوقية لاحد وفيها ولى السلطان محمد للامير اقسنقر البرسقي
الموصل واعمالها وامره بقتال الفرنج فقاتلهم في اواخر هذه السنة فاخذ منهم الرها
وحران وسروج وسميساط ونهب ماردين واسر ابن صاحبها اياز بن ايلغازي فارسل السلطان
محمد يتهدده ففر منه الى طغتكين صاحب دمشق واتفقا على العصيان على السلطان
محمد فجرت بينهما وبين نايب حمص قراخان بن قراجه حروب كثيرة ثم اصطلحوا وفيها ملكت
زوجة سرعسكر الافرنجية بعد وفاة زوجها لعنهما الله وحج بالناس فيها امير الجيوش ابو
الحرث عمر الخادم وسلم الناس حجهم معه

ثم دخلت سنة تسع وخمسماية

فيها جهز السلطان غياث الدين محمد صاحب العراق جيشا كثيفا مع الامير برسق الى
ايلغازي صاحب ماردين والى طغتكين صاحب دمشق ليقاتلهما على تماديهما على
عصيان السلطان وقطع خطبته واذا فرغ منهما قصد قتال الفرنج فلما اقترب
الجيش من بلاد الشام هرب صاحب ماردين وصاحب دمشق وتحيزا الى الفرنج وجاء

الامير برسق الى كفرطاب ففتحها عنوة واخذ ما كان فيها من النساء والذرية وجاء صاحب انطاكية في خمسمائة فارس والفي راجل فكبس المسلمين فقتل منهم خلقا كثيرا واخذ اموالا جزيلة وهرب برسق في طايفة قليلة من الناس وغنم الجيش شيئا يذكر فانا لله وانا اليه راجعون وفي ذي القعدة قدم الملك غياث الدين محمد الى بغداد وجاء اليه طغتكين صاحب دمشق معتذرا اليه فخلع اليه ورضي عنه ورده الى عمله

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

اسماعيل بن محمد بن احمد بن مله ابو عثمان الاصبهاني احد الرحالين في طلب الحديث وقد وعظ في جامع المنصور ثلاثين مجلسا واستملى عليه محمد بن ناصر وتوفي باصبهان سنجب ابن عبد الله المستظهري ابو الحسن الخادم وكان كثير الصلاح والعبادة وقد اثنى عليه محمد بن ناصر وقال وقف على اصحاب الحديث هبة الله بن المبارك بن موسى ابو البركات السقطي سمع الكثير ورحل فيه وكان فاضلا عارفا باللغة ودفن بباب حرب يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية كان من خيار الملوك عارفا حسن السيرة محبا للفقراء والعلماء وله عليهم ادرار وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وترك ثلاثين ولدا وقام بالامر من بعده ولده علي

ثم دخلت سنة عشر وخمسماية

فيها وقع حريق عظيم ببغداد احترقت فيه دور كثيرة منها دار نور الهدى الزينبي ورباط بهروز ودار الكتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء نقلوها وفيها قتل صاحب مراغة في مجلس السلطان مع محمد قتلته الباطنية وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد علي بن موسى الرضى بمدينة طوس فقتل فيها خلق كثير وفيها سار السلطان الى فارس بعد موت نايبها احوذ عليها من صاحب كرمان وحج بالناس امير الجيوش ابو الحسن بطرد وكانت سنة مخصبة امنة ولله الحمد

وممن توفي فيها

البغوي المفسر المحدث الفقيه وقيل في سنة ست عشرة كما سياتي والله اعلم علي بن احمد بن محمد بن بيان الرزاز اخر من حدث عن ابن مخلد صاحب الحسن بن عرفة وتفرد باشياء غيره ايضا وتوفي في هذه السنة عن سبع وتسعين سنة عقيل بن الامام ابي الوفا بن عقيل الحنبلي كان شابا قد برع وحفظ القران وكتب مليحا وفهم المعاني جيدا ولما توفي تصبر عليه وتشكر واظهر التجلد فقرا قارئ في العزا يايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه الاية فبكى ابن عقيل بكاء شديدا محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار ابو بكر السمعاني سمع الكثير وحدث ووعظ بالنظامية ببغداد واملى بمرو مائة واربعين مجلسا وكانت له معرفة تامة بالحديث وكان اديبا شاعرا فاضلا له قبول عظيم توفي بمرو عن ثلاث واربعين سنة محمد بن علي بن محمد ابو بكر النسوي الفقيه الشافعي سمع الحديث وكانت اليه تزكية الشهود ببغداد وكان فاضلا دينا ورعا محمد بن احمد بن طاهر ابن حمد ابو منصور الخازن فقيه الامامية ومفتيهم بالكرخ وقد سمع الحديث من التنوخي وابن غيلان وكانت وفاته في رمضان محفوظ بن احمد بن الحسن ابو الخطاب الكلوذاني

اصحابه الحنابلة ومصنفهم سمع الكثير وتفقه بالقاضي ابي يعلى وقرا الفرائض على الوني ودرس وافتى وناظر وصنف في الاصول والفروع وله شعر حسن وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه يقول فيها

دع عنك تذكار الخليط المنجد ... والشوق نحو الآنسات الخرد
والنوح في تذكار سعدى انما ... تذكار سعدى شغل من لم يسعد
واسمع معاني ان اردت تخلصا ... يوم الحساب وخذ بهدي تهتد

وذكر تمامها وهي طويلة وكانت وفاته في جمادى الاخرة من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة وصلي عليه بجامع القصر وجامع المنصور ودفن بالقرب من الامام احمد

ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسماية

وفي رابع عشر صفر منها انكسف القمر كسوفا كليا وفي تلك الليلة هجم الفرنج على ربض حماه فقتلوا خلقا كثيرا ورجعوا لعنهم الله الى بلادهم وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقطت منها دور كثيرة بالجانب الغربي وغلت الغلات في هذه السنة ببغداد جدا وفيها قتل لؤلؤ الخادم الذي كان قد استحوذ على مملكة حلب بعد موت استاذه رضوان بن تتش قتله جماعة من الاتراك وكان قد خرج من حلب متوجها الى جعبر فنادى جماعة من مماليكه وغيرهم في اثناء الطريق ارنب ارنب فرموه بالسهام موهمين انهم يصيدون صيدا فقتلوه وفيها كانت وفاة السلطان غياث الدين محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ملك بلاد العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاسعة والاقاليم الواسعة وكان من خيار الملوك واحسنهم سيرة عادلا رحيم القلب سهل الاخلاق محمود العشرة رحمه الله لما حضرته الوفاة استدعى ولده محمودا وضمه اليه وبكى كل منهما ثم امره بالجلوس على سرير المملكة وعمره اربع عشرة سنة فجلس وعليه التاج والسواران وحكم ولما توفي ابوه صرف الخزاين الى العساكر وكان فيها احد عشر الف الف دينار واستقر الملك له وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد وكان عمر ابيه السلطان محمد ستا وثلاثين سنة واربعة اشهر واياما وكان قد خطب له ببغداد عدة مرات ونازعه اخوه بركيارق ثم استقر له الملك الى هذه السنة رحمه الله واكرم مثواه وفيها ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر صاحب حلب ودمشق

وممن توفي فيها من الاعيان ايضا

القاضي المرتضى

ابو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري والد القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي دمشق ايام نور الدين اشتغل ببغداد وتفقه بها وكان شافعي المذهب بارعا دينا حسن النظم ثم عاد الى بلده فكان يعظ ويتكلم على القلوب وله قصيدة بارعة في علم التصوف اوردها القاضي ابن خلكان بتمامها لحسنها وفصاحتها

لمعت نارهم وقد عسعس الليل ... ومل الحادي وحار الدليل

تتأملنها وذكرى من البين عليل • ولحظ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنى • وغرامي ذاك الغرام الدخيل

ومن شعره

يا ليل ما جئتكم زائرا • الا وجدت الارض تطوى لي
ولا ثنيت العزم عن بابكم • الا تعثرت باذيالي

ومن شعره دوبيت

يا قلب الام لا يفيد النصح • دع مزحك كم جنى عليك المزح
ما جارحة منك غدا ما جرح • ما تشعر بالخمار حتى تصحو

كانت وفاته في هذه السنة قال ابن خلكان وزعم العماد في الخريدة انه توفي بعد العشرين والله اعلم محمد بن سعيد بن نبهان ابو علي الكاتب سمع الحديث وروى وعمر مائة سنة وتغير قبل موته وله شعر حسن فمن ذلك قوله في قصيدة

لي اجل قدره الله • نعم ورزق انوفاه
حتى اذا سوف نبقى منه الذي • قدر لي لا اتعداه
قالوا كرام كنت تغشاهم • في مجلس قد كنت تغشاه
صار ابن نبهان الى ربه • يرحمنا الله واياه

امير الحاج يمن بن عبد الله ابو الخير المستظهري كان جوادا كريما ممدحا ذا راي وفطنة ثاقبة وقد سمع الحديث من ابي عبد الله الحسين بن طلحة النعالي بافادة ابي نصر الاصبهاني وكان يؤم به في الصلوات ولما قدم رسولا الى اصبهان حدث بها وانفق وفاته في ربيع الاخر من هذه السنة ودفن هناك

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وخمسمائة

فيها خطب للسلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بامر الخليفة المستظهر بالله وفيها سال دبيس بن صدقة بن منصور الاسدي من السلطان محمود ان يرده الى الحلة وغيرها مما كان ابوه يتولاه من الاعمال فاجابه الى ذلك وولاه ما كان ابوه يتولاه من ذلك فعظم وارتفع شانه

وفاة الخليفة المستظهر بالله

وهو ابو العباس احمد بن امير المؤمنين المقتدي بامر الله وكان خيرا فاضلا ذكيا بارعا كتب الخط المنسوب وكانت ايامه ببغداد كانها الاعياد وكان راغبا في البر والخيرات مسارعا الى ذلك لا يرد سائلا وكان جميل المعاشرة لا يصغي الى اقوال الوشاة من الناس ولا يثق بالمباشرين وقد ضبط امور الخلافة جيدا واحكمها وعلمها ولديه علم كثير وفضل كبير وله شعر حسن قد ذكرنا اوله عند ذكر خلافته بعد والده وقد ولي غسله الامام ابن عقيل وابن السبي وصلى عليه ولده ابو منصور الفضل وكبر اربعا ودفن في حجرة كان يسكنها والعجب انه لما مات السلطان الب ارسلان مات بعده الخليفة القائم بامر الله ولما مات السلطان محمد مات بعده الخليفة المستظهر بالله رحمهم الله وقد كانت وفاة المستظهر بالله في سادس عشر ربيع الاخر

من هذه

من هذه السنة وله من العمر احدى واربعون سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوما

خلافة المسترشد بالله امير المؤمنين

ابن المستظهر ابو منصور الفضل بن المستظهر

لما توفي ابوه كما ذكرنا بويع له بالخلافة وخطب له على المنابر وقد كان ولي العهد من مدة ثلاث وعشرين سنة وكان الذي اخذ البيعة له قاضي القضاة ابو الحسن ابن الدامغاني ولما استقرت البيعة للمسترشد هرب اخوه ابو الحسن في سفينة ومعه ثلاثة نفر وقصد دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي بالحلة فاكرمه واحسن اليه فقلق المسترشد من ذلك فارسل اليه جيشا فالجاه الى البرية فلحقه عطش شديد فلقيه بدويان فسقياه ماء وحملاه الى بغداد فاحضره اخوه اليه فاعتنقا وتباكيا وانزله الخليفة دارا كان يسكنها قبل الخلافة واحسن اليه وطيب نفسه وكانت مدة غيبته عن بغداد احد عشر شهرا واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد وفي هذه السنة كان غلاء شديد ببغداد وانقطع الغيث وعدمت الاقوات وتفاقم امر العيارين ونهبوا الدبارات نهارا جهارا ولم يستطع الشرط لذلك تغييرا ولا انكارا وخرج بالناس في هذه السنة سطر الخادم

وممن توفي فيها من الاعيان

الامام الخليفة المستظهر بالله كما تقدم ذكر ذلك اتفاقا في هذا العام وتوفيت بعده جدته ام ابيه المقتدي بامر الله وجوار الارمنية وكانت على قرة العين وكان لها بر كثير ومعروف وصدقات وقد حجت ثلاث حجات ادركت خلافة ابنها المقتدي بامر الله وخلافة ابنها المستظهر وخلافة ابنه المسترشد وراث المسترشد ولدا وكانت وفاتها في هذه السنة رحمها الله تعالى بكر بن محمد بن علي بن الفضل ابو الفضل الانصاري روى الحديث وكان يضرب به المثل في حفظه مذهب ابي حنيفة وكان قد تفقه على عبد العزيز بن احمد الحلواني وكان يذكر الدروس في اي موضع سئل من غير مطالعة ولا مراجعة وربما كان في ابتداء طلبه يكرر على المسالة اربع مائة مرة وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الزينبي قرا القران وسمع الحديث وتفقه على ابي عبد الله بن الدامغاني فبرع وافتى ودرس بمشهد ابي حنيفة وناظر الفقهاء وانتهت اليه رياسة مذهب ابي حنيفة ولقب نور الهدى وسار في الرسالة الى الملوك وولي نقابة الطالبيين والعباسيين ثم استعفى بعد شهور وولي اخوه طراد نقابة العباسيين وكانت وفاته في يوم الاثنين الحادي عشر من صفر وله من العمر ثنتان وتسعون سنة وصلى عليه ابنه ابو القاسم على بحضرة الاعيان والعلماء ودفن عند قبر ابي حنيفة داخل القبة رحمه الله يوسف بن احمد بن [بياض] ابو طاهر ويعرف بابن الجزري صاحب المخزن في ايام المستظهر وكان لا يوفي المسترشد حقه من التعظيم وهو ولي عهد فلما صارت اليه الخلافة صادره بمائة الف دينار ثم استرجعها له ومات الا بيت فوجد فيه اربعمائة الف دينار فاخذها الخليفة ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل في هذا العام ابو الفضل بن الخازن

بياضه

كان اديبا لطيفا شاعرا فاضلا فمن شعره قوله

وابيت منزله فلم ار حاجبا • الا تلقاني بوجه ضاحك
والبشر في وجه الغلام نتيجة • بمقدمات حياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه • فشكرت رضوانا ورافة مالك

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسماية

فيها كانت الحروب الشديدة بين السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه وبين عمه السلطان سنجر بن ملك شاه فكان النصر فيها لسنجر فخطب له ببغداد في سادس عشر جمادى الاولى من هذه السنة وقطعت خطبة السلطان محمود ثم وقع الصلح بينهما ورسم السلطان سنجر ان يخطب لابن اخيه محمود في ساير اعماله بعده وفيها سارت الفرنج الى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها فسار اليهم صاحب ماردين ايلغازي بن ارتق في جيش كثيف فهزمهم عنها والجاهم الى جبل قد تحصنوا فيه فقتلهم منه مقتلة عظيمة ولله الحمد والمنة ولم يفلت منهم الا اليسير واسر من مقدميهم نيفا وسبعين رجلا وقتل فيمن قتل سرجال صاحب انطاكية وحمل راسه لعنه الله فقال بعض الشعرا في ذلك

قل ما تشا فقولك المقبول • وعليك بعد الخالق التعويل
واستبشر القران حين نصرته • وبكى لفقد رجاله الانجيل

وفيها قتل الامير منكرس شحنة بغداد وكان ظالما غاشما سيي السيرة قتله الملك محمود بن محمد بن ملك شاه صبرا بين يديه لامور منها انه تزوج سرية لابيه قبل انقضا عدتها ونحو ذلك وقد اراح الله المسلمين منه فقبحه الله فما كان اظلمه واغشمه وفيها تولى قضا القضاة ببغداد الاكمل ابو القاسم علي بن ابي طالب الحسين بن محمد الزينبي وخلع عليه بعد موت ابي الحسن بن الدامغاني كما سياتي في ترجمته وفيها ظهر قبر الخليل ابراهيم وقبر اسحاق ويعقوب عليهم السلام وشاهد ذلك الناس ولم تبل اجسادهم وعندهم قناديل من ذهب وفضة ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه واظنه نقله من المنتظم لابن الجوزي والله اعلم

وممن توفي فيها من الاعيان ابن عقيل

علي بن عقيل بن محمد بن عقيل ابو الوفا شيخ الحنابلة ببغداد صاحب الفنون وغيرها من التصانيف المفيدة ولد سنة احدى وثلثين واربعماية وقرا القران وقرا على ابن شيطا وسمع الحديث الكثير وتفقه بالقاضي ابي يعلى بن الفرا وقرا الادب على ابن برهان والفرايض على عبد الملك الهمداني والوعظ على ابي طاهر بن العلاف صاحب ابن سمعون والاصول على ابن الوليد المعتزلي وكان يجتمع بجميع العلما في كل مذهب وربما لامه بعض اصحابه فلا يلوي عليهم فلهذا برز على اقرانه وساد اهل زمانه في فنون كثيرة مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال وقد وعظ في بعض الاحيان فوقعت فتنة فترك ذلك وقد متع بجميع حواسه الى حين موته وكانت وفاته في بكرة الجمعة ثاني جمادى الاولى من هذه السنة وقد جاوز الثمانين وكانت جنازته حافلة جدا ودفن قريبا من قبر الامام احمد الى جانب الخادم مخلص رح ابو الحسن بن الدامغاني علي ابن محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه ابو الحسن

الدامغاني

الدامغاني قاضي القضاة ابن قاضي القضاة ولد في رجب سنة ست واربعماية ه واشتغل وبرع وتولى قضا القضاة بعد ابيه ثم عزل بابي بكر الشاشي ثم اعيد الى الحكم قال ابن الجوزي ولا نعرف حاكما ولي الحكم اصغر سنا منه يعني ببغداد من قضاة القضاة قال ولا نعرف حاكما ولي الحكم لاربعة من الخلفا غيره الا شريح ثم ذكر من امانته وديانته ما يدل على نزاهته وتوقيه وفور نزاهته وقد ولي الحكم اربعا وعشرين سنة كذلك وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وستة اشهر ودفن عند مشهد ابي حنيفة رح المبارك بن علي بن الحسين ابو سعد المخرمي سمع الحديث وتفقه على مذهب الامام احمد وناظر وافتى ودرس وجمع كتبا كثيرة لم يسبق الى مثلها وناب في القضا وكان حسن السيرة جميل الطريقة سديد الاقضية وقد بنى مدرسة بباب الازج وهي المنسوبة الى الشيخ عبد القادر الجيلي ثم عزل عن القضا وصودر باموال ذلك في سنة احدى عشرة وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة ودفن الى جانب ابي بكر الخلال عند احمد

ثم دخلت سنة اربع عشرة واربعماية

في المنتصف من ربيع الاول كانت وقعة عظيمة بين الاخوين السلطانين محمود ومسعود ابني محمد بن ملك شاه عند عقبة اسد اباذ فانهزم عسكر مسعود ه واسر وزيره الاستاذ ابو اسماعيل وجماعة من امرايه فامر السلطان محمود بقتل الوزير ابي اسماعيل فقتل وله نيف وستون سنة وله تصانيف في صناعة الكيميا ثم بعث الى اخيه مسعود الامان واستقدمه عليه فلما اجتمعا اعتنقا وبكيا واصطلحا وفيها ذهب دبيس بن صدقة صاحب الحلة الى البلاد وركب بنفسه الى بغداد ونصب خيمة بازا دار الخلافة واظهر ما في نفسه من الضغاين وذكر كيف طيف براس ابيه في البلاد وتهدد المسترشد فارسل اليه الخليفة يسكن جاشه ويعده ان سيصلح بينه وبين السلطان محمود فلما قدم السلطان بغداد ارسل دبيس شيئا من قائمه واجراه على عادته ثم انه نهب جيش السلطان فركب السلطان محمود بنفسه لقتاله واستصحب معه الف سفينة ليعبر بها الى الحلة فهرب دبيس من بين يديه والتجا الى ايلغازي فاقام عنده سنة ثم عاد الى الحلة وارسل الى الخليفة والسلطان يعتذر اليهما فلم يقبلا منه وجهز السلطان اليه جيشا فحاصروه وضيقوا عليه قريبا من سنة وهو في منيع بلاده لا يتمكن الجيش من الوصول اليه في تلك الاماكن وفيها كانت الوقعة العظيمة بين الكرج والمسلمين بالقرب من تفليس ومع الكرج كفار القفجاق فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وغنموا اموالا جزيلة واسروا اكثر من اربعة الاف اسير فانا لله وانا اليه راجعون ونهبت الكرج تلك النواحي وفعلوا اشيا منكرة وحاصروا تفليس مدة ثم ملكوها عنوة بعدما احرقوا القاضي والخطيب حين جاوا من اهل البلد يطلبون الامان وقتلوا عامة اهلها وسبوا الذرية واستحوذوا على الاموال فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم وفيها اغار جوسكر الفرنجي صاحب الرها على خلق من العرب والتركمان فقتلهم وغنم اموالهم وفيها عزدت الحبارون ببغداد واخذوا الدور

جبارا لميلاده انها را حسبنا الله ونعم الوكيل

وفي هذه السنة كان ابتداء

ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب

كان ابتداء امر هذا الرجل انه قدم في حدود سنة من بلاد المغرب الى بغداد وسكن النظامية
واشتغل بالعلم فحصل جانبا جيدا من الفروع والاصول على الغزالي وغيره وكان يظهر
التعبد والزهد والورع وربما انكر على الغزالي الحسن ملابسه ولا سيما حين لبس خلعة
التدريس بالنظامية ثم حج وعاد الى بلاده وكان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقرئ
الناس القران ويشغلهم في الفقه فطار ذكره في الناس واجتمع به يحيى بن تميم
ابن المعز بن باديس صاحب بلاد افريقية فعظمه واكرمه وساله الدعا فاشتهر ايضا هذا
وليس معه الا ركوة وعصى ولا يسكن الا المساجد ثم كان ينتقل من بلد الى بلد حتى دخل
مراكش ومعه تلميذه عبد المومن بن علي قد توسم فيه النجابة والشهامة فراى فيها من
المنكرات اضعاف ما راى في غيرها من ذلك ان الرجال يتلثمون والنسا يمشين حاسرات
عن وجوههن فاخذ في انكار ذلك حتى انه اجتاز به في بعض الايام اخت امير المسلمين
علي بن يوسف بن تاسفين ملك مراكش وما حولها ومعها نسا راكبات حاسرات مثلها
فشرع هو واصحابه ينكرون عليهن ويضربون الدواب فسقطت اخت الملك عن دابتها
فاحضره الملك واحضر الفقها فظهر عليهم بالحجة واخذ يعظ الملك في نفسه ويعظ
هذا نفاه ابن تاسفين عن بلده فشرع يشنع عليه ويدعو الناس لقتاله فاتبعه
على ذلك خلق كثير فجهز اليه ابن تاسفين جيشا كثيرا فهزمهم ابن تومرت فعظم شانه
وارتفع امره وقويت اركانه وتسمى بالمهدي وجيشه جيش الموحدين والف كتابا
في التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة ثم كانت له وقعات مع جيوش ابن تاسفين
فقتل في بعض الايام منهم نحوا من سبعين الفا وذلك باشارة ابي عبد الله التونشري
وكان ذكر انه نزل اليه ملك وعلمه القران والموطا وله بذلك ملايكة يشهدون
به في بير سماه فلما اجتاز به وقد ارصد فيه رجالا فلما سالهم والناس يسمعون شهدوا
له بذلك فامر حينيذ بطم البير عليهم فهلكوا عن اخرهم ولهذا يقال من اعان ظالما
سلط عليه ثم جهز ابن تومرت الذي لقب نفسه بالمهدي جيشا عليهم ابو
عبد الله التونشري وعبد المومن لمحاصرة مراكش فخرج اليهم اهلها فاقتتلوا قتالا
عظيما فكان ممن قتل ابو عبد الله التونشري هذا الذي زعم ان الملايكة تخاطبه
فلما افتقدوه في القتلى فلم يجدوه قالوا رفعته الملايكة وقد كان عبد المومن
دفنه والناس في المعركة وقتل من اصحاب المهدي خلق كثير وقد كان حين جهز
الجيش مريضا مدنفا فلما جاءه الخبر ازداد مرضه وساه قتل عبد الله
التونشري وجعل الامر من بعده لعبد المومن بن علي ولقبه امير المومنين وقد كان شابا
حسنا حازما عاقلا وقد كان ابن تومرت حين مات ابن احدى وخمسين سنة ومدة
ايامه عشر سنين وحين صار الامر الى عبد المومن بن علي احسن الى الرعايا وظهرت
منه سيرة جيدة فاحبه الناس واتسعت ممالكه وكثرت جيوشه ورعيته ونصب
العداوة لابن تاسفين صاحب مراكش ولم يزل الحرب بينهما الى سنة خمس وثلاثين

فمات

فمات ابن تاسفين فقام ولده تاسفين من بعده فمات في سنة تسع وثلاثين
ليلة سبع وعشرين من رمضان فولي اخوه اسحاق بن علي بن يوسف بن تاسفين
فسار اليه عبد المومن فملك تلك النواحي وفتح مدينة مراكش فقتل بها الك
امما لا يعلم عددهم الا الله عز وجل وقتل ملكها اسحاق وكان صغير السن في سنة
ثنتين واربعين فكان اسحاق هذا اخر ملوك المرابطين وكانت مدة ملكهم سبعين
سنة والذين ملكوا منهم اربعة علي ووالده يوسف وولداه تاسفين واسحاق ابنا علي
المذكور فاستوطن عبد المومن مدينة مراكش واستقر ملكه بتلك النواحي وظفر
في سنة ثلاث واربعين ببركالة وهي قبيلة عظيمة في نحو مايتي الف راجل وعشرين
الف راكب فقاتل من الشجعان الابطال فقتل منهم خلقا كثيرا وجما غفيرا وسبى
ذراريهم وغنم اموالهم حتى انه ابيعت الجارية الحسناء بدراهم معدودة وقد
رايت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلدا في احكامه وايامه وكيف ملك
بلاد المغرب وما كان يتعاطاه من الاشيا التي توهم بها احوالا وهي محال
لا تصدر الا عن فجرة وما قتل من الناس وازهق من الانفاس

وممن توفي فيها

اعني سنة اربع عشرة وخمسماية من الاعيان

احمد بن عبد الوهاب بن السيبي ابو البركات اسند الحديث وكان يعلم اولاد
الخليفة المستظهر فلما صارت الخلافة الى المسترشد ولاه المخزن وكان كثير
الاموال والصدقات بنى مدرسة لاهل العلم وخلف مالا كثيرا احرز بما ينيف الف
دينار اوصى بذلك بثلاثين الف دينار لمكة والمدينة وكانت وفاته في هذه
السنة عن ست وخمسين سنة وثلاثة اشهر وصلى عليه الوزير ابو علي بن
صدقة والدولة ودفن بباب حرب عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن ابو نصر
القشيري قرا على ابيه وامام الحرمين وروى الحديث عن جماعة وكان ذا ذكاء
وفطنة وله خاطر حاضر جري ولسان ناظر فصيح وقد دخل بغداد فوعظ بها
فوقع بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية فحبس بسببها الشريف ابو
جعفر بن ابي موسى وامر ابن القشيري بالخروج من بغداد لاطفاء الفتنة فعاد
الى بلده وكانت وفاته في هذه السنة عبد العزيز بن علي بن محمد ابو حامد الدينوري
كان كثير المال والصدقات ذا حشمة ومروة ووجاهة عند الخليفة وقد
روى الحديث ووعظ وكان يخلط الا انه حلو المنطق وكانت وفاته بالري
في هذه السنة

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسماية

فيها اقطع السلطان محمود الامير الغازي مدينة ميافارقين فبقيت في يده واولاده
الى ان اخذها صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ثمانين وفيها اقطع ايضا
اقسنقر البرسقي مدينة الموصل وامره بقتال الفرنج وفيها حاصر بلك بن بهرام
وهو ابن اخي ايلغازي مدينة الرها فاسر ملكها جوسلين الفرنجي وجماعة من
اصحابه وسجنهم بقلعة خرتبرت وفيها هبت ريح سودا فاستمرت ثلاثة ايام

فاهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب والانعام وفيها كانت زلزلة عظيمة
بالحجاز فتضعضع بسببها الركن اليماني زاده الله شرفا وتهدم بعضه وتهدم
شيء من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية وفيها ظهر رجل علوي
بمكة كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فاتبعه
ناس كثير فنفاه صاحبها ابن ابي هاشم الى البحرين وفيها احترقت دار السلطان
باصبهان فلم يبق فيها شيء من الاثاث والقماش والجواهر والذهب والفضة سوى
الياقوت الاحمر فانا لله وانا اليه راجعون وقبل ذلك بليلة احترق الجامع باصبهان
ايضا وكان جامعا عظيما فيه اخشاب تساوي الف الف دينار وفي جملة ما احترق
فيه خمسماية مصحف عتيقة منها مصحف بخط ابي بن كعب رضي الله عنه فانا
لله وانا اليه راجعون وفي شعبان جلس الخليفة المسترشد بالله في دار الخلافة
في ابهة الخلافة البردة على كتفيه والقضيب بين يديه وجاء الاخوان الملكان
محمود ومسعود فوقفا بين يديه وقبلا الارض فخلع على محمود سبع خلع وطوقا وسوارين
وتاجا واجلس على كرسي ووعظه الخليفة وتلا عليه قوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وامره بالاحسان الى الرعايا وعقد له
الخليفة اللوايين بيده وقلده الملك وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين
والجيش بين ايديهما الى الدار بهما في ابهة عظيمة جدا وحج بالناس نظر الخادم وقد توفي
فيها ابن القطاع النحوي اللغوي ابو القاسم علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله
ابن الحسين بن احمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الاغلب الاسعدي الصقلي ثم
المصري اللغوي مصنف كتاب الافعال الذي برز فيه على ابن القوطية وله مصنفات
وقد قدم مصر في حدود سنة خمسماية لما اشرفت الفرنج على اخذ صقلية فاكرمه
المصريون وبالغوا في اكرامه وكان ينسب الى التساهل وله شعر جيد فيما اورد له
القاضي ابن خلكان منه قطعة جيدة وقد جاوز الثمانين

وممن توفي فيها من الاعيان

ابو القاسم شاهنشاه الافضل بن امير الجيوش بدر الجمالي مدبر دولة الفاطميين
بمصر والى ابيه تنسب قيسارية امير الجيوش والعامة يقولون مرجوش وابوه
باني الجامع الذي بثغر الاسكندرية بسوق العطارين ومشهد الراس بعسقلان
ايضا وكانا نواب المستنصر على مدينة صور وقبل عكا ثم استدعاه اليه
في فصل الشتاء فركب في البحر واستناب على ديار مصر وسدد الامور بعد فسادها
ومات في سنة ثمان وثمانين واربعماية وقام في الوزارة بعده ولده الافضل هذا
فكان كابيه في الشهامة والصرامة ولما مات المستنصر اقام المستعلي واستمرت
الامور على يديه وكان عادل السيرة موصوفا بجودة السريرة فاتفق على
ضربه فداوي ومواكب فقتله في رمضان من هذه السنة عن سبع وخمسين سنة
امارته من ذلك بعد ابيه ثمان وعشرين سنة وكانت داره دار الوكالة اليوم
بمصر وقد وجدت له اموال عظيمة جدا تفوق العد والاحصاء من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث والجواهر النفائس وانتقل ذلك للخليفة الى

الفاطمي الى حواصله وخزاينه واعتاض عنه بابي عبد الله البطايحي الملقب بالمامون
قال القاضي ابن خلكان ترك الافضل من الذهب العين ستماية الف الف دينار
ومن الدراهم مايتين وخمسين اردب وسبعين الف ثوب ديباج اطلس وثلاثين
راحلة احقاق ذهب عراقي ودواة ذهب فيها جوهر باثني عشر الف دينار وماية
مسمار زنة كل واحد ماية مثقال في عشرة مجالس على كل مسمار منديل مشدود مذهب
تكون من الالوان من ملابسه وخمسماية صندوق لبس بدنه قال وخلف من الرقيق
والخيل والبغال والمراكب والطيب والحلي ما لا يعلم قدره الا الله عز وجل وخلف
من البقر والجواميس والغنم ما يستحيا من ذكر عدده وبلغ ضمان البانها في السنة
ثلاثين الف دينار وترك صندوقين كبيرين فيهما ابر ذهب برسم النساء عبد الرزاق
بن عبد الله بن علي بن اسحاق الطوسي ابن اخي نظام الملك تفقه بامام الحرمين وافتى ودرس
وناظر ووزر للملك سنجر توفي في هذه السنة خاتون السفرية حظية السلطان ملك
شاه وهي ام السلطانين محمد وسنجر وكانت كثيرة الصدقة والاحسان الى الناس
لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج وفيها دين وخير ولم تزل تبحث حتى عرفت مكان امها
واهلها فبعثت الاموال الجزيلة حتى استحضرتهم ولما قدمت عليها امها كان لها عنها
اربعين سنة لم ترها فاحبت ان تستعلم فهمها فجلست بين جواريها فلما سمعت امها كلامها
عرفتها فقامت اليها فاعتنقتها وبكتا ثم اسلمت امها على يديها جزاها الله خيرا
واحسن اليها وقد تفردت بولادة ملكين في دولة الاتراك والعجم ولا يعرف لهذا نظير
الا اليسير من ذلك ولادة بنت العباس ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان وشاهد
ولدت للوليد يزيد وابراهيم وليا الخلافة ايضا والخيزران ولدت للمهدي الهادي
والرشيد رحمهم الله

الطغرائي ناظم لامية العجم

الحسين بن علي بن عبد الصمد مؤيد الدين الاصبهاني ابي العميد فخر الكتاب المنشي الشاعر
المعروف بالطغرائي وقد ولي الوزارة باربل مدة اورد له القاضي ابن خلكان قصيدته
اللامية التي لها في سنة خمس وخمسماية ببغداد يشرح فيها احواله واموره وتعرف
بلامية العجم واولها

اصالة الراي صانتني عن الخطل • وحلية الفضل زانتني لدى العطل •
مجدي اخيرا ومجدي اولا شرع • والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل •
فيم الاقامة بالزوراء لا سكني • بها ولا ناقتي فيها ولا جملي •

وقد سردها القاضي ابن خلكان بكمالها واورد له غيرها من الشعر ايضا •

ثم دخلت سنة عشرة وخمسماية

في المحرم منها رجع السلطان طغرل الى طاعة اخيه محمود بعد ما كان خرج عنها واخذ
بلاد اذربيجان وفيها اقطع السلطان محمود مدينة واسط واعمالها للاقسنقر
واعمالها مضافا الى الموصل فسير اليها عماد الدين زنكي بن اقسنقر فوليها واحسن
السيرة بها وابان عن حزم وكفاية وفي صفر منها قتل وزير السلطان محمود ابو طالب
السميرمي قتله باطني وقد برز للمسير الى همذان وقد خرج في جنده وماية جارية من مراكب

الذنب فلما بلغهن قتله رجعن حاسرات قد لبسن بعد العز. واستوزر السلطان بعده شمس الملك عثمان بن نظام الملك وفيها اقبل اقسنقر البرسقي ودبيس بن صدقة فهزمه دبيس وقتل خلقا من جيشه فاستوثق السلطان من منصور بن صدقة اخي دبيس وولده ورفعهما الى القلعة فعند ذلك آذى دبيس تلك الناحية ونهب البلاد وجز شعره ولبس السواد ونهبوا اموال الخليفة ايضا من البلاد فنودي في بغداد بالخروج لقتاله وبرز الخليفة في الجيش وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفيه البردة وبيده القضيب وفي وسطه منطقة حديد صيني ومعه وزيره نظام الدين احمد بن نظام الملك ونقيب النقباء علي بن طراد الزينبي فقبلوا الارض ورتب البرسقي الجيش ووقف القراء بين يدي الخليفة واقبل دبيس وبين يديه الاماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهي والتقى الفريقان وقد شهر الخليفة سيفه وكبر واقترب من المعركة فحمل عنبر بن ابي العسكر على ميمنة الخليفة فكسرها وقتل امراء ثم حمل ثانية فكسرهم كالاولى فحمل عليه عماد الدين زنكي بن اقسنقر فاسر عنبرا واسر معه رجل من بني زايدة فانهزم عسكر دبيس والقوا انفسهم في الماء فغرق كثير منهم فامر الخليفة فضرب اعناق الاسارى صبرا بين يديه وحصلت نساء دبيس وسراريه في السبي وعاد الخليفة الى بغداد فدخلها في يوم عاشورا من السنة الآتية وكان يوما مشهودا وكانت غيبته ستة عشر يوما واما دبيس فانه نجا بنفسه وقصد غزية فصحبهم الى البصرة فنهبها ودخلها وقتل اميرها ثم خاف من البرسقي فخرج عنها وسار على البرية والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل اخي السلطان محمود وفيها ملك السلطان حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق قلعة ماردين بعد وفاة ابيه وملك اخوه سليمان ميافارقين وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قرب حصن قلعة ذي القرنين وفيها دخل جماعة من الوعاظ الى بغداد فوعظوا بها فحصل لهم قبول تام من العوام وحج بالناس في هذه السنة نظر الخادم

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الله بن احمد بن عمر بن ابي الاشعث ابو محمد السمرقندي اخو ابي القاسم وكان ابو محمد هذا احد حفاظ الحديث وقد زعم ان عنده ما ليس عند ابي زرعة الرازي وصحب الخطيب مدة وجمع والف وصنف ودخل الى الآفاق وكانت وفاته يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول من هذه السنة عن ثمانين سنة علي بن احمد ابو طالب السميري نسبة الى قرية باصبهان كان وزير السلطان محمود وكان مجاهرا بالظلم والفسق واحدث على الناس وجددها بعد ما كانت قد ازيلت من مدة متطاولة وكان يقول قد استحييت من كثرة الظلم لمن لا ناصر له وكثرة ما احدثت من السنن السيئة ولما عزم على الخروج الى همذان احضر المنجمين فضربوا له تخت رمل لساعة خروجه ليكون اسرع لعوده فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسللة والمماليك بالعدد الباهرة ومع هذا جاء باطني فضربه فقتله في الساعة الراهنة بعدما ضربه غير مرة في مقاتله ثم ذبحه كما تذبح الشاة والمماليك يضربونه بالسيوف والنبل ولا يبالي بشي من ذلك حتى قتله ثم مات بعده ورجع نساؤه حاسرات عن وجوههن قد ابدلهن الله

الذلة بعد العزة والخوف بعد الامن وكان ذلك يوم الثلاثاء سلخ صفر وما اشبه حالهن بقول ابي العتاهية في الخيزران وجواريها حين مات المهدي

رحن في الوشي واصبحن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهر له يوم نطوح
لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح ان كنت لا بد تنوح

الحريري صاحب المقامات

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان فخر الدين ابو محمد الحريري البصري مؤلف المقامات التي سارت بفصاحتها الركبان وكاد يربي فيها على سحبان ولد سنة ست واربعين واربعمائة وسمع الحديث واشتغل باللغة والنحو وصنف في ذلك كله وفاق اهل زمانه وبرز على اقرانه واقام ببغداد وعمل صناعة الانشاء للكتاب في باب الخليفة ولم يكن ممن لم يشكر بديهته بل فكرته قال ابن الجوزي سمع الحديث وحدث وقرأ الادب واللغة وفاق اهل زمانه بالذكاء والفطنة والفصاحة وحسن العبارة وصنف المقامات المعروفة من تأملها عرف قدر منشيها توفي في هذه السنة بالبصرة وقد قيل ان ابا زيد والحرث بن همام لا وجود لهما وانما جعل هذه المقامات من باب الامثال ومنهم من يقول ابو زيد المطهر بن سلام السروجي كان له وجود وكان فاضلا له علم ومعرفة باللغة فالله اعلم وذكر القاضي ابن خلكان ان ابا زيد كان اسمه المطهر بن سلار وكان بصريا فاضلا في النحو واللغة وكان يشتغل على الحريري بالبصرة واما الحرث بن همام فانما عنى به نفسه لما جاء في الحديث كلكم حارث وكلكم همام كذا قال القاضي وانما اللفظ المحفوظ اصدق الاسماء حارث وهمام لان كل احد اما حارث وهو الفاعل او همام من الهم وهو العزم او الخطرة وذكر ان اول مقامة عملها الثامنة والاربعون وهي الحرامية وكان سببها انه دخل عليهم مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان فاستنسبوه فقال ابو زيد السروجي فعمل فيه هذه المقامة فاشار عليه الوزير الذي للخليفة المسترشد وهو جلال الدين عميد الدولة ابو علي الحسن بن ابي العز علي بن صدقة قال ابن خلكان كذا رأيته على نسخة بخط المصنف على حاشيتها وهذا اصح ممن قال هو الوزير شرف الدين ابو نصر انوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وهو وزير المسترشد ايضا ويقال ان الحريري كان قد عملها اربعين مقامة فلما قدم بغداد لم يصدق في ذلك واستحنه بعض الوزراء فجلس ناحية واخذ دواة وقرطاسا فلم يفتح له بشي حتى عاد الى بلده فعمل عشرا اخرى فاتمها بها وقد قال فيه ابو القاسم علي بن افلح الشاعر وكان من جملة المكذبين له

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من الهوس
انطقه الله بالمشان وقد رماه وسط العراق بالخرس

ومعنى قوله المشان مكان بالبصرة وذكر انه كان صدر ديوان المشان ويقال انه كان دميم الخلق فاتفق ان رجلا رحل اليه فلما رآه ازدراه ففهم الحريري ذلك فانشأ يقول

• ما انت اول سار غره قمر • ورائد اعجبته خضرة الدمن •
• فاختر لنفسك غيري انني رجل • مثل المعيدي اسمع بي ولا ترني •

يقال ان المعيدي اسم حصان جواد كان في العرب دميم الخلقة •

البغوي ٥

الحسن بن مسعود بن محمد ابو محمد البغوي صاحب التفاسير وشرح السنة والتهذيب في الفقه والجمع بين الصحيحين والمصابيح في الصحاح والحسان وغير ذلك اشتغل على القاضي حسين وبرع في هذه العلوم وكان علامة زمانه فيها وكان دينا ورعا زاهدا عابدا صالحا توفي في شوال من هذه السنة وقيل في سنة عشر فالله اعلم ودفن مع شيخه القاضي حسين بالطالقان

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسماية

في يوم عاشورا عاد الخليفة من الحلة بعد ان كسر جيش دبيس وفرق شمله وقطع وصله في اول هذا الشهر ثم عاد الى بلده بغداد مؤيدا منصورا وارجع الى اهله مسرورا وفيها عزم الخليفة على طهور اولاده واولاد اخيه وكانوا اثني عشر وزينت بغداد سبعة ايام بزينة لم ير مثلها واظهر الناس من الحلي والمصاغ والثياب ما لم ير مثلها وفي شعبان قدم اسعد الميهني مدرسا للنظامية ببغداد وناظرا لغلها وصرف الباروحي عنها لوقع بينه وبين بعض الفقها بسبب انه قطع منهم جماعة واكتفى بثمانين طالبا منهم فلم يهن ذلك على كثير منهم وفيها سار السلطان محمود الى بلاد الكرج وقد وقع بينهم وبين القفجاق وخلعت تفاقلهم فهزمهم ولله الحمد ثم عاد الى همذان مؤيدا منصورا وفيها ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماة بعد وفاة صاحبها محمود بن قراجا ابن انلج لانهما كانا تابعين لدبيس واضيف الى علي بن طراد الزينبي نقابة العلويين مع نقابة العباسيين

ومن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي الكاتب الماهر له ديوان مشهور قال الحافظ ابن عساكر ختم به ديوان الشعرا بدمشق وكان شاعرا ماهرا محسنا مجيدا اكثر حفظه لاشعار المتقدمين واخبارهم واورد له القاضي ابن خلكان من شعره الرايق قطعا من ذلك قصيدته التي قال فيها لو لم يكن له سواها لكفته وهي التي يقول في اولها •

• خذا من صبا نجد امانا لقلبه • فقد كاد رياها يطير بلبه •
• واياكما ذاك النسيم فانه • متى هب كان الوجد ايسر خطبه •
• خليلي لو احببتما لعلمتما • محل الهوى من مغرم القلب صبه •
• تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى • يتوق ومن يعلق به الحب يصبه •
• غرام على ياس الهوى ورجائه • وشوق على بعد المزار وقربه •
• وفي الركب مطوي الضلوع على جوى • متى يدعه داعي الغرام يلبه •
• اذا خطرت من جانب الرمل نفحة • تضمن منها داءه دون صحبه •
• ومحتجب بين الاسنة معرض • وفي القلب من اعراضه مثل حجبه •

• اغار اذا آنست في الحي انة • حذارا وخوفا ان تكون لحبه •

وقد كانت وفاته في رمضان سنة سبع عشرة وخمسماية عن سبع وستين بدمشق

ثم دخلت سنة ثماني عشرة وخمسماية

فيها ظهرت الباطنية بآمد فقاتلهم اهلها فقتلوا منهم سبعماية ولله الحمد وفيها وردت الشحنكية ببغداد الى سعد الدولة برنقش الزكوي وسلم اليه منصور بن صدقة اخو دبيس ليسلمه الى دار الخلافة وورد الخبر بان دبيسا قد التجا الى طغرل وقد اتفقا على اخذ بغداد فاخذ الناس في التاهب لقتالهما وامر اقسنقر البرسقي بالعود الى الموصل فاستناب على البصرة عماد الدين زنكي بن اقسنقر وفي ربيع الاول دخل الملك حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق مدينة حلب وتملكها بعد ملكها ملك بن بهرام بن ارتق وكان قد حاصر قلعة منبج فجاءه سهم في حلقه فمات فاستناب تمرتاش بحلب ثم عاد الى ماردين فاخذت منه بعد ذلك اخذها اقسنقر البرسقي مضافة الى الموصل وفيها ارسل الخليفة القاضي ابا سعد الهروي ليخطب له ابنة السلطان سنجر وشرع الخليفة في بناء دار على حافة دجلة لاجل العروس وكمل بناء المسناة في هذه السنة وحج بالناس في هذه السنة جمال الدولة اقبال المسترشدي

ومن توفي في هذه السنة من الاعيان

احمد بن علي بن برهان ابو الفتح ويعرف بابن الحمامي تفقه على ابن الوفا بن عقيل وبرع في مذهب الامام احمد ثم نقم عليه اصحابه اشيا فحمله ذلك على الانتقال الى مذهب الشافعي فاشتغل على الغزالي والشاشي وبرع وساد وشهد عند القاضي الزينبي ودرس في النظامية شهرا وتوفي في جمادى الاولى ودفن بباب ابرز عبد الله بن محمد بن علي بن محمد ابو جعفر بن الدامغاني سمع الحديث وشهد عند ابيه وناب في ربع الكرخ عن اخيه ثم ترك ذلك كله وولي حجابة باب النوبي ثم عزل ثم اعيد وكان دمث الاخلاق وكانت وفاته في جمادى الاولى من هذه السنة احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم ابو الفضل الميداني صاحب كتاب الامثال وليس مثله في بابه وله شعر جيد قال ابن خلكان وتوفي يوم الاربعا الخامس والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسماية

فيها قصد دبيس والسلطان طغرل بغداد لياخذاها من يد الخليفة فلما اقتربا منها برز اليهما الخليفة في جحفل عظيم والناس مشاة بين يديه وعليه السواد والبردة وبيده القضيب الى ان نزل منزله ثم ركب الناس بعد ذلك فلما امست الليلة التي يقتتلون في صبيحتها ومن عزمهم ان ينهبوا بغداد ارسل عليهم مطرا عظيما ومرض السلطان طغرل في تلك الليلة فتفرقت تلك الجموع ورجعوا على اعقابهم خائبين خاسرين والتجا دبيس لعنه الله وطغرل الى الملك سنجر والاه الامان من الخليفة والسلطان محمود فحبس دبيسا في قلعته ووشى ناس الى الملك سنجر ان الخليفة يريد ان ياتينا

بالملك وقد خرج من بغداد الا ان لفتنة الاعداء وقع في نفس السلطان سنجر من ذلك شي واضمر سوا انه قد تزوج ابنته من الخليفة وفيها قتل القاضي ابو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان قتلته الباطنية وكان قد ارسله الخليفة الى السلطان سنجر يخطب عليه ابنة السلطان وحج بالناس نظر الخادم

وممن توفي فيها من الاعيان

اقسنقر البرسقي صاحب الموصل قتلته الباطنية في مقصورة جامعها في يوم جمعة وقد كان رجلا تركيا جيد السيرة صحيح السريرة محافظا على الصلوات في اوقاتها كثير البر والصدقات والاحسان الى الرعايا ولما توفي قام في الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود واقره السلطان محمود على عمله بلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل وجال في البلاد وكان شيخا جهوري الصوت حسن القراءة طيب النغمة توفي في هذه السنة بسمرقند القاضي ابو سعد الهروي محمد بن نصر بن منصور ابو سعد الهروي احد مشاهير الفقهاء والسادة الكبار قتلته الباطنية بهمذان حين ذهب في الرسلية عن الخليفة الى السلطان سنجر في خطبته ابنته

سنة عشرين وخمسمائة

فيها تراسل السلطان محمود والخليفة على السلطان سنجر وان يكونا عليه فلما علم بذلك السلطان سنجر كتب الى ابن اخيه محمود ينهاه عن ذلك ويستميله اليه ويحذره من الخليفة ويحذر من الخليفة وانه متى ما فرغ منه تفرغ له ودس اليه فاصغى الى قول عمه ورجع عن عزمه واقبل يقصد بغداد ليدخلها عامه ذلك فكتب اليه الخليفة ينهاه عن ذلك لقلة الاقوات بها فلم يقبل منه واقبل اليه فلما ازف قدومه خرج الخليفة من داره وتحيز الى الجانب الغربي فشق ذلك عليه وعلى الناس ودخل عيد الاضحى فخطب الخليفة الناس بنفسه خطبة عظيمة بليغة فصيحة جدا وكبر وراءه خطباء الجوامع وكان يوما مشهودا وقد سردها ابن الجوزي في المنتظم بطولها ورواه عمن حضرها من الخليفة ثم قاضي القضاة ابي القسم الزينبي وجماعة من العدول ولما اراد الخليفة ان ينزل عن المنبر ابتدره ابو المظفر محمد بن احمد بن عبد الوزير الهاشمي فانشده

عليك سلام الله يا خير من علا • على منبر قد حف اعلامه النصر •
وافضل من ام الانام وعمهم • بسيرته الحسنى وكان له الامر •
لقد شنفت اسماعنا منك خطبة • وموعظة فصل يلين لها الصخر •
ملأت بها كل القلوب مهابة • فقد رجفت من خوف تخويفها مصر •
سما لفظها فضلا على كل قايل • وجل علاها ان يلم بها حصر •

اشدت

اشدت بها ساحي المنابر بعد ما • تقاصر عن ادراكها الانجم الزهر •
وزدت بها عدنان مجدا موثلا • فاضحى بها من للانام بك الفخر •
فلله عصر انت فيه امامه • ولله دين انت فيه لنا الصدر •
بقيت على الايام والملك كلما • تقادم عصر انت فيه اتى عصر •
واصبحت بالعيد السعيد مهنيا • يشرفنا فيه صلاتك والنحر •

ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح البدنة بيده ودخل السرادق وتباكى الناس ودعوا للخليفة بالتوفيق والنصر ثم دخل السلطان محمود الى بغداد يوم الثلثاء الثالث عشر من ذي الحجة فنزلوا في بيوت الناس وحصل للناس اذى كثير في حريمهم ثم راسل الخليفة في الصلح فابى ذلك الخليفة وركب في جيشه وقاتل الاتراك ومعه شرذمة قليلة من المقاتلة ولكن العامة كلهم معه فقتل من الاتراك خلق كثير ثم جا عماد الدين زنكي في جيش كثيف من واسط في السفن الى السلطان نجدة فلما استشعر الخليفة ذلك دعا الى الصلح بين الملك والخليفة واحد الملك يستبشر بذلك جدا ويعتذر الى الخليفة مما وقع ثم خرج [illegible] الى همذان لمرض حصل له وفي هذه السنة كان اول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس وعمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة حضره الشيخ ابو القاسم علي بن يعلى العلوي البلخي وكان قد علمه كلمات ثم اصعده المنبر فقالها وكان يوما مشهودا قال ابن الجوزي وحزر الجمع يومئذ بخمسين الفا وفيها اقتتل طغتكين صاحب دمشق واعداؤه من الفرنج فقتل منهم خلقا كثيرا وغنموا منهم اموالا جزيلة ولله الحمد

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن محمد ابو الفتوح الطوسي الغزالي الواعظ اخو ابي حامد الغزالي كان واعظا مفوها ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التاتي وله نكت جيدة ووعظ مرة في دار الملك محمود فاطلق له الف دينار وخرج فاذا على الباب فرس الوزير بمراكبها الذهب وسلاحها وما عليها من الحلي فركبها فبلغ ذلك الوزير فقال دعوه ولا تردوا عليه الفرس وسمع مرة ناعورة فالقى عليها رداءه فتمزق قطعا قال ابن الجوزي وقد كانت له نكت الا ان الغالب على كلامه التخليط ورواية الاحاديث الموضوعة والحكايات الفارغة والمعاني الفاسدة ثم اورد ابن الجوزي اشياء منكرة من كلامه فالله اعلم من ذلك انه كلما اشكل عليه شيء راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة فسأله عن ذلك فدله على الصواب قال وكان يتعصب لابليس ويعذر له وتكلم فيه ابن الجوزي بكلام طويل كثير قال وينسب الى محبة المردان والقول بالمشاهدة فالله اعلم بصحة ذلك قال ابن خلكان كان واعظا مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات واشارات وكان من الفقهاء غير انه مال الى الوعظ فغلب عليه ودرس بالنظامية نيابة عن اخيه لما تزهد وتركها واختصر احياء علوم الدين في مجلد سماه لباب الاحياء وله الذخيرة في علم البصيرة وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه وكان مائلا الى الانقطاع والعزلة احمد بن علي بن محمد بن الوكيل المعروف بابن برهان ابو الفتح الفقيه الشافعي تفقه على الغزالي والكيا وابي بكر الشاشي وكان بارعا في الاصول له كتاب

الوجيز في اصول الفقه وكانت له فنون جيدة يتقنها جيدا وولي تدريس النظامية
ببغداد دون شهر وكانت وفاته في هذه السنة كما ذكره ابن خلكان رح بهرام بن بهرام
ابو شجاع البيع سمع الحديث وبنى مدرسة لاصحاب الامام احمد بكلواذى ووقف قطعة
من املاكه على الفقهاء صاعد بن سيار بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم ابو العلا الاسحاقي
الهروي الحافظ احد المتقنين سمع الكثير وحدث وتوفي بغورج قرية على باب هراة
في هذه السنة

ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود بغضاب والخليفة في السرادق في
الجانب الغربي فلما كان يوم الاربعاء رابع المحرم توصل جماعة من جند السلطان الى دار
الخلافة فحصل فيها الف مقاتل عليهم السلاح فنهبوا الاموال وخرج الجواري ومن
حاسرات يستغثن حتى دخل دار الخاتون قال ابن الجوزي وانا رايتهن كذلك فلما
وقع ذلك ركب الخليفة في جيشه وجيء بالسفن فركب فيها الجيش وانقلبت بغداد
بالصراخ حتى كان الدنيا قد زلزلت وثارت العامة مع جيش الخليفة فكسروا الجيش
السلطاني وقتلوا خلقا من الامراء واسروا اخرين ونهبوا دار السلطان ودار وزيره
ودار طبيبه ابي البركات واخذوا ما كان في داره من الودايع وجرت خبطة عظيمة
جدا حتى انهم نهبوا الصوفية برباط بهروز وجرت امور طويلة وخطوب جليلة ونالت
العامة من السلطان وجعلوا يقولون له يا باطني تترك قتال الفرنج والروم وتقاتل
الخليفة ثم ان الخليفة انتقل الى داره في سابع المحرم فلما كان يوم عاشورا اعتدل
الحال وطلب السلطان من الخليفة المتسلطات الامان والصلح فتلكا الخليفة الى
ذلك وباشر الناس بالصلح فارسل الخليفة اليه نقيب النقبا وقاضي القضاة
وشيخ الشيوخ ونحوا من ثلاثين شاهدا فاحتبسهم السلطان عنده سبعة ايام
ثم ادى ذلك السلطان وخافوا من فتنة اخرى اشد من الاولى وكان برنقش الزكوي
شحنة بغداد دعى السلطان باهل بغداد لينهب اموالهم فلم يقبل منه ثم اذن
لاولئك الجماعة فدخلوا عليه وقت المغرب فصلى بهم القاضي وقرؤوا عليه كتاب
الخليفة فقام قائما فاجاب الخليفة الى جميع ما اقترح عليه ووقع الصلح والتحليف
ودخل جيش السلطان الى بغداد وهم في غاية الجهد من قلة الطعام عندهم في
المعسكر وقالوا لو لم نصالح متنا جوعا وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام ولله
الحمد وبعث الخليفة علي بن طراد الزينبي النقيب الى السلطان سنجر ليبعد عنه
دبيسا وارسل معه الخلع والالوية فاكرم السلطان الرسول واذن في ضرب الطبول
على بابه في ثلاثة اوقات وظهر منه طاعة كبيرة ثم مرض السلطان محمود ببغداد
فامره الطبيب بالانتقال عنها الى همذان فسار في ربيع الاخر وولي شحنكية بغداد
لعماد الدين زنكي فلما وصل السلطان الى همذان بعث على شحنكية بغداد مجاهد
الدين بهروز على بغداد والحلة وبعث عماد الدين زنكي الى الموصل واعمالها وفيها
درس ابن سلمان بالنظامية ببغداد وفيها ورد ابو الفتوح الاسفراييني فوعظ
ببغداد فاورد احاديث كثيرة منكرة جدا فاستتيب منها وامر بالانتقال عنها الى غيرها

فنشا منه

فنشا منه جماعة من الاكابر وردوه الى ما كان عليه فوقع بسببه فتن كثيرة بين الناس ورجمه
بعض العامة في الاسواق وذلك لانه كان يطلق عبارات لا يحتاج الى ايرادها فتنفرت عنه
قلوب العامة وابغضوه وجلس الشيخ عبد القادر الجيلي فتكلم على الناس فاعجبهم
واحبوه وتركوا ذاك وفيها قتل السلطان سنجر من الباطنية نحوا من اثني عشر الفا
وحج بالناس نظر الخادم

وممن توفي فيها من الاعيان

محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد ابو الحسن بن ابي الفضل الهمداني الفرضي صاحب
التاريخ من بيت الحديث والامانة ذكر ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب انه طعن
فيه توفي فجاة في شوال من هذه السنة ودفن الى جانب ابن سريج فاطمة بنت الحسين
ابن الحسن بن فضلويه سمعت الخطيب وابن المسلمة وغيرهما وكانت واعظة لها رباط
يجتمع فيه الزاهدات وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره ابو محمد عبد الله
ابن محمد بن السيد البطليوسي ثم البلنسي صاحب المصنفات في اللغة وغيرها جمع
المثلث في مجلدين زاد فيه على قطرب شيا كثيرا جدا وله شرح سقط الزند لابي العلا
احسن من شرح المصنف وله شرح ادب الكاتب لابن قتيبة ومن شعره الذي اورده
القاضي ابن خلكان

اخو العلم حي خالد بعد موته ... واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى ... يظن من الاحياء وهو عديم

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة

فاولها قدم رسول من سنجر الى الخليفة يسال منه ان يخطب له على منابر بغداد فكان يخطب له
كل جمعة في جامع ومات ابن صدقة وزير الخليفة واستنيب في الوزارة نقيب النقبا
وفيها اجتمع الملك محمود بعمه سنجر واصطلحا بعد خشونة وسلم سنجر دبيسا الى محمود
على ان يسترضي عنه الخليفة ويعزل زنكي عن الموصل وبلادها ويسلم ذلك الى دبيس واشتهر
في ربيع الاول ببغداد ان دبيسا اقبل الى بغداد في جيش كثيف فكتب الخليفة الى
الملك محمود لئن لم يكفه عن قدوم بغداد والا خرجنا اليه ونقضنا ما بيننا وبينك
من العهود والصلح وفيها ملك الاتابك زنكي بن اقسنقر مدينة حلب وما حولها من
البلاد وفيها ملك تاج الملوك بوري بن طغتكين مدينة دمشق بعد وفاة ابيه
وقد كان ابوه من مماليك تاج الدولة تتش بن الب ارسلان وكان عاقلا حازما عادلا خيرا
كثير الجهاد للفرنج رح وفيها عمل ببغداد مصلى للعيد ظاهر باب الحلبة وحوط عليه وجعل
فيه قبلة وحج بالناس في هذه السنة الامير نظر الخادم

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن علي بن صدقة ابو علي وزير المسترشد توفي في رجب منها ومن شعره الذي
اورده ابن الجوزي مادحا الخليفة

وجدت الورى كالماء طعما ورقة ... وان امير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصا مصورا ... وان امير المؤمنين مثاله

• فلولا مكان الدين والشرع والتقى • لقلت من الاعظام جل جلاله •

الحسين بن علي بن ابي القاسم اللامشي من اهل سمرقند روى الحديث وتفقه وكان يضرب به المثل في المناظرة وكان خيرا دينا على طريقة السلف مطرحا للتكلف امارا بالمعروف قدم من الخاقان ملك ما وراء النهر في رسالة الى دار الخلافة فقيل له الا تحج عامك هذا فقال لا اجعل الحج تبعا لرسالتهم فعاد الى بلده فمات في رمضان في هذه السنة عن احدى وثمانين سنة رح طغتكين الاتابك صاحب دمشق التركي احد غلمان تاج الدولة تتش بن البرسلان السلجوقي كان من خيار الملوك واعدلهم واكثرهم جهادا للاعداء وكانت وفاته في هذا العام وقام في الملك من بعده ولده تاج الملوك بوري

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

في المحرم دخل السلطان محمود الى بغداد واجتهد في ان يرضي الخليفة عن دبيس وان يسلم اليه بلاد الموصل فامتنع الخليفة من ذلك وابى اشد الاباء ولم يكن ذلك هذا وقد تاخر دبيس عن الدخول الى بغداد ثم دخلها وركب بين الناس فلعنوه وشتموه في وجهه وقدم عماد الدين زنكي بن اقسنقر فبذل للسلطان في كل سنة مائة الف دينار وهدايا وتحفا وان يلزم الخليفة للسلطان مثلها على ان لا يولي دبيسا شيئا وعلى ان يستمر زنكي على عمله بالموصل فاقره على ذلك وخلع عليه فرجع الى عمله وتملك في هذه السنة مدينة حلب وحماة واسر ملكها سونج بن تاج الملوك فافتدى منه بخمسين • الف دينار وفي يوم الاثنين سلخ ربيع الاخر خلع السلطان على نقيب النقباء بالوزارة استقلالا ولا يعرف احد من العباسيين باشر الوزارة غيره وفي رمضان جاء دبيس في جيش الى الحلة فملكها ودخل اليها في اصحابه وكانوا ثلثمائة فارس ثم انه شرع في جمع الاموال واخذ الغلات من القرى حتى حصل نحوا من خمسمائة الف دينار واستخدم قريبا من عشرة الاف وتفاقم الحال بامره وبسببه وبعث الى الخليفة يسترضيه فلم يرض عنه وعرض عليه اموالا كثيرة جدا فلم يقبلها الخليفة وكتب الخليفة الى السلطان فبعث اليه جيشا فانهزم منهم وذهب الى البرية لا جمع الله به شملا واغار على البصرة فاخذ منها حواصل السلطان والخليفة ثم دخل البرية فانقطع خبره وفي هذه السنة قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة الاف وعلق راس كبيرهم على باب القلعة واراح الله اهل الشام منهم وفيها حاصرت الفرنج مدينة دمشق فخرج اليهم اهلها فقاتلوهم قتالا عظيما وبعث اهل دمشق عبد الوهاب الواعظ ومعه جماعة من التجار الى بغداد يستغيثون بالخليفة فهموا بكسر منبر الجامع حتى وعدوا بانهم سيكتبون الى السلطان ليبعث جيشا كثيفا نصرة لاهل الشام ثم بعث اليهم جيش حتى نصرهم الله من عنده فهزم المسلمون وقتلوا منهم عشرة الاف ولم يفلت منهم اربعين نفسا ولله الحمد والمنة وفيها قتل سمند الفرنجي صاحب انطاكية وفي هذه السنة تخبط الناس في الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة دبيس فبعثه الله حتى حج بهم احد مماليك يرنقش الزكوي كان اسمه نظاجق

ومن توفي فيها من الاعيان

اسعد

اسعد بن ابي نصر الميهني ابو الفتح احد ائمة الشافعية في زمانه تفقه على ابي المظفر السمعاني وساد اهل زمانه وتفرد من بين اقرانه وولي تدريس النظامية ببغداد وحصل له وجاهة عند الخاص والعام وعلق عنه تعليقة الخلاف ثم عزل عن النظامية فسار الى همذان فمات بها في هذه السنة رح

ثم دخلت سنة اربع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق تهدمت بسببها دور كثيرة ببغداد ووقع بارض الموصل مطر عظيم تسقط بارداح فاحترقت دور كثيرة من ذلك وتهارب الناس وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان فخاف الناس منها خوفا شديدا وفيها ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وكان بها محمد خان وفيها ملك عماد الدين زنكي بلادا كثيرة من الجزيرة ومن بلاد الفرنج وجرت له معهم حروب طويلة وخطوب جليلة ونصر عليهم في تلك المواقف كلها ولله الحمد والمنة وقتل خلقا من جيش الروم حين قدموا الى الشام ومدحه الشعراء على ذلك

قتل خليفة مصر

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الامر باحكام الله بن المستعلي صاحب مصر قتلته الباطنية وله من العمر اربع وثلاثون سنة وكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان هذا الرجل هو العاشر من الفاطميين وهو العاشر من ولد عبيد الله المهدي ولما قتل الامر تغلب على الديار المصرية غلام من غلمان الخليفة ارمني فاستحوذ على الامور ثلاثة ايام حتى حضر ابو علي احمد بن الافضل بن بدر الجمالي فاقام الخليفة الحافظ ابا الميمون عبد المجيد بن الامير ابي القاسم بن المستنصر بالله وله من العمر نيف وخمسون سنة ولما اقامه استحوذ على الامور دونه وحصره في مجلس لا يدخل اليه احد الا من يريده ونقل الاموال من القصر الى داره ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط

ومن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن عثمان بن محمد ابو اسحاق الغزي من اهل غزة جاوز الثمانين وله شعر جيد ومن شعره في الاتراك

• في فتية من جيوش الترك ما تركت •
• للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا •
• قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة •
• حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا •

وله • ليت الذي بالعشق دونك خصني •
• يا ظالمي قسم المحبة بيننا •
• الفى الهزبر فلا اخاف وثوبه •
• ويروعني نظر الغزال اذا رنا •

ومن شعره

اغا هذه الحياة متاع ... والسفيه الغوي من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي انت فيها

وله ايضا

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلق
خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب انه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ومما انشده ابن خلكان في الوفيات من شعره الرائق قوله

اسارة منك تكفينا واحسن ما ... رد السلام غداة البين بالعنم
حتى اذا طاح عنها المرط من دهش ... وانحل بالضم سلك العقد في الظلم
تبسمت فاضاء الليل فالتقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم

وكانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها رح الحسين بن محمد بن عبد الوهاب ابن احمد بن محمد بن الحسن بن عبيد الله بن القاسم بن سليمان بن وهب الدباس ابو عبد الله الشاعر المعروف بالبارع قرا القرآن وسمع الحديث وكان عارفا بالنحو واللغة والادب وله شعر رائق وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز الثمانين رحمه الله ت محمد بن سعدون بن مرجا ابو عامر العبدري القرشي الحافظ اصله من ميورقة من بلاد المغرب ودخل بغداد فسمع بها على طراد الزينبي والحميدي وغير واحد وكانت له معرفة بالحديث جيدة وكان يذهب في الفروع مذهب الظاهرية توفي ببغداد في ربيع الاخر

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسماية

فيها اخذ دبيس عن الطريق في البرية فاسره بعض امراء الاعراب بارض الشام وحمله الى ملك دمشق بوري بن طغتكين فباعه من زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل بخمسين الف دينار فلما حصل في يده لم يشك دبيس انه سيهلكه لما بينهما من العداوة فاكرمه زنكي واعطاه اموالا جزيلة وقدمه واحترمه ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه فبعثه معهم فلما وصل الى الموصل حبس في قلعتها وفيها وقع بين الاخوين محمود ومسعود فتواجها للقتال ثم اصطلحا وفيها كانت وفاة الملك محمود بن محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان فاقيم في الملك مكانه ابنه داود وجعل له اتابك وزير وخطب له باكثر البلاد

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن عبد القاهر ابو نصر الطوسي سمع الحديث وتفقه بالشيخ ابي اسحاق الشيرازي وكان شيخا لطيفا عليه نور قال ابن الجوزي انشدني

على كل حال فاجعل الحزم عدة ... تقدمها بين النوايب والدهر
فان نلت خيرا نلته بعزيمة ... وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر

قال وانشدني ايضا

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... وقمت اشكو الى مولاي ما اجد

الدبجي

وقلت

وقلت يا عدتي في كل نائبة ... ومن عليه لكشف الضر اعتمد
وقد مددت يدي والضر مشتمل ... اليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة ... فبحر جودك يروي كل من يرد

الحسن بن سلمان بن عبد الله بن الفتى ابو علي الفقيه مدرس النظامية وقد وعظ بجامع القصر وكان يقول انا في الفقه منتهي وفي الوعظ مبتدي وقد توفي في هذه السنة وغسله القاضي ابو العباس بن الرطبي ودفن عند ابي اسحاق حماد ابن مسلم الرحبي الدباس كان يذكر له احوال ومكاشفات واطلاع على مغيبات وغير ذلك من المقامات ورايت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول كان عريا من العلوم الشرعية وانما ينفق على الجهال وذكر عن ابن عقيل انه كان ينفر الناس عنه وكان حماد الدباس يقول ابن عقيل عدوي قال ابن الجوزي وكان الناس ينذرون له فيقبل ذلك ثم ترك ذلك وصار ياخذ من المنامات وينفق على اصحابه وكانت وفاته في رمضان في الشونيزية علي بن المستظهر بالله اخو الخليفة المسترشد توفي في رجب من هذه السنة وله من العمر احدى وعشرون سنة فترك ضرب الطبول وجلس الناس للعزا ايام محمد بن احمد بن ابي الفضل الماماني احد ائمة الشافعية تفقه بامام الحرمين وغيره ورحل في طلب العلم والحديث الى بلاد شتى ودرس وافتى وناظر وتوفي في هذه السنة وقد قارب التسعين ودفن بقرية ماسان من بلاد مرو رح محمود السلطان بن السلطان محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق كان من خيار الملوك وكان فيه حلم واناة وبر وصلاة وجلس للعزاء به ثلاثة ايام هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن احمد بن العباس بن الحصين ابو القسم الشيباني راوي المسند عن ابي علي بن المذهب عن ابي بكر بن مالك عن عبد الله عن ابيه وقد سمع قديما لانه ولد في سنة ثنتين وثلاثين واربعماية وباكر به ابوه فاسمعه ومعه اخوه عبد الواحد على جماعة من علية المشايخ وقد روى عنه ابن الجوزي وغير واحد وكان ثقة ثبتا صحيح السماع توفي بين الظهر والعصر يوم الاربعاء رابع شوال من هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة رح

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسماية

فيها قدم مسعود بن محمد بغداد وقدمها قراجا الساقي ومعه سلجوق شاه بن محمد وكل منهما يطلب الملك لنفسه وقدم عماد الدين زنكي بن اقسنقر لينضم اليهما فلقيه قراجا الساقي فهزمه فهرب منه الى تكريت فخدمه نائبها نجم الدين ايوب والد الملك صلاح الدين الذي فتح القدس فيما بعد حتى عاد الى بلاده فكان هذا هو السبب في مصير نجم الدين اليه وهو مجلب تخدم عنده ثم كان من الامور ما سياتي في بيانه مما قدره الله تعالى ثم ان الملك مسعود وسلجوق شاه اجتمعا فاصطلحا وركبا الى الملك سنجر فاقتتلوا معه فكان جيشهما ثمانين الفا وكان الذين معه قريبا من ثلاثين الفا فكان جملة من قتل بينهم اربعين الفا واسر جيش سنجر قراجا الساقي فقتله صبرا بين يديه فاجلس طغرل بن محمد على سرير الملك وخطب له على المنابر ورجع سنجر الى بلاده وكتب طغرل الى دبيس

وزنكي لينزلهما الى بغداد فيأخذاها فأقبلا في جيش كثيف فبرز اليهم الخليفة فهزمهما
وقتل خلقا من اصحابهما واراح الله شرهما عنه ولله الحمد وفيها قتل ابو علي بن الافضل
ابن بدر الجمالي وزير الحافظ الفاطمي فاستقل الحافظ بالاموال التي كان اخذها الى داره
واستوزر بعده ابا الفتح يانس الحافظي ولقب امير الجيوش ثم احتال له فقتله
واستوزر الحافظ ولده حسنا وخطب له بولاية العهد وفيها عزل المسترشد وزيره
علي بن طراد واستوزر انوشروان بن خالد بعد تمنع وفيها ملك دمشق شمس الملوك
اسماعيل بن بوري بن طغتكين بعد وفاة ابيه واستوزر يوسف بن فيروز وكان
خير الملك بلادا كثيرة واطاعه اخوه

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن احمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن ابراهيم
ابن سعيد بن عتبة بن يزيد السلمي ويعرف بابن كادش العكبري ابو العز البغدادي
سمع الحديث الكثير وكان يفهمه ويدرسه وهو آخر من روى عن الماوردي وقد اثنى عليه
غير واحد منهم ابو محمد بن الخشاب وكان محمد بن ناصر يتهمه ويرميه بانه اعترف
بوضع حديث فالله اعلم وقال ابو سعد عبد الوهاب الانماطي كان مخلطا توفي في جمادى
الاولى من هذه السنة محمد بن محمد بن الحسين بن محمد ابو الحسين بن القاضي ابي يعلى
ابن الفراء الحنبلي ولد في شعبان من سنة احدى وخمسين واربعمائة سمع اباه وغيره
وتفقه وناظر وافتى ودرس وكان له بيت فيه مال فعدي عليه من الليل فقتل
واخذ ماله ثم اظهر الله على قاتليه فقتلوا

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في صفر دخل السلطان مسعود الى بغداد فخطب له على منابرها وخلع عليه الخليفة
وولاه السلطنة ولما ذكر على المنابر نثرت الدنانير والذهب على الناس وخلع ايضا
على الملك داود بن محمود وفيها جمع دبيس جمعا كثيرا بواسط وانضم اليه جماعة فارسل
اليه السلطان جيشا فكسروه وفرقوا شمله ثم ان الخليفة عزم على الخروج الى الموصل
ليأخذها من يد زنكي فخرج في جيش كثيف وخلق من الامراء والاكابر والوزراء فلما
اقترب منها بعث اليه عماد الدين زنكي يعرض عليه من الاموال الجزيلة والتحف
شيئا كثيرا ليرجع عنه فلم يقبل ثم ان السلطان مسعود اصطلح مع دبيس وخلع
عليه فكر راجعا سريعا الى بغداد سالما معظما وفيها مات ابن الزاغوني احد ائمة
الحنابلة فطلب حلقته ابن الجوزي فكان شابا فحصلت لغيره ولكن اذن له الوزير
انوشروان في الوعظ فتكلم في هذه السنة على الناس باماكن متعددة من بغداد
وكثرت مجالسه وازدحم الناس عليه وفيها ملك شمس الملوك اسماعيل صاحب
دمشق مدينة حماه وكانت بيد زنكي وفي ذي الحجة ذهب الفرنج الى مدينة طرابلس
فخرج اليهم القومص لعنه الله فهزموه وقتلوا خلقا من اصحابه وحاصروه بها مدة
طويلة حتى طال عليهم الحصار فانصرفوا وفيها ولي مكة قاسم بن ابي فليتة بعد ابيه
وفيها قتل شمس الملوك اخاه سونج وفيها اشترى الباطنية بالشام حصن القدموس
فسكنوه وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج وفيها اختلف الفرنج فيما بينهم

قتالا كثيرا فحصل لحقه منهم خلقا وغزاهم فيها ايضا عماد الدين زنكي فقتل منهم الف
قتيل وغنم اموالا جزيلة وبقي لهما غزاة واسوار وحج بالناس في هذه السنة الامير
نظر الخادم وكذا في التي قبلها وبعدها

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد بن ابراهيم ابو العباس بن الرطبي تفقه على ابي اسحاق
وابن الصباغ ببغداد وباصبهان على محمد بن ثابت الخجندي ثم ولي الحكم ببغداد
بالحريم والحسبة وكان يؤدب اولاد الخليفة وتوفي في رجب من هذه السنة ودفن
عند الشيخ ابي اسحاق اسعد بن ابي نصر بن ابي الفضل ابو الفتح الميهني مجد
الدين احد ائمة الشافعية وصاحب الطريقة في الخلاف المطروقة وقد درس بالنظامية
ببغداد في سنة سبع وخمسمائة الى سنة ثلاث عشرة ثم عزل عنها واشتغل اصحابه
بمسائله وبعد صيته ثم كانت وفاته فيما ذكره ابن خلكان في هذه السنة رحمه الله
الحسن بن محمد بن ابراهيم بن احمد بن علي ابو نصر اليونارتي من قرى اصبهان سمع
الحديث ورحل وخرج وله تاريخ وكان يكتب حسنا وينقل صحيحا توفي باصبهان
في هذه السنة

ابن الزاغوني الحنبلي

علي بن عبيد الله بن نصر بن السري الزاغوني الامام المشهور قرأ القراءات
وسمع الحديث واشتغل بالفقه والنحو واللغة وله المصنفات الكثيرة في الاصول
والفروع وله يد في الوعظ واجتمع الناس في جنازته خلقا كثيرا علي بن يعلى بن
عوض ابو القاسم العلوي الهروي سمع مسند احمد من ابن الحصين والترمذي
من ابي عامر الازدي وكان يعظ الناس بنيسابور ثم قدم بغداد فوعظ بها
فحصل له القبول التام من اهل بغداد وجمع اموالا وكتبا قال ابن الجوزي وهو
اول من تكلم في الوعظ وتكلمت بين يديه وانا صغير وتكلمت على الناس عند
انصرافه محمد بن احمد بن يحيى ابو عبد الله العثماني الديباجي وكان ببغداد يعرف
بالمقدسي تفقه وكان اشعري الاعتقاد ويعظ الناس ببغداد قال ابن الجوزي
سمعته ينشد في مجلسه

دع جفوني يحق لي ان انوحا • لم تدع لي الذنوب قلبا صحيحا
اخلقت مهجتي اكف المعاصي • ونعاني المشيب نعيا فصيحا
كلما قلت قد برى جرح قلبي • عاد قلبي من الذنوب جريحا
انما الفوز والنعيم لعبد • جاء في الحشر آمنا مستريحا

محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن احمد بن خلف ابو خازم بن ابي يعلى الفراء الفقيه
ابن الفقيه ولد سنة سبع وخمسين واربعمائة وسمع الحديث وكان من الفقهاء
الزاهدين الاخيار توفي في صفر منها ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر بن محمد بن حمديس
الازدي الصقلي الشاعر المشهور اورد له ابن خلكان اشعارا رائقة من ذلك قوله

قم هاتها من كف ذات الوشاح • فقد نعى الليل بشير الصباح
باكر الى اللذات واركب لها • سوابق اللهو ذوات المراح

من قبل ان يرشف شمس الضحى • ريق الغوادي من ثغور الاقاح •
وله • زادت على كحل الجفون تكحلا • ويسم نصل السهم وهو قتول •

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

فيها اصطلح الخليفة وزنكي وفيها فتح زنكي قلاعا كثيرة وقتل خلقا من الفرنج وفيها فتح شمس الملوك اسماعيل بيروت ونهب بلاد الفرنج وفيها قدم سلجوق شاه بغداد فنزل بدار المملكة واكرمه الخليفة وارسل اليه الخليفة عشرة الاف دينار ثم قدم السلطان مسعود واكثر اصحابه ركاب على جمال لقلة الخيل وفيها ولي امره بني عقيل اولاد الامير سليمان ابن مهارش العقيلي اكراما لجدهم وفيها اعيد ابن طراد الى الوزارة وفيها خلع على اقبال المسترشدي خلع الملوك ولقب ملك العرب سيف الدولة وركب في الخلع وحضر الديوان كذلك وفيها قوي امر الملك طغرل وضعف امر الملك مسعود

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن علي بن ابراهيم ابو الوفا الفيروزابادي احد مشايخ الصوفية سكن رباط الزوزني وكان كلامه مستحلى وكان يحفظ من سير الصوفية واخبارهم واشعارهم شيا كثيرا ابو علي الفارقي الحسن بن ابراهيم بن برهون ابو علي الفارقي ولد سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة وتفقه بها على ابي عبد الله محمد بن بيان الكازروني صاحب المحاملي ثم بالشيخ ابي اسحاق وابن الصباغ وسمع الحديث وكان يكرر على المهذب والشامل ثم ولي القضا بواسط وكان حسن السيرة جيدا لسريرة ممتعا بحواسه وعقله الى ان توفي في محرم هذه السنة عن ست وتسعين سنة عبد الله بن محمد بن احمد بن الحسين ابو محمد بن ابي بكر الشاشي سمع الحديث وتفقه على ابيه وناظر وافتى وكان فاضلا واعظا فصيحا حسن السمت شكر ابن الجوزي من وعظه وحسن نظمه ونثره ولفظه توفي في المحرم وقد قارب الخمسين ودفن عند ابيه محمد بن علي بن احمد بن علي بن ابي بكر القطان ويعرف بابن الحلاج البغدادي سمع الحديث وقرا القران وكان خيرا زاهدا عابدا يتبرك بدعايه وبزياراته محمد بن عبد الواحد الشافعي ابو رشيد من اهل طبرستان ولد سنة سبع وثلاثين واربعمائة وحج واقام بمكة مدة وسمع الحديث وروى شيا يسيرا وكان زاهدا منقطعا عن الناس مشتغلا بنفسه ركب مرة مع تجار في البحر فارسوا على جزيرة فقال له دعوني في هذه اعبد الله فيها فما نعوه فابي الا المقام بها فتركوه وساروا فردتهم الريح اليه فرادوه على المسير معهم فامتنع فساروا فردتهم الريح اليه فراودوه فامتنع فساروا عنه فردتهم الريح اليه فقالوا انه لا يمكن ان نسير الا بك واذا اردت المقام بها فارجع اليها فسار معهم ثم رجع اليها فاقام بها مدة ثم ترحل عنها ويقال انه كان بها ثعبان يبتلع الانسان وبها عين ما كان يشرب منها ويتوضى ثم رجع الى بلده امل فمات بها في هذا العام وقبره مشهور يزار ام الخليفة المسترشد توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة تاسع عشر شوال من هذه السنة

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد

وكان سبب ذلك انه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير اقتضى الحال ان الخليفة اراد قطع خطبته من بغداد فاتفق موت اخيه طغرل بن محمد بن ملك

شاه

شاه فسار الى البلاد فملكها وقوي جاشه ثم شرع يجمع العساكر لياخذ بغداد من يد الخليفة فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك وتغير جماعة من رووس الامرا الى الخليفة خوفا على انفسهم من سطوة الملك مسعود وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة فيهم القضاة ورووس الدولة من جميع الاصناف فمشوا بين يديه اول منزلة حتى وصل الى السرادق وبعث بين يديه مقدمة وارسل الملك مسعود على مقدمته بيبر بن صدقة بن منصور الذي كان صاحب الحلة فجرت خطوب كثيرة وحروب كثيرة وحاصل الامر ان الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الاثنين فاقتتلوا قتالا كثيرا ولم يقتل بين الصفين سوى خمسة انفس ثم حمل الخليفة على جيش الملك مسعود فهزمهم ثم تراجعوا فحملوا على جيش الخليفة فهزموهم وقتلوا منهم خلقا واسر الخليفة ونهبت امواله وحواصله من جملة ذلك اربعة الاف الف دينار وغير ذلك من الثياب والخلع والاثاث والقماش والماعون فانا لله وانا اليه راجعون وطار الخبر في الاقاليم وحين بلغ الخبر الى بغداد انزعج الناس لذلك وزلزلوا زلزالا شديدا صورة ومعنى وجات العامة الى المنابر فكسروها وامتنعوا من حضور الجماعات وخرج النسا في البلد حاسرات يبكين على الخليفة وما جرى عليه من الاسر وتاسى باهل بغداد في ذلك خلق كثير من اهل البلاد وتمت فتنة كبيرة وانتشرت في الاقاليم واستمر الحال على ذلك الى مستهل ذي القعدة والشناعة في الاقاليم منتشرة فكتب الملك سنجر الى ابن اخيه مسعود يحذره عب ذلك ويبصره بما وقع فيه من الامر العظيم والخطب الجسيم ويامره ان يعيد الخليفة الى مستقر عزه ودار خلافته فامتثل الملك مسعود ذلك وضرب للخليفة سرادق عظيم ونصب له فيه قبة عظيمة تحتها سرير مما يلي البس الخليفة السواد على عادته واركب بعض ما كان يركبه من مراكبه وجا الملك مسعود فقبل الارض بين يديه وامسك لجام الفرس ومشى في خدمته والجيش كلهم مشاة يمشي الملك حتى اجلس الخليفة على سريره ووقف الملك مسعود بين يديه وخلع الخليفة عليه وجي بدبيس مكتوفا عن يمينه اميران وعن يساره اميران وسيف مسلول وشقة بيضا فطرح بين يدي الخليفة ماذا يريد فيه تطييبا لقلبه فاقبل السلطان يشفع في دبيس وهو ملقى يقول العفو يا امير المومنين انا اخطات والعفو عند المقدرة فامر الخليفة باطلاقه وهو يقول لا تثريب عليكم اليوم فنهض قايما والتمس ان يقبل يد الخليفة فاذن له فقبلها وامرها على صدره وسال العفو عنه عما كان واستقر الامر على ما ذكرنا وطار هذا الخبر الى الافاق وفرح الناس بذلك وطابت قلوبهم فلما كان مستهل ذي الحجة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر الى ابن اخيه يستحثه على الاحسان الى الخليفة وان يبادر الى سرعة رده الى وطنه وارسل مع الرسل جيشا ليكونوا في خدمة الخليفة الى بغداد فصحب الجيش عشرة من الباطنية فقيل من حيث لا يشعرون وقيل بل كانوا مجهزين فالله اعلم الا انهم حالة وصولهم الى منازلهم حملوا على الخليفة في خيمته فقتلوه فيها وقطعوه قطعا فلم يلحق الناس منه الا الرسوم وقتلوا معه جماعة من اصحابه منهم عبد الله بن سكينة فاخذوا اولئك الرهط فحرقوا لعنهم الله وشاعت بذلك الركبان في البلدان فما من اهل بلدة الا وهم اشد حزنا على الخليفة المسترشد من الاخرى لاسيما اهل بغداد خرجت النسا في الطرقات يبكين عليه ويندبنه

وقد ذكر ابو الفرج بن الجوزي ما كان يتقلده من الشجاعة على الخليفة رح وكان مقتله على باب مراغة في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة فحمل الى بغداد ولما استفر خبر موته ببغداد عمل العزا له ثلاثة ايام بعدما بويع لولده الراشد ذكر شي من ترجمة المسترشد رح كان رحمه الله شجاعا مقداما بعيد الهمة فصيحا بليغا عذب الكلام حسن الايراد مليح الخط شديدا للعبادة محببا الى العامة والخاصة وهو اخر خليفة رى خطيبا وصلى رح وعمره ثلاث واربعون سنة وثلاثة اشهر وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة اشهر وعشرين يوما وكان شاما ولم يزل الاتراك

خلافة الراشد بالله ابي جعفر

منصور بن المسترشد

كان ابوه قد اخذ له العهد ثم اراد ان يخلعه فلم يقدر على ذلك لانه لم يقدر فلما قتل ابوه بباب مراغة في يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين وخمسمائة كما ذكرنا كان هو ببغداد فلما جاء خبره اليها بايعه الامراء والاعيان وخطب له على المنابر ببغداد وسائر البلاد وكان ذا ذكاء كبير له اولاد وكان ابيض جسيما حسن اللون فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جي بالمسترشد قد نقل من مكانه الى بغداد فصلى عليه ببيت النوبة وكثر الزحام وخرج الناس لصلاة العيد من الغد وهم في حزن شديد على المسترشد رح وقد ظهر الرفض قليلا في اول ايام الراشد

ومن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن احمد بن الحسين بن عمر ابو المظفر بن ابي بكر الشاشي تفقه بابيه واخترمته المنية بعد ابيه ولم يبلغ سن الرواية اسماعيل بن عبد الملك بن علي ابو القاسم الحاكمي تفقه بامام الحرمين وكان رفيق الغزالي في الاشتغال واسن منه فلهذا كان الغزالي يحترمه ويكرمه وكان فقيها بارعا وعابدا ورعا وكانت وفاته في هذه السنة بطوس ودفن الى جانب الغزالي رحمهما الله دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد ابو الاعز الاسدي الامير بن الامير من بيت الامير وسيادة الاعراب كان شجاعا بطلا فعل الافاعيل في غزو في البلاد من حوفه من الخليفة ثم استرضى عنه الخليفة المسترشد كما ذكرنا فلما قتل الخليفة عاش بعده اربعة وثلاثين يوما ثم اتهم عند السلطان مسعود بانه قد كاتب زنكي يهاه عن القدوم على السلطان ويامره ان ينجو بنفسه فبعث اليه السلطان غلاما ارمنيا فوجده منكسا راسه يتفكر في امر فما كلمه حتى شهر سيفه وضربه به فابان راسه عن جثته ويقال بل استدعاه السلطان اليه فقتله صبرا بين يديه فالله اعلم طغرل السلطان بن السلطان محمد بن ملك شاه توفي بهمذان يوم الاربعا ثالث المحرم من هذه السنة علي ابو الحسن الدوركاني كان عابدا زاهدا حكى ابن الجوزي عنه انه كان يقول بان القدرة تتعلق بالمستحيل ثم انكر ذلك عليه وعذره بجهله وعدم تعقله لما يقول الفضل ابو منصور امير المومنين المسترشد بالله كان من خيار الخلفا العباسيين شهما شجاعا يباشر الحروب بنفسه وقد اسلفنا ذلك فيما تقدم فقتلته الباطنية بباب مراغة يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من هذه السنة ثم نقل الى بغداد فدفن بها رح وبل بالرحمة ثراه وجعل الجنة ماواه

ثم دخلت

ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة

فيها وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود بسبب انه ارسل الى الخليفة يطلب منه ما كان كتب له والده المسترشد حين اسره التزم له باربعمائة الف دينار فامتنع من اداء ذلك وقال ليس بيننا وبينكم الا السيف فوقع بينهما الخلف فاستجاش السلطان بالعساكر واستنهض الخليفة الامرا وارسل الى عماد الدين زنكي فجاؤوا والتف عليه خلائق وجاء في عيون ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملك شاه فخطب له الخليفة ببغداد وخلع عليه وبايعه على الملك فتاكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا وبرز الخليفة الى ظاهر بغداد ومشى الجيش بين يديه كما كانوا يعاملون به اباه قبله وذلك يوم الاربعا سلخ شعبان وخرج السلطان داود من جانب اخر فلما بلغهم كثرة الجيوش مع السلطان مسعود حسن عماد الدين زنكي للخليفة ان يذهب الى بلاد الموصل واتفق دخول السلطان مسعود الى بغداد في غيبتهم في يوم الاثنين رابع شوال فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها جميعه حتى استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلي والمصاغ والثياب التي للزينة وغير ذلك وجمع القضاة والاعيان الفقها وابرز لهم خط الراشد انه متى خرج من بغداد لقتال السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة فافتى من افتى من الفقها بخلعه فخلع في يوم الاثنين سادس عشر ذي القعدة بحكم الحاكم وفتيا اكثر الفقها وكانت خلافته احد عشر شهرا واحد عشر يوما واستدعى بعمه المقتفي بن المستظهر فبويع بالخلافة عوضا عن ابن اخيه الراشد بالله

خلافة المقتفي لامر الله

ابي عبد الله محمد بن المستظهر بالله وامه حبشية تسمى نسيم ويقال لها ست السادة ولد سنة تسع وثمانين واربعمائة وبويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين وخطب له على المنابر يوم الجمعة العشرين منه ولقب بالمقتفي لانه يقال انه راى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل هذا الامر اليك فاقتف بي فصار اليه بعد ستة ايام فلقب بذلك لذلك فايدة حسنة ينبغي التنبيه لها وهي ان المقتفي والمسترشد الخليفتين كانا اخوين وكذلك السفاح والمنصور وكذلك الهادي والرشيد ابنا المهدي وكذلك الواثق والمتوكل ابنا المعتصم اخوان واما ثلاثة اخوة كالامين والمامون والمعتصم بنو الرشيد والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر واما اربعة اخوة فلم يكن الا في بني امية وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان ولما استقر المقتفي في الخلافة استمر الراشد ذاهبا الى الموصل صحبة صاحبها عماد الدين زنكي فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة

ومن توفي فيها من الاعيان

محمد بن حمويه بن محمد بن حمويه ابو عبد الله الجويني يروي الحديث وكان صدوقا مشهورا بالعلم والزهد وله كرامات ودخل بلخ فلما ودعهم انشدهم

لين كان لي من بعد عود اليكم • قضيت لبانات الفواد لديكم •

• وان يكن الاخرى ففي الغيب عبرة • وحال لفضنا فالسلام عليكم •

محمد بن عبد الله بن احمد بن حبيب ابو بكر العامري المعروف بابن الخبازة سمع الحديث ورحل في طلبه وكانت له معرفة بالفقه والحديث وقد شرح كتاب الشهاب وكان يعظ الناس على طريقة التصوف وكان ابن الجوزي ممن تادب به وقد اثنى عليه وانشد عنه من شعره

• كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي •

• والشوق املك بي من عذل عذالي •

• وكيف اسلو وفي حبي له شغل •

• يحول بين مهمات واشغال •

وقد ابتنى رباطا فكان عنده جماعة من المتعبدين والزهاد ولما احتضر اوصاهم بتقوى الله عز وجل والاخلاص ثم شرع في النزع وعرق جبينه فمد يده ثم قال

• ما قد بسطنا اليك غرد ها • بالفضل لا بشماتة الاعدا •

ثم قال ارى المشايخ بين ايديهم الاطباق وهم ينتظرون ثم مات وذلك ليلة الاربعا نصف رمضان ودفن برباطه ثم غرق رباطه وقبره في سنة اربع وخمسين وخمسماية رح محمد بن الفضل بن احمد بن ابي العباس ابو عبد الله الصاعدي الفراوي كان ابوه من ثغر فراوه فسكن نيسابور فولد بها محمد هذا وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ في الافاق وتفقه وافتى وناظر ووعظ وكان ظريفا حسن الوجه جميل المعاشر كثير التبسم واملا اكثر من الف مجلس ورحل اليه الطلبة من الافاق حتى كان يقال للفراوي الف راوي وقيل ان ذلك كان مكتوبا في خاتمه وقد اسمع صحيح مسلم قريبا من عشرين مرة توفي في شوال من هذه السنة عن تسعين سنة رح

ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسماية

فيها كثر موت الفجاة ببلاد اصبهان فمات الوف من الناس واغلقت دور كثيرة رحمهم الله تعالى وفيها تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملك شاه على صداق ماية الف دينار بحضرة اخيها السلطان مسعود العقد وجماعة من اعيان الدولة والوزرا والامرا ونثر على الناس انواع النثار وفيها صام اهل بغداد رمضان ثلاثين يوما ولم يروا الهلال ليلة احدى وثلاثين مع كون السما كانت مصحية قال ابن الجوزي وهذا شي لم يقع مثله وفيها هرب وزير صاحب مصر وهو تاج الدولة بهرام النصراني وقد كان تمكن في البلاد واسا السيرة فطلبه الخليفة الحافظ حتى اخذه فسجنه ثم اطلقه فترهب واستوزر بعده رضوان بن الولخشي ولقبه الملك الافضل ولم يلقب وزير بذلك قبله ثم وقع بينه وبين الحافظ فلم يزل به الخليفة الحافظ حتى قتله واشتغل بتدبير اموره وجنده وفيها ملك عماد الدين زنكي عدة بلاد وفيها ظهر بالشام سحاب اسود اظلمت له الدنيا ثم ظهر بعده سحاب احمر كانه نار اضات له الدنيا ثم جات ريح عاصف فالقت اشجارا كثيرة ثم وقع مطر شديد وسقط برد كبار وفيها قصد ملك الروم بلاد الشام فاخذ بلدانا كثيرة من ايدي الفرنج واطاعه ليون بن ملك الارمن وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن ثابت ابو سعيد الخجندي تفقه على والده الامام ابي بكر الخجندي الاصبهاني وولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد مرارا ويعزل عنها وقد سمع الحديث ووعظ وتوفي في غرة شعبان من هذه السنة وقد قارب التسعين هبة الله بن احمد بن عمر الحريري ويعرف بابن الطبر سمع الكثير وهو اخر من روى عن ابي الحسن بن زوج الحرة وقد حدث عن ابي بكر الخطيب وكان ثبتا صحيح السماع كثير الذكر والتلاوة ممتعا بجواسه وقواه الى ان توفي في جمادى الاولى من هذه السنة عن ست وتسعين سنة رحمه الله •

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسماية

فيها قتل الخليفة الراشد المخلوع وذلك انه اجتمع معه الملك داود وجماعة من كبار الامرا فقصدوا قتال السلطان مسعود بارض مراغة فهزمهم وبدد شملهم وقتل منهم خلقا صبرا بين يديه منهم صدقة بن دبيس وولى اخاه مكانه على الحلة وهرب الخليفة المخلوع الراشد فدخل اصبهان فقتله ممن كان يخدمه من الخراسانية وكان قد برا من وجع اصابه فقتلوه في الخامس والعشرين من رمضان ودفن بشهرستان ظاهر اصبهان وقد كان حسن اللون مليح الوجه شديد القوة مهيبا امه ام ولد رحمه الله وفيها كسى الكعبة رجل من التجار يقال له راشت الفارسي بثمانية عشر الف دينار وذلك لانه لم ياتها كسوة لاختلاف الملوك وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق فانهدم شي كثير ومات تحته خلق كثير وجم غفير وفيها كان بخراسان غلاء شديد حتى اكلوا الكلاب وفيها اخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص في المحرم وتزوج في رمضان بالست زمرد خاتون ام صاحب دمشق وهي التي تنسب اليها الخاتونية البرانية وفيها ملك صاحب الروم مدينة براعة وهي على ستة فراسخ من حلب فجا اهلها الذين خلصوا من القتل والسبا يستغيثون بالمسلمين ببغداد فمنعوا الخطبة ببغداد وجرت فتن طويلة وفيها ولد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي بقلعة تكريت وفيها جا بالناس الامير نظر وكذا في السنوات التي قبلها اثابه الله تعالى وفيها تزوج السلطان مسعود سفري بنت دبيس بن صدقة وزينت لذلك بغداد سبعة ايام قال ابن الجوزي فحصل بسبب ذلك فساد طويل عريض منتشر ثم تزوج ابنة عمه فزينت بغداد ثلاثة ايام ايضا

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن محمد بن احمد ابو بكر بن ابي الفتح الدينوري الحنبلي سمع الحديث والفقه على ابي الخطاب الكلوذاني وافتى ودرس وناظر كان اسعد الميهني يقول ما اعترض ابو بكر الدينوري على دليل احد الا ثلمه وقد تخرج به الشيخ ابو الفرج بن الجوزي وانشد عنه

• تمنيت ان تمسي فقيها مناظرا • بغير عنا والجنون فنون •

• وليس اكتساب المال دون مشقة • تلقيتها فالعلم كيف يكون •

عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن ابو المظفر القشيري اخر من بقي منهم سمع اباه وابا بكر البيهقي وغيرهما وسمع منه عبد الوهاب الانماطي واجاز ابن الجوزي وقارب التسعين محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر ابو الحسن الكرجي سمع الكثير في بلاده وكان فقيها شافعيا تفقه بابي اسحاق وغيره من ائمة الشافعية وكان اديبا شاعرا فصيحا وله مصنفات

كثيرة منها الفصول في اعتقاد الائمة الفحول يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد
ويحكي فيه اشياء غريبة حسنة وله تفسير وكتاب في الفقه وكان لا يقنت في الفجر
ويقول لم يصح ذلك في حديث وقد كان امامنا الشافعي يقول اذا صح الحديث فاضربوا
بقولي هذا الحائط وقد كان حسن الصورة جميل المعاشرة ومن شعره •

• ثنائي داره عني ولكن • خيال جماله في القلب ساكن •
• اذا امتلاء الفؤاد به فماذا • يضر اذا خلت منه الاماكن •

توفي رح وقد جاوز الثمانين الستين الخليفة الراشد منصور بن المسترشد ولي
الخلافة بعد ابيه ثم خلع فذهب مع العماد زنكي الى ارض الموصل ثم جمع جموعا فاقتتل
مع الملك مسعود في هذه السنة فهزمهم فذهب الى اصبهان فقتل بها بعد مرض اصابه
فقيل انه سم فقتلته الباطنية وقيل بل قتله الفراشون الذين كانوا يلون امره
فالله اعلم وقد حكى ابن الجوزي عن ابي بكر الصولي انه قال الناس يقولون كل سادس يقوم
بامر الناس من اول الاسلام لا بد ان يخلع قال ابن الجوزي فتاملت ذلك فرايته عجيبا
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن فخلع ثم
معاوية ويزيد ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك ثم عبد الله بن الزبير فخلع وقتل
ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ثم الوليد بن يزيد فخلع وقتل
ولم ينتظم بعده لبني امية امر حتى قام السفاح العباسي ثم اخوه المنصور ثم المهدي
والهادي والرشيد ثم الامين فخلع وقتل ثم المامون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر
ثم المستعين فخلع وقتل ثم المعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي ثم المقتدر
فخلع ثم اعيد فقتل ثم القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع ثم الطايع فخلع ثم
القادر والقايم والمقتدي والمستظهر والمسترشد ثم الراشد فخلع نوشروان بن خالد
ابن محمد القاشاني الفيني ومن قرية فين من قاشان الوزير ابو نصر وزر للسلطان
محمود وللخليفة المسترشد وكان فيها قلا مهيبا عظيم الخلقة وهو الذي الزم ابا محمد
الحريري بتكميل المقامات وكان سبب ذلك ان ابا محمد الحريري كان جالسا ذات يوم
في مسجد بني حرام من محال البصرة فدخل عليهم شيخ ذو طمرين فقالوا من انت قال انا رجل
من سروج يقال لي ابو زيد فعمل الحريري المقامة الحرامية واشتهرت في الناس فلما طالعها
الوزير نوشروان اعجب بها وكلفه ان يضيف اليها غيرها فعمل معها تمام الخمسين
مقامة فهي هذه المشهورة المتداولة بين الناس وقد كان الوزير كريما محمدا غير انه كان
ينسب الى التشيع وقد مدحه الحريري •

• الا ليت شعري والتمني لعله • وان كان فيه راحة لاخي الكرب •
• اتدرون اني مذ تناءت دياركم • وشط اقترابي من جنابكم الرحب •
• اكابد شوقا ما يزال اواره • يقلبني في الليل جنبا على جنب •
• واذكر ايام التلاقي فانثني • لتذكارها بادي الاسى طائر اللب •
• ولي حنة في كل وقت اليكم • ولا حنة الصادي الى البارد العذب •
• فوالله لولا كتمت هواكم • لما كان مكتوما بشرق ولا غرب •
• ومما شجا قلبي المعنى وشفه • رضاكم باهمال الاجابة عن كتبي •

وقد كنت

• وقد كنت لا اخشى مع الذنب جفوة • فقد صرت اخشاها وما لي من ذنب •
• ولما سرى الوفد العراقي نحوكم • واعوزني المسرى اليكم مع الركب •
• جعلت كتابي نائبا عن ضرورة • ومن لم يجد ماء تيمم بالترب •
• ونفذت ايضا بضعة من جوارحي • لتنبيكم عن شرح حالي وتستنبي •
• ولست ارى تذكاركم بعد خبركم • بكم منه حسبي اعتزازكم حسبي •

ثم دخلت سنة ثلاث وثلثين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة بمدينة جنزة مات بسببها مايتا الف وثلثون الفا وصار مكانها ماء اسود
عشرة فراسخ في مثلها وزلزلت حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة وفيها وضع السلطان
مسعود مكوسا كثيرة عن الناس وكثرت الادعية له وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان
سنجر وخوارزم شاه فهزمه سنجر وقتل في المعركة ولده فحزن عليه والده حزنا شديدا
وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغتكين قتله
ثلاثة من خواصه ليلا وهربوا من القلعة فادرك اثنان فصلبا وافلت واحد وملك
بعده اخوه جمال الدين محمد بن تاج الملوك وكان ببعلبك فنزل لك فملك بعده
بعلبك عماد الدين زنكي واستناب عليها الامير نجم الدين ايوب والد الملك صلاح الدين
والملك العادل ابي بكر وذريتهما وفيها صرف اليهود والنصارى عن المباشرات ثم اعيدوا
بعد شهر وحج بالناس فيها نظر الخادم اثابه الله تعالى

وممن توفي فيها من الاعيان

زاهر بن طاهر بن محمد ابو القسم بن ابي عبد الرحمن بن ابي بكر الشحامي المحدث المكثر الرحال
الجوال سمع الكثير واملى بجامع نيسابور الف مجلس وقال انه كان به مرض يكثر بسببه الجمع
بين الصلوات فتكلم فيه ابو سعد السمعاني وقال انه كان يخل بالصلوات وقد رد
ابن الجوزي على السمعاني بعذر المرض والله اعلم بلغ خمسا وثمانين سنة وكانت وفاته بنيسابور وفاته صح
في ربيع الاخر ودفن بمقبرة يحيى بن يحيى رح علي بن افلح ابو القاسم الكاتب وقد خلع
عليه المسترشد ولقبه جمال الملك واعطاه اربعة دور وكانت له دار الحجابين فهدمهن
كلهن واتخذ مكانهن دارا هايلة طولها ستون ذراعا في عرض اربعين واطلق له
الخليفة اخشابا وآجرا وذهبا فبناها وغرم عليها ابن الافلح مالا جزيلا وكتب على ابوابها
وطرزها اشعارا حسنة من نظمه ونظم غيره فمن ذلك ما هو على باب الدار

• ان عجب الزوار من ظاهري • فباطني لو علموا اعجب •
• شيدني من كفه مزنة • يحمل منها العارض الصيب •
• ودبجت روضة اخلاقه • في رباضنا نورا مذهب •
• صدر كسى صدري من نوره • شمسا على الايام لا تغرب •

وعلى الطرز مكتوب •

• ومن المروة للفتى • ما عاش دار فاخرة •
• فاقنع من الدنيا بها • واعمل لدار الاخرة •
• هاتيك وافية بما • وعدت وهاذي ساخره •
• ودار كانت جنان الخلود • اعارته من حسنها رونقا • وفي موضع اخر مكتوب

واعطته من حادثات الزمان ٭ ان لا يلم به موبقا
فاضحى يتيه على كل ما ٭ بنى مغربا كان او مشرقا
يظل الوفود به عكفا ٭ وتمشي الصبا بونه طرقا
بقيت له يا جمال الملوك ٭ والفضل مهما اردت البقا
وسالمه فيك ريب الزمان ٭ ووقيت منه الذي يتقى

فما صدقت هذه الاماني بل عما قريب بعد بنائها اتهم الخليفة ابن افلح بانه يكاتب دبيسا فامر بتخريب هذه الدار فلم يبق فيها جدار وصار خرابة بعد ما كان تقدحصر منها المقام والقرار وهذه حكمة من يقلب الليل والنهار ويجري بمشيئته الاقدار وقد اورد ابن الجوزي اشيا حسنة من نظمه ونثره فمن ذلك قوله

دع الهوى لاناس يعرفون به ٭ قد مارسوا الحب حتى لان اصعبه
بلوت نفسك فيما لست تخبره ٭ والشي صعب على من لا يجربه
اقن اصطبارا وان لم تستطع جلدا ٭ فرب مدرك امر عز مطلبه
احنوا الضلوع على قلب يحيرني ٭ في كل يوم ويعيني تقلبه
تشاوح الريح من نجد يهيجه ٭ ولامع البرق من نعمان يطربه

ومن ذلك قوله

هذه الخيف وها تيك منى ٭ فترفق ايها الحادي بنا
واحبس الركب علينا ساعة ٭ نندب الربع ونبكي الدمنا
فلذا الموقف اعددت البكا ٭ ولذا اليوم الدموع تقتنى
زمنا كان وكنا جيرة ٭ يا اعاد الله ذاك الزمنا
بيننا يوم اثيلات النقا ٭ كان عن غير تراض بيننا

ثم دخلت سنة اربع وثلثين وخمسماية

فيها حاصر زنكي دمشق فحصنها الاتابك معين الدين انر مملوك طغتكين فانه توفي ملكها جمال الدين محمد بن بوري طغتكين فارسل معين الدين الى اخيه مجير الدين ابق وهو ببعلبك فملكه دمشق وذهب زنكي الى بعلبك فاخذها واستناب عليها نجم الدين ايوب وفيها دخل الخليفة المقتفي لامر الله على الخاتون فاطمة اخت السلطان مسعود واغلقت بغداد اياما وكان وقتا مشهودا وفيها تزوج السلطان بنت امير المومنين وكان يوما مشهودا وفيها نودي للصلاة على رجل صالح فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر ثم اتفق ان الرجل عطس فافاق وحضر جنازة رجل اخر فصلى عليه وفيها نقصت المياه من سائر الدنيا وفيها ولد صاحب حماه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن شاذي

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن جعفر بن الفرج ابو العباس الحربي احد العباد الزهاد سمع الحديث وكانت له احوال الحق كان يقال انه يرى في بعض السنين بعرفات ولم يكن حج في تلك السنة
عبد السلام بن الفضل ابو القسم الجيلي سمع الحديث وتفقه على الكيا الهراسي وبرع في الاصول والفروع وغير ذلك وولي قضاء البصرة وكان من خيار القضاة رح

ثم دخلت سنة خمس وثلثين وخمسماية

فيها وصلت البردة والقضيب الى بغداد وكانا قد اخذا مع المسترشد سنة تسع وعشرين فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما في هذه السنة وفيها كملت المدرسة الكمالية ببغداد المنسوبة الى كمال الدين ابي الفتوح حمزة بن طلحة صاحب المخزن ودرس فيها الشيخ ابو الحسن بن الخل وحضر عنده الاعيان والروسا

وممن توفي فيها من الاعيان

اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن احمد ابو القسم الطلحي الاصبهاني سمع الكثير ورحل وكتب واملى باصبهان قريبا من ثلاثة الاف مجلس وكان اماما في الفقه والحديث والتفسير واللغة حافظا متقنا توفي ليلة عيد الاضحى وقد قارب الثمانين ولما اراد الغاسل تنحية الخرقة عن فرجه ردها بيده
محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحرث بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري سمع الحديث وتفرد عن جماعة من المشايخ واملى الحديث في جامع القصر وكان مشاركا في علوم كثيرة وقد اسر في صغره في ايدي الروم فارادوه على ان يتكلم بكلمة الكفر فلم يفعل وتعلم منهم خط الروم وكان يقول من خدم المحابر خدمته المنابر ومن شعره الذي اورده ابن الجوزي عنه وسمعه منه

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ٭ بمكفر وبحاسد ومكذب

ومن ذلك قوله

لي مدة لا بد ابلغها ٭ فاذا انقضت وتصرمت مت
لو عاندتني الاسد ضارية ٭ ما ضرتني ما لم يجي الوقت

ومن ذلك قوله

بغداد دار لاهل العلم طيبة ٭ وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران امشي في ازقتها ٭ كانني مصحف في دار زنديق

قال ابن الجوزي بلغ ثلثا وتسعين سنة لم يتغير حواسه وعقله وكانت وفاته في ثاني رجب من هذه السنة وحضر جنازته الاعيان والناس ودفن قريبا من قبر بشر
يوسف بن ايوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة ابو يعقوب الهمداني تفقه بالشيخ ابي اسحاق وبرع في الفقه والمناظرة ثم اشتغل بالتعبد وصحب الصالحين واقام بالجبال ثم عاد الى بغداد فوعظ بها وحصل له قبول توفي في ربيع الاول ببعض قرى هراة رح

ثم دخلت سنة ست وثلثين وخمسماية

وفيها كانت حروب كثيرة بين السلطان سنجر وبين السلطان خوارزمشاه فالتجو خوارزمشاه على مرو وبعد هزيمة سنجر فقتل بها واساء التدبير بالنسبة الى الفقها الحنفية الذين بها وكان بجيش خوارزمشاه ثلاثماية الف مقاتل وفيها كمل عمل بثق النهروان وخلع بهروز الشحنة ببغداد على الصناع جبابا للحرير الرومي وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر وفرح السلطان بذلك وكان

قد صرف على ذلك النهر سبعين الف دينار وفيها حج كمال الدين بن طلحة صاحب
المخزن وعاد فتزهد وترك العمل ولزم داره وفيها عقدت الجمعة بمسجد العيارين
باذن الخليفة وحج بالناس نظر الخادم

وممن توفي فيها

اسماعيل بن احمد بن عمر بن ابي الاشعث ابو القاسم بن ابي بكر السمرقندي ثم
البغدادي سمع الكثير وتفرد بمشايخ وكان سماعه صحيحا واملى بجامع المنصور
مجالس كثيرة نحو ثلثماية مجلس وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز الثمانين
رح يحيى بن علي بن محمد بن علي ابو محمد الطراح المدبر ولد سنة تسع وعشرين واربعماية
وسمع الكثير واسمع وكان شيخا حسنا مهيبا كثير العبادة والخير وكانت وفاته في رمضان
من هذه السنة عن ماية وسبع سنين

ثم دخلت سنة سبع وثلثين وخمسماية

فيها ملك عماد الدين زنكي الحديثة ونقل المهارش منها الى الموصل وبث فيها
نوابا من جهته

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسماية

فيها تجهز السلطان مسعود لياخذ الموصل والشام من عماد الدين زنكي فصالحه
على ماية الف دينار فدفع اليه منها عشرين الف دينار واطلق له الباقي وسبب
ذلك ان ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان وفيها ملك عماد
الدين زنكي بعض بلاد بكر وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه ثم اخذ منه مالا
واطلقه وفيها وجد رجل يفسق بصبي فالقي من راس منارة وفي ليلة الثلثاء الرابع
والعشرين من ذي القعدة زلزلت الارض وحج بالناس نظر الخادم

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الوهاب بن المبارك بن احمد ابو البركات الانماطي الحافظ سمع الكثير وحدث
وكان ثقة دينا ورعا طليق الوجه سهل الاخلاق توفي في حادي المحرم عن ست
وتسعين سنة علي بن طراد بن محمد بن علي الزينبي الوزير العباسي ابو القسم
نقيب النقباء على الطالبيين في ايام المستظهر ووزر للمسترشد والمقتفي
ثم عزل واعيد ولم يل الوزارة من العباسيين غيره وقد سمع الكثير واسمع وتوفي
في رمضان عن ست وسبعين سنة

الزمخشري

محمود بن عمر بن محمد بن عمر ابو القاسم الزمخشري صاحب الكشاف في التفسير
والمفصل في النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة وقد سمع الحديث وطاف
البلاد في طلب العلم وجاور بمكة مدة وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك
في تفسيره ويناظر عليه ثم كانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة من هذه السنة عن
ست وسبعين سنة

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسماية

فيها اخذ العماد زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من ايدي الفرنج وقتل منهم خلقا

كثيرا

كثيرا وسبى نساء كثيرا وغنم اموالا جزيلة وازاح عن المسلمين كربا شديدة كثيرة جزاه
الله خيرا وحج بالناس امير الجيوش نظر الخادم وتنافس هو وامير مكة فنهب الحجيج
وهم يطوفون

وممن توفي فيها

ابراهيم بن محمد بن منصور بن عمر ابو البدر الكرخي تفقه بالشيخ ابي اسحاق وابي سعد
المتولي حتى صار اوحد زمانه فقها وصلاحا ومات في هذه السنة سعيد بن منصور محمد
ابن عمر ابو منصور بن الرزاز سمع الحديث وتفقه بالغزالي والشاشي والمتولي والكيا
الهراسي واسعد الميهني وولي تدريس النظامية وكان له سمت حسن ووقار وسكون
وكان يوم جنازته مشهودا ودفن عند الشيخ ابي اسحاق عمر بن ابراهيم بن محمد بن احمد
ابن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن
علي بن ابي طالب القرشي العلوي ابو البركات الكوفي ثم البغدادي سمع كثيرا
وكتب كثيرا واقام بدمشق مدة وكانت له معرفة جيدة بالفقه والحديث والتفسير
واللغة والادب وله تصانيف في النحو وكان خشن العيش صابرا محتسبا
توفي في شعبان من هذه السنة عن سبع وتسعين سنة رح

سنة اربعين وخمسماية

فيها حصر علي بن محمد اخاه دبيس ولم يزل يحاصره حتى انتزع من يده الحلة وملكها وفي
رجب دخل السلطان مسعود الى بغداد خوفا من اجتماع عباس صاحب الري ومحمد
شاه بن محمود ثم خرج منها في رمضان وحج بالناس قيماز الارجواني مملوك امير الجيوش
نظر بسبب ما كان وقع بين نظر وامير مكة في السنة الماضية

وممن توفي فيها

احمد بن محمد بن الحسن بن علي بن احمد بن سليمان ابو سعد الاصبهاني ثم البغدادي
سمع الحديث وكان على طريقة السلف حلو الشمايل مطرح الكلفة ربما خرج
الى السوق بقميص وقلنسوة وحج احدى عشرة حجة وكان يملي الحديث ويكثر الصوم
توفي بنهاوند في ربيع الاول من هذه السنة وقد قارب الثمانين علي بن احمد بن
الحسين بن احمد ابو الحسن اليزدي تفقه بابي بكر الشاشي وسمع الحديث واسمعه
وكان له ولاخيه قميص وعمامة اذا خرج هذا جلس الاخر في البيت وكذا الاخر موهوب
ابن احمد بن محمد بن الخضر ابو منصور الجواليقي شيخ اللغة في زمانه وباشر
مشيخة اللغة بالنظامية بعد شيخه ابي زكريا التبريزي مدة وكان يوم بالمقتفي
وربما قرا عليه الخليفة شيا من الكتب وكان عاقلا متواضعا في ملبسه طويل الصمت
كثير التفكر وكانت له حلقة بجامع القصر ايام الجمع وكان في لسانه لكنة وكان يجلس الى
جانبه المغربي معبر المنامات وكان فاضلا لكنه كان كثير النعاس في مجلسه فقال
فيهما بعض الادبا

بغداد عندي ذنبها لن يغفرا * وعيوبها مكشوفة لن تسترا
كون اللغوي الشيخ فيها الكنا * لغة وكون المغربي معبرا
مأسور لكنته يقول فصاحة * ونؤوم يقظته يعبر في الكرى

ثم دخلت سنة احدى واربعين وخمسماية

في ليلة ربيع الاول احترق القصر الذي كان بناه المسترشد وكان في غاية الحسن وكان الخليفة المقتفي قد انتقل بجواريه وحظاياه اليه ليقيم فيه ثلاثة ايام فما هو الا ان ناموا احترق عليهم القصر بسبب ان جارية اخذت في يدها شمعة فعلقت لهبها ببعض الاخشاب فاحترق القصر وسلم الله الخليفة واهله فاصبح فتصدق باشيا كثيرة واطلق خلقا من المحبسين وفي رجب وقع بين الخليفة وبين السلطان مسعود وانتهت الخليفة الى الجوامع والمساجد فاغلقت ثلاثة ايام حتى اصطلحا وفي يوم الجمعة النصف من ذي القعدة جلس ابن العبادي الواعظ فتكلم والسلطان مسعود حاضر وكان قد وضع على الناس مكسا في البيع فاحشا فقال في جملة وعظه يا سلطان العالم انت تطلق في بعض الاحيان للمغني اذا طربت قريبا مما وضعت على المسلمين من هذا المكس فهبني مغنيا وقد طربت فهب لي هذا المكس شكرا لنعمة الله عليك واسقطه عن الناس فاشار السلطان بيده ان قد فعلت فضج الناس بالدعا له وكتبت بذلك سجلات ونودي في البلد باسقاط ذلك المكس ففرح الناس بذلك ولله الحمد والمنة وفي هذه السنة قل المطر جدا وقلت مياه الانهار وانتشر جراد عظيم واصاب الناس داء في حلوقهم فمات بذلك خلايق كثيرة فانا لله وانا اليه راجعون وفيها قتل الملك عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة اقسنقر التركي صاحب الموصل وحلب وغيرهما من بلاد الشام والجزيرة وكان محاصرا قلعة جعبر وفيها سالم بن مالك العقيلي فوثب بعض مماليك زنكي حتى قتلوه في الليلة الخامسة من ربيع الاول من هذه السنة قال العماد الكاتب وكان سكرانا فالله اعلم وقد كان من خيار الملوك واحسنهم سيرة وشكلا وكان شجاعا مقداما حازما خضعت له ملوك الاطراف وكان من اشد الناس غيرة على نساء الرعية واجود الملوك معاملة وارفقهم بالعامة وملك من بعده بالموصل ولده سيف الدين غازي وبحلب ولده نور الدين محمود فاستعاد الملك نور الدين محمود مدينة الرها وكان ابوه قد فتحها ثم عصوا فقهرهم وفي هذه السنة ملك عبد المومن صاحب المغرب جزيرة الاندلس بعد حروب طويلة وفيها ملكت الفرنج لعنهم الله مدينة طرابلس المغرب وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك وفيها الامير نجم الدين ايوب من جهة زنكي فسلمه القلعة واعطاه امريز عنده بدمشق وفيها قتل السلطان مسعود حاجبه عبد الرحمن بن طغرلبك وقتل عباسا صاحب الري والتجا اصحابه فانزعج الناس ونهبوا خيام عباس وقد كان عباس هذا من الشجعان المشهورين قتل من الباطنية مخدومه جوهرا فلم يزل يقتل منهم حتى بنى من رؤوسهم منارة بمدينة الري وفيها مات نقيب النقبا ببغداد محمد بن طراد الزينبي فولي بعده علي بن طلحة الزينبي وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة وكانت قد بلغت مبلغ النسا فماتت فحضر جنازتها الاعيان وحج بالناس قطر الخادم وحج في هذه السنة نظام الدين بن جهير الوزير

وممن توفي فيها من الاعيان

زنكي بن اقسنقر تقدم ذكر شي من ترجمته في الحوادث
وقد اطنب الشيخ شهاب الدين في الروضتين في ترجمته وما قيل فيه من نظم ونثر

رحمه الله تعالى سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد ابو الحسن المغربي الاندلسي الانصاري رحل من الاندلس الى الصين وسمع الحديث وتفقه بالغزالي وحصل كتبا نفيسة وروى عنه ابن الجوزي وغيره وقد اوصى عند موته ان يحمل الى بغداد فيصلي عليه الغزنوي وان يدفن الى جانب قبر عبد الله بن الامام احمد فحضر جنازته خلايق من الناس شافع بن عبد الرشيد بن القسم ابو عبد الله الجيلي الشافعي تفقه على الكيا الهراسي ثم على الغزالي وكان يسكن الكرخ وله حلقة بجامع المنصور في الرواق قال ابن الجوزي وكنت احضر حلقته عبد الله بن علي بن احمد بن عبد الله ابو محمد سبط ابي منصور الزاهد قرا القراات وصنف فيها وسمع الحديث الكثير واقتنى الكتب الحسنة وام في مسجده نيفا وخمسين سنة وختم خلقا كثيرا قال ابن الجوزي وما سمعت احدا اطيب قراة منه وحضر جنازته خلق كثير عباس شحنة الري وصل الى ان ملكها ثم قتله السلطان مسعود كما ذكرنا وقد كان كثير الصدقة فاتنوا الاحسان الى الرعية وقتل من الباطنية خلقا وابتنى من رؤوسهم منارة بالري فاسف الناس عليه رحمه الله محمد بن طراد بن محمد الزينبي ابو الحسن نقيب الهاشميين وهو اخو علي بن طراد الوزير سمع الكثير من ابيه وعمه ابي نصر وغيرهما وقارب التسعين وجيه بن طاهر بن محمد بن محمد ابو بكر الشحامي اخو زاهر وقد سمع الكثير من الحديث وكانت له معرفة به وكان شيخا حسن الوجه سريع الدمعة كثير الذكر صحيح السماع صدوق اللهجة توفي ببغداد في هذه السنة رح

ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمسما

فيها ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الاندلس وفيها ملك نور الدين محمود بن زنكي عدة حصون من ايدي الفرنج بالسواحل وغيرها وفيها خطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد ابيه المقتفي وفيها ولي عون الدين يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام وولي زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية المخزن المعمور وفيها اشتد الغلا بافريقية فهلك بسببه اكثر الناس حتى خلت المنازل واقفرت المعاقل وفيها تزوج سيف الدين غازي بنت صاحب ماردين حسام الدين تمرتاش بن ارتق بعد ان حاصره فصالحه على ذلك فحملت اليه الى الموصل بعد سنتين وهو مريض قد اشرف على الموت فلم يدخل بها حتى مات فولي بعده اخوه قطب الدين مودود فتزوجها قال ابن الجوزي وفي صفر راى رجل في المنام قايلا يقول من زار قبر احمد بن حنبل غفر له قال فلم يبق خاص ولا عام الا زاره قال ابن الجوزي وعقدت يوميذ ثم مجلسا فاجتمع فيه الوف من الناس

وممن توفي فيها

اسعد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ابو منصور سمع الكثير وكان خيرا صالحا ممتعا بحواسه وقواه الى حين الوفاة وقد جاوز المائة بنحو من سبع سنين رح ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن خلف بن احمد بن عمر اللخمي الاندلسي الرشاطي الحافظ مصنف كتاب اقتباس الانوار والتماس في انساب الصحابة ورواة الاثار وهو من احسن المصنفات الكبار قتل شهيدا صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى الاخرة نصر الله بن محمد بن عبد القوي ابو الفتح اللاذقي المصيصي الشافعي تفقه بالشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي بصور وسمع بها منه ومن ابي بكر الخطيب

وسمع ببغداد والانبار وكان من مشايخ الشام فقيها في الاصول والفروع وكانت وفاته
في هذه السنة وقد جاوز الثمانين باربع سنين رحمه الله هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة ابو
السعادات الشجري النحوي ولد سنة خمسين واربعمائة وسمع الحديث وانتهت اليه
رياسة النحاة قال الشجري ما سمعت بيتا في الذم ابلغ من قول مسكويه •
• وما انا الا المسك قد ضاع عندكم • يضيع وعند الاكثرين يضوع •

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسمائة

فيها استغاث مجير الدين بن اتابك دمشق بالملك نور الدين محمود صاحب حلب على الفرنج
فركب سريعا فالتقاهم بارض بصرى فهزمهم ورجع فنزل على الكسوة فخرج ملك دمشق
مجير الدين الى خدمته واحترمه وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين وفيها ملكت الفرنج
المهدية وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور
بن يوسف بن بلكين بن زيري باهله وما خف من امواله فتفرقوا في البلاد واكلتهم الاقطار
وكان اخر ملوك بني باديس وقد كان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلثين وثلثمائة فدخل الفرنج
اليها وخزائنها مشحونة بالحواصل والاموال والعدد وغير ذلك فانا لله وانا اليه راجعون
وفيها حاصرت الفرنج وهم في سبعين الف مقاتل ومعهم ملك الالمان في خلق لا يعلمهم الا
الله عز وجل دمشق وعليها مجير الدين بن بوري بن طغتكين واتابكه معين الدين انر
وهو مدبر المملكة وذلك يوم السبت سادس ربيع الاول فخرج اليهم اهلها في مائة
وثلثين الفا فاقتتلوا معهم قتالا عظيما وقتل من المسلمين في اول يوم نحو المايتين
ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون واستمرت الحرب مدة واخرج مصحف عثمان
الى وسط الصحن واجتمع الناس يدعون الله والنساء والاطفال مكشفي الرووس يدعون
ويبكون وذروا الرماد وشرع البلد واستغاث انر بالملك نور الدين محمود صاحب
حلب وباخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل فقصداه سريعا في نحو من سبعين الفا
ممن انضاف اليهم من الملوك وغيرهم فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيوش تحولوا
اجلوا عن البلد فلحقهم الجيش فقتلوا منهم خلقا كثيرا وجما غفيرا وقتلوا ممن قتلوا منهم
قسيسا اسمه الياس الذي اغراهم بدمشق افترى منا ما عن المسيح انه وعده بفتح دمشق
فقتل لعنه الله وقد كانوا اخذوا بالبلد ولكن حماه الله تعالى بحوله وقوته قال
الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين وقال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع
وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ومدينة دمشق لا سبيل للاعداء اليها لكثرة
عليها لانها المحلة التي اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انها معقل الاسلام عند
الملاحم والفتن وبها ينزل عيسى بن مريم وقد كانت الفرنج حين قتلوا خلقا كثيرا من اهل
دمشق وممن قتلوا الفقيه الكبير الملقب حجة الدين شيخ المالكية بها ابو الحجاج يوسف
بن دوناس الفندلاوي بارض النيرب ودفن بمقابر باب الصغير وقد صالح معين الدين
الفرنج عن دمشق ببانياس فرحلوا عنها وتسلموا بانياس وفيها وقع بين السلطان
مسعود وامرايه فنفروا عنه وقصدوا بغداد فاقتتلوا مع العامة فقتلوا خلقا كثيرا
منهم من الصغار والكبار ثم انهم اجتمعوا ثانيا لنزال الناج فقتلوا الارض واعتذروا الى

الخليفة مما وقع وساروا نحو النهروان فتفرقوا في البلاد ونهبوا اهلها فغلت الاسعار
بالعراق بسبب ذلك وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد ابو الحسن علي بن احمد بن علي
بن الدامغاني بعد وفاة الزينبي وفيها ملك سوري بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة
فهرب صاحبها بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم من اولاد سبكتكين الى الهند فاستجاش
ملوكها وجا بجيوش عظيمة فاقتلع غزنة من يد سوري واخذه اسيرا فصلبه وقد كان
كريما جوادا كثير الصدقات

وممن توفي فيها من الاعيان

ابراهيم بن محمد بن نبهان بن محرز الغنوي الرقي سمع الحديث وتفقه بالشاشي والغزالي وكتب
شيا كثيرا من مصنفاته وقرا على ابن عباس بن بحنه الرى ووصل الى ان ملكها ثم قتله السلطان
مسعود كما ذكرنا وقد كان كثير الصدقات والاحسان الى الرعية وقتل من الباطنية خلقا
وابتنى من رووسهم مدينة بالري وتاسف الناس عليه رحمه الله محمد بن طراد بن محمد الزينبي
ابو الحسن نقيب الهاشميين وهو اخو علي بن طراد الوزير سمع الكثير من ابيه وعمه ابي نصر
وغيرهما وقارب التسعين وصحبه كثيرا وكان حسنا مهيبا كثير الصمت بهي السمت
توفي في ذي الحجة من هذه السنة وقد جاوز الثمانين شاهنشاه بن ايوب بن شاذي
استشهد مع نور الدين وهو والد الملك المظفر واقف الشامية وتقي الدين عمر
واقف التقوية وغير ذلك علي بن الحسن بن محمد بن علي الزينبي ابو القاسم الاكمل بن
ابي طالب نور الهدى بن ابي الحسن نظام الحضرتين بن نقيب النقبا ابي القاسم
بن تمام العباسي قاضي القضاة ببغداد والعراق وغير ذلك سمع الحديث وكان فقيها
رئيسا وقورا حسن الهيئة والسمت قليل الكلام سار مع الخليفة الراشد الى الموصل
وجرت له فصول ثم عاد الى بغداد ومات بها في هذه السنة وقد جاوز الستين وكانت
جنازة حافلة رحمه الله ابو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي شيخ المالكية بدمشق
قتل يوم السبت سادس ربيع الاول قريبا من الربوة في ارض النيرب هو والشيخ عبد
الرحمن الحلحولي احد الزهاد قتلا معا رحمهما الله

ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة

فيها كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد
بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي قاضيها احد مشايخ العلما المالكية وصاحب
المصنفات الكثيرة المفيدة الشهيرة منها الشفا وشرح مسلم ومشارق الانوار
وغير ذلك وله شعر حسن وكان اماما في علوم كثيرة كالفقه واللغة والحديث
والادب وايام الناس ولد سنة ست وستين واربعمائة وتوفي يوم جمعة في جمادى
الاخرة وقيل في رمضان من هذه السنة بمدينة سبتة رحمه الله وفيها غزا الملك نور
الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج فقتل منهم خلقا كثيرا فكان ممن قتل
البرنس ملك انطاكية وفتح شيا كثيرا من قلاعهم ولله الحمد والمنة وكان قد استنجد
بمعين الدين بن اتابك دمشق فارسل اليه بفرقة من جيشه صحبة الامير مجاهد
الدين بزان بن مامين فاصر خدما بلوا بلاء حسنا وقد قال الشعراء في هذه الغزوة
اشعارا كثيرة منهم ابن القيسراني وغيره وقد سردها الشيخ شهاب الدين بن شامة

وفي يوم الاربعا ثالث ربيع الاخر استوزر الخليفة ابو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة ولقب عون الدين وخلع عليه وفي رجب قصد ملك شاه بن محمود بغداد ومعه خلق من الامرا منهم علي بن دبيس وجماعة من التركمان وغيرهم وطلبوا من الخليفة ان يخطب له فامتنع من ذلك وتكررت المكاتبات وارسل الخليفة الى السلطان مسعود يستنجده في القدوم فتمادى عليه وضاق النطاق واتسع الخرق على الراقع وكتب الملك سنجر الى ابن اخيه مسعود يتوعده ان لم يسرع المشي الى الخليفة فما جا الا في اواخر السنة فانقشعت تلك الشرور كلها وتبدلت سرورا اجمعها وفي هذه السنة زلزلت الارض زلزالا شديدا وتموجت الارض عشر مرات وتقطع جبل بحلوان وانهدم الرباط البهروزي وهلك خلق كثير بالبرسام حتى لا يتكلم المريض حتى يموتوا وفيها مات سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل وملك بعده اخوه قطب الدين مودود بن زنكي وتزوج بامراة اخيه التي لم يدخل بها الخاتون بنت تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين فولدت له اولادا ثلاثهم ملكوا الموصل وكانت هذه الخاتون تضع خمارها بحضرة خمسة عشر ملكا وفيها سار الملك نور الدين محمود الى سنجار ففتحها فجهز اليه اخوه قطب الدين مودود جيشا ليرده عنها ثم اصطلحا فعوضه منها الرحبة وحمص واستمرت سنجار لقطب الدين وعاد نور الدين الى بلده وغزا في هذه السنة الفرنج فقتل منهم خلقا واسر البرنس صاحب انطاكية فمدحه الشعرا منهم الفتح القيسراني بقصيدة طنانة يقول في اولها

هذي العزائم لا ما تدعي القضب • وذي المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت • تعثرت خلفها الاشعار والخطب
صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها • براحة للمساعي دونها تعب
ما زال جدك يبني كل شاهقة • حتى بنى قبة اوتادها الشهب

وفيها فتح نور الدين حصن افامية وهو قريب من حماة وفيها مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن ابي القسم محمد بن المستنصر فقام بالامر من بعده ولده الظافر اسماعيل وقد كان احمد بن الافضل بن امير الجيوش قد استحوذ على الحافظ وخطب بمصر للقائم اخر الزمان واذن بحي على خير العمل للحافظ مع قليل العقل لنحو الذي كان به من جرح محرج مسموم وخرج بالحجيج الامير نظر الخادم فمرض بالكوفة فرجع واستخلف عليهم مولاه قايماز فحين وصوله الى بغداد توفي رحمه الله بعد ايام وطمع العرب في الحجاج فوقفوا لهم في الطريق وهم راجعون فضعف قايماز عن مقاومتهم فاخذ لنفسه امانا وهرب واسلم اليهم الحجيج فقتلوا اكثرهم واخذوا اموال الناس وقل من سلم ممن نجا فانا لله وانا اليه راجعون وفيها مات معين الدين انر اتابك العساكر بدمشق وكان احد مماليك طغتكين ثم كان بعد ذلك اتابك الملوك بدمشق وهو والد الست عصمة الدين خاتون زوجة الملك نور الدين وواقفة المدرسة المعينية داخل باب الفرج وقبره في قبة بتل الشامية البرانية بمحلة العونية عند باب البطيخ رحمه الله ولما مات معين الدين قويت شوكة الوزير الرئيس مويد الدولة علي ابن الصوفي واخيه زين الدولة حيدرة ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين ابق وحشة فاحتشد من العامة والغوغا مايتا وماية فاقتتلوا وقتل خلق من الفريقين ثم وقع الصلح بعد ذلك واستخدما الشعرا

وممن توفي

وممن توفي فيها

احمد بن نظام الملك الحسن بن علي ابو نصر الوزير للمسترشد وللسلطان محمود وقد سمع الحديث وكان من خيار الوزرا رحمه الله احمد بن محمد بن الحسين الارجاني قاضي تستر وكان له شعر رائق حسن يتنكر معاني حسنة فمن ذلك قوله

ولما بلوت الناس اطلب عندهم • اخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت في حالي رخاء وشدة • وناديت في الاحياء هل من مساعد
فلم ار فيما ساءني غير شامت • ولم ار فيما سرني غير حاسد
تمتعتما يا ناظري بنظرة • واوردتما قلبي امر الموارد
اعيني كفا عن فؤادي فانه • من البغي سعي اثنين في قتل واحد

عيسى بن هبة الله بن عيسى ابو عبد الله النقاش سمع الحديث ومولده سنة سبع وخمسين واربعماية قال ابن الجوزي كان ظريفا خفيف الروح له نوادر حسنة وقد راى الناس وعاشر الاكابر وكان يحضر مجلسي ويكاتبني وكاتبته كتبت اليه مرة نقطة في الكتابة فكتب الي

تدرد نقط الخطاب حتى • حسبت نقصا من الزيادة
فاجعل خطابي بخط مثلي • ولا تغير علي عادة

ومن شعره

اذا وجد الشيخ من نفسه • نشاطا فذلك موت خفي
الست ترى ان ضوء السراج • له لهب قبل ان ينطفي

غازي بن زنكي بن اقسنقر سيف الدين صاحب الموصل وهو اخو نور الدين محمود صاحب حلب ثم دمشق وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك واحسنهم سيرة واجودهم سريرة واصبحهم صورة شجاعا كريما يذبح كل يوم لجيشه مائة من الغنم ولمماليكه ثلاثين راسا وفي يوم العيد الف راس سوى البقر والدجاج وهو اول من حمل على راسه سنجق من ملوك الاطراف وامر الجند ان لا يركبوا الا بسيف ودبوس وبنى مدرسة بالموصل ورباطا للصوفية وامتدحه الحيص بيص فاعطاه الف دينار عينا وخلعة ولما توفي بالحمى في جمادى الاخرة من هذه السنة دفن في مدرسته المذكورة وله من العمر اربعون سنة وكانت مدة ملكه بعد ابيه ثلاث سنين وخمسين يوما رحمه الله نظر الخادم امير الحاج مدة عشر سنين واكثر وسمع الحديث وقرا على ابن الزاغوني وكان يحب العلم والصدق والبر وكان الحاج معه في غاية الدعة والامن وذلك لشجاعته ووجاهته عند الخلفا والملوك والامرا وكانت وفاته بعد رجوعه من اثنا طريق الحجاز ليلة الثلثا الحادي عشر من ذي القعدة ودفن بالرصافة

ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسماية

فيها فتح نور الدين محمود حصن افامية وهو من احصن القلاع وانزه البقاع وقيل في السنة التي قبلها وفيها قصد دمشق فلم يتفق له اخذها فخلع على ملكها مجير الدين ابق وعلى وزيره الرئيس ابن الصوفي وتقرر الحال على الخطبة له بها بعد الخليفة والسلطان وكذلك السكة وفيها فتح اعزاز واسر ملكها ابن جوسلين ففرح المسلمون بذلك كافة

ثم اسر بعده ولده هو سكين الملك الاجنبي فكانت الفرحة اعظم وفتح بعد اسره من بلاده
شيا كثيرا من الحصون ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة وفي المحرم حضر يوسف
الدمشقي تدريس النظامية وخلع عليه وحضر عنده الاعيان ولما لم يكن ذلك باذن
الخليفة بل برسوم السلطان وابن نظام الملك منع من ذلك فلزم بيته ولم يعد
الى المدرسة بالكلية وولي بعده الشيخ ابو النجيب باذن الخليفة وبرسوم السلطان
قال ابن الجوزي وفي هذه السنة وقع باليمن مطر كله دم حتى صبغ ثياب الناس

وممن توفي فيها

الحسن بن ذي النون بن ابي القاسم بن ابي الحسن ابو المفاخر النيسابوري قدم بغداد
فوعظ وجعل ينال من الاشعرية ناحية الحنابلة ثم اختبروه فاذا هو معتزلي فخفت سوقه
وجرت بسببه فتنة ببغداد وقد سمع منه ابن الجوزي شيا من شعره فمن ذلك

ماتت الكرام ومروا وانقضوا ومضوا •
ومات من بعدهم تلك الكرامات •
وخلفوني في قوم ذوي سفه • لو ابصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا •

عبد الملك بن عبد الوهاب الحنبلي القاضي بهاء الدين كان يعرف مذهبي ابي حنيفة
واحمد ويناظر عليهما دفن مع ابيه وجده بقبور الشهداء عبد الملك بن ابي نصر بن
عمر ابو المعالي الحنبلي كان فقيها صالحا ديِّنا متعبدا فقيرا ليس له بيت يسكنه وانما
يبيت بالمساجد المهجورة وقد خرج مع الحجيج فاقام بعرفة فكان اهلها يثنون عليه خيرا

ثم دخلت سنة ست واربعين وخمسمائة

فيها اغار جيش السلطان على بلاد الاسماعيلية فقتلوا خلقا ورجعوا سالمين وفيها
حاصر نور الدين دمشق شهرا ثم رحل عنها الى مدينة بصرى وكان الصلح على يدي
البرهان البلخي وفيها اقتتل الفرنج وجيش نور الدين محمود فانهزم المسلمون وقتل
منهم خلق فانا لله وانا اليه راجعون ولما وقع ذلك شق على الملك نور الدين وهجر اللذة
والنوم حتى ياخذ بالثار واغرى بهم جماعة من التركمان فترصدوا الملك جوسكين فلم يزالوا
به حتى اسروه في بعض متصيداته فارسل نور الدين فكبس التركمان واخذ منهم جوسكين اسيرا
وكان من اعيان الكفرة واعظم الفجرة لعنه فاوقفه نور الدين بين يديه ثم سجنه وسا
فتح بلاده كلها وفي ذي الحجة جلس ابن العبادي بجامع المنصور وتكلم عنده جماعة من
الاعيان وكادت الحنابلة تثير فتنة ذلك اليوم لكونه غير حنبلي وحج بالناس
قيماز الارجواني وممن توفي فيها الشيخ برهان الدين ابو الحسن علي البلخي شيخ الحنفية
بدمشق درس بالخمسية والخاتونية البرانية وكان عالما عاملا ورعا زاهدا ودفن بمقابر
باب الصغير

ثم دخلت سنة سبع واربعين وخمسمائة

فيها توفي السلطان مسعود وقام بالامر بعده اخوه ملكشاه بن محمود ثم جاء السلطان
محمد فاخذ الملك واستقر له وقتل الامير خاصبك واخذوا الذي القاه للكلاب
فاختبطت بغداد واضطربت الامور وتغيرت القواعد وبلغ الخليفة ان واسط قد
تخبطت ايضا فركب اليها في الجيش في ابهة عظيمة واصلح شانها وكر على الكوفة والحلة

ثم عاد الى بغداد فدخلها منصورا فزينت له البلد ولله الحمد وفيها ملك عبد المؤمن
صاحب بلاد المغرب بجاية وهي بلاد بني حماد وكان اخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد
ثم بعث جيشا الى صنهاجة فحاصرها واخذ اموالها وفيها كانت وقعة بين نور الدين
محمود وبين الفرنج فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا ولله الحمد والمنة وفيها اقتتل السلطان
سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسين اول ملوكهم فكسره سنجر واسره فلما احضره
بين يديه قال له ماذا كنت تصنع بي لو اسرتني فاخرج قيدا من فضة فقال كنت اقيدك بهذا
فعفى عنه واطلقه الى بلاده فسار الى غزنة فانتزعها من يد صاحبها بهرام شاه السبكتكيني
واستخلف عليها اخاه سيف الدين فغدر به اهل البلد وسلموه الى بهرام شاه فصلبه
ومات بهرام شاه قريبا فسار اليها علاء الدين فهرب خسرو بن بهرام شاه عنها
ودخلها علاء الدين فنهبها ثلاثة ايام وقتل بها بشرا كثيرا وسخر اهلها فحملوا ترابا
في مخالي الى محلة هناك بعيدة فعمر من ذلك التراب قلعة معروفة الى الان وبذلك انقضت
دولة بني سبكتكين عن بلاد غزنة وغيرها وكان ابتداء امرهم في سنة ست وستين وثلثمائة
وكانوا من خيار الملوك واكثرهم جهادا قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء ثم ملك الغور الهند وخراسان واتسعت ممالكهم وعظم سلطانهم
وحكى ابن الجوزي في المنتظم ان في هذه السنة باضت ديك بيضة واحدة وباض بازي
بيضتين وباضت نعامة ليس لها ذكر وهذا شيء عجيب

وممن توفي فيها

المظفر بن اردشير ابو منصور ابن العبادي الواعظ سمع الحديث ودخل بغداد فاملى بها ووعظ
وكان يكتب ما يعظ الناس به فاجتمع له من ذلك مجلدات قال ابن الجوزي لا يكاد يحصل
في المجلد منها حسن كلمات جيدة وتكلم بين يديه واطال الخط عليه واستحسن من كلامه قوله
وقد سقط مطر وهو يعظ الناس فغر الناس الى ما تحت الجدران فقال لا تفروا من رشاش
ماء رحمة قطر من سحاب نعمة ولكن فروا من شرار نار اقتدح من زناد الغضب جاوز الخمسين
بقليل مسعود السلطان بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق
التركي السلجوقي صاحب العراق وغيرها وحصل له من التمكن والسعادة شيء كثير لم يحصل
لغيره وجرت له خطوب طويلة وحروب كثيرة واسر في بعض تلك الحروب الخليفة
المسترشد كما تقدم وكانت وفاته يوم الاربعاء سلخ جمادى الاخرة من هذه السنة يعقوب
الخطاط الكاتب توفي بالنظامية فجاء ديوان الحشرية لياخذوا ميراثه لبيت
المال فمنعهم الفقهاء فجرت فتنة عظيمة آل الحال الى عزل مدرسها الشيخ ابي النجيب
وضربه تعزيرا بالديوان

ثم دخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة

فيها وقعت الحرب بين السلطان سنجر وبين الاتراك بلاد بلخ فقتلوا من جيشه خلقا
كثيرا جدا بحيث بقيت القتلى مثل التلال العظيمة واسروا السلطان سنجر وقتلوا
من كان معه من الامراء صبرا فلما استحضروه نزلوا الارض بين يديه وقالوا نحن
عبيدك وكانوا عدة من الامراء الكبار فاقام عندهم شهرين ثم جاوا معه فدخلوا مرو وهي
كرسي مملكة خراسان فسال له بعضهم ان يجعلها له اقطاعا فقال له هذا لا يمكن هذه كرسي المملكة

فتحكموا منه واضطر له بعضهم فنزل عن سرير المملكة ودخل خانقاه وصار فقيراً من جملة اهلها وتاب عن الملك واستحوذ اولئك الاتراك على البلاد فنهبوها وتركوها بلاقع قاعاً صفصفاً واقاموا سليمان شاه ملكاً فلم تطل ايامه حتى عزلوه وولوا ابن اخت سنجر الخاقان محمود بن محمد بن بغراخان وتفرقت الامور واستحوذ كل انسان على ناحية من تلك الممالك وصارت الدولة دولاً وفيها كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن وبين العرب ببلاد المغرب وفيها اخذت الفرنج مدينة عسقلان من السواحل وفيها خرج الخليفة الى واسط في جحفل فاصلحها ثم عاد الى بغداد وحج بالناس قيماز الارجواني

وممن توفي فيها

احمد بن منير بن احمد بن مفلح ابو الحسين الاطرابلسي الشاعر الرفا قال الحافظ ابن عساكر كان ابوه ينشد باسواق اطرابلس اشعار ابن العودي ويغني ونشأ ابو الحسين هذا فحفظ القرآن وتعلم العربية والادب وصار الى مذهب الامامية وكان رافضياً خبيثاً يكثر الهجو والفحش وقد سجنه بوري بن طغتكين بدمشق على سوء طريقته واراد قطع لسانه فاستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز فوهبه له ونفاه وذكر ابن عساكر من اشعاره طرفاً من ذلك قوله

واذا الكريم راى الخمول نزيله • في منزل فالحزم ان يترحلا
كالبدر لما ان تضاءل نوره • طلب الكمال فحازه متنقلا
وصلا لحجيرة بحجر قوم كلما • مطرتهم عسلا جنوا لك حنظلا
لله علمي بالزمان واهله • ذنب الفضيلة عندهم ان تكملا
طبعوا على لوم الطباع فخيرهم • ان قلت قال وان سكت تقولا

ثم روى ابن عساكر باسناده ان بعضهم راه بعد وفاته في المنام في شر خيبة ورايحته قبيحة فقال اتدري ما جرى علي من هذه القصايد التي كنت اقولها ان لساني قد طال وثخن وصار مثل البعير كلما انشدت قصيدة منها قد صار كلاباً يتعلقون في لساني قال الراوي ورأيت ناراً بيزا من فوق راسه لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فانتبهت مرعوباً وفيها كانت وفاة الشاعرين القيسرانيين المشهورين في الزمان الاخير بالفرزدق وجرير وهما ابو الحسين احمد بن الحوي بحلب وابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن القيسراني الحلبي بدمشق رحمهما الله وعلي بن السلار الملقب بالعادل وزير الظافر صاحب مصر وهو باني المدرسة بالاسكندرية للشافعية للحافظ ابي طاهر السلفي وقد كان العادل هذا اصله اسمه كان ظلوماً غشوماً خطوباً وقد ترجمه ابن خلكان

ثم دخلت سنة تسع واربعين وخمسماية

فيها ركب الخليفة المقتفي في جيش كثيف الى تكريت فحاصر قلعتها والتقى جمعاً هنالك من الاتراك والتركمان فاظفره الله بهم وهزمهم له واعلا كلمته عليهم ثم عاد الى بغداد مؤيداً منصوراً وجاءت الاخبار بان مصر قد قتل خليفتها الظافر ولم يبق منهم الا صبي صغير ابن خمس قد ولوه عليهم ولقبوه الفايز فكتب الخليفة عهداً للملك نور الدين محمود بن زنكي على البلاد الشامية والديار المصرية وارسله اليه وفيها هاجت ريح شديدة بعد العشا فيها نار وخاف الناس ان تكون الساعة وزلزلت الارض وتغير ماء دجلة الى الحمرة

وظهر

وظهر بارض واسط من الارض دم لا يعرف سببه وجاءت الاخبار بان الملك سنجر انه في اسر الترك في غاية الاهانة والذلة وانه يبكي على نفسه في كل وقت وفيها انتزع الملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق من يد ملكها مجير الدين ابق بن محمد بن بوري بن طغتكين وذلك لسوء سيرته وضعف دولته ومحاصرة العامة له في القلعة غير مرة مع وزيره الرئيس مؤيد الدولة علي بن الصوفي وتغلب الخادم عطا على المملكة مع ظلمه وغشمه فكان الناس يدعون الله ليلاً ونهاراً ان يبدلهم غيره بالملك نور الدين فارسل نور الدين بين يديه الامير اسد الدين شيركوه في الف فارس في صفة طلب الصلح فلم يلتفت اليه مجير الدين ولا خرج اليه احد من اهل البلد فكتب الى نور الدين بذلك وما جرى له واتفق ان الفرنج اخذوا مدينة عسقلان فحزن الملك نور الدين على ذلك ولا يمكنه الوصول اليهم لان دمشق بينهم وبينه وخشي ان يحاصر دمشق بعسف فيبعث ملكها الى الفرنج فيجدونه كما جرى غير مرة لان الفرنج لا يحبوا ان يملك نور الدين دمشق لانه يتقوى بها عليهم ولا يطيقونه اذا ذاك فركب الملك نور الدين في جيشه ونزل على عيون الفاسريا ثم انتقل الى قريب من الباب الشرقي ففتحها قهراً ودخل البلد بعد حصار عشرة ايام وكان دخوله يوم الاحد عاشر صفر من هذه السنة وتحصن مجير الدين في القلعة فانزله منها وعوضه مدينة حمص ودخل نور الدين القلعة واستقرت يده على دمشق ولله الحمد فنادى في البلد بالامان وان يبشر الناس بالخير ورفع عنهم المكوس وقرئت التواقيع بذلك على المنبر ففرح المسلمون واكثروا الدعا له وكتبت ملوك الفرنج اليه يهنونه ويتقربون اليه ويخضعون له

وممن توفي فيها من الاعيان

الرئيس مؤيد الدولة علي بن الصوفي وزير دمشق لمجير الدين ابق وقد ثار على الملك غير مرة وكان يستفحل امره ثم يقع الصلح بينهما كما تقدم وعطا الخادم احد امراء دمشق وقد تغلب على الامور ايام مجير الدين ابق المذكور وكان ينوب ببعلبك في بعض الاحيان وكان ظالماً غاشماً وهو الذي ينسب اليه مسجد عطا خارج باب شرقي

سنة خمسين وخمسماية

فيها خرج الخليفة المقتفي لامر الله في جحفل عظيم الى دقوقا فحاصرها فخرج اليه اهلها فسألوه ان يرحل عنهم فان اهلها مسلمون قد سلكوا بين الجيشين فاجابهم ورحل عنهم وعاد الى بغداد بعد شهرين ونصف ثم خرج نحو الحلة والكوفة والجيش بين يديه وقال له سليمان شاه انا ولي عهد سنجر فان قررتني في ذلك والا فانا كاحد الامرا فوعده خيراً وكان يحمل الغاشية بين يدي الخليفة على كاهله تجملا بالامور واطرائها وسلم على مشهد علي ثم اشار باصبعه وكان قد عزم على دخول المشهد لاعتباره فنهاه الوزير ابن هبيرة عن ذلك لانه خاف عليه من غايلة الروافض والله اعلم وفيها انتزع نور الدين بعلبك عوداً على بدء وذلك ان نجم الدين كان نايباً على البلد والقلعة سلمها الى رجل يقال له الضحاك البقاعي فكاتب نجم الدين لنور الدين ولم يزل نور الدين يتلطف حتى اخذ القلعة ايضاً واستدعى نجم الدين اليه الى دمشق فاقطعه اقطاعات واكرمه من اجل اخيه اسد الدين فانه كانت له اليد الطولى في فتح دمشق للملك العادل نور الدين وجعل الامير شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين شحنة دمشق ثم من بعده جعل اخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة وجعله من خواصه لا يفارقه

حضرا ولا سيما انه كان حسن الشكل حسنا للعب بالكرة وكان نور الدين يحب لعب الكرة لتمرين الخيل ويعلمها الكر والفر وفي شحنكية صلاح الدين يوسف يقول عرقلة الشاعر

ذروا بدكم بالصوص الشآم • فاني لكم ناصح في مقالي •
واياكم وسمي النبي يوسف • رب الحجى والجمال •
فذاك يقطع ايدي النساء • وهذا يقطع ايدي الرجال •

ثم تملك اخوه توران شاه هذه البلاد اليمن فيما بعد ذلك وكان يلقب شمس الدولة

وممن توفي فيها من الاعيان

محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ ابو الفضل البغدادي ولد ليلة النصف من شعبان سنة سبع وستين واربعمائة وسمع الكثير وتفرد بمشايخ وكان حافظا ضابطا مكثرا من اهل السنة كثير الذكر سريع الدمعة وقد تخرج به جماعة منهم الشيخ ابو الفرج بن الجوزي سمع بقراءته مسند الامام احمد وغيره من الكتب الكبار وكان يثني عليه كثيرا وقد رد على ابي سعد السمعاني في قوله في محمد بن ناصر يحب ان يقع في الناس قال ابن الجوزي والكلام في الجرح والتعديل ليس من هذا القبيل وانما ابن السمعاني يحب ان يتعصب على اصحاب الامام احمد نعوذ بالله من سوء القصد والتعصب وكانت وفاة محمد بن ناصر ليلة الثلثاء الثامن عشر من شعبان من هذه السنة عن ثلاث وثمانين سنة وصلي عليه مرات ودفن بباب حرب رحمه الله يحيى بن حبيش بن نجا ابو المعالي المخزومي الارسوفي ثم المصري قاضيها الفقيه الشافعي مصنف الذخائر في المذاهب وفيها غرائب كثيرة وهو من الكتب المفيدة

ح

ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة

فيها في المحرم منها دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان السلجوقي الى بغداد وعلى راسه الشمسة فتلقاه الوزير ابن هبيرة وادخله على الخليفة فقبل الارض وحلفه على الطاعة وصفاء النية والمناصحة والمودة وخلع عليه خلع الملوك وتقرر ان الخليفة العراق ولسليمان شاه ما يفتحه من خراسان ثم خطب له ببغداد بعد الملك سنجر ثم خرج منها في ربيع الاول فاقتتل هو والسلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملك شاه فهزمه محمد وهزم عسكره فذهب هاربا فتلقاه نائب قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل فاسره وحبسه بقلعة الموصل واكرمه مدة حبسه وخدمه وهذا من اغرب الاتفاقات وفيها ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد وفيها فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حارم وانتزعها من ايدي الفرنج وكانت من احصن القلاع وامنع البقاع وذلك بعد قتال عظيم ووقعة هائلة كانت من اكبر الفتوحات وقد امتدحه الشعراء عند ذلك وفيها هرب الملك سنجر من اسر الترك الغز العادي عليه وعاد الى ملكه بمرو وكان له في ايديهم نحو من خمس سنين وفيها استعمل عبد المؤمن اولاده على بلاده فاستناب كل واحد في بلد كبير

ذكر حصار بغداد

وسبب ذلك ان السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملك شاه ارسل الى الخليفة المقتفي بامر الله وطلب منه ان يخطب له ببغداد فلم يجبه الى ذلك فسار من همذان الى بغداد ليحاصرها فانجفل الناس وحصن الخليفة البلد وجاء السلطان محمد فحضر بغداد ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم ورموا نحوه بالنشاب وقاتلت العامة قتالا عظيما بالنفط وغيره واستمر القتال الى مدة فبينما هم كذلك اذ بلغ السلطان ان اخاه قد خلفه في همذان فانشمر عن بغداد راحلا الى همذان في ربيع الاول من سنة ثنتين وخمسين فتفرقت العساكر الذين كانوا معه في البلاد واصاب الناس بعد هذا القتال مرض شديد وموت ذريع واحترقت محال كثيرة من بغداد واستمر ذلك فيها مدة شهرين وفيها اطلق ابو البدر بن الوزير ابن هبيرة من قلعة تكريت وكان له فيها معتقلا ثلاث سنين فتلقاه الناس الى اثناء الطريق وامتدحه الشعراء وكان في جملتهم الابلة الشاعر انشد الوزير قصيدة يقول في اولها

• باي لسان للوشاة الائم • وقد علموا اني سهرت ونا موا •

الى ان قال

• ويستنكر وا الوصل الذي كان ليلة • وقد مر عام بالصدود وعام •

فطرب الخليفة عند ذلك وخلع عليه ثيابه واطلق له خمسين دينارا وحج بالناس فيها ز

وممن توفي فيها

علي بن الحسين ابو الحسن الغزنوي الواعظ كان له قبول كثير من العامة وبنت له الخاتون زوجة المستظهر رباطا بباب الازج ووقفت عليه اوقافا كثيرة وحصل له جاه عريض وزاره السلطان وكان حسن الايراد مليح الوعظ يحضر مجلسه خلق كثير وجم غفير من اصناف الناس وقد استملح ابن الجوزي اشياء من وعظه قال سمعته يوما يقول حزمة حزن خير من اعدال اعمال ثم انشد

• كم حسرة لي في الحشا من ولد اذ نشا • املت فيه رشده فما نشا كما نشا •

قال وسمعته يوما ينشد

• يحسد في قومي على صنعتي • لانني في صنعتي فارس •
• سهرت في ليلي واستنعسوا • هل يستوي الساهر والناعس •

قال وكان يقول تقول اليهود والنصارى يسبون نبيكم في يوم عيدهم ويصبحون يجلسون الى جانبكم ثم يقول الا اثل بلغت قال وكان يتشيع ثم شيعه من الوعظ ثم اذن له ولكن ظهر للناس ابن العبادي وكان كثير من الناس يميلون اليه وقد كان السلطان مسعود يعظمه ويحضر مجلسه فلما مات السلطان مسعود ذل الغزنوي بعده واهين اهانة بليغة بالغة فمرض ومات في المحرم من هذه السنة قال ابن الجوزي وبلغني انه كان يورق في فرعه ثم يفيق وهو يقول رضى وتسليم ولما مات دفن في رباطه الذي كان فيه محمد بن اسماعيل بن تادوس ابو الفتح الدمياطي كاتب الانشاء بالديار المصرية وهو شيخ القاضي الفاضل وكان يتميز دال البلاغتين ذكره العماد الكاتب في الخريدة واثنى عليه ومن شعره فيمن يكرر التكبيرة اول الصلاة

• وفاتر النية عنينها • مع كثرة الرعدة والهمزة •
• يكبر السبعين في مرة • كانه صلى على حمزة •

الشيخ ابو البيان

سا بن محمد المعروف بابن الحوراني الفقيه الزاهد العابد الناسك الخاشع قدس الله روحه قرأ القرآن وكتاب التنبيه على مذهب الشافعي وكان حسن المعرفة باللغة كثير المطالعة وله كلام يؤثر عنه ورأيت له كتابا بخطه فيه النظائر التي له يعنون بها اصحابه واتباعه بالمحجة غريبة وقد كان من نشأته الى أن توفي على طريقة صالحة وقد زاره الملك نور الدين في رباطه داخل درب الحجر ووقف عليه شيئا وكانت وفاته في يوم الثلثاء الثالث من ربيع الاول من هذه السنة ودفن قبالة باب الصغير وكان يوما مشهودا وقد ذكرته في طبقات الشافعية رح عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر ابن محمد بن عبد الغافر بن احمد بن سعيد الفارسي الحافظ تفقه بامام الحرمين وسمع الكثير على جده لأمه أبي القاسم القشيري ورحل الى البلاد واسمع الكثير وصنف المفهم في غريب مسلم وغيره وولي خطابة نيسابور وكان فاضلا بارعا دينا حافظا

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

استهلت هذه السنة ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد والعامة والجند من جهة الخليفة المقتفي يقاتلون أشد القتال والجمعة لا تقام لعذر القتال وفي الفتنة كبيرة ثم يسر الله بذهاب السلطان كما تقدم وذكر ذلك في السنة التي قبلها وقد بسط ذلك ابن الجوزي في هذه السنة تطول وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام هلك بسببها خلق لا يعلمهم الا الله وتهدم أكثر حلب وحماه وشيزر وحمص وكفرطاب وحصن الاكراد واللاذقية والمعرة وانطاكية وطرابلس قال ابن الجوزي فاما شيزر فلم يسلم منها الا امرأة وخادم لها وهلك الباقون واما كفرطاب فلم يسلم منها احد وأفامية ساخت قلعتها وتل حران انقسم نصفين فابدى نواويس وبيوتا كثيرة في وسطه قال وهلك من مدارس الافرنج شيء كثير وتهدم اسوار اكثر مدن الشام حتى ان مكتبا بحماه انهدم على الصبيان فهلكوا عن آخرهم فلم يجئ أحد يسأل عن واحد منهم وفيها مرض نور الدين فأرجف الشام بموته ثم عوفي ففرح المسلمون به فرحا شديدا وقد ذكر هذا الفصل الشيخ ابو شامة في كتاب الروضتين مستقصى وذكر ما قاله الشعراء في ذلك وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بن خالة سنجر جميع بلاده وفيها فتح السلطان نور الدين محمود بن زنكي حصن شيزر بعد حصار شديد واخذ مدينة بعلبك وكان بها الضحاك البقاعي وقد قيل ان ذلك كان في سنة خمسين كما تقدم والله اعلم وفيها مرض نور الدين فأرجف الشام بموته ثم عوفي ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا واستولى اخوه قطب الدين مودود على ابن جزيرة ابن عمر وفيها عمل الخليفة بابا للكعبة مصفحا بالذهب واخذ بابها الاول فجعله لنفسه تابوتا وفيها اغارت الاسماعيلية على حجاج خراسان فلم يبقوا منهم احدا لا زاهدا ولا عالما وفيها كان غلاء شديد بخراسان حتى اكلوا الحشرات وذبح انسان رجلا علويا فطبخه وباعه في السوق فحين ظهر عليه قتل وفيها قدم الشيخ ابو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب السجزي فسمع عليه البخاري في دار الوزير وحج بالناس فيها وذكر ابو شامة ان فتح بانياس كان في هذه السنة على يدي الملك نور الدين بنفسه وقد كان معين الدين انر سلمها الى الفرنج صلحا عند حصار دمشق حين حاصروها فقتل ملكها الكبرى وغنم شيئا كثيرا ولله الحمد وممن توفي فيها من الاعيان احمد بن عمر بن محمد بن احمد بن اسماعيل

ابو الليث

ابو الليث النسفي من اهل سمرقند سمع الحديث وتفقه ووعظ وكان حسن السمت قدم بغداد فوعظ ثم عاد الى بلده فقتله قطاع الطريق رح احمد بن بختيار بن علي بن محمد ابو العباس الماندائي الواسطي قاضيها سمع الحديث وكانت له معرفة تامة بالادب واللغة وصنف كتبا في التاريخ وغير ذلك وكان ثقة صدوقا توفي ببغداد وصلي عليه بالنظامية السلطان سنجر بن ملك شاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابو الحارث واسمه احمد ولقب بسنجر ومولده في رجب سنة تسع واربعين واربعمائة وقام في الملك نيفا وستين سنة من ذلك استقلالا احدى واربعين سنة وقد أسره الغز نحوا من خمس سنين ثم هرب منهم وعاد الى ملكه ثم مات وكانت وفاته في ربيع الاول من هذه السنة ودفن في قبة بناها سماها دار الآخرة رح محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت ابو بكر الخجندي الفقيه الشافعي ولي تدريس النظامية ببغداد وكان يناظر حسنا ويعظ الناس وحوله السيوف مسللة قال ابن الجوزي ولم يكن ماهرا بالوعظ وكان اشبه بالوزراء من العلماء وتقدم عند السلاطين حتى كانوا يصدرون عن رأيه توفي باصبهان فجاة في هذه السنة محمد بن المبارك بن محمد بن الخل ابو الحسن بن ابي البقاء سمع الحديث وتفقه على الشاشي ودرس وافتى وتوفي في محرم هذه السنة وتوفي اخوه الشيخ ابو الحسين ابن الخل الشاعر في ذي القعدة منها يحيى بن عيسى بن ادريس ابو البركات الانباري الواعظ قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه ووعظ الناس على طريقة الصالحين وكان يبكي من اول صعوده الى حين نزوله وكان عابدا زاهدا ورعا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ورزق اولادا صالحين سماهم باسم الخلفاء الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحفظهم القرآن كلهم وختم خلقا كثيرا وكان هو وزوجته يصومان الدهر ويقومان الليل ولا يفطران الا بعد العشاء وكانت له كرامات ومنامات صالحة ولما مات قالت زوجته اللهم لا تحييني بعده فماتت بعده بخمسة عشر يوما وكانت من الصالحات رحمهما الله

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

فيها كثر فساد التركمان من اصحاب ابن برجم الايواني فجهز اليهم سنكورش المسترشدي في جيش كثيف فالتقوا معهم فهزموهم قبح هزيمة وجاؤا بالاسارى والرؤوس الى بغداد وفيها كانت وقعة عظيمة بين الغز والملك محمود فكسروه وقتلوا من اصحابه وغيرهم خلقا كثيرا ونهبوا البلاد واقاموا بمرو ثم انهم طلبوه اليهم فخاف على نفسه فارسل ولده بين يديه فاكرموه ثم قدم عليهم فاجتمعوا عليه وعظموه وفيها وقعت فتنة كبيرة بمرو بين نقيب الشافعية المؤيد بن الحسين وبين نقيب العلويين بها ابي القاسم زيد بن الحسن فقتل بينهم خلق عظيم واحترقت المساجد والمدارس والاسواق وانهزم المؤيد الشافعي الى بعض القلاع وفيها ولد الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضيء بامر الله وفيها خرج المقتفي نحو الانبار متصيدا وعبر الفرات وزار الحسين ومضى الى واسط وعاد الى بغداد ولم يكن معه الوزير وفيها كسر جيش مصر الفرنج بارض عسقلان كسرة فظيعة صحبة الملك الصالح ابو الغارات فارس الدين طلائع بن رزيك وامتدحه الشعراء وفيها قدم الملك نور الدين من حلب الى دمشق وقد شفي من المرض ففرح به المسلمون وخرج الى قتال الفرنج فانهزم جيشه وبقي هو في شرذمة من اصحابه في لجة العدو فرموهم

بالسهام الكثيرة ثم خافوا ان يكون دخوله في هذه السنة من القبلة فخرجوا اليهم فنصر وا فهزموهم ولله الحمد وحج بالناس قيماز الارجواني

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الاول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم بن اسحاق ابو الوقت السجزي الصوفي الهروي راوي البخاري ومسند الدارمي والمنتخب من مسند عبد بن حميد قدم بغداد فسمع عليه الناس هذه الكتب وكان من خيار المشايخ واحسنهم سمتا واصبرهم على قراءة الحديث قال ابن الجوزي اخبرني ابو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال اسندته الى صدري فكان اخر ما تكلم به ان قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين نصر بن منصور بن الحسين بن احمد بن عبد الخالق العطار ابو القسم الحراني كان كثير المال يعمل من صدقاته المعروف الكثير من انواع القربات الحسنة ويكثر تلاوة القران ويحافظ على الصلاة في الجماعة ورويت له منامات صالحة وتاريخ لشمانين يحيى بن سلامة ابن الحسين بن محمد ابو الفضل الشافعي الحصكفي نسبة الى حصن كيفا كان اماما في علوم كثيرة من الفقه والادب ناظما ناثرا غير انه كان ينسب الى الغلو في التشيع وقد اورد له ابن الجوزي قطعة من نظمه فمن ذلك قوله في جملة قصيدة

تقاسموا يوم الوداع كبدي ... فليس لي منذ تولوا كبد
على الجفون رحلوا وفي الحشا ... قيلوا وماء عيني وردوا
وادمعي مسفوحة وكبدي ... مقروحة وعلتي ما تبرد
وصبوتي دائمة ومقلتي ... دامية ونومها مشرد
يثنيني منهم غزال اغيد ... يا حبذا ذاك الغزال الاغيد
حسامه مجرد وصرحه ... ممرد وخده مورد
وصدغه فوق احمرار خده ... مبلبل معقرب مجعد
كانما نكهته وريقه ... مسك وخمر والثنايا برد
يقعده عند القيام ردفه ... وفي الحشا منه المقيم المقعد
له قوام كقضيب بانة ... يهتز قضبا ليس فيه اود

وهي طويلة جدا ثم خرج من هذا التغزل الى مدح اهل البيت والايمة الاثني عشر رحمهم الله حيث يقول

وسايلي عن حب اهل البيت ... هل اقر اعلانا به ام اجحد
هيهات ممزوج بلحمي ودمي ... حبهم وهو الهدى والرشد
حيدرة والحسنان بعده ... ثم علي وابنه محمد
وجعفر الصادق وابن جعفر ... موسى ويتلوه علي السيد
اعني الرضا ثم ابنه محمد ... ثم علي وابنه المسدد
والحسن التالي ويتلوه لوه ... محمد بن الحسن المفتقد
فانهم ايمتي وسادتي ... وان لحاني معشر وفندوا
ايمة اكرم بهم ايمة ... اسماؤهم مسرودة تطرد
هم حجج الله على عباده ... وهم اليه منهج ومقصد

قوم لهم فضل ومجد باذخ ... يعرفه المشرك والموحد
قوم لهم في كل ارض مشهد ... لا بل لهم في كل ارض مشهد
قوم منى والمشعران لهم ... والمروتان لهم والمسجد
قوم لهم مكة والابطح ... والخيف وجمع والبقيع الغرقد

ثم ذكر مقتل الحسين بالطف الى ان قال

يا اهل بيت المصطفى ... يا عدتي ومن على حبهم اعتمد
انتم الى الله غدا وسيلتي ... وكيف اخشى وبكم اعتضد
وليكم في الخلد حي خالد ... والضد في نار لظى مخلد
ولست اهواكم ببغض غيركم ... اني اذا اشقى بكم لا اسعد
فلا يظن رافضي انني ... وافقته او خارجي مفسد
محمد والخلفاء بعده ... افضل خلق الله فيما اجد
هم اسسوا قاعدة الدين لنا ... وهم بنوا اركانه وشيدوا
ومن يخن احمد في اصحابه ... فخصمه يوم المعاد احمد
هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا ... هذا طريقي فاسلكوه تهتدوا
والشافعي مذهبي مذهبه ... لانه في قوله مؤيد
اتبعه في الاصل والفرع معا ... فليتبعني الطالب المسترشد
اني باذن الله ناج سابق ... اذا ونى الظالم والمفند

ومن شعره

اذا قل مالي لم تجدني ضارعا ... كثير الاسى مغرى بعض الانامل
ولا بطرا ان جدد الله نعمة ... ولو ان ما اوتي جميع الانام لي

توفي رح في ربيع الاول من هذه السنة بميافارقين

ثم دخلت سنة اربع وخمسين وخمسماية

فيها مرض الخليفة المقتفي مرضا شديدا ثم عوفي فزينت له بغداد اياما وتصدق بصدقات عظيمة كثيرة وفيها استعاد عبد المومن مدينة المهدية من ايدي الفرنج وقد كانوا اخذوها من المسلمين في سنة ثلاث واربعين وقتل خلقا عظيما ببلاد المغرب حتى صار عظام القتلى هنالك كالتل العظيم فانا لله وانا اليه راجعون وفي صفر سقط برد بالعراق كبار زنة البردة قريب من خمسة ارطال وفيها ما هو نصف خمسة ارطال ببغداد فهلك بذلك شي كثير من الغلات وخرج الخليفة الى واسط فاجتاز بيوتها ورأى جامعها وسقط عن فرسه فشج جبينه ثم عوفي وفي ربيع الاخر زادت دجلة زيادة عظيمة فغرقت بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد حتى صار اكثر الدور بها تلولا وغرقت تربة الامام احمد وخسفت تلك القبور وطفت الموتى على وجه الماء قال ابن الجوزي وفي هذه السنة كثر المرض والموت وفيها اقبل ملك الروم في جحافل قاصدا بلاد الشام فرده الله خايبا خاسرا وذلك لضيق حالهم من الميرة واسر المسلمون ابن اخته ولله الحمد والمنة وحج بالناس في هذه السنة قيماز الارجواني

وممن توفي فيها من الاعيان

احمد بن معالي بن بركة الحربي تفقه بابي الخطاب الكلوذاني وبرع في المناظرة ودرس وافتى
ثم صار شافعيا ثم عاد حنبليا ووعظ ببغداد وتوفي في هذه السنة دخلت به دابته
في مكان ضيق فدخل فربوس سرجه في صدره رحمه الله السلطان محمد شاه بن محمود بن محمد
بن ملك شاه بن الب ارسلان لما رجع من محاصرة بغداد الى همذان اصابه مرض السل فلم يبرح
منه بل توفي في ذي الحجة من هذه السنة وقبل وفاته بايام امر ان يعرض عليه جميع ما يملكه ويعدد
عليه وهو جالس في المنظرة فركب الجيش بكماله واحضر اموال الدكاكين وما لا يكد حتى جواره
وحظاياه فجعل يبكي ويقول هذه العساكر لا يدفعون عني مثقال الذرة ولا يزيدون في عمري
لحظة ثم تاسف على ما كان منه الى الخليفة المقتفي واهل بغداد وحصارهم واذيتهم ثم
فرق شيا كثيرا من تلك الحواصل والاموال وتوفي عن ولد صغير رحمه الله فاجتمعت العساكر
والامرا على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملك شاه وكان مسجونا بالموصل فافرج عنه وانعقدت
السلطنة له وخطب له على تلك البلاد سوى بغداد والعراق

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسماية

ذكر وفاة الخليفة المقتفي وخلافة المستنجد

فيها كانت وفاة الخليفة المقتفي بامر الله ابو عبد الله محمد بن المستظهر بالله وامه
تسمى لدعوة سنا السادة سراس حبار الجوار مرض بالتراقي وقيل بحمل خرجت
في حلقه فمات ليلة الاحد ثاني ربيع الاول من هذه السنة عن ست وستين سنة الا ثمانية
وعشرين يوما وكانت خلافته اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وستة عشر يوما وهو دفن
بدار الخلافة ثم نقل الى الترب وقد كان شهما شجاعا مقداما يباشر الامور بنفسه
ويشاهد الحروب ويبذل الاموال الكثيرة لاصحاب الاخبار وهو اول من استبد بالعراق منفردا
عن السلاطين من اول ايام الديلم الى ايامه وتمكن في الخلافة وحكم على العسكر والامرا وقد
وافق اباه في اشيا من ذلك مرضه بالتراقي وموته في ربيع الاول وتقدم موت السلطان محمد
شاه قبله بثلاثة اشهر وكذلك المستظهر مات قبله محمود بثلاثة وبعد غرق بغداد
بسنة وكذا الاخر قال عفيف الناسخ رايت في المنام قايلا يقول اذا اجتمعت ثلاث
خاآت مات المقتفي يعني سنة خمس وخمسين وخمسماية

خلافة المستنجد بالله

ابي المظفر يوسف بن المقتفي

لما توفي ابوه كما ذكرنا بويع هو في صبيحة يوم الاحد ثاني ربيع الاول من هذه السنة
بايعه اشراف بني العباس ثم الوزير والقضاة والعلما والامرا وعمره يوميذ خمس
واربعون سنة وكان رجلا صالحا وكان ولي عهد ابيه من مدة متطاولة ثم عمل عزا ابيه
ولما خطب له يوم الجمعة نثرت الدراهم والدنانير على الناس وفرح المسلمون به بعد ابيه
واقر الوزير ابن هبيرة على منصبه ووعده بذلك الى الممات وعزل قاضي القضاة ابن
الدامغاني وولي مكانه ابا جعفر عبد الواحد بن الثقفي وكان شيخا كبيرا له سماع بالحديث
وباشر الحكم بالكوفة مدة فتوفي في ذي الحجة من هذه السنة فولي مكانه ولده جعفر المذكور
وفي شوال من هذه السنة اتفق الاتراك بباب همذان على خلع سليمان شاه وخطبوا

لارسلان شاه بن طغرل وفيها توفي الفايز بنصر الله الفاطمي صاحب مصر وهو ابو القسم
عيسى بن اسماعيل الظافر وكانت وفاته في صفر وعمره يوميذ احدى عشرة سنة ومدة ولايته
من ذلك ست سنين وشهران وكان مدبر دولته ابو الغارات ثم قام بعده العاضد
اخر خلفايهم وهو ابو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ولم يكن ابوه خليفة وكان
يوميذ قد ناهز الاحتلام فقام بتدبيره مملكته الملك الصالح طلايع بن رزيك الوزير
اخذ له البيعة وزوجه بابنته وجهزها بامر عظيم وقد عمرت بعد زوجها العاضد وبعد
زوال دولة الفاطميين على يدي الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي في سنة
اربع وستين كما سياتي مفصلا ان شا الله تعالى وفيها كانت وفاة السلطان
الكبير صاحب غزنة خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن
محمود بن سبكتكين من بيت الملك ورياسة باذخة تورثها كابرا عن كابر وكان من سادات
الملوك احسنهم سيرة يحب العلم واهله وكانت وفاته في رجب من هذه السنة وقام
من بعده ولده ملك شاه فسار اليه علا الدين بن ملك الغور فحاصره في غزنة
مدة فلم يقدر عليها فرجع خايبا وفيها مات ملك شاه بن السلطان محمود بن محمد
بن ملك شاه بن الب ارسلان السلجوقي باصبهان مسموما فقال الناس الوزير عون
الدين بن هبيرة انفذ اليه من سقاه اياه فالله اعلم وفيها سقط امير الحاج قايماز
بن عبد الله الارجواني من فرسه وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفة فسال دماغه من
اذنه فمات من ساعته رحمه الله وقد كان من خيار الامرا فاسف الناس عليه وحضر جنازته
خلق كثير وكان في شعبان من هذه السنة فحج بالناس فيها الامير برغش مقطع الكوفة
وحج في هذه السنة الامير الكبير سيركوه بن شاذي مقدم عساكر الملك نور الدين محمود
بن زنكي وتصدق باموال كثيرة وفيها استعفى القاضي زكي الدين ابو الحسن علي بن
محمد بن علي القرشي من القضا بدمشق فاعفاه الملك نور الدين وولى مكانه القاضي كمال
الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري وكان من خيار القضاة واكثرهم صدقة وله صدقات
جارية بعده وكان عالما بارعا وهو الذي ينسب اليه الشباك الكمالي الذي يجلس فيه
الحكام في الجامع بعد صلاة الجمعة

وممن توفي فيها من الاعيان

الامير مجاهد الدين بزان بن مامين الكردي احد مقدمي جيش الشام قبل الملك نور
الدين وبعده وقد ناب في مدينة صرخد مدة وكان شهما شجاعا كثير البر والصدقات
والصلات وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من النورية وله المدرسة المجاهدية
التي داخل باب الفراديس البراني وبها قبره وله السبع المجاهدي داخل باب الزيادة من
الجامع بمقصورة الخضر وكانت وفاته بداره في صفر من هذه السنة فحمل الى الجامع وصلي
عليه ثم اعيد الى المدرسة فدفن بها داخل باب الفراديس وتاسف الناس عليه رحمه الله
الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان الهكاري شيخ الطايفة العدوية
اصله من البقاع غربي دمشق من قرية بيت فار ثم رحل الى بغداد فاجتمع فيها بالشيخ
عبد القادر والشيخ حماد الدباس والشيخ عقيل المنبجي وابي الوفا الحلواني وابي النجيب
السهروردي وغيرهم ثم انفرد بجبل هكار وبنى له هنالك زاوية واعتقد فيه اهل تلك

في الناحية اعتقادا بليغا حتى ان منهم من يغلو فيه غلوا كبيرا منكرا ثم كانت وفاته في هذه السنة بزاويته وله تسعون سنة عبد الواحد بن احمد بن محمد بن حمزة ابو جعفر الثقفي قاضي قضاة بغداد وليها بعد عزل ابي الحسن بن الدامغاني في اول هذه السنة وقد كان قاضيا بالكوفة قبل ذلك ثم كانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة وقد ناهز الثمانين وولي بعده ولده جعفر النسائي صاحب مصر تقدم في الحوادث فيماز الارجوالي تقدم ايضا الخليفة المقتفي ابو عبد الله محمد بن ابي العباس احمد بن المستظهر تقدمت ترجمته عند وفاته محمد بن يحيى بن علي بن مسلم ابو عبد الله الزبيدي مولده بمدينة زبيد تقريبا سنة ثمانين وقدم بغداد سنة تسع وخمسماية فوعظ وكانت له معرفة بالنحو والادب وكان صبورا على الفقر لا يشكوا حاله الى احد وكانت له احوال صالحة رح

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسما

فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملك شاه وكان عنده تهور وقلة مبالاة بالدين يدمن شرب الخمر حتى في رمضان فثار عليه مدبر مملكته كردبازه الخادم فقتله وبايع بعده السلطان ارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملك شاه وفيها قتل الملك الصالح فارس الدين ابو الغارات طلائع بن رزيك الارمني وزير العاضد صاحب مصر وذا الدين وحبه وكان قد حجر على العاضد لصغره واستحوذ على الامور فقتله الخاصة وولي بعده ولده رزيك ولقب بالعادل وقد كان ابوه الصالح كريما اديبا يحب اهل العلم ويحسن اليهم من خيار الملوك والوزرا قد امتدحه غير واحد من الشعرا والادبا قال القاضي ابن خلكان كان واليا بمنية بني خصيب ثم آل به الحال الى ان وزر للفائز وذلك بعد وزارة عباس في سنة تسع واربعين ثم لما هلك في هذه السنة قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سياتي قال والصالح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة قال ومن العجايب انه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر وقتل في تاسع شهر ونقل من دار الوزارة الى القرافة في تاسع عشر شهر اخر وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر اخر قال ومن شعره مما رواه عنه الواعظ زين الدين علي بن نجا الحنبلي وهو قوله

• مشيبك قد نضى صبغ الشباب • وحل البازي في وكر الغراب •
• تنام ومقلة الحدثان يقظى • وما ناب النوائب عنك نابي •
• وكيف بقاء عمرك وهو كنز • وقد انفقت منه بلا حساب •

وقوله

• كم ذا يرينا الدهر من احداثه • عبرا وفينا الصد والاعراض •
• ننسى الممات وليس يجري ذكره • فينا فتذكرنا به الامراض •

ومن شعره الجيد ايضا قوله

• ابى الله الا ان يدين لنا الدهر • ويخدمنا في ملكنا العز والامر •
• علمنا بان المال تفنى الوفه • ويبقى لنا من بعده الاجر والذكر •
• خلطنا الندى بالباس حتى كاننا • سحاب لديه البرق والرعد والبرق •

وله ايضا مما نظمه قبل موته بثلث ليال

نحن

• نحن في غفلة ونوم • وللموت عيون يقظانة لا تنام •
• قد رحلنا الى الحمام سنينا • ليت شعري متى يكون الحمام •

ثم قتله غلمان العاضد في الدهليز وله احدى وستون سنة وخلع على ولده العادل بالوزارة ورثاه عمارة اليمني بقصايد حسان ويوم نقل من دار الوزارة الى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل الى قبره في التابوت قال القاضي ابن خلكان نقل الفقيه عمارة في ذلك قصيدة طويلة اجاد فيها فمن ذلك في صفة التابوت قوله

• وكانه تابوت موسى اودعت • في جانبيه سكينة ووقار •

وفيها اوقعت بنو خفاجة باهل الكوفة وقعة عظيمة فقتلوا خلقا منهم الامير قيصر وجرحوا امير الحاج ابن قيصر جراحات فنهض اليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة في جيش فتبعهم حتى اوغلوا في البرية فبعثوا يطلبون العفو وفيها ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن ابي هاشم وقيل قاسم بن فليتة بن قاسم بن ابي هاشم وفيها امر الخليفة المستنجد بازالة الدكاكين التي تضيق الطرقات وان لا يجلس احد من الباعة في عرصة الطرقات لئلا تضر بالعامة المارة وفيها وقع رخص عظيم ببغداد جدا وفيها فتحت المدرسة التي بناها ابن الشمحل في المامونية ودرس فيها ابو حكيم بن هم بن دينار النهرواني الحنبلي وقد توفي في اخر هذه السنة ودرس فيها بعده الشيخ ابو الفرج بن الجوزي وقد كان عنده معيدا ونزل له عن تدريس مدرسة باب الازج عند موته

وممن توفي فيها من الاعيان

حمزة بن علي بن طلحة ابو الفتوح الحاجب وكان خصيصا عند المسترشد والمقتفي ايضا وقد بنى مدرسة الحاجب داره وحج ثم رجع فتزهد ولزم بيته معظما نحوا من عشرين سنة وكانت وفاته في هذه السنة وقد امتدحه بعضهم فقال

• يا عضد الاسلام يا من سمت • الى العلا همته الفاخره •
• كانت لك الدنيا فلم ترضها • ملكا فاخلدت الى الاخره •

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسماية

فيها دخلت الكرج بلاد المسلمين فقتلوا خلقا من الرجال واسروا الذراري ثم اجتمع لحربهم ملوك تلك الناحية ايلدكز صاحب اذربيجان وابن سكمان صاحب خلاط وابن اقسنقر صاحب مراغة وساروا الى بلادهم في السنة الاتية فنهبوها واسروا ذراريهم واستباحوهم وكسروهم كسرة ذريعة فظيعة منكرة ومكثوا يقتلون فيهم ويأسرون ثلاثة ايام وفي رجب اعيد يوسف الدمشقي الى تدريس النظامية بعد عزل ابن نظام الملك بسبب امراة ادعت انه تزوجها فانكر ثم اعترف فعزل عن التدريس وفيها كملت المدرسة التي بناها الوزير ابن هبيرة بباب البصرة ورتب بها مدرس وفقها وحج بالناس امير الكوفة ارغش

وممن توفي فيها من الاعيان

شجاع الحنفي مشهد ابي حنيفة كان يجيد الكلام في النظر اخذ عن الحنفية ودفن عند المشهد صدقة بن وزير الواسطي دخل بغداد ووعظ بها واظهر التقشف زايدا وكان يميل الى التشيع وعلم الكلام ومع هذا كله راج على العوام وبعض الامرا وحصل له فتوح كثير ابتنى

منه رباطا دفن فيه سامحه الله

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي تلميذ ابن التومرت وخليفته من بعده في
الملك بمدينة سلا فصبره ابنه يوسف وحمله الى مراكش على صفة انه مريض فلما
وصلها اظهروا موته فعزاه الناس وبايعوه على الملك من بعده ولقبوه امير المؤمنين
وقد كان عبد المؤمن حازما شجاعا جوادا معظما للشريعة من لا يحافظ على الصلوات
في زمانه يقتل ولكن كان سفاكا للدماء حتى على الذنب الصغير والله يحكم فيه بما يشاء
وفيها قتل الملك سيف محمد بن علاء الدين الغوري قتله الغز وكان عادلا وفيها
كبست الفرنج نور الدين وجيشه فانهزم المسلمون لا يلوي احد على احد ونهض الملك
نور الدين فركب فرسه والشبحة في رجله فنزل رجل كردي فقطعها حتى سار السلطان
نور الدين فنجا وادركت الفرنج الكردي فقتلوه رح فاحسن نور الدين الى ذريته وكان
لا ينسى ذلك له وفيها امر الخليفة باجلاء بني اسد عن الحلة وقتل من يتخلف منهم وذلك
لافسادهم ومكاتبتهم السلطان محمد شاه وتحريضهم له على حصار بغداد فقتل من بني اسد اربعة
الاف وخرج الباقون منها وتسلم نواب الخليفة الحلة المزيدية وحج بالناس في هذه السنة
الامير برغش الكبير

وممن توفي فيها من الاعيان

السلطان الكبير ابو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي تلميذ ابن التومرت كان ابوه يعمل
في الطين فخارين فوقع نظر ابن التومرت عليه فاحبه وتفرس فيه انه سعيد فاستصحبه فعظم
شانه والتفت عليه العساكر التي جمعها ابن التومرت من المصامدة وغيرهم وحاربوا
صاحب مراكش علي بن يوسف بن تاشفين ملك الملثمين فاستولى عبد المؤمن على
تلمسان وبلاد سبتة ثم حاصر مراكش احد عشر شهرا فافتتحها في سنة اثنتين واربعين
وخمسمائة ومهدت له الممالك وصفا له الوقت وكان عاقلا حازما وقورا شكلا حسنا وكانت
وفاته في سنة ثمان وخمسين وولي الملك ثلاث وثلاثون سنة وكان يسمي نفسه امير المؤمنين
طلحة بن علي بن طراد ابو احمد الزينبي نقيب النقباء مات فجاة رح وولي من بعده النقابة
ولده ابو الحسن علي وكان امرد فعزل في هذه السنة وصودر محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم
ابن عبد الكريم ابو عبد الله بن الانباري كاتب الانشاء ببغداد وكان شيخا حسنا ظريفا
ذا فنون في صناعة الانشاء وبعثه رسولا الى الملك سنجر وغيره وخدم الملوك والخلفاء
وقارب التسعين ومن شعره

يا من هجرت فما تبالي • هل ترجع دولة الوصال
ما اطمع يا عذاب قلبي • ان ينعم في هواك بالي
الطرف كما عهدت باك • والجسم كما ترين بال
ما ضرك ان تعلليني • في الوصل بموعد محال
اهواك وانت حظ غيري • يا قاتلتي فما احتيالي
ايام عناي فيك سود • ما اشبههن بالليالي
العذل فيك يعذلوني • عن حبك ما لهم وما لي

يا ملزمي السلو عنها • الصب انا وانت سالي
والقول بتركها صواب • ما احسنه لو استوى لي
طلقت تجلدي ثلاثا • والصبوة بعد في حبالي

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

فيها قدم شاور بن مجير ابو شجاع السعدي الملقب بامير الجيوش وهو الذي وزر الديار
المصرية بعد آل رزيك لما قتل الناصر رزيك بن طلايع بن رزيك وقام في الوزارة بعده
واستفحل امره فيها فثار عليه امير يقال له الضرغام بن سوار وجمع له جموعا كثيرة وانتصر
عليه وقتل ولده طيا وسليمان واسر الثالث وهو الكامل بن شاور وسجنه ولم يقتله
ليد كانت له عنده واستوزر ضرغام بعده ولقب بالمنصور فخرج شاور من الديار المصرية
فارا من العاضد وضرغام ملتجيا الى نور الدين فامر له نور الدين بنحو سوق الميدان الاخضر
واحسن ضيافته واكرامه وطلب منه شاور عسكرا يكونون معه ليفتح بهم الديار المصرية
ويكون لنور الدين ثلث مغلها فارسل معه جيشا عليهم اسد الدين شيركوه بن شاذي
فلما دخلوا بلاد مصر خرج اليهم الجيش الذين بها فاقتتلوا اشد القتال فهزمهم اسد
الدين وقتل منهم خلقا وقتل ضرغام بن سوار وطيف براسه في البلاد واستقر شاور
في الوزارة وتمكن منها ثم اصطلح العاضد وشاور على اسد الدين وجمع شاور ما كان عاهد
اليه نور الدين وامر اسد الدين بالرجوع فلم يقبل منه وعاد في البلاد واخذ اموالا كثيرة
وافتتح بلدانا من الشرقية وغيرها فاستعان شاور عليهم بملك الفرنج الذي بعسقلان
واسمه مري فاقبل اليه في خلق كثير فتحول اسد الدين الى بلبيس وتحصن بها وشحنها
بالعدد والالات وغير ذلك فحصروه فيها ثلاثة اشهر وامتنع اسد الدين واصحابه
اشد الامتناع فبينما هم على ذلك اذ جاءت الاخبار بان الملك نور الدين قد اغتنم غيبة
الفرنج فسار بالعساكر الى بلادهم فقتل خلقا كثيرا وفتح حارم وقتل من الفرنج خلقا
وسار الى بانياس فضعف امر الفرنج بديار مصر عند ذلك وطلبوا من اسد الدين الصلح
فاجابهم الى ذلك وقبض من شاور ستين الف دينار وخرج اسد الدين وجيشه فساروا
الى الشام في ذي الحجة منها

وقعة حارم

وكان فتح حارم في رمضان من هذه السنة استغاث نور الدين بعساكر المسلمين
فجاؤوه من كل فج عميق ليأخذ بثاره من الفرنج فالتقى معهم بتل حارم فكسرهم كسرة عظيمة
واسر البرنس صاحب انطاكية والقومص صاحب طرابلس والدوك مقدم الروم وابن
جوسلين وقتل منهم عشرة الاف وقيل عشرين الفا وفي ذي الحجة منها فتح نور الدين
مدينة بانياس وقيل انما كان فتحه لها في سنة ستين والله اعلم وكان معه اخوه نصرة
الدين امير اميران فاصابه سهم في احدى عينيه فاذهبها فقال له الملك نور الدين
لو نظرت الى ما اعد الله لك من الاجر في الاخرة لاحببت ان تذهب الاخرى وقال
لابن معين الدين انر اليوم بردت جلدة والدك لانه كان قد سلمها الى الفرنج صلحا
عن دمشق وفي شهر ذي الحجة هذا من هذه السنة احترق قصر جيرون حريقا عظيما
في تلك الليلة الامير اسد الدين شيركوه بعد رجوعه من الديار المصرية وسعى سعيا

عظيما في كف هذه النار وصون خوخة الجامع منها جزاه الله خيرا

وممن توفي فيها من الاعيان

الجمال وزير صاحب الموصل

محمد بن علي بن ابي منصور ابو جعفر الاصبهاني الملقب بالجمال وزير صاحب الموصل قطب الدين مودود بن زنكي كان كثير المعروف والصدقات وله اثار حسنة بمكة والمدينة من ذلك انه ساق عينا الى عرفات وعمل هناك مصانع وبنى مسجد عرفات ودرجه واحكم ابواب الحرم وبنى مسجد الخيف وبنى الحجر وزخرف الكعبة واذهبها وعملها بالرخام وبنى على المدينة النبوية سورا وبنى جسرا على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص وبنى الربط الكثيرة وكان يتصدق كل يوم على بابه بماية دينار ويفتك من الاسارى في كل سنة بعشرة الاف دينار ولاثر الصدقات والاوقاف الى الفقهاء والفقراء حيث كانوا من بغداد وغيرها من البلاد وقد حبس في سنة ثمان وخمسين فذكر ابن الساعي في تاريخه عن شخص كان معه في السجن انه نزل اليه طاير ابيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله عز وجل حتى توفي في شعبان من هذه السنة شهرا بعده ودفن في رباط بناه لنفسه بالموصل وقد كان بينه وبين اسد الدين شيركوه بن شاذي مواخاة وعهد ايهما مات قبل الاخر يحمله الى المدينة فاستاجر له اسد الدين شيركوه رجالا فنقلوه الى المدينة فكانوا ياتون به في بلد الا صلوا عليه وترحموا عليه واثنوا عليه فصلي عليه بالموصل وتكريت وبغداد والحلة والكوفة وفيد ومكة وطيف به حول الكعبة ثم نقل الى المدينة النبوية فدفن برباط بناه شرقي المسجد النبوي قال ابن الجوزي وابن الساعي ولما صلوا عليه بالحلة صعد شاب على نشز فانشد •

• سرى نعشه فوق الرقاب وطالما • سرى جوده فوق الركاب ونايله •

• يمر على الوادي فتثني رماله • عليه وبالنادي فتثني اراملة •

وممن توفي بعد الخمسين ابن الخازن الكاتب احمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق ابو الفضل ابن الخازن الكاتب البغدادي الشاعر كان يكتب جيدا فاتقنا اعتنى بكتابة الختمات واكثر ابنه ابو الفتح نصر الله من كتابة المقامات وجمع لابيه ديوان شعر اورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة

سنة ستين وخمسماية

في صفر منها وقعت باصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب دامت اياما وقتل فيها خلق كثير وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محال الكثيرة وذكر ابن الجوزي ان في هذه السنة ولدت امراة ببغداد اربع بنات في بطن واحد وحج بالناس في هذه السنة الامير برغش الكبير

وممن توفي فيها من الاعيان

عمر بن بهليقا الطحان الذي جدد جامع العقبة ببغداد واستاذن الخليفة في اتمام فيه جمعة فاذن في ذلك وكان قد اشترى ما حوله من القبور فاضاف ذلك اليه فنبشت فقيض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد محمد ابن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد ابو عبد الله الحراني اخر من بقي من الشهود المتوليين

عند ابي الحسن الدامغاني وقد سمع الحديث وكان لطيفا ظريفا جمع كتابا سماه روضة الادبا فيه شعر حسنة قال ابن الجوزي زرته يوما فاطلت الجلوس عنده فقلت لقد ثقلت فانشدني •

• لين قمت ما اثقلت ... • زيارات رفعت بهن قدري •

• فما ابرمت الاحبل ودي • ولا ثقلت الا ظهر شكري •

مرجان الخادم كان يقرا القران وتفقه لمذهب الشافعي وكان يتعصب على الحنابلة ويعادي الوزير ابن هبيرة وابن الجوزي شديدا ويقول لابن الجوزي ما مقصودي قلع المذهب ولما مات ابن هبيرة قوي امره على ابن الجوزي وخافه ابن الجوزي فلما توفي في هذه السنة فرح بذلك فرحا شديدا وكانت وفاته في ذي القعدة منها ابن التلميذ الطبيب الماهر الحاذق اسمه هبة الله بن صاعد كانت وفاته في هذه السنة عن خمس وتسعين سنة وكان موسعا عليه في الدنيا وله عند الناس وجاهة كبيرة وقد توفي قبحه الله على دينه ودفن بالبيعة العتيقة لا رحمه الله انه كان مات نصرانيا

الوزير ابن هبيرة

يحيى بن محمد بن هبيرة ابو المظفر الوزير للخلافة المعظمة ومصنف كتاب الافصاح قرا القراات وسمع الحديث وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والعروض وتفقه على مذهب الامام احمد وصنف كتبا مفيدة من ذلك الافصاح في مجلدات يشرح فيه الاحاديث ويتكلم على مذاهب العلماء وكان على مذهب السلف في الاعتقاد وقد كان فقيرا لا مال له ثم تعرض للخدم فتقدم الى ان وزر للمقتفي ثم لابنه المستنجد وكان من خيار الوزراء واحسنهم سيرة وابعدهم عن الظلم ولا يلبس الحرير وكان المقتفي يقول ما وزر لبني العباس مثله وكذلك المستنجد كان معجبا به قال مرجان الخادم سمعت امير المومنين الخليفة المستنجد ينشد لابن هبيرة وهو بين يديه من شعر صاحه له •

• صفت نعمتان خصتاك وعمتا • فذكرهما حتى القيامة يذكر •

• وجودك والدنيا اليك فقيرة • وجودك والمعروف في الناس ينكر •

• فلو رام يا يحيى مكانك جعفر • ويحيى لكفا عنه يحيى وجعفر •

• ولم ار من ينوي لك السوء يا ابا • المظفر الا كنت انت المظفر •

وقد كان يبالغ في اقامة الدولة العباسية وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن حتى استقرت الخلافة في العراق كله ليس للملوك معهم حكم بالكلية ولله الحمد وكان معتقل داره للعلماء مجلسا يبحثون ويتناظرون عنده وبين يديه ويستفيد منهم ويستفيدون منه فاتفق ان رجلا من الفقهاء كلمه فيها بشاعة فقال له يا حمار ثم ندم وقال اريد ان تقول لي كما قلت لك فامتنع ذلك الفقيه فصالحه على ماية دينار وكانت وفاته فجاة ويقال انه سمه طبيب فسم ذلك الطبيب بعد ستة اشهر وكان يقول سممت كما سممت وكان موته في يوم الاحد الثالث عشر من جمادى الاولى من هذه السنة عن احدى وستين سنة وغسله ابن الجوزي وحضر جنازته خلق كثير جدا وغلقت الاسواق وتباكى الناس عليه ودفن في المدرسة التي انشاها بباب البصرة رحمه الله وقد رثاه الناس بمراث كثيرة

ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسماية

فيها فتح الملك نور الدين محمود بن زنكي حصن المنيطرة وقتل عنده خلقا كثيرا من الفرنج وغنم اموالا جزيلة وفيها هرب عز الدين بن الوزير بن هبيرة من السجن ومعه مملوك تركي فنودي عليه في البلد من رده فله مائة دينار ومن وجد عنده هدمت داره وصلب على بابها وذبحت اولاده بين يديه فدلهم رجل من الاعراب عليه فاخذ من بستان فضرب ضربا شديدا واعيد الى السجن وضيق عليه وفيها اظهر الروافض سب الصحابة وتجاهروا باشيا منكرة لم يكونوا يتمكنون منها في هذه الاعصار ووقع بين العوام كلام فيما يتعلق بخلق القران وحج بالناس برغش

وممن توفي فيها من الاعيان

الحسن بن العباس بن ابي الطيب بن رستم ابو عبد الله الاصبهاني الرستمي كان من كبار عباد الله الصالحين الحكايين قال حضرت يوما مجلس باشاذه وهو يتكلم على الناس فرايت رب العزة في تلك الليلة وهو يقول لي وقفت على مبتدع وسمعت كلامه لاحرمنك النظر في الدنيا قال فاصبح لا يبصر وعيناه مفتوحتان كانه بصير عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الاغلبي السعدي القاضي ابو المعالي المصري المعروف بالجليس لانه كان يجالس صاحب مصر قد ذكره العماد في الخريدة قال وله فضل مشهور وشعر ماثور فمن ذلك قوله

ومن عجب ان السيوف لديهم • تحيض دماء والسيوف ذكور •
واعجب من ذا انها في اكفهم • تاجج نارا والاكف بحور •

الشيخ عبد القادر الجيلي

عبد القادر بن ابي صالح ابو محمد الجيلي ولد سنة سبعين واربعمائة ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على ابي سعد المخرمي الحنبلي وكان قد بنى مدرسة ففوضها الى الشيخ عبد القادر فكان يتكلم على الناس بها ويعظهم وينتفع الناس بوعظه وكان له سمت حسن وصمت عن غير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه زهد كثير وله احوال ومكاشفات وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب وفيهما اشيا حسنة ولكن ذكر فيهما احاديث كثيرة موضوعة وبالجملة كان من سادات المشايخ الكبار قدس الله روحه ونور ضريحه كانت وفاته ليلة السبت ثامن شهر ربيع الاخر من هذه السنة وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له رح

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة

فيها اقبلت الفرنج في جحافل كثيرة الى الديار المصرية وساعدهم المصريون فتصرفوا في بعض البلاد فبلغ ذلك اسد الدين شيركوه بن شاذي فاستاذن الملك نور الدين في العود اليها وكان كثير الحنق على الوزير شاور فاذن له فسار اليها في ربيع الاخر ومعه ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب وقد وقع في النفوس انه سيملك الديار المصرية وفي ذلك يقول عرقلة المسمى حسانا الشاعر

• اقول والاتراك قد ازمعت • مصر الى حرب الاعاريب •
• رب كما ملكتها يوسف • الصديق من اولاد يعقوب •
• يملكها في عصرنا يوسف • الصادق من اولاد ايوب •
• من لم يزل ضراب هام العدا حقا • وضراب العراقيب •

ولما بلغ

ولما بلغ الوزير شاور قدوم اسد الدين والجيش معه بعث الى الفرنج فجاؤوا من كل فج عميق وبلغ اسد الدين ذلك من شانهم وما عندهم الا الفارس فاستشار من معه من الامرا وكلهم اشار عليه بالرجوع الى الملك نور الدين لكثرة الفرنج الا اميرا واحدا يقال له شرف الدين برغش فانه قال من خاف الاسر والقتل فليقعد في بيته عند زوجته ومن اكل اموال المسلمين فلا يسلم بلادهم الى العدو وقال مثل ذلك ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شاذي فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فاقتتلوا هم واياهم قتالا عظيما فكسروا الفرنج وهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا لا يعلمهم الا الله عز وجل ولله الحمد والمنة

فتح الاسكندرية على يد اسد الدين شيركوه

ثم سار اسد الدين شيركوه بعد ان كسر الفرنج والمصريين الى الاسكندرية فملكها وجبى اموالها واستناب عليها ابن اخيه صلاح الدين يوسف وعاد الى الصعيد فملكه وجمع منه اموالا جزيلة جدا ولله الحمد والمنة ثم ان الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية ثلاثة اشهر ليستنزعوها من يد الملك صلاح الدين وذلك في غيبة عمه في الصعيد وامتنع بها صلاح الدين ومن معه اشد الامتناع ولكن ضاقت عليهم الاقوات وضاق الحال جدا فسار اليهم اسد الدين شيركوه ايده الله فصالحه شاور الوزير عن الاسكندرية بخمسين الف دينار فاجابه الى ذلك وخرج صلاح الدين منها وسلمها الى المصريين وعاد الى الشام في منتصف شوال الذي للقعدة وقرر شاور للفرنج على مصر في كل عام مائة الف دينار وان يكون لهم شحنة بالقاهرة وعادوا الى بلادهم بعد ان كان الملك نور الدين محمود بن زنكي قد عضتهم في بلادهم وافتتح حصونا كثيرة من بلادهم وقتل خلقا من رجالهم واسر من نسائهم واطفالهم وغنم شيا كثيرا من امتعتهم واموالهم ولله الحمد وكان معه اخوه قطب الدين مودود فاطلق له الرقة فسار فتسلمها وكان اسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بمصر فبشر فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية حيث يقول

• ويستقر بمصر يوسف ربه • يقر بها للتنائي عين يعقوب •
• ويلتقي يوسف فيها باخوته • والله يجمعهم من غير تثريب •

وفي هذه السنة في شعبان منها كان قدوم العماد الكاتب من بغداد الى دمشق وهو ابو حامد محمد بن محمد الاصبهاني صاحب الفتح القدسي والبرق الشامي والخريدة وغير ذلك من المصنفات فانزله قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية داخل باب الفرج فنسبت اليه لسكناه بها فيقال لها العمادية ثم ولي تدريسها في سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبد واول من جاء للسلام عليه نجم الدين ايوب وكانت له به معرفة من تكريت فامتدحه العماد بقصيدة ذكرها الشيخ شهاب الدين ابو شامة ثم ولي العماد كتابة الانشا للملك نور الدين رح

وممن توفي فيها من الاعيان

ارغش امير الحاج سنين متعددة كان مقدما على العساكر خرج من بغداد لقتال شملة التركماني فسقط عن فرسه فمات ابو المعالي الكاتب محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون صاحب التذكرة الحمدونية وقد ولي ديوان الزمام مدة وكانت وفاته في ذي

الفقهاء ودفن بمقابر قريش الرشيد الصوفي كان يجلس بين ابن العبادي على الكرسي كانت له شيبة حسنة وسمت ووقار وكان مواظب حضور السماعات فاتفق انه مات وهو يرقص في بعض السماعات سامحه الله

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

في صفر منها دخل شرف الدين ابو جعفر بن البلدي من واسط الى بغداد فخرج الجيش للتلقية والتقيباء وقاضي القضاة ومشى الناس بين يديه الى الديوان فجلس في دست الوزارة وقرى عهده وكان يوما مشهودا ولقب بالوزير شرف الدين جلال الاسلام معز الدولة سيد الوزراء صدر الشرق والغرب وفيها افسدت خفاجة في البلاد ونهبوا القرى فجهز اليهم جيش من بغداد فهربوا في البراري فاتبعهم الجيش فعطفوا على الجيش فقتلوا منهم خلقا واسروا آخرين وكانوا قد اسروا من الجيش خلق فصلبوا على الاسوار وفي شوال وصلت امرأة الملك نور الدين محمود بن زنكي الى بغداد تريد ان تحج من سنتها وهي الست عصمة الدين خاتون بنت معين الدين انز فتلقاها الجيش ومعهم صندل الخادم وحملت لها الاقامات واكرمت غاية الاكرام وفيها مات قاضي قضاة بغداد جعفر ابن الثقفي فبقي البلد بغير حاكم ثلاثة وعشرين يوما حتى ولي روح بن الحديثي قضاء القضاة في رابع رجب وحج بالناس برغش

وممن توفي فيها من الاعيان

جعفر بن عبد الواحد ابو البركات الثقفي قاضي القضاة ببغداد بعد ابيه ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة وكانت وفاته في هذا العام وسببه فيما ذكر انه طلب منه مال فكلمه الوزير ابن البلدي كلاما خشنا فخاف فرمى الدم ومات رحمه الله تعالى ابوه واياه ابو سعد السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور ابو سعد السمعاني رحل الى بغداد فسمع بها وذيل على تاريخها للخطيب البغدادي وقد ناقشه ابن الجوزي في المنتظم وذكر عنه انه كان يتعصب على اهل مذهبه ويطعن في جماعة منهم وانه يترجم بعبارة عامية مثل قوله عن بعض الشيخات انها كانت عفيفة وعن الشاعر المشهور بالحيص بيص انه كانت لها اخت يقال لها دخل خرج وغير ذلك عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن حمويه ابو النجيب السهروردي كان يذكر انه من سلالة ابي بكر الصديق سمع الحديث وتفقه وافتى ودرس بالنظامية وابتنى لنفسه مدرسة ورباطا وكان مع ذلك متصوفا يعظ الناس ودفن بمدرسته محمد بن عبد الحميد بن ابي الحسين ابو الفتح الرازي المعروف بالعلاء العالم وهو من اهل سمرقند وكان من الفحول في المناظرة وله طريقة في الخلاف والجدل ويقال له التعليقة العالمي قال ابن الجوزي وقد ورد بغداد وحضر مجلسي وقال ابو سعد بن السمعاني كان يدمن الخمر وكان يقول ليس في الدنيا اطيب من كتاب طالعه وباطية من الخمر اشرب منها قال ابن الجوزي ثم بلغني انه اقلع عن شرب الخمر والمناظرة واقبل على التنسك والخير رحمه الله يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي مدرس النظامية ببغداد تفقه على اسعد الميهني وبرع في المناظرة وكان يتعصب للاشعرية وقد بعث رسولا في هذه السنة الى سملة التركماني فمات في تلك البلاد رحمه الله

ثم دخلت سنة اربع وستين وخمسمائة

فيها كان

فيها كان فتح مصر على يد الامير اسد الدين شيركوه فيها طغت الفرنج بالديار المصرية وذلك انهم جعلوا لهم شحنة بها وتحكموا في ابوابها وسكنها اكثر شجعانهم ولم يبق شيء من ان يستحوذوا عليها ويخرجوا منها اهلها من المسلمين فعند ذلك ركب امداد الفرنج من كل ناحية وسار واصحبه مرى ملك عسقلان في جحافل هائلة فاول ما اخذوا مدينة بلبيس فقتلوا منها خلقا واسروا آخرين ونزلوا بها وتركوا فيها اثقالهم وجعلوها موئلا ومعقلا ثم جاءوا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية فامر الوزير شاور الناس ان يحرقوا مصر وان ينتقل الناس الى القاهرة فنهب البلد وذهب للناس اموال كثيرة جدا وبقيت النار تعمل في مصر اربعة وخمسين يوما فانا لله وانا اليه راجعون وعند ذلك ارسل الخليفة العاضد يستغيث بالملك نور الدين وبعث اليه بشعور نسائه يقول ادركني واستنقذ نسائي من ايدي الفرنج والتزم له بثلث خراج مصر على ان يكون اسد الدين مقيما عندهم وله اقطاعات زائدة على الثلث فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش الى الديار المصرية فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين ارسل الى ملك الفرنج يقول له قد عرفت محبتي ومودتي ولكن العاضد والمسلمون قد ابوا علي تسليم البلد وصالحهم ليرجعوا عنهم ذلك عن البلد بالف الف دينار وعجل لهم من ذلك ثمانمائة الف دينار واخذوها واشتروا وخافوا من وصول الملك نور الدين وطمعا في العودة اليها مرة ثانية ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بتحصيل الذهب الذي صالح الفرنج عليه وضيق على الناس مع ما نالهم من الحريق والخوف فجبر الله مصابهم واحسن مآبهم واستدعى الملك نور الدين اسد الدين شيركوه من حمص الى حلب فساق اليه في يوم واحد من حمص فدخل حلب في آخر ذلك اليوم فسر بذلك نور الدين وتفاءل به فقدمه على العساكر التي قد جهزها الى الديار المصرية وانعم عليه بمائتي الف دينار واضاف اليه من الامراء الاعيان جماعة كل منهم يبتغي بمسيره ذلك مرضاة الرحمن وكان في جملتهم ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي ولم يكن منشرحا لخروجه هذا بل كان كارها وقد قال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون واضاف اليه ستة آلاف من التركمان وسار هو واياه من حلب الى دمشق ثم جهزه الى الديار المصرية بمن معه ولما وصلت الجيوش النورية الى الديار المصرية وجدوا الفرنج قد انشمروا عن القاهرة خائبين بالصفقة الخاسرة وكان وصوله اليها في سابع ربيع الآخر فدخل الامير اسد الدين على العاضد في ذلك اليوم فخلع عليه خلعة سنية فلبسها وعاد الى مخيمه بظاهر البلد وفرح المسلمون بقدومه اليهم واجريت عليهم الجرايات وحملت اليهم التحف والكرامات وخرجت وجوه الناس الى مخيم اسد الدين يخدمه وكان يخرج اليه الى المخيم الخليفة العاضد متنكرا فاسر اليه امورا مهمة منها قتل الوزير شاور وقرر معه ذلك وعظم امر الامير اسد الدين بمصر ولم يقدر الوزير شاور على منع شيء من ذلك لكثرة الجيش الذين مع اسد الدين ولكن شرع يماطل فيما كان قرر لهم وللملك نور الدين فيما كانوا التزموه له ولهم وهو مع ذلك يتردد الى الامير اسد الدين ويركب معه وعزم على الفتك به فنهاه اصحابه عن الحضور عنده خوفا

عليه من غايلته وشاوره في قتل شاور فلم يمكنهم الامير اسد الدين من ذلك فلما كان في بعض الايام جاء شاور الى منزل الامير اسد الدين فوجده قد ذهب لزيارة قبر الشافعي واذا ابن اخيه صلاح الدين هنالك فعند ذلك امر صلاح الدين بالقبض عليه ولم يمكنه قتله الا بعد مشاورة عمه وانهزم اصحابه فاعلموا العاضد لعله يبعث ينقذه فارسل الى الامير اسد الدين يطلب منه راسه فقتل شاور وارسل راسه الى العاضد في سابع عشر ربيع الاخر ففرح المسلمون بذلك وامر الامير اسد الدين بنهب دار شاور فنهبت ودخل اسد الدين شيركوه على العاضد فاستوزره وخلع عليه خلعة عظيمة ولقبه الملك المنصور فسكن دار شاور وعظم شانه هنالك قال ابن ابي طي لما بلغ ذلك العادل نور الدين خبر فتح مصر فرح بذلك وقصدته الشعراء بالتهنية غير انه لم ينشرح لكون اسد الدين صار وزيرا وكذلك لما انتهت الوزارة الى ابن اخيه صلاح الدين وشرع في اعمال الحيلة في ازالة ذلك فلم يتمكن ولا قدر عليه ولا سيما حين بلغه ان صلاح الدين استحوذ على خزائن العاضد كما سيأتي في بيانه والله اعلم وارسل اسد الدين الى القصر يطلب كاتبا فارسلوا اليه بالقاضي الفاضل رجاء ان يقتل معه اذا قتل فيما كانوا يؤملون وبعث العمال في الاعمال واقطع الاقطاعات وولى الولايات وفرح بنفسه اياما معدودات فادركه حمامه في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة فكانت ولايته شهرين وخمسة ايام فلما توفي اسد الدين شيركوه رحمه الله اشار الامراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه فولاه الوزارة وخلع عليه خلعة سنية ولقبه الملك الناصر

صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين

يومئذ فيما ذكره الشيخ شهاب الدين في الروضتين

عمامة بيضاء تنيسي بطرف ذهب وثوب دبيقي بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب والطيلسان مطرز بذهب وعقد جوهر بعشرة الاف وسيف محلى بخمسة الاف دينار وحجرة بثمانية الاف دينار وعليها طوق ذهب وسرفسار ذهب مجوهر وفي راسها مائتا حبة جوهر وفي قوائمها اربعة عقود جوهر وفي راسها قصبة ذهب فيها شدة بيضاء باعلام بيض ومع الخلعة عدة بقج وخيل واشياء اخر ومنشور الوزارة ملفوف في ثوب اطلس ابيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة فكان يوما مشهودا وسار الجيش بكماله في خدمته ولم يتخلف عنه منهم سوى عين الدولة الياروقي قال لا اخدم يوسف بعد نور الدين وسار بجيشه الى الشام فلامه نور الدين على ذلك واقام الملك صلاح الدين بالديار المصرية صفة نائب الملك نور الدين يخطب له على المنابر بالديار المصرية ويكاتبه نور الدين بالامير الاسفهسلار صلاح الدين ويتواضع له صلاح الدين في الكتب والعلامة ولكن قد التفت عليه القلوب وخضعت له النفوس ○

واضطهد العاضد في ايامه غاية الاضطهاد وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد في تلك البلاد وزاد في اقطاعات الذين معه فاحبوه وخدموه واحترموه وكتب اليه نور الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه وامره ان يقيم حساب الديار المصرية فلم يلتفت الناصر الى ذلك وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك ملك ابن ايوب وارسل الملك نور الدين يطلب اهله واخوته وقرابته فارسلهم اليه وشرط عليهم السمع والطاعة له

فاستنفر

فاستقر امره هنالك وتوطدت دولته بذلك وتمكن سلطانه وقويت اركانه وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير

هنيئا لمصر حوز يوسف ملكها • بامر من الرحمن قد كان موقوتا •
وما كان فيها قتل يوسف شاورا • يماثل الا قتل داود جالوتا •

قال ابو شامة وقتل العاضد في هذه السنة اولاد شاور وهم شجاع الملقب بالكامل والطاري الملقب بالمعظم واخوهما الاخر الملقب بفارس المسلمين وطيف برؤوسهم ببلد مصر

ذكر مقتل الطواشي مؤتمن الخلافة

واصحابه على يدي الملك صلاح الدين نصره الله

وذلك انه كتب من دار الخلافة بمصر الى الفرنج ليقدموا الى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الشامية والعساكر النورية وكان الذي يفد الكتاب اليهم الخادم مؤتمن الخلافة مقدم العساكر بالقصر وكان حبشيا وكان قد ارسله مع انسان امن اليه فصادفه في بعض الطريق من انكر حاله فحمله الى الملك الناصر صلاح الدين فقرره فاخرج الكتاب ففهم صلاح الدين الحال فكتمه واستشعر مؤتمن الخلافة الخادم ان الملك صلاح الدين قد اطلع على الامر فلازم القصر مدة طويلة خوفا على نفسه ثم عن له في بعض الايام ان خرج الى الصيد فارسل الملك صلاح الدين اليه من قبض عليه وقتله وحمل راسه اليه ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش وامره ان يطالعه بجميع الامور صغارها وكبارها

وقعة السودان ○

ولما قتل مؤتمن الخلافة الخادم الحبشي وعزل بقية الخدام غضبوا لذلك واجتمعوا قريبا من خمسين الفا فاقتتلوا هم وجيش الملك الناصر صلاح الدين بين القصرين فقتل خلق كثير من الفريقين وكان العاضد ينظر من القصر الى المعركة وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة وجاءهم منه سهام فقيل كان ذلك بامر العاضد وقيل لم يكن بامره فامر اخو الناصر شمس الدولة توران شاه وكان حاضر الحرب قد بعثه نور الدين الى اخيه ليشد ازره امر بحرق منظرة العاضد ففتح بابها ونودي ان امير المؤمنين يامركم ان تخرجوا هؤلاء السودان من بلادكم فقوي الشاميون وضعف جاش السودان جدا وارسل الملك الناصر الى محلتهم المعروفة بالمنصورة التي فيها دورهم واهلوهم واولادهم بباب زويلة فاحرقها فولوا عند ذلك مدبرين وركبهم السيف فقتل منهم خلق كثير ثم طلبوا الامان من الملك صلاح الدين فاجابهم الى ذلك واخرجهم الى الجيزة ثم خرج اليهم شمس الدولة توران شاه اخو الملك صلاح الدين فاكثر فقتل اكثرهم ايضا ولم يبق منهم الا القليل فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وفيها افتتح الملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة جعبر وانتزعها من صاحبها شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي وكانت في ايديهم من ايام السلطان ملكشاه وفيها احترق جامع حلب فجدده نور الدين وفيها مات ياروق الذي تنسب اليه المحلة بظاهر حلب • وممن توفي فيها من الاعيان سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي ابو الحسن

الواعظ الحنبلي ولد في سنة ثمانين واربعمائة وسمع الحديث وتفقه ووعظ وكان لطيف الوعظ اثنى عليه ابن الجوزي في ذلك وذكر انه سئل مرة عن احاديث الصفات فنهى عن التعرض لذلك

اي الغائب الغضبان يا نفس ان يرضى •
وانت الذي صيرت طاعته فرضا •
فلا تهجري من لا تطيقين هجره •
وان هم بالهجران خديك والارضا •

وذكر ابن الجوزي عنه انه قال خفت مرة من الخليفة فهتف بي هاتف في المنام وقال اكتب

ادفع بصبرك حادث الايام • وترج لطف الواحد العلام •
لا تيأسن وان تضايق كربها • ورماك ريب صروفها بسهام •
فله تعالى بين ذلك فرجة • تخفى على الابصار والاوهام •
كم من نجا من بين اطراف القنا • وفريسة سلمت من الضرغام •

توفي في شعبان من هذه السنة عن اربع وثمانين ودفن الى جانب رباط الزوزني ثم نقل الى مقبرة الامام احمد. شاور بن مجير ابو شجاع السعدي الملقب امير الجيوش وزير الديار المصرية ايام العاضد وهو الذي انتزع الوزارة من ايدي بني رزيك وهو اول من استكتب القاضي الفاضل استدعى به من اسكندرية من باب السور فحظي عنده واخص منه الكتاب بالقصر لما راى من فضله وفضيلته وقد امتدحه الشعراء منهم عمارة اليمني حيث يقول

ضجر الحديد من الحديد وشاور • في نصر آل محمد لم يضجر •
حلف الزمان ليأتين بمثله • حنثت يمينك يا زمان فكفر •

ولم يزل امره قائما الى ان ثار عليه الامير ضرغام بن سوار فالتجأ الى الملك نور الدين فارسل معه اسد الدين شيركوه فنصره فنكث عهده وخان جده فلم يزل اسد الدين حنقا عليه حتى كان قتله على يدي ابن اخيه صلاح الدين يوسف ضرب عنقه بين يدي الامير جرديك في السابع عشر من ربيع الاخر واستوزر بعده اسد الدين شيركوه كما ذكرنا فلم تطل مدته بعده الا شهرين وخمسة ايام وقال ابن خلكان هو ابو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشاير بن شاس بن مغيث بن حبيب بن الحرث بن ربيعة بن يخنس بن ابي ذبيب والد حليمة السعدية قال وفي هذا نظر لقصر هذا النسب بالنسبة الى بعد المدة والله اعلم

شيركوه بن شاذي اسد الدين الكردي

الزرزاري وهم اشرف شعوب الاكراد وهو من قرية يقال لها دوين من اعمال اذربيجان خدم هو واخوه نجم الدين ايوب وكان الاكبر مجاهد الدين بهروز الخادم شحنة العراق فاستناب نجم الدين على قلعة تكريت فاتفق ان دخلها الملك عماد الدين زنكي هاربا من قراجا الساقي فاحسنا اليه وخدماه ثم اتفق ان قتلا رجلا من العامة في تاديب فاخرجهما بهروز من القلعة فصارا الى زنكي فاحسن اليهما ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود فاستناب ايوب

على بعلبك

على بعلبك زنكي واقره نور الدين وصار اسد الدين اكبر امرائه واحظاهم عنده وكان قد اقطعه الرحبة وحمص مع ما له عنده من الاقطاعات وذلك لشهامته وشجاعته وصرامته وجهاده في اعداء الله الفرنج وفيهم له ايام معدودة ووقعات مشهورات محمودة ولا سيما يوم فتح الشهيد دمشق المحروسة بالنصر واعجب من ذلك ما فعله بديار مصر نبل الله بالرحمة ثراه وجعل الجنة ماواه كانت وفاته يوم السبت فجاة بخانوق حصل له وذلك لثمان والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة رحمه الله وقال الشيخ شهاب الدين واليه تنسب الخانقاه الاسدية داخل باب الجابية بدرب الهاشميين والمدرسة الاسدية بالشرف القبلي وآل الامر الى ابن اخيه صلاح الدين يوسف ثم استوسق له الملك واطاعته الممالك سنا للك ذلله الحد محمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن احمد بن سلمان المعروف بابن البطي سمع الحديث الكثير واسمع ورحل اليه وقارب التسعين رح محمد الفارقي ابو عبد الله الواعظ يقال انه كان يحفظ نهج البلاغة ويعبر الفاظه وكان فصيحا بليغا يكتب كلامه ويروى عنه كتاب يعرف بالحكم الفارقية معمر بن عبد الواحد بن رجاء ابو محمد الاصبهاني احد الحفاظ الوعاظ روى عن اصحاب ابي نعيم وكانت له معرفة جيدة بالحديث توفي وهو ذاهب الى الحج بالبادية

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

فيها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوما بحيث ضيقوا على اهلها وقتلوا منهم خلقا في امم لا يحصون كثرة قد جمعوا من البر والبحر رجاء ان يملكوا الديار المصرية وخوفا من استيلاء المسلمين على القدس فكتب الملك صلاح الدين الى الملك نور الدين يستنجده عليهم ويطلب منه ان يرسل اليه بامداد من الجيوش فانه ان خرج من مصر خلفه اهلها بسوء وان قعد عن الفرنج اخذوا دمياط وجعلوها معقلا لهم يتقوون به على اخذ مصر فارسل اليه ببعوث كثيرة يتبع بعضها بعضا واغتنم غيبة الفرنج عن بلادهم فقصدها اليهم في جيوشه فجاس خلال ديارهم وغنم من اموالهم وقتل من رجالهم وسبى من نسائهم واطفالهم شيئا كثيرا وكان في جملة من ارسل الى صلاح الدين ان بعث الامير نجم الدين ايوب اباه في جيش من تلك الجيوش ومعه بقية اولاده فتلقاه الجيش من مصر في رجب وخرج العاضد لتلقيه اكراما لولده صلاح الدين واقطعه اسكندرية ودمياط والبحيرة وكذلك بقية اولاده وقد امد العاضد الملك صلاح الدين في هذه الكائنة بالف الف دينار حتى انقطعت الفرنج عن دمياط واجلت الفرنج عن دمياط لانه بلغهم ان الملك نور الدين قد حاصر بلادهم وقتل خلقا من رجالهم وسبى كثيرا من نسائهم واطفالهم وغنم من الاجزيل من اموالهم فجزاه الله عن الاسلام خيرا ثم سار في جمادى الاخرة الى الكرك فحاصرها وكانت من امنع البلاد فكاد ان يفتحها ولكن بلغه ان مقدمين من الفرنج قد اقبلا نحو دمشق فخاف ان يلتف عليها الفرنج فترك الحصار واقبل الى دمشق فحصنها ولما اجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين والمسلمون فرحا شديدا وانشد الشعراء كل منهم قصيدا وقد كان الملك نور الدين شديد الاهتمام قوي الاغتمام بذلك حتى انه قرا عليه بعض طلبة الحديث جزءا فيه حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه ان يتبسم ليتصل التسلسل

فامتنع من ذلك وقال انى لاستحيى من الله ان يرانى متبسما والمسلمون محاصرون والفرنج بثغر دمياط وقد ذكر الشيخ شهاب الدين ان امام مسجد ابى الدردا بالقلعة المنصورة راى فى تلك الليلة التى اجلى الفرنج فيها عن دمياط رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سلم على نور الدين وبشره بان الفرنج قد رحلوا عن دمياط فقلت يا رسول الله باى علامة فقال بعلامة ما سجد يوم تل حارم وقال فى سجوده اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكلب فلما صلى عنده صلاة الصبح بشره بذلك واعلمه بالعلامة ففرح وكشفوا تلك الليلة فاذا هى كما قال العماد الكاتب وفى هذه السنة عمر الملك نور الدين جامع داريا وعمر مشهد الشيخ سليمان الدارانى بها وشتى بدمشق وفيها حاصر نور الدين الكرك اربعة ايام وكان فيه من هناك نجم الدين ايوب متوجها الى ابنه بمصر وقد وصاه الملك نور الدين ان يامر ابنه صلاح الدين ان يخطب للخليفة المستنجد العباسى بمصر وذلك ان الخليفة بعث يعاتبه فى ذلك وقدم الفرنج من السواحل ليمنعوا الكرك مع ملك من الرهو وابن الليفرى وكانا اشجع فرسان الفرنج فقصدهما نور الدين ليلتقاهما فحادا عن طريقه وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت اكثر الارض فتهدمت اسوار كثيرة بالشام وسقطت دور كثيرة على اهلها ولا سيما بدمشق وحمص وحماه وحلب وبعلبك سقطت اسوارها واكثر قلعتها فجدد الملك نور الدين عمارة اكثرها سقط بهذه الزلزلة وفيها توفى الملك قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل وله من العمر اربعون سنة ومدة ملكه منها احدى وعشرون سنة وكان من خيار الملوك محببا الى الرعية عطوفا عليهم محسنا اليهم حسن الشكل وملك من بعده ولده سيف الدين غازى من الست خاتون بنت تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان مدبر مملكته والمتحكم فيهم فخر الدين عبد المسيح وكان ظالما غاشما وفيها كانت حروب بين ملوك المغرب بجزيرة الاندلس وكذلك كانت حروب كثيرة من ملوك المشرق ايضا وحج بالناس فى هذه السنة والتى قبلها الامير برغش الكبير

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المستنجد وخلافة ابنه المستضى وذلك ان الخليفة المستنجد كان قد مرض فى اول هذه السنة ثم عوفى فيما يبدو للناس فعملت ضيافة عظيمة بسبب ذلك وفرح الناس بذلك ثم ادخله الحكيم الى الحمام وعنده ضعف شديد فمات فى الحمام رحمه الله ويقال ان ذلك كان باشارة بعض الدولة على الطبيب استعجالا لموته وكانت وفاته يوم السبت بعد الظهر ثامن ربيع الاخر عن ثمان واربعين سنة وكانت مدة خلافته احدى عشرة سنة وشهرا وكان من خيار الخلفا واعدلهم وارفقهم بالرعايا وضع عنهم المكوس والضرائب ولم يترك بالعراق مكسا وقد شفع بعض اصحابه فى رجل شرير وبذل فيه عشرة الاف دينار فقال الخليفة انا اعطيك عشرة الاف دينار وايتنى بمثله لاريح المسلمين من شره وكان المستنجد اسمر طويل اللحية وهو الثانى والثلاثين من العباسيين وذلك فى الجمل لام با ولهذا قال فيه بعض الادبا •

• اصبحت لب بنى العباس كلهم • ان عددت بحساب الجمل الخلفا •

وكان امرا بالمعروف نهاء عن المنكر وقد راى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم

عزيزة فكانت اخر من قبل ان يلى باربعة ايام وهو يقول له قل اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت دعاء القنوت بتمامه وصلى عليه يوم الاحد قبل الظهر ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى الترب من الرصافة

خلافة المستضى

وهو ابو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفى وامه ارمنية تدعى غضة وكان مولده فى شعبان سنة ست وثلثين وخمسمائة بويع بالخلافة يوم مات ابوه وجلس بكرة الاحد تاسع ربيع الاخر بايعه الناس ولم يل الخلافة احد اسمه الحسن بعد الحسن بن على غير هذا ووافقه فى الكنية ايضا وخلع يومئذ على الناس اكثر من الف خلعة وكان يوما مشهودا وولى قضاء القضاة ببغداد لروح بن الحديثى يوم الجمعة حادى عشر من ربيع الاخر وخلع على الوزير خلعة عظيمة وهو الاستاذ عضد الدين وضربت على بابه نوبة فى ثلاث اوقات الفجر والمغرب والعشاء وامر سبعة عشر اميرا من المماليك وامر الوعاظ يتكلموا بعدما كانوا قد منعوا مدة طويلة ثم كثر احتجابه بعد ذلك ومما نظم العماد الكاتب حين جاءتهم البشارة بخلافة المستضى وهم بارض الموصل •

• قد اضاء الزمان بالمستضى • وارث البرد وابن عم النبى •
• جاء بالحق والشريعة والعدل • فيا مرحبا بهذا المجى •
• فهنيئا لاهل بغداد فازوا • بعد بوس بكل عيش هنى •
• ومضى ان كان فى الزمن المظلم • فالعود فى الزمان المضى •

وفيها سار الملك نور الدين محمود بن زنكى الى الرقة فاخذها وكذلك نصيبين والخابور وسنجار وسلمها الى زوج ابنته ابن اخيه عماد الدين زنكى بن مودود ثم سار الى الموصل فاقام بها اربعة وعشرين يوما واقرها على ابن اخيه سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود مع الجزيرة وزوجه ابنته الاخرى وامر بعمارة جامعها ووسعه ووقف على تاسيسه بنفسه وجعل له خطيبا ودرسا للفقه وولى التدريس للفقيه ابى بكر البرقانى تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالى وكتب له منشورا بذلك ووقف على الجامع قرية من قرى الموصل وذلك كله باشارة الشيخ الصالح العابد عمر الملا وقد كانت له زاوية يقصد فيها وله فى كل سنة دعوة فى شهر المولد يحضر عنده الملوك والامراء والعلما والوزرا ويحتفل بذلك وقد كان الملك نور الدين صاحبه ويستشيره فى اموره وما يعتمده من المهمات وهو الذى اشار عليه فى مدة مقامه بالموصل بجميع ما فعله من الخيرات فلهذا حصل بقدومه كل مسرة وانزاح عنهم المصايب واسقط عنهم المكوس والضرائب واخرج من بين اهلها الظالم الغاشم عبد المسيح وسماه عبد الله واخذه معه الى دمشق فاقطعه اقطاعا جزاه الله خيرا وقد كان عبد المسيح هذا نصرانيا فاظهر الاسلام وكان يقال ان له كنيسة فى جوف داره وكان سيى السيرة فى حق العلما وخاصة المسلمين ولما دخل نور الدين الموصل كان الذى استامن له الشيخ عمر الملا فطلب من الملك سيف الدين غازى وحين دخل نور الدين على الموصل خرج اليه ابن اخيه فوقف بين يديه فاكرمه واحسن اليه والبسه خلعة جاءته من الخليفة فدخل بها الى البلد فى ابهة عظيمة ولم يدخل نور الدين الموصل حتى

نوى الشتاء فاقام بها كما ذكرنا اربعة وعشرين يوما فلما كانت اخر ليلة اقام بها
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له طابت لك بلدك وتركت
الجهاد وقتال اعداء الله فنهض من فوره الى الثغر فما اصبح الا وهو سائر الى الشام
واستقضى الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون وكان معه على سنجار ونصيبين والخابور
فاستناب بها ابناء ابي عصرون نوابا واصحابا وفيها عزل الملك صلاح الدين يوسف
قضاة مصر لانهم كانوا شيعة وولى قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن
درباس المارانى الشافعي واستناب في سائر الاعمال الشافعية وبنى مدرسة للشافعية
واخرى للمالكية واشترى ابن اخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه دارا كانت تعرف
بمنازل العز وجعلها مدرسة للشافعية واوقف عليها الروضة وغيرها وعمر الملك
صلاح الدين اسوار البلد وكذلك اسوار اسكندرية واحسن الى الرعايا احسانا كثيرا
وركب فاغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة وخرب قلعة كانت لهم على ايلة
وقتل خلقا كثيرا من مقاتلتهم وتلقى اهله وهم واردون من الشام واجتمع شمله بهم
بعد فرقة طويلة وفيها قطع صلاح الدين الاذان بحي على خير العمل من ديار مصر كلها
وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر

وممن توفي فيها من الاعيان

طاهر بن محمد بن طاهر ابو زرعة المقدسي الاصل الرازي المولد الهمذاني الدار ولد سنة
احدى وثمانين واربعمائة واسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكبير ومما كان يرويه
مسند الشافعي وكانت وفاته بهمذان يوم الاربعاء سابع ربيع الاخر وقد قارب الثمانين
يوسف القاضي ابو الحجاج بن الخلال صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية وهو شيخ
القاضي الفاضل في هذا الفن اشتغل عليه فيه وبرع حتى قدر انه صار مكانه حين
ضعف الشيخ عن القيام باعباء الوظيفة لكبره وكان القاضي الفاضل يقوم به
وباهله حتى مات بره كان كثير الاحسان الى اهله رحمهم الله يوسف الخليفة المستنجد
بالله بن المقتفي بن المستظهر تقدم ذكر وفاته وترجمته في الحوادث وقد توفي بعده
عمه ابو نصر بن المستظهر باشهر ولم يبق بعده احد من ولد المستظهر وكانت وفاته
يوم الثلثاء الثامن والعشرين من ذي القعدة

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة العاضد

في اول جمعة منها امر الملك صلاح الدين باقامة الخطبة لبني العباس بمصر وفي الجمعة
الثانية بالقاهرة وكان ذلك يوما مشهودا ولما انتهى الخبر الى الملك نور الدين بالشام
ارسل الى الخليفة يعلمه بذلك مع ابن ابي عصرون وهو شهاب الدين ابو المعالي المطهر
فزينت بغداد وعلقت الاسواق وعملت القباب وفرح المسلمون فرحا شديدا وكانت
الخطبة قد قطعت من ديار مصر من سنة تسع وخمسين وثلثمائة في خلافة المطيع
العباسي حين تغلب الفاطميون عليها ايام المعز الفاطمي باني القاهرة الى هذا الان
وذلك مائتا سنة وثماني سنين قال ابن الجوزي وقد الفت في ذلك كتابا سميته
النصر على مصر **موت العاضد اخر خلفاء العبيديين**

والعاضد في اللغة القاطع لانه يعضد شجرها فيه قطعت دولتهم واسمه عبد الله
ويكنى بابي محمد بن يوسف الحافظ بن محمد المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن
العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي اولهم وكان مولد
العاضد في سنة ست واربعين فعاش احدى وعشرين سنة وكانت ولايته سيرة
مذمومة وكان شيعيا خبيثا لو امكنه قتل كل من قدر عليه من اهل السنة
واتفق انه لما استقر امر الملك صلاح الدين رسم بالخطبة لبني العباس عن
مرسوم الملك نور الدين له بذلك لمكاتبة الخليفة المستنجد اياه قبل
وفاته في ذلك وكان اذ ذاك العاضد مريضا مدنفا فكانت وفاته في يوم عاشورا
فحضر الملك صلاح الدين جنازته وشهد عزاءه وبكى عليه وتاسف عليه وظهر
منه حزن وقد كان مطيعا له فيما يامره به وكان العاضد كريما جوادا ممدحا
سامحه الله ولما مات استحوذ الملك صلاح الدين على القصر بما فيه واخرج
منه اهل العاضد الى دار افردها لهم واجرى عليهم الارزاق والنفقات السنية
والعيشة الرضية عوضا عما فاتهم من الخلافة وكان يتندم على اقامة الخطبة
العباسية قبل وفاته وهلا صبر بها الى بعد وفاته ولكن كان ذلك قدرا مقدورا
وفي الكتاب مسطورا ومما نظمه العماد الكاتب في ذلك

توفي العاضد الدعي فما ... يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها انقضى وغدا ... يوسفها في الامور محتكما
وانطفات جمرة الغواة وقد ... باخ من الشرك كل ما اضطرما
وصار شمل الصلاح ملتئما ... بها وعقد السداد منتظما
لما غدا معلنا شعار بني العباس حقا والباطل اكتتما
وبات داعي التوحيد منتصرا ... ومن دعاة الاشراك منتقما
وظل اهل الضلال في ظلل ... داجية من غباوة وعمى
وارتبك الجاهلون في ظلم ... لما اضاءت منابر العلما
وعاد بالمستضيء ممتهدا ... بناء حق قد كان منهدما
واعتلت الدولة التي اضطهدت ... وانتصر الدين بعدما اهتضما
واهتز عطف الاسلام من جذل ... وافتر ثغر الاسلام وابتسما
واستبشرت اوجه الهدى فرحا ... فليقرع الكفر سنه ندما
عاد حريم الاعداء منتهك ال ... حمى وفيء الطغاة مقتسما
قصور اهل القصور اخربها ... عامر بيت من الكمال سما
ازعج بعد السكون ساكنها ... ومات ذلا وانفه رغما

ومما قيل من الشعر ببغداد يبشر به الخليفة المستضيء بامر الله بالخطبة له بمصر

ليهنك يا مولاي فتح تتابعت ... اليك به خوص الركائب توجف
اخذت به مصرا وقد حال دونها ... من الشرك ناس في لهى الحق يقذف
فعادت بحمد الله باسم امامنا ... تتيه على كل البلاد وتشرف
ولا غرو ان ذلت ليوسف مصر ... وكانت الى عليائه تتشوف

فتكما من قبضة الكفر يوسف • وخلصها من عصبة الرفض يوسف •
يشابهه خلقا وخلقا وعفة • وكل عن الرحمن في الارض يخلف •
كشفت بها عن الهاشم سبة • وعارا له الا بسيفك يكشف •

وقد ذكرها الشيخ شهاب الدين ابو شامة في الروضتين وهي اطول من هذه وذكر ان ابا الفضايل الحسين بن محمد بن بركات وزير ابن هبيرة انشدها انشدها للخليفة المستنجد وهكذا ذكر هذه القصيدة في جبوة المستنجد ابن الجوزي ولم يخطب الا لولده المستضيء فجرى الفال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رح وقد ارسل الخليفة المستضيء بامر الله الى الملك نور الدين خلعة سنية سنية وكذلك للملك صلاح الدين الى الديار المصرية ومعها اعلام سود ولواء معقود ففرقت على الجوامع بالشام وبلاد مصر فلله الحمد على ما منح من العز والنصر قال ابن ابي طي في كتابه ولما تفرغ الملك صلاح الدين الملك صلاح الدين الملك الناصر من توطيد المملكة واقامة الخطبة العباسية والتعزية بانقضاء الدولة العبيدية الزاعمة بانها فاطمية استعرض حواصل القصرين فوجد فيها من الحواصل والامتعة والالات والثياب والملابس والمفارش شيا باهرا وامرا مايلا من ذلك سبعماية يتيمة من الجوهر وقضيب زمرد طوله اكثر من شبر وسمكه نحو الابهام وحبل من ياقوت ووجد فيه ابريق عظيم من الجوهر الحجر المانع وطبل للقولنج اذا ضرب عليه احد يحصل له خروج ريح من دبره ينصرف به ما يجده من القولنج فاتفق ان بعض امراء الاكراد اخذه في يده ولم يدر ما شانه فلما ضرب عليه حبق فالقاه من يده على الارض فكسره فبطل امره واما القضيب فان السلطان كسره ثلاث فلق فقسمه بين نسايه وفرق من الامر اشيا كثيرا من قطع البلخش والياقوت والذهب والاثاث وغير ذلك واستمر البيع فيما كان هنالك من الاثاث والامتعة نحوا من عشر سنين وارسل الى الخليفة بعد ذلك هدايا عظيمة سنية ولذلك الى الملك نور الدين ارسل جانبا كبيرا صالحا وكان لا يدخر لنفسه شيا مما يحصل له من الاموال والغنايم بل يعطي ذلك كله لمن حوله من الامراء والوزرا والملوك والاصحاب رح وكان مما ارسله الى نور الدين ثلاث قطع بلخش زنة الواحدة احد وثلاثون مثقالا والاخرى ثمانية عشر مثقالا والثالثة دونهما مع لالي كثيرة وستون الف دينار وعطرا لم يسمع بمثله ومن ذلك حمارة عتابي وفيل عظيم جدا فارسلت الحمارة الى الخليفة في جملة هدايا وتحف مايلة قال ابن ابي طي ووجد خزانة كتب ليس في مدائن الاسلام لها نظير تشتمل على نحو الفي الف مجلد قال ومن عجايب ذلك انه كان بها الف ومايتان وعشرون نسخة بتاريخ الطبري كذا قال قال العماد الكاتب وكانت الكتب قريبا من ماية وعشرين الف مجلدة وقال ابن الاثير كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة ماية الف مجلد وقد تسلمها القاضي الفاضل فاخذ منها شيا كثيرا مما اختاره وانتخبه قال وقسم القصر الشمالي بين الامراء فسكنوه واسكن اباه في قصر عظيم على الخليج يقال له اللولوة الذي فيه بستان الكافوري وسكن اكثر الامرا في دور من كان ينتمي الى الفاطميين ولا يلقى

احدا

احدا من الاتراك احدا من اوليك الذين كانوا بها الا سلبوه ثيابه ونهبوا داره حتى فرق كثير منهم في البلاد وتفرقوا شذر مذر وصاروا ايادي سبا وقد كانت مدة ملك الفاطميين مايتين وثمانين سنة وكسرا فصاروا كامس الذاهب وكان لم يغنوا فيها وكان اول من ملك منهم المهدي وكان من اهل سلمية حدادا اسمه سعيد وكان يهوديا فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله وادعى انه شريف علوي فاطمي وقال انه المهدي وقد ذكر هذا غير واحد من سادات العلما الكبار كالقاضي ابي بكر الباقلاني والشيخ ابي حامد الاسفراييني وغير واحد من سادات الايمة بعد الاربعماية كما بسطنا ذلك فيما تقدم والمقصود ان هذا الدعي المدلس الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد ووازره جماعة من جهلة العباد وصارت له دولة وجولة وصولة فتمكن الى ان بنى مدينة سماها المهدية نسبة اليه وصار ملكا مطاعا يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض ثم كان من بعده ابنه القايم ثم المنصور ثم المعز وهو اول من دخل مصر منهم وبنيت له القاهرة ثم العزيز ثم الحاكم ثم الظاهر ثم المستنصر ثم المستعلي ثم الامر ثم الحافظ ثم الظافر ثم الفايز ثم العاضد وهو اخرهم فجملتهم اربعة عشر ملكا ومدتهم مايتان ونيف وثمانون سنة وكذلك عدة خلفاء بني امية اربعة عشر ايضا ولكن كانت مدتهم نيفا وتسعين سنة وقد كانوا من احسن الملوك سيرة واخبثهم سريرة ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر اهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلما وكثر بارض الشام النصيرية والدرزية والحشيشية وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله حتى اخذوا القدس الشريف ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعثليث وصيدا وبيروت وعكا وصفد وطرابلس وانطاكية وجميع ما والى ذلك الى بلاد اياس وسيس واستحوذوا على بلاد امد والرها وبلاد شتى وقتلوا خلقا لا يعلمهم الا الله عز وجل وسبوا من ذراري المسلمين من النسا والولدان ما لا يحد ولا يوصف وكادوا يتغلبون على دمشق ولكن صانها الله بعنايته وسلمها برعايته وحين زالت ايامهم وانتقض ابرامهم اعاد الله هذه البلاد على اهلها من السادة المسلمين ورد الله الكفرة خايبين واركسهم بما كسبوا في هذه الدنيا ويوم الدين وقد قال حسان الشاعر المدعو بعرقلة

اصبح الملك بعد آل علي • مشرقا بالملوك من آل شاذي •
وغدا الشرق يحسد الغرب • للقوم ومصر تزهو على بغداذ •
ما حووها الا بعزم وحزم • وصليل الفولاذ في الفولاذ •
لا كفرعون والعزيز ومن • كان بها كالخصيب والاستاذ •

قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة رح يعني بالاستاذ كافور الاخشيدي وقوله آل علي يعني الفاطميين ولم يكونوا فاطميين وانما كانوا ادعيا ينتسبون الى عبيد وكان اسمه سعيدا وكان يهوديا حدادا بسلمية ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الايمة فيهم وطعنهم في نسبهم قال وقد استقصينا الكلام في ذلك في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة عبد الرحيم ابن الياس ثم ذكر في الروضتين في هذا الموضع اشيا كثيرة من قبايحهم وما كانوا يجهرون به في بعض الاحيان من الكفريات والمصايب المعظمات لعنهم الله وقد ذكرت انا اشيا كثيرة في غضون ما سلف من سيرتهم في السنين المتقدمة مما يبسد الاسماع وينفر الطباع

قال ابو شامة وقد افردت كتابا سميته كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد وكذا صنف العلما في الرد عليهم كتبا كثيرة من اجلها ما وضع في ذلك كتاب القاضي ابي بكر الباقلاني الذي سماه كشف الاسرار وهتك الاستار وما احسن ما قاله بعض الشعرا في بني ايوب يمدحهم على ما فعلوا بديار مصر

ابدتم من بلى دولة الكفر من • بني عبيد بمصر ان هذا هو الفضل •
زنادقة شيعية باطنية • مجوس وما في الصالحين لهم اصل •
يسرون كفرا يظهرون تشيعا • ليستتروا سا وعمهم الجهل •

وفي هذه السنة اسقط الملك صلاح الدين عن اهل مصر المكوس والضرايب وقرى المنشور بذلك على رؤس الاشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة قاله الشيخ وفيها وقعت نفرة بين الملك نور الدين والملك الناصر صلاح الدين وذلك ان الملك نور الدين غزا في هذه السنة بلاد الفرنج فاستواحل ناحل بهم باسا شديدا وفرق انفسهم سنه نقمة ووعيدا ثم عزم على محاصرة الكرك وكتب الى صلاح الدين ان يلتقيه بالعساكر المصرية الى بلاد الكرك ليجتمعا هنالك على المصالح فيما يعود نفعه على المسلمين فتوهم من ذلك الملك صلاح الدين وخاف ان يكون لهذا الامر غايلة يزول بها ما حصل له من التمكين وتكلم مع ذلك الركب في جيشه من الديار المصرية ليقصد امتثال المرسوم فسار اياما ثم كر راجعا معتلا بقلة الظهر والخوف على اختلال الديار المصرية اذا بعد منها واشتغل عنها وارسل يعتذر بذلك الى السلطان الملك العادل نور الدين رح فوقع في نفسه منه واشتد غضبه عليه وعزم على الدخول الى الديار المصرية وانتزاعها من صلاح الدين وتوليتها غيره فيها ولما بلغ هذا الخبر الى صلاح الدين ضاق بذلك ذرعه وذكره بحضرة الامرا والكبرا فبادر ابن اخيه تقي الدين عمر فقال والله لو قصدنا نور الدين لقاتلناه فشتمه الامير نجم الدين ايوب والد الملك صلاح الدين واسكته ثم قال لابنه اسمع ما اقول لك والله ما ههنا احد اشفق عليك مني ومن خالك هذا يعني شهاب الدين الحارمي ولو راينا الملك نور الدين لبادرنا اليه لنقبل الارض بين يديه وكذلك بقية هولا الامرا ولو كتب الي ان ابعثك مع نجاب لفعلت ثم امر من هنالك بالانصراف والذهاب فلما خلا بابنه قال له اما لك عقل تذكر مثل هذا بحضرة هولا فيتقول لمثل هذا الكلام ويعزم عليه فلا ينبغي عند نور الدين احد اهم عنده من قصدك وقتالك ولو قدراه هولا لم يتبعك منهم واحد ولكن ابعث اليه وترفق له وتواضع عنده وقل له واي حاجة الى مجي مولانا ابعث الي نجابا حتى اجي معه الى بين يديك فلما سمع نور الدين مثل هذا لان قلبه وانصرفت همته عنه واشتغل بغيره وكان امر الله قدرا مقدورا وفيها اتخذ نور الدين الحمام الهوادي وذلك لامتداد مملكته واتساعها فانه من حد النوبة الى همذان لا يتخللها الا بلاد الفرنج لعنهم الله وكلهم تحت قهره وهدنته فلذلك اتخذ في كل قلعة وحصن الحمام التي تحمل الرسايل الى الافاق في اسرع مدة وايسر عدة وما احسن ما قال فيهن القاضي الفاضل الحمام ملايكة الملوك وقد اطنب في ذلك العماد الكاتب واطرف واطرب واعجب واغرب رح

وممن توفي فيها من الاعيان

عبد الله بن احمد بن احمد ابو محمد بن الخشاب قرا القران وسمع الحديث واشتغل بالنحو

واللغة

واللغة حتى ساد اهل زمانه فيهما وشرح الجمل لعبد القاهر وكان رجلا صالحا متطوعا كانت وفاته في شعبان من هذه السنة ودفن قريبا من الامام احمد وري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني الجنة الا انه اعرض عني وعن جماعة من العلما تركوا العمل قال القاضي ابن خلكان كان مطرح الكلفة في ماكله وملبسه رح محمد بن محمد ابو المظفر البروي قرا الفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالي في ناظر ووعظ ببغداد وكان يظهر مذهب الاشعري وتكلم في الحنابلة ومات في رمضان منها ناصر بن الجوزي الصوفي كان يمشي في طلب الحديث حافيا توفي ببغداد رح قال الشيخ شهاب الدين وفيها توفي نصر بن عبد الله ابو الفتوح الاسكندري المعروف بابن قلاقس الشاعر بعيذاب عن خمس وثلاثين سنة والشيخ ابو بكر يحيى بن سعدون القرطبي نزيل الموصل المقرئ النحوي رح قال وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين والمنصور محمد بن تقي الدين عمر

وفيها دخلت سنة ثمان وستين وخمسماية

فيها ارسل الملك نور الدين الى الملك صلاح الدين الموفق خالد بن القيسراني ليقيم له حساب الديار المصرية وذلك لانه استقل الهدية التي ارسلها اليه من خزاين العاضد وقصده ان يقرر عليه على الديار المصرية خراج يحمل اليه في كل عام وفيها حاصر الملك صلاح الدين الكرك والشوبك فضيق على ساكنيها وخرب اماكن كثيرة من معاملتها ولكن لم يظفر بها عامه ذلك وفيها اجتمعت الفرنج بالشام لقصد مدينة زرع فوصلوا الى سمسكين فبرز اليهم نور الدين فهربوا منه الى الغوار ثم الى السواد ثم الى الشلالة فبعث سرية الى طبرية فغاروا هنالك وسبوا وقتلوا وغنموا وعادوا وقد سلمهم الله ورجعت الفرنج خايبين لعنهم الله اجمعين

فتح بلاد النوبة

وفيها ارسل الملك صلاح الدين اخاه شمس الدولة توران شاه الى بلاد النوبة فافتتحها واستحوذ على معقلها وهو حصن يقال له بريم ولما راها بلادا قليلة الجدوى لا يفي خرجها بكلفتها استخلف على الحصن المذكور رجلا من الاكراد يقال له ابراهيم فجعله مقدما منفردا بحصن بريم وانضاف اليه جماعة من الاكراد البطالين فكثرت اموالهم وحسنت حالهم هنالك وشنوا الغارات وحصلوا على الغنايم والمسرات ولله الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات وفيها كانت وفاة الامير نجم الدين ايوب والد الملك صلاح الدين سقط عن فرسه فمات وسيأتي ترجمته في الوفيات ان شا الله تعالى وفيها سار الملك نور الدين الى بلاد عز الدين قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان السلجوقي ملك الروم واتفق في طريقه بلاده واصلحها وجدد فيها من الخلل ثم سار فافتتح مرعش وبهسنا وعمل في كل منهما بالحسنى قال العماد الكاتب وفي هذه السنة وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري وهو فقيه عصره ونسيج وحده فسر به نور الدين وانزله بحلب بمدرسة باب العراق ثم احضره الى دمشق فدرس بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ونزل بمدرسة الجاروق وشرع نور الدين في انشا مدرسة كبيرة للشافعية فادركه الاجل قبل ذلك قال ابو شامة هي العادلية الكبيرة التي عمرها بعده الملك العادل ابو بكر بن ايوب وفيها عاد شهاب الدين بن ابي عصرون من بغداد حين سار للهنا بالخطبة العباسية بالديار المصرية ومعه توقيع من الخليفة باقطاع

وربما دون وصريفين الملك نور الدين وقد كانتا قديما لابيه عماد الدين زنكي فاراد الملك نور الدين ان يبني ببغداد مدرسة على دجلة ويجعل هذين المكانين وقفا عليها فعاقه القدر عن ذلك رح وفيها جرت بناحية خوارزم حروب كثيرة من سلطان شاه وبين اعدائه تقصاها ابن الاثير وابن الساعي وفيها هزم ملك الارمن مليح بن ليون لعساكر الروم وغنم منهم شيا كثيرا وبعث نور الدين باموال كثيرة من ذلك وبثلثين من اسارى روسهم فارسلها نور الدين الى الخليفة المستضي بامر الله العباسي وفيها بعث الملك صلاح الدين سرية صحبة قراقش مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه الى بلاد افريقية فملكوا طايفة كبيرة منها من ذلك مدينة طرابلس المغرب وعدة مدن معها

وممن توفي فيها من الاعيان

ايلدكز التركي الاتابك صاحب اذربيجان وغيرها كان مملوكا للكمال السميري وزير السلطان محمود فلما قتل محمود حصل ايلدكز هذا عند السلطان محمود ثم علا امره وتمكن حتى ملك بلاد اذربيجان وبلاد الجبل وغيرها وكان عادلا منصفا شجاعا الى الرعية رح توفي في هذه السنة بهمذان الامير نجم الدين ابو الشكر ايوب بن شاذي والد الملوك بني ايوب الكردي الزرزاري وهم خيار الاكراد الدوينية نسبة الى دوين شمالي بلاد اذربيجان مما يلي الكرج ومنهم من يقول ايوب بن شاذي بن مروان وزاد بعضهم بعد مروان بن يعقوب والذي عليه الجمهور انه لا يعرف بعد شاذي احد في نسبهم واغرب بعضهم فزعم انه من سلالة مروان بن محمد الجعدي اخر خلفا بني امية وهذا ليس بصحيح والذي نسب اليه ادعا هذا هو الملك ابو الفدا اسماعيل بن طغتكين بن ايوب بن شاذي ويعرف بابن سيف الاسلام وقد ملك اليمن بعد ابيه فتعاظم في نفسه وادعى الخلافة وتلقب بالامام الهادي بنور الله المعز لدين الله امير المومنين وزعم انه اموي ومدحه الشعرا واطروه وهجوا بذلك وقال هو في ذلك ايضا

وانا الهادي الخليفة الذي ... ادوس رقاب الغلب بالضمر الجرد
ولا بد من بغداد اطوي ربوعها ... وانشرها نشر السماسر للبرد
وانصب اعلامي على شرفاتها ... واحيي بها ما كان اسسه جدي
ويخطب لي فيها على كل منبر ... واظهر دين الله في الغور والنجد

وهذا الادعا ليس بصحيح ولا له اصل يعتمد عليه ولا سند يستند اليه والمقصود ان الامير نجم الدين كان اسن من اخيه اسد الدين شيركوه وكانا بارض الموصل وكان الامير نجم الدين شجاعا باسلا يخدم السلطان محمد بن ملك شاه فراى فيه شهامة وامانة فولاه قلعة تكريت فحكم فيها بعدل وكان من اكرم الناس ثم اقطعها الملك مسعود لمجاهد الدين بهروز شحنة العراق فاستمر به فيها فاجتاز به في بعض الاحيان الملك عماد الدين زنكي منهزما من قراجا الساقي فاواه وخدمه خدمة تامة وداوى جراحته واقام عنده خمسة عشر يوما ثم ارتحل الى بلده الموصل ثم اتفق ان نجم الدين ايوب عاتب رجلا نصرانيا فقتله وقيل انما قتله اخوه اسد الدين شيركوه وهذا الذي ذكره القاضي ابن خلكان قال ورايت جماعة من بعض الخدم فذكرت انه تعرض لها اسفهسلار الذي بباب القلعة فخرج اليه اسد الدين شيركوه فطعنه بحربة فقتله فحبسه اخوه نجم الدين ايوب وكتبا الى

مجاهد الدين بهروز يخبره بصورة الحال فكتب اليه يقول ان اباكما كانت له علي خدمة وكان قد استنابه في هذه القلعة قبل ابنه نجم الدين ايوب واني اكره ان اسوكما ولكن انتقلا منها فاخرجهما بهروز من قلعته وفي ليلة خروجه منها ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف قال فتشامت به لعقدي بلدي ووطني فقال له بعض الناس قد ترى ما انت فيه من التشام بهذا المولود فما يومنك ان يكون هذا المولود ملكا عظيما له صيت كبير فكان كذلك فاتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكي ثم كانا عند ابنه نور الدين محمود الملك العادل وتقدما عنده وعظما واستنابه الملك نور الدين ببعلبك لما سلمت اليه فاقام بها مدة طويلة وولد له بها اكثر اولاده قال القاضي ابن خلكان وله خانقاه بالديار المصرية ومسجد وماء خارج باب النصر بالقاهرة وقفهما في سنة ست وستين وله بدمشق خانقاه ايضا تعرف بالنجمية ثم كان من الامر ما ذكرناه في دخولهم الديار المصرية وصيرورة الامير نجم الدين الى ابنه بها في سنة اربع وستين ثم اتفق انه في ذي الحجة سقط عن فرسه ومات بعد ثمانية ايام في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة وكان ابنه الملك صلاح الدين محاصر الكرك والشوبك فلما وصله الخبر تالم لعدم حضوره ذلك وارسل يتحرق ثم انشد

وتخطفته يد الردى في غيبتي ... هبني حضرت فكنت ماذا اصنع

وقد كان نجم الدين ايوب كثير الصلاة والصيام والصدقة كريم النفس جوادا ممدحا وقد استنابه ابنه على الديار المصرية حين خرج الى الكرك وحكمه في الخزائن وكان من اكرم الناس وقد امتدحه الشعرا كالعماد الكاتب وعرقله وعمارة اليمني وغير واحد ورثوه حين مات بمراث كثيرة قد ذكر ذلك مستقصى الشيخ شهاب الدين ابو شامة في كتابه الروضتين ولما مات دفن مع اخيه اسد الدين شيركوه بدار الامارة ثم نقلا الى المدينة النبوية في سنة ثمانين فدفنا بتربة الوزير جمال الدين الموصلي الذي كان مواخيا لاسد الدين شيركوه قال الشيخ شهاب الدين وفي هذه السنة توفي ملك النحاة الحسن بن صافي بن نزدن التركي كان من اكابر امراء بغداد المتحكمين في الدولة ولكنه كان رافضيا خبيثا متعصبا للروافض وكانوا تحت حمايته وجاهه حتى اراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذي الحجة منها ودفن بداره ثم نقل الى مقابر قريش ولله الحمد وحين مات فرح اهل السنة بموته وغضبت الشيعة من ذلك فكان بسبب ذلك فتنة وذكر ابن الساعي في تاريخه انه كان في صغره شابا حسنا مليحا قال ولشيخنا ابي اليمن الكندي فيه وقد رمدت عينه

بكل صباح لي وكل عشية ... وقوف على ابوابكم وسلام
وقد قيل لي تشكو سقاما بعينه ... فها نحن منها نشتكي ونضام

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسماية

قال ابن الجوزي في المنتظم انه سقط عندهم برد كبار كالنارنج وفيها ما وزنه سبعة ارطال ثم عقب ذلك زيادة عظيمة بدجلة لم يعهد مثلها اصلا فخربت شيا كثيرا من العمران والقرى والمزارع حتى القبور وخرج الناس الى الصحرا وكثر الضجيج والابتهال الى الله والدعا حتى فرج الله عز وجل وتناقص زيادة الما فلله الحمد رب الارض ورب السما واما الموصل فانه كان بها نحو ما كان ببغداد واكثر انهدم بالما نحو الفي دار واستهدم بسببه مثل ذلك وهلك

بياضه

* عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص هو العجب *

قال ابن ابي طي وكان الذين صلبوا الفضل بن كامل القاضي وهو ابو القسم هبة الله بن عبد الله بن كامل قاضي قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين وتلقب بفخر الامناء وكان اول من صلب فيها قال له العماد الكاتب وقد كان ينسب الى فضيلة وادب وله شعر رايق فمن ذلك في غلام رفا

* يا رافيا خرق كل ثوب * ويا رشا حبه اعتقادي *
* عسى بكف الوصال ترفو * ما مزق الهجر من فؤادي *

وابن عبد القوي داعي الدعاة وكان يعلم بدفاين القصر فعوقب ليعلم بها فامتنع من ذلك فمات واندرست والعويرس الذي كان ناظر الديوان وتولى مع ذلك القضا وشبريا كاتب السر وعبد الصمد الكاتب احد امرا المصريين ونجاح الحمامي ورجل منجم نصراني ارمني كان قد بشرهم بان هذا الامر يتم بعلم النجوم وعمارة اليمني الشاعر وقد كان شاعرا مطبوعا بليغا فصيحا لا يلحق شاوه في هذا الشان وله ديوان مشهور وقد ذكرته في طبقات الشافعية فانه كان ينتحل لمذهب الشافعي وله تصنيف في الفرايض وكتاب الوزرا للفاطميين وكتاب جمع فيه سيرة نفيسة وقد كان اديبا فاضلا فقيها فصيحا غير انه كان ينتسب الى موالاة الفاطميين وله فيهم وفي وزرايهم وامرايهم مدايح كثيرة جدا واقل ما ينسب الى الرفض وقد اتهم باطنه بالكفر المحض وذكر العماد في الخريدة انه قال في قصيدته التي يقول في اولها

* العلم مذ كان محتاج الى العلم * وشفرة السيف تستغني عن القلم *

وهي طويلة قال فيها

* قد كان اول هذا الدين من رجل * سعى الى ان دعوه سيد الامم *

قال العماد فافتى علما مصر بقتله وحرضوا السلطان على المثلة بمثله قال ويجوز ان يكون هذا البيت معمولا عليه فالله اعلم وقد اورد ابن الساعي شيا من رقيق شعره فمن ذلك قوله يمدح بعض الملوك

* ملك اذا قابلت بشر جبينه * فارقته والبشر فوق جبيني *
* واذا لثمت يمينه وخرجت من * ابوابه لثم الملوك يميني *

ومن ذلك قوله يتغزل

* لي في هوى الرشا العذري اعذار * لم يبق لي مذ اقر الدمع انكار *
* لي في القدود وفي لثم الخدود وفي * ضم النهود لبانات واوطار *
* هذا اختياري فوافق ان رضيت به * او لا فدعني بما اهوى واختار *

ومما انشده الشيخ تاج الدين الكندي في عمارة اليمني حين صلب

* عمارة في الاسلام ابدى جناية * وبايع فيها بيعة وصليبا *
* وامسى شريك الشرك في بغض احمد * فاصبح في حب الصليب صليبا *
* وكان خبيث الملتقى ان عجمته * تجد منه عودا في النفاق صليبا *
* سيلقى غدا ما كان يسعى لاجله * ويسقى صديدا في لظى وصليبا *

قال الشيخ شهاب الدين فالاول صليب النصارى والثاني صليب بمعنى مصلوب

والثاني

والثاني يعني القوي والرابع هو ودك الحطام والمصلوب الملك الناصر هو لا بين القصرين من القاهرة وكان ذلك يوم السبت الثاني من شهر رمضان من هذه السنة وكتب الى الملك نور الدين يعلمه بما وقع منهم وما اوقع بهم من الخزي والنكال قال العماد الكاتب فوصل الكتاب بذلك الى الشام يوم توفي الملك نور الدين رح وكذلك قتل الملك صلاح الدين رجلا من اهل الاسكندرية يقال له قديد القفاص كان قد افتتن به الناس وجعلوا له جزا من اكسابهم حتى النسا من اموالهن فاحيط به فاراد الخلاص ولات حين مناص فقتل اسوة من سلف ولقد كان بيس الخلف ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ومما وجد من شعر عمارة يرثي العاضد ودولته وايامه

* اسفي على زمن الامام العاضد * اسف العقيم على فراق الواحد *
* جالست من وزرايه وصحبت من * امرايه اهل الثنا الماجد *
* لهفي على حجرات قصرك اذ خلت * يا ابن النبي من ازدحام الوافد *
* وعلى انفرادك من عساكرك الذي * كانوا كامواج الخضم الراكد *
* قلدت مؤتمن الخلافة امرهم * فكبا وقصر عن صلاح الفاسد *
* فعسى الليالي ان ترد عليكم * ما عودتكم من جميل عوايد *

وله في جملة قصيدة

* يا عاذلي في هوى ابنا فاطمة * لك الملامة ان قصرت في عذلي *
* بالله زر ساحة القصرين وابك معي * عليهما لا على صفين والجمل *
* وقل لاهلهما والله ما التحمت * فيكم قروحي ولا جرحي بمندمل *
* ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * في نسل آل امير المؤمنين علي *

وقد اورد الشيخ شهاب الدين في الروضتين من اشعار عمارة اليمني ومدايحه في الخلفا الفاطميين وذويهم شيا كثيرا وكذا القاضي ابن خلكان

ابن قرقول

ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن باديس بن القايد الحمزي ابو اسحاق بن قرقول الاندلسي صاحب كتاب مطالع الانوار الذي وضعه على كتاب مشارق الانوار للقاضي عياض وكان من علما بلاده وفضلايهم المشهورين مات فجاة بعد صلاة الجمعة سادس شوال من هذه السنة عن اربع وستين سنة قاله ابن خلكان

فصل في وفاة الملك العادل

نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر التركي
السلجوقي في هذه السنة رح وذكر شي
من سيرته العادلة وايامه
الكاملة

هو الملك العادل نور الدين ابو القاسم محمود بن الملك الاتابك قسيم الدولة عماد الدين ابي سعيد زنكي الملقب بالشهيد بن الملك آقسنقر الاتابك الملقب بقسيم الدولة ايضا التركي السلجوقي مولاهم ولد وقت طلوع الشمس يوم الاحد السابع

عشر من شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة بحلب ونشا في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما من البلدان الكثيرة وتعلم الفروسية والرمي وكان شهما شجاعا ذا همة عالية وقصد صالح وحرمة وافرة وديانة متينة فلما قتل ابوه سنة احدى واربعين وهو محاصر جعبر كما ذكرنا صار الملك بحلب الى ابنه هذا واعطى اخوه سيف الدين غازي الموصل كما تقدم ثم افتتح الملك نور الدين دمشق في سنة تسع واربعين فاحسن الى اهلها وبنى لهم المدارس والمساجد والربط ووسع الطرق والاسواق ووضع المكوس بدار البطيخ والغنم والعرصة وغير ذلك وكان حنفي المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم ويحترمهم ويحسن اليهم ويقوم في احكامه بالمعدلة الحسنة واتباع الشرع المطهر ويعقد مجالس العدل ويتولاها بنفسه ويجتمع اليه القاضي والفقهاء والمفتون من سائر المذاهب ويجلس في يوم الثلثاء بالمسجد المعلق الذي بالكوشك ليصل اليه كل احد من المسلمين واهل الذمة واحاط السور على حارة اليهود وكان خرابا واغلق باب كيسان وفتح باب الفرج ولم يكن قبله هناك باب بالكلية واظهر ببلاده السنة واماتت البدعة وامر بالتاذين بحلب بحي على الصلاة حي على الفلاح وانما كانوا يؤذنون بهما في دولتي ابيه وجده بحي على خير العمل لان شعار الرفض كان ظاهرا بها واقام الحدود وفتح الحصون وكسر الفرنج غير مرة واستنقذ من ايديهم معاقل كثيرة من الحصون المنيعة التي كانوا قد استحوذوا عليها من بلاد المسلمين كما تقدم بسط ذلك في السنين المتقدمة في ايامه واقطع امراء العرب لئلا يتعرضوا للحجيج وبنى بدمشق مارستانا حسنا لم يبن في الشام مثله ولا بعده مثله ايضا ووقف وقفا على من يعلم الايتام الخط وجعل لهم نفقة وكسوة وعلى من يقرئ القرآن وعلى المجاورين بالحرمين وكان الجامع داثرا فولى نظره للقاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصلي الذي تقدم بدمشق وولاه قضاء القضاة بدمشق فاصلح اموره وفتح المشاهد الاربعة وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترق في سنة احدى وستين واربعمائة واضاف الى اوقاف الجامع المعلومة الاوقاف التي لا يعرف واقفوها ولا يعرف شروطهم فيها وجعلها قلما واحدا وسماه مال المصالح فرتب عليه لذوي الحاجات والفقراء والمساكين والارامل والايتام وما اشبه ذلك وشاكله وقد كان الملك نور الدين حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار النبوية محافظا على الصلوات في الجماعات كثير التلاوة محبا لفعل الخيرات عفيف البطن والفرج مقتصدا في الانفاق على نفسه واهله وعيالة في المطعم والملبس لم تسمع منه كلمة فحش في غضب ولا رضى قال ابن الاثير لم يكن في ملوك الاسلام بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين ولا اكثر تحريا للعدل والانصاف منه وكان قد استفتى العلماء فيقدر ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله لا يزيد عليه وكانت له دكاكين بحمص قد اشتراها مما يخصه من المغانم فرا ذكر امراته على نفقتها حين استقلتها عليها وكان يكثر اللعب بالكرة فعاتبه بعض الصالحين في ذلك فقال انما اريد تمرين الخيل وتعليمها الكر والفر وكان لا يلبس الحرير ويأكل من كسب يده وركب يوما مع بعض اصحابه والشمس في ظهورهما والظل بين ايديهما لا يدركانه ثم رجعا فصار الظل وراءهما فساق الملك نور الدين

وجعل

وجعل يلتفت وراءه وظله يتبعه ثم قال لصاحبه قد شبهنا بحثنا بالدنيا تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها وقد انشد بعضهم في هذا

مثل الرزق الذي تطلبه • مثل الظل الذي يمشي معك •
انت لا تدركه متبعا • فاذا وليت عنه تبعك •

وكان فقيها على مذهب ابي حنيفة وسمع الحديث واسمعه وكان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر الى ان يركب •

جمع الشجاعة والخشوع لربه • ما احسن المحراب في المحراب •

وكذلك كانت زوجته عصمة الدين خاتون بنت الاتابك معين الدين انر تكثر قيام الليل فنامت ذات ليلة عن وردها فاصبحت وهي غضبى فسالها عن امرها فذكرت ما حصل لها من النوم الذي قطعها عن وردها فامر بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر لتوقظها واشالها من النوم لقيام الليل •

• فالبس الله هاتيك العظام وان • تلين تحت الثرى عفوا وغفرانا •
• سقى ثرى او دعوه رحمة ملأت • مثوى قبورهم روحا وريحانا •

وذكر ابن الاثير ان الملك نور الدين بينما هو يوما يلعب بالكرة اذ راى رجلا يحدث آخر ويومي اليه فبعث الحاجب ليسأله ما شانه فاذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم وهو يزعم ان له على الملك حقا يريد يحاكمه واياه الى القاضي فلما اعلمه الحاجب بذلك القى الجوكان من يده واقبل مع خصمه الى القاضي كمال الدين الشهرزوري وقد ارسل اليه من اثناء الطريق ان لا يعاملني الا معاملة الخصوم فحين وصل وقف نور الدين مع خصمه حتى انفصلت الحكومة ولم يثبت للرجل حق بل ثبت الحق للسلطان فلما تبين ذلك قال السلطان انما جئت معه لئلا يتخلف احد عن الحضور الى الشرع فانما نحن معاشر الحكام بين يديه وانا اعلم انه لا حق له عندي ومع هذا اشهدكم اني قد ملكته ذلك ووهبته له وارسل القاضي تاج الدين رسولا من جهته يقال له شوبك يطلب الملك نور الدين الى مجلس الحكم لسماع دعوى من رجل عليه فبلغ سويد الرسالة الى الحاجب فدخل عليه وهو يضحك ويقول ليتهم المولى الى القاضي لسماع دعوى وكان يشتهي بذلك فقال له الملك وما بك تستهزئ بذلك ثم قال ايتوني بفرسي فنهض وهو يقول انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا وذهب الى الحاكم وكان يوما مطرا كثير الوحل ونحو ذلك قال ابن الاثير وهو اول من بنى دار العدل وكان يجلس فيها في الاسبوع مرتين وقيل اربعة وقيل خمسة ويحضر القاضي والفقهاء من المذاهب ولا يحجبه يومئذ حاجب بل يصل اليه القوي والضعيف فيكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه فيكشف المظالم وينصف المظلوم من الظالم فقال وكان سبب ذلك ان اسد الدين شيركوه بن شاذي كان قد عظم شانه حتى صار كانه شريك في المملكة واقتنى الاملاك والاموال والمزارع والقرى فربما ظلم نوابه جيرانهم في الاراضي وكان القاضي كمال الدين ينصف كل من استعداه على جميع الامراء الا اسد الدين هذا فلما ابتنى الملك نور الدين دار العدل تقدم

اسد الدين الى نوابه ان لا يدعو لاحد عند ظلامة وان كان عظيما فان زوال ما له
احب اليه من ان يراه نور الدين بعين ظالم او يوقفه مع خصم من العامة ففعلوا
ذلك فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة لم ير احدا يستعدي على
اسد الدين فسال القاضي عن ذلك فاعلمه بصورة الحال فسجد نور الدين عند
ذلك شكرا وقال الحمد لله الذي اصحابنا ينصفون من انفسهم واما شجاعته
فكان يقال انه لم ير على ظهر الفرس احسن ولا اثبت منه وكان يحسن اللعب بالكرة
وربما ضربها ثم يسوق وراها وياخذها من الهوا بيده ثم يرميها الى اخر الميدان
ولم ير جوكانه يعلو على راسه ولا يرى الجوكان في يده لان الكم ساتر لها ولكنه استهانة
بلعب الكرة وكان شجاعا صبورا في الحرب يضرب به المثل في ذلك وكان يقول قد
تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ذلك فقال له يوما الفقيه قطب
الدين النيسابوري بالله يا مولانا لا تخاطر بنفسك فانك لو قتلت قتل جميع
من معك واخذت البلاد فقال اسكت يا قطب الدين من هو محمود من كان يحفظ
البلاد قبلي الله الذي لا اله الا هو فابكى من حضر وتداس بنفسه في بعض
الغزوات بعض ملوك الفرنج فاستشار امراءه هل يقتله او ياخذ منه ما يبذله
من المال في الفدا فاختلفوا عليه ثم حسن عنده راي اطلاقه واخذ الفدا الذي
جهز فبعث الفدا امات ببلده فاعجب ذلك نور الدين واصحابه وابتنى نور الدين
من ذلك المال البيمارستان الذي بدمشق وهو احسن ما بني من البيمارستان
بالبلاد ومن شرطه انه على الفقرا والمساكين واذا لم يوجد بعض الادوية التي
يعز وجودها الا فيه فلا يمتنع منه الاغنيا ومن جا اليه مستوصفا فلا يمنع من
شرابه ولهذا جا اليه نور الدين وشرب من شرابه رح ثلثه يقول لبعض الناس انه
لم يجعل منه لنا رسم يسمى الى زماننا هذا فالله اعلم وبنى الخانات في الطرق والابراج
والثغور في الاماكن المخوفة وفيها الحمام الهوادي التي تطالع بالاخبار في اسرع مدة
وبنى الربط والخانقاات وكان يجمع الفقها عنده للبحث والمشايخ والصوفية
للزيارة ويكرمهم ويعظمهم وقد قال بعض الفقها الامرا عند بعض العلما
وهو قطب الدين النيسابوري فقال له نور الدين ويحك ان كان ما تقول حقا
فله من الحسنات الكثيرة ما ليس عندك مما يكفر عنه سيات ما ذكرت ان كنت صادقا
على اني والله لا اصدقك وان عدت ذكرته او احدا غيره لسو لا ودنيا فكف
عنه ولم يذكره بعد ذلك وابتنى بدمشق دار سماع الحديث واسماعه قال
ابن الاثير وهو اول من بنى دار حديث وقد كان مهيبا وقورا شديد الهيبة في قلوب
امرايه لا يتجاسر احد ان يجلس بين يديه الا باذنه ولم يكن احد من الامرا يجلس بلا اذن
سوى الامير نجم الدين ايوب واما اسد الدين شيركوه ومجد الدين ابن الداية نايب
حلب والاكابر وغيرهم فكانوا يقفون بين يديه ومع هذا اذا دخل احد من الفقها
او الفقرا قام له ومشى له خطوات واجلسه معه على سجادته وشرع يحادثه في وقار
وسكون واذا اعطى احدهم شيا يقول هولا لهم في بيت المال اضعاف هذا فاذا رضوا
منا ببعضه فلهم المنة علينا وقد سمع عليه جزو حديث وفيه فخرج رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم وهو متقلد السيف فجعل يتعجب من تغيير عادات الناس وكيف
يربط الاجناد السيوف في اوساطهم ولا يفعلون هكذا ثم امر الجند بان لا يحملوا السيوف
الا متقلديها وخرج في اليوم الثاني الى الموكب وهو متقلد السيف وجميع الجيش
كذلك يريد به الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه وزيره موفق
الدين خالد بن محمد بن نصر بن صغير ابن القيسراني الشاعر انه راى في منامه انه يغسل
ثياب الملك نور الدين فامره ان يكتب مناشير بوضع المكوس والضرايب عن البلاد
وقال هذا تفسير رؤياك وكتب الى الناس يستحل منهم في حل ما كان اخذ منهم ن
ويقول انما صرفنا في قتال اعدايكم من الكفرة يحمي الله ولعنهم وكتب بذلك الى
سائر ممالكه وبلدان سلطانه وامر الوعاظ ان يستحلوا من التجار لنور الدين
وكان يقول في سجوده اللهم   العشار المكاس وقيل ان برهان الدين البلخي
انكر على الملك نور الدين استعانته في الحروب باموال المكوس وقال كيف تنصرون
وفي عساكركم الخمور والطبول والزمور ويقال ان سبب وضعه المكوس عن البلاد
ان الواعظ ابا عثمان المنتخب بن ابي محمد الواسطي وكان من الصالحين الكبار
انشد نور الدين

مثل وقوفك ايها المغرور ● يوم القيامة والسما تمور
ان قيل نور الدين رحت مسلما ● فاحذر بان تبقى وما لك نور
انهيت عن شرب الخمور وانت في ● كاس المظالم طائش مخمور
عطلت كاسات المدام تعففا ● وعليك كاسات الحرام تدور
ماذا تقول اذا نقلت الى البلى ● فردا وجاءك منكر ونكير
وتعلقت فيك الخصوم وانت في ● يوم الحساب مسحب مجرور
وتفرقت عنك الجنود وانت في ● ضيق اللحود موسد مقبور
ووددت انك ما وليت ولاية ● يوما ولا قال الانام امير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة ● في عالم الموتى وانت حقير
وحشرت عريانا حزينا باكيا ● قلقا وما لك في الانام مجير
ارضيت ان تحيا وقلبك دارس ● عافي الخراب وجسمك المعمور
ارضيت ان يحظى سواك بقربه ● ابدا وانت مبعد مهجور
مهد لنفسك حجة تنجو بها ● يوم المعاد لعلك المعذور

فلما سمعها الملك نور الدين بكى وامر بوضع المكوس والضرايب في سائر بلاده
رح وكتب اليه الشيخ عمر الملا من الموصل وكان ندام الولاة بها انه لا يفصلوا امرا
حتى يعلموه فما امرهم به من شي امتثلوه وكان من الصالحين الزاهدين وكان نور
الدين يستقرض منه في كل شهر رمضان ما يفطر عليه وكان يرسل اليه بفتيت
ورقاق فيفطر عليه كتب اليه ان المفسدين قد كثروا ويحتاج الى نوع سياسة ومثل
هذا لا يجي الا بقتل وصلب وضرب واذا اخذ مال انسان في البرية من يجي يشهد له
فكتب الملك نور الدين على ظهر الكتاب ان الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو
اعلم بما يصلحهم ولو علم ان في الشريعة زيادة في المصلحة لشرعها فما لنا حاجة

على الزيادة على ما شرعه الله تعالى قال فجمع الشيخ عمر الناس بالموصل وأقرأهم الكتاب ويقول انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك وكتاب الملك إلى الزاهد وجاء اليه اخو الشيخ لك البيان ليستعين به على زجر انه يشبه ويرسيه بانه يرى منا من يجعل بيانا في شكايته منهم فقال له السلطان إن الله تعالى يقول وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال فسكت الشيخ ولم يرجع بالجواب قال الفقيه أبو الفتح الأسري معيد النظامية ببغداد وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين قال وكان يحافظ على الصلوات في أوقاتها في جماعة بتمام شروطها وأركانها وركوعها وسجودها وكان كثير الصلاة بالليل والابتهال إلى الله عز وجل في أموره كلها قال وبلغنا عن جماعة من الصوفية ممن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام الفرنج فسمعوا الكفار يقولون ابن القاسم يعنون نور الدين له مع الله سر فإنه ما يظفر علينا بكثرة جنده وجيشه وإنما يظفر علينا بالدعاء والصلاة بالليل فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فإن الله سبحانه يستجيب له دعاه ويعطيه سوله وما يرد يده خائبة فيظفر علينا قال فهذا كلام الكفار في حقه رح وحكى الشيخ شهاب الدين أن الملك نور الدين وقف بستان الميدان سوى الغيضة التي تليه نصفه على تطييب جامع دمشق والنصف الآخر يقسم أحد عشر جزءا جزآن منها على تطييب المدرسة التي أنشأها للحنفية والتسعة أجزاء الباقية على تطييب المساجد التسعة وهي جامع الصالحين بجبل قاسيون وجامع القلعة ومسجد عطية ومسجد ابن اسد بالفسقار ومسجد الرماحين المعلق ومسجد العباسي بالصاغة ومسجد دار البطيخ المعلق والمسجد الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود لكل من هذه المساجد جزء من أحد عشر جزءا من النصف وهذا قيد وما آثاره ومحاسنه كثيرة جدا وقد ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما عداها وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروضتين شيئا كثيرا من ذلك وذكر ما مدح به من الفضائل وقد أوردنا في عيون دولته طرفا صالحا من بعد له وقصده الصالح وذكرنا أنه لما فتح الملك صلاح الدين الديار المصرية هم بعزله عنها واستنابة غيره فيها غير مرة ولكن يعوقه عن ذلك القدر وبعده اقتراب أجله وفراغ عمله ولكن كان في هذه السنة أعني سنة تسع وستين وهي آخر مدته قد صمم على الدخول إلى الديار المصرية وأرسل إلى عساكر من بلاد الموصل وغيرها ليكونوا ببلاد الشام ويركب هو في جمهور جيشه إلى مصر وقد خاف منه الملك صلاح الدين خوفا فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة وهو في الميدان الأخضر القبلي وصلى به الخطيب فيه صلاة العيد وكان ذلك يوم الأحد ويسمى القبق في الميدان الأخضر الشمالي والقدر يقول له هذا آخر الأعياد ومد يوم العيد سماطا حافلا وأمر بإنهابه على العادة وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم وزين له البلد وضرب البشائر للعيد والختان وركب يوم الاثنين في الموكب على العادة ثم لعب الكرة في يومه ذلك فحصل له غيظ من بعض الأمراء ولم يكن ذلك من سجيته فبادر إلى القلعة وهو كذلك في غاية الغضب وحصل له انزعاج ودخل في حر سوء المزاج واشتغل بنفسه وانزعاجه وتنكرت عليه جميع حواسه وطباعه

واحتبس

واحتبس أسبوعا عن الناس والناس في شغل عنه بما هم فيه من اللعب والانشراح بالزينة التي قد نصبوها فهذا يجود بروحه وهذا يروح بجوده وانعكست تلك الأفراح بالأتراح ونسخ الجد ذلك المزاح وحصلت للملك خوانيق في حلقه منعته من أداء المنطق ومن أشد الأشياء أوجاع الحلق وقد كان أشير عليه بالفصد فلم يفعل وكان أمر الله قدرا مقدورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا فلما كان يوم الأربعاء الحادي من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان وخمسين سنة وله في الملك ثمان وعشرين سنة رح وصلي عليه بجامع القلعة ودفن بها حتى حول إلى تربة بنيت له بباب المدرسة التي أنشأها للحنفية رح وبل بالرحمة ثراه وجعل الجنة مأواه وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة قد أوردها أبو شامة في الروضتين وما أحسن ما قال العماد

عجبت من الموت لما أتى • إلى ملك في سجايا ملك •
وكيف ثوى الفلك المستدير • في الأرض والأرض وسط الفلك •

وقال حسان الشاعر الملقب بالعرقلة في مدرسة نور الدين حين دفن بها

ومدرسة ستدرس كل شيء • وتبقى في حمى علم ونسك •
تضوع ذكرها شرقا وغربا • بنور الدين محمود بن زنكي •
يقول وقوله حق وصدق • بغير كناية وبغير شك •
دمشق في المدائن بيت ملكي • وهذي في المدارس بيت ملك •

وقبره مشهور بدمشق يزار ويخلق شباكه ويطيب برجه كل مار وإنما يقول الناس نور الدين الشهيد لما حصل له في حلقه من الخوانيق وكذا كان يقال لأبيه الشهيد ويلقب بالقسيم وكانت الفرنج يقولون له ابن القسيم

صفة نور الدين رحمه الله

كان طويل القامة أسمر اللون حلو العينين واسع الجبين حسن الصورة تركي الشكل ليس له لحية إلا في حنكه مهيبا متواضعا عليه جلالة ونور الإسلام وتعظيم قواعد الشرع رح

فصل لما مات الملك نور الدين في شوال من هذه السنة بويع من بعده بالملك لولده الملك الصالح إسماعيل وكان صغيرا وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن مقدم فاختلفت الأمراء وحارت الآراء وظهرت الشرور وكثرت الخمور وانتشرت الفواحش حتى أن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل لما تحقق موت عمه وكان محصورا منه نادى مناديه بالبلد بالمسامحة في اللعب واللهو والشرب والطرب ومع المنادي دن وقدح وزمر فإنا لله وإنا إليه راجعون ويحقق حينئذ قول الشاعر

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر • ولا تسقني سرا وقد أمكن الجهر •

وطمعت الأعداء من كل جانب في المسلمين وعزم الفرنج على قصد دمشق وانتزاعها من يد الأتابك فوافقهم عند بانياس فضعف عن مقاومتهم فهادنهم مدة ودفع إليهم أموالا جزيلة عجلها المعمر ولولا أنه خوفهم بقدوم الملك صلاح الدين لما هادنوه ولما بلغ ذلك السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب صاحب الديار المصرية

كتب الى الامرا وخاصة الى ابن مقدم يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الاموال الى الفرنج
وهم قليل اذل ولو انهم انه على عزم قصد البلاد يحفظها من الفرنج فردوا اليه كتابا فيه
غلظة وكلام فيه بشاعة فلم يلتفت اليهم ومن شدة خوفهم منه كتبوا الى سيف
الدين غازي صاحب الموصل ليملكوه عليهم ليدفعوا به الملك الناصر صاحب مصر
فلم يفعل لانه خاف ان تكون مكيدة منهم له وذلك انه كان قد هرب منه الطواشي
سعد الدولة كمشتكين الذي كان قد جعله عنده الملك نور الدين عينا عليه وحافظا
له من تعاطي ما لا يليق فلما سمع الخادم بموت استاذه خاف ان عسكره ضرب سرادق بن
تحقق غازي موت عمه نهب في طلب الخادم فنجا منه فاستحوذ على حواصله ودخل سعد
الدولة ثم سار الى دمشق فاتفق مع الامرا على ان يأخذ ابن استاذه الملك الصالح اسماعيل
الى حلب فيربيه هنالك وتكون دمشق مسلمة الى الاتابك شمس الدين بن مقدم والقلعة
الى الطواشي جمال الدين ريحان فسار معه الامرا والاكابر من دمشق الى ذلك وذلك في الثالث
والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة وحين وصلوا حلب جلس الصبي على سرير مملكتها
واحتاطوا على بني الداية شمس الدين علي ابن الداية واخوه مجد الدين كان رضيع نور الدين
الشهيد واخوته الثلاثة وقد كان شمس الدين يظن ابن الداية ان يسلم اليه ابن نور
الدين فيربيه لانه احق الناس بذلك فخيبوا ظنه وسجنوه واخوته في الجب فكتب صلاح
الدين الى الامرا يلومهم على ما فعلوا من نقل الولد من دمشق الى حلب ومن سجنهم لبني الداية
وقد كانوا من خيار الامرا ورؤس الامرا ولم لا سلموا الولد الى مجد الدين ابن الداية الذي
كان احظى الناس عند نور الدين رح فكتبوا اليه يسيئون عليه الادب وكل ذلك مما يزيده
حنقا عليهم ويحرضه على القدوم ويحببه اليهم ولكنه في هذا الوقت في شغل شاغل بما دهم
بلاده من الامر الهايل كما سيأتي بيانه في اول السنة الاتية

وممن توفي في هذه السنة من المشاهير

ابو العلا الهمداني

الحسن بن احمد بن محمد العطار ابو العلا الهمداني الحافظ الكبير سمع الكثير ورحل
الى البلدان الكثيرة واجتمع بالمشايخ وقدم بغداد وحصل الكتب الكثيرة واشتغل بعلم
القراآت واللغة حتى صار اوحد زمانه في علمي الكتاب والسنة وصنف الكتب المفيدة
وكان على طريقة السلف مرضي الطريقة سخيا عابدا زاهدا صحيح الاعتقاد حسن السمت
له ببلده المكانة والقبول التام وكانت وفاته ليلة الخميس الحادي عشر من جمادى
الاخرة من هذه السنة وقد جاوز الثمانين باربعة اشهر واياما قال ابن الجوزي وقد
بلغني انه روي في المنام في مدينة جميع جدرانها كتب وحوله كتب لا تحد وهو مشتغل
بمطالعتها فقيل له ما هذا فقال سالت الله ان يشغلني بما كنت اشتغل به في الدنيا
فاعطاني الاموازي خازن كتب مشهد ابي حنيفة ببغداد توفي فجاءة في ربيع الاول من
هذه السنة وكذلك توفي ابوه واخوه فجاءة كما مات رحمهم الله محمود بن زنكي بن اقسنقر
السلطان الملك العادل نور الدين صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة
قد تقدم في ذكر الحوادث رح قال ابن الجوزي انتزع من ايدي الكفار نيفا وخمسين مدينة
وقد كان يكاتبني رح قال لما حضرته الوفاة اخذ العهد على الامرا من بعده لولده

الصالح

الصالح اسماعيل وجدد الهدنة مع صاحب طرابلس ان لا يغير على الشام المدة التي كان هادنه
عليها وذلك انه كان في اسره فاطلق نفسه منه بثلثماية الف دينار وخمسماية
حصان وخمسماية زردية وخمسماية ترس وخمسماية قنطوريات وخمسماية اسير من المسلمين وعلى
ان لا يغير على المسلمين الى سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام واخذ منه رهاين على ذلك
ماية من اولاد كبار الفرنج وبطارقتهم فان نكث اراق دماهم وعزم على فتح بيت المقدس
فوافته المنية في شوال من هذه السنة فكانت ولايته ثمانيا وعشرين سنة واشهرا
وفي هذه السنة كانت وفاة ملك الفرنج مري لعنه الله وباطنه ملك بلاد عسقلان
ونحوها وكان قد قارب ان يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته بعباده المومنين
الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الاربلي الفقيه الشافعي اول من درس باربل سنة ثلاث
وستين وخمسماية وكان فاضلا دينا انتفع الناس به وكان قد اشتغل على الكيا الهراسي
وغيره ببغداد وقدم دمشق فارخه ابن عساكر وترجمه القاضي ابن خلكان في الوفيات
وقال قبره يزار وقد زرته غير مرة رح

سنة سبعين وخمسماية

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب على عزم
الدخول الى الشام لحفظه من ايدي الفرنج المخذول ولكنه قد دهمه امر شغله عنه وذلك
ان الفرنج قدموا الى ساحل البلاد المصرية في اسطول لم يسمع بمثله في كثرة مراكبه
وما فيه من آلات الحصار وكثرة الرجال والمقاتلة في جملة ذلك مايتي شيني في كل منها
ماية وخمسون مقاتلا واربعماية قطعة اخرى وكان قدومهم من صقلية الى ظاهر
اسكندرية قبل راس السنة باربعة ايام فنصبوا المجانيق والدبابات حول البلد
وبرز اليهم اهلها فقاتلوهم دونها قتالا شديدا واستمر القتال اياما وقتل من كلا
الفريقين خلق كثير ثم اتفق اهل البلد على تحريق ما نصبوه من المجانيق والدبابات
فاضعف ذلك قلوب الفرنج وشد في اعضادهم ثم كبسهم المسلمون في منازلهم فقتلوا
من شاوا واسروا وغنموا شيا واخذوا وانهزم الكفار في كل وجه ولم يكن لهم ملجاء
الا البحر او القتل او الاسر واستحوذ المسلمون على اموالهم واثقالهم وخيولهم وما ضربوه
من الخيام لنزولهم وبالجملة قتلوا خلقا من الرجال وغنموا شيا كثيرا من الاموال وركب
من بقي منهم في الاسطول راجعين الى بلادهم خايبين لم يظفروا بالمامول ومما عوق الملك
الناصر عن الشام ايضا ان رجلا يعرف بالكنز ويسميه بعضهم عباس بن شاذي وكان
من مقدمي الديار المصرية ومن الدولة الفاطمية واغاضي العبيدية كان قد نزع الى اسوان
وجعل يجمع عليه خلقا من الرعاع من الحاضرة والعربان ويزعم لهم انه سيعيد الدولة الفاطمية
ويدحض الايالة التركية فالتف عليه خلق جم كثير وجم غفير وقصد قوص واعمالها
وقتل طايفة من امرايها ورجالها فجرد اليه الملك صلاح الدين طايفة من الجيش المصري
وقدم عليه اخاه الملك العادل سيف الدين ابا بكر الكردي فلما التقيا هزمه ابو بكر وسبى
المتابيع يوم السقيفة وبدد شمله وشرد املاه وقتله كما جرى لمتقدم بمحنتبيته و لهذا
جعل الله دولة بني ايوب عالية منيفة **فصل** لما تمهدت البلاد المصرية ولم
يبق بها راس من بقية الدولة العبيدية برز السلطان الناصر في الجيوش التركية

قاصدا الى البلاد الشامية وذلك حين مات سلطانها واخيف سكانها وتضعضعت
اركانها واختلف حكامها وفسد نقضها وابرامها وقصده في جمع شملها والاحسان
الى اهلها وامن سهلها وجبلها ونصرة الاسلام ودمغ العظام الطغام وارغام الشيطان
ورفع الاذان واخفات سائر الاديان وخفض الصلبان ورضى الرحمان وارغام الشيطان
وبالله المستعان فخرج من الديار المصرية الى البركة في مستهل صفر واقام بها حتى
اجتمع اليه العسكر وقد استناب على مصر اخاه سيف الدين ابا بكر ثم سار الى بلبيس
في ثالث عشر من ربيع الاول ثم ساق حتى اجاز بصرى فسار في خدمته صاحبها صدق
بن جاولي ودخل مدينة دمشق في يوم الاثنين سلخ ربيع الاول ولم ينتطح فيها عنزان
ولا اختلف سيفان وذلك ان نائبها شمس الدين بن مقدم كان قد كتب اليه ولا اغلظ
له في الكتابة فلما راه متوجها جعل يكاتبه ويستحثه على القدوم ويعده بتسليم البلد
فلما راى الحد لم يمكنه المخالفة فسلم البلد بلا محاقفة فنزل السلطان اولا في دار
والده وهي دار العقيقي وهي التي هي الان مدرسة الملك الظاهر فجا القاضي واعيان
الدنيا شفقة للسلام على السلطان وكان في القلعة اذ ذاك الطواشي جمال الدين ريحان
الخادم فلم يزل يكاتبه ويفتل له في الذروة والغارب حتى استماله واجزل نواله فسلمها
اليه ووفد عليه ومثل بين يديه فاكرمه واحترمه واحسن اليه واظهر الملك الناصر انه
احق بتربية ولد نور الدين لما له عليهم من الاحسان المبين وذكر انه خطب له ببلاد
مصر وضرب باسمه السكة ثم عامل الناس بالجميل وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وتدبر عاقبة
الامور **فصل** ثم لما استقرت له دمشق بحذافيرها لم يلبث ان نهض الى حلب
لما فيها من التخبيط والتخليط واستناب على دمشق اخاه طغتكين بن ايوب الملقب
بسيف الاسلام فلما اجتاز بحمص اخذ ربضها ولم يشتغل بقلعتها لما هيه لعلمه بحصولها
ثم سار الى حماه فاخذ المدينة وسلمها اليه صاحبها عز الدين جرديك وسأله ان يكون سفيره
بينه وبين الحلبيين فاجابه الى ذلك فسار اليهم ليحذرهم باس صلاح الدين فلم يلتفتوا
اليه ولا عولوا عليه بل امروا بسجنه واعتقاله وتجمعوا بين الدانة في الدين الذي هم فيه
وابطا الجواب على صلاح الدين فكتب كتابا بليغا يلومهم على ما هم فيه من الاختلاف وعدم
الايتلاف فردوا عليه اسوا جواب واخس الخطاب فارسل اليهم يذكرهم ايام ابيه وعمه
في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي تشهد لهم بها اهل الدين ثم انه سار الى حلب
فنازلها على جبل جوشن فخاف من سطوته كل ذي جوشن فنودي في اهل حلب بالحضور
في ميدان باب العراق فاجتمعوا فاشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد اليهم وتباكى لديهم
وحرضهم على قتال صلاح الدين وذلك عن اشارة الامراء المقدمين فاجابه اهل البلد بوجوب
طاعته على كل احد واشترطوا عليه ان يعاد الاذان بحي على خير العمل وان يذكر
في الاسواق وان يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي وان يذكروا اسماء الائمة الاثني عشر بين
يدي الجنائز وان يكبروا على الجنازة خمسا وان يكون عقود انكحتهم الى الشريف الطاهر
ابي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني فاجيبوا الى ذلك كله فاذن في الجامع وغيره بسائر البلد
بحي على خير العمل وعجز اهل حلب عن مقاومة الناصر واعملوا في مكيدته كل خاطر فارسلوا الى
سنان صاحب الحشيشية فارسل نفرا من اصحابه ليقتلوا الناصر فلم يظفروا واستدنى

بل قتلوا

بل قتلوا بعض الامراء ثم ظفر عليهم فقتلوا عن آخرهم ولله الحمد والمنة فراسلوا عند ذلك القومص
صاحب طرابلس ووعدوه باموال جزيلة ان هو رحل عنهم السلطان الملك الناصر وقد كان
هذا القومص قد اسره نور الدين معتقلا مدة عشر سنين ثم فاداه على مائة الف دينار
والف اسير من اسارى المسلمين فكان لا ينسى ذلك لنور الدين فركب القومص لعنه الله من
بلده طرابلس في جيشه فلم يتجاسر على مقاتلة السلطان بل قصد حمص ليأخذها بغتة
فركب اليه السلطان وقد ارسل سرية الى بلده فقتلوا فيها واسروا وغنموا فلما اقترب
السلطان منه نكص على عقبيه وكر راجعا الى بلده وراى انه قد اجابهم الى ما سألوا وحصل
على ما له بذلوا اذ نكلوا ولما رجع صلاح الدين الى حمص لم يكن اخذ قلعتها في ذهابه فتصدى
لاخذها فنصب عليها المنجنيقات التي مكنته اياها فتسلمها وملكها فهربت ساكنيها فهزها
ثم كر راجعا الى حلب فانا له الله في هذه الكرة ما طلب وكتب اليه القاضي الفاضل على لسان
السلطان كتابا بليغا فصيحا رائقا فائقا على يدي الخطيب شمس الدين يقول فاذا قضى
التسليم حق اللقاء استدعى الاخلاص جهد الدعاء فليعد وليعد حوادث ما كان حديثا
يفترى وجوارى امور ان قال فيها كثيرا فاكثر منه ما قد جرى وليشرح صدرا منها لعله
يشرح منا صدرا وليوضح الاحوال المستسترة فان الله لا يعبد سرا ومن الغرائب ان يسير
غرائب في الارض لم يعلم بها المامول كالعيس اقتل ما يكون لها الصدى والماء فوق ظهورها
محمول فانا كنا نقتبس النار باكفنا وغيرنا يستنير ونستنبط الماء بايدينا وغيرنا
يستمير ونلقى السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ونصافح الصفاح بصدورنا وغيرنا
يدعي التصدير ولابد ان نسترد بضاعتنا بموقف العدل الذي يرد المغصوب
ويظهر طاعتنا فناخذ بحظ الالسن كما اخذنا بحظ القلوب وكان ولا امرنا انا كنا في الشام
نفتح الفتوح مباشرين بانفسنا ونجاهد الكفار متقدما لها عساكرنا نحن ووالدنا وعمنا فاي مدينة
فتحت او معقل ملك او عسكر للعدو كسر او مصاف للاسلام معه ضرب فما يجهل احد
صنعنا ولا يجحد عدونا انا نصطلي الجمرة ونملك الكرة ونتقدم الجماعة ونرتب المقاتلة
وندبر التعبية الى ان ظهرت في الشام الاثار التي لنا اجرها ولا يضرنا ان يكون لغيرنا ذكرها
ثم ذكر ما صنعوا بمصر من كسر الكفر وازالة المنكر وقمع الفرنج وهدم البدع التي كانت
هناك وما بسط من العدل ومده من الفضل الى الفضل وما اقام من الخطبة العباسية
ببلاد مصر واليمن والنوبة وافريقية وغير ذلك بكلام بسيط حسن فلما وصلهم الكتاب
اساؤا الجواب وقد كانوا كتبوا الى صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود اخي نور
الدين محمود بن زنكي فسار اليهم اخوه مسعود عز الدين في عساكره واقبل عليهم في عساكره
فانضاف اليهم الحلبيون وقصدوا حماه في غيبة السلطان واشتغاله بقلعة حمص
وعمارتها فلما بلغه خبرهم سار اليهم في قل من الجيش فانتهى اليهم وهم في جحافل كثيرة فوافقوا
وطمعوا فيه لقلة من معه ورموا بعنان جرأته فجعل يداريهم ويدعوهم الى المصالحة لعل
الجيش يلحقونه حتى قال لهم في جملة ما قال انا اقنع بدمشق وحدها واقيم بها الخطبة
للملك الصالح اسماعيل واترك ما عداها من ارض الشام فامتنع من المصالحة الخادم
سعد الدولة كمشتكين الا ان يجعل لهم الرحبة التي بيد ابن عمه ناصر الدين بن اسد الدين
فقال لا يمكنني ذلك ولا اقدر عليه فابوا الصلح واقدموا على القتال فجعل

جيشه كرد وشاوا حداد ذلك يوم الاحد التاسع عشر من شهر رمضان عند قرون حماه
فصبر صبرا عظيما وجاده فلما شاهد الحال ابن اخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ومعه اخوه
فرخشاه في طايفة من الجيش وقد ترجح دسته عليهم وخلص رعبه اليهم تولوا امنا لك
ما ربين وتولوا منهزمين فاسر منهم من اسر من رؤسهم ونادى ان لا يتبع مدبر ولا يذفف
على جريح ثم اطلق من وقع في اسره منهم وسار على الفور حتى نازل حلب فانعكس عليهم
الحال وآلوا الى شر مآل فبالامس كان يطلب منهم المسالمة والمصالحة واليوم طلبوا
منه ان يكف عنهم ويسير عنهم على ان له المعرة وكفرطاب وبارين زيادة على ما بيده من
اراضي حماه وحمص وبعلبك مع دمشق فتقبل منهم وكف عنهم وحلف ان لا يغزو بعدها الملك
الصالح وان لا يدعوا له على سائر منابر بلاده وممالكه وشفع في بني الداية اخوه مجد
الدين ان يخرجوا من السجن ففعل ذلك ثم رجع مؤيدا منصورا مسرورا محبورا فلما
كان بحماه وصلت اليه رسل الخليفة المستضي بامر الله ومعهم الخلع السنية والتشريفات
العليا العباسية والاعلام السود وتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام وافيضت
الخلع على اهله واقاربه واصحابه واصهاره واعوانه وانصاره وكان يوما مشهودا ثم
واستناب على حماه ابن خاله وصهره الامير شهاب الدين محمود ثم سار الى حمص فاطلقها
لابن عمه ناصر الدين كما كانت لابيه من قبله اسد الدين ثم الى بعلبك ثم البقاع
ورجع الى دمشق في ذي القعدة وفي هذه السنة ظهر رجل من قرية مشغرا من معاملة دمشق
وكان مغربيا فادعى النبوة واظهر شيئا من المخاريق والمحابيل والشعبذة والابواب
النيرنجية فافتتن به طوايف من اهل تلك الناحية من الطغام والعوام فتطلبه
السلطان فهرب في الليل من بسحرا الى معاملة حلب فالتف عليه كل مقطوع الذنب
واضل خلقا من الفلاحين الا المفلحين وتزوج امراة احبها وكانت من اهل تلك البطاح
فعلمها ان ادعت النبوة فاشبها قضية مسيلمة وسجاح فلعنهما الله كلما انتحب الحمام
وهدر وكلما صب الغمام وقطر وفيها هرب وزير الخليفة ونهبت داره وفيها درس
الشيخ ابو الفرج بن الجوزي بمدرسة الشيخ للحنابلة بحضرة عنده قاضي القضاة ابو
الحسن بن الدامغاني والفقهاء الكبار وكان يوما مشهودا وخلعت عليه خلعة سنية

وممن توفي فيها من الاعيان

روح بن احمد ابو طالب الحديثي قاضي القضاة ببغداد في بعض الاحيان وكان ابنه بارض
الحجاز فلما بلغه موت ابنه مرض بعده ومات بعد ايام وكان يتهم بالرفض شملة
التركماني كان قد تغلب على بلاد فارس واستحدث قلاعا وتغلب على السلجوقية وانتظم
له الدست نحوا من عشرين سنة ثم انه حاربه بعض التركمان فقتلوه قيماز بن عبد الله قطب
الدين المستنجدي وزير الخليفة المستضي وكان مقدما على العساكر كلهم ثم انه خرج على
الخليفة وقصد ان ينهب دار الخلافة فصعد الخليفة فوق سطح في داره وامر العامة بنهب
دار قيماز فنهبت وكان ذلك باقتاء الفقهاء فهرب وتملك وهلك من كان معه في المهامه
والقفار

ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين وكان قد اقام بدمشق في مرج الصفر ان يهادنهم

فاجابهم

فاجابهم الى ذلك لان الشام كان مجدبا فاحتاج الى ذلك وارسل جيشه صحبة القاضي الفاضل
الى الديار المصرية ليشتغلوا ثم يقبلوا وعزم على المقام بالشام واعتمد على كتابة العماد
عوضا عن افصح العباد بتلك البلاد وهو القاضي الفاضل قدوة العلماء الافاضل
ورحلة الطالبين وزين المحافل زين الاسلام ومن لسانه احد من حسام ولكن احتاج
الى ارساله الى الديار المصرية ليكون عينا وعونا له بها ولسانا فصيحا يعبر عنها فاحتاج
الى ان يتعوض عنه ولم يكن احد اعز اليه ولا احب اليه منه

وما عن رضى كانت سليمى بديلة ... بليلى ولكن للضرورات احكام

وكانت اقامته ببلاد الشام هو غاية الحزم والتدبير والاهتمام ليحفظ ما استجد من الممالك
خوفا من سطوة من هنالك ولما ارسل الجيوش الى مصر وبقي في طايفة قليلة من عسكره
والله قد تكفل له وله ظهر بالنصر كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي بن اخي نور الدين
الى جماعة الحلبيين يلومهم على ما وقع بينهم وبين الملك صلاح الدين من المصالحة وقد كان
اذ ذاك مشغولا بمحاصرة اخيه عماد الدين زنكي بسنجار ولبث مدة بقلعة صالحة
وما كان سبب ذلك الا حبه الا انتماؤه الى طاعة الملك الناصر وذويه فاصطلح مع اخيه
حين عرف قوة الناصر وناصريه ثم عرض الحلبيين على نبذ العهود الى الملك صلاح الدين
فارسلوا اليه بالعهود التي كانوا عاهدوه عليها ودعوه الى الهيجا فاستغاث بالله عليهم
وارسل الى الجيوش المصرية ليقدموا عليه اليهم واقبل صاحب الموصل في عساكره ومشار به
ودساكره واجتمع بابن عمه الملك الصالح اسماعيل وسارا في عشرين الف مقاتل على الخيول
الضمر الجرد الابابيل وسار نحوهم الناصر وهو كالهزبر الكاسر وانما معه الف فارس من
الحماة وكم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله ولكن الجيوش قد خرجت من الديار
المصرية في جحافل كالجبال عدده وعددا كالرمال فاجتمع الفريقان وتداعوا للنزال
وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال فاقتتلوا قتالا عظيما حتى حمل السلطان بنفسه
الكريمة فكانت باذن الله الهزيمة فقتلوا خلقا من الحلبيين والمواصلة واخذت
مضارب الملك سيف الدين غازي وحواصله واسر جماعة من رؤسهم فاطلقهم السلطان
بعدما افاض الخلع على ابدانهم ورؤسهم وقد كانوا استعانوا بجماعة من الفرنج في حال القتال
وليس هذا من صنيع الصناديد الابطال وقد وجد السلطان في مخيم السلطان غازي
شيا من الاقفاص التي فيها الطيور المطربة وذلك في مجلس شرابه وكيف ينصر من كان
هذا مسلكه ومذهبه فامر السلطان بردها عليه وتسييرها اليه وقال للرسول قل
له بعد وصولك اليه وسلامك عليه اشتغالك بهذه الطيور احب اليك من الوقوع
فيما وقعت فيه من المحذور وغنم السلطان من اموالهم شيا كثيرا ففرقه على اصحابه واحبابه
وانصاره غيبا كانوا او حضورا وانعم بخيمة الملك سيف الدين على ابن اخيه عز الدين
فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين ورد ما كان في طاقته من الجواري المغنيات وقد كان
معه اكثر من مائة مغنية ورد الاقفاص واللعب الى حلب وقال قولوا له هذه احب
اليك من الحرب والحرب ووجد عسكر المواصلة كالحانة من كثرة الخمور والبرابط والملاهي ومن
سبيل من نحو عن طريق الخير ساه لاه **فصل** لما رجع الحلبيون الى حلب تأدبهم ثعلب
ونقضوا على نقضهم الايمان ومخالفتهم طاعة الرحمن وشتمهم الخصي على السلطان فحصنوا

صاحب

البلد وخوفا د ثوب الاسد بن اخي اسد واسرع الموصل فوصلها وما صدق حتى دخلها وأما
السلطان صلاح الدين فانه لما فرغ من قسمة ما غنم مما تركه من عطب ومن سلم اسرع
السير الى حلب الشهبا وهو في غاية السطوة والقوة والعزة القعساء فوجدهم قد
حصنوها والقلعة قد احكموها فقال من المصلحة ان نبادر الى فتح الحصون التي حول
البلد ثم نعود اليهم فلا يمتنع علينا منهم احد فشرع بفتح الحصون حصنا حصنا وتهدم
من اركان دولتهم ركنا ركنا ففتح بزاعه ومنبج ثم صار الى اعزاز فارسلت الحلبية الى سنان
فارسل جماعة من اصحابه ليقتلوا صلاح فدخل طايفة منهم في جيشه في زي الجند
فقاتلوا اشد القتال حتى اختلطوا بهم ثم وجدوا فرصة ذات يوم والسلطان ظاهر
للناس فحمل عليه واحد منهم فضربه بالسكين على راسه فاذا هو محترس منهم باللامة فسلمه
الله غير ان السكين مرت على خده فجرحه جرحا مبينا ثم اخذ الفداوي راس السلطان
فوضعه الى الارض ليذبحه ومن حوله قد اخذتهم دهشة ثم ثاب اليهم عقلهم فبادروا الى
الفداوي فقتلوه وقطعوه ثم هجم في الساعة الراهنة على السلطان فقتل ثم هجم
اخر على بعض الامرا فقتل ايضا وهرب الرابع فادرك فقتل وبطل القتال ذلك اليوم
ثم صمم السلطان على البلد ففتحه واقطعه ابن اخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن
ايوب وقد اشتد حنقه على اهل حلب لما فعلوا ولما ارسلوا من الفداوية اليه واقدامهم
عليه فجاء فنزل تجاه البلد على جبل جوشن وضربت خيمته على راس الياروقية وذلك
في عاشر ذي الحجة وجبى الاموال واخذ الخراج من القرى ومنع ان يدخل البلد شيا او يخرج
منها شي واستمر حصاره اياما حتى انسلخت السنة وفي ذي الحجة من هذه السنة عاد
شمس الدولة توران شاه اخو السلطان من بلاد اليمن وذلك من كثرة اشتياقه
الى اخيه وذويه والى الشام وطيبه وظلاله لانه ضجر من حر اليمن وان كان قد حصل
على اموال الجزيلة من ثنا له ففرح اخوه الملك الناصر به واشتد ازره بسببه ولما اجتمعا
قال الناصر الناصح البر الوفي انا يوسف وهذا اخي وقد استناب شمس الدولة على بلاد
اليمن وانما استناب على مخالفيها من لا يخالفه من ذوي قراباته ومن له عليه سالف
المنن ولما استقر عند اخيه استنابه على دمشق واعمالها وقيل ان قدومه كان قبل
وقعة المواصلة وكان من اكبر اسباب الظفر والنصر لشهامته وشجاعته وفي هذه السنة
وفيها انفذ تقي الدين عمر بن اخي السلطان مملوكه بهاء الدين قراقوش في جيش لبلاد المغرب
ففتح بلادا كثيرة هنالك وغنم اموالا جزيلة ثم عاد الى مصر وطابت له وترك تلك البلاد
وفيها قدم الى دمشق الواعظ الكبير ابو الفتوح عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد
التنوخي الدمشقي الاصل البغدادي المنشا ذكره العماد في الخريدة وقال كان صاحبي
وجلس للوعظ فحضر عنده السلطان صلاح الدين واورد له مقطعات اشعار فمن ذلك
ما كان يقوله في مجلسه

يا مالكا مهجتي يا منتهى املي • يا حاضرا شاهدا في القلب والفكر
خلقتني من تراب انت خالقه • حتى اذا صرت تمثالا من الصور
اجريت في قالبي روحا منورة • تمر فيه كجري الماء في الشجر
جمعت بين صفا روح منورة • وهيكل صغته من معدن كدر

ان غبت

ان غبت فيك فيا فخري ويا شرفي • وان حضرت فيا سمعي ويا بصري
او احتجبت فسري فيك في وله • وان خطرت فقلبي منك في خطر
تبدو فتمحو رسومي ثم تثبتها • وان تغيبت عني عشت بالاثر

وممن توفي فيها من الاعيان

الحافظ الكبير ابو القسم بن عساكر

علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ابو القسم الدمشقي احد اكابر حفاظ الحديث ومن
عني به سماعا واسماعا وجمعا وتصنيفا واطلاعا وحفظا لاسانيده ومتونه واتقانا
لاساليبه وفنونه صنف تاريخ الشام في ثمانين مجلدة فهي باقية بعده مخلدة وقد برز
على من تقدمه من المورخين واتعب من يجي بعده من المتاخرين فحاز فيه قصب السباق
ومن نظر فيه وتامله ورأى ما وصفه فيه واصله حكم بانه فريد
في التواريخ وانه في الذروة العليا من الشماريخ هذا مع ما له في علوم الحديث من كتب
مفيدة وما هو مشتمل عليه من العبادة والطرائق الحميدة فله اطراف الكتب الستة
والشيوخ النبل وتبيين كذب المفتري على ابي الحسن الاشعري وغير ذلك من المصنفات
الكبار والصغار والاجزا والاسفار وقد اكثر في طلب الحديث من الترحال والاسفار
وجاب المدن والاقاليم والامصار وجمع من الكتب ما لم يجمعه احد من الحفاظ نسخا
واستنساخا ومقابلة وتصحيحا للالفاظ وكان من كابر بيوتات الدماشقة ورياسته
فيهم عالية باسنته من ذوي الاقدار والهيئات والاموال الجزيلة والصلات وكانت
وفاته في يوم الحادي عشر من رجب وله من العمر اثنتان وسبعون سنة وحضر
السلطان صلاح الدين جنازته ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله وكان الذي صلى عليه
الشيخ قطب الدين النيسابوري قال ابن خلكان وله اشعار كثيرة منها

ايا نفس ويحك جاء المشيب • فماذا التصابي وماذا الغزل
تولى شبابي كان لم يكن • وجاء المشيب كان لم يزل
كاني بنفسي على غرة • وخطب المنون بها قد نزل
فيا ليت شعري ممن اكون • وما قدر الله لي في الازل

قال وقد التزم فيها بما لا يلزم وهو الزاي مع اللام قال وكان اخوه صاين الدين هبة
الله بن الحسن محدثا فقيها اشتغل ببغداد على اسعد الميهني ثم قدم دمشق فدرس
بالغزالية وتوفي بها سنة ثلاث وستين

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسماية

استهلت هذه السنة والسلطان صلاح الدين محاصر حلب وقد اشرف منها على نيل
الطلب فسالوه وتوسلوا اليه ان يصالحهم فصالحهم على ان يكون حلب وعملها للملك
الصالح فقط فكتب بذلك الكتاب وابرم الحساب فلما كان السلطان بعث السلطان
الملك الصالح اسماعيل الى الملك الناصر يسال منه زيادة قلعة اعزاز على ما شرطه به من
الاعزاز وارسل باخت له صغيرة وهي الخاتون بنت نور الدين ليكون ذلك ادعى الى
قبول السوال وانجح لحصول النوال فحين راها الناصر قام قايما كالقضيب الناضر
وقبل الارض واجابها الى سوالها واطلق لها من الجواهر والتحف ما راى انه عليه فرض

ثم ترحل عن حلب فقصد الاسماعيلية الذين اعتدوا عليه فحاصر حصنهم مصياث
فقتل وحرب وسبى واخذ ابقارهم وخرب ديارهم وقصر اعمارهم حتى شفع فيهم خاله شهاب
الدين محمود بن تكش صاحب حماه لانهم جيرانه فقبل شفاعته وقد احضر اليه باب بعلبك
الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم الذي كان نائب دمشق جماعة من سارة
الافرنج الذين عاثوا بالبقاع في غيبة السلطان واشتغاله بحصار مصياث فجدد
له العزم على غزو الفرنج والانبعاث فصالح الاسماعيلية اصحاب سنان ثم كر راجعا
الى دمشق في حراسة الرحمن وقد تلقاه اخوه شمس الدولة الى دمشق في سابع عشر صفر
فوصلها الى اخيه هذا شمس الدولة توران شاه ولقبه الملك المعظم وعزم السلطان على
السفر الى مصر وكان القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري قد توفي في السادس
من المحرم من هذه السنة وقد كان من خيار القضاة واخص الناس بنور الدين الشهيد فوض
اليه نظر الجامع ودار الضرب وعمارة الاسوار والنظر في المصالح العامة ولما حضرته الوفاة
اوصى بالقضاء لابن اخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزوري فامضى ذلك السلطان
الملك الناصر صلاح الدين رعاية لحق الكمال الشهرزوري مع انه كان يجد عليه
بسبب ما كان بينه وبين صلاح الدين حين كان بدمشق فكان يحاكمه ويجانبه ومع هذا
امضى وصيته لابن اخيه فجلس في مجلس القضاء على عادة عمه وقاعدته ورسمه وبقي في نفس
السلطان من تولية شرف الدين ابي سعد عبد الله بن ابي عصرون الحلبي وكان قد هاجر
الى السلطان الى دمشق فوعده ان يوليه قضاءها فاسر بذلك الى القاضي الفاضل
فاشار القاضي الفاضل على الضياء ان يستعفي من القضاء فاستعفى فاعفي وترك له
وكالة بيت المال وولى السلطان ابن ابي عصرون على ان يستنيب القاضي محيي
ابا المعالي محمد بن زكي الدين ولا وجد عنه ففعل ذلك ثم بعد سنوات استقل بالحكم
محيي الدين ابو حامد بن ابي عصرون عوضا عن ابيه شرف الدين بسبب ضعف بصره
وفي صفر من هذه السنة وقف السلطان الملك الناصر قرية حزم على الزاوية
الغزالية ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية وما يحتاج اليه الفقيه وجعل النظر
لقطب الدين النيسابوري مدرسها وفي هذا الشهر تزوج السلطان صلاح الدين
بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين انر وكانت زوجة الملك نور الدين
فاقامت بعده في القلعة محترمة مكرمة معظمة وولي تزويجها منه اخوها الامير سعد
الدين مسعود بن انر وحضر القاضي ابن ابي عصرون العقد ومعه جماعة من العدول
وبات السلطان عندها تلك الليلة والتي بعدها ثم سافر الى مصر بعد يومين من
الدخول بها فركب يوم الجمعة قبل الصلاة فنزل مرج الصفر ثم سار فخيم قريبا من
الصنمين ثم اغذ السير حتى كان دخوله الديار المصرية الى القاهرة المعزية يوم السبت
السادس عشر من ربيع الاول من هذه السنة في ابهة عظيمة وقد تلقاه اخوه ونائبه
الملك العادل سيف الدين ابو بكر الى عند بحر القلزم ومعه من الهدايا والتحف
شي كثير ولا سيما من الماكل المتنوعة وكان في صحبة السلطان العماد الكاتب ولم
يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك فشرع يذكر محاسنها وما اختصت به من بين البلدان
ووصف الهرمين وشبههما بانواع من التشبيهات وبالغ في ذلك بحسب ما ذكرنا الرد

وفي شعبان

وفي شعبان ركب السلطان الناصر ابن ايوب الى الاسكندرية فاسمع ولديه الافضل علي والعزيز
عثمان على الحافظ السلفي وتردد بهما اليه ثلاثة ايام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان
وعزم السلطان على الصيام بها وقد كملت عمارة السور على البلد وامر بتجديد الاسطول
واصلاح مراكبه وشحنه بالرجال المقاتلة وامرهم بغزو جزائر البحر واقطعهم
الاقطاعات الجزيلة وارصد لمصالح الاسطول من بيت المال ومغلاته ما يكفيه لجميع
شؤونه ثم عاد السلطان الى القاهرة في اثناء رمضان فاكمل صومه بها وفيها امر السلطان
صلاح الدين يوسف ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشافعي وجعل الشيخ نجم الدين
الخبوشاني مدرسها وناظرها وفيها امر ببناء المارستان بالقاهرة ووقف عليهما اوقافا
كثيرة وفيها بنى الامير مجاهد الدين قايماز نائب قلعة الموصل جامعا حسنا ورباطا ومدرسة
ومارستانا متجاورات بظاهر مدينة الموصل وقد تاخرت وفاته الى سنة خمس وتسعين
وخمسمائة رحمه الله وله عدة مدارس وخوانق وجوامع غير ما ذكرنا وكان دينا خيرا فاضلا
حنفي المذهب يذاكر في الادب والاشعار والفقه كثير الصيام وقيام الليل فرحمه
الله وحده وفيها اخرج المجذومون من اهل بغداد الى ناحية منها ليتميزوا عن اهل
العافية نسال الله العافية من فضله وكرمه وذكر ابن الجوزي في المنتظم عن امراة
انها قالت كنت امشي في الطريق فكان رجل يعارضني كلما مررت به فقلت له انه لا سبيل
الى هذا الا بكتاب فتزوجني عند الحاكم فمكثت معه مدة ثم اعتراه
انتفاخ بطنه فكنا نظن ان به استسقاء فنداويه لذلك فلما كان بعد مدة ولد
ولدا كما تلد النساء وانما هو خصي خنثى مشكل وهذا من اغرب الاشيا

ومن توفي فيها من الاعيان

علي بن عساكر بن المرحب بن العوام ابو الحسن البطائحي المقرئ اللغوي سمع الحديث
واسمعه وكان حسن المعرفة بالنحو واللغة ووقف كتبه بمسجد ابن جردة ببغداد
وكانت وفاته في شعبان وقد نيف على الثمانين رحمه الله محمد بن عبد الله بن القسم
ابو الفضل قاضي القضاة بدمشق كمال الدين الشهرزوري الموصلي وله بها
مدرسة على الشافعية واخرى بنصيبين وكان فاضلا اديبا امينا ثقة
ورعا ولي القضاء بدمشق لنور الدين محمود بن زنكي واستوزره ايضا فيما حكاه
ابن الساعي قال وكان يبعثه في الرسائل فكتب مرة على اعلا قصة الى الخليفة
المقتفي محمد بن عبد الله الرسول فكتب الخليفة تحت ذلك صلى الله عليه وسلم
قلت وقد فوض اليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب وعمارة المارستان
والمدارس وغير ذلك من الامور المهمات رحمه الله وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة
بدمشق الخطيب شمس الدين بن الوزير ابو الضياء خطيب الديار المصرية وابن
وزيرها كان اول من خطب بديار مصر للخليفة المستضيء بامر الله العباسي بامر
الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب ايده الله ثم حظي عنده حتى كان قد جعله
سفيرا بينه وبين الملوك والخلفاء وكان رئيسا مطاعا كريما ممدحا تراه عليه
الشعراء والادباء ثم جعل مكانه في السفارة واداء الرسائل ضياء الدين بن قاضي
القضاة الشهرزوري بمرسوم سلطاني وصارت وظيفة مقررة

شؤونه جمع شان

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسماية

فيها امر السلطان ببناء قلعة الجبل واحاطة سور على القاهرة ومصر يشملهما جميعا
ثم قلعة للملك لم يكن بالديار المصرية مثلهما وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين
في جمادى الاولى منها سار السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن
ايوب من الديار المصرية قاصدا غزو الفرنج فانتهى الى بلاد الرملة فسبى وسلم
وغنم وغلب واسر وقسر وكسب وكسر ثم تشاغل جيشه بالغنايم وتفرقوا في القرى
والمحال فتفرق الهم بجود بني السلطان في طايفة من الجيش منفردا فهجمت عليهم
الفرنج في جحفل من المقاتلة فما سلم السلطان الا بعد جهد جهيد ولله الحمد والمنة
ابلغ التحميد ثم تراجع الجيش بعد النفرة فجمعوا واجتمعوا على السلطان بعد ايام وما
صدق اهل الديار المصرية برويته لما بلغهم من الارجاف والارهاب وصار الامر
كما قال الشاعر   رضيت من الغنيمة بالاياب
وضع هذا دقت البشاير في البلدان فرحا بسلامة السلطان ولم يجبر هذه
الوقعة الا بعد عشر سنين وذلك يوم حطين فالحمد لله رب العالمين وقد
ثبت السلطان في هذه الوقعة ثباتا عظيما واسر الملك المظفر تقي الدين عمر ابن اخي
السلطان ولده شاهنشاه فبقي عندهم سبع سنين وقتل ابنه الاخر وكان شابا
قد طر شاربه فحزن على المقتول والمفقود وصبر تاسيا بايوب وناح كما ناح داود
واسر الفقيهان الاخوان ضياء الدين عيسى وظهير الدين فافتداهما السلطان
بعد سنين بسبعين الف دينار وفيها تخبطت الدولة بحلب وقبض السلطان
الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين على الخادم كمشتكين والزمه بتسليم قلعة
حارم وكانت له فابى من ذلك فعلقه منكوسا ودخن تحته فخنقه حتى مات من ساعته
وتصدت الفرنج حارم فامتنعت عليهم ثم سلمت الى الملك الصالح وفيها جاء ملك
كبير من ملوك الفرنج يروم اخذ الشام لغيبة السلطان واشتغال نوابه ببلدانهم
قال العماد الكاتب ومن شرط هدنة الفرنج انه متى جاء ملك من ملوكهم لم يقعه فانهم
يقاتلون معه ويوازرونه وينصرونه فاذا انصرف عنهم عادت الهدنة كما كانت
فقصد هذا الملك حملة الفرنج فقصد بلد حماه وصاحبها شهاب الدين
محمود خال السلطان مريض ونايب دمشق ومن معه من الامرا مشغولون ببلدانهم
فكادوا ياخذون البلد ولكن هزمهم الله بعد اربعة ايام فانصرفوا الى حارم فلم يتمكنوا
من اخذه وكشفهم عنه الملك الصالح صاحب حلب وقد دفع اليهم من الاموال والاسارى
ما طلبوا لكونه استنصر بهم وتوفي صاحب حماه الامير شهاب الدين محمود بن تكش
خال السلطان وقبله ولده بثلاثة ايام رحمهما الله ولما سمع السلطان بنزول
الفرنج على حارم برز من الديار المصرية قاصدا بلاد الشام لغزو الفرنج عليهم لعاين
الملك العلام فكان دخوله الى دمشق في الرابع والعشرين من شوال وصحبته العماد
الكاتب وتاخر القاضي الفاضل بديار مصر ليأتي الحج في هذا العام تقبل الله منه
وفيها جاء كتاب القاضي الفاضل الى الناصر يهنيه بوجود مولود له وهو ابو سليمان
داود وهو موفي لاثني عشر ذكرا وقد ولد له بعده عدة ذكور ايضا فانه توفي عن سبعة

عشر

عشر ولدا ذكرا وبنت صغيرة وهي مونسة التي تزوجها ابن عمها الكامل محمد بن العادل
كما سياتي بيان ذلك في موضعه وفي هذه السنة جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعامة
ببغداد وكانت بسبب ان موذنا عند كنيسة اليهود نال منه بعض كلاما فشتمه المسلم ○
فاقتتلا فجاء الموذن يشتكي منه الى الديوان وتفاقم الحال وكثرت العوام واكثروا
الضجيج ولما كان يوم الجمعة منعت العامة اقامة الخطبة في بعض الجوامع وخرجوا من
فورهم فنهبوا سوق العطارين الذي فيه اليهود وذهبوا الى كنيسة اليهود فنهبوها
ولم يتمكن الشرط من ردهم فامر الخليفة بصلب بعض العامة فاخرج في الليل جماعة من
الشطار من الحبس فصلبوا فظن كثير من الناس ان هذا بسبب هذه الكاينة فسكنت
الفتنة ولله الحمد وفيها خرج وزير الخليفة عضد الدولة ابن رئيس الروساء ابن المسلمة
قاصدا الحج وخرج الناس في خدمته ليودعوه فتقدم اليه ثلاثة من الباطنية في صورة
فقرا ومعهم قصص فتقدم احدهم ليناوله القصة فاعتنقه وضربه بالسكين
ضربات وهجم الثاني وكذا الثالث فهبروه وخرجوا جماعة حوله وقتل الثلاثة من
فورهم وخرجوا ورجع الوزير الى منزله محمولا فمات في يومه سامحه الله ولطف به وقد كان
سبع ولدي الوزير ابن هبيرة وما زال حتى قتلهما واعدمهما وكما تدين تدان جزاء وفاقا
وما ربك بظلام للعبيد

وممن توفي فيها ايضا من الاعيان

صدقة بن الحسين ابو الفرج الحداد قرا القران وسمع الحديث وتفقه وافتى وقال
الشعر ونظر في الكلام وناظر وله تاريخ ذيل فيه على شيخه ابن الزاغوني وفيه غرايب
وعجايب وقال ابن الساعي كان شيخا عالما فاضلا وكان فقيرا ياكل من اجرة النسخ وكان
ياوي الى مسجد ببغداد عند البدرية يوم فيه وكان يعترض على الزمان وبنيه ورايت ابن
الجوزي في المنتظم يذمه ويرميه بالعظايم واورد من اشعاره ما فيه مشابهة لابن
الراوندي في الزندقة فالله اعلم وكانت وفاته في ربيع الاخر عن خمس واربعين سنة
ودفن بباب حرب ورويت له منامات غير صالحة نسال الله العافية في الدنيا والاخرة
محمد بن احمد بن عبد الجبار ابو المظفر الحنفي المعروف بالمشطب كان من الفضلا ○
المشاهير تفقه ودرس وافتى وناظر توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين محمد
بن اسعد بن محمد ابو منصور العطار المعروف بحفدة سمع الكثير وتفقه وناظر
وافتى ودرس وقدم بغداد فمات بها في هذه السنة والله اعلم محمود بن تكش شهاب
الدين الحارمي خال السلطان صلاح الدين كان من خيار الامرا وشجعانهم وقد اقطعه
ابن اخيه حماه حين فتحها وقد حاصرها الفرنج بها في هذه السنة وهو مريض فقعونها ○
وقتلوا بعض اهلها ثم تناخى اهلها فردوهم خايبين ولله الحمد فاطمة بنت نصر بن العطار
كانت من سادات النسا فانها من سلالة اخت صاحب المخزن وكانت من العابدات
المتورعات المخدرات يقال انها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات وقد اثنى عليها
الخليفة وغيره

ثم دخلت سنة اربع وسبعين وخمسماية

فيها كتاب من القاضي الفاضل وهو بالديار المصرية الى السلطان وهو بالشام المحروس

ببينيه لسلامة أولاده الملوك الاثني عشر بقول في بعضه

وهم بهجة الدنيا وزينتها ● وريحان الدنيا وزهرتها ● وان نووا أوسع فراقهم لو آه

وان قانعا قنع بأخبارهم لقانع ● وان طرفا نام عن البعد عنهم لهاجع وان ملكا ملك تصبر

عنهم لحازم وان نعمة الله فيهم لنعمة بها العيش ناعم أما يشتاق جيد المولى ان يتطوق

بدررهم أما تتطلع عينه ان تتروى بنظرهم أما يحن قلبه الى قلبه أما يلتقط هذا الطائر

سنبلهم ما خرج من حبه وللمولى أبقاه الله أن يقول

● وما مثل هذا الشوق يحمل بعضه ● ولكن قلبي في الهوى يتقلب ●

ومنها أسقط السلطان الناصر صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة وقد

كان يؤخذ من حجاج الغرب شيء كثير ومن يعجز عن أدائه حبس فربما فاتته الوقوف بعرفة وعوض

أمير مكة عن ذلك بأن يقطعه بديار مصر وأن يحمل إليه في كل سنة ثمانية آلاف أردب غلة الى مكة

ليكون عونا له ولأتباعه ورفقا بما يتيسر على المجاورين من ابتياعه وقرر للمجاورين أيضا

غلات تحمل إليهم وصلات رحمة الله عليه في سائر الأوقات ومنها عصى الأمير شمس الدين

ابن مقدم ببعلبك ولم يجب إلى خدمة السلطان وهو نازل على ظاهر حمص وذلك أنه بلغه

أن أخا السلطان توران شاه طلب بعلبك من السلطان فأطلقها له فامتنع من

الخروج منها ابن مقدم حتى جاء السلطان بنفسه فحصره فيها من غير قتال حتى جاءت

الأمطار والبرد فعاد الى دمشق في رجب ووكل بالبلد من يحصره من غير قتال ثم عوض ابن

مقدم عنها بعوض كثير خير مما كان بيده فخرج منها وتسلمها توران شاه قال

ابن الأثير وكان في هذه السنة غلاء شديد بسبب قلة المطر وعم العراق والشام وديار مصر

واستمر الى سنة خمس وسبعين فجاء المطر ورخصت الأسعار لكن تعقب ذلك وباء شديد

وعم البلاد مرض واحد وهو السرسام فما ارتفع الا في سنة ست وسبعين فمات في ذلك

الوباء خلق كثير وأمم لا يعلم عددهم الا الذي خلقهم وفي رمضان وصلت خلع الخليفة الى الملك

صلاح الدين وهو بدمشق وكانت سنية عظيمة جدا وزيد في ألقابه معز أمير المؤمنين

وخلع أيضا على أخيه توران شاه ولقب بمصطفى أمير المؤمنين ومنها جهز الملك صلاح

الدين ابن أخيه فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بين يديه لقتال الفرنج الذي قد عزموا

على قتال المسلمين وعاثوا في نواحي دمشق فرأيا ما ونهبوا ما حولها وأرجاها وأمره أن

يداريهم حتى يتوسطوا البلاد ولا يقاتلهم حتى يقدم عليه فلما التقوا عاجلوه بالقتال

فكسرهم وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة والهنفري وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم لا ينهنهه

اللقاء فكفى الله في هذه الغزوة وركب السلطان صلاح الدين في أثر ابن أخيه فما وصل الا

الكسوة حتى تلقته الرؤوس على الرماح والغنائم والأسارى والجيش في سمره وبعضه من

التشارق والصفاح وفي هذه السنة بنت الفرنج لعنهم الله قلعة عند بيت الأحزان للداوية

فجعلوه مرصادا لحرب المسلمين وقطع طرقاتهم عليهم ونقضت ملوكهم العهود التي كانت

بينهم وبين صلاح الدين وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب ليشغلوا المسلمين عنهم

وتتفرق جيوشهم فلا يجتمع في بقعة واحدة ورتب السلطان ابن أخيه تقي الدين عمر بثغر

حماه ومعه شمس الدين بن مقدم وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب وبثغر حمص ابن عمه ناصر

الدين بن أسد الدين شيركوه وبعث الى أخيه سيف الدين أبي بكر وهو الملك العادل نائب

مصر

550

مصر بأن يرسل اليه بألف وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج وكتب الى الفرنج

يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذي بنوه للداوية فامتنعوا الا أن يبذل لهم ما غرموه عليه

فبذل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا فوصلهم الى مائة ألف دينار فأبوا فقال له ابن أخيه تقي

الدين عمر ابذل هذه في أجناد المسلمين وسر الى هذا الحصن فخربه ففعل ذلك فكان كذلك

في السنة الآتية كما نذكره إن شاء الله تعالى ومنها أمر الخليفة المستضيء بكتابة لوح على قبر

الإمام أحمد فيه آية الكرسي وبعدها هذا قبر تاج السنة وحيد الأمة العالي الهمة العالم

العابد الفقيه الزاهد وذكر تاريخ وفاته رح ومنها احتيط ببغداد على شاعر ينشد

للروافض يقال له ابن قرايا ينشد في الأسواق ويذكر أشعارا يضمنها ذم الصحابة وسبهم

وتجويرهم وتهجين من أحبهم فعقد له مجلس بأمر الخليفة واستنطق فإذا هو رافضي

داعية جلد فأفتى الفقهاء بقطع لسانه ويديه ففعل ذلك ثم اختطفته العامة فما زالوا

يرمونه بالآجر حتى ألقى نفسه في الدجلة فاستخرجوه منها وقتلوه حتى مات فأخذوا

شريطا وربطوه في رجليه وطافوا به البلد يجرونه في أكنافها ثم ألقوه في بعض الأتونات

مع الآجر والكلس وعجز الشرط عن تخليصه منهم

وممن توفي فيها من الأعيان

أسعد بن بلدرك أبو أحمد الجبريلي سمع الحديث وكان شيخا ظريفا حسن المذاكرة جيد

النادرة سريع المبادرة توفي في هذه السنة عن مائة سنة وأربع سنين محمد بن نعيم بن

عبد الله أبو عبد الله الخياط عتيق الرئيس أبي الفضل بن عيشون سمع الحديث وقارب

الثمانين سقط من درجة فمات قال النشدي تولى والدي عتقا بن العلا الحكيم أبو الفضل بن

عيشون ●

● القارئ التشريح جدير بالنفي ● من راهب في ديره منفوس ●

● وعن أنف لا فلا كانت فتنته ● تعبادة الرحمن أحرى الأنفس ●

● والماسح الأرضين وهي رحيبة ● مسح في كف الملمس ●

● أولى الحنيفة رتبة من جاهل ● بمثلث ومربع ومخمس ●

الحيص بيص

سعد بن محمد بن سعد شهاب الدين أبو الفوارس الصيفي الشاعر المشهور المعروف بحيص

بيص له ديوان شعر مشهور وكانت وفاته في يوم الثلثاء خامس شهر شعبان من هذه السنة

وله ثنتان وثمانون سنة وصلي عليه بالنظامية ودفن بباب التبن ولم يعقب ولم يكن له

في المراسلات يد بل كان يتقعر فيها ويتفاصح جدا فلا تنواتيه الا وهي معجرفة وكان يزعم أنه

من بني تميم فسئل أبوه عن ذلك فقال ما سمعته الا منه فقال بعض الشعراء يهجوه فيما ادعاه

من ذلك ●

● كم تتنادى وكم تطيل طرطير ● وما فيك شعرة من تميم ●

● فكل الضب وابلع الحنظل اليابس ● واشرب ان شئت بول الظليم ●

● ليس ذا وجه من يضيف ولا ● يقري ولا يدفع الأذى عن حريم ●

ومن شعره المستجاد أعني الحيص بيص ●

سلامة المرء ساعة عجب • وكل شيء لحتفه سبب
يفر والحادثات تطلبه • يفر منها ونحوها الهرب
وكيف يبقى على تقلبه • مسلّم من حبائله العطب

ومن شعره أيضا

لا يلبس الدهر على غرة • فما لموت الحي من بد
ولا يخادعك طول البقا • فتحسب الطول من الخلد
يقرب ما كان له آخر • ما أقرب المهد من اللحد

ويقرب من هذا قول صاحب العقد وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي في عقده

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة • إذا اخضر منها جانب جف جانب
وما الدهر والآمال إلا فجائع • عليها وما اللذات إلا مصائب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة • على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقد ذكر السمعاني أبو سعد حيص بيص هذا في ذيله وأثنى عليه وسمع عليه ديوانه ورسائله وقد أثنى على رسائله القاضي ابن خلكان وقال كان فيه تيه وكبر وكان لا يتكلم إلا معربا وكان فقيها شافعي المذهب واشتغل بالخلاف وعلم النظر ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم قال وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس في حركة واختلاط فقال ما للناس في حيص بيص أي في شدة وهرج فغلبت عليه هذه الكلمة وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي طبيب العرب ولم يترك عقبا وكان له حوالة بالحلة تذهب ينتفع منها توفي ببغداد في هذه السنة رحمه الله

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

فيها كانت وقعة مرج عيون

استهلت هذه السنة والسلطان صلاح الدين نازل بجيشه على تل القاضي ببانياس ثم قصده الفرنج بفارسهم وقضيضهم فنهض إليهم نهوض الروايا بحتف ذات الصلاصل فالتقاهم فما هو إلا أن تواجه الفريقان واصطدم الجيشان حتى أنزل الله نصره وأعز جنده وهزم الأعداء وحده فتولت الوجوه الصلبان ذاهبة وخيل الله لرقابهم راكبة فقتل منهم خلق كثير وجم غفير وأسر من ملوكهم جماعة وأنابوا إلى السمع والطاعة منهم مقدم الداوية ومقدم الاسبتارية وصاحب الرملة وصاحب طبرية وقسطلان يافا وآخرون من ملوكهم وخلق من شجعانهم وأبطالهم ومن فرسان القدس جماعة كثيرون تقريبا من ثلثمائة أسير من أشراف النصارى فصاروا يهادون في قيودهم كأنهم سكارى وما هم بسكارى قال العماد الكاتب فاستعرضهم السلطان في الليل حتى أضاء الفجر عن الظلماء ووضح الصبح بوضوء العشاء وقد كان السلطان جالسا ليلتئذ في نحو العشرين وهم في هذه العدة فسلمه الله منهم والحمد لله رب العالمين ثم أرسلهم إلى دمشق ليعتقلوا بقلعتها ويكونوا في كنف ذلها فافتدى ابن البارزاني نفسه بعد سنة بمائة ألف دينار وخمسين ألف دينار صورية وإطلاق ألف أسير من بلاده فأجيب إلى ذلك وكذا افتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة ومنهم من مات في السجن فانتقل منه إلى سجين وهكذا يفعل تعالى بكل من خرج عن أمره من الكافرين واتفق أنه في اليوم الذي

ظفر

ظفر فيه السلطان على الفرنج بمرج عيون وهذا ظهر الأسطول على بطسة للفرنج في البحر وأخرى معها فغنموا منهما ألف رأس من السبي وعاد إلى الساحل مؤيدا منصورا وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه الغزوة بمدائح كثيرة وكتب بذلك إلى بغداد فدقت البشائر بها فرحا وسرورا بظهور المسلمين على أعداء الله الملحدين وكان الملك المظفر تقي الدين عمر غائبا عن هذه الوقعة مشتغلا بما هو أحب منها وذلك أن ملك الروم أرسل يطلب حصن رعبان وزعم أن نور الدين اغتصبه منه وأن ولده قد أعطى له عنده فلم يجبه إلى ذلك السلطان فبعث صاحب الروم عشرين ألف مقاتل يحصرونه فأرسل السلطان تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس منهم سيف الدين علي بن أحمد المشطوب فالتقوا بهم فهزموهم بإذن الله واستقرت يد الملك صلاح الدين على حصن رعبان وقد كان مما عوض به ابن المقدم عن بعلبك وكان تقي الدين عمر يفتخر بهذه الوقعة ويرى أنه قد هزم عشرين ألفا وقيل ثلاثين ألفا بثمانمائة وكان السبب في ذلك أنه بيتهم وأغار عليهم وهم غارون فما لبثوا أمامه بل فروا منهزمين عن آخرهم فأكثر فيهم القتل واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم وقيل لأنه أصابهم يوم كسر السلطان الفرنج بمرج عيون فالله أعلم

تخريب حصن بيت الأحزان قريب من صفد

ثم ركب السلطان في جحافله إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحفروا فيه بئرا جعلوها معينا وسلموه إلى الداوية فقصده السلطان فحاصره ونقبه من جميع جهاته وألقى فيه النيران فخربه وكان قد خربه إلى الأساس وغنم ما فيه من الحواصل فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح ومن المأكل شيء كثير وأخذ منه سبعمائة أسير فقتل بعضا وأرسل الباقين إلى دمشق ثم عاد إلى دمشق مؤيدا منصورا غير أنه مات من أمرائه عشرة بسبب ما نالهم من الحر والوباء في مدة الحصار وكانت أربعة عشر يوما وعلا للناس بالزيارة مشهد يعقوب على العادة القديمة وقد استحسن الشعراء قال بعضهم

بجدك أعطاف القنا تتعطف • وطرف الأعادي دون مجدك يطرف
شهاب هدى في ظلمة الشك ثاقب • وسيف إذا ما هزه الله مرهف
وقفت على حصن المخاض وإنه • لموقف حق لا يوازيه موقف
فلم يبد وجه الأرض بل حال دونه • رجال كآساد الشرى وهي تزحف
وجرد سلهوب ودرع مضاعف • وأبيض هندي ولدن مثقف
وما رجعت أعلامك الصفر ساعة • إلى أن غدت أكبادهم السود ترجف
كباس أعاليه صليب وبيعة • وشاد به دين حنيف ومصحف
صليبية عباد الصليب ومنزل • النزال لقد غادرته وهو صفصف
أيسكن أوطان النبيين عصبة • تمين لدى أيمانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح في الدين واجب • ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وقال آخر

هلاك الفرنج أتى عاجلا • وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها • لما عمرت بيت أحزانها

ومن كتاب الفاضل الى بغداد في وصف هذا الحصن الذي خربه صلاح الدين نصره الله وقد
عرض حائطه الى ان زاد على عشرة اذرع وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها من سبعة
اذرع الى ما فوقها وما دونها وعدتها تزيد على عشرين الف حجر لا يستقر الحجر في مكانه ولا يستقل
في بنيانه الا باربعة دنانير فما فوقها وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الصم المرغم بها
انوف الجبال الشم وقد جعلت تسقيته بالكلس الذي اذا احاطت قبضته بالحجر
مازجه بمثل جسمه وصاحبه باوثق واصلب من جرمه واوعز الى خصمه من الحديد بانه لا يتعرض
لهدمه وفي هذه السنة اقطع السلطان الناصر صلاح الدين لابن اخيه عز الدين فرخشاه
بن شاهنشاه بن ايوب مدينة بعلبك فاغار منها على صفد واعمالها فقتل طائفة
كثيرة من مقاتلتها ورجالها وكان فرخشاه هذا من اشجع الابطال والشجعان المشهورين
المشكورين في النزال وفيها حج القاضي الفاضل من دمشق وعاد الى مصر فقاسى في الطريق
اهوالا ولقي برحا وتعبا وكلالا وكان في العام الماضي قد حج من مصر وعاد الى الشام ولكن
كان هذه فيما استسهل من هذا العام وفيها كانت زلزلة عظيمة انهدم بسببها قلاع وقرى وهلك
كثير من الورى وسقط من رؤوس الجبال الصخور كبار وصادمت بين الجبال في البرية مع بعد
ما بينهما من الاقطار وفيها اصاب الناس غلاء شديد وفناء جيد ايضا فمات كثير من
الخلائق بهذا وهذا ولله الامر من قبل ومن بعد وانا لله وانا اليه راجعون

ذكر وفاة المستضيء بامر الله

وشيء من ترجمته رحمه الله

كان ابتداء مرضه في اواخر شوال من هذه السنة فارادت زوجته الجهة بنفشا ان تكتم ذلك
فلم يمكنها ووقعت فتنة كبيرة ببغداد ونهبت العامة دورا كثيرة واموالا جزيلة فلما كان يوم
الجمعة الثاني والعشرين من شوال خطب لولي العهد ابي العباس احمد بن المستضيء وهو
الخليفة الناصر لدين الله وكان يوما مشهودا نثر الذهب على الخطباء والمؤذنين ومن
حضر ذلك عند ذكره على المنبر والتنويه باسمه في العشر فلما كان يوم السبت سلخ شوال
مات الخليفة المستضيء بامر الله وكان مرضه بالحمى ابتدى به من يوم عيد الفطر ولم يزل
الامر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهرا فمات رح سلخ شوال وله من العمر تسع وثلاثون سنة
وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة اشهر وسبعة عشر يوما وغسل وصلي عليه من
الغد ودفن بدار القصر التي بناها وذلك عن وصيته التي اوصاها وترك من بعده
ولدين احدهما ولي العهد وعمدة الدنيا والدين ابو العباس احمد الناصر لدين الله والآخر
ابو منصور هاشم وقد ورثه جماعة من الرؤسا وكان من خيار الخلفاء امارا بالمعروف
نهاء عن المنكر ووضع عن الناس المكوسات والضرائب وازال عنهم البدع والمظالم
وكان حليما وقورا كريما فرحمه الله وبل ثراه وجعل الجنة مثواه امين وبويع بالخلافة من
بعده للخليفة الناصر ولده

وممن توفي فيها

ابراهيم بن علي ابو اسحاق السلمي الفقيه الشافعي المعروف بابن الفراء الاموي ثم البغدادي
كان فقيها بارعا فاضلا مناظرا فصيحا بليغا شاعرا مطيقا توفي عن اربع وسبعين سنة

وصلي

وصلي عليه الغد ودفن بمدرسة النظامية اسماعيل بن موهوب بن محمد بن احمد بن الخضر
ابو محمد بن الجواليقي الملقب بحجة الاسلام امام ائمة اللغة في زمانه والمشار اليه من بين اقرانه
بحسن الدين وقوة اليقين وعلم اللغة والنحو وصدق اللهجة وخلوص النية وحسن
السيرة في نشاته ومنشاه ومنتهاه وقد سمع الحديث ورواه وتمم الاثر واتبع سبيله ورماه
رحمه الله المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد ابو محمد بن الطباخ البغدادي
نزيل مكة ومجاورها وحافظ الحديث بها والمشار اليه بالعلم فيها كان يوم جنازته يوما
مشهودا

خلافة المستضيء لدين الله ابي العباس

احمد بن المستضيء

لما توفي ابوه سلخ شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة بايعه الامراء والكبراء والامراء
والخاصة والعامة وكان قد خطب له على المنابر في حياة ابيه قبل موته بيسير فقيل انه
انما عهد اليه قبل موته بيوم وقيل باسبوع ولكن قدر الله عز وجل انه لم يختلف عليه
اثنان بعد وفاة ابيه ولقب بالخليفة الناصر لدين الله ولم يل الخلافة قبله من بني
العباس اطول مدة منه فان خلافته امتدت الى سنة وفاته في سنة اثنتين وعشرين
وستمائة وكان ذكيا شجاعا مهيبا وسياتي ذكر سيرته عند وفاته ان شاء الله تعالى
وفي سابع ذي القعدة من هذه السنة عزل صاحب المخزن ظهير الدين ابو بكر بن العطار واهين
غاية الاهانة هو واصحابه وقتل منهم كثير وشهروا في البلد وتمكن امر الخليفة الناصر
وعظمت هيبته في البلاد وفي قلوب العباد وقام باعباء الخلافة على ما ينبغي في جميع امور
وشؤونهم ولما حضر عيد الاضحى اتم على ما جرت به العادة

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

فيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج وسار الى بلاد الروم فاصلح بين ملوكها من بني
ارتق وكر على بلاد الارمن فانه ملكها وفتح بعض حصونه واخذ منه غنائم كثيرة جدا من
الاواني الذهب والفضة لانه كان قد غدر بقوم من التركمان اوولها البلاد ثم صالحه على مال
يحمله اليه واسارى يطلقهم من اسره واخرين يستنقذهم من بلاد الفرنج ثم عاد السلطان
مؤيدا منصورا فدخل حماة في اواخر جمادى الاخرة وامتدحه الشعراء على ذلك وفيها مات صاحب
الموصل سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي وكان شابا حسنا مليح الشكل تام القامة مدور
اللحية مكث في الملك عشر سنين ومات عن ثلاثين سنة وكان عفيفا في نفسه مهيبا
وقورا لا يلتفت اذا ركب ولا اذا جلس غيورا لا يدخل احدا من الخدام الكبار يخلو على النسا
وكان لا يقدم على سفك الدماء وينسب الى شيء من البخل سامحه الله وكانت وفاته في ثالث صفر
وكان في عزمه ان يجعل الملك من بعده لولده معز الدين سنجر شاه فلم يوافقه الامراء خوفا من
صلاح الدين لصغر سنه فاتفقوا كلهم على اخيه فاجلس مكانه في المملكة اخوه عز الدين مسعود
وجعل مجاهد الدين قايماز نائبه ومدبر مملكته وجاءت رسل الخليفة يلتمسون من صلاح الدين
ان يبقي سروج والرها والرقة وحران والخابور ونصيبين في يده كما كانت في يد اخيه فامتنع
السلطان من ذلك وقال هذه البلاد هي حفظ ثغور الاسلام وانما كنت تركتها في يده ليساعد
على غزو الفرنج فلم يكن يفعل ذلك وكتب الى الخليفة يعرفه ان المصلحة في كونها بيده

وفاة توران شاه رحمه الله

وفيها توفي اخو السلطان الاكبر الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن ايوب الذي افتتح بلاد اليمن عن امر اخيه صلاح الدين فمكث فيها حينا واقتنى بها اموالا جزيلة ثم استناب فيها واقبل نحو اخيه الى الشام شوقا اليه وقد كتب اليه من اثناء الطريق شعرا عمله له شاعره ابن المنجم وكانوا قد وصلوا الى تيما

هل لاخي بل مالكي علم انني * اليه وان طال التردد راجع

واني بيوم واحد من لقائه * لملكي على عظم المثوبة بايع

ولم يبق الا دون عشرين ليلة * ويجني المنى ابصارنا والمسامع

لدى ملك تعنو الملوك اذا بدا * وتخشع اعظاما له وهو خاشع

كتبت واشواقي اليك ببعضها * تعلمت النوح الحمام السواجع

وما الملك الا راحة انت زندها * تضم على الدنيا ونحن الاصابع

وكان قدومه اليها في سنة احدى وسبعين فشهد معه مواقف محمودة وغزوات محمودة ثم استنابه على دمشق مدة ثم سار الى مصر فاستنابه على الاسكندرية فلم توافقه وكان يعتريه القولنج فمات بها رحمه الله في هذه السنة ودفن بقصر الامارة منها ثم استقلته اخته ست الشام بنت ايوب فدفنته بتربتها التي بالشامية البرانية فقبره القبلي والوسطاني قبر زوجها ابن عمها ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة والمؤخر قبرها رحمهما الله واجزل ثوابهما والتربة الحسامية منسوبة الى ولدها حسام الدين عمر بن لاجين وهي الى جانب المدرسة من غربيها وقد كان الملك توران شاه كريما جوادا ممدحا شجاعا باسلا عظيم الهيبة كبير النفس واسع الصدر قال فيه ابن سعدان الحلبي

هو الملك ان تسمع بكسرى وقيصر * فانهما في الجود والباس عبداه

وما حاتم ممن يقاس بمثله * فخذ ما رايناه ودع ما رويناه

ولا تذكر ان يستجير فانه * يجيرك من جور الزمان وعدواه

ولا تحمل للسحائب منة * اذا امطرت جود السحائب جدواه

ويرسل كفيه بما اشتق منهما * فلليمن يمناه ولليسر يسراه

ولما بلغ خبر موته الى اخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين وهو مخيم بظاهر حمص حزن حزنا شديدا عليه وجعل ينشد باب المراثي من الحماسة وكانت محفوظة له وفي رجب قدمت رسل الخليفة الناصر وخلعه وهداياه الى الملك الناصر صلاح الدين فلبس السلطان خلعة الخليفة بدمشق وزينت له البلد وكان يوما مشهودا وفيها في رجب منها سار السلطان من الشام الى الديار المصرية لينظر في احوالها وامورها ويصوم بها رمضان ومن عزمه ان يحج عامه ذلك الى بيت الله الحرام واستناب على الشام ابن اخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب قال العماد الكاتب وكان فرخشاه عزيز المثل عزيز الفضل فكتب القاضي الفاضل عن الملك العادل ابي بكر نائبه بمصر الى عمال اليمن والينبع ومكة يعلمهم بعزم السلطان على الحج في هذا العام الى المسجد الحرام ليتاهبوا لذلك ويتموا بره واستصحب السلطان معه صدر الدين ابا القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد الذي قدم في الرسلية من جهة الخليفة ليكون في خدمته الى الديار المصرية وفي صحبته الى الحجاز الشريف فدخل

السلطان

السلطان ديار مصر وتلقاه الجيش وكان يوما مشهودا واما شيخ الشيوخ صدر الدين فانه لم يقم بها الا قليلا حتى توجه الى الحجاز الشريف في البحر فادرك الصيام بالمسجد الحرام وفيها سار قراقوش التقوي الى بلاد المغرب فحاصر قابس وقلاعا كثيرة حولها واستحوذ على اكثرها فاتفق انه اسر من بعض الحصون غلاما امرد فاراد قتله فقال له اهل الحصن لا تقتله وخذ لك عشرة الاف دينار فابى فوصلوه الى مائة الف دينار فابى الا قتله فلما قتله نزل صاحب الحصن وهو شيخ كبير ومعه مفاتيح ذلك الحصن فقال خذ هذه فاني شيخ كبير وانما كنت احفظه من اجل هذا الصبي الذي قتلته ولي اولاد اخ اكره ان يملكوه بعدي ففارقه فيه واخذ منه اموالا كثيرة

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

الحافظ ابو طاهر السلفي

احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم سلفة الحافظ الكبير المعمر ابو طاهر السلفي الاصبهاني وانما قيل لجده ابراهيم سلفة لانه كان مشقوق احدى الشفتين فكان له ثلاث شفاه فسمته الاعاجم بذلك قال القاضي ابن خلكان وكان السلفي يلقب بصدر الدين وكان شافعي المذهب ورد بغداد واشتغل بها على الكيا الهراسي واخذ اللغة عن الخطيب ابي زكريا يحيى بن علي التبريزي وسمع الحديث الكثير ورحل في طلبه الى الآفاق ثم نزل ثغر الاسكندرية في سنة احدى عشرة وخمسمائة وبنى له العادل ابو الحسن علي بن السلار وزير الخليفة الظافر مدرسة وفوضها اليه فهي معروفة به الى الآن قال ابن خلكان واما اماليه وتعاليقه فكثيرة جدا قال ومولده فيما ذكره المصريون في سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ونقل الحافظ عبد الغني المقدسي عنه انه قال اذكر مقتل نظام الدين في سنة خمس وثمانين واربعمائة ببغداد وانا ابن عشر تقريبا ونقل عنه الحافظ ابو القاسم الصفراوي انه قال مولدي بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة لانه توفي ليلة الجمعة خامس ربيع الاخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الاسكندرية ودفن بوعلة وفيها جماعة من الصالحين وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوي قال ولم يبلغنا من نحو ثلثمائة سنة ان احدا جاوز المائة الا القاضي ابا الطيب الطبري وقد ترجمه الحافظ بن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة وان كان قد مات قبله بخمس سنين فذكر رحلته في طلب الحديث ودورانه في الاقاليم وانه كان يتصوف اولا ثم اقام بثغر الاسكندرية وتزوج امراة ذات يسار فحسنت حاله وبنت عليه مدرسة هنالك وذكر طرفا من اشعاره منها قوله

اناس المام المنية بغتة * وامن الفتى جهل وقد خبر الدهرا

وليس يحابي الدهر في دورانه * اراذل اهليه ولا السادة الزهرا

وكيف وقد مات النبي وصحبه * وازواجه طرا وفاطمة الزهرا

ومن شعر السلفي الذي اورده ابن عساكر قوله

يا قاصدا علم الحديث بجهده * اذ ضل عن طرق الهداية وهمه

ان العلوم كما علمت كثيرة * واجلها فقه الحديث وعلمه

من كان طالبه وفيه تيقظ * فاتم سهم في المعالي سهمه

لولا الحديث واهله لم يستقم * دين النبي وشذ عنا حكمه

• واذا استراب بقولنا متحذلق • فاكل نمم في البسيطة نمه •

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

استهلت والملك الناصر صلاح الدين مقيم بالقاهرة مواظب على سماع الاحاديث وجاء كتاب من نائبه بالشام عز الدين فرخشاه يهنيه بما من الله به على الناس من كثرة ولادة النساء للتوام جبرا لما كان اصابهم في العام الماضي من الوباء والفناء وبان الشام مخصب باذن الله جبرا لما كان اصابهم من الجدب والغلاء ولله الحمد والمنة وفي شوال توجه الملك صلاح الدين الى الاسكندرية فشاهد ما امر به من تحصين سورها وعمارة ابراجها وسمع موطا مالك على الشيخ ابي طاهر بن عوف عن الطرطوشي وسمع ذلك معه العماد الكاتب وارسل القاضي الفاضل الى السلطان رسالة يهنيه بهذا السماع

ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن الملك

نور الدين صاحب حلب وما جرى بعده من الامور

كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب ودفن بها وكان سبب وفاته فيما قيل ان الامير علم الدين سليمان بن جيدر سقاه سما في عنقود عنب في الصيد وقيل بل سقاه ياقوت الاسدي في شراب وقيل في خشكنان فاعتراه قولنج فما زال كذلك حتى مات رحمه الله وهو شاب حسن الصورة بهي المنظر ولم يبلغ عشرين سنة وكان من اعف الملوك ومن يشابه اباه فما ظلم وصف له الاطبا في مرضه شرب الخمر فاستفتى بعض الفقهاء في شربها تداويا فافتاه بذلك فقال له اتريد شربها في اجلي او ينقص منه شيا قال لا قال والله لا اشربها والقى الله وقد شربت ما حرمه علي ولما يئس من نفسه استدعى الامراء فحلفهم لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل لقوة سلطانه وتمكنه ليمنعها من صلاح الدين وخشي ان يبايع لابن عمه الاخر عماد الدين زنكي صاحب سنجار وهو زوج اخته وتربية والده فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين فلما مات استدعى الحلبيون لعز الدين مسعود بن قطب الدين صاحب الموصل فجاء اليهم فدخل في ابهة عظيمة وكان يوما مشهودا وذلك في العشرين من شعبان فتسلم خزائنها وحواصلها وما فيها من السلاح وكان تقي الدين عمر بمدينة منبج فهرب الى حماه فوجد اهلها قد نادوا بشعار عز الدين صاحب الموصل واطمع الحلبيون عز الدين مسعود في اخذ دمشق لغيبة صلاح الدين بالديار المصرية واعلموه محبة اهل الشام لهذا البيت الاتابكي فقال بيننا وبينه ايمان وعهود وانا اعذر به فاقام بحلب شهورا وتزوج بام الملك الصالح في شوال ثم سار الى الرقة فنزلها وجاءه رسل اخيه عماد الدين زنكي يطلب منه ان يقايضه من حلب الى سنجار ولج في ذلك وعنع اخوه ثم تعاد ذلك على كره منه فسلم اليه حلب وتسلم عماد الدين سنجار والخابور والرقة ونصيبين وسروج وغير ذلك من البلاد ولما سمع الملك الصالح بهذه الامور ركب من الديار المصرية في عساكره فسار حتى اتى الفرات فعبرها وخامر اليه بعض امراء صاحب الموصل فتقهقر عن لقايه فاستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكمالها وهم بمحاصرة الموصل فلم يتفق ذلك ثم جاء الى حلب فتسلمها من عماد الدين زنكي لضعفه عن ممانعتها لقلة ما ترك فيها عز الدين من الاسلحة والات القتال وذلك في السنة الاتية كما سنذكره وفي هذه السنة عزم البرنس صاحب الكرك لعنه الله على

فقصد

قصد تيماء من ارض الحجاز ليتوصل منها الى المدينة النبوية فجهزت له سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين ارض الحجاز فصده ذلك عن قصده ولله الحمد والمنة وفيها ولى السلطان صلاح الدين اخاه سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن ايوب نيابة اليمن ليحكم عليها وارسله اليها وذلك لاختلاف نوابها واضطراب اصحابها بعد وفاة المعظم تورانشاه اخي السلطان الذي كان قد افتتحها فلما دخلت الفتن بها وكثر التخليط والتخبيط سمت نفس اخيه طغتكين اليها فارسله اخوه اليها وولاه عليها فسار اليها فوصلها في سنة ثمان وسبعين فسار فيها احسن سيرة واكمل بها المعدلة والسيرة فاحتاط على اموال الخطاب بن مسعد نائب زبيد وكانت تقارب الف الف دينار واكثر واما نايب عدن فخر الدين عثمان بن الزنجيلي فانه خرج من اليمن قبل قدوم طغتكين اليها فسكن الشام وله اوقاف مشهورة باليمن ومكة واليه المدرسة الزنجيلية خارج باب توما تجاه دار الطعم وكان قد حصل منها اموالا عظيمة جدا وفيها غدرت الفرنج ونقضت عهودهم وقطعوا السبل على المسلمين براد بحرا سرا وجهرا فامكن الله من بطشه عظيمة لهم فيها نحو من الفين وخمسمائة نفس من حماتهم المعدودين منهم القاهم الموج الى ثغر دمياط قبل خروج السلطان من مصر فاحيط بها فغرق بعضهم وحصل في الاسر الف وسبعمائة منهم ولله الحمد والمنة وفيها سار قراقوش الى بلاد افريقية ففتح بلادا كثيرة وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن واستفحل امره هنالك وهو من جملة مماليك تقي الدين عمر ابن اخي السلطان صلاح الدين ثم عاد الى الديار المصرية فامره السلطان بان يتمم السور المحيط بالقاهرة ومصر وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة وكان ذلك اخر عهده بها حتى توفاه الله عز وجل وذلك بعد ان اراه بلوغ مناه قبل حلول الوفاة فاقر عينه من اعداه وفتح على يديه بيت المقدس وما حوله وما حواه ولما خيم بارز اس مصر حضر اولاده حوله فجعل يشمهم ويقبلهم ويضمهم فانشده بعضهم

• تمتع من شميم عرار نجد • فما بعد العشية من عرار •

وكان الامر كما قال لم يعد الى مصر بعد هذا العام بل كان مقامه بالشام وفي هذه السنة ولد للسلطان ولدان وهما المعظم تورانشاه والملك المحسن احمد وكان بين ولادتهما سبعة ايام فزينت البلاد واستمر الفرح اربعة عشر يوما

وممن توفي فيها من الاعيان

الشيخ كمال الدين ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي السعادات عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن الحسين بن ابراهيم الانباري النحوي الفقيه العابد الزاهد الناسك الخاشع كان خشن العيش لا يقبل من احد شيا ولا من الخليفة وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة ولا يقبل من جوائز الخليفة لهم ولا فلسا وكان مثابرا على الاشغال وله تصانيف مفيدة وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة رحمه الله قال القاضي ابن خلكان له كتاب اسرار العربية مفيد جدا وطبقات النحاة مفيد جدا ايضا وكتاب الميزان في النحو ايضا

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

في خامس المحرم كان بروز السلطان من الديار المصرية قاصدا البلاد الشامية لمناجزة الاعداء والاحسان الى الاولياء وكان ذلك اخر عهده بمصر لم يعد اليها بعد ذلك وقد اغار في طريقه على الطرقات

بلاد الفرنج بارض الكرك وجعل اخاه تاج الملوك بوري بن ايوب على الميمنة يسير ناحية
منه لئلا يتمكنوا من بلاد العدو فالتقوا على الازرق بعد سبعة ايام وقد اغار نائب دمشق
عز الدين على بلاد طبرية وما حولها وافتتح حصونا جيدة واسر منهم الفا وغنم عشرين الف
راس من الانعام بيض الله وجهه وكان دخول السلطان الى دمشق في سابع عشر صفر
ثم خرج في العشر الاول من ربيع الاول فالتقى مع الفرنج في نواحي طبرية وبيسان تحت حصن
كوكب فقتل خلق من الفريقين ولكن كانت الدائرة للمسلمين والحمد لله رب العالمين ورجع
مؤيدا منصورا ثم ركب السلطان في جحافله وعساكره قاصدا الى حلب وبلاد الشرق
لياخذها وذلك ان المواصلة والحلبيين قد كاتبوا الفرنج حتى يغيروا على اطراف البلاد
ليشغلوا الناصر بنفسه عنهم فكان مسيره على بلاد البقاع ثم الى حماة ثم الى حلب فحاصرها
ثلاثا ورأى ان العدول عنها الى غيرها اولى به فسار حتى قطع الفرات واستحوذ على الجزيرة
والخابور وحران والرها والرقة ونصيبين وغيرها وذلك خضعت له الملوك هنالك
ثم عاد الى حلب فتسلمها من صاحبها عماد الدين زنكي وقد كان قايض اخاه عز الدين
مسعود بها الى سنجار كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية فاستوسقت له الممالك شرقا
وغربا وبعدا وقربا وتمكن حينئذ من قتال الاعداء من الفرنج لعنهم الله واكبتهم الله من نواصيهم
فلله الحمد على ما اولاه **فصل** ولما عجز ابرنس الكرك لعنه الله عن انضال المسلمين
الاذى في البر عمل مراكب في بحر القلزم ليقطعوا الطريق على التجار والحجاج فوصلت
اذيتهم الى عيذاب وخاف اهل المدينة النبوية من شرهم فامر العادل ابو بكر نائب مصر
للامير حسام الدين لولو صاحب الاسطول ان تعمل مراكب في بحر القلزم لمحاربة اصحاب
الابرنس ففعل ذلك فظفر بهم في كل موطن فقتلوا منهم وحرقوا واغرقوا وسبوا وغنموا
واسروا في مواطن كثيرة ومواقف هائلة كبيرة وامن البحر والبر باذن الذي بيده النفع
والضر وارسل السلطان الى اخيه يشكر مساعيه وارسل الى ديوان الخليفة يعرفهم
بما انعم الله عليه من الفتوحات برا وبحرا وبما هو متقلب فيه من نعم الله عليه واحسن
به اليه سرا وجهرا والحمد لله على ذلك

فصل

في وفاة الملك المنصور عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك
ونائب دمشق لعمه الملك صلاح الدين وهو والد الملك الامجد بهرام شاه صاحب بعلبك
ايضا بعد ابيه والى هذا تنسب المدرسة الفرخشاهية بالشرف الشمالي والى جانبها التربة
الامجدية لولده وهما على الحنفية والشافعية وقد كان فرخشاه شهما شجاعا بطلا
فاتكا ذكيا فاضلا كريما ممدحا امتدحه الشعراء لفضله وجوده واحسانه وكان من
اكبر اصحاب الشيخ تاج الدين الكندي عرفه من مجلس القاضي الفاضل وله وللعماد
الكاتب فيه مدايح بلايغ وله شعر رايق لطيف من ذلك قوله

انا في اسر السقام * من هوى هذا الغلام
رشا ترشق عينيه * فؤادي بسهام
كلما ارشفني فاه * على حر الاوام
ذقت منه الشهد في * الثلج المصفى بالمدام

وكان ابنه

وكان ابنه الامجد شاعرا جيدا ايضا وقد ولاه عمه السلطان صلاح الدين
بعلبك بعد ابيه واستمر فيها مدة طويلة ومن محاسن المنصور عز الدين فرخشاه
صحبته لتاج الدين الكندي وله في الكندي مدايح وقد اورد الشيخ شهاب الدين
ذلك مستقصى في الروضتين ومن ذلك انه دخل يوما الى الحمام فرأى رجلا كان
يعرفه من اصحاب الاموال وقد نزل به الحال حتى انه ليستتر ببعض ثيابه حتى يبدوا
جسده فرق له وامر غلامه ان ينقل بقجة وبساطا الى موضع الرجل واحضر له الف
دينار وبغلة وتوقيعا له في كل شهر بعشرة دنانير فدخل الرجل وهو من افقر
الناس وخرج وهو من اغنى الناس فرحم الله على الاجواد الاكياس

ومن توفي فيها من الاعيان ايضا

الشيخ احمد الرفاعي

احمد بن ابي الحسن علي بن ابي العباس احمد الشيخ ابو العباس احمد بن الرفاعي شيخ الطائفة
الاحمدية والرفاعية والبطائحية لسكناه ام عبيدة من قرى البطائح وهي بين
البصرة وواسط كان اصله من العرب فسكن هذه البلاد والتف عليه خلق كثير
يقال انه حفظ التنبيه في الفقه وقد ذكرته في طبقات الشافعية قال
القاضي ابن خلكان ولاتباعه احوال عجيبة من اكل الحيات وهي حية ودخول
التنانير وهي تضطرم ويقال انهم في بلادهم يركبون الاسود قال وليس للشيخ احمد
عقب وانما النسل لاخيه وذريته يتوارثون المشيخة بتلك البلاد قال ومن
شعره على ما قيل

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم * انوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى * وتحتي بحار للاسى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات اسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففي القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيعتق

قال ولم يزل على تلك الحال الى ان توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى
الاولى من هذه السنة. خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال ابو القاسم
القرطبي الحافظ المحدث صاحب التصانيف له كتاب الصلة جعله ذيلا على
تاريخ ابي الوليد بن الفرضي وله كتاب المستغيثين بالله وله مجلد في تعيين
الاسماء المبهمة في الروايات على طريقة الخطيب واسماء من روى الموطا على حروف
المعجم بلغوا ثلاثة وسبعين رجلا وكانت وفاته في رمضان عن اربع وثمانين سنة

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسماية

في الرابع عشر من محرمها تسلم السلطان مدينة آمد صلحا بعد حصار طويل من يد
صاحبها ابن نيسان بعد ما جار وما امكنه من حواصله واموالها وابقى له مدة ثلاثة
ايام ولما تسلم السلطان البلد وجد فيه شيا كثيرا من الحواصل وآلات الحرب والسلاح
حتى انه وجد برجا مملوءا نصول النشاب وبرجا اخر فيه مائة الف شمعة واشياء
يطول شرحها ووجد فيها خزانة كتب فيها الف الف مجلد واربعون الف مجلد فوهبها
كلها للقاضي الفاضل فانتخب منها حمل سبعين حمارة ثم وهب السلطان البلد

بما بيد نور الدين محمد بن قرا ارسلان وكان قد وعده بها فقيل له فاتت الحواصل لم تدخل في وعدك فقال لا ابخل بما عليه وكان في خزائنها ثلاثة الاف الف دينار وقد صار من اصحابنا وانصارنا فاستحق الشكر على هذا الصنيع الحسن الجميل وهو حقيق بالثنا والجزاء الجزيل ومن احسن ما قاله بعضهم في ذلك من جملة قصيدة له في بعض السلطان

قل للملوك تنحوا عن ممالكم ... فقد اتى آخذ الدنيا ومعطيها

ثم سار السلطان في بقية المحرم الى مدينة حلب فنازلها وحاصرها وقاتله اهلها قتالا جيدا وجرح اخو السلطان تاج الملوك بوري بن ايوب جرحا بليغا فمات منه بعد ايام وكان اصغر اولاد ايوب ولم يبلغ عشرين سنة وقيل بل جاوزها بسنتين وكان ذكيا فهما له ديوان شعر لطيف فحزن عليه اخوه الملك صلاح الدين حزنا شديدا ودفنه بحلب ثم نقله الى دمشق ثم اتفق الحال بين السلطان وبين صاحب حلب عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر على عوض اطلقه له السلطان وهو ان يرد عليه سنجار ونصيبين والرقة والخابور ... فخرج عماد الدين زنكي وجاء الى خدمة السلطان وعزاه في اخيه ونزل عنده في المخيم ونقل اثقاله الى سنجار وزاده السلطان الخابور والرقة ونصيبين وسروج واشترط عليه ارسال العسكر في الخدمة للغزاة ثم سار وودعه السلطان ومكث السلطان بالمخيم اياما غير مكترث بحلب ولا مستكثر لما ولا بها ثم صعد الى قلعتها يوم الاثنين سابع عشرين صفر وهو بالمنصور امسر[؟] محبورا وعمل له الامير طومان وليمة عظيمة وكان يوما مشهودا مشهورا فسمعه بعضهم وهو داخل يتلو هذه الاية قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية ولما دخل دار الملك تلا واورثكم ارضهم وديارهم الاية ولما دخل مقام ابراهيم صلى فيه ركعتين واطال السجود والدعا والتضرع رحمه الله ثم شرع في عمل وليمة عظيمة ووقف البشاير وخلع السلطان على الامرا واحسن الى الروسا والفقرا والعقت الحرب اوزارها وتقضت القلوب اوطارها والقت عصاها

والقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

وقد امتدحه الشعرا عند فتحه حلب بمدايح حسان وكانت قد وقعت منه موقعا عظيما حتى انه قال بيتا قال له ما سررت بفتح قلعة اعظم سرور امن فتح مدينة حلب واسقط عنها وعن ساير بلاد الجزيرة المكوس والضرايب وكذلك عن بلاد الشام ومصر فجزاه الله عن نفسه وعن الاسلام خيرا وقد كانت الفرنج في غيبة السلطان واشتغاله ببلاد الجزيرة وتلك الامور قد عاثت في البلاد بالافساد يمينا وشمالا واغتنمت الشغل بعقبة[؟] الاسد فجالوا واحولا العرين وهي تظن ذلك الخيالا فارسل السلطان الى عساكره ليجتمعوا اليه ويكونوا بين يديه ليتصدى بعد هذا كله لقتال الفرنج العدو المخذول وكان قد بشر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب وذلك ان الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعي راى في تفسير ابي الحكم العزي عند قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض البشارة بفتح بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية واستدل على ذلك باشيا فكتبه في ورقة واعطاها للفقيه

عيسى الهكاري ليبشر بها السلطان فلم يتجاسر على ذلك خوفا من عدم المطابقة فاعلم بذلك القاضي محيي الدين بن الزكي فنظم معنا ما في تلك الورقة بقوله فيها

وفتحكم حلب الشهبا في صفر ... نضى لكم بافتتاح القدس في رجب

وقدمها للسلطان وسوف نهيئه السلطان الى ذلك فلما افتتحها كما سياتي امر القاضي فخطب يومئذ وكان يوم الجمعة ولما بلغه ان ابن جهبل هو الذي اطلع على ذلك اولا امره فدرس على نفس الصخرة درسا عظيما واجزل له العطا واحسن عليه الثنا

فصل

ثم رحل السلطان من حلب في اواخر ربيع الاخر بجيوشه وعساكره وقد جعل فيها ولده الظاهر غازي وولى قضاها محيي الدين بن الزكي فاستناب لقضائها نايبا ورجع هو مع السلطان في خدمته فاجتاز بحماه ثم بحمص ثم على بعلبك ثم دخل دمشق في ثالث جمادى الاولى مؤيدا منصورا في ابهة عظيمة ونعمة جسيمة فكان ذلك يوما مشهودا ومن نيته الخروج سريعا لقتال الفرنج فبرز منها في اول جمادى الاخرة في جحافله قاصدا نحو القدس الشريف فانتهى الى بيسان فنهبها ونزل على عين جالوت وارسل بين يديه سرية مايلة فيها جرديك وطايفة من النورية وجاولي مملوك عمه اسد الدين فوجدوا جيش الكرك من الفرنج قاصدين الى اصحابهم نجدة لهم فاتفقوا معهم فقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا واسروا ماية اسير ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ثم عاد في اخر ذلك اليوم وبلغ السلطان ان الفرنج قد اجتمعوا لقتاله فقصدهم وتصدى لهم لعلهم يصافونه فنكلوا عنه فقتل منهم خلقا كثيرا من اطرافهم وجرح مثلهم فرجعوا ناكصين على اعقابهم خايفين منه على غاية المخافة لكثرة جيشه ولله الحمد والمنة وهو خلفهم يقتل ويأسر حتى عبروا الى بلادهم فرجع عنهم مؤيدا منصورا جعل الله ثوابه موفورا كما جعل سعيه مشكورا وكتب القاضي الفاضل عنه الى الخليفة يعلمه بما من الله به على المسلمين من نصرهم على الفرنج وكان لا يفعل شيا ولا يريد ان يفعله الا كاتب بذلك الخليفة ابدا ادبا واحتراما وطاعة واحتشاما

فصل

وفي رجب سار السلطان الى الكرك فحاصرها وفي صحبته تقي الدين عمر بن اخيه وقد كتب الى اخيه العادل ابي بكر ليحضر اليه لتوليته حلب واعمالها وفوق ما كان طلبه منها واستمر الحصار على الكرك مدة شهر رجب فلم يظفر منها بطائل وبلغه ان الفرنج قد اجتمعوا كلهم ليمنعوا منه الكرك فكر راجعا الى دمشق ليلتقاهم وذلك من اكبر همته واعظم طلبه وارسل الى ابن اخيه تقي الدين عمر الى مصر نايبا وفي صحبته القاضي الفاضل وبعث اخاه على مملكة حلب واعمالها واستقدم ولده الظاهر اليه وكذلك نوابه ومن يعز عليه وانما اعطاه السلطان اخاه العادل حلب ليكون قريبا منه فانه كان لا يقطع امرا دون مشورته واقرضه الناصر من اخيه ابي بكر العادل ماية الف دينار وقد نال الظاهر على مغادرته حلب وكانت اقامته الاولى بها ستة اشهر ولكنه لا يظهر ما في نفسه لولا انه لم يكن يظهر ذلك على صفحات وجهه وفلتات لسانه

سنة ثمانين وخمسماية

في هذه السنة ارسل السلطان الى العساكر الحلبية والجزرية والمصرية فتقدم تقي الدين

عمر من مصر وبعد الفاضل وجاء من حلب ابو بكر العادل وقد مثل ملوك الجزيرة وسنجار وتلك النواحي والاقطار واخذ منها كلها مع جيشه فسار بها الى الكرك فاحدقوا بها في رابع عشر جمادى الاولى وركب عليها المجانيق وكانت تشحنة واخذ في حصارها وذلك لانه راى ان فتحها الان انفع للمسلمين فانهم يقطعون الطريق على الحجيج والتجار في البراري والبحار فبينما هو كذلك اذ بلغه ان الفرنج لعنهم الله قد اجتمعوا له كلهم فارسهم وراجلهم ليمنعوا عن ذلك الكرك فانشمر عنها وقصدهم فنزل على حسبان تجاههم ثم صار الى ماعين فانهزمت الفرنج قاصدين الى الكرك فارسل اليهم من قتل منهم مقتلة عظيمة وامر السلطان الجيوش بالاغارة على السواحل ففعلوا ما من المقاتلة فنهبت نابلس وما حولها من القرى والرساتيق ثم عاد السلطان الى دمشق واذن للعساكر في الانصراف الى بلادهم الشتي وامر ابن اخيه تقي الدين عمر الملك المظفر ان يعود الى مصر بعسكره وكذلك لاخيه العادل ان يعود الى الشهبا واقام السلطان بدمشق ليودي فرض الصيام ولتجم الخيل ويجد الحسام وقدمت على السلطان خلع الخليفة فلبسها والبس اخاه العادل وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ثم خلع السلطان خلعته على نور الدين بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وخرت التي طلبها له السلطان وفي هذه السنة مات ابن عمه صاحب ماردين وميافارقين وتلك الاعمال وهو قطب الدين ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق فقام في الملك من بعده ولده وله من العمر عشر سنين وفيها مات صاحب المغرب ايضا يوسف بن عبد المؤمن بن علي فقام في الملك ولده يعقوب وفي اواخر السنة بلغ السلطان صلاح الدين ان صاحب الموصل قد راسل فبعث صاحبها يستصرخ بالسلطان فركب من فوره اليه جنوده وعساكره فسار الى بعلبك ثم الى حمص ثم الى حماه فاقام بها اياما ينتظر وصول العماد الكاتب اليه وذلك لانه حصل له ضعف فاقام ببعلبك حتى استبل من مرضه وقد ارسل اليه الفاضل من دمشق حكيما يقال له اسعد بن الياس المطران فعالجه مداواة من طب لمن حب

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والسلطان مخيم بظاهر حماه فسار الى حلب وتلقاه اخوه العادل واجتمعت اليه العساكر فخرج منها في صفر يقصد الموصل فقطع الفرات وجاء الى حران فقبض على صاحبها مظفر الدين بن زين الدين وهو اخو زين الدين صاحب اربل ثم رضي عليه واعاده الى مملكته حتى ينتنزح حصن طو بنده ثم سار منها الى الموصل لتلقاه الملوك من كل ناحية وجاء الى خدمته عماد الدين ابو بكر بن قرا ارسلان صاحب بلاد بكر وآمد ثم بلغه موت اخيه نور الدين بن قرا ارسلان فطلب دستورا ليأخذ مملكته فاعطاه وسار السلطان فنزل على الاسماعيليات قرب باب الموصل وجاءه صاحب اربل زين الدين بن زين الدين وهو ممن خضع له من ملوك تلك الناحية كما تقدم وارسل السلطان ضياء الدين ابن كمال الدين الشهرزوري الى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل وانما مقصوده ردهم الى طاعة الامام ونصرة الاسلام فحاصرها مدة ثم ترحل عنها في اخر ربيع الاخر ولم يفتحها وسار الى خلاط واستحوذ على بلدان كثيرة واقاليم جمة ببلاد الجزيرة وديار بكر وجرت امور طويلة قد استقصاها ابن الاثير في الكامل وصاحب اربل ومنتين ثم وقع الصلح بينه وبين المواصلة على ان يكونوا من جنده اذا ندبهم لقتال الفرنج وعلى ان يخطب له ويضرب السكة باسمه ففعل ذلك في تلك البلاد كلها

وانقطعت

وانقطعت خطبة السلاجقة والارتقية بتلك البلاد كلها واتفق الحال وزال الاشكال واتفق مرض السلطان بعد هذا مرضا شديدا وهو يتجلد ولا يظهر شيا من شدة تالمه وشاع في تلك البلاد وخاف الناس عليه وارجفوا لمرضه وارجف الكفرة والملحدون بفوات امل البررة المومنون وقصده اخوه ابو بكر العادل من حلب بالادوية والاطبة فوجده في غاية الضعف واشار عليه بان يوصي ويعهد فقال ما ابالي وانا اترك من بعدي ابا بكر وعثمان وعليا يعني اخاه العادل صاحب حلب وتقي الدين عمر صاحب حماه وهو اذ ذاك نايب مصر وهو بها مقيم وابنيه العزيز عثمان والافضل عليا ثم نذر لله لئن شفاه من مرضه هذا ليصرفن همته كلها الى قتال الكفار ولا يقاتل بعد ذلك مسلما وليجعلن اكبر همه فتح بيت المقدس ولو صرف في جميع ذلك ما يملكه من الاموال والذخاير وليقتلن البرنس صاحب الكرك بيده وذلك لانه نقض العهد الذي عاهده السلطان عليه فغدر بقافلة من تجار مصر فاخذ اموالهم وضرب رقابهم صبرا بين يديه وهو يقول اين محمد كم ينصركم وكان هذا النذر كله باشارة القاضي الفاضل رحمه الله هو الذي ارشده الى ذلك وحثه عليه حتى عقده الله عز وجل فشفاه الله عز وجل عما كان ابتلاه به من ذلك المرض الذي كان فيه كفارة لذنوبه ورفع لدرجته ونصرة للاسلام واهله وجاءت البشاير بذلك من كل ناحية ودقت البشاير وزينت البلاد ولله الحمد والمنه وكتب القاضي الفاضل من دمشق وهو مقيم بها الى المظفر تقي الدين عمر نايب مصر لحمد الناصر العافية الناصر بنه قد استفاءت احسارها وانوارها وآثارها وولت العلة ولله الحمد واطفيت نارها وانجلى غبارها وخمد شرارها وما كانت الا فلتة وقى الله شرها وعظيمة كفى الله المسلمين امرها وتوبة استعن الله فيها نفوسنا فراى قليلا عندها صبرها وما كان الله ليضيع الدعا وقد اخلصته القلوب ولا ليوقف الاجابة وان سدت طريقها الذنوب ولا ليخلف وعد نجح وقد ايس الصاحب والمصحوب

نعى رياد نيه الدهر مينا ۞ فاصبح بعد بوساه نعيما

وما صدق النذير به لاني ۞ رايت الشمس تطلع والنجوما

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر العافية عضة جديدة والعزمة ماضية حديدة والنشاط الى الجهاد والجنة مبسوطة البساط وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط وعرضنا على الاهوال التي يخوفنا كالجلايج وشر الخباط ثم ركب السلطان من حران بعد العافية فدخل حلب ثم اجتاز بحماه وحمص ودخل الى دمشق وقد تكاملت عافيته وكان يوم دخوله اليها يوما مشهودا وصباحا محمودا

وممن توفي فيها من الاعيان

الفقيه مهذب الدين بن صدر الدين بن اسعد الموصلي مدرس حمص وكان بارعا في فنون ولاسيما في الشعر والادب وقد اثنى عليه العماد والشيخ شهاب الدين الامير ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة وهو ابن عم السلطان صلاح الدين وزوج اخته ست الشام بنت ايوب وكانت وفاته بحمص فنقلته زوجته ست الشام الى تربتها بالمدرسة الشامية البرانية فقبره هو الاوسط بينها وبين اخيها المعظم توران شاه صاحب اليمن وقد خلف ناصر الدين محمد من الاموال والذخاير شيا كثيرا ينيف على الف الف دينار وكانت

وفاته يوم عرفة بحماة تولى بن نجده مملكة حمص لده اسد الدين شيركوه بامر السلطان ايده الله محمود بن احمد بن علي بن اسماعيل بن عبد الرحمن الشيخ جمال الدين ابن النبا المحمودي ابن الصابوني لان جد ابيه الشيخ ابو عثمان الصابوني كان احد الائمة المشاهير وانما يقال له المحمودي لصحبة جده السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه قدم الشيخ جمال الدين هذا الشام في ايام السلطان نور الدين محمود بن زنكي فاكرمه واحترمه ثم سار الى مصر فنزل بها وكان صلاح الدين يكرمه ايضا وادر عليه وعلى ذريته ارضا هي بيدهم الى الآن الامير الكبير سعد الدين مسعود بن معين الدين انر كان من الامرا الكبار ايام نور الدين وصلاح الدين وهو اخو الست الخاتون وهي التي تزوجها صلاح الدين وزوجه باخيه الست ربيعة خاتون بنت ايوب التي تنسب اليها المدرسة الصاحبة بالسفح على الحنابلة وقد تاخرت مدة بعده فتوفيت في سنة ثلاث واربعين وستماية فكانت اخر من بقي من اولاد ايوب لصلبه وكانت وفاته في دمشق في جمادى الاخرة من جرح اصابه وهو في حصار صيدا فادفن الست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين انر نايب دمشق واتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم وقد كانت زوجة نور الدين رح ثم خلف عليها بعده صلاح الدين في سنة ثنتين وسبعين وكانت من احسن النسا واعفهن واكثرهن صدقة وهي واقفة الخانقاه التي على القنوات بمحلة حجر الشام وبرحب ذلك المكان الذي هي فيه بمحلة الثعالب وهي من انشاء الست زمرد خاتون بنت جاولي وهي اخت الملك دقاق لامه وكانت زوجة زنكي والد نور الدين صاحب حلب وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدم رحمهم الله الحافظ الكبير ابو موسى المديني محمد بن عمر بن احمد الاصبهاني الحافظ ابو موسى المديني

السهيلي

ابو القاسم وابو زيد عبد الرحمن بن الخطيب ابي محمد عبد الله بن الخطيب ابي عمر احمد بن ابي الحسن بن اصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح وهو الداخل الى الاندلس الخثعمي السهيلي حكى القاضي ابن خلكان عن ابن دحية انه املى عليه نسبه كذلك قال ابن خلكان والسهيلي نسبة الى قرية بالقرب من مالقة اسمها سهيل لانه لا يرى سهيل النجم في شي من تلك البلاد الا من راس جبل شاهق عندها فسميت بذلك ولد سنة ثمان وخمسماية وقرا القران واشتغل وحصل حتى برع وساد اهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصانيف وكان ضرير البصر مع ذلك له كتاب الروض يذكر فيه نكتا حسنة على السيرة لا يسبق الى اشيا كثيرة منه وله كتاب الاعلام فيما ابهم في القران من الاسماء الاعلام وكتاب نتايج الفكر ومسالة في الفرايض بديعة ومسيلة في السر في كون الدجال اعور واشيا كثيرة مفيدة بديعة مفيدة وله اشعار حسنة وكان عفيفا فقيرا وقد حصل له مال كثير في اخر عمره من صاحب مراكش وكانت وفاته في هذه السنة يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان منها وله قصيدة كان يدعو الله بها ويرتجي الاجابة بها

يا من يرى ما في الضمير ويسمع • انت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدايد كلها • يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزاين رزقه في قول كن • امنن فان الخير عندك اجمع

مالي سوى

مالي سوى فقري اليك وسيلة • فبالافتقار اليك فقري ادفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة • فلين رددت فاي باب اقرع
ومن الذي ادعوه واهتف باسمه • ان كان فضلك عن فقير يمنع
حاشى لجودك ان يقنط عاصيا • الفضل اجزل والمواهب اوسع

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وخمسماية

فيها في ثاني ربيع الاول منها كان دخول السلطان صلاح الدين الى دمشق بعد عافية فكان يوما مشهودا كما جرت بمثل ذلك عادات الملوك واجتمع بالقاضي الفاضل وزاره واستزاره وفاوضه واستشاره وكان لا يقطع امرا دونه ولا يخفي عنه مكنونه ولا ضميره ومضمونه ثم قرر السلطان في مملكة دمشق ولده الافضل علي ونزل العادل ابو بكر عن حلب لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن السلطان وارسل السلطان اخاه العادل صحبة ولده عماد الدين عثمان الملك العزيز على ملك مصر يكون العادل اتابكه وله اقطاع عظيمة جدا وعزم عن نيابتها تقي الدين عمر وعزم على الدخول الى بلاد افريقية فلم يزل السلطان يكاتبه ويتلطف به ويرفق له حتى اقبل بجنوده نحوه فاكرمه واحترمه وعظمه واقطعه حماه وبلادا كثيرة معها وقد كانت له قبل ذلك بسنين وزاده على ذلك مدينة ميا فارقين واستدحه العماد الكاتب بقصيدة سبعية سنية ذكرها في الروضتين وفي هذه السنة هادن قومص طرابلس السلطان وصالحه وصافاه حتى كان يقاتل ملوك الفرنج اشد قتال ويسبي منهم النسا والاطفال وكاد ان يسلم ولكن صده شيطانه وزماه بالرياسة والخبال وكان نصحا للقومص من اقوى اسباب نصرة السلطان على الفرنج ومن اشد ما دخل عليهم في دينهم ودنياهم ولله الحمد والمنة قال العماد وكان المنجمون في جميع البلاد يحكمون بخراب العالم في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان يطوفان الريح في ساير البلدان وذكروا ان ناسا من الجهلة تاهبوا لذلك بحفر مغارات ومدخلات واسراب في الارض خوفا من ذلك قال العماد فلما كانت تلك الليلة التي اشاروا اليها واجمعوا عليها لم ير ليلة مثلها في ركودها وسكونها وهدوها وكذا ذكر غير واحد من الناس وقد نظم الشعرا في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة وغيرها اشعارا حسنة فمن ذلك قول عيسى بن مودود

مزق التقويم والزيج فقد بان الخطاء • انما التقويم والزيج هبآء وهواء
قلت للسبعة ابرام ومنع وعطاء • ومتى ينزلن في الميزان يستولي الهواء
ويثير الرمل حتى يمتلي منه الفضاء • ويعم الارض خسف وخراب وبلاء
ويصير القاع كالقف وكالطود العراء • وحكمتم فابى الحاكم الا ما يشاء
ما اتى الشرع ولا جاءت بهذا الانبياء • فسمعتم ضحكة يضحك منها العلماء

حسبكم خزيا وعارا ما يقول الشعرا
ثم ما اطعكم في الحكم الا الامراء
ليت اذ لم يحسنوا في الدين طبا ما اساوا
فعلى اصطرلاب بطليموس والزيج العفاء
وعليه الخزي ما جادت على الارض السما

وممن توفي في هذه السنة من المشاهير

ابو محمد عبد الله بن ابي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي ثم المصري احد ائمة
اللغة والنحو في زمانه وعليه كانت تعرض الرسائل بعد ابن باشاذ وكان كثير
الاطلاع عالما بهذا الشان مطرحا للتكالف في كلامه لا يعرج على الاعراب فيه اذا خاطب
الناس وله التصانيف المفيدة وقد جاوز الثمانين بثلث سنين رحمه الله

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وقعة حطين التي كانت امارة ومقدمة وبشارة لفتح بيت المقدس على عباد
الله واستنقاذه من ايدي الكافرين قال ابن الاثير في الكامل كان اول يوم منها يوم السبت
وكان يوم النوروز وذلك في اول سنة الفرس واتفق انه اول سنة الروم ايضا وهذا اليوم
الذي نزلت فيه الشمس في برج الحمل وكذلك كان القمر في برج الحمل ايضا قال وهذا شي يبعد
وقوع مثله وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل المحرم وقيل في اثنا الشهر
في الجيش العرمرم ليجاهد بالجنة اعداهم فسار الى راس الماء فنزل ولده الافضل
هناك في طايفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش الى بصرى فخيم على قصر ابي
سلامة ينتظر قدوم الحاج وفيهم اخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين
ليسلموا من معرة ابرنس الكرك الذي غدر ونقض العهد وبخر فلما اجتاز الحجيج في اواخر
صفر سالمين سار السلطان فنازل الكرك وقطع ما حوله من الاشجار ورعى الزرع واكلوا الثمار
وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية بالرماح الخطية والسيوف المشرفية
فنزلوا عند ابن السلطان على راس الماء وبعث الافضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت
وغنمت وسلمت وكسرت واسرت ورجعت فبشرت بمقدمات الفتح والنصر وجاء السلطان
بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر البادي منهم والحاضر ورتب الجيوش والاطلاب
وسار قاصدا بلاد الساحل وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر الفا غير المطوعة
فتسامعت الفرنج بمقدمه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم ودخل معهم قومص
طرابلس الغادر وابرنس الكرك الفاجر وجاوا بقضهم وقضيضهم واملاوجهم وخضيضهم
وقد استصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت وضلال الناسوت
في خلق لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل يقال كانوا خمسين الفا وقيل ثلاثة وستين
الفا وقد خوفهم القومص صاحب طرابلس باس المسلمين فاعترض عليه ابرنس صاحب
الكرك فقال له لا شك انك تحب المسلمين وتخوفنا من كثرتهم وان النار لا تخاف
من كثرة الحطب فقال القومص لهم ما انا الا واحد منكم وسترون غب ما اقول لكم
واقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الاطعمة والامتعة وغير ذلك وتحصنت

عنه القلعة فلم يشتغل بها وحاز البحيرة في حوزته ومنع الكفرة ان يصلوا منها الى قطرة
او يروا للماء رويا واتلفوا من عطش لا يعلمه الا الله عز وجل فبرز حينئذ السلطان الى سطح
الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين التي يقال ان فيها قبر شعيب عليه السلام
فتواجه هنالك الجيشان وتقابل الفريقان واسفر وجه الايمان واغبر واقتم وجه الكفر
والخسران وذلك عشية يوم الجمعة فبات الناس على مصافهم واصبح صبح يوم السبت
يوم السبت الذي كان يوما عسيرا على اهل الاحد وذلك لخمس بقين من ربيع الاخر فلما
طلعت الشمس في وجوه النصارى وهم من شدة العطش سكارى وما هم بسكارى
وكان تحت اقدام خيولهم حشيش فامر السلطان النفاطة فرموه فتاجج تحت
سنابك خيولهم نارا فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار ومن تحت ارجلهم
وحر رشق السهام عن القسي القاسية فتبادر الشجعان في حومة الوغى ثم امر السلطان
بالتكبير والحملة الصادقة فكان النصر من الله عز وجل فمنحهم الله اكتاف الكفرة الفجرة
فقتل منهم ثلاثون الفا في ذلك اليوم واسر ثلاثون الفا من شجعانهم وفرسانهم وكان في جملة
الاسارى جميع ملوكهم سوى قومص طرابلس فانه انهزم في اول المعركة واخذ صليبهم الاعظم
عندهم وهو الذي يزعمون انه الذي صلب عليه المصلوب وقد غلفوه بالذهب واللالي
والجواهر النفيسة وكان يوما على الكافرين عسيرا ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الاسلام
واهله ودمغ الباطل واهله حتى ذكر ان بعض الفلاحين راه بعضهم وهو يقود نيفا
وثلاثين اسيرا قد ربطهم بطنب خيمة وباع بعضهم اسيرا بنعل ليلبسها في رجله وجرت
امور لم يسمع بمثلها الا في زمن الصحابة والتابعين فلله الحمد دايما ابدا حمدا كثيرا
طيبا ولما تمت هذه الوقعة العظيمة والنعمة العميمة الجسيمة امر السلطان بضرب
خيمة عظيمة وجلس فيها على سرير المملكة وعن يمينه اسرة وعن يساره مثلها وجي
بالاسارى يتهادى في قيودها فضرب اعناق جماعة من مقدمي الداوية والاسبتارية
بين يديه صبرا ولم يترك منهم من كان الناس يذكرونه بشر ثم جي بالملوك فاجلسوا
عن يمينه وعن يساره على مراتبهم فاجلس ملكهم الكبير عن يمينه واجلس ارناط ابرنس الكرك
وبقية الملوك عن يساره ثم جي السلطان بشراب من الجلاب مثلوج فشرب
ثم ناول الملك فشرب ثم ناول الملك ارناط فشرب فغضب السلطان وقال له
انما سقيتك ولم اذن لك ان تسقيه هذا لا عهد له عندي ثم تحول السلطان الى خيمة
داخل الخيمة واستدعى ارناط فلما اوقف بين يديه قام اليه بالسيف وقال له ها انا انتصر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعاه الى الاسلام فامتنع
فقتله وارسل براسه الى الملوك وقال ان هذا تعرض بسب رسول الله فقتلته
ثم قتل السلطان جميع من كان في الاسارى من الداوية والاسبتارية صبرا واراح المسلمين
من هذين الجنسين النجسين ولله الحمد والمنة ولم يسلم ممن عرض عليه الاسلام منهم الا
القليل فيقال انه بلغت القتلى ثلاثين الفا وكذلك الاسرى كانوا ثلاثين الفا
وكان جملة جيش الفرنج ثلاثة وستين الفا ومن سلم منهم مع انهم اكثرهم جرحى فماتوا
ببلادهم بعد رجوعهم وممن مات كذلك قومص طرابلس فانه انهزم جريحا فمات ببلده
بعد مرجعه الى الحنة الله وعذابه ثم ارسل برؤسا الاسرى وبصليب الصلبوت صحبة

الصليبوت صحبة القاضي بن ابي عصرون الى دمشق ليرفعوا في قلعتها فدخل بالصليب
منكوسا بين يدي القاضي الى دمشق وكان يوما مشهودا ولله الحمد والمنة ثم سار
السلطان الى قلعة طبرية ففتحها وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما
حولهما من الجولان وتلك الاراضي كلها بالنصف فاراح الله المسلمين من تلك المقاسمة
والنوفير عليهم ثم سار الى عكا فنزل عليها يوم الاربعا سلخ ربيع الاخر ففتحها صلحا
يوم الجمعة واخذ ما كان فيها من حواصل واموال وذخاير ومتاجر واستنقذ من كان بها
من الاسارى المسلمين فوجدوا بها اربعة الاف اسير منهم ففرج الله عنهم ولله الحمد والمنة
واول اقامة الجمعة بعكة فكانت اول جمعة اقيمت بالساحل بعد ان اخذه الفرنج من
سبعين سنة فلله الحمد دايما وسار الى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل فاخذها
لخلوها من المقاتلة والملوك ثم سار نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان واراضي
الغور ذلك كله بحول الله وقوته واستناب السلطان على نابلس ابن اخته حسام الدين
عمر بن محمد بن لاجين وهو الذي افتتحها وكان جملة ما افتتحه في هذه المدة القريبة
قريبا من خمسين بلدا كل مقاتلة وقلعة ومنعة ولله الحمد وغنم الجيش والمسلمون
من هذه الاماكن وسبوا سبيا كثيرا لا يحد ولا يوصف واستبشر الاسلام واهله شرقا
وغربا بهذا النصر العظيم والفتوحات الهايلة وترك السلطان جيوشه ترتع في
هذه الفتوحات والغنايم الكثيرة مدة شهور ليستريحوا ويجموا انفسهم وخيولهم
ليتاهبوا لفتح بيت المقدس الشريف وطار في الناس ان السلطان عزم على فتح بيت
المقدس فقصده العلما والصالحون والمتطوعة من كل فج عميق وجا اخوه العادل
بعد وقعة حطين وفتح عكا ففتح بنفسه حصونا كثيرة ايضا فاجتمع من عباد الله من
الجيوش المتطوعة خلق كثير وجم غفير فعند ذلك قصد السلطان بيت المقدس
بعد ما نجد كما سياتي بيانه وقد امتدح الشعرا الملك صلاح الدين بسبب وقعة
حطين فقالوا فاكثروا واطنبوا واطيبوا وكتب اليه القاضي الفاضل من دمشق وكان
مقيما بها لمرض ليهن المولى ان الله قد اقام به الدين القيم وانه كما قيل اصبحت مولاي ومولى
كل مسلم وانه قد اسبغ عليه النعمتين الباطنة والظاهرة واورثه الملكين ملك الدنيا
والاخرة كتب المملوك هذه الخدمة والروس الى الان لم ترفع من سجودها والدموع
لم تمسح من خدودها وكلما فكر المملوك ان البيع تعود وهي مساجد والمكان الذي يقال له
فيه ان الله ثالث ثلاثة يقال له اليوم فيه انه الواحد حمد لله شكرا تارة يفيض من
لسانه وتارة يفيض من جفنه وجزى الله يوسف خيرا عن اخراجه من سجنه والمماليك
ينتظرون امر المولى فكل من اراد ان يدخل الحمام بدمشق قد عول على دخول حمام طبرية

• تلك المكارم لا قعبان من لبن • وذلك الفتح لا عمان واليمن •
• وذلك السيف لا سيف بن ذي يزن • ثم قال ... وللالسنة في هذا الفتح شرح طويل
وقول جليل

ذكر فتح بيت المقدس في هذه السنة

واستنقاذه من ايدي النصارى بعد ثلاث وتسعين سنة

لما افتتح السلطان ما حول بيت المقدس من الاماكن المباركة وما يقرب من تلك السواحل

المتقدم

المتقدم ذكرها والاشارة اليها امر العساكر فاجتمعت والجيوش المتفرقة في البلدان
فايتلفت وسار نحو بيت المقدس الشريف بتلك العساكر المنصورة والرايات
الكاسرة لا المكسورة فنزل غربي بيت المقدس يوم الاحد الخامس عشر من شهر رجب
من هذه السنة اعني سنة ثلاث وثمانين وخمسماية وقد حصنت الفرنج لعنهم الله
الاسوار بالمقاتلة وكانوا ستين الف مقاتل دون بيت المقدس او يزيد وقد كانوا
اوليا وان اولياوه الا المتقون وكان صاحب البلد يوميذ رجل يقال له باليان بن
بارزان ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان من الداوية والاسبتارية اتباع
الشيطان وعبدة الصلبان عليهم لعاين الرحمن فاقام السلطان بمنزله المذكور خمسة
ايام وسلم الى كل طايفة من الجيش المنصور ناحية من ابرجة السور ثم تحول الى ناحية
الشمال لانه راها اوسع واسهل للمجال والجلاد والنزال وقاتل الفرنج دون البلد
قتالا هايلا وبذلوا في نصرة قمامة والقيامة بذلا طايلا واستشهد بعض امرا المسلمين
الى رحمة رب العالمين فحنق عند ذلك كثير من امرا الاسلام واجتهدوا والقوا لنيل كل حظي
وحسام وقد نصبت المجانيق والعرادات وغنت السيوف ورقصت السمهريات والعيون
تنظر الى الصلبان وهي مصلوبة فوق الجدران حتى فوق قبة الصخرة وقبة اهل الاديان
فزاد ذلك اهل الايمان الحنق الكبير وشدة التشمير وحد يوم عسير على الكافرين غير
يسير فبادر السلطان ايده الله باصحابه الى الزاوية الشرقية الشمالية من السور
فنقبها وعلقها وحشاها واحرقها فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمته فاذا هو
واجب فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث المفظع والخطب المولم الموجع قصد اكابرهم
السلطان وتشفعوا اليه بكل انسان ان يعطيهم الامان فامتنع من ذلك وقال
لا افتحها الا كما افتتحتموها عنوة ولا اترك بها احدا من النصارى الا قتلته كما قتلتم
انتم بها من كان من المسلمين فطلب صاحبها باليان بن بارزان من السلطان
الامان ليحضر عنده فامنه فلما حضر تراول وتشفع اليه بما امكنه فلم يجبه الى الامان
فقال له انا ان لم تعطنا الامان رجعنا فقتلنا كل اسير من المسلمين بايدينا وهم
قريب من اربعة الاف وقتلنا ذرارينا وخربنا الدور والاماكن الحسنة واتلفنا ما بايدينا
من الاموال والقينا قبة الصخرة ولا نبقي ممكنا في اتلاف ما نقدر عليه وبعد ذلك
نقاتل قتال الموت فلا نقتل واحد منا حتى يقتل اعدادا منكم فماذا يرتجى بعد هذا من
الخير فلما سمع السلطان ذلك اجاب الى الصلح على ان يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة
دنانير وعن المراة خمسة دنانير وعن كل صغير وصغيرة دينارين وان تكون الغلات
والاسلحة والدور للمسلمين ويتحولوا منها الى مامنهم وهي مدينة صور فكتب الصلح على
ذلك وان من لا يبذل ما شرط عليه الى اربعين يوما فهو اسير فكان جملة من اسر بهذا الشرط
ستة عشر الف انسان من رجال ونسا وولدان ودخل السلطان والمسلمون البلد
يوم الجمعة قبيل وقت الصلاة بقليل وذلك يوم السابع والعشرين من رجب قال
العماد وهي ليلة الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى ثم الى السموات العلى قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة وهذا احد الاقوال
في ليلة الاسرا والله اعلم ولم يتفق صلاة الجمعة يوميذ خلافا لبعضهم ممن زعم انها

اقيمت يومئذ وان السلطان خطب بنفسه بالسواد يومئذ والصحيح ان الجمعة لم يكن
اقامتها يومئذ لضيق الوقت وانما اقيمت في الجمعة المقبلة وكان الخطيب القاضي
محيي الدين محمد بن علي بن القرشي بن الزكي كما سيأتي قريبا ولكن نظف المسجد الاقصى
يومئذ مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير وخربت دور الداوية وكانوا قد
ابنوها غربي المحراب الكبير واتخذوا المحراب حشا لعنهم الله فنظف المسجد من ذلك
كله واعيد الى ما كان عليه في الايام الاسلامية والدولة المحمدية وغسلت الصخرة
بالماء الطاهر واعيد غسلها بماء الورد الفاخر وابرزت للناظرين وقد كانت
مستورة مخبوة عن الزائرين ووضع الصليب المنصوب على قبتها وعادت
الى حرمتها وقد كان الفرنج قطعوا منها قطعا فباعوها الى الجوز بزنتها من الذهب
فتعذر استعادة ما اقتص منها وبما ذهب وقبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن انفسهم
من الاموال واطلق السلطان خلقا منهم من بنات الملوك بمن معهن من النساء والرجال
وتمت المسامحة في كثير منهم وشفع في اناس كثير فعفى عنهم وفرق السلطان جميع ما قبض
من الذهب في العسكر ولم ياخذ منه شيا مما يقتني ويدخر وكان رحمه الله حليما كريما شجاعا عاقلا
رحيما

ذكر اول جمعة اقيمت ببيت المقدس

بعد تخليصه في الدولة الصلاحية

لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والخنازير والقساسيس
وجاء اهل الايمان ونودي بالاذان وهرب الشيطان وقرئ القران وطهر المكان فكان
اقامة اول جمعة فيه في اليوم الرابع من شعبان بعد يوم الفتح بثمان فنصب المنبر
الى جانب المحراب المطهر وبسطت البسط الرفيعة في تلك الرحاب الوسيعة وعلقت
القناديل وتلي التنزيل عوضا عما كان فيه من التحريف في الانجيل وجاء الحق
وبطلت الاباطيل وصفت السجادات واطيلت السجدات وصفت العبادات
وادعيت الدعوات ونزلت البركات وانجلت الكربات واقيمت الصلوات ونطق
الاذان وخرس الناقوس وحضر المؤذنون وغاب القسوس وزال العبوس والبوس وطابت
الانفاس والنفوس واقبلت السعود وادبرت النحوس وحضر العباد والزهاد والابدال
والاقطاب والاوتاد وعبد الواحد وكثر الراكع والساجد والقائم والقاعد
والجاهد والمجاهد وامتلا الجامع واحتفلت المجامع وسالت لرقة القلوب
المدامع وقال الناس هذا يوم كريم وفضل عميم وموسم عظيم هذا يوم تجاب
فيه الدعوات وتصب البركات وتسال العبرات وتقال العثرات ولما اذن
المؤذنون للصلاة وقت الزوال كادت القلوب تطير من الفرح بذلك الحال
ولم يكن السلطان الى تلك الساعة عين خطيبا وتذهب لما خلق من العلماء حوفا
ان يدعى اليها فلا يكون مجيبا فبرز المرسوم السلطاني الصلاحي وهو في قبة الصخرة
الى ان يكون القاضي محيي الدين ابن الزكي اليوم خطيبا للخطبا فلبس الخلعة
السوداء فصعد المنبر وتكساه الله البهاء واكرمه بكلمة التقوى واعطاه السكينة
والوقار والسنا فخطب الناس خطبة عظيمة سنية فصيحة بليغة ذكر فيها شرف

البيت وما ورد فيه من الفضايل والترغيبات وما فيه من الدلايل والامارات وما من الله
به على الحاضرين من هذه النعمة التي تعد لكثير من القربات وقد اورد ما الشيخ
شهاب الدين في الروضتين بطولها ثم كان اول ما قال حين تكلم فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم اورد تحميدات القران كلها ثم قال
الحمد لله معز الاسلام بنصره ومذل الشرك بقهره ومصرف الامور بامره ومديم
النعم بشكره ومستدرج الكافرين بمكره الذي قدر الايام دولا بعدله وجعل
العاقبة للمتقين بفضله وافاء على عباده من ظله واظهر دينه على الدين كله
القاهر فوق عباده فلا يمانع والظاهر على خليقته فلا ينازع والامر بما يشاء
فلا يراجع الحاكم بما يريد فلا يدافع احمده على اظفاره واظهاره واعزازه لاوليائه
ونصره لانصاره وتطهيره لبيته المقدس من ادناس الشرك واوضاره حمد من
استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد شهادة من طهر بالتوحيد
قلبه وارضى به ربه واشهد ان محمدا عبده ورسوله رافع الشك وداحض
الشرك وراحض الافك الذي اسري به من المسجد الحرام الى هذا المسجد الاقصى
وعرج به منه الى السموات العلى الى سدرة المنتهى عندها جنة الماوى ما زاغ
البصر وما طغى صلى الله عليه وسلم وعلى خليفته الصديق السابق الى الايمان
وعلى امير المومنين عمر بن الخطاب اول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان
وعلى امير المومنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القران وعلى امير المومنين
علي بن ابي طالب مزلزل الشرك ومكسر الاوثان وعلى اله واصحابه والتابعين
لهم باحسان ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تبسط الحاضرين على ما يسره
الله على ايديهم من فتح بيت المقدس الذي من شانه كذا وكذا فذكر فضائله
وماثره وانه اول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين لا تشد الرحال
بعد المسجدين الا اليه ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين الا عليه واليه اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام وصلى فيه بالملائكة المقربين
والانبيا والرسل الكرام ومنه كان المعراج الى السموات ثم عاد اليه ثم سار منه
الى المسجد الحرام على البراق وهو ارض المحشر والمنشر يوم التلاق وهو مقر الانبيا
ومقصد الاوليا وقد اسس على التقوى من اول يوم قيل وقيل ان الذي اسسه
اولاد يعقوب عليه السلام بعد ان بنى الخليل المسجد الحرام باربعين سنة كما جاء
في الصحيحين ثم جدد بناه سليمان بن داود عليه السلام كما ثبت به الحديث في
المسند والسنن وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم من علما هذا
الشان وسال الله عند الفراغ منه خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي
لاحد من بعده وانه لا ياتي احد الى هذا المسجد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا خرج
من الذنوب كيوم ولدته امه وذكر الخطبتين ودعا للخليفة الناصر العباسي ثم
للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى وبعد الصلاة جلس
الشيخ زين الدين ابو الحسن علي بن نجا المصري على كرسي الوعظ باذن السلطان

البيت

بوعظ الناس وكان وقتا مشهودا وحالا محمودا فلله الحمد والمنة على ما اسبغ من
النعمة واستمر القاضي محيي الدين محمد بن علي القرشي ابن الزكي يخطب بالناس
في ايام الجمع اربع جمعات ثم قرر السلطان للقدس خطيبا مستقلا وارسل الى
حلب فاستحضر المنبر الذي كان الملك العادل نور الدين محمود قد استعمله لبيت
المقدس لما كان يومله من فتحه في حياته فما كان الا على يدي بعض اتباعه بعد
وفاته رح

نكتة غريبة

قال الشيخ شهاب الدين في الروضتين وقد تكلم شيخنا ابو الحسن علي بن محمد
السخاوي في تفسيره الاول فقال وقع في تفسير ابي الحكم الاندلسي يعني ابن برجان
في اول سورة الروم اخبار عن فتح بيت المقدس وانه ينزع من ايدي النصارى سنة
ثلاث وثمانين وخمسماية قال السخاوي ولم اره اخذ ذلك من علم الحروف وانما
اخذه فيما زعم من قوله غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين فبنى الامر على التاريخ كما يفعل المنجمون ثم ذكر انهم يغلبون في سنة كذا
ويغلبون في سنة كذا على ما يقتضيه دوائر التقدير ثم قال وهذه نجابة وافقت
اصابة ان صح انه قال ذلك قبل وقوعه وكان في كتابه قبل حدوثه قال وليس هذا
من قبيل علم الحروف ولا من باب الكرامات لانها لا تنال بحساب قال وقد ذكر في
تفسيره فتوح سنة اثنين وعشرين وخمسماية ويقال ان الملك نور الدين
وقف على ذلك فطمع ان يعيش الى سنة ثلاث وثمانين لان مولده في سنة
احدى عشرة وخمسماية فهيا الاسباب لذلك حتى انه اتخذ منبرا عظيما هايلا
لبيت المقدس اذا فتحه الله على يديه والله اعلم واما الصخرة المعظمة فان
السلطان ازال ما حولها وعندها من المنكرات والصور والصلبان واظهرها
بعدما كانت خفية مستورة غير مرئية وامر الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري
بعمل حولها شبابيك من حديد ورتب لها اماما راتبا ووقف عليه رزقا جيدا وكذلك
على امام محراب الاقصى وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية ويقال لها الناصرية
وكان موضعها كنيسة على صندحنة اي على قبر حنة ام مريم عليها السلام ووقف
على الصوفية رباطا كان دارا للبترك الى جانب القمامة واجرى على الفقهاء والفقرا
الجامكيات والجرايات وارصد الختم والربعات في ارجاء المسجد الاقصى لمن يقرا
او ينظر فيها من المقيمين والزايرين وتنافس بنو ايوب فيما يفعلونه من الخيرات
بالقدس الشريف للقادمين والظاعنين والقاطنين فجزاهم الله خيرا اجمعين
وعزم السلطان على هدم القمامة وجعلها دكا لتنحسم مادة النصارى عن بيت
المقدس فقيل له انهم لا يتركون الحج الى هذه البقعة ولو تركتها قاعا صفصفا
وقد فتح هذا البلد امير المومنين عمر بن الخطاب وترك هذه الكنيسة بايديهم
فلك في ذلك اسوة فاعرض عنها وتركها على حالها تاسيا بامير المومنين عمر بن
الخطاب احد الخلفاء الراشدين والايمة المهديين ولم يترك بها من النصارى سوى
اربعة يخدمونها وحال بين النصارى وبينها وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب

الرحمة

الرحمة وعفا اثارها وهدم ما كان هناك من القباب والحق دمارها واما الاسارى المسلمون
الذين كانوا بالقدس فان السلطان اطلقهم واطلق لهم اعطيات سنية وكساهم حللا
سنية وانطلق كل منهم الى وطنه وعاد الى اهله وسكنه فلله الحمد على نعمه ومننه

فصل

لما قرر السلطان صلاح الدين بالقدس الشريف ما ذكرناه انفصل عنها في الخامس والعشرين
من شعبان وامر ولده العزيز بالرجوع الى مصر وسار السلطان بجيشه فقصد مدينة
صور وكانت قد تاخرت من بين تلك النواحي وقد استغووا عليها بعد وقعة حطين رجل
من التجار يقال له المركيس فحصنها وضبط امرها وحفر حولها خندقا من البحر الى البحر
وجمعوا بها في البحر وجاء السلطان بجيشه فقصد مدينة صور وحاصرها مدة واستدعى
بالاسطول من الديار المصرية في البحر فاحاط بها بحرا وبرا فعدت الفرنج في بعض الليالي على
خمس شواني من الاسطول فملكتها وكبستها فاصبح المسلمون واجمين وقد دخل البرد وقلت
الازواد وكثرت الجراحات وكل الامراء من المحاصرات فسالوا من السلطان ان ينصرف
بهم الى دمشق في هذا الوقت حتى يستريحوا ثم يعودوا اليها بعد هذا الحين فاجابهم
على تمنع منه وذلك ان السور من صور كان قد هدم اكثره ولم يبق الا الفتح والنجح
فتوجه الى نحو دمشق واجتاز في طريقه على عكا وتفرقت العساكر كل الى بلده ورشتا قه
مستصحبا كثرة حنينه الى اهله ووطنه واشتياقه واما السلطان فانه لما وصل الى
عكا نزل بقلعتها واسكن ولده الافضل برج الداوية وولى نيابتها عز الدين جرديك
وقد اشار بعضهم على السلطان بتخريب مدينة عكا خوفا من عود الفرنج اليها فكاد
ولم يفعل وليته فعل بل وكل بعمارتها وتجديدها بهاء الدين قراقوش التقوي ووقف
دار الاسبتار نصفين على الفقهاء والفقرا وجعل دار الاسقف بيمارستانا ووقف
على ذلك كله اوقافا دارة وولى نظر ذلك لقاضيها جمال الدين بن الشيخ ابي النجيب
ومولى جميع ذلك باراء مصيبة ولما فرغ السلطان من هذه الحروب وازاح عن المسلمين
تلك الكروب وعاد الى دمشق مويدا منصورا ابهج العيون وسر القلوب وجاءته رسل الملوك
بالتهاني من ساير الاقطار والامصار بالتحف والهدايا التي تبهر الابصار وكتب الخليفة
اليه يعتب عليه في اشيا منها انه بعث في بشارة الفتح بخطه مع شاب بغدادي
كان وضيعا عندهم لا قدر له ولا قيمة وارسل بفتح الشريف مع نجاب ولقب نفسه
بالملك الناصر مضاهاة للخليفة الناصر فتلقى الرسول بالبشر واللطف ولم يظهر له
الا السمع والطاعة وارسل يعتذر مما وقع بان الحرب كان قد شغله عن التروي في كثير
من الامور واما اللقب بالناصر فهو من ايام الخليفة المستضي ومع هذا فمهما لقبني به امير
المومنين فهو الذي لا يعدل عنه وتادب مع الخليفة غاية الادب رح وفي هذه السنة
كانت وقعة عظيمة ببلاد الهند بين الملك شهاب الدين الغوري صاحب غزنة
وبين ملك الهند الكبيرة فقتلت الهنود في عدد كثير من الجنود ومعهم اربعة عشر فيلا
فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم فقيل للملك انج بنفسك فما زاده الا اقداما
فحمل على الفيلة فجرح بعضها وجرح الفيل لا يندمل ورماه بعض الفيالة بحربة في ساعده
فخرجت من الجانب الاخر فخر صريعا فحملت الهند عليه لياخذوه فجاحف عنه اصحابه

ليحموه فجرت عنده حرب لم يسمع بمثلها في موقف فغلب المسلمون فخلصوا كلهم واحتملوه
على كواهلهم في محفة عشرين فرسخا وقد نزف الدم فلما تراجع اليه حسه اخذ في تانيب
الامراء وحلف ليأكلن كل امرء عليقة فرسه وما ادخلهم [illegible] الا مشاة وفي هذه السنة
ولدت امرأة من سواد بغداد بنتا لها اسنان وفيها قتل الخليفة الناصر استاذ داره
ابو الفضل الصاحب وكان قد استحوذ على الامور ولم يبق للخليفة معه كلمة ومع هذا
كان عفيفا عن الاموال جيد السيرة فاحترم الخليفة شيئا كثيرا من الحواصل والاموال
وفيها استوزر الخليفة ابا المظفر عبد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى اهل الدولة
في ركابه حتى قاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني وقد كان ابن يونس هذا عنده فكان
القاضي يقول وهو يمشي لعن الله طول العمر ومات القاضي في اخر هذه السنة رح وقد حكم
في ايام عدة من الخلفاء وهو من بيته

وممن توفي في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي كان من صلحاء الحنابلة وكان يزار وله مصنف
في فضل يزيد بن معاوية اتى فيه بغرائب وعجائب وقد رد عليه الشيخ ابو الفرج بن الجوزي
في ذلك الكتاب فاجاد واصاب ومن احسن ما اتفق لعبد المغيث هذا ان بعض الخلفاء
واظنه الناصر جاءه للزيارة مختفيا فعرفه الشيخ ولم يعلمه انه قد عرفه فسأله الخليفة
عن يزيد ايلعن ام لا فقال لا اسوغ لعنه لاني لو فتحت هذا الباب للعن الناس
خليفتنا فقال ولم قال لانه يفعل اشياء منكرة كثيرة منها كذا وكذا وكذا ثم شرع يعدد
على الخليفة ما يقع منه من المنكرات لينزجر عنها فتركه الخليفة وخرج من عنده وقد
اثر كلامه فيه وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة وفيها توفي الشيخ علي بن خطاب بن ظفر
العابد الناسك احد الزهاد ذوي الكرامات وكانت اقامته بجزيرة ابن عمر قال
ابن الاثير في الكامل ولم ار مثله في حسن خلقه وسمته وكرمه وعبادته والامير شمس الدين
محمد بن عبد الملك بن مقدم احد نواب الملك صلاح الدين لما فتح بيت المقدس احرم
جماعة في زمن الحج منه الى المسجد الحرام فكان امير الحاج تلك السنة فلما كان يوم عرفة ضرب
الدبادب ونشر الالوية واظهر عز السلطان صلاح الدين فغضب طاشتكين امير
الحاج من جهة الخليفة فزجره عن ذلك فلم يسمع فاقتتلا فجرح ابن مقدم ومات
في اليوم الثاني بمنى رح ودفن هنالك وجرت خطوب كثيرة ولِيمَ طاشتكين على ما فعل
وعزل عن منصبه ومحمد بن عبيد الله بن عبد الله سبط ابن التعاويذي الشاعر
وكان شاعرا فاضلا في اخر عمره وجاوز الستين من السنين رح وكانت وفاته في شوال
وفي خامس رمضان توفي الفقيه ابو الفتح نصر بن فتيان بن مطر الحنبلي المعروف بابن
المني وكان زاهدا عابدا مولده سنة احدى وخمسمائة وممن تفقه عليه من المشاهير
الشيخ موفق الدين بن قدامة والحافظ عبد الغني ومحمد بن خلف بن راجح ح والناصح
عبد الرحمن بن النجم بن عبد الوهاب وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر وفيها توفي قاضي
القضاة ببغداد ابو الحسن بن الدامغاني وقد حكم في ايام المقتفي ثم المستنجد ثم عزل
واعيد في ايام المستضيء وحكم للناصر حتى توفي في هذه السنة رح

ثم دخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة

في المحرم

في المحرم حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب فرآه منيعا صعبا وهو مشحون بغيره
فوكل به الامير قايماز النجمي في خمسمائة فارس يضيقون عليه المسالك وكذلك وكل بصفد
وكانت للداوية خمسمائة فارس مع طغرل الجاندار يمنعون وصول الميرة والنفقات اليها وبعث
الى الكرك والشوبك جيشا اخر يضيقونه ويحاصرونه ويضيقون على اهله ليتفرغ من
اموره لقتال هذه الاماكن وحصارها وكان دخول السلطان الى دمشق من هذه الغزوة
السعيدة في ربيع الاول فكان يوما مشهودا وفرح به المسلمون ودقت البشاير وزين البلد
ووجد الصفي بن القابض وكيل الخزانة قد بنى للملك دارا بالقلعة هائلة مطلة على
الشرف القبلي فغضب عليه وعزله وقال انا لم نخلق للمقام بدمشق وانما خلقنا للعبادة
والجهاد وجلس السلطان بدار العدل فحضر عنده القضاة واهل الفضل وزار القاضي
الفاضل ببستانه على الشرف في جوسق ابن الفراش وحكى له ما كان من الامور واستشاره
فيما يفعله في المستقبل من المهمات والغزوات ثم خرج من دمشق في جيوشه فسلك
على جبل بوس ودخل البقاع ونزل وخيم على بعلبك وسار الى حمص وجاءته عساكر الجزيرة
وهو على العاصي فسار على السواحل الشامية ففتح انطرطوس وغيرها من الحصون وفتح
جبلة واللاذقية وكانت من احسن المدن عمارة ورخاما ومحالا وفتح صهيون وفتح بكاس
والشغر وهما قلعتان على العاصي حصينتان منيعتان ففتحهما عنوة وفتح حصن برزيه
وهي قلعة عظيمة على شاهق جبل عال منيع تضرب بها المثل بحصانتها
في سائر بلاد الفرنج والمسلمين فحاصرها اشد حصار وركب عليها المجانيق الكبار وفرق الجيش
ثلاث فرق كل فريق يلون القتال فاذا كلوا وتعبوا خلفهم الاخرون حتى لا يزال القتال
مستمرا ليلا ونهارا صباحا ومساء فكان فتحها في نوبة السلطان لانه انتدب لها من
الخدام فاخذها عنوة في ايام معدودات ونهب جميع ما فيها واستولى على حواصلها
واموالها وقتل حماتها ورجالها وسبى ذراريها واطفالها ثم عدل عنها ففتح حصن دربساك
وحصن بغراس كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم ويسلم ولله الحمد والمنة ثم سمت همته العالية
الى فتح انطاكية وذلك لانه اهلك ما حولها من القرى واستظهر عليها بكثرة الجنود
فراسله صاحب انطاكية يقصد منه الهدنة على ان يطلق من عنده من اسارى المسلمين
فاجابه السلطان لعلمه بضجر من معه من المقاتلة والاعوان فوقعت الهدنة على سبعة
اشهر ومقصود السلطان ان يستريح الجيوش من تعبها ويجم النفوس من نصبها
وارسل السلطان اليه من تسلم منه الاسارى وقد ذلت دولة النصارى ثم سار السلطان
فسأله ولده الظاهر ان يجتاز بحلب فاجابه الى ما طلب فنزل بقلعتها ثلاث ليال
ثم جدد العزم والترحال واستقدمه ابن اخيه تقي الدين الى حماه فنزل بقلعتها ليلة
كانت من اكبر مقاصده ومناه واقطعه تلك الليلة جبلة واللاذقية ثم سار فنزل
بقلعة بعلبك ودخل الى حمامها ثم عاد الى دمشق مؤيدا منصورا مسرورا محبورا وذلك
في اوائل رمضان وكان يوما مشهودا ومشهدا محمودا وجاءته البشارة بفتح الكرك
على المسلمين الذين كانوا له محاصرين واراح الله تلك الناحية وسهل حزنها على
السالكين من التجار والحجاج والغزاة والمعتمرين فقطع دابر القوم الذين ظلموا

والحمد لله رب العالمين

فصل في فتح صفد وحصن كوكب

فلم يقم السلطان بدمشق الا اياما معدودة حتى خرج بجيشه قاصدا بلاد صفد فنازلها في العشر الاوسط من رمضان وحاصرها بالمجانيق والشجعان وكان البرد شديدا ويصبح الماء جليدا فما زال حتى فتحها صلحا في ثامن شوال ولله الحمد على كل حال ثم راح الى الحصون فالتفت اليه بقيادها وتبرأت من ناصريها وقوادها وتحققت انها لما فتحت صفد انه يكون بغيرونه باضعافها ثم سار منها الى حصن كوكب وهي معدن الاستبار كما ان صفد كانت معقل الداوية وكانوا اخبث اجناس الفرنج الى الملك صلاح الدين لا يكاد يترك منهم احدا الا قتله اذا وقع في الماسورين فحاصر قلعة كوكب حتى فتحها وقتل مقاتلتها واسر رجالها واراح المارة من شرها كفيتها وعمدت تلك السواحل واستقرت بها منازل قاطنيها هذا والسما تصب والرياح تهب والسيول تعب والارجل في الاوحال تخب والسلطان في كل ذلك صابر محتسب وكان القاضي الفاضل معه في هذه المواقف شاهد مشاهد من تعب كتب القاضي الفاضل عن السلطان الى اخيه سيف الاسلام صاحب اليمن يستدعيه الى الشام لنصرة الاسلام وقتال الكفرة اللئام فانه قد عزم على حصار انطاكية بنفسه ويكون تقي الدين محاصرا طرابلس اذا انسلخ هذا العام ثم عزم القاضي الفاضل على الدخول الى الديار المصرية فسار السلطان معه لتوديعه ثم عدل الى القدس الشريف فصلى فيه الجمعة وعيد فيه عيد الاضحى بالصخرة من الاقصى ثم سار ومعه اخوه العادل الى عسقلان ثم اقطع اخاه الكرك عوضا عن عسقلان وامره بالانصراف ليكون عونا لابنه العزيز على حوادث الزمان وعاد السلطان فاقام بمدينة عكا حتى انسلخت هذه السنة

وفي هذه السنة خرجت طائفة من الرافضة بمصر يريدون ان يعيدوا دولة الفاطميين واغتنموا غيبة العادل عن مصر واستخفوا امر العزيز بن عثمان بن صلاح الدين فبعثوا اثني عشر رجلا ينادون في الليل يا ال علي يا ال علي بناء على ان العامة تجيبهم اذا سمعوا عليه فلم يلتفت اليهم احد ولا اجابهم من الناس احد فلما راوا ذلك انهزموا فادركوا واخذوا وقيدوا وحبسوا ولما بلغ امرهم الى السلطان صلاح الدين شاكه ذلك واهمه وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يفارقه فقال له ايها الملك ينبغي ان لا تفرح ولا تحزن فانه لم يصغ الى دعوة هؤلاء الجهلة احد من رعيتك ولا التفتوا اليهم ولو انك بعثت من قبلك جواسيس يخبرون رعيتك بهذا لسرك ما بلغك عنهم فسري ذلك عنه ورجع الى قوله ولهذا ارسله الى مصر ليكون له عينا وعونا ومعينا

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

الامير الكبير سلالة الملوك والسلاطين الشيزري مؤيد الدولة ابو الحارث ابو المظفر اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ احد الشعراء المشهورين والامراء المشكورين بلغ من العمر ستا وتسعين سنة وكان عمره تاريخا مستقلا وحده وكانت داره بدمشق وهي مكان العزيزية اليوم معقلا للفضلاء ومنزلا للعلماء وله من الاشعار الرائقة والمعاني

الفايقة كثير وله علم غزير وعنده جود وفضل كبير وقد كان من ابناء ملوك شيزر ثم اقام بديار مصر مدة في ايام الفاطميين ثم عاد الى الشام وقدم على الملك صلاح الدين في سنة سبعين بدمشق وانشد

حمدت على طول عمري المشيبا • وان كنت اكثرت فيه الذنوبا
لاني حييت الى ان لقيت • بعد العدو صديقا حبيبا

وله مبتكرا معناه في سن قلعها فقد نفعها

وصاحب لا امل الدهر صحبته • يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فحين بدا • لناظري افترقنا فرقة الابد

وله ديوان شعر كبير وكان صلاح الدين يفضله على سائر الدواوين وقد كان اسامة هذا الامير ولد في سنة ثمان وثمانين واربعمائة وكان في شبيبته شهما شجاعا فاتكا قتل الاسد مواجهة وحده ثم عمر الى ان توفي في هذه السنة رحمه الله قال ابن خلكان ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ودفن بشرقي جبل قاسيون قال وزرت قبره وقرات عنده واهديت اليه ومما انشده له

لا تستعر جلدا على هجرانهم • فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بانك ان رجعت اليهم • طوعا والا عدت عودة راغم

وقوله

فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما • من بعد حطم القنا في لبة الاسد

قال ابن الاثير وفي هذه السنة توفي شيخنا ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة التكريتي كان عالما بالحديث وله فيه تصانيف حسنة. الحازمي الحافظ قال الشيخ شهاب الدين وفيها توفي الحافظ ابو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني ببغداد صاحب التصانيف على صغر سنه منها العجالة في النسب والناسخ والمنسوخ وغيرهما ومولده سنة ثمان او تسع واربعين وخمسمائة وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الاولى من هذه السنة رحمه الله

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

فيها قدم من جهة الخليفة رسل الى السلطان يعلمونه بولاية العهد لابي نصر الملقب بالظاهر محمد بن الخليفة الناصر فامر السلطان خطيب دمشق ابي القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي ثم جهز السلطان مع الرسل تحفا عظيمة وهدايا سنية وارسل باسارى من الفرنج على هيئتها في حال كفرهم وارسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوبي من دار الخلافة فكان يداس فبعدما كان يقبل ويباس صار يداس عليه بعدما كان يسجد عليه والصحيح ان هذا الصليب انما هو الذي كان منصوبا على قبة الصخرة وكان من نحاس مطلي بالذهب فحط الى اسفل الرتب

قصة عكا وما كان من امرها

في رجب اجتمع من كان بصور من الفرنج وساروا الى مدينة عكا فاحاطوا بها يحاصرونها فتحصن من فيها من المسلمين واعدوا للحصار ما يحتاجون اليه وبلغ السلطان خبرهم فسار اليهم من دمشق مسرعا فوجدهم قد احاطوا بها كاحاطة الخاتم بالخنصر فلم

يزيد بدا نهم عنها وما نهم منها حتى جعل طريقا الى باب القلعة يصل اليه كل من اراده
من جندي وسوقي وامراة وصبي ثم اولج فيها ما اراد من آلات واسلحة ومقاتلة ودخل
بنفسه الكريمة فعلا على سورها ونظر الى الفرنج وجيشهم وكثرة عددهم وعُدَدهم
والميرة تفد اليهم من البحر في كل وقت اصيل وبكرة وكلما الهم في ازدياد وفي كل حين تصل
اليهم الامداد وعاد السلطان الى مخيمه والجنود تفد اليه وتقدم عليه من كل جهة
ومكان من رجالة وفرسان

ووقعة مرج عكا

ثم برز الفرنج في نحو من الفي فارس وثلاثين الف راجل في العشر الاخير من شعبان
فبرز اليهم السلطان فيمن معه من السادة الشجعان فاقتتلوا بمرج عكا قتالا عظيما
وهزم جماعة من المسلمين في اول النهار ثم كانت الكرة على الفرنج بآخره والعاقبة
للمتقين فقتل من المسلمين قريب المائتين واما الفرنج فكانت القتلى منهم ازيد من سبعة
الاف قتيل ولما تمت هذه الوقعة تحول السلطان من مكانه الاول الى مستنزه تجنيد
من ايجية القتلى خوفا من الوخم والاذى ليستريح الخيالة والخيل ولم يعلم ان ذلك كان من
اكبر المصالح للعدو المخذول فانهم اغتنموا هذه الفترة فحفروا حول مخيمهم خندقا يجمع
جيشهم من البحر الى البحر خندقا واتخذوا من ترابه سورا شاهقا وجعلوا له ابوابا يخرجون
منها اذا ارادوا وتمكنوا في منزلهم ذلك الذي له اختاروا وارتادوا وتفارط الامر وتوى
الخطب وصار الداء عضالا وازداد الحال وبالا وكان راي السلطان ايده الله ان يباكره
بعد الكرة سريعا ولا يتركوا حتى يطيب ريح البحر وتاتيهم الامداد من كل صوب هريعا
فاعتذر الامرا اليه بالملالة والضجر وكلال امر الفرنج فلا احتفر وكتب الى الخليفة بالبث
وبث الكتب بالتحضيض والحث لنجاته الاندلس جماعات وآحادا وارسل الى مصر يطلب ٢
اخاه العادل فقدم عليه وبينجد الاسطول فوصل اليه في خمسين قطعة من البحر
مع الامير حسام الدين لؤلؤ الحاجب وصل الاسطول حادت مراكب الفرنج ميمنة وميسرة
وحادت كلما سنحت واتصل بالبلد المرة والعدة والعدد وانشرحت الصدور بعد
الضيق والكمد وانسلخت هذه السنة والحال على ما هو عليه ولا ملجا من الله الا اليه

وممن توفي في هذه السنة

احمد بن عبد الرحمن بن وهبان ابو العباس المعروف بابن افضل الزمان قال ابن الاثير
وكان عالما متبحرا في علوم كثيرة من الفقه والاصول والحساب والفرايض والنجوم
والهيئة والمنطق وغير ذلك وقد جاور بمكة واقام بها الى ان مات وكان من احسن الناس
صحبة وخلقا القاضي شرف الدين ابو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون
احد ايمة الشافعية وله كتاب الانتصار وقد ولي قضاء القضاة بدمشق ثم اضر قبل موته
بعشر سنين فجعل ولده محيي الدين مكانه تطييبا لقلبه وبلغ القاضي شرف الدين ثلثا
وتسعين سنة ونصفا ودفن بالمدرسة العصرونية التي انشاها عند سويقة باب
البريد قبالة داره بينهما عرض الطريق وكان من الصالحين والعلما العاملين رح وقد
ذكره القاضي ابن خلكان فقال وكان اصله من حديثة الموصل ورحل في طلب العلم الى البلاد
شتى واخذ عن اسعد الميهني وابي علي الفارقي وجماعة وولي قضاء سنجار وحران وباشر في ايام

نور الدين

نور الدين تدريس الغزالية ثم انتقل الى حلب فبنى له نور الدين مدرسة بحلب وبحمص ايضا
ثم قدم دمشق في ايام صلاح الدين فولي قضاها في سنة ثلاث وسبعين وخمسماية الى
ان توفي في هذه السنة وقد جمع جزا في قضاء الاعمى وانه جايز وهو خلاف المذهب لكن حكاه
صاحب البيان رح لبعض الاصحاب قال ولم اره في غيره وقد صنف كتبا كثيرة منها صفوة
المذهب في نهاية المطلب في سبع مجلدات والانتصار اربعة والذريعة والمرشد وغير ذلك
في الفرايض وغيرها وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه والعماد فاثنى عليه وكذلك القاضي
الفاضل واورد له العماد اشعارا كثيرة ومما اورد ابن خلكان عنه قوله

اؤمل ان احيى وفي كل ساعة * تمر بي الموتى تهز نعوشها
وهل انا الا مثلهم غير ان لي * بقايا ليال في الزمان اعيشها

الفقيه الامير ضياء الدين عيسى بن الهكاري كان من اصحاب اسد الدين شيركوه دخل معه
الى مصر وحظي عنده ثم كان ملازما للسلطان صلاح الدين حتى توفي وكان عنده بمنزلة الوزير
قريبا من عكا فنقل الى القدس الشريف فدفن به رح وكان ممن تفقه على الشيخ ابي القاسم
ابن البزري الجزري وكان الفقيه عيسى من الفضلا النبلا والامرا الكبرا المبارك بن المبارك
الكرخي مدرس النظامية تفقه بابن الخل وكانت له مكانة عند الخليفة والعامة وكان يضرب
بحسن خطه المثل وقد ذكرته في الطبقات

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسماية

استهلت والسلطان محاصر لمحاصري عكا وامداد الفرنج يقدم عليهم من النواحي في كل وقت
وكل حين حتى ان السلطان ليخرج في بنية القتال ومنهن من ياتي بنية اراحة الغربات
في الغربة قدم اليهم مركب فيه ثلاثماية امراة حسناء بهذه النية حتى ان كثيرا من فسقة
المسلمين تحيزوا اليهم لاجل هذه النسوة واشتهر الخبر بان ملك الالمان قد اقبل في نحو ثلثماية
مقاتل من ناحية القسطنطينية يريد اخذ الشام وقتل اخيار اهله وملوكه انتصارا
لبيت المقدس فخاف المسلمون هما عظيما وخافوا غاية ذلك مع ما هم فيه من الشغل العظيم
والحصار الهايل ولكن الله لطف بهم واهلك غالب الجيش الالمان في الطرقات بالبرد والجوع
والضلال في المهالك على ما سياتي بيانه وتفصيله ان شا الله وكان سبب تقدم النصارى
في هذا العام ما ذكره ابن الاثير في كامله ان جماعة من الرهبان والقسوس ركبوا من مدينة
صور في اربعة مراكب يطوفون البلدان البحرية يحثونهم على الانتصار لبيت المقدس
وما جرى على اهل السواحل وقد صوروا صورة المسيح عليه السلام ورجل عربي يضربه
فاذا سالوهم من هذا الذي يضرب المسيح قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات
فينزعجون عند ذلك ويحمون ويخرجون من بلادهم لنصرة دينهم على الصعب والذلول
حتى النساء المخدرات والابناء الذين هم عند اهليهم من اعز الثمرات واحصن الحرزات
وفي نصف ربيع الاول تسلم السلطان شقيف ارنون بالامان وكان صاحبه
ماسورا في الذل والهوان وكان يتزيا بزي الفرنج واخبرهم بايام الناس وربما قرا في كتب
الحديث وتفسير القران وكان مع هذا غليظ الجلد كافر القلب قبحه الله ولما
انفصل فصل الشتا واقبل الربيع والصيف جات الملوك من بلدانها بجيوشها
وشجعانها ورجالتها وفرسانها وارسل الخليفة الى الملك صلاح الدين احمالا من

النفط والرماح الخطية ونفاط صعصعي لهذه الصناعة غاية الاتقان وغرسوها بعشرين الف دينار وانفتح البحر وتواترت الفرنج والنصارى من كل جزيرة ينصرون اصحابهم ويعلونهم بالقوة والميرة وعملت الفرنج ثلاثة ابرجة من خشب وحديد عليها جلود مسقاة بالخل لئلا يعمل فيها النفط يسع البرج منها خمسماية مقاتل وهي اعلا من ابرجة البلد وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاؤوا وعلى ظهر كل برج منها منجنيق كبير فاغتم لها المسلمين وكانوا عليها حنقين فاعمل السلطان فكره في احراقها واهلاكها فاستحضر النفاطين ووعدهم الاموال الجزيلة فانتدب شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين والتزم باحراقها فاخذ النفط الابيض وخلطه بادوية عرفها وغلا ذلك في ثلاث قدور من نحاس حتى صار نارا تاجج ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا فاحترقت الابرجة الثلاثة باذن الله حتى صارت نارا لها السنة في الجو متصاعدة فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل والتكبير واحترق في كل برج من مقاتلتهم سبعون كفورا وكان يوما على الكافرين عسيرا وذلك يوم الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الاول من هذه السنة وكانت الفرنج قد تعبوا فيها سبعة اشهر فاحترقت في يوم واحد وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعرض السلطان على ذلك الشاب النحاس العطية السنية فامتنع من قبولها فقال انما عملت هذا ابتغاء وجه الله فلا اريد منكم جزاء ولا شكورا واقبل الاصطول المصري وفيه الميرة الكثيرة لاهل البلد فخرج الفرنج اصطولهم ليحاربوا اصطول المسلمين فنهض السلطان بجيشه ليشغلهم عن قتال الاصطول وقاتلهم اهل البلد ايضا واقتتل الاصطولان في البحر فكان يوما عظيما وحربا في البحر والبر فظفرت الفرنج بشيني واحد من الاصطول وسلم الله الباقي فوصل الى البلد وافيه من الميرة التي قد اشتدت حاجتهم اليها عشرها وحمدت الله تعالى على يسيرها وجد عسيرها واما ملك الالمان المتقدم ذكره فانه اقبل في عدد كثير وجم غفير قريب من ثلثماية الف ومن نيته الانتصار لبيت المقدس حين اخذ من ايديهم فما زال يمر باقليم بعد اقليم ويتخطفون في كل مكان ويقتلون كما يقتل الحيوان حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية ودعته نفسه ان يسبح فيه فلما صار فيه حمله الماء الى جذم شجرة فشجت راسه واخمدت انفاسه واراح الله منه المسلمين وحشرت روحه الى سجين فاقيم ولده الاصغر في الملك بعده وقد تفرق شملهم وقلت منهم العدة ثم اقبلوا الايجيا زون بلاد الا قتلوا فيه وقل عددهم حتى جاؤوا الى اصحابهم المحاصرين لعكا وهم في الف فارس وليس لهم قدر ولا قيمة عند احد من اهل ملتهم ولا غيرهم وهذه سنة الله فيمن اراد كيد الاسلام واهله في اهلاكه وتمزيق شمله ولله الحمد والمنة على احسانه وتفضله وزعم العماد في سياقته ان الالمان وصلوا في خمسة الاف مقاتل وان ملوك الفرنج كلهم كرهوا قدومه عليهم لما يخافون من سطوته وزوال دولتهم به ولا يفرح به الا المركيس صاحب صور الذي اشعل هذه الفتنة واثار هذه المحنة لعنه الله فانه يتقوى به ويكيده وكان خبيرا بالحروب والقتال وقد احدث اشياء كثيرة من الات الحرب لم تخطر لاحد ببال نصب دبابات امثال الجبال تسير بعجل ولها زوام من حديد تنطح السور فتكسره وتثلم جوانبه فمن الله العظيم باحراقها واتلافها واراح الله المسلمين من شرها ولله الحمد

ونهض

ونهض بالعسكر الفرنجي فصادم به جيش المسلمين وناصب بالحرب صلاح الدين فمن الله سبحانه وله الحمد بالنصرة عليه وتقدمت الجيوش برمتها اليه فقتلوا من الكفرة خلقا كثيرا وجما غفيرا وهجموا اخرة على المخيم بغتة فنهبوا اشيا من الامتعة فنهض اليهم الملك العادل ابو بكر وكان راس الميمنة فركب باصحابه وامهل الفرنج حتى توغلوا بين الخيام ثم حمل عليهم بالرمح والحسام فقتلهم ربوا بين يديه فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة حتى كسي وجه الارض منهم حللا ازهى من الرياض ابتا وحزرما قتل منهم فاقل ما قيل خمسة الاف وزعم العماد وغيره انه قتل منهم ما بين الظهر الى العصر عشرة الاف ولله الحمد هذا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى لانهم نايمون وقت القيلولة في خبائهم وكثير منهم ما درى وكان الذين شافوا ورايتهم وقتلوهم قل من الالف وانما قتل من المسلمين عشرة او دونهم وهذه نعمة عظيمة ونصرة عميمة وقد اوهن هذا جيش الفرنج واضعفه وكادوا يطلبون الصلح وينصرفون عن البلد فاتفق انهم وعزم عليهم ان يبرز وامده لغفاد السلطان صلاح الدين ونصب على عكا منجنيقين غرم على احدهما الفا وخمسماية دينار فاحرقها اهل البلد وجات كتب صاحب الروم من القسطنطينية يعتذر الى صلاح الدين من جهة ملك الالمان وانه لم يجتاز بلده باختياره لكثرة جنوده ولكن ليسر السلطان ان الله سيهلكهم في كل مكان وكذلك وقع ولله الحمد وارسل الى السلطان يقول له اني قد اقيم عندي للمسلمين جمعة وخطيبا فارسل السلطان مع رسوله خطيبا ومنبرا فكان يوم دخولهم اليهم يوما مشهودا ومشهدا محمودا فانهم اقيمت الخطبة ودعي للخليفة العباسي واجتمع فيها من بها من المسلمين والتجار المسافرين ولله الحمد رب العالمين

فصل

وكتب متولي عكا من جهة السلطان وهو الامير بهاء الدين قراقوش في العشر الاول من شعبان الى السلطان انه لم يبق عندهم من المؤونة الا ما يكفيهم الى ليلة النصف فلما وصل الكتاب الى السلطان اسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لاحد خوفا من شيوع ذلك فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين وتضعف القلوب وكان قد كتب الى الامير الاسطول بالديار المصرية ليقدم بميرة الى عكا فتاخر سيره فوصلت ثلاث بطش ليلة النصف فيها من الميرة ما يكفي اهل البلد طول الشتا وهي في صحبة الامير الحاجب لولو فلما اشرفت على البلد تقدم اليها اسطول الفرنج ليحاجزها عن البلد ويتلف البطش فاقتتلوا في البحر قتالا عظيما والمسلمون في البر يبتهلون الى الله عز وجل والفرنج تصرخ ايضا بزواد بجراد وقد ارتفع الضجيج فنصر الله المسلمين وسلم مراكبهم وطابت الريح للبطش فسارت فاحترقت المراكب الفرنجية المحيطة بالمينا ودخلت البلد سالمة ففرح بها اهل البلد والجيش فرحا شديدا جدا ولله الحمد وكان السلطان قد جهز قبل هذه الثلاث بطش المصريات بطشة عظيمة من بيروت فيها اربعماية غرارة وفيها شي كثير من الجبن والبصل والقديد والنشاب والنفط وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة وامر من فيها من التجار ان يتزيوا بزي الفرنج حتى انهم حلقوا لحاهم وشدوا الزنانير

واستصحبوا معهم في البطشة شيئاً من الخنازير وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا انهم منهم وهي سائرة كأنها السهم اذا خرج من الرمية فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية المسلمين فاعتذروا بانهم مغلوبون معها والريح قوية لا يمكنهم ان يقفوا ولا ينصرفوا وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء وافرغوا ما كان معهم من الميرة والحيلة خدعة فعبرت الميناء دعين الكفر عبرى وامتلأ الثغر بها خيراً وسروراً وبشرى وكانت مونتهم الى ان تقدم عليهم البطش الثلاث المصرية وكان ميناء البلد يكتنفها برجان يقال لاحدهما برج الذبان فاتخذ الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه حركات اذا ارادوا ان يحنوه على شيء من الاسوار والابرجة قلبوه فوصلوا الى ما ارادوه فعظم امر هذه البطشة على المسلمين ولم يزالوا في امرها محتالين حتى ارسل الله عليها شواظاً من نار فاحرقها واغرقها وذلك ان الفرنج اعدوا فيها نفطاً كثيراً وحطباً جزلاً واخرى خلفها فيها حطب محض حتى اذا اراد المسلمون المحاجفة عن الميناء بمراكبهم ارسلوا النفط على تلك البطشة الحطبية فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين فتحرقها وفي بطشة اخرى لهم مقابلة تختفي فيها فلما ارسلوا النفط على برج الذبان انعكس الامر عليهم بقدرة الرحمن وذلك لشدة الهواء تلك الليلة فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت وتعدى الحريق الى الاخرى فغرقت ووصل الى بطشة المقابلة فتلفت وهلك من فيها فاشبهوا من سلف من اهل الكتاب الكافرين كما قال تعالى في كتابه المبين يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين

فصل

وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج للبلد حتى نزلوا الى الخندق فبرز اليهم اهل البلد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وتمكنوا من حريق الكبش الذي اعدوه لحصار الاسوار وسرى حريقه الى السقود فارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء ثم اجتذب المسلمون اليهم بكلاليب من حديد في سلاسل فحصلوه عندهم والقوا عليه الماء البارد فبرد بعد ايام فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشقي ولله الحمد وفي الثامن والعشرين من رمضان توفي الملك زين الدين صاحب اربل وكان مع السلطان على عكا فتأسف الناس عليه لشبابه وغربته وجوده وعزى اخوه مظفر الدين فيه وهو الذي قام في الملك بعده وسأل من السلطان صلاح الدين ان يضيفها اليه شهرزور ونزل حران والرها وشميساط وغيرها ويحمل مع ذلك خمسين الف دينار نقداً فاجيب الى ذلك وكتب له تقليد وعقد له لواء واضيف ما تركه الى الملك المظفر تقي الدين عمر ابن اخي السلطان

فصل

وكان القاضي الفاضل بالديار المصرية يدبر الممالك بها ويجهز الى السلطان ما يحتاج اليه من الاموال والنفقات وعمل الاسطول وما يحتاج اليه فيه من محصول والكتب السلطانية واردة اليه في كل حين يستشيره فيما يصلح به امور المسلمين وكذلك الكتب الفاضلية قادمة على السلطان في كل حين واوان فمن ذلك كتاب

يذكر فيها ان سبب هذا التطويل في الحصار انما هو بسبب ارتكاب المحارم من الناس ويقول في بعضها ان الله لا ينال ما عنده الا بطاعته ولا يفرج الشدائد الا بالرجوع اليه والامتثال لامره شريعته والمعاصي في كل مكان بادية والمظالم في كل موضع فاشية وقد طلع الى الله منها ما لا يتوقع بعدها الا الاستغفار منه ودفعه انه قد بلغنا ان ببيت المقدس قد ظهر فيه من المنكرات والفواحش والظلم في بلاده ما لا يمكن تلافيه الا بكلفة كثيرة ومن ذلك كتاب يقول فيه انما اتينا من قبل انفسنا ولو صدقنا لعجل لنا عواقب صدقنا ولو اطعناه لما عاقبنا بعدونا ولو فعلنا ما نقدر عليه من امره لفعل لنا ما لا نقدر عليه الا به فلا يختصم احد الا عمله ولا يلم الا نفسه ولا يرج الا ربه ولا ينتظر العساكرات تكثر ولا الاموال ان تحضر ولا فلاناً الذي يعتمد عليه ان يقاتل ولا فلاناً الذي ينتظر ان يسير فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها ولا نامن ان يكلنا الله اليها والنصر به واللطف منه والعادة الجميلة له ونستغفر الله من ذنوبنا فلولا انها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل وفيض دموع الخاشعين قد غسل ولكن في الطريق عائق خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق ومن كتاب آخر يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف في جسمه بسبب ما حمل على قلبه مما هو فيه من الشدائد اثابه الله فيقول فيه وما في نفس المملوك سابقة الا اسه

هذا الضعف الذي بجسم مولانا فانه بقلوبنا ونفديه باسماعنا وابصارنا •

• بنا معشر الخدام ما بك من اذى • وان اشفقوا مما اقول فبي وحدي •

وقد اورد الشيخ شهاب الدين في الروضتين في هذا المكان كتباً عدة من الفاضل الى السلطان فيها فصاحة وبلاغة ومواعظ وتحضيض على الجهاد يعجز عن مثلها سحبان وهي جديرة ان تكتب بماء الذهب على قلائد العقيان فرحم الله انساناً كان افصحه ومن وزير ما كان انصحه ومن عقل ما كان ارجحه

فصل

وكتب القاضي الفاضل كتاباً بليغاً عن السلطان الى ملك المغرب امير المسلمين وسلطان جيش الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المومن يستنجد به في ارسال المراكب في البحر تكون عوناً للمسلمين على المراكب الافرنجية في عبارة عظيمة طويلة حكاها الشيخ شهاب الدين بحسنها وطولها وبعث السلطان صلاح الدين مع ذلك بهدية سنية من التحف والالطاف وذلك كله صحبة الامير الكبير شمس الدين ابن الحزم عبد الرحمن بن منقذ وكان ابتداء سيره في البحر في ثامن ذي القعدة من هذه السنة فدخل على السلطان يعقوب في العشرين من ذي الحجة فاقام عنده الى عاشوراء في المحرم من سنة ثمان وثمانين ولم يفد ذلك الارسال شيئاً لان السلطان تغضب اذ لم يخاطب بامير المومنين وكانت اشارة الفاضل الى عدم الارسال اليه والتعويل عليه ولكن وقع ما وقع بمشية الله تعالى

فصل

وفي هذه السنة حصل للسلطان سوء مزاج من كثرة ما يكابده من الامور التي امر

من الاجاج فطمع العدو المخذول لعنهم الله في الاسلام فتجرد منهم جماعة للقتال وثبت اخرون على الحصار واقبلوا في عدد كثير وعدد فرتب السلطان الجيوش ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فلما راوا وعاينوا من الجيش الكثيف فروا من سوق الحرب وحادوا واعتزموا الرجوع فقتل منهم خلق كثير وجم غفير ولله الحمد العلي الكبير

فصل

ولما دخل فصل الشتاء واستشعر مراكب الفرنج عن البلد خوفا من الهلاك بسبب اغتلام البحر شا (؟) الذين في البلد من المسلمين ايده الله ان يريحهم مما هم فيه من الحصر العظيم والمقاتلة ليلا ونهارا وصباحا ومساء سرا وجهارا وان يرسل الى البلد بدلهم فرق لهم السلطان وعزم على ذلك وكانوا قريبا من عشرين الف مسلم ما بين امير ومامور فجهز جيشا اخر غيرهم فلو لم يكن ذا الراي جيد ولكن ما فضل السلطان الاخيرا وان هولاء يدخلون البلد وهم جدد الهمم ولهم عزم قوي وهم في راحة بالنسبة الى اولئك ولكن اولئك كانت لهم خبرة بالبلد وبالقتال وصبر عظيم وقد تمرنوا على ما هم فيه من القتال برزة للاعداء برا وبحرا وجهزت لهولاء الداخلين سبع بطش فيها ميرة تكفيهم سنة كاملة فقدر الله تعالى وله الامر من قبل ومن بعد انها لما توسطت البحر قفز بعث من المينا ما جنت ريح عظيمة في البحر فتلعبت بتلك البطش على عظمها فاحتبطت واضطربت وتصادمت فتكسرت وغرقت وغرق ما كان فيها من الميرة وملك من كان بها من البحارة فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين واخذ مرض السلطان وازداد مرضا الى مرضه عافاه الله وكان ذلك عنوانا على اخذ البلد ولا قوة الا بالله وذلك في ذي الحجة من هذه السنة وكان المقدم على الداخلين الى عكا الامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب ايده الله وفي يوم السابع من ذي الحجة سقطت ثلمة عظيمة من سور عكا فبادر الفرنج اليها فسبقهم المسلمون الى سدها بصدورهم وقاتلوا عنها بنحورهم وما زالوا يحامون عنها حتى بنوها اشد مما كانت واقوى واحسن وابهى ووقع في هذه السنة وباء عظيم في الجيشين المسلم والكافر فكان السلطان يقول في ذلك

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

واتفق موت ابن ملك الالمان في ثاني ذي الحجة من هذه السنة وجماعة من كبراء الكندهرية وسادات الفرنج لعنهم الله فحزن الفرنج على ابن ملك الالمان حزنا عظيما واوقدوا نارا عظيمة في كل خيمة وصار في كل يوم يهلك من الفرنج المائة والمائتان واستامن السلطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه من الجوع والضيق والحصر واسلم خلق كثير منهم ولله الحمد والمنة وفي هذا الشهر قدم القاضي الفاضل من الديار المصرية على السلطان وكان قد طال شوق كل واحد منهما لصاحبه فافضى كل واحد منهما الى الاخر ما كان بسره وتكتمه من الامور التي فيها مصالح المسلمين وقدم وزير الصدق على الامير الموفق والسلطان المؤيد

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

ملك فيها ملك الالمان الذي اقبل في ما يزيد الف مقاتل ويقال في ثلثمائة الف مقاتل من اقصى بلاده فاجتاز بالقسطنطينية وما بعدها من البلدان يريد انتزاع بلاد الشام بكمالها من ايدي المسلمين انتصارا في زعمه للبيت المقدس الذي استنقذه الملك صلاح الدين ايده الله من ايدي المشركين فلم يزل اللعين يتناقص جيشه وهم ويتفانوا في كل موطن وموضع وقدر الله اهلاكه بالغرق كما اهلك فرعون لعنهما الله وذلك انه نزل يسبح في بعض الانهار فاحتمله الماء فضرب جانبه الى جذم شجرة هنالك فشدخت راسه ومات من ساعته لعنه الله فملك الالمان عليهم ابنه الاصغر واقبل بمن بقي منهم وانزه قد تفنقروا (؟) المقصود انهم وصلوا الى اخوانهم بعكا في خمسة الاف مقاتل وقيل في الف مقاتل وكان المسلمون قد حملوا منهم هما عظيما وخافوا من شرهم خوفا شديدا فكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا ثم توفي ابنه في اواخر هذه السنة ولله الحمد والمنة محمد بن محمد بن عبد الله ابو حامد قاضي القضاة بالموصل محيي بن قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري الشافعي اثنى عليه العماد الكاتب وانشد له من شعره

قامت باثبات الصفات ادلة	فقصمت ظهور ائمة التعطيل
وطلايع التنزيه لما اقبلت	هزمت ذوي التشبيه والتمثيل
فالحق ما صرنا اليه جميعنا	بادلة الاخبار والتنزيل
من لم يكن بالشرع مقتديا فقد	القاه فرط الجهل في التضليل

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

فيها قدم ملك الافرنسيس وملك انكلتير وغيرهما من ملوك البحر على الفرنج وتمالوا على اخذ عكا في هذه السنة كما سياتي تفصيله وقد استهلت والحصار على عكا على حاله من الجانبين وقد استكمل دخول البدل الى البلد والملك العادل مخيم الى جانب البحر ليتكامل دخولهم ودخول ميرتهم لطف الله بهم وفي ليلة مستهل ربيع الاول خرج المسلمون من عكا فهجموا على مخيم الفرنج فقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا شيا كثيرا وسبوا ثنتي عشرة امراة وانكسر مركب عظيم للفرنج فغرق فيه خلق منهم واسر باقيهم واغار صاحب حمص اسد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين على سرح الفرنج بارض طرابلس فاستاق منه شيا كثيرا من الخيول والابقار والاغنام وظفر الترك بخلق كثير من الفرنج فقتلوهم ولم يقتل من المسلمين سوى طواشي صغير عثر به فرسه وفي ثاني عشر ربيع الاول وصل الى الفرنج ملك الافرنسيس بلس في ست بطش ملعونة مشحونة بعبدة الصليب وحصل وصل اليهم وقدم عليهم لم يبق لاحد معه من ملوكهم حكم وذلك لعظمته عندهم وقدم معه باز عظيم ابيض من الاشهب مايل فطار من يده فسقط على سور عكا فامسكه اهلها وبعثوه الى السلطان فبذل الفرنج فيه الف دينار فلم يجابوا وقدم بعده كندهري وهو من اكابر ملوكهم ايضا ووصلت سفن ملك الانكلتير ولم يجي هو لاشتغاله بجزيرة قبرص واخذها من صاحبها وتواصلت ملوك الاسلام من بلدانها في اول فصل الربيع الى خدمة السلطان الناصر صلاح الدين ايده الله تعالى للجهاد وقد كان المسلمين لصوص يدخلون

الى خيام الفرنج تنبسرقون حتى انهم يسترقون الرجال فاتفق ان بعضهم اخذ صبيا رضيعا من مهده ابن ثلاثة اشهر فوجدت عليه امه وجدا عظيما واشتكت الى ملوكهم فقالوا لها ان سلطان المسلمين رحيم القلب وقد اذنا لك ان تذهبي اليه فتشتكي امرك اليه قال العماد فجاءت الى السلطان دانا وانفعه فبكت بكاء شديدا وجعلت تمرغ وجهها على الارض فسال عن امرها فاعلمت اليه خبرها فرق لها رقة شديدة حتى دمعت عينه فامر باحضار ولدها فاذا هو قد بيع في السوق فرسم بدفع ثمنه الى المشتري ولم يزل واقفا حتى جيء بالغلام فاخذته فارضعته ساعة وهي تبكي من شدة فرحها وشوقها اليه ثم امر بحملها الى خيمتها على فرس مكرمة رح وبكل بالرافة شراه

فصل

في كيفية اخذ العدو المخذول عكا من يد السلطان قسرا لما كان شهر جمادى الاولى اشتد حصار الفرنج لعنهم الله لعكا وتمالوا عليها من كل فج عميق وقد قدم عليهم ملك الانكلتير في جمع غفير وجمع كثير في خمسة وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة وبلي الثغر منه ببلاء نسي ما قبله فعند ذلك حركت الكوسات في البلد وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان فحرك السلطان كوساته واقترب من البلد وتحول الى قريب منه ليشغلهم عن البلد وقد احاطوا به من كل مكان ونصبوا عليه سبعة مجانيق وهي تضرب في البلد ليلا ونهارا ولا سيما على برج عين البقر حتى اثرت فيه اثرا بينا وشرعوا في ردم الخندق بما امكنهم من دواب ميتة ومن قتل منهم ومن مات ايضا وكان اهل البلد يقتلونهم ويلقونهم الى البحر وظفر ملك الانكلتير ببطشة عظيمة للمسلمين قد اقبلت من بيروت مشحونة بالامتعة والاسلحة فاخذها وكان في البحر اربعين مركبا لا يتركون شيئا يصل الى البلد بالكلية لعنهم الله وكان فيها ستمائة الف من المقاتلة الصناديد الابطال فهلكوا عن آخرهم رحمهم الله ولما احيط بهم من الجوانب كلها وتحققوا اما الغرق او القتل خرقوا في جوانبها كلها فغرقت ولم يقدر الفرنج على اخذ شيء منها لا من الميرة ولا من الاسلحة وحزن المسلمون على هذا المصاب حزنا عظيما فانا لله ولكن جبر الله هذا المصاب بان احرق المسلمون في هذا اليوم للفرنج دبابة كانت اربع طبقات الاولى من خشب والثانية من رصاص والثالثة من حديد والرابعة من نحاس وهي مشرفة على السور والمقاتلة فيها وقد قلق اهل البلد منها بحيث حدثتهم انفسهم بامن شرها بان يطلبوا الامان من الفرنج ويسلموا البلد ففرج الله واحكمهم من حريقها فاتفق ذلك في اليوم الذي غرقت فيه البطشة المذكورة فارسل اهل البلد الى السلطان يشكون اليه كثرة الحصار وقوته عليهم منذ قدم ملك الانكلتير لعنه الله ومع هذا قد مرض وجرح ملك الافرنسيس ايضا ولا يزيدهم ذلك الا شدة وغلظة وعتوا وفارقهم المركيس وسار الى بلده صور خوفا منهم ان يخرجوا الملك من يده وبعث ملك الانكلتير الى السلطان يذكر ان عنده جوارح قد جاء بها من البحر وهو على نية ارسالها اليه ولكنها قد ضعفت وهو يطلب لها دجاجا وطيرا ليقتوي بها فعرف انه انما يطلب ذلك لنفسه يتلطف فارسل اليه بشيء من ذلك كرما وبجيبة وحشمة ثم ارسل يطلب فاكهة وثلجا فارسل اليه ايضا فلم يفد معه الاحسان بل هو على غيه على شر ما كان عليه واشتد الحصار ليلا ونهارا وارسل من بالبلد يقولون ان لم تعملوا معنا شيئا غدا والا طلبنا من الفرنج الامان فشق

في نذام

فلان

ذلك على السلطان امرا عظيما وذلك لانه كان قد سير اليها اسلحة الشام والديار المصرية وسائر السواحل وما كان غنمه من وقعة حطين ومن بيت المقدس وهي مشحونة بذلك فعزم السلطان على مهاجمة العدو فلما اصبح ركب في جيشه فراى الفرنج قد ركبوا من وراء خنادقهم والرجالة منهم قد ضربوا سورا حول الفرسان وهم قطعة من حديد اصم لا ينفذ فيها شيء فاحجم عنهم لما يعلم من نكول جيشه عما يريده وتحقق هلبة شجاعته رحمه الله هذا وقد اشتد الحصار بالبلد جدا ودخلت الرجالة منهم الى الخندق وعلقوا بدنة من السور وحشوها واحرقوها فسقطت ودخلت الفرنج الى البلد فمانعهم المسلمون وقاتلوهم اشد القتال وقتلوا من رؤوسهم ستة انفس فاشتد حنق الفرنج عليهم جدا بسبب ذلك وجاء الليل فحال بين الفريقين فلما اصبح الصباح خرج امير المسلمين بالبلد سيف الدين احمد بن علي بن المشطوب فاجتمع بملك الافرنسيس وطلب منه الامان على انفسهم ويتسلمون منهم البلد فلم يجبه الى ذلك وقال له بعدما سقط السور جئت تطلب الامان فاغلظ له الامير ابن المشطوب في الكلام ورجع الى البلد في حال الله بها عليم ولما اخبر اهل البلد بما وقع خافوا خوفا شديدا وارسلوا الى السلطان يعلمونه بما وقع فارسل اليهم ان يشرعوا في الخروج من البلد الى البحر ولا يتاخروا عن هذه الليلة فلا يبقى بها مسلم فتشاغل كثير ممن كان بها في جمع الامتعة والاسلحة وتاخروا عن المسير تلك الليلة فما اصبح الخبر الا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان فهربا الى قومهما فاخبراهم بذلك فاحتفظوا على البحر احتفاظا عظيما فلم يتمكن احد من اهل البلد ان يتحرك بحركة ولا خرج منها شيء بالكلية وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة فلم يوافقه الجيش على ذلك وقالوا لا نخاطر بالاسلام كله فلما اصبح بعث الى ملوك الفرنج يطلب منهم الامان لاهل البلد على ان يطلق عدتهم من الاسرى الذين تحت يده من النصارى ويزيدهم على ذلك صليب الصلبوت فابوا الا ان يطلق كل اسير تحت يده ويعيد اليهم جميع البلاد الساحلية التي اخذت منهم وبيت المقدس فابى من ذلك وترددت المراسلات في ذلك والحصار يتزايد على اسوار البلد وقد تهدمت ثلم كثيرة منه واعاد المسلمون شيئا كثيرة منها وسدوا الثغر بالاماكن بنحورهم رحمهم الله وصبروا صبرا عظيما وصابروا وامر كان اخر امرهم الى الشهادة صبرا وقد كتبوا الى السلطان في آخر امرهم يقولون يا مولانا لا تخضع لهؤلاء الملاعين الذين قد ابوا عليك الاجابة فينا فقد بايعنا الله تعالى على الجهاد حتى نقتل عن آخرنا وبالله المستعان فلما كان وقت الظهر من اليوم السابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ما شعر الناس الا وقد ارتفعت اعلام الكفر وصلبانه وشعاره وناره على اسوار البلد وصاح الفرنج صيحة واحدة فعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزن الموحدين وانحصر كلام العقلاء من الناس في انا لله وانا اليه راجعون وغشي الناس بهتة عظيمة وحيرة شديدة ووقع في العسكر الصياح والعويل والبكاء والنحيب ودخل المركيس لعنه الله وقد عاد اليهم من صور بهدايا الى الملوك فدخل في هذا اليوم باربعة اعلام الملوك فنصب واحدا في البلد وواحدا على المئذنة يوم الجمعة وآخر على القلعة وآخر على برج الداوية وآخر على برج القتال عوضا عن اعلام السلطان وحيز المسلمون الذين بها الى ناحية من البلد معتقلين محتاط محصنين عليهم قد اسرت النساء والابناء وغنمت منهم

الاموال وقبيدن الابطال وامتيز الرجال ولكن الحرب سجال والحمد لله على كل حال وامر السلطان
ايده الله الجيش بالتاخر عن هذه المنزلة المضايقة الى التي بعدها وتاخر هو جريدة لينظر ماذا
يصنعون وماذا عليه يعولون وهم لعنهم الله بالاستيلا على البلد مشغولون وبتحصيل الاموال
جملة وتفصيلا مدهوشون ثم سار السلطان الى العسكر وعنده من الحزن والهم ما لا يعلمه
الا الله عز وجل وجانا الملوك الاسلامية والامرا والدولة اليه يعزونه مما وقع ويسلونه عما
عنه الحال انتشى ثم راسل ملوك الفرنج في خلاص من بايديهم من اسارى الاسلام فطلبوا منه
عدتهم من اساراهم ومائة الف دينار وصليب الصلبوت وكان باقيا فارسل المال والصليب
فارسل فاحضر المال والصليب ولم يتهيا له من الاسارى الاستماية اسير فطلبت الفرنج منه
ان يريهم الصليب من بعيد فلما رفع لهم سجدوا له والقوا انفسهم الى الارض وبعثوا يطلبون منه
ما احضره من المال والاسارى والصليب فامتنع الا ان يرسلوا اليه من بايديهم من الاسارى
او يبعثوا اليه رهائن على ذلك فقالوا لا ولكن يرسل ذلك ونرضى بامانتنا ففهم
منهم انهم يريدون الغدر والمكر فلم يرسل ذلك اليهم وامر برد الاسارى الى اهاليهم بدمشق
فلما دبرت الفرنج خيامهم ظاهر البلد احضروا ثلاثة الاف من المسلمين فاوقفوهم
بعد العصر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلوهم في صعيد واحد رحمهم الله واكرم مثواهم
وجعل الجنة منقلبهم ومثواهم ولم يستبقوا بايديهم من الاسارى الا اميرا او سريا او من يرونه
في عملهم قويا او امراة او صبيا وكان ما كان وقضي الامر الذي فيه تستفتيان وكان مدة مقام
السلطان على عكا صابرا مصابرا مرابطا سبعة وثلاثين شهرا وجملة من قتل من الفرنج
خمسون الفا

فصل

فيما جرى من الحوادث بعد اخذ الفرنج لعكا ساروا برمتهم قاصدين عسقلان والسلطان
بجيشه يسايرهم ويعارضهم منزلة منزلة ومرحلة مرحلة والمسلمون يتخطفونهم ويسلبونهم
في كل مكان وكل اسير اتى به السلطان يامر بقتله في ذلك المكان في الاوان وجرت بين الجيشين
وقعات متعددات ثم طلب ملك الانكلتيران يجتمع بالملك العادل اخي السلطان فطلب
منه الصلح والامان على ان يعاد الى اهلها بلاد الساحل فقال له العادل ان دون ذلك
قتل كل فارس منكم وراجل فغضب اللعين ونهض من عنده وهو مصر بعصبه ثم اجتمعت
الفرنج على حرب السلطان عند غابة ارسوف فكانت النصرة للمسلمين والحمد لله رب
العالمين فقتل منهم عند غابة ارسوف الوف بعد الوف وقتل من المسلمين خلق كثير ايضا
وقد كان الجيش انهزم عن السلطان في اول الوقعة ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلا وهو
ثابت صابر والكوس تدق لا تفتر والاعلام منشورة ثم تراجع الناس وكانت النصرة
للمسلمين والكسرة على الكافرين ثم تقدم السلطان بعساكره فنزل ظاهر عسقلان فاشار
ذووا الراي على السلطان بتخريب عسقلان خشية ان يتملكها الكفار ويجعلوها وسيلة
الى اخذ بيت المقدس صانه الله تعالى ويجري عنده من القتال نظير ما كان بعكا فبات
السلطان ليلته تلك متفكرا في ذلك ولما اصبح وقد اوقع الله في قلبه ان ذلك هو
المصلحة قال لمن حضره والله لموت جميع اولادي اهون علي من تخريب حجر واحد منها
ولكن اذا كان هذا فيه مصلحة للمسلمين فلا باس ثم طلب الولاة وامرهم بتخريب البلد

سريعا

سريعا قبل وصول العدو اليه وشرع الناس في خرابه واهله ومن حضره يبكون
على حسنه وخربت قصوره ودوره واسواقه ورحابه وانبعثنا بيه من الغلات التي
لا يمكن تحويلها ولا نقلها ولم يزل الخراب والحريق فيه الى سلخ شعبان من هذه السنة ورحل
منها السلطان في ثاني رمضان وقد تركها قاعا صفصفا ليس فيها محل لاحد ثم
اجتاز بالرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد وزار بيت المقدس وعاد الى المخيم
سريعا يقبل الله منه ثم بعث ملك الانكلتير الى السلطان يقول له ان الامر
تطاول وهلك الفرنج والمسلمون وانما قصدنا ثلاثة اشيا لا سواها رد الصليب
وبلاد السواحل وبيت المقدس لا نرجع عن هذه الثلاث ومنا عين تطرف فارسل اليه
السلطان جواب ذلك اشد جواب واسوا خطاب ثم عزمت الفرنج لعنهم الله على
قصد بيت المقدس فتقدم السلطان بجيشه الى بيت المقدس فنزل به وسكن في دار
القساقسة قريبا من قمامة في ذي القعدة وشرع في تحصينه وتعميق خنادقه وعمل فيه
بنفسه واولاده وامرايه وعملت القضاة والامرا والعلما والصوفية بانفسهم وكان وقتا
مشهودا ولم يزل حول البلد من ناحية الفرنج وفي كل وقت يستظهرون على الفرنج ويقتلون
وياسرون ويغنمون منهم ولله الحمد والمنة وانقضت السنة والامر على ذلك وفي هذه
السنة فيما ذكره العماد الكاتب تولى القاضي محيي الدين محمد بن الزكي قضاء دمشق
وفيها قطع عدي امير مكة داود بن عيسى بن فليته بن هاشم بن محمد بن ابي هاشم الحسني
فاخذ اموال الكعبة حتى انتزع طوقا من فضة كان على دائرة الحجر تدلم شعثه حين
ضربه ذلك القرمطي بالدبوس فلما بلغ خبره من الحجيج حين رجعوا عزله وولى اخاه
مكثرا ونقض القلعة التي كان بناها اخوه على جبل ابي قبيس فاقام داود بنخلة
حتى توفي بها في سنة تسع وثمانين

وممن توفي فيها من الاعيان

الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب كان عزيزا عند عمه السلطان الملك
الناصر صلاح الدين استنابه بمصر وغيرها ثم اقطعه حماه ومدنا كثيرة معها حولها
ومن بلاد الجزيرة وكان مع عمه على عكا ثم استاذنه في الاشراف على بلاده المجاورة للفرات
فلما صار اليها اشتغل بها وامتدت عينه الى اخذ غيرها من ايدي الملوك المجاورين له
فاتفق انه مرض فاتفق موته وهو على ذلك وكان السلطان صلاح الدين قد غضب عليه
بسبب اشتغاله بذلك عنه وحملت جنازته حتى دفن بحماه وله مدرسة هناك هائلة
وكذلك بدمشق مدرسة مشهورة وعليها اوقاف كثيرة مبرورة وقام بالملك من
بعده ولده المنصور ناصر الدين محمد فاقره الملك صلاح الدين على ذلك بعد جهد جهيد
ووعد ووعيد ولولا السلطان الملك العادل ابو بكر يشفع فيه لما استقر في مكان ابيه
ولكن الله سلم وكانت وفاة تقي الدين يوم الجمعة تاسع عشر رمضان من هذه السنة
وكان شجاعا باسلا وهماما فاتكا كريما كاملا رح الامير حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين
وامه ست الشام بنت ايوب واقفة الشاميتين بدمشق في ليلة الجمعة تاسع
عشر رمضان ايضا فتفجع السلطان بابن اخيه وابن اخته في ليلة واحدة وقد كانا له من
اكبر الاعوان واعز الاخوان ودفن حسام الدين في التربة الحسامية وهي التي انشاتها

انه بمحلة العونية وهي الشامية البرانية وفيها توفي الامير علم الدين سليمان بن جندر الحلبي كان من اكابر الدولة الصلاحية وفي خدمة السلطان حيث كان وهو الذي اشار على السلطان بتخريب عسقلان واتفق مرضه في الطريق فاستاذن في ان يمرض بدمشق فاذن له فسار حتى وصل الى غباغب فمات بها في اواخر ذي الحجة وفي رجب توفي الامير الكبير نايب دمشق حرسها الله الصفي بن القابض وقد كان من اكبر اصحاب السلطان قبل ذلك ثم استنابه على دمشق حتى توفي بها في هذه السنة رحمه الله وفي ربيع الاول توفي الطبيب الماهر الحاذق اسعد بن المطران وقد شرف بالاسلام وشكره على طبه الخاص والعام

الخبوشاني

الشيخ نجم الدين الخبوشاني الذي بنى تربة الشافعي بمصر بامر السلطان صلاح الدين واوقف عليها الاوقاف السنية وولاه تدريسها ونظرها وقد كان السلطان يحترمه ويكرمه وقد ذكرته في طبقات الشافعية وما صنفه في المذهب من شرح الوسيط وغيره ولما توفي الخبوشاني طلب التدريس جماعة فشفع الملك العادل عند اخيه في شيخ الشيوخ ابن الحسن محمد بن حمويه فولاه اياها ثم عزل عنها بعد موت السلطان واستمرت عليها ايدي بني السلطان واحدا بعد واحد ثم خلصت بعد ذلك وعادت اليها الفقها والمدرسون

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسماية

استهلت والسلطان صلاح الدين مقيم بالقدس الشريف وقد قسم السور بين اولاده والامرا وهو يعمل فيه بنفسه ويحمل الحجر بين القربوس وبينه والسلطان يقتدون به والعلما والفقرا يعملون بانفسهم والفرنج لعنهم الله حول البلد من ناحية عسقلان وما والاها يتحاشون ان يقربوا من الجيوش الذين للسلطان حول القدس الشريف الا انهم على نية محاصرة القدس مصممون ولكيد الاسلام مجمعون وهم والجيش تارة له يغلبون وتارة به يغلبون وتارة ينهبون وتارة به ينهبون وفي ربيع الاخر دخل الامير سيف الدين بن المشطوب الى السلطان وهو بالقدس من الاسر وكان نايبا على عكا حين اخذت فافتدى نفسه منهم بخمسين الف دينار فاعطاه السلطان شيا كثيرا منها واستنابه على مدينة نابلس فتوفي بها ودفن بها وفي ثالث عشر ربيع الاخر قتل المركيس صاحب صور لعنه الله ارسل اليه ملك الانكلتير اثنين من الفداوية فاظهرا التنصر ولزما الكنيسة حتى ظفرا بالمركيس فقتلاه وقتلا فاستناب بمملكة الانكلتير عليها ابن اخته ملك الكندهر وهو ابن اخت ملك الافرنسيس فهما خالاه لعنهما الله ولما سار الى صور ابتنى بزوجة المركيس بعد موته بليلة واحدة وهي حبلى ايضا وذلك لشدة العداوة التي كانت بين الانكلتير وبينه وقد كان السلطان صلاح الدين يبغضهما ولكنه قد كان صانع المركيس ببعض الشي فلم يهن قتله عليه وفي تاسع جمادى الاولى استولى الفرنج لعنهم الله على قلعة الداروم فخربوها وقتلوا خلقا كثيرا من اهلها واسروا طايفة من ذريتها فانا لله وانا اليه راجعون ثم اقبلوا بخيلهم ورجلهم نحو القدس الشريف فبرز اليهم السلطان في حزب الايمان وهو مشتمل

على الرجالة

على الرجالة والفرسان والابطال والشجعان فلما راى الجمعان نكص حزب الشيطان على عقبيه وانقلبوا راجعين قبل اللقا والنزال وعاد السلطان الى القدس الشريف وقد رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا ثم ان الانكلتير لعنه الله وهو اكبر ملوك الفرنج في ذلك الوقت ظفر ببعض قفول المسلمين فكبسهم ليلا فقتل منهم خلقا كثيرا واسر منهم خمسماية اسير وغنم شيا كثيرا من الاموال والجمال والخيل والبغال فكانت جملة الجمال ثلاثة الاف بعير فتقوى الفرنج بذلك شيا كثيرا وساء ذلك السلطان مساءة عظيمة جدا وخاف من غايلة ذلك واستخلف لانكار الجمالين على الجمال والخربندية على البغال والساسة على الخيل والابل وقد قويت نفسه جدا وصمم على محاصرة القدس الشريف وارسل الى ملوك الفرنج الذين بالساحل فاستحضرهم ومن معهم من المقاتلة فتهيا السلطان كذلك واكمل السور وعمق الخنادق ونصب الالات والمجانيق وامر بتغوير ما حول القدس من المياه واحضر السلطان امراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الاخرة وفيهم ابو الهيجا السمين والمشطوب والاسدية بكمالهم فاستشارهم السلطان فيما دهمهم من الامر العظيم الفظيع الموجع المولم فافاضوا في الكلام واشار العماد الكاتب بان يتحالفوا على الموت عند الصخرة كما كان الصحابة يفعلون فسكت القوم حتى كانما على رووسهم الطير ثم قال الحمد لله والصلاة على رسول الله اعلموا انكم جند الاسلام اليوم ومنعته وانتم تعلمون ان دماء المسلمين واموالهم وذراريهم معلقة في ذممكم وان هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه الا انتم فان لويتم اعنتكم والعياذ بالله طوى البلاد كطي السجل للكتاب وكان ذلك في ذمتكم كانكم انتم الذين تصديتم لهذا كله واكلتم مال بيت مال المسلمين فالمسلمون في ساير البلاد متعلقون بكم والسلام فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك وانت الذي انعمت علينا وكبرتنا وعظمتنا واعطيتنا واغنيتنا وليس لنا الا رقابنا وهي بين يديك والله ما يرجع احد منا عن نصرتك الى ان يموت فقال الجماعة مثل ما قال ففرح السلطان بذلك وطاب قلبه ومد لهم سماطا حافلا وانصرفوا من بين يديه على ذلك ثم بلغه بعد ذلك عن بعض الامرا انه قال انا نخاف ان يجري علينا في هذه البلدة كما جرى على عكا ثم ياخذون بلاد الشام بلدا بلدا والمصلحة انا نلتقيهم بظاهر البلد فان هزمناهم اخذنا بقية بلادهم وان تكن الاخرى سلم الله العسكر ومضى القدس وقد انحفظت بلاد الاسلام بدون القدس مدة طويلة وكان مما بعثوا يقولون وان كنت تريد ان نقيم بالقدس تحت حصر الفرنج فكن انت معنا او بعض اهلك حتى يكون الجيش تحت امره فان الاكراد لا يطيعون الترك والترك لا تطيع الاكراد فلما بلغه ذلك شق عليه مشقة عظيمة وبات ليلته اجمع مهموما كئيبا يتفكر فيما قالوا ثم انجلى الامر واتفق الحال على ان يكون الملك الامجد صاحب بعلبك مقيما عندهم نايبا عنه بالقدس الشريف وكان ذلك نهار الجمعة فلما حضر الى صلاة الجمعة واذن المؤذن للظهر قام فصلى ركعتين بين الاذانين وسجد وابتهل الى الله تعالى ابتهالا عظيما وتضرع لديه وتمسكن وسال فيما بينه وبينه كشف هذه الضايقة العظيمة فلما كان يوم السبت من غد ما جاءت الكتب من الحرس حول البلد بان الفرنج اختلفوا فيما بينهم في محاصرة القدس فقال ملك الافرنسيس

انا جينا من البلاد البعيدة وانفقنا الاموال العديدة في تخليص بيت المقدس وردّه
الينا وقد بقي بيننا وبينه مرحلة فقال له الانكتار ان هذا البلد يشق علينا حصاره
لان المياه حوله قد عدمت ومتى بعثنا من ياتينا بالماء تعطل امر الحصار وتلف الجيش
ثم اتفق الحال بينهم على ان حكموا عليهم ثلثماية منهم فرد اوليك امرهم الى اثني عشر ورد اوليك
امرهم الى ثلاثة منهم فباتوا ليلتهم ينظرون ثم اصبحوا وقد حكموا عليهم بالرحيل
فلم يمكنهم مخالفتهم فتنحوا راجعين لعنهم الله اجمعين فساروا حتى نزلوا على الرملة وقد
طالت عليهم الغربة والرملة وذلك في بكرة الحادي والعشرين من جمادى الاخرة وقد آبوا
بالصفقة الخاسرة والخيبة في الدنيا والخزي في الاخرة وبرز السلطان بجيشه
الى خارج البلد وسار خوفهم خوفا منه على ان يسيروا الى الديار المصرية لكثرة ما معهم
من الظهر والاموال وكان الانكتار يلح بذلك كثيرا لخذلهم الله عن ذلك وترددت
الرسل من الانكتار الى السلطان في طلب الصلح ووضع الحرب بينهم ثلاث سنين وستة
اشهر على ان يعيد اليهم السلطان عسقلان ويهب له اكثر كنيسة ببيت المقدس وهي
القمامة وان يمكن الزوار من النصارى والحجاج اليها بلا شي فامتنع السلطان من اعادة
عسقلان واطلق لهم قمامة وفرض على الزوار ما يوخذ من كل منهم فامتنع الانكتار
الا ان تعاد اليهم عسقلان ويعمر سورها كما كان وصمم على عدم الاجابة صلاح الدين السلطان
ثم ركب السلطان في جيشه الوهرم حتى وافى يافا فحاصرها حصارا شديدا فافتتحها
وغنم جيشه منها شيا كثيرا وامتنعت القلعة فبالغ في امرها حتى همت ولانت
ودانت وكادوا ان يبعثوا اليه باقاليدها ويأخذوا الامان لكبيرها وكبيرها اذا
شرفت عليهم مراكب الانكتار على وجه البحر الزخار فقويت نفوسهم واستصعبت نفوسهم
وهجم اللعين فاعاد البلد اليه وقتل من تاخر بها من المسلمين صبرا بين يديه وتقهقر
السلطان من منزلة الحصار لما راي ما خوفا على الجيش من معرة الفرنج ورعاعها فجعل
الانكتار يتعجب من شدة سطوة السلطان كيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين
وغيره لا يمكنه فتحه في عامين ويقول مع ذلك ولكن ما ظننت انه مع شهامته وصرامته
يتاخر من منزلته بمجرد قدومي وانا ومن معي لم نخرج من البحر الا جرايد بلا سلاح القتال
ولا امتنع اللعين من الالحاح في طلب الصلح على ان تكون عسقلان داخلة في صلحهم فامتنع
السلطان من ذلك اشد الامتناع ثم ان السلطان كبس في بعض تلك الليالي
الانكتار وهو في سبعة عشر فارسا وقليل من الرجالة فركب السلطان بجيشه حوله
وحصره حصرا لم يبق له منه نجاة لو صمم معه الجيش ولكنهم نكلوا كلهم عن الحملة فلا قوة
الا بالله وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض فكلهم يمتنع كما يمتنع من شرب الدوا
المريض هذا والانكتار لعنه الله قد ركب فما صحابه واخذ عدة قنا له وجرابه واستعرض
الميمنة من اولها الى اخر الميسرة فلم يتقدم اليه منهم احد من الفرسان ولا نهض نحو جهته
بطل من الشجعان فعند ذلك كر السلطان راجعا وقد احزنه انه لم ير من الجيش
مطيعا له ولا سامعا فانا لله وانا اليه راجعون ثم حصل للانكتار بعد ذلك مرض شديد
وبعث الى السلطان يطلب منه فاكهة وثلجا فامده بذلك السلطان من باب الفتوة
والاحسان واظهار القوة والامتنان ثم عوفي لعنه الله وتكررت الرسل منه يطلب

من السلطان

من السلطان المصالحة وذلك لكثرة شوقه الى بلاده وتوقيفه الى ملاذه وطاوع السلطان
على ما يقوله ونزل عن طلب عسقلان ورضي بما يرسم به السلطان فكتب كتاب الصلح
على ما رسم به السلطان في ثامن عشر شعبان واكدت العهود والمواثيق من كل
ملك من ملوكهم واستحلف وحلف وحلف الامرا من المسلمين وكتبوا خطوطهم
واكتفي من السلطان بالقول المجرد كما جرت به عادة السلاطين وفرح كل من الفريقين
فرحا كثيرا واظهروا السرور وانعقدت الهدنة على وضع الحرب ثلاث سنين وستة اشهر
وعلى ان يقر ما بايديهم من البلاد الساحلية وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية
وما بينهما من المعاملات بينهما على المناصفة وارسل السلطان ماية نقاب صحبة
امير لتخريب سور عسقلان واخراج من بها من الفرنج والالمان وعاد السلطان
الى القدس الشريف فتفقد احواله واطد بناه وسدد اموره واكرم من زاد وتفقد المدرسة
سوقا بدكاكينها وارضا ببساتينها وزاد وقف الصوفية ايضا وعزم على ان يحج عامه
ذلك فكتب الى الحجاز واليمن والديار المصرية والشامية ليعلموا بذلك ويتأهبوا له
فكتب اليه القاضي الفاضل ينهاه عن ذلك خوفا على البلاد من استيلاء الفرنج عليها
ومن كثرة المظالم بها والفساد ويذكر له ان النظر في احوال المسلمين واصلاح امرهم
الذي قد تداعا الى الفساد وسد ثغورهم ومصابرة عدوهم في هذا الوقت افضل لك
مما عزمت عليه عامك هذا والعدو المخذول مخيم بعد بالشام لم يقلع منه مركب الى
بلادهم وانت تعلم انهم انما يهادنون ليتقووا ويكثروا ثم يمكرون ويغدرون فسمع السلطان
منه وله شكر نصحه وقبله وعزم على ترك الحج عامه ذلك وكتب به الى ساير الممالك واستمر
السلطان مقيما بالقدس جميع شهر رمضان في صيام وصلاة وقربات وكلما وفد احد
من رؤساء النصارى للزيارة اولاه غاية الاكرام والاحسان تاليفا لقلوبهم وتاكيدا
لما حلفوه من الايمان ورغبة ان يدخل في قلوبهم شي من الايمان ولم يبق احد من ملوكهم
الا جاء للزيارة القمامة متنكرا ويحضر سماط السلطان فيمن يحضر من جمهورهم بحيث
لا يراه السلطان يعلم ذلك جملة لا تفصيلا ولهذا يعاملهم بالاكرام ويريهم صفحا
جميلا وبرا جزيلا وظلا ظليلا فلما كان خامس شوال ركب في عساكره وتحا قافلا
من القدس الشريف قاصدا دمشق المحروسة واستناب عليها عز الدين جرديك وعلى
قضايها بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الشافعي فاجتاز على وادي الجيب وبات
على بركة الداوية ثم صبح نابلس فنظر في احوالها وامورها ثم ترحل منها فجعل
يمر بالمعاقل والحصون والبلدان للنظر في الاحوال والاموال وكشف المظالم
والمحارم والماثم وترتيب المكارم وفي اثناء الطريق جاء الى خدمته ابرنس انطاكية
سامعا مطيعا فاكرمه واحسن اليه واطلق له اموالا جزيلة وخلعا جميلة وكان
العماد الكاتب في صحبته فاخبر عن منازله منزلة منزلة ومرحلة مرحلة الى ان قال
وعبرنا يوم الاثنين عن الحر الحرج ببوسر وقد زال البوس وهنالك توافد اعيان دمشق
واماثلها وافاضلها وفرا منها ونزلنا يوم الثلثا على العادة وجرى المتلقون
بالطرف والتحف على العادة واصبحنا يوم الاربعا سادس عشر بكرة الى جنة
دمشق داخلين بسلام امنين لولا اننا عبرنا خالدين وكانت غيبة السلطان

عنها اربع سنين فاخرجت دمشق اثقالها وابرزت نساءها ورجالها وكان يوم الزينة وخرج كل من في المدينة وحشر الناس ضحى واشاعوا استبشارا وفرحا واجتمع بالاولاد الكبار والصغار وقدم عليه رسل الملوك من سائر الامصار واقام بقية عامه في اقتناص الصيد وحضور دار العدل للفصل والعمل بالاحسان والفضل ولما كان عيد الاضحى امتدحه بعض الشعراء بقصيدة يقول فيها

وابيها لولا تغزل عينيها • لما قلت في التغزل شعرا
ولكانت مدائح الملك الناصر • اولى ما فيه اعمل فكرا
ملك طبق الممالك عدلا • مثلما اوسع البرية برا
فتمل الاعياد صوما وفطرا • وتلق الهنا عسرا وبحرا
يا مسير الطاعات لله اضحى • مليك على الهناة مصرا
نلت ما تبتغي من الدنيا فنبها • فنبها على الملوك وفخرا
وجمعت المجد بين الصلاة وغزا • وملكت الدارين دنيا واخرى

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين السبكتكيني وبين الهنود الذين كانوا كسروه في سنة ثلاث وثمانين فاظفره الله بهم في هذه السنة فكسرهم وقتل خلقا منهم واسرهم وكان من جملة من اسر ملكهم الاعظم وثمانية عشر فيلا من جملتها الذي كان جرحه فاحضر الملك بين يديه فاهانه ولم يكرمه واستحوذ على اجبير عما كان فيه من جليل وحقير ثم قتله بعد ذلك وعاد مؤيدا منصورا مسرورا وجبورا وفي هذه السنة اتهم امير الحجيج ببغداد وهو طاشتكين وقد كان سارة امرة الحجيج من مدة عشرين سنين في غاية حسن السيرة بانه يكاتب صلاح الدين بن ايوب بالقدوم الى العراق ليأخذها فانه ليس يرده احد وقد كان مكذوبا عليه في ذلك ومع هذا حبس واهين وصودر

فصل وممن توفي فيها من الاعيان

القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراش كان قاضي العساكر بدمشق ويرسله السلطان في الرسالات الى ملوك الآفاق توفي بملطية عائدا من بني قليج والامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب كان من اصحاب اسد الدين شيركوه حضر معه الوقعات الثلاث بديار مصر ثم صار من اكابر امراء صلاح الدين وهو الذي كان على نيابة عكا حين اخذها الفرنج فافتدى نفسه منهم بخمسين الف دينار وتخلص الى ان خلص الى السلطان وهو بالقدس الشريف فولاه نيابة نابلس وكانت وفاته يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال بالقدس الشريف ودفن في داره وممن توفي فيها صاحب بلاد الروم عز الدين قليج ارسلان بن مسعود بن قليج بن ارسلان وكان قد قسم جميع بلاده بين اولاده طمعا في طاعتهم له فخالفوه وتجبروا وعتوا وانخفض قدره حتى ان نفعوا ولم يزل كذلك حتى توفي عامه ذلك وفي ربيع الاخر توفي الاديب الشاعر ابو المرهف نصر بن منصور النميري سمع الحديث واشتغل بالادب وكان قد اصابه جدري وهو ابن اربع عشرة سنة فنقص بصره جدا وكان لا يبصر الاشياء البعيدة ويرى القريبة منه ولكنه لا يحتاج الى قائد فارتحل الى العراق لمداواة عينيه فايسه الاطباء من ذلك

فاشتغل

فاشتغل بحفظ القران ومصاحبة الصالحين والزهاد فافلح وله ديوان شعر كثير حسن وقد سئل مرة عن مذهبه واعتقاده فانشا يقول

احب عليا والبتول وولدها • ولا اجحد الشيخين فضل التقدم
وابرا ممن نال عثمان بالاذى • كما انبرا من ولاء ابن ملجم
ويعجبني اهل الحديث لصدقهم • فلست الى قوم سواهم بمنتمي

وكانت وفاته ببغداد ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب رحمه الله

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وفاة الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله

استهلت هذه السنة وهو في غاية الصحة والسلامة وخرج هو واخوه العادل ابو بكر الى الصيد شرقي دمشق وقد اتفق الحال بينه وبين اخيه انه بعدما يفرغ من امر الفرنج هذه المدة يسير هو الى بلاد الروم ويبعث اخاه العادل الى بغداد فاذا فرغا من شانهما سارا جميعا الى بلاد اذربيجان بلاد العجم فانه ليس دونها احد يمانع عنها ولا يصدهم عنها فلما قدم الحجيج من الحجاز الشريف في يوم الاثنين حادي عشر صفر خرج لتلقيهم وقدم معهم ولد اخيه سيف الاسلام صاحب اليمن فاكرمه واحترمه وعاد الى القلعة المنصورة فدخلها من باب الحديد فكان ذلك اخر ما ركب في هذه الدنيا وذلك انه اعتراه حمى صفراوية ليلة السبت سادس عشر صفر فلما اصبح دخل عليه القاضي الفاضل وابن شداد وابنه الافضل فاخذ يشكوا اليهم كثرة قلقه البارحة وطاب له الحديث وطال مجلسهم عنده ثم تزايد به المرض واستمر وفصده الاطباء في اليوم الرابع فاعتراه يبس وحصل له عرق شديد بحيث نفذ الى الارض ثم قوي اليبس ايضا فاحضر الامراء الاكابر والرؤسا فبويع لولده الافضل نور الدين علي وكان نايبا على ملك دمشق وذلك عندما ظهرت مخايل الضعف الشديد وغيبوبة الذهن في بعض الاوقات وكان الذين يدخلون عليه في هذه الحال القاضي الفاضل وابن شداد وقاضي البلد ابن الزكي ثم اشتد الحال ليلة الاربعاء السابع والعشرين من صفر واستدعى الشيخ ابو جعفر امام الكلاسة ليبيت عنده يقرا القران ويلقنه الشهادة اذا جد به الامر فذكر انه كان يقرا عنده وهو في الغمرات فقرا هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة فقال وهو كذلك صحيح فلما اذن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو باخر رمق فلما قرا القارئ لا اله الا هو عليه توكلت تبسم وتهلل وجهه وسلمها الى ربه عز وجل ومات رحمه الله واكرم مثواه وجعل جنات الفردوس ماواه وكان له من العمر سبع وخمسون سنة لانه ولد بتكريت في شهور سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة فلقد كان ردءا للاسلام وحرزا وكهفا من كيد الكفرة اللئام وكان اهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه وود كل منهم لو فداه باولاده واحبابه واصحابه وقد غلقت الاسواق واحتفظ على الحواصل واخذوا في تجهيزه وغسله وحضر جميع اولاده واهله ويعز عليهم ان ياتوا بمثله وكان الذي تولى غسله خطيب البلد الفقيه الدولعي وكان الذي احضر الكفن ومؤنة التجهيز القاضي الفاضل هذا واولاده الكبار

والصغار يبرزون ويبادرون ويبكون والناس في العويل والانتحاب والابتهال وابرز نعشه في تابوت بعد صلاة الظهر وام الناس عليه القاضي ابن الزكي ثم دفن في داره بالقلعة المنصورة وشرع ابنه في بناء تربة له ومدرسة للشافعية بالقرب من مسجد القدم لوصيته بذلك قديما فلم يكمل بناؤها ولم تتم وذلك حين قدم العزيز محاصر الاخ الافضل كما سيأتي في بيانه في سنة تسعين ثم اشترى له الافضل دارا شمالي الكلاسة في وزان ما زاده القاضي الفاضل في الكلاسة فجعلها له تربة مطلة سحايب الرحمة عليها ووصلنا الطاف الرافة اليها وكان نقله اليها في يوم عاشورا سنة اثنين وتسعين وصلى عليه تحت النسر قاضي القضاة محمد بن علي القرشي ابن الزكي عن اذن الافضل له ودخل في لحده ولده الافضل فدفنه بنفسه وهو سلطان الشام وذلك لما له عليه من الحق والخدمة والاكرام ويقال انه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد والجلاد وذلك عن امر القاضي الفاضل احد الاجواد والامجاد وتفالوا بانه يكون معه يوم القيمة يتوكا عليه حتى يدخل به الجنة لما انعم به عليه من كسر الاعداء ونصر الاولياء واعظم عليه بذلك المنة ثم عمل عزاوه في الجامع الاموي ثلاثة ايام يحضره الخواص والعوام والرعية والحكام وقد عمل الشعرا فيه مراثي كثيرة ومن احسنها ما عمله العماد الكاتب في اخر كتابه البرق الشامي وهي مايتان وثلثون بيتا واثنان وقد سردها الشيخ شهاب الدين في الروضتين فمنها قوله في اولها

شمل الهدى والملك عم شتاته ... والدهر ساء واقلعت حسناته
اين الذي مذ لم يزل مخشية ... مرجوة رهباته وهباته
اين الذي كانت له طاعاتنا ... مبذولة ولربه طاعاته
بالله اين الناصر الملك الذي ... لله خالصة صفت نياته
اين الذي ما زال سلطانا لنا ... يرجى نداه ويتقى سطواته
اين الذي شرف الزمان بفضله ... وسمت على الفضلا تشريفاته
اين الذي علت الفرنج لباسه ... ذلا ومنها ادركت ثاراته
اغلال اعناق العدى اسيافه ... اطواق اجياد الورى مناته

وللعماد الكاتب في الملك الناصر يرثيه

من للعلا من للذرى من للهدى ... يحميه من للباس من للنايل
طلب البقا لملكه في اجل ... اذ لم يثق ببقاء ملك العاجل
بحر اعاد البر بحرا بره ... وبسيفه فتحت بلاد الساحل
من كان اهل الحق في ايامه ... وبعزه يردون اهل الباطل
وفتوحه والقدس من ابكارها ... ابقت له فضلا بغير مساجل
ما كنت استسقي لقبرك وابلا ... ورايت جودك مخجلا للوابل
فسقاك رضوان الاله لانني ... لا ارتضي سقيا الغمام الهاطل

قال العماد وغيره لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم واحد صوريا وستة وثلثين درهما وقال غيره سبعة واربعين درهما ولم يترك دارا ولا عقارا ولا مزرعة ولا بستانا ولا شيا من انواع الاملاك وخلف من الاولاد سبعة عشر ذكرا

وابنة

وابنة واحدة وتوفي له في حياته غيرهم والذين تاخروا بعده سبعة عشر ذكرا اكبرهم الملك الافضل نور الدين علي ولد بمصر سنة خمس وستين ليلة عيد الفطر ثم العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان ولد بمصر ايضا في جمادى الاولى سنة سبع وستين ثم الظافر مظفر الدين ابو العباس الخضر ولد بمصر في شعبان سنة ثمان وستين وهو شقيق الافضل ثم الظاهر غياث الدين ابو منصور غازي ولد بمصر في نصف رمضان سنة ثمان وستين ثم المعز فتح الدين ابو يعقوب وهو شقيق العزيز ثم الاعز شرف الدين ابو يوسف يعقوب بمصر سنة اثنين وسبعين وهو شقيق العزيز ايضا ثم الزاهر مجير الدين ابو سليمان داود بمصر سنة ثلاث وسبعين وهو شقيق الظاهر ثم المفضل قطب الدين موسى وهو شقيق الافضل ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين ثم بعث بالمظفر ثم الاشرف عز الدين ابو عبد الله محمد ولد بالشام سنة خمس وسبعين ثم المحسن ظهير الدين ابو العباس احمد ولد سنة سبع وسبعين وهو شقيق الذي قبله ثم المعظم فخر الدين ابو منصور تورانشاه ولد بمصر في ربيع الاول سنة سبع وسبعين وتاخرت وفاته الى سنة ثمان وخمسين وستماية ثم الجواد ركن الدولة ابو سعيد ايوب سنة ثمان وسبعين وهو شقيق المعظم ثم المنصور ابو بكر اخو المعظم لابويه ولد بحران بعد وفاة السلطان وعماد الدين شاذي لام ولد ونصرة الدين مروان لام ولد ايضا واما البنت فهي مونسة ايضا خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب رحمهم الله واعلم انه لم يخلف اموالا ولا املاكا لكثرة عطاياته وهباته وصدقاته واحسانه الى امرايه ووزرايه واوليايه حتى الى اعدايه وقد اسلفنا ما يدل على كثير من ذلك وقد كان مسرعا في ملبسه وماكله ومشربه ومركبه فلا يلبس الا الكتان والقطن والصوف ولا يعرف انه تخطى مكروها بعد ان انعم الله عليه بالملك بل كان همه الاكبر ومقصوده الاعظم نصر الاسلام وكسر الاعدا اللئام ويعمل فكره في ذلك ورايه وحده ومع من يثق برايه ليلا ونهارا وسرا وجهارا هذا مع ما لديه من الفضايل والفواضل والفوايد الزوايد في اللغة والادب وايام الناس حتى قيل انه كان يحفظ الحماسة بتمامها وحفظها وكان مواظبا على الصلوات في اوقاتها في جماعة يقال انه لم تفته الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل حتى في مرض موته كان يدخل الامام فيصلي به ويتجشم القيام مع ضعفه وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمناظرة ويشارك في ذلك مشاركة قريبة حسنة وان لم يكن بالعبارة المصطلح عليها وكان قد جمع له القطب النيسابوري عقيدة فكان يحفظها ويحفظها من عقل من اولاده وكان يحب سماع القران العظيم ويواظب على سماع الحديث حتى انه سمع في بعض المصاف جزءا وهو بين الصفين ويتبجح بذلك ويقول هذا موقف لم يسمع فيه احد حديثا وكان ذلك باشارة العماد الكاتب وكان رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث كثير التعظيم لشعائر الدين وكان قد لجا الى ولده الظاهر وهو بحلب شاب يقال له الشهاب السهروردي وكان يعرف الكيميا والسيميا وشيا من الشعبذة والابواب النيرنجيات فافتتن به ولده

وتزيد واحدة خالف غيبة جملة السرع فكتب ليران يقتله لا محالة فصلبه ولده عن امر والده وشهره ويقال انه حبسه بين حيطين حتى مات كمدا وذلك في سنة ست وثمانين وكان السلطان صلاح الدين رح من اشجع الناس واقواهم بدنا وقلبا مع ما كان يعتريه من الامراض والاسقام ولا سيما وهو مرابط مصابر شاغر عند عكا فانهم كانوا كلما كثرت جموعهم وترادفت امدادهم لا يزيده ذلك الا قوة وشهامة وقد بلغت جموعهم خمسمائة الف مقاتل ويقال ستمائة الف وكان جملة من قتل منهم مائة الف مقاتل فلما انفصل الحال وتسلموا عكا وقتلوا اكثر من كان بها ساروا برمتهم نحو بيت المقدس يحجل بساحلهم منزلة منزلة ومرحلة مرحلة وجيوشهم اضعاف اضعاف من معه ومع هذا نصره الله وخذلهم وايده وقتلهم وسبقهم الى البيت المقدس فصانه وحماه وشيد بنيانه واكد اركانه وصان حماه ولم يزل بجيشه مقيما به يرهبهم ويرعبهم ويغلبهم ويسلبهم ويكسرهم وياسرهم حتى تضرعوا اليه وخضعوا لديه ودخلوا عليه ان يصالحهم ويتاركهم وتضع الحرب اوزارها بينهم وبينه فاجابهم الى ما سالوا على الوجه الذي اراده لا ما يريدون وكان ذلك من جملة الرحمة التي خص بها المومنون فانه ما انقضت تلك السنون حتى ملك البلاد اخوه ابو بكر العادل فعز به المسلمون وذل به الكافرون وكان رحمه الله سخيا كريما حليما حييا ضحوك الوجه كثير البشر لا يتضجر من خير يفعله شديد المصابرة والمثابرة على الخيرات والطاعات رحمه الله واسكنه الجنات

كان السلطان الملك الناصر صلاح الدين رح تعالى قد قسم البلاد بين الاولاد فالديار المصرية لولده العزيز عماد الدين عثمان ابي الفتح وبلاد دمشق وما حولها لولده الافضل نور الدين علي وهو اكبر اولاده والمملكة الحلبية لولده الظاهر غازي غياث الدين ولاخيه العادل الكرك والشوبك وبلاد جعفر وبلدان كثيرة قاطع الفرات وحماه ومعاملة اخرى معها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن اخي السلطان وحمص والرحبة وغيرها لاسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد ابن اسد الدين شيركوه الكبير عم صلاح الدين اخي ابيه نجم الدين ايوب رحمهم الله واليمن بمعاقله ومخاليفه جميعه في قبضة السلطان ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخي السلطان صلاح الدين وبعلبك واعمالها للامجد بهرام شاه ابن فرخشاه وبصرى واعمالها للظافر بن الناصر ثم شرعت الامور تضطرب وتختلف ويتفاقم الحال في جميع هذه الاحوال حتى آل الامر الى ان البلاد واستوثقت الممالك واجتمعت الكلمة على اخي السلطان الملك العادل وصارت المملكة في اولاده الاماجد الافاضل كما سنوضحه ان شاء الله تعالى وفي هذه السنة جدد الخليفة الناصر لدين الله خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد ونقل اليها الوفا من الكتب الحسنة المثمنة وجرت ببغداد في المحرم من هذه السنة كائنة غريبة وهي ان ابنة لرجل من التجار في الطحين تعشقت لغلام ابيها فلما علم ابوها بامرهما طرده من داره فواعدته البنت ذات ليلة فجاء مختفيا فتركته في بعض

الدار

الدار ونزل في اثناء الليل فقتل اباها مولاه وامرته الجارية بقتل امها فقتلها وهي حبلى واعطته الجارية حليا بقيمة الفي دينار فاصبح امره عند الشرطة فمسك وقتل فنجاه الله واياها وقد كان سيده من خيار الناس واكثرهم صدقة وبرا سنا باوضى الوجه رحمه الله وفيها درس بالمدرسة الجديدة عند قبر معروف الكرخي الشيخ ابو علي النوماني وحضر عنده الفقهاء والاعيان وعمل بها دعوة حافلة

ومن توفي فيها من الاعيان

السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي وقد تقدم ذلك مبسوطا والامير بكتمر صاحب خلاط قتل في هذه السنة وكان من خيار الملوك واشجعهم واكرمهم واحسنهم سيرة رح الاتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل نحوا من ثلاث عشرة سنة وكان من خيار الملوك واحسنهم سيرة تشبه بالملك العادل نور الدين عمه رحمهما الله ودفن بتربته عند مدرسة انشاها بالموصل اثابه الله تعالى جعفر بن محمد بن قطرال ابو الحسن احد الكتاب بالعراق وكان كان ينسب الى التشيع وهذا كثير في اهل تلك البلاد لا كثر الله في المسلمين امثالهم ولا اشكالهم جاءه رجل ذات يوم فقال له رايت البارحة امير المومنين علي وهو يقول لي اذهب الى ابن قطرال فقل له يعطيك عشرة دنانير فقال له ابن قطرال متى رايته قال اول الليل قال صدقت انا رايته في اخره وقال لي اذا جاءك رجل من صفته كذا وكذا فطلب منك شيئا فلا تعطه فادبر الرجل موليا فاستدعاه ووهبه شيئا ومن شعره فيما اورده ابن الساعي وقد تقدمت لغيره

ولما سبرت الناس اطلب منهم • اخا ثقة عند اعتراض الشدائد •
وفكرت في يومي سروري وشدتي • وناديت في الاحياء هل من مساعد •
فلم ار فيما ساءني غير شامت • ولم ار فيما سرني غير حاسد •

يحيى بن سعيد بن باري ابو العباس البصري صاحب المقامات كان شاعرا اديبا فاضلا بليغا له اليد الطولى في اللغة والنظم ومن شعره قوله

عنا خودي بنساب لطفا • بلا عناء في كل اذن •
ما ردة قط باب سمع • ولا اتى زائرا باذن •

الست زبيدة بنت الامام المقتفي بامر الله اخت المستنجد وعمة المستضيء كانت قد عمرت دهرا طويلا ولها صدقات كثيرة دارة وقد تزوجها في وقت السلطان مسعود على صداق مائة الف دينار فتوفي قبل ان يدخل بها وقد كانت كارهة لذلك فحصل مقصودها • الشيخة فاطمة خاتون بنت محمد ابن الحسن الحمد كانت من الحنابلة زاهدة عمرت مائة سنة وست سنين وكان قد تزوجها في وقت امير الجيوش بطر ابي بكر فبقيت عنده الى ان توفي ولم تتزوج بعده بل اشتغلت بذكر الله والعبادة رحمها الله تعالى وفي هذه السنة انفذ الخليفة الناصر لدين الله العباسي الى الشيخ ابي الفرج بن الجوزي يطلب منه ان يزيد على ابيات عدي بن زيد المشهورة ابياتا سبعا من الاشعار

ولو بلغ ذلك عشر مجلدات وهي هذه

أيها الشامت المعير بالدهر ... أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيام ... بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ذا ... عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنو ... شروان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك ... الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ ... دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا ... فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فزال ... الملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ ... أشرف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك ... والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال فما ... غبطة حي إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والإمة ... وارتهم هناك قبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جف ... فألوت به الصبا والدبور
غير أن الأيام تخشن بالمرء ... وفيها العزاء والميسور

ثم دخلت سنة تسعين وسبعمائة

لما استقر الملك الأفضل بن صلاح الدين مكان أبيه في مملكة دمشق بعث بهدايا سنية فيها تحف شريفة إلى باب الخلافة فمن ذلك سلاح أبيه وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزاة وأشيا كثيرة منها صليب الصلبوت الذي استلبه أبوه يوم حطين من الفرنج وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلا وهو مرصع بالجواهر الثمينة وأربع جوار من بنات ملوك الفرنج وأنشأ له العماد الكاتب كتابا حافلا كاملا فاضلا يذكر فيه التعزية بأبيه والسؤال من الخليفة أن يكون في مملكته من بعده فأجيب إلى ذلك ولما كان شهر جمادى قدم العزيز إلى دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل فخيم على الكسوة يوم السبت سادس جمادى وحاصر البلد فما نفعه أخوه ولا نفعه وقطعت الأنهار ونهبت الثمار ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم العادل فأصلح بين الأخوين ورد الأمر إلى الألفة بعد التباين على أن يكون للعزيز المقدس وما جاوره من فلسطين من ناحيته أيضا وعلى أن يكون جبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب وأن يكون للعادل إقطاعه الأول ببلاد مصر مضافا إلى ما بيده من مملكة الكرك والشوبك وبلاد الجزيرة كحران والرها وجعبر وما جاور تلك النواحي فاتفق الحال على ذلك وتزوج العزيز بابنة عمه العادل ومرض ثم عوفي وهو مخيم بمرج الصفر وخرجت الملوك لتهنئته بالعافية والتزويج والصلح ثم كر راجعا إلى بلاده بعدما طال شوقه إلى أهله وأولاده وكان الأفضل قد أساء التدبير والسيرة فأبعد أمراء أبيه وخواصه وقرب الأجانب وأقبل على شرب المسكر واللهو واللعب واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري وهو الذي كان يحدوه على ذلك فتلف واللعنة وزالت النعمة عنهما كما سيأتي بيانه وفي هذه السنة كانت وقعة

عظيمة

عظيمة بين شهاب الدين ملك غزنة وبين الهند من الكفار وكانوا في ألف ألف مقاتل ومعهم سبعمائة فيل منها فيل أبيض لم ير مثله فانهزمهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له اللاحون وقتل ملكهم واستحوذ على حواصلهم وفيلتهم ودخل بلد الملك فحمل من خزائنه على ألف وأربعمائة جمل ثم عاد سالما منصورا إلى غزنة وفيها ملك السلطان خوارزم شاه تكش ويقال له ابن الأصباغي بلاد الري وغيرها واصطلح مع السلطان طغرل السلجوقي وكان قد تسلم الري وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه وعظم شأنه ثم التقى هو والسلطان طغرل في ربيع الأول من هذه السنة فقتل السلطان طغرل وأرسل رأسه إلى الخليفة فنصب رأسه على باب النوبي عدة أيام وأرسل الخليفة الخلع والتقليد إلى السلطان خوارزم شاه وملك همذان وغيرها من البلاد المتسعة وفيها نقم الخليفة على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي فغضب عليه ونفاه إلى واسط فمكث خمسة أيام لم يستطعم بطعام وأقام بها خمسة أيام أعوام يخدم نفسه ويستقي من بئر عميقة لنفسه الماء وكان شيخا كبيرا قد بلغ الثمانين عاما وكان يتلو في كل يوم وليلة ختمة قال ولم أقرأ فيها سورة يوسف لوجدي على ولدي يوسف ثم فرج الله عنه كما سيأتي بيانه

ومن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن إسماعيل أبو الخير القزويني الشافعي المفسر قدم بغداد ووعظ بالنظامية وكان يذهب إلى قول الأشعري في الأصول وجلس في يوم عاشورا فقيل له العن يزيد بن معاوية فقال ذاك إمام مجتهد فرماه الناس بالآجر فاختفى ثم هرب إلى قزوين

الشاطبي ناظم الشاطبية

أبو محمد القاسم بن فيره بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير مصنف الشاطبية في القراءات فلم يسبق إليها ولا يلحق فيها وفيها من الرموز كنوز لا يهتدي إليها إلا كل ناقد بصير هذا مع أنه ضرير ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة بلدة شرقي الأندلس وكان فقيرا وقد أريد على أن يلي الخطابة ببلده فامتنع لما بالغ الخطباء في وصف الملوك وخرج إلى الحج فقدم إسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وسمع على السلفي الحافظ وولاه القاضي الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته وزار القدس الشريف وصام به شهر رمضان ثم رجع إلى القاهرة وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة بالقاهرة ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الفاضلية وكان دينا خاشعا ناسكا كثير الوقار لا يتكلم فيما لا يعنيه وكان يتمثل كثيرا بهذه الأبيات وهي لغز في النعش وهي لغيره

أتعرف شيئا في السماء نظيره ... إذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا ... وكل أمير يعتليه أسير
يحث على التقوى ويكره قربه ... وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة في زيارة ... ولكن على رغم المزور يزور

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

وقعة الزلاقة بالاندلس في شعبان منها كانت وقعة عظيمة ببلاد الاندلس شمالي قرطبة
بمرج الحديد وذلك ان الفنش ملك الفرنج بالاندلس ومقره بمدينة طليطلة كتب الى
الامير يعقوب بن يوسف بن عبد المومن ملك المغرب سرا العدوة يستنصره ويستحثه
ويستدعيه الى قتاله في كلام طويل يتضمن تانيب وتهديد ووعيد فكتب السلطان يعقوب
على راس الكتاب ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
ثم سار من فوره بجنوده وعساكره حتى قطع الزقاق الى الاندلس فالتقوا بالمكان المتقدم
ذكره فكانت الدايرة اولا على المسلمين فقتل منهم عشرون الفا ثم كانت اخرا على الكافرين
فهزمهم الله وكسرهم اقبح هزيمة واشنعها فقتل منهم مائة الف وثلاثة واربعون الفا
واسر منهم ثلاثة عشر الفا وغنم المسلمون منه شيا كثيرا من ذلك مائة الف خيمة وثلاثة
واربعون الفا ومن الخيل ستة واربعون الفا ومن البغال مائة الف ومن الحمير مثلها ومن
السلاح التام سبعون الفا وملك عليهم شيا كثيرا من حصونهم وحاصر مدينتهم طليطلة
مدة ثم لم يفتحها فانفصل عنها ولما انهزم الفنش حلق راسه ولحيته ونكس صليبه
وركب حمارا وحلف لا يركب فرسا ولا يتلذذ بمطعم حتى ينصره النصرانية وجمع من الجنود
ما لا يعلمه الا الله فاستعد له السلطان يعقوب والتقيا فاقتتلا قتالا عظيما
فانهزم الفرنج اقبح من هزيمتهم الاولى وغنموا منهم نظير ما تقدم ذكره واكثر واستحوذ على كثير
من معاقلهم وقلاعهم وحصونهم ولله الحمد والمنة حتى قيل انه ابيع الاسير بدرهم والسيف
بنصف درهم والحمار بدرهم والحصان بخمسة دراهم وقسم الملك يعقوب هذه الغنايم
على الوجه الشرعي ثم طلب منه الفرنج الامان فهادنهم على وضع الحرب خمس سنين
وانما حمله على ذلك ان رجلا يقال له علي بن اسحاق الموروقي الملثم ظهر ببلاد افريقية فاظهر
امورا فظيعة في غيبة السلطان واشتغاله بقتال الفرنج مدة ثلاث سنين فظهر
هذا المارق الموروقي بالبادية وعاث في الارض فسادا وقتل خلقا كثيرا وملك بلادا وفي
هذه السنة والتي قبلها استحوذ جيش الخليفة على كثير من بلاد الري واصبهان وهمدان
وخورستان وغيرها من البلاد وقوي جانب الخلافة على الملوك والممالك اللاتي هنالك
وفيها خرج العزيز من مصر قاصدا دمشق ليأخذها من يد اخيه الافضل وكان الافضل قد
تاب واناب واقلع عما كان فيه من الشرب واللهو واللعب واقبل على الصيام وكثرة الصلاة
وشرع في كتابة مصحف بيده وحسنت طريقته غير ان وزيره الضيا الجزري يفسد
عليه دولته ويكدر عليه صفوته فلما بلغ الافضل اقبال اخيه نحوه بعساكره سار سريعا
الى عمه العادل وهو بجعبر فاستنجده فسار معه وسبقه الى دمشق وراح الافضل الى اخيه
الظاهر بحلب فسارا جميعا نحو دمشق فلما سمع العزيز وقد اقترب من دمشق كر راجعا
الى مصر وركب وراءه العادل والافضل ليأخذا منه ديار مصر وقد اتفقا على ان يكون ثلث
ملك مصر للعادل وثلثاها للافضل ثم بدا للافضل للعادل في ذلك فارسل الى العزيز
سرا واقبل على الافضل يثبطه واقاما على بلبيس اياما حتى خرج القاضي الفاضل من
جهة العزيز فوقع الصلح بينهم على ان يرجع القدس ومعاملتها الى الافضل ويستقر العادل
مقيما بمصر على اقطاعه القديمة فاقام بها طمعا فيها ورجع الافضل الى بلاده بعدما خرج
العزيز لتوديعه وتشييعه وهي هدنة على اقذاء وصلح على دخن

وممن توفي

وممن توفي فيها من المشاهير

علي بن حسان بن مسافر ابو الحسن الكاتب البغدادي كان اديبا شاعرا فمن شعره قوله

نفى رقادي ومضى برق بسلع ومضا
لاح كما سلت يد الاسود عضبا ابيضا
كانه الاشهب في النقع اذا ما ركضا
يبدو كما يختلف الريح على جمر الغضا
فخلت الزنجي ابدى نظرا وغمضا
او شعلة النار علا لهيبها وانخفضا
آه لمن بارق حيا على ذات الاضا
اذكرني عهدا مضى على الغوير وانقضى
نقا لي قلبي اوصى حاجة واعرضا
يطلب من امرضه فديت ذاك الممرضا
يا غرضا للقلب لقد غادرت قلبي غرضا
لاسهم كانما مرسلها صرف القضا
فبت لا ارتاب في ان رقادي قد قضى
حتى صغى النجم وكاد الليل ان يقوضا
واقبل الصبح لاطراف الدجى مفضضا
وسل في الشرق على الغرب ظباه وانتضى
كالثائر المبتكر من نومه فانتفضا

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة

في رجب منها اقبل العزيز صحبة عمه الملك العادل في العساكر فدخلا دمشق قهرا واخرجا
منها الافضل ووزيره الذي اساء تدبيره وصلى الملك العزيز الجمعة عند تربة والده الملك
الناصر وخطب له بدمشق وقد دخل في هذا اليوم الى القلعة المنصورة وجلس في دار
العدل للحكم والفصل كل هذا واخوه الافضل حاضر عنده في الخدمة وامر القاضي محيي الدين
ابن الزكي بتاسيس العزيزية الى جانب تربة ابيه وكانت دارا للامير عز الدين سامة ثم
استناب على دمشق عمه الملك العادل وانشمر الى الديار المصرية يوم الاثنين تاسع
شعبان والسكة والخطبة له وتحول الافضل عن دمشق الى صرخد وهرب وزيره الجزري
الى جزيرته واتلف نفسه وهلكه بجزيرته وانتقل الافضل الى صرخد باهله واولاده
واخيه قطب الدين وفي هذه السنة هبت ريح شديدة سوداء مدلهمة بارض العراق ومعها
رمل احمر حتى احتاج الناس الى اشعال الاضواء بالنهار وفيها ولي قوام الدين ابو طالب
يحيى بن سعيد بن زيادة كتابة الانشا ببغداد وكان فاضلا بليغا ولكن لا كالفاضل
وفيها درس مجير الدين ابو القسم محمود بن المبارك البغدادي بالمدرسة النظامية
بها وكان فاضلا بارعا مناظرا وفي هذه السنة توفي رح وفيها قتل رئيس الشافعية
باصبهان صدر الدين محمود عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي قتله فلك الدين

سنقر الطويل شحنة اصبهان وكان ذلك سبب زوال الملك اصبهان عن الديوان العزيز
وفيها مات الوزير الكبير الفاضل وزير الخلافة ابو الفضل محمد بن علي بن القصاب وكان
ابوه يبيع اللحم ببعض اسواق بغداد فتقدم وساد اهل زمانه وكانت وفاته بهمذان
وقد اعاد رساتيق كثيرة من بلاد العراق وخراسان وخوزستان الى ديوان الخليفة
وكانت له مصنفات ادبية عالية في الصناعة والشهامة وشعر جيد وفيها توفي الفخر محمود بن علي بن
النوقاني الشافعي عايدا من الحج رحمه الله الشاعر ابو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الهرثي
من قرى واسط عن احدى وتسعين سنة وكان شاعرا فصيحا بليغا ماهرا كان ابن الجوزي ۵
يستشهد في مجالسه بشيء من لطايف اشعاره ومستجادات ابتكاره وتداول ابن
الساعي قطعة صالحة من اشعاره الحسنة المليحة وفيها توفي الفقيه ابو الحسن علي بن
سعيد بن الحسن البغدادي المعروف بابن العريف وتلقب بالبيع الفاسد كان حنبليا
ثم اشتغل شافعيا على ابي القاسم بن فضلان وهو الذي لقبه بذلك لكثرة تكراره على
هذه المسئلة الخلافية من الشافعية والحنفية ويقال انه صار بعد هذا كله الى مذهب
الامامية فالله اعلم وفيها توفي الشيخ ابو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي
الحاسب المورخ البغدادي وقدم دمشق وامتدح الشيخ ابا اليمن الكندي زيد بن الحسن
فقال

يا زيد زادك ربي من مواهبه • نعما يقصر عن ادراكها الامل
لا بدل الله حالا قد حباك بها • ما دار بين النحاة الحال والبدل
النحو انت احق العالمين به • اليس باسمك فيه يضرب المثل

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل الى القاضي محيي الدين ابن الزكي يخبره بان في ليلة الجمعة
التاسع من جمادى الاخرة اتى عارض فيه ظلمات متكاثفة وبروق خاطفة ورياح عاصفة
فقوي هبوبها واشتد هبوبها فتدافعت لها اعنة مطلقات وارتفعت لها صعقات
فرجفت لها الجدران واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتنقت وثار بين السماء
والارض عجاج فقيل لعل هذه على هذه قد انطبقت ولا تحسب الا ان جهنم قد سال منها واد
وعدا منها عاد وزاد عصف الريح الى ان انطفا سرج النجوم ومزقت اديم السماء ومحت
ما فوقه من الرقوم فكنا كما قال الله يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق وكما قلنا
ويردون ايديهم على اعينهم من البوارق لا عاصم لخطف الابصار ولا ملجا من الخطب الا معاقل
الاستغفار وفر الناس نساء ورجالا واطفالا ونفروا من دورهم خفافا وثقالا لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا فاعتصموا بالمساجد الجامعة واذعنوا للنازلة باعناق خاضعة
بوجوه عانية ونفوس عن المال والاهل ساهية ينظرون من طرف خفي ويتوقعون اي
خطب جلي قد انقطعت من الحياة علقهم وعميت عن النجاة طرقهم ووقعت الفكرة فيما هم
عليه قادمون وقاموا الى صلاتهم وودوا ان لو كانوا من الذين هم عليها دائمون الى ان
اذن الله في الركود واسعف العاجز بالوجود واصبح كل يسلم على رفيقه ويهنيه
بسلامة طريقه ويرى انه قد بعث بعد النفخة وافاق بعد الصيحة والصرخة وان الله

فقدر له

فقدر له الكرة وادب بعد ان كاد ياخذه على غرة وورد في الاخبار بانها كسرت المراكب
في البحار والاشجار في القفار واتلفت خلقا كثيرا من السفار ومنهم من فر فلم ينفعه
الفرار الى ان قال ولا يحسب المجلس السامي اني ارسلت القلم محرفا والقول مجزفا فالامر
اعظم ولكن الله سلم ونرجو ان الله قد ايقظنا بما وعظنا ونبهنا بما ولعنا فما من عباده
من راى القيامة عيانا ولم يلتمس عليها من بعده برهانا الا اهل بلدنا فما قص الاولون
مثلها في المثلات ولا سبقت لها سابقة في المعضلات والحمد لله من فضله ان جعلنا
نخبر عنها ولا تخبر عنا ونسال الله ان يصرف عنا عارض الحرص والغرور اذا عنا وقد كتب
القاضي الفاضل في هذه السنة من الديار المصرية الى الملك العادل بدمشق يحثه
على قتال الفرنج ويشكره على ما هو بصدده من محاربتهم وحفظ حوزة الاسلام من ذلك
قوله في بعض تلك الكتب اليه هذه الاوقات التي انتم فيها عرايس الاعمار وهذه
النفقات التي تجري على ايديكم مهور الحور في دار القرار وما اسعد من اودع يد الله
ما في يديه فتلك نعم الله عليه وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل اليه وسواد العجاج
في هذه المواقف بياض ما سودته الذنوب من الصحايف فما اسعد تلك الوقفات وما
اعودها بالطمانينة تلك الرجفات وكتب اليه ايضا ادام الله ذلك الاسم تاجا
على مفارق المنابر والطروس وحياة للدنيا وما فيها من الاجساد والنفوس وعرف المملوك
ما عرفه به من الامر الذي اقتضته المشاهدة وجرت به العادة في بيروت ولا يزيد على
تشبيه الحال بقوله

الم تر ان المرء يدوى يمينه • فيقطعها عمدا ليسلم سائره

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا سبق اليه ومن قلم من الاصبع ظفرا فقد جلب الى الجسد
بفعله نفعا ودفع عنه ضرا وتجشم المكروه ليس بضائر مع ما جلبه من سبب المحمود واخر
كل سوء او لكل غزوة فلا اعدم مولانا نية الرباط وفعلها وتجشم الكلف وحملها فهو
اذا صرف وجهه الى وجه واحد وهو وجه الله صرف الله اليه الوجوه كلها والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وفي هذه السنة انقضت هذه الهدنة
التي كان عقدها الملك صلاح الدين رحمه الله تعالى فاقبلوا بقضهم وقضيضهم
فالتقاهم الملك العادل ابو بكر بمرج عكا فكسرهم وغنمهم وفتح يافا عنوة ولله الحمد والمنة
وقد كانوا كتبوا الى ملك الالمان يستنهضونه لفتح بيت المقدس فقدر الله هلاكه
سريعا ولله الحمد كثيرا واخذت الفرنج في هذه السنة بيروت من يد نائبها عز الدين
سامة من غير قتال ولا نزال ولهذا قال بعض الشعراء في الامير سامة

سلم الحصن ما عليك ملامة • ما يلام الذي يروم السلامة
فعطاء الحصون من غير حرب • سنة سنها ببيروت سامة

ومات في هذه السنة ملك الفرنج الكندهري سقط من شاهق فمات فبقيت الفرنج ۵
كالغنم بلا راع حتى ملكوا عليهم صاحب قبرس وزوجوه بالملكة امراة الكندهري وجرت خطوب
كثيرة بينهم وبين العادل ابي بكر بن ايوب في كلها يستظهر عليهم ويكسرهم ويقتل
خلقا من المقاتلة ولله الحمد ولم يزل كذلك معهم حتى طلبوا منه الصلح والمهادنة
فعاقدهم على ذلك في السنة الاتية كما سياتي بيانه وفي هذه السنة توفي ملك اليمن

سيف الاسلام طغتكين بن ايوب بزبيد وكان قد جمع اموالا جزيلة جدا وكان يسبك الذهب
مثل الطواحين ويدخره كذلك فقام في الملك بعده ولده اسماعيل وكان اهوج قليل
التدبير فحمله جهله على ان ادعى انه قرشي اموي وتلقب بالهادي فكتب اليه عمه يعاتبه
وينهاه عن ذلك ويتهدده بسبب ذلك فلم يقبل منه ولا التفت اليه بل
تمادى في ذلك واساء الى الامراء والرعية فقتل وولي بعده مملوك من مماليك ابيه وفيها توفي
الامير الكبير ابو الهيجا السمين الكردي وكان من اكابر امراء الملك الناصر صلاح الدين
وهو الذي كان نائبا على عكة وهي محاصرة ثم خرج ودخلها ابن المشطوب واستنابه صلاح
الدين على بيت المقدس ثم لما اخذها العزيز عزل عنها فطلب الى بغداد فاكرم اكراما
زايدا وارسله الخليفة مقدما على العساكر الى همدان فمات هناك وفيها توفي قاضي قضاة
بغداد ابو طالب علي بن علي بن هبة الله بن محمد بن البخاري سمع الحديث على ابن الوقت وغيره
وتفقه على ابي القاسم بن فضلان وتولى نيابة الحكم ببغداد ثم استقل بالمنصب
واضيف اليه في وقت نيابة الوزارة ثم عزل عن القضا ثم اعيد ومات وهو حاكم وكان
فاضلا بارعا من بيت الفقه والعدالة وله شعر فمنه قوله

• تنح عن القبيح ولا ترده • ومن اوليته حسنا فزده •
• كفى بك من عدوك كل كيد • اذا كاد العدو ولم تكده •

وفيها توفي السيد الشريف نقيب الطالبيين ببغداد ابو محمد الحسن بن علي بن حمزة
بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن
علي بن ابي طالب العلوي الحسيني المعروف بابن الاقساسي الكوفي مولدا ومنشا كان شاعرا
مطبوعا امتدح الخلفا والوزرا وهو من بيت مشهور بالادب والرياسة والثروة وقدم
بغداد فامتدح المقتفي وابنه المستنجد وابنه المستضيء وابنه الناصر وهو الذي ولاه نقابة
الطالبيين وكان شيخا مهيبا جاوز الثمانين وقد اورد ابن الساعي له قصايد
كثيرة فمنه قوله

• اصبر على كيد الزمان فما يدوم على طريقه •
• سبق القضا فكن به راض ولا تطلب حقيقه •
• كم قد تقلب مرة واراك من سعة وضيقه •
• ما زال في اولاه والاخرى على مدرج الخليقه •

وفيها توفيت الست عذرا ابنة شاهنشاه بن ايوب ودفنت بمدرستها داخل باب
النصر رحمها الله والست الخاتون والدة الملك العادل بدارها بدمشق المجاورة
لدار اسد الدين شيركوه

ثم دخلت سنة اربع وتسعين وخمسماية

فيها جمعت الفرنج جموعهم واقبلوا الحاصروا تبنين فاستدعى العادل بني اخيه لقتال العسكر
حتى جاءه العزيز من مصر والافضل من صرخد فجفلت الفرنج عن الحصن وبلغهم موت
ملك الالمان فطلبوا عند ذلك من العادل الهدنة والامان فهادنهم عند ذلك السلطان
ورجعت العساكر الى اماكنها وقد عظم المعظم عيسى بن العادل في هذه السنة السلطان
المدة واستنابه ابوه على دمشق وسار الى مملكته بالجزيرة فاحسن فيهم السيرة وكان

قد توفي في هذه السنة السلطان الكبير صاحب سنجار وغيرها من البلاد بن الكبار عماد الدين
زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر الاتابكي وكان من خيار الملوك واحسنهم شكلا وسيرة واجودهم
طوية وسريرة غير انه كان بخيلا وكان شديد المحبة للعلماء ولا سيما الحنفية منهم
وقد ابتنى لهم مدرسة بسنجار وشرط لهم طعاما يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم و
هذا نظر حسن والفقيه اولى بهذه الحسنة من الفقير لاشتغال الفقيه بتكراره و
مطالعته عن الفكر فيما يقوم بكفايته وقد كان تعدى على مملكة ابن عمه صاحب
الموصل فقطعهم ولم يكن بالواصل فاستغاث بنوه بالملك العادل فرد فيهم الملك
ودرا عنهم الضيم والهلك واستقرت المملكة لولده قطب الدين محمد ثم سار العادل
الى ماردين فحاصرها في شهر رمضان فاستولى على ربضها ومعاملتها واعجزته قلعتها
فضاق عليها وشتا وما شك احد انه سيملكها حتى هنته الشعرا بذلك ولم يكن ذلك
مقدورا ولا مقدرا وكان ملكها اذ ذاك تولق بن ارسلان بن ايلغازي بن ارتق بن ابي
بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق وكل هولا ملكوا ماردين وكان الملك طفلا ومدبره
له النظام من نفس مملوك ابيه وليس للغلام من الامر شي وفي هذه السنة ملكت الغور
مدينة بلخ وكسروا الخطا وقهروهم وهزموهم وتفقوا بارسال الخليفة اليهم ان يمنعوا
خوارزم شاه من دخول العراق فقد كان يروم ان يخطب له ببغداد وفيها حاصر خوارزم
شاه مدينة بخارا فافتتحها بعد مدة وقد كانت امتنعت عليه دهرا ونصرهم الخطا
فقهر الجميع واخذها عنوة وعفى عن اهلها وصفح عنهم وقد كانوا لبسوا كلبا اعور
قباء وسموه خوارزم شاه ورموه في المنجنيق الى الخوارزمية وقالوا هذا ملككم
وكان خوارزم شاه اعور فلما قدر عفا عنهم جزاه الله خيرا

وممن توفي فيها من الاعيان

العوام بن زباده كاتب الانشا ببلد الخلافة وهو ابو طالب يحيى بن سعيد بن هبة
الله بن علي بن زبادة قوام الدين انتهت اليه رياسة الترسل والانشا والبلاغة والفصاحة
في زمانه بالعراق وله علوم كثيرة غير ذلك من الفقه على مذهب الشافعي اخذه عن
ابن فضلان وله معرفة جيدة بالاصلين والحساب واللغة وله شعر جيد وقد ولي
عدة مناصب وكان مشكورا في جميعها ومن مستجاد شعره قوله

• لا تحقرن عدوا انى دربه بكم • قد انتقض الهم بجد الجد باللعب •
• فهذه الشمس يعتريها الكسوف لها • على جلالتها بالراس والذنب •

وقوله

• باضطراب الزمان يرتفع الانذال • فيه حتى يعم البلاء •
• وكذا الماء راكدا فاذا حرك • ثارت من قعره الاقذاء •

وله ايضا

• قد شكوت الدنيا ولم يشكها • من علقت بي امالهم والاراجي •
• فاذا ما صرفت وجهي عنها • قذفوني في بحرها العجاج •
• يستضيئون بي واهلك وحدي • فكاني ذبالة في سراج •

توفي في ذي الحجة من هذه السنة وله ثنتان وسبعون سنة وحضر جنازته خلق كثير

ودفن عند موسى بن جعفر القاضي ابو الحسن علي بن جابر بن زهير بن علي البطايحي قدم بغداد
فتفقه بها وسمع الحديث واقام برحبة مالك بن طوق مدة يشتغل على ابي عبد الله بن
السمرقندي ثم ولي قضا العراق مدة وكان فقيها اديبا وقد سمع من شيخه ابي عبد الله
ابن المعمر ينشد لنفسه معارضا الحريري في بيتيه اللذين زعم انهما لا يجوز ان
يثالث لهما وهما قوله

● سم سمة تحمد اثارها ● واشكر لمن اعطى ولو سمسمه ●
● والمكر مهما اسطعت لا تاته ● لتقتني السودد والمكرمه ●

وقال ابن المعمر

● ما الامن الوكفا بين اكرم ● اخشن من جر الى ملامه ●
● ثمه اذا استجديت عن قولا ● فالحر لا يملا منها فمه ●

الامير عز الدين جرديك كان من اكابر الامرا من زمان نور الدين وكان ممن شرك في قتل شاور
وحظي عند الملك صلاح الدين وقد استنابه على القدس حين افتتحها وكان يستنيبه
للمهمات الكبار فيسدها بنهضته وشجاعته ولما ولي الافضل عزله عن بيت
المقدس فنزل بلاد الشام وانتقل الى بلاد الموصل فمات بها في هذه السنة رحمه الله

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة

فيها توفي الملك العزيز صاحب مصر
وذلك انه خرج الى الصيد فلما كان ليلة الاحد العشرين من المحرم ساق خلف ذئب
فكبا به الفرس فسقط عنه فكانت وفاته بعد ايام بعد رجوعه الى البلد فنقل ودفن
بداره ثم حول الى عند تربة الشافعي وله سبع او ثمان وعشرون سنة رحمه الله ويقال
انه كان قد عزم في هذه السنة على اخراج الحنابلة من بلده وكتب الى بقية اخوته ان
يخرجوهم من بلادهم وشاع ذلك عنه وسمع منه فلما وقع ما وقع عظم قدر الحنابلة بديار
مصر والشام عند الخاص والعام فالله اعلم وكتب القاضي الفاضل كتابا للتعزية بالعزيز
الى عمه الملك العادل وهو مقيم على محاصرة ماردين ومعه العساكر وولده محمد الكامل
وهو نايب على بلاد الجزيرة المتاخمة لبلاد الجزيرة وصورة الكتاب ادام الله سلطان
مولانا الملك العادل وبارك في عمره واعلا امره بامره واعز نصر الاسلام بنصره وفدت
الانفس نفسه الكريمة واصغر الله الخطايا بنعمه فيه العظيمة واحياه حياة طيبة
يقف فيها امور الاسلام في مواقفها الفتوح الجسيمة وينقلب عنها بالامور المسلمة والعواقب
السليمة ولا انقص له رجالا ولا اعدادا ولا اعدمه نفسا ولا ولدا ولا افقد له ذيلا ولا يدا ولا
اسخن الله له قلبا ولا كبدا ولا كدر له خاطرا ولا موردا ولما قدر الله ما قدره في الملك العزيز
رحمة الله عليه وحماه يكره الغيرة بعضا بها له وحضور اجله كانت بديهة المصاب
عظيمة وطالعة المكروه اليمة فرحم الله ذلك الوجه ونضره ثم الى السبيل الى الجنة يسره

● واذا المحاسن اوجه بليت ● فعفا الثرى عن وجهه الحسن ●

فاعز على المملوك وعلى الاوليا بل على قلب مولانا الا سلبه ثواب لعنا بسرعة مصرعه وانقلابه
المضجعه ولباسه ثوب البلى قبل ان يبلى ثوب الشباب وزفه الى التراب وسريره محفوف

باللذات

باللذات والاتراب وكانت مدة المرض بعد العود من الصيد اسبوعين وكانت في الساعة
السابعة من ليلة الاحد العشرين من المحرم والمملوك في حال تسطيرها مجموع له بين مرض
قلب وجسد ووجع اطراف وغليل كبد وقد فجع بهذا المولى والعهد بوالده رحمهما الله غير
بعيد والاسى عليه في كل يوم جديد ولما توفي العزيز رحمه الله خلف من الولد عشرة ذكور فعمد
امراؤه فملكوا عليهم ولده محمدا ولقبوه بالمنصور وجمهور الامرا في الباطن مايلون الى
عمه الملك العادل ولكنهم استبعدوه وامكانه فارسلوا الى الافضل وهو بصرخد فاحضروه
على البريد سريعا فلما حضر عندهم منع رفدهم ووجد الكلمة مختلفة عليه ولم يتم له
ما سار اليه وخاف عليه اكابر الامرا الناصرية وخرجوا من ديار مصر فاقاموا في بيت
المقدس وارسلوا يستحثون الجيوش العادلية فاقر ابن اخيه على السلطنة ونوه
بذكره على السكة والخطبة في ساير ما سار له من الاماكن ولكن استغل هذه الثغرة
ان اخذ جيشا كثيفا من المصريين واقبل بهم ليسترد دمشق في غيبة عمه لمحاصرة ماردين
وذلك باشارة اخيه الظاهر صاحب حلب وابن عمه ملك حمص اسد الدين فلما انتهى
اليها ونزلوا عليها قطع انهارها وعقر اشجارها وقتل ثمارها ونزل بخيمته على مسجد
القدم وقد لحقه الاسف والندم وجاء اليه اخوه الظاهر وابن عمه الاسد الكاسر والليث
الكاسر وجيش حماه وكثر جيشه وقوي الافضل بن الناصر وقد دخل بعض جيشه الى البلد
ونادوا بشعاره فلم يمانعهم من العامة احد واقبل العادل من ماردين بعساكره وقد الف
عليه طايفة بني اخيه وامده كل مصر باكابره وسبق الافضل الى دمشق بيومين فحصنها
وحفظها من كل حاسد ذي عينين وقد استناب على محاصرة ماردين ولده محمدا الكامل
ربيب السلاطين ولما دخل دمشق خامر اليه اكثر الامرا من المصريين وغيرهم وضعف
امر الافضل وييس من برهم وخيرهم واقام محاصرا البلد من محمه حتى انسلخ الحول
وهو كذلك ثم انفصل الحال في اول السنة الاتية على ما سياتي بيانه فيها ان شا الله تعالى
وفيها شرع في بناء سور لبغداد من الاجر والكلس وفرق على الامرا فكملت عمارته بعد هذه السنة
فامنت بغداد من الغرق والحصار ولم يكن بها سور قبل ذلك وفي هذه السنة توفي السلطان
الكبير ابو محمد يعقوب بن يوسف بن عبد المومن صاحب بلاد المغرب والاندلس بمدينة
سلا وكان قد بنى عندها مدينة مليحة سماها المهدية وقد كان دينا حسن السيرة
صحيح السريرة وكان مالكي المذهب ثم صار ظاهريا حزميا ثم مال الى مذهب الشافعي واستقضى
في بعض بلاده منهم وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وكان كثير الجهاد رحمه الله وكان يؤم
الناس في الصلوات الخمس بنفسه ربما الى المادة والضعيف وهو الذي كتب اليه صلاح
الدين يستنجده على الفرنج فلما لم يخاطبه باميرالمومنين غضب من ذلك ولم يجبه الى
ما طلب وقام بالملك بعده ولده محمد فسار كسيرة والده ورجع اليه كثير من البلدان
اللاتي كانوا قد عصوا عليهم ثم تفرقت بهم الامور وباد هذا البيت بعد الملك يعقوب
رحمه الله وفي هذه السنة ادعى رجل اعجمي بدمشق انه عيسى بن مريم فامر الامير صارم الدين
برغش نايب القلعة بصلبه فصلب عند حمام العماد الكاتب خارج باب الفرج مقابل
الطاحون التي بين البابين وقد باد هذا الحمام قديما وبعد صلبه هذا بيومين ثارت
العامة على الروافض وعمدوا الى قبر رجل بباب الصغير يقال له وثاب الرجل فنبشوه

وصلبوه مع كلبين وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة وفي هذه السنة استقضى الخليفة الناصر قاضي القضاة بالموصل ضياء الدين بن الشهرزوري فولاه قضاء قضاة بغداد وفي هذه السنة وقعت فتنة عظيمة كبيرة ببلاد خراسان وكان سببها ان فخر الدين محمد ابن عمر الرازي استاذ المتكلمين في زمانه وفد الى الملك غياث الدين الغوري صاحب غزنة فاكرمه واحترمه وبنى له مدرسة بهراة وكان اكثر الغورية كرامية فابغضوا الفخر الرازي واحبوا ابعاده عن الملك فجمعوا له جماعة من الفقهاء الحنفية والكرامية وخلقا من الشافعية وغيرهم وحضر ابن القدوة وكان شيخا معظما في الناس وهو على مذهب ابن كرام وابن الهيصم فتناظر هو وفخر الدين وخرجا من المناظرة الى السب والشتم فلما كان من الغد اجتمع الناس في المسجد الجامع وقام واعظ فتكلم فقال في خطبته ايها الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما علم ارسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها فلاي حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وسنة رسوله فبكى الناس وضجوا وبكت الكرامية واعانهم على ذلك قوم آخرون من الخاصة وانهوا الى الملك صورة ما وقع فامر باخراج فخر الدين من البلد ولم يكن الملك مختارا لذلك فعاد الى هراة فلهذا اشرب قلب الرازي بغض الكرامية فهو يلهج بهم في كلامه في كل موطن وكلما سنحت الصبا وفي هذه السنة وقع الرضا عن الشيخ جمال الدين ابي الفرج بن الجوزي شيخ الوعاظ في زمانه وتجدده وكان قد اخرج من بغداد الى واسط فاقام بها خمس سنين فانتفع به اهلها واستفادوا عليه ولما عاد الى بغداد خلع عليه واذن له في الجلوس على عادته عند التربة الشريفة المجاورة لقبر معروف الكرخي فكثر الجمع جدا واخذ في العتاب وانشد يومئذ فيما قال يخاطب الخليفة

لا تعطش الروض الذي نبته ... بصوب انعامك قد روضا
لا تبر عودا انت ريشته ... حاشا لباني المجد ان ينقضا
ان كان لي ذنب تجرمته ... فاستانف العفو وهب ما مضى
قد كنت ارجوك لنيل المنى ... فاليوم لا اطلب الا الرضى

ومما انشده يومئذ

شقينا بالنوى زمنا فلما ... تلاقينا كانا ما شقينا
سخطنا عندما جنت الليالي ... وما زالت بنا حتى رضينا
ومن لم يحي بعد الموت يوما ... فانا بعدما متنا حيينا

وممن توفي في هذه السنة من الاعيان

الامير الكبير مجاهد الدين قايماز الرومي نائب الموصل والمستولي على مملكتها في ايام ابن استاذه نور الدين ارسلان وكان عاقلا ذكيا فقيها حنفيا وقيل شافعيا يحفظ شيئا كثيرا من التواريخ والحكايات وقد ابتنى عدة جوامع ومدارس وربط وخانات وله صدقات كثيرة دارة قاله ابن الاثير وقد كان من محاسن الدنيا ابو الحسن محمد بن جعفر بن احمد بن محمد بن عبد العزيز بن اسماعيل بن علي بن سليمان بن يعقوب بن ابراهيم بن محمد بن اسماعيل

ابن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي قاضي القضاة ببغداد بعد ابن البخاري وقد كان من اعيان الشافعية تفقه على ابي الحسن بن الخل وغيره وقد كان ولي القضاء والخطابة بمكة شرفها الله واصله منها ولكن ارتحل الى بغداد فنال بها ما نال وآل من امره بها ما آل ثم انه عزل عن القضاء بسبب محضر رفع خطه عليه وكان فيما قيل مزورا فالله اعلم وجلس في منزله حتى مات رحمه الله الشيخ جمال الدين ابو القسم يحيى بن علي بن الفضل بن بركة بن فضلان شيخ الشافعية ببغداد تفقه اولا على سعيد بن محمد الرزاز مدرس النظامية ثم ارتحل الى خراسان فاخذ عن الشيخ محمد بن يحيى الزبيدي تلميذ الغزالي وعاد الى بغداد وقد اتقن علم المناظرة والاصلين فساد اهل بغداد وانتفع به الطلبة والفقهاء وبنيت له مدرسة فدرس بها وتجلا صيته وكثرت تلاميذه وكان كثير التلاوة واسماع الحديث شيخا حسنا لطيفا ظريفا ومن شعره قوله

واذا اردت منازل الاشراف ... فعليك بالاسعاف والانصاف
واذا بغى باغ عليك فخله ... والدهر فهو له مكاف كاف

وفي هذه السنة وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغني المقدسي وذلك انه كان يتكلم في مقصورة الحنابلة بالجامع الاموي فذكر يوما شيئا من العقائد فاجتمع القاضي محيي الدين بن الزكي وضياء الدين الخطيب الدولعي بالسلطان الملك المعظم والامير صارم الدين برغش فعقد له مجلس فيما يتعلق بمسالة الاستواء والنزول ومسالة الحرف والصوت فوافق النجم الحنبلي بقية الفقهاء واستمر الحافظ عبد الغني على ما يقوله واجتمع بقية الفقهاء على خلافه والزموه بالزامات شنيعة حتى قال له الامير برغش كل هؤلاء على الضلالة وانت على الحق قال نعم فغضب الامير عند ذلك وامر بنفيه من البلد فاستنظر ثلاثة ايام فانظر وارسل برغش الاسارى من القلعة فكسروا منبر الحافظ فتعطلت صلاة الظهر يومئذ في محراب الحنابلة واخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك وجرت خبطة شديدة نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وكان انعقاد المجلس في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي الحجة فارتحل الحافظ عبد الغني الى بعلبك ثم سار الى الديار المصرية فآواه الطحانون فحنوا عليه واكرموه

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

استهلت والملك الافضل بالجيش المصري محاصر لعمه العادل بدمشق وقد قطع عنها الانهار والميرة فلا خبز ولا ماء الا قليلا وقد تطاول الحال وقد خندقوا من ارض اللوان الى البلد خندقا لئلا يصل اليهم جيش دمشق وجاء فصل الشتاء وكثرت الامطار والاوحال فلما دخل شهر صفر قدم الملك الكامل محمد بن العادل على ابيه بخلق من التركمان وعساكر من بلاد الجزيرة والرها وحران فعند ذلك انصرفت العساكر المصرية وتفرقوا ايادي سبا فرجع الظاهر الى مملكة حلب والاسد الى حمص والافضل الى الديار المصرية وسلم العادل من كيد الاعادي بعدما كان قد عزم على تسليم البلد واستسلم ولكن الله سلم وطردت الامراء الناصرية خلف الافضل ليمنعوه من الدخول الى القاهرة وكاتبوا العادل ان يسرع السير اليهم والقدوم عليهم فنهض اليهم سريعا سامعا للمشورة مطيعا

فتحصن الافضل بالقلعة من الجبل وقد اعتراه الضعف والفشل ونزل العادل على البركة
واستبد بملك مصر آمناً من الشركة ونزل اليه ابن اخيه الافضل خاضعاً ذليلاً بعدما كان
مهيباً جليلاً فاقطعه بلاداً من الجزيرة ونفاه عن الشام لسوء السيرة ودخل العادل الى
دار السلطنة بالقاهرة واعاد القضاء الى صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدباني الكردي
وابقى الخطبة والسكة باسم ابن ابن اخيه المنصور ولكن هو المستقل بالامور واستوزر
الصاحب صفي الدين بن شكر لصرامته وشهامته وسيادته وديانته وكتب السلطان
الملك العادل الى ابنه الكامل يستدعيه من بلاد الجزيرة ليملكه على الديار المصرية ٥
ويستدعيه فقدم عليه نير البدر واكرمه واحترمه وعانقه والتزمه واحضر الملك
العادل الفقهاء واستفتاهم في مملكة ابن ابن اخيه المنصور ابن العزيز وانه صغير ابن
عشر سنين فافتوا بان ولايته لا تصح لانه تولى عليه فعند ذلك طلب الامراء ودعاهم الى
مبايعته فتمنعوا فارغبهم وارهبهم وقال لهم قد سمعتم ما افتى به العلماء والائمة
والفقهاء وقد علمتم ان ثغور المسلمين لا يحفظها الاطفال الصغار وانما يحرسها
الملوك الكبار فاذعنوا عند ذلك وبايعوه وتابعوه ثم من بعده للكامل ولده فخطب
الخطباء بعد الخليفة لهما وضربت السكة باسمهما واستقرت دمشق باسم المعظم عيسى
ابن العادل كما ان مصر للكامل وفي شوال رجع الى دمشق الامير فلك الدين بن المنصور
سليمان بن سروه بن جلدك وهو اخو الملك العادل لامه وهو واقف المدرسة
الفلكية داخل باب الفراديس وبها قبره فاقام بها محترما معظما الى ان توفي رحمه الله
وفي هذه السنة والتي بعدها كان بديار مصر غلاء شديد فهلك الغني والفقير وعم
الجليل والحقير وهرب الناس منها نحو الشام ولم يصل منهم الا القليل من الفئام
وتخطفهم الفرنج من الطرقات وغروهم من انفسهم واغتالوهم بالقليل من الاقوات
واما بلاد العراق فانه كان رخيصا رخيا مبنيا مريا فنعم الحكم والحكمة بكرة وعشيا قال
ابن الساعي في تاريخه في هذه السنة باض ديك ببغداد فسالت جماعة عن ذلك فاخبروني به

وممن توفي فيها من الاعيان

السلطان علاء الدين خوارزم شاه بن تكش بن الب ارسلان بن اتسز من ولد طاهر
بن الحسين وهو صاحب خوارزم وبعض خراسان والري وغير ذلك من الاقاليم
المتسعة وهو الذي قطع دولة السلاجقة وكان عادلا حسن السيرة له معرفة جيدة
بالموسيقى حسن المعاشرة فقيها على مذهب ابي حنيفة ويعرف الاصول وبنى للحنفية
مدرسة عظيمة ودفن بتربة بناها له بخوارزم وقام في الملك من بعده ولده علاء الدين
محمد وقد كان يلقب قبل ذلك بقطب الدين وفيها قتل وزير السلطان خوارزم
شاه نظام الدين مسعود بن علي وكان حسن السيرة شافعي المذهب له مدرسة عظيمة
بخوارزم وجامع هائل وبنى بمرو جامعا عظيما للشافعية فحسدهم الحنابلة وشيخهم بها
يقال له شيخ الاسلام فتمالوا عليه فاحرقوه وهذا انما يصدر من قلة العقل والدين
واحترام معابد الاسلام فاغرمهم السلطان خوارزم شاه ما غرمه الوزير عليه الشيخ
المسند المعمر رحلة الوقت ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن الخضر

بن كليب

ابن كليب الحراني البغدادي المولد والدار وفاته عن ست وتسعين سنة سمع الكثير
واسمع وتفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ وكان من اعيان التجار وذوي الثروة
رحمه الله الفقيه مجد الدين ابو محمد طاهر بن نصر بن جميل مدرس القدس الشريف
اول من درس بالصلاحية وبنو الفقيه جميل الدين كانوا بالمدرسة الجاروخية
ثم صاروا الى العمادية والدماغية في ايامنا هذه ثم ماتوا ولم يبق الا شرحهم ٥
الامير صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي من اكابر الدولة الصلاحية وكان عند
الملك صلاح الدين بمنزلة استاذ دار وهو تسلم القصر حين مات العاضد فحصل
له اموال جزيلة جدا وكان كثير الصدقات والاوقاف وقد تصدق في يوم بسبعة
الاف دينار عينا وهو واقف المدرسة القيمازية شرقي القلعة المنصورة وقد
كانت دار الحديث الاشرفية دارا لهذا الامير وله بها حمام فاشترى ذلك الامير الاشرف
فيما بعد موسى بن العادل وبناها دار حديث واخرب الحمام وبناه مسكنا للشيخ المدرس
بها ولما دخل توفي ودفن في قبره تفتشت دوره وحواصله وكانت زوجته متهمة بمال
جزيل فكان متحصل ما جمع من ذلك ثمانية الف دينار وكان يظن ان عنده اكثر من
ذلك ولكن كان يدفن امواله في الخراب من اراضي صفيا عدد ابراياه سامحه الله
وبل بالرحمة ثراه الامير الكبير لؤلؤ احد الحجاب بالديار المصرية من اكابر الامراء
في الدولة الصلاحية وهو الذي كان يتسلم الاسطول بالبحر فيكون كالشجا في حلوق
الفرنج والحرج في الحلق فكم من شجاع قد اسره وكم من مركب قد كسره وكم من اسطول لهم
قد فرق شمله ومن بسطه قد قارب قد غرق اهله وقد كان مع كثرة جهاده دار
الصدقات كثير النفقات كان في كل يوم من هذه السنة وكان بديار مصر غلاء
شديد يتصدق باثني عشر الف رغيف لاثني عشر الف فقير فجزاه الله خيرا
ورحمة في قبره وبيض وجهه يوم حشره ونشره امين الشيخ الامام الفقيه
العلامة شهاب الدين الطوسي احد مشايخ الشافعية بديار مصر وشيخ المدرسة
المنسوبة الى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب التي يقال لها منازل العز
وهو من اصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالي وكان له قدر ومنزلة عند ملوك مصر
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى ان توفي رحمه الله في هذه السنة فازدحم الناس
في جنازته وقام مقامه اعني الشيخ ظهير الدين عبد السلام الفارسي شيخ الشافعية
بحلب اخذ الفقه عن محمد بن يحيى تلميذ الفخر الرازي وقد رحل الى مصر فعرض عليه
ان يدرس بتربة الشافعي فلم يقبل وصار الى حلب فاقام بها الى ان توفي رحمه الله في هذه
السنة الشيخ العلامة بدر الدين بن عسكر رئيس الحنفية بدمشق قال
ابو شامة ويعرف بابن العقادة الشاعر الماهر الباهر الهمام العبدي وهو ابو
الحسين علي بن نصر بن عقيل بن احمد بن علي بن عبد القيس بن ربيعة وهو بغدادي
قدم دمشق في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ومعه ديوان شعره فيه درر حسان
وفرايد وغيبيات وقد تصدى للملك الامجد صاحب بعلبك ومن قوله

وما الناس الا كامل الحظ ناقص ... واخر منهم ناقص الحظ كامل
واني لمثر من حياء وعفة ... وان لم يكن عندي من المال طائل

القاضي الفاضل

الإمام العلامة شيخ الفصحاء والبلغاء أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن بن البيساني المولى الأجل القاضي الفاضل كان والده قاضيا بعسقلان فأرسل ولده في الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية فاشتغل بكتابة الإنشاء على الشيخ ابن الفتح بن قادوس وغيره فساد أهل البلاد حتى بغداد شرقا وغربا بعدا وقربا ولم يكن له في زمانه نظير ولا عديد ولا فيما بعده إلى وقتنا هذا مماثل ولا مناظر ولا نديد ولما استقر الملك صلاح الدين في الديار المصرية جعله كاتبه وصاحبه ووزيره ومشيره وجليسه وأنيسه فكان أعز عليه من أهله وأولاده وأكرم عليه من طريفه وتلاده وساعده على فتح الأقاليم والبلدان والحصون والمعاقل هذا بحسامه وسنانه وهذا بلسانه وقلمه وبيانه وقد كان القاضي الفاضل مع كثرة أمواله ووجاهته ورياسته كثير الصدقات والصلات والصيام والصلاة يواظب كل يوم وليلة على ختمة كاملة مع ما يزيد عليها من نافلة رحيم القلب حسن السيرة طاهر الظاهر والسريرة له مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية وأوقاف على تخليص الأسارى من أيدي النصارى وقد اقتنى من الكتب بخزائنه ما ينيف على مائة ألف كتاب وهذا شيء لم يفرح به أحد من الوزراء ولا العلماء ولا الملوك ولا الكتاب كان مولده في سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة وقد كانت وفاته في يوم دخل العادل إلى قصر مصر بمدرسته فجأة يوم الثلاثاء السادس من ربيع الآخر واحتفل الناس بجنازته وزار قبره في اليوم الثاني الملك العادل وتأسف عليه وبقي لأنه لما استوزر الملك العادل صفي الدين بن شكر دعا الله تعالى أن لا يحييه إلى مدة الدولة لما بينهما من المنافسة فمات ولم يتأذ أحد بضيم يؤذيه ولا رأى في الدولة من هو أكبر سنه ولا شيء يؤذيه وقد امتدحه الشعراء فأكثروا ومن أحسن ما مدح به قول القاضي هبة الله بن سناء الملك عبد الرحيم

عبد الرحيم على البرية رحمة ... أمنت بصحبتها حلول عقابها
يا سائلي عنه وعن أسبابه ... نال السماء فسله عن أسبابها
والدهر يعلم أن فيصل خطبه ... بخطى براعته وفصل خطابها
ولقد علت رتب الأجل على الورى ... بسمو منصبها وطيب نصابها
والله خاطبه إليه وزارة ... ولطالما أعنت على خطابها
ما لقبوه بها لأن يحلها ... أسماؤه أغنته عن ألقابها
قال الزمان لغيره إذ رامها ... تربت يمينك لست من أترابها
اذهب طريقك لست من أرابها ... وارجع وراءك لست من أربابها
وبحر سيدنا وسيد غيرنا ... ذلت من الأيام شمس صعابها
وأتت سعادته إلى أبوابه ... لا كالذي يسعى إلى أبوابها
تعنو الملوك لوجهه بوجوهها ... لا بل يساق لبابه برقابها
شغل الملوك بما يزول ونفسه ... مشغولة بالذكر في محرابها

في الصوم

في الصوم والصلوات أتعب نفسه ... وضمان راحتها على إتعابها
وتعجلت الإقلاع عن لذاته ... ثقة بحسن مآلها ومآبها
فلتفخر الدنيا بسائس ملكها ... منه ودارس علمها وكتابها
صوامها قوامها علامها ... عمالها بذالها وهابها

والعجب أن القاضي الفاضل مع براعته وفصاحته التي لا تدانى ولا تجارى ما له قصيدة طويلة طنانة وإنما له ما بين بيت وبيتين في أثناء الرسائل وغيرها شيء كثير جدا فمن ذلك قوله

سبقتم بإسداء الجميل تكرما ... وما مثلكم ممن يحدث أو يحكي
وقد كان ظني أن أسابقكم به ... ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا

ومن ذلك قوله

ولي صاحب ما خفت من جور حادث ... من الدهر إلا كان لي من ورائه
إذا عضني صرف الزمان فإنني ... برايته أسطو عليه ورايه

وقوله في بدء أمره

أرى الكتاب كلهم جميعا ... بأرزاق تعمهم سنينا
وما لي بينهم رزق فكأني ... خلقت من الكرام الكاتبينا

وله في البخل والزلطة

وعود بن حماد بأنس مجالس ... فنفا بما لا ذا بما الأقوام
هذا يجود بعكس ما يأتي به ... هذا بجلده وذاك يذام

وله في ممسحة القلم

ممسحة نهارها ... يجر ليلة الظلم
كأنها من ظرفها ... منديل كف القلم

وقوله

بتنا على حال تسر الهوى ... لكنه لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له ... إن غبت عنا هجم الصبح

ومما له الملك العزيز بن عثمان بن الناصر عن جارية من حظاياه أرسلها إليه زر من ذهب مغلف بعنبر أسود فأنشأ الفاضل يقول

أهدت لك العنبر في وسطه ... زر من التبر خفي اللحام
فالزر في العنبر معناهما ... زرهكذا مختفيا في الظلام

قال القاضي ابن خلكان وقد اختلف في لقبه فقيل مجير الدين وقيل مجير الدين وحكى عن عمارة اليمني أنه ذكره بذكر جميل وأن العادل بن الصالح رزيك هو الذي استقدمه من الإسكندرية واستخدمه وكان يحمد ودادة ويحسنه ومستقلا لكفايته وقد بسط القاضي ابن خلكان في ترجمته زيادة كثيرة

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة

فيها اشتد الغلاء بأرض مصر جدا فهلك كثير من الفقراء والأغنياء ثم أعقبه فناء عظيم

حتى حكى الشيخ ابو شامة في الذيل ان السلطان الملك العادل كفن من ماله في مدة يسيرة
من نحو هذا من مايتي الف وعشرين الف ميت واكلت الكلاب والميتات في هذه السنة بمصر
واكل من الصغار والاطفال خلق كثير يشويه والداه ويأكلانه وكثر هذا في الناس حتى صار
لا ينكر بينهم ثم صاروا يحتالون على بعضهم بعضا فيأكلون من يقدرون عليه ومن غلب
من قوي ضعيفا ذبحه واكله وكان الرجل يضيف صاحبه فاذا خلا به ذبحه واكله ووجد عند
بعضهم اربعماية راس وهلك كثير من الاطبا الذين يستدعون الى المرضى فيذبحون
ويؤكلون وقد استدعى رجل طبيبا لخاف الطبيب فذهب معه على وجل فجعل الرجل
يتصدق على من وجده في الطريق ويذكر ويسبح ويكثر من ذلك فارتاب به الطبيب
وتخيل ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه فلما وصلا الى الدار اذا هي خربة فارتاب ايضا
فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه ومع هذا البطو جيب لنا بصيد فلما سمعها الطبيب
هرب فما خلص الا بعد جهد جهيد وفيها وقع وبا شديد ببلاد عزة بين الحجاز واليمن وكانوا
يسكنون في عشرين قرية فبادت ثماني عشرة قرية لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار وبقيت
انعامهم واموالهم لا قاني لها ولا يستطيع احد ان يسكن تلك القرايا ولا يدخلها بل كان
من اقترب الى شي من هذه القرايا هلك من ساعته فسبحان من بيده ملكوت كل شي واليه
ترجعون واما القريتان الباقيتان فانهما لم يمت منهما احد ولا عندهم شعور بما
جرى على من حولهم من القرى بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم احد واتفق باليمن في هذه
السنة كاينة عجيبة وهي ان رجلا يقال له عبد الله بن حمزة العلوي كان قد تغلب على
كثير من البلدان وجمع نحوا من اثني عشر الف فارس ومن الرجالة جمعا كثيرا وخافه ملك
اليمن المعز بن اسماعيل بن سيف الاسلام طغتكين بن ايوب وغلب على ظنه زوال الملكة
عن يديه بهذا المتغلب وايقن بالهلكة لضعفه عن مقاومته واختلاف امرايه عليه فسلط
الله هذا العلوي خوفا منه فقصده العلوي المذكور فلما كان بينهم مراحل اجتمع خاصة
امرايه معه في المشورة فارسل الله صاعقة فنزلت عليهم فلم يبق منهم واحدا فاضطرب
الجيش فيما بينهم واقبل المعز بعسكره نحوهم فقتل منهم ستة الاف قتيل واستقر
ملكه امنا وفيها تكاتب الاخوان الافضل بن صلاح الدين والظاهر صاحب حلب على ان يجتمعا
على حصار حلب على ان يجتمعا على حصار دمشق وينتزعاها من المعظم بن العادل ويكون
للافضل ثم يسيرا الى مصر فياخذاها من العادل وابنه الكامل اللذين نقضا العهد
وابطلا خطبة المنصور بن العزيز ونكثا المواثيق فاذا استقرت لهما ملك مصر
كانت للافضل وتصير دمشق مضافة الى الظاهر مع حلب ولما بلغ الملك العادل ما تمالوا
عليه ارسل جيشا مددا لابنه المعظم بدمشق فوصلوا قبل قدوم الظاهر واخيه الافضل
وكان قدومهما اليها في ذي القعدة من ناحية بعلبك فنزلا بجيشهما في ناحية مسجد
القدم واشتد الحصار للبلد وتسلق كثير من الجيش من ناحية خان ابن المقدم ولم يبق الا
فتح البلد لولا هجوم الليل ثم ان الظاهر بدا له فيما كان عاهد اخاه عليه من كون دمشق
تكون للافضل فراى ان يكون له اولا ثم اذا فتحت مصر يسلمها للافضل فتفرقت كلمتهما
وتنازعا الملك بدمشق فتفرقت الامرا عنهما وكوتب العادل في الصلح فارسل يخطب
الى ما سالا بان يقطع لهما شيا من بلاد الجزيرة وبعض معاملة المعرة وتفرقت العساكر

عن البلد

عن البلد في محرم سنة ثمان وتسعين وسار كل من الملكين الى تسلم البلاد التي اقطعها وجرت
خطوب يطول شرحها وقد كان الظاهر واخوه كتبا الى صاحب الموصل نور الدين ارسلان
الاتابكي ان يحاصر مدن الجزيرة التي مع عمهما العادل فركب في جيشه وارسل الى ابن عمه
قطب الدين صاحب سنجار واجتمع معهما صاحب ماردين الذي كان العادل قد حاصره وضيق
عليه مدة طويلة فقصدت العساكر حران وبها الفايز بن العادل فحاصروه مدة ثم
لما بلغهم وقوع الصلح بين العادل وابني اخيه الظاهر والافضل عدلوا الى المصالحة
ايضا وذلك بعد طلب الفايز ذلك منهم وتمهدت الامور واستقرت على ما كانت عليه
ولله الحمد والمنة وفي هذه السنة ملك غياث الدين واخوه شهاب الدين الغوريان
جميع ما كان بمملكة خوارزم شاه من البلدان والحواصل والاموال وجرت لهم خطوب
طويلة جدا وفيها كانت زلزلة عظيمة امتدت من بلاد الشام الى الجزيرة وبلاد الروم
والعراق وكان جمهورها وعظيمها بالشام تهدمت منها دور كثيرة وقرية من ارض
بصرى واما السواحل فهلك فيه شي كثير وخربت محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا
ونابلس ولم يبق بنابلس سوى حارة السمرة ومات بها ثلثون الفا تحت الهدم وسقطت
طايفة كبيرة من المنارة الشرقية بجامع دمشق واربع عشرة شرفة وغالب الكلاسة
والبيمارستان النوري وخرج الناس الى الميادين يستغيثون وسقط غالب قلعة
بعلبك مع وثاقة بنيانها وانفرق البحر الى قبرص وحذف بالمراكب الى ساحله وتعدى
الى ناحية الشرق فسقطت بسببها دور عظيمة كثيرة ومات ناس لا يحصون كثرة حتى
قال صاحب المراة انه مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من الف الف ومائة الف
انسان نقله في ذيل الروضتين عنه فانا لله وانا اليه راجعون ومات فيها من الغلا والفنا
ببلاد مصر فلله الامر من قبل ومن بعد

وممن توفي في هذه السنة من المشاهير والاعيان

الشيخ ابو الفرج بن الجوزي

عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزي نسبة
الى نهر فرضة بالبصرة بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله
ابن عبد الرحمن بن القاسم بن ابي بكر الصديق الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين ابو
الفرج المشهور بابن الجوزي القرشي التيمي البغدادي الحنبلي احد افراد العلما برز في
كثير من العلوم وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلثماية مصنف وكتب
بيده نحوا من مايتي مجلدة وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق الى مثله ولا يلحق شاوه في
طريقته وشكله وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ
وعظه وغوصه على المعاني البديعة وتقريبه الاشيا البعيدة بما يشاهد من الامور
الحسية بعبارة وجيزة سريعة هذا وله في غيره من العلوم اليد الطولى والمشاركات
في ساير انواع العلوم من التفسير والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه
في ذلك ما يضيق هذا المقام عن تعدادها وحصر افرادها ولكن من مشاهير مصنفاته
في التفسير المشهور بزاد المسير وله ابسط منه ولكنه ليس بمشهور ولا متكور وله
جامع المسانيد استوعب فيه غالب مسند الامام احمد وصحيحي البخاري ومسلم وجا مع

الترمذي وله كتاب المنتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم في عشرين مجلدا تداولنا في كتابنا هذا كثيرا منه من حوادث وتراجم فلم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار مؤرخا وما أحقه بقول الشاعر

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهدا ... حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وله مقامات وخطب وله الأحاديث الموضوعة والعلل المتناهية في الأحاديث الواهية وغير ذلك ولد سنة عشر وخمسمائة ومات أبوه وعمره ثلاث سنين وكان أهله تجارا في النحاس فلما ترعرع جاءت به عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ فلزم الشيخ وسمع عليه الحديث وتفقه بابن الزاغوني وحفظ الوعظ ووعظ وهو دون العشرين وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي وكان مصيبا دينا مجموعا على نفسه لا يخالط أحدا ولا يأكل مما فيه شبهة ولا يخرج من بيته إلا للجمعة وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء ومن سائر صنوف بني آدم وأقل ما كان يجتمع في مجلسه عشرة آلاف وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون وربما تكلم من خاطره على البديهة نظما ونثرا وبالجملة كان رأسا في الوعظ وله مشاركات حسنة في بقية العلوم وقد كان فيه بأو وترفع في نفسه ويسمو بنفسه أكثر من مقامه وذلك ظاهر في نثره ونظمه فمن ذلك قوله

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا ... وأكابد النهج العسير الأطولا
تجري بي الآمال في حلباته ... جري السعيد إلى مدى ما أملا
أفضى بي التوفيق فيه إلى الذي ... أعيى سواي توصلا وتغلغلا
لو كان هذا العلم شخصا ناطقا ... وسألته هل زار مثلي قال لا

ومن شعره أيضا

إذا قنعت بميسور من القوت ... أصبحت في الناس حرا غير ممقوت
يا قوت يومي إذا ما در خلفك لي ... فلست آسى على در وياقوت

وله من النظم والنثر شيء كثير لا ينضبط وله كتاب [illegible] سماه نظم الجمان في كان وكان

ومن لطائف كلامه

قوله في الحديث أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين إنما طالت أعمار من قبلنا لطول البادية فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل لهم حثوا المطي وقال له رجل أيما أفضل أسبح أو أستغفر فقال الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور وسئل عمن أوصى وهو في السياق فقال هذا طين سطوحه في كانون وقد التفت يوما إلى ناحية الخليفة المستضيء وهو في الوعظ فقال يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك وإن سكت خفت عليك وإن قول القائل اتق الله خير لكم من قوله إنكم أهل بيت مغفور لكم كان عمر بن الخطاب يقول إذا بلغني عن عامل أنه ظالم فلم أغيره فأنا الظالم يا أمير المؤمنين وكان يوسف في زمن القحط لا يشبع حتى لا ينسى الجيعان وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قرقر أو لا تقرقر والله لا ذقت سمنا ولا سمينا حتى يخصب الناس قال فتصدق المستضيء بمال جزيل وأطلق المحابيس وكسى خلقا من الفقراء ولد ابن الجوزي في حدود سنة عشر وخمسمائة كما تقدم وكانت وفاته في ليلة الجمعة

بين العشائين الثاني عشر من شهر رمضان من هذه السنة وله سبع وثمانون سنة وحملت جنازته على رؤوس الناس ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من قبر الإمام أحمد وكان يوما مشهودا حتى قيل إنه أفطر جماعة من الناس بسبب شدة الحر وكثرة الزحام رحمه الله وقد كتب على قبره عن وصيته بذلك هذه الأبيات

يا كثير العفو عمن ... كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو ... الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء ... الضيف إحسان إليه

وقد كان للشيخ جمال الدين ابن الجوزي من الأولاد الذكور ثلاثة عبد العزيز وهو أكبر أولاده مات شابا في حياة والده سنة أربع وخمسين ثم أبو القاسم علي وقد كان عاقا لوالده يتحامل عليه في زمن المحنة وغيرها وقد تسلط على كتبه في غيبته بواسط فباعها بأبخس الأثمان ثم محيي الدين يوسف وكان أنجب الأولاد وأصغرهم ولد سنة ثمانين ووعظ بعد أبيه واشتغل وحرر وأتقن وساد أقرانه ثم باشر حسبة بغداد ثم كان رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ولا سيما إلى بني أيوب بالشام وقد حصل منه الأموال والكرامات ما ابتنى من ذلك المدرسة التي بالنشابين بدمشق ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم في سنة أربعين وستمائة واستمر مباشرها إلى أن قتل مع الخليفة عام هولاكو بن تولي بن جنكزخان وكان له عدة بنات منهن رابعة أم سبطه أبي المظفر بن قزغلي صاحب مرآة الزمان وهي كتاب من أجمع التواريخ وأكثرها فائدة وقد ذكره القاضي شمس الدين ابن خلكان في الوفيات فأثنى عليه ومدحه وشكر من تصانيفه وعلومه

العماد الكاتب الأصبهاني

محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله بتشديد اللام وضمها المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني صاحب المصنفات والرسائل والشعر وهو قرين القاضي الفاضل ومن نمطه واشتهر في زمن الفاضل فهو فاضل ولد بأصبهان في سنة تسع عشرة وخمسمائة وقدم بغداد فاشتغل بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن الرزاز مدرس النظامية وسمع الحديث ثم رحل إلى الشام فحظي عند الملك نور الدين محمود بن زنكي وكتب بين يديه وولاه المدرسة التي أنشأها داخل باب الفرج التي يقال لها العمادية نسبة إلى العماد هذا لكثرة إقامته بها وتدريسه فيها ولم يكن أول من درس بها بل قد سبقه في تدريسها أحد كما تقدم في ترجمة نور الدين ثم كتب في الدولة الصلاحية وكان القاضي الفاضل يثني عليه ويشكره قالوا وكان شعره يعتريه جمود وفترة ثم يجيء في غاية الجودة والحدة وقد قال القاضي الفاضل يوما لأصحابه قولوا فيه فتكلموا وشبهوه في هذه الصفة بصفات فلم يقبلها الفاضل وقال هو كالزناد ظاهره بارد وداخله نار وله من المصنفات خريدة القصر في شعراء العصر والفتح القدسي والبرق الشامي وغير ذلك من المصنفات المسجعة والعبارات المصرعة والقصائد المطولة والمعاني والألفاظ المؤتلفة ومن لطيف نظمه قوله

كيف قلتم في مقلتيه فتور ... وأراها بلا فتور تجور

لو بصرتم به وطرفه كئيب • قلتم ذا الكاسر الا كسير •
هو ترتر من حاجبيه لا حمّاء • فؤادي كأنه مزتور •
لا تسلوا عن العقار فعقلي • طائح من عقاره بن عقير •
كيف يصحو امرؤ بسكره مستهام • مزجت كأسه الحسان الحور •
او يرثي ساقيها الحدق النجل • وامدت له النحول الحضور •
ما يصيد الاسد الجوادر الا • ظبيات كناسهن الخدور •
كل غضيض الموشح هيفاء • على البدر جيبها مزرور •
وجنات يجني الشقائق منها • وثنايا كأنها المنثور •

وكانت وفاته في مستهل رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة رح ودفن بمقابر الصوفية الامير بهاء الدين قراقوش الفحل الخصي احد كبراء امراء الدولة الصلاحية كان شهما شجاعا تسلم القصر لما مات العاضد وعمر سور القاهرة محيطا على مصر ايضا وانتهى به الى المقسم وهو المكان الذي اقتسمت فيه الصحابة مغانم الديار المصرية وبنى قلعة الجبل وقد كان الملك صلاح الدين سلمه عكا ليعمر فيها اماكن كثيرة فوقع الحصار وهو بها فلما خرج منها البدل كان هو ممن خلص من خرج حين دخلها ابن المشطوب وقد ذكر انه اسر فافتدى نفسه بعشرة الاف دينار وعاد في حياة الملك صلاح الدين ففرح به كثيرا ولما توفي في هذه السنة احتاط الملك العادل على تركته وصارت املاكه واقطاعه للملك الكامل بن محمد العادل قال القاضي ابن خلكان وقد نسب اليه احكام عجيبة حتى صنف بعضهم جزءا لطيفا سماه كتاب الفاشوش في احكام قراقوش فذكر اشياء كثيرة قال واظنها موضوعة عليه فان الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه وما كان ليفعل ذلك وهو بهذه المثابة محلية بن عبد الله المستنجدي كان تركيا زاهدا عابدا سمع المؤذن وقت السحر وهو ينشد على المنارة

• يا رجال الليل جدوا • رب صوت لا يرد •
• ما يقوم الليل الا • من له عزم وجد •

فبكى محلية وقال للمؤذن يا مؤذن زدني فقال المؤذن

• قد مضى الليل وولى • وحبيبي قد تجلى •

فصرخ محلية صرخة كان فيها حتفه فاصبح اهل البلد قد اجتمعوا على بابه للتشهد من وصل الى نعشه رحمه الله واكرم مثواه ابو منصور بن ابي بكر بن شجاع المؤذن شيخ بغداد ويعرف بابن نقطة كان يدور في اسواق بغداد بالنهار ينشد كان وكان والمواليا ويسحر الناس في ليالي رمضان وكان مطبوعا ظريفا خليعا وكان اخوه الشيخ عبد الغني الزاهد من اكابر الصالحين له زاوية ببغداد يزار فيها وكان له اتباع ومريدون ولا يدخر شيئا يحصل له من الفتوح فتصدق في ليلة بالف دينار واصحابه صيام لم يدخر لهم شيئا ولا عشاء وزوجه ام الخليفة بجارية من خواصها وجهزتها بعشرة الاف دينار فما حال الحول وعندهم من ذلك شيء بل جميع ذلك يؤثر به ويتصدق به حتى لم يبق عندهم منه سوى هاون فوقف سائل يلح في الطلب على الباب فاخرج اليه الهاون وقال خذ هذا وكل به ثلاثين يوما ولا تشنع على الله عز وجل وكان من خيار الصالحين

والمقصود

والمقصود انه قيل له اخيرا في منصور هذا وكيف انه يدور في الاسواق وينشد الاشعار والحول من قدر فيه فانشأ يقول في جواب ذلك بيتين من المواليا من شعره على البديهة

• قد خاب من شبه الجزعة الى دره • وسام تخبز الى مستخسر حره •
• انا مغني واخي زاهد الحضره • في الدار من ذي حلوه وذي مره •

وقد جرى عنده مرة ذكر قتل علي وعثمان حاضرا بالمدينة فانشأ يقول كان وكان ومن قتل في جواره مثل ابن عفان واعتذر يجب عليه ان يقتل في الشام عذر يزيد ٥ ٥

فارادت الروافض قتله فاتفق انه في بعض الليالي يسحر الناس في رمضان اذ مر بدار الخليفة فعطس الخليفة في الطارمة فشمته ابو منصور هذا من الطريق في نظم ارتجله على البديهة من المواليا يقول في اخره اي من عطس في المنظرة يرحمك الله فارسل اليه مائة دينار ورسم بحمايته من الروافض الى ان مات في هذه السنة سامحه الله وفيها توفي مسند الشام ابو طاهر بركات بن ابراهيم بن طاهر الخشوعي شارك ابن عساكر في كثير من مشايخه وطال عمره بعده وكانت وفاته لسبع وعشرين سنة فالحق فيها الاحفاد بالاجداد

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

فيها شرع الشيخ ابو عمر محمد بن احمد بن قدامة المقدسي في بناء المسجد الجامع بالجبل فانفق عليه رجل يقال له الشيخ ابو داود محاسن الفامي حتى بلغ البناء مقدار قامة وفرغ ما كان معه فارسل الملك المظفر كوكري بن زين الدين صاحب اربل مالا جزيلا لتتميمه فكمل وارسل الف دينار ليساق اليه الماء من بردى فلم يمكن من ذلك المعظم صاحب دمشق واعتذر بان هذا يشوش قبورا كثيرة للمسلمين ففتح له بئر وبغل يدور ووقف عليه ووقف لذلك وقفا وفيها جرت حروب كثيرة وخطوب طويلة بين الخوارزمية والغورية ببلاد المشرق بسطها ابن الاثير فانتصر فيها ابن كثير وفيها درس بالنظامية مجد الدين يحيى بن الربيع وخلع عليه خلعة سنية سوداء وطرحة كحلي وحضر عنده العلماء والاعيان وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد ابو الحسن علي بن سلمان الحلي وخلع عليه ايضا

وممن توفي فيها من المشاهير

القاضي ابن الزكي

محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز ابو المعالي القرشي محيي الدين قاضي القضاة بدمشق وكان ابوه وجده وابو جده يحيى بن علي المذكور وهو اول من ولي الحكم بدمشق منهم وكان جد الحافظ بن عساكر لامه وقد ترجمه في التاريخ ولم يزد على القرشي قال الشيخ ابو شامة ولو كانوا امويا عثمانيا كما يزعمون لذكر ذلك ابن عساكر اذ كان فيه شرف لجده وخاليه محمد وسلطان ولو كان ذلك صحيحا لما خفي عليه اشتغل على القاضي شرف الدين ابي سعد عبد الله بن محمد بن ابي عصرون كما تقدم بيان ذلك في سنة ثلاث وثمانين ثم ولاه قضاء دمشق واضاف اليه قضاء حلب ايضا وكان ناظرا اوقاف الجامع ثم عزل عنها قبل وفاته بشهور وولها شمس الدين ابن المتيني ضمانا وقد كان القاضي محيي الدين ابن الزكي ينهى الطلبة عن الاشتغال بالمنطق

ذا الكلام ويمزق من كان عنده شيء من ذلك بالمدرسة التقوية وكان يحفظ العقيدة المسماة بالمصباح للغزالي ويحفظها اولاده ايضا وكان له درس في التفسير يذكره بالكلاسة تجاه تربة الملك الناصر صلاح الدين وكان قد وقع بينه وبين الاسماعيلية فاتخذ له بابا من داره الى الجامع ليخرج الى الصلاة منه ثم خولط في عقله فكان يعتريه شبه الصرع الى ان توفي في سابع شعبان من هذه السنة ودفن في تربته بسفح قاسيون

الخطيب الدولعي

ضياء الدين ابو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التغلبي الدولعي نسبة الى قرية بالموصل يقال لها الدولعية ولد بها سنة ثمان عشرة وخمسمائة وتفقه ببغداد على مذهب الشافعي سمع الترمذي على ابي الفتح الكروخي والنسائي من ابي الحسن علي بن احمد اليزدي ثم قدم دمشق فولي بها الخطابة وتدريس الغزالية وكان زاهدا متورعا حسن الطريقة مهيبا في الحق وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبور الشهداء وكان يوم جنازته مشهودا وتولى بعده الخطابة ولده كمال الدين محمد سبعا وثلاثين سنة ثم ابن الزكي ولده الزكي الطاهر فصلى بالناس صلاة واحدة فسمع كمال الدين الامير فلك الدين اخو العادل فولاه اياها فبقي فيها الى ان توفي في سنة خمس وثلاثين وستمائة الشيخ علي بن محمد بن علبيس اليمني العابد الزاهد كان مقيما بشرقي الكلاسة وكانت له احوال ومقامات نقلها الشيخ علم الدين السخاوي عنه ورواها ابو شامة عنه في الذيل الصدر ابو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد الحراني التاجر ولد سنة احدى عشرة عام ولد نور الدين بن زنكي وسمع الحديث ببغداد ومصر وغيرهما في البلدان وحدث وتوفي بحران في ذي الحجة ومن شعره قوله

تنقل المرء في الآفاق يكسبه * محاسنا لم يكن فيها ببلدته

اما ترى بيذق الشطرنج اكسبه * حسن التنقل فيها فوق رتبته

الست الجليلة المصونة بنفشا بنت عبد الله عتيقة الامام المستضيء وكانت من اكبر حظاياه ثم صارت بعده من اكثر الناس صدقة وبرا واحسانا الى العلماء والفقراء لها بطريق الحجاز معروف كثير ووقفت على الحنابلة مدرسة واوقافا دارة ودفنت لها ببغداد عند قبر معروف الكرخي

ابن المحتسب الشاعر

ابو الشكر محمود بن سليمان بن سعيد الموصلي ويعرف بابن المحتسب تفقه ببغداد ثم سافر الى البلاد وصحب ابن الشهرزوري وقدم معه حين ولي قضاء بغداد فولاه نظر اوقاف النظامية وكان فاضلا يقول الشعر الرائق فمن ذلك

اسلفتها في سلافة العنب * جميع ما بغنني من الذهب

وانتشب مع النفس في معامله * فيها بما عندنا من النشب

جميع ما في الهميان يحقره * العاقل في ثمنها النشب

لا سيما ان اتتك كالذهب * قد قلدت ما عقد من الحبب

تحرق

تحرق في كف المديران وقف * الدور بها ساعة من اللهب

اذا ابدا منها لبيتنا في السمع * ترنو للهو واللعب

ننتبه من سماء راووقها * الرائق رجما بالانجم الشهب

ما قطبت بيد الشاربها * وحق تبت يدا ابي لهب

ام بالكرم خلف حائطه * تاخذني نشوة من الطرب

اسكر بالامس ان عزمت على * الشرب غدا ان ذا من العجب

جنبها سكرها وصحبتها * تخريبه شرع لسيد العرب

تركتها جانبا ولذنا الى * ظل امام ينجي من النوب

الطاهر الطهر وابن خرقته * وطاهر الخلق طاهر النسب

ماذا يقول المداح في رجل * بخليفة الله وابن عم نبي

ومن شعره الرائق ايضا قوله

اما ب وصفا لخمرة اماها * يا حبذا ما كان من مهابها

حبابها الساقي وقد اتحده * سكر من اذ السكر احبابها

خطابها وتنفقة شرعية * على الذي يفلس من خطابها

دعا بها في صدر كل باخل * وحليتا من كان من دعا بها

لعابها قلب الحسو واشكرا * كل فتى في الناس قد نشابها

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة

قال السبط ابن الجوزي في المرآة في ليلة السبت سلخ المحرم ماجت النجوم في السماء شرقا وغربا وتطايرت كالجراد المنتشر يمينا وشمالا قال ولم ير هذا الا في عام المبعث قبل سنة احدى واربعين ومائتين وفي هذه السنة شرع في عمارة سور قلعة دمشق واستنوى برج الزاوية القبلية العتبية المجاورة لباب النصر وفيها ارسل الخليفة الناصر الخلع وسراويلات الفتوة للملك العادل وبنيه وفيها بعث السلطان ولده الاشرف موسى لمحاصرة ماردين وساعده جيش سنجار والموصل ثم وقع الصلح على يدي الظاهر على ان يحمل صاحب ماردين للعادل في كل سنة مائة الف وخمسين الف دينار وان يكون السكة والخطبة للعادل وانه متى طلبه بجيشه يحضر اليه وفيها كمل بناء رباط المرزبانية وولي الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي ومعه جماعة من الصوفية ورتب لهم من المعلوم والجرايات ما ينبغي لمثلهم من اقامتهم بالديار المصرية وفيها استحوذت الكرج على مدينة دوين فقتلوا اهلها ونهبوها وهي من بلاد اذربيجان وذلك لاشتغال ملكها بالفسق وشرب الخمر قبحه الله فتمكنت الكفرة من رقاب المسلمين بسببه وذلك كله غل في عنقه يوم القيامة وفيها توفي الملك غياث الدين الغوري اخو شهاب الدين فقام في الملك بعده ولده محمود وتلقب بلقب ابيه وكان غياث الدين عاقلا حازما شجاعا لم تكسر له راية قط مع كثرة حروبه وكان شافعي المذهب فبنى مدرسة هائلة وكانت سيرته في غاية الجودة وكذا سريرته رح

وممن توفي فيها من الاعيان

الامير الكبير فلك الدين ابو منصور سليمان بن سروه بن جلدك اخو الملك العادل لامه وكانت وفاته في التاسع والعشرين من المحرم ودفن بداره التي جعلها مدرسة داخل باب الفراديس في محلة الافتريس واوقف عليها الخان بكماله فقبل الله منه

القاضي ضياء الدين بن الشهرزوري

ابو الفضل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصلي قاضي قضاة بغداد وهو ابن اخي قاضي القضاة بدمشق كمال الدين الشهرزوري ايام نور الدين ولما توفي سنة ثنتين وتسعين في الدولة الصلاحية اوصى لولد اخيه هذا بالقضاء فوليه ثم عزل عنه بابن ابي عصرون وعوض بالسفارة الى الملوك ثم ولي قضاء بلده الموصل ثم استدعي الى بغداد فوليها سنتين واربعة اشهر ثم استقال فلم يقبله الخليفة لخطوته عنده فاستشفع بزوجته ست الملوك فدخلت على ام الخليفة وكانت لها مكانة عندها فاجيب الى ذلك فصار الى قضاء حماه فحسبت ايامه فكان يحاب عليه في ذلك وكانت لديه فضايل وله اشعار رايقة وكانت وفاته بحماه في المنتصف من رجب

عبد الله بن علي بن نصر بن حمزة ابو بكر البغدادي المعروف بابن المرستانية احد الفضلاء المشهورين سمع الحديث وجمعه وكان طبيبا منجما يعرف علوم الاوايل وايام الناس وصنف ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ورتبه على ثلثماية وستين كتابا الا انه لم يشتهر وجمع سيرة ابن هبيرة وكان يزعم انه من سلالة الصديق فتكلموا فيه بسبب ذلك فانشد بعضهم

دع الانساب لا تعرض لتيم • فان الهجن من ولد الصميم
لقد اصبحت من تيم دعيا • كدعوى حيص بيص الى تميم

ابن نجا الواعظ

علي بن ابراهيم بن نجا بن غانم زين الدين ابو الحسن الدمشقي الواعظ الحنبلي وهو سبط الشيخ ابي الفرج الشيرازي الحنبلي قدم بغداد فتفقه بها وسمع الحديث ثم رجع الى بلده ثم عاد اليها رسولا من جهة نور الدين في سنة اربع وستين وحدث بها ثم كانت له خطوة عند الملك الناصر صلاح الدين وهو الذي نم على عمارة اليمني وذويه فصلبوا وكانت له مكانة بمصر وقد تكلم يوم الجمعة التي خطب فيها بالقدس الشريف بعد الفراغ من الجمعة وكان وقتا مشهودا وقد كان يعيش عيشا طايلا كما يعيش الملوك في الاطعمة والملابس وكان عنده عشرون سرية كل واحدة بالف دينار ومع هذا كله مات فقيرا لم يخلف كفنا وقد انشد مرة وهو على منبره للوزير طلايع بن رزيك

مشيبك قد نضى صبغ الشباب • وحل الباز في وكر الغراب
تنام ومقلة الحدثان يقظى • وما ناب النوايب عنك ناب
وكيف بقاء عمرك وهو كنز • وقد انفقت منه بلا حساب

الشيخ ابو البركات محمد بن احمد بن سعيد التكريتي يعرف بالمؤيد وكان اديبا شاعرا ومما نظمه في الوجيه النحوي حين كان حنبليا فانتقل حنفيا ثم صار شافعيا فحلقة

النحو بالنظامية

الا مبلغ عني الوجيه رسالة • وان كان لا تجدي لديه الرسايل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل • وذلك لما اعوزتك المآكل
وما اخترت راي الشافعي تدينا • ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل انت لا شك صاير • الى مالك فافطن لما انا قايل

الست الجليلة المصونة درة خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله بن المستضيء كانت صالحة عابدة كثيرة البر والصلات والاوقاف والصدقات عمرت المصانع بطريق الحجاز الشريف واصلحت الطرقات وبنت لها تربة الى جانب قبر معروف الكرخي وكانت جنازتها مشهودة جدا واستمر العزاء بسببها شهرا وعاشت في دولة ولدها اربعا وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة الاوامر وفي هذه السنة كان مولد الشيخ شهاب الدين ابي شامة وقد ترجم نفسه عند ذكر مولده في هذه السنة في الذيل ترجمة طويلة تشتمل الى نشوه ووفاته وذكر بدء امره واشتغاله ومصنفاته وشيئا كثيرا من اشعاره وما رآه من المنامات المبشرة وفي هذه السنة كان ابتداء ملك جنكزخان ملك التتار لعنه الله وجنكزخان هو صاحب الياسق وضعها ليتحاكموا اليها التتار ومن تبعهم من امراء الملوك ممن يبتغي حكم الجاهلية وهو والد تولي والد هولاكو بن تولي الذي قتل الخليفة المستعصم واهل بغداد في سنة ست وخمسين وستماية على ما سياتي بيانه

سنة ستماية من الهجرة النبوية

في هذه السنة كانت الفرنج قد جمعوا خلقا كثيرا منهم ليستعيدوا بيت المقدس من المسلمين فيما كانوا زاعمين فاشغلهم الله بقتال الروم وذلك انهم اجتازوا في طريقهم بالقسطنطينية فوجدوا ملوكها قد اختلفوا فيما بينهم فحاصروها حتى فتحوها قسرا واباحوها ثلاثة ايام قتلا واسرا واحرق اكثر من ربع البلد وما اصبح احد من الروم بعد الثلاث الا قتيلا او فقيرا او مكبولا او اسيرا ولجا عامة من بقي بها الى كنيستها العظمى المسماة بصوفيا فقصدها الفرنج فخرج اليهم القسوس بالاناجيل ليتوسلوا اليهم ويتلوا عليهم ما فيها فما التفتوا الى شيء من ذلك بل قتلوهم اجمعين اكتعين ابصعين واخذوا ما كان في الكنيسة من الحلية والاذهاب على الصلبان والحيطان والحمد لله الرحيم الرحمن الذي ما شا كان وما لم يشا لم يكن ثم اقترع ملوك الفرنج وكانوا ثلاثة وهم دوق البنادقة وكان شيخا اعمى تقاد فرسه ومركيس الافرنسيس وكند افلند وكان اكثرهم عددا وعددا فخرجت القرعة له ثلاث مرات فولوه ملك القسطنطينية في هذه السنة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ولم يبق بايدي الروم منها الا ما وراء الخليج استحوذ عليه رجل منهم يقال له تشكري بن لسكري فلم يزل مالكا لتلك الناحية حتى توفي لعنه الله ثم ان الفرنج لعنهم الله قصدوا بلاد الشام وقد تقووا بملكهم القسطنطينية فنزلوا عكا واغاروا على كثير من بلاد الاسلام في ناحية الغور وتلك الاراضي فقتلوا وسبوا فنهض اليهم الملك العادل وكان بدمشق ولله الحمد واستدعى بالجيوش المصرية والمشرقية ونازلهم بالقرب

من عكا فكان بينهم قتال شديد ومصابرة عظيمة ثم وقع الصلح بينهم والهدنة وأطلق لهم السلطان شيئا من بعض البلدان فإنا لله وإنا إليه راجعون وفي هذه السنة جرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والغورية بالمشرق يطول ذكرها وفيها تخارج نور الدين صاحب الموصل وقطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار وساعد الأشرف ابن العادل وهو بحران لقطب الدين ثم اصطلحوا فيما بينهم وتزوج الأشرف أخت نور الدين وهي الأتابكية بنت عز الدين مسعود بن زنكي واقفة المدرسة التي بالسفح وبها تربتها رحمها الله تعالى وفيها كانت زلزلة عظيمة بديار مصر والشام والجزيرة وقبرص وغير ذلك من البلاد قاله ابن الأثير في كامله وفيها تغلب رجل من التجار يقال له محمود بن محمد الحميري على بعض بلاد حضرموت ظفار وغيرها واستمرت أيامه إلى سنة تسع عشرة وستمائة وما بعدها وفي جمادى الأولى منها عقد مجلس لقاضي قضاة بغداد وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سلمان الجيلي بدار الوزير وثبت عليه محضر بأنه يرتشي ولا يرشى فعزل في ذلك المجلس وفسق ونزعت الطرحة عن رأسه وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر وفيها كانت وفاة الملك ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان صاحب بلاد الروم ما بين ملطية وقونية وكانت فيها شهامة وصرامة غير أنه كان ينسب إلى اعتقاد الفلاسفة وكان كهفا لمن ينسب إلى ذلك وملجأ لهم وقد ظهر منه قبل موته بقليل أمر عظيم وذلك أنه حاصر أخاه شقيقه وكان صاحب أنكورية وتسمى أيضا أنقرة مدة سنين حتى ضيق عليه الأقوات بها فسلمها إليه قسرا على أن يعطيه بعض البلاد فلما تمكن منه ومن أولاده أرسل إليهم من قتلهم غدرا وخديعة ومكرا فلم ينظر إلا خمسة أيام حتى ضربه الله بالقولنج سبعة أيام ومات فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين وأقيم في الملك بعده ولده قلج أرسلان وكان صغيرا فبقي سنة واحدة ثم نزع منه الملك أيضا وصار إلى عمه كيخسرو وفيها قتل خلق كثير من الباطنية بواسط ولله الحمد قال ابن الأثير وفي رجب اجتمع جماعة من الصوفية برباط ببغداد في سماع فأنشدهم الحادي وهو الجمال الحلي

أعاذلتي أقصري لقد شيبي عزل

شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

وحق ليالي الوصال أواخرها والأول

وصفرة لون المحب عند استماع العذل

لئن عاد شملي بكم حلا العيش واتصل

قال فتحرك الصوفية على العادة فتواجد من بينهم رجل يقال له الدين أحمد بن إبراهيم الرازي فخر مغشيا عليه فحركوه فإذا هو ميت قال وكان رجلا صالحا وقال ابن الساعي كان شيخا صالحا قد صحب الشيخ عبد الرحيم شيخ الشيوخ فشهد الناس جنازته ودفن بباب أبرز

وممن توفي فيها من الأعيان

أبو محمد القاسم بهاء الدين بن الحافظ أبي القاسم علي بن هبة الله بن عساكر كان مولده في سنة سبع وعشرين وخمسمائة أسمعه أبوه الكثير وشارك أباه في سماع

وكتب

وكتب تاريخ أبيه مرتين بخطه وكتب الكثير وأسمع وصنف كتبا عدة وخلف أباه في إسماع الحديث بالجامع ودار الحديث النورية وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر ودفن بعد العصر على أبيه عند باب الصغير شرقي قبور الصحابة خارج الحظيرة رحمهما الله

الحافظ عبد الغني المقدسي

عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور الحافظ أبو محمد المقدسي صاحب التصانيف المشهورة من ذلك الكمال في أسماء الرجال والأحكام الكبرى والصغرى وغير ذلك ولد بجماعيل في ربيع الآخر من سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وهو أسن من ابن عمته الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي بأربعة أشهر وكانا قدما مع أهلهما من بيت المقدس إلى مسجد أبي صالح أولا ثم انتقلوا إلى السفح فعرفت المحلة بهم فقيل لها الصالحية فسكنوا الدير وقرأ الحافظ عبد الغني القرآن وسمع الحديث وارتحل هو والموفق إلى بغداد سنة ستين فأنزلهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة وكان لا ينزل عنده أحد ولكنه توسم فيهما النجابة والخير والصلاح فأكرمهما وأسمعهما ثم توفي بعد قدومهما بخمسين ليلة وكان ميل عبد الغني إلى الحديث وأسماء الرجال وميل الموفق إلى الفقه واشتغلا على الشيخ أبي الفتح ابن المني ثم قدما دمشق بعد أربع سنين فدخل عبد الغني إلى مصر وإسكندرية ثم عاد إلى دمشق ثم ارتحل إلى الجزيرة وبغداد ثم دخل إلى أصبهان فسمع بها الكثير ووقف على مصنف الحافظ أبي نعيم في أسماء الصحابة قلت وهو عندي بخط أبي نعيم فأخذ في مناقشته في أماكن من الكتاب في مائة وتسعين موضعا فغضب بنو الخجندي من ذلك فغضبوا عليه وأخرجوه منها مختفيا في إزار ولما دخل في طريقه إلى الموصل سمع كتاب العقيلي في الجرح والتعديل فثار عليه الحنفية بسبب ترجمة أبي حنيفة فخرج منها أيضا خائفا ولما ورد دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة برواق الحنابلة من جامع دمشق فيجتمع الناس إليه وكان رقيق القلب سريع الدمعة فحصل له قبول فحسده الدماشقة وجهزوا الناصح ابن الحنبلي فتكلم تحت النسر حتى يشوش عليه فحول عبد الغني ميعاده إلى بعد العصر فذكر يوما عقيدته على الكرسي فثار عليه القاضي محيي الدين بن الزكي والخطيب ضياء الدين الدولعي وعقدوا له مجلسا بالقلعة في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وتسعين وتكلموا معه في مسألة العلو ومسألة النزول ومسألة الحرف والصوت وطال الكلام حتى قال له الصارم برغش كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق فقال نعم فغضب من ذلك وأمره بالخروج من البلد فارتحل بعد ثلاث إلى بعلبك ثم إلى الديار المصرية فآواه الطحانين فكان يقرأ الحديث بها فثار عليه الفقهاء بمصر أيضا وكتبوا إلى الوزير صفي الدين بن شكر فأمر بتغييره إلى المغرب فمات قبل وصول الكتاب يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة وله سبع وخمسون سنة ودفن بالقرافة عند قبر الشيخ أبي عمرو بن مرزوق رحمهما الله هذا ملخص ما ذكره الشيخ شهاب الدين في الذيل وقال

السبط وكان ورعا زاهدا عابدا يصلي كل يوم ثلثماية ركعة كورد الامام احمد ويقوم الليل ويصوم غالب السنة وكان كريما جوادا لا يدخر شيا ويتصدق على الارامل والايتام حيث لا يراه احد وكان يرقع ثوبه ويوثر بثمنه وكان قد ضعفت بصره من كثرة المطالعة والبكا وكان اوحد زمانه في علم الحديث والحفظ قلت وقد هذب شيخنا ابو الحجاج المزي تغمده الله برحمته كتابه الكمال في اسماء رجال الكتب الستة بتهذيبه الذي استدرك عليه فيه اماكن كثيرة نحو الف موضع وذلك ان الامام المزي الذي لا يبارى ولا يجارى وكتابه التهذيب لم يسبق الى مثله ولا يلحق في مثله شكله فرحم الله صاحبي التهذيب والكمال فلقد كانا نادرين في زمانيهما في الرجال حفظا واتقانا واسماعا وسردا للمتون واسما الرجال قال ابن الاثير في الكامل وفيها توفي ابو الفتوح اسعد بن محمود العجلي الفقيه الشافعي باصبهان في صفر وكان اماما فاضلا العجلي صاحب تتمة التتمة اسعد بن ابي الفضايل محمود بن خلف بن احمد بن محمد العجلي الفقيه الشافعي الاصبهاني الواعظ منتجب الدين سمع الحديث وتفقه وبرع وصنف تتمة التتمة لابي اسعد الهروي وكان زاهدا عابدا وله شرح مشكلات الوسيط والوجيز قال ابن خلكان توفي في صفر سنة ستماية وله عشر وثمانون سنة رح

النباني الشاعر

ابو عبد الله محمد بن المهنا بن محمد الشاعر الشهير المعروف بالنباني مدح الخلفا والوزرا والامرا وغيرهم وكبر وعلت سنه وكان رقيق الشعر لطيفه فمن قوله

ظلما يرى مغرما في الحب يزجره • وعزه بالهوى امسيت منكره
يا عاذل الصب لو عاينت قاتله • بوجنة وعذار كنت تعذره
ايدي الذي سحر عينيه يعلمني • اذا انتضى لقتلي كيف اسحره
تستمتع الليل في نوم واسهره • الى الصباح وتنساني واذكره

وله ايضا

بكرت تدير على العواذل • وتجر ذيلا في الخمايل
وتميل في ثني الغلايل • عطفها هز الذوابل
وتقول للغصن الرطيب • لك مايلا وعثايل
بيضا صبغة خدها • يجني صبغ الورد حايل
شهد الحياة وصالها • وصدودها سم القواتل

ابو سعيد الحسن بن خالد بن المبارك بن محطا النصراني المارداني الملقب بالوحيد اشتغل في حداثته بعلم الاوايل فاتقنه وبرز فيه وكانت له يد طولى في الشعر الرايق فمن ذلك قوله قاتله الله

انا في كتاب تشاتد انامل • حوت ابحرا من بيضها بحرق البحر
فواعجبا اني اللوث فوق طرسه • وما عودت بالقبض اغلة الحشر

وله ايضا لعنه الله

لقد آثرت صدغاه في لون خده • ولاحا كفي من درآه زجاج

ترى عسكرا للروم في الزنج مذ بدت • طلايعه تسعى ليوم هياج
ام الصبح بالليل البهيم موشح • حكى ابنوسا في صفيحة عاج
لقد غار صدغاه على ورد خده • فسيجه من شعره بسياج

الطاوسي صاحب الطريقة

العراقي بن محمد بن العراقي ركن الدين ابو الفضل القزويني ثم الهمذاني المعروف بالطاوسي كان بارعا في علم الخلاف والجدل والمناظرة فيها بذلك اخذ عنه الشان عن الشيخ رضي الدين النيسابوري الحنفي وصنف في ذلك ثلاث تعاليق قال ابن خلكان احسنهن الوسطى وكانت اليه الرحلة بهمذان وقد بنى له بعض الامرا الحجبة بها مدرسة تعرف بالحاجبية وكانت وفاته في هذه السنة ويقال انه منسوب الى طاوس بن كيسان التابعي والله اعلم

ثم دخلت سنة احدى وستماية

فيها عزل الخليفة الناصر ولده محمدا الملقب بالظاهر عن ولاية العهد بعد ما خطب له بذلك سبع عشرة سنة وولي العهد ولده الاخر عليا فمات علي عن قريب فعاد الامر الى الظاهر فبويع بالخلافة بعد ابيه الناصر كما سيأتي في سنة اثنتين وعشرين وفيها وقع حريق عظيم بدار الخلافة في خزاين السلاح فاحترق شي كثير من السلاح والامتعة والمساكن ما يقارب قيمته اربعة الاف دينار وشاع خبر هذا الحريق في الناس فارسلت الملوك من ساير الاقطار هدايا الاسلحة الى الخليفة عوضا مما فات شيا كثيرا ولله الحمد وفيها عاثت الكرج في بلاد المسلمين فقتلوا خلقا واسروا امما وفيها وقعت الحرب بين امير مكة قتادة الحسني وبين امير المدينة سالم بن قاسم الحسيني وكان قتادة قد قصد المدينة فحصرها لما فيها فركب اليه سالم بعدما صلى عند الحجرة النبوية واستنصر الله على قتادة ثم برز اليه فهزمه وساق وراه الى مكة فحصره بها ثم ان راسل قتادة امرا سالم فاستمالهم عليه وكر سالم راجعا الى المدينة وهو سالم وفيها ملك غياث الدين كيخسرو ابن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بلاد الروم استلبها من ابن اخيه واستقر هو بها وعظم شانه وقويت شوكته وكسر عساكره واطاعه الامرا واصحاب الاطراف وخطب له الافضل بن صلاح الدين بشميساط وسار الى خدمته واتفق في هذه السنة ان رجلا ببغداد نزل الى دجلة ليسبح بها واعطى ثيابه لغلامه فغرق في الماء فوجدت في رقعة بعمامته هذه الابيات

يا ايها الناس كان لي امل • قصر بي عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل • امكنه في حياته العمل
ما انا وحدي نقلت حيث ترى • كل الى مثله سينتقل

ومن توفي فيها من الاعيان والمشاهير

أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت الحلي المعروف بشميم كان شيخاً أديباً فاضلاً نحوياً شاعراً جمع من شعره لنفسه حماسة كان يفضلها على حماسة أبي تمام وله خمريات يزعم أنها أحسن من التي لأبي نواس ولهذا قال أبو شامة في الذيل كان قليل الدين ذا حماقة ورقاعة وله حماسة ورسائل وقال ابن الساعي قدم بغداد وأخذ النحو عن ابن الخشاب وحصل طرفاً صالحاً من النحو واللغة وأشعار العرب ثم أقام بالموصل حتى توفي بها ومن شعره في حماسته

لا تسرحنّ الطرف في بقر المها ... فمصارع الآجال في الآجال
كم نظرة أردت وما أخذت ... يدا المصمي لحر قتلت ثار تنال
سمحت وما سمحت بتسليم ... واعلال الغنية علة المحتال

ومن خمرياته قوله

امزج بمسبوك اللجين ... ذهباً حكته دموع عيني
لما نعى ناعي الفراق ... ببين من أهوى وبيني
خفقت لنا شمسان من ... لألائها في الخافقين
وبدت لنا في كأسها ... من لونها في حلتين

ومن شعره في التجنيس قوله

ليت من طول بالشام ثواه وثوى به ... جعل العود إلى الزوراء من بعض ثوابه
أترى يوطئني الدهر ثرى مسك ترابه ... وأرى أي نور عيني موطناً لي وترى به

أبو نصر محمد بن سعد الله بن نصر بن سعيد بن الدجاجي كان شيخاً مهيباً بهياً واعظاً حنبلياً شاعراً فمن شعره قوله

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها ... كان إلى نيل المنى أحرى لها
وإذا أرى إما سددت أقوالها ... كانت على حمل العلى أقوى لها
فإن تبدت حالها لمن طها لها ... في قبره عند البلى لما لها

أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والنحو واللغة والعروض والطب وله تصانيف حسان وشعر رائق منه قوله

وفي الوجنات ما في الروض لكن ... لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب منه أني ... أرى البستان يحمله قضيب

أبو الفدا إسماعيل بن برتقش السنجاري مولى صاحبها عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي كان جندياً حسن الصورة مليح النظم كثير الأدب فمن شعره ما كتب به إلى الملك الأشرف موسى يعزيه في أخ له اسمه يوسف

دموع المعالي والمكارم ذرّف ... وربع العلى قاع لفقدك صفصف
غدا الجود والمعروف في اللحد ثاوياً ... غداة ثوى في ذلك اللحد يوسف
فتى خطفته كف المنية وحده ... وقد كان للأرواح بالسيف يخطف
سقته ليالي الدهر كأس حمامها ... وكان بسقي الموت في الحرب يعرف
فوا حسرتا لو ينفع الموت حسرة ... ووا أسفا لو كان يجدي التأسف

وكانت

وكانت على الأرزاء نفسي قوية ... ولكنها عن حمل ذا الرزء تضعف

أبو الفضل العباس بن جامع بن علي الإربلي تفقه بالنظامية وسمع الحديث وصنف التاريخ وغيره وتفرد بحسن كتابة الشروط وله فضل ونظم حسن فمنه قوله

أمرض قلبي ما لهجرك آخر ... ومسهر طرفي هل خيالك زائر
ومستعذب التعذيب جوراً بصده ... أما لك في شرع المحبة زاجر
سيبلى لك القلب الذي تدّعي به ... على ذكر أيامي وأنت مسافر
فلا فارق الحزن المبرح خاطري ... لبعدك حتى يجمع الشمل قادر
فإن مت فالتسليم مني عليكم ... بناديكم ما كبر الله ذاكر

أبو السعادات الحلي التاجر البغدادي الرافضي كان في كل جمعة يلبس لامة الحرب ويقف خلف باب داره وهو محاذٍ عليه والناس في صلاة الجمعة وهو ينتظر أن يخرج صاحب الزمان من سرداب سامرا يعني محمد بن الحسن العسكري ليمسك بسيفه في الناس نصرة للمهدي أبو غالب بن بكوشا اليهودي الكاتب كان يزور على خط ابن مقلة من قوة خطه توفي لعنه الله في هذه السنة بمطمورة بواسط وفيها توفي يهودي آخر يقال له أبو غالب بن أبي طاهر بن شبر كان عاملاً على دار الضرب ببغداد ذكرهما ابن الساعي الخازن في تاريخه

ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة

فيها وقعت حرب عظيمة بين الملك شهاب الدين محمد بن سام الغوري صاحب غزنة وبين بني كوكر أصحاب جبل الجودي وكانوا قد ارتدوا وأعرضوا عن الإسلام فقاتلهم وكسرهم وغنم منهم شيئاً كثيراً إلا أن بعضهم تبعه حتى قتلوه غيلة في ليلة مستهل شعبان منها بعد العشاء وكان من أجود الملوك سيرة وأعقلهم وأثبتهم تغمده الله برحمته ولما قتل كان في صحبته فخر الدين الرازي وكان يجلس للوعظ بحضرة الملك ويعظه ويبكي حين يقول له في أثناء المجلس يا سلطان سلطانك لا يبقى ولا يبقى الرازي أيضاً وإن مردنا إلى الله وحين قتل السلطان اتهمه بعض الخاصكية بقتله فخاف من ذلك والتجأ إلى الوزير مؤيد الملك ابن خواجا فسيره إلى حيث يأمن وتملك غزنة بعده أحد مماليكه تاج الدين الدز وجرت بعد ذلك خطوب يطول بسطها قد استقصاها ابن الأثير وابن الساعي أيضاً وفيها أغارت الكرج على بلاد المسلمين فوصلوا أخلاط فقتلوا وسبوا وقاتلهم المقاتلة والعامة وفيها سار صاحب إربل مظفر الدين كوكري بن زين الدين وصحبته صاحب مراغة لقتال ملك أذربيجان وهو أبو بكر بن البهلوان وذلك لإعراضه عن قتال الكرج وإقباله على السكر ليلاً ونهاراً فلم يقدرا عليه لأنه تنبه لهما وجرد جيشه نحوهما ثم إنه تزوج في هذه السنة ببنت ملك الكرج فانكف شرهم عنه قال ابن الأثير فكان كما يقال أغمد سيفه وسل أيره وفيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الحسني وخلع عليه الوزارة وضربت الطبول بين يديه وعلى أبوابه في أوقات الصلوات

النجد المرتب والعشا ونهبا اغار صاحب بلاد الارمن وهو ابن لاون على بلاد حلب فقتل وسبى ونهب فخرج اليه الظاهر بن غازي بن الناصر فهرب ابن لاون بين يديه فهدم الظاهر قلعة كان بناها ابن لاون في كماسا الارمن وفي شعبانها هدمت القنطرة الرومانية التي كانت عند الباب الشرقي ونشرت حجارتها ليبلط بها الجامع الاموي بشارة الوزير صفي الدين بن شكر وزير العادل فكمل تبليطه في سنة اربع وستماية

وممن توفي فيها من المشاهير

شرف الدين ابو الحسن علي بن محمد بن علي جمال الاسلام ابن المشهور زوري بمدينة حمص وقد كان اخرج اليها من دمشق وكان قبل ذلك مدرسا بالامينية والحلقة بالجامع تجاه البرادة وكان لديه علم جيد بالمذهب والخلاف الشيخ عيسى بن يوسف بن احمد الراقي الغزالي الضرير مدرس الامينية ايضا كان يسكن المنارة الغربية وكان عنده شاب يخدمه ويقود به فعدم للشيخ دراهم فاتهم هذا الشاب بها فلم يثبت له عنده شي واتهم به الشيخ ولم يكن يظن ان عنده من المال شي فضاع المال واتهم عرضه فاصبح يوم الجمعة السابع من ذي القعدة مشنوقا بعينه من المادنة الغربية فاحجم الناس عن الصلاة عليه لكونه قتل نفسه فتقدم الشيخ فخر الدين بن عساكر فصلى عليه فايتم به الناس قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة وانما حمله على ما فعله كثرة همه لضياع ماله والوقوع في عرضه قال وقد جرى لي اخت هذه القضية وعصمني الله سبحانه بفضله قال وتولى التدريس بعده في الامينية الجمال المصري وكيل بيت المال ابو الغنايم المركلاني البغدادي كان يخدم مع عز الدين نجاح الشرابي وحصل اموالا جزيلة وكان كلما تهيا له مال اشترى به ملكا وكتبه باسم صاحب له يعتمد عليه فلما حضرته الوفاة اوصى ذلك الرجل ان يتولى اولاده وينفق عليهم من مالهم مما تركه لهم فجحد الوصي بعد موته فلم يعطهم شيئا فاستدعى الشهود ليشهدهم على نفسه بما في يده لورثة المركلاني وتمادى ورثته في احضار الشهود واخذته سكتة فمات فاستولى ورثته على تلك الاموال والاملاك ولم يعطوا اولئك شيئا مما تركه ابوهم لهم ابو الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي تفقه ببغداد واعاد بالنظامية وناب في تدريسها واستقل بتدريس المدرسة التي انشأتها ام الخليفة وارتد على نيابة القضاء عن ابي طالب علي بن علي البخاري فامتنع من ذلك فالزم به فباشره قليلا ثم دخل يوما الى مسجد فلبس على راسه ميزر صوف وامر الوكلا والجلا ودواب ينصرفوا عنه واشهد على نفسه بعزلها عن نيابة القضا واستمر على التدريس والاعادة رحمه الله في العشرين من ربيع الاول توفيت الخاتون ام السلطان الملك المعظم بن العادل ودفنت في القبة التي بالمدرسة المعظمية بسفح قاسيون الامير مجير الدين طاشتكين المستنجدي امير الحاج وزعيم بلاد خوزستان كان شيخا خيرا حسن السيرة كثير العبادة غاليا في التشيع توفي بتستر في ثاني جمادى الاخرة من سنة ثنتين وستماية وحمل تابوته الى الكوفة فدفن بمشهد علي بوصية منه هكذا ترجمه ابن الساعي في تاريخه وذكر ابو شامة في الذيل ان مجير الدين طاشتكين ابن عبد الله المقتفوي امير الحاج حج بالناس ستا وعشرين سنة وكان يكون في الحجاز

كان

كان ملك وقد رماه الوزير بن يونس بانه يكاتب صلاح الدين فحبسه الخليفة ثم تبين بطلان ما ذكر عنه فاطلقه واعطاه خوزستان ثم اعاده الى امرة الحاج وكانت الحلة السيفية اقطاعه وكان شجاعا جوادا سمحا قليل الكلام يمضي عليه الاسبوع لا يتكلم فيه بكلمة وكان فيه احتمال وحلم استغاث به رجل على بعض نوابه فلم يرد عليه فقال له المستغيث احمار انت فقال لا وفيه يقول ابن التعاويذي

دامير على البلاد مولى · لا يجيب الشاكي بغير السكوت
كلما ازداد رفعة · حطنا الله بتنقيله الى البهموت

وقد سرق فراشه حياصة له فارادوا ان يستقروا الفراش عليها وكان قد بلغ من العمر راه الامير طاشتكين وهو ياخذها فقال لا تعاقبوا احدا فقد اخذها من لا يردها ورآه من لا ينم عليه وكان قد بلغ من العمر تسعين سنة واتفق انه استاجر ارضا مدة ثلثماية سنة للوقف فقال فيه بعض المتحكمين هذا لا يوقن بالموت عمره تسعون سنة ٥ واستاجر ارضا ثلثماية سنة فاستضحك القوم

ثم دخلت سنة ثلاث وستماية

فيها جرت امور طويلة ببلاد المشرق بين الغورية والخوارزمية وملك خوارزم شاه محمد بن تكش بلاد الطالقان وفيها ولى الخليفة الناصر قضاء القضاة ببغداد لعماد الدين ابي القاسم عبد الله بن الدامغاني وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الكيلاني بسبب فسقه وفجوره وقد احرقت كتبه واموا له قبل ذلك لما فيها من كتب الفلاسفة وعلوم الاوايل واصبح يستعطي من الناس وهذا عطيه قيامه على الشيخ ابي الفرج بن الجوزي فانه هو الذي كان وشى به الى الوزير بن القصاب حتى احترقت بعض كتب ابن الجوزي وختم على بقيتها ونفي الى واسط خمس سنين كما تقدم بيان ذلك والناس يقولون في الله كتابه وفي القران وجزا سيئة سيئة مثلها والصوفية يقولون الطريق ياخذ حقها والاطبا يقولون الطبيعة مكافية وفيها نازل الفرنج حمص فقاتلهم ملكها اسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه الكبير واعانه بالمدد الملك الظاهر صاحب حلب فكف الله شرهم ولله الحمد والمنة وفيها اجتمع شابان على شراب فضرب احدهما الاخر بسكين فقتله وهرب فاخذ فوجد معه رقعة فيها بيتان من نظم امر ان يجعلا بين اكفانه وهما قوله

قدمت على الكريم بغير زاد · من الاعمال بالقلب السليم
وسوء الظن ان تعتد زادا · اذا كان القدوم على الكريم

وممن توفي فيها من الاعيان

الفقيه العالم ابو منصور عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله بن النعمان النيلي الملقب بالقاضي شريح لذكائه وفضله وبراعته وعقله وكمال الخلاقة ولي قضاء بلده ثم قدم بغداد فتدرب الى المناصب الكبار فيما تخلف عليه الامير طاشتكين ان يحمل عنه الكتابة فخدمه عشرين عاما ثم وشى به الوزير ابن مهدي الى الخليفة فحبسه في دار طاشتكين الى ان توفي فيها هذه السنة ثم ان الوزير عاقب حبسه بها ايضا ومات

فيها وهذا من العجب الغريب عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر كان ثقة عابدا ورعا لم يكن في اخوته خير منه لم يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات بل كان مشتغلا بالعبادة مقبلا على امر الاخرة وقد سمع الكثير وسمع عليه ايضا ابو الحرم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني من اعمال سنجار شيخ الموصل النحوي قدم بغداد واخذ عن ابن الخشاب وابن العصار والكمال الانباري وقدم الشام فانتفع به خلق عظيم منهم الشيخ علم الدين السخاوي وغيره وكان ضريرا يتعصب لابي العلا المعري لما بينهما من القدر المشترك في الادب والعمى

ومن شعره

اذا احتاج النوال الى شفيع • فلا تقبله تصبح قرير عين
اذا عيف النوال لفرد من • فاولى ان يعاف لمنتين

ومن شعره

نسي الغداة لاعتيد عنج • قال لنا الخل يوم ودعنا
من ود شيئا من حبه طمعا • في قبله للوداع ودعنا

اقبال الخادم جمال الدين احد خدام صلاح الدين واقف الاقباليتين الشافعية والحنفية وكان دارين له فوقف عليهما وجعلهما وقفا الكبيرة للشافعية وعليها ثلثا الوقف والصغيرة للحنفية وعليها ثلث الوقف وكانت وفاته بالقدس الشريف رح

ثم دخلت سنة اربع وستمائة

فيها رجع الحاج الى العراق وهم يدعون الى الله ويشكون الى الناس ما لقوا من صدر جهان البخاري الحنفي الذي كان قدم بغداد في رسالة فاحتفل به الخليفة وخرج الى الحج في هذه السنة فضيق على الناس في المياه والميرة فمات نحو من ستة الاف من الحجيج العراقي بسببه في هذه السنة كان فيما ذكروا يسبق غلمانه الى المناهل فيحجرون على المياه ويأخذونه فيرشونه حول خيمته ويحجرونه في وسط الحجاز ويسقون البقولات التي تحمل معه في ترابها ويمنعون منه ابن السبيل والامين المسجد الحرام حتى مات خلق كثير بسبب ذلك فلما رجع مع الناس لعنته العامة ولم يحتفل به الخاصة ولا ارسل اليه الخليفة احدا وخرج من بغداد والعامة وراءه يرجمونه ويلعنونه وسماه الحجاج في هذه السنة صدر جهنم نعوذ بالله من الخذلان وفيها قبض الخليفة على وزيره بن مهدي العلوي وذلك لانه نسب اليه انه يروم الخلافة وقيل غير ذلك من الاسباب والمقصود انه حبس بدار طاشتكين الامير حتى مات بها وكان جبارا عنيدا فذمه الشعرا حتى قال بعضهم فيه

خليلي قولا للخليفة احمد • توق وقيت السوء ما انت صانع
وزيرك هذا بين امرين فيهما • صنيعك يا خير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة حيدر • فهذا وزير في الخلافة طامع
وان كان فيما يدعي غير صادق • فاضيع ما كانت لديه الصنائع

وقد قيل انه كان عفيفا عن الاموال حسن السيرة جيد المباشرة فالله سبحانه وتعالى اعلم بحاله وفيها رتب الخليفة ببغداد عشرين دارا للضيافة يفطر فيها الصائمون من الفقرا يطبخ في كل منها طعام كثير ويحمل اليها من الخبز النقي والحلاوات كثير ايضا جزاه الله خيرا

وهذا

وهذا الصنيع يشبه ما كانت تفعله قريش من الرفادة في زمن الحج وقد كان يتولى ذلك عمه ابو طالب كما كان جده العباس يتولى السقاية وقد كانت فيهم السفارة واللواء والندوة كما تقدم بيان ذلك في مواضعه وقد صارت هذه المناصب كلها على اتم الاحوال الى الخلفا العباسيين رحمهم الله وفيها ارسل الخليفة الشيخ شهاب الدين السهروردي في صحبته سنقر السلحدار الى الملك العادل بالخلعة السنية وفيها الطوق والسواران والى جميع اولاده بالخلع ايضا وفيها ملك الاوحد بن العادل صاحب ميافارقين بلاد خلاط بعد قتل صاحبها ابن بكتمر وكان شابا جميل الصورة جدا فقتله بعض مماليكه ثم قتل القاتل ايضا فخلا البلد عن ملك فاخذها الاوحد بن العادل كما ذكرنا وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكش بلاد ما وراء النهر من الخطا بعد حروب طويلة اتفق له فيها في بعض الايام امر عجيب وهو ان المسلمين انهزموا عن السلطان خوارزم شاه في بعض المواقف وبقي معه هو ومعه عصابة قليلة من اصحابه فقتل منهم الكفار من الخطا من قتلوا واسروا خلقا منهم وكان السلطان خوارزم شاه في جملة من اسر واسره رجل وهو لا يشعر به ولا يدري انه الملك وكان اسر معه اميرا يقال له ابن مسعود فلما وقع ذلك وتراجعت العساكر الاسلامية الى مقرها فقدوا السلطان فاختبطوا فيما بينهم واختلفوا اختلافا كثيرا وانزعجت خراسان بكمالها وظن الناس ان السلطان قد قتل واما ما كان من السلطان فانه وذلك الامير فان الامير قال للسلطان اني ارى من المصلحة ان تترك الملك عنك في هذه الحالة وتظهر انك غلام لي فقبل منه ما اشار به وجعل يخدمه ويلبسه ثيابه ويسقيه ويضع الطعام بين يديه ولا يالوا جهدا في خدمته فقال الذي اسرهما اني ارى هذا يخدمك فمن انت فقال انا ابن مسعود الامير وهذا غلامي فقال والله لو اعلم الامرا باني قد اسرت اميرا لاطلقتك فقال له اني انما اخشى على اهلي فانهم يظنون اني قد قتلت ويقيمون الماتم فان رايت ان تفاديني على مال وترسل من يقبضه منهم فعلت خيرا فقال نعم فعين رجلا من اصحابه فقال له ابن مسعود انهم لا يعرفون هذا ولكن ان رايت ان ارسل معه غلامي هذا ليبشرهم بحياتي ويامرهم بتحصيل المال فقال نعم فجهز معهما من يحفظهما الى مدينة خوارزم فلما اقتربوا من خوارزم سبقوا الملك اليها فلما راه الناس فرحوا فرحا شديدا جدا ودقت البشاير في سائر بلاده وعاد الملك الى نصابه واستقر السرور بايابه واصلح ما كان وهى من مملكته بسبب ما كان اشتهر من عدمه وحاصر هراة واخذها عنوة واما الذي كان قد اسره فانه قال يوما لابن مسعود ان الناس يقولون ان السلطان خوارزم شاه قد عدم فقال الامير هو الذي كان في اسرك فقال له فهلا اعلمتني به حتى كنت ارده موقرا معظما فقال خفتك عليه فقال سر بنا اليه فسارا فاكرمهما اكراما زايدا واحسن اليهما وفيها غدر صاحب سمرقند فقتل كل من كان ببلده من الخوارزمية حتى كان الرجل يقطع قطعتين ويعلق في السوق كما تعلق الاغنام وعزم على قتل زوجته بنت خوارزم شاه ثم رجع عن قتلها وحصرها في قلعة وضيق عليها فلما بلغ الخبر الى الملك خوارزم شاه سار اليه في الجنود فنازله وحاصر سمرقند فاخذها قهرا وقتل من اهلها نحوا من مايتي الف وانزل الملك من القلعة وقتله صبرا بين يديه ولم يترك له نسلا ولا عقبا واستحوذ خوارزم شاه على تلك الممالك

منها الملك ومنها تخارب الخطا وملك التتار كشلوخان المتاخم لمملكة الصين فكتب
الخطا الى خوارزم شاه يستنجدونه على التتار ويقولون متى غلبونا خلصوا الى
بلادك وكذا وقع وكتب التتار اليه يستنصرون به على الخطا ويقولون هؤلا اعدانا
واعداؤك فكن معنا عليهم فكتب خوارزم الى كل من الفريقين يطيب قلبه وحضر
الوقعة بينهم وهو متحيز عن الفريقين فكانت الدايرة على الخطا فهلكوا الا القليل
منهم وغدر التتار بما كانوا وافقوا عليه الملك خوارزم شاه فوقعت بينهما الوحشة
الاكيدة وتواعدوا للقتال وخاف منهم خوارزم شاه وخرب بلدا كبيرة كانت متاخمة
لبلاد كشلوخان خوفا عليها ان يملكها ثم ان جنكزخان خرج على كشلوخان فاشتغل التتار
عن محاربته ثم يقع من الامور الغريبة ما سنذكره وفيها كثرت غارات الفرنج من طرابلس
على نواحي حمص وضعف صاحبها اسد الدين شيركوه عن مقاومتهم فبعث اليه الظاهر
صاحب حلب عسكرا فقواه بهم على الفرنج وخرج الملك العادل من الديار المصرية في العساكر
الاسلامية وارسل الى جيوش الجزيرة العربية فوافوه على عكا فحاصرها بسبب ان القبارصة
كانوا قد اخذوا من اصطول الديار المصرية قطعا فيها جماعة من المسلمين فطلب صاحب
عكا الامان والصلح على ان يرد الاسارى فاجابه الى ذلك وسار العادل فنزل عند بحيرة
قدس قريبا من حمص ثم سار الى بلاد طرابلس فاقام بها اثني عشر يوما يقتل ويأسر ويغنم
وخرب بعض تلك البلدان والاطراف بالسيف حتى جنح الفرنج منه الى المهادنة ثم عاد الى
دمشق مؤيدا منصورا مسرورا محبورا وفيها ملك صاحب اذربيجان وهو الامير نصرة
الدين ابو بكر بن البهلوان مدينة مراغه وذلك لخلوها عن ملك فاسرها فملكها ثم مات
وقام في الملك بعده ولد له صغير بتدبير خادم له وفي عشرة ذي القعدة تشهد محيي الدين
ابو محمد يوسف بن الشيخ ابي الفرج ابن الجوزي عند قاضي القضاة ابي القاسم بن الدامغاني
فقبله وولاه حسبة جانبي بغداد وخلع عليه خلعة سودا بطرحة كحلية وبعد عشرة
ايام جلس للوعظ مكان ابيه بباب بدر الشريف وحضر عنده خلق كثير وبعد اربعة
ايام من يومئذ درس بمشهد ابي حنيفة ضياء الدين مسعود المركساني الحنفي وحضر
عنده الاكابر والاعيان وفي رمضان منها وصلت الرسل من الخليفة الى العادل
بالخلع فلبسها هو وولداه المعظم والاشرف ووزيره صفي الدين ابن شكر وغيره واحد
من امرا الخلع السنية الخليفتية ودخلوا القلعة صلاة الظهر بالحديد وقرى
التقليد الوزير وهو قايم وكان يوما مشهودا وفيها ركبت الساعات بمأذنة العروس
من الجامع الاموي وشرعوا في بناء المرج الذي تجاه المدرسة القيمازية وفيها درس الشيخ
شرف الدين عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بالمدرسة الرواحية
بدمشق وفيها انتقل الشيخ … بن الحر البغدادي من الحنبلية الى مذهب الشافعي
ودرس بمدرسة ام الخليفة وحضر عنده الاكابر والعلماء من سائر المذاهب

وممن توفي فيها من الاعيان

الامير الكبير ياسر بن عبد الله احد امراء الخليفة الناصر وكان من سادات الامراء دينا
وعقلا وتراية وعفة سماه بعض الكتاب من النصارى سما فمات رحمه الله وكان اسم الذي سقاه

ابن سارا فلما اطلع الخليفة على الحال سلم ابن سارا الى غلمان ياسر فشفع فيه ابن مهدي
الوزير وقال ان النصارى قد بذلوا فيه خمسين الف دينار فكتب الخليفة على راس الورقة

• ان الاسود اسود الغاب همتها • يوم الكريهة في المسلوب لا السلب •

فتسلمه غلمان ياسر فقتلوه واحرقوه وقبض الخليفة بعد ذلك على ابن مهدي الوزير
كما تقدم حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الرصافي الحنبلي المكبر بجامع المهدي
راوي مسند الامام احمد عن ابن الحصين عن ابن المذهب عن ابن مالك عن عبد الله بن احمد
عن ابيه عمر وتسعين سنة وخرج من بغداد فاسمعه باربل واستقدمه ملوك دمشق
اليها فسمع الناس عليه بها المسند وكان المعظم يكرمه ويأكل عنده على السماط من
الطيبات فتصيبه التخمة كثيرا لانه كان ضيق الحال خشن العيش ببغداد وكان
الكندي اذا دخل على المعظم يسال عن حنبل فيقول هو متخوم فيقول اطعمه العدس
فيضحك المعظم ثم اعطاه مالا جزيلا ورده الى بغداد فتوفي بها في هذه السنة
وكان مولده سنة عشر وخمسماية وكان معه ابن طبرزد فتاخرت وفاته عنه الى سنة
سبع وستماية عبد الرحمن بن عيسى بن ابي الحسن البزوري الواعظ البغدادي سمع من
ابي الوقت وغيره واشتغل على ابن الجوزي في الوعظ ثم حدثته نفسه ببعض ما شانه
وسمعت نفسه واجتمع عليه طايفة من اهل باب البصرة فتزوج في اخر عمره وقد قارب
السبعين بصبية فاغتسل في يوم بارد فانتفخ ذكره فمات في هذه السنة الامير زين
الدين قراجا الصلاحي صاحب صرخد كانت له دار عند باب الصغير عند قناة الزلاقة
وتربته بالسفح في قبة على جادة الطريق عند تربة ابن عنيز واقر العادل ولده يعقوب
على صرخد عبد العزيز الطبيب توفي فجاة وهو والد سعد الدين الطبيب الاشرفي وفيه
يقول ابن عنين • • •

• فلا دي ولا خلف الخطيب جماعة • وموت ولا عبد العزيز طبيب •

وفيها توفي العفيف بن الدرجي امام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق ابو محمد
جعفر بن محمد بن محمود بن هبة الله بن احمد بن يوسف الاربلي كان فاضلا في علوم كثيرة
في الفقه على مذهب الشافعي والحساب والفرايض والهندسة والادب والنحو
وما يتعلق بعلوم القران العزيز وغير ذلك ومن شعره الجيد الحسن قوله •

• لا يدفع المرء ما يأتي به القدر • وفي الخطوب اذا فكرت معتبر •
• وليس ينجي من الاقدار ان نزلت • راي وحزم ولا خوف ولا حذر •
• فاستعمل الصبر في كل الامور ولا • تجزع لشيء فعقبى صبرك الظفر •
• كم مسني عسر فصرفه • صرف الزمان وفي اعقابه يسر •
• لا ييأس المرء من روح الاله فما • ييأس منه الا عصبة كفروا •
• اني لاعلم ان الدهر ذو دول • وان يوميه ذا امن وذا خطر •

ثم دخلت سنة خمس وستماية

في المحرم منها تكامل دار الضيافة التي انشاها الناصر لدين الله بالجانب الغربي من
بغداد للحجاج والمارة لهم الضيافة مدة ما داموا نازلين بها فاذا عزم احدهم على السفر

زود وكسى واعطى بعد ذلك كله دينارا للسفرة جزاه الله خيرا وفيها عاد ابو الخطاب
ابن دحية الكلبى من رحلته الثانية فاجتاز بالشام فاجتمع فى مجلس الوزير صفى الدين
ابن شكر هو والشيخ تاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن الكندى شيخ اللغة والحديث
فاورد ابن دحية فى كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى به الى قول ابراهيم عليه السلام
انما كنت خليلا من وراء وراء بفتح اللفظتين فقال الكندى من وراء وراء فقال
ابن دحية للوزير ابن شكر من ذا قال هذا الشيخ ابو اليمن الكندى فنال منه ابن
دحية وكان جريا فقال الكندى هو من كلب فينبح قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة
وكلا الروايتين محكيتان وحكى فيهما الجر ايضا وفيها عاد فخر الدين ابن تيمية
خطيب حران من الحج الى بغداد وجلس بباب بدر للوعظ مكان محيى الدين يوسف
ابن الشيخ ابى الفرج فقال فى كلامه ذلك

• وابن اللبون اذا ما لز فى قرن • لم يستطع صولة البزل القناعيس •

كانه يعرض بالمحيى بن الجوزى لكونه شابا ابن خمس وعشرين سنة والله اعلم وفى
يوم الجمعة تاسع المحرم دخل مملوك افرنجى من باب مقصورة جامع دمشق وهو سكران
وفى يده سيف مسلول والناس جلوس ينتظرون صلاة الفجر فمال الى الناس يضربهم
بسيفه فقتل اثنين او ثلاثة وضرب المنبر بسيفه فانكسر فاخذوا واودع المارستان
دمشق فى يومه ذلك على جسر اللبادين وفيها عاد الشيخ شهاب الدين السهروردى
من دمشق بهدايا الملك العادل فتلقاه الجيش ومعه اموال كثيرة لنفسه ايضا
وقد كان قبل ذلك فقيرا زاهدا فلما عاد منع من الوعظ واخذت منه الربط التى كان
يباشرها وكل الاما بيده من الاموال الشرع فى تفرقتها على الفقراء والمساكين فاستغنى
منه خلق كثير من الفقراء وغيرهم فقال المحيى بن الجوزى فى مجلسه ما معناه لا حاجة الى ان
تاخذ اموال الناس من غير حقها وتصرفها الى من يستحقها وكان تركها اولى بك من تناولها
وفيها قصدت الفرنج مدينة حمص وعبروا على العاصى بجسر اتخذوه فى بلادهم فلما احست
بهم العساكر المنصورة ركبوا الى ثارهم فهربوا منهم فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون
منهم غنيمة جيدة وفيها قتل صاحب الجزيرة وكان من اسوا الناس سيرة واردأهم سريرة
وهو الملك سنجرشاه بن غازى بن مودود بن زنكى بن اقسنقر الاتابكى وكان ابن عم نور الدين
صاحب الموصل وكان الذى تولى قتله ولده غازى توصل اليه حتى دخل عليه وهو فى الخلا
سكران فضربه بسكين اربع عشرة ضربة ثم ذبحه وذلك كله ليلاخذ الملك من بعده فحرمه
الله ذلك وسمع بالملك الاخيه محمود واخذ غازى هذا العاق لوالده فقتل من يومه فسلبه
الله الملك والحيوة ايضا ولكن اراح المسلمين من ظلم ابيه وغشمه قال الله تعالى
وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون

وممن توفى فيها ايضا

ابو الفتح محمد بن احمد بن بختيار بن على بن محمد بن ابراهيم بن جعفر الواسطى المعروف
بابن المندائى اخر من روى مسند الامام احمد عن ابن الحصين وكان من بيت فقه
وقضاء وديانة وكان ثقة عدلا متورعا فى النقل ومما انشده من حفظه

• ولو ان ليلى مطلع الشمس دونها • وكنت وراء الشمس حين تغيب •

• لحدثت نفسى بانتظار نوالها • وقال المنى لى انها لقريب •

قاضى القضاة بالديار المصرية صدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى الكردى

ثم دخلت سنة ست وستمائة

فى المحرم وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق الى بغداد فى الرسلية عن العادل
ومعه هدايا كثيرة وناظر هو وشيخ النظامية مجد الدين يحيى بن الربيع فى مسئلة
وجوب الزكاة فى مال اليتيم والمجنون اخذ الحنفى يستدل على عدم وجوبها فاعترض
عليه الشافعى فاجاد كل منهما فى الذى اورده ثم خلع على الحنفى واصحابه بسبب الرسالة
وكانت المناظرة بحضرة نائب الوزير ابن امسينا وفى يوم السبت خامس جمادى الاخرة
وصل الجمال يونس بن بدران المصرى رئيس الشافعية بدمشق الى بغداد فى الرسلية
عن الملك العادل فتلقاه الجيش مع حاجب الحجاب ودخل معه ابن اخى صاحب اربل
مظفر الدين كوكرى والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب اربل والسوال الرضا
عنه فاجيب الى ذلك وفيها ملك العادل الخابور ونصيبين وحاصر مدينة سنجار
مدة فلم يتمكن منها ثم صالح صاحبها ورجع عنها

وممن توفى فيها من المشاهير والاعيان

القاضى الاسعد ابو المكارم اسعد بن الخطير ابى سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن ابى
قدامة بن ابى مليح مماتى المصرى الكاتب الشاعر اسلم فى الدولة الصلاحية وتولى نظر
الدواوين بمصر مدة قال ابن خلكان له فضائل عديدة ومصنفات كثيرة ونظم
سيرة صلاح الدين وكتاب كليلة ودمنة وله ديوان شعر ولما تولى الوزير ابن شكر هرب
منه الى حلب فمات بها فى هذه السنة وله اثنتان وستون سنة ومن شعره فى ثقيل
رآه بدمشق

• حكى نهرين ما فى الارض من يحكيهما ابدا •

• حكى فى خلقه ثورا وفى اخلاقه بردا •

ابو يعقوب يوسف بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد السلام اللمغانى احد الاعيان من
الحنفية ببغداد سمع الحديث ودرس بجامع السلطان وكان معتزليا فى الاصول
بارعا فى الفروع اشتغل على ابيه وعمه واتقن الخلاف وعلم المناظرة وقارب التسعين
رح ابو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن المعروف بابن الخراسانى المحدث الناسخ كتب
كثيرا من الحديث له ولغيره وخطه جيد مشهور رح ابو المواهب معتوق بن منيع بن
مواهب الخطيب البغدادى قرا النحو واللغة على ابن الخشاب وجمع خطبا كان يخطب
منها وكان شيخا فاضلا اديبا له ديوان شعر فمنه قوله

• ولا ترجوا الصداقة من عدو • يعادى نفسه سرا وجهرا •

• فلو اجدت مودته نداء نفعا • لكان النفع منه اليه احرى •

ابن خروف شارح كتاب سيبويه

علي بن محمد بن يوسف ابو الحسن بن خروف الاندلسي النحوي شرح سيبويه وقدمه الى
صاحب المغرب فاعطاه الف دينار وشرح جمل الزجاجي وكان يتنقل في البلاد ولا يسكن
الا الخانات ولم يتزوج قط ولا تسرى وقد تغير عقله في اخر عمره فكان يمشي في الاسواق
مكشوف الراس وكانت وفاته في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ابو علي يحيى
ابن الربيع بن سليمان بن حراز الواسطي ثم البغدادي اشتغل بالنظامية على ابن فضلان
واعاد عنده وسافر الى محمد بن يحيى طريقته في الخلاف ثم عاد الى بغداد ثم صار مدرسا
بالنظامية وناظر في اوقافها وقد سمع الحديث وكانت لديه علوم كثيرة ومعرفة
حسنة بالمذهب وله تفسير في اربعة مجلدات كان يدرس منه واختصر تاريخ الخطيب
والذيل عليه لابن السمعاني وقارب الثمانين رح

ابن الاثير صاحب جامع الاصول والنهاية

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجد الدين ابو السعادات الشيباني
الجزري الشافعي المعروف وهو اخو الوزير للافضل ضياء الدين نصر الله واخو الحافظ
عز الدين ابي الحسن علي صاحب الكامل في التاريخ ولد ابو السعادات المبارك في احد
الربيعين سنة اربع واربعين وخمسماية وسمع الحديث الكثير وقرا القران الكريم واتقن
علومه وحرر علومه جمة وكان مقامه بالموصل وقد جمع في سائر الفنون كتبا مفيدة
منها جامع الاصول الستة الموطا والصحيحان وسنن ابي داود والنسائي والترمذي
ولم يذكر ابن ماجة فيها وله كتاب النهاية في غريب الحديث وله شرح مسند الشافعي
والتفسير في اربع مجلدات وغير ذلك في فنون شتى وكان معظما رح عند ملوك الموصل
فلما آل الملك الى نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ارسل اليه مملوكه لؤلؤ
يعرض عليه ان يستوزره فابى فركب السلطان اليه بنفسه فامتنع ايضا وقال
قد كبرت واشتهرت بنشر العلم ولا يصلح هذا الامر الا بشي من العسف ولا يليق بي ذلك
فاعفاه قال ابو السعادات كنت اقرا علم العربية على الشيخ سعيد بن الدهان وكان
يامرني بصنعة الشعر فكنت لا اقدر عليه فلما توفي الشيخ رايته في بعض الليالي فامرني
بذلك فقلت ضع لي مثالا اعمل عليه فقال •
• جب العلا ان فاتك الظفر •
فقلت انا •
• وخد خدا لثرى والليل معتكر •
• والعز في صهوات الخيل مركبه • والمجد ينتجه الاسراء والسهر •
فقال لي احسنت ثم استيقظت فتممت عليها نحوا من عشرين بيتا كانت وفاته
في سلخ ذي الحجة من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة رحمه الله وقد ترجمه اخوه في الكامل
فقال كان عالما في عدة علوم منها الفقه وعلم الاصولين والنحو والحديث واللغة
وله تصانيف مشهورة من التفسير والحديث والفقه والحساب وغريب الحديث
وله رسائل مدونة وكان كاتبا مفلقا يضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم
رحمه الله ورضي عنه فلقد كان من محاسن الزمان قال ابن الاثير وفيها توفي المجد المطرزي

النحوي

النحوي الخوارزمي وكان اماما في النحو وله فيه مصنفات حسنة قال ابو شامة وفيها
توفي الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل ودفن بتربة اخيه الملك المعظم
بسفح قاسيون والملك المؤيد مسعود بن صلاح الدين بمدينة راس العين فحمل الى حلب
ودفن بها

الفخر الرازي المتكلم صاحب التفسير والتصانيف

محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري العلامة ابو عبد الله وابو المعالي المعروف
بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري الفقيه الشافعي احد المشاهير بالتصانيف
الكبار والصغار نحو من مايتي مصنف منها التفسير الحافل والمطالب العالية
والمباحث الشرقية والاربعين وشرح الاشارات وغيرها في علم الكلام ومذاهب
الاوايل واقوال الناس وله في اصول الفقه المحصول وغيره وصنف ترجمة الشافعي
في مجلد مفيد وفيه غرايب وينسب اليه اشيا عجيبة وقد استقصيت ترجمته في طبقات
الشافعية وقد كان معظما عند ملوك الخوارزمية وغيرهم وبنيت له مدارس في بلدان
شتى وملك من الذهب العين ثمانين الف دينار وغير ذلك من الامتعة والمراكب والاثاث
والملابس وكان له خمسون مملوكا من الترك وقد كان يعقد مجلس الوعظ فيحضر عنده
الملوك والوزرا والعلما والامرا والفقها والعامة والغوغا وكانت له عبادات
واوراد وقد وقع بينه وبين الكرامية في اوقات شتى فكان يبغضهم ويبغضونه ويبالغ
في ذمهم وهم ايضا يبالغون في الحط عليه وقد ذكرنا طرفا من ذلك فيما تقدم وكان مع غزارة
علمه وتبحره في الكلام يقول من التزم مذهب العجايز كان هو الفايز وقد ذكرت وصيته
عند موته وانه رجع الى طريقة السلف وتسليم ما ورد على الوجه المراد اللايق
بجلال الله عز وجل وقال الشيخ شهاب الدين في الذيل في ترجمته وكان يعظ وينال
من الكرامية وينالون منه سبا وتكفيرا وقيل انهم وضعوا عليه من سقاه السم فمات
ففرحوا بموته وكانوا يرمونه بالكباير وكانت وفاته في ذي الحجة ولا كلام في فضله
وانما الشناعات عليه قايمة باشيا منها انه كان يقول قال محمد التازي يعني
العربي يريد النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد الرازي يعني نفسه ومنها انه كان
يقرر الشبه من جهة الخصوم بعبارات كثيرة ويجيب عن ذلك بادنى اشارة قال
وبلغني انه خلف من الذهب العين ثمانين الف دينار غير ما كان يملكه من الدواب
والثياب والعقار والالات وخلف ولدين اخذ كل منهما واحدا واربعين الف دينار
وكان ابنه الاكبر قد تجند في حياته وخدم السلطان محمد بن تكش قال ابن الاثير
في الكامل وفيها توفي فخر الدين ابو الفضل محمد بن عمر بن خطيب الري الفقيه الشافعي
صاحب التصانيف المشهورة والفقه والاصوليين وغيره وكان امام الدنيا في عصره
وبلغني ان مولده سنة ثلاث واربعين وخمسماية ومن شعره قوله •
• اليك اله الخلق وجهت وجهتي • وانت الذي ادعوك في السر والجهر •
• وانت غياثي عند كل ملمة • وانت معاذي في حياتي وفي قبري •
روى ذلك ابن الساعي عن ياقوت الحموي عن ابن فخر الدين عنه وقال انشدنا
• تتمة ابواب السعادة للخلق • بذكر جلال الواحد الاحد الحق •

• مدبر كل الممكنات بأسرها • ومبدعها بالعدل والقصد والصدق •
• أجل جلال الله عن شبه خلقه • وأنصر هذا الدين في الغرب والشرق •
• له العظيم الفضل والعدل والعلى • هو المرشد المغوي هو المسعد المشقي •

ومما كان ينشده في بعض مصنفاته قوله •

• نهاية إقدام العقول عقال • وأكثر سعي العالمين ضلال •
• وأرواحنا في وحشة من جسومنا • وحاصل دنيانا أذى ووبال •
• ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا • سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا •

ثم يقول لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلا ولا تشفي عليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات الرحمن على العرش استوى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح وفي النفي ليس كمثله شيء هل تعلم له سميا

ثم دخلت سنة سبع وستمائة

ذكر الشيخ شهاب الدين في الذيل أن في هذه السنة تمالأ ملوك الجزيرة صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب إربل ومعهم ابن أخيه الظاهر صاحب حلب وملك الروم أيضا وغيرهم على مخالفة العادل ومباينته ومقاتلته واصطلام الملك من يده وأن تكون الخطبة في بلادهم لملك الروم كيخسرو ابن قلج أرسلان صاحب الروم وأرسلوا إلى الكرج ليقدموا لحصار خلاط وأخذها من يد الملك الأوحد نجم الدين أيوب بن العادل ووعدهم النصرة والمعاونة عليه تلتسو وهذا بغي والبغي مصرعه وخيم وأن ينهى عنه فأقبلت الكرج مع ملكهم إيواني فحاصروا خلاط فضاق بهم الأوحد ذرعا وقاتلهم يوما عصيبا فقدر الله عز وجل أن في يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر اشتد حصارهم للبلد وأقبل ملكهم إيواني وهو راكب على جواده وهو سكران فسقط به جواده في بعض الحفر التي تداعت مكيدة حول البلد فبادر إليه رجال البلد فأخذوه أسيرا حقيرا فأسقط في أيدي الكرج فلما أوقف بين يدي الأوحد أطلقه ومن عليه وأكرمه وأحسن إليه وفاداه على مائتي ألف دينار وألفي أسير من المسلمين وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لبلاد الأوحد وأن يزوج ابنته من أخيه الملك الأشرف موسى وأن يكونوا عونا له على من حاربه فأجابه إلى ذلك كله وأخذت الأيمان منه بذلك وبعث الأوحد إلى أبيه يستأذنه في ذلك كله والعادل نازل بظاهر حران في أشد حيرة مما تقدمه من الأمر الفظيع فبينما هو كذلك إذ أتاه هذا الأمر الهائل والتدبير من عزيز حكيم لم يكن في باله ولا في حسابه فكان يذهل فرحا وسرورا وأجاز جميع ما تعلقه ولده وطارت الأخبار بما وقع بين الملوك فخضعوا وذلوا عند ذلك وأرسل كل منهم يعتذر مما نسب إليه ويحيل على غيره فقبل منهم أعذارهم وصالحهم صلحا أكيدا واستقبل الملك عصرا جديدا ولله الحمد ووفى ملك الكرج للأوحد بجميع ما شارطه عليه وتزوج الأشرف بابنته ومن غريب ما ذكره الشيخ أبو شامة في هذه الكائنة أن قسيس الملك كان حزاء ينظر في النجوم فقال للملك تنبيها لك بيوم اعلم أنك تدخل غدا إلى قلعة خلاط ولكن ترى بعينيك إذا أتى العصر فاتفق دخوله إليها أسيرا وقت أذان العصر

وفاة صاحب الموصل نور الدين وأرسل الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل يخطب ابنة السلطان الملك العادل وأرسل وكيله ليقبل العقد على ثلاثين ألف دينار فاتفق موت نور الدين ووكيله في أثناء الطريق فعقد العقد بعد وفاته رحمه الله وقد أثنى عليه ابن الأثير في كامله كثيرا وشكر سيرته ومن عرف له شهامته وتدبيره وعلو همته وذكر أن مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأما أبو المظفر السبط فإنه قال كان جبارا ظالما بخيلا سفاكا للدماء فالله أعلم وقام في الملك من بعده ولده القاهر عز الدين مسعود وجعل لابنه عماد الدين زنكي وكان الأصغر بعض البلاد وجعل تدبير مملكته إلى غلامه بدر الدين لؤلؤ الذي صار الملك إليه فيما بعد كما سيأتي قال أبو شامة وفي سابع شوال شرع في عمارة المصلى بني له أربع جدر مشرفة وجعل له أبواب صونا لمكانه من الدواب ونزول القوافل وجعل في قبلته محرابا من حجارة وعقدت فوق ذلك قبة ثم في سنة ثلاث عشرة عمل في قبلته رواقان وعمل له منبر من خشب ورتب له خطيب راتب وإمام راتب ومات العادل ولم يتم الرواق الثاني منه وذلك كله على يدي الوزير صفي الدين بن شكر قال وفي حادي عشر شوال من هذه السنة جددت أبواب الجامع من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر وركبت في أماكنها وفي شوال أيضا شرع في إصلاح الفوارة والشاذروان والبركة وعمل عندها مسجد وجعل له إمام راتب وأول من تولاه رجل يقال له النفيس المصري وكان يقال له بوق الجامع لطيب صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الحضر بن المصدر فيجتمع عليه الناس الكثير وفي ذي الحجة من هذه السنة توجهت مراكب من عكا في البحر إلى ثغر دمياط وفيها ملك فرنجي المسمى إلبال لعنه الله فدخل الثغر ليلا وأغار على بعض البلاد فقتل وسبى وغنم وكر راجعا فركب في مراكبه فلم يدركه الطلب وقد تقدمت له سابقة بمثلها قبل هذه وهذا شيء لم يتفق لغيره وفي هذه السنة عاثت الفرنج بنواحي القدس الشريف فبرز إليهم الملك المعظم في عساكره وحضر الشيخ شمس الدين أبو المظفر بن قزغلي الحنفي وهو سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي بن ابنته وهو صاحب مرآة الزمان وكان فاضلا في فنون كثيرة حسن الشكل طيب الصوت وكان يتكلم في الوعظ جيدا وتحبه العامة على صيت جده وقد رحل من بغداد فنزل دمشق وأكرمه ملوكها وولي التداريس الكبار بها وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد علي زين العابدين إلى السارية التي يجلس عندها الوعاظ في زماننا هذا فكان يكثر الجمع عنده جدا حتى إنهم يكونون من باب الناطفيين إلى باب المشهد وإلى باب الساعات غير الوقوف فيحزر جمعه في بعض الأيام بثلاثين ألفا من الرجال والنساء وكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع في الصيف ويتركون البساتين في الفرج في خيمات وأذكار لتحصيل الأماكن بمعاده فإذا فرغ من وعظه خرجوا إلى بساتينهم وليس لهم كلام إلا فيما قاله يومه ويحضر عنده الأكابر والعلماء حتى الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي يجلس في القبة التي عند باب المشهد هو ووالي البلد المعتمد ووالي

البر ابن عيرك وغيرهم فلما جلس في يوم السبت خامس ربيع الاول بالجامع كما ذكرنا حث
الناس على الجهاد وامر باحضار ما كان قد تحصل عنده من شعور التائبين وقد عمل
منه شكالا لخيلها الرجال فلما رآها الناس ضجوا ضجة واحدة وتباكوا بكاء كثيرا
وقطعوا من شعورهم نحوها فلما انقضى المجلس نزل عن المنبر فلقاه الوالي مبارز
الدين المعتمد ابراهيم وكان من خيار الناس فمشى بين يديه الى باب الناطفيين
وبعضده حتى ركب فرسه والناس بين يديه ومن خلفه فخرج من باب الفرج
وبات في المصلى ثم ركب من الغد الى الكسوة ومعه خلايق كثيرة في نية الجهاد
ببلاد المقدس وكان في جملة من معه ثلثمائة من اهل زملكا بالعدد التامة
قال فجينا عقبة افيق والطير لا بتخاسرت بتطير من خوف الفرنج فلما وصلنا
نابلس تلقانا المعظم ولم اكن اجتمعت به قبل ذلك فلما راى الشكالات
من شعور الناس جعل يقبلها ويمرغها على خده ويبكي وعمل ابو المظفر ميعادا
بنابلس وحث على الجهاد وكان يوما مشهودا ثم سار وا صحبة المعظم الى ناحية
بلاد الفرنج فقتلوا خلقا وخربوا اماكن كثيرة وغنموا وعادوا سالمين وشرع
المعظم في تحصين جبل الطور وبنا قلعة فيه ليكون البا على الفرنج فغرم
اموالا كثيرة في ذلك فبعثت الفرنج الى العادل يطلبون منه الامان والمصالحة
فهادنهم وتعطلت تلك العمارة وضاع ما كان غرم عليها

وممن توفي فيهما من الاعيان

الشيخ ابو عمر باني المدرسة بسفح قاسيون
للفقرا رحمه الله تعالى

محمد بن احمد بن محمد بن قدامة الشيخ ابو عمر المقدسي باني المدرسة التي يقرا فيها
القران بسفح قاسيون وهو اخو الامام العلامة موفق الدين عبد الله بن احمد
ابن محمد بن قدامة المقدسي وكان الشيخ ابو عمر اسن منه وهو الذي ربا الشيخ الموفق
واحسن اليه وزوجه وكان الذي يقوم بمصالحه وهو الذي قدم بهم من تلك البلاد
فنزلوا بمسجد ابي صالح ثم انتقلوا عنه الى السفح وليس به من العمارة سوى
دير الحوراني قال فقيل لنا الصالحية نسبونا الى مسجد ابي صالح لا انا صالحون
فقرا الشيخ ابو عمر القران على رواية ابي عمرو وحفظ مختصر الخرقي في الفقه وهو
الذي شرحه اخوه وكتب بخطه بيده وكتب تفسير البغوي والحلية لابي نعيم والابانة
لابن بطة وكتب مصاحف كثيرة للناس ولاهله لا باجرة وكان كثير العبادة والتهجد
يصوم الدهر حسن الشكل نحيل الجسم عليه انوار العبادة لا يزال متبسما وكان
يقرا في كل يوم سبعا بين الظهر والعصر ويصلي الضحى ثمان ركعات يقرا فيهن
الف مرة قل هو الله احد وكان يزور مغارة الدم في كل يوم اثنين وخميس ويجمع
في طريقه الشيح فيعطيه للارامل والمساكين ومهما تهيا له من فتوح وغيره يوثر به
اهله والمساكين وكان متقللا في الملبس ربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها
سراويل ولا قميصا ويقطع من عمامته قطعا يتصدق بها او في تكميل كفن من يعوز
كفنه وكان هو واخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغني واخوه الشيخ العماد

لا ينقطعون

لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين الى بلاد الفرنج وقد حضروا معه فتح
القدس الشريف وجاء الملك العادل ابو بكر يوما الى خيمتهم لزيارة الشيخ ابي عمر وهو قايم
يصلي فما قطع صلاته ولا اوجز فيها بل استمر فيها ولم يلتفت اليه وهو الذي شرع في بنا الجامع
اولا بناه رجل من الناس فنفد ما كان بيده وقد ارتفع البنا قامة فبعث صاحب اربل
الملك المظفر مالا فكمل وولي خطابته الشيخ ابا عمر فكان يخطب وعليه لباسه الضعيف
وعليه انوار الخشية والتقوى وانما كان المنبر الذي فيه ثلاث مراقي والرابعة للجلوس
كما كان المنبر النبوي وقد حكى ابو المظفر انه حضر يوما عنده الجمعة وكان الشيخ عبد الله
اليونيني حاضرا هناك فلما انتهى الشيخ ابو عمر الى الدعا للسلطان قال اللهم اصلح عبدك
الملك العادل سيف الدين ابا بكر بن ايوب فنهض الشيخ عبد الله وترك الجمعة قال
فلما فرغنا ذهبت اليه فقلت ما ذا انكرت فقال يقول لهذا الظالم العادل فبينما نحن
في الحديث اذ اقبل الشيخ ابو عمر ومعه رغيف وخيارتان فكسر ذلك وقال الصلاة ثم
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت في زمن الملك العادل كسرى فتبسم الشيخ
عبد الله ومد يده فاكل فلما قام الشيخ ابو عمر قال لي يا سيدنا ما هذا الا رجل صالح قال
الشيخ شهاب الدين ابو شامة كان الشيخ عبد الله من الصالحين الكبار وقد رايته وكانت
وفاته بعد ابي عمر بعشر سنين فلم يسامح الشيخ ابا عمر في تسامحه مع زهده وعلمه كان
مسافرا لا جمعة عليه وعذر الشيخ ابي عمر ان هذا قد جرى مجرى الاعلام العادل والكامل والاشرف
كما يقال سالم وغانم ومسعود ومحمود وقد يكون المسمى بذلك على الضد من هذه الاسما
وكذلك الطلاق العادل ونحوه على انه قد جاء اطلاقه على المشرك فهذا اولى
هذا الحديث الذي احتج به الشيخ ابو عمر لا اصل له وليس هو في شي من الكتب المشهورة
وعجبا له ولابي المظفر ثم لابي شامة في قبول مثل هذا واخذه عنه مسلما والله اعلم ثم
شرع الشيخ ابو المظفر في ذكر مناقب الشيخ ابي عمر وكراماته وما راه هو وغيره من احواله
الصالحة قال وكان على مذهب السلف الصالح حسن العقيدة متمسكا بالكتاب
والسنة والاثار المروية يمرها كما جاءت من غير طعن على ايمة الدين وعلماء المسلمين وينهى
عن صحبة المبتدعين ويامر بصحبة الصالحين قال وما انشدني لنفسه في ذلك

اوصيكم بالقول في القران • بقول اهل الحق والاتقان •
ليس بمخلوق ولا بفان • لكن كلام الملك الديان •
اياته مشرقة المعاني • متلوة لله باللسان •
محفوظة في الصدر والجنان • مكتوبة في الصحف بالبنان •
والقول في الصفات يا اخواني • كالذات والعلم مع البيان •
امرارها من غير ما كفران • من غير تشبيه ولا عدوان •

قال وانشدني لنفسه

الم يك ملهاة عن اللهو انني • بدا لي شيب الراس والضعف والالم •
الم بي الخطب الذي لو بكيته • حياتي حتى يذهب الدمع لم الم •

قال وقد مرض اياما فلم يترك شيا مما كان يعمله من الاوراد حتى كانت وفاته وقت السحر
في ليلة الثلثا الثامن والعشرين من ربيع الاول فغسل بالدير وحمل الى مقبرته في خلق

كثيرًا لا يعلمهم الا الله عز وجل ولم يتخلف احد من الدولة والامراء والعلماء والقضاة وغيرهم الا حضر وكان يومًا مشهودًا وكان الحر شديدًا فاظلت الناس سحابة من الحر كان يسمع منها كدوي النحل وكان الناس يتبركون باكفانه وقد رثاه الشعراء بمراثي حسنة ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله وترك من الاولاد ثلاثة من الذكور عمر وبه كان يكنى والشرف عبد الله وصارت الخطابة اليه والخطيب الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ ابي عمر وكان اصغر اولاده والذكور وكان له من الاناث بنات كما قال الله تعالى مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا قال ودفن في طريق مغارة الجوع في الزقاق المقابل لدير الحوراني رحمه الله وايانا

ابن طبرزد شيخ الحديث

عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بابي حفص بن طبرزد البغدادي الدارقزي ولد سنة عشر وخمسمائة وسمع الكثير واسمع وكان خليعًا ظريفًا ماجنًا وكان مؤدب الصبيان بدار القز قدم مع حنبل بن عبد الله المكبر الى دمشق فسمع اهلها عليهما وحصل لهما اموال وعادا الى بغداد فمات حنبل سنة ثلاث وتاخر هو الى هذه السنة فمات فيها وله سبع وتسعون سنة وترك مالا جيدًا ولم يكن له وارث الا بيت المال ودفن بباب حرب السلطان الملك العادل نور الدين ابو الحرث ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل وهو ابن اخي نور الدين الشهيد وقد ذكرنا من سيرته في الحوادث شيئًا وكان شافعي المذهب ولم يكن بيتهم شافعيًا سواه وبنى للشافعية مدرسة عظيمة بالموصل وبها تربته قال ابن خلكان وكانت وفاته ليلة الاحد التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة

ابن سكينة

عبد الوهاب بن علي بن علي بن ضياء الدين ابو محمد المعروف بابن سكينة الصوفي كان يعد من الابدال سمع الكثير واسمع ببلاد شتى وكان مولده في سنة تسع عشرة وخمسمائة وكان صاحبًا للشيخ ابي الفرج بن الجوزي ملازمًا لمجلسه وكان يوم جنازته مشهودًا لما كان فيه من الخاصة والعامة رحمه الله مظفر بن ساسير الواعظ الصوفي البغدادي ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث وكان يعظ في الاعزية والمساجد والقرى وكان ظريفًا مطبوعًا قام اليه انسان وهو يعظ فقال له فيما بينه وبينه انا مريض وجائع فقال له احمد ربك فقد عوفيت واحتاز على قصاب يبيع لحما ضعيفًا وهو يقول اين من حلف لا يغبن فقال له حتى تحنثه قال وعملت مرة مجلسًا ببعقوبا فجعل هذا يقول للشيخ عندك نصفية وهذا يقول مثله حتى عددوا نحوًا من خمسين نصفية فقلت في نفسي استغنيت الليلة فلما اصبحنا اذا اصبرة من شعير في المسجد فقيل هذه النصافي واذا هي مكيلة يسمونها النصافي وعملت مرة بباجسرا فجمعوا لي شيئًا لا ادري ما هو فلما اصبحنا اذا شيء من صوف الجواميس وقرونها فقام رجل ينادي عليها فجعل يقول كم عندكم في صوف الشيخ وقرونه فقلت لا حاجة لي بهذا وانتم في حل منه ذكره ابو شامة

ثم دخلت سنة ثمان وستمائة

استهلت والعادل مقيم على الطور لعمارة حصنه وجاءت الاخبار من بلاد المغرب بان

عبد المومن

عبد المومن قد كسر الفرنج بطليطلة كسرة عظيمة وربما فتح البلد وقتل منهم خلقًا عظيمًا وفيها كانت زلزلة عظيمة شديدة هدمت بمصر والقاهرة دورًا كثيرة وكذلك بمدينة الكرك والشوبك وهدمت من قلعتها ابراجًا ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم ورئي دخان نازل من السماء الى الارض فيما بين المغرب والعشاء عند قبر عاتكة غربي دمشق وفيها اظهرت الباطنية الاسلام واقامت الحدود على من يتعاطى الحرام وبنوا الجوامع والمساجد وكتبوا الى اخوانهم بالشام في مصياف وامثالها بذلك وكتب زعيمهم جلال الدين الى الخليفة يعلمه بذلك وقدمت امه الى بغداد حاجة فاكرمت وعظمت بسبب ذلك ولكن لما كان الناس بعرفات ظفر واحد منهم على قريب لامير مكة قتادة الحسني فقتله ظانًا انه قتادة فثارت فتنة عظيمة بين سودان مكة وركب العراق ونهب الركب وقتل منهم خلق كثير وفيها ابتاع الملك الاشرف جوسق الريس من النيرب من ابن عمه الظافر خضر بن صلاح الدين وبناه بناء حسنًا وهو المسمى في زماننا بالدهشة

وممن توفي فيها من الاعيان

الشيخ عماد الدين محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصلي صاحب التصانيف والفنون الكثيرة كان رئيس الشافعية بالموصل وبعث رسولا الى بغداد بعد موت نور الدين ارسلان بن شاه وكان عنده وسوسة كثيرة ويقال انه كان يعامل في الاموال بمسالة العينة فلقيه يومًا قضيب البان فقال له يا شيخ انك تغسل اعضاك بابارق من الماء فلم لا تغسل اللقمة التي تاكلها ففهم الشيخ ما اشار به اليه وترك المعاملة وكانت وفاته بالموصل في رجب عن ثلث وسبعين سنة

ابن حمدون

تاج الدين ابو سعد الحسن بن محمد بن حمدون صاحب التذكرة الحمدونية كان فاضلا بارعًا اعتنى بجمع الكتب المنسوبة وغيرها وولاه الخليفة المارستان العضدي وكانت وفاته بالمدائن وحمل الى مقابر قريش وفيها توفي صاحب الروم خسرو شاه بن قليج ارسلان وقام في الملك بعده ولده كيكاوس فلما توفي في سنة خمس عشرة ملك اخوه كيقباذ صارم الدين برغش العادلي نائب القلعة بدمشق توفي في صفر ودفن بتربته غربي الجامع المظفري وهو الذي نفى الحافظ عبد الغني المقدسي الى مصر وبين يديه كان عقد المجلس الامير فخر الدين سركس ويقال جهاركس احد امراء الدولة الصلاحية واليه تنسب قباب سركس بالسفح تجاه تربة خاتون وبها قبره قال القاضي ابن خلكان وهو الذي بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة اليه التي في اعلاها مسجد معلق وربما قد ذكر جماعة من التجار انهم لم يروا لها نظيرًا في البلدان في حسنها وعظمها واحكام بنائها قال وجهاركس معناه اربعة انفس قلت وقد كان نائبًا للعادل على بانياس والشقيف وتبنين وهونين ولما توفي ترك ولدًا صغيرًا فاقره العادل على ما كان يليه ابوه وجعل له مدبرًا وهو الامير صارم الدين خطلبا التبنيني ثم استقل بها بعد موت الصبي الى سنة خمس عشرة الشيخ الكبير المعمر الرحلة ابو القاسم ابو بكر ابو الفتح منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي النيسابوري سمع اباه وجد

ابيه وغيرهما وعنه ابن الصلاح وغيره وكانت وفاته بنيسابور في شعبان من هذه السنة
عن خمس وثمانين سنة رحمه الله قاسم الدين التركماني العقيبي والد والي البلد كانت وفاته
في شوال من هذه السنة

ثم دخلت سنة تسع وستمائة

فيها اجتمع العادل واولاده الكامل والمعظم والفائز بدمياط من بلاد مصر في مقابلة
الفرنج فاغتنم غفلتهم سامه الجبلي احد اكابر الامراء وكان بيده قلعة عجلون وكوكب فساق
مسرعا الى الشام ليسلم البلدين فارسل العادل في اثره ولده المعظم صاحب الشام
فسبقه الى القدس وحمله اليه فرسم عليه في كنيسة صهيون وكان شيخا كبيرا قد اصابه
النقرس فشرع يرده الى الطاعة بالملاطفة فلم ينجع فيه فاستولى على حواصله واملاكه وامواله
وارسله فاعتقله في قلعة الكرك وكان قيمة ما اخذ منه قريبا من الف الف دينار من ذلك
داره وحمامه داخل باب السلامة وداره هي التي جعلها البادرائي مدرسة للشافعية وخرب
حصن كوكب ونقلت حواصله الى حصن الطور الذي استجده العادل وولده المعظم وفيها
عزل الوزير صفي الدين بن شكر واحتيط على امواله ونفي الى الشرق وهو الذي كان قد كتب
الى الديار المصرية بنفي الحافظ عبد الغني الى المغرب فتوفي الحافظ قبل ان يصل كتابه وكتب
الله نفيه الى الشرق وفيها استولى صاحب قبرس لعنه الله على مدينة انطاكية فحصل
بسببه شر عظيم وتمكن من الغارات على بلاد المسلمين لاسيما على التراكمين الذين حول
بلاد انطاكية قتل منهم خلقا وغنم من اغنامهم شيئا كثيرا فقدر الله عز وجل ان امكنهم منه
في بعض الاودية فقتلوه وطافوا برأسه في تلك البلاد كلها ثم ارسلوه الى الملك العادل
بالديار المصرية فطيف به هنالك وهو الذي كان قد اغار على بلاد مصر من ثغر دمياط مرتين
فقتل وسبى وفي ربيع الاول منها توفي الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل صاحب خلاط
ويقال انه كان قد سفك الدماء واساء السيرة الى اهلها فقصف عمره ووليها بعده
اخوه الملك الاشرف موسى بن العادل وكان محمود السيرة جيد السريرة فاحسن اليهم
فاحبوه كثيرا وفيها توفي فقيه الحرم الشريف بمكة محمد بن اسماعيل بن ابي الصيف اليمني
رح وابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابي بكر الفقصي المقرئ المحدث كتب كثيرا وسمع الكثير
ودفن بمقابر الصوفية رح وابو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي من اهل مرو له كتاب
المحصل في شرح المفصل للزمخشري في النحو وكان ثقة عالما سمع الحديث وتوفي من هذه
السنة عن ثنتين وتسعين سنة الشيخ الصالح الزاهد العابد ابو البقا محمود بن عثمان
بن مكارم النعال الحنبلي كانت له عبادات ومجاهدات وسياحات وبنى رباطا بباب
الازج يأوي اليه اهل العلم من المقادسة وغيرهم وكان يؤثرهم ويحسن اليهم وقد سمع الحديث
وقرأ القرآن وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز
الثمانين رح

سنة عشر وستمائة

فيها امر العادل ايام الجمع بوضع سلاسل على ابواب الطرق الى الجامع لئلا تصل الخيول الى قرب
الجامع صيانة للمصلين عن التأذي بهم والتضييق عليهم وفيها ولد الملك العزيز بن
الظاهر غازي صاحب حلب وهو والد الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصريتين

الذى اسره هلاوون ملك التتار وفيها قدم بالفيل من الديار المصرية فحمل هدية
الى الكرج فتعجب اهل دمشق منه ومن بديع خلقته وفيها قدم الملك الظافر خضر بن
السلطان صلاح الدين من حلب لقصد الحج فتلقاه الناس واكرمه المعظم صاحب دمشق فلما
لم يبق بينه وبين مكة الا مراحل يسيرة تلقته حاشية الكامل صاحب مصر وصدوه عن
الدخول الى مكة وقالوا انما جئت لاخذ اليمن فقال لهم قيدوني وذروني اقضي المناسك
فقالوا ليس معنا مرسوم الا بردك لتصدك فهم طائفة من الناس بقتالهم فخاف من وقوع
فتنة فتحلل من حجه ورجع الى الشام وتأسف الناس على ما فعل به وتباكوا من
اجله لما ودعهم تقبل الله منه وفيها وصل كتاب من بعض فقهاء الحنفية بخراسان
الى الشيخ تاج الدين الكندي يخبر فيه ان السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش تنكر
في ثلاثة نفر ودخل بلاد التتر ليكشف اخبارهم بنفسه فانكروهم فقبضوا عليهم فضربوا
اثنين حتى ماتا ولم يقرا بما جاوا له واستوثقوا من الملك وصاحبه اسارا فلما كان في بعض
الليالي هربا فنجيا ورجع السلطان الى عسكره فعاد الى مملكته قلت وهذه الكائنة
غير ما تقدم من اسره في المعركة مع ابن مسعود الامير والله اعلم وفيها توفي مدرس مشهد
ابي حنيفة وشيخ الحنفية ببغداد الشيخ ابو الفضل احمد بن مسعود بن علي التركستاني
وكان اليه المظالم ودفن بالمشهد المذكور والشيخ ابو محمد اسماعيل بن علي بن الحسين
فخر الدين الحنبلي ويعرف بابن الماشطة ويقال له الفخر غلام ابن المني له تعليقة في الخلاف
وكانت له حلقة بجامع الخليفة وكان يلي النظر في قرايا الخاص للخليفة ثم عزل فلزم بيته
فقيرا لا شيء له الى ان مات رح وكان ولده محمد مدرسا شيطا مارقا كثير الهجاء والسعاية بالناس
الى الولاة والامراء بالباطل فقطع لسانه وحبس الى ان مات والوزير معز الدين ابو المعالي
سعيد بن علي بن احمد بن حديدة من سلالة الصحابي قطبة بن عامر بن حديدة الانصاري
ولي الوزارة للناصر في سنة اربع وثمانين ثم عزل عن سفارة ابن مهدي فهرب الى مراغه
ثم عاد بعد ابن مهدي فاقام ببغداد معظما محترما وكان كثير الصدقات والاحسان
الى الناس رح وسنجر بن عبد الله الناصري الخليفتي كانت له اموال كثيرة واملاك
واقطاعات متسعة وكان مع ذلك بخيلا ذليلا ساقط النفس اتفق انه خرج امير
الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسمائة فاعترضه بعض الاعراب في نفر يسير ومع سنجر
خمسمائة فارس فذل للاعرابي وطلب منه الاعرابي خمسين الف دينار فجباها سنجر
من الحجيج ودفعها اليه فلما عاد الى بغداد اخذ الخليفة منه خمسين الف دينار وردها
الى اصحابها وعزله وولى طاشتكين وقاضي السلامية ظهير الدين ابو اسحاق ابراهيم بن نصر
بن عسكر العقيبي الشافعي الاديب ذكره العماد في الخريدة وابن خلكان في الوفيات واثنى
عليه وانشد من شعره في شيخ زاوية واصحابه

الا قل لمكي قول النصيح ... فحق النصيحة ان تستمع
متى سمع الناس في دينهم ... بان الغنا سنة تتبع
وان يأكل المرء اكل البعير ... ويرقص في الجمع حتى يقع
ولو كان طاوي الحشا جائعا ... لما دار من طرب واستمع
وقالوا سكرنا بحب الاله ... وما اسكر القوم الا القصع

كذاك الحمار إذا أخصبت . سمن ما دهاه الشيخ .
وتاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر من بيت الحديث والرواية
وهو أكبر من أخويه زين الأمناء والفخر عبد الرحمن سمع عمه الحافظ أبا القاسم والقاضي ابن
وكان صديقاً للشيخ تاج الدين الكندي وكانت وفاته يوم الأحد ثاني رجب ودفن قبلي
محراب مسجد القدم رحمه الله وتاج العلا النسابة الحلبي الحسني اجتمع بآمد بالشيخ أبي الخطاب
بن دحية وكان ينتسب إلى دحية فقال له تاج العلا إن دحية لم يعقب فرماه ابن دحية
بالكذب في مسائل الموصلية قال ابن الأثير في الكامل وفي المحرم منها توفي المهذب
الطبيب المشهور وهو علي بن أحمد بن هبل الموصلي سمع الحديث وكان أعلم أهل زمانه بالطب
وله فيه تصنيف حسن وكان كثير الصدقة حسن الأخلاق ابن خروف شارح سيبويه
وجمل الزجاجي هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي الأندلسي الإشبيلي أحد المشاهير في هذه
الصناعة وكتبه تدل على تقدمه وعلمه وفضله وكان شيخه فيها ابن طاهر المعروف
بالخدب الأندلسي الجزولي صاحب المقدمة المسماة بالقانون هو أبو موسى عيسى بن عبد
العزيز الجزولي بطن من البربر ثم اليزدكيني النحوي المغربي مصنف المقدمة المشهورة
البديعة وقد شرحها هو وتلامذته ومن بعده وكلهم يعترفون بتقصيرهم عن فهم
مراده في أماكن كثيرة منها وقدم ديار مصر وأخذ عن ابن بري ثم عاد إلى بلاده وولي خطابة
مراكش وكانت وفاته في هذه السنة وقيل قبلها فالله أعلم

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة

فيها أرسل الملك خوارزم شاه أمير الأخصاء الذي عنده وكان قبل ذلك سيره أتابك أصحابه
أميراً خاصاً فبعثه في جيش ففتح له كرمان ومكران وإلى حدود بلاد السند وخطب لخوارزم
شاه بتلك النواحي وكان خوارزم شاه لا يصيف إلا بنواحي سمرقند خوفاً من التتار أصحاب
كشلي خان أن يثبوا على أطراف بلاده التي يتاخمهم قال أبو شامة وفيها شرع في تبليط
داخل الجامع الأموي وابتدأ من السبع الكبير وكانت أرض الجامع قبل ذلك حفراً وجوراً فاستراح
الناس بتبليطه وفيها وسع الخندق مما يلي القيمازية فاخرب بسببه دوراً كثيرة هناك وحمام
قايماز وفرن كان وقفاً على دار الحديث النورية وغير ذلك وفيها بنى المعظم الفندق
المنسوب إليه بناحية قبر عاتكة ظاهر باب الجابية وفيها أخذ المعظم قلعة صرخد من
ابن قراجا وعوضه عنها وسلمها إلى مملوكه عز الدين أيبك المعظمي فبقيت في يده إلى أن
انتزعها منه نجم الدين بن أيوب سنة أربع وأربعين وفيها حج الملك المعظم بن العادل
وركب من الكرك على الهجن في حادي عشر ذي القعدة ومعه ابن موسك ومملوكه أيبك عز
الدين أستاذ دار وخلق فسار على طريق تبوك والعلا وبنى المعظم البركة المنسوبة
إليه ومصانع أخر ولما قدم المدينة النبوية تلقاه صاحبها سالم وسلم إليه مفاتيحها
وخدمه خدمة تامة وأما صاحب مكة قتادة بن إدريس فلم يرفع به رأساً ولهذا لما قضى
نسكه وكان قارناً وأنفق في المجاورين ما حمله إليهم من الصدقات وكر راجعاً استصحب
معه سالماً صاحب المدينة وشكى إلى أبيه عند رأس الماء القنطرة صاحب مكة فأرسل العادل
مع سالم جيشاً يطرد صاحب مكة عنها فلما انتهوا إليها هرب منهم في الأودية والجبال

والبراري وقد أثر المعظم في هذه السنة بطريق الحجاز آثاراً حسنة أثابه الله تعالى وتقبل
منه آمين وفيها تعامل أهل دمشق بالقراطيس السود العادلية ثم بطلت بعد ذلك
ودفنت وفيها مات صاحب اليمن بن سيف الإسلام فتولاها سليمان بن شاهنشاه
ابن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاق الأمراء عليه فأرسل العادل إلى ابنه
الكامل أن يرسل ولده أقسيس بن الكامل إليها فأرسله فملكها وظلم بها وفتك وقتل
من الأشراف نحواً من ثمانمائة وأما من عداهم فكثير وكان من أفجر الملوك وأكثرهم فسقاً
وأقلهم حياء وقد ذكر عنه ما تقشعر منه الأبدان وتنكره القلوب نسأل الله العافية

ومن توفي فيها من الأعيان وغيرهم

إبراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الفقيه الحنبلي أفتى وناظر وعدل عند الحكام ثم انسلخ من
هذا كله وصار شرطياً بباب النوبي يضرب الناس ويؤذيهم غاية الأذى ثم بعد ذلك كله
ضرب إلى أن مات وألقي في دجلة وفرح الناس بموته وقد كان أبوه رجلاً صالحاً الركن
عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر وكان أبوه صالحاً وكان هو متهماً
بالفلسفة ومخاطبة النجوم ووجد عنده كتب في ذلك وقد ولي عدة ولايات
ديما لتلك الجدود ولكن يغير ما تسلوا رأى عليه أبوه ثوباً بخارياً فقال إنما سمعنا
بالبخاري ومسلم فأما بخاري وكافر فهذا عجيب وكان مصاحباً لأبي القسم بن الشيخ أبي الفرج
الجوزي وكان الآخر مدبراً فاسقاً يجتمعان على الشراب والمرد قبحهما الله أبو محمد
عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزاز المعروف بابن الأخضر البغدادي المحدث المكثر
الحافظ المصنف المجود له كتب مفيدة متقنة وكان من الصالحين وكان يوم جنازته
يوماً مشهوداً

العز بن محمد

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستمائة

فيها شرع في بناء المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق وفيها عزل القاضي الزكي بن محيي
الدين بن الزكي وفوض الحكم إلى القاضي جمال الدين ابن الحرستاني وهو ابن ثنتين وتسعين
سنة فحكم بالعدل وقضى بالحق ويقال إنه كان يحكم بالمدرسة المجاهدية التي عند
القواسين وفيها أبطل العادل ضمان الخمر والقيان جزاه الله خيراً فزال عن الناس
شر كثير وفيها حاصر الأمير قتادة صاحب مكة المدينة النبوية وقطع نخيلاً كثيراً فقاتله
أهلها فكر خاسئاً خاسراً وكان صاحب المدينة بالشام في خدمة العادل فطلب منه
النجدة على أمير مكة فأرسل معه جيشاً كما ذكرنا فسرع الأوبة فمات في أثناء الطريق
فاجتمع شمل الجيش على ابن أخيه جماز فقصد مكة فالتقاه أميرها بالصفراء فاقتتلوا
قتالاً عظيماً فهزم المكيون وغنم منهم الأمير جماز شيئاً كثيراً وهرب قتادة إلى الينبع فسار إليه
فحصروه بها وضيقوا عليه فيها وفيها أغارت الفرنج على بلاد الإسماعيلية فقتلوا
ونهبوا وسبوا وفيها أخذ ملك الروم كيكاوس مدينة أنطاكية من أيدي الفرنج ثم
أخذها منه ابن لاون ملك الأرمن ثم أخذها منه إبرنس طرابلس وفيها كانت وفاة
الملك المعظم أبي الحسن علي بن الخليفة الناصر لدين الله الذي كان قد جعله ولي عهده من
بعده ثم عزل عن ذلك أخاه الأكبر ولما توفي حزن الخليفة عليه حزناً عظيماً وكذلك
الخاصة والعامة لكثرة صدقاته وإحسانه إليهم فلم يبق بيت ببغداد إلا حزنوا عليه

وكان يوم جنازته يوما مشهودا وناح اهل البلد عليه ليلا ونهارا ودفن عند جده بالقرب
من قبر معروف الكرخي وكانت وفاته يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة وصلي عليه بعد
الصلاة وفي هذا اليوم قدم براس الامير منكلي الذي كان قد عصى على الخليفة وعلى استاذه
الى بغداد فطيف به فيها ولم تتم فرحته لذلك لتعقبهما بموته ذلك العهد فالدنيا لا تسر
بقدر ما تضر وترك ولدين وهما المويد ابو عبد الله الحسين والموفق ابو الفضل
يحيى

وممن توفي فيها ايضا من الاعيان

الحافظ عبد القادر الرهاوي

عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن ابو محمد الحافظ الكبير المحدث المخرج المفيد المحرر
المتقن البارع المصنف المفيد كان مولى لبعض المواصلة وقيل لبعض الجراثيين اشتغل
بدار الحديث بالموصل ثم انتقل الى حران وقد رحل الى البلدان شتى وسمع الكثير من المشايخ
شرقا وغربا واقام بحران الى ان توفي بها في هذه السنة وكان مولده في سنة ست وثلثين
وخمسماية وكان دينا صالحا خيرا رحمه الله

الوجيه الاعمى

ابو بكر المبارك بن سعيد بن الدهان النحوي الواسطي الملقب بالوجيه ولد بواسط
وقدم بغداد فاشتغل بعلم العربية والنحو فاتقن ذلك وحفظ شيا كثيرا من اشعار
العرب وكان حنبليا فانتقل الى مذهب ابي حنيفة ثم صار شافعيا وولي تدريس النحو
بالنظامية وفيه يقول الشاعر

الا مبلغ عني الوجيه رسالة • وان كان لا تجدي لديه الرسايل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل • وذلك لما اعوزتك الماكل
وما اخترت راي الشافعي دينا • ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل انت لا شك صاير • الى مالك فافطن لما انا قايل

وقد ذكرناه في سنة تسع وتسعين وخمسماية وكان يحفظ شيا كثيرا من الحكايات والامثال
والملح ويعرف العربية والتركية والعجمية والرومية والحبشية والزنجية وكانت
له يد طولى في نظم الشعر فمن ذلك قوله

ولو وقعت في لجة البحر قطرة • من المزن يوما ثم شاء لمازها ... من المزدوج
ولو ملك الدنيا فاضحى ملوكها • عبيدا له نال الشرق والغرب مازها ... من الزج

وله في التجنيس ايضا

اطلت ملامي في اجتنابي لمعشر • طغام لئام جودهم غير مرتجا ... من الرجا
ترى بابهم لا بارك الله فيهم • على طالب المعروف قد جاء مرتجا ... مغلقا
حموا ما لهم والدين والعرض منهم • مباح فما يخشون من هجو من هجا ... من الهجو
اذا شرع الاجواد في الجود منهجا • لهم شرعوا في البخل سبعين منهجا ... اي طريقا

وله مدايح حسنة واشعار رايقة ومبتكر معاني فايقة وربما عارض شعر البحتري بما
يقاربه ويدانيه قالوا وكان لا يغضب قط فتراهن جماعة مع واحد انه ان اغضبه فله كذا فجاء اليه
فسأله عن مسالة في النحو فاجابه فيها فقال له السايل اخطات ايها الشيخ فاعاد عليه

الجواب بعبارة اخرى فقال له اخطات ايضا فاعاد ثالثة فقال كذبت وكانك قد
نسيت النحو فقال له الوجيه فلعلك لم تفهم ما اقول لك فقال بلى ولكنك تخطي فقال
له فقل ما عندك لنستفيده منك فاغلظ له السايل فقال له الوجيه ان كنت رايت
فقد غلبت ا[illegible] وهذا كمثل البقة يعني الناموسة سقطت على الفيل فلما
ارادت الطيران قالت له استمسك فاني اريد ان اطير فقال لها ما احسست
بك حين وقعت على فما احتاج ان استمسك اذا طرت كانت وفاته رحمه الله
في شعبان ودفن بالوردية ابو الفتوح محمد بن علي بن المبارك التاجر المعروف
بابن الجلاجلي كان يسكن بدار الخلافة ببغداد قرا القران على الروايات وسمع الحديث
الكثير ورحل الى البلدان المتباينة بلغ ثلاثا وستين سنة وكانت وفاته بالقدس
الشريف في رمضان رح ابو محمد عبد العزيز بن معالي بن غنيمة بن حسن المعروف بابن
منينا ولد سنة خمس عشرة وخمسماية وسمع الكثير واسمعه وكانت وفاته في ذي الحجة
عن سبع وتسعين سنة الشيخ الفقيه جمال الدين محمود بن الساعوري الشافعي
كان يقري بالجامع الفقه وشرح التنبيه للطلبة ويتانى في تفهيمهم احتسابا بجاه
المقصورة ودفن بمقابر باب الصغير شمالي قبور الشهدا وعلى قبره شعر ذكره ابو شامة

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستماية

قال ابو شامة فيها احضرت الاتار الخشب لاجل قبة نسر الجامع طول كل واحد اثنان
وثلاثون ذراعا بالنجار وفيها شرع في تخريب خندق باب السر المقابل لدار الطعم العتيقة
الى جانب باناس وقلت وفي احضر السلطان اليوم فنقل السلطان المعظم بنفسه
ومماليكه يحمل بين يديه على القربوس القفة من التراب فيفرغها في الميدان الاخضر
وكذلك اخوه الصالح اسماعيل ومماليكهما يوما يوما وفيها وقعت فتنة بين اهل
الشاغور واهل العقيبة اقتتلوا بالرحبة والصيارف وركب الجيش ملبسا وجا
السلطان المعظم بنفسه فجلس وسهم وفيها رتب بالمصلى خطيب مستقل واول
من باشرها الصدر معيد الفلكية ثم خطب بعده بها بها الدين بن ابي اليسر ثم بنو حسان
الى الان وفيها توفي صاحب حلب الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف
بن ايوب وكان من خيار الملوك واشدهم سيرة ولكن كان فيه عسف ويعاقب على الذنب
سريعا شديد وكان يلزم العلماء والامراء والشعرا والفقرا اقام في الملك ثلاثين
سنة وحضر كثيرا من الغزوات مع ابيه وكان ذكيا له راي جيد وعبارة سادة وفطنة
حسنة وعمره اربعا واربعين سنة ولما حضرته الوفاة جعل الملك من بعده لولده
الملك العزيز غياث الدين محمد وهو ابن ثلاث سنين وقد كان له اولاد كبار ولكنه
عهد الى هذا من بينهم لانه كان من بنت عمه العادل واخواله الاشرف والمعظم والكامل
وجده العادل لا ينازعونه وهكذا وقع سوا بايع له جده العادل وخاله الاشرف
صاحب حران والرها وخلاط وهم المعظم بنقض ذلك فلم يتفق له وقام بتدبير
مملكته الطواشي شهاب الدين طغريل الرومي الابيض وكان دينا عادلا

وممن توفي فيها ايضا من الاعيان والمشاهير

الشيخ تاج الدين ابو اليمن الكندي زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة
الشيخ الامام العلامة وحيد عصره وشيخ وقته تاج الدين ابو اليمن الكندي ولد ببغداد
ونشا بها واشتغل وحصل ثم دمشق ففاق اهل زمانه شرقا وغربا في النحو والعربية وغير
ذلك من فنون العلم وعلو الاسناد وحسن الطريقة والسيرة وصحة العقيدة والسريرة
انتفع به علماء عصره وخضعوا له واثنوا عليه وكان حنبليا ثم صار حنفيا وكان مولده
في اليوم الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسماية فقرا القران بالروايات
وله عشر سنين وسمع الكثير من الحديث العالي على الشيوخ الثقات وعني بذلك
وتعلم العربية واللغة واشتهر بذلك ثم صار الى الشام سنة ثلاث وستين وخمسماية
فسكن مصر واجتمع بالقاضي الفاضل ثم انتقل الى دمشق فسكن بدرب العجم منها
وحظي عند الملوك والوزرا والامرا وتردد اليه العلما والكبرا والملوك وابناوهم
كان الافضل بن صلاح الدين وهو صاحب دمشق يتردد الى منزله واخوه المحسن وكذلك
المعظم في ايامه على ملك الشام ينزل اليه الى درب العجم يقرا عليه في المفصل وكان المعظم
يعطي لمن حفظ المفصل ثلاثين دينارا جايزة وكان يحضر مجلسه بدرب العجم جميع المصدرين
بالجامع كالشيخ علم الدين السخاوي ويحيى بن معطي والوجيه اللبوني والفخر التركي وغيرهم
وكان القاضي الفاضل في ايامه يثني عليه كثيرا قال السخاوي كان عنده من العلوم ما لا
يوجد عند غيره ومن العجيب ان سيبويه وقد شرحت عليه كتابه وكان اسمه عمرو واسم الشيخ
ابي اليمن زيد فقلت في ذلك

لم يكن في عهد عمرو مثله . وكذا الكندي في اخر عصر
فهما زيد وعمرو وانما . بنى النحو على زيد وعمرو

قال ابو شامة وهذا كما قال فيه ابن الدهان المذكور في سنة اثنتين وتسعين وخمسماية

يا زيد زادك ربي من مواهبه . نعما يقصر عن ادراكها الامل
النحو انت احق العالمين به . اليس باسمك فيه يضرب المثل

وللسخاوي فيه قصيدة حسنة وكذلك اثنى عليه غير واحد منهم ابو المظفر بن الجوزي
قرا القران عليه وكان حسن العقيدة ظريف الخلق طريفا لا يسام الانسان من مجالسته
وله النوادر العجيبة والخط المليح والشعر الرايق وله ديوان كبير وكانت وفاته يوم الاثنين
سادس شوال من هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة وشهر وستة عشر يوما وصلي عليه
بجامع دمشق ثم حمل الى الصالحية فدفن بها رح وكان قد وقف كتبا نفيسة وهي سبعما
واحد وستون مجلدا على معتقه نجيب الدين ياقوت ثم على ولده من بعده ثم على العلما
في الحديث والفقه واللغة وغير ذلك وجعلت في خزانة كبيرة في مقصورة ابن سنان
الحنفية المجاورة لمشهد علي زين العابدين ثم ان هذه الكتب تفرقت وابيع كثير منها
ولم يبق بالخزانة المشار اليها الا القليل وهي مقصورة الحلبية وكانت قديما يقال
لها مقصورة ابن سنان وقد ترك الشيخ تاج الدين نعمة وافرة واموالا جزيلة ومماليك
متعددة من الترك وكان رقيق الحاشية حسن الاخلاق يعامل الطلبة معاملة حسنة
فلما كبر ترك القيام لهم فانشا معتذرا

تركت قيامي للصديق يزورني . ولا ذنب لي الا الاطالة في عمري

فان بلغوا

فان بلغوا من عشر تسعين نصفها . تبين في ترك القيام لهم عذري

وقد اسلفنا شيا من قيله في قتل عمارة اليمني في الدولة الصلاحية في سنة تسع وستين
وخمسماية وهو في غاية القوة والفصاحة والجناس وقد اورد ابن الساعي في ترجمته
من تاريخه اشعارا حسنة فمن ذلك قوله يمدح الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه

رضا لي الغواني كان اروى واروجا . وعصر الندامى كان ابهى وابهجا
ليالي كان العمر احسن شافع . تولى وكان اللهو اوضح منهجا
بدا الشيب فانجابت طواعية الصبى . وقبح لي ما كان يستحسن الحجا
بلهنية ولت كان لم اكن بها . بها اجتلي وجه النعيم مسرجا
ولا اختلت في برد الشباب مجررا . ذيولي اعجابا به متبرجا
اعاذل عيد العاطف طفله . واعيد محصول المراشف ادعجا
تعوضت لبا لمها بطيب كانه . لتقصيره سهم تخطف الدجى
فان انس مكروبا لعواد حزينه . اعاقر من دن الصبابة [illegible]
وحيدا على ان بفضلي منيتهم . فروعا باعدا الفضايل مزعجا
فيا رب ذي ود سررت وسرني . وابهجته بالصالحات وابهجا
ويا رب ناد قد شهدت وماجد . شاهدت خصم رعته فتلجلجا
صدعت بفضلي نقصه فتركته . وفي قلبه شجو وفي حلقه شجا
كان بياني في مسامع حشده . وقد ضم ابكار المعاني وادرجا
حسام تقي الدين في كل مازق . يقد الى الارض الكمي المدججا

وقال يمدح اخاه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب رحمهم الله

مثل انسان اجم عبره وقد له . ومحبه صب عند ما سنه دمي
هيهات يرحم قاتل مقتوله . وسنانه في القلب غير منهنه
من لي من دا الغرام فانني . مذ حل في مرض الهوى لم انقه
اني بليت بحب اغيد ساحر . بلحاظه رخص البنان برهوه
ابغي شفا تدلهي من دله . ومتى يرق مدلل لمدله
كم ابتلي في هواه واننه . لو كان ينفعني عليه تاوهي
وما ارب في وصله لو انها . تقضي لكانت عند مبسمه المشتهي
يا مفردا بالحسن انك منته . كما انا في الصبابة منتهي
قد لام فيك معاشر فانتهي . يا للوم عن حب الحياة وانتهي
ابكي لديه فان تلحظ لوعتي . وتشق ادمعي بطرف مقهقه
انا من محاسنه وحالي عنده . حيران بين تفكر وتفكه
ضدان تحرجها بلفظ واحد . لي في هواه بمعنيين موجه
او لست رب فضايل لو حاز . ادناها وما ادناها غيري زهي

وله ايضا

صحبنا الدهر اياما حسانا . نعوم بهن في اللذات عوما
وكانت بعد ما ولت كاني . لدى نقصانها حلما ونوما

أناخ بي المشيب فلا براح • وان اوسعته عتبا ولوما •
نزيل لا يزال على التنائي • يسوق الى الردى يوما فيوما •
وكنت اعد لي عاما فعاما • فصرت اعد لي يوما فيوما •

والذي انشده الشيخ تاج الدين في قتل عمارة اليمني حين كان مما لي الكفرة والملحدين على قتل الملك صلاح الدين وعود دولة الفاطميين فظهر على امره فصلبه من طلبه

عمارة في الاسلام ابدى جناية • وبايع فيها بيعة وصليبا •
واصبح شريك الشرك في بغض احمد • فاصبح في حب الصليب صليبا •
وكان خبيث الملتقى ان عجمته • تجد منه عودا في النفاق صليبا •
سيلقى غدا ما كان يسعى لاجله • ويسقى صديدا في لظى وصليبا •

العدو
اي تصلوبا
اي بعد ابن القلاعة
اي دولة العظام

المعز بن محمد الحافظ عبد الغني المقدسي ولد سنة ست وستين وخمسمائة واسمه اسم والده الكبير ورحل بنفسه الى بغداد وقرا بها مسند احمد وكانت له حلقة بجامع دمشق وكان من اصحاب الملك المعظم وكان رضا الحال دينا ورعا حافظا رحمه الله ورحم اباه ابو الفتوح محمد بن علي بن المبارك الجلاجلي البغدادي سمع الكثير وكان يتردد في الرسلية بين الخليفة والملك الاشرف وكان عاقلا دينا ثقة صدوقا الشريف ابو جعفر يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن ابي زيد العلوي الحسني نقيب الطالبيين بالبصرة بعد ابيه كان شيخا اديبا فاضلا عالما بفنون كثيرة لا سيما بالانساب وايام العرب واشعارها يحفظ كثيرا وكان من جلساء الخليفة الناصر ومن لطيف شعره قوله

لعينك لا يلا يمها العذل • وقلب قريح لا يمل ولا يسلوا •
كان على الحب اسى فريضة • فليس لقلبي غيره ابدا شغل •
واني لا اهوى الهجر ما كان اصله • دلالا ولولا الهجر ما عذب الوصل •
واما اذا كان الصدود ملالة • فايسر ما تم الحبيب به القتل •

ابو علي بن مزيد بن علي بن مزيد المعروف بابن الخشكري الشاعر المشهور من اهل النعمانية جمع لنفسه ديوانا اورده له ابن الساعي قطعة من شعره فمن ذلك قوله

سالتك يوم النوى نظرة • فلم تسمحي حذرا الا سلم •
واعجب كيف تقولين لا • ووجهك تدخط فيه نعم •
اما النون يا هذه حاجب • اما العين عين اما الميم فم •

ابو الفضل رسوان بن منصور بن رسوان الكردي المعروف بالمستقف لد باربل وخدم جنديا وكان اديبا شاعرا ثم خدم مع الملك العادل ومن شعره قوله •

سلاحي الصوارم والرماح • وخيلا تسبق الهوج الرياحا •
واسد اجيشها سمر العوالي • اذا ما الاسد حالت الكفاحا •
فاني ثابت عقلا ولبا • اذا ما صايح في الحرب صاحا •
واورد مهجتي لجج المنايا • اذا ما جئت ولم اخف الجراحا •
وكم سهرت وبت ليله • اراعي النجم ارتقب الصباحا •
وكم في فدفد فرسي ونضوي • بقايلة الهجير غدا وراحا •

لعينك في الحجاجر ما الاقى • واثبت في الكرى مني لا براحا •

محمد بن يحيى بن هبة الله ابو نصر النحاس الواسطي كتب لي النشيط من شعره •

وقايلة لما عمرت وصار لي • ثمانون عاما عش كذا وابق واسلم •
ودم وانتشق روح الحياة فانه • لاطيب من نبت بصعده مظلم •
فقلت لها عذري لديك ممهد • ببيت زهير فاعلمي وتعلمي •
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش • ثمانين حولا لا محالة يسام •

ثم دخلت سنة اربع عشرة وستمائة

في ثالث المحرم كمل تبليط داخل الجامع الاموي وجاء المعتمد مبارز الدين ابراهيم المتولي بدمشق بموضع آخر بلاطة منه بيده وكانت عند باب الزيادة فجا بذلك وفيها زادت دجلة بغداد زيادة عظيمة وارتفع الماء حتى ساوى السور الا مقدار اصبعين ثم طفح الماء وايقن الناس بالهلكة واستمر ذلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما ثم من الله تعالى فتناقص الماء وذهبت الزيادة وقد بقيت بغداد تلولا وتهدمت اكثر البنايات فانا لله وانا اليه راجعون وفيها درس بالنظامية محمد بن يحيى بن فضلان وحضر عنده القاضي والاعيان وفيها سار الصدر بن حمويه في الرسلية الى بغداد من العادل الى الخليفة وفيها قدم ولده المعز ابن الكامل الى اخيه المعظم يخطب منه ابنته على ابنه على ابنة ابن اخته صاحب اليمن فعقد العقد بدمشق على صداق ماءة الف دينار وفيها قدم السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش الى همذان قاصدا الى بغداد في اربعمائة الف وقيل في ستمائة الف فاستعد له الخليفة واستخدم الجيوش الكثيرة وراسل الخليفة يطلب منه ان يكون على قاعدة من تقدمه من الملوك السلاجقة وان يخطب له ببغداد على منابرها فلم يجبه الى ذلك وارسل اليه الشيخ شهاب الدين السهروردي فلما وصل اليه شاهد عنده من العظمة وكثرة الملوك بين يديه وهو جالس في خركاة من ذهب على سرير ساذج وعليه قبا بخاري ما يساوي خمسة دراهم وعلى راسه جلدة ما تساوي درهما فسلم فلم يرد من التكبر ولم ياذن له في الجلوس فقام الجانب السرير واخذ في خطبة هايلة فذكر فيها فضل بني العباس وشرفهم واورد حديثا في النهي عن اذاهم والترجمان يعيد عن الملك فقال الملك اما ما ذكرت من فضل الخليفة فانه ليس كذلك ولكني اذا قدمت الى بغداد اقمت من يكون بهذه الصفة وما ذكرت من النهي عن اذاهم فاني لم اوذ منهم احدا ولكن الخليفة في سجونه منهم طايفة كثيرة يتناسلون في السجون فهو الذي اذى بني العباس ثم تركه ولم يرد عليه جوابا بعد ذلك وانصرف السهروردي راجعا وارسل الله تعالى على الملك وجيشه ثلجا عظيما ثلاثة ايام حتى طم الجبال والخيام ووصل الى رؤس الاعلام وتقطعت ايدي وارجلهم وعم من البلاء العظيم ما لا يحد ولا يوصف فردهم الله خايبين والحمد لله رب العالمين وفيها انفسخت الهدنة التي كانت بين العادل والفرنج واتفق قدوم العادل من الديار المصرية فاجتمع هو وولده المعظم بييسان فركبت الفرنج من عكا ومقدمهم وصحبهم ملوك السواحل كلهم وساروا كلهم قاصدين بيسان فصار العادل فلما احس بهم فرتهم

لكثرة جيوشهم وقلة من كان معه فقال لولده المعظم الى بين يديه فشتمه ابوه
بالعجمية وقال له اقطعت الشام مماليك وتركت من ينفعني من ابناء الناس فتوجه
العادل الى دمشق وكتب الى والي القلعة المعتمد ليحصنها من الفرنج فكان ينقل الغلال
من داريا الى القلعة ويرسل الماء على اراضي داريا واراضي قصر حجاج والشاغور
ففزع الناس من ذلك وابتهلوا الى الله بالدعاء وكثر ضجيجهم بالجامع واقبل
السلطان فنزل بمرج الصفر وارسل الى ملوك الشرق ليقدموا لقتال الفرنج
فكان اول من ورد صاحب حمص اسد الدين شيركوه فتلقاه الناس وتدخل من باب
الفرج وجاء فسلم على ست الشام بدارها عند المارستان ثم عاد الى داره ولما
قدم اسد الدين سري عن الناس وامنوا ولما اصبح توجه الى السلطان بمرج
الصفر واما الفرنج فانهم وردوا الى بيسان فنهبوا ما كان بها من الذخاير والغلات
وقتلوا واسروا شيا كثيرا وكذلك فعلوا في نواحي الارض فسادا يقتلون وينهبون
ويسبون ما بين بيسان الى بانياس وخرجوا الى اراضي نوى وخسفين وغير ذلك
من الاراضي وسار الملك المعظم فنزل على عقبة اللبن بين القدس ونابلس خوفا
على القدس الشريف ثم حاصرت الفرنج حصن الطور حصارا هائلا ثم امتنع عنه
الذين به من الابطال الحماة عظيمة ثم كر الفرنج راجعين الى عكا وجاء الملك
المعظم الى الطور فخلع على الامرا الذين به وطيب نفوسهم ثم اتفق هو وابوه على
هدمه كما سياتي

ومن توفي فيها من الاعيان

الشيخ العماد اخو الحافظ عبد الغني

ابو اسحاق بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور الشيخ عماد الدين المقدسي كان
اصغر من اخيه الحافظ عبد الغني بسنتين وقدم مع اهلهم الى دمشق سنة احدى وخمسين
وخمسماية ورحل الى بغداد مرتين وسمع الحديث وكان عابدا زاهدا ورعا كثير الصلاة
كثير الصيام يصوم يوما ويفطر يوما وكان فقيها مفتيا له كتاب الفروع وصنف
احكاما ولم يتم وكان يوم بمحراب الحنابلة مع الشيخ الموفق وانما كانوا يصلون
الى الخزانتين ثم وضع المحراب في سنة سبع عشرة وستماية وكان يوم بالناس فتنبه
لقضاء الفوايت وهو اول من فعل ذلك وصلى المغرب ذات ليلة وكان صايما ثم رجع
الى بيته بدمشق فافطر ثم مات فجاة فصلي عليه بالجامع الاموي الشيخ الموفق
عند مصلاهم ثم صعدوا به الى السفح فكان يوما مشهودا من كثرة الخلق قال
سبط ابن الجوزي كان الخلق من الكهف الى مغارة الدم الى المنطور لو بذر السمسم
لما وقع الا على رؤس الناس ولما رجعت تلك الليلة فكرت فيه وقلت كان هذا
رجلا صالحا فلعله نظر الى ربه حين وضع في لحده ومرت بذهني ابيات الثوري التي سمع
ينشدها في المنام

نظرت الى ربي كفاحا فقال لي ... هنيئا رضاي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما اذا اقبل الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته ... وزرني فاني منك غير بعيد

ثم قلت

ثم قلت ارجو ان العماد راى ربه كما راه سفيان الثوري ثم نمت فرايت الشيخ العماد
في النوم وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء وهو في مكان متسع كانه روضة وهو يرقى
في درج متسعة فقلت يا عماد الدين كيف بت فاني والله مفكر فيك فنظر الي وتبسم
على عادته ثم قال

رايت الاهي حين انزلت حفرتي ... وفارقت اصحابي واهلي وجيرتي
وقال جزيت الخير عني فانني ... رضيت فها عفوي لديك ورحمتي
دابت زمانا تامل الفوز والرضى ... فوقيت نيراني ولقيت جنتي

قال فانتبهت وانا مذعور فكتبت هذه الابيات

القاضي جمال الدين بن الحرستاني

عبد الصمد بن محمد بن ابي الفضل ابو القسم الانصاري بن الحرستاني قاضي القضاة
بدمشق ولد سنة عشرين وخمسماية وكان ابوه من اهل حرستا فنزل داخل باب
توما وام بمسجد الرسي ونشا ولده هذا نشاة حسنة سمع الحديث الكثير وشارك
الحافظ ابن عساكر في كثير من شيوخه وكان يجلس لاسماع الحديث بمقصورة الخضر
وعندها كان يصلي دايما لانه فاتته الجماعة بالجامع وكان منزله بالحويرة ودرس بالمجاهدية
وعمر دهرا طويلا على هذا القدم الصالح وناب في الحكم عن ابن ابي عصرون ثم ترك ذلك
ولزم منزله وصلاته بالجامع ثم عزل العادل القاضي زكي الدين الطاهر بن محيي الدين
ابن محمد بن علي القرشي والزم القاضي جمال الدين بن الحرستاني هذا بولاية القضا وله
ثنتان وتسعون سنة واعطاه تدريس العزيزية واخذ التقوية ايضا من
ابن الزكي ولاهل فخر الدين بن عساكر قال ابن عبد السلام ما رايت احدا افقه
من ابن الحرستاني كان يحفظ الوسيط للغزالي وذكر غير واحد انه كان من اعدل
القضاة واقومهم بالحق لا ياخذه في الله لومة لايم وكان نايبه عماد الدين خطيب جامع
دمشق وولي مشيخة الاشرفية موسى بعده وكان القاضي جمال الدين يجلس للحكم
بمدرسته المجاهدية وكان السلطان قد ارسل اليه طراحة ومسندة لاجل انه
شيخ كبير وكان ابنه يجلس بين يديه فاذا نهض ابوه جلس هو في مكانه ثم انه
عزل ابنه عن نيابته لشي بلغه عنه واستناب شمس الدين بن الشيرازي فكان يجلس
تجاهه في شرقي الايوان واستناب ايضا معه شمس الدين بن سني الدولة وبيت
له دكة في الزاوية الغربية القبلية من المدرسة واستناب شرف الدين بن
الموصلي الحنفي وكان يجلس في محراب المدرسة واستمر حاكما سنتين واربعة اشهر
ثم كانت وفاته يوم السبت رابع ذي الحجة من هذه السنة وله خمس وتسعون
سنة وصلي عليه بجامع دمشق ثم دفن بسفح قاسيون الامير الكبير نور الدين
محمد بن الشيخ ابي القاسم بن محمد الهكاري باني المدرسة التي بالقدس وكان من خيار
الامرا يتمنى الشهادة دايما فقتله الفرنج بحصن الطور مدة السنة ونقل الى
القدس الشريف ودفن بتربته بماملا وتربته تزار الى الان الشجاع محمود
المعروف بابن الدباغ كان من اصدقاء العادل يضحكه فحصل اموالا جزيلة وكانت

داره داخل باب النوح فجعلتها زوجته عايشة مدرسة للنساء تعيده والحنفية
وقد وقفت عليها اوقافا داره رحمها الله الشيخة الصالحة العالمة الزاهدة
شيخة العالمات بدمشق وتلقب بدهن اللوز دفنها توفيت بنت بور بخان
دمتى اخر بنائه دناة وجعلت لسوالها وقفا على زينة اختها بنت العصبية المشهو

فتم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية
كثر الله فوايده وابقاه بخير على يد افقر العباد
الى الله الغني محمد بن حجازي بن مصطفى الاملط
نفعه الله ببركة العلم ووفقه للعمل به
في يوم الجمعة المبارك سلخ شهر جمادى
الاولى سنة اثني عشر ومايه والف
هلالية هجرية صلوات
الله وسلامه على
سيدنا
امين

والحمد لله رب العالمين حق حمده وصلواته على خير من خلقه محمد واله وصحبه اجمعين

